

الإنجيل بحسب يُوحنا



القمص تادرس يعقوب ملطي

القائمة الرئيسية

سوف تجد نتيجة البحث مظلة بلون مختلف
لإلغاء البحث اضغط F5

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

الإنجيل بحسب يوحنا

الجزء الأول

أصحاحات 1 - 8

و

الجزء الثاني

أصحاحات 9 - 21

2003

القصة تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج

أمجاد لا يعبر عنها

أثناء كتابتي لهذا السفر كثوًا ما عبر بي فكر ترددت في تسجيله، إذ شعوت بشيءٍ من الأسى أنني لم أبدأ بالتمتع بإنجيل يوحنا منذ بدء حياتي لأقضي عمري كله أسبح في الأمجاد التي يقدمها لنا هذا السفر، والتي لا يمكن للغة بشرية أن تعبر عنها.

أثناء رواستي للسفر أركت معنى ما قاله العلامة أوريجينوس حين كتب تأملاته وعظاته عن السفر بأنه يظن أنه لا يقدر أن يتم تقسوه للسفر حتى يعبر إلى السماء ليكمل تقسوه هناك! حقًا لست أظن أن إنسانًا يقدر أن يبرك أعماق السفر بأكملها، لكنها تتجلى بالأكثر حين نلتقي بمسيحنا الممجد لنشركه مجده السموي، فنترك ما عناه هذا السفر في صورة أروع مما يمكن الحديث عنها هنا.

ليت روح الله القنوس يحمل كل نفس إلى الأحضان الإلهية، ويشوق على بصورتها الداخلية فتتمتع بما يود أن يقدمه مسيحنا العجيب لنا من أمجاد ومعرفة إلهية، فنلتهب بنار الحب الإلهي، ونشتهي اللقاء مع مخلصنا.

كلمة شكر

أشكر الأحياء الذين بذلوا جهدًا في كتابة هذا الكتاب على الكمبيوتر، خاصة الأخ صفوت فوج بأورنج كاليفورنيا ومدام ماجدة حنا بستيت إن آيلند نيو يورك ، الرب يعوضهما بالبركات السماوية.

مقدمة

الباب الأول الأصحاحات [1-8]

الأصحاح الأول (الكلمة المتجسد)

الأصحاح الثاني (العريس موح النفوس)

الأصحاح الثالث (المعلم واهب الميلاد الجديد)

الأصحاح الرابع (لقاء مع السامرية)

الأصحاح الخامس (شفاء مريض بيت حسدا)

الأصحاح السادس (المسيح خبز الحياة)

الأصحاح السابع (حديث عن حلول الروح القدس)

الأصحاح الثاني عشر (عشاء في بيت لحم)

الباب الثالث الأصحاحات [13-17]

الأصحاح الثالث عشر (خدمة غسل الأرجل)

الأصحاح الرابع عشر (المغوي الآخر)

الأصحاح الخامس عشر (حديث وداعي)

الأصحاح السادس عشر (رسال المغوي)

الأصحاح السابع عشر (الصلاة الوداعية)

الباب الرابع الأصحاحات [18-19]

الأصحاح الثامن عشر (محاكمة يسوع دينيًا ومدنيًا)

الأصاحح الثامن (المسيح نور العالم)	الأصاحح التاسع عشر (صلب يسوع المسيح)
الباب الثاني الأصحاحات [9-12]	الباب الخامس الأصحاح [20]
الأصاحح التاسع (تفتيح عيني المولود أعمى)	الأصاحح العشرون (القيامة)
الأصاحح العاشر (الواعي الصالح)	الباب الرابع الأصحاح [21]
الأصاحح الحادي عشر (إقامة لعازر)	الأصاحح الحادي والعشرون (العبور إلى الدهر الآتي)

مقدمة في

الإنجيل بحسب يوحنا

الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا سفر يناسب الكل، البسطاء والعلماء. كلماته بسيطة للغاية، يؤاه البسطاء فيجدون نفوسهم قريبة منه فورتاحون، ويغوص فيه أصحاب الخوات الروحية نون أن ينتهوا إلى سبر غوره ^[1].

إنجيل يوحنا والكنيسة الأولى

سحب الإنجيل بحسب يوحنا قلب الكنيسة الأولى لورفعه إلى الأسوار الإلهية الفائقة، يوحي الروح القدس، بأسلوبٍ روحيٍّ جذّاب، بعيداً عن المصطلحات الفلسفية الصعبة ولغة اللاهوت الجافة. فيما يلي بعض تعليقات آباء الكنيسة عنه:

❖ يمكننا أن نتجاسر فنقول أن **الأنجيل هي بكر كل الكتب المقدسة**، أما بين **الأنجيل فإنجيل يوحنا هو البكر**. لا يترك معناه من لم يتكئ على صدر يسوع (يو 13:23) ويستلم مريم من يسوع أمًا له أيضًا (يو 19:27)؛ مثل هذا يكون يوحنا آخر، ويظهر له يسوع ذاته كما فعل مع يوحنا. **فإذ لم يكن ابن لمريم سوى يسوع**، وذلك بالنسبة لمن يقدمون رأيًا صادقًا فيها، وقد قال يسوع لأمه: **"هوذا ابنك"** (يو 19:26)، ولم يقل: "هذا هو أيضًا ابنك". كأنه يقول: "هوذا يسوع الذي ولدته". فإنه بالحق كل إنسان صار كاملاً، لا يحيا هو بل يحيا المسيح فيه (٢ كو ٤: ٧). وإذ يحيا المسيح فيه، يُقال لمريم عنه: **"هوذا ابنك" المسيح** ^[2].

العلامة أوريجينوس

❖ **هؤلاء جميعًا (الإنجيليون متى ومرقس ولوقا) ارتفعوا قليلاً عن الأمور التي على الأرض، أي عن تلك الأمور التي صنعها ربنا يسوع المسيح على الأرض، أما عن لاهوته فتحدثوا القليل عنه.** كانوا أشبه بأناسٍ سلروا معه على الأرض، وبقي النسر، أي يوحنا، الكارز بالحقائق السامية، والمتأمل بنظرة ثاقبة نحو النور الداخلي الأبدي...

مع هذا فإننا نحن الذين تحف على الأرض ضعفاء، ونسلك بين البشر بصعوبة، نتجاسر لنتمسك بهذه الأمور ونتفهمها، حاسبين أنفسنا كما لو كنا قد أركناها عندما نتأمل فيها، أو نتحدث عنها ^[3].

القديس أغسطينوس

❖ أما يوحنا المبرك... زاه وغبة نزية وعقلٍ وغب في الأمور التي تعلو العقل الإنساني، تجاسر واقترب لكي يثوح الميلاد الفائق الذي لا يمكن الإحاطة به، أي ميلاد الله الكلمة. فهو يعلم أن **"مجد الله إخفاء الأمور"** (أم 2:25)، والكرامة التي تليق بالله تفوق فهمنا وإراكتنا، ومن الصعب أن

القديس كيرلس الكبير

يحقق إنجيل يوحنا بصورة خاصة "ملء" الكتاب المقدس بعينه، وكأنه "مركز" سرّ الكتاب.

يشبه الأب مكسيموس المعترف الكتاب المقدس بالكنيسة المقدسة، وإنجيل يوحنا قدس الأقداس فيها، فيه ندخل إلى أعماق مقدسات الكتاب، ونتعرف على أسوره، ونخترق الحجاب.

بحق يدعوه القديس اكليمينضس السكنوري "الإنجيل الروحي"، لأنه يدخل بالنفس إلى التعرف على الأمجاد التي أعدت لها خلال محبة الله الأب، وعمل المسيح الخلاصي، وتغريات الروح القدس. رى أن إنجيل يوحنا بمثابة الروح، والأنجيل الثلاثة الأخرى بمثابة الجسد. قدمت الأخوة الحقائق والوقائع الملموسة في حياة السيد المسيح وخدمته وعمله الخلاصي. وجاء إنجيل يوحنا يفسر ما وراء هذه الأحداث، ويكشف عن أعماقها ومفاهيمها. جاء السفر متناغمًا مع قول السيد المسيح: "ليعرفك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو 17: 3).

هو الإنجيل الروحي إذ يرفع المؤمن إلى عالم الروح، ولا يسمح لمؤمنيه أن يبقوا على مستوى المادة، فإذ أشبع الجوع بالخبز فوحا (26:6)، أما هو فدعاهم إلى الطعام الأبدي (27:6).

في حديثه مع نيقوديموس عن الولادة الجديدة كان فكر نيقوديموس المعلم في إسرائيل حبيس أحشاء أمه، أما السيد المسيح فوفعه لينظر بعيني قلبه أن "المولود من الروح هو روح" (1-3:6).

وفي حديثه مع الوأة الساموية كان فكها حبيس الدلو المادي وبئر يعقوب وماشيته، فرفع قلبها إلى الينوع الإلهي حيث يقدم لها ماءً يفجر في داخلها ينابيع مياه حيّة تحوي للحياة الأبدية.

إذ بدأ القديس يوحنا الذهبي الفم يعظ على إنجيل يوحنا، تحدث عن القديس يوحنا الإنجيلي وهو يقدم إنجيله مقلنًا بينه وبين الخطباء والممثلين كيف يجتذبون الجماهير بفن الخطابة واستخدام الموسيقى ورتداء قناعات جذابة، أما القديس يوحنا فيتقدم كما على منصة السماء، ليحدث أناسًا صار منهم كثيرون أشبه بالملائكة، ويشتهي أن يصير بقية المستمعين هكذا. إنه لا يستخدم سوي نعمة الله، يتحدث وهو في صحبة السمائيين، مقدمًا لهم رسالة المسيح الموحدة.

❖ يتقدم أمامنا الآن هذا الرجل: ابن الوعد، حبيب المسيح، عمود الكنائس في كل العالم، الذي يمكك بمفاتيح السماء، الذي شرب كأس المسيح، واعتمد ... بمعموديته، الذي اتكأ بكل ثقة على صدر سيده دخل مرتديًا ثوب الجمال غير المترك. فإنه سيظهر أمامنا مرتديًا المسيح (رو 13: 14؛ غلا 3:

27)، منتعلًا في قدميه الجميلتين باستعداد إنجيل السلام (أف 6: 15)، وتمنطقًا بمنطقة ليست حول خصوه بل حول منطقته، ليست من جلد

قوزي، ولا مكسوة في الخرج من ذهب، بل منسوجة ومصنوعة من الحق نفسه. الآن يظهر أمامنا لا ليقيم بنور تمثيلي، وإنما وأس دن قناع يعلن

الحق مكشوفًا. إنه لا يجعل جمهور المستمعين له يصدقونه بل بالأحرى بالمحفل والنظرات والصوت يحقق رسالته دن أنوات موسيقية مثل القيثارة

أو ما يشبهها، إنما يستخدم لسانه، ناطقًا بصوت أعذب من أية قيثارة أو أداة موسيقية وأكثر نفعًا. منصته هي السماء كلها، ومسوحه هو العالم

المسكون كله، وفوقته هي كل الملائكة، أما عن المستمعين فهم بشر صار منهم كثيرون ملائكة أو يود أن يصيروا هكذا. فإنه لن يستطيع أن ينصت

إليه بانسجام حقيقي إلا الذين صلروا هكذا، مظهرين ذلك بأعمالهم. أما البقية فإنهم كأطفال صغار يسمعون ولا يفهمون ... إنهم في طرب ولهو،

يعيشون فقط من أجل الثروة والسلطة واللذات الحسية. ما يسمعون هو حق، ولكنهم في أعمالهم لا يبرزون ما هو عظيم ونبيل خلال إصواعهم نحو

الطين لعمل قرميد (طوب) [5].

❖ لم يعد بعد صياد السمك ابن زبدي، بل ذاك الذي يعرف "أعماق الله" (1 كو 2: 10)، الروح القدس، أقصد أنه يضوب على هذه القيثارة، لذلك ليتنا ننصت إليه، فإنه لا يتحدث معنا بشيء قط كإنسان، إنما ما يقوله سيقوله من أعماق الروح، من الخفيات التي لم يعرفها حتى الملائكة قبل حدوثها، فقد

تعلموها بواسطة صوت يوحنا معنا، وبواسطتنا، الأمور التي نحن نعرفها. هذا أيضا أعلنه رسول آخر، قائلاً: "لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة" (أف 3: 10). فإن كان الرؤساء والسلطين والشاروبيم والسوافيم تعلموا هذا الأمور من الكنيسة، فواضح جداً أنهم كانوا مشتاقين جداً للإصغاء إلى هذا التعليم. في هذا ننال كرامة ليست بقليلة، أن الملائكة تعلموا هذه الأمور التي لم يكونوا يعرفوها قبلاً [6].

القديس يوحنا الذهبي الفم

كاتبه

- ❖ كلمة "يوحنا" تعني: "يهوه حنان".
- ❖ هو ابن زبدي من بيت صيدا في الجليل، دعاه السيد المسيح مع أخيه الأكبر يعقوب الذي قتله هيروودس أغريباس الأول سنة 44م.
- ❖ يبدو أنه كان على جانب من الزاء، إذ كان والده يستخدم أحرى في سفنه (مر 10: 1)، وكان يوحنا معروفاً لدى رئيس الكهنة (يو 16: 18). وكانت أمه سالومي سيدة فاضلة تقيّة تتبع السيد المسيح على النوم (لو 3: 8)، اشتركت مع النساء اللواتي اشترين حنوطاً كثير الثمن لتكفين السيد المسيح، وهي على الأرجح أخت مريم أم يسوع (يو 19: 25).
- ❖ اتخذ مهنة صيد السمك حرفة، وكان هو وأخوه شريكى سمعان في الصيد (لو 10: 5)، وقد اختار السيد المسيح سمعان وأنطولوس ويوحنا ويعقوب كأول تلاميذ له. وإذ كان يوحنا وأخوه حادي الطبع دعاهما "يوانوجس"، أي "ابني الوعد" (مر 3: 17). وقد صار يوحنا رسول الحب، رقيقاً للغاية؛ جاء إنجيله ورسائله ورؤياه تنور حول "الحب". وبقي يركز بالحب حتى شيخوخته، وكما يقول القديس جيروم في تفسيره الرسالة إلى أهل غلاطية كان تلاميذه يحملونه على أروهم ويذهبون به إلى المنبر لينطق بالكلمات: "يا ولادي أحووا بعضكم بعضاً. هذه وصية الرب، إذا عملتم بها وحدها فهذا يكفيكم" [7]. "دُعِي" التلميذ الذي كان الرب يحبه" (يو 21: 20).
- ❖ يقول القديس إيرينيئوس إن يوحنا كان في الخامسة والعشرين من عمره حين دعاه السيد المسيح للعمل.
- ❖ يعتبر مع بطرس ويعقوب من التلاميذ الأخصاء الذين انفردوا مع السيد المسيح في كثير من المواقف، مثل التجلي (مت 17: 1)، وعند إقامة ابنة يابوس (مر 5: 37)، وفي بستان جثيمانى (مت 26: 37)، وعندما تنبأ عن خراب الهيكل وأورشليم (مر 13: 3). أوره السيد المسيح مع بطرس أن يعدا الفصح له ولتلاميذه (لو 22: 8).
- ❖ انفرد باتكائه على صدر السيد المسيح (لو 23: 13)، وقدرافق السيد حتى الصليب حيث تسلّم منه القديسة مريم أمًا له (يو 19: 20-27).
- ❖ بعد صعود السيد اشترك مع القديس بطرس في إقامة الأوج الذي كان عند باب الهيكل المُلقب بالجميل (أع 3: 1-6)، وفي الذهاب إلى السامرة لوضع اليد على المؤمنين ليحل الروح القدس عليهم (أع 8: 14-17).
- ❖ حسب الرسول بولس أحد أعمدة الكنيسة (أع 15: 6؛ غل 2: 9).
- ❖ كرز في آسيا الصغرى، لاسيما في أفسس، وغُذِب في أيام دومتيانوس، ونُفي إلى جزوة بطمس، حيث تمتع برؤيا يوم الرب "سفر الرؤيا"، وبقي في منفاه حتى تتيح. يقول القديس جيروم أن الرسول يوحنا انتقل في العام الـ 68 بعد صعود الرب. وبذلك يكون الرسول قد عاش عامين أم أكثر في القرن الثاني للميلاد. ومعنى هذا أنه عاش إلى ما يقرب المائة عام، حيث أن أصغر من الرب بقليل. ووى البعض أنه تتيح حوالي سنة 98م في حكم وِاجان (98-117م).
- ❖ يروي لنا يوسابيوس القيصري في كتابه "تاريخ الكنيسة" [8] قصة عن القديس يوحنا الرسول في شيخوخته تكشف عن مدى تقوده العجيب لخالص النفس البشرية وبحثه عنها؛ وقد رواها نقلا عن القديس اكليمينضس السكنوي في كتابه "من هو الغني الذي يخلص؟"

جاء عن القديس يوحنا أنه بعد عودته من جزوة بطمس إلى مدينة أفسس تجول في بعض المناطق الوثنية المجاورة، لإقامة أساقفة في بعض الأماكن وتدبير أمور الكنائس، وإذ بلغ مدينة ليست ببعيدة (غالبًا لزمير) سلم أسقفها شابًا وثنيًا قبل الإيمان وكان مملوء غوة، مؤكدًا عليه أن هذا الشاب هو وديعة بين يديه. وبالفعل اهتم به الأسقف حتى نال سر المعمودية. لكن بعض الشبان الفاسدين اجتمعوا به، وأفسسوا حياته في ترفٍ وبذخ، وإذ احتاجوا إلى مالٍ صاروا يسوقون، فكان يشترك معهم. انحدر الشاب من جريمة إلى أخرى حتى كَوَّن عصابة تحت قيادته يسلبون وينهبون ويسفكون الدماء. وإذ عاد القديس يوحنا إلى المدينة يسأل الأسقف عن الشاب أجابه: "لقد مات... مات عن الله، لأنه عاد إلى شوه، وأصبح خليعًا، وأخوًا صار لصًا، وعضًا عن الكنيسة صار يلازم الجبال مع عصابة تماثله". لم يحتمل القديس ذلك، بل طلب فرسًا امتطاه رغم شيخوخته، وانطلق إلى الموضع حيث أسره اللصوص، وأتوا به إلى رئيسهم، الذي لمارآه اعتراه الخجل وحول الهرب. صار القديس يعري وراءه صلحًا: "لماذا تهرب مني؟ أنا أبوك يا ابني، وأنا أعزل، طاعن في السن، وإن لزم الأمر فإنني مستعد أن احتمل الموت عنك، كما احتمل الرب الموت عنا. لأجلك أبذل حياتي. قف، آمن، فإن المسيح أرسلني إليك". للحال خجل الشاب ووقف مطوقًا رأسه نحو الأرض، يبسط فواعيه في رعدة، وكان يبكي بورة. فوح به القديس جدًا، ورجع به إلى الكنيسة، ولم يتوك المدينة حتى اطمأن عليه.

❖ **يروى القديس يوحنا كاسيان** القصة التالية: [بينما كان الإنجيلي المبارك ذات يوم يداعب صوًا، إذا بشاب أقبل عليه عائداً من الصيد. فتعجب الشاب وسأل الرسول كيف أن رجلاً عظيمًا مثله يقضي وقته على هذا الحال. وحينئذ سأله الرسول: "ما هذا الذي في يدك؟" فقال الشاب: "إنه قوس". قال الرسول: "ولماذا هو غير مشدود؟" فأجاب: "لأنني لو جعلته مشدودًا على النوام يفقد مرونته، وهي التي أحتاج إليها حين أطلق السهم". فقال الشيخ: "إذن لا تغضب على يا صديقي الشاب لأنني في بعض الأحيان أحل أوتار نفسي، وإلا فقدت قوتها وخانتني في اللحظة التي أحتاج أن أستعملها [9]."

❖ يحدثنا أيضًا **المؤرخ يوسابيوس** [10] عن مدى حرصه على الإيمان المستقيم من البدع نقلًا عما جاء عنه في كتابات **القديس إيرينيئوس أسقف ليون** أن الرسول دخل مرة إلى الحمام ليستحم، وإذ عرف أن المبتدع كورنثوس (نادى بأن مملكة المسيح لرضية؛ إذ كان محبًا للوائم والعلاقات الدنسة الجسدية) هناك قفز فرعًا، وخوج مسوعًا، لأنه لم يطق البقاء معه تحت سقف واحد، ونصح موافقيه أن يقتلوا به، قائلاً: [لنهرب لئلا يسقط الحمام، لأن كورنثوس عدو الحق بداخله [11].]

❖ يحدثنا أيضًا **المؤرخ يوسابيوس** [12] على لسان أبولونيوس الذي يظن أنه كان أسقفًا على أفسس أن الإنجيلي يوحنا أقام مبيتًا في أفسس بمعونة الله.

❖ **يروى لنا العلامة توتليان** [13] أن الإنجيلي يوحنا ألقى في وآن به زيت مغلي والرب نجاه.

مكان كتابته وتاريخ الكتابة

حسب شهادة **القديس إيرينيئوس أسقف ليون** (حوالي سنة 177-200م)، و هو تلميذ القديس بوليكر بوس، سلم القديس يوحنا إنجيله لأساقفة آسيا حيث كان مقيمًا معهم إلى عهد الإمبراطور تاجان، وأنه قام بنشره في أفسس [14].

وقد بقي تقليد الكنيسة في الشرق والغرب يأخذ بهذا الرأي دون اعتراض يُذكر. لكن جاء بعض النقاد المحدثين يشككون في نسبة السفر للقديس يوحنا، وبالتالي تشككوا في مكان كتابته وتاريخه.

أما من جهة **مكان الكتابة** فظن البعض أنه كُتب في **إنطاكي** أو سوريا، يعتمدون في ذلك على ما جاء في **أعمال أغناطيوس Acts of Ignatius** [15]، (وهو مُستند لا يُعرف تاريخه)، بأن يوحنا كان مرتبطًا بأنطاكيًا. يُود على ذلك بأن يوحنا كان في أنطاكيًا زمانًا ثم ذهب إلى أفسس واستقر هناك.

ينسب بعض النقاد السفر إلى الإسكندرية، حجتهم في هذا أن أقدم مخطوطة للسفر وُجدت في مصر. وأن السفر يحمل طابعًا هيلينيًا يناسب فكر

الإسكندرية المتأثرة بفيلون Philo اليهودي الرومي السكندري. يُرد على ذلك أن مناخ مصر العلمي جعلها تقتنيه في وقت مبكر وتحفظ به، ويكون له دوره في حياة كنيستها وآبائها، لكن ليس بالضرورة أن يكون قد كُتِب في مصر [16].

أما من جهة اعراض البعض على كتابته في أفسس، فقد قام الاعراض على أساسين:

ولاً: أكد كثير من النقاد المحدثين خلال النصف الأول من القرن العشرين أن أسلوب السفر غنوسي هيليني، وهو أسلوب لا يوافق القرن الأول الميلادي بل القرن الثاني. لذلك أصروا على أنه حتى وإن كانت أصوله من وضع يوحنا، فإنه قد أُعيد كتابته في القرن الثاني بيد غنوسية في أنطاكية أو الإسكندرية. وجاء اكتشاف مخطوطات البحر الميت سنة 1947 م وأيضاً المكتبة الغنوسية الكاملة التي أُكتشفت في تزيخ مقرب بنجع حمادي بصعيد مصر يؤكدان عكس ما أصرّ عليه النقاد. فتواجه الدلسون وشعروا بصدق التقليد الكنسي، وتيقن غالبيتهم أنه من وضع القرن الأول، غالباً بيد القديس يوحنا في أفسس. الأمر الذي نعود إليه عند حديثنا عن "إنجيل يوحنا والغنوسية".

ثانياً: حاول بعض النقاد التشكيك في كتابة هذا السفر بواسطة القديس يوحنا في أفسس بدعى أن القديس قد استشهد مع أخيه يعقوب على يدَي هيرودس أغريباس الأول سنة 44 م في أورشليم، مُقدمين بعض الدلائل التي يمكن الود عليها:

1 . جاء في مرقس 10:39 أن يعقوب ويوحنا يشربان الكأس التي يشربها ربنا يسوع، قائلين بأن هذا يعني أن يوحنا كان يجب أن يستشهد مع أخيه، وإلا كان القديس مرقس قد التزم بتغيير النص. ويُرد على ذلك بأن القديس مرقس مُلثَم بكتابة نص كلمات السيد المسيح تماماً، وليس من حقه تغيير النص، تركاً للقرئ التفسير. فإن الكأس التي قصدها الرب كانت نوبة عن الآلام التي احتملها التلميذان، وليس بالضرورة البلوغ حتى الاستشهاد بسفك الدم [17]. هذا ولو أن هيرودس قتل الآخرين معاً لما اكتفى لوقا (كاتب سفر الأعمال) بذكر قتل يعقوب وحده، وإنما كان قد ذكر الآخرين معاً، "فقتل يعقوب أبا يوحنا بالسيف، وإذ رأى أن ذلك يُرضي اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً" (أع 12:2، 3).

2 . اعتموا على عبارة موجزة وردت في كتابات كاتبين متأخرين هما فيلبس الصيدي Philip of Side من القرن الخامس، وجورج هموتوليس George Hamartolus من القرن التاسع، فيها نسبة لبابياس أن يوحنا ويعقوب قتلها اليهود. ويرد على ذلك بأن ما ورد في هذا الشأن لا يُمكن أخذه بجدية إذ عُرف عن الكاتبين أنهما غير مدققين كمؤرخين [18]. ويقول C. K. Barrett أن إوينيوس ويوسابيوس عرفا كتابات بابياس ولم يذكرنا شيئاً عن استشهاد يوحنا [19]. ومما يشكك في الأمر أن فيلبس لقب يوحنا باللاهوتي بينما لم يكن هذا اللقب قد عُرف به القديس يوحنا في أيام بابياس (القرن الثاني)؛ أما جورج فلم يأخذ ما كتبه عن بابياس في هذا الشأن بجدية، إذ عاد فتحدث عن القديس يوحنا أنه رقد بسلام (نون استشهاد).

3 . جاء في أعمال الشهداء السوياني (سنة 411) [20] تذكارة القديسين يوحنا ويعقوب في نفس اليوم، أي 27 ديسمبر، كرسولين في أورشليم، كما جاء في تقويم قوطاجنة (حوالي 505م) [21] تذكارة يوحنا المعمدان ويعقوب في نفس اليوم (27 ديسمبر)، فحسب بعض الدلسين أن التقويم أخطأ في تلقيبه بالمعمدان، كما جاء في عظة للأب أوهاث [22] أن الذين استشهدوا من الوسل غير اسطفانوس وبتروس ويولس هما اثنان يوحنا ويعقوب. يرد على ذلك بأنه في كل هذه حدث لبس بين القديسين يوحنا المعمدان ويوحنا الرسول. أما الدلائل الإيجابية على أن الرسول يوحنا لم يستشهد مع أخيه فهي:

1 . ذكر القديس يوحنا بين أعمدة الكنيسة في غلاطية 2:9، وكان ذلك بعد سنة 44م.

2 . جاءت اكتشافات علماء الآثار النمساويين لمقبرة القديس يوحنا بأفسس تسند الفكر الكنسي التقليدي [23].

3 . جاء عن بوليواطيس Polycrates أسقف أفسس أنه كتب إلى فيكتورينوس أسقف روما حوالي سنة 190 م، يؤكد أن الرسول يوحنا عاش في أفسس وتتيح فيها [24].

أما من جهة تزيخ كتابة السفر فبحسب الفكر الكنسي كان في وأخر حياة القديس يوحنا. هذا وواضح من السفر أنه كُتِب بعد خراب هيكل اليهود في أورشليم عام 70 م (راجع يو: 19، 20، 21:4)؛ وربما بعد طرد المؤمنين من مجامع اليهود، الأمر الذي تم حوالي سنة 85م حتى سنة 90م

غاية الكتابة

1 . يذكر لنا الإنجيلي غاية كتابته للسفر قائلاً: "تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (20:31). ويلاحظ في هذا النص الإنجيلي الآتي:

أ. جاءت كلمة "تؤمنوا" في اليونانية *pioteonte* وذلك في النسخ السينائية والفاتيكانية و *Koredethi* في صيغة الحاضر لا الماضي، لتعني أن الإنجيل كتب لتثبيت إيمان قائم فعلاً [25]. فهو لم يقدم إيماناً جديداً، إنما أراد تثبيت إيمان الكنيسة الذي تعيشه حتى لا ينحرف أحد عنه.

ب. موضوع الإيمان أن يسوع هو المسيح، وأنه ابن الله. وكما يقول *W. C. Van Unnik* [26] أن كلمة "المسيح" لا تعني لقباً مجرداً، إنما تعني بالضرورة "الواحد الممسوح"، "الملك الممسوح"، الأمر الذي كان اليهود يبركونه دون الأمم، أما كلمة "ابن الله" فيبركها بالأكثر العالم الهيليني. على أي الأحوال لرباط اللقبين معاً كان ضرورياً لتثبيت إيمان من كانوا من أصلٍ يهوديٍّ أو أمميٍّ، إذ يبرك كل مؤمن أن يسوع هذا هو موضوع كل النوات القديمة، وهو ابن الله الواحد معه في ذات الجوهر، قادر على تقديم الخلاص وتجديد الخلق.

هذا وقد لاحظ الدارسون أن كلمة "المسيا" قدمت في هذا الإنجيل وحده دون ترجمة بل كما هي، وكأن القديس يوحنا أراد أن يؤكد أن اللقب هنا إنما عني ما فهمه اليهود. لذا نجده يقدم لنا حديث فيليبس لنتنائيل: "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء" (1:45)؛ ودعوة أنطواوس لأخيه سمعان بطرس: "قد وجدنا مسيا، الذي تقسوه المسيح" (1:41). هذه هي صورة ربنا يسوع في هذا الإنجيل منذ بدايته، صورة مسيانية [27].

هذه الصورة عن يسوع بكونه المسيا الملك الذي طال انتظار اليهود لمجيئه أكدها الإنجيلي في أكثر من موضع. ففي دخول السيد أورشليم "كانوا يصوون: أوصنا، ميرك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل... هذا الأمور لم يفهمها تلاميذه ولا؛ ولكن لما تمجد يسوع حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه" (12:13-16). وأمام بيلاطس اعترف السيد بمملكته (18:33-37)؛ وقد دين كملك لليهود (19:3، 12-15، 19، 20). القديس يوحنا وحده هو الذي أخبرنا أن الجوع طلبته لتقييمه ملكاً فانسحب من وسطهم (6:15)، لأن فهمهم للملك المسياني مختلف عن قصده هو.

هذه الصورة التي قدمها الإنجيلي يوحنا عن ربنا يسوع بكونه "المسيا الملك" الذي طال انتظار اليهود لمجيئه، جعلت بعض الدارسين ينادون بأن يوحنا كوجل يهودي كان مَرَّ النفس بسبب العدوة التي أطؤها اليهود نحو يسوع. هذا ما نادى به لورد شلر نوود *Lord Charnwood* سنة 1925، غير أن بعض الدارسين مثل ف. تيلور فوى أن هذا الهدف لم يكن رئيسياً، إنما كان القديس يوحنا مَرَّ النفس من نحو كل من حمل عدوة لیسوع سواء كان يهودياً أو غير يهودي. ودارسون آخرون مثل *J. A. T. Robinson* [28] نادوا بأن الرسول قصد المسيحيين الذين من أصل هيليني ولم يوجه إنجيله لليهود.

ج. غاية هذا السفر تأكيد لاهوت السيد المسيح، بكونه ابن الله الوحيد الجنس، لكن لا لمناقشات نظرية أو مجادلات فلسفية، وإنما للتمتع بالحياة باسمه. إيماننا بلاهوته يمس حياتنا وخلصنا نفسه، لذلك جاءت أول عظة بين أيدينا بعد كتابة العهد الجديد تبدأ بالكلمات [29]: [إليق بنا أيها الاخوة أن نفكر في يسوع المسيح بكونه الله، ديان الأحياء والأموات. يلومنا ألا نقلل من شأن خلاصنا، لأننا عندما نقلل من (السيد المسيح) إنما نقبل منه القليل [30].]

كأن هذا السفر جاء يعلن بأكثر وضوح وإفاضة ما قدمه لنا الإنجيليون الآخرون، معلناً لنا الجانب اللاهوتي. وكما يقول العلامة أوريجينوس: [إن أحداً من هؤلاء لم يعلن لنا لاهوته بوضوح كما فعل يوحنا، إذ خلاله يقول: "أنا هو نور العالم"، "أنا هو الطريق والحق والحياة"، "أنا هو القيامة"، "أنا هو الباب"، "أنا هو الراعي الصالح"، وفي الرؤيا: "أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخ" [31].]

بمعنى آخر، قدم لنا هذا السفر علاقة الابن الألفية مع الآب، ومعنى هذه العلاقة الفريدة في حياة المؤمنين، وديرها في خلاصهم. أراد الإنجيلي

بالكشف عن شخصية السيد المسيح كابن الله الوحيد أن تؤمن به فنخلص، ونحيا أبدياً. وقد أبرز الإنجيلي أن معاصوي السيد المسيح أنفسهم لم يتركوا كمال حقيقته كما ينبغي ولا مَعَى كلماته وتصرفاته الفاتحة للعقل. أقربوه حسب الجسد مثل أمه وإخوته (أبناء خالته)، وأصدقائه، ومعلمو اليهود، والكهنة، وأيضاً العرأة السامرية، وبيلاطس بنطس... هؤلاء جميعاً لم يتركوا كلماته وذهلوا أمام تصرفاته [32].

❖ أتجاسر فأقول يا إختوتي أن يوحنا نفسه لم يتحدث في الأمر كما هو، إنما قدر استطاعته فقط. لأنه كان إنساناً يتحدث عن الله، حقاً موحى إليه من الله، لكنه لا زال إنساناً [33].

القديس أغسطينوس

د- حافظ الله على حياة هذا الرسول ولم يسمح باستشهاده مبكراً مع بقية التلاميذ ليقدم للكنيسة الص بية الحق في شيء من الإيضاح (إنجيل يوحنا)، ويدخل بها إلى يوم الرب لتعين السماء المفتوحة (سفر الرؤيا).

❖ ألا ترون أنه ليس بدون سبب أقول إن هذا الإنجيلي يتحدث إلينا من السماء؟ انظروا فقط في البداية عنها كيف يسحب بها النفس، ويهبها أجنحة، ويرفع معه ذهن السامعين. فيقيهما فوق كل الأشياء المحسوسة، أعلى من الأرض والسماء، ويمسك بيدها، ويقودها إلى أعلى من الملائكة أنفسهم والشاروبيم والسوافيم والعروش والسلطين والقوات، وفي كلمة يحثها على القيام وحلة تسمو فوق كل المخلوقات [34].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ 17:3 كان بولس سماءً عندما قال: "محدثنا في السماء" (في 20:3). يعقوب ويوحنا كانا سموات، ولذا دعيا ابني الوعد (مر)، وكان يوحنا كمن هو السماء وأى الكلمة عند الله [35].

القديس أمبروسيوس

عاش القديس يوحنا حتى نهاية القرن الأول، كآخر من رقد بين تلاميذ السيد المسيح ورسله. وقد عاصر الجيل الجديد من المسيحيين، فكان هو - إن صح التعبير - حلقة الوصل بين العصر الرسولي وبدء عصر ما بعد الوصل. لقد أراد أن يقدم الكلمة الرسولية النهائية عن شخص المسيا، وأن يحفظ الكنيسة من تسلل بعض الأفكار الخاطئة.

وى بعض الدارسين أن الإنجيلي قصد مواجهة بعض الحركات الغنوسية مثل الونانست (النوسيتيون) *Docetism*، إذ نادى هؤلاء باستحالة أن يأخذ الكلمة الإلهي جسداً حقيقياً، لأن المادة في نظهم شرّ. لذلك أكد الرسول في إنجيله أن يسوع وهو ابن الله بالحقيقة قد تجسد أيضاً حقيقة، ولم يكن خيلاً، إذ يقول: "الكلمة صار جسداً". ما كان يمكننا أن نتمتع بالخلاص ما لم يحمل طبيعتنا فيه، ويشركنا حياتنا الواقعية. لقد أبرز الإنجيلي السيد المسيح في عرس قانا الجليل وهو يقوم بنور خادم الجماعة. لقد حوّل الماء خوراً، وهو عمل فيه خلق، لكنه قام به خلال الخدمة المتواضعة غير منتظر أن يأخذ المتكأ الأول. وعلى بئر سوخار ظهر متعباً وعطشاً، وعند قبر لعازر تأثر جداً بعمق وبكى، وفي العلية غسل أقدام التلاميذ، وعلى الصليب عطش. غاية هذا السفر الربط بين يسوع التاريخي والمسيح الحاضر في كنيسته. محولاً الأحداث التي تمت في حياة ربنا يسوع للإعلان عن شخصه بكونه رب المجد العامل في كنيسته [36].

أهداف أخرى للسفر

وى البعض أنه قامت خمس نظريات خاصة بغاية هذا السفر، وهم:

1 . انطلاق المؤمن بالإيمان بالسيد المسيح ابن الله المتجسد إلى عيون الحياة الأبدية والتمتع بالسمويات كما أوضح الإنجيلي نفسه (يو 20: 30-31). هذا ما تحدثنا عنه قبلاً.

2 . الود على الهراطقات والبدع المعاصرة واليهود المقومين، والدفاع عن الإيمان المسيحي. وستحدث عن هذه النظرية فيما بعد.

[38]

[37]

3 . نظرية تكميل ما ورد في الأناجيل الثلاثة الإرائية الأخرى. وقد مال إليها **يوسابيوس القيصوي** و**القديس جيروم** . يصعب القول

أن هذا هو ما هدف إليه الإنجيلي. حقًا لقد أمدنا بإعلان الروح القدس بأحاديث وحوار للسيد المسيح مع بعض الشخصيات والجماعات تكشف لنا عن شخص السيد المسيح وعمله الخلاصي وإمكانياته الإلهية التي قدمها لنا وهباته الفائقة وإرساله روحه القنوس وسكنى الثالوث القنوس فينا. قدم لنا فيضًا من اللاهوت الحي العملي الرائع، ومعرفة لاهوتية كاملة.

يوجد تقليد قديم يقول إن القديس يوحنا كتب إنجيله بناء على طلب أساقفة آسيا الصغرى شركائه في الخدمة، إذ يقول **القديس أكليمنضس الإسكندري** (حوالي سنة 190 م): [إن يوحنا، آخر الكل، إذ أترك الحقائق الخرجية التي كشفتها الأناجيل (الأخرى)، حثه تلاميذه كما وُحي إليه الروح ليكتب إنجيلاً روحياً^[39].] كأن تلاميذه وشركاءه في الخدمة بأسيا سألوه أن يسجل لهم تفسيراً لاهوتياً لما سبق فكتبه الإنجيليون الآخرون تليخياً. هذا وإن كان كل إنجيلي سجل سوه بالروح القدس ليحمل فكرًا لاهوتياً متمازًا ومتكاملاً مع الأناجيل الأخرى.

4. مال **القديس أكليمنضس السكثوري** إلى ما يدعوه البعض بنظرية التعليم، حيث يقدم السيد المسيح المعلم. هذه حقيقة لكنه ليس بالمعلم الذي يقدم معلومات خرجية، إنما الذي يضم تلاميذه إليه كأعضاء جسده، يختبرون حياته كحياة لهم.

5 . نظرية مواجهة الفلسفات المعاصرة للتوفيق بين الفلسفة والإيمان المسيحي. لسنا نظن أن هذا هو الهدف من وحي الروح القدس لهذا السفر، إنما غايته تقديم الحق الإنجيلي الإلهي. لا يعني أن هذا الحق يرفض ويقاوم كل الفلسفات، إنما يغربلها ويروض ما فيها من باطل. وقد انثرت مدرسة الإسكندرية، خاصة في عصر **القديس اكليمنضس السكثوري** تكشف عن إمكانية التولج بين الإيمان الحي والفلسفة بما فيها من حقٍ وليس بما أفسده الإنسان من وهام وخيالات^[40].

الرد على الهرطقات والبدع المعاصرة واليهود المقومين

وى بعض آباء الكنيسة مثل **القديس إيرينيئوس أسقف ليون**^[41] و**القديس جيروم**^[42] و**فيكتورينوس من بيتاؤ** Victorinus of Pattau وغورهم أن غاية هذا السفر هو الرد على الهرطقات والبدع المعاصرة في أيامه واليهود المقومين للكنيسة.

يقول **فيكتورينوس من بيتاؤ** في أواخر القرن الثالث وبدء القرن الرابع: [كتب يوحنا الرسول إنجيله بعد سفر الرؤيا، وذلك بعد أن نشر كل من الهراطقة فالنتينوس وكيرنثوس وإبيون وآخرون من مدرسة الشيطان تعاليمهم في كافة أنحاء المسكونة، مما اضطر الأساقفة الذين في البلاد المجاورة أن يجتمعوا إلى القديس يوحنا واضطروه أن يكتب إنجيل شهادته^[43].]

حقًا لقد قام الرسول بالدفاع عن الإيمان المسيحي في مواجهة عدة جماعات مقاومة للكنيسة، لكن السفر في جوهه هو عطية الروح القدس الذي وُحي للإنجيلي أن يكشف عن الحق الإلهي الذي يمس خلاصنا، ولا يقف عند الجانب السلبي.

ومما لا شك فيه أن هذا السفر يبقى دومًا مصورًا حيًا تهلل منه الكنيسة في دحض البدع عبر العصور. ففي رد **القديس إيرينيئوس** على الهرطقات اقتبس أكثر من 100 شاهدًا منه. وأيضًا كل من **هيبوليتس** و**القديس أناسيوس الرسولي** و**القديس كيرلس الكبير**، كما استخدمه كثوًا **القديس اكليمنضس السكثوري**.

أولاً: الرد على اليهود المقومين

وقد ظهرت مقاومتهم لشخصه في الأناجيل الثلاثة السابقة. استخدم كلمة "اليهود" 70 مرة في هذا السفر مقابل 5 أو 6 مرات في كل سفر من الأناجيل الإرائية. يستخدمها بمعانٍ كثرة، منها:

❖ بمعنى وطني لا ديني، كما في الحوار مع المرأة الساموية (9:4).

❖ بمعنى السلطات الدينية، خاصة سلطات أورشليم المقاومة للسيد المسيح (9:22؛ 18:3؛ 8:13).

يميز الإنجيل بين كلمتي اليهود وإسرائيل ، فالأخوة إيجابية تدل على موث العهد القديم الحقيقي. فقد جاء يوحنا المعمدان يعمد بالماء حتى يظهر يسوع لإسرائيل (31:1). ووصف نثنائيل أنه إسرائيلي لا غش فيه (47:1). حينما يتحدث عن أعياد اليهود وعاداتهم (2:7؛ 6:2، 13؛ 2:7) لا نجد ما يشير إلى الزوراء.

قاوم اليهود السيد المسيح: "أنت تلميذ ذاك، أما نحن فتلاميذ موسى" (28:9)، ورأوا قتله، فحسبهم السيد "ولاد إبليس" (44-47:8)، لأنهم يريدون أن يملسوا عمل أبيهم القتال منذ البدء.

إنهم ينكرون أنه المسيا ابن الله السملوي (18:5؛ 40-49:8). دبروا المؤامرات لقتله (10:30، 39؛ 11:50، 8)، وحرموا من يعترف به أنه المسيا من المجمع (9:22؛ 12:42).

أيضاً الأبيونيون وهم جماعة من المؤمنين من أصل يهودي اعتبروا التمسك بالفروض اليهودية وطقوس الآباء ضرورة يلتزم بها المسيحيون. وفي حماسهم الزائد لموسى والأنبياء اعتبروا أن السيد المسيح مجرد ابن لداود بدون وجود له قبل التجسد، ومجرد نبي ممتاز كانوا ينتظرونه، ودعوا أنفسهم الأبيونيين من الكلمة العبرانية *ebyon* ومعناها "فقير".

في هذا السفر أوضح:

❖ ليس من وجه للمقارنة بين موسى مستلم الناموس والمسيح واهب النعمة والحق (17:1). قدم الأول المن، وأما الثاني فهو نفسه خبز الحياة (32:6).

❖ نهاية الطقوس اليهودية (2:10، 1).

❖ عدم ارتباط العبادة بالهيكل (2:10، 1).

❖ اليهود المقاومون ليسوا أبناء إواهم، بل أبناء إبليس (8:39، 44).

❖ لن يلتقي اليهود المقاومون بموسى كشركاء في المجد، بل سيدينهم (5:45).

ثانياً: المتشيعون ليوحنا المعمدان

وى البعض أن بعض تلاميذه كَوّنوا جماعة تعظم يوحنا المعمدان على حساب شخص ربنا يسوع المسيح. كانوا يحسبونه أعظم من المسيح، لأنه جاء قبله، ولأنه عمده. جاء في "التعرفات Recognitions" المنسوب لإكليمنضس أنهم يدّعون أن معلمهم هو المعمدان وليس يسوع. هؤلاء عاشوا في العالم المسيحي وعلّضوا المسيحية. وكان لهم تأثيرهم، خاصة في أفسس (أع 19:1).

وى أصحاب هذا الرأي (أن السفر قد كُتِب لمقاومة المتشيعين ليوحنا المعمدان) أن الإنجيلي قد أكد أن يسوع المسيح وليس يوحنا المعمدان هو نور العالم (8:1-9). وأنه جاء بعده، لكنه هو سابق له، وأعظم منه (1:30) مع تأكيد أن يسوع وليس يوحنا هو المسيح (1:20؛ 3:28). وأن يوحنا المعمدان جاء شاهداً ليسوع ينبغي أن الأخير يزيد والأول ينقص (3:30).

أكد القديس يوحنا بشهادة يوحنا المعمدان نفسه عن عظمة المسيح: فالمعمدان ليس بالنور بل هو شاهد للنور (1:6، 8)، وأنه ليس بالعريس بل صديقه (2:30، 28).

حقاً لقد أعلن هذا الإنجيلي مشاعر السيد المسيح العميقة أكثر من بقية الأناجيل، وظهر ذلك بقوة في صلاته الوداعية في الأصحاح السابع عشر حيث صلى بصوت عالٍ. بهذا يقدم لنا الإنجيلي صورة السيد المسيح الفائق الإواك، والتي لا يمكن التعبير عنها، إذ يدخل بنا إلى كمال أسرار اللاهوت

فنقف خاشعين، وإلى كمال ناسوته فنقف مذهولين!

لم يتجاهل القديس يوحنا الإنجيلي عظمة يوحنا المعمدان، فهو مُرسل من قبل الله (1:6)، وهو السراج المنير الساطع (5:35).

ثالثًا: الرد على بعض أصحاب البدع

جاء في كتاب "ضد الهرطقات" للقديس إيرينيؤس، وهو من رجال القرن الثاني، أن إنجيل يوحنا كُتب ضد كيرنثوس. وهو صاحب زعة غنوصية، من آسيا الصغرى. في رأي القديس إيرينيؤس أن كيرنثوس ادعى بأن يسوع هو ابن ليوسف، وأن المسيح عنصر سموي حلّ على يسوع في وقت العماد وتركه بعد موته. كما ادعى أن الخلق قد تم بواسطة قوة خلافة لا بواسطة الله.

إذ يذكر القديس إيرينيؤس أسقف ليون أبيون مع كيرنثوس، لذا ظن القديس جيروم أن إنجيل يوحنا جاء ردًا على أبيون وأتباعه، وهي شعبة مسيحية متهودة.

قبل أيضًا أنه موجه ضد الدوسيتيين Docetists الظاهرين، القائلين بالخيالية في جسد الرب. وهو يدعون أن يسوع المسيح لم يأت حقًا بالجسد. فجسده ليس جسدًا حقيقيًا بل ظاهرًا أو غزّيًا أو أثريًا. يبدو كأنه إنسان، وبهذا كان تألمه وموته ظاهريين.

رابعًا: نداء إلى المسيحيين الذين من أصل يهودي في الشتات

يشير موتين إلى الذين آمنوا بالسيد المسيح ولم تكن لهم الشجاعة أن يعلنوا إيمانهم خوفًا من الطود من مجمع السنهريين. الأولى في 42:12 إذ "آمن به كثيرون من الرؤساء أيضًا غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خلج المجمع". والثانية في 38:19 "ثم أن يوسف الذي من الرامة وهو تلميذ يسوع، ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع".

خامسًا: مساندة المسيحيين في العالم أيا كان أصلهم

جاء يسوع إلى العالم ليكون نورًا لكل إنسان (9:1)، وهو حمل الله الذي يحمل خطية العالم (29:1)، جاء ليخلص العالم (16:3). متى ارتفع على الصليب يجذب إليه كل إنسان (32:12). فهو مسيح العالم. في استهزاء قال اليهود إنه ربما يذهب إلى الشتات لكي يعلم اليونانيين (35:7)، فتنبأوا عن عمله بين الأمم وهم لا يدرون، كما نسمع عن بعض اليونانيين الذين قالوا لفيلبس: "يا سيد، نريد أن نرى يسوع" (20:12-21). وفي حديثه عن عمله كواعٍ صالحٍ يؤكد أن له خوفًا ليست من هذا القطيع يجعلها حوءً من رعية واحدة لواعٍ واحدٍ (16:10). وفي 35:4 نرى السيد المسيح قد جاء ليس لهدم الأمة اليهودية وحدها بل ليجمع أبناء الله المشتتين ويوحدهم. لقد تعرف بعض السامريين عليه، وعرفوا أنه مخلص العالم (42:4)، وقد رأى السيد حقول السامرة قد ابيضت للحصاد (35:4).

Synoptic Gospels إنجيل يوحنا والأنجيل الثلاثة الإنجيلية [44]

إن كان الإنجيل بحسب يوحنا يختلف عن الأنجيل المتشابهة أو الإرائية (متى ومرقس ولوقا) Synoptic Gospels، لكننا لا نستطيع أن نبوه عنها تمامًا، إذ يفترض معرفة الإنجيلي يوحنا للأنجيل الثلاثة السابق كتابتها أو على الأقل للتقليد الذي اعتموا عليه [45].

كان الرأي الكنسي الأول يمثله قول القديس اكليمينضس الإسكندري [46]، وهو أن القديس يوحنا أراد أن يقدم تفسيرًا روحيًا للأنجيل الثلاثة السابقة له. هذا الرأي ساد عبر العصور ولال يقبله كثير من الدارسين، وإن كان بعض النقاد المحدثين يرون أنه لا علاقة بين هذا السفر والأنجيل الثلاثة لا بالإيجابية ولا بالسلبية، ورأى بعضهم أن يوحنا عرف مرقس ولوقا دون متى.

ويلاحظ في هذا السفر أنه يفترض في القارئ معرفته للأنجيل الثلاثة الأخرى؛ نذكر على سبيل المثال في يو 40:1 يقدم لنا أنطولوس هكذا: "كان أنطولوس أخو بطوس..."، دون أن يشير قبلاً إلى القديس بطوس. وفي 67:6 يفترض في القارئ أنه يعرف الاثنى عشر تلميذًا. وفي 1:32-34 إذ يسجل لنا شهادة يوحنا المعمدان عن السيد، يفترض في القارئ معرفته عن عماد السيد بواسطة يوحنا دون الإشارة إليه.

يعتبر البعض الأنجيل الثلاثة أشبه وحلة السيد المسيح من الجليل إلى أورشليم، فتركز على صعوده الأخير إلى المدينة المقدسة حيث قدم نفسه ذبيحة الفصح الفريدة. أما إنجيل يوحنا فيتحدث عن مناسبات عديدة أقام فيها السيد المسيح في أورشليم، ويذكر عيد الفصح في ثلاث سنوات متوالية، وفي

ليلة الفصح الأخير مات المسيح "حمل الله" ليُقدم احتفالاً جديداً للعالم كله يملأه بهجة قيامته التي صار تذكرها هو "عيد الفصح المسيحي".

سجل لنا القديس يوحنا الحبيب بإعلان الروح القدس هذا السفر بعد كتابة الأناجيل الإزائية الثلاثة، سجله للكنيسة الجامعة موضعاً شخص

المخلص بكونه الكلمة الألي الإلهي، ابن الله مخلص العالم.

❖ بسبب حسن يبدأ الإنجيلي يوحنا قصته من الوجود الألي. بينما يبدأ متى بعلاقة (المسيح) بالملك هيروُدس، ولوقا بطييل يوس قيصر، ومرقس

[47]

بمعمودية يوحنا، يتوك هذا الرسول كل هذه الأمور ليعبر فوق كل زمن وكل عصر .

❖ لماذا بينما بدأ الإنجيليون الآخرون بالحديث عن التدبير... أشار يوحنا إلى ذلك باختصار مؤخراً: "الكلمة صار جسداً" [14]. ترك الحديث عن بقية

الأمور: الحبل به، وميلاده، ونشأته، ونموه، متحدتاً معنا في الحال عن ميلاده الألي؟... لكي يزع عن الذين وغبون في أن يُغموا بالأرض هذا

الأمر، ويجتذبهم نحو السماء . لهذا بسبب حسن يبدأ قصته من فوق ومن الوجود الألي. بينما دخل متى إلى الحديث ذاكراً الملك هيروُدس، ولوقا

طييل يوس قيصر، ومرقس معمودية يوحنا، ترك هذا الإنجيلي كل هذه الأمور ولتقع فوق كل زمن وكل عصر وسحب فكر سامعيه إلى "البدا" حتى

لا يسمح للفكر أن يلتصق بأية نقطة، ولا يرتبط بحدود معينة كما فعل الإنجيليون، إذ ارتبطوا بهيروُدس وطييل يوس ويوحنا. وما نشير إليه هو أن ما

يستحق العجب أن يوحنا الذي كرس نفسه لهذا التعليم العلوي لم يتجاهل تدبير (الخلاص)، كما أن الإنجيليين الآخرين لم يقفوا عند الارتباط بهذه

الحدود ولا صمتوا عن كيانه قبل العصور . فإنه بسبب صالح الروح الواحد هو الذي حرك هذه النفوس جميعاً. ولذلك اظهروا اتفاقاً عظيماً في

[48]

روايتهم .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يوحنا الإنجيلي، بين زملائه وأصحابه الإنجيليين الآخرين تقبل هذه الهبة الخاصة من الرب. إذ اتكأ على صوته في العيد، إشارة إلى شوبه أسورا

أعمق، وذلك من قلب (الرب) العميق. فصار ينطق بهذه الأمور الخاصة بابن الله، التي قد تنور في أذهان الصغار المتيقظة، ولكنها لم تقدر أن

تشبعها إذ هي عاخرة عن استيعابها. بينما بالنسبة لأذهان من هم أكثر نموًا، الذين بلغوا نوعاً من الوجولة الداخلية، فتعطيهم هذه الكلمات ما يختبرونه

[49]

ويقتاتون به .

❖ في الأناجيل الأربعة أو بالأحرى في الأربعة كتب للإنجيل الواحد ليس عن غير استحقاق يشبه القديس يوحنا الرسول بخصوص فهمه الروحي

بالنسر . لقد ارتفع بكونه أعلى وأكثر سموًا من الثلاثة الآخرين، وبلرتفاعه هذا أراد أن يرفع قلوبنا أيضاً . لأن الثلاثة إنجيليين الثلاثة سلروا مع

الرب على الأرض كما مع إنسان، أما عن لاهوته فتحدثوا القليل عنه. أما هذا الإنجيلي فإنه كمن استهان بالسير على الأرض، كما في مقدمة مقاله،

وعد علينا، وحلق بنا ليس فقط فوق الأرض بل وفوق كل محيط الهواء والسماء، بل وفوق كل جيش الملائكة وكل نظام القوات غير المنظورة، وبلغ

[50]

إلى ذلك الذي "به كان كل شيء وبغوه لم يكن شيء مما كان" .

القديس أغسطينوس

لم يشترك مع الأناجيل الثلاثة إلا في:

* عماد السيد المسيح (بالتلميح) 34-32:1

* تطهير الهيكل 16-13:2

* إشباع الجوع 13-1:6

* المشي على المياه 21-16:6

* سكب الطيب في بيت عنيا 8-1:12

* دخول المسيح أورشليم منتصراً 12:12-19؛

* إعلان الخيانة 21:13-30؛

* آلامه وقيامته، قدمت بطريقة خاصة.

هذا ولم يذكر الإنجيلي يوحنا سوى سبع آيات فقط، اختزلها من بين الآيات والعجائب التي بلا حصر . وقد جاءت هذه الآيات أو المعجزات جديدة لم يذكرها غوه من الإنجيليين، سوى إشباع الجماهير التي سجلها كمقدمة لحديثه الصريح عن الإفخارستيا، والسير على المياه. ذكر الإنجيلي يوحنا حوادث وأحاديث لم يذكرها غوه من الإنجيليين، فجاء جديداً على مسامعنا. لم يكرر ما جاء قبلاً مثل ميلاد السيد المسيح، نسبه، التجربة، الموعظة على جبل، التجلي، الأمثال، العشاء الأخير، الآلام في جثسيماني، الصعود الخ. مكتفياً أحياناً بالتلميح.

إنجيل يوحنا بين اللاهوت والتاريخ

بلا شك أن إنجيل يوحنا له طابع متميز عن بقية الأناجيل، فإن كانت الأخرى قد سجلها الوحي الإلهي بغرض تليخي مع اهتمام كل إنجيل بالكشف عن أحد جوانب السيد المسيح، فإن هذا الإنجيل يغلب عليه الطابع اللاهوتي، وإن كان في عرض تليخي أيضاً. في إنجيل موقس يذكر رحلة واحدة من الجليل إلى أورشليم (مر 10:1)، أما في يوحنا فيذكر ثلاث رحلات (يو 13:2؛ 1:5؛ 10:7). في إنجيل موقس يأتي تظهير الهيكل في أواخر السفر (مر 15:11)، أما في يوحنا فيأتي في قرب بدايته (يو 13:2 الخ). لقد ركز الإنجيلي يوحنا على شخص السيد المسيح ليعلم أنه كلمة الله الذي فوق الزمن، وخصه له موضع في تليخ البشرية. حقاً لم يُقصِد بالإنجيل أن يستعرض تليخ حياة السيد، بل أبرز حقيقته بكونه اللوغس "الكلمة الإلهي"، النور، الحق، الحياة، القيامة الخ. وكان هذا السفر أراد تأكيد أن التمتع بملكوت الله الداخلي إنما هو تعرف على شخص المسيا المخلص، وإيراك أسوره عاملة فينا. من أجل هذا خضع لؤمن، إذ صار الكلمة جسداً" (14:1).

إن كنا نحن كبشر نحمل جسداً ي خضع لؤمن، فبخضوع السيد المسيح بلادته لؤمن واقتحامه تليخنا خلال تجسده لم يحطم لؤمن بل أعطاه قدسية خاصة. ولعله لهذا السبب نجد الرسول يوحنا يهتم بالتدقيق في الحديث عن الأمانة والأوقات، إذ يقول:

"وكان نحو الساعة العاشرة" (39:1)؛

"كان نحو السادسة" (6:4؛ 14:19)؛

"في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل" (20:2)؛

"وكان شتاء" (23:10)؛

"وكان ليلاً" (30:13)؛

ولعل اهتمام الرسول بتحديد الأمانة تأكيد أن السيد المسيح قد حمل جسداً حقيقياً، ودخل في التاريخ البشري، ولم يكن جسده خيالاً كما ادعى البعض مثل اليونانست.

إذ يسبح القديس يوحنا في اللاهوتيات، بكونه اللاهوتي الأول، يشوح لنا قصد الله و"تدبوه" (باليونانية *eikos ecomomia*، أي بيت؛ و *nomos* أي قانون أو ناموس): "الحكمة بنت لها بيتاً" (أم 1:9). فالحكمة هي المسيح، وأول بيت لها هو العواء مريم التي بتجسده منها جاء المسيح إلى العالم. والعواء صورة الكنيسة التي هي أيضاً بيت الله (1 كو 3:9-17) [51].

وأيّد الاهتمام بالجانب التاريخي

إن كان بعض الدارسين المحدثين رأوا تفسير إنجيل يوحنا من الجانب اللاهوتي البحت، متجنّبين قيمته التليخية، لكنهم وجنوا أنفسهم أمام

هذه الحقيقة: أن هذا اللاهوت سُجِّلَ في قالب تاريخي [52]. لذلك نما الاتجاه نحو الاهتمام بالجانب التاريخي والاجتماعي والجوافي لهذا السفر خاصة في الأحداث التي وردت في هذا السفر وحده دون بقية الأناجيل، من ذلك دراسات كل من Albright و Higgins و Leal و Pallard و Stauffer وغوهم. هؤلاء ركزوا على الآتي [53]:

- 1 - ما جاء في الأصحاح الرابع بخصوص السامريين، وفكرهم اللاهوتي، ومملستهم للعبادة على جبل جرزيم، وموقع بئر يعقوب بدقة.
- 2 - في الأصحاح الخامس نجد معلومات دقيقة عن بركة بيت حسدا، من جهة اسمها وموقعها وأبنيتها.
- 3 - مقالات لاهوتية خاصة بعيد الفصح (إصحاح 6)، وعيد المظال (ص 7، 8)، تقدم لنا معلومات دقيقة عن الاحتفالات الخاصة بالأعياد وقرارات المجمع اليهودي في أثنائها.
- 4 - تفاصيل خاصة بأورشليم، مثل الإشارة إلى بركة سلوام (7:9)، وإلى رواق سليمان كملجأ في الشتاء (10:22-23) وإلى الممر الحجري في بلاط بيلاطس (13:19). بمعنى آخر يمكننا القول إن هذا السفر قدم لنا معرفة دقيقة خاصة بفلسطين قبل دمار أورشليم سنة 70م وتحطيم معالمها.

سماته

1- إنجيل القداسة الإلهية

يكشف لنا هذا السفر عن قداسة الله بطريقة رائعة موحية. فكلمة قداسة في اليونانية *ayios* تعني "لا أرضي". فالقداسة اسم يخص الله، ليُعلن لنا ما هو فوق إراكانا، وقد ارتبطت قداسة الله قديماً بالخوف:

"فلتعد كل الشعب الذي في المحلة... ورتجف كل الجبل جداً" (خر 12:19-25).

"أما وجهي فلا تستطيع أن تراه، لأنه لا واني إنسان ويعيش" (خر 20:23).

"ولي قد هلكت، لأنني رجل دنس الشفتين... وقد رأيت عيناى الملك رب الجنود" (إش 6:5).

يكشف إنجيل يوحنا العهد الجديد في أعماقه حين قول السموي إلى الرُضيين، وأعلن قداسته مقرونًا بالمجد لا بالعد: "حلّ بيننا ورأينا مجده" (14:1).

2- إنجيل الإيمان العامل بالمحبة Redemptive love، واهب الحياة

اتسم هذا السفر بوجود مصطلحات معينة متكررة تختلف عما وردت في الأناجيل الأخرى. ولعل من أهم الكلمات التي تكررت فيه هي: يؤمن (98 مرة)، يعرف (55 مرة)، يحيا (55 مرة)، يحب (20 مرة)، يشهد (21 مرة). تكرار هذه الكلمات لم يأت مصادفة أو بدون حكمة، فقد أراد الوحي الإلهي أن يكشف عن غاية هذا السفر، ألا وهو الإيمان القائم على المعرفة الروحية، لكي يحيا الإنسان بروح الحب.

فإن كانت كلمة "يؤمن" قد تكررت 98 مرة في السفر كله، فإنها تكررت 74 مرة في الإثني عشر إصحاح الأولى، هذه الأصحاحات التي تدعى "كتاب الآيات أو المعجزات"، شملت سبع آيات صنعها السيد المسيح. وكأن غاية هذه الآيات هي "الإيمان" بكونه سرّ حياتنا وخلصنا. ويلاحظ أن الكلمة: "يؤمن" جاءت في هذا السفر 39 مرة لتعني ليس مجرد تصديق أقوال السيد، وإنما إعطاء الإنسان ذاته لله أو تحركه عملياً نحوه كما جاء في 11:12 "لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببهم يذهبون ويؤمنون بيسوع". وربما جاءت الكلمة عن أصل عوي يعني أن الشخص يسلم نفسه بثقة للغير [54].

تكررت أيضاً كلمة "يعرف"، ليؤكد الرسول أن الإيمان وهو يحمل معنى التسليم مع الثقة في الله، هو تسليم النفس العاقلة التي تتقبل حب الله، وتتعرف على أسوره، فتأتي في أحضانه. الإيمان لا يتقبله الأغبياء، ولا يعني الجهالة، بل يسير جنباً إلى جنب مع المعرفة الحقيقية، خاصة التي يعلنها الله نفسه ليتقبلها العقل وإن كانت فائقة عن قوائمه، لكنها ليست متعلضة معه أو مناقضة له.

المعرفة هنا لا تعني مجرد الإواك الذهني النظري، إنما تعني الاتحاد الكامل في الحق والحب، أو شركة الحياة، الأمر الذي أوضحه الإنجيلي في رسالته الأولى: "الذي رأينا وسمعناه نخوكم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (1 يو 3:1).

أما غاية المعرفة فهي "الشركة مع الله" ليمرس حياته فينا، فنحمل طبيعة محبته . هذا هو الحب الخلاصي الذي يسكبه فينا لنختوره ونعيشه. جاء الإنجيل يعلن لنا: " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (16:3). هذا الحب الخلاصي قدمه الابن، إذ يقول: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجدب إلى الجميع" (32:12) . "أما يسوع... وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى" (1:13). الإيمان بالصليب يغير بصورتنا، فنتعرف على الله، بكونه محب البشر البازل، لذا يؤكد السيد: "متى رفعت ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون إنني أنا هو" (28:8) . نعرفه أنه الله الكائن، الذي يحب خليقته حتى النهاية.

هكذا يوتبط الإيمان بالمعرفة والحب ليحيا الإنسان بالإيمان الحي خلال المعرفة الروحية، مملساً طبيعة الحب.

الحب الخلاصي الذي نتنوقه فنتجلب مع الله بالحب، إنما ينبع عن طبيعة الحب الألفية التي بين الآب والابن (35:3؛ 9:15). وخلال نمرس حبنا أيضاً لبعضنا البعض (14:13).

كأن الإنجيلي يوحنا، وهو رسول الحب، يحدثنا عن:

- حب الآب للسيد المسيح.
- حب الآب للبشرية خلال بذل ابنه وحيد الجنس.
- حب السيد المسيح الخلاصي للبشر، خاصة في حديثة الوداعي.
- حبنا لله.
- حبنا لبعضنا البعض كعلامة شوكتنا في الحب الإلهي.

3- إنجيل الحق

جاءت كلمة "الحق" 25 مرة في هذا السفر. و"الحق" هنا يختلف عما يعنيه الغنوسيون أو الهيلينيون ^[55]، إذ هو ليس ثرة فكر بشوي بحت، أو فلسفة إنسانية يتعرف عليها، وإنما "الحق الإنجيلي" يعني الآتي:

ولاً: الكلمة الإلهي:

نفسه الذي يحرق النفس من ظلمة الخطية: "وتعرفون الحق، والحق يحرككم" (32:8). الكلمة الإلهي الذي فيه نتقدس، كما جاء في صلاته الوداعية: "قدسهم في حقك، كلامك هو حق" (17:17).

ثانياً: يعلن لنا إلهياً:

إذ يقول السيد المسيح: "الذي من الله يسمع كلام الله، لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله" (47:8). "وأما المغوي الروح القدس الذي سوسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم ما قلته لكم" (26:14).

ثالثاً: الحق هو حياة تعاش وتُمرس:

"وأما من يفعل الحق، فيقبل إلى النور، لكي تظهر أنها بالله معمولة" (21:3). "سالكين في الحق" (2 يو 4).

4 - إنجيل الروح

يرتفع بنا الإنجيلي إلى اللاهوتيات لنتعرف على أسورها فنعيشها ونختوها، فالحاجة هنا لا إلى مجادلات فكرية بشوية وفلسفية وإنما إلى الروح القدس الذي ينير لنا البصوة الداخلية. فإن كان الروح هو الذي يوحى للموسول بما يكتب، يطلب من قلبي هـ أن يتمتعوا بعمل الروح، فيتركوا أسوار الكتابة، ويتعرفوا خلال الأحداث على العمل الإلهي الخلاصي.

لم يترك التلاميذ بالروح كلمات السيد المسيح حتى تمجد، إذ يقول: "قال لهم انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيم هـ ... فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا، فأمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع" (22، 19:2). "وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه ولأولئك لما تمجد يسوع حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه" (16:12). "لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات" (9:20).

لقد سمعوا كلمات السيد ورأوا الأحداث، لكنهم كانوا في حاجة أن يفتح الروح بصورتهم الداخلية ليتركوا ويؤمنوا؛ لهذا أكد الإنجيلي أن الرؤية الجسدية وحدها لا تكفي، إنما يلزم الإيمان الذي يفتح البصوة للرؤية الداخلية:

"فقال لهم يسوع... إنكم قدرأيتوني ولستم تؤمنون" (36:6).

"لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من وى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيم في اليوم الأخير" (40:6).

"لأنك رأيتني يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (29:20).

"وخرج دم وماء، والذي عاين شهد، وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم" (34:19، 35).

"دخل أيضًا التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى فأمن" (8:20).

يوضح الإنجيل أنه يوجد من وى بعيني جسده، ولا وى ببصوته الداخلية: "فقال يسوع: أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون، ويعمى الذين يبصرون". إذ بالإيمان أبصر الأمم الذين لم يبصروه حسب الجسد، بينما أصيب قادة اليهود بالعمى مع أنهم أبصروه بأعينهم الجسدية.

وما نقوله عن الرؤية الجسدية والروحية هكذا أيضًا بالنسبة للسمع. إذ يوجد من يسمع الصوت بأذنيه ولا تتفتح أذناه الداخليتان، كما قيل: "فجاء صوت من السماء: مجدت وأمجد أيضًا، فالجمع الذي كان واقفًا وسمع قال: قد حدثرعد... " (29-28:12).

❖ كلمات يوحنا هي كلا شيء بالنسبة للذين لا يرغبون في التحرر من هذه الحياة البهيمية، كما أن أمور هذا العالم لا تقيده في شيء. الوعد يذهل نفوسنا، إذ يصدر صوتًا بلا معنى، أما صوت هذا الرجل فلا يربك أحدًا من المؤمنين، بل بالأحرى يهدئ من متاعبهم ولتباكمهم. إنه يذهل الشياطين فقط وعبيدهم [\[56\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

5- إنجيل الشهادة للسيد المسيح

الشهادة للسيد المسيح تمثل بلا شك عصب الحياة الرسولية، وقد جاء القديس يوحنا في إنجيله يعلن الشهادة للسيد بكونه "المسيا ابن الله"، قدمها بما يناسب العقلية اليهودية الناموسية، فقدم لنا عدة شهادات متباينة:

1 . شهادة الناموس له، موضحًا أن فيه قد تمت الكتب والنوآت، خاصة في قصة آلامه (38:12؛ 18:13؛ 25:15؛ 12:17؛ 9:18؛ 24:9؛ 24:19؛ 36). يطالبنا السيد المسيح نفسه بتفتيش الكتب (39:5).

ب. شهادة يوحنا المعمدان (7:1، 15، 19 الخ؛ 26:3 الخ؛ 53:5 الخ).

ج. شهادة العرأة السامرية (39:4).

د. شهادة الجوع له (17:12).

هـ. إذ يعلن السيد أن الإنسان لا يشهد لنفسه، أوضح أن الآب يشهد له خلال الأعمال (31:5-36، 17:8 الخ؛ 37:10؛ 10:14 الخ).

و. شهادة الروح القدس عنه (26:15 الخ).

ز . شهادة التلاميذ له (27:15).

وإنني أتوك الحديث عن الشهادة لبنة السيد المسيح للآب وتأكيد لاهوته لصلب شوح الإنجيل منعاً من التكرار وتحاشياً للإطالة، إذ يعتبر هذا الموضوع في صلب الإنجيل نفسه افتتح به الإنجيلي السفر وختمه به، موضحاً العلاقة الألفية بين الآب والابن، الأمر الذي أثار اليهود وأوراجم السيد (18:5).

ويلاحظ أن القديس يوحنا الحبيب يُسقط على الأشخاص نور السيد المسيح وينسبهم إليه، فيدعو القديسة مريم: "أم يسوع"، ويدعو نفسه: "التلميذ الذي كان يسوع يحبه". وكان القديسين يحملون أسماءً هي عيلة عن نسبهم إلى السيد المسيح.

6- إنجيل الوصية الجديدة أو إنجيل المحبة

إن كان هذا السفر لم يقدم لنا الموعدة على الجبل، ولا أمثال السيد المسيح ولا شوائع خاصة به، لكنه قدم وصية جديدة ركز عليها، هذه الوصية ليست دستور قوانين أو شوائع code of laws وإنما طريق محبة way of love ؛ ليست ثقلاً يلتزم به الإنسان، بل شوكة في طبيعة المسيح محب البشر، إذ يقول: "وصية جديدة أنا أعطيتكم أن تحبوا بعضكم بعضاً؛ كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضنا لبعض" (13:34، 35).

تكلم كثوفاً عن علاقة الرب بالكنيسة والعالم أنها علاقة محبة. فالاتحاد بالكنيسة يشبه اقتران العروسين. فلقد قال عنه المعمدان أنه عريس الكنيسة "من له العروس فهو العريس... إذا فوجي هذا قد كمل" (يو 3:25-28). كما أكد النمو بأكل جسده: "أنا هو خبز الحياة. أنا هو الخبز الحي الذي قول من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد" (6:48-51). لقد شبّه نفسه بالراعي (10:11)، وأيضاً بالواب (10:3)، والباب (1:7). ثم اعتبر نفسه الكرمة والكنيسة الأغصان (إصحاح 15).

وصف هذا الإنجيل كاتبه بأنه كان يتكئ على صدر الرب، وكان الرب يحبه. ووصف الرب يشرك الناس ظروفهم كما في العرس بقانا الجليل (يو 2)، وفي الأخوان مثلما بكى عند قبر لعازر (يو 11). وحين يضعف إيمان البعض مثلما حدث مع توما فيثبت إيمانه (20:27-28) ومع بطرس حين يسقط فيشجعه على عدم التراجع ويسنده بالحديث عن المحبة (21:15-18). ويصدر حديثه الوداعي للتلاميذ بقوله إنه "أحب خاصته الذين في العالم. أحبهم إلى المنتهى" (13:1) ولا غرو فهو الذي بذل ذاته عنا، "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد كي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (3:16).

هذا ولم يذكر إنجيل يوحنا مثلاً صريحاً سوى في حديثه عن الراعي الصالح (يو 10).

7 - مسيح الشباب المفوح

افتتح خدمته بحضور عرس في قانا الجليل، فهو صديق الشباب، ومصدر فرحهم. لم يذكر معلمنا يوحنا اسمي العروسين اللذين حضر السيد المسيح عرسهما وصنع أول معجزة (يو 2)، غالباً ما كان أحد أقرباء يسوع المسيح حسب الجسد، لذا دُعي مع أمه للحضور.

8- إنجيل أحاديث للسيد المسيح

جاءت غالبيتها خلال أسئلة أو اعتراضات وجهت إليه، خلالها كشف السيد عن حقيقة نفسه وعن أعماله، نذكر على سبيل المثال:

* نثنائيل: "من أين تعرفني؟" (48:1)

* اليهود: "آية آية توبنا حتى تفعل هذا؟" (18:2)

* نيقوديموس: "كيف يمكن أن يكون هذا؟" (9:3)

* السامرية: "كيف تطلب مني لتشرب، وأنت يهودي، وأنا امرأة سامرية؟" (9:4)

* اليهود: "كيف يقدر أن يعطينا جسده لناكل؟" (52:6)

* في عيد المظال: "كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم؟" (15:7)

* الجمع: "بك شيطان؛ من يطلب أن يقتلك؟" (20:7)

* الكتبة والفريسيون: "يا معلم، هذه المرأة أمسكت وهي ترني في ذات الفعل، وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه تُرجم، فماذا تقول أنت؟"

(5:8)

* اليهود: "إننا نرى إواهم ولم نُستعبد لأحد قط، كيف تقول أنت إنكم تصيرون أحراراً؟" (23:8)

"ألستا نقول حسناً إنك ساموي وبك شيطان؟" (48:8)

"ألعلك أعظم من أبينا إواهم الذي مات، والأنبياء ماتوا، من تجعل نفسك؟" (53:8)

"ليس لك خمسون سنة بعد، أوأيت إواهم؟" (57:8).

* التلاميذ: "يا معلم، من أخطأ هذا أم أبواه حتى وُلد أعمى؟" (1:9)

هكذا سار السفر في غايته يحمل أسئلة أو اعتراضات والرب يجيب ويعلن أسوره!

هوى السفر عدة أحاديث عامة أو موجهة لاشخاص:

1 - المعمودية والميلاد الجديد (3: 1-21).

2- الحياة الأبدية (4: 5-21).

3- مصدر الحياة الأبدية (5: 19-47).

4- خبز الحياة (6: 29-59).

5- معلم الحق (7: 14-29).

6- نور العالم (8: 12-20).

7- المسيح المصلوب غاية الإيمان (8: 21-30).

8 - المحرر الروحي (8: 31-59).

9 - الراعي الصالح (10: 1-18)،

10 - وحدة اللاهوت (10: 22-38).

11 - مخلص العالم (12: 20-36).

كما قدم أحاديث وداعية لتلاميذه:

12 - موته عن كل البشرية (12: 20-36).

13 - التقديس والتكويس (13: 31-31).

14- الاتحاد مع المسيح (15: 1-27).

15 - الروح المغوي (16: 1-33).

9 - إنجيل ليتورجي

إنجيل يوحنا أكثر الأناجيل "ليتورجية"، أي إعلان حضور السيد المسيح سوياً، فيعلن عن حضوره في عرس قانا الجليل لا كمدعو فحسب، وإنما كسرّ فوح خفي بتحويل الماء إلى خمر، ويتحدث عن حضوره السوي خلال حديثه مع نيقوديموس ليلاً عن سرّ المعمودية، كذلك في شفائه مفوج بيت

ما أن أسلم السيد المسيح الروح حتى طعنه واحد من العسكر في جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء (19:34)، دم الإفخارستيا وماء العماد. وكأنها لحظات ولادة الكنيسة، فقد وُلدت حواء الجديدة من جنب آدم الثاني. جاءت الأحداث والأحاديث المسمانية في السفر لها طابع ليتورجي سوازي كنسي، مثل حوار السيد المسيح مع نيقوديموس عن الولادة الجديدة أو المعمودية (يو 3)، كما تحدث مع الجمهور حديثاً أفخارستياً (يو 6).

10 - إنجيل القوة والحركة

يتميز إنجيل يوحنا بالحركة "الديناميكية" الجليلة، فيقدم لنا حركة الخليفة نحو الآب في المسيح. "يسوع وهو عالم... أنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي" (13:1، 3). إنها حركة فصحية حقيقية خلالها يُصعد السيد المسيح المؤمنين إلى حضن الآب بالصليب. يقول السيد المسيح: "إواهيم أبوكم ابتهج بأن وى يومي، فأى وفوح" (56:8). إن كان إنجيل مرقس يشبه بالأسد حيث يوح المؤمنين مع السمائيين بتسييح الظفر كأسودٍ غالبية، وإنجيل لوقا يشبه بوجه الثور مقدمين حياتهم ذبيحة حب لله في المسيح الذبيحة الحقيقية، وإنجيل متى بوجه إنسانٍ، فإن إنجيل يوحنا يشبه بالنسر الذي يحلق بنا في اللاهوتيات، ويرتقي بنا إلى السماء عينها لنعرف أسرار الله الفائقة، قائلين: "رأينا مجده!" (14:1).

11 - اهتمامه برقام معينة

لكمثال رقم 3، إذ نجده:

- * يحدثنا عن ذهاب السيد المسيح إلى الجليل ثلاث مرات؛
- * ويختار في الجليل ثلاث معجزات؛
- * كما ذهب إلى اليهودية ثلاث مرات؛
- * ويُجزي السيد بها ثلاث معجزات؛
- * يسجل لنا من كلمات السيد المسيح السبع على الصليب ثلاث كلمات؛
- * ويُقدم لنا ثلاثة ظهورات للسيد المسيح بعد قيامته.

واهتم أيضًا برقم 7، إذ نجده:

- * يأتي بسبعة شهود للسيد المسيح (راجع إنجيل شهادة للسيد المسيح)؛
- * ويختار في كل السفر سبع معجزات أو آيات صنعها السيد المسيح.
- * وتُرد فيه كلمة "اليوم الأخير" سبع مرات.

12 - أسلوبه إعجازي مطلق

يجد المؤمن في الإنجيل بحسب القديس يوحنا متعة خاصة، فهو نروة الوحي الإنجيلي، أسلوبه إعجازي مطلق بكونه السهل الممتع، مادته هو "المسيح" نفسه بكونه "كلمة الله" الذي يرفع النفس لتكتشف الأسرار الإلهية فيه كما بدون وسيط.

عاش القديس يوحنا هذا الإنجيل أكثر من نصف قرنٍ بعد صعود السيد المسيح يتأمله بالروح القدس الذي وعد به السيد: "لأنه ماكنث معكم ويكون فيكم... يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم" (14:17، 26)، "وشدكم إلى جميع الحق" (13:16). تحولت خوته الشخصية مع السيد المسيح أثناء وجوده على الأرض، ودالته لديه إلى انطلاقة بالروح القدس لتهيم نفسه في السموات، تنعم بالسيد المسيح محبوبها الممجد. لذا كتب بالروح

هذا السفر ليرفع كل نفس إلى ذات الخوة.

13- آخر ما كُتب من أسفار الكتاب المقدس

قلنا أن هذا الإنجيل جاء متمازاً عن الأناجيل الإزائية Synoptic Gospel ، بكونه قد كُتب في أواخر القرن الأول، غالباً آخر ما كُتب من أسفار الكتاب المقدس، فـجاء ليلكر ماورد في الأسفار الأخرى بل ليكملها، لهذا جاء يحمل السمات التالية:

❖ بينما اهتمت الأناجيل المؤتلفة بخدمة السيد المسيح في الجليل ولم تتعرض إلا لرحلة واحدة له في أورشليم في الأسوع الأخير من حياته على الأرض، اهتم هذا الإنجيل بالأكثر بـخدمة السيد المسيح في اليهودية وأورشليم والهيكل، لهذا دُعي البعض الأناجيل الأولى بالجليلية، أما إنجيل يوحنا فيُدعى "الإنجيل الأورشليمي".

❖ قدمت لنا الأناجيل الأولى معاملات السيد المسيح وأحاديثه مع عامة الشعب بلغة البساطة، أما الإنجيل الأورشليمي فإهتم بالأكثر بمعاملات السيد المسيح مع علماء اليهود وزعمائهم وأحاديثه معهم أكثر من أحاديثه مع العامة. لهذا ادعى بعض الدارسين أن مسيح الأناجيل المؤتلفة يكاد يكون غير مسيح الإنجيل الأورشليمي. لكن الحقيقة أنه السيد المسيح الذي يخاطب جماهير الشعب بلغة شعبية تعتمد على الأمثال من واقع حياتهم هو نفسه يخاطب العلماء بلغة أخرى، إذ يُعلن عن ذاته وعن الأب صراحة، حتى قال التلاميذ: "الآن نتكلم علانية ولست نقول مثلاً واحداً" (29:16).

14 - وحدة فنية وزمنية معاً

يمثل إنجيل يوحنا وحدة فنية وزمنية معاً بطريقة فريدة ورائعة. ففيه ترتبط موعظة السيد وأحاديثه بالأحداث ربطاً زمنياً ومكانياً وموضوعياً. يضم هذا الإنجيل سبع معجزات ترتبط بسبعة أحاديث تكشف عن شخص السيد المسيح وأسوره الإلهية.

15 - استخدام طريقة المقابلة

اتسم الإنجيل بحسب يوحنا باستخدامه طريقة المقابلة، نذكر على سبيل المثال:

❖ أفتتح سفر التكوين بالعبارة: "في البدء خلق الله السموات والأرض"، وأفتتح الإنجيل هكذا: "في البدء كان الكلمة... به كان كل شيء".

❖ تمت الخليفة في 6 أيام، وبدأ تجديد الخليفة في اليوم السادس من بدء شهادة يوحنا عنه (1:19-2:1) إلى دخوله العرس، وتحويل ماء حياتنا إلى خمر محبته.

❖ نجد مقابلة بين نيقوديموس رئيس اليهود المتورد (ص3) والسامرية غريبة الجنس الشاهدة له لتجذب المدينة كلها (ص4).

❖ عند حديثه عن تناول جسده المقدس نفر منه كثيرون (6:66)، يقابل هذا تعلق تلاميذه به بالأكثر، إذ يقول القديس بطرس: "يارب إلى من نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك؟ ونحن قد آمنّا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي" (6:68،69).

❖ عند تفتيح عيني المولود أعمى (ص9) اجتمع الفريسيون معاً لمقاومة السيد، معلنين أنه رجل خاطئ (9:24)، بينما وقف الأعمى يشهد له أمامهم ويحاجهم. لذا قال السيد: "الدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لا يُبصرون، ويعمى الذين يُبصرون" (9:39).

16 - تنوع في الأسلوب

من جهة الأسلوب حمل هذا السفر تنوعاً في الأسلوب، كأن يستخدم أحياناً الرمزية، وأحياناً الأسلوب القصصي، وأيضاً الحوار الجدلي، والخطابة، والأسلوب الباطني (الصوفي)، والتعليمي... بتناسقٍ وتناغمٍ مع وحدة اللغة مما يدل على أن الكاتب واحد.

من العلامات المميزة لإنجيل يوحنا لغته، فبينما يتكرر تعبير "ملكوت الله" و"ملكوت السموات" في الأناجيل الإزائية، لا نجد في هذا السفر إلا مرتين. وعلى العكس يتكرر هنا تعبير "أنا هو..." بينما لا نجد في الأناجيل الإزائية [57].

يعتبر إنجيل يوحنا أقل الأناجيل اقتباساً من عبارات العهد القديم بطريقة مباشرة، ففي النص اليوناني: "Nestle Greek Text" نجد فقط 14 عبارة مقتبسة، وفي نص "Westcott-Hort" نجد إشارة إلى 27 عبارة في إنجيل يوحنا مقتبسة عن العهد القديم، يقابلها 70 في موقس، 109 في لوقا، 421 في متى. مع هذا يرى كثير من الباحثين الارتباط الشديد بين إنجيل يوحنا والعهد القديم، إذ قدم لنا السيد المسيح بكونه المسيا، العبد المتألم، ملك إسرائيل، النبي، الأمر الذي يطابق الصورة التي قدمها لنا العهد القديم [58].

يقول Donald Guthrie [59] إن التركيز الشديد الذي وُجه نحو مدى أثر الهيلينية على إنجيل يوحنا جعل نواصة أفكار العهد القديم في هذا السفر لم تستوفِ حقها. ففي الحقيقة قدم لنا الإنجيل شخص يسوع المسيح كجزء من التاريخ اليهودي. وحينما رفضه اليهود، إنمارفضوا شخصاً ينتمي إليهم: "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله" (11:1). جاء إلى الهيكل، ومرس سلطانه الذي من حقه، إذ "صنع سوطاً من حبال وطود الجميع من الهيكل؛ الغنم والبقر..." (15:2) الخ. لقد أترك نيقديموس وهو رئيس لليهود حق السيد كمعلم (1:3، 2)، وقد حسب السيد نفسه من بين اليهود الذين لديهم سرّ الخلاص، قائلاً للساموية: "أما نحن، فنسجد لما نعلم، لأن الخلاص من اليهود" (22:4).

وي بعض الدارسين أن أسفار العهد القديم، خاصة سفوي التكوين والخروج وراء هذا السفر ، خلال العبور من الحرف إلى الروح، ومن الظل والرمز إلى الحق:

1. يفتح سفر التكوين بالحديث عن الله كخالق ، أوجد العالم كله من أجل محبته للإنسان، ويفتح إنجيل يوحنا بالحديث عن كلمة الله (الوُغوس) الذي به كان كل شيء. هو الخالق ومُجدد الخليقة، ينير كل إنسانٍ ببهائه.
2. أبرز إنجيل يوحنا الصواع بين السيد المسيح وإبليس الذي كان قتلاً للناس منذ البدء (تك 3، يو 8:44)؛ أعطانا الغلبة عليه، قائلاً: "الآن يُطرح رئيس هذا العالم خلعاً" (31:12) ، فقد جاء من هو من نسل الوأة ليسحق رأس الحية (تك 3:15).
3. في سفر الخروج كان تابوت العهد يمثل مقدساً ليسكن الله في وسطهم، وجاء إنجيل يوحنا يُعلن مجد ابن الله المتجسد الحال في وسطنا (14:1).
4. الحية النحاسية الشافية (عد 4:21-9) رمز للسيد المسيح مخلصنا (يو 3:14).
5. المن السموي (خر 16) رمز لجسده المبنيول (يو 6:25-58).
6. الصخرة واهبة الماء (خر 17:1-7) رمز للسيد المسيح القائل: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب" (37:7).
7. عمود النار الذي كان يضيء لهم (خر 13:21-22) يشير إلى القائل: "أنا هو نور العالم" (8:12؛ راجع 12:35).
8. في سفر الخروج أعلن الله ذاته لموسى قائلاً: "أنا هو" ، أو "أهيه الذي أهيه" (3:14) ، وجاء السيد المسيح في إنجيل يوحنا يؤكد "أنا هو" أكثر من مرة.

9. احتل الفصح مركز الصدارة في سفر الخروج (ص 12) ، خلاله عبر شعب إسرائيل من مصر حيث العبودية لينطلقوا نحو أرض الموعد. وقد جاء إنجيل يوحنا يكشف لنا عن العبور الحقيقي. إنه عبور من هذا العالم إلى الآب (1:13، 16:28).

ذكر الإنجيلي أعياد الفصح ال ثلاثة التي أقيمت أثناء خدمة السيد المسيح، وبدون ذكرها هنا لما استطعنا معرفة مدة إقامته على الأرض نحو ثلاث سنوات ونصف بعد الثلاثين السابقة لعماده.

- ❖ في العيد الأول (الخ 13:2) قام بتطهير الهيكل ، معلناً غيوته عليه، مؤكداً لهم أنه يُقيم الهيكل من جديد في ثلاثة أيام (خلال قيامة هيكل جسده).
- ❖ في العيد الثاني (الخ 4:6) أعلن عن تقديم جسده المبنيول مأكلاً حقاً للتمتع بالحياة الأبدية.
- ❖ في العيد الثالث (31:12) جاءت ساعته ليتمجد خلال ارتفاعه على الصليب فيهب مؤمنيه حياة أبدية.

10. أعطى مفاهيم جديدة للعهد القديم ، فإذا كان اليهود يعتزّون بأنهم أبناء إراهيم صاحب العهد، وحافظو الشريعة خاصة يوم السبت. أوضح لهم أنه هو الابن الوحيد الجنس واهب البتوة الحقيقية، وأنه هو رب السبت؛ أما هم فليسوا أبناء إراهيم بل أبناء إبليس بسبب جودهم ورغبتهم في قتله، وأنهم ليسوا حافظي السبت بل موسى نفسه يشكروهم (45:5).

11. **حث السيد المسيح اليهود على قراءة العهد القديم** ، ليُبركوا أنها تشهد له، إذ يقول: "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي تشهد لي، ولا ترون أن تأتوا إلى لتكون لكم حياة" (39:5، 40) . لقد أكد لهم أن من يُصدق موسى يُصدق هو، لأن موسى كتب عنه (46:5)، وهو بهذا يعني بوضوح الاستمرارية بين العهدين.

12. في وضوح أظهر هذا الإنجيل أن ما تحقق بالسيد المسيح من أحداث تمس خلاصنا سبق فأنبأ عنها أنبياء العهد القديم، مثل:

❖ دخول السيد المسيح أورشليم منتصواً (14:12).

❖ جُند اليهود له (38:12، 40).

❖ عدم كسر ساقَي السيد (36:19).

❖ رؤية إراهيم يومه وتهليله (56:8).

❖ رؤية إشعياء لمجده (41:12).

❖ نوة إشعياء عن يوحنا السابق (23:1).

يقول *Guthrie* : [إن استخدام ربنا للعهد القديم وتعليقات الإنجيل تفترض أن الكتاب المقدس كله يشير إلى المسيح، فهو متمم للقديم؛ الحقيقة التي نستوشد بها في تفسيرنا مفاهيم الإنجيل ^[60]].

إنجيل يوحنا والغنوسية^[61]

مجرد نظرة سريعة على إنجيل يوحنا تكشف لنا عن سمة مختلفة تماماً عن بقية الأناجيل. وإن كان قد قدم حياة السيد المسيح في فلسطين، وأوضح أن فيه قد تحققت نبوات العهد القديم، لكن إلى وقت قريب كان النزق اد المحدثون يحسبون أن شخصية السيد المسيح كما عرضها هذا الإنجيل أقرب إلى الجو الهيليني الغنوسي منه إلى مسيح الأناجيل الأخرى. وإن كانت هذه النظرة قد تغيرت تماماً لدى كثير من الدارسين كما سنرى. ظن بعض النقاد أن الغنوسية التي تشدد على المعرفة الباطنية كطريق للخلاص لها تأثيرها على كاتب السفر. غير أن الغنوسية ظهرت في القرن الثاني الميلادي، بينما سُجل السفر في نهاية القرن الأول. قد يعترض البعض بأن جنور الغنوسية بدأت في الوثنية واليهودية مبكراً جداً، وقبلها بعض المسيحيين بطريق أو آخر منذ القرن الأول.

على أي الأحوال **جاء الإنجيل يحلب الأفكار الغنوسية التي تنكر حقيقة بشرية المسيح وآلامه**. ففي يو 34:19 طعنه أحد الجنود بحربة في جنبه فخرج للحال دم وماء. آية واقعية لبشورته مثل هذه الواقعة؟ كما قال أيضاً: "الكلمة صار جسداً" (يو 1:14). وفي رسالتيه الأولى (2:4-3) والثانية (7ع) أن من لا يعترفون بيسوع الذي جاء في الجسد فهم مضلّون وليسوا من الله.

يدعي بعض الدارسين أننا لا نجد في هذا السفر مسيح الأناجيل الأخرى حيث الأمثال والتعاليم السلوكية البسيطة، إنما نجد رموزاً وتعريف معينة: مثل أنا هو الخبز، أنا هو النور، الباب، الراعي، الحق، الحياة، الطريق، الكومة، كما نجد أسماء مثل "اللوغوس"، "الحق"، "المعرفة". مع استخدام الثنائية مثل: النور والظلمة، الحق والباطل، الروح والجسد... هذا كله دفع الدارسين للقول بأن السيد المسيح في هذا الإنجيل كأنما يسير في العالم الهيليني في القرن الثاني، أو أن الكاتب يحمل فكراً غنوسياً.

حقاً إن يسوع بحسب إنجيل يوحنا يُقدّم نفسه بالعبارة الخشوعية القدسية المتكررة: "أنا هو". جاء إلى عالم ظلمة يكره النور، ودخل عالم

الباطل بكونه الحق، وعالم الكراهية والبغضة بكونه الحب؛ بحضورته مَيَّرَ البشوية إلى فويقين: فويق يقبل النور وآخر يهوب من النور، الأول يؤمن بالحق والآخر يوفضه. لكن هذا الفكر **يختلف عن الثنائية الغنوسية** ، إذ لم يُقدم يوحنا فكراً خاصاً بأصل النور وأصل الظلمة، وهذا ما كان يشغل بال الغنوسيين .

كان يمكن لهذه الرواسات أن تبقى عقبة تشكك بعض البسطاء في قانونية هذا السفر، ونسبه للقديس يوحنا الإنجيلي، لكن الله أراد أن يحول هذه الرواسات إلى تثبيت المؤمنين بالأكثر خلال اكتشافين هاميين في حوالي سنة 1947.

وَأولاً: ظهور مخطوطات البحر الميت ، والتي تُسمى مخطوطات قرآن التي قدمت للعالم مكتبة عن الجماعة الأسينية كشفت عن حقبة زمنية من حوالي سنة 140 ق.م إلى 68 م. هذه المستندات أظهرت أن الأفكار والتعبيرات التي وردت في إنجيل يوحنا هي فلسطينية ترجع إلى القرن الأول الميلادي.

ثانياً: اكتشاف **مكتبة كاملة غنوسية في منطقة نجع حمادي بصعيد مصر** ، قدم للعالم الغنوسية من مساوفا الرئيسية لأول مرة، بعد أن كنا نتعرف عليها خلال كتابات الآباء المقاومين لها، ونسمع عن أسماء كتبها دون وجود نصوصها كاملة. هذا الاكتشاف عرفنا الفرق الشاسع بين عالم الغنوسية وإنجيل يوحنا، والتمييز القاطع بينهما، إذ لم يعد هناك بعد أي شك بأن الإنجيل اعتمد على مصادر غنوسية، بل ظهر أن ما جاء في السفر من كلمات غنوسية هي يهودية فلسطينية بحتة أُستخدمت في القرن الأول.

قام بعض الدارسين مثل Braun و Barret و Quispel برواسات مقرنة بين إنجيل يوحنا والمخطوطات الغنوسية التي وُجدت في نجع حمادي مثل "إنجيل الحق" (وجع لسنة 140 م)، "إنجيل توما"، من جهة الأفكار والتعبيرات، فخرجوا بالنتائج التالية:

1. أنه **يستحيل وضع إنجيل يوحنا وسط الأعمال الغنوسية** التي وُجدت بنجع حمادي، لكن يمكن القول بأن الأعمال الغنوسية استخدمت إنجيل يوحنا في القرن الثاني وقدمت أفكاراً غير ما وردت بالإنجيل.
2. هناك تمايز قوي بين الإنجيل وهذه الأعمال **من جهة الأفكار ومن جهة التعبيرات**.
3. توجد بعض تعبوتات مشتركة بين الإنجيل وهذه الأعمال، لكن الإنجيل قدمها بمفهوم معين والأعمال الغنوسية قدمتها بمفاهيم أخرى وباستعمالات مختلفة تماماً.

هذا بالنسبة للعلاقة بين إنجيل يوحنا وبين الأعمال الغنوسية المسيحية (الهوطوقية). لكن ربما نتساءل: هل يمكن أن يكون هذا الإنجيل قد فتح الباب لـ غنوسية؟ أو أعد الطويق لها؟

- ❖ وى بعض الدارسين أن الغنوسيين يمكن أن يكونوا قد تأثروا باليهودية خلال إساءة فهم بعض نصوص العهد القديم وليس إنجيل يوحنا، فإن كان إنجيل يوحنا قد مَيَّرَ بين النور والظلمة لكنه لم يُقدم فكراً خاصاً بأصل النور وأصل الظلمة.
- ❖ ركز إنجيل يوحنا على "الإيمان" ، وحسب "المعرفة" هبة إلهية تُقدم خلال الإعلان الإلهي، الأمر الذي يتنافى مع الفكر الغنوسي.

إنجيل يوحنا والهيلينية

أتهم القديس يوحنا - أو كاتب السفر - أنه قام بتقديم مسحة هيلينية للمسيحية حتى يمكن للعقل الهيليني أن يتقبلها، مقدمين في ذلك دليلاً وهو استخدامه لتعبير "الكلمة" أو "اللوغوس" نقلاً عن الفلسفة اليونانية.

يُرد على ذلك بأن القديس يوحنا لم يستخدم هذا التعبير كما جاء في الفلسفات اليونانية أو في الغنوسية أو كما جاء عند فيلون (مفكر يهودي إسكنوي قدم الفكر اليهودي بطريقة هيلينية رمزية)، وإنما حمل مفهوماً كتابياً، على ضوء ما جاء في العهد القديم عن "الحكمة" التي خرجت إلى البشوية لتقيمهم مسكناً إلهياً، كما يقول سفر الأمثال:

"الحكمة تنادي في الخرج، في الثورع تُعطي صوتها؛"

"الحكمة بنت بيتها، نحتت أعمدتها السبعة" (1:9).

"اللوغوس" في الفكر الهيليني يمثل العقل المدبر الكامن في الكون، وهو أول الخليقة، أما القديس يوحنا فيحدثنا عن "اللوغوس" بكونه نطق الله الذاتي، فهو الابن الوحيد، من ذات الأب وفي ذاته، وليس خلجاً عنه، بل هو واحد معه في الجوهر. لا نجد في الفكر الهيليني كلمة الله متجسداً يحلّ بين البشر الذي يعلن لهم أسوره الإلهية، هذا تمايز بين "الكلمة" في الفكر الهيليني و"الكلمة" في الإنجيل.

إذا دققنا في "اللوغوس" كما أعلنه القديس يوحنا في إنجيله نجده مرادفاً للحكمة كما جاء في العهد القديم:

ا. زلي (أم 22:8؛ ابن سواخ 9:24؛ حك 5:9) [راجع يو 1:1].

ب. قائم في السموات ، يتّوّل إلى الأرض، ليسكن وسط إسوائيل (أم 31:8؛ بلروخ 37:3؛ ابن سواخ 8:14؛ يو 14:1؛ 41:3؛ 38:6؛ 28:16).

ج. فيض مجد القدير (حك 25:7) [يو 14:1؛ 15:8؛ 4:11؛ 5:17].

د. يعلم الناس الإلهيات (حك 16:9)، وما يُرضي الله (حك 4:8)، ويقودهم إلى الحياة (أم 25:8؛ ابن سواخ 12:4) [يو 19:3؛ 40:7؛ 19:14].

هـ. ينطق بصيغة المتكلم "أنا" (أم 8، ابن سيراخ 24).

ز. ينادي الإنسان ويخرج إليه (أم 1:8، حك 16:6) [يو 14:5؛ 35:9]. ويدعو تلاميذه "أبنائي" (أم 32:8؛ ابن سواخ 18:6) [يو 33:13].

إنجيل يوحنا والسيد المسيح

للأسف انهمك كثير من النقاد المحدثين في الكشف عن مدى ارتباط هذا السفر بالفكر الهيليني واللغة والثقافة الهيلينية، حتى ظن البعض أن الكاتب لا يمكن أن يكون يهودياً. غير أن دراسة هذا السفر في علاقته بالسيد المسيح تكشف عن الإنجيلي وقد انشغل بالكشف عن شخص ربنا يسوع

المسيح:

وَأولاً: بكونه ملك اليهود، الملك الروحي، المسمي الذي ترقبه الأنبياء وانشغل به العهد القديم.

"يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك إسوائيل" (49:1)؛

"مبرك الآتي باسم الرب ملك إسوائيل" (13:12)؛

"قال له: أنت ملك اليهود... أفأنت ملك؟ فأجاب يسوع: أنت تقول إنني ملك" (37-33:18)؛

"كل من يجعل نفسه ملكاً يُقاوم قيصر" (12:19)؛

"أصلب ملككم؟!" (15:19)؛

"كان مكتوباً: يسوع الناصري ملك اليهود" (19:19).

ثانياً: جاء السفر يؤكد أن يسوع هو المسمي 21 مرة، بينما في إنجيل متى 19 مرة؛ فما نطق به السيد وما فعله إنما يحقق الرجاء المسياني

لشعب الله [62]:

❖ جاء يُطهّر هيكله بأورشليم (2-13:22)؛

❖ هو ذاك "الذي كتب عنه موسى والأنبياء" (1:45؛ تث 18:18)؛

❖

الذي تحقق فيه قول إشعياء (5:35،6) حيث فتح أعين العميان (9:6)، وجعل الصم يسمعون والوج يمشون الخ.

❖ واهب الحوية (36:8؛ إش 1:61)؛

❖ النور الحقيقي الذي يُثوق على الجالسين في الظلمة (5:1، 9؛ 12:8؛ 46:12؛ إش 9:1؛ 1:60)؛

❖ ينوع الحياة الحيّة يُعطى لارتواء شعبه (37:7 الخ؛ ص4، خر 1:17-7؛ إش 1:55؛ 11:58).

❖ الملك الراعي الذي يفتقد شعبه بنفسه (ص 10؛ حز 34)؛

❖ ديّان الأحياء والأموات، وهو لقب يهودي خاص بالله (يو 11)؛

❖ السفر في مجمله يكاد يردد ما قالته المرأة السامرية: "أنا أعلم أن مسيّا الذي يُقال له المسيح يأتي... أعل هذا هو المسيح؟! (4:25، 29).

ثالثًا : اتسم هذا السفر بدعوة السيد المسيح نفسه: "أنا هو"، أو تقديم ذاته للبتولية. فإن "أنا هو" في العهد القديم تُشير إلى الله الواحد العامل المخلص (خر 14:3؛ 2:10؛ إش 8:42؛ 10:43-11؛ حز 7:6) لذا جاءت كلمات السيد المتكررة في هذا السفر "أنا هو" تُعلن شخصه الإلهي كمصدر الخلاص:

"أنا هو خبز الحياة" (35:6)؛

"أنا هو نور العالم" (8:12؛ 9:5)؛

"أنا هو الشاهد لنفسي" (8:18)؛

"أنا باب الخواف" (10:7)؛

"أنا هو الراعي الصالح" (10:11، 14)؛

"أنا الكومة الحقيقية" (15:1، 5)؛

"إني ملك" (18:37).

رابعًا : الخط الواضح في هذا الإنجيل منذ بدايته حتى نهايته هو تقديم السيد المسيح بكونه الملكوت بعينه، فلم يأتِ بذكر الملكوت إلا مرتين (3:3-5؛ 18:36) لكنه يُعلن عنه خلال تمتعنا بالمسيح نفسه ملكوتنا الأبدي.

"كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية" (6:40)؛

"ليس أحد يأتي إلى الأب إلا بي" (14:6)؛

"الذي رأي فقد رأى الأب" (14:9 الخ).

هذا الخط الواضح في كل السفر قدمته الأناجيل الأخرى كنتيجة نهائية ظهرت في أواخر أيام السيد المسيح على الأرض.

خامسًا : لم يُقدم السيد المسيح كمشوّع لوصايا أو طقوس قدر ما قدم شخصه كسرّ حياة. السيد المسيح هو "الحياة" (14:6؛ 4:1)؛ يُعلن لقطيعه سرّ محيئه: "أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل" (10:10)، "إني أنا حيّ، فأنتم ستحيون" (14:19). وقد أكد لمرثا: "أنا هو القيامة والحياة" (11:25)، جاء ليؤنسنا فيه كأغصان في الكومة، فنحمل حياته فينا (15:1-8).

يتحقق تمتعنا بالسيد المسيح "الحياة" خلال التغيير الكامل لطبيعتنا في سرّ المعمودية (3:3-8)، واتحادنا معه وثبوتنا فيه في سرّ الأفخرستيا (6:52-58)، وناولنا المغوة المستورة في سرّ التوبة (20:23). هذه جميعها تحققت بقوة الصليب واستحقاقات الدم.

سندسًا: مع كل اصحاب يقدم لنا القديس يوحنا شخص يسوع المسيح من زاوية معينة تمس خلاصنا وتشبع كل احتياجاتنا.

❖ من إنجيل يوحنا نتفهم ربنا يسوع المسيح من جهة لاهوته خالق كل الخليقة؛ ومن جهة ناسوته لأجل إصلاح الخليقة الساقطة [63].

القديس أغسطينوس

من هو يسوع؟

يو 1: الكلمة الإلهي المتجسد، واهب سلطان البنوة لله.

يو 2: ابن الإنسان صاحب السلطان الإلهي، مفوح النفوس ومجدها.

يو 3: المعلم الإلهي القدير، واهب الميلاد الجديد.

يو 4: رابح النفوس العجيب.

يو 5: الطبيب العظيم.

يو 6: خبز الحياة.

يو 7: ماء الحياة.

يو 8: نور العالم.

يو 9: واهب الاستنارة.

يو 10: الراعي الصالح.

يو 11: واهب الحياة والقيامة.

يو 12: ملك إسرائيل.

يو 13: غاسل الأرجل.

يو 14: المغيي السموي.

يو 15: الكرمة الحقيقية.

يو 16: مُرسل الروح القدس.

يو 17: رئيس الكهنة العظيم.

يو 18: المسيا المتألم.

يو 19: الملك المرفوض.

يو 20: غالب الموت.

يو 21 : مقيم النفوس الساقطة ورافعها إلى السماء.

❖ لا تظن (في فهمك لأسوار التالوث) أنك تفعل شيئاً فوق طاقة الإنسان. فإن الإنجيلي يوحنا نفسه فعل ذلك.

لقد خلق فيما وراء الجسد، وراء الأرض التي وطأ عليها، وراء البحار التي تطلع إليها، وراء الهواء الذي تطير فيه الطيور، وراء الشمس

[64]

والقمر والكواكب، وراء كل الأرواح غير المنظورة، وراء ذهنه، وذلك بذات نفسه العاقلة، بسموه فوق كل هذه سكب نفسه عاليًا أينما وجد .

القديس أغسطينوس

إنجيل يوحنا والآب

إن كان السيد المسيح هو مركز هذا السفر، فقد أكد الإنجيلي أنه هو كلمة الله الأولي. جاء إلينا يُعلن لنا عن ذاته ليُمرس العمل المسياني

لحسابنا، مقدمًا لنا الخلاص (47:20)، واهبًا إيانا الحياة (10:10)، بكونه من فوق وفوق الكل (3:3). لكن الإنجيلي أكد دور الآب حتى لا نسقط فيما

سقط فيه الغنوسي و ن، فالابن الواحد مع أبيه بكونه كلمته وابنه في نفس الوقت قد أرسله الآب (5:36؛ 6:57؛ 11:42؛ 20:21). جاء يُعلن كلماته

(3:3؛ 29:6؛ 3:17)، ويمرّس أعماله (10:36). من واه وى الآب، ومن يؤمن به ينظر الآب (5:23؛ الخ؛ 12:44؛ الخ، 14:9).

إن كان هذا السفر هو إنجيل المسيا كلمة الله المخلص، فهو واحد مع أبيه يتم رادة الآب التي هي واحدة مع رادته. هذا ما سنلاحظه بأكثر توسع خلال فراستنا للسفر.

❖ يوحنا مثل نسر يخلق عاليًا ويبلغ إلى الآب نفسه ويقول: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" [1] ... شرح الكاتب البتول أسوأ لم يستطع المتزوجون أن يقوموا بها [65].

القديس جيروم

إنجيل يوحنا والروح القدس

يسمى البعض هذا السفر: "إنجيل الروح القدس"، فقد جاء الحديث عن الروح القدس خلال السفر واضحًا وقوة.

في حوار السيد المسيح مع نيقوديموس تحدث السيد عن نور الروح القدس في الولادة الجديدة (ص 3). لقد أوضح الرب الفرق بين الولادة الطبيعية (الجسدية) والولادة الروحية، وكان يصعب حتى على هذا المعلم اليهودي نيقوديموس أن يتفهم عمل الروح القدس، فقدم له السيد مثالاً ملموساً مشبهًا الروح بالريح التي "تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من ولد من الروح" (3:8). حديث السيد هنا عن الميلاد بالروح القدس يعتبر أحد معالم إنجيل يوحنا الرئيسية. وقد جاء منسجماً مع السفر ككل، فإننا لن نترك لاهوت السيد المسيح بدون الروح القدس، ولا أن نمرس العبادة لله بالروح والحق (4:24) من عنديتنا، وإنما بروح الرب الساكن فينا. لقد رأى السيد المسيح الجماهير تملس العيد بطوقسه دون الشبع الروحي الداخلي، لذا وقف في اليوم الأخير من العيد يعد بتقديم روحه القنوس كمياه حية تنفجر في داخل المؤمنين (7:37-39).

وفي حديثه الوداعي (ص 14-17) لم يجد السيد المسيح ما يقدمه لتغوية تلاميذه قبيل تسليمه سوى الوعد بالروح القدس، بكونه الباراقليط المغوي الذي سلمه السيد المسيح لكنيسته، ليعمل فيها ويُشكّلها على النوم، فتصير على مثال عريستها:

❖ Advocate بكونه المحامي [الترجمة الحرفية للكلمة اليونانية: باراقليط]، هو روح الحق الذي يشهد للسيد المسيح، لا بالكلام النظري، وإنما بكونه يُشكّل طبيعتنا على صورة السيد المسيح ومثاله.

❖ هو المتحدث في غياب رب المجد يسوع جسدياً (بصعوده إلى السماء)؛ يعلم التلاميذ ويقودهم ويوحدهم إلى كل الحق ويشهد خلاصهم (14:26؛ 13:16 الخ).

❖ هو المغوي (6:16 الخ). وسط حملنا صليب رب المجد يسوع.

إنجيل يوحنا والكنيسة

وى كثير من الدارسين أن الأناجيل المقدسة السابقة قُدمت للعالم، سواء اليهودي أو الروماني أو اليوناني، ليتعرف على السيد المسيح بكونه الملك الروحي والخادم الحقيقي والصديق الوحيد لكل البشر، فيتقبل الكل الإيمان به، وينعمون بعمله الخلاصي، فيرتفعون من العبودية إلى البوة لله. أما إنجيل يوحنا فكتب في النهاية للكنيسة، لذا دُعي "إنجيل الكنيسة"، يقدم لنا "مسيح الكنيسة"، بالرغم من عدم استخدامه لتعبير "الكنيسة". كأن الفكرة اللاهوتية الرئيسية هنا هي الربط بين السيد المسيح التاريخي كما ظهر في حياته على الأرض، وبين مسيح الكنيسة الحال فيها ليعمل فيها. بمعنى آخر، إن كان السيد المسيح "كلمة الله المتجسد" هو مركز الإنجيل، فإن كنيسة بولتها وعبادتها خاصة الأسوار الكنسية تحنل مركزاً رئيسياً فيه، إذ يحدثنا عن:

1. رساليتها (يو 4:31؛ الخ؛ 12:20 الخ).

2. عبادتها "بالروح والحق"، حيث أتوع المجد عن هيكل أورشليم ليُعلن خلال كنيسة المسيح المصلوب القائم من الأموات (1:14، 51؛ 13:2 الخ؛ 4:19 الخ).

3. من جهة أسوار الكنيسة، نجد القديس يوحنا يعطي أهمية خاصة بالحديث عن الأسوار الكنسية مثل المعمودية والأفخرستيا والكهنوت:

• قدم المعمودية يوحنا كشهادة للمسيح (8:1) وطريق تمهيدي لمعمودية المسيح بالروح القدس (1:15، 25:23).

• في عرس قانا الجليل (1:2-12)، كان تحويل ماء التطهير اليهودي إلى خمر علامة مسيانية أن ساعته قد جاءت (2:4)، وربما يشير إلى الإفخرستيا.

• تحدث مع نيقوديموس صراحة عن سرّ المعمودية (3:1-7).

• قدم لنا الإنجيلي في صراحة حديثه عن الإفخرستيا (6:22-59). وفي إشباع الجماهير (6:1-13) زى السيد المسيح مشبع مؤمنيه خلال سرّ الإفخرستيا في كنيسته.

• ربما أعلن عن سرّ العماد خلال شفاء مفلوج بيت حسدا (5:1-14) حيث تُشفى الطبيعة البشوية، وخلال تفتيح عيني المولود أعمى (9:1-7) بغسله في بركة سلوام التي تعني المُرسَل.

• نزول الدم والماء من جنب السيد المسيح المصلوب (19:34) يشير إلى وحدة السرّين، أي المعمودية والأفخرستيا، وتكاملهما.

• تحدث عن سرّ الكهنوت (20:22-23).

4. في الأناجيل السابقة تُقسّم البشوية إلى صالحين وأشرار، أما هنا فيكتب عن "مسيح الكنيسة"، ممزّجاً بين مؤمنين وغير مؤمنين. بالإيمان لا تُدان (3:18)، بل ننال الحياة الأبدية (3:36)، وننتقل من الموت إلى الحياة، لكنه ليس الإيمان النظري المجرد (13:34، 35)، بل الإيمان الحي المرتبط بالحب وحفظ وصايا الرب (21:14-24).

5. الوعد بالروح القدس في حديث السيد المسيح الوداعي، بكونه مغزي الكنيسة وشفيعها والقائد لها (ص14-17).

6. قدم المسيح نفسه تكوّرًا "أنا هو"، بكونه موضوع حياة ومجد ورجاء في الحياة العتيدة، كما في حياة كنيسته الحاضرة.

إنجيل يوحنا وجامعية الكنيسة

إذ كُتبت هذا السفر للكنيسة في العالم كله، حمل فكر "الكنيسة الجامعة"، ولم يحدّها بجماعة اليهود. يظهر هذا الفكر واضحًا خلال السفر كله، إذ نجد على سبيل المثال:

1. يقدم المسيح بكونه:

"حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (1:29).

"كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" (9:1).

"وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه" (1:12).

"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (3:16).

"وأنا إن ارتفعت عن الأرض أُجذب إليّ الجميع" (12:32).

"أن يسوع مزع أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (11:51، 52).

"لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني: أن كل من وى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (6:40).

"لي خراف أخر ليست من هذه الحظوة"، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً، فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد" (10:16).

"لست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، ليكون الجميع واحداً" (17:20، 21).

"طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (19:20).

2. ظهرت جامعة الكنيسة من رفض اليهودية ، وطن المسيح، لمخلصها، ورغبتها في قتله (3:4، 44، 7:1-8؛ 7:11-16). لقد صلت

أورشليم عاصمة إصرائيل ومدينة المسيا (12:12-19)، مدينة عدم سلام (19:1 الخ، 23:5). الرب يرفض هيكلها (8:59)، وينطلق من أسورها إلى الجلجثة (17:19).

3. عوض "هيكل أورشليم" بيت أبيه (16:2) المجيد (14:12)، والذي يأتي منه الخلاص (22:4)، يعلن مجد هيكل جسده (23:2 الخ) المقدم سرّ قيامة لكل البشرية.

4. تحول المدينة الهوطوقية "السامرة" إلى موضع للعبادة بالروح والحق (4:23 الخ).

5. الحقول المبيضة للحصاد تشير إلى الحصاد المقبل، رمز العالم غير اليهودي.

6. إذ يكتب الإنجيلي لكل حتى غير اليهود يقدم تفسيراً للكلمات: Rabbi 38:1، مسيا (41:1)، قيافا (42:1). كما يوضح طوق اليهود في

التطهير (6:2)، وفي الدفن (9:40)، وعلاقتهم بالسامريين (9:4)، والفصح كعيدٍ يهودي (6:4). نجده أيضاً يق دم شوحاً جوافياً لبيت حسدا (5:2)

وبلاط بيلاطس بنطس الذي يدعى بالعوانية جباثا (13:19)... هذا كله يكشف أنه يكتب للناطقين باليونانية في أفسس سواء كانوا من أصل يهودي أو أممي، مؤمناً بالكنيسة الجامعة التي لا تحد بالشعب اليهودي.

إنجيل يوحنا والحياة الإنقضائية (الأخروية)

بينما توجه الأنجيل ال زائية إلى ملكوت الله الذي يتحقق بالأكثر في الأيام الأخوة حيث مجيء المسيح الثاني القريب، إذا بالإنجيلي يوحنا يؤكد أن المؤمن يدخل إلى الحياة الأبدية خلال حياته اليومية.

لم يصف لنا هذا الإنجيل انقضاء الدهر ونهاية العالم، أو مجيء السيد المسيح الأخير للدينونة، لكنه كشف عن الحياة الإنقضائية خلال العمل

الخلاصي الذي نتمتع به بالصليب، فننتوق الحياة الأبدية خلال عروبنا هنا، ونختبر أمجادها كحياة تملس هنا:

• إعلانه عن مجد المسيح (1:14؛ 2:11؛ 4:11؛ 4:40)، إنما يدخل بالكنيسة إلى تنوق عربون الحياة الأبدية التي فيها زى السيد في كمال مجده ونتعرف على أسوره.

• الخلاص في حقيقته هو ارتفاع فوق الزمن، وغلبة على الموت، خلال الإيمان العامل، إذ يقول: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (24:5).

• تتحقق الحياة الإنقضائية بالنسبة لنا خلال ما نلمسه من الآتي:

أ - أن رئيس هذا العالم قد دين (3:18، 19).

ب- أن رئيس هذا العالم يطرح خرجاً (12:31؛ 16:33).

• يعلن الإنجيلي أن ملء الزمان قد جاء والتاريخ قد تم خلال موت السيد المسيح على الصليب.

من يتنوق "إنجيل يوحنا" يجد نفسه قد ارتفع إلى الحياة الإنقضائية فعلاً - خلال عروبنا - فيشاهد في أعماقه المسيح الممجد، ويختبر الغلبة

الحقيقية على الموت كما على محبة هذا العالم، وعلى عدو الخير إبليس الذي تسلط على العالم زماناً، والآن قيّد وطرح خرجاً، ليس له موضع في داخلنا. صليب ربنا يسوع المسيح دخل بنا إلى هذه الخوة السماوية الحية.

❖ ألا ترون أنه ليس بدون سبب يتحدث هذا الإنجيلي إلينا من السماء؟ انظروا كيف أنه منذ البداية يسحب نفوسنا ويهبها أجنحة ويصعد بأذهان سامعيه

معه. إذ يصعد بها إلى ما هو أعلى من كل المحسوسات، أعلى من الأرض والسماء، ويمسك بيدها ويقودها فوق الملائكة أنفسهم، فوق الشاروبيم والسوافيم، فوق العروش والرؤساء والسلاطين؛ وفي اختصار يقودها إلى رحلة تعبر فوق كل المخلوقات [66].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ظن [67] C.H. Dodd أن يوحنا أراد تصحيح مفهوم النظرة الكنسية الاسخاتولوجية (الإنقضائية)، فقدم "إسخاتولوجي محقق realized eschatology"، بمعنى أن الاسخاتولوجي هو حقيقة حاضرة أكثر منه مجرد جاء مستقبلي. لكن الدارسين رفضوا هذا كغاية رئيسية للإنجيل، خاصة وأن السفر مع تقديمه للحياة الأخروية كحياة تُختبر في الحاضر خلال عربونها لم يتجاهل الحياة الأبدية الأخروية المستقبلية (25:5-29)، إنما يسير الاتجاهان جنباً إلى جنب [68].

إنجيل يوحنا والآيات

نجد في الأناجيل السابقة أيضاً من الآيات التي صنعها السيد المسيح، خلالها يعلن حنانه الإلهي ومحبتة الفانقة للبشر، والرسول هنا بالرغم من معرفته لآيات كثوة صنعها رب المجد لكنه انتقى منها سبع آيات (والبعض يعتبرها ثمان آيات) ليعرضها في إنجيله، فنقبل الإيمان بالسيد المسيح. إذ يقول: "وآيات أخر كثوة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب، وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياه باسمه" (30:20، 31). "وأشياء أخر كثوة صنعها يسوع إن كُتبت واحدة واحدة، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة" (25:21). واضح إذن أن السيد قدم آيات ليدخل بنا إلى الإيمان، فننعم بالحياة الأبدية، الأمر الذي لمسّه نيقوديموس، فقال: "ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه" (2:3). كما أكد السيد المسيح نفسه: "لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب" (48:4). فقد أشهد هذه الآيات ضد الجاحدين، قائلاً: "لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غوي لم تكن لهم خطية" (24:15). لقد أورك رؤساء الكهنة والفريسيون نور هذه الآيات في حياة الناس، إذ قالوا: "ماذا نصنع، فإن هذه الإنسان يعمل آيات كثوة، إن توكناه هكذا يؤمن الجميع به؟!" (47:11، 48).

المعزة	المعنى
1 - تحويل الماء خوراً 1:2-11.	تجديد الطبيعة البشرية واتسامها بالفوح الأبدي.
2- شفاء ابن الغني 4:47-54.	الإيمان شوط الحياة الأبدية.
3 - شفاء مفوح بيت حسدا 5:1-9.	قوة الحياة الجديدة.
4 - إشباع الجوع 6:14-1 (مت 13:14-12؛ مر 6:32-44؛ لو 9:10-17).	المسيح الخبز الحي.
5 - المشي على المياه 6:15-21 (مت 14:22-36، مر 6:45-56).	المسيح قائداً في الطريق الملوكي.
6 - شفاء المولود أعمى 9:1-41.	المسيح نور الحياة.
7 - إقامة لعازر 11:44.	المسيح قيامتنا غالب الموت.
8 - صيد السمك 21:1-14.	الشركة الكاملة في الحياة الجديدة.

قانونية السفر

قبلت الكنيسة الجامعة هذا الإنجيل سؤاً قانونياً منذ البداية ولم يلحق ذلك أدنى شك. فقد جاءت الشهادات الكنسية، حتى من الهواطقة والوثنيين تنسب السفر للقديس يوحنا الرسول، منذ بدء القرن الثاني، أي بعد كتابته بفترة وجيزة، ولم يشذ عن ذلك سوى جماعة الألوغين "Algi" كما أشار القديس أبيقانيوس [69] ، الذين رفضوا السفر لتعرضه مع عقيدتهم في اللوغوس Logos . ولا يُعرف إن كان الألوغيون هؤلاء هم جماعة أم مجرد شخص، لكن على أي الأحوال لم يكن لهم صوت مسوع في العالم أو في الكنيسة.

ولاً: شهادة الكنيسة الجامعة والهواطقة

جاء إنجيل يوحنا ضمن المخطوطات اليونانية القديمة الخاصة بالعهد الجديد كالنسختين السينائية والفاثيكانية، المنسوختين عن أقدم منهما. كما جاءت المخطوطات الخاصة بالترجمة للعهد الجديد والتي توجع أحياناً للقرن الثاني أو الثالث مثل السويانية واللاتينية تضم هذا السفر. أما عن شهادة آباء الكنيسة الأولى ، فلا نجد بينهم صوتاً يتشكك في قانونيته أو نسبته لغير القديس يوحنا، نذكر على سبيل المثال:

- ❖ القديس إيرينيئوس أسقف ليون في القرن الثاني، بنى دفاعه ضد الغنوسيين على إنجيل يوحنا، وشهد أن الأناجيل القانونية أربعة، كما شهد أن القديس يوحنا قام بنثوره في أفسس [70].
- ❖ اقتطف بعض الآباء عبارات مباشرة من هذا السفر، أو استخدموها دون ذكر النص، كما جاء في رسالة يوناياس ، كتاب الزاعي لهوماس ، وفي بابياس ، واكليمنضس الروماني ، والقديس يوستين الشهيد، وثاوفيلس الأنطاكي، والقديس أغناطيوس الأنطاكي، والقديس بوليكربس، والعلامة توتليان، والعلامة أوريجينوس، والقديس اكليمنضس الإسكندري.
- ❖ Muratorian Canon جاءت شهادة وثيقة موراتوري في القرن الثاني (حوالي 170 - 200 م) عن كاتب السفر أنه القديس يوحنا، لها قوتها.
- ❖ اقتبس تاتيان تلميذ القديس يوستين الكثير من هذا السفر، وبدأ عمله "الدياتسرون Diatessaron" بافتتاحية إنجيل يوحنا.
- ❖ اقتبس منه الكثير من الهواطقة مثل هراكليون ومعلمه فالنتينوس وباسيليديس (سنة 125 م)، وأيضاً الكتابات الغنوسية مثل إنجيل الحق.

ثانياً: شهادة الوثنيين

استمد الفيلسوف الوثني صللس، عدو المسيحية، في كتابه ضدها حوالي سنة 178 م المادة التي هاجم بها من الأناجيل الأربعة، ويذكر تفاصيل لم ترد إلا في إنجيل يوحنا.

اعتراضات على نسبته للقديس يوحنا

ناقش كثير من النقاد والدارسين موضوع نسبة هذا السفر للقديس يوحنا بن زبدي، وقدموا نظريات كثرة ومعقدة، إذ حاول البعض نسبة هذا السفر للكنيسة الرسولية ككل وليس لشخص معين ، وافترض البعض أن السفر بصورته هذه من وضع كاتب في القرن الثاني كما لاحظنا في تعليقنا على مدى ارتباط السفر بالغنوسية، وحاول البعض تأكيد أن الكاتب ليس يهودياً. وقد قدم لنا E. Haenchen ملخصاً للمشاكل النقدية الخاصة بهذا الأمر منذ عام 1929 حتى الخمسينات [71].

فيما يلي موجز للرد على المعارضين على نسبة هذا السفر للقديس يوحنا:

تلميحات في السفر عن شخصية كاتبه

إن كان الإنجيلي لم يذكر اسمه في السفر، لكنه قدم تلميحات عن شخصيته منها يمكن التعرف عليه، ألا وهي:

أ- انه شاهد عيان

في مقدمة السفر يقول الإنجيلي: "أينا مجده" (14:1) . حاول البعض تفسير صيغة الجمع "أينا" بمعنى أنه يقصد المسيحيين جميعاً، وليس

الكاتب، فتكون الرؤيا هنا بالمعنى الروحي لا المادي ، بهذا يكون كاتب السفر هو "الكنيسة الرسولية" وليس شاهد عيان [72] . هذا الفكر لم يقبله كثير من الدارسين، خاصة وأن الفعل اليوناني يعني الرؤيا الجسدية لا الروحية، حتى وإن فسرت بالرؤيا الروحية [73] . في أكثر من موضع يؤكد أنه شاهد عيان يكتب ما هو حق:

"الذي عاين شهد وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم" (19: 35).

"هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق" (24: 21).

واضح أن كاتب السفر "تلميذ"، "شاهد عيان"، هذا ينطبق على القديس يوحنا، الذي حمل ذات اللهجة في مقدمة رسالته الأولى: "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أظهرت، وقدرنا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية..." (1 يو 1).

ب. التلميذ المحبوب

من الشهادات الداخلية في السفر أن الكاتب هو القديس يوحنا تلميذ نفسه في تواضع، بعدم ذكر اسمه: "التلميذ الذي كان يسوع يحبه" (20: 21، 26: 19). حول البعض النقاد المحدثين التشكيك في هذا الأمر، وقد اختلفوا في تحديد شخصية هذا التلميذ، إذ قيل:

1. الشاب الغنى ، الذي قيل عنه إن يسوع نظر إليه وأحبه (مر 21: 10). وإذ ليس لدينا أية أدلة إنجيلية أو تقليدية أنه عاد وآمن بعد تركه للسيد المسيح، يُحسب هذا الرأي بلا قيمة.

2. نثنائيل: يُرد على ذلك أننا لا نعرف عنه إلا القليل، هذا ومن جانب آخر حين تحدث عنه الإنجيلي نكوه بالاسم (2: 21) في نفس الأصحاح الذي قيل فيه: "التلميذ الذي كان يسوع يحبه" (20: 21). فما قيل أخيراً قصد به تمييزه عن نثنائيل.

3. لعازر [74] ، إذ أرسلت أخته إلى رب المجد تولا: "يا سيد هوذا الذي تحبه مريض" (3: 11). يرد على ذلك بأن لعازر لم يكن مع السيد المسيح في العلية ليتكى على صوره، إذ قيل: "ونظر التلميذ الذي كان يسوع يحبه يتبعه، وهو أيضاً الذي اتكأ على صوره وقت العشاء" (20: 21). واضح من الأناجيل الثلاثة الأخرى أن السيد انفرد بوسالة وقت العشاء. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الإنجيلي قد كرر اسمه في الأصحاحين 11، 12، فلماذا يعود ويخفي اسمه؟!

4. رأى البعض أن هذا اللقب لا يعني شخصاً معيناً بل يحمل رمزاً ، وبهذا يكون الكاتب للسفر هو الكنيسة كجماعة وليس فرداً. هذا الفكر غير مُشبع ويصعب قبوله، وإذ يجعل من هذا التلميذ ليس شخصية تزيخية شاهدة عيان، الأمر الذي يتناقى مع ما قدمه السفر عنه [75].

هذا عن الاعراض أما الدلائل الإيجابية على أن التلميذ الذي كان يسوع يحبه هو القديس يوحنا فهي:

1 . جاءت كتابات آباء الكنيسة منذ القرن الثاني تتحدث عن التلميذ الذي كان يسوع يحبه أنه يوحنا بن زبدي، كأمر لا يحتاج إلى تساؤل، وأنه هو واضع السفر، وقد لاحظ [76] M.F. Wiles أن العلامة أوريجينوس والقديس يوحنا الذهبي الفم وجدوا في هذا الوصف: "التلميذ الذي كان يسوع يحبه" مفتاحاً للكشف عن غاية السفر.

2 . أنه أحد تلاميذ السيد المسيح كما يشهد السفر نفسه ملقباً إياه "التلميذ" (20: 21) ، خاصة وأنه اتكأ على صدر السيد المسيح وقت العشاء (20: 21).

3 . وي بعض الدارسين أنه أحد ثلاثة من التلاميذ الذين كانوا من خاصة السيد، رافقه نون البقية في مواقف كثيرة [77] ، ولما كان يعقوب قد استشهد في سنة 44م، يبقى بطرس ويوحنا، وإذ قيل عنه أنه كان في رفقة بطرس (20: 2 الخ) . إذن لن يكون إلا يوحنا.

4 . ذكر القديس يوحنا بالاسم في الأناجيل الأخرى: موتين في متى، 9 في مرقس، 6 في لوقا، ولم يذكر بالاسم قط في هذا السفر. واضح إذن

أنه شخص يوحنا، وقد امتنع عن ذكر اسمه من قبيل التواضع.

5 . كان هذا التلميذ ملاصقاً للقديس بطرس كما جاء في (21:7؛ 20:2). العرة الوحيدة التي ظهر فيها في هذا السفر دون بطرس الرسول هي عندما تسلم من السيد المسيح المصلوب والدته أمًا له (19:26)، فمن هو هذا التلميذ الموافق للقديس بطرس؟ بلا شك هو يوحنا بن زبدي، إذ وُجد معه ومع يعقوب نون سائر التلاميذ في مواضع كثيرة كما سبق فأينا (راجع مر 5:37؛ 9:2؛ 14:33). اختلها السيد المسيح ليعدا له الفصح (لو 22:8). و كانا ملازمين بعضهما البعض حتى بعد قيامة السيد المسيح (أع 1:3؛ 4:13). أُشير إليهما في أع 8:14 كمنديين مُوسلين من أورشليم إلى السامرة. إذ أشار الرسول بولس إلى أعمدة الكنيسة ذكر يعقوب وصفا (بطرس) ويوحنا (غلا 2:9). هذه دلائل على أن التلميذ الذي كان يسوع يحبه، وكان موافقاً للقديس بطرس هو القديس يوحنا.

6 . لاحظ بعض الدارسين أن هذا السفر حين تحدث عن القديس يوحنا المعمدان، اكتفى بذكر اسمه "يوحنا" دون ذكر أي لقب آخر له، وهذا يسند بقوة الفكر الكنسي بأن الكاتب هو القديس يوحنا بن زبدي، الذي أصرّ ألا يذكر اسمه في السفر فلم يجد حاجة ليميز بين نفسه وبين يوحنا المعمدان بلقبٍ معين.

ج- الخلفية الفلسطينية

يتساءل البعض، إن كان الكاتب يوحنا بن زبدي، فهل يحمل السفر دلائل على أن الكاتب يهودي عاش في فلسطين، وكان شاهد عيان للسيد المسيح، أم أنه أحد رجال القرن الثاني من أنطاكية أو الإسكندرية؟ جاءت إجابة الدارسين أن السفر يحمل دلائل كثيرة وشهادات على أن كاتبه عاش في فلسطين في القرن الأول، وأنه يهودي، منها:

1 . معرفته للعادات والتقاليد اليهودية

كثراً ما يقدم لنا تفاصيل دقيقة عن الحياة اليهودية وتقاليدها في فترة ما قبل خراب أورشليم، مثل:

- طقوس التطهير [6:2].
- طقوس عيد المظال [7:37؛ 8:12] (الإثارة).
- التطهير في عيد الفصح [18:28؛ 19:31-42].
- تعاليم اليهود الخاصة بهم، كالشريعة الخاصة بالسبت [5:10؛ 7:21-9:14، الخ].
- معرفته انتظار اليهود لنبي يروح إيليا (1:19-28)، وإراكم أن المسيح يبقى إلى الأبد (12:34).

2 . معرفته للتاريخ اليهودي

يعرف بوجه الدقة السنوات التي تم فيها بناء الهيكل (2:20)، والعدوة التي كانت قائمة بين اليهود والسامريين (4:9)، وأن رئيس الكهنة عن نفس السنة التي صُلب فيها السيد (18:13، 11:49 الخ) هو قيافا وحماه هو حنّان.

3 . معرفته لجغرافية فلسطين

ل كاتب معرفة دقيقة بفلسطين، فيعرف الاسم العواني لبركة بجوار باب الضأن، ويعرف أن لها خمسة أروقة. يعرف وجود قويتين باسم "بيت عينا" (12:1؛ 28:1)، و"عين نون" بقرب سالم (3:23)، وأن بحر الجليل هو بحوة طرية (4:21)، ومدينة أوام بالقوب من النوية (11:54).

4 . حمل طابع اللغة العبرية

و إن كان قد كتب إنجيله باليونانية لكنه حمل طابع اللغة العبرية. إذ لا يقدر الكاتب أن يتخلص من لغته الأصلية. يظهر ذلك في الألفاظ التي استخدمها والعبارات نفسها، واهتمامه بالأرقام.

5 . ذكوه تفاصيل لم ترد في الأناجيل الثلاثة الأخرى:

لا يذكرها إلا من كان شاهد عيان وتعرف على الأشخاص بأسمائهم، مثل:

- الحديث التفصيلي مع نيقوديموس (ص3).
- الحديث مع مريم وموثا (ص11).
- حديثه عن ملخس (10:18).
- الحديث مع حنّان وقيافا (32-19:18).
- الحديث مع النسوة عند القبر (17-15:20).
- الحديث مع القديسة مريم عند تسليمها له عند الصليب (26:19،27).
- الحديث مع بطرس ويوحنا نفسه بعد القيامة (23-5:21).

أيضًا سجل تفاصيل دقيقة للأحداث لا يكتبها إلا من كان شاهد عيان، كذكر عدد الأجران أنها ستة (6:2)، وانطلاق التلاميذ بعيدًا عن البر نحو ما نثي فراع (21: 8)، وكان عدد السمك مئة وثلاثًا وخمسين (11:21). وأيضًا ذكوه أن الخبز كان من الشعير (9:6)، وأن الواحة ملأت البيت (3:12)، وتأثر الجند عند القبض على السيد (6:18)، ووزن الحنوط التي استخدمت في التكفين (39:19). وصفه بدقة انفعالات التلاميذ (2:11 الخ؛ 4:27؛ 6:19؛ 12:16؛ 13:22 الخ) وتأثر السيد المسيح (1:13، 6:15، 24، 2:11) ... هذه وغورها من تفاصيل كثوة تؤكد أنه كان شاهد عيان لما كتبه في السفر.

الإنجيل بحسب يوحنا وصيد السمك

يعترض بعض الدارسين على نسبة هذا السفر للقديس يوحنا بالقول: هل من المعقول أن يكتب صياد سمك مثل هذا الإنجيل، وهو من رفع ما كتب الفلاسفة الصوفيون، بإعجاز من "السهل الممتنع" الذي لا مثيل له؟! [78]

يُرد على ذلك:

أولاً: إن كان الرسول أمياً، فإننا نؤمن بأن الكتاب المقدس كله موحى به من الروح القدس (2 بط 1:21)، الذي وإن كان لا يفقد العنصر الإنساني لكنه يقده ويرفعه ويهبه إمكانيات فائقة، ويحيط به كي لا يخطئ.

ثانياً: أن القديس يوحنا الرسول كان بالحق أهلاً لكتابة هذا "الإنجيل الروحي" الفائق، من جهة:

1- لم يكن أمياً كما ظن كثيرون، إذ لم يكن مجرد صياد سمك، لكنه كان تاجر سمك و لدى والده أجراء يعملون لحسابه. كإنسان غني، في ذلك الحين، فالاحتمال الأكبر أنه كان محباً للعلم والمعرفة، وكعادة اليهود يملسون حرفة معينة كصيد السمك، إذ كان لكل يهودي حرفته، كما كان شاوول الطوسوسي يملس حرفة صنع الخيام (أع 3:18).

2- نحن نعلم أن كلمة الله مقدمة للبشوية كلها للمبتدئين كما للكاملين، كما يظهر من كلمات الرسول بولس: "نتكلم بحكمة بين الكاملين" (1 كو 6:2)، وأما الطعام القوي للبالغين" (عب 5: 14). إن كان الإنجيليون الثلاثة القديسون متى وموقس ولوقا قدّموا كلمة الله للبسطاء، يمكننا القول بأن الإنجيلي يوحنا أحد الثلاثة المقربين للسيد الذين اختلهم ليصحوه في الأحداث الجسام التي تكشف عن سر شخصيته وسرّ رسالته، التلميذ الذي كان يسوع يحبه"، الذي تمتع بالاتكاء على صدر الرب (20:21) أن يختص بالكتابة للكاملين. كأن الأناجيل الثلاثة الأولى تمثل الدعوة الأولى لقبول الإيمان بالسيد المسيح بكونه المسيا المخلص، خادم البشرية، وصديقها الإلهي، أما هذا الإنجيل فيمثل التعليم التكميلي للبالغين في الإيمان. إنه "الإنجيل الروحي" م قدم للمؤمنين الذين تأصلوا في المسيحية، يرتفع بهم لينعموا بالأسوار الإلهية الفائقة.

ثالثًا: رأينا مدى ارتباط هذا السفر بالعهد القديم، فقد أبرز أ نه حمل الله الحقيقي، لا الفصح الربوي، فيه تحققت النوات. كما أبرز حوار السيد المسيح مع اليهود ليعلن عن نفسه انه أعظم من إواهم وموسى... هذا يناسب يوحنا كوجل يهودي دخل إلى الأسوار الإلهية، مشتاقًا أن يتمتع كل يهودي كما كل أممي بمن هو "موضوع النوات".

رابعًا: رأينا أيضًا أن هذا السفر لا يحمل غنوسية هيلينية كما ادعى كثير من الدارسين قبل اكتشاف المكتبة الغنوسية بنجع حمادي، إنما في أسلوبه يتشابه مع كتابات الجماعة الأسينية Essene أورهبان أهل قران اليهود كما كشفت ذلك مخطوطاتهم التي ظهرت إلى النور حوالي عام 1947. هذا يناسب شخصية القديس يوحنا الرسول الذي تتلمذ على يدي القديس يوحنا المعمدان ساكن الربة، وقد عرف الكثير عنهم بحكم الحوار. كان الأسينيون يتطلعون إلى الدين بنظرة روحية صوفية (باطنية mystical) رمزية أكثر منها حسية، تنور حياتهم حول الصواع بين النور والظلمة، وبين الحق والباطل... وكأن القديس يوحنا جاء يعلن لهم أنه قد وجد من يحقق لهم شهوة قلبهم، لا من يدخل بهم إلى معرفة النور والحق، وإنما يقدم نفسه لهم بكونه "النور الحقيقي"، و"الحق"، خلاله نستتير وننعم بالحق!

أقسامه

اتفق الدارسون على أن هذا السفر يمتاز بتقسيمه الدقيق الهادف، وإن كانوا قد اختلفوا فيما بينهم بخصوص التقسيم، نذكر على سبيل المثال التقسيم الذي رآه D. Mollat ، وهو أن السفر بعد المقدمة ينقسم إلى تسعة أقسام حسب الليتورجيات الخاصة بالأعياد اليهودية الرئيسية:

أ- مقدمة السفر ص 1:1-18.

ب- الأقسام التسعة

1- الأسوع الأول من الخدمة المسيانية ص 1:19 - ص 2:11.

2- الفصح الأول ص 2:12 - ص 4.

3- السبت ص 5.

4- الفصح الثاني ص 6.

5- عيد المظال ص 7 - ص 10:21.

6- عيد التجديد ص 10:22 - ص 11:54.

7- الفصح الثالث ص 11:55 - ص 19:42.

8- القيامة ص 20.

9- ظهورات المسيح المقام ص 21.

غير أن التقسيم السائد بالأكثر هو الذي رآه R.E. Brown ، C.H. Dodd ، A. Feuillet ، وهو عبارة عن قسمين رئيسيين مع مقدمة وخاتمة:

أ- المقدمة ص 1:1-18.

ب- كتاب الآيات ص 1:19 - ص 12.

ج- كتاب الآلام ص 13 - ص 20.

د- الخاتمة ص 21.

وي Feuillet أن السفر في مجمله يحمل أمرين، هما إعلان السيد المسيح، واحتماله الآلام حتى الموت من أجل هذا الإعلان، بهذا يمكن تقسيم

السفر هكذا:

الكتاب الأول: كتاب الآيات

- 1- إقامة عهد جديد بالمعمودية وإرسال الروح القدس ص 1:19 - ص 4:42.
- 2- إعلانه عن نفسه أنه مع الآب مصدر الحياة ص 4:43 - ص 5:47.
- وأنه خبز الحياة ص 6.
- وأنه نور العالم ص 7 - 12.

الكتاب الثاني: كتاب الآلام

- 1- إعلانه عن نفسه لتلاميذه بالحب والتغوية والاتحاد ص 13 - ص 17.
- 2- الآلام طريق تأسيس الكنيسة ص 18 - ص 19.
- 3- القيامة ولربطها بحلول الروح القدس ص 20، 21.

يمكننا تقديم التقسيم التالي لتسهيل القراءة:

- 1- أولاً: مقدمة: الكلمة المتجسد ص 1:1 - 18.
- 2- ثانياً: آياته وأعماله تعلن عن لاهوته ص 1:19 - ص 12.
- 3- ثالثاً: إعلانه عن ذاته لخاصته ص 13 - ص 17.
- 4- رابعاً: ابن الله الذبيح ص 18 - ص 19.
- 5- خامساً: قيامته تشهد للاهوته ص 20.
- 6- سادساً: خاتمة ص 21.

- الباب الأول: الكلمة المتجسد ص 1.
- الباب الثاني: آياته وأعماله تعلن عن لاهوته ص 2 - ص 12.
- الباب الثالث: إعلانه عن ذاته لخاصته ص 13 - ص 17.
- الباب الرابع: ابن الله الذبيح ص 18 - ص 19.
- الباب الخامس: قيامته تشهد للاهوته ص 20.
- الباب السادس: خاتمة ص 21.

من وحي إنجيل يوحنا

هب لي أن أخلق مع نسورك في سمائك!

❖ اسمح لي مع حبيبك يوحنا أن أتكى على صدرك،
ورأفكك حتى الصليب.

وأنتسّم منك أمك أما لي.

نعم، هب لي جناحيّ الروح فأصير معه كالنسر،
أطير في سمانك، فأتمتع بشركة أمجادك.
أعيش مع ملائكتك،

فأتعرف على أسورك الإلهية خزاناً سماوياً مشبعاً لأعمالي!

❖ هب لي أن أنطلق بفكري إلى الألفية،
هذه التي لن يبركها كائن سموي أو أرضي.
أقف لأتمتع بسرّ ولادتك الألفية،
تشوق عليّ يا كلمة الله مع أبيك وروحك القنوس،
فتمتلئ نفسي من بهاء الثالوث.
أطأ ظلمة العالم حتى قدمي،
وأخلق في هذا البهاء العجيب!

❖ تجسدت من أجلي يا من وهبتي الحياة،
وأوتيت عليّ فلا أعود بعد أحسب من هذا العالم،
بل أتمتع بالبنوة الإلهية بنعمتك،
أصير ابناً لله، فلا يجد العالم له موضعاً في داخلي!

❖ ليحملني روحك القنوس إلى أسوار إنجيلك.

رأك ملكاً معلقاً على الصليب!
لست أطلبك لتملك كما طلبتك بقية الجماهير،
وإنما تُقيم عرش ملكك في أعمالي فأعترّ به.
لن أدخل بعد في مجادلات فلسفية،
فقد عرفتك أنت المسيح الملك واهب الملوكية.
رأك ملك الملوك تهب الحياة الملوكية.

❖ أنت حمل الله حامل خطايا العالم!
لرتفعت على الصليب، فصالحتنا مع أبيك.
اجتذبتنا إليك، لنحمل برك عوض خطايانا.
بسطت يديك، لتضم اليهود والسامريين والأمم معاً فيك.

بصليتك سكبت الحب فينا، يا أيها الحب الحقيقي،
صونا أيقونة لك لن نقدر أن نفرق الحب ولا هو يفرقنا.
لنا شركة طبيعتك، فحوى الحب في عروقنا.
لن تستطيع الكراهية أو الحقد أو الحسد أن يتسلل إلينا.

❖ هب لي مع عروسيّ قانا الجليل أن أشرب خمر حبك.
هب لي مع نيقوديموس أن اكتشف سرّ الميلاد الجديد.
هب لي مع السامرية أن أشرب من ينابيع روحك القديس.
هب لي مع المولود أعمى البصوة فأراك داخلي.
هب لي مع مريض حسدا أن أثبّ متهللاً،
أذهب إلى بيتي الحقيقي، أحضانك الإلهية.

❖ لأسمعك وأنت تكشف لي عن ذاتك.
لكلمتيك "أنا هو" عنوبة خاصة، فأنت يهوه الكائن في!
حسب وعودك اسمعني صوتك، قائلاً:
أنا هو الخبز السموي، من يأكلني يتمتع بالوليمة الأبدية.
أنا هو الحياة، بدوني لا وجود لك.
أنا هو نور العالم، أشرق عليك فتختبر نور الأبدية.
أنا هو الحق، أدخل بك إلى الأسوار الإلهية.
أنا هو القيامة، لن يقدر الموت أن يسبيك بعد!
أنا هو الباب، أدخل بك في لتبلغ إلى أحضاني.
أنا هو الراعي الصالح، أحملك على منكبي بكل ضعفاتك!
أنا هو الكومة الحقيقية، لتثبت فيّ وأثبت فيك!

❖ اسمح لي أن رافقك في العلية، كما في بستان جنثيماني،
وانطلق معك حيث تُحاکم وتُصلب،
واجلس عند القبر أتوقّب قيامتك.
لتُظهر ذاتك لي، وتُشوق بقيامتك في داخلي!
نعم أبقى كل أيام غربتي أتأمل كل لحظة من لحظات عملك العجيب.
تبقى هذه الأحداث موضوع تسيحي مع كل صفوف السمايين.
لك المجد يا أيها الحب الحق، والحق واهب الحب والحرية!

الكلمة المتجسد واهب النعمة

والشهود له

❖ الكلمة المتجسد واهب النعمة ع 1-18.

❖ شهود للكلمة المتجسد ع 19-51.

❖ ملحق للإصحاح الأول عن النعمة الإلهية.



الكلمة المتجسد

في دهشة تقف النفس لتشهد في سكون عميق الإنجيلي القديس يوحنا الحبيب وقد صار أشبه بنسرٍ طائرٍ، يخلق لا في جو السماء المنظورة، بل في جو الإلهيات التي لا يُنطق بها. إنه كمن يدعونا أن نعبر معه إلى ما وراء الزمن لنرى كلمة الله الذي لا يفرق العقل الإلهي، والعقل الذي لن ينفصل

عن كلمته؛ الابن الوحيد الجنس الواحد مع أبيه في ذات الجوهر . إنه يدعونا لوزى ونلمس واهب الحياة ومصدر النور، خالق الزمن، وموجد كل خليفة في السماء وعلى الأرض وكأنه لا يشغله أمر ما سوى الإنسان محبوبه الوحيد!

بإعلان الروح القدس لا يسجل لنا الإنجيلي كتابًا مجردًا، بل يحملنا إلى حقائق إلهية تمس كياننا ومستقبلنا الأبدي ومجدنا، نغرف من فيض الحب الإلهي الذي لا يُعبر عنه بلسان بشوي.

الشهادة للسيد المسيح

في هذا الأصحاح يتحدث القديس يوحنا عن لاهوت السيد المسيح فيقدم لنا شهادته هو [1-5؛ 10-14؛ 16-18]، وشهادة القديس يوحنا المعمدان [6-9؛ 15؛ 19-37]، وإعلان السيد المسيح نفسه لأنثواوس [38-42]، ولفيلبس [43-51]، وشهادتهما له.

1 . شخص يسوع المسيح بكونه اللوغوس الألي الواحد في الجوهر مع الآب والأقنوم المتمايز عنه [1-2] . هو واهب الحياة والنور، وفيه ننال سلطان التبني للآب [3-13].

2 . يفتتح معلمنا يوحنا البشير السفر بتقديم الكلمة الإلهي كمصدر النعم الإلهية، خاصة نعمة الخلق ونعمة ال بنوة لله مع فيضٍ من النعم نعمة فوق نعمة" [16-18]، يتحدث عنها بفيض في الأصحاحات التالية.

3 . شهادة القديس يوحنا المعمدان أمام إسرائيل الرسمي : "كهنة ولأويين" الذين جاؤا يقدمون له ثلاثة أسئلة، وكانت إجابته عليهم مختصرة للغاية. شهادة تمثل مجابهة علنية بينه وبينهم. إجابته تتلخص في أنه ليس له اسم، إنما هو مجرد "صوت صلخ" أمام المسيح [19-28].

4 . شهادة القديس يوحنا المعمدان أمام تلاميذه [29-37] حيث يبادر بالكلام ويسهب فيه. لأنه يتحدث مع البقية التي تنبأ عنها إشعياء النبي: "توجع البقية، بقية يعقوب إلى الله القدير" (إش 10: 21). يتحدث القديس يوحنا المعمدان مع إسوائيل الجديد الذين يؤمنون بالسيد المسيح، ليدخل بهم إلى العهد الجديد. يؤكد لهم أن المسيح يأتي لا في صورة ملوكية مجيدة كما يظن اليهود بل كمتألم ومخنول، مجده الحب وحمل خطايا العالم [36].

5 . تبعية تلاميذ القديس يوحنا المعمدان للسيد المسيح ، حيث يتم لقاء حقيقي شخصي وعميق يؤول إلى تغيير كامل للحياة كما للكيان والاسم. فوى السيد المسيح يدخل إلى صميم نفس سمعان، ويحتل أعماقها، ليحوه إلى بطوس الرسول؛ فيغير اسمه ورسالته وحياته وكيانه كله [42].

6 . دعوة السيد المسيح لبقية تلاميذه في الجليل منذ البداية. يعلن الإنجيلي عن رؤية السر الأخرى المخفي، حيث يؤكد انفتاح السماء وصعود الملائكة ونزولهم على شخص السيد المسيح [50-51].

تقسيم الأصحاح:

1. الكلمة الإلهي 13-1
2. الكلمة صار جسداً 18-14
3. شهادة يوحنا المعمدان له 34-19
4. شهادة تلاميذه الأولين له 53-35

1. الكلمة الإلهي

يبدأ الإنجيل بحسب القديس يوحنا بافتتاحية أو مقدمة تختلف عن افتتاحية بقية الأناجيل الإزائية. افتتاحية موقس الرسول تقدم وصفاً للقديس يوحنا المعمدان وعمله كملاك يهئ الطريق أمام السيد المسيح الذي طالما اشتهى الآباء والأنبياء أن يروا يوم مجيئه. وافتتاحية متى البشير تقدم تسلسل يسوع المسيح عن إواهم، وقصة ميلاده بكونه الملك الوحيد الذي جاء ليقم مملكة داود الساقطة، ويجعل من مؤمنيه شعباً ملوكياً. ويفتتح لوقا الرسول إنجيله بمقدمة أدبية رسمية (1:1-4)، يتبعها عرض لميلاد المعمدان ثم ميلاد يسوع المسيح الذي يشبع بحبه البازل وصادقته الفريدة كل قلب، ويملا كل

فاغ في الداخل. أما يوحنا ف يبدأ بالكشف عن شخص ربنا يسوع قبل التجسد بكونه الكلمة الأُلي، لكي نتخطى كل زمن وننتقل إلى حضن الآب الأُلي، فتتعرّف على خطة الله من نحننا ومشيئته لخلّصنا ومجدنا الأبدى. يعرفنا على ذلك الذي نشاركه مجده ونعيش معه إلى الأبد. أبرزت المقدمة [1-18] ما ورد في السفر ككل أن الله يعلن عن نفسه خلال كلماته [1-13] كما خلال أعماله [2-5]، وأخوًا خلال التجسد الإلهي لمجد الآب [14-81].

كُتبت الافتتاحية في أغلبها كقطعة شعرية متمزة من جهة الأسلوب والمفردات عن بقية السفر مما جعل بعض الدارسين يتساءلون إن كانت هذه الافتتاحية هي لحن كنسي اقتبسه الرسول، أو إضافة قدّمها الرسول بعد أن كتب بقية السفر كملخص يكشف عن هدف السفر ويفسر معناه. أو هي مقدمة كتبها ليعلن عن موضوع كتابته مقدمًا. لكن الحقيقة هي أن غاية الافتتاحية أن تقدم للقارئ شخص يسوع المسيح موضوع السفر، بكونه الكلمة الأُلي، العامل مع الآب في الخليقة. بكونه الله نفسه يعلن عن الآب، ويقدمه لنا كما يقدم نفسه لنا. إنه حكمة الله المتحدث معنا، والذي يقدم ذاته كلمة الله لكي نقتنيه سرّ حياة أبدية. إنه حياة الكل، ونور كل إنسان. هذا الأُلي صار جسدًا وعاش كإنسان، رفضه خاصته اليهود بالرغم من شهادة القديس يوحنا المعمدان له. لكن وُجدت بقية أمينة قبلته فصاروا أبناء الله وأعضاء في العائلة الإلهية.

في كل صباح نتغنى بهذه المقدمة وما يليها (يو 1:1-17)، لكي ما نترك أن بدايتنا اليومية الجديدة مصورها الالتقاء بذلك الذي وحده برفعنا إلى ما فوق الزمن ليدخل بنا إلى حضن أبيه، نون أن يحتقر الزمن أو يستخف به، بل يقده كطريق للعبور إلى ما وراء الزمن. في صلاة باكر نتذكر أن مسيحننا المخلص هو الألفا والأومجا، البداية والنهاية، فنتمتع ببداية مقدسة ونهاية مجيدة.

يقول القديس أغسطينوس [79] أن صديقه سمبليسيوس Simplicius أخوه بأن فيلسوفًا أفلاطونيًا قال بأن هذه العبارات التي جاءت في بداية إنجيل يوحنا تستحق أن تُكتب بحروفٍ من ذهبٍ.

وذكر متى هوي عن فرنسيس جوني Francis Junius الذي فقد كل القيم الدينية في شبابه، وقد استعادها بنعمة الله خلال وقائه لهذه الأعداد عن غير قصدٍ منه، قدمها له والده. شعر بقوتها وسلطانها عليه ففضى يومه كله لا يُترك أين هو ولا ما كان يفعله، وكان جسمه موتعًا. وكان ذلك اليوم هو بداية حياته الروحية.

تقدم لنا العبارات (1-13) ثمان حقائق عظيمة عن شخص ربنا يسوع المسيح، وهي:

- أ - كان ولا زال الأُلي: "في البدء كان الكلمة" [1].
- ب - كان ولا زال الأَقنوم المتميز عن أبيه: "وكان عند الله" [1].
- ج - كان الكلمة ولا زال هو الله [2].
- د - هو شريك مع الآب في الأُلية [2].
- هـ - هو خالق المسكونة [3].
- و - هو مصدر كل حياة ونور [4، 5، 9].
- ز - الإله الذي يعلن عن ذاته للعالم الساقط [10].
- خ - دخل إلى عالم الإنسان، وخاصته لم تقبله [11]، أما الذين قبلوه فنالوا ميلادًا جديدًا [12-13].

اللوغوس

جاء في النسخة الكلدانية Chaldee في إعادة صياغة العهد القديم دعوة المسميًا بكلمة Memra أي "كلمة يهوه"، وأن الكثير من الأمور الواردة في العهد القديم التي تحققت بالرب، إنما تمت بكلمة الرب. وأيضًا تعلم اليهود بوجه عام أن "كلمة الله" كانت مع الله.

تُستخدم كلمة "لوغوس" بمعنيين:

❖ **الكلمة التي يُحبل بها Logos endiathetas** ، أي الفكر الذي تحبل به النفس، خلاله تتحقق كل الأعمال، وهي واحدة مع النفس. لذلك لاق بالأفنوم الثاني أن يُحسب كلمة الله، مولودًا من الآب بكونه الحكمة الأساسي الألي؛ **ليس شيء أكثر يقينًا من أننا نفكر، وليس شيء أكثر غموضًا من معرفة كيف نفكر.**

❖ **الكلمة المنطوق بها Logos prophorika** ، التي هي الكلام، وهو الإشارة الطبيعية لما في الذهن. هكذا المسيح هو الكلمة التي تحدث به الآب في آخر الأيام (عب 1:2)، ويوجهنا لكي نسمع له (مت 17:5). خورنا عن ذهن الآب كما يخورنا الكلام عما في فكر الإنسان. إنه الكلمة الذي يحدثنا بما للآب، إذ هو الحق والأمين، والشاهد الصادق للذهن الإلهي. هنا يختلف عن يوحنا المعمدان الذي هو "صوت صلخ" وليس الكلمة الإلهي. يقرن **القديس أغسطينوس** بين الخبز الذي يشبع البطن والكلمة التي تشبع الذهن. فإنه إن قدم خبزًا للشعب لا يستطيع أن يقدم ذات الخوزة لكل الحاضرين، أما الكلمة فيقدمها لكل، وتستقبلها أذهان جميع الشعب بالكامل. **حقًا عجيبة هي كلمة الإنسان يقدمها ليسمعها الكل بلا نقص، فكم تكون كلمة الله الخالق؟**

❖ إن كنت أود أن أطعمكم فلا أملاً أذهانكم بل بطونكم، وأقدم لكم خبزًا لأشبعها بها، أما تقسمون الخبز فيما بينكم؟ هل يمكن لخوزي أن يأتي إلى كل واحدٍ منكم؟ فإن ناله أحد لا ينال البقية شيئًا. لكن الآن انظروا، فإني أتحدث وأنتم جميعًا تستقبلون الكلمة. لا، ليس فقط جميعكم تستقبلونها، وإنما أيضًا الكل يستقبلون الكلمة بالكامل. **يا لعجب كلمتي! فماذا عن كلمة الله؟!** استمعوا أيضًا، إنني أتحدث ما أنطق به فيأتي إليكم الكلام ولا يفارقني. يبلغ إليكم ولا يفصل عني. قبل أن أتكم كنت أملك الكلمة ولم تكن لديكم. لقد تكلمت وبدأتم تتالونها دون أن أفقد شيئًا منها. **يا لعجب كلمتي! فماذا تكون إذن كلمة الله؟!** [80]

القديس أغسطينوس

❖ يا لكم من أغبياء، تتحدثون كمن لا يميزون بين الكلمة المنطوق بها والكلمة الإلهي، الثابت سومديًا، مولود من الآب؛ أقول أنه مولود وليس فقط منطوق به. الذي لا يوجد فيه مقاطع كلمات، بل كمال اللاهوت السومدي، والحياة التي بلا نهاية (كو 1:19؛ 2:9؛ 3:4؛ يو 1:4؛ 5:26؛ 11:25؛ 6:14؛ رؤ 1:18) [81].

القديس أمبروسيوس

"في البدء كان الكلمة،

والكلمة كان عند الله،

كان الكلمة الله" [1].

جاءت هذه العبارة في ثلاثة مقاطع موزونة موسيقيًا في اللغة العبرية، حيث يتكرر في الثلاثة الاسم "الكلمة" والفعل "كان". هنا الفعل يدل على الكينونة الدائمة القائمة في البدء لا على الزمن. في هذه المقاطع: كان الكلمة في البدء، وكان مع الله، وكان هو الله.

"في البدء" : بدأ سفر التكوين بعبارة "في البدء خلق الله"، أي أنه يتكلم عن بداية المخلوقات ، أي بدء الزمن بالخلقة. أما البدء في إنجيل يوحنا فهو ما قبل الخلق والزمن والتاريخ، حيث لم يوجد سوي الله الكائن بذاته. يبدأ ببداية الكينونة "في البدء كان الكلمة" أي أن الكلمة لُلي هو بدأ بما لا بداية له. وقد كرر الرسول هذا الفكر حين قال الرب لليهود: "أنا من البدء ما أكلكمم أيضًا به" (يو 8:25) ، أي أنا الكائن المتكلم في الأصل أو منذ الأزل. جاء أيضًا في بداية رسالته الأولى: "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا" (1 يو 1:1). وقد قال أيضًا للجوع: "أبوكم إواهم تهلل بأن وي يومي فأني وفوح... قبل أن يكون إواهم أنا كائن" (8:56، 58).

قدم العلامة أوريجينوس معانٍ كثرة لكلمة "البدء" ، كما ميز بين البدء في علاقته بالخالق، والبدء في علاقته بالخلقة. إنه البدء بكونه حكمة الله

يوكد الرسول أن الكلمة هو "في البدء"، ليس فقط قبل التجسد بل قبل كل الأرمنة. جاء العالم إلى الوجود بخلقه من البدء، أما الكلمة فكان موجوداً في البدء، أي قبل الأرمنة. لقد عبر المرتل عن زلية الله أنه قبل وجود الجبال (مز 90: 2؛ أم 23: 8).

إنه مع الله، فلا يظن أحد أن الإيمان بالكلمة يسحبه عن الله، وكان الكلمة عند الله إذ لا ينفصل عنه قط، من ذات جوهره (عب 1: 3). وهو موضوع سروره (يو 17: 5)، ابن محبته (أم 8: 30).

يتساءل القديس يوحنا الذهبي الفم [82] لماذا لم يبدأ الإنجيلي بالحديث عن الآب، بل بدأه بالابن الوحيد الجنس، ولماذا لم يبدأ بدعوته الابن الوحيد الجنس بل الكلمة. ويجب على ذلك بأنه بدأ بالإعلان عن شخص السيد المسيح بكونه "الكلمة" المتجسد، ليتحدث بفيض فيما بعد أنه "ابن الله". لقب "الكلمة" يؤكد الوحدة، ولقب "الابن الوحيد الجنس" يؤكد التمايز، لذا فاللقبان مكملان لبعضهما البعض. ويقدم لنا القديس يوحنا الذهبي الفم تروياً لذلك بقوله أن الإنسان غالباً ما يفصل بين الأب والابن. فيظن أن بميلاد الابن حدث في الله تغيير، فصار الآب، ولم يكن قبل الولادة هكذا، إذ نظن أن الولادة حسية مثلما يحدث في الخليقة، وأنها لم تتم زلياً. فلو أن الإنجيلي بدأ بالحديث عنه أنه "ابن الله" لدخل الشك لدى البعض أنهما إلهان منفصلان. لذا بدأ باللقب "الكلمة" الذي لا يتخيل الإنسان أنه منفصل عن الله.

- ❖ يدعوه "الكلمة" لأنه يستعد للتعليم بأن هذا الكلمة هو ابن الله الوحيد، فلا يظن أحد أنه ولادته حسية. فبإعطائه لقب "الكلمة" يزع مقدماً ما يتعرض له الشخص من وهم شيرير ويزيله عنه. لقد أظهر أن الابن من الآب، وأنه ولد دون ألم (تغيير) [83].
- ❖ لئلا يظن أحد عند سماعه "في البدء" أنه ليس بمولود أيضاً، عالج هذا في الحال بقوله أنه كان "عند الله" قبل أن يعلن أنه هو الله. وهو يمنع أي أحد من افتراض أن الكلمة بسيطة كما لو كانت مجرد كلمة منطوقة أو مركبة، مضيفاً إليها أداة التعريف... إنه لم يقل "كان في الله" بل "عند الله" معلناً سومديته كأقنوم. بعد ذلك يعلن عنها بأكثر وضوح مضيفاً أيضاً "والكلمة كان الله".
- ❖ لم يدعه "كلمة" بل أضاف أداة التعرف ليموزه عن البقية (كلمة الإنسان) [84].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ being هذا التعبير "في البدء كان" لا يعلن سوى الوجود الدائم، وأنه وجود مطلق [85].
- ❖ being "كان اللوغوس" لأن كلمة وجود "تستخدم للإنسان لتمييز الوقت الحاضر وحده، وأما بخصوص الله فتشير إلى السومدية. لذلك عندما يستخدم "كان" بخصوص طبيعتنا تعني الماضي، وعندما تستخدم بخصوص الله تعلن عن السومدية [86].
- ❖ هذا (الكلمة) هو جوهر إلهي حاصل في أقنوم بلرز من أبيه خالٍ من انقسام عرض. وحتى لا تظن أن لاهوت الابن أدنى، وضع للحال الدلائل المعروفة للاهوتة فقال: "وكان الكلمة الله" [87].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ إذ هو مولود فبسبب حسنٍ لم يجزم يوحنا أو غيره، سواء كان رسولاً أو نبياً، أنه مخلوق. فإن هذا الذي تحدث عن نفسه بتواضع هكذا خلال تنزله لم يرد أن يقف صامتاً في هذا الأمر... لقد نطق بكلمات متواضعة (يو 5: 30؛ 12: 49) ... لكنه لو كان مخلوقاً لتحدث قائلاً: "لا تظنوا إني مولود من الآب، بل أنا مخلوق غير مولود، ولست شريكاً في جوهره". لكن إذ هذا أمره، فعلى العكس نطق بكلمات تؤرم البشر حتى بغير رادتهم أورغبتهم أن يقبلوا الفكر الآخر. كقوله: "أنا في الآب والآب في" (يو 14: 11)، "أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟ الذي رأيته فقد رأي الآب" (يو 14: 9)، وأيضاً: "لكي يكرم الجميع الابن كما يكرم الآب" (يو 5: 23)، "لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحي من يشاء" (يو 5: 21). "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو 5: 17). "كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب" (يو 10: 15). "وأنا والآب واحد" (يو 10: 10).

❖ أصابت الدهشة إشعياء النبي عندما قال: "وميلاده من يخبر به؟ لأن حياته رُفعت من الأرض" (إش 8:53). حقًا لقد رفع من الأرض تمامًا كل آثار الميلاد الأُرلي، لأنه يفوق الإواك. وإذا كان فوق الإواك فكيف يمكن أن نقول أنه مخلوق، لأننا نستطيع أن نحدد بوضوح زمن بداية المخلوقات وكيفية وجودها، أما البدء فنعجز عن تحديده من بدايته.

❖ *Archi* في هذا "البدء" الذي هو فوق الكل وعلى الكل "كان الكلمة"، ليس من الطبائع المخلوقة التي تحت قدمي البدء، وإنما عاليًا عنها جميعًا، لأنه "في البدء"، أي من ذات الطبيعة والكائن دائمًا مع الآب له طبيعة الذي ولده... منه ومعه له السيادة *archi* على الكل.

القديس كيرلس الكبير

❖ بالقول "في البدء كان"، وليس "بعد البدء" يعني أنه لم يكن بدء بدون اللوغوس، وإعلانه "كان اللوغوس عند الله" يعني غياب أية شائبة في علاقة الابن بالآب، لأن اللوغوس يفكر فيه ككل مع كيان الله ككل [89].

❖ خشي الإنجيلي من أذهاننا التي ينقصها التعاون، ولا يثق في آذاننا ليقدّم لقب "الآب"، لئلا يتصور الجسداني في فكرة وجود أم أيضًا. ولم يذكر في إعلانه "الابن" حتى لا يجعل أحد اللاهوت بشويًا بؤع من الهوى. لهذا دعاه اللوغوس، فكما أن كلمتك تصدر عن ذهنك تون تدخل لهوى، هكذا أيضًا عند سماعك "الكلمة" لا تفهم ذلك عن شيء صدر بهوى [90].

❖ أولئك الذين يقدمون لنا أية أفكار صالحة عن مثل هذه الأسوار، هم غير قادرين حقًا على التعبير عن الطبيعة الإلهية. أنهم يتكلمون بالأحرى عن بهاء مجد الله ورسم جوهه (عب 3:1)، صورة الله، وفي البدء كان الكلمة والكلمة كان الله (يو 1:1). كل هذه التعبوات تبدو لنا نحن الذين لم نر الطبيعة الإلهية مثل الذهب من هذا الكنز. ولكن بالنسبة لؤلء القادرين على رؤية الحقيقة، فإنها شبه الذهب وليست ذهبًا لامعًا، إنها ذهب مع جمان من فضة (نش 1:11). إن الفضة كما يقول الكتاب: "لسان الصديق فضة مخترة (أم 20:10)". هنا نتكشف أن الطبيعة الإلهية تتجاوز كل مفهوم نحاول أن نركه.

فهمنا للطبيعة الإلهية يشبه ما نهدف إليه. إن أحدًا ما لمرها ولا يستطيع أن واهها، ولكن خلال وراة ولغز (1 كو 12:13). إنها تعطينا انعكاسًا لما نفكر فيه، أي انعكاس موجود في الروح بصورة معينة.

كل كلمة تمثل هذه المفاهيم تشبه نقطة ينقصها أن تمتد، حيث إنها قاصرة عن التعبير عما في العقل...

وكل كلمة تقال ك محاولة للتعبير عن الله تبدو مثل نقطة صغيرة غير قاهرة للامتداد لتتناسب مع الغرض، إذ تقاد خلال مثل هذه المفاهيم لإواك ما لا يمكن إواكه سوى خلال الإيمان بها أن تقيم ذاتيًا طبيعة تفوق كل ذكاء [91].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ يُدعى الكلمة والابن وقره الله وحكمة الله. الكلمة لأنه بلا عيب، والقوة لأنه كامل، والابن لأنه مولود من الآب، والحكمة لأنه واحد مع الآب في السومدية، واحد في اللاهوت. ليس أن الآب أقنوم واحد مع الابن. إذ يوجد تمايز واضح بين الآب والابن يأتي من الولادة، هكذا المسيح هو إله من إله، خالد من خالد، كامل من كامل [92].

القديس أمبروسيو

❖ يوجد الله الواحد الذي أعلن عن نفسه ببسوع المسيح ابنه، الذي هو كلمته (اللوغوس)، ليس منطوقًا به بل جوهري. لأنه ليس صوتًا لأداة نطق بل أقنوم مولود بالقوة الإلهية [93].

القديس أغناطيوس

كانت كلمة "لوغوس" معروفة لدى اليهود والأمم، عرفها هيرقليتس حوالي 500 ق. م بأنها العقل الجامع الذي يحكم العالم ويخترقه، وقد تبناه الرواقيون وأشاعوه. وفي اليهودية الهيلينية "اللوغوس" هو أفتنوم مستقل، تطورت فكوته ليكون مصاحباً للحكمة (صوفياً) (الحكمة 9: 1، 2؛ 18: 15). إذربط فيلون السكثوري بين تعبوت فلسفية ومفاهيم كتابية قال أن اللوغوس هو نموذج إلهي جاء العالم صورة له.

❖ "لوغوس" في اليونانية لها معان كثيرة. فهي تعني الكلمة والعقل والتقدير وعلّة الأشياء الفودية التي عليها تقوم. بكل هذه جميعاً نحن نعلن عن المسيح [94].

القديس جيروم

❖ لكننا نعلم أن المسيح لم يُولد كمثّل كلمة منطوق بها، بل هو الكلمة الكائن الجوهري الحي، لا يُنطق بشفتين ولا ينتشر متبدداً، بل هو مولود من الآب أبدياً، لا يُوصف في الجوهر. إذ "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله". إنه جالس عن يمين الله، الكلمة ي فهم رادة الآب، خالد، كل الأشياء كائنة بأوره. الكلمة قول وصعد، أما الكلمة التي ننطق نحن بها فإنها تنزل ولا تصعد. ينطق "الكلمة" قائلاً: "أنا أتكلّم بما رأيت عند أبي" (يو 8: 38).

للكلمة سلطان، يملك على كل شيء، إذ أعطى الآب كل شيء للابن (مت 27: 11، يو 22: 5) [95].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ إن كان قد وُجد وقت لم يكن فيه الابن، يكون الأب نوراً قائماً. فإنه كيف لا يكون نوراً قائماً إن كان ليس له بهاء؟ فالآب موجود دائماً، والابن موجود دائماً... البهاء يتولد من النور، ومع ذلك فالبهاء زُلي مع النور الذي يلدّه. النور دائم والبهاء دائم. النور يولد بهاءه، لكن هل وُجد بدون بهائه؟... لتقبلوا أن الله يلد ابنه السمدي [96].

القديس أغسطينوس

يفهم "عند" هنا "معهُ زُلياً"، أي أن الكلمة مع الآب شريك معه في زُليته دون انفصال.

❖ "والكلمة كان عند الله"؛ لهذا فهو زُلي كالأب نفسه، لأنه لم يكن الآب بدون الكلمة، بل كان الله (الكلمة) مع الله، كل في أفتنومه الخاص.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يؤكد القديس أمبروسيوس مسواة الكلمة للآب من أن الإنجيلي أورد الكلمة قبل الآب، ولو أن الآب أعظم من جهة طبيعة اللاهوت لما تجاسر وفعل هذا. وأيضاً بولس الرسول ذكر نعمة المسيح قبل محبة الآب (2 كو 4: 13). [ترتيب الكلمات (الخاصة بالثالوث) غالباً ما تتغير لذا لاق ألا تتساءل عن الترتيب والوجات. ففي الله الآب والابن ولا يوجد فصل في وحدة اللاهوت [97].]

عالج القديس يوحنا الذهبي الفم اعتراض الأريوسيين على مسواة الابن أو الكلمة للآب بدعوى أنه جاءت الكلمة "الله" هنا بدون أداة التعريف: "وكان الكلمة إلهاً". وهو ذات الفكر الذي يقتبسه شهود يهوه حالياً. وقد فندّ القديس هذه الحجة موضحاً أن الكتاب المقدس أشار أحياناً إلى الآب والروح القدس دون ربط اسميهما بأداة التعريف، بل وأحياناً أشار إلى الابن والكلمة أنه الله مرتبباً بأداة التعريف. هذا وأنه في ذات الموضوع هنا ينسب للكلمة سمات خاصة بالله بكونه الأزلي، والخالق وواهب الحياة والإنارة. فلو أنه أقل من الله لكان قد تحدث صراحة عن ذلك حتى لا يحدث لبس.

❖ إنه لم يستخدم تعبيراً يشير إلى وجود حدود إذ لم يقل: "له بداية" بل "في البدء". بفعل "كان" يحملكم إلى فكوّة أن الابن بلا بداية. ربما يقول أحد: "لاحظ أن الآب قد أضيف إليه أداة التعريف (الله)، أما الابن فبدونها "إله". ماذا إذن عندما يقول الرسول: "الإله العظيم ومخلصنا يسوع" (تي 2: 13). مرة أخرى: "الذي فوق الكل إله (الله)" (رو 9: 5)؟

حقاً إنه يشير هنا إلى الابن دون أداة التعريف، لكنه يفعل نفس الشيء مع الآب أيضاً، على الأقل في الرسالة إلى أهل فيلبي (2: 6) حيث يقول: "الذي في شكل إله لم يُحسب خلصة أن يكون معادلاً لله"، وأيضاً في الرسالة إلى أهل رومية: (نعمة لكم وسلام من الله (بواسطة التعريف) أبينا والوب يسوع المسيح" (رو 1: 7) ... وأيضاً عند الحديث عن الآب يقول: الله (إله) هو روح" (يو 4: 24)، فليس لأن أداة التعريف لم ترتبط بكلمة "روح" ننفي طبيعة الله الروحية. هكذا هنا وإن كانت أداة التعريف لم تلتق بالابن، فالابن بسبب هذا ليس بأقل من الله [98].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"هذا كان في البدء عند الله" [2].

❖ قول يوحنا عن السيد المسيح "هذا كان في البدء عند الله" أظهر لنا اتفاقه مع أبيه في زليته. فإذا سمعت في وصف الوحيد أنه "كان في البدء" فافهم أنه كان قبل الخلائق العقلية كلها وقبل كل الدهور.

❖ لم يكن الآب قط بدون الكلمة، بل كان الله دائماً مع الله، ولكن كل واحد في أقنومه اللائق به [99].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "والكلمة كان عند الله": الآب والابن ليسا واحداً في الأقنوم، بل كل منهما أقنوم يمكن رؤيته في الآخر بسبب وحدة الجوهر، لأنه إله من إله، الابن من الآب.

❖ "هذا كان في البدء عند الله"، أي الابن، الذي هو مع الآب، والمولود من جوهره، فالابن الوحيد هو الذي يشار إليه بكلمة "هذا".

القديس كيرلس الكبير

❖ analogous يمكن أيضاً للوغوس أن يكون "ابن الله" إذ هو يخبر بأسوار أبيه الذي هو "العقل"، مقابل () للابن أنه يُدعى "الكلمة". فكما أن الكلمة فينا هي رسول لما يركه العقل هكذا كلمة الله، إذ هو يعوف الآب يعلن عن ذلك الذي يعرفه، إذ لا تستطيع خليقة أن تدخل في علاقة معه دون إرشاد. لا يعرف أحد الآب إلا الابن ومن يعلن له الابن عنه (راجع مت 11: 27). وبكونه الكلمة فهو رسول المشورة العظيم الذي على كتفه تستريح السلطة (إش 9: 9 LXX)، وقد صار ملكاً إذ احتمل الصليب. وقد جاء في سفر الرؤيا أن الكلمة الأمين والحق ركب على فوس أبيض (رؤ 19: 11)، وفي رأيي لكي يوضح الصوت الذي يقوده (بمطيه) كلمة الحق، ويأتي لكي يقطن فينا [100].

العلامة أوريجينوس

يقول العلامة أوريجينوس أن أنبياء العهد القديم تمتعوا بكلمة الرب التي صلت لهم (هو 1: 1؛ إش 2: 2؛ إر 14: 1). فقيل "قول (كلمة) الرب الذي صار إلى هوشع بن بثوي" (هو 1: 1). كلمة هوشع معناها "المخلص" وبثوي معناها "الآبار"، فإن كل من تمتع بالخلاص هو ابن الآبار التي تفيض من أعماق حكمة الله. فهو ابن الحكمة، وكما جاء في الكتاب المقدس "الحكمة تيررت من بניהا" (راجع لو 7: 35؛ مت 11: 19). أما بالنسبة للآب فقد قيل: "وكان الكلمة عند الله" ولم يقل: "الكلمة صار إلى الآب"، إذ الكلمة رُلي مع الآب [101].

❖ على أي الأحوال صار الكلمة إلى البشر الذين لم يستطيعوا قبلاً أن يتقبلوا رحلة ابن الله الذي هو الكلمة. من الجانب الآخر، لم يأت الكلمة لكي يصير عند الله كما لو لم يكن الكلمة قبلاً عند الله؛ وإنما لأنه هو مع الآب على النوام؛ قيل: "والكلمة كان عند الله" (يو 1: 1)، إذ لم يأت ليصير مع الله [102].

❖ نفس الفعل "كان" يشير إلى الكلمة عندما كان في البدء، وحين كان مع الله. إنه لم ينفصل عن البدء، ولا يفرق الآب. مرة أخرى إنه لم يأت ليصير في البدء كمن هو ليس في البدء، ولا عبر من عدم وجود مع الله لكي يصير معه. فإنه قبل كل زمان منذ الأزل "في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله" [103].

❖ يضيف أنه بمجيئه إلى الأنبياء ينورهم بنور المعرفة، ويجعلهم يرون الأمور التي لم يدركوها قبل مجيئهم كمن يرونها بأعينهم. أما بكونه عند الله، والكلمة هو الله إذ هو عنده [104].

العلامة أوريجينوس

"كل شيء به كان،

وبغوره لم يكن شيء مما كان" [3].

قدم الإنجيلي الكلمة بكونه "الخالق" إذ به كان كل شيء، وبغوره لم يكن شيء مما كان. لم يقدم هذا إلا بعد الحديث عن العلاقة الألفية بين الآب والكلمة. فالآب والابن (أو الكلمة) مع الروح القدس فيه النقاء ذاتي داخلي، كلي الحب والحياة. هذه الطبيعة الإلهية التي تفيض حباً ليست في حاجة إلى الخليفة السماوية أو الأرضية لتحقيق الحب عملياً. الحب عامل بين الأقانيم الإلهية رُلياً، وقد جاءت الخلفة من فيض الحب الإلهي، لا كضرورة لتحقيق حب الله بل ثرة هذا الحب. وما نقوله عن الخلفة نكرهه عن الخلاص بكونه الخلفة الجديدة.

الكلمة الألفي هو الخالق والمخلص، يحقق مشيئة الآب، التي هي واحدة مع مشيئة الابن.

بقوله "كل شيء به كان"؛ فرز نفسه من كل الخلائق السماوية والبشوية والمادية، فهو خالق كل أحد وكل شيء أينما وجد.

يقصد بـ "به كان" أنه به قد صار إلى الوجود، أو خلق كل شيء. فعل "كان" هنا في اليونانية مختلف عما ورد بخصوص الكلمة، هنا يعني الخلق، وهناك الكينونة الذاتية.

وجاء الحرف "به" "يحمل معنى بواسطته ومن خلاله وفيه، فقد خلق وبقي مدواً لخليقته معتبياً بها وحافظاً لها. هذا ما عبر عنه الرسول بولس: "فإن فيه خلق الكل... به وله قد خلق... وفيه يقوم الكل" (كو 1:16-17). "حامل كل الأشياء بكلمة قهرته" (عب 1: 3). "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع 17: 28).

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن الإنجيلي يركز على وحدة العمل الخاص بالخلفة بين الكلمة والآب، لإظهار لاهوت الكلمة ومسواته للآب. بالقول: "وبغوره لم يكن شيء مما كان" يؤكد أن نور الكلمة في الخلق أساسي، بدون استحالته تحقيق الخلفة أو استورها.

عندما تحدث موسى النبي عن بدء الخليفة: "في البدء خلق الله السموات والأرض" خشي لئلا يظن أحد أن الأرض رُلية فأكد أن لها بداية، وأنها من إبداع الخالق. فلو أن الكلمة مخلوق لالتزم الإنجيلي بتأكيد خلقته، لا بالحديث عنه كخالق للكل.

❖ من هو هذا الذي يسقط في هذا الخطأ، إذ يعلن عن خلق ويصنع كل الأشياء أنه مخلوق؟ إنني أسأل: هل خلق الرب نفسه؟... من يفكر هذا؟ إن الله خلق كل شيء في حكمة (مز 104: 24). إن كان الأمر هكذا، فكيف نفترض أن الحكمة قد خُلقت في نفسها؟ [105]

القديس أمبروسيو

❖ إن كنت تظن أن تعبير "به" هو علامة على أنه أقل، إذ تجعل من المسيح أداة للخلفة، اسمع (داود) قائلاً: "في البدء يارب أسست الأرض والسماء عمل يديك" (مز 101 (102): 25). ما قاله عن الآب كخالق يقوله بخصوص الابن، الأمر الذي ما كان يقوله ما لم يحسبه الخالق، وليس مساعداً لآخر. إن كان تعبير "به" يستخدم هنا أنه ليس لسبب سوى أنه لا يشك أحد في أن الابن غير مولود. بخصوص لقب الخالق ليس هو بأقل من الآب في شيء. اسمع ما يقوله بنفسه: لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضا يحيي من يشاء" (يو 5: 21) [106].

❖ ألا ترون أنه بهذه الإضافة: "وبغوره لم يكن شيء مما كان" قد عالج كل الصعاب المحدقة، لأن القول: "وبغوره لم يكن شيء مما كان" ثم يضيف "به كان كل شيء"، فإنه يضم الأشياء التي يمكن إرواها بالعقل (أي التي في العالم غير المنظور) لكنها لا تضم الروح (القدس)...

لئلا يقول أحد: "إن كان كل شيء به كان، فالروح أيضا كان مخلوقاً". أجيبه: "إنني أجزمت أن ما خُلِق إنما خلق به، سواء كان غير منظور أو غير مادي، أو في السماء. لهذا لم أقل بطريقة مطلقة "كل شيء" بل قال: "كل شيء كان"، أي المخلوقات، وأما الروح فهو غير مخلوق. أترون دقة

تعليمه... لقد استبعد الروح القدس عن كل الخليقة.

بنفس الروح إذ استمد بولس ذات النعمة قال: "به خلق الكل" (كو 1: 16). لاحظوا هنا الدقة عينها. فإن ذات الروح (القدس) هو حرك هذه النفس أيضًا. فلا يوجد أي استثناء من المخلوقات من كونها أعمال الله... "سواء كان عروشًا أم سلاطين، أم رؤساء أم قوات". فإن تعبير "سواء" يضم الكل، مظهرًا لنا أنه ليس شيء آخر إلا هذا أن "به كان كل شيء، وبغيره لم يكن شيء مما كان" [107].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هل يمكن أن يكون الكلمة من صنع الله؟ لا، لأنه هو أيضًا عند الله في البدء. هل الأشياء التي خلقها الله غير التي خلقها الكلمة؟ لا، لأن كل شيء به كان. بأية وسيلة خلقت بواسطته؟ لأنه فيه كانت الحياة، وقبل خلقتها كانت الحياة موجودة. ما قد خُلق ليس بالحياة، بل خلقت بحكمة الله، وقبل خلقتها كانت الحياة. ما قد خلق يعبر ويذول، وأما ما في الحكمة لا يمكن أن يعبر [108].

❖ إن قلت: "كل شيء" ففي هذا لا تكذب، لأن هذا الكلمة يُدعي حكمة الله. ولدينا المكتوب: "خلقت كل شيء في الحكمة" (مز 104: 24) [109].

القديس أغسطينوس

❖ تتمتع العروس بتأمل في يد العريس التي تمثل قدرته على العمل "حبيبي مد يده من الكوة" (نش 5: 4) لا تتمكن الطبيعة البشرية من احتواء الطبيعة الإلهية الغير محدودة. تقول العروس: "فأنت على أحشائي" (نش 5: 4)... تتعجب كل نفس بما لها من قوة للفهم بالأعمال المبهورة ليد الله التي تفوق قوات الإنسان، لأن الطبيعة الإلهية التي تعمل هذه العجائب لا يمكن فهمها أو احتوائها. فكل مخلوق حي هو من عمل هذه اليد التي ظهرت في الكوة. لذلك يصوح يوحنا في إنجيله قائلاً: "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو 1: 3). ويعبر النبي إشعياء عن نفس الفكرة، فيسمى اليد قوة الله للعمل: "كل هذه صنعتها يدي، فكانت كل هذه يقول الرب" (إش 2: 66). لا يتمكن عقل الإنسان من فهم هذا الإنجاز: جمال السماء بما فيها من نجوم والشمس وعجائب الخليقة الأخرى. غير أن قلب الإنسان يخاف من قوة الله. فإذا كان الإنسان لا يفهم كل أعمال الله، فكيف يتمكن من فهم الله الذي يعلو على ما في الخليقة؟ [110]

❖ دعونا نعيد هذه الآية حتى نستفيد مما سقناه ونجعله يتمشى مع كلمات الوصيفات: "ما حبيبيك من حبيب، أيتها الجميلة بين النساء؟ ما حبيبيك من حبيب حتى تحلفينا هكذا؟" (نش 5: 9)

دعينا نستمع بانتيباه بعدمارُفعت واقعنا، ونلتفت إلى الحق بعيون نفوسنا.

كيف تصف العروس لوصيفاتها ذاك الذي تبحث عنه؟

كيف تصف العروس هيئة من رغبه في كلمات؟

كيف تُحضر العذرى من لا يعرفونه؟ المسيح غير مخلوق وأيضاً مخلوق: ونعلم أن الغير مخلوق هو أبدى وموجود قبل إنشاء العالم، وهو خالق الكل. وعلى الجانب الآخر يوشدنا الجزء المخلوق، لأنه تكوّن حسب جسدنا الوضيع (في 3: 21). ويمكننا فهم الكلمات بطريقة أفضل إذا فحصناها حسب ما جاء بالكتاب المقدس. نحن نعرف أنه في البدء كان الكلمة وأنه كان دائماً مع الله وأن الكلمة لم يُخلق، وبدونه لم يكن شيء مما كان (يو 1: 3). والكلمة كان مع الله وكان الكلمة الله، وبه كان كل شيء. وُلد المسيح، أي أنه أخذ جسداً وحلّ بيننا. وأظهر تجسده عظمتة بوضوح، أنه الله، الابن الوحيد لله الذي هو في حضن الآب، ظهر في الجسد، وقال عنه يوحنا: "والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده كما لوحيده من الآب ملوئاً نعمة وحقاً" (يو 1: 14) [111].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان". لأننا نؤمن أن كل شيء قد خُلق بواسطة الابن لا نستطيع أن نحسبه كواحدٍ من الكل

(المخلوقات)، بل هو غورها تمامًا، لأنه ليس ضمن الطبائع المخلوقة، بل نعترف أنه وحده بالطبيعة الإله الحق.

❖ لم ينل قوة من آخر لكي يُخلق، وإنما هو قوة الله الآب، الابن الوحيد، الذي يعمل كل شيء مع الآب والروح القدس. لأن كل شيء من الآب بالابن، لأنه لو خلق الابن منفصلاً عن الآب لما استطاع الابن أن يقول: "أنا في الآب والآب في" (يو 14:10).

القديس كيرلس الكبير

يقول القديس أغسطينوس أن البعض مثل اتباع ماني يحسبون الشيطان خالقاً لبعض الكائنات كالذباب. ويرد القديس على هؤلاء بأن الله خالق كل شيء، ويستخدم حتى الكائنات التي تبدو تافهة ومضرة لصالح الإنسان، لتزود عنه كوربائه. [لتعلموا يا اخوة أنه من أجل ترويض كوربائنا خلقت هذه الأشياء لكي تسبب لنا متاعب، فقد استطاع الله أن يحط من كوربائه شعب فوعون لا بالذبابة والأسود والحيات بل أرسل عليهم ذباباً وطفادع، ليخضع كوربائههم بأتفه المخلوقات [112].]

"فيه كانت الحياة،

والحياة كانت نور الناس" [4].

يميز الإنجيلي بين "الحياة" الخالقة "والحياة" الؤمنية المخلوقة. فيتحدث عن أقنوم الكلمة ليس بكونه حياً فحسب لكنه "الحياة". وكما يقول السيد المسيح عن نفسه أنه بمولده الأولي "له الحياة في ذاته" (يو 5: 26). فهو جوهر الحياة التي لا تُترك، لذلك يقول الإنجيلي: "الحياة أظهرت" (1 يو 1: 2)، وذلك خلال التجسد.

هذه الحياة الخالقة تهب حياة للغير، "لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضا يحي من يشاء" (يو 5:21). فهو ليس فيه حياة، لكنه هو الحياة في ذاتها، لهذا "به كان كل شيء". قيل: "تحب الرب إلهك وتسمع لصوته، وتلتصق به، لأنه هو حياتك" (مت 22: 30). ويرنم المورتل: "لأن عندك ينوع الحياة، وبنورك نعاين النور" (مز 9:36).

"والحياة كانت نور الناس" [4]، فإذا نفقته بكونه حياتنا نستتير، فنترك أن حياتنا الؤمنية على الأرض هبة إلهية تدفعنا للانجذاب نحو "الحياة الأبدية"، حيث بهاء المجد الأبدية. نتمتع في السماء بمعرفة كاملة للسيد المسيح ورؤيته وكمال الاتحاد معه والثبوت فيه، فتكون له "الحياة الأبدية". وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو 17: 3).

كما أن الكلمة هو الحياة الخالقة واهبة الحياة المخلوقة، هكذا هو النور الجوهري الخاص بالطبيعة الإلهية والذي لا يُدني منه، يشوق علينا بنعمته فنصير نوراً يعكس بهاء نوره أينما حللنا. عندما أعلن السيد نفسه لشاول الطرسوسي، قال شاول: "أبرق حولي من السماء نور عظيم، فسقطت على الأرض" (أع 22: 7).

❖ يدعوه كلاً من "النور" و"الحياة". فإنه يهبنا النور مجاناً، هذا الذي يصدر عن المعرفة، والحياة التي تتبعه. في اختصار لا يكفي اسم واحد ولا اثنان أو ثلاثة أو أكثر أن يعلمنا ما يخص الله. يؤمننا أن نكون مستعدين أن نترك سماته الغامضة بوسائل كثرة [113].

القديس يوحنا الذهبي الفم

رى القديس يوحنا الذهبي الفم أن السيد المسيح بكونه الحياة، أو مصدر الحياة، لا يمكن إلا أن يكون رُلياً، وإلا فمن وهب الحياة إن كان هو نفسه غير موجود في وقت ما؟

❖ هو الحياة... التي بلا بداية ولا نهاية، فإنها بهذا تكون بالحقيقة الحياة كما يؤزم. فإنه إن كان يوجد وقت ما لم تكن فيه الحياة، فكيف يمكنها أن تكون حياة للآخرين إن كانت هي نفسها غير موجودة؟! [114]

❖ يقول يوحنا عن المسيح: "فيه كانت الحياة"، فكما أن الآب يمتلك الحياة في ذاته، هكذا أعطى الابن أن يمتلك الحياة في ذاته. لم يقل يوحنا: "والحياة كانت نور اليهود"، لكنه قال بطريقة جامعة: "والحياة كانت نور الناس"، لأن النور لم يكن لليهود وحدهم وإنما للجميع

عامة، فقد جاؤا إلى هذه المعرفة بعينها، إذ أن هذا النور وُضع مشاعاً للكل.

وإن سألت: ولأي سبب لم يصف "الملائكة" للناس لكنه قال: "والحياة كانت نور الناس"؟ نقول: لأن مقاله في الوقت الحاضر مُقدم لطبيعة البشر، لهم قد جاء يحمل الأخبار السورة للعطايا الصالحة [115].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليس شيء مخلوق صُنِعَ بدونه، لأنه هو الحياة التي جعلت الخليقة ممكنة [116].

القديس هيلاري أسقف بواتيه

❖ "فيه كانت الحياة": إنه يمنح الخليقة نعمة الوجود، يعطي أيضاً نعمة البقاء، ويمنح من عنده الأبدية للكائنات التي بطبيعتها ليست أبدية. فيصبح بذلك هو الحياة لكل من جاء إلى الوجود، لكي يبقى في الحياة حسب حدود طبيعته.

❖ لو كان الابن ليس من جوهر الأب بل هو من خرجه لصار خاضعاً للأب كالمخلوقات، فكيف إذن يحيي كل الأشياء، وهو من بين الأشياء المخلوقة؟ ... كيف نفهم كلمات الرسول بولس الخاصة بطبيعة الله: "الذي يُحيي الكل" (1 تي 3:6) لو كان الابن مخلوقاً، وهو قادر على أن يحيي الكل، لأصبحت الخليقة قاورة على أن تحيي نفسها، وليست محتاجة بالرة لله، ولم يعد في الطبيعة الإلهية ما يميزها عن المخلوقات، ولأصبحت مثل الله قاورة على أن تفعل ما يفعله الله.

❖ إذا لم يكن الابن من جوهر الله الأب... فكيف يمكن للموتل وهو يرى أنه لأمر عجيب يستحق الإعجاب في ذلك الذي هو بالطبيعة الله: "بنورك نعاين النور" (مز 36:9)، وإذا كان الابن كمخلوقٍ ينير كل الأشياء المخلوقة؟ إذن الخليقة تنير نفسها ولا تحتاج لنور الله خالقها.

القديس كيرلس الكبير

❖ من يريد أن يقتني هذا الكلمة، من يريد أن يكون له الكلمة، لا يبحث عن شيء خرج عنه ليقدمه، بل يقدم نفسه. وإذا فعل ذلك لا يفقد ذاته كمن يفقد الثمن عندما يشتري شيئاً [117].

❖ من يقتني الكلمة فليقدم نفسه؛ هذا هو ثمن الكلمة. وكما قيل أن الذي يعطي لا يخسر نفسه، بل يقتني الكلمة الذي يهب ذاته له، كما يربح نفسه أيضاً في الكلمة واهب ذاته [118].

❖ نقواً في الكتاب المقدس عن الحكمة: "إنها بهاء النور السومدي". مرة أخرى نقواً: "مواة عظمة الله التي بلا عيب" (حك 7: 26)... من هذا لنأخذ تماثلاً فنجد مشركة بين أمرين معاصرين منها نترك المشركة في السومدية. النار تبعث النور، والنور يبعث النار. فإن سألنا أيهما من الآخر. كل يوم ونحن نشعل شمعة نتذكر أمراً غير منظور ولا موصوف، أن الشمعة كما لو كانت في فهمنا يجب أن تُثار في ليل هذا العالم... قدم لي نلراً بلا بهاء، فأصدق أن الأب كان بدون الابن [119].

القديس أغسطينوس

❖ وي العلامة أوريجينوس أن المسيح جاء روحياً قبل مجيئه جسدياً. جاء في العهد القديم إلى الكاملين الذين صاروا ناضجين وليسوا أطفالاً في عهدة معلمين ومربين، إذ بلغوا إلى ملء زمانهم الروحي (غلا 4: 4)، مثل الآباء البطركة والأنبياء الذين تأملوا مجد المسيح. وكما افتقد المسيح الكاملين قبل رحلته المنظورة حسب الجسد هكذا لا يفتقد الذين بقوا أطفالاً بعد مجيئه ولا يريدون النضوج [120].

❖ إن فهمنا أن "فيه كانت الحياة" ذاك القائل: "أنا هو الحياة" (يو 11: 25)، نقول ليس أحد خرج الإيمان بالمسيح هو حي، لكن كل الذين لا يعيشون الله هم أموات. حياتهم هي حياة للخطية وليس للعقل (اللوعوس)، أو أقول إنها حياة الموت [121].

❖ لنتطلع أولاً إلى العبارة: "إنه ليس إله أموات بل إله أحياء" (مر 12: 27)، التي تعادل القول: "ليس إله خطاة بل إله قديسين"... إنه إله الآباء وكل

القديسين. لا يجد أحد تسجيلاً في أي موضع أن الله إله أي أحد شوهر. لذلك إن كان هو إله القديسين وقد قيل أنه إله الأحياء، فالقديسون هم أحياء، والأحياء هم قديسون. ليس قديس خُلجاً عن الأحياء، ولا يُدعى أحد حياً إن لم يكن له مع حياته حقيقة أنه قديس [122].

❖ إن كانت الحياة تعادل "تور الناس"، فإنه ليس أحد في الظلمة هو حي، وليس أحد حي هو في الظلمة، بل كل من هو حي هو أيضاً في النور، وكل من في النور هو حي. لهذا فإن من هو حي وحده هو ابن النور، وابن النور هو ذاك الذي تشوق أعماله أمام الناس (مت ٥: ١٦) [123].

❖ يقول بولس أنه كان قبلاً "ظلمة والآن نور في الرب" (١ كو ٢: ١٤ - ١٥). هكذا يمكن للظلمة أن تتحول إلى نور. إنه ليس من الصعوبة لمن يترك إمكانية كل إنسان أن يتغير إلى ما هو أسوأ أو ما هو أفضل [124].

❖ LXX إنه يمكن لمن يملك نور الناس ويشترك في أشعته أن يحقق أعمال النور ويعرف نور المعرفة (هو ١٠: ١٢) لأنه مستتير. لكن يؤمننا أيضاً أن نأخذ بعين الاعتبار الحالة التي للضد، أي أن كل من الأعمال الشريفة والمدعوة معرفة ليست حسب الحق، هذه تملك أسس الظلمة [125].

العلامة أوريجينوس

❖ هذا النوع من النور لا يخص الحواس بل العقل، ينير النفس ذاتها. وإذ يقول المسيح نفسه فيما بعد: "لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب" (يو ٥: ٤٤)، فإنه يسبق الرسول في هذا الموضوع ويقدم اعتراضاً معلناً أنه هو (الابن) الذي "ينير" [9]، فإنكم وإن سمعتم قولاً كهذا عن الآب فلا تظنوا أن هذا يخص الآب وحده، وإنما يخص الابن أيضاً. إنه يقول: "كل ما هو للآب فهو لي" (يو ١٥: ١٦) [126].

❖ "والنور يضيء في الظلمة" [5]. يدعو الموت والخطأ ظلمة. فإن النور موضوع الحواس لا يشوق في الظلمة بل خلجاً عنها؛ أما كورة المسيح فتشوق في وسط الخطأ المسيطر فتبده. باحتماله الموت غلب الموت، وشفى الذين أمسكوا فعلاً فيه. هكذا لا يقدر الموت أن يغلبها ولا الخطأ، لأنها بهية في كل موضع، ومشوقة بقوته اللاتقة به [127].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نور الأذهان أسمى من الأذهان ويتعدى كل الأذهان. هذه هي الحياة التي بها كان كل شيء [128].

❖ لا تكونوا أيها البشر في الظلمة، في عدم الإيمان، في الظلم، في الشر، في السلب، في الطمع محبين للعالم، فإن هذه في الظلمة. النور ليس غائباً، بل أنتم الغائبون عن النور [129].

القديس أغسطينوس

والنور يضيء في الظلمة،

والظلمة لم تتركه" [5].

عمل الكلمة "شمس البر" أن يشوق بنوره على العالم، لكنه لا يؤرم الذين في الظلمة أن يقبلوا نوره. الإنسان الذي يرفض النور، ويتمسك بالظلمة، يصير ظلمة لا تترك النور ولا تطيقه. كما إن الذي يقبل النور يصير نوراً للعالم ولا يطبق الظلمة. إن كان الكلمة المتجسد هو "النور الحقيقي"، فإن إبليس باعواله مصدر النور صار "ظلمة" يبذل كل الجهد ليجتذب البشرية نحو مملكته، فيحمل سلطاناً عليهم. لهذا دعاه السيد المسيح "سلطان الظلمة" (لو 22: 53).

تقوم مملكة الظلمة على غياب النور الحقيقي، حيث تتفصل عن الكلمة الإلهي، فلا تكون لها "الحياة" ولا "النور" ولا "الحق" ولا "السلام"، بل لها أعمال الظلمة من موت روحي وبطلان وكذب وبغضة وانتشاقات وفساد الخ.

لا تترك الظلمة النور ولا تطيقه، لذا تأخذ موقف العدوة منه لعلها تحجز النور عنه. وقد ظنت الظلمة إنها قاوة أن تطفئ شمس البرّ بصلبه، ولم تترك أنه بالصليب حطمت نفسها، ليشرق شمس البرّ على الجالسين في الظلمة. "الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً؛ الجالسون في رُض

ظلال الموت أشوق عليهم نور" (إش 9: 2).

❖ "الظلمة" هي الطبيعة التي تحتاج إلى استئارة، أي الطبيعة المخلوقة... يعلن أن الخليفة العاقلة بدون الطبيعة الإلهية هي ظلمة، وهي عاخرة عن أن تلد شيئاً من نفسها وبقراتها.

❖ يشوق الكلمة على كل الأشياء القاوة أن تستقبل إشعاعه وإنلته.

❖ الابن الكلمة غير معروف عند الظلمة، لأن المخلوق العاقل على الأرض، أي الإنسان، عبد المخلوق دون الخالق (رو 1: 25). إنه لم يبرك النور، لأنه لم يعرف الخالق.

القديس كيرلس الكبير

❖ النور يضيء في الظلمة، في هذه الحياة وفي الجسد، والظلمة تطرده، لكنها لن تهزمه. أقصد أن القوة المضادة تثب في علها ضد آدم المنظور لكنها تصطدم بالله فتنهزم، حتى إذ نوع الظلمة تقترب إلى النور، عندئذ نصير نوراً كاملاً، أبناء النور الكامل. [130]

القديس غريغوريوس اللاهوتي

❖ يقول: "الظلمة لم تتركه"، إذ من المستحيل أن يوجد المسيح مقهوراً، ولا يمكن أن يسكن في النفوس التي لا تريد أن تستنير. لكن لا تضطربوا إن النور لا يضم الكل، فإنه لا يحل بالقسر والإزام بل يرضى الشخص وقبوله يحضونا الله إليه. لا تغلقوا أبوابكم في وجه هذا النور، فتنتمتعون بسعادة عظيمة. لكن هذا النور يحل بالإيمان. وإذ يحل ينير بفيض على من يقبله. وإن سلكتكم الحياة الطاهرة اللاتقة بالنور يبقى ساكناً في الداخل بلا توقف، إذ يقول: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي وإليه نأتي أنا وأبي، وعنده نصنع مؤلاً" (اجع يو 14: 23).

وكما إن الشخص لا يقدر أن يتمتع بنور الشمس ما لم يفتح عينيه، هكذا لا يقدر أحد أن يشترك في هذا النور الأبدي ما لم يفتح عين نفسه ويجعلها حاذقة البصر بكل وسيلة.

كيف يحدث هذا؟ عندما تنظهر النفس من كل الأهواء. فإن الخطية ظلمة، وظلمة عميقة، كما هو واضح من أن الناس يملسونها لا شعورياً وخفية. "لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور، لئلا توبخ أعماله" (يو 3: 20) "لأن الأمور الحادثة منهم سواً ذكوا أيضاً قبيح" (أف 5: 12). وكما أنه في الظلمة لا يعرف الشخص صديقاً ولا عدواً، ولا يقدر أن يبرك أية سمة من سمات الأشياء، هكذا أيضاً في الخطية. فالذي يطعم في ربح أكثر لا يميز بين صديقٍ وعدوٍ، والحاسد يحمل عدوة حتى لمن هو ملتصق به جداً. وواضع المكائد يوماً في صواع مع الكل على السواء...

في اختصار من يتركب الخطية ليس بأفضل من السكرى والمجانين. وكما أنه بالليل يبدو لنا الخشب والقصدير والحديد والفضة والذهب والحجارة الكريمة متشابهة بسبب غياب النور الذي به يميز بينهم، هكذا من يسلك حياة فاسدة لا يميز سمو ضبط النفس ولا جمال الفلسفة

(الحكمة) [131].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من ينصوف عن النور الحقيقي، أي عن الله، يصير للحال أعمى، ومع هذا لا يشعر بعقوبته وإن كان قد نالها فعلاً. [132]

القديس أغسطينوس

❖ Vulgate يعبر عن شوقنا بالموتل: "ويل لي فقد طالت غربتي عليّ، فأسكن معهم في قيذار، تقوم نفسي وحلة طويلة" (مز 120: 5، 6). "قيذار" معناها "ظلمة"، والظلمة تمثل العالم الحاضر، إذ قيل لنا: "النور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تتركه" [5] [133].

القديس جيروم

"كان إنسان موصل من الله اسمه يوحنا" [6].

فعل "كان" هنا في اليونانية يعني "صار" على عكس فعل "كان" في الآية 1 "كان الكلمة"، إذ جاء في صيغة فعل الكينونة، بمعنى أنه كائن لا زمني.

لم يقل الإنجيلي: "أرسل الله يوحنا المعمدان" بل ركز على الإرسالية ذاتها "إنسان موصل من الله"، غايتها الشهادة لشخص الكلمة الإلهي بكونه النور المشرق على الجالسين في الظلمة.

❖ إذا سمعت أن يوحنا مؤصل من الله فلا تظن أنه يتكلم بأقواله، لكنه إنما يتكلم أقوال موصله، ولهذا سُمي ملاكًا (ملا 3: 1)، وفضيلة الملاك ألا يقول قولاً من ذاته [134].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"هذا جاء للشهادة ليشهد للنور،

لكي يؤمن الكل بواسطته" [7].

ما يشغل ذهن الإنجيلي يوحنا هو الإعلان عن شخص السيد المسيح، حتى تؤمن به، فنتمتع بالحياة الأبدية نوراً لنا في هذا العالم، ومجداً في الحياة العتيدة، لذا قدم شهادات كثيرة. فتكرر فعل "يشهد" 33 مرة في هذا السفر، واسم "شهادة" 14 مرة. أما الشهادة فهي شهادة الأب له (5: 31)، وشهادته لنفسه (8: 14)، وشهادة الروح القدس (15: 26)، وشهادة أعمال المسيح له (5: 36)، وشهادة الآباء والأنبياء (5: 39)، وشهادة يوحنا المعمدان (1: 7)، وشهادة التلاميذ (15: 27)، وأيضاً شهدت له السامرية والسامريين (ص 4) والمولود العمي الذي أبصر (ص 9)، وبعد قيامته شهد توما له.

يقول العلامة أوريجينوس أن الصوت شهد للكلمة مقدماً ست شهادات:

- 1 . شهد عن عظمته إذ يأتي بعده مع أنه الأولي السابق له، وأنه واهب النعم والمخير عن الآب (يو 1: 15 - 18). وي أن هذه العبارات كلها هي شهادة القديس يوحنا السابق وليس كما يظن البعض أن جزءاً منها هو شهادة الإنجيلي يوحنا.
- 2 . شهادته أمام رسالية الكهنة واللاويين القادمين من أورشليم (يو 1: 19-27).
- 3 . للوثة الثالثة يشهد عن عظمة المسيح موضحاً أنه غير مستحق أن يحل سبور حذائه (يو 1: 26-27) وهو قائم في وسطهم ولم يعوفه.
- 4 . شهادته في اليوم التالي أنه حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يو 1: 29).
- 5 . شهادته له بعد أن رأى الروح نزلًا ومستقواً عليه (يو 1: 32-34).
- 6 . للوثة السادسة يشهد أمام اثنين من تلاميذه أنه حمل الله (يو 1: 35-36) [135].

❖ لعل قائل يقول: ما معنى هذا؟ هل يشهد العبد لسيدته؟!... أقول له ما قاله المسيح لليهود: "وأنا لا أقبل شهادة من إنسان" (يو 5: 34). وإن قلت: فإن كان المسيح لا يحتاج إلى هذه الشهادة فلم أرسل الله يوحنا؟! أقول لك: لم يرسل يوحنا لأن المسيح محتاج إلى شهادته، فهذا تجديف خطير. فلماذا إذن؟ ... يخبرنا يوحنا نفسه، إذ يقول: "لكي يؤمن الكل بواسطته" لا تظن أن السبب أن يوحنا المعمدان حمل الشهادة لكي يضيف شيئاً إلى الثقة في سيده. لا، وإنما لكي يؤمن أولئك الذين من ذات طبقته (البشر) [136].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لم يفترض الإنجيلي أنه ملتمز بتقديم شهادته وحده عن المخلص، بالرغم من أنها شهادة حقة، حتى لا يتعدى الناموس (الذين يطالب بشاهدين أو ثلاثة)... خصوصاً وهو يعلن عن أمور تعلق على الإلواك، بل يضم إليه يوحنا المعمدان.

❖ شاع كلام مستتر عند البعض بأن يوحنا المعمدان لم يكن إنساناً حقيقياً، بل أحد الملائكة القديسين في السماء، استخدم جسداً، وأرسله الله لكي يعظ

الناس. تعتمد هذه الخوافة على عدم إواك لما قاله الله: "ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهبي الطريق أمامك" (مت 10:11؛ ملا 3:1). وخطأ هؤلاء الذين ابتعنوا عن الحق هو عدم فهمهم لمعنى كلمة "ملاك". فمعناها خادم أو رسول، دون تحديد لحقيقة جوهر هذا الخادم.

القديس كيرلس الكبير

"لم يكن هو النور بل ليشهد للنور" [8].

- ❖ فضل المعمدان أن يعيش في البوابة بعيداً عن ترف المدن، وأعلن عن عزم ثابت في ممرسة الفضيلة، ولتقى إلى قمة البر الذي يمكن أن يصل إليه إنسان، مما جعل البعض يندهش من أسلوب حياته، بل أن البعض تخيلوا أنه هو المسيح... تخيل البعض أنه هو النور نفسه.
- ❖ قيل عن يوحنا المعمدان: "أقمته سواجاً لمسيحي" (35:5). مع أنه يُقال عن القديسين أنهم نور... لكننا لا نجهل النعمة التي نالوها من "النور". لأن النور في السواج، وليس من السواج، ولا نور القديسين هو من القديسين، بل باستئذلة الحق صاروا "نوراً في العالم، متمسكين بكلمة الحياة" (في 15:2-16).

القديس كيرلس الكبير

- ❖ لم يقل يوحنا البشير هذا بلا سبب، ولا كان قوله باطلاً، لكن إذ تحقق عندنا في أكثر الجهات أن الشاهد أعظم من المشهود له وأكثر منه ثقة، فلكي لا يظن أحد في يوحنا المعمدان هذا التوهم أبطل يوحنا البشير في الحال من بداية قوله هذا التوهم الخبيث واقتلعه من أصله، وأظهر من هو هذا الشاهد، ومن هو ذلك المشهود له، وما هو الفرق بين الشاهد وبين المشهود له [137].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ هكذا كان يوحنا نوراً، لكنه لم يكن النور الحقيقي، لأنه لو لم يستتر لكان فيه ظلمة، لكنه بالاستئذلة صار نوراً [138].

القديس أغسطينوس

"كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" [9].

كان هذا التعبير شائعاً بين معلمي اليهود، أن كل إنسان يُولد وي نور الذي كان محروماً منه حين كان في رحم أمه. هنا النور يعني الحياة الجديدة، فالطفل المولود أعمى ويُحسب بمولده أنه قدرأى النور، أي انطلق بميلاده إلى حياة جديدة عما كان عليه قبل مولده. هكذا أشرق السيد المسيح بنور حضوته على عالم جديد يتمتع به كل من يُولد روحياً.

وي القديس كيرلس الكبير أن الإيمان هو السواج، وكلمة الله المتجسد هو النور، إذ يقول: [كلمة الله هو موضوع إيماننا، وهو النور. فالسواج هو الإيمان، إذ كان هو النور الحقيقي الذي يضيء لكل إنسان آتياً إلى العالم (يو 1:9) [139].

"الحقيقي" تفيد أنه النور الوحيد القادر أن يكشف عن الحق الكلي، ويخبر عن أسرار الإلهيات، فهو نور كامل دائم لا ينقطع. هذا النور الحقيقي وحده قادر أن يدخل إلى معرفة الآب، الإله الحقيقي (يو 17:3). يقدم لنا نفسه الحق الإلهي الكامل، والخبز الحقيقي النزل من السماء، والكرمة الحقيقية حيث نتمتع بالاتحاد معه كأغصان فيه، وبه نصير ساجدين حقيقيين نسجد له بالروح والحق.

إنه النور "الذي ينير كل إنسان" [9]، إذ يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، هذا من جانبه، إذ لا يريد أن يحجز نفسه عن أحد، لكنه لا يؤم أحدًا بقبوله.

لم يقل "قد أثار" بل "ينير" إذ يفيد الفعل حالة استتوار دائم، يبقى باب محبته مفتوحاً على النوام، بل ويتول إلى كل أحد ليدعوه للتمتع بنوره. فمن حق كل إنسان أن يقبله ويتمتع به.

إنه النور الذي من يقبله يتمتع باستئذلة إلهية فائقة للعقل، من يرفضه يكون كمن تصيب الشمس عينيه الضعيفتين، فيصير أعمى. "أعمى عيونهم، وأغلظ قلوبهم" (يو 12:40)؛ وكما قال السيد: "لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون، ويعمي الذين يبصرون" (يو 9:

"آتيا إلى العالم " لا تعود على "كل إنسان" بل على "النور الحقيقي"، إذ جاء الكلمة النور الحقيقي بالتجسد إلى العالم. فالإنارة للبشرية لم تتحقق بإشواقه عليهم من بعيد كما تشرق الشمس على أرضنا، وإنما بحضوته إلى عالمنا وحلوله في وسطنا.

- ❖ أين هم القائلون إن المسيح ليس إلهاً حقيقياً؟ لأنه دُعي هنا "النور الحقيقي" والحق بذاته والحياة بذاته.
- ❖ إن كان ينير لكل إنسان آتٍ إلى العالم، كيف لا زال عدد كبير لم يستتر بعد؟ لأنه ليس الجميع قد عرفوا سلطان المسيح. كيف إذن يعطي نوراً لكل إنسان؟ إنه يعطي نوراً لكل قدر ما يتقبل الشخص النور فيه. أما الذين لا يرغبون فإنهم يغلقون عيون أذهانهم، ويفضون أشعة هذا النور، ظلمتهم ليست من طبيعة النور بل من شرمهم إذ تحولوا عن النور [140].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ سنصير كالنور باقترابنا إلى نور المسيح الحقيقي. إن تركنا جو الظلمة هذا الذي للأرض وسكننا في الأعالي، نصير نوراً كما يقول الرب (يو 9: 5؛ 9: 1). أشرق النور الحقيقي الذي يضيء في الظلمة وتول إلينا؛ إلا إذا انتشرت قذرة الخطية على قلوبنا فإنها تعتم بهاء نورنا [141].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

- ❖ من كان أصله العدم لا يملك أن يوجد، وإنما ينالون أشعة النور الحقيقي الذي يشع منهم عندما يشتركون في الطبيعة الإلهية (2 بط 4: 1). وعندما يتشبهون بالطبيعة الإلهية يدعون نوراً، وبصيرون نوراً.
- ❖ إذا كان الابن هو بهاء (إشعاع) مجد الله الآب لذلك فهو النور الحقيقي.
- ❖ إذا كان عقل الإنسان يُدعى سواجاً، وهو ما يشير إليه العزومور: "أنت تضيء سواجي"، فكيف يُقال عنا أننا نحن نور؟ لأن السواج يحصل على نوره من مصدرٍ آخر. أما إذا كان الابن الوحيد وحده هو الذي ينير الظلمة التي فينا، فهو النور الحقيقي، وأما نحن فلسنا النور الحقيقي نهائياً.
- ❖ إذا لم يكن الابن وحده بالحق هو النور، بل هذا يخص المخلوقات أيضاً، فماذا نقول عما كُتب عنا: "ولكنكم أنتم جنس مختار، كهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب مختار، لكي تختبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (1 بط 2: 9). فما هي الظلمة التي فينا؟ أو ما هي الظلمة التي كنا فيها، إن كنا نحن بالحقيقة النور؟
- ❖ كثراً ما أشار الكتاب المقدس إلى السيد المسيح بكونه النور الإلهي أو نور الآب (مز 6: 4؛ 11: 97؛ 15: 89؛ 4: 112؛ إش 4: 60؛ 1؛ 6: 42؛ 5: 2؛ يو 12: 35-36؛ 1 يو 2: 9-10).

القديس كيرلس الكبير

- ❖ لأن هذا النور الذي للشمس المنظورة ينير حتى لأتفه الحيوانات وأصغرها. إذن فالبرّ والحكمة هما النور الحقيقي الذي يتوقف العقل عن أن واهما عندما يسوده لتباك الغضب كما بسحابة. كما لو أن الشمس تزلت على غضب الإنسان. هكذا أيضاً في هذه السفينة حين يكون المسيح غائباً، يهتز كل واحد بعواصفه وشورره وشهوته الشريرة [142].
- ❖ أشرق الرب يسوع نفسه ببهاء كالشمس. صار ثوبه أبيض كالثلج، أشرق هو نفسه كالشمس، مشواً إلى أنه النور الذي يضيء كل إنسان آتٍ إلى العالم. ما هذه الشمس لعيني الجسد، هكذا هو بالنسبة لعيني القلب [143].

القديس أغسطينوس

- ❖ الصديق المضيء يكون في نهارٍ دائم طول حياته، نهار لا تقطعه ظلمة، وهو يسبح الله سبع ووات، لأنه صار مرتفعاً عن هذا العالم الذي خُلق في ستة أيام.

عندما أبلغ فرديوس الله، وأتأمل غاية الخلق وحكمة الله، اعترف أن أحكام الله عدل.

القديس ديديموس الضيرير

"كان في العالم،

وكون العالم به،

ولم يعرفه العالم" [10].

يا للعجب إنه خالق العالم بقدرته، وقد تول إليه ليحل في وسطنا، ويبعث بنوره إلينا وفينا، لكن العالم الشرير رفضه، مفضلاً جهالة الظلمة عن معرفة النور.

إن كان الإنسان قد صار ظلمة فهو بلا عذر، وظلمته ليست من صنع خالقه، إنما هي من فعل رادته الشرة الراضة للنور الحقيقي.

❖ يقول يوحنا عن المسيح: "كان في العالم، وكون العالم به". بهذا القول يصعد بك إلى فوق أيضاً، إلى ما قبل الدهور، وجود الوحيد، لأنه من يسمع أن به تكون هذا العالم كله فإنه حتى وإن كان فاقداً الحس جداً، ولو كان عنواً، ولو كان محارباً لمجد الله، فسيضطر أن يعترف به طائعاً. يقول: "ولم يعرفه العالم" إذ أنه يوجد من انحرّفوا عن تمييزهم، وقد صوعوا وجنوا جنوناً في أقصى غايته، ويوجد من عرفوه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "والعالم لم يعرفه"، ليس لأنه غير معروف، وإنما لأن العالم ضعيف. فالابن ينير، لكن الخليقة تبعثر النعمة. لقد أعطى الكلمة للخليقة النظر لكي تتركه كإله بالطبيعة، ولكن الخليقة بددت العطية، وجعلت الكائنات حاجزاً يمنعها عن التأمل في الله، فلم تفكر إلا في ذاتها، ودفنت عطية الاستئارة بالإهمال.

❖ العالم في الحقيقة مُتهم بعدم الشكر وعدم إبراك خالقه... هذه الحقيقة يعبر عنها النبي، إذ يتروم بخصوص بني إسرائيل: "ونظرت لكي يثمر عنياً، LXX ولكنه أثمر عنبارديئاً وشوكاً" (إش 4:5).

القديس كيرلس الكبير

❖ ليس العالم الذي خلقه هو الذي لم يعرفه.

ما هو العالم الذي خلقه؟ السماء والأرض.

كيف لم تعرفه السماء هذه التي عند آلامه أظلمت الشمس؟

كيف لم تعرفه الأرض التي تشققت عندما عُلق على الصليب؟

"العالم لم يعرفه"، هذا الذي قيل عن رئيسه: "هوذا رئيس هذا العالم أت، ولا يجد له في شيء" (يو ١٤ : ٣٠). يُدعى الأشرار "العالم"؛ يُدعى غير المؤمنين "العالم". أخنوا هذا الاسم من ذلك الذي يحبونه.

حبب الله نصير آلهة، وحبب العالم نصير "العالم". لكن "الله في المسيح مصالِحاً العالم لنفسه" (٢ كو ٥ : ١٩).

❖ قدمت كل الأشياء من كل الجوانب شهادة له، ولكن من الذين لم يعرفوه؟ أولئك الذين بسبب محبتهم للعالم دُعوا "العالم" [144].

❖ خلق العالم به، السماء والأرض وكل ما فيهما. "العالم لم يعرفه"، محبو العالم، ومحتقرو الله، هذا هو العالم الذي لم يعرفه. فالعالم شوير، لأن الذين يفضلون العالم عن الله هم أشرار [145].

❖ "والعالم لم يعرفه"، ليس العالم الذي قيل عنه: "الله في المسيح مصالِحاً العالم فيه" (٢ كو ٥ : ١٩).

يوجد عالم شوير، ويوجد عالم صالح. العالم الشوير هم الأشرار الذين في هذا العالم. والعالم الصالح هم كل الصالحين في العالم. هذا ما

نلاحظه كثراً في الحقل. فنقول: هذا الحقل مملوء بالحنطة، كما نقول أيضاً، ونقول بالحق: هذا الحقل مملوء قشاً. وأيضاً نقول بالنسبة لشجرة ما أنها

مملوءة ثوراً، ويقول آخر عنها إنها مملوءة أوراقاً. وكل من القائل بأنها مملوءة ثوراً والقائل مملوءة أوراقاً صادقان. فليس امتلاؤها بالأوراق يزوع امتلاءها بالثمار. ولا امتلاؤها بالثمار يزوع كثرة أوراقها. [146]

❖ العالم شيرير لأن سكانه أشوار، كما أن البيت شيرير ليس بسبب الحوائط وإنما بسبب سكانه. [147]

القديس أغسطينوس

"إلى خاصته جاء،

وخاصته لم تقبله" [11].

خلق الله الإنسان لا لخدمه، فهو ليس بمحتاج إلى خدمة بشوية، لكنه في حبه الفريد للإنسان يريد أن يجعل منه خاصته وأهل بيته. فقد "سار أخوخ مع الله ولم يوجد، لأن الله أخذته" (تك 5: 24). بينما لا نعلم كيف أخذه، ولا إلى أين ذهب به، لكنه اختطفه ليكون معه على النوام كأحد أفراد العائلة الإلهية.

يبرز الله حبه الفائق لمؤمنيه، فينسب نفسه إليهم قائلاً: "أنا إله إبراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب". ويكشف موسى النبي عن هذه العلاقة على مستوى الجماعة حيث يحسب الله شعبه نصيبه الشخصي: "إن قسم الرب هو شعبه، يعقوب جبل نصيبه" (تث 32) "إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" (تث 7: 6)، وكثيراً ما أعلن الأنبياء إن الله اقتنى شعبه لنفسه خاصة.

وقد جاء الكلمة المتجسد وسط هذه الخاصة، لكن خاصته لم تقبله. كان الرفض جماعياً من رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين ورؤساء الشعب بل واشتراك معهم أحد التلاميذ. وتحقق القول: "يغضونني بلا سبب" (مز 39: 19؛ 69: 4). لقد صرخوا: "دمه علينا وعلي ولادنا" (مت 27: 25).

❖ سمع الرب صلوات الأنبياء واهتم الآب ألا يهلك جنسنا، فأرسل ابنه من السماء كشاف. يقول أحد الأنبياء: "يأتي بغيرة السيد الذي تطلبونه" (ملا 1: 3) إلى أين؟ "إلى هيكله!" يقول نبي آخر عند سماعه هذا: "على جبل عالٍ اصعدي يا مبشوة صهيون... قل لي لمدن يهوذا". ماذا أقول؟ "هوذا إلهك. هوذا السيد الرب بقوة يأتي" (إش 9: 40، 10). والرب نفسه يقول: "ها أنا ذا أت وأسكن في وسطكم" (زك 2: 10). لكن الإسرائيليين رفضوا الخلاص، لهذا "جئت لأجمع كل الأمم والسننة" (إش 18: 66). إذ "جاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله". إنك تجيء، فماذا تهب الأمم؟ "جئت لأجمع كل الأمم والسننة، وأجعل فيهم آية" (إش 19: 66). لأنه متى علقت على الصليب أعطي جميع جنودي ختمًا على جباههم [148].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ تأمل قول يوحنا: "إلى خاصته جاء"، ليس لأجل حاجة المسيح، لأنه مستحيل أن تكون الذات الإلهية محتاجة، لكنه جاء من أجل الإحسان إلى خاصته.

وقد جعل يوحنا ملامة هؤلاء اليهود أشد لذعاً عندما قال: "وخاصته لم تقبله"، ومع أن المسيح هو الذي جاء إليهم لمنفعتهم إلا أنهم رفضوه، ولم يفعلوا به هذا الفعل فقط، لكنهم أخرجوه إلى خارج كرمه وقتلوه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله،

أي المؤمنون باسمه" [12].

إن كان قد جاء إلى خاصته، لكن خاصته لم تقبله، فإنه في وسط هذه الخاصة وجدت قلة قليلة أمينة قبلته. هذه القلة طردت من المجمع، وحرمت من العبادة في الهيكل، ونظر إليهم كوثنيين، ليسوا من تلاميذ موسى، ولا هم أبناء لإبراهيم الخ. لم يترك اليهود أن هذه القلة هي خموة مقدسة لكنيسة الأبرار في السماء، موضع سرور موسى وتهليل إبراهيم ويعقوب؛ يخدمون الهيكل الجديد، ويتمتعون بمجمع القديسين والسمائيين.

إن كان الرب قد دعي شعبه في القديم "إسرائيل ابني البكر" (خر 4: 22)، فإن هذه الخموة قد احتلت هذا المركز بصورة فائقة خلال البوثة لله،

حيث يصيرون "شوكاء الطبيعة الإلهية" (2 بط 1: 4).

[149]

❖ لقد تبنى العبيد وجعلهم اخوة؛ فدى المسبيين وجعلهم شركاء في المراث

❖ إن كانوا أبناء الله، إن كانوا قد خلصوا بنعمة المخلص، إن كانوا قد أشتروا بدمه الثمين، إن كانوا قد وُلوا من الماء والروح، إن كانوا قد عُيوا

[150]

لمراث السماء، فهم بالحق أولاد الله

❖ "ورثة الله وورثون مع المسيح". إنه لا يخشى أن يكون معه شركاء في المراث، لأن موآته لا ينقص إن ناله كثيرون. بل يصير الورثون أنفسهم

موآثاً له، ويصير هو بدوره موآتهم . اسمع بأية وسيلة صرأوا موآته: "الرب قال له: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم موآثاً لك"

(مز 2: 7، 8). اسمع بأية وسيلة يصير هو موآتهم، يقول في الزامير: "الرب نصيب موآتي، وكأسي" (مز 15: 5). لنقتنيه وليقتنينا. ليقتنينا بكونه

الرب، ولنقتنيه بكونه الخلاص والنور. ماذا يعطي للذين يقبلونه؟ " أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، الذين يؤمنون باسمه " كي يلتصقوا بالخشب

[151]

ويعبروا البحر

❖ لا تتعجب يا إنسان أنك تصير ابناً بالنعمة، أن تولد من الله حسب كلمته. فالكلمة نفسه اختار أولاً أن يولد من إنسان لكي تولد أنت من الله حسب

الخلاص، فنقول لنفسك: "ليس بدون سبب أراد الله أن يولد من إنسان، لكن لأنه حسبني ذا أهمية ولكي يجعلني خالداً، من أجلي ولد كإنسان قابل

[152]

للموت

القديس أغسطينوس

❖ وأيضاً كما أن المسيح ابن حقيقي فإننا نصير أبناء عندما نقبل الروح القدس. يقول الكتاب: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح

التبني" (رو 8: 15)، وإن كنا بالروح القدس قد صرنا أبناء، فواضح أننا في المسيح دعينا أولاد الله. " وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا

أولاد الله" (يو 12: 1).

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ لكن التبني في قوتنا أي "بلادتنا"، إذ يقول يوحنا إن كثيرين "قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه". أي لم يكونوا

[153]

قبل الإيمان أولاد الله إنما باختيلهم إلى إيمان تأهلوا لذلك

❖ إنه ليس مثلكم أنتم الذين تستتبرون فتصيرون أبناء الله... إذ أنتم أبناء بالتبني كما هو مكتوب: "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا

أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله". حقاً إننا نولد من الماء والروح، لكن

المسيح لم يولد من الأب هكذا. إذ في وقت عماد خاطبه قائلاً: "هذا هو ابني" (مت 17: 3). لم يقل "صار ابني" بل "هذا هو ابني" معلناً أنه "ابن"

[154]

حتى قبل العماد

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ إن سألت: وما الذي ناله أولئك الذين قبلوا المسيح؟ أجبتك: هو قول يوحنا البشير: " وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله".

ويصف البشير تلك العطايا الصالحة للذين قبلوا المسيح وبيئها بألفاظ قليلة بقوله: " وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله". إن

كانوا عبيداً أو أحراراً أو وثنيين أو حكماء أو غير حكماء، أو نساءً أو صبياناً، أو شيوخاً، أو أغنياء، أو فقراء أو رؤساء أو عامة، فكلهم قد تأهلوا

لكرامة بعينها، فما الذي يكون معادلاً لهذا التعطف على الناس؟

ومع ذلك فإن النعمة لا ينالها الكل، إنما الذين يريدونها، والمجتهدون في امتلاكها، لأن ذلك في سلطان أولئك وُضع لهم أن يصيروا أولاداً، فإن

لم يريدوا فلا تتبعهم النعمة ولا تعمل عملاً يخصها، لأن إعطاء النعمة هو من قبل الله، أما قبول الإيمان فهو للإنسان.

❖ لماذا لم يقل: "جعلهم أبناء الله" بل قال: " أعظاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله "؟ ليظهر أننا محتاجون إلى غوة عظيمة كي نحفظ صورة البوة التي انطبعت علينا في العمداء، وذلك بأن لا يوجد فينا دنس أو وسخ. وفي نفس الوقت يظهر أنه لا يستطيع أحد أن يأخذ هذا السلطان منا ما لم نحن أولاً... نحرم أنفسنا منه لأنه من وهبنا هذه الكرامة في أيدينا أعظم وأفضل من الكل. وفي نفس الوقت يريد أن يظهر أن النعمة لا تحل على الإنسان بغير رادته، بل تحل على الذين يرغبون فيها، ويتعبون من أجلها. فإنه في سلطان هؤلاء أن يصيروا أبناءه، حيث أنهم ما لم يختاروا هم ذلك لن تحل النعمة عليهم، ولا يكون لها فاعليتها فيهم [155].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"الذين ولوا ليس من دماء،

ولا من مشيئة جسد،

ولا من مشيئة رجل،

بل من الله" [13].

كان اليهود يطلبون من الأممي لكي يصير دخليلاً أن يملس ثلاثة أمور: الختان والعماد وتقديم ذبيحة، بهذا يُحسب أنه وُلد من جديد حيث يصير من شعب الله، له حق التمتع بالعهد الإلهي. أما اليهود في مصر فقد أهملوا الختان، ولم يكن ممكناً لهم الخلاص من عبودية فوعن والتمتع بالميلاد الجديد ما لم يختنقوا ويقدموا دم الفصح، وكأنه يؤم أن يختلط دمهم بدم الحمل ليتقدسوا ويخلصوا ويصيروا مولودين حديثاً. أما وقد جاء ابن الله الوحيد فقدم البوة لله خلال الميلاد الروحي بالماء والروح.

كشفت الإنجيلي يوحنا عن عمل الكلمة في حياة الناس، فقدمه الخالق الذي به كان كل شيء، ثم أوضح أنه هو "الحياة" واهبة الحياة. هذه الحياة الحقيقية تشوق على الإنسان ليمتتع بالنور الصادر من النور الحقيقي. خلال هذه الاستنارة يتمتع الإنسان بإعلان الله ذاته له فيؤمن، هذا الإيمان وافقه الميلاد الجديد الروحي من الماء والروح. بهذا الميلاد الجديد الذي من الله الروح نصير باكرة الخليقة الجديدة، وخموة حية تخمر عجيب الأمم. "شاء فولدنا بكلمة الحق، لكي نكون باكرة من خلائقه" (يع 1: 18).

إنه ميلاد جديد في نوعه، فهو ليس ثروة عناصر طبيعية، لأنه ليس من دم. ولا من نتاج غوايز جسدية، لأنه ليس من مشيئة جسد، ولا يتحقق بخطة بشوية، لأنه ليس من مشيئة رجل، إنما هو ميلاد علوي سمولي من الله. إنه ميلاد من الله، ليس للمصدر الطبيعي "الدم" موضع فيه، متحرر من الغوايز الطبيعية ومن القوايز البشوية ومن التخطيط البشوي.

جاءت الصيغة في النص اليوناني لكلمة "دماء" بالجمع وليس بالمفرد، لأنه يقصد دماء الآب والأم، وليس يعني "الدم" اليهودي. إذ كان اليهود يفتخرون أنهم من نسل الآباء البطركة إواهم واسحق ويعقوب، دم الجنس المختار.

هذا الميلاد الجديد هو موضع اعتراف الإنجيلي يوحنا: "انظروا أية محبة أعطانا الله حتى ندعى أولاد الله!" (1 يو 3: 1). "إن علمتم أنه بار هو، فاعلموا أن كل من يصنع البرّ مولود منه" (1 يو 2: 29). "تعلم أن كل من ولد من الله لا يخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشيرير لا يمسه" (1 يو 5: 8).

❖ لقد ولوا من آدم بالضرورة (وليس لهم اختيار في ذلك)... ويولوا بالمسيح بإرادتهم وبالنعمة.

لا يُؤم البشر أن يولوا بالمسيح.

إنهم لم يولوا من آدم لأنهم رغوا في ذلك. على أي الأحوال كل الذين ولوا من آدم هم خطاة بالخطية، وكل الذين ولوا بالمسيح يتبررون

ليس بنواتهم بل فيه...

كان الموت عقوبة الخطايا، وفي الرب كانت هبة الرحمة، وليس عقوبة خطية...

لم تكن فيه أية علة لكي يؤم أن يموت، ومع ذلك مات، أما أنت فلديك علة فهل ترفض الموت؟...

أنت مت في آدم، قم في المسيح، فالاثنتان واجبا الأداء لك.

الآن أنت تؤمن بالمسيح، لا تتردد إلى ما هو واجب خلال آدم.

قيود الخطية لن تلحق بك أبدياً، لأن موت ربك المؤقت ذبح موتك الأبدي. نفس الأمر بالنسبة للنعمة أيها الاخوة، وبالنسبة للحق إذ وعد بهما

وأعلنا عنهما [156].

❖ إذ ينالوا سلطاناً أن يصيروا أبناء الله يولدون من الله. لاحظوا إنهم يولدون من الله "وليس من دماء" مثل ميلادهم الأول، مثل ذلك المولد البائس

يصدر عن اليؤس. أما الذين يولدون من الله ماذا كانوا قبلاً؟ مما قد وُلوا ولأ؟ من دماء، من ارتباط دم الذكر والأنثى، من الاتحاد الجسدي للذكر

والأنثى؛ من هذا ولوا.

مما يولدون الآن؟ من الله.

[157] الميلاد الأول من الذكر والأنثى، والثاني من الله والكنيسة.

❖ لقد وُلوا، لكنهم وُلوا من الله. رحم أمهم هو مياه المعمودية [158].

❖ لا تظنوا أنه أمر عظيم جداً أن تصيروا أبناء الله، فإنه من أجلكم صار هو ابن الإنسان ذلك الذي هو ابن الله. إن كان قد صار أقل، ذلك الذي كان

أكثر، أفلا يستطيع أن يجعل من هذا الأقل الذي هو نحن أن نصير أرواً أعظم؟

قول إلينا، أفما نصحعد إليه؟

من أجلنا قبل موتنا، أفما يعطينا حياته؟

[159] من أجلكم احتمل شروركم، أفما يعطيكم أمره الصالحة؟

القديس أغسطينوس

❖ يفعل ذلك حتى إذا تأملنا مكانة ولادتنا الأولى، ومذلتها الكائنة بالدماء وبمشيئة الجسد، وعرنا علو مكانة ولادتنا الثانية بالمعمودية وشرف حسبها

الكائنة بالنعمة، سنظهر حينئذ حرصنا العظيم، ونتأهل لعطية من ولدنا، ونظهر في المستقبل غوة عظيمة، فإنه ربنا لا يكون بسيطاً أن نندس ذلك

الثوب الجميل بإهمالنا بعد ذلك ومعاصينا، فنطرح خراج حجال العرس الداخلي مثل العذرى الجاهلات، أو مثل ذلك الذي لم يترد ثوب العرس (مت

[160] (22: 25).

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. الكلمة صار جسداً

سرّ الدهور كلها أن الكلمة الإلهي الألي صار جسداً، إذ اتحد اللاهوت بالاناسوت، وصار واحداً منا. من رآه وتلامس معه رأى مجد الابن

الوحيد لأبيه كما شهد القديس يوحنا المعمدان بذلك [15]، وتمتع بالنعمة والحق [17].

وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً، وَحَلَّ بَيْنَنَا،

وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجَداً كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ،

مَمْلُوءِ نِعْمَةٍ وَحَقًّا" [14].

يا له من تقديم رائع لأقنوم الكلمة بكونه مع الآب كائن معه من الأزل، وواحد معه في الجوهر، الخالق لكل ما في السماء وعلي الأرض، واهب

الحياة، والنور الحقيقي المشوق على الجالسين في الظلمة، يرفعهم فيه لينالوا نعمة التبني لله الآب. الآن لآخر مرة يذكر الإنجيلي اسم "الكلمة" إذ صار

جسدًا، فدخل إلى عالم البشر، لا خلال رؤية أو حلم أو كضيف غريب، وإنما كإنسانٍ حقيقيٍّ كاملٍ يعيش وسط اخوته الأصغار. تجسد ليخفي عظمة بهاء لاهوته التي لا تقدر عين بشوية أن تحدد فيه، لكنه خلال هذا السرِّ يفتح باب المعرفة والرؤية ليتمتع المؤمن بالبوة لله والتعرف على الأسوار الإلهية. إنه لا يريدنا أن نفق عند حجاب الجسد ونتجاهل حقيقته، لذا يقول: "طوبي لمن لا يعثر في" (مت 11: 6).

يشبه القديس يوحنا الذهبي الفم البشوية الساقطة باهراةزانية، وقد تول العريس السموي مختفياً في الجسد لكي لا تخافه فتهرب منه، بل تلتقي معه وتتمتع بالمصالحة مع الآب، وتقبل الاتحاد مع عريستها السموي إذ تتعرف على أسوره، وتنتقل معه إلى سمواته.

صار الكلمة إنسانًا ليضم البشر فيه فيتمتعوا بالإعلان الإلهي والمعرفة الإلهية عن اتحاد وقرب واختبار.

من أجلنا أخلى نفسه عن مجده الإلهي المنظور، وكما يقول الرسول بولس: "الذي كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه، أخذًا صورة عبد، صائرًا في شبه الناس" (في 2: 6-7). .. هذا الإخلاء لم يسبب تغييرًا في خصائص لاهوته، لأن لاهوته المتحد بناسوته لم يموج معه، إنما بتأنسه صار الكلمة إنسانًا كاملاً حقيقياً وهو العلي الإله السموي. بهذا فتح لنا بابًا إلى الأقداس السماوية. "فإذ لنا أيها الاخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طويلاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب، أي جسده" (عب 10: 19-20).

" ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب مملوء نعمة وحقًا".

في العبارات السابقة حلق بنا الإنجيلي يوحنا في جو الإلهيات حيث نشعر بالعجز الكامل عن إرواك أسوار الكلمة الإلهي. لكنه لم يتركنا في عجز لثلاث نياس، إذ عاد فأعلن أن هذا الكلمة صار جسدًا، صار قريبًا إلينا جدًا، في تناول يدنا، زاه ونلمسه ونسمعه ونعيش معه، نشركه حياته. نتطلع إلى ابن الإنسان فزاه وهو الكلمة الإلهي حمل الصليب فدان الخطية بالجسد، إذ قدمه ذبيحة خطية من أجل خلاص العالم ومجده. زاه على الصليب في ساعة مجده الخفي، حيث حملنا بصليبه إلى حضن أبيه أبناء مقدسين وممجدين، شوكاء في الطبيعة الإلهية.

هذا الجسد العجيب المصلوب القائم من الأموات هو سرّ ثبوتنا فيه ومجدنا وحياتنا أبدياً، يقدمه لنا على النوام خلال سرّ الافخرستيا، خلاصًا من خطايانا وحياة أبدية لمن يتناول منه.

❖ لنصغ أيها المستمعون إلى الأناجيل المقدسة، إلى يوحنا اللاهوتي، إذ يقول: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله". ويكمل قائلاً: "والكلمة صار جسدًا". لأنه ليس حسناً أن نتعبد لإنسانٍ عادي، ولا أن نقول إن المسيح إله فقط ناكورين ناسوته. لأنه إن كان المسيح هو الله فهذا حق، لكن إن قلنا إنه لم يأخذ الطبيعة البشوية يصير الخلاص غريباً عنا.

إذن لنتعبد له بكونه إله مؤمنين بتأ نسه، لأنه لا نفع من القول عنه أ نه إنسان وليس الله، أو أي خلاص لنا إن رفضنا الاعتراف ببشويته مع

أوهيته؟

لنعترف بحضوره إذ هو ملك وطبيب. لأن يسوع الملك إذ صار طبيبياً اترر بكتان ناسوتنا، وشفي ما كان مريضاً.

[161]

المعلم الكامل للرُّضع صار رضيعاً بينهم (رو 2: 20) لكي يعطي حكمة للجهلاء. خبز السماء تول إلى الأرض لكي يطعم الجياع!

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ إذ أعلن أن الذين يقبلونه يولدون من الله ويصيرون أولاد الله، أضاف العلة والسبب لهذه الكرامة التي لا ينطق بها. ألاهوي: "الكلمة صار جسدًا" [14] ، فقد أخذ السيد صورة عبد.

لقد صار ابن الإنسان الذي هو ابن الله، لكي يجعل أبناء البشر أبناء الله.

فانه إذ يجتمع العالي بالأسفل لا تُهان كرامته، بل يرفع المنحط من انحطاطه الدنيء؛ هذا ما حدث مع الرب.

ليس من شيءٍ قد قلل من طبيعته بنتزله، بل رفعنا نحن الذين كنا على النوام جالسين في القوي والظلمة، إلى مجد لا ينطق به.

[162]

هكذا إن تحدثت ملك باهتمام وحنوٍ مع إنسان فقيرٍ وضيعٍ، فإن هذا لا يمثل عزاً على الملك، بل يتطلع الكل إلى الآخر باهتمام وتقدير.

❖ وإذا سمعت أن "الكلمة صار جسداً" لا تضطرب ولا تسقط، لأن المسيح لم ينتقل من جوهه إلى الجسد، لأن هذه الأفكار فيها كفر وإلحاد، لكن جوهه بقي على ما هو، فاتخذ على هذه الجهة صورة عبد.

وإن سألت: ولم استعمل البشير كلمة "صار"؟ أجبتك استعملها لكي يسد بها أفواه أصحاب البدع، لأنه إذ يوجد أناس يقولون إن أعمال تدبير ربنا كلها إنما كانت خيالاً وتوهماً، لذلك وضع البشير قوله "والكلمة صار جسداً"، وبهذا أبطل من بداية كلامه تجديفهم، وبيّن أنه اتخذ جسداً حقيقياً...

القديس يوحنا الذهبي الفم

"حلّ" أو "سكن" *skeenoso* باليونانية، وهي تعني إقامة مسكن مؤقت أو خيمة للإيواء. هذا المعنى يناسب ناسوت السيد المسيح، الذي رُمز له بخيمة الاجتماع أو المسكن في العهد القديم. وهو مسكن قابل للموت، لكنه نون أن يفصل عن لاهوته. كما يُستخدم هذا التعبير في اليونانية عن إقامة مبنى يستخدم في المناسبات والأعياد. فتجسد السيد المسيح حول حياتنا إلى عيد لا ينقطع.

إذ ارتبط قلب الإنسان بالأرض فظن أن سكناه عليها أديماً، ولم يعد قاوراً على الانطلاق بقلبه وفكوه وأحاسيسه خُرج حدود الأرض والزمن، أعلن الرب منذ القديم اشتياقه للسكنى في وسطهم، حتى ينوقوا خالق الأرض والسماء، فيشتهون الانطلاق إليه والسكنى معه. ففي أيام موسى "غطت السحابة خيمة الاجتماع، وملاً بهاء الرب المسكن، فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع" (خر 40: 34-35). وفي عصر الأنبياء يعلن الرب: "ترنمي وافرحي يا بنت صهيون، لأنني هانذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب" (زك 2: 10). وفي لُص السبي حيث فقد الشعب لُص الموعد مسكناً لهم وعدهم الله، لا أن يودهم فحسب ليسكنوا في كنعان، بل يجعل فيهم مسكناً مقدساً له، أفضل من الأرض: "ويكون مسكني فوقهم، وأكون لهم إلهًا، ويكونون لي شعباً" (حز 37: 27).

يصيرون أشبه بتابوت العهد حيث كان الله يعلن عن حضوره على غطائه بين الشاروبين. أما وقد تجسد الكلمة فصار كمن سكن البشرية باتحاد الكلمة بالناسوت، إذ صلت هيكله الجديد، وحل بيننا لوى مجده، وننعم بالشركة معه. وهكذا فتح لنا تجسده بنوعاً من النعم لا ينقطع.

❖ "حل بيننا" حتى نتمكن أن ندنو منه وأن نخاطبه ونتصوف معه بمجاهرة كثوة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إذ حلّ الكلمة بإخلائه وتجسده بيننا إنما لنختبر قبساً من مجده، فنشتهي التمتع بروية المجد الإلهي. هذا ما اختوره المعدادان في لحظات عماد السيد المسيح، فانفتحت عيناه على معرفته له بصورة أروع.

وهذا ما اختوره بطرس ويعقوب ويوحنا على جبل طابور حين تجلى السيد المسيح أمامهم. وقد سجل لنا بطرس الرسول تلك الخوة: "لأننا لم نتبع خرافات مصنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاً معاً، لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجدًا، إذ أُقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء، إذ كنا معه في الجبل المقدس" (2 بط 1: 16-18).

بالصليب والقيامة أعلن مجد حب الرب الفائق للبشرية وشوقه لإقامة الكل من الأموات. وقد عبر سفر إشعياء عن ذلك في حديثه عن العصر المسياني: "يصير الموج مستقيماً، والواقيب سهلاً، فيعلن مجد الرب، ويواه كل بشر معاً، لأن فم الرب تكلم" (إش 40: 4-5).

أعلن هذا المجد الإلهي الذي لابن الله الوحيد، إذ بالتجسد الإلهي تعرفنا على حب الآب الوحيد لابنه كمصدر لتمتعنا نحن بالحب الإلهي. إذ "بهذا ظهرت محبة الله فينا أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به" (1 يو 4: 9).

أعلن مجده إذ قدم لنا ابنه الوحيد مصدر النعم والبركات، لكنها تقدم بروح الحق. يغفر خطايانا، لكنه هو يدفع الثمن. يفتح باب السماء، وهو الذي يقدرنا بروحه القدس لندخل المقادس الإلهية السماوية، بهذا يربط النعمة بالحق.

❖ ما هذا؟ "رأينا مجده مجداً كما لوحد من الآب". ما كان يمكننا أن نراه (المجد) ما لم يُظهر لنا خلال جسد يخفيه ويعيش بيننا...

ولكن ماذا يعني "مجدًا كما لوحيده من الآب"؟ حيث أن كثير من الأنبياء أيضًا قد تمجّوا، مثل موسى وإيليا وإليشع. فإليشع أحاطت به مركبة نارية (2 مل 6: 17)، وإيليا صعد عليها، وبعدهما دانيال والثلاثة فتية وآخرون كثيرون أظهروا عجائب ومُجّوا، وظهرت ملائكة للبشر... بل ظهر لهم حتى الشلروبيم والسرافيم.

يقودنا الإنجيل بعيداً عن كل هذه، وعن الخليفة، وبهاء العبيد زملائنا ويضعنا أمام نروة الأمور الصالحة... السيد نفسه، الملك ذاته، الابن الوحيد الأصيل، رب الكل نفسه، رأينا مجده.

تعبير "كما" لا يعني هنا المشابهة أو المقارنة وإنما لفظة تحقيق وتحديد خالٍ من الشك، كأنه قال: "رأينا مجده مجدًا كما وجب أن يمتلكه ابن وحيد خالص لإله الخليفة كلها وملكها"¹.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ LXX كل جسدٍ هو عشب، وكل مجدٍ كره العشب. العشب يجف والزهر يسقط... "أما كلمة الله فتبقى إلى الأبد" (إش ٤٠: ٦، ٧؛ ١ بط ١: ٢٤، ٢٥).

لكن لكي يعيننا "الكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا" (يو ١: ١٤).

ماذا يعني "الكلمة صار جسدًا"؟ الذهب صار عشبًا. صار عشبًا لكي يحترق. احترق العشب لكن بقي الذهب. في العشب لم يحترق (الذهب)، بل غير العشب. كيف غره؟ أقامه وأحياه ورفعته إلى السماء، وأقامه عن يمين الآب.

❖ حتى في كونه قد صار ابن الإنسان يختلف عنا كثيرًا. نحن أبناء البشر بشهوة الجسد، هو ابن الإنسان بإيمان بتول. والدة أي إنسان آخر مهما يكن تحبل باتحاد جسدي؛ وكل أحد يُولد من والدين بشريين: من أبيه وأمه. أما المسيح فولد من الروح القدس والعذراء مريم.

جاء إلينا، لكنه لم يفرق ذاته (لاهوته)، نعم من ذاته بكونه الله لن يفرق ذاته، بل أخذ ما هو لطبيعتنا.

جاء إلى ما لم يكن هو عليه، ولم يفقد ما كان عليه.

صار ابن الإنسان، ولم يكف عن أن يبقى ابن الله...

لم يأت إلينا كمن يتوك الآب. ومن عندنا ذهب لكنه لم يتوكلنا. وإلينا سيأتي مرة أخرى، لكنه لا يتوك الآب.

❖ لكي نفتني (رؤيته) إن كنا لا نقدر بعد أن نرى الله الكلمة، لنسمع "الكلمة صار جسدًا"، ناظرين أننا نحن جسديون، فلنسمع الكلمة المتجسد. فإنه لهذا السبب جاء، ولهذا السبب حمل ضعفنا حتى يمكن أن نقبل كلمات الله القوية الحامل ضعفنا.

بحق قد دُعي "اللبن"، إذ يهب لبنًا للوضع حتى يقدم وجبة الحكمة (اللحم) للناضجين.

لوضع الآن في صبرٍ حتى تُعش رغبة قلبك المملوءة غرة...

إذ أن الوضع ليس لهم قوة كافية ليأكلوا لحمًا موضوعًا على المائدة، ماذا تفعل الأم؟ إنها تحول اللحم *Incarnat* إلى مادة جسمها وتجعل منه لبنًا. إنها تجعل منه ما نستطيع أن نأخذه.

هكذا الكلمة صار جسدًا حتى يمكننا نحن الصغار، الذين بالحق كالوضع بالنسبة للطعام، فننتعش باللبن.

لكن يوجد هنا اختلاف بأن تجعل الأم الطعام يتحول من لحم إلى لبن، والطعام إلى لبن، أما الكلمة الذي سكن بنفسه آخذًا الجسد دون أن يتغير

[165]

حتى يبدو كنسيح من الاثنين.

❖ ولأ لتروكوا تنزل الله. لتتنزلوا فتكونوا مواضعين لأجل أنفسكم، متطلعين إلى الله الذي تنزل مواضعًا لأجلكم أيضًا وليس لأجل نفسه...

اعتزوا بضعفكم؛ ولتوقفوا أمام الطبيب في صبرٍ .

عندما تتركوا تتزله وتوقفوا معه، ليس بأن يرفع نفسه بكونه الكلمة، بل بالأحرى يُترك منكم أكثر فأكثر...

هو لا يزيد، لكنكم أنتم تتقدمون، فيكون كمن ارتفع معكم...

تطلعوا إلى الشجرة فإنها ولا ضربت جنورها إلى أسفل حتى تنمو إلى فوق. تثبت جنورها السفلي في الأرض لكي ما تمتد بقمتها إلى السماء.

هل تبذل جهداً للنمو إلا من خلال التواضع؟ إذن "ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة... لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله"

[166] (أف 3: 17 - 19)

❖ لتؤمن أن في هذا الناسوت أخذ ابن الله طبيعتنا كاملة، أي النفس العاقلة والجسد القابل للموت، بدون خطية. لقد شركنا ضعفنا، لكنه لم يشركنا

شونا، حتى بالضعف المشترك معنا يحل رباطات شونا ويحضرنا إلى وهّ، شرباً الموت من كأسنا، ساكباً الحياة من الذي له [167].

❖ كان قبل وجود جسده، لقد خلق أمه واختلها هذه التي منها يُجعل به، خلق هذه التي منها يُخلق (حسب الجسد). فلماذا نتعجبون؟ فإني أتحدث إليكم

عن الله: "وكان الكلمة الله".

إني أتحدث عن الكلمة، الذي هو ربنا، يحمل شيئاً ما من التشابه مع كلمة البشر، وإن كانت غير متساوية إلى أبعد الحدود، وليس من وجه

للمقلنة. ولكن يوجد شيء ينقل إليكم تلميحاً عن شيء من التشابه. نعم فإن الكلمة التي أنطق بها إليكم كانت في قلبي. لقد جاءت إليكم لكنها لم تفرقني.

إنها تبدأ أن تكون فيكم وهي لم تكن فيكم. إنها مستورة معي عندما خرجت إليكم.

إذن كما أن كلمتي قد جُلبت إلى أجسامكم ولم تفرق قلبي، هكذا الكلمة جاء إلى حواسنا ومع ذلك لم يفرق الآب.

كانت الكلمة معي وجاءت في صوت. كانت كلمة الله مع الآب وجاءت في جسد. لكن هل أستطيع أن أفعل بصوتي ما يستطيع (الله) أن يفعله

بجسده؟ فإني لست سيّداً على صوتي عندما يطير. أما هو فليس فقط سيّداً لجسده ليولد ويعيش ويعمل، بل أيضاً إذ مات أقامه ومجده لدى الآب فهو

المركبة الحاملة له والتي بها جاء إلينا [168].

القديس أغسطينوس

❖ الكلمة صار جسداً لكي نعبر نحن من الجسد إلى الكلمة. لم يتوقف الكلمة عن أن يبقى على ما كان عليه (الكلمة)، كما لم تُفقد الطبيعة البشرية التي

صلت بالميلاد [169].

القديس جيروم

"يوحنا شهد له ونادى قائلاً:

هذا هو الذي قلت عنه أن الذي يأتي بعدي صار قدامي،

لأنه كان قبلي" [15].

إذ بدأ الإنجيلي يوحنا في الكشف عن عمل كلمة الله المتجسد، قدم شهادة القديس يوحنا المعمدان، الذي جاء متأخراً عنه، لكنه هو كائن قبله وكما

قال السيد المسيح: "قبل أن يكون إواهم أنا كائن" (يو 8: 58). ولما كانت هذه الشهادة أساسية، ولها أهميتها القصوى، لذا يقول الإنجيلي: "شهد له

ونادى "معواً بكلمة تادى" عن الصواخ بصوت عالٍ للفت النظر إلى ما يعلنه، لأنه يمس حياة البشرية وخلصها ومجدها.

صواخ الشهادة هذا سبق فقدمته الیصابات والدته حين كان جنيناً في أحشائها وقد تعرف على الكلمة المتجسد في أحشاء القديسة مريم عند

زيرتها لأمه. يقول الإنجيلي لوقا: "وامتلأت الیصابات من الروح القدس وصوخت بصوت عظيم، وقالت: مبركة أنت في النساء، ومبركة هي ثوة

بطنك" (لو 1: 41-42).

دُعي يسوع المسيح ابن العلي (لو ١: ٣٢)، بينما دُعي يوحنا نبي العلي (لو ١: ٦٧). كان يوحنا خادماً للعهد الجديد، أما يسوع المسيح فهو وسيط العهد الجديد. يوحنا كان رجلاً عظيماً له اسم عظيم ورسالة عظيمة، وهو الذي هيا الطريق ليسوع المسيح. يوحنا كسائر الأنبياء يجلس عند قدمي الله ليتعلموا أو ينالوا رؤى. أما المسيح فهو في حضن الآب (أف ٣: ١١).

إنه الصوت الذي يوي في القفر، ليهيئ الطريق ليسوع المسيح (إش ٤٠: ٣٠).

"لأنه كان قبلي" لأنه هو خالقي وموجدي للحياة. هو الأول، وهو لقب خاص بالله "الأول والآخر" (١ كو ١: ١٧)، إنه زلي (مي ٥: ٢).

❖ ي قول يوحنا البشير عن يوحنا المعمدان "يوحنا شهد له ونادى قائلاً"، أي أن يوحنا هتف بمجاهرة وبجراحة خوفاً من انقباض.

ولم يقل يوحنا المعمدان عن المسيح إن هذا هو ابن الله الوحيد، الابن الحقيقي، لكنه قال: " هذا هو الذي قلت عنه أن الذي يأتي بعدي صار قدامي، لأنه كان قبلي" ، لأنه على مثال أمهات الطيور، إذ أنها لا تعلم أواخها في الحال ولا في يومٍ واحدٍ الطوان كله، لكنها تخرجها أحياناً، وأحياناً تريحها وفي اليوم التالي تطير معها مسافة أكثر من تلك كثواً، وعلى هذا المنهج تقتادها إلى العلو الواجب. على هذا المثال كان يوحنا المعمدان، إذ لم يقتد اليهود في الحال إلى الآراء العالية، لكنه علمهم أن يطيروا ويعلوا من الأرض قليلاً قليلاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا،

ونعمة فوق نعمة" [16].

وى كل من القديسين كيرلس الكبير ويوحنا الذهبي الفم وأغسطينوس أن الحديث هنا ليس تكلمة لشهادة القديس يوحنا المعمدان، وإنما المتحدث هنا هو الإنجيلي يوحنا. يعلن الإنجيلي أن الذي هو مملوء نعمة وحققاً [14] هو سرّ الملاء للكنيسة كلها، وينوع نعم لا ينقطع، فيض حب يتفجر على النوام. فمن كمال ملئه اللانهائي يفيض على كنيسته ليتمتع كل عضو فيها بالشركة في الطبيعة الإلهية.

هو مصدر كل النعم، يملأ مخزننا (أم ٨: ٢١). نتقبل منه النعم كما نتقبل مجري المياه الماء من البينوع مصدر الماء. العطايا الإلهية هي نعم *grotius* أي مجانية (رو ١٢: ٦)، فإذ يسرّ الآب به لذا يسر بنا نحن فيه (أف ١: ٦).

"نعمة فوق نعمة" كل نعمة هي وزنة نتقبلها من الله لنتاجر فيها فربح وزنة أخرى (١ بط ١٤: ١٠).

"نعمة فوق نعمة" أي تبقى نعمة الله تفيض علينا بلا توقف. إذ ليس بكيل يعطي الله الروح" (يو ٣: ٣٥). فإن كان المسيح بكونه الكلمة المتجسد قد "سر" (الآب) أن يحل كل الملاء" (كو 1: 19)، إذ هو الوحيد الملاء الكلي بلا حدود، فإنه يفيض ليملاً الكل حسب قياس كل أحد. هذا ما عبر عنه الرسول: "فإن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم مملوون فيه" (كو 2: 9-10)، وأيضاً "الذي يملأ الكل في الكل" (أف 1: 23)، "لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله" (أف 3: 19). هذا هو غاية ما نبلغه في المسح يسوع: "إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف 4: 13).

❖ إن كان هو النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان، فهو إذن قد أنار يوحنا أيضاً الذي أقر واعترف بحق "من ملئه أخذنا" [170].

❖ بعد قوله: "من ملئه أخذنا" أضاف "نعمة فوق نعمة" (يو 16: 1). لأنه بالنعمة خلص اليهود. يقول الرب: "اخترتكم ليس لأجل كثرة عددكم، وإنما من أجل آبائكم". إن كانوا لم يختاروا بواسطة الله من أجل أعمالهم الصالحة، فواضح أنه بالنعمة نالوا هذه الكرامة. ونحن أيضاً نخلص بالنعمة، لكن ليس بنفس الطريقة، ولا بذات الأهداف، بل بما هو أعظم وأسمى. إذن فالنعمة التي فينا ليست كالنعمة التي لهم. إذ لم يعط لنا فقط غوان الخطايا (إذ نحن شركاء معهم لأن الكل أخطأ)، وإنما نلنا أيضاً البرّ والتقديس والبنوة وعطية الروح بصورة أكثر مجداً، وبفيض [171].

القديس أغسطينوس

❖ أو من أنه موجود قبلي وأكثر كرامة مني مع الآب. وذلك لأنني أنا والأنبياء الذين جاؤا قبلي قد قبلوا نعمة إلهية نبوية كوى وذلك من ملئه، فإن

العلامة أوريجينوس

❖ ... ماذا يعني: "ومن ملئه نحن أخذنا" [16]؟ يقول إنه لا يملك العطية بالمشاركة، بل هو نفسه ينوع ذاته وأصل كل صلاح، الحياة ذاتها، النور ذاته، الحق ذاته، يحتجز في داخله غنى صلاحه، بل يفيض بها على الآخرين، ويبقى بعد هذا الفيض في ملئه، لا ينقص وهو يمد الآخرين، بل على النوام يفيض ويهب الغير ليشركوه بركاته، ويبقى في كماله كما هو. ما اقتنيه أنا هو بالمشاركة (أي أقبله من الغير)، لدي نصيب قليل من الكل، كنقطة ماء فقوة إن هزنت بلجة لا تحد أو بحر بلا حدود. وحتى هذا المثل لا يقدر أن يعبر بالكامل عما نحول أن نقوله... لنفترض وجود مصدر نار، ومن هذا المصدر أشعلت ربوات المصابيح... ألا تبقى النار كما هي في ملئها حتى بعد أن قدمت ما لها لكل مثل هذا العدد؟ واضح لكل إنسان إن الأمر هكذا [173].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد أعطى الناموس ذلك الذي أعطى النعمة أيضاً، لكنه أرسل الناموس مع عبيد، وقرل بنفسه ليعطي النعمة. وبأية وسيلة صار البشر تحت الناموس؟ بعدم تحقيقهم للناموس. لأن من يتمم الناموس لا يسقط تحت الناموس، بل يكون مع الناموس، أما الذي تحت الناموس فلا يقوم، بل يكون تحت ضغط الناموس. إذ صار كل الناس تحت الناموس صاروا بالناموس مذنبين، لذلك صار الناموس فوق رؤوسهم، يظهر خطاياهم ولا يزوعها. فالناموس يأمر، وواهب الناموس يظهر حقاً فيما يأمر به الناموس. وإذ يسعى البشر بقوتهم الذاتية أن يتمموا ما يأمر به الناموس سقطوا بسبب تهورهم وعنادهم الجريء، ليس مع الناموس بل تحت الناموس. صاروا مذنبين، لذلك توسلوا طالبين عون مُسلم الناموس، وبسبب الشعور بالذنب الذي جاء بالناموس مرض المتكبرون. وصار مرض المتكبرين اعترافاً للمواضعين. الآن يعترف المرضى بالمرض، فليات الطبيب، ليشفي المرضى. من هو الطبيب؟ ربنا يسوع المسيح [174].

❖ ماذا تعني "نعمة فوق نعمة"؟ بالإيمان عاد الله مدافعاً لصالحننا، وإذ كنا غير أهل لغوان خطايانا، ولأننا كنا غير مستحقين لننا نفعاً عظيماً هكذا، فدعى ذلك نعمة. ما هي النعمة؟ ما يُعطى مجاناً... وإذ نتال إحساناً من الله بالحياة بالإيمان تتقبل الخلود كمكافأة والحياة الأبدية. وهذه نعمة [175]!

القديس أغسطينوس

"لأن الناموس بموسى أعطي،

أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صرا" [17].

الناموس في ذاته عطية عظيمة، ونعمة مقدمة من الله، لتهيئ لنعمة الإنجيل. لكن لا وجه للمقارنة بين الظل والحقيقة. يقدم فيضاً من النعم: يغني الفؤاء بكنوز السماء، ويعتق العبيد من أسر إبليس، ويحمل المؤمنين على الأيدي الإلهية وسط الضيقات، ويهب معرفة مستنورة للأسوار الإلهية، ويهب قوة عوض الضعف، ويسكب مجده في داخلنا عوض الهوان. قدم لنا الناموس بكل وصاياه وفوائده ونواته ظلالاً أو شبه السماويات، أما السيد المسيح فدخل بنا إلى عمق الوصية لنتعرف على خالق السماء نفسه المختفي وراءها. حملنا السيد المسيح فيه لنختبر في عبادتنا بالروح القدس السماويات عينها التي جاء منها، فنحيا بحياته السماوية.

يتساءل العلامة أوريجينوس : إن كان يسوع قد أعلن أنه الحق (يو ١٤ : ٦)، فكيف به قد صار الحق؟ ويجب هكذا: ما وهبه الله من نعم في العهد القديم كانت رمزاً لنعمة العهد الجديد التي هي "الحق". لهذا فإن مجد العهد الجديد أعظم (٢ كو ٣ : ١٠). صار اكتشاف النعمة في العهد الجديد أوضح، وتوزيعها بأكثر سخاء. وهكذا لننا نعمة العهد الجديد عوض نعمة العهد القديم، ليس لأنها تناقضها، بل تحققها في كمالها بسخاء، تنميها إلى

الكمال وتثبيتها فينا. إذ نتغير إلى الصورة الإلهية من مجدٍ إلى مجدٍ، من نوجةٍ إلى نوجةٍ أعلى (٢ كو ٣: ١٨). النعمة التي نتقبلها أشبه بختم يشكّلنا لنحمل أيقونة المسيح التي تزداد فينا وضوحًا (رو ٨: ٢٩) وتجعلنا أيقونة السماويات (١ كو ١٥: ٤٩).
بتمتعنا بالمسيح ننال النعمة والحق، إذ هو مصدر النعم وكنز الحكمة يقدم ذاته لنا نعمة وحقًا نتمتع به.
في العهد القديم نلنا الناموس في جوٍ من الرعب (عب ١٢: ١٨)، أما العهد الجديد فنلناه في جوٍ من النعمة. بالعهد الجديد نتمتع بالوعود الإلهية الواردة في العهد القديم خلال جوٍ من الرحمة والحق، حسب الوعد الإلهي.
هكذا مع تمتعنا بالنعمة وتوقنا لها نعطش بالأكثر إلى فيضٍ جديدٍ من النعمة، فكل نعمة في داخلنا تنادي نعمة، وتجذبها إلى أعماقنا. فتصير أعماقنا هدفًا لفيضٍ لا ينقطع من النعم الإلهية المتناغمة معًا.

[176]

❖ أُعطي الناموس بواسطة خادم، فجعل الناس مذنبين، وجاء العفو من الإمراطور، وخلص المذنبين.

القديس أغسطينوس

❖ على أي الأحوال، يأتي الحق في البشر بيسوع المسيح، كما جاء أن الحق في بولس وفي الوصل بيسوع المسيح. ليس غريبًا أن نقول أنه بالرغم من truths وجود الحق الواحد، يفيض منه كما لو كان الكثير من الحقوق. على أي الأحوال يعرف داود النبي كثرة من الحقوق إذ يقول: "يطلب الرب الحقوق" (مز ٣٠: ٢٤). فإن أب الحق لا يطلب حقًا واحدًا بل حقوقًا كثيرة لكي يخلص الذين يملكونها.

[177]

العلامة أوريجينوس

❖ عظيم هو الفرق بينهما، فمن جانب الكلمتان "قد أُعطي" تُنسب إلى شيء يُخدم حينما يستلمه شخص من آخر يُعطي أمرًا بإعطائه إياه، ومن الجانب الآخر فإن "النعمة والحق قد صلا" تناسب ملكًا له سلطان غافر للخطايا ويقوم بنفسه بتقديم الهبة.
❖ عندما كانت حرب عماليق في جبل سيناء استعانت يدا موسى بهرون وهور الواقفين بجوره (خر 17: 12)، أما عندما جاء المسيح فبسط يديه على الصليب بنفسه. ألا تلاحظون كيف أن الناموس أُعطي، أما الحق فجاء؟

[179]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"الله لم وه أحد قط،

الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر" [18].

ينظر إلى هذه العبارة بأنها ختام مقدمة إنجيل يوحنا، إن جاز لنا ذلك، والتي جاءت تقدم لنا الكلمة الإلهية بكونه الاقنوم الإلهي الواحد مع الآب في الجوهر وقد صار جسدًا من أجلنا. هنا يربط بين هاتين الحقيقتين: إنه الكلمة الألهي، وأنه صار إنسانًا حقيقيًا من أجل بني البشر.
بكونه الكلمة الحقيقي والابن الوحيد الجنس، فإنه وحده وى الآب رؤية الواحد معه في ذات الجوهر. لا يضلعه في هذا كائن ما على الأرض أو في السماء. ليس من مجال للمقرنة بينه وبين إواهيم أب الآباء أو موسى مستلم الشريعة أو غره من الأنبياء، ولا وجه للمقرنة بينه وبين أية طغمة سماوية.

موسى العظيم في الأنبياء رأى شبه الله (عد ١٢: ٨) لكنه لم يستطع أن وى وجهه (خر ٣٣: ٢٠).

إنه الابن الوحيد الحقيقي القائم بذاته في حضن الآب، أي في أعماقه لن ينفصل قط عنه، موضع سروره، قادر أن يعلن عنه ويكشف عن أسوره الإلهية وخطته الفائقة. هكذا نلنا في المسيح إعلانًا واضحًا عن الآب الذي لم وه أحد قط. هذه هي النعمة، وهذا هو الحق الإلهي الذي صار لنا في المسيح، وهي "المعرفة".

الله روح، فلا يقدر الجسد على معاينته، لذا تجسد الابن ليهبنا الميلاد الجديد الروحي فزى ذلك الذي لا وى (عب ١١: ٢٧)، ونحيا به. هو

وحده يفتح الختم (رؤ ٥: ٩) لتتعرف على أسوار الله.

❖ " الله لم يره أحد قط".

ماذا عن إعلانات العهد القديم؟ فما الذي نقوله لصوت إشعياء العظيم القائل: رأيت السيد جالساً على كوسي عالٍ وموتفِعٍ وأذنيه تملأ الهيكل (إش 6: 1)؟

وما الذي نقوله لدانيال الذي قال: "كنت لرى أنه وُضعت عروش وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وبركاته نار منقّدة" (دا 7: 9)؟

ويعقوب من هذا المنظر تسلم لقبه، إذ دعي إسرائيل، لأن معنى إسرائيل هو الناظر إلى إلهه (تك 32: 28)؟

وما الذي نقوله لموسى القائل بنفسه للرب: "رني مجدك" (خر 33: 18)؟

آخرون كثيرون قد أبصروا الله، فما غرض يوحنا من قوله: " الله لم يره أحد قط "؟ غرض يوحنا هنا هو: أن تلك المعاينات كانت مناسبة لنزول الله وظهوره، وليست مناسبة لجوهه ، لأنهم لو كانوا قد أبصروا طبيعة الله بعينها لما كانوا أبصروها، لأن طبيعته بسيطة مستحيل أن تكون ذات شكل، فطبيعة الله لا تجلس ولا تقوم ولا تمشي، لأن هذه كلها خواص أجسام.

[180]

يعلن القديس يوحنا أن كل هذه كانت أمثلة عن تنزله وليست رؤية الجوهر ذاته .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ رب قائل يعترض: إن كان جوهر اللاهوت لا يقع تحت الحواس، فلماذا نتحدث في هذه الأمور؟

نعم، هل لآني لا أستطيع أن أشرب النهر كله يكون هذا سبباً في ألا أستقي منه باعتدال قدر ما يناسبني؟!

هل ل أن عيني تعجزان عن استيعاب أشعة الشمس في كمالها لا أنظر إليها قدر ما احتاج؟!

وإذا دخلت حديقة عظيمة ولم أقدّر أن آكل كل ثمرها هل تريد مني أن أخرج منها جائعاً؟!

إذن لأسبح الله خالقنا وأمجده، إذ وهبت لنا وصية إلهية تقول: "كل نسمة فلتسبح الرب" (مز 6: 5).

إنني أسعى الآن ل أقوم بتمجيده بون أن أصفه، عالمٌ أنه بالرغم من عجزني عن القيام بتمجيده حسبما يستحق، لكن حتى هذا السعي هو من

[181]

الأعمال التقوية. ويشجع الرب يسوع ضعفي بقوله: "الله لم يره أحد في أي زمان".

❖ يستحيل علينا أن نتطلع إلى الله بأعين بشرية، لأن غير الجسدي لا يقع تحت ال أ عين الجسدية. وقد شهد الابن الوحيد، ابن الله نفسه، قائلاً: "الله لم

وه أحد في أي زمان". فإن فهم أحد مما ورد في حزقيال أنه رأى الله (حز 28: 1)، فإنه ماذا يقول الكتاب المقدس؟ إنه رأى "شبه مجد الله"،

وليس الرب ذاته كما هو في حقيقته بل شبه مجده. فإن كانت رؤية شبه المجد تملأ ال أنبياء رعدة، فبالأكيد إن حاول أحد رؤية الله ذاته يموت، وذلك

كالقول: "الإنسان لا يرى وجهي ويعيش" (خر 20: 33 "لا واني ويعيش"). من أجل هذا فإن الله بحنورحمته بسط السموات أمام لاهوته لكي لا

نهلك. لست أقول هذا من عندي بل هو قول النبي: "ليتك تشق السما وات وتقول من حضوتك تتؤول الجبال" (وتنوب إش 1: 64).

لماذا تتعجب من سقوط دا نيال عند رؤيته شبه المجد، إن كان دانيال عند رؤيته جوائيل، الذي هو ليس إلا مجرد خادم الله، لتعجب للحال وسقط

على وجهه ولم يجسر النبي أن يجيبه بالرغم من أن الملاك نفسه جاء على شبه ابن بشر؟ (راجع دا 9: 10، 16، 18). إن كان ظهور جوائيل أربع

[182]

الأنبياء، فهل يرى الإنسان الله كما هو ولا يموت؟!

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ قوله: "الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب" يعني أن سلطان الابن مساو لسلطان الآب، لأن الآب الألي ما حاز في حضنه جوهراً غير جوهه،

وهذا القول يدلنا على اتفاق الابن مع أبيه في رليته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الذي رى هو أيضًا يخبر. لكن لا يخبر بكل عظمة من واه، ولا بكل ما يعرفه، إنما قدر ما يحتمل القابلون للموت (البشر) أن يقبلوا [183].

القديس جيروم

شهود للكلمة المتجسد

بعد هذا الحديث الرائع عن الكلمة المتجسد واهب النعمة يقدم لنا الإنجيلي في بقية الأصحاح الأول الشهادة لشخص ربنا يسوع المسيح:
 في اليوم الأول [19-28]: يشهد يوحنا المعمدان أمام الكهنة واللاويين.
 في اليوم الثاني [29-34]: يشهد عند رؤيته ليسوع.
 في اليوم الثالث [35-39] يشهد يوحنا المعمدان أمام تلميذين من تلاميذه.
 في اليوم الرابع [40-42] يشهد أنراوس أمام سمعان.
 في اليوم الخامس [43-51] يشهد فيلبس أمام نثنائيل.
 في اليوم السادس: الشهادة العملية بتحويل الماء إلى خمر (ص 2).

ويلاحظ في هذه الشهادة خلال الأسبوع الأول غالبًا بعد عودته من البرية بعد التجربة مباشرة الآتي:

وَأولاً : يماثل ما ورد في بدء الخلقة حيث وُجد العالم في ستة أيام واسوّاح الله في اليوم السابع، هكذا عند تجديد خلقة الإنسان ينتهي الأسبوع حيث يحول السيد المسيح الماء إلى خمر ليجد الكل فحهم في تجديد حياتهم.

ثانياً : بدأ سفر التكوين بعبرة: "في البدء خلق الله..." ليشير إلى بدء ما قبل وجود الزمن، حيث لم يكن قد خلق الشمس والقمر والكواكب، فلم يكن بعد أربعة وفصول وأيام (24 ساعة)، بل هي حقبات زمنية مهما بلغ طولها دُعيت أيامًا. هكذا بدأ إنجيل يوحنا بذات العبرة: "في البدء"، لكنه البدء الأولي حيث لا بداية له، إنها الألفية حيث اللوغوس الذي هو واحد مع الآب.

3. شهادة يوحنا المعمدان له

دُعي القديس يوحنا المعمدان رسولاً أو ملاك الله (ملا 3: 1). لم يذكر عنه الكتاب أنه صنع معجزة ماء، ولا أنه رأى رؤى وإعلانات إلهية، لكنه شهد للحق، وجذب الكثيرين للتوبة بحياته الجادة الصلومة مع طهارة وعفة ووضوح الهدف. كان يشتهي خلاص العالم، ونمو ملكوت الله على الأرض، فشهد للمخلص الملك الحقيقي.

لم يكن النور محتاجاً إلى من يشهد له، فهو شاهد لنفسه بنوره، لكن إذ أغلق الإنسان عينيه وصمم أن يفسد قلبه بالشهوات والعصيان أصيب بعمى، لذلك صار في حاجة إلى من يحته شاهداً للنور الحقيقي. كان يوحنا كحلس الليل يعلن أن نور الصباح قد أشرق حتى يستيقظ النائمون ويفتحون أعينهم لمشاهدة النور.

جاء يوحنا يعلن أن المسيا الذي طال انتظار المؤمنين لمحبيته قد جاء فعلاً، مخلصاً لكل العالم، وواهباً المجد لشعبه إسوائيل الجديد.

السيد المسيح هو النور الحقيقي، أما يوحنا فلم يكن بالنور الباطل أو الغاش، إنما المصباح الحامل لنور المسيح فيه. لم يكن العريس الحقيقي، لكنه ليس بمن يغتصب العروس، إنما صديق العريس الذي يوح بعوسه واتحاده بالعروس.

تمتع يوحنا بمعرفة أعمق عند عماد السيد المسيح وظهور الثالوث القدوس. أعلن يوحنا عن السيد المسيح أنه حمل الله الذبيح (29؛ خر 12؛ إش 53: 1؛ بط 1: 19).

وهذه هي شهادة يوحنا

حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه:

من أنت" [19].

هذه هي المرة الثالثة في هذا الأصحاح يقدم الإنجيلي يوحنا المعمدان شاهداً (1: 19، 15، 7-34). لم يلتقت الإنجيلي إلى شخصية المعمدان، وإنما إلى شهادته، إذ يحصر التقليد الرسولي ظهور السيد المسيح وعمله منذ معمودية المعمدان إلى يوم صعوده (أع 1: 21-22؛ 10: 37-38؛ 13: 23-24).

رُسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين" [9]؛ جاء تعبير "اليهود" في هذا السفر غالباً ما يشير إلى مجمع السنهريين بكونه الهيئة العليا للرئاسة الدينية. فقد شكل المجمع لجنة لتقصي حقيقة شخصية يسوع وتقييم أعماله وشعبيته. وهم في هذا يحسبون أنفسهم أنهم يتممون وصية من صُلب الناموس، مع أنهم كانوا غير مخلصين في أعماقهم. تحقق فيهم القول: وأما النبي الذي يطغى فينكلم باسمي كالمًا لم أوصه أن ينكلم به أو الذي ينكلم باسم آلهة أخرى فبموت ذلك النبي" (مت 18: 20).

هؤلاء الكهنة واللاويين المذكورون هنا غالباً ما كانوا أعضاء في مجمع السنهريين، على مستوى عالٍ في العلم والثقافة، وأصحاب سلطة ونفوذ. لما كان يوحنا المعمدان نفسه من نسل هرون، إذ كان والده كاهناً لذا لفحص قضيتته وخدمته لاق أن يُرسل إليه كهنة ولاويين (وهم من الكتبة والفريسيين من سبط لاوي، لكنهم ليسوا من عشوة هرون بالذات).

رُسلوا إليه لا ليتحققوا من رسالته فيتجاوبوا معه، لأنهم يحسبون أنفسهم القادة العظماء للشعب. لكنهم رأوا التعرف عليه من قبيل حب الاستطلاع، أو من قبيل مملسة السلطة كأصحاب سلطان يشعرون بالمسئولية أن يكشفوا عن حقيقة شخص مثل هذا للشعب، إن كان ذلك وفقاً لمصالحهم. ولعلمهم فعلاً هذا ليجنوا فيه علة، فيكتوموا هذا الصوت الذي صدر من مصدر آخر غير السنهريين صاحب السلطة العليا في الأمور الدينية. سئل القديس يوحنا المعمدان من السلطات الدينية اليهودية: "من أنت؟" (19، 22). أوضح أنه ليس المسيا، ولا إيليا (2 مل 11: 2)، ولا النبي المخلص (مت 15: 18). أعلن أنه مجرد "صوت" (إش 40: 3)، يتنبأ عن مجيء المسيا [23]. عندئذ سألته السلطات: "إن كنت لا تحتل مركزاً رسمياً في الخدمة فلماذا تعمد؟" كانت أجابته أن عماده ليس غاية في ذاته، بل تهيئة لعمل روحي أعظم يحققه ذاك الذي يأتي بعده وهو كائن قبله، وأن يوحنا غير مستحق أن ينحني ليحل سبور حدائه.

❖ رُسلوا كهنة ولاويين من أورشليم، وهم أوفر كرامة من غورهم...

وإن سألت: لماذا سأل اليهود يوحنا المعمدان هذا السؤال: "من أنت؟" أجيبك... لقد ظنوا أن خضوع يوحنا للمسيح شيء لا مبرر له، لأن أموراً كثيرة كانت تُظهر يوحنا عندهم بهيئاً جليلاً، أولها جنسه وجلالته وظهور شرفه، لأنه كان ابناً لرئيس كهنتهم، ثم طعامه وصعوبة طريقته، وإعواضه عن الممتلكات الإنسانية كلها، ولأنه كان مهوباً بثوبه ومائدته وسكنه وطعامه بعينه، فقد أقام زمانه السالف في البرية. وجميع ما أبصروه في المسيح كان يخالف ذلك، لأن جنس المسيح كان عندهم حقراً، إذ قد هاجموا مراراً قائلين: "أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم واخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا" (مت 13: 55)، وكان التعبير يتجه نحو الموضوع المظنون أنه وطنه على ما ذكر نثنائيل: "أمن الناصوة يمكن أن يكون شيء صالح؟" (يو 1: 46). علاوة على أنه ما كان على حقيقته منطقة جلد، ولا كان لباسه من وبر الإبل، ولا أكل عسلًا وحوادًا، لكنه كان تدبير حياته يشبه كل الحاضرين، وقد حضر في مجالس ثوب مع أناس أشرار وعشقرين ليستميلهم إليه. هذا الذي فعله المسيح لم يفهمه اليهود، فعيروه لأجل هذه الأفعال، وقد قيل: "جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فيقولون هوذا إنسان أكل وشرب خمر، محب للعشقرين والخطاة، والحكمة تبررت من بنيتها" (مت 11: 19).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بينما كان الرعاة يحرسون قطيعهم وجنوا "حمل الله"، الذي جرّته البهية والطاهرة كانت مبللة بندى السماء، بينما كانت كل الأرض بجانبه جافة (قض 6: 37). هذا الذي إذ يُوش دمه على قوائم الأبواب يطود مُهلك مصر (خر 12: 21-23)، ويزع خطايا العالم [184].

"فاعترف ولم ينكر،

وأقر أنني لست أنا المسيح" [20].

من الجانب السلبي أكد القديس يوحنا أنه ليس بهذه العظمة، فهو ليس بالمسيح المنتظر. إنه لن يقبل أن يسلب المسيح موكبه أو كرامته. كان يوحنا المعمدان مهوبًا، فظنه البعض أنه المسيا. "وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح... (لو 3: 15). لهذا أسوع يوحنا يؤكد بطلان الإشاعات، معلنًا أنه ليس المسيح.

❖ كان سمو يوحنا عظيمًا جدًا حتى ظن الناس أنه المسيح، وفي هذا قدم وهائنًا على تواضعه، إذ قال إنه ليس المسيح [185].

❖ بينما كانوا يترجون مجيئه ، إذ صار حاضرًا قلوبهم وتعتروا فيه كما بحجر منخفض. إذ كان لا زال حورًا صغورًا، فُطع بالحق من جبل بدون يدين، كما يقول دانيال النبي، أنه رأى حورًا مقطوعًا من الجبل بدون يدين، كما يقول دانيال النبي، أنه رأى حورًا مقطوعًا من الجبل بدون يدين (دا 2: 34-35)... لم يرَ اليهود العميان الحجر الأسفل، لكن يا لعظم عما هم أنهم لا يرون الجبل [186].

القديس أغسطينوس

"فأسأله: إذا ماذا؟

إيليا أنت؟

فقال: لست أنا.

النبي أنت؟

فأجاب: لا" [21].

أعلن أنه ليس بإيليا النبي، وإن كان قد حمل روحه النزي الذي يهبى الطريق للمسيا (لو 1: 17). لذلك قال السيد المسيح أن إيليا جاء ولم يعوفه (مت 17: 12). لكنه ليس إيليا حسبما كان يفكر اليهود. فقد كانوا يتوقعون نزوله بالمركبة النارية التي صعد بها إلى السماء، وأنه يقدم لليهود امتيازات مادية رضية معينة. وأنه ليس النبي الذي تنبأ عنه موسى النبي (تث 18: 15، 18)، ولا أيضًا كأحد أنبياء العهد القديم الذين انشغلوا بأمور إسرائيل وتصحيح أوضاعهم السياسية.

❖ لو أنه قال: "أنا إيليا" يكون ذلك بمعنى أن المسيح قادم فعلاً في مجيئه الثاني للدينونة، وليس في مجيئه الأول ليحاكم... لقد جاء كرمز (لو 1: 17) حيث يأتي فيما بعد إيليا بشخصه اللائق به، أما الآن ففي شبهه جاء يوحنا [187].

القديس أغسطينوس

❖ لم يقولوا ليوحنا: أنبي أنت؟ أي هل أنت واحد من الأنبياء؟ لكنهم سأله قائلين "النبي أنت؟" بإضافة أداة التعريف. بمعنى هل أنت النبي الذي سبق موسى فأخبر عنه (تث 18: 15)؟ أنك هذا المعنى، ولم ينكر أنه نبي، لكنه أنكر أنه هو ذلك النبي.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقالوا له: من أنت لنعطي جوابًا للذين أرسلونا؟

ماذا تقول عن نفسك" [22].

سأله أن يجيبهم من هو لا لكي يؤمنوا به، أو يطلخوا العماد منه، وإنما لمجرد تقديم إجابة لموسليهم. كانوا يتوقعون منه أن ينالوا إجابة واضحة، خاصة وأنه قد حمل ملامح الجدية والصراحة، وقد كان.

❖ لاحظوا كيف يضغطون عليه بأكثر عنف ليحثوه على الإجابة، مكررين أسئلتهم دون توقف، أما هو فبلفظ رأل عنهم المفاهيم الخاطئة بخصوص

شخصه، ليقدم لهم ما هو حقيقي [188].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال: أنا صوت صلخ في البرية،

قَوْمُوا طريق الرب كما قال إشعياء النبي" [23].

جاء صويحاً في إجابته فنطق بالحق، موضحاً أنه جاء يتم ما ورد في الكتب، وأنه يحمل سلطاناً إلهياً كسابقٍ للمسيح، يهيئ له الطريق.

تحدث القديس يوحنا المعمدان عن نفسه أنه الصوت الصلخ في البرية (إش ٤٠: ٣-٤). وحين شهد عن المسيح "صوخ" [١٥]. فماذا يعني بالصواخ. إنه لا يعني الصوت الخرجي المرتفع أو الصياح، لكنه يتكلم مع الله والناس بلغة الروح التي يسمعها الله حتى وإن صمت اللسان، والتي تخترق قلوب الناس. لقد اعتمد السيد المسيح نفسه شهادة يوحنا المعمدان أنها حق. إذ يقول: "الذي يشهد لي هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدا لي هي حق. أنتم أرسلتم إلي يوحنا فشهد للحق" (يو 5: 32-33).

❖ إن كان الصوت العقلي للذين يصلون يؤم ألا يكون عاليًا بمبالغة، إلا أنه ليس ضعيفًا، ويليق بهم ألا يرفعا صرخة أو صيحة، فإن الله يسمع الذين يصلون هكذا.

إنه يقول لموسى: "لماذا تصوخ إلي؟" (خر ١٤: ١٥) بينما لم يصوخ بصوت عالٍ (إذ لم يُذكر ذلك في سفر الخروج)، وإنما خلال الصلاة صوخ بصوت عالٍ بذاك الصوت الذي يسمعه الله وحده.

ولهذا يقول أيضًا داود: "أنا صوخت إلى الرب بصوتي، والرب سمع لي" (مز ٧٦: ٢) [189].

العلامة أوريجينوس

رى العلامة أوريجينوس أن البرية هنا تشير إلى النفوس الراضة لله وللفضيلة، فقد عرف القديس يوحنا أن يتحدث إلى قلوبهم كما بصوخة

الروح.

❖ جاء في الأمثال: "لا تمل يمينًا أو يسرًا" (أم ٤: ٢٧). فمن يميل إلى أحد الجانبين يفقد الاستقامة، ولا يعود يتأهل للرعاية الإلهية عندما يتعدى

استقامة الطريق. فإن الرب عادل ويحب العدل، ووجهه يتطلع إلى الاستقامة (مز ١٠: ٧) وما ينظره ينوره [190].

العلامة أوريجينوس

❖ إذ قال يوحنا المعمدان في المسيح وصفًا عظيمًا عاليًا التجأ في الحال إلى إشعياء النبي، جاعلاً قوله بهذا الوجه مؤهلاً لتصديقه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كما أن الصوت يختلف عن الكلمة (الكلام) عندنا، فأحيانًا يمكن أن يصدر صوت بلا معنى بدون كلام، ويمكن أيضًا أن يُعلن الكلام للذهن دون

صوت كما يحدث عندما نتأمل في داخلنا، هكذا يوحنا الذي يشبه الصوت في علاقته بالمسيح الذي هو الكلمة، فهو يختلف عن المخلص الذي من

جانب معين هو الكلمة [191].

العلامة أوريجينوس

❖ جعل المذيع الناس يقفون خلف الديان، ودعا يوحنا الديان (ليأتي). نعم بالحقيقة يدعو يوحنا البشرية لذاك المتواضع حتى لا يختبروا ما سيكون عليه

كديان مجدد [192].

القديس أغسطينوس

❖ تهدي العروس المديح العريس: "حلقة حلوة وكله مُشتهيات" (نش 5: 16). نفس هذه الكلمات كالاتي: يوجد الحلق أسفل الذقن ويصدر الصوت من

القصبية الهوائية والحنوة بواسطة حركة الهواء. بما أن كلمات العريس لذيدة مثل العسل في حلاوتها، فصوته هو عضو الكلمة. وصوته الذي يصدر من الحلق قد يطلق عليه راعٍ ومُفسر للكلمة التي يتكلمها السيد المسيح. وسوف نتمكن من فهم حلق العريس بهذه الطريقة. عندما سُئل يوحنا المعمدان: من أنت؟ قال: " أنا صوت صلخ في البرية" (يو 1:23). يقدم الرسول بولس وهانًا على أن السيد المسيح يتكلم بداخله وبواسطته أصبح صوته عذبًا (2 كو 13:23). قدم جميع الأنبياء أنفسهم كأعضاء الصوت للروح القدس وأصبحت أصواتهم عذبة بتثبيت العسل المقدس في حناجرهم. يأكل الملوك والشعوب العسل لما له من فوائد صحية. ولا يقلل التمتع بأكله الرغبة في الاستراحة منه. لذلك تُسمى العروس عريستها "أنه هو كله المرغوب فيه دائمًا" ويعتبر هذا تعبيرًا عن من تبحث عنه. كم هي نعمة عظيمة لأجل العريس التي تجعله مرغوبًا فيه بشدة. فلجله كاملة في كل شيء خير وتتكون هيئته وجمالها المرغوب فيه من جميع أعضائه. فهو مرغوب فيه ليس فقط من أجل عيونه ويدها وخصلات شعوه بل أيضا من أجل قدميه ورجليه وحنجرته. فلكل عضو من الأعضاء أهميته الخاصة ولا يقلل من هذه الأهمية ارتفاع أهمية أحد الأعضاء على الأعضاء الأخرى. [193]

القديس غريغوريوس النيسي

"وكان المرسلون من الفريسيين" [24].

"فسألوه وقالوا له:

فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟" [25].

كان العماد شائعًا جدًا بين اليهود حيث كانوا يعمدون الداخلين إلى الإيمان اليهودي لكي يتمتع الدخيل بكمال الحقوق التي للمؤمن. لهذا حمل هذا السؤال خبثًا، فقد رأوا أن يصطادوه. لأنه إذ يعمد اليهود القادمين بالتوبة يكون قد تعامل معهم كمن هم من الأمم الوثنيين. ففي معمديتهم إنكار أنهم شعب مختار طاهر، وكأن عمادهم إهانة إلى قدسية الأمة ككل، وإلى كرامة اليهود كشعب الله المختار، وإلى السلطات الدينية كأنها عاجزة عن تحقيق قدسية الشعب. ومن جانب آخر خشوا إن تكون معمديته مسيانية، خاصة بالمسيا المنتظر، يجريها إنسان ليس عضوًا في الهيئة الكهنوتية أو الويسية، فيكون كمن سحب سلطانهم واعتزل عنهم.

❖ ألا ترون أنهم ليس بدون سبب رأوا أن يصلوا به إلى هذا (أن يكف عن العماد أو يدعي أنه هو المسيح)؟ أما لماذا لم يقولوا هذا من البداية فقد خشوا لئلا يكتشفهم كل الناس. [194]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجابهم يوحنا قائلاً:

أنا أعمد بماء،

ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه" [26].

بحكمة سماوية وبشهادة حق أعلن لهم: "ما بالكم تتشغلون بمعمديتي؟ إنها كلا شيء إن قورنت بمعمودية تتحقق على الأبواب. معمديتي تهيئة لما هو أعظم: معمودية المسيا المنتظر، وقد جاء الوقت وحلَّ بينكم وأنتم لا تعرفونه، وهذه هي خطيتكم. أود ألا تتشغلوا بي ولا بمعمديتي، بل بمن أشهد له ولمعمديته!" هكذا يروح إيليا النلري الذي لم يخشَ آخاب الملك وإزابيل الشورة بل رُعب قلوبهما، نطق أيضا يوحنا الجديد أمام اللجنة المرسلية من السنهريين في شجاعة وجرأة بلا خوف. لم ينطق بكلمة فيها تشامخ، بل يروح التواضع وفي نفس الوقت شهد يروح الحق.

إلى الآن المسيح قائم أقرب إلى الإنسان مما يتصور الإنسان نفسه، لكنه غير قادر على معرفة ذلك. وكما قال القديس أغسطينوس أن السيد المسيح كان في داخله عميقًا أعمق من عمقه، وعاليًا أعلى من علوه، وأنه في غباوته خرج خلجًا يبحث عنه، وهو في داخله.

❖ قال يوحنا المعمدان عن المسيح: " في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه"، لأنه كان لائقًا بالمسيح أن يختلط بالشعب كواحدٍ من كثيرين، إذ يعلمنا في

كل موضع طبيعته الخالية من الكبرياء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لتظهروا أهلاً أن يكون المسيح في وسطكم.

لأنه حيث يوجد السلام يوجد المسيح، إذ المسيح هو السلام.

وحيث يوجد البرّ يكون المسيح، لأن المسيح هو البرّ.

ليكن في وسطكم لكي تروه، لئلا يُقال لكم أنتم أيضاً: "ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه" [26]. لم وه اليهود هؤلاء الذين لم يؤمنوا به. إننا ننظر إليه بالورع، نتطلع إليه بالإيمان.

ليقف إذن في وسطكم، لكي تفتح لكم السموات التي تعلن مجد الله (مز 1:19)، فتعلموا مشيئته، وتعملوا أعماله. من وى يسوع تفتح السموات له كما انفتحت لاستفانوس (أع 56:7) [195].

القديس أمبروسيو

"هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي،

الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه" [27].

كأن يوحنا يقول إن المسيح أكرم مني قنواً وأبهي مكاناً.

❖ لم يعمد يوحنا بالروح لكنه كرز بالمسيح وبالروح... إذ لم يعتموا لا باسم المسيح ولا بالإيمان بالروح القدس لم يستطيعوا نوال سرّ العماد [196].

القديس أمبروسيو

❖ كأنه يقول: "لا تبدلوا تظنوا أن كل شيء هو في معمديتي، فلو أنها كاملة، لما قام آخر بعدي ليقدم معمودية مختلفة. معمديتي هي مجرد ظل

وصورة. لكن يأتي من يضيف إليها الحقيقة. حتى أن مجيئه نفسه بعدي يُظهر بالأحرى كرامته. لو أن الأولى كاملة لما كان يوجد موضع للأخرى. الذي يأتي بعدي أكثر كرامة وبهاء... ولكي يظهر عدم إمكانية المقارنة قال: "الذي لست مستحقاً أن أحل سيور حذائه" [197].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه لأمر عظيم أن نحمل حذاء يسوع، ولكنه لأمر عظيم أيضاً أن ننحني إلى أمره الجسدية التي حدثت أسفل (على الأرض)، وذلك لكي نتأمل

صورته أسفل وأن نحل كل صعوبة تخص سرّ التجسد، كما لو كانت كل سيور حذائه. إنه لأمر واحد هو رباط الغموض وكأنه مفتاح المعرفة (لو ١١: ٥٢) الواحد. فإنه حتى الأعظم بين مواليد النساء (لو ٧: ٢٨) لم يجد في نفسه الكفاءة أن يحل أو يفتح هذه المصاعب، حيث أن الذي ربط

وأغلق وحده يمنح لمن يريد أن يحل ويفتح سير حذائه والأمور المغلقة [198].

❖ إن كانت العبوة الخاصة بالحذاءين لها معناها الخفي يؤمننا ألا نعبر عن ذلك. أظن أن التجسد، حيث أخذ الابن لحماً وعظاماً هو أحد الحذاءين،

وتزوله إلى بيت الجحيم أينما وُجد، والرحلة بالروح إلى السجن هو الحذاء الآخر. جاء في مز ١٥ عن النزول إلى بيت الجحيم: "لا تترك نفسي في

الجحيم" (مز ١٥: ١٠)... [199]

العلامة أوريغينوس

❖ ليس أحد هو العريس سوى المسيح الذي يقول عنه القديس يوحنا: "من له العروس فهو العريس" (يو 3: 29). لذلك هؤلاء (موسى ويشوع بن نون

وغورهما) خلعوا أحذيتهم، أما حذوه فلا يقدر أحد أن يحل سيوره، وكما قال القديس يوحنا: "أنا لست مستحقاً أن أحل سيور حذائه" [27] [200].

القديس أمبروسيو

يستعير البابا غريغوريوس (الكبير) عن العلامة أوريجينوس فهمه للحذاء أنه يشير إلى الجسد القابل للموت، لأنه مصنوع من جلد الحيوانات بعد ذبحها. وكان الكلمة بتجسده رتدى الجسد القابل للموت مخفياً لاهوته. ولم يكن ممكناً ليوحنا أن يحل سيره، أي أن يتوف بعد على أسوره خلال روح النوة [201].

❖ كيف تواضع جداً! لذلك ارتفع جداً!، لأن من يتواضع يرتفع (لو 14: 11) ... لقد قال: "لا أنا بل هو"، أما هم فقالوا: "نحن". يوحنا غير مستحق أن يحل سير حذائه. كم كان تواضعه لو أنه قال أنه مستحق لذلك، وأما بقوله: "يأتي بعدي من هو كان قبلي، الذي لست مستحقاً أن أحل سير حذائه" فقد ظهر تواضعه عظيماً. عندما يقول أنه غير مستحق لفعل هذا. بالحقيقة كان مملوءاً من الروح القدس الذي بهذا عرف كخادم سيده، وتأهل أن يكون صديقاً عوض خادم [202].

القديس أغسطينوس

"هذا كان في بيت عورة في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد" [28].

"بيت عورة" أو بيت العبور، وهو عبر الأردن. ووى البعض أنه في هذا الموضع عبر إسرائيل الأردن متجهين نحو أرض الموعد تحت قيادة يشوع.

❖ ذكر البشير المكان لكي يوضح مجاهرة يوحنا المعمدان النذير العظيم بصوته، لأنه ما شهد بالمسيح في بيت ولا في زاوية، لكنه توجه إلى الأردن وأنذر به في وسط جماعة الناس الحاضرين الذين اعتموا منه كلهم، ونادى لديهم بذلك الاعتراف العجيب.

❖ النسخ الأكثر صحة تذكر "بيت عورة" وليست "بيت عنيا"، لأن بيت عنيا ليست عبر الأردن، ولا في البوية بل بالقرب من أورشليم [203].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ معنى اسم "بيت عورة" مناسب لمعمودية ذاك الذي يعد شعباً للرب، إذ تُرجم "بيت الإعداد". "بيت عنيا" يعني "بيت الطاعة". أي إذن مناسب لذلك الذي أرسل كملك أمام وجه المسيح ليعد طويلاً أمامه ليعمد مثلما يكون في "بيت الإعداد" [204].

العلامة أوريجينوس

"وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه،

فقال: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" [29].

في شهادة يوحنا له نلاحظ الآتي:

❖ أنه حمل الله فقد اعتادت البشوية أن تقدم الذبائح لله لراضاته. أما هنا فالذي يُعد الذبيحة هو الله الأب نفسه الذي يقدم ابنه الوحيد ذبيحة.

❖ أنه ذبيحة كفرة أو ذبيحة إثم، قاورة بالحق أن ترفع الخطايا، وليست ظلاً أو رمزاً كالذبائح الحيوانية.

❖ Yalcut Rubeni يمتد عملها إلى البشوية كلها. هذا ما كان غريباً عن الفكر اليهودي، إذ يقول [205] على سبيل المثال: سوف يحمل المسيا خطايا الإسرائيليين". أما أن يمتد إلى العالم كله، فهذا ما لا يقبله اليهود.

هنا هو اللقاء الثاني بين شخص السيد المسيح والسابق له يوحنا المعمدان. أما اللقاء الأول فيرويه لنا لوقا الإنجيلي (لو ١: ٣٩-٤١) حيث التقى الجنين الذي في أحشاء القديسة مريم بالجنين في أحشاء القديسة اليسانبات. وقد قدم لنا العلامة أوريجينوس نوعاً من المقارنة بين اللقاعين.

وَأولاً: في اللقاء الأول سكب المسيا وهو جنين في بطن أمه نوعاً من مجده على الجنين يوحنا المعمدان، حتى حمل نوعاً من الشبه، لذلك لم

يستطع البعض التمييز بين الأصل والصورة. فحسب البعض يوحنا هو المسيا (يو ١: ٢٠)، وظن آخرون السيد المسيح يوحنا قائماً من الأموات (لو ٣:

٥؛ مت ١٤: ٢؛ مر ٦: ١٤).

ثانياً: إن كان المسيح هو الكلمة ويوحنا هو الصوت، فقد كان هذا الصوت عاليًا في أحشاء اليصابات حين امتلأت بالروح القدس عند سماعها تحية مريم، فصوخت بصوت عالٍ وقدمت شهادتها (لو ١: ٤٢). وكما يقول العلامة أوريجينوس [هذا هو السبب الذي لأجله ركض يوحنا وصرلت الأم كما لو كانت الفم ونبيّة عن الابن (الكلمة) عندما صوخت بصوت عالٍ وقالت: "مباركة أنتِ في النساء، ومباركة هي ثوة بطنك" (لو ١: ٤٢)] [206].

يتساءل العلامة أوريجينوس لماذا دُعي المخلص حملًا مع أن ذبائح العهد القديم هي ثلاثة أنواع من الحيوانات ونوعان من الطيور: الثور، الحمل، الماعز، يمامتان، فوخا حمام (لا ٥: ٦ - ٧، ١٨). يجب على ذلك بأن خروفين حوليين كانا يُقدمان كل يوم دائمًا، واحد كتقدمة صباحية دائمة، والآخر كتقدمة مسائية دائمة. آية ذبيحة دائمة يمكن أن تكون روحية تقدم للكائن الروحي أفضل من الكلمة في أولويته، الكلمة الذي يُدعى رمزياً "الحمل" الذي رُسل حتى تستتير النفس (لأن هذه هي الذبيحة الصباحية) وتُرفع أيضًا في نهاية (المساء) وقت العقل المنشغل بالأمر السماوية؟ [207] هكذا نبدأ فجر حياتنا بذيبة الحمل لنقضي يومنا كله مشغولين بخلاصه حتى يحل مساء عمونا، فننعم بذات الذبيحة التي تحملنا إلى يومنا الجديد، الأبدية التي لا تنتقطع، فزاه في السماء مع القديس يوحنا الحبيب: "الحمل كأنه مذوح" (رؤ ٥: ٦).

❖ ماذا يؤمننا أن نفهم، وآية عظيمة لحمل الله الذي دُبح لكي يرفع الخطية ليس عن قليلين بل عن كل العالم [٢٩]، الذي من أجله تألم؟ "لأنه إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار، وهو كفولة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا العالم أيضًا" (١ يو ٢: ١-٢). إذ هو مخلص كل بشر ولاسيما المؤمنين (١ تي ٤: ١٠). إنه هو الذي محا الصك الذي كان علينا بدمه، ورفعنا من الوسط، فلم يعد أثر للخطايا التي وُجدت بل مُحيت، مسوًا إياها على الصليب، هذا الذي إذ جرد الرئاسات والسلطين أشهروهم جهلًا ظافرًا بهم في الصليب (كو ٢: ١٤-١٥). هكذا تعلمنا أن نكون فحين حينما نتألم في العالم. نتعلم علة فوحنا، وهو أن العالم قد انهزم (يو ١٦: ٣٣). وبالتأكيد خضع لمن غلبه. لهذا كل الأمم تتحرر ممن سيطروا عليهم، وصالوا بخدمونه، إذ ينفذ الفقراء من الجبار وذلك بقوة آلامه، ويخلص المسكين الذي لا معين له (مز ٧٢: ٤-٥) [208].

❖ صار حمل الله حملًا صغيرًا بريئًا يُقاد للذبح لكي يتّوع خطية العالم (إش ٥٣: ٧؛ يو ١: ٢٩). الذي يهب الكلام (الكلمة) للكل صار مقلنًا بحملٍ صامتٍ أمام جزيه (إش ٥٣: ٧)، لكي نتظهر نحن جميعًا بموته، الذي يُزع كنوانٍ ضد تأثيرات العدو، وضد خطية الذين يشناقون إلى قبول الحق. فإن موت المسيح أبطل القوات المقومة للجنس البشري، وأباد بسطان لا يوصف الحياة في الخطية في حياة كل مؤمن [209].

العلامة أوريجينوس

❖ إذ عمد يوحنا مع كثيرين (آخوين) فلنلا يظن أحد أنه أسوع إلى يوحنا بذات الهدف مثل البقية، أي يعترف بخطايا، ويغتسل في النهر للتوبة، لهذا أعطي ليوحنا الفرصة ليقدّم الرأي السليم مرة أخرى بالقول: "هوذا حمل الله الذي يتّوع خطايا العالم"، فيزيل كل شكٍ. من الواضح تمامًا أن الذي هو ظاهر هكذا حتى يستطيع أن يزع خطايا الآخرين، لا يأتي لكي يعترف بخطايا، بل ليعطي فرصة لذلك المذيع العجيب أن يعلن ما قاله قبلاً بأكثر تحديد لمن سمعوه قبلاً، كما يسمعه آخرون أيضًا. استخدم كلمة "هوذا" "لأن كثيرين بحثوا عنه، لهذا السبب الذي يقوله (يحمل خطاياهم) ولمدة طويلة. لهذا أشار إليه عند حضوره، قائلاً: "هوذا" الذي تبحثون عنهم زمانًا طويلًا، إنه "الحمل".

دعاه حملًا، مُذكّرًا اليهود بنوة إشعيا النبي التي تقول: "ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاةٍ تساق إلى الذبح، وكنعجة صامته أمام جزيها، فلم يفتح فاه" (إش ٥٣: ٧).

ذكروهم بالظل الذي تحت ناموس موسى، لكي يقودهم إلى ما هو أفضل، من الرمز إلى الحقيقة. حمل موسى لم يزع للحال خطايا أحد، أما هذا فيزيل خطايا كل العالم. كان العالم في خطر الدمار فأسوع إليه وخلصه من غضب الله [210].

القديس يوحنا الذهبي الفم



لا تخجل من صليب مخلصنا بل بالأحرى افتخر به. لأن "كلمة الصليب عند اليهود عثرة، وعند الأمم جهالة"، أما بالنسبة لنا فخلاص (1 كو 1:2، 3). إنه عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله (1 كو 1:23، 18:1). لأنه كما سبق أن قلت أنه لم يكن إنساناً مجرداً ذلك الذي مات عنا، بل هو ابن الله، الله المتأنس.

بالأحرى إن كان الحمل في أيام موسى جعل المهلك يعبر، أفلا يزوع عنا خطايانا ذلك الذي هو حمل الله الذي يرفع خطايا العالم؟!!

دم الخوف غير الناطقة وهب خلاصاً، أليس بالأحرى دم ابن الله الوحيد يخلص؟!!

من ينكر قوة المصلوب فليسأل الشياطين!

من لا يؤمن بالكلام فليؤمن بما وى، فكثيرون صلوا في العالم، لكن الشياطين لم تؤوع من واحد منهم، لكنها متى رأيت مجرد علامة صليب المسيح الذي صل لب عنا يصعقون، لأن هؤلاء الرجال صلوا بسبب آثامهم، أما المسيح فص لب بسبب آثام الآخرين... "لأنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه عش" (إش 9:53، 1 بط 2:22). لم ينطق بهذه العبارة وحده، وإلا لشككنا في أنه منحاز لمعلمه. لكن إشعياء قال أيضاً، ذلك الذي لم يكن حاضراً معه بالجسد لكنه تنبأ بالروح عن مجيئه بالجسد.

ما بالنا نستشهد بالنبى وحده هنا؟ فما هو بيلاطس نفسه الذي حكم عليه يقول: "لا أجد في هذا الإنسان علة" (لو 23:14) ولما أسلمه غسل يديه قائلاً: "أنا وى من دم هذا البار".

هناك شهادة أخرى عن ييوع البار الذي بلا خطية، هي شهادة اللص أول الداخلين الفردوس، إذ بكأت زميله منتهراً إيها قائلاً: "أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله (لو 23:41)، لأن كلينا تحت قضائه [211]."

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ "الزهور ظهرت في الأرض، بلغ وأن القضب، وصوت اليمامة سمع في أرضنا" (نش 2:12).

يقول العريس: "انظروا فان المروج مزدهرة بأهار الفضيلة. هل ترى هذا النقاء في جمال النرجس العبق؟ هل ترى ورد التواضع والبنفسج الذي يمثل رائحة السيد المسيح الذكية؟ لماذا إذن لا تعمل تاجاً من هذه الزهور؟ فهذا هو موسم قضب الزهور. لتعمل فرع تاج لقرين بها نفسك. قد حل موسم التقليم. يشهد بذلك صوت اليمامة أي أنه يشبه "صوت صلخ في البرية" (متى 3:3)، فيوحنا المعمدان هو اليمامة. هو الذي تقدم هذا الربيع المنير الذي أنبت لبنى البشر الزهور الرائعة للقضب، وقدمها لكل من رغب في جمعها. إنه هو الذي بين لنا الزهرة التي من أصل يسى (إش 1:11)، "حمل الله الذي يحمل خطية العالم" (يو 1:29). وهو الذي أوضح لنا التوبة عن الخطية، والحياة حسب الفضيلة. يقول النص: "سمع صوت اليمامة في أرضنا"، وهي تتادى: "يا أرض" تتادى هؤلاء الذين أدينوا لخطيتهم، هؤلاء الذين يطلق عليهم الإنجيل "العشرين واثناة"، سمعوا صوت يوحنا المعمدان، بينما لم تقبل البقية تعاليمه [212]."

❖ "اذهب إلى تل المرو إلى جبل اللبان" (نش 6:4)...

خلصت الطبيعة البشرية ومن وصمة الخطية بعد أن رفع حمل الله خطية العالم وحطم الإثم (يو 1:29). لذلك يقول النشيد: "كلك جميل يا حبيبتي، ليس فيك عيبة" ويضيف إلى ذلك سرّ الانفعال الذي يرمز إليه المرّ (نش 6:4)، ثم يذكر خليط الأعشاب العطوة والبخور التي تشير إلى ألوهية المسيح. أن الذي يشرك المسيح في المرّ سوف يحصل على رائحة الأعشاب العطوة والبخور، لأن الذي يتألم معه سينال معه المجد (رو 8:17). وعندما يكون في المجد الإلهي سيحصل على الجمال الكامل ويكون بعيداً جداً عن كل عيب بغيض بواسطة المسيح ومن خلال المسيح ينفصل عن الخطية. إنه مات وقام من الأموات لأجلنا، وله المجد والقوة الآن وإلى الأبد آمين [213]."

القديس غريغوريوس النيسى

❖ "هوذا حمل الله". إنه ليس بفرع ممتد من آدم، إنما استمد منه الجسد ولم يأخذ خطية آدم. إنه لم يأخذ الخطية عليه من العجين الذي لنا، إنما هو الذي

القديس أغسطينوس

- ❖ الزوع (للخطية) يعمل في كل واحدٍ في العالم حتى تُمحي الخطية من العالم كله ، ويسلم المخلص مملكة معدة (١كو ١٥ : ٢٤) للآب، ليس فيها خطية ما قط، مملكة تسمح بحكم الآب وتأتي بالكل إلى الله بكاملها، فيتحقق القول "يكون الله الكل في الكل" (١كو ١٥ : ٢٨) [215].
- ❖ نؤمّر بذبح الحمل في العشية (خر 12 : 6)، حيث أتى الحمل الحقيقي، مخلصنا، إلى العالم (يو 1 : 29) في الساعة الأخيرة (1 يو 2 : 18) [216].
- ❖ كل إنجيل يجلب فوحًا بسبب صالح [217].
- ❖ المسيح هو الصلاح الذي كان ينتظره الشعب [218].

العلامة أوريجينوس

- ❖ لتأمل في نفع الإيمان المستقيم. إنه نافع لي أن أعرف أنه من أجلي احتل المسيح ضعفاتي، وخضع لعواطف جسدي. ومن أجلي، أقول من أجل كل إنسان، صار خطية ولعنة (2 كو 21:5 ؛ غلا 13:3)، من أجلي وفي تواضع وخضوع. ومن أجلي هو الحمل والكرمة والصخرة (يو 1:36؛ 1:15؛ 1 كو 4:10)، والعبداً ابن أمة (مر 10:45؛ يو 4:13، 5؛ مز 16:86؛ 14:116، يو 1:38)، وغير علف ليوم الدينونة، من أجلي جهل اليوم والساعة (مت 24:36) [219].

القديس أمبروسوس

ماذا يُقصد بالعالم؟

يميل العلامة أوريجينوس الذي يؤمن بخلاص كل البشرية أن العالم كله سيخلص معتمدًا على قول الرسول بولس: "لأننا قد ألقينا رجاءنا على الله الحي الذي هو مخلص جميع الناس، ولاسيما المؤمنين" (١ تي ١٠ : ٤). غير أن الرأي السائد في الكنيسة في أيامه غالبًا ما كان يقصد بالعالم هنا العالم الذي استنار بالمخلص فصار كنيسته المقدسة بدمه. وقد عبر عن ذلك العلامة أوريجينوس بقوله: [وى البعض أن العالم يعني الكنيسة وحدها، بكونها زينة العالم. إذ قيل أيضًا أنها نور العالم، إذ يقول الكتاب: "أنتم نور العالم" (مت ٥ : ١٤). الكنيسة هي زينة العالم حيث أن المسيح الذي هو نور العالم الأول هو زينتها... ليتها يُقال عن الكنيسة أنها العالم المستنير بالمخلص [220].

في تسبحة الملائكة في صلاة (تسبحة) باكر نترنم قائلين: "يا حمل الله، يا حامل خطية العالم رحمنًا". وى البعض إنها من أقدم التسابيح في الشرق والغرب. ففي الغرب قبيل التناول يرددون: "يا حمل الله الرافع خطية العالم، رحمنًا".

"هذا هو الذي قلت عنه:

يأتي بعدي رجل صار قدامي،

لأنه كان قبلي" [30].

يكرر المعمدان هذه الشهادة أنه وإن سبق في الزمن مجيئه عن مجيء الكلمة المتجسد إنما ليهيئ الطويق، أما من جهة الوجود، فالكلمة كائن رُلي سابق له، وأعظم منه في الكرامة.

- ❖ يقول المعمدان: "مجيئي" ليس له هدف إلا أن يعلن عن المحسن العام لكل العالم المسكون، وأن يقدم معمودية الماء، أما هذا فيطهر كل البشرية ويهب طاقة الروح. يأتي بعدي ذاك الذي يظهر أكثر مني بهاءً، "لأنه كان قبلي" [221].

القديس يوحنا الذهبي الفم

وَأنا لم أكن أعرفه،

لكن ليظهر لإسرائيل،

لذلك جئت أعمد بالماء" [31].

غاية رسالة يوحنا هو تقديم يسوع المسيح لشعب إسرائيل مع أنه لم يكن بعد قد رأى وجهه ولا عرفه، ولم يكن قانواً أن يصفه سوى أنه حمل الله الذي يرفع خطية العالم.

❖ كانا قريبين حسب الجسد... ولئلا يبدو إنه يقدم مجداً له بسبب القوابة استمر يقول: "وأنا لم أكن أعرفه" [222].

❖ كيف تكون يا يوحنا شاهداً مؤهلاً للتصديق، كيف تُعلم أناساً آخرين إن كنت جاهلاً به؟! إلا أن يوحنا لم يقل "لم أعرفه"، لكنه قال: "أنا لم أكن أعرفه". وبهذه الشهادة صار مؤهلاً لتصديقه كثراً، إلا أنك إن سألته: فكيف عرفته؟ يقول لك: عرفته بنزول الروح عليه...

أما كان يمكن ليوحنا أن ينذر بالمسيح بدون التعميد، ويقتاد الجوع بسهولة؟ فأجيبك: لم يكن ذلك ممكناً البتة، لأنه لو كان قد نادى وأنذر بدون المعمودية لما كان أهل ذلك البلد تقاطروا إليه كلهم على هذا المثال في كثرتهم، ولا عرفوا من المقايسة بينهما سمو أحدهما، إذ أن جوع الشعب خرجت إليه ليس لأنهم سمعوا الأقوال التي قالها، لكنهم خرجوا إليه ليعتموا ويعترفوا بخطاياهم، فلما جاؤا إليه علمهم وعرفهم ما شهد به في وصف المسيح والفرق بين المعمودية التي له والتي للمسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ وإن كان قد عرفه وهو لا زال في رحم أمه (لو ١: ٤١-٤٤) بالتأكيد لم يعرف كل شيء عنه، وربما لم يكن يعرف أنه ذاك "الذي يعمد بالروح القدس ونار". عندما رأى الروح نزلًا ومستقواً عليه [٣٣] [223].

العلامة أوريجينوس

وشهد يوحنا قائلاً:

إني قد رأيت الروح نزلًا مثل حمامة من السماء،

فاستقر عليه" [32].

❖ لا تظن أن هذا تجسد، بل ظهور. لقد جلب المظهر أمامه، حتى بالمظهر يؤمن ذاك الذي لم يرَ الروح. وبالمظهر يعلن أنه شريك مع الآب والابن في كرامة السلطة، عمل واحد في السر، عطية واحدة في الغطس [224].

❖ قال بما يليق: "استقر عليه"، لأن الروح أوحى بالكلام أو العمل للأنبياء كيفما شاء، لكنه مستقر على النوام في المسيح [225].

❖ لا تهتز من القول: "عليه" إذ هو يتحدث عن "ابن الإنسان"، إذ اعتمد بكونه ابن الإنسان. فهو ليس عليه حسب اللاهوت، بل فيه، كما أن الآب في الابن والابن في الآب [226].

القديس أمبروسيو

يقول البابا أثناسيوس الرسولي أنه إذ استقر الروح على يسوع [فذلك من أجل تقديسنا حتى ما نشرك مسحته] [227].

❖ لم يكن ممكناً أن يصيروا أبناء، لأنهم بالطبيعة مخلوقات، ما لم يتقبلوا روح ذاك الذي بالطبيعة الابن الحقيقي. فلكي يتحقق ذلك "صار الكلمة جسداً"، لكي ما يجعل الإنسان قانواً على اللاهوت [228].

❖ يعمل الآب كل الأشياء بالكلمة في الروح القدس، بهذه الوسيلة تحفظ وحدة الثالوث القدس [229].

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ *energoun* لست أتحدث عن المسيح الذي يسكن الروح فيه، ليس كمن يهب طاقة *ouchos*، بل كرفيق لذاك الذي له ذات الكرامة [230].

القديس غريغوريوس النزيوي

لم يتوّد القديس يوحنا الذهبي الفم عن أن يعلن أن يسوع كان مملوءاً بالروح، إذ "هو روحي، لأن الروح نفسه شكله (من جهة تأنسه)، إنه كلمة الله كما أنه طاقة الروح" [231].

كان القديس غريغوريوس أسقف نيصص معترضاً للقول بأن الروح عمل في المسيح: "أضيف الإشارة إلى أن المسيح الذي سكن في الروح ليس كمن يعطيه طاقة بل كمن هو رفيق بكونه مساوٍ له في الكرامة" [232]. كان يلذ للقديس غريغوريوس أسقف نيصص أن يتحدث عن الروح القدس كرفيق للكلمة المتجسد، ويجعل أعماله مُعلنة [233].

خصص القديس كيرلس الكبير الأناثيما 9 للتعليم الخاص بحضور الروح القدس في المسيح. لا يحتاج الله الكلمة إلى الشبع خلال الروح، لأنه هو قدوس بالطبيعة. على العكس فإن جسد الكلمة المتجسد صار يستقبل الروح، بكونه هيكل اللاهوت.

❖ إنه آدم الثاني الذي يشبه واحداً منا، تقبل الروح من الآب، لكي يحفظ طبيعتنا... الروح قد فلقنا بسبب الخطية، وقد صار ذلك الذي لا يعرف خطية يشبه واحداً منا، حتى يبقى الروح فينا بلا انقطاع [234].

❖ بسبب الخطية لم يجد الروح راحة في الكائنات البشرية، ولكن إذ صار كلمة الله إنساناً، فإنه عليه وحده، البكر الثاني للجنس البشري، استقر الروح على الطبيعة البشرية، لكي يستقر أيضاً علينا [235].

❖ بعد أن صار إنساناً، كان له أن يقبل الروح، وإذ فعل هذا ولم يعرف خطية أراد الروح أن يسكن فيه ويستقر عليه بكونه بكر الجنس البشري، وأصله الثاني [236].

❖ إذ كان جسمه كله مملوء بطاقة الروح المحيية، لهذا دعا جسده روحاً، دون أن ينكر أنه جسد [237].

القديس كيرلس الكبير

❖ يأتي المسيح؛ والروح يهين طويقه. يأتي في الجسد والروح لا ينفصل عنه قط، يعمل عجائب ويمنح شفوية من الروح القدس. الشياطين تخرج بالروح القدس. حضور الروح يفسد الشيطان. غوان الخطايا يعطى بعطية الروح. لقد اغتسلتم وتقدستم... باسم الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا" (1 كو 6: 11) [238].

القديس باسيليوس الكبير

❖ "عيناه كالحمام على مجرى المياه" (نش 5: 12)... يُعبر النص عن الحياة الروحية النقية بالحمام، الذي شاهد شبيهاها يوحنا عندما حلّ الروح القدس على المياه (يو 1: 32)، لذلك فإن الذي يُعين بواسطة الله كعيون لجسد الكنيسة يجب عليه أن يغسل أي شيء يعوق بصره، لكي يقوم بوظيفة المراقبة والرؤية كما يجب. يقول الله أنه لا يوجد نوع واحد من المياه لغسل عيوننا، بل توجد أنواع كثيرة. فتوجد فضائل عديدة تمثل عدة ينابيع لتتقية المياه التي نغسل بها عيوننا لكي تُصبح نقية. والأمثلة على هذه الينابيع لتتقية المياه هي: المثاورة والعمل الدعوب، والتواضع، والصدق، والبر، والحزم والشجاعة، والرغبة في عمل الخير، والبعد عن الشر. تفيض أنواع هذه المياه وغورها من نبع واحد وهو يضم مجليها في مجرى واحد وبواسطتها تتلقى العيون من أي إؤلات للانفعالات [239].

القديس غريغوريوس النيسي

وَأنا لم أكن أعرفه،

لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي:

الذي توى الروح نزلًا ومستقرًا عليه،

فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس" [33].

❖ يسوع المسيح هو ابن الله، ومع هذا لم يركز قبل العماد بالإنجيل (الذي صُلبه التمتع بالتبني لله خلال السيد المسيح).

إن كان السيد نفسه قد اتبع هذا الوقت المناسب اللائق، فهل يجوز لنا نحن خدامه أن نخالفه النظام؟! إذ (من ذلك الزمان ابتداء يسوع يركز) عندما " قول عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة" (مت 4:17، لو 3:22)، لا لكي راه يسوع فيعرفه، إذ هو يعرفه قبلما ياتي عليه على هيئة جسمية، إنما لكي راه يوحنا الذي يعمده إذ يقول: "لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي: الذي ترى الروح نؤلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس" (يو 1:23).

إن كنت أنت أيضاً تحمل وعياً قوياً فإن الروح القدس يحل عليك، والآن بكلمك من فوق من الالعلي ليس قائلاً: "هذا هو ابني" بل "الآن صوت ابني"، لأن فعل المضارع في "هذا هو ابني" يخص الابن وحده الذي "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" (يو 1:1)، فهو وحده الذي يقال له: "هو ابني" إذ هو على النوام ابن الله. أما أنت فيقال لك: "الآن تكون" إذ لا تحمل بقوة طبيعية بل تتقبلها بالتبني. هو ابن سومدي، أما أنت فتقبلت النعمة مؤخراً [240].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ ما الذي لم يكن قد عرفه؟ إنها قوة معمودية الرب، فهي لن تنتقل من الرب إلى أي إنسان، بل تتم خدمتها بكل وضوح هكذا. لا تنتقل القوة من الرب إلى أي أحد، يقوم بالخدمة الشخص الصالح أو الشوير. لا تؤند الحمامة عن خدمة (الخدام الشوير) بل تتطلع إلى قوة الرب. أي ضرر يليق بكم من الخادم الشوير ما دام الرب صالح؟ [241]

❖ لقد عرف (يوحنا المعمدان) أنه هو الرب، واعترف أنه هو الحق، وأنه (يوحنا) إنسان حق مؤسل من الحق، هذا ما عرفه يوحنا. ولكن ماذا كان في (المسيح) لم يعرفه يوحنا؟ إنه قد حان الوقت أن يحتفظ لنفسه بقوة عماده، ولا يحولها إلى أي خادم... ما الذي لم يكن يعرفه؟ إن سلطان المعمودية العظيم هو للرب وأنه يورده لنفسه سواء وهو حاضر هنا على الأرض أو عند غيابه بالجسد في السماء، وحضور جلاله، لئلا يقول بولس: "معموديتي"، ولئلا يقول بطرس: "معموديتي". انظروا وانتبهوا لكلمات الرسل. لم يقل أحدهم: "معموديتي". مع وجود إنجيل واحد للكل، لكنك تجدهم يقولون: "إنجيلي"، ولا تجدهم يقولون "معموديتي". هذا ما تعلمه يوحنا يا اختوتي. ما تعلمه يوحنا بالحمامة فلن تعلمه نحن أيضاً. لأن الحمامة لم تعلم يوحنا نون تعليم الكنيسة، هذه التي قيل عنها: "واحدة هي حمامتي" (نش 6:8). ليت الحمامة (الروح القدس) تعلم الحمامة (الكنيسة) [242].

❖ تقول لي: هذا الشخص أو ذاك عمده، لكن بالحمامة (الروح القدس) يُقال لي ولك: "إنه هو (الرب) الذي يعمدك. من الذي أصدقه: الحدأة أم الحمامة؟" [243]

❖ هذا السرّ مقدس جداً حتى أن خدمة قائل له لن يفسده [244].

❖ أي نفع كان في أن تتقبل عماد خادم معين لكي ما لا تروى من قبول عماد الرب؟...

إن كنت قد جئت إلى الخادم فهل تستتكف من المجيء إلى الرب؟ إن كنت قد قبلت معمودية الخادم، فهل تستتكف من أن تتعمد بواسطة الرب؟ [245]

❖ لو أنه كان يجله تماماً لما قال له عند مجيئه إلى النهر ليعتمد: "أنا محتاج أن أعتمد منك، فكيف تأتي إلي؟"... لقد عُرف الرب بواسطة الحمامة، لا لذلك الذي لم يعرفه، بل لذلك الذي عرفه بطريقة ما، ولم يعرفه من جانب آخر. إنه من أجلنا لكي نكتشف ما هو فيه، الأمر الذي لم يعرفه يوحنا وتعلمه بالحمامة [246].

القديس أغسطينوس

❖ أظن أننا لا نستطيع أن نكف عن رؤية تلك النار عندما نقول أن الرب يسوع يعمد بالروح القدس ونار [33]، كما يقول يوحنا في إنجيله... لذلك يقول لرميا بعد قبوله الروح: "صارت في قلبي كنار حارقة ملتهبة في عظامي، وأنا كحقيير لا أحتملها" (إر 9:20)... ماذا يعني هذا - أعني أن هذه النار تصير ماءً، والماء يستدعي نراً - إلا تلك النعمة الروحية التي تحرق خطايانا بالنار وتغسلها بالماء؟ فإن الخطية تُغسل وتُحرق [247].

القديس أمبروسيو

❖ قِيلَ العماد من يوحنا لهذا الهدف، وهو إذ يقبل ما هو أقل ممن هو أقل، يحثنا نحن الأقل أن نقبل ما هو أسمى [248].

❖ لو أن ربنا يسوع المسيح وحده اعتمد بمعمودية يوحنا، لظن البعض أن معمودية يوحنا أعظم من معمودية المسيح. إذ يقولون: إن هذه المعمودية هي الأعظم، لأن المسيح وحده هو الذي تأهل لها. لهذا كمثال للقواعد يقدمه لنا الرب أن ننال خلاص المعمودية.

قبل المسيح ما هو ليس ضروري له، لكنه ضروري لحسابنا نحن.

مرة أخرى لنلا ما تقبله المسيح من يوحنا يُفضل عن عماد المسيح سمح للآخرين أيضاً أن يعتموا بواسطة يوحنا. وأما الذين اعتموا بواسطة يوحنا فمعموديتهم لم تكن كافية، إذ كان يؤمهم أن يعتموا بمعمودية المسيح [249].

❖ كما كان المسيح هكذا كانت معموديته: معمودية الرب، إلهية لأن الرب هو الله [250].

القديس أغسطينوس

وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله" [34].

❖ لما كان يوحنا قد عمد، والمسيح قد عمد، فلما لا يتوهم متوهم من الحاضرين أن القول الذي قيل من أجل يوحنا، جاء الروح متلاقياً هذا التوهم واستقر على المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

4. شهادة تلاميذه الأولين له

- شهادة يوحنا لمسيحانية يسوع (35-37) كسبت أنواروس [38-40].

- شهادة أنواروس بالتالي كسبت سمعان الذي دعاه يسوع صفا [42].

- دعي فيلبس من بيت صيدا على بحر الجليل، فكسب نتائيل [45-51] الإسرائيلي الذي لا غش فيه.

"وفي الغد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو واثان من تلاميذه" [35].

"فنظر إلى يسوع ماشياً فقال:

هوذا حمل الله" [36].

"نظر إلى يسوع"؛ ما أخرجنا إلى التطلع نحو السيد المسيح لننظره. نتطلع إليه فزاه يتطلع إلينا، مهتماً بخلصنا.

❖ لقد شهد يوحنا المعمدان عن المسيح أن هذا هو ابن الله [34]، فلم يصنع أحدهم إلى قوله ولا سأله، ولا قال له ما بالك تقول هذه الأقوال ولأجل من تقولها. وقال أيضاً هنا: "هوذا حمل الله!"، ولا على هذه الجهة لزع حسهم الرائل، فكانت طبيعتهم عنده طبيعة أرض صلبة ليئنها بفلاحتهم، وأنهم تميزهم الطيني بكلامه، لأنه اجتهد في غرض واحد وهو أن يقدمهم إلى المسيح، ويلصقهم به، لأنه عرف أنهم إذا قبلوا قوله هذا منه لا يحتاجون فيما بعد إلى الشاهد له.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما حان الوقت لكي يرحم الله، جاء الحمل.

أي حمل هذا الذي تخافه الذئاب؟

من أي نوع هذا الحمل الذي عندما يُذبح يُذبح أسدًا؟ لأن الشيطان يُدعى أسدًا، يجول زأواً يلتمس من يفترسه (1 بط 5: 8). بدم الحمل انهزم

الأسد...

[251]

إنه لأمر عظيم أن ترى في العالم كله الأسد ينهزم بدم حمل؛ وأعضاء المسيح يخلصون من أنياب الأسود، ويرتبطون بجسم المسيح

❖ يريد المسيح أن يمتلك ما قد اشتراه وحده، ولا يرغب أن يشركه أحد في الملكية، إنما.

لقد دفع ثمنًا عظيمًا هكذا، لكي يمتلك وحده.

إنك تجعله شريكًا مع الشيطان هذا الذي بعث نفسك إليه.

"ويل لنوي القلبين" (ابن سواخ 2: 12)، هؤلاء الذين يعطون جزءًا من قلوبهم لله والآخر لإبليس.

إذ يغضب الله لأن الشيطان صار له نصيب في القلب، يفرق القلب ويمتلك الشيطان على القلب كله. ليس باطلاً يقول الرسول: "لا تعطوا مكانًا لإبليس" (أف 4: 27).

[252]

لنعرف إذن أيها الاخوة الحمل، ولنترك ثمننا

القديس أغسطينوس

"فسمعه التلميذان يتكلم فتبعنا يسوع" [37].

إذ سمعا عن الخلاص التصفا بالمخلص دون تأجيل وبغير حوار. كل لحظة تأجيل تمثل خطرًا على النفس، إذ يليق بها أن تسعى إليه، وتطلبه

بلا توانٍ.

كان التلميذان اللذان تبعاه مشتاقين إلى قبول كلمة نعمة من فمه، لا من فم السابق له رقم 2 يشير إلى الحب وكأن التلميذين يشوان إلى كل

الذين قبلوا تبعيته بكمالٍ، وهم الذين يكرسون حياتهم بالحب لله والحب للقریب. هذان هما التلميذان اللذان يحملاننا إلى تبعية المسيح الصادقة.

بيروي لنا الإنجيلي يوحنا دعوة تلميذين من تلاميذ يوحنا ليتبعاه، وهما أندرواس ويوحنا الإنجيلي نفسه (غالبًا). وقام الأول بدعوة أخيه سمعان

بطرس. هؤلاء الثلاثة هم باكرة تلاميذ السيد. هكذا بدأت الكنيسة صغيرة جدًا تضم ثلاثة يتمتعون بالنظر إلى يسوع والملوك معه.

"فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان،

فقال لهما:

ماذا تطلبان؟

فقالا: ربي، الذي تفسيوه يا معلم أين تمكث؟" [38].

يليق بنا أن نجيب دومًا على سؤال السيد المسيح في كل عمل وفي كل كلمة ننطق بها أو فكر ننشغل به: ماذا تطلب؟ هل نطلب مسيحين في كل

تصرف؟ هل ننشغل باستئرتنا بروحه القدس؟ هل نشتهي حضن الأب؟ هل نطلب بنياننا ونمونا في المعرفة الصادقة، وتقديسنا المستمر، ومجدنا

الداخلي؟ هل نطلب ما لمجد الله وبنيان الكنيسة؟

سؤال السيد المسيح المستمر لكل إنسان: ماذا تطلب؟ هل يطلب ممتلكات العالم وملذاته، أم يطلب مديح الناس والكرامة الباطلة؟ أم أن يمكث مع

المسيح أينما وجد؟ لم يكن للسيد موضع يستريح فيه، بل عاش كخريبٍ، هكذا من يطلبه يمكث معه كخريبٍ على الأرض. فلا يكفي أن نطلب من السيد

أن نتبعه بين حين وآخر، وإنما يُلزمنا أن نمكث معه. كلما اقتربنا إليه نتمتع بهاء مجده، وننعم بغنى حبه، ونشتهي ألا نفرقه.

إنا في حاجة أن نلتقي به ونمكث معه فنجلس عند قدميه ونرتوي من ينابيع حبه، ونستتير بروحه القدس فننتعرف على أسوره الخفية غير

المنطوق بها. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "لم يولا علمنا تعليمًا في الآراء والمعتقدات أو غير ذلك من الأمور الضرورية، لكنهما قالوا: "أين

إذ طلبا المكوث معه جاءت الإجابة سريعة أن يأتيا وينظرا في الحال ليمكثا معه دون تأجيل. الوقت الآن مقبول (٢ كو ٦: ٢).

كان ربنا يسوع المسيح يدرك تماماً ما في قلوبهما أنهما يطلبان أن يتبعاه فلماذا سألهما؟

ولاً: ليهبهما الثقة، فيعلنان رغبتهما، ويظهر مسوته بغيرتهما نحو الخلاص والحياة المقدسة لكي يسندهما.

ثانياً: ليعلن أنه من جانبه مستعد أن يبدأ معارحة نفوسنا نحو الحق والمجد الأبدى، لكنه لن يبدأ بدون رادتنا. إنه يقدس الحرية التي وهبنا

إياها.

❖ نتعلم أن إلها لا يعوق بمواهبه رادتنا، لكننا إذا بدأنا نحن يعطينا الإادة عينها (يلهب شوقنا إليه بالأكثر)، ويهبنا أسباباً كثيرة لخلاصنا [253].

❖ "...ماذا تطلبان؟ بسؤاله هذا جعلهما أكثر اتئافاً له، ووهبهما حراً أعظم، وأظهر أنهما مستحقان أن يسمعا؛ لأنه من المحتمل أنهما كانا خجولين

وخائفين، كمن هما ليسا معروفين لديه، وقد سمعا عنه شهادة معلمها له. فلكي يزوع عنهما خجلهما وخوفهما سألهما ولم يدعهما يذهبان معه إلى البيت

في صمت... سألهما لكي كما قلت يهب هوءاً لعقليهما اللذين قد رتبكا بالخجل والقلق، ويهبهما ثقة [254].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ثالثاً: يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [أعطاهما من الدالة عنده أكثر قدراً، وأظهر أنهما مؤهلان للاستماع منه. لأنه كان لائقاً بحالهما أن

يجلا ووهبا من جهة إنهما لم يعرفاه. فسؤاله إياهما زوع خجلهما وخوفهما وأوهامهما كلها ولم يتوكلهما يذهبا إلى المتول صامتتين.]

يقول العلامة أوريجينوس أنه بعد أن قدم يوحنا المعمدان ست شهادات عن السيد المسيح الكلمة، جاء نور الكلمة نفسه ليشهد عن نفسه أمام

تلميذي يوحنا [255].

"فقال لهما:

تعاليا وانظرا.

فأتيا ونظرا أين كان يمكث،

ومكثا عنده ذلك اليوم،

وكان نحو الساعة العاشرة" [39].

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن السيد المسيح في محبته للتلميذين اللذين تبعاه بعد سماعهما شهادة معلمهما القديس يوحنا المعمدان دخل معهما

في حوار في الطوبى، حتى يشوا أنهما ليسا بغيبين عنه، بل صلت لهما معه ألفة، ولكي يتمتعها بصوته الإلهي.

حقا ما أرحنا أن نسير معه في طريق حياتنا ونطلب أن نسمع صوته الإلهي، ونعطيه الفوصة للحديث معنا، وذلك كما حدث مع تلميذييه وهما

في طوبقيهما إلى عمواس يوم قيامته (لو 24)

يعلن القديس الذهبي الفم على الحوار الورد مع تلميذي المعمدان بالقول: [ليتنا إذن نتعلم أن نحسب كل الأمور ثانوية بجانب سماعنا لكلمة الله،

ولا نحسب وقتاً ما أنه غير مناسب لذلك... ليت الطعام والحمامات وكل أمور هذه الحياة يكون لها زمنها المعين، أما تعليم الفلسفة السماوية فلا يكون لها

وقت خاص، بل كل الأوقات مناسبة لها. يقول بولس: "في وقت مناسب وغير مناسب وبخ، انتهر، عظ" (2 تي 4: 2). ويقول أيضا النبي: "في ناموسه

يلهج نهراً ولبلاً" (مز 1: 3) [256].

جاء التلميذان إلى السيد المسيح نحو الساعة العاشرة ليمكثا معه حيث كان يمكث. فمن يقبل وصاياها (العشوة) ويعلن شوقه للطاعة يمكث مع

مخلصه كل يوم حياته لا يفلقه حتى يأتي يوم لقائه به وجهاً لوجه في الدهر الآتي.

[257]



لم يتبعاه بأية طريقة، بل التصقا به .

القديس أغسطينوس

رى القديس أغسطينوس أن رقم 10 يشير إلى الناموس حيث الوصايا العشرة. فقد ذهب إلى السيد المسيح بكونه واهب الناموس ومكملة (مت 5: 17)، لكي يتعلما الناموس من واهب الناموس نفسه لأن الرحمة على لسانه (أم 31: 26)، ويكمل قائلاً: [إن كنت لا تقدر أن تتمم الناموس اهرب إلى الرحمة. إن كنت لا تقدر أن تحقق الناموس استخدم ذلك العهد، استخدم الرباط، استخدم الصلوات التي وضعها ونظمها السملوي مختبر الناموس؟] [258]

رى العلامة أوريجينوس أن السيد المسيح دعا التلميذيين للتمتع به وبسكناه خلال حياة العمل مع التأمل. فبقوله: "تعاليا" دعاها للحياة العاملة، وبقوله "انظروا" دعاها لربط العمل بالتأمل فيه [259].

"كان أنواروس أخو سمعان بطرس

واحدًا من الاثنتين اللذين سمعا يوحنا وتبعاه" [40].

كلمة "أنواروس" في اليونانية تعنى "رجولة". إذ يتبع السيد المسيح من كان جاداً في شوقه للتمتع به والحياة معه. وكما يقول المرتل: "ليتشدد وليتشجع قلبك، وانتظر الرب" (مز 14:27).

لم يعرفنا البشير اسم الآخر، لأنه هو الكاتب لهذه الأقوال.

"هذا وجد أولاً أخاه سمعان فقال له:

قد وجدنا مسيا،

الذي تفسوه المسيح" [41].

بقوله: "وجد" يشير الإنجيلي إلى اهتمام أنواروس بأخيه وبحثه عنه ليشركه خبرته الجديدة التي تمتع بها بلقائه مع يسوع المسيح. في تواضع قال: "لقد وجدنا مسيا"، إذ لم ينسب هذا الاكتشاف لنفسه وحده بل كان معه آخر. يتحدث بلغة النصوة والاعزاز بمن وجداه، إذ وجدا اللؤلؤة الكثوة الثمن، الكنز الحقيقي. لم يردد ما قاله معلمه القديس يوحنا المعمدان: "حمل الله" بل قال كما أعلن عنه الكتاب أيضاً "المسيا"، وهو موضوع شهوة كل يهودي أن يلتقي به.

رى القديس يوحنا الذهبي الفم في دعوة أنواروس لأخيه سمعان، ودعوة آخرين لبعضهما البعض صورة حية لتحقيق الصداقة في الرب، والتعاون في ملكوت الله. يقول إن الله حين خلق آدم لم يدعه وحيداً، بل أعطاه زوجة معينة له ليعيشاً معاً في رفقته، وإن كانت قد أساءت حواء لهذه الرقعة. أما الإنسان الحكيم فيجد منافع كثوة في الرقعة، ليس فقط مع زوجته وأولاده، بل ومع اخوته، لذلك يقول النبي: "ما أحسن وأبهج أن يجتمع الاخوة معاً" (مز 133: 1). كما بحثنا الرسول بولس ألا نهمل اجتماعنا معاً (عب 10: 25) [260].

❖ قوله "قد وجدنا" تعبير عن نفس تجاهد من أجل حضوة الرب، وتبحث عن مجيئه من العلا، وتتهلل عندما يتحقق ما تبحث عنه، وتوسع لتتهب الآخرين أخيراً سرة. هذا هو نور الحب الأخوي، خلال الصداقة الطبيعية، وتدبير مخلص، ليسط اليد للغير لتقديم الروحيات. [261]

القديس يوحنا الذهبي الفم

دعوة فيلبس ونثنائيل

"فجاء به إلى يسوع،

فنظر إليه يسوع وقال:

أنت سمعان بن يونا،

أنت تدعى صفا،

الذي تفسوه بطوس" [42].

دُعي فيلبس مباشرة ليس خلال يوحنا المعمدان مثل أنطواوس ويوحنا، ولا من خلال أنطواوس مثل سمعان بطوس. يستخدم السيد المسيح كل وسيلة لدعوة أولاده.

وجد يسوع فيلبس، كمن كان يفتش عليه ويبحث عنه حتى يجده. ولم يقف الأمر عند الشهادة ليسوع المسيح، بل جاء بأخيه إليه، لكي يتمتع بنفسه بالينوع، يسمع صوته ويتمتع بأعماله.

دعا السيد المسيح باسمه وغير اسمه، ليبرك الرسالة التي يلتم بها كشاهد للإيمان بالمسيح.

دعا والداه "سمعان" الذي يعني "مستمع" أو "مطيع". وبحق بروح الطاعة التقى بالمسيح ليهبه اسماً آخر: "صفا" أو "بطوس" حيث يتمتع بصخرة الإيمان. أما الصخرة فهي المسيح (1 كو 4:10) هذا الذي أحبه سمعان بطوس.

❖ لعلك تسأل: ولم عمل المسيح هذا العمل؟ فأجيبك: ليبين أنه هو الذي أعطانا الشريعة العتيقة، وهو الذي أحال فيها الأسماء وقومها، وهو الذي سمى إوأم إبراهيم وسراى سرة ويعقوب إسوايل، وقد وضع لكثيرين أسماءهم منذ مولدهم كما وضع لاسحق وشمشون، ووضع أسماء للذين في نوة إشعياء وهوشع، ووضع أسماء لأناس بعد الأسماء التي سماهم بها الوالدان.

لقد أخذ كل واحد من أولئك أسماء مختلفة، أما الآن فقد أخذنا كلنا لقباً واحداً، وهو ذلك اللقب الأعظم من الأسماء كلها أن نكون مسيحيين وبنين لإلهنا وأصدقائه وجسده، لأن هذا اللقب أفضل من تلك الألقاب كلها، وفيه كفاية أن ينهضنا ويجعلنا أشد الناس إسواغاً إلى عمل الفضيلة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"في الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل،

فوجد فيلبس فقال له:

اتبعني" [43].

ذهب السيد المسيح إلى الجليل ليدعو فيلبس. كلمة "الجليل" تعني "عمل هجرة" أو "إعلان"، أو "داوة"، فقد أ رادربنا يسوع أن يظهر التوام تلاميذه بالهجرة من آلام الزمان الحاضر للتمتع بمباهج المجد الأبدي، إذ ذ بهجرة القلب من الارتباك بالأمرؤمونية إلى خوة سلام السملاويات الفائقة أو إلى داوة السماء.

بحسب القديس اكليمينضس الإسكنوي كان متولواً أن هذا التلميذ هو الذي طلب منه الرب أن يتبعه، فطلب منه أن يسمح له أن يذهب ويدفن أباه (مت ٨: ٢١-٢٢). وقد وردت كورته كشماس في أع ٦: ٥. روى ثيودورت أسقف كورش أنه كرز في فريجية (المنطقتين بنفس الاسم). وبحسب يوسابيوس دفن في فريجية باستينيا Phrygia Pacatiana.

"وكان فيلبس من بيت صيدا

من مدينة أنطواوس وبتوس" [44].

"بيت صيدا" أو بيت الصيد، لأن أغلب سكانها كانوا صيادين للسمك. كان هذا الموضع يتسم بالشر (مت ١١: ٢١) لكن وُجد فيه بقية مقدسة للرب، مختلة حسب نعمة الله.

لم يذكر الإنجيلي المدينة اعتباطاً بل تحمل معنى رمزياً، فبيت صيدا تعني: "بيت الصيادين". بالحق من يقبل دعوة السيد المسيح ليتبعه إنما يصير صياداً للناس (مت 19:4). وقد كان أول صيد لفيلبس هو نثنائيل، الذي جاء به إلى يسوع المسيح.

❖ كان الرسول فيلبس من نفس البلدة التي جاء منها أنطواوس وبتوس بحسب ما جاء في الإنجيل (يو 1:44). إني أظن أن فيلبس قد مُجد لأنه كان

صديقًا للأخوين أنواروس ويطوس، أول من كرمهما الإنجيل.

فهم أنواروس سرّ المسيح وتبعه بعدما أشار يوحنا المعمدان إليه قائلاً: "هذا هو حمل الله الذي يحمل خطية العالم".

تعلم أنواروس حيث كان يسكن وحمل الأخبار المفوحة من النوات التي صرت منذ أمد بعيد إلى أخوه سمعان بطرس. ويؤم أن يسبق السمع

الإيمان. لأن الشخص الذي يرتبط من كل قلبه بالحمل يصير مقدسًا بتغيير الاسم: فبدلاً من سمعان ناداه السيد المسيح بطرس، وأصبح اسمه بطرس.

ينطبق تغيير الاسم أيضاً على إواهم وسلة اللذين روا في مراحل روحية عديدة ثم استقبلا الوعد بالوكات من الله، وأصبح إواهم وسلة

جدان لأمم كثرة من خلال تغيير الاسم.

ويشبه ذلك ما حدث ليعقوب الذي صار اسمه إسراييل بعد مصلحته الطويلة خلال الليل مع الملاك.

ونمي بطرس العظيم بمثل هذه النعمة، بعد ما عرف إيمان أخوه في حمل الله ثم اكتمل من خلال الإيمان وأصبح صخرة. لذلك كان فيلبس

مستحقاً أن يكون رفيقاً لبطرس وأنواروس بعدما وجده يسوع. كما يقول الإنجيل وجد فيلبس الذي صار تابعاً لكلمة الله؛ "اتبعتني" (يو 1:43).

وبعد ما امتلأ فيلبس من نور الإيمان، دعا نثنائيل لكي يتقرب من المسيح ويتعرف على سرّ الإيمان ويمتلئ بنوره. فقال له فيلبس: "وجدنا الذي

كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف من الناصرة" (يو 1:45). استقبل نثنائيل رسالة الإنجيل بانتباه ووجد سرّ النوة عن السيد

المسيح صدى في أذنيه. علم أن بيت لحم هي أول مكان لظهور الله في الجسد، ولكنه بعد ذلك عاش في الناصرة لذلك سُمي السيد المسيح **الناصري**.

وقد تبين لنثنائيل من فحص النوات أن السيد المسيح لا بد أن يولد حسب الجسد من نسل داود في بيت لحم، وأن هذا السرّ لا بد أن يحدث في

مغرة وفيها أقمطة من قماش لكي يلف بها الطفل المولود ومعهم رجل وعاهم. وكانت الجليل تُعرف حسب الكتاب المقدس بأنها موطن الأمم (إش

1:9). لذلك ظهر نور المعرفة لنثنائيل الذي قال: "أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟" (يو 1:46) ومن هنا ترك نثنائيل شجرة التين التي أخفى

ظلمها النور، وتمسك بالواحد الذي لعن شجرة التين الغير مثمرة فجفت أوراقها. وشهد كلمة الله أن نثنائيل كان إسراييليّاً حقاً لا غش فيه، فلقد أظهر نفسه

نقياً مثل أبينا إواهم (تك 25:27). قال المسيح: "هوذا إسراييلي حقاً لا غش فيه" [262].

القديس غريغوريوس النيسي

'فيلبس وجد نثنائيل وقال له:

وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء،

يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة" [45].

نثنائيل هو نفسه برثلماوس Bartholomew للأسباب التالية:

أ. الإنجيليون الذين أشاروا إلى برثلماوس لم يذكروا نثنائيل، والذين ذكروا نثنائيل لم يشيروا إلى برثلماوس.

ب. كلمة برثلماوس ليست اسماً لشخص ما، بل تعني "ابن بطليموس"، وأن اسمه الحقيقي هو نثنائيل.

ج. تحدث عنه الإنجيلي يوحنا كراحد من الرسل عندما ذهب مع الرسل للتصيد وظهر لهم السيد المسيح بعد قيامته (يو 21: 2-4).

قول فيلبس يكشف عن غوته في البحث في الكتاب المقدس خاصة الناموس والأنبياء، حيث أ لهب قلبه بالشوق لرؤية "يسوع" أو "المسيا" القادم

من بيت داود. أخيراً قد وجد ذلك الذي يعلن ذاته لطالبيه.

ذكر فيلبس عن السيد المسيح إنه "يسوع" أي "يهوه مخلص"، ليعل ن لنثنائيل إنه المخلص الذي طالما تحدث عنه الناموس والأنبياء. أما دعوته

"ابن يوسف" فلا يعني إنه من زرع وإنما ليؤكد إنه من بيت داود الذي جاء منه يوسف.

"فقال له نثنائيل:

أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟

قال له فيلبس: تعال وانظر" [46].

❖ هذه ليست كلمات غير مؤمن، ولا من يستحق اللوم بل المديح. كيف هذا؟ وبأية كيفية؟ لأن نثنائيل كان يهتم بكتابات الأنبياء أكثر من فيلبس. فقد سمع من الكتب المقدسة أن المسيح يأتي من بيت لحم، من قرية داود... شخصية نثنائيل لا تتدخّل بسوعة. لكنه لم يزل من جاء إليه بل دخل إلى (المسيح) نفسه وغبة عظيمة شعر بها من نوره. شعر في داخله أن فيلبس ربما أخطأ في الموضوع (لا في الشخص) [263].

القديس يوحنا الذهبي الفم

وي الأب Bede أن كلمة "ناصوة" تتناسب مع أسوار المسيح، فهي ترجم "عن النقوة"، أو "روته" أو "منفصل". فالرب مخلص العالم هو القدوس الذي بلا دنس، المنزول عن الخطايا. يقول في نشيد الأناشيد: "أنازهة السهل، زنبقة الوادي" (نش LXX 1:2) ويقول عنه إشعياء النبي: "ويخرج قضيب من خوخ يسي وبنبت غصن من أصوله" (1:11).

"ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه فقال عنه:

هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه" [47].

امتدحه الرب بكونه إسرائيليّاً لا غش فيه، أي بالحق جاء من نسل ي يعقوب الذي يجاهد من أجل الرب، فتأهل أن يدعى "إسرائيلي" (تك 32: 28). بقوله "إسرائيلي حقاً" يعني أنه أهل لأن يكون من نسل يعقوب، ليس فقط يؤمن بالله، وإنما أيضاً يتعبد له مجاهداً بإخلاص وبحق. وبقوله: "لا غش فيه" يعني أنه وسط الفساد الذي اتسم به الشعب في ذلك الوقت احتفظ نثنائيل باخلاصه في إيمانه وحياته، يسلك بالبر والاستقامة.

❖ كمن يقول له: "وأنت تحت ظل الخطية أنا اختوتك"، وإذ تذكر نثنائيل أنه كان تحت شجرة التين حين لم يكن أحد هناك عرف لاهوته وأجاب: "أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل". ذاك الذي كان تحت شجرة التين لم يصر شجرة تين جافة، فقد عرف المسيح [264].

القديس أغسطينوس

"قال له نثنائيل:

من أين تعرفني؟

أجاب يسوع وقال له:

قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك" [48].

ماذا تعنى شجرة التين؟

ولاً: وي الأب Bede أن شجرة التين أحياناً تشير إلى عنوبة الحب الإلهي، ولكن إذ أ بوانا الأوان صنعا لنفسيهما ثياباً من أوراق التين صلت شجرة التين تشير إلى الميل للخطية، والتستر عليها عوض العنوبة الإلهية. فإن كان "نثنائيل" معناه "عطية الله"، فقد فسدت العطية بالتجائها وتسرّها بالميل نحو الخطية.

ثانياً: وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن الحديث الذي دار بين فيلبس ونثنائيل كان تحت شجرة تين [265].

❖ في هذا الموضوع تفهم شجرة التين أنها الخطية... فأنتم تعلمون أن الإنسان الأول غطى نفسه بورق التين عندما أخطأ. بهذه الأوراق التي غطيا بهما عربيهما عندما أحمر وجهيهما بسبب خطيتهما (تك ٣: ٧). وما قد صنعه الله لهما كأعضاء جعلوها بالنسبة لهم مجالاً للخرى. لو أن الشر لم يتقدم ما كان الوي يسبب عدم حياء.

القديس أغسطينوس

❖ لبت يسوع يلقي بنظره إليّ وأنا لزلت تحت شجرة التين غير المثورة، ولبت شجرة التين التي لي تأتي بثمر بعد ثلاث سنوات (لو 6:13)

[266]

"أجاب نثنائيل وقال له:

يا معلم أنت ابن الله،

أنت ملك إسرائيل" [49].

إذ تلامس نثنائيل مع شخص ربنا يسوع المسيح دعاه: "معلمًا"، "ابن الله"، و"ملك إسرائيل". إن السيد قد مدحه بأنه إسرائيلي لا غش فيه، فقد انحنى نثنائيل ليقبله ملكاً عليه وعلى كل إسرائيل.

هذا الاعتراف كان كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم ناقصاً. قال: "أنت ملك إسرائيل" ولم يدرك إنه ملك العالم كله ومخلصه، لهذا وإن كان قد نطق بذات كلمات سمعان بطرس: "أنت ابن الله" (مت 16:16) لم يطوبه الرب كما طوب سمعان بطرس. لم يدرك نثنائيل لاهوت السيد وحقيقة شخصه، بل ظنه معلماً سامياً فحسب.

"أجاب يسوع وقال له:

هل آمنت لأني قلت لك إني رأيتك تحت التينة؟

سوف توى أعظم من هذا" [50].

وى البعض أن نثنائيل اعتاد مثل بعض الحاخامات أن يجلس تحت شجرة تين في هوء يقو في الكتاب المقدس ويناجي الله، ويطلب خلاص نفسه وخلاص إسرائيل. عينا الله على ولاده، خاصة في جلساتهم الهادئة للتمتع بالتأمل في الله وفي أعماله الخلاصية.

"وقال له:

الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة،

وملائكة الله يصعدون ويترنون على ابن الإنسان" [51].

وى البعض أن هذا التشبيه مأخوذ مما كان متبعاً حين يذهب أمير إلى بلد ما يأتي سواء بلده ذاهبين إليه وراجعين إلى بلده يحملون إليه ومنه رسائل. هكذا فإن الملائكة السمايين هم رسل يُرسلون لخدمة ملكهم الذي تنزل وتجسد ليسلك على الأرض كابن الإنسان.

بينما شهد له نثنائيل: "أنت ابن الله؛ أنت ملك إسرائيل" [49]، إذا به في تواضعه يدعو نفسه ابن الإنسان.

ربما يتحدث هنا عن ظهوره في مجيئه الثاني ليدين العالم.

❖ رأيت كيف يصعد المسيح بنثنائيل من الأرض قليلاً قليلاً، ويجعله ألا يظنه إنساناً مجرداً؟ لأن من تخدمه الملائكة وتصعد عليه وتنزل كيف يكون هذا إنساناً؟ لهذا السبب قال له: "سوف توى أعظم من هذا" [50] ولتأكيد ذلك قدم خدمة الملائكة له.

ما قاله يعنى هذا "هل تحسب يا نثنائيل أنه أمر عظيم بان تعترف بي إني ملك إسرائيل؟ فما الذي تقوله عني إذ رأيت الملائكة صاعدين ونزولين إلي؟" بهذه الأقوال حقق المسيح عند نثنائيل أنه رب الملائكة، لأن الملائكة يصعدوا ويترنوا إليه كخدام لابن ملكهم الحقيقي.

حدث ذلك في وقت صلبه وفي وقت قيامته، وعند صعوده، وقبل ذلك حين تقدموا وخدموه (مت 4: 11)، وحين بشروا بمولده لما قالوا: "المجد

[267]

لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسوة" (لو 2: 14)، وعندما جاؤا إلى مريم، وجاؤا إلى يوسف.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كانوا يصعدون ويترنوا إليه فهو موجود فوق وهنا في نفس الوقت. فإنه لا يمكن بأية حال أن يصعدوا ويترنوا إليه ما لم يكن موجوداً هناك

حيث يصعدون وهنا حيث يتولون...

لوى المسيح فوق وأسفل خلال شاول، فقد جاء صوت الرب نفسه من السماء قائلاً: "شاول، شاول، لماذا تضطهذي؟" (أع ٩: ٤) ماذا؟... من أين صوخ؟ من السماء، فهو إذن فوق.

ويقول لماذا تضطهذي؟ "فهو أيضاً تحت (لأن بولس لم يصعد إلى السماء ليضطهده)" [268].

القديس أغسطينوس

رى القديس أغسطينوس [269] أن رؤيتنا للسيد المسيح والملائكة يصعدون ويقولون إليه أعظم من وجودنا تحت ظل شجرة التين أو تحت ظل الموت. أما الملائكة فهم رسل السيد المسيح وتلاميذه. كمثال صعد بولس حين اختطف إلى السماء الثالثة وهو في الجسد أو خرج الجسد لا يعلم، لكنه سمع أموراً لا يُنطق بها (2كو 12: 2-4). وهو بنفسه قول حينما لم يتكلم مع أهل كورنثوس كروحيين بل كجسديين كأطفالٍ في المسيح، يطعمهم لبناً لا لحمًا (1 كو 3: 1-2). ذلك الذي صعد إلى السماء الثالثة من أجل المسيح، من أجله نزل إلى الشعب ليتحدث معهم بلغة الأطفال غير الناضجين متشبهًا بالأمهات عند حديثهن مع أطفالهن الصغار . لقد صعد وتقول حيث يقول: "إننا إن صونا مختلين فله، أو كنا عاقلين فلكم" (2 كو 5: 13).

يقول القديس أغسطينوس : [إن كان الرب نفسه صعد وتقول، فواضح أن الكارزين به يصعدون بالاقتداء به، ويقولون بالكورة [270].]

ملحق للأصاحح الأول

عن

النعمة الإلهية

(نعمة فوق نعمة)

يقدم لنا معلمنا يوحنا البشير خلال السفر كله شخص الكلمة الإلهي المتجسد كمصدر فيضٍ من النعم الإلهية بلا توقف، خاصة نعمة الخلق ونعمة ال بنوة لله مع فيضٍ من النعم. يقول الإنجيلي: " ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، نعمة فوق نعمة، لأن الناموس بموسى أُعطي أما النعمة والحق فبإسوع المسيح صرا" (يو ١: ١٥-١٧). وقد سبق لنا نشر كتاب عن النعمة الإلهية في مدرسة الإسكندرية باللغة الإنجليزية، أرجو أن يسمح لي إلهي بترجمته ونشره. أود هنا أن أقدم عرضاً مبسطاً للنعمة الإلهية [271].

ماذا تعني النعمة؟

لم يهتم آباء الكنيسة في الشرق بتقديم تعريف للمصطلحات اللاهوتية سواء للنعمة أو غيرها، بالرغم من الحديث بفيضٍ عن عمل النعمة ودورها في حياة المؤمن منذ خلقته إلى يوم لقائه مع الرب على السحاب.

ما يشغل ذهن الكنيسة، خاصة كنيسة الإسكندرية، هو الخوة الحية والاتحاد مع الله كعربون للتمتع بالحياة الأبدية. لهذا لا نعجب إن استخدم العلامة أوريجينوس اسم "المسيح" عوض عطاياه أو نعمه [272]، وفي مواضع أخرى يدعو السيد المسيح "ملكوت في شخص"، فإن من ينعم بملكوت الله إنما يتمتع بالكلمة الإلهية نفسه، واهب النعم ومشبع كل الاحتياجات.

حاول بنيامين ويوري Benjamin Drewery أن يقدم تعريفاً للنعمة الإلهية خلال أعمال أوريجينوس العديدة فقال [يمكننا أن نقترح أنه إذا سُئل أوريجينوس عن تقديم تعريف منهجي للنعمة فإنه يجب بشيء مثل هذا: "النعمة هي قوة الله المجانية، لكنها ليست غير مشروطة، توضع تحت تصوف الإنسان، بواسطتها يتوَّجَّع الخلاص إلى حياة جديدة تبلغ الذروة، معلنة ومقننة في الكتب المقدسة، بواسطة يسوع المسيح المتجسد، وتصير به

النعمة وكلمة الله

إذ تغمرنا النعمة الإلهية نسبح في لجة محبة الله الفائقة التي تحصونا من كل جانب، والتي لا نستطيع أن نحصر طولها وعرضها وعمقها وارتفاعها نتطلع إلى الكتاب المقدس لننهل من الوعود الإلهية الفائقة.

حقاً لقد خلق الله الإنسان ليتحدث الكلمة الإلهي معه وجهاً لوجه. وكان أبونا الأولان يتمتعان بصوت الله ماشياً في الجنة (تك 3: 8). أما وقد أعطى الإنسان ظهوه لمصدر النعم، لم يتركه الله بل وهبه **الناموس** ليرتفع به إلى غنى نعمته. وجاء **الكتاب المقدس** ليس ورقاً وحرفاً مكتوبة بل لقاءً حياً مع الكلمة الإلهي وراء الحروف.

من يتمتع بنعمة إواك أسوار الكتاب المقدس يتمتع بالشركة مع الكلمة الإلهي، وتدخل نفسه الفودوس الروحي المشبع.

[274]

❖ لا يمكن نوال أمر صالح بعيداً عن الله، وأما فوق كل شيء فهو فهم الكتب المقدسة الموحى بها.

❖ [275] **المعنى الروحي الذي يهبه الناموس لا يبركه الكل، وإنما الذين يُمنحون نعمة الروح القدس في كلمة الحكمة والمعرفة.**

[276]

❖ ليتنا نحث الله لكي ما كما أن الكلمة تنمو فينا، نتقبل اتساع الفكر في المسيح يسوع، وبهذا يمكننا أن نسمع الكلمات المقدسة.

[277]

❖ كثيرون يسعون لتفسير الكتب المقدسة... لكن ليس الكل ينجحون. فإنه **ناوياً ما يوجد من له هذه النعمة من الله**.

العلامة أوريجينوس

❖ "حبيبي هو شبيه بالطبي أو بغير الأيائل. هوذا واقف وراء حائطنا، يتطلع من الكوى، يُوصو من الشبابيك" (نش 9:2)...

يمكن تفسير معنى هذه الآية كالاتي: لا تكلمني من الآن فصاعداً بوموز الأنبياء والوصايا. وحتى أراك **اظهر لي نفسك حتى آتى إلى داخل الصورة، الإنجيل، وأترك خلفي حائط الوصايا**. وحتى أسمعك اجعل صوتك يرن في أذني. فإذا كان صوتك حلوًا جدًا من خلال شبابيك الأنبياء، فكم تكون رؤية وجهك الجميل مُجلبيةً للحب والسعادة؟

فهمت العروس السرّ في صخرة الإنجيل التي قادها إليها الكلمة بطوق عديدة ومختلفة (عب 11:1)، بينما كان عند الشبابيك. والآن ترغب العروس في ظهره في الجسد، حتى يمكن رؤية الله في الجسد ويتكلم عن الوعود الإلهية للسعادة الأبدية لكل من يستحقها.

لاحظ توافق كلمات سمعان مع رغبة العروس: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عيني قد أبصرت خلاصك" (لو 29:2، 30).

رأى سمعان مثلما أرادت العروس أن ترى. وهؤلاء الذين استقبلوا صوت المسيح الحلو تعرفوا على نعمة الإنجيل وصوخوا: "يا رب إلى من نذهب؟ كلام

[278]

الحياة الأبدية عندك" (يو 6:68).

القديس غريغوريوس النيسي

نعمة الخلق

في تفسيرنا لعبارة **"نعمة فوق نعمة"** رأينا كيف أن الله أب كل البشرية يبسط يديه ليهب من فيض سخائه نعمته لكل بشر. حقاً توجد نعم عامة يشترك فيها كل إنسان، كما توجد نعم خاصة تمتع بها شعب الله قديماً بالإيمان خلال الناموس الموسوي، وأما ما قدمه الكلمة الإلهي المتجسد خلال صليبه فيفوق كل فكر. إنه كنز من النعم مفوح لكل إنسان يقبله ويتجاوب معه. ولعل أول نعمة تمتع بها الإنسان هو **"الخلق"**.

اهتم **القديس أثناس يوس الرسولي** بالحديث عن نعمة الخلق، فقد أوجد الله الإنسان ليس فقط من العدم إلى الوجود، فيشعر أنه مدين له بكل

حياته، وإنما أوجده أيضاً حاملاً **نعمة صورته**. بهذا يتمكن من ممارسة الحياة الفوسية، وإواك أسوار معرفة الله، والاتصال بالخالق، فيتمثل به، وواه

ويحيا معه خالدًا إلى الأبد. يشوح القديس عمل الكلمة (الوغوس) الخالق كواهب نعمة التمتع بصورة الله، واعادتها لنا بتجديد طبيعتنا بعد فسادها.

❖ *Tautotis* طالما يحفظ الإنسان تلك السمة الإلهية ، فإنه لا ينزول قط عن إحساسه بالله، أو يبتعد عن شركة حياة القديسين، بل إذ يستعيد نعمة الله التي وُهبته له، وإذ يمتلك القوة الخاصة التي من اللوغوس كلمة الأب، فإنه يتهلل فحًا متحدًا مع الله، فيحيا الحياة المبركة التي بلا ألم، والخالدة بالحقيقة (عديمة الموت). وإذ لا يعوقه عائق عن المعرفة الإلهية، يتأمل دوماً بطهرته [279] صورة الأب، أي في الله اللوغوس، الذي خلق الإنسان على صورته، ويتعجب إذ يدرك تدبير الله للكون بواسطة اللوغوس.

لهذا يسمو فوق كل محسوس وكل رؤية جسدانية، فترتبط بالحقائق الإلهية والمعقولة [280] في السموات بقوة الذهن. لأنه حينما لا تتصل أذهان الناس بالأجساد، ولا يوجد شيء مختلط بالأذهان من خلج، والذي ينبع من شهوة تلك الأجساد، بل تسمو (تلك الأذهان) بالتمام وتتكامل في ذاتها، كما خلقت منذ البدء.

وإذ تدع جانبًا كل الأمور الحسية والبشرية فإن الذهن يرتفع إلى عنان السماء.

وإذ يعاين اللوغوس يرى فيه الأب، أب اللوغوس، فيختبر الفرح الغامر عند هذه الرؤيا، ويتجدد باشتياقه إليه.

ويشبه ذلك الأمر حالة الإنسان الأول المخلوق الذي دعي آدم (بحسب اللغة العوانية)، والذي يقول عنه الكتاب المقدس إنه كان في البدء ذا ذهن مثبت على الله بدالة لا تحزى، وإنه عاش حياة الشركة مع القديسين في تأمل الحقائق المعقولة التي اقتناها في ذاك الموضوع، والذي يسميه القديس موسى بشكل تصويوي "الفودوس"، وكانت النفس الطاهرة بالحق قاهرة أن ترى الله ذاته الذي ينعكس فيها كمرآة. كما قال الرب نفسه: "طوبى للأتقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" [281].

القديس أنثاسيوس الرسولي

نعمة حرية الإرادة

❖ أعطى الله الطبيعة العاقلة نعمة حرية الإرادة، وأنعم على الإنسان القوة على تحديد ما يريد حتى يسكن الصلاح في حياتنا، ليس قسوةً ولا لارادياً بل نتيجة للاختيار الحر. إن تمتعنا بحرية الإرادة يؤدي بنا إلى اكتشاف حقائق جلية. في طبيعة الأمور إذا ما أساء أحد استخدام مثل هذه الإرادة الحرة فإنه بحسب كلمات الرسول يصير مثل هذا الشخص مخترعاً لأعمال شريرة (رو 1:30). كل من هو من الله يُعدُّ أخًا لنا، أما الذي يرفض [282] الاشتراك في أعمال الصلاح يتم ذلك بكامل رادته.

القديس غريغوريوس النيسي

نعمة الناموس

الناموس، سواء الطبيعي أو الموسوي، في ذاته عطية عظيمة، ونعمة مقدمة من الله، لتتهيئ لنعمة الإنجيل، لكن لا وجه للمقارنة بين الظل والحقيقة.

❖ النعمة التي معنا ليست كتلك التي لهم (لليهود)، فإننا لم ننل مجرد غوان الخطايا، بل نلنا البر والتقديس والبنوة ونعمة الروح القدس الأكثر بهاءً وبهجة وفيضاً. بهذه النعمة صرنا نشاق إلى الله، ليس كعبيد بل كأبناء وأصدقاء. عن هذه الحال يقول: "نعمة فوق نعمة". حتى الأمور الخاصة بالناموس هي من النعمة... إذ قبل البشر الناموس كترقي وعفو ومحبة ونعمة [283].

❖ كان يوجد تقديس، والآن يوجد التقديس.

كان يوجد عماد والآن العماد.

كانت هناك ذبيحة والآن توجد الذبيحة.

كان يوجد هيكل والآن يوجد الهيكل...
هكذا كانت توجد نعمة والآن توجد النعمة.

لكن الكلمات في الحالة الأولى استخدمت كرموز، وفي الثانية كحقائق تحمل ذات الصوت ولكن ليس ذات المعنى [284].

القديس يوحنا الذهبي الفم

نعمة إعادة ما فقدناه

إذ فقد الآن صورة الله صلت حياته جحيماً لا يُطاق، وتحول الفردوس إلى سجن، وأثبتت له الأرض شوكة وحسكاً. لم تقف نعمة الله مكتوفة الأيدي مهما كلفها الأمر، حتى وإن كان الثمن تجسد الكلمة وإعلان حبه بقبوله الموت صلماً حتى يهب الإنسان بهجة القيامة ويتمتع ببرّ المسيح، ويرد روحه القديس صورة الله فيه.

❖ فما العمل إذن؟ إلى من يمكن اللجوء لاستعادة نوال مثل تلك النعمة، سوى إلى كلمة الله الذي خلق في البدء كل الأشياء من العدم؟ إذ يختص هو وحده بأن يأتي بمن كان في الفساد إلى عدم الفساد وأن يحقق ما يليق بالآب فوق كل شيء، إذ هو كلمة الله الآب الذي فوق الجميع لأنه وحده القادر أن يستعيد للجميع ما كان مفقوداً، وأن يتألم لأجل الجميع، وأن يكون شفيحاً لدي الآب لأجل الكل [285].

القديس أثناسيوس الرسولي

نعمة القيامة والغلبة على الموت

يقول السيد المسيح لموثا: "أنا هو القيامة"، فإن كان الفساد قد حل بجسد لعازر الميت لمدة أربعة أيام، فهو حال في كل نفس وجسد، قد انتن الإنسان تماماً بسبب موت الخطية. جاء "القيامة" يهبنا ذاته، فنتمتع بالشركة معه، فيحررنا من سلطان الموت، ولا يقدر الفساد أن يحل بنا. بروح القوة والنصرة ننشد مع الرسول بولس: "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟ أما شوكة الموت فهي الخطية... ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة ربنا يسوع المسيح" (١ كو ١٥: ٥٥-٥٧). هذه هي نعمة القيامة.

❖ لكي يستعيد اللوغوس المتأنس عدم الفساد إلى البشر الذين انحدروا إلى الفساد، فيحييهم من حالة الموت، أخذ جسدهم لنفسه، حتى يبديد الموت ويلاشبهه بواسطة نعمة القيامة كما تلتهم النار الهشيم [286].

❖ لقد مات الموت حقاً... فلم يعد مزعجاً بعد، بل بالأحرى فإن المؤمنين بالمسيح يطأون الموت كأنه عدم، بل أنهم يفضلون الموت عن إنكار إيمانهم بالمسيح. كل هذا لأنهم يعلمون أنهم لا يفنون بالموت، بل يحيون بالقيامة ويصيرون عديمي فساد [287].

القديس أثناسيوس الرسولي

نعمة التبني لله الآب

الكلمة الإلهي هو الابن بالطبيعة، مولود من الآب، نور من نور، فيه ننال نعمة التبني لله الآب:

❖ أمونا الله أن نعتمد ليس باسم "الخالق والمخلوق"، بل باسم الآب والابن والروح القدس" (مت 28: 19)، لأننا إذ نحن من بين المخلوقات، نصير هكذا (بالمعمودية) مكتملين، وبهذا نصير أبناء [288].

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ إن كان بينكم من هو عبد للخطية فليستعد بالإيمان استعداداً تاماً للميلاد الجديد في الحرية والتبني. وبخلعه العبودية لخطايا المولودة وولدتائه عبوديته للرب المطوية بصير أهلاً لمواث ملكوت السموات.

اخلعوا " الإنسان العتيق الفاسد حسب شهوات الغرور " (أف 22:4) بالاعتراف، حتى تلبسوا الإنسان " الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو 3:10).

بالإيمان خفوا " عيوب الروح القدس " (2 كو 22:1) لكي يقبلونكم في المظال الأبدية (راجع لو 9:16).

تعالوا لتتالوا الختم السري حتى يعرفكم السيد بسهولة، وتكونون محصيين بين قطيع المسيح المقدس الروحاني، ويكون مكانكم عن يمينه، فترثوا الحياة المعدة لكم، أما هو لاء اللابسون ثوب خطاياهم الدنس فيبقون عن يساره، إذ لم يأتوا بالمسيح إلى نعمة الله في الميلاد الجديد بالمعمودية. وإنني أعني بالميلاد الجديد ميلادًا روحياً جديداً للنفس، فالوالدون المنظورون يلدوننا حسب الجسد، أما أرواحنا فتولد ميلاداً جديداً بالإيمان، إذ "الريح تهب حيث تشاء"، عندئذ متى وُجدتم مستحقين تسمعون الصوت القائل: "نعماً أيها العبد الصالح والأمين" (مت 21:25)، وذلك إن كان ضميركم غير ملوث بدنس الرياء [289].

القديس كيرلس الأورشليمي

نعمة الروح القدس

كثوًا ما شغل منظر عماد السيد المسيح قلب القديس كيرلس الكبير ، فأرى الكنيسة كلها في المسيح لرأس بكونها جسده، فمع أن الروح القدس هو روحه الذي لا يفصل عنه، لأنه واحد معه في الجوهر، لكنه حل عليه في العمد، من أجل تمتع الكنيسة به. فنعمة الروح القدس هي عطية واهب العطايا والنعم لكنيسته ولكل عضو فيها. قدم لنا نعمة الروح القدس الذي بيكتنا على الخطية، ويدين عدو الخير الذي يود هلاكنا، ويهبنا بر المسيح. يقدم لنا الحق، إي السيد المسيح، ويجدد طبيعتنا، ويقودنا في الطريق، الذي هو المسيح، ويوحدنا في استحقاقات دم المسيح مع الآب، ويهبنا شركة مع السيد المسيح ومع السمايين ومع بعضنا البعض.

❖ هكذا أيضًا توضح عبرة داود في مز 44: 7-8 أنه ما كان لنا أن نصير شوكاء الروح القدس ولا أن نتقدس لو لم يكن اللوغوس المتجسد، الذي هو واهب الروح قد مسح نفسه بالروح لأجلنا، ولهذا فمن المؤكد أننا كنا نحن الذين قبلنا الروح القدس حينما قيل انه مُسح بالجسد. لأن جسده الخاص هو الذي تقدس ولأ، وإذ قيل عنه كإنسان، إن جسده قد نال هذا (الروح)، فلأجل هذا ننال نحن نعمة الروح آخذين إياها "من ملئه" [290].

القديس أنثاسيوس الرسولي

❖ كان سكب للروح علينا، أما للرب يسوع الذي كان في شكل إنسان، فالروح استقر عليه... بخصوصنا فإن سحاء المُعطي يعين بفيض، أما بالنسبة له فيسكن فيه كمال الروح أبدياً. يسكب إذن حسبما يكفيناه، وما يسكبه لا يفصل ولا ينقسم، أما ما هو له فهو وحدة الكمال الذي به ينير بصورة قلوبنا حسب قوتنا على الاحتمال. أخوًا نحن نتقبل حسب ما يتطلبه تقدم ذهننا. من أجل كمال نعمة الروح غير منظور، ولكنه يساهم فينا حسب إمكانية طبيعتنا [291].

القديس أمبروسيوس

نعمة الشركة في الطبيعة الإلهية

إخلاء كلمة الله ذاته ليحمل شكل العبد وهبنا إمكانية المجد الداخلي الفائق، موضع سرور الله، إذ يرى ملكوته قائمًا فينا، وموضع سرور السمايين، إذ يمجنون الله على غنى هذه النعمة الفائقة.

مع خيرتنا اليومية لهذا المجد الداخلي وسط تيلات العالم العورة يتجلى هذا المجد في أروع صورته يوم لقائنا مع العريس السموي على السحاب، فنحمل صورته، وثُف كعروس سماوية، ملكة تجلس عن يمين ملك الملوك. هذه هي نعمة شركة الطبيعة الإلهية العاملة في أعماقنا. ❖ يا للسر العجيب! الرب تنزل، الإنسان ارتفع.

❖ يقول الرسول: "ألا تعلمون أنكم هياكل الله" (١ كو ٣: ١٦). فالغنوصي (المؤمن صاحب المعرفة الروحية الحقيقية) بالتبعية إلهي، وقد صار بالفعل مقدسًا، حاملاً الله، ومحولاً بالله.

❖ مزرع الله، إذ يمنحنا موات الآب العظيم حقًا وإلهي الذي لا يمكن نقله إلى آخر، يؤله الإنسان بتعليم سموي، ويضع نواميسه في أذهاننا، ويكتبها في قلوبنا [292].

❖ القديس اكليمينضس السكنوري

❖ صار كلمة الله إنسانًا، لكي تتعلم كيف يصير الإنسان إلهًا [293].

❖ شلكننا يسوع المسيح بشريتنا لكي يمنحنا فيضًا من غناه [294].

القديس كيرلس الكبير

❖ قيل عن المسيح أنه أخذ كإنسان ما كان له دائمًا كإله، حتى إن تلك النعمة، التي وهبت له يمكن أن ننالها نحن أيضًا، لأن اللوغوس لم ينقص قوره باتخاذ جسدًا حتى يسعى للحصول على نعمة، بل إنه بالأحرى قد أله ذلك الجسد الذي لبسه، بل وأكثر من ذلك، فقد أنعم بهذه النعمة على جنس البشر [295].

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ لداود الحق أن يصوخ، كإنسانٍ قد تجدد، "وسأتي إلى مذبج الله، إلى الله الذي يعطي فرحًا لشبابي" (مز 43:4). كما قال قبلاً إنه شاخ وسط أعدائه... وهو يقول هنا إنه قد استعاد الشباب بعد طول شيخوخة وسقوط الإنسان. لأننا قد تجددنا بالتجديد الذي نلناه في المعمودية، وتجددنا خلال سكب الروح القدس، وسنتجدد أيضًا بالقيامة، كما يقول في نصٍ آخر: "فيتجدد مثل النسر شبابك" (مز 103:5) فاعلموا طريقة تجديدها: "تنضح عليّ بزوفاك فأطهر، تغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (مز 51:9) وفي إشعياء: "إن كانت خطاياكم حواء كالقزمز، تبيض كالثلج" (إش 1:18) ومن يتغير من الظلمة، ظلمة الخطية، إلى نور الفضيلة وإلى النعمة، إنما قد تجدد فعلاً. لهذا فإن ذاك الذي تلتخ قبلاً بالدنس الأحمق، يشوق الآن بسطوح أكثر بياضًا من الثلج [296].

القديس أمبروسيوس

❖ يقول السيد المسيح: "يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة الموسلين إليها، كم موة رُدت أن أجمع ولادك كما تجمع الدجاجة فإخها تحت جناحها ولم تروبا" (مت 23:37). تتوافق هذه التعبيرات مع ما كنا نفترضه. فإذا قال النص المقدس الموحى به، لأي سبب سوي لا نعرفه، أن الطبيعة الإلهية لها أجنحة، لذلك يكون الإنسان الأول الذي خلق على حسب صورة الله، شبيهاً له في كل شيء (تك 1:26). أستنتج من ذلك أن الإنسان الأول خُلق بأجنحة حتى يكون شبيهاً بالطبيعة الإلهية. ويتضح أن كلمة "أجنحة" يمكن أن ترمز إلى الله. فهي قوة الله ونعمته وعدم فساده وكل شيء آخر. وامتلك الإنسان جميع هذه الصفات طالما كان على شبه الله في كل شيء، ولكن ميلنا إلى الشر سلب منا الأجنحة. (فلم نكن تحت حماية أجنحة الله، بل وُعت منا أجنحتنا الخاصة). لذلك ظهرت لنا نعمة وبركة الله، وأنزلت عقولنا حتى تنمو لنا أجنحة من خلال الطهارة والبر بعد أن ننبد الوغبات الدنيوية ونتجه إلى الله بكل قلوبنا [297].

القديس غريغوريوس النيسي

نعمة اقتناء حياة المسيح

❖ بالسخاء ذاك الذي يعطينا أعظم كل العطايا، حياته ذاتها [298].

القديس إكليمنضس السكنوري

❖

(إذ صار إنساناً) صونا الآن قارين أن نقتنيه، نقتنيه هكذا بالعظمة، وبذات طبيعته التي كان عليها، إن كنا نعد له مكاناً لائقاً في نفوسنا.

❖ المسيح الذي هو كل فضيلة، يأتي ويتكلم على أساس أن ملكوت الله في داخل تلاميذه وليس هو هنا وهناك [299].

العلامة أوريجينوس

نعمة رائحة المسيح الذكية

❖ هكذا تشبّه بولس العروس بالعريس في فضائله، وصور بعبطه الجمال الذي لا يُدنى منه. من ثمار الروح الحب، الفرح، السلام وما شابه ذلك. صنع عطوه، واستحق أن يصير رائحة المسيح الذكية" (2 كو 2: 15). لقد استنشق القديس بولس هذه النعمة الغير متركة التي تجاوزت كل نعمة، وأعطى نفسه لآخرين رائحة ذكية ليأخذوا منها على قدر طاقتهم ، حسب تدبير كل إنسان. صار بولس الرسول عطواً، إما لحياة أو لموت، فإنه إذا ما وضعنا العطر ذاته أمام خنفس وأمام حمامة، فلن يكون له تأثير مماثل على الاثنين؛ فبينما تصير الحمامة أكثر قوة حين تستنشقه فإن الخنفس يموت [300]. حينذاك. هكذا الحال مع الرائحة المقدسة، مع بولس الرسول العظيم الذي شابه الحمامة.

القديس غريغوريوس النيسي

نعمة الفضيلة

❖ بحق يمكن للإنسان أن يصف نفس القديس بولس بكونها حاملة بذار الفضيلة وفردوساً روحياً. فقد توعت في داخله النعمة بعمق، كما كان دائماً يهيب أعماقه لتمو النعمة فيها وتودهر. وحين صار إناءً مختلراً دأب على تنقية نفسه فاستحق أن ينسكب عليه الروح القدس بفيض. هكذا صار لنا مصدر أنهار كثوة وعجيبة، ليست فقط الأنهار الأربعة التي نبعت في الفردوس، وإنما أنهار أخرى كثوة تجرى كل يوم لكل واحد منا لتزوي ليس فقط الأرض، بل نفوس البشر فتجعلها تنبت الفضائل [301].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليعطنا الرب الإله نعمة التواضع التي تقتلع الإنسان من أمراض كثوة وتحفظه من تجرب كثوة [302].

الأب دورثيوس من غزة

❖ بنعمة الله ، منذ تركت العالم لم انطق بكلمة واحدة ندمت عليها فيما بعد [303].

الأب بامبو

❖ ليس شيء من هبات الله للبشرية فُدم على سبيل إيفاء دين بل الكل هو من خلال النعمة [304].

العلامة أوريجينوس

نعمة الآب والابن

تقديم النعمة الإلهية هو عمل إلهي واحد، عمل الثالوث القديس محب البشر. فالآب يهب نعمته بفيض بالكلمة الإلهية، بكونه قوة الله وحكمته، يقدمها لنا بروحه القديس بكونه روح القوة والحكمة. فالنعمة الإلهية هي نعمة الآب والابن والروح القدس، عمل واحد للثالوث القديس. ❖ من المستحيل أن الآب عندما يعطي نعمة، ألا يعطيها بالابن، لأن الابن موجود في الآب، مثلما يوجد الشعاع في الضوء. وذلك ليس كأن الله معوز أو ضعيف، بل كأب قد أسس الأرض بحكمته" (أم 3: 19) ، وصنع كل الأشياء بالكلمة المولود منه، ويختتم على الحميم المقدس (المعمودية) بالابن. وأوجد كل الأشياء بواسطة كلمته، اللوغوس الذاتي، وأكمل الحميم المقدس في الابن. وحيث يكون الآب فهناك يكون الابن أيضاً. كما أنه حيث يكون النور هناك يكون الشعاع أيضاً.

ولهذا أيضاً عندما وعد الابن القديسين تكلم هكذا: "إليه نأتي، أنا والآب، وعنده نصنع مؤلاً" (يو 14: 23). وأيضاً "لكي يكونوا هم أيضاً واحداً فينا... كما إننا نحن واحد" (يو 17: 21، 22). وهذا يعني أن النعمة هي واحدة، وهي معطاة من الآب بالابن، كما يكتب بولس في كل رسائله، "نعمة لكم وسلام أبينا والرب يسوع المسيح". (رو 1: 7، 1 كو 1: 3، أف 1: 2) [305].

❖ لأن هناك **نعمة واحدة من الآب في الابن**، كما يوجد نور واحد للشمس وشعاعها. وكما تشق الشمس من خلال الشعاع، هكذا أيضاً وبذات الأسلوب فإن القديس بولس يبعث بتمنياته لأهل تسالونيك ي قائلاً: "والله نفسه أبونا والرب يسوع المسيح يهدى طريقتنا إليكم" (1 تس 3: 11). ومن ثم يحفظ وحدانية الآب والابن. فلم يقل بولس (إن الله أبانا والرب يسوع المسيح) "يهديان" وكان ال نعمة مزوجة المصدر يعطيها اثنان، أي بواسطة هذا وذلك، بل يقول "يهدي *Katavtheinai*" لكي يوضح أن الآب يُعطي هذه النعمة بالابن.

إذن فتلك "العطية الواحدة" تكشف عن وحدانية الآب والابن. وأن كل ما يُعطي يُعطي بالابن، وما من شيء يعمله الآب من دون الابن، لأنه بهذه الطريقة تكون النعمة مضمونة لمن يتقبلها [306].

القديس أنثاسيوس الرسولي

نعمة مراث الملكوت

غاية خلقنا هي تمتعنا بالخلود مع الله أبينا، يكون لنا نصيب في أحضانه الإلهية. هذا ما شغل قلب ربنا يسوع المسيح وفكره، محتملاً عار الصليب عوضاً عنا لننعم بنعمة الملكوت أبدياً. ولا زال مسيحنا في السماء يعد لكل واحدٍ منا موضعاً، فهو مشغول بمراثنا الأبدي.

❖ كيف حصلنا على النعمة "قبل الأرملة" الأريية" بينما لم تكن قد خلقنا بعد، بل خلقنا في الزمن، لو أن النعمة التي وصلت إلينا لم تكن مودعة في المسيح؟ لهذا ففي الدينونة، عندما ينال كل واحد بحسب عمله يقول: "تعالوا يا مبركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (مت 25: 34). كيف إذاً أو بواسطة من أعد الملكوت قبل أن يخلقنا؟ إن لم يكن بواسطة الرب الذي به تأسيس قبل الدهور لأجل هذا الغرض، لكي ببنياننا عليه كحجارة ملتزمة نشترك في الحياة والنعمة الممنوحتين [307].

القديس أنثاسيوس الرسولي

إذ يحدثنا القديس يوحنا الذهبي الفم عن **نعمة مراث الملكوت** يوضح لنا أننا في هذا الملكوت الأبدي نتمتع بنعمة عدم الفساد، فلا نُحرم من الجسد الذي اشترك في الجهاد مع النفس وتقدس معها بعمل روح الله القنوس، إنما يُؤزع كل أثر للفساد فيه، حاملاً طبيعة عدم الفساد اللاتئة بالحياة الأبدية.

❖ يريد أن يقول: إنني أخلع ما هو غريب عني، والغريب ليس هو الجسد، ولكن الفساد. ولهذا يقول: لسنا نريد أن نخلعها (أي خيمة الجسد) ولكن أن نلبس فوقها، أي نلبس عدم الفساد. إذن نخلع الفساد ونلبس عدم الفساد. فهو يريد أن ينبذ ما جاء نتيجة الخطية، وفي الوقت نفسه يكتسب كل ما أعطته النعمة الإلهية.

ولكي نعلم أن الخلع لا يقوله من جهة الجسد بل يقوله من جهة الفساد والموت، اسمع ما يقوله بعد ذلك مباشرة: "إذ لسنا نريد أن نخلعها بل نلبس فوقها"، ولم يقل: لكي يُبنتلج الجسدي من اللاجسدي، لكن ماذا يقول؟ "لكي يُبنتلج المائت من الحياة". لهذا فهو لا يتحدث عن خلع الجسد بل عن خلع الموت والفساد. فالحياة التي تأتي إلى الجسد (بالقيامة) لن تبيد الجسد، بل الفساد والموت اللذين في الجسد.

إذن فالأئين ليس بسبب الجسد، بل بسبب الفساد الموجود في الجسد. فالجسد هو عبء ثقيل لا بسبب طبيعته، بل بسبب الفساد الذي دخله فيما بعد. والجسد بحد ذاته لم يُجعل للفساد بل لعدم الفساد. وهو يحمل تلك الخاصية حتى حين صار قابلاً للفساد. ولذلك فإن ظل الرسل كان يطرد القوات غير الجسدية، والملابس التي كانت تستر أجسادهم كانت تشفي المرضى وتعيدهم أصحاء. لا تحدثوني عن أمراض الجسد والأمور الأخرى التي يذكرها

الذين يتكلمون ضد الجسد، لأن كل هذه الأمور لم تكن من طبيعة الجسد، بل هي بسبب الفساد الذي دخل الجسد فيما بعد.

لو أردتم أن تعرفوا حقيقة الجسد وقيمته، دققوا النظر في خلق أعضاء الجسد وشكل هذه الأعضاء ودقائق أعمالها بتوافق وتناسق وانسجام، فإنك عندئذ ستأكد أن أداء هذه الأعضاء والتوافق فيما بينها هو أمر أكثر مثالية وأمل من مدينة تحترم قوانينها ومواطنيها جميعاً من الحكماء [308].

القديس يوحنا الذهبي الفم

نعمة الخلود فيه

❖ لكن الآن قد صار الكلمة إنساناً، وأخذ ما يخص الجسد، فلم تعد تلك الأشياء تمس الجسد بسبب اللوغوس الذي سكن فيهم، والتي أُبديت بواسطة. فلم يعد البشر خطاة وأموئاً بعد بحسب الأهواء الخاصة بهم، بل إذ قاموا بحسب قوة اللوغوس ظلوا عديمي الموت، وعديمي الفساد إلى الأبد. وإذ قد أخذ الرب جسداً من مريم والدة الـ إله، فإن الذي أعطى الآخرين أصل حياتهم، قيل عنه هو نفسه أنه قد وُلد، ليصبح هو ذاته أصلنا، فلا نعود نرجع إلى الأرض بعد باعتبارنا مجرد وُاب من الأرض، لكن إذ اتحدنا باللوغوس نقل هو إلى ذاته ضعفات الجسد الأخرى أيضاً، حتى تكون لنا شوكة في الحياة الأبدية، لا كبشر، بل كمن ينتمي إلى اللوغوس.

لأننا لا نموت بعد في آدم بحسب نشأتنا الأولى، بل إذ قد تحول أصلنا وضعف جسدنا إلى اللوغوس، نقوم من التراب، إذ زالت عنا لعنة الخطية بسبب ذلك الذي هو فينا والذي صار لعنة من أجلنا.

فإننا نحن جميعاً الذين من الأرض نموت في آدم، وإذ قد تجددنا من فوق، حيث أُعيد أصل نشأتنا من الماء والروح، فقد أحيينا في المسيح، ولم يعد الجسد ترابياً بعد، بل إنه تأل هـ (إذ صلت له خاصية اللوغوس)، بسبب حكمة الله، الذي لأجلنا صار جسداً [309].

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ لأنك إن علضت أمر خلاصي من الفساد بالطبيعة، فأنظر لئلا تعرض كلمة الله الذي رفع عني صورة العبودية، لأنه الرب الذي أخذ جسداً، وصار إنساناً. فإننا نحن البشر بالمقابل، وقد تألهنا باللوغوس إذ أخذنا فيه بواسطة جسده، وهكذا من الآن فصاعداً سنوث الحياة الأبدية [310].

القديس أثناسيوس الرسولي

نعمة التمتع بمعرفة الحق الإلهي

خلق الله في الإنسان حنيناً نحو التعرف على الحقيقة غير المتغورة، فقدم السيد المسيح نفسه بكونه "الحق". من يقتنيه يتمتع بمعرفة الحق كنعمة إلهية مجانية.

❖ نحن نعلم أن الابن قد جاء، وأعطانا بصوة لنعرف (الله) الحق، ونحن في الحق، في ابنه يسوع المسيح، هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية (1 يو 5: 20). ونحن قد صونا أبناء في الابن بالتبني والنعمة، لأننا نشرك في روحه، إذ أن "كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه" (1 يو 12: 12). ولهذا أيضاً فالابن هو الحق إذ يقول "أنا هو الحق" وفي حديثه إلى الأب يقول: "قدسهم في حقك، كلمتك هو حق" (يو 14: 6؛ 17: 17)، ونحن بالمحاكاة نصير خوين وأبناء [311].

❖ لهذا كان واضحاً للكل أن البشر حقاً جاهلون، لكن اللوغوس ذاته باعتبارله الله الكلمة، يعرف كل شيء حتى قبل حدوثه. لأنه حينما صار إنساناً لم يكف عن أن يكون هو الله، ولم يستتف من أمور الإنسان بكونه هو الله، بئس هذا الفكر. بل بالأحرى، إذا هو الله، قد أخذ لذاته الجسد، وإذا هو في الجسد فإنه يؤله هذا الجسد. لأنه كما سأل أسئلة هكذا أيضاً أقم الميت، وأظهر للكل أن الذي يحيي الميت ويستدعي روحه، يعرف بالأكثر أسوار الجميع. إنه يعرف حقاً أين يوقد لعزر، ومع هذا يسأل، لأن لوغوس الله الكلى القداسة، الذي احتمال كل شيء لأجلنا، إنما قد فعل ذلك، حتى بأخذه جهلنا، يهبنا نعمة المعرفة، معرفة أبيه الحقيقي وحده، ومعرفة أنه هو الابن الموصل لأجل خلاصنا جميعاً. فأية نعمة أعظم من هذه النعمة؟ [312].

جهلنا، يهبنا نعمة المعرفة، معرفة أبيه الحقيقي وحده، ومعرفة أنه هو الابن الموصل لأجل خلاصنا جميعاً. فأية نعمة أعظم من هذه النعمة؟ [312].

القديس أنثاسيوس الرسولي

❖ 21:73-23 "لأنه ابتهج قلبي، واستوخت حواي، وصوت كلا شيء، ولا أوف وصوت كبهيم عندك، ولكني دائماً معك" (مز 6:36). ومن ثم فلأنني لم أتعلم من ذاتي بل منك، فإنني ألصق بك يوماً حتى أكف عن أكون بهيماً، وحينئذ تقول لي: "وأما أنت فقف هنا معي"! (تث 5:31) فالإنسان الذي بجعله انحدر إلى الحماسة ونقص المعرفة، الذي يوزن بمزان البهيمية، يبدأ من جديد فيصير إنساناً، حينما تشمله نعمة الله، فهو حقاً إن اقتدر بالعقل والنعمة، لأثبت أنه إنساناً بتلك الحقيقة عينها. ومن ثم يتهلل أنه انفصل عن الحيوانات العجومات، ودخل في شركة البشر الذين يفتقدهم الله ويحميهم. لأنه ما هو الإنسان إلا الذي يفكر الرب فيه ويفتقده؟ (قابل مز 4:8) [313].

القديس أمبروسيو

❖ سويماً ما تتحل رباطات الجهل خلال الإيمان البشوي والنعمة الإلهية، وتُمحي خطايانا بواء الله الكلمة. فنُغتسل من كل خطايانا، ولا نعود بعد فنكون مونتكين في الإثم. لا تعود شخصياتنا تبقى كما كانت كسابق عهدنا قبل الغسل. فإن المعرفة تبرز للوجود جنباً إلى جنب مع الاستنارة، ففي لحظة نسمع نحن غير المتعلمين أننا صونا تلاميذ المسيح. فإن الإرشادات تؤدي إلى الإيمان، وتعلم الإيمان مع العماد بالروح القدس. هذا الإيمان هو الخلاص الجامع الواحد للبشوية.

القديس إكليمنضس السكثري

نعمة الثبوت في الآب والابن

❖ "بهذا نعرف أننا تثبت في الله وهو فينا إنه قد أعطانا من روحه" (1 يو 4: 13)، لهذا فإنه بسبب نعمة الروح القدس التي أعطيت لنا، نصبح نحن في الله وهو فينا، حيث أن المقصود هنا هو روح الله الذي من خلال مجيئه ليصير فينا، نُعتبر نحن أيضاً في الله والله فينا إذ لنا الروح.

❖ هكذا إذن لا نكون في الآب مثل الابن الذي هو كائن في الآب، لأن الابن ليس شريكاً للروح حتى يصبح نتيجة لذلك في الآب، ولا هو متقبل للروح القدس مثلنا، بل أن الابن بالأحرى يعطى الروح القدس للجميع.

وليس الروح هو الذي يربط كيان اللوغوس بالآب، بل أن الروح القدس بالأحرى هو الذي يأخذ من اللوغوس. لأن الابن كائن في الآب بصفته كلمته الذاتي وإشعاعه، بينما نحن بنون الروح القدس غرباء عن الله، بعيون عنه وبشركتنا في الروح نتحد بالله. لهذا فإننا نصير في الآب ليس من أنفسنا، بل من الروح القدس الذي فينا، والذي نحفظه ثابتاً فينا من خلال الاعتراف، كما يقول يوحنا أيضاً: "من يعترف أن يسوع هو ابن الله، فانه يثبت فيه، وهو في الله" (1 يو 4: 15) [314].

القديس أنثاسيوس الرسولي

نعمة الشبع والفرح

❖ "صرت لي دموعي خزاناً نهلاً وليلاً، إذ قيل لي كل يوم: أين إلهك؟" (مز 42: 3)، وبحق دُعيتُ الدوعُ هنا خزاناً، حيثُ الروعُ إلى البرّ. "طوبى للحياء والعطاش إلى البرّ، لأنه يُشبعون" (مت 5: 6)، لهذا توجد دوع بمثابة خبز، تُؤى وتسد قلب الإنسان (قابل مز 104: 15)، ومقولة الجامعة LXX المأثرة تناسب المقام هنا أيضاً "إلى خبزك على وجه المياه" (جا 11: 1)، لأن خبز السماء هناك، حيث مياه النعمة. حقا أن أولئك الذين تتدفق من بطونهم أنهار ماء حية (قابل يو 7: 38؛ 4: 10)، سوف ينالون عون الكلمة (الإلهي) وتعصيده، وقوتاً من فوع سوي (باطني). أيضاً يوجد هذا الخبز الحي، (قابل يو 6: 51)، حيث هنا مياه الدوع والبكاء، بكاء التوبة. لأنه لهذا كُتب: "بالبكاء يأتون وبالغواء أعيدهم" (إر 31: 9LXX). لهذا طوباهم الذين خزوم الدوع؛ لأنهم يستحقون أن يضحكوا؛ لأنه "طوبى للباكين!" (لو 6: 21) [315].

❖ "لأنني سأدخل موضع الخيمة العجيبة، إلى بيت الله، بصوت الفرح والحمد، بصوت جمعٍ معيِّدٍ واحد." (مز 4:42). بكى بحق لأنه يسكن الأرض، بينما تنتظره المظال السماوية، حيث يدخل في الوقت المناسب إلى قدس القدير. (قابل مز 2:84، 10:3). بالحقيقة فضل وأثر ذلك الموضوع على كل ثروة مملكته، كما شهد هو قائلاً في نصٍ آخر: "واحدة سألتُ من الرب، وإياها التمس أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى فرح الرب" (مز 27:4)، فرح الرب في الكنيسة.

الكنيسة أيقونة السماويات، بعد أن يزول الظل حقاً تظهر الأيقونة جليئةً. (قابل عب 10:1، كو 2:17). والظل هو المجمع اليهودي. وفي الظل الناموس، لكن في الإنجيل الحق. لهذا فإن أيقونة الحق تسطع في نور الإنجيل، لهذا بكى العرث بسبب تأجيل الخوات التي امتلأت حتى الحافة كاملةً بالنعمة والفرح [316].

القديس أمبروسيو

نعمة النور

❖ تعبر النفس من الخطأ إلى الحق، وتتبدل صورة حياتها المظلمة إلى نعمة فائقة. انتقل بولس الرسول عروس المسيح من الظلمة إلى النور، إذ يقول لتلميذه تيموثاوس، كما العروس لوصيفاتها، إنه قد صار مستحقاً إن يكون جميلاً، لأنه كان قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ومظلماً (1 تي 1:13). ويقول بولس الرسول أيضاً أن المسيح جاء إلى العالم لينير للذين في الظلمة. لم يدعُ المسيح أولاً بل خطاة إلى التوبة، الذي جعلهم يضيئون كأنوار في العالم (في 2:15)، بحميم الميلاد الثاني الذي غسلهم من صورتهم السوداء الأولى. [317]

❖ زرت ملكة أثيوبيا سليمان بعد ما سمعت عن حكمته، وقدمت له هدايا من الذهب والأحجار الكريمة والعمود (1 مل 10:1-3)، ويتضح سرّ هذه الزيرة من واسة عجائب الإنجيل. لأنه من لا يعرف أن الكنيسة جاءت من مجتمع الظلمة من بين الأمم عابدي الأصنام، الذين عاشوا بعيداً عن معرفة الله وكانوا منفصلين عنه بخليج الجهل العظيم. ولكن عندما أضاعت نعمة الله وحكمته، وأرسل النور الحقيقي أشعته إلى من كانوا في الظلمة وظلال الموت. أغمضت إسرائيل عيونها للنور، ورفضت أية مشاركة في الخير. لكن الأثيوبيين أسوعوا إلى الإيمان من بين الأمم، الذين كانوا بعيدون اقتربوا بعدما غسلوا أنفسهم من الظلمة بالمياه المقدسة. لقد اقتادهم الروح القدس إلى الله وقدموا هدايا للملك: بخور النسك والعبادة وذهب معرفة الله الملك وأحجراً كريمة للوصايا وعمل الفضيلة. [318]

القديس غريغوريوس النيسي

نعمة الكورة والشهادة

❖ لماذا لم تُرسل الملائكة في مهمة الكورة بالإنجيل؟ لكي لا يكون للإنسان عذر في كسله أو إهماله، فيُبرر نفسه بحجة اختلاف الطبيعة البشرية عن الطبيعة الملائكية، لأن الفوق عظيم.

من العجيب حقاً إن الكلمة المنطوقة من لسان تلاميذ لها القوة على اقتلاع الموت، وغوان الخطايا، وإعادة النظر للعميان، وتحول الأرض سماءً، وهذا يجعلني أتعجب من قنوة الله ويزداد إعجابي وإكرامي لغرة بولس لنواله تلك النعمة وتهينة نفسه وإعدادها حتى يستحق نوالها. إنني أحتك لا لتعجب، بل لتفتدي بالمثال الأعلى للفضيلة، وبهذه الطريقة تستحق أن تُشركه في إكليله، ولا تُفاجأ بأنه يمكن لأي شخص أن يصير كبولس في خدمته لو تمثّل واقتدى به، فيردد في قلبه كلمات بولس: "قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وضع لي إكليل البرّ، الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً" (2 تي 4:7، 8).

رأيت كيف يدعو الجميع لمشركته في إنجازاته، وبالتالي فالمكافأة أيضاً معروضة ومفتوحة للجميع. فلنجاهد جميعنا لنثبت استحقاقنا للكرات الموعودة لنا، ولننظر ليس فقط لعظمة ومجد الحياة في الفضيلة، لكن نتأمل أيضاً في ثبات الهدف الذي

من خلاله نحقق هذه النعمة. ولنعرف أن بولس لم يختلف عن طبيعتنا بأية حال من الأحوال، ولكنه كان مثلنا، وهذا يجعل ما يبدو صعباً ومستحيلاً بالنسبة لنا قد صار سهلاً وخفيفاً، لأنه بعد هذا الوقت القصير من العمل والجهاد سترتدي إكليل عدم الفساد الأبدي بواسطة نعمة وصلاح ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والكرامة الآن وكل أوانٍ وإلى أبد الأبد. آمين. [319]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الآن زاه يكشف الحديث عن دور كنسي، لأن أولئك الذين رُشدتهم النعمة وقد صاروا شهوداً للكلمة لا يكتفون بالحق محتفظين به لأنفسهم، بل بالأحرى يبشرون به آخري ممن لحقوهم. لذلك تقول العذراء للعروس التي تمتعت أولاً بالصلاح إذ التقت بالكلمة وجهاً لوجه، واستحقت أن تتعرف على الأسرار الخفية: "نبتهج ونوح بك، نذكر حبك أكثر من الخمر" (نش 4:1) [320].

القديس غريغوريوس النيسي

نعمة ديناميكية

من أجلنا قيل عن السيد المسيح: "وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممثلاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه" (لو 2: 40)، وأيضاً: "وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والنعمة عند الله والناس" (لو 2: 52). وكما يقول العلامة أوريجينوس: [لقد أخلى ذاته وأخذ شكل العبد (في 7:2)... وبالقدرة التي بها أخلى ذاته نما أيضاً]. هكذا يدخل بنا إلى طريق النمو الدائم في النعمة. فالنعمة فينا هي عمل الله المستمر الديناميكي غير المتوقع.

❖ المقصود بالنمو إذن هو نمو الجسد، لأنه بنمو جسد المخلص يُستعلن الله أكثر فأكثر (من خلال بشوية المخلص) لمن يرونه. وإذا يُستعلن اللاهوت أكثر فأكثر، هكذا بالاً حوى ترداد نعمة بشريته بالأكثر كإنسان أمام جميع الناس. لأنه كطفلٍ حُمِلَ إلى الهيكل، ولكن حينما صار صبياً بقي في الهيكل وناقش الكهنة حول الناموس "حتى بهتوا من فهمه وأجابته" (لو 2: 47) [321].

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ ينمو الطفل يسوع المولود بداخلنا بمختلف الطرق في الحكمة والقامة والنعمة في قلب من يستقبله ليسكن فيه (لو 2:52). يسكن المسيح في كل قلب نقي، ولكن بصورة مختلفة حسب قامة الإنسان الذي يسكن بداخله. يظهر ذاته حسب طاقة كل إنسان. فإنه يأتي كطفلٍ أو كصبيٍّ أو كإنسانٍ ناضجٍ على مثال العناقيد.

لا يظهر المسيح بنفس الصورة على الكرمة، لكنه يغير هيئته مع مرور الوقت الآن توعم، لقد نبت، ثم نضج، وصار يانعاً، وأخيراً صار خرواً.

❖ إذ يحمل الكرم ثمرته يحمل معها وعداً، حقاً إنه لم ينضج بعد ليعطي خرواً، ولكنه ينتظر مرحلة النضج. وفي الوقت ذاته لا يحرمانا من السرور، لأنه يفوح حاسة الشم بدلاً من التذوق باعتبار ما سيكون؛ خلال عطر الرجاء يعطى عنوية لحواس النفس.

❖ إن الإيمان الثابت بالرجاء في النعمة يصير بهجة لنا، نحن الذين ننتظر في صبر. وهكذا فإن الطاقة الفاعية تحمل وعداً بالخمر. إنها ليست بعد خرواً، لكنها تنبت نبتة الرجاء. إنها تنتظر نعمة لم تأت بعد [322].

❖ وبالرغم من أن المرحلة التي بلغ إليها الشخص الآن أعلى في الحقيقة مما كان عليه سابقاً، إلا أن هذه المرحلة لا تحد من تقدمه، لكنها تصبح بداية لاكتشاف نعمة أعلى.

❖ فالشخص الذي يرتفع لا يقف أبداً ساكناً. إنه يتحرك من إحدى البدايات إلى التي تليها، وبدايات النعمة الأعلى ليست محدودة. لذلك فوغبة النفس التي ترتفع ترداد في المعرفة وفي الرغبة في الارتفاع إلى مستويات أعلى، وتستمر في النمو محققة التقدم إلى الغير محدود [323].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ "صوت كل شيء لكل البشر، لكي أربح الكل" (١ كو ٩: ٢٢). تمطر النعمة الإلهية على الأوار والأشوار (مت ٥: ٤٥).

هل هو إله اليهود وحدهم، أم إله الأمم أيضاً؟ نعم هو إله الأمم أيضاً، بالحقيقة هو الله الواحد (رو ٣: ٢٩-٣٠)، هذا ما يعلنه الرسول

[324] السامي .

القديس اكليمنضس السكنوري

❖ شكواً لله، فإنه وإن كانت نعمة النوة قد اقتصرت على إسوائيل، صلت الآن نعمة أعظم من كل ما كان لهم، انسكبت على الأمم بيسوع

المسيح [325].

العلامة أوريجينوس

❖ تأملوا نقطة أخرى، "إنما صالح الله لإسوائيل، لأنقياء القلب" (مز 1:73). فهل الله ليس صالحاً للجميع إذن؟ حقاً هو صالح للكل، لأنه مخلص جميع البشر، خاصة للمؤمنين. لهذا أتى الرب يسوع ليخلص ما قد هلك (لو 10:19).

حقاً جاء ليحمل خطية العالم" (يو 1:29)، ويشفي جواحتنا، لكن ليس الجميع وغبون في العلاج!

كثيرون يتجنبونه! لنلا يحقن الوح بالعقاقير، ويفقد سطوته. لهذا السبب يشفي الذين يريدون الشفاء ولا يرفضونه.

فمن وغبون في العلاج يستعيون صحتهم، أما الذين يقومون الطبيب ولا يطلبونه لا يتمتعون بصلاحه، لأنهم لا يختبرونه!

من نال الشفاء يستعيد صحته، لهذا فالطبيب صالح بالنسبة للذين أعاد إليهم عافيتهم. من ثمة الله صالح لأولئك الذين غفر خطاياهم، لكن إن كان

إنسان خطية لا علاج لها في روحه، فكيف يُقَمَّ الطبيب على إنه صالح، بينما هو يتحاشاه؟

لهذا كما قلت قبلاً، شوح الرسول بحق أن الله "الذي يريد أن الجميع يخلصون" (1 تي 2:4)، هو صالح لكل الناس. أما نعمة صلاح الله الخاصة

فهي مكفولة بالأكثر لجميع المؤمنين، الذين ينالون عوناً من رادته الصالحة ونعمته. لكن حين يقول المونث أيضاً: "إنما صالح الله لإسوائيل، لأنقياء

القلب" فإنه ينقل مشاعر الذين لا يعرفون كيف يتمتعون بما يخص الله، عدا إنه صالح نحو كل شيء وهو في الكل [326].

القديس أمبروسيوس

واهب النعمة يطلب النعمة لحسابنا

❖ عندما يقول المخلص إذن، بحسب الأقوال التي يتزوعون بها، "دُفع إلى كل سلطان" (مت 28:18) و"مجد ابنك" (يو 17:1)، وحينما يقول بطرس

"وسلاطين وقوات مخضعة له" (1 بط 3:22)، يجب أن نفهم كل تلك النصوص بنفس المعنى، أعني أن المخلص يقول ذلك كله بشوياً، بسبب الجسد

الذي لبسه، إذ أنه وهو غير المحتاج قيل عنه رغم ذلك إنه نال ما ناله بشوياً.

هكذا أيضاً، فبقدر ما نال الرب، وبقدر ما تستقر النعمة عليه، تبقى النعمة محفوظة لحسابنا، لأن حينما يأخذ الإنسان بمفوده، فهناك احتمال

فقدان ما أخذه، وقد ظهر ذلك في حالة آدم، لأنه بعد أن نال خسر ما ناله.

ولكي تصير تلك النعمة بلا استرداد، وتظل محفوظة للبشر فقد أخذ المخلص العطية لنفسه وقال إنه قد أخذ سلطاناً كإنسان، ذلك السلطان الذي

يمتلكه على الدوام كإله.

ومن يمجد الآخرين يقول: "مجدني"، ليظهر أن له جسد في حاجة إلى السلطان والمجد. ومن هنا فحينما يأخذ الجسد (شيوياً ما)، ولأن ذلك الجسد

الذي يأخذ خاص بالمخلص الذي صار إنساناً، لهذا قيل إن المخلص هو الذي نال ما ناله [327].

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ إن كان اللوغوس قد حلّ بيننا لكي يفدي البشر، وصار جسداً لكي يُقدّسهم ويؤلّهم (لأنه لأجل هذا حقا قد صار جسداً). فإنه يبدو جلياً للجميع، إنه حينما صار جسداً نال مواهب الروح لأجلنا، وليس لأجله هو، لأن مواهب الروح التي يعطيها الآب بواسطة الابن كانت تُعطى لأجل ذلك الجسد، الذي كان يلبسه حينما تحدث.

لكن لننتأمل ما طلبه الرب، وماذا كانت تلك المواهب التي قيل إنه نالها، حتى يعود (أولئك الهواطة) إلى رشدهم. لقد سألت إذ طلب المجد (يو 17: 1) ، ومع هذا قال: "كل شيء قد دُفع إليّ من أبي" (لو 10: 22). وبعد القيامة، يقول إنه نال كل سلطان في السماء وعلى الأرض (أنظر مت 28: 18). لكنه حتى قبل ذلك قال فعلاً: "دُفع إليّ كل شيء"، إذ إنه رب الجميع، "لأن كل شيء به كان" (يو 1: 1)، ويوجد رب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به" (1 كو 8: 6). وحينما كان يطلب المجد، كان هو رب المجد، كما هو دائماً كما يقول بولس: "لو عرفوا لما صلوا رب المجد" (1 كو 2: 8). وحين طلب المجد بقوله: "مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" فإن ذلك المجد كان له أصلاً [\[328\]](#).

القديس أنثاسيوس الرسولي

من وحي يو 1

قلبي متعطش إليك يا واهب النعم

❖ مالي رآك قادماً إلى عالمنا.

يستحيل عليّ أن أرتفع إلى سمواتك!

لكن حبك أتوكل إليّ، يا أيها الكلمة الخالق!

حللت على أرضي، لتوافقني رحلتني!

❖ تجسّدك أعلن حبك العجيب لي،

ألهب قلبي، فصرت متعطشاً إليك يا واهب النعم!

أنت حياتي، بدونك لا وجود لي.

أنت نوري، بدونك أبقى في ظلمة فسادي.

حسبتني من خاصتك، وتولت إليّ لألتصق بك!

❖ أقمّتي بنعمتك الفائقة،

كل نعمة من عندك تسحبني لأتمتع بفيضٍ جديدٍ من النعم.

وهبتني وجودي من العدم،

أنعمت عليّ بصورتك ومثالك،

قدمت لي الناموس عوناً، يقودني للشعور بالحاجة إليك.

أخوًا، قدمت لي ذاتك يا واهب النعم!

فتحت عيني لأشاهد مجد جلالك!

بهاؤك يعلن لي أنك ابن الله الوحيد!

❖ انفتحت أذناي لأسمع النذير، الصوت الصلخ في الروية!

يا له من صوت يوي كما في صواء قاحلة،

لكنه صوت عذب، يسبقك أيها الكلمة الإلهي.

صوته يعلن عن الحق،

أنك زلي، واحد مع أبيك.

صوته يعلن عجزه عن أن يحل سيور حدائك،

لأنه بقي سرّ تجسدك غامضًا حتى تمت الخلاص بالصليب.

اسمح لي أن أتقدم وأحل سيور حدائك،

حيث يكشف لي روحك القنوس عن أسوار خلاصك!

❖ عرفك الجنين يوحنا فصرخ متهللاً.

سمعت أليصابات صوته في داخلها، فانفتح لسانها بالتسبيح!

لكنه حسب هذه المعوفة كلا شيء بعدما تمتع بعمادك!

عرفك أنك أنت تعتمد بالروح القدس النري.

أنت وحدك تغسل النفس بماء فريد،

وتلهب القلب بنار روحك القنوس.

❖ سحب نذورك عيون الكل إليك، صلحًا:

هوذا حمل الله الذي طالما اشتاق الأنبياء إليه!

هوذا حمل الله موضع سرور الآب!

❖ سرّ يوحنا حين انسحب تلاميذه إليك ليملكوا معك.

وتهللت نفسه، إذ رأى كل تلميذ يشهد لك.

تحركت قلوبهم لتسحب بعضها البعض إليك.

مع نثنائيل ترك الكل ظلال شجرة التين اليابسة،

وجاءوا إليك ليروا ملائكتك تصعد وتقول عليك!

رأوا السماء مفتوحة، والسمايون يشتهون أن يخدموك!

نعم وأنا قلبي متعطش إليك،

لن يقوي إلا بك، يا مصدر النعم!



الباب الثاني

خدمة ابن الله العامة

أو

سفر الآيات

آياته وأعماله

تعلن عن لاهوته

ص 2- ص 12

سبع مراحل وسبع آيات

سبع مراحل

رى البعض أن القديس يوحنا يتحرك في قوة وجرأة ليلتقط من أعمال السيد المسيح ومقالاته سبع آيات خلال سبع مراحل متميزة.

المرحلة الأولى: البداية الجديدة (ص 2- ص 4)

يُعرف إنجيل يوحنا بإنجيل التجديد، ويُدعى سفر التكوين للعهد الجديد، أو سفر التكوين المسيحي، حيث يقدم لنا قصة تجديد الخليقة بقوة. ففي

هذه المرحلة نجد عدة لقاءات للسيد المسيح يركز فيها السيد على التجديد:

❖ **اللقاء الأول في قانا الجليل**، حيث يقدم حياة مسيانية جديدة مثله.

❖ **اللقاء الثاني في الهيكل**، حيث يشير إلى هيكل جديد مُقام (اتحاد مع القائم من الأموات).

❖ **اللقاء الثالث مع نيقوديموس**، حيث يعلن عن الحاجة إلى الميلاد الجديد من الماء والروح.

❖ **اللقاء الرابع مع المرأة السامرية عند البئر**، حيث يكشف عن العبادة الجديدة بالروح والحق.

في كل هذه اللقاءات يبرز عنصر الجودة. ما أعلنه هنا بالأعمال والحوار هو امتداد وتحقيق لما نادى به في الموعدة على الجبل عن تجديد فهمنا للوصية: "قد سمعتم أنه قيل للقديس... وأما أنا فأقول لكم..." (مت 5: 21-22)، وما ورد في إنجيل مرقس الرسول: "ليس أحد يخطر قطة من قطعة جديدة على ثوب عتيق، وإلا فالملء الجديد يأخذ من العتيق، فيصير الخوق رداً. وليس أحد يجعل خوراً جديدة في زقاق عتيقة، لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق، فالخمر تتصبب والزقاق تتلف، بل يجعلون خوراً جديدة في زقاق جديدة" (مر 2: 21-22).

هكذا يقدم لنا الإنجيل السيد المسيح واهب الحياة المسيانية الجديدة والهيكل الجديد المُقام والميلاد الجديد والعبادة الجديدة والوصية الجديدة.

المرحلة الثانية: يسوع الكلمة واهب الحياة (ص 4: 43- ص 5: 47)

إذ يقدم الكلمة الإلهي التجديد في كل جوانب الحياة يحتاج المؤمن إلى السيد المسيح كواهب الحياة.

توي هذه المرحلة ثلاثة فصول تحت عن التمتع بكلمة الله واهب الحياة:

❖ شفاء ابن خادم الملك الذي كان في حكم الأموات، إذ كانت حياته في خطرٍ (ص 4).

❖ شفاء مفجوع بيت حسدا الذي عانى من الفالج 38 عاماً، حيث كانت حياته أقرب إلى الذين دُفِنوا في القبور (ص 5).

❖ حديث المسيح عن نفسه كواهب القيامة (ص 5: 19-47).

المرحلة الثالثة: يسوع خبز الحياة السملوي (ص 6)

يحتاج الإنسان إلى النمو الدائم حتى يحيا ولا يموت، هذا الذي لن يتحقق بدون تناول الطعام اليومي. لذلك اشبع السيد المسيح الجوع بالخزوات

القليلة، والتقى مع تلاميذه وهو سائر على المياه، وأخيراً حدثهم عن نفسه أنه الخبز السملوي، من يأكل منه لا يموت، بل يتمتع بالشبع أبدياً، فيتمتع بنمو

دائم لا ينقطع.

المرحلة الرابعة: يسوع المرفوض (ص 7 - ص 8)

بينما يهتم السيد بأن يقدم للإنسان الحياة الجديدة والخبز الجديد لكي يحيا معه في سمواته في نمو دائم، لا يطيق الإنسان اللقاء معه. فقد جاء

الابن الوحيد الجنس متجسداً لأجل خاصته، وخاصته لم تقبله. ففتح الباب للأمم لكي يصير الكل من خاصته. هكذا يبقى مسيحنا مرفوضاً مع كنيسته عبر

الأجيال، ويبقى هو خادماً حتى لرافضيه، باسطاً يديه لهم بالحب، حتى يقبلوا الشوكه معه.

المرحلة الخامسة: يسوع نور العالم (ص 9 - ص 10)

يود السيد المسيح أن يقدم لهم المعرفة الصادقة للحق، حتى تستنير أعينهم. حقاً إن الذين يدركون عما هم ينالون منه النور كنعمة مجانية، أما الذين يدعون التمتع بالبصوة فيبقون في ظلمة عما هم.

المرحلة السادسة: يسوع القيامة (ص 11)

آخر عدو يهدد حياة الإنسان هو الموت، لذلك لن يتوقف السيد المسيح عن العبور إلى مقابرنا لكي يقيمنا، مؤكداً لنا أنه غالب الموت وقاهر الجحيم.

: المرحلة السابعة: واهب الحياة خلال الموت (ص 11 : 55 - ص 5012)

سبع آيات

يضم هذه القسم 7 معجزات:

- 1 . تحويل الماء خمرًا في عرس قانا الجليل (2).
- 2 . شفاء ابن خادم الملك (4).
- 3 . شفاء مفجج بيت حسدا (5).
- 4 . إشباع الجوع (6).
- 5 . السير على المياه (6).
- 6 . شفاء المولود أعمى (9).
- 7 . إقامة لعازر (11).

<<

الأصاح الثاني

العريس مفوح النفوس

عرس قانا الجليل

في الأصاح الأول قدم لنا الإنجيلي يوحنا بكور التلاميذ، الآن يقدم لنا بكر المعجزات ألا وهي معجزة تحويل الماء خمرًا في عرس قانا الجليل في بدء خدمته، حيث بدأ عصراً جديداً مسيانياً، فيه تتحول مياه التطهيرات حسب الناموس القديم إلى خمرٍ من صنف جديد. كان اليهود يتقربون العصر المسياني المتمم بالفيض من الخوات مع الفوح الفائق للطبيعة. وقد عُبر عن ذلك في بلروخ الثاني 29: "يوجد على كل كرمة ألف غصن، وكل غصن يحمل ألفاً من العناقيد، وكل عنقود يحمل ألفاً من العنب، وكل عنبية تحوي كوراً cor (حوالي 120 جالون) من الخمر... هذه ستكون للذين في نهاية العالم". وقد استقى بابياس هذه الفكرة عندما تخيل مجيء المسيح على الأرض ليملك ألف عام وما تحويه مملكته من كروم خيالية [329].

في الإنجيل بحسب القديس مرقس بدأ السيد المسيح خدمته إذ "جاء يسوع إلي الجليل يركز ببشورة ملكوت الله" (مر 1:14). وهنا يحدثنا الإنجيلي

عن بدء هذه البشارة المفوحة بحضوره في عرس بقانا الجليل وتحويل الماء إلى خمر. كرز بحضوره، وكرز برد البهجة علي العروسين وأهلها وأصدقائهما. فإن ملكوت السموات يشبه عرس عذرى "خرجن لاستقبال العريس" (مت 25: 1)، أو "ملكاً صنع عرساً لابنه" (مت 22: 1). وحسب السيد المسيح حلوله وسط تلاميذ تحولاً لحياتهم إلى عرسٍ، سئل: "لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفرسيين وأما تلاميذك فلا يصومون؟" قال لهم: "هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم؟ مادام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا. ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم، فحينئذ يصومون في تلك الأيام" (مر 2: 18-20). يقول الرسول: "الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً" (2 كو 5: 17).

دعوة ربنا يسوع وتلاميذه إلي العرس لم تكن بلا معنى، فإن كان السيد المسيح هو العريس السلمي، فإن التلاميذ وهم بكر كنيسة العهد الجديد هم العروس الروحية. وكأن عرس قانا الجليل وقد تم حسب الناموس والتقليد اليهودي، كان يضم في أعماقه عرساً خفياً لم يكن أحد بعد يوركه، عرس السيد المسيح مع كنيسته، هذا الذي يمتد ليس أسوعاً كما في الطقس اليهودي (تك 29: 27؛ قض 14: 12)، وإنما الزمن كله حتى يعلن في يوم الرب العظيم (رؤ 21: 2).

في هذا الأصحاح يؤكد الإنجيلي الحقائق التالية:

1 . بدأ يسوع بالعمل في العرس، لكي يعلن حبه للبشرية، فيحملها إلى السماء كما إلى حجالٍ للعريس. نتمتع بالفوح السلمي، ونحمل انعكاس بهاء مجده علينا. إنه يؤكد أنه جاء إلى العالم ليحول حياتنا إلى عرسٍ موحٍ. تحويل ماء حياتنا إلى خمر يشير إلى الفوح الروحي الأبدي (إش 55: 1؛ أف 5: 18-20).

❖ لقد قول كلمة الله من السماء، لكي يصير عرساً للطبيعة الإنسانية، فأخذها مسكناً له، لكي يخطبها ويقودها إليه فتلد ثمار الحكمة الروحية.

القديس كيرلس الكبير

❖ الذي صنع خيراً في يوم الاحتفال بالزواج في الستة أوجان للمياه هو نفسه الذي يفعل ذات الشيء كل عام في الكروم... لقد فقدت سمة العجب بسبب تكورها المستمر [330].

❖ أي عجب إن كان قد جاء إلى ذلك البيت إلى عرسٍ، وقد جاء إلى هذا العالم لعرسٍ؟ حقاً إن كان يأتي إلى عرس فإنه لابد أن يجد هنا عرساً. ولكن ماذا يقول الرسول؟ "لأنني خطبتكم لرجلٍ واحدٍ لأقدم عذراءً عفيفةً للمسيح" (2 كو 11: 3) ... هكذا له عروس هنا قد فداها بدمه، وأعطاه الروح القدس كعربونٍ. حررها من قيود الشيطان؛ مات من أجل خطاياها، وقام لأجل تبرورها (رو 4: 25). من يقدم لعروسه مثل هذه الأمور؟

❖ العريس الذي قيل له: "قد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن" [10] يمثل شخص الرب. لأن الخمر الجيدة - أعني الإنجيل - حفظه المسيح حتى الآن [332].

القديس أغسطينوس

2 . حول ماء التطهير إلى خمر، فبدء عمله هو أن ينقلنا من حرفية الناموس حيثُ التطهورات إلي فوح الروح، لنعيش في عصرٍ جديدٍ ببداية جديدة. بدأ العمل مع العروسين الشبابين ليؤكد السيد المسيح اهتمامه بالشباب، وطلب صداقتهم ليهبهم بهجة لا تنقطع.

3. إذ يدخل بنا إلى عرسه الأبدي، إنما يقيمه في هيكل قدسه، لذا قام بتطهير الهيكل [13-17]. لقد طلب اليهود آية [18]، أما هو فقدّم آية موته وقيامته [19]، التي لم يفهمها أعدؤه بل وحولوا تشويهها، أما أصدقؤه فأتركوها بعد قيامته (مت 26: 61؛ 27: 40؛ يو 18: 10). انتقل الإنجيلي بنا من العروس إلي عيد الفصح لوى مسيحنًا يطهر الهيكل من الباعة والصيلفة. ويؤكد إقامة هيكل جديد في ثلاثة أيام [19] مولاً أنظرنا من الهيكل الحوري إلى هيكل النفس الداخلية حيث يقيم الله ملكوته في داخلنا. هكذا صار لنا في العصر الجديد هيكل جديد لا يقدم ولا يشيخ.

1 . تحويل الماء خمرًا 12-1

2. تطهير الهيكل 13-17.

3. طلب آية 18-25.

1. تحويل الماء خمرًا

"في اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل،

وكانت أم يسوع هناك". [1]

"في اليوم الثالث" هكذا أراد الإنجيلي أن يوضح أنه في كل يوم جديد كان السيد المسيح يقوم بعملٍ جديدٍ وخدمةٍ جديدةٍ. لم يعبر يوم من أيام حياته على الأرض دون عمل. هكذا من يرتبط بالسيد المسيح تصير أيام حياته كلها أيام عمل، ليس من بينها يوم مفقود.

قوله "في اليوم الثالث" لا يخلو من معنى رمزي، فقد جاء يسوع المسيح بنفسه إلى كنيسته في العرحلة الثالثة ليقدم عرسه معها. العصر الأول هو عصر الآباء ما قبل الناموس، والثاني عصر الأنبياء في ظل الناموس، والثالث عهد النعمة حيث أشوق النور الحقيقي على العالم ليبيد ظلمته.

❖ يحتفل بالزفاف في اليوم الثالث، أي في العصر الأخير من العالم. فالعدد الثلاثي يشير إلينا بالبداية والوسط والنهاية [333].

❖ تم الزواج في اليوم الثالث، أي في نهاية (ملء) الدهور، لأن رقم ثلاثة هو البداية والوسط والنهاية. وهذه الثلاثة هي أبعاد الزمن كله. وينسجم تمامًا مع ما قاله أحد الأنبياء: "لقد ضُرب وسيعصبنا، بعد يومين يحيينا، وفي اليوم الثالث يقيمنا... لنحيا قدامه" (هو 1:6-3).

القديس كيرلس الكبير

بقوله "قانا الجليل" يميزها عن قانا الأخرى التابعة لأوايم في منطقة السامرة (يش 16: 8؛ 17: 9).

بدأت خدمته في قانا الجليل حيث سبط أشير (يش 19: 28). وقد تنبأ يعقوب أثناء تقديم البركة للأسباط قائلاً: "أشير خزه سمين، وهو يعطي لذات ملوك" (تك 49: 20). هكذا يقدم السيد المسيح في منطقة أشور خبز النفس السمين ويقدم ملذات روحية للملوك الروحيين. بدأ السيد عمله في ركنٍ ناءٍ من البوالة، منقولٍ عن العاصمة "أورشليم" ليعلن انه جاء ليخدم، لا ليطلب مجداً من الناس. جاء يخدم البسطاء الذين لا يقاومون كالكثبة والفريسيين ورؤساء الكهنة وغيرهم من القيادات الدينية.

وى Bede أن "قانا الجليل" تعني "غوة الهوة". وكان العرس الروحي يتحقق مع أولئك الذين لهم غوة في المبراة نحو الهوة من الودائل

إلى الفضائل، ومن الأرضيات إلى السماويات، وذلك بالرجاء والحب.

❖ يلاحظ المستمع المدقق أن الاحتفال (يو 2) لم يتم في أورشليم بل خرج اليهودية (يو 3)، فكان التجمع للاحتفال في مدينة لأمم (مت 4: 15). فمن

الواضح جداً أن مجمع اليهود رفض العريس السملوي، ولكن كنيسة الأمم قبلته بقلب متهلل [334].

القديس كيرلس الكبير

هذا هو أول زواج مسيحي تم في العالم، كان حسب مشيئة الله، وإلا ما كان أصحاب العرس قد دعوا يسوع وتلاميذه. أما حضور القديسة مريم

العنواء واهتمامها بالعرس، فإنها كانت مثلاً حياً للعرس الطاهرة التي تفتح قلبها بالحب لكل إنسان.

كانت أم يسوع هناك" [1] غالباً ليس كأحد المدعويين وإنما كأحد أواد الأموة، لهذا أدركت أن الخمر قد فُغت الأمر الذي لا يبركه المدعون

بل أصحاب العرس. هذا لم يكن بلا معنى، فإن كان هذا العرس هو أول آية صنعها يسوع ليربط بين العهد القديم والعهد الجديد، فإن أم يسوع وهي من

سبط يهوذا أحد أواد عائلة العهد القديم تتوسط لدى ابنها ليعلن بهجة الخلاص المفقودة، فقد فُغ خمر النوح، وانقطع الأنبياء إلى قوة طويلة، وساد

الحزن والحرارة علي الشعب.

" ودُعي أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس". [2]

عدم مفارقة السيد المسيح وتلاميذه للعوس يكشف عن روح العروسين وأهلتهما وأصدقائهما. كان الجميع يسلكون كما يليق في الرب، فلا يدعون يسوع إلى حين ليستأنذن فيتحول العوس إلى حياة خليعة غير لائقة.

❖ الذي ذهب مرة واحدة فقط إلى الزواج يعلمنا ألا نتزوج الوأة إلا مرة واحدة (مادام رجلها حياً)، لكن هذه الحقيقة يمكن أن تكون ضد البتولية إن فشلنا في إعطاء الزواج وضعه اللائق... الهواطة وحدهم هم الذين يحتقرون الزواج فيطؤون وصية الله بأقدامهم، أما نحن فنصغي بكل بهجة إلى الكلمة التي قالها ربنا في مديحه للزواج. فإن الكنيسة لا تشجب الزواج، وإنما فقط تخضعه [335].

القديس جيروم

❖ لم يأت لكي يشترك في العوس بل بالأكثر ليحقق معجزته، ويقدم بدء الميلاد البشري الذي يتعلق بالجسد. كان لائقاً بذاك الذي جاء لتجديد طبيعة الإنسان نفسها وتقديمتها بكاملها إلى حال أفضل أن يقدم بركته ليس فقط لمن ولدوا بالفعل وإنما أيضاً يعد بالبركة للذين يولدون فيما بعد، مقدساً مجيئهم في هذا العالم... بتقديس الزواج، لقد زال الحزن القديم على الولادة [336].

❖ جاء (إلى العوس) لكي يقدر بداية ميلاده، أعني ميلاده حسب الجسد... أن يهيئ نعمة، مقدماً إياها للذين سيولدون، ويجعل مجيئهم مقدساً...
❖ قيل للمرأة من قبل الله: "بالحزن سوف تحبلين" (تك 16:3). ألم تكن الحاجة بالأكثر إلى القضاء على هذا اللعنة أيضاً، وإلا كيف يمكننا أن نتفادى زواجاً مداناً؟ لكن لأن المخلص هو محب البشر فإنه هو الذي يرفع هذه اللعنة، إذ هو فوح الكل وسعادتهم. لقد أكرم الزواج بحضوره لكي يزيل العار القديم الخاص بالحبل. لأنه إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة، الأشياء القديمة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً" (2 كو 5:17).

❖ لم يأت المخلص إلى العوس برأته وحده، بل بدعوة، أي بوجاء وإحاح أصوات القديسين، ولكن الخمر فوغت ولم يعد لدى المحتفلين منها أي شيء، لأن الناموس لم يكمل شيئاً، ولم تعط الوصايا الموسوية الفوح، ولم يستطع الناموس الطبيعي المغروس فينا أن يخلصنا.

القديس كيرلس الكبير

❖ كما قلت سابقاً أنه كان معروفاً في الجليل، لهذا دعوه في العوس، وقد لبى الدعوة، لأنه لم ينظر إلى كرامته، لكنه نظر إلى إحسانه إلينا، لأن من لم يستتكف من أن يأخذ صورة عبد (في 2:7)، فأولى به وأليق ألا يتوقع عن أن يحضر في عوس عبيده. ومن اتكأ مع عشرين وخطة (مت 9:13) فأليق به ألا يمتنع عن أن يتكئ في العوس.

والذين دعو المسيح لم يمتلكوا التمييز الواجب من أجله، ولا دعوه على أنه شخص عظيم، لكنهم دعوه كشخص بسيط كواحد من الكثرين على أنه معروف عندهم. هذا المعنى ذكره البشير مستورا إذ قال: وكانت أم يسوع هناك"، فعلى نحو ما دعوها وكذلك دعو يسوع أيضاً [337].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" ولما فوغت الخمر قالت أم يسوع له:

ليس لهم خمر". [3]

لم يذكر الإنجيلي أن القديسة مريم قد دُعيت للعوس، بل دُعي يسوع وتلاميذه الخمسة (حتى ذلك الحين)، لكنها كانت حاضرة غالباً بكونها أحد أفراد العائلة.

إذ يُدعى السيد المسيح للحضور بالصلاة، يحل ومعه قديسيه (تلاميذه) ليحول الفوح إلى الكنيسة مقدسة، ويفيض على العروسين وكل الحاضرين من ينابيع فوحه السموي.

ربما يتساءل البعض: مادام السيد المسيح لم يفعل قبلاً معجزات، فكيف عرفت القديسة مريم أنه قادر أن يقدم للعوس خوفاً بطريقة معجزية؟
لم يكن قد صنع السيد المسيح عملاً معجزياً علانية من قبل، غير أن القديسة مريم وقد عرفت إمكاناته الإلهية وصلاحه وتوفقه بالغير توقعت أنه حتماً يفعل شيئاً لكي لا يوجد نقص في العوس. إنها تترك أنه لابد من تدخله عند الضرورة لسد الاحتياجات.

❖ يليق هنا التساؤل من أين جاء في ذهن أمه أن تتصور في ابنها أمراً عظيماً، إذ لم يكن بعد قد صنع أية معجزة، حيث يقول الإنجيلي: هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل" [11]... الحبل به نفسه والظروف المحيطة به قد وُحي لها بفكر عظيم للغاية من جهة الطفل، إذ قال لوقا: "إذ سمعت كل الأقوال عن الطفل كانت تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها (راجع لو 2: 51) [338]."

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ليس لهم خمر" [3]: هذا هو حال إسرائيل إذ زالت عنهم بهجة الخلاص. وكما يقول يوثيل النبي: "اصحوا أيها السكلى وابكوا وولولوا يا جميع شربي الخمر علي العصير، لأنه قد انقطع عن أهاكم" (يو 1: 5). لقد اكتشفت أم يسوع، ابنة إسرائيل، ما حل بكل شعبها، فصوخت إلي العريس السملوي الذي وحده قادر أن يفيض حياض المعاصر خوفاً وزيتاً (يو 2: 24). باسم البشرية كلها رددت قول أبيها داود النبي: "رد لي بهجة خلاصك" (مز 51).

ما أعلنته القديسة مريم إنما خلال خوتها بالعوس الروحي الجديد الذي تحققت منه حين أحنّت رأسها، وقبلت تجسد الكلمة في أحشائها، فصلت أعماقها حفل عرس لا يُعبر عنه، إذ تونمت قائلة: "تعظم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلصي" (لو 1: 46). هذا هو خمر الله الذي يبهج الروح، ويود المجد والبهاء، ليحيا المؤمنون في عرس لا ينقطع. "كؤح العريس بالعروس يوح بك إلهك" (إش 6: 5).

تصوف القديسة مريم يكشف عن أومة المؤمن واهتمامه بسد احتياجات الغير وليس احتياجاته هو، وأنه يلجأ أولاً إلى النوع لينال منه بفيض بما يفوق الطبيعة. وأن يقدم الطلب بروح التواضع حيث يعوض الإنسان الموقف دون أن يضع الحلّ لله كما لو كان أكثر منه حكمة أو حبا للآخرين. [339] الله السخي جداً لا يحتقنا نحن الذين نجاهد جائعين إلى خواته. ❖

القديس كيرلس الكبير

"قال لها يسوع:

ما لي ولك يا امرأة؟

لم تأتِ ساعتى بعد". [4]

لم يلق السيد المسيح باللوم على العروسين أو أهلها لأنهم لم يعنوا خوفاً كافياً، ولم يلم والدته لأنها تدخلت في الأمر، إنما أوضح لها أن لكل عمل وقته أو ساعته المناسبة.

يتعجب البعض كيف يدعو يسوع أمه "يا امرأة" لكن هذه الدهشة تروى حين زاه علي الصليب يكرر: "يا امرأة هوذا ابنك"، فهو يتحدث معها في بدء خدمة الآيات التي تمثل إشارة لبدء حمل الصليب، حيث يُستعلن شخصه فتثور قوى الظلمة ضده لتخطط لموته. فهو لا يتحدث معها بكونها أمه، لأنه ليس من حقها أن تحدد ساعة الصليب، إنما هذا حق الأب الذي أرسله. فقد جاء يتم مشيئة الأب ببذل ذاته من أجل خلاص العالم.

حقاً لقد رافقته القديسة مريم في أول معجزة وهي لا تنوي إنها بدء ساعة الصليب، وبقيت معه حتى لحظات الصليب بكونها ممثلة للكنيسة، حواء الجديدة الموافقة لآدم الثاني في طويق آلامه، حتى يسكب بهاء مجده عليها. لقد قيل لها بعد الحبل بالسيد المسيح: "يجوز في قلبك سيف"، وقد بدأ يخرق قلبها في عرس قانا الجليل ليحمل حواحات الحب!

لم يقل "يا أمه" بل "يا امرأة"، لأن ما يملسه بخصوص تحويل الماء خوفاً لا يصدر بكونه إنساناً أخذ جسداً منها، وإنما بعمل لاهوته. حقاً ليس انفصال بين لاهوته وناسوته، وما يملسه السيد المسيح هو بكونه كلمة الله المتجسد، لكن بعض الأعمال هي خاصة به كابن الله الوحيد، والبعض بكونه ابن الإنسان.

لماذا قال "لم تأتِ ساعتى بعد" وقد قام في نفس الساعة بعمل المعجزة؟ لقد أوضح لها أن ساعته للقيام بآيات علنية ومعجزات عامة أمام الجميع لم تأتِ بعد، لكنه يعمل يوماً. وقد تم الآية في هوء بعد أن قدم الخدام الأجران حتى أن رئيس المتكأ والعريس لم يعرفا ذلك وإنما الخدام وحدهم [9].

- ❖ لكي تتأكد من احترامه العظيم لأمه استمع إلى لوقا كيف يروي أنه كان "خاضعاً لوالديه" (لو 2: 51)، ويعلن إنجيلينا (يوحنا) كيف كان يدبر أروها في لحظات الصلب عينها. فإنه حيث لا يسبب الوالدان أية إعاقة في الأمور الخاصة بالله فإننا ملتزمون أن نمهد لهما الطويق، ويكون الخطر عظيماً إن لم نفعل ذلك. أما إذا طلبا شيئاً غير معقول، وسببا عائقاً في أي أمر روحي فمن الخطر أن نطيع! ولهذا فقد أجاب هكذا في هذا الموضوع، وأيضاً في موضع آخر يقول: "من هي أمي؟ ومن هم اخوتي؟" (مت 12: 48)، إذ لم يفكروا بعد فيه كما يجب. وهي إذ ولدته رأت كعادة بقية الأمهات أن توجهه في كل شيء، بينما كان يؤمها أن تكومه وتسجد له، هذا هو السبب الذي لأجله أجاب هكذا في مثل هذه المناسبة [340].
- ❖ لقد اهتم بالغير واستخدم كل وسيلة ليغوس فيهم الرأى السيد الخالص به، فكم بالأكثر كان يليق به أن يفعل ذلك مع أمه [341].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ رى القديس يوحنا الذهبي الفم أن السيد المسيح كان يود أن يأتي الطلب من الذين كانوا في حاجة إلى ذلك وليس من أمه. لأنه إن كان ما يفعله يقوم علي طلب صديق له فمع كونه أرواً عظيماً لكن قد يتشكك البعض في الأمر، أما إذا سأل المحتاجون ذلك فلا يحوم الشك حول المعزة، ويكون النفع أعظم. يشبه القديس الذهبي الفم السيد المسيح بطبيبٍ ماهرٍ متى دخل مؤلاً به موصى كثيرون فإنه إن تحدث مع أمه ولم يتحدث مع أحد المرضى أو مع أوبائهم يتشككون فيه ويتضايق المرضى.
- ❖ أراد أن يظهر أنه يعمل كل الأشياء في وقتها المناسب، ولا يفعل كل شيء في الحال... إنه ليس ملتوماً بالضرورة للأمانة، لكنه هو الذي وضع نظام الفصول، إذ هو خالقها. لذلك يقول: "ساعتي لم تأت بعد". وهو يعني بهذا أنه لم يكن قد أعلن بعد لكثوين، ولم يعد بعد له خورس تلاميذه...
- ❖ علاوة على هذا فإنني يجب أن أخبر بذلك ليس منك، أنت أمي، فسيشكك في المعزة. يليق بالذين يريدون الخمر أن يأتوا ويطلبوا مني ليس لأنني محتاج إلى ذلك، ولكن لكي بإجماعهم الكامل يقبلون المعزة.

فإن الذي يعرف أنه في عز يصير شاكراً عندما ينال عوناً، أما الذي ليس لديه الإحساس بالاحتياج لن يكون لديه إحساس واضح بالمنفعة التي نالها" [342].

- ❖ فمع كونه حريصاً علي تكريم أمه، إلا أنه كان بالأكثر مهتماً بخلص نفسها، ويصنع ما هو صالح للكثوين، الأمر الذي لأجله أخذ لنفسه جسداً. كلماته إذن لم تكن صاورة عن من يتكلم بجفاء مع أمه، بل بمن هو حكيم في تدبوه، فيدخل بها إلى الفكر السليم، ولكي يجعل معزواته تقبل بالكوامة اللاتقة بها [343].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ لا يريد أن يتسوع في القيام بشيء، لأنه لا يريد أن يظهر كصانع المعزوات للذي لا يطلبه، بل ينتظر حتى يدعوه المحتاجون لا الفضوليون، فهو يعطي النعمة لمن يحتاج، وليس لمن يريد أن يتمتع بالمشاهدة.

القديس كيرلس الكبير

- ❖ لم يكن رب الملائكة خاضعاً للساعة، إذ هو الذي خلق فيما خلق الساعات والأمانة. لكن لأن العزاء الأم رغبت في أن يصنع معزة عندما وُغت الخمر، لذلك للحال أجابها بوضوح كما لو قال: "إنني أستطيع أن أفعل معزة تأتي من عند أبي لا من عند أمي". فإن ذاك الذي في ذات طبيعة أبيه صنع عجائب جاءت من أمه، وهو أنه يستطيع أن يموت. وذلك عندما كان على الصليب يموت. لقد عرف أمه التي عهد بها لتلميذه قائلاً: "هذه أمك" (يو 19: 27). إذن بقوله: " ما لي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد " تعني "المعزة التي ليست من طبيعتك لست أعرفك فيها. عندما تأتي ساعة الموت سأعرف أنك أمي إذ قبلت ذلك فيك أنني أستطيع أن أموت" [344].

البابا غريغوريوس (الكبير)

وقد تبنى Bede ذات التفسير بقوله إن ما قاله السيد هو ليس شيئاً مشتركاً بين لاهوتي الذي لي يوماً من الآب وبين جسدك الذي أخذت منه

جسدًا. لم تأت بعد ساعتني حيث بالموت أثبت الضعف البشري الذي أخذته منك. ولأ يلبق بي أن أبرز قوة لاهوتي السومدي بممارسة قوتي. لكن تأتي الساعة التي فيها يظهر ما هو عام بينه وبين أمه عندما يموت على الصليب ويهتم بأنه يوصي التلميذ البتول بالعواء. عندما يتحمل الضعف البشري يتعرف على أمه الذي تسلّم ذلك منها، ولكن حين يملس الإلهيات يبدو كمن لا يعرفها، إذ يعرف إنها ليست مصدر ميلاده اللاهوتي.

"قالت أمه للخدام:

مهما قال لكم فافعلوه". [5]

لم تعاتب ابنها علي كلماته، لأنها أتركت السرّ علي الأقل جزئيًا. شعرت أيضا بعلامات الوضى، فطلبت من الخدام الطاعة بما يوصيهم به السيد المسيح.

استخدم الإنجيلي الكلمة اليونانية "دياكونيس" لتكشف أنهم خدام أسوار الله الذين يعمل بهم السيد المسيح لخدمة وبهجة شعبه. وكنيسة العهد الجديد تدعو الشماسة: "دياكونيين" الذين يقومون بخدمة المذبح مع خدمة الموائد (الاهتمام باحتياجات الفقراء والموضي..).

في ثقة بحب السيد المسيح للخدمة وحنوه تأكدت أنه حتمًا سيتصرف ويشبع كل نقص. لقد طلبت من الخدام أن يوجهوا أنظارهم إليه ويسمعوا له. هذا هو دور القديسة مريم وكل القديسين ألا وهو توجيه أنظارنا إلى مسيحننا والطاعة الكاملة له.

❖ بدأت تعمل بأن هيأت الخدم لكي يجتمعوا لإطاعة ما يأمر به دائمًا.

القديس كيرلس الكبير

❖ لأنها عرفت أن استغفاه من ذلك لم يكن عن نقص في القوة لكن لتواضعه، وحتى لا يُظن أنه يفض ذاته عليهم باختيلره، متسرعًا في عمل المعزوة، لذلك قدمت الخدام إليه ^[345].

القديس يوحنا الذهبي الفم

وي القديس يوحنا الذهبي الفم ^[346] في تصوف القديسة مريم رسًا عمليًا في المثاوة تقدمه لنا. فمع ما قاله لها ابنها يسوع لم تكف عن العمل بمثاوة، فقدمت له الخدام، وسألتهم الطاعة له.

وكانت ستة أجران من حجرة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود،

يسع كل واحدٍ مطرين أو ثلاثة". [6]

كانت تُستخدم ستة أجران حسب أيام الأسوع من الأحد حتى الجمعة، كل حرن يخصص ليوم معين للتطهير، أما السبت يوم العبادة والراحة فلا يملس فيه الشخص عملاً يحتاج إلي تطهير.

ليس عجيبيًا أن يحول السيد المسيح الماء إلى خمر، فهو الذي يخرج من الأرض خورًا (مز ١٠٩: ١٤-١٥)، حيث يهب الأرض أن تنتج كرومًا يُعصر عنها ويتحول إلى خمر.

بدأ موسى معزواته في الضربات العشر بتحويل الماء إلى دم فيه مورة وموت، لأن الكل كسروا الناموس، وصلوا تحت اللعنة والموت. أما السيد المسيح فحول الماء إلى خمر، حيث قدم رسالة الخلاص المبهجة. جاء المسيح لا ليدين العالم بل ليخلص، ويهب شعبًا وبهجة ومجدًا داخليًا. دعوته الإنجيلية هي: تعالوا إلى الماء واشتروا خورًا (إش ٥٥: ١).

كانت هذه الأجران تُستخدم للتطهير، إذ لم يكن يجوز لليهودي أن يأكل ما لم يغتسل ولأ (مر ٧: ٣). كما كان هذا الماء يُستخدم في بعض الطقوس الأخرى الخاصة بالتطهير. وكان المثل السائد بين اليهود: "من يستخدم ماء أكثر في الاغتسال ينال صحة أوفر في هذا العالم".

كانت هذه الأجران للماء فقط لا يوضع فيها خمر، وكانت من الحجارة، حتى إذا وضع فيها خمر قبلاً لا يبقى له أثر، على عكس الفخار الذي قد يتشرب من السوائل القديمة وينضح على الجديدة. كانت الأجران من الحجارة، فقدر أي زكريا الحجر الموضوع أمام وجه يسوع عليه سبعة أعين (ك

3: 9)، أي له معرفة روحية في المسيح يوع. ورآه القديس بطرس الرسول حوًّا حيًّا يُقام منه هيكل الوب (1بط2: 4 ، 5).

وى القديس يوحنا الذهبي الفم إن الإنجيلي يؤكد إنها " حسب تطهير اليهود " ليترك الكل أنه لم يوضع فيها خمر قط بل ماء للتطهير. كما يقول أن فلسطين بلد تُعرف بقلّة المياه، فلا توجد القنوات والينابيع في كل موضع لهذا كانوا يملأون الأجران بالماء، حتى لا يسوعوا إلي الأنهار متى تدنسوا في أي وقت، بل يجدون وسائل التطهير بين أيديهم [347].

وى البعض الأجران الستة تشير إلى رُمنة العالم الستة التي موتت بالإنسانية حتى مجيء الوب في الزمن السابع (في الختم السابع في سفر الرؤيا)، وكأنها تشير إلى المؤمنين عبر كل الأجيال الذين يتطهرون من خطاياهم ويشربون خمر الروح الموح. هذه العصور كما يقول القديس

أغسطينوس هي:

1 . من آدم إلى فوح.

2 . من فوح إلى إواهم.

3 . من إواهم إلى داود.

4 . داود إلى السبي البابلي.

5 . من السبي البابلي إلى يوحنا المعمدان.

6 . من يوحنا المعمدان إلى نهاية العالم.

يعود فيقول القديس أغسطينوس : أضيف إلى هذا أن الله خلق الإنسان على صورته في اليوم السادس، لأنه في العصر السادس أعلن تجديد ذهننا بالإنجيل ليصير على صورة خالقه، وتحول الماء إلى خمر، لنتنوق المسيح. هذا أعلنه في الناموس والأنبياء. لهذا وجد ستة أجران وأمر أن تملأ ماءً. الآن هذه الأجران الستة تعني العصور الستة التي لم تكن بدون نوات. وهذه الفترات الست انقسمت وانفصلت كما بمفاصل، تبقى فرغة ما لم يملأها المسيح... يؤم أن يفهم المسيح في كل النوبة [348].

ماذا يعني بقوله: "يسع كل واحدٍ مطرين أو ثلاثة" [6]؟ يقول القديس أغسطينوس أن كلمة مطر في اليونانية metrou هو قياس معين، وأن رقم اثنين يشير إلى الآب والابن، والثلاثة يشير إلى الثالوث القوس. فإنه لم يقل بعض الأجران تسع اثنين والبعض ثلاثة أقطار، بل قال إن كل واحد يسع مطرين أو ثلاثة. حيث جاءت النوات في أسفار العهد القديم تتحدث عن الآب والابن (السيد المسيح)، وحملت ضمناً الحديث عن الروح القدس بكونه روح الآب وروح الابن في نفس الوقت. ووى القديس أغسطينوس [إن الروح القدس هو روح الحب الذي يربط الآب والابن معاً. عندما يقول اثنين يفهم الثالوث القوس دون أن يُعبر عنه، وأما القول ثلاثة فيفهم منه الثالوث القوس ويُعبر عنه [349].

قلنا أن هذه الأجران الستة تشير إلى الست حقبات التي تنتبأت عن عرس السيد المسيح مع الكنيسة التي من كل الأمم [350].

1 . الجرن الأول يبدأ بآدم الذي يحمل اتحاداً مع حواء وصلوا جسداً واحداً (تك 2: 24) كاتحاد المسيح بكنيسة (أف 3: 31)، وهما والدان لكل البشرية، وليسا للشعب اليهودي وحده.

2 . الجرن الثاني يبدأ بئوح الممثل للسيد المسيح، وقد ضم في فلكه حيوانات وطيور من كل العالم.

3 . الجرن الثالث يشير إلى إواهم الذي ينسله تتبترك كل الأمم.

4 . الجرن الرابع داود الموتل: "قم يا الله دن الأرض، لأنك أنت تمتلك كل الأمم" (مز 82: 8)، وقد وضع نغماته آساف الموتل.

5 . الجرن الخامس حيث السبي البابلي، فيهرأى دانيال النبي السيد المسيح كحجرٍ صغيرٍ مقطوعٍ بغير أيدٍ بشرية وقد ملأ الأرض كلها (دا 2:

(34).

6 . الجرن السادس ينتمي ليوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء، الذي قيل عنه أنه أعظم من نبي (مت 11: 11)، وقد تنبأ عن المسيح أنه موصل

لكل الأمم، إذ يقول "إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجرة أولادًا لإبراهيم" (مت 3: 9). هكذا روى القديس أغسطينوس أن الحرن السادس قد شهد لعوس السيد المسيح مع الكنيسة المجتمعة من الأمم. [لأنه من هذه الأمم نحن نأتي، ولكن ما كان يمكننا أن نأتي منها لو لم يقم الله من الحجرة أبناء لإبراهيم. نحن صرنا أبناء إبراهيم بامتثالنا بإيمانه، وليس بميلادنا منه حسب الجسد [351].]

"قال لهم يسوع:

امتلأوا الأجران ماء،

فمألوها إلى فوق". [7]

كان يمكن أن يخلق الخمر من العدم، لكنه حول الماء خمرًا ليؤكد أنه ما جاء ليتجاهل الناموس أو يبطله، بل ليكمله، فجاء الإنجيل امتدادًا روحياً للناموس في غير حرفية. ولكي يجعل الذين استقوا الماء بأنفسهم شهودًا على الأعجوبة الكائنة، ويشهدون أن الأعجوبة لم تكن خيالاً. روى القديس أغسطينوس أن الماء هنا يشير إلى العهد القديم "الناموس والأنبياء والزماير"، العهد القديم كله الذي كان له مذاق الماء لمن لم يبركه روحياً ويكتشف فيه سرّ المسيح. وقد جاء السيد ليحول الماء إلى خمر مفرح، له مذاق جديد وفاعلية جديدة. [كيف حوّل الماء خمرًا؟ عندما فتح فهمهم وشوح لهم الكتب المقدسة، مبتدأ من موسى وكل الأنبياء، فسكروا وقالوا: "ألم تكن قلوبنا ملتهبة فينا إذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب؟!"] (لو 24: 32). فقد فهموا المسيح في هذه الكتب، الذي لم يعرفوه من قبل. هكذا حوّل ربنا يسوع الماء إلى خمر، وصار له الآن مذاقًا لم يكن له من قبل، صار الآن يُسكر، الأمر الذي لم يكن له من قبل... لقد أظهر لنا أن الكتاب القديم هو من عنده، إذ بأوه امتلأت أجران الماء. إنها من الرب حقًا، كانت كتب العهد القديم أيضًا، لكن لم يكن لها مذاق ما لم يُفهم المسيح فيها [352].]

في طاعة لوصية الرب ملاً الخدام الأجران إلى الملاء، إلي الحافة العليا. هكذا لا يليق بالخدام أن يستويح حتى يتم الوصية بأن يتلمس في خدمته عمل السيد المسيح "الملاء الذي يملأ الكل في الكل" (أف 1: 23). لأنه ليس بكيل يعطي الروح" (يو 3: 34). ليس ما يشغل رجل الله إلا تمتع كل نفسٍ بغنى مجد المسيح الذي لا يُستقصى، فيترنم: "من ملئه نحن جميعًا أخذنا، ونعمة فوق نعمة" (يو 1: 16).

الذي حول الماء خمرًا، والذي يبعث الأمطار إلينا كان قارواً أن يملأ الأجران ماء، ثم يحوله إلي خمر. لكنه في حبه للبشرية لا يتجاهل الزمان بالعمل معه. فمادام في استطاعتنا أن نملأ الأجران ماء نعمل ما في وسعنا، ويعمل هو ما يستحيل علينا عمله. هكذا في كثير من الأعمال يهبنا كرامة العمل معه ولحساب ملكوته فينا ، فيطلب من الحاضرين أن يرفعوا الحجر عن القبر، ويأمر لعزر أن يخرج. هو يهب الحياة والقيامة، ويطلب من التلاميذ أن يحلوا الميت من الأريطة. بهذا ترنم مع الرسول متهللين: "العاملان مع الله!"

"ثم قال لهم:

استقوا الآن وقدموا إلي رئيس المتكأ،

فقدموها". [8]

لم نسمع أنه استدعى اسم الله أو صلى على الماء، لكنه أصدر أمرًا بملء الأجران، وفي الحال طلب تقديم ما بالأجران. لم يطلب حتى أن يقدموا له لكي ينوق ما بها. لم يصنع المعجزة لكي يظهر ذاته علانية، بل لكي يشبع احتياجاتهم. وقد أمر الخدام أن يقدموه في الحال. فإنه لا يهب الوزن لكي ندفعها، بل كي نعمل دومًا، منتهزين كل فرصة للخدمة.

لم يكن السيد المسيح رئيس المتكأ بل كان صديقًا للعروسين، وخدامًا لكل. هذا هو كرسي الوئاسة الحقيقية، أن يبذل الإنسان نفسه بالحب وبيروح التواضع من أجل الآخرين.

"فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرًا،

ولم يكن يعلم من أين هي،
لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا،
دعارئس المتكأ العريس". [9]

جاءت الكلمة اليونانية المتوجمة "استقوا" هي نفس الكلمة العربية الدرجة "نطل"، وتعني السحب من مصدر عميق. فالأجران ضخمة جدًا وأفواها متسعة، ولا يمكن سكب الخمر منها إلا بسحبها بكون يده طويلة. إذ يليق بخادم السرّ والكلرز بالإنجيل أن يمد يده إلي الأعماق، ويسحب من فيض عطية الله العظمى كمن يسحب من ينوع إلهي لا ينضب.
"وقال له:

كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً،
ومتى سكرُوا فحينئذٍ الدون،

أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن". [10]

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أنه لكي لا يقول أحد أن الشهادة قد صوتت عن أناس سكرى لا يدرون الفرق بين الخمر والماء، جاءت الشهادة من رئيس المتكأ. وحتماً كان رئيس المتكأ يحوص ألا يسكر، إذ يلتم بتدبير أمر العوس بوقارٍ وحكمةٍ [353].
حوص الإنجيلي أن يقول عن رئيس المتكأ: "ولما ذاق"، أي لم يكن بعد قد شوب حتى من هذا الخمر، إنما ذاقه.
في قانا الجليل حول السيد المسيح الماء خمرًا فبعث بالفوح الروحي في كل المحفل، وفي كنيسة العهد الجديد يحول السيد المسيح بروحه القنوس الخمر إلى دمه المبذول عنا، فيبعث بالفوح السموي في حياة متناوليهِ.

❖ لم يحول المسيح الماء خمرًا فحسب، لكنه صوّه خمرًا فائق الجودة، لأن عجائب المسيح لها هذه الخاصية، وهي أن تصير أبهى حسنًا وأفضل من الأصناف المتكونة في الطبيعة بكثير، فمن هذه الجهة متى أصلح في الناس عضوًا أعوج من جسمهم، أظهر ذلك العضو أفضل من الأعضاء الصحيحة. والوهان على أن الماء الصائر خمرًا كان خمرًا فائق الجودة، شهد به ليس الخدام وحدهم، بل ومعهم رئيس متكأ العوس.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل،

وأظهر مجده،

فآمن به تلاميذه". [11]

هنا بدء الكشف عن مفهوم "المجد" في هذا السفر، وهو: "الحضرة الإلهية". الله يمجدنا حينما يعلن حضوره فينا، ونحن نمجده حينما نعلن حضوره في العالم. ففي هذه الآية أعلن حضور الأب في ابنه وحيد الجنس، الذي يخبر عنه.

❖ الذي صنع الماء خمرًا يستطيع أن يجعل الحجرة خمرًا، فالسلطان واحد. لقد هربه الشيطان بذلك لكن المسيح لم يفعل ذلك. لأنكم تعلمون أنه عندما جُرب الرب المسيح اقترح الشيطان عليه ذلك. فقد كان جائعًا، حيث كان له ذلك كهية منه، فقد مارس ذلك (أنه جائع) كقوع من تواضعه. كان الخبز (المسيح) جائعًا، كما أن الطويق خاؤًا، وواهب الصحة مجروحًا، والحياة ميتًا... لم يصنع خمرًا من الحجرة، ذاك الذي يمكنه أن يفعل هذا بسهولة كما حول الماء خمرًا... فإنه ليس شيء يجعل المحرب مهزومًا مثل احتقلره. وعندما غلب تجربة الشيطان "جاءت ملائكة وخدمته" (مت ٤: ١١)...
لماذا فعل هذه ولم يفعل تلك؟... عندما حول الماء خمرًا ماذا يضيف الإنجيلي؟ "وآمن تلاميذه به" (يو ٢: ١١). فهل كان للشيطان أن يؤمن

[354] به؟

القديس أغسطينوس

❖ إن قال قائل: لا يوجد في هذا القول دلالة كافية على أن هذه الآية هي بداية آيات المسيح لأجل إبداعها في قانا الجليل، لأنه من الممكن أن يكون فعل في غير ذلك المكان آيات أخرى غوها.

نقول له: إن يوحنا المعمدان قد قال من قبل عن المسيح: **وأنا لم أكن أعرفه، لكن ليظهر لإسرائيل، لذلك جئت أعمد بالماء" (يو 1: 31)**، فلو كان المسيح فعل في عموره المبكر عجائب لما كان الإسرائيليون قد احتاجوا إلى آخر يعلن عنه. لأن ذلك (يسوع) الذي جاء بين الناس وبمعجزاته صار معروفاً، ليس فقط للذين في اليهودية وإنما أيضاً للذين في سورية وما وراءها، وفعل هذا في ثلاث سنوات فقط، فإنه ما كان محتاجاً إلي هذه السنوات الثلاث لإظهار نفسه (مت 4: 24)، لأنه كان من شهرته السابقة قد عُرف في كل موضع.

أقول أن ذلك الذي في وقت قصير أشرق عليكم بالعجائب فصار اسمه معروفاً للجميع، لم يكن بأقل من ذلك لو أنه في عموره المبكر صنع عجائب وما كان يبقى غير معروف كل هذا الزمن (حتى بلغ الثلاثين من عموره). فإنه ما كان قد فعله لبدأ غريباً أن يفعله صبي...

في الحقيقة لم يفعل شيئاً وهو طفل سوى أمراً واحداً شهد له لوقا (لو 2: 36) وهو في الثانية عشر من عموره حيث جلس يسمع للمعلمين وقد دهشوا من أسئلته. بجانب هذا فإنه من الأرجح والمعقول انه لم يبدأ آياته في عموره المبكر، لأنه بهذا لبدت أمراً مخادعاً. إن كان وهو في سن النضوج تشكك كثيرون فيها، كم بالأكثر لو أنه صنع العجائب وهو صغير. فإن ذلك كان قد أسوع به إلي الصليب قبل الوقت المحدد، خلال سم الحقد، ولما قُبلت حقائق التدبير **[355]**.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" وبعد هذا انحدر إلى كفرناحوم هو وأمه وأخته وتلاميذه،

وأقاموا هناك أياماً ليست كثرة". **[12]**

وي العلامة أوريجينوس أن كلمة "كفرناحوم" تعني "حقل الحث".

يقول العلامة أوريجينوس **[356]** أن يسوع ومن معه انحدروا إلى كفرناحوم حيث لم يقيموا أياماً كثيرة لأن من هم في الأسفل أو المنحدر ليس لديهم موضع لبقاء يسوع وقديسيه إلى أيام كثيرة. إنهم منحدر "حقل الحث" الذي لا يقدر أن يتقبل إمكانية الاستئجار بالتحريم الكثيرة، إنما يكفي بالحث القليل. أما النفوس العالية المرتفعة روحياً فتتمتع بالوعد الإلهي: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر"، وليس إلى أيام ليس بكثرة. إذ نُصَلب مع مسيحننا يقيم ليس فقط معنا إلى أيام قليلة بل وفيها، فنقول مع الرسول: "لا أحيأ أنا بل المسيح يحيا فيّ" (٢ كو ١٣: ٣). هكذا يسكن فينا ويحيا ويتكلم إلى انقضاء الدهر.

❖ بعد الفوح بالخمير كان من الضروري للمخلص مع أمه وتلاميذه أن يدخلوا "حقل الحث" لكي يحثوا التلاميذ على وجود ثمار في حقل خصب، وإن تحبل النفس به بالروح القدس، أو يحثوا أولئك الذين ينتفعون هناك" **[357]**.

العلامة أوريجينوس

ماذا يقصد بتعبير "أخته"؟ يقول القديس أغسطينوس كل من يمتون بعلاقة دموية بمريم يحسون أخته، مستشهداً بذلك من الكتاب المقدس. فقد دُعي لوط ابن أخ إواهم أخاً له (تك 13: 8؛ 14: 14). ودُعي لابان خال يعقوب أخاً له (تك 28: 5؛ 29: 12، 15). كما تحدث السيد المسيح عن تلاميذه أنهم أخته (مت 12: 46-50) **[358]**.

2. تطهير الهيكل

وكان فصح اليهود قريباً

فصعد يسوع إلى أورشليم". **[13]**

هذا هو الفصح الأول بعد عماد السيد المسيح، الثاني ورد في لو ٦: ١، والثالث في يو ٦: ٤، والرابع الذي صلب فيه السيد المسيح (يو ١١: ٥٥).

" ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرًا وغنمًا وحمامًا والصيلرف جلوسًا". [14]

يتساءل العلامة أوريجينوس عن إضافة "اليهود" إلى "الفصح"، فهل يوجد احتفال بفصح آخر غير فصح اليهود؟ ويجيب أنه ربما كان البعض يحتفلون بالفصح حسب فكرهم البشري، وليس حسب الفكر الكتابي الإلهي، لهذا دعاه "فصح اليهود". جاء في سفر الخروج: "إنه فصح للرب" (خر ١٢: ١١)، ولم يقل "إنه فصحكم" في أي موضع. عندما يعلن الله عن رفضه للشعب ينسب الأصوام والأعياد إليهم لا إليه. وكما جاء في سفر إشعياء النبي: "رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي، صلت عليّ ثقلاً، مللت حملها" (إش ١: ١٤).

❖ كما أنه عندما يخطئ شعب الله (لا يُنسبون لله) هكذا الأعياد عندما تبغضها نفس الرب تُحسب أعياد الخطاة، وأما عندما يعدها الرب فتُدعى أعياد الرب. الآن فإن الفصح هو أحد الأعياد. جاء في نص الإنجيل الذي أمامنا أنه ليس للرب بل فصح اليهود. بينما جاء في موضع آخر من الكتاب المقدس: "مواسم (أعياد) الرب" التي فيها تتاون محافل مقدسة هذه هي مواسمي (لا ٢٣: ٢) [359].

العلامة أوريجينوس

أورد الإرائيون هذا الحدث في الأسوع الأخير من حياة السيد المسيح على الأرض حين صعد إلى أورشليم، مما عجل بالأحداث ليحاكم ويصلب. فقد حسبته القادة في الهيكل إهانة لهم وللهيكل المقدس. أما القديس يوحنا فجعل هذا الحدث في بداية رسالة ربنا يسوع العامة ليؤكد لهم أنه هو الهيكل الجديد الذي يحتل مركز الهيكل القديم، وأنه الذبيحة الفريدة التي تحتل مركز الذبائح الدموية الحيوانية، لذا طرد البقر والغنم مع الباعة [360].

و يرى كثير من الدارسين أن السيد المسيح قام بتطهير الهيكل مرتين: المرة الأولى في الفصح الأول من بدء خدمته كما ورد هنا في إنجيل يوحنا. والمرة الثانية في الفصح الأخير أو الرابع الذي فيه صلب السيد المسيح (مت ١٢: ١٢؛ مر ١١: ١٥؛ لو ١٩: ٤٥). وكان تطهير بيت الرب هو عمل المسيح الأول والأخير، لذلك بدأ خدمته في الهيكل وأنهاها به. وقد سبق أن تنبأ ملاخي النبي عن هذا العمل (ملا ٣: ٢-٣).

وجد السيد سوقاً في إحدى مباني الهيكل يدعى دار الأمم. كانوا يبيعون فيه الثران والغنم والحمم لتقديم ذبائح. وكان هذا الموضع بجوار بركة بيت حسدا (يو ٥: ٢). استخدمها رؤساء الكهنة ومن معهم من أجل الربح المادي، حيث تقدم شهادات بأن الذبيحة بلا عيب مقابل دفع رسم معين. وهكذا أفسدت محبة المال نقوة العبادة (١ تي ٦: ٥، ١٠). كما وجدت المصرف لبيع شواقل الذهب الخاصة بالهيكل لتقديمها.

بلا شك رأى السيد المسيح هذا المنظر قبلاً حين كان يأتي إلى الهيكل، خاصة حين حاور المعلمين وهو في الثانية عشر من عمره، لكنه لم يقم بتطهير الهيكل إلا بعد أن بدأ خدمته العلنية. كما لم يشكوا الأمر إلى رؤساء الكهنة إذ يعلم أن ما يحدث هو بسماع منهم أو بتشجيعهم. باعة الغنم هم الذين يحولون خلاص المسيح، حمل الله، إلى تجارة، فيقتنون أرواحاً منمياً عوض الخلاص الأبدي، ويطلبون ما هو رضى عوض السلمي.

❖ حقاً يقول الله عنهم: "رعاة كثيرون أفسدوا كرمي، داسوا نصيبي، جعلوا نصيبي المشتهى بوية خربة، جعلوه خراباً" (إر 12: 10-11). لأنه حقاً قد فسد كرم الرب، إذ قد تعلموا أن يبدوا على العبادة الإلهية نفسها، وعن طريق الحب الدنيء للربح عند أولئك الذين أقيموا عليه فإن (الكرم) تُرك عرياناً لكل جهالة.

القديس كيرلس الكبير

❖ من هم الذين يبيعون الغنم والحمم؟

هؤلاء الذين يطلبون ما لنواتهم في الكنيسة لا ما للمسيح. يحسون كل شيء موضوع بيع بينما لا يخلصون. إنهم لا يطلبون أن يُشترى بل يطلبون أن يبيعوا. نعم كان الأفضل لهم أن يخلصوا بدم المسيح، ويأتوا إلى سلام المسيح. الآن ما المنفعة أن يطلبوا في هذا العالم أرواً مؤقتاً بدلاً أياً

كان هذا الأمر، سواء مالاً أو لذة طعام، أو كرامة تتبع عن مديح الناس؟ أليس هذا كله ربحاً ودخائناً؟ ألا يعبر هذا كله ويهوب؟... من يطلب هذه الأمور يا اخوتي إنما يبيعون [361].

القديس أغسطينوس

وى القديس أغسطينوس أن الثوان تشير إلى الوسل (1 كو 9:9-10)، فمن يتاجر في الثوان إنما كمن يرتبط بالوسول دون صاحبه (السيد المسيح)، لهذا وبخ القديس بولس أهل كورنثوس قائلاً: "أعل بولس صلب لأجلكم؟ أم باسم بولس اعتمدتم؟" (1 كو 1: 13). "أنا غوست وأبولس سقى، لكن الله كان يُنمي" (1كو3: 6-7). [ليقول الواغبون في سلام خادمه: ليتجد الرب! [362]

الذين يتاجرون في الثوان هم الذين يقدمون تعليم الكلمة كمن يحرث في حقل المسيح، لا للتمتع بثمر الروح، وإنما لأجل منفعة زمنية. هؤلاء يقول عنهم الوسل بولس: "عن تحزب ينادون بالمسيح لا عن إخلاص" (في 1: 16).
الذين يتاجرون في الأغنام هم الذين يقدمون أعمال الرحمة (الملابس الصوفية واللحوم) من أجل المديح الزمنية، هؤلاء الذين يأخذون أجورهم في العالم (مت 6: 5).

والذين يبيعون الحمام هم الذين يسيئون استخدام مواهب الروح القدس الذي ظهر على شكل حمامة، مثل السيمونية في سيامة الكهنوت. فقد أراد سيمون أن يقتني بالفضة مواهب الروح القدس لكي يبيعهما، فينال مكاسب مادية أو كرامات زمنية عوض العمل الروحي (أع 8: 19-20).
❖ إنه لا يسمح لعبيد المال أن يكونوا في هيكله، ولا لمن يبيعوا الكواشي. ما هي هذه الكواشي إلا الكوامات؟ ما هو الحمام إلا البسطاء في الذهن والنفوس الذين يتبعون إيماناً واضحاً؟ هل أحضر إلى هيكله من يعلق المسيح الباب في وجهه، إذ من يبيع الكوامات والمناصب يؤزم أن يؤمر بالخروج. يؤزم الأمر بالخروج لمن يبيع أصحاب العقول البسيطة من المؤمنين [363].

القديس أمبروسيوس

❖ يشير البقر إلى الأمور الزمنية، إذ تعمل (في حرث) الأرض. ويومز الغنم إلى الأمور البهيمية غير العاقلة حيث أن الغنم أكثر الحيوانات غير العاقلة المستعبدة. ويومز الحمام إلى عدم ثبات الأفكار وبطلانها، والعملات تشير إلى ما نظنه أموراً صالحة [364].
❖ يؤزم زوع هذه الأمور البهيمية والتجارية عن هذا الهيكل الذي هو جسد المسيح، فلا يكون بعد بيت تجرة [365].
❖ أيضاً يؤزم أن يُنقض هذا الهيكل بواسطة أولئك الذين يخططون ضد كلمة الله، وبعد نقضه يقوم في اليوم الثالث... كل شخص أيضاً إذ يطوه يسوع يوزع الأمور البهيمية والارتباك بالتجارة سيتحطم بسبب غوة الكلمة التي فيه، ويقوم في اليوم الثالث بواسطة يسوع.... يُقام بناء الهيكل في اليوم الأول بعد نقضه، وفي اليوم الثاني، ويتم البناء في كمال الثلاثة أيام حيث تتحقق القيامة وستكون قيامة إن كنا ندفن مع المسيح ونقوم معه (رو 6: 4) [366].

العلامة أوريجينوس

"فصنع سوطاً من حبال،

وطرد الجميع من الهيكل،

الغنم والبقر،

وكب تراهم الصيلف، وقلب موائدهم". [15]

يبدو أنه لم يطود الباعة ولا الصيلفة إنما طرد البقر والغنم والحمام، وألقى بواهم الصيلفة وقلب موائدهم. لقد جاء لا ليدين بل ليظهر ويقدم. جاء ليصلح من الفساد. إن نفساً واحدة في نظر السيد المسيح أثن من كل هذه الحيوانات وهذا الذهب والمال.



يظهر مشاعره ليس بمجرد الكلمات بل بالحبال وبالسوط يطودهم من المواضع المقدسة، وبالعدل يطبق عليهم العقوبة المناسبة للعبيد، لأنهم لا يقبلون الابن الذي يجعل الإنسان حراً بالإيمان.

❖ بحق أولئك الذين يكرمون الخدمات الناموسية بعد إعلان الحق أن يعرفوا أنه بالعودة إلى روح العبودية ورفض التمتع بالحرية يستحقون الخضوع للضربات وعذابات العبودية [367].

❖ سيطرد اليهود العصاة من الأماكن المقدسة، ويجعلهم خراج حظوة القديسين المقدسة. بل حتى حينما يقدمون ذبائح لن يقبلها، بل بالأحرى يخضعهم للعقاب والسوط، ممسكين بحبال خطاياهم (اجع أم 22:5).

القديس كيرلس الكبير

"وقال لباعة الحمام:

رفعوا هذه من ههنا،

لا تجعلوا بيت أبي بيت تجرة". [16]

صعد يسوع إلى أورشليم ليظهر هيكل أبيه الذي تحول إلى بيت تجرة، وها هو يصعد على النوام إلى أورشليمنا الداخلية، إلى أعماقنا، ليقدم منها هيكلًا سماويًا مقدسًا للآب، يطوره من كل تجرة وفساد.

❖ قال: "لا تجعلوا بيت أبي"، ولم يقل "بيت أبينا"، لأنه حسب هذا القول أكثر مناسبة... حيث أن الكلمة يعوف أنه من جهر الله الآب وليس في عداد أولئك الذين هم أبناء بالنعمة. لذلك فهو يفصل نفسه عن الباقيين، ويدعو الله أباه.

القديس كيرلس الكبير

❖ إننا لا نسكت على ا لخواطة الذين يفصلون العهد القديم عن الجديد. إنما نؤمن بالمسيح القائل عن الهيكل: "أم تعلم أنه ينبغي أن أكون في بيت أبي؟" [368]. وأيضًا: "رفعوا هذه من ههنا، لا تجعلوا بيت أبي بيت تجرة". هنا يعترف بأكثر وضوح أن الهيكل السابق في أورشليم هو بيت أبيه [369].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ لم يقل المسيح لا تجعلوا البيت المقدس لكنه قال: "لا تجعلوا بيت أبي"، فها هو يدعو الله أباه. لم يغتاظوا منه لأنهم ظنوه يقول هذا القول على بسيط ذات القول، لكنه لما تكلم بهذا القول فيما بعد أفصح أنه تكلم مريدًا أن يبين معادلته لأبيه، حينئذ اغتاظوا منه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فتذكر تلاميذه أنه مكتوب:

غوة بيتك أكلتني". [17]

بدأ التلاميذ يركون ما وراء تصرفات السيد المسيح، متذكورين ما ورد في الكتاب المقدس. فإنه في كلمة الله كل يفسر الآخر ويوضحه. تذكروا ما هو مكتوب في مز 69: 9.

حقًا غوة بيت الآب أي الكنيسة قد التهبت في قلب يسوع المسيح الذي أحبها وأسلم نفسه لأجلها، لكي يهبها الحياة الأبدية فتشركه مجده.

❖ "غوة بيتك أكلتني" [17]... يعرف كل واحد منكم ما يفعله في بيته ومع أصدقائه وفي مسكنه، ومع عمله، مع الأعظم منه ومن هو أقل منه، قدر ما يسمح لله بالدخول، إذ يفتح الباب لكلمته التي لا تتوقف عن أن تريح أحدًا للمسيح، فقد رُبحت أنت بواسطة المسيح [370].

القديس أغسطينوس

❖

الرب نفسه يقول: " غوة بيتك أكلتني ". ليته يكون لنا غوة للرب حقيقة، أعني ليست غوة رضية، إذ هذه تسبب حسداً. ليحل السلام بينكم، هذا الذي يفوق كل فهم، ليحب الواحد الآخر. ليس شيء أعذب من الحب، ولا شيء أكثر تطويلاً من السلام. أنتم تعلمون إنني أحبكم على الواو، والآن أحبكم فوق الكل. كأبناء لأبٍ واحدٍ صوتم متحدين تحت رباط الحب الأخوي ^[371].

القديس أمبروسيو

3. طلب آية

" فأجاب اليهود وقالوا له:

آية آية ترينا حتى تفعل هذا؟" [18]

إذ قام السيد المسيح بتطهير الهيكل بسلطانٍ لم تستطع القيادات أن تقاومه أمام الشعب. لقد رأوا إواز اهتمامهم الشديد بالهيكل وكل ما يدور فيه، فعوض الاعتراف بما حلَّ في الهيكل من فساد بسبب التجارة فيه سألوهم: " آية آية ترينا حتى تفعل هذا؟" إذ توجهوا لما انقطع ربحهم المستقبح عنهم، رأوا بهذا السؤال أن يمنعه عما يفعله معهم.

حين جاء موسى ليخلص شعب الله من عبودية فوعن صنع آيات واضحة، فما هي الآيات التي يفعلها يسوع ليقبلوه أنه جاء من عند الله. لم تترك القيادات أنه وهو أغزل من أي سلطان بشري أو موكز ديني رسمي أو سلاح بسلطان إلهي طهر الهيكل دون مقاومة. حضوره الإلهي بدد الظلمة. ❖ إن كان ذلك قد أخفي عن اليهود، فلأنهم وقفوا خرجاً، وأما بالنسبة لنا فقد كُشف لأننا نعلم بمن نؤمن. سنحتفل بنقُض ذلك الهيكل قريباً في الاحتفال ^[372] السوي المهيب، والذي نحتكم أن تستعوا له، حيث تتألون نعمة كمعوطين.

القديس أغسطينوس

❖ لم يستطع قادة اليهود أن يوتّوه... لكنهم اخترعوا طرقاً لتأخير هروب التجار، ملتسبين العذر لأنفسهم بأنهم لم يخضعوا له فهراً أو بدون بحث لكي يقبلوه كابن الله دون أن يهبهم آية.

القديس كيرلس الكبير

❖ وحسوتاه علي جنونهم المطبق! هل توجد حاجة إلي علامة قبل أن يتمكنوا من الكف عن أفعالهم الشووة، ويحرروا بيت الله من مثل هذا العار؟ أليست أعظم آية لسومه أن تكون له مثل هذه الغوة علي ذلك البيت؟ لقد تميز موقف التلاميذ اللائق إذ تذكروا "أنه مكتوب: " غوة بيتك أكلتني" [17] . أما اليهود فلم يتذكروا النوة، فقالوا: "آية آية ترينا؟" متوقعين بذلك أن يوقوه، راغبين في تحديه بصنع معزة، ليجنوا علة عليه ^[373].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" أجاب يسوع وقال لهم:

انفضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه". [19]

الآية التي قدمها السيد المسيح هي حضوره الإلهي القادر أن يكسر متليس الهلوية، ويحطم سلطان آخر عدو وهو الموت، ليهب مؤمنيه قوة القيامة. قدم لهم آخر آية يصنعها يسوع المسيح نفسه قبل صعوده إلى السماء وهي قيامته. يجب أن يموت، لكن لا يستطيع الفساد أن يحل به (مز ١٦: ١٠).

طلب منهم أن ينفضوا هيكل جسده حيث يرفعه على الصليب، أما هم فظنوا أنه يتحدث عن الهيكل الحوي.

❖ حسناً دُعي حواً ذلك الذي له سلطان أن يقيم نفسه... وحسناً دُعي حواً ذلك الذي تول لكي يخلص الآخرين ^[374].

القديس أمبروسيو

"فقال اليهود:

في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل،

فأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟" [20]

بني الهيكل في 46 عامًا، ووى البعض أنه قد بدأ في أيام هيرودس حوالي عام 20/19 ق.م. فيكون قد انتهى البناء منه في حوالي 28م. ووى آخرون أنه قد بدأ إعادة بنائه هيرودس الكبير في السنة الثامنة عشر من ملكه [375] وانتهى من العمل الرئيسي في تسع سنوات ونصف لكن تمت إصلاحات وإضافات للمبنى استمرت إلى سنوات طويلة. بدأ هيرودس العمل في السنة ١٦ قبل ميلاد السيد، والحديث هنا في السنة الثلاثين من ميلاده. فكان عمر المبنى القائم ٤٦ عامًا. وقد استمر البناء بعد ذلك. موضحًا بذلك البناء الأخير للهيكل لأن بناءه الأول كمل على مدى عشرين سنة. وكأنه مع بداية خدمة المسيح كان اليهود في أكثر لحظات اعتزازهم بالهيكل المبني حديثًا. فلم يكن من السهل قبول كلمات السيد المسيح الخاصة بهدمه في ثلاثة أيام.

نفس المدة أيضًا استغرق فيها بناء الهيكل حين وضع زربابل أساسات الهيكل في السنة الثانية من ملك كورش إلى إتمام البناء في السنة ٣٢ من ملك ارتخشستا Artaxerxes.

❖ إنهم يؤمنون بالآية، إذ لم يعرفوا عمق السر، بل يتمسكون بموض جهلهم كعذرٍ معقول يبررون به عدم طاعتهم له... كيف يكون عاجزًا عن إتمام أي شيء مهما كان، وهو الذي في سنة أيام كون العالم كله بقوة تفوق التعبير، وقوته كائنة في مشيئته فقط؟

القديس كيرلس الكبير

في تفسيره الرمزي لرقم 46 روى القديس أغسطينوس أن الأربعة حروف لآدم Adam هي الحروف الأولى لكل اتجاهات العالم: الشرق Anatole والغرب Dysis والشمال Arctos والجنوب Mesembria. وكأن آدم قد انشق وتبعثر في كل اتجاهات العالم. هذه الحروف في اليونانية لآدم (Adam) تعادل رقم 46. حيث ألفا (A) تعادل رقم 1، ودلتا (D) تعادل رقم 4، ومي (M) تعادل رقم 40. فكلمة آدم تعادل $46=40+1+4+1$. هذا هو الهيكل أو الجسد الذي أخذه الكلمة من آدم فنقضه ليقيمه في ثلاثة أيام ليتمتع بالأبدية، إذ أقامه الآب بلاذته والابن بقوته، والروح القدس بكونه روح القيامة [376].

"وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده". [21]

لقد أظهروا جهلهم لمعنى كلمات السيد المسيح، إذ كان يعني بكلماته هيكل جسده. هذا وهل يصعب على الخالق أن يقيم حتى الهيكل الحجري في ثلاثة أيام؟

كما احتل الخمر المسياني الجديد عوض ماء التطهوات الذي للناموس، هكذا يحتل هيكل جسد المسيح القائم من الأموات موضع هيكل العهد القديم الذي دمه جيش تيطس الروماني سنة 70م. لقد أقام السيد المسيح له هيكلًا جديدًا في داخلنا لا تقدر جيوش العالم أن تحطمه (1 كو 6: 19).

تحقق هذا القول بموت المسيح وقيامته في اليوم الثالث، ولا زال يتحقق في جسده الذي هو الكنيسة، وفي كل مؤمن كعضو في جسد المسيح. ولقائل أن يقول: فلأجل أي غرض لم يشوح المسيح قوله الغامض هذا، إذ أنه لا يقول عن هذا الهيكل لكنه يقول عن هيكل جسده؟ فنجيبه: لقد صمت المسيح عن إيضاح ذلك، لأنه لو قال موضحًا لما قبلوا قوله، لأنه إن كان تلاميذه لم يكن فيهم كفاية، ولا عرفوا كيف يفهمون ما قيل لهم، فقد كان أولى بالجوع وأليق ألا يفهموا معنى ما يقول.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا،

فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع". [22]

كثير من النوات لا يمكن إرواها إلا بعد إتمامها. هكذا لم يستطع حتى التلاميذ أن يدركوا ما قاله في ذلك الحين إذ كانوا لا زالوا أطفالاً في المعرفة. عند قيامته فتح أذهانهم ليفهموا الكتب، وألهم قلوبهم بالمعرفة الصادقة للنوات (لو ٢٤: ٤٥). ل قد كانوا بطيئي القلوب في الإيمان (لو ٢٤: ٢٥)، لكنهم كانوا في يقين بأن كلماته صادقة.

❖ ذكر الروح القدس التلاميذ ما سبق وقاله المسيح لهم، لأنهم تمسكوا بالموهبة وأظهروا حياة نوة وحكمة كثرة وأتعباً عظيمة وما احتسوا البركات الإنسانية شيئاً البتة، لكنهم صاروا أعلى منها، وكانت صورتهم صورة نورة إلى الأعلي بأعمالهم (بالنعمة) ووصلوا إلى السماء عينها، وبها امتلكوا نعمة الروح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولما كان في أورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه،

إذروا الآيات التي صنع". [23]

"لكن يسوع لم ياتمنهم على نفسه،

لأنه كان يعرف الجميع". [24]

لقد آمنوا به أنه المسيا المنتظر، لكنهم لم يدركوا أنه مخلص العالم، بل ظنوه ملكاً على إسرائيل، ينقذهم من الاستعمار، ويهبهم سلطاناً زنياً. لم يدركوا أنه مخلص نفوسهم، فلم تتغير قلوبهم، لهذا لم ياتمنهم يسوع على نفسه.

يميز العلامة أوريجينوس بين الذين يؤمنون بيسوع المسيح والذين يؤمنون باسمه (فقط). إنه لم ياتمن الذين آمنوا باسمه فقط وليس الذين آمنوا

به.

❖ لقد كان التلاميذ أبلغ استقصاء في إيمانهم، لأنهم لم يتقدموا إلى المسيح بسبب آياته فقط لكنهم تبادروا إليه بسبب تعليمه، لأن الآيات جذبت الذين كانوا أكثف عقلاً من غوهم، إذ أن جميع الذين اقتنصهم تعليمه كانوا أثبت عوماً من الذين اجتذبهم آياته. ويدعوهم المسيح "مطوبين" قائلاً: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (يو 20: 29).

أما هؤلاء المذكورون هنا فلم يكونوا تلاميذ حقيقيين. هذا ما تظوه العبرة التالية، إذ قيل: "لم يكن يسوع ياتمنهم على نفسه" [24]. لماذا؟
"لأنه كان يعرف كل شيء" [377].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يليق بنا أن نلتصق به أكثر من التصاقنا باسمه، عندما نصنع عجائب باسمه، فلا نسمع الكلمات التي قيلت عن المفتخرين باسمه فقط (مت ٧: ٢٢) -
(٢٣)، لكن إذ نتمثل ببولس تكون لنا الشجاعة أن نقول: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" في ٤: ١٣ [378].

العلامة أوريجينوس

❖ لم ياتمن حديثي الإيمان على نفسه... من هذا فليتعلم وكلاء أسرار المخلص ألا يدخلوا إنساناً فجأة داخل الحجب المقدسة، ولا يسمحوا للمبتدئين الذين اعتموا قبل الأوان ولم يؤمنوا بالمسيح رب الكل في الوقت المناسب أن يقروا من الموائد الإلهية.
❖ إن كان الله وحده يعرف دائماً ما فينا، والمسيح أيضاً يعرفه، فكيف لا يكون هو الله بالطبيعة؟

القديس كيرلس الكبير

إنه يعلم ما في الإنسان لأنه خالق الكل (يو ١: ٣)، الكلي الحكمة (يو ٢: ١)، وفاحص القلوب والكلية.

"ولأنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان،

لأنه علم ما كان في الإنسان". [25]

❖ إن الخاصية العرفية له في قلوب الناس هي خاصية الإله الذي أبدع قلوبهم، لأن سليمان الحكيم قال في صلاته للرب: "فاسمع أنت من السماء مكان سكنائك واغفر واعمل وأعط كل إنسان حسب كل طوقه كما تعرف قلبه، لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر" (1 مل 8: 39)، لذلك لم يكن المسيح محتاجاً إلى شهود حتى يعرف نية خلائقه، لكنه عرف خفاياهم كلها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يمكن فهم العبارة: "لأنه علم ما كان في الإنسان" [٢٥] بخصوص القوات الشريرة والصالحة التي تعمل في البشر، فإن أعطي إنسان مكاناً لإبليس (أف ٤: ٢٧) يدخل الشيطان فيه، كما أعطى يهوذا للشيطان موضعاً في قلبه لكي يخون يسوع... وإن أعطى الشخص موضعاً لله يصير مطوباً. إذ "طوبى لمن كان عونه من الله، والمساعد في قلبه من الله" (اجع مز ٨٤: ٦). ابن الله العرف بكل الأشياء، يعرف ما كان في الإنسان [379].

العلامة أوريجينوس

من وحي يوحنا 2

حضورك يجعل حياتي عرساً لا ينقطع!

❖ حضورك يحوّل حياتي إلى عرس دائم.

حضورك يجلب أمك وتلاميذك ومحبيك معك!

تعال، هوذا العرس معد!

تعال، ليس من يوح قلبى غورك!

❖ حوّلت ماء التطهير إلى خمرٍ جديد.

عوض وصايا الناموس الحرفية التي تثقل كاهلي،

تهبني خمر الإنجيل الذي يوح قلبى!

لأسكر بحبك وأعشق سمواتك،

فلا يكون للعالم موضع في داخلي!

❖ هب لي بروحك الناري أن أنصت إلى صوت أكثر:

مهما قال لكم فأفعلوه!

طاعتي لك توح قلبها وقلوب كل محبيك.

صلواتها وشفاعتها تسندني،

فأسلك بروح الطاعة لوصيتك.

❖ لتدخل إلى أعماقي، فتقدسها هيكلًا لك:

لتطود كل غنم ويقر منها،
فلا يكون لروح الريح القبيح موضع في.
لأسلك بروحك القدس،
فيكون لي عينا حمامة وديعة.
لتسكب كل محبة للراهم من مائدة نفسي!

❖ هب لي روح الغوة على بيتك،
فيلتهب قلبي بالطهارة الداخلية عوض الانشغال بإدانة الآخرين.
وانشغل بسكانك في عوض الانشغال بالغير.

❖ أقام اليهود الهيكل القديم في 46 عاماً،
وها أنت أقيمت هيكل جسدك من القبر في ثلاثة أيام.
في ثلاثة أيام أقيمت كنيسةك عروساً سماوية.
لم يعد موضعنا ظلمة القبر،
بل بهاء سمائك الفائق!

⏪

الأصاح الثالث

نيقوديموس والميلاد الجديد

المعلم واهب الميلاد الجديد!

ليس من اصحاب في العهد الجديد يبدو في صعوبة هذا الأصحاب، ومع هذا فقد جذب كثيرين من غير المؤمنين إلى الإيمان المسيحي. فعنده تقف نفس غير المؤمن الجادة في طلب خلاصها لتجد نفسها محتاجة مع نيقوديموس أن تدخل في حوار سوي مع السيد المسيح، وإذ تتعرف على الإمكانيات الجديدة الموهوبة لها. تتحني أمامه تطلب الاتحاد معه لتتمتع بروحه القدس بالميلاد الثاني الجديد خلال العماد.

في نفس خط تأكيد الحياة المسيحانية الجديدة: خمر جديدة وهيكل جديد، كان لابد من الكشف عن **الولادة الجديدة**.

يبقي هذا اللقاء الفريد بين شخصية فيسبية ممتزة وبين شخص السيد المسيح ينوع روحي حي يفيض على كل نفس جادة في خلاصها. فقد كان نيقوديموس كويسي، رجل عالم في نواصة النوراة والتقليد اليهودي، ورجل أخلاقي يؤمن كغوره من والفيسيبيين أنه في قنرة الإنسان إن أراد أن يفعل برّ الناموس، يعتمد على جهاده الذاتي وإرادته البشرية، يتمسك بحرفية الناموس، وبحسب نفسه حافظاً لها. وي في المسيح معلماً يهودياً مهتماً بالناموس، ولعله كان أحد الكثيرين الذين ذكروهم الإنجيلي: "ولما كان في أورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه إذ رأوا الآيات التي صنع" (يو 2: 24)، آمن أنه أتى من الله (يو 3: 2). ولعله كان برجو في يسوع أن يكون مصلحاً أخلاقياً، يقوم على أساس حفظ الناموس حرفياً، وأن يصلح من شأن الأمة اليهودية.

لم تكن عقلية نيقوديموس وخورته توهلانه لقبول الحياة الجديدة في المسيح يسوع، خلال الميلاد الجديد، والتمتع بناموس روحي جديد. كان

محتاجًا أن يرفع السيد المسيح فكه وقلبه وكل أحاسيسه وطاقاته نحو السماء ليبرك حاجته إلى الميلاد الجديد خلال ذلك "الذي قول من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء"، فهو وحده يصعد إلى السماء ليحمل مؤمنيه معه كأبناء لله يتمتعون بالبوثة للآب فيه. لقاء نيقوديموس مع السيد المسيح ليلاً يسحب القلب نحو شخص السيد المسيح للتعرف على اهتمام السيد المسيح بكل نفسٍ بشويةٍ، ولطفه مع صواحته في الحديث معها.

رأينا الكلمة الحال في وسطنا ليقينا أبناء الله، (ص 1)، الآن يعلن كيفية الميلاد الجديد في حديثه مع نيقوديموس رئيس اليهود. اشتاق نيقوديموس أن يرى الملكوت، فأكد له السيد الحاجة إلى المعمودية بالماء والروح. ليعيش المؤمن دومًا كابن لله يسلك بالروح. في هذا الأصحاح يرفعنا من الأرضيات إلى الانشغال بالسموايات خلال اتحادنا بالسموي إلى قول إيلينا وصعد ليصعدنا معه، إذ هو قائم في السماء [13]. يربط العماد بالصليب حيث يعلن الآب حبه لكل البشوية ببذل ابنه لكي يتمتع العالم بالحياة الأبدية [16]. وإذ يشير إلى الميلاد الجديد يسحبنا من الخوف من الدينونة إلى التمتع بالنور الإلهي [21].

إذ رأى يوحنا المعمدان ما حدث في عماد السيد المسيح وما حمله هذا من تمتع المؤمنين به بالبوثة، كمل فوحه. لقد سمع صوت العريس يخطب عروسه لتحتيا معه في الأمجاد السماوية [29].

1. حوار حول الميلاد الجديد ١ - ١٣.
2. الميلاد الجديد وذبيحة الصليب ١٤ - ١٧.
3. الاستنارة والإيمان ١٨ - ٢١.
4. موقف المعمدان من معمودية المسيح ٢٢ - ٣٦.

1 . حوار حول الميلاد الجديد

" كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود ". [1]

نيقوديموس : اسم يوناني معناه "المنتصر على الشعب". كان رئيسًا لليهود، أي عضوًا في مجمع السنهريين، المجلس الأعلى للأمة اليهودية. الدعوة الإلهية موجهة إلى كل البشوية بكل فئاتها، لكن قليلين من أصحاب العواكر الدينية والزمنية ومن لهم مراكز قيادة أن يستجيبوا للدعوة. وجد قلة قليلة جدًا من بين الفريسيين، أقل من إصبع اليد الواحدة، ممن تجاوبوا مع هذه الدعوة، من بينهم نيقوديموس. جاء إلى السيد المسيح ربنا وحده أو معه أحد تلاميذه أو أكثر. لم يستخف السيد بالنفس الواحدة، فإنه احتمل موت الصليب من أجل كل نفس.

حقًا لقد حمل الفريسيون روحًا مضادة ومقاومة للحق الإلهي، لكن وُجد بين هؤلاء المتعلمين الدارسين من يشتهي اللقاء مع السيد، وقد وجنوا بابه مفتوحًا. نعمة الله تعمل في الأميين كما في الدارسين، وفي العامة كما في القيادات، وفي البسطاء كما بين المقاومين. لقد جاء نيقوديموس إلى السيد، وبقي في موكبه بين المقاومين، ووضع قلبه أن يعمل حينما تُتاح له الفرصة قدر المستطاع. وقد حان الوقت حين لم يستطع التلاميذ أن يعملوا ليعمل هو، فأخذ تصويحًا من بيلاطس كي يدفن جسد السيد المسيح في قوه الخاص الجديد.

أشير إلى نيقوديموس بن جوريون Gorion ، في الكتابات اليهودية أنه كان غنيًا جدًا يستطيع أن يعول كل أهل أورشليم لعشوة سنوات، وإن كان البعض يرى في ذلك شيء من المبالغة.

" هذا جاء إلى يسوع ليلاً، وقال له:

يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلمًا،

لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل،

إن لم يكن الله معه". [2]

كلما أشار الإنجيلي يوحنا إلي شخص نيقوديموس يربطه بزيرته للسيد المسيح ليلاً، وقد كرر ذلك ثلاث مرات في هذا السفر (3: 2؛ 7:50؛

19: 39). لماذا جاء إلى يسوع ليلاً؟

1 . شعر أنه لا يفهمه أن يسمع أحاديثه العامة، ولا أن يتمتع برؤية معجزاته العلنية، بل هو محتاج إلى جلسة هادئة مع السيد المسيح فيما يخص خلاص نفسه. محتاج إلى حوار شخصي معه (ملا ٢: ٧) . إن كان الابن الوحيد الجنس كثوًّا ما كان ينسحب من الجماهير بل ومن التلاميذ الأخصاء ليقتضي الليل كله في حديث ممتع مع الأب، ألا يحتاج كل إنسان منا أن يتوك كل شيء ويجلس، خاصة بالليل، مع مسيحه ليُدخل معه في حوار شخصي، ويتمتع بالحياة الجديدة والشركة معه؟

2 . لعله من باب الحكمة اختار المساء، لأن السيد المسيح كان مشغولاً طوال النهار بالخدمة العامة، فانتظر نيقوديموس حتى المساء ليلتقي مع السيد في وقت راحته، في حديث ودي.

3 . لعله إذ دهش برؤية بعض المعجزات انتهر أول فرصة للقاء الشخصي معه. بينما الكل نيام أراد أن يقضي سيرة روحية مع السيد المسيح، ولعله خشي ألا يجد مثل هذه الفرصة في المستقبل. كان نهلاً للفص! إنه تمثل بدلود النبي الذي كثوًّا ما كان ينتهر فرصة الليل للتأمل (مز ٣٦: ٦؛ ١١٩: ١٤٨).

4 . لعل أيضاً الدافع لمجيئه ليلاً أنه خشي أن يبلغ الخبر إلى رؤساء الكهنة فيثوروا بالأكثر ضد السيد المسيح، أو يسيئون هم والرؤساء والفريسيون إلى نيقوديموس نفسه. ربما كان ينقصه نور الإيمان، لقد انجذب إلى شخص يسوع، لكنه لم يكن بعد قد عرفه عن قرب، ولا تعرّف على حقيقته أنه نور العالم. لقد كان قائداً يهودياً [1]، ومعلم إسرائيلي [10]، يحتاج إلى الميلاد الجديد ليتمتع بمفاهيم جديدة للمملكة السماوية المسيحانية. في ضعف إيمانه جاء ليلاً، وقد وجد باب قلب سيده مفتوحاً، ولم يوح مشاعره بكلمة عتاب واحدة. على أي الأحوال كان إيمانه أشبه بحبة الخردل الحية التي نمت وظهرت كشوة عظيمة عندما مات السيد المسيح، فتقدم بشجاعة ليطلب جسد السيد.

❖ لقد تردد نيقوديموس على المسيح، لكن ليس كما كان يليق، ولا بتميز لائق، لكن الضعف اليهودي كان لا يزال مستحوذاً عليه بعد، ولهذا السبب جاء ليلاً خائفاً من أن يجيء إليه نهلاً. ومع هذا فإن الله الرحم لم يردله ولا انتهره، ولا حرّمه من تعاليمه، وإنما في حنو شديد حلّوه، وكشف له تعاليم سامية للغاية، حتماً كانت مبهمة إلا أنه كشفها له. فانه يستحق العفو بما لا يقاس من أولئك الذين يفعلون هكذا بنية شرة. هؤلاء بلا عذر تماماً، أما هو وإن كان يستحق اللوم لكن ليس بذات الترجة [380].

❖ وإن كان نيقوديموس تخلف، إلا أنه فكر فيه بطريقة بشرية، فتحدث عنه كأنه نبي، متوهماً انه قال عنه أمراً عظيماً من خلال معجزاته. يقول: "يا معلم نعلم أنك أتيت من الله معلماً" [2]. " فلماذا أتيت ليلاً في الخفاء إلى ذلك الذي يتكلم بأمر الله، ذلك الذي أتى من الله؟ لماذا لم تحلّوه علانية؟ لم يقل له يسوع شيئاً من هذا، ولا انتهره. إذ يقول النبي: "قصة موضوعة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (إش 42: 2، 3؛ مت 12: 19، 20). مرة يقول السيد نفسه: "لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم" (يو 12: 47) [381].

❖ "لأنه ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل، إن لم يكن الله معه". [2] لاحظ تنزل المسيح الموائد. فانه قد أحجم إلى حين عن القول: "لست محتاجاً إلى عون آخرين، إنما أفعل كل شيء بسلطان، لأنني ابن الله ذاته، ولي ذات سلطان أبي"، فإن هذا كان صعباً علي سامعه...

ولهذا فإنه في مواضع كثيرة كان كمن يضع لنفسه حدوداً، أما في أفعاله فلم يفعل هكذا. فعند مملسته معزة، يصنع كل شيء بسلطان، فيقول: "رُيد فأطهر" (مت 8: 3)؛ "طليثا، قومي" (مر 5: 41)؛ "مد يدك" (مر 3: 5)؛ "مغفورة لك خطاياك" (مت 9: 2)؛ "اسكت، ابكم" (مر 4: 39). "احمل سوبوك واذهب إلى بيتك" (مت 9: 6). "أيها الروح النجس، لك أقول أخرج منه" (مت 15: 28). "إن سألكم أحد، قولا: الرب محتاج إليه" (مر 11:

3) ". اليوم تكون معي في الفردوس" (لو 23: 43) .. "سمعت أنه قيل للقدماء لا تقتل... وأما أنا فأقول لكم من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم" (مت 5: 21، 22) ". هلم ورائي فأجعلكما تصوان صيادي الناس" (مر 1: 17) . في كل موضع نلاحظ أن سلطانه عظيم، فإنه في عمله لا يمكن لأحد أن يمسك عليه خطأ... أما في أحاديثه فربما في جنونهم يتهمونه بالجنون.

لذلك في حالة نيقوديموس لم يتكلم علانية، بل قاده بكلمات غامضة أن لديه سلطاناً في ذاته يظهر معجزات، فقد ولده الآب كاملاً، فيه الكفاية المطلقة بلا نقص قط [382].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كان نيقوديموس واحداً من هؤلاء (الذين آمنوا باسمه، لكنه لم يأتهم على نفسه 2: 23-24) . جاء إلى الرب، لكنه جاء ليلاً. جاء إلى النور، وقد جاء في الظلمة. [383]

❖ بالرغم من أنه جاء إلى يسوع، لكنه إذ جاء ليلاً، ظل يتكلم من خلال ظلمة جسده. لم يفهم ما يسمعه من النور الذي يضيء لكل إنسان آتٍ إلى العالم. [384]

❖ ربما علة مجيئه إلى السيد الحقيقي ليلاً أنه اعتاد أن يعلم، وكان يخجل من أن يتعلم. لكنني أتمتع بمسرة أعظم عندما أصغي إلى معلم عن أن يُصغي إليّ كمعلم. فإنني أتذكر ما قاله للذين اختلهم قبل غوهم: "لكن ليتكم لا تدعون معلمين بواسطة الناس، فإن سيدكم واحد، المسيح" (راجع مت 8:23) [385].

القديس أغسطينوس

على أي الأحوال لم يأت ليلاً لينال المعمودية ولا ليتلمذ للسيد، فإنه حسب التقليد اليهودي لا يجوز لمن يريد أن يدخل الإيمان اليهودي أن يُختن أو يُعمد في الليل، وإلا حسب هذا العمل باطلاً. لقد جاء للاستنارة وأيه، والتعرف على الطريق لا للتلمذة على يديه.

"يا معلم" : لم يكن من السهل لفيسي يُحسب عالماً في الكتاب المقدس وقائداً للشعب أن يخضع لشخص ما قائلاً بروح التواضع: "يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً" [٢] . لم يتحدث مع السيد في أمورٍ سياسية، ولا في شؤون الدولة، مع أنه كان رئيساً لليهود، لكن ما كان يشغله هو خلاص نفسه.

اعترف نيقوديموس بأن السيد لم يتعلم على يدي أي معلمٍ يهودي، ولا التحق بمسرة دينية، لكن تعليمه هو بسلطان إلهي سموي. أترك أن السيد يحمل سلطان الحق لا السيف، يعمل بحكمة علوية لا بشرية. يعترف نيقوديموس أن الآيات التي صنعها يسوع لا يمكن أن تكون مزيفة. لقد فحصها مع زملائه وأدركوا أنها من الله، تتحقق بقوة إلهية.

والعجيب أنه يتكلم بصيغة الجمع "نعلم"، ربما لأنه جاء ومعه واحد أو أكثر من تلاميذه، أو تحدث على لسان بعض الفريسيين الذين لم يكن يشغلهم شيء أو شخص ما سوى "يسوع"، وقد اعترفوا فيما بينهم بما يعلنه نيقوديموس هنا، لكن أحداً ما لم يجسر أن يتكلم علانية، ولا أن يلتقي مع يسوع خفية.

"أجاب يسوع وقال له:

الحق الحق أقول لك

إن كان أحد لا يؤبد من فوق (جديد)

لا يقدر أن يرى ملكوت الله". [3]

اعتبر نيقوديموس صنع الآيات دليلاً على أن يسوع هو من عند الله. فقد كان الربيون وبربطون بين التقوى وعمل الآيات. ولم يكن نيقوديموس

قاروا أن يتعدى هذه الحدود لبورك حقيقة شخص يسوع المسيح، وآه معلماً تقياً، رجل الله، يتمتع بمعية الله، كما تمتع يعقوب حيث قال له الرب: "لا تخف لأنني معك" (تك 26: 24). ويشوع بن نون: "كما كنت مع موسى أكون معك" (يش 1: 5) وكثير من الآباء والأنبياء لم يستطع نيقوديموس بفكوه الفريسي مع تفراده أن يتعدى هذه الحدود. هذا هو ما تعلمه، وهذا هو ما كان يعيشه في الجو اليهودي.

جاء حديث السيد المسيح معه يبرز النقاط التالية:

1 . الحاجة الماسة إلى ميلادٍ جديدٍ لمعاينة عالمٍ جديدٍ في داخله "ملكوت الله" [3]. لذلك دعيت ولادة جديدة أو ولادة ثانية، كما جاءت في التجمات القبطية والسريانية واللاتينية، وكما استخدمها كثير من آباء الكنيسة الأولى، مثل **القديسين يوستين واكليمنضس السكثري، ورتليان، والقديسين أغسطينوس وجيروم** . وقد فهم نيقوديموس كلمات السيد المسيح أنها تدعو إلى "ميلاد جديد"، لهذا وقف في حيرة وعجز: كيف يمكن لشخص أن يدخل بطن أمه ليولد من جديد؟

2 . أن تكون **الولادة من فوق** ، أي سماوية [3]. إذ هو عمل خاص بروح الله القديس السموي، يهب إمكانيات سماوية إلهية تتجاوز الفكر البشري.

3. تتحقق بالعماد من **الماء والروح** [5].

4 . ولادة تحمل **قوة فائقة كالريح** ولا يُعرف سواها [8].

كان تكرر كلمة **"الحق"** في الكتابات اليهودية يُحسب معادلاً لقسم له قدسيته العظمى. استخدمه السيد المسيح عندما كان يشير إلى أمرٍ له خطورته الكوى.

في لطف ينتهوه السيد المسيح معلناً له أنه لا يكفي للشخص أن يؤمن بأن يسوع هو معلم إلهي، ولا أن يُعجب من آياته بكونها آيات صادقة وفريدة، لكن الحاجة هي إلى ولادة **"من فوق"** ، أي سماوية، لكي يعاين ما هو سموي. فالجنين في بطن أمه لا يقدر أن يرى العالم، ولا يحمل أية خوات فيه، ما لم يولد من رحم أمه. هكذا لا يستطيع الإنسان أن يعاين ملكوت الله، ولا أن يحمل خوات السماء، ما لم يولد ثانية من فوق لوى نور العالم الجديد ويعيش فيه.

بقوله **"وَي"** يؤكد السيد المسيح أنه يليق بالمؤمن الحقيقي الذي يتمتع بالميلاد الجديد السموي ألا يعترف بهذا الميلاد دون أن **يرى ملكوت الله داخله ويعيشه** ، أي يصير له الفكر السموي والروح العلوية والمبادئ الثلاثة بناموس السماء، وأهداف جديدة ورجاء جديد وإمكانيات جديدة. بالميلاد الجديد يبدأ المؤمن حياة جديدة تماماً، لا تقوم على تصليح كيان الإنسان، بل هدم القديم وبناء الجديد، إماتة الإنسان العتيق وقيامه الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه.

بميلادنا الأول أفسدتنا الخطية وشكَّلت أعماقنا حسب هواها، فصرنا جسديين، يسيطر علينا ناموس شهوات الجسد، وتسحبنا محبة العالم، ويتحكم فينا عدو الخير، فأصبح الميلاد الجديد ضرورة لا مفر منها. لهذا يقول السيد: **"الحق الحق أقول لكم"**.

ما هو **ملكوت الله** الذي يليق بنا أن زاه على النوام سوى ملكوت المسيا السموي، الساكن فينا، يقيم مملكته في داخلنا. زاه ونحيا به ونشركه سماته، فنصير قديسين كما هو قوس. هذا هو ملكوت الله الحاضر في حياتنا في متناول يدنا، كما أعلن السيد المسيح نفسه: "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (مت 4: 17). كما قال: قد أقبل عليكم ملكوت الله" (مت 12: 28)، وأكد لنا: "ملكوت الله داخلكم" (لو 17: 21). أما عن وضعنا في هذا الملكوت فهو أنه "جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبية" (رؤ 1: 6، 9؛ 5: 10). يصبغ علينا هذا الملكوت شركة سمات ربنا يسوع، إذ أن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً، بل هو برّ وسلام وروح في الروح القدس" (رو 14: 17).

هذا الملكوت هو عربون الملكوت الأبدي، ينقلنا إلى السماء لنشتاق للدخول في شركة المجد العجيب يوم مجيء الرب. إنه يرفع فكرنا، ويصوب أنظرتنا الداخلية نحو مجيء الرب الأخير والتمتع بالأكاليل السموي.

❖ الآن كأن ما يقوله هو هكذا: "إن لم تولد من جديد، إن لم تشترك في الروح بجن التجديد لا تستطيع أن يكون لك فكر سليم عني، لأن رأيك في جسدي لا روحي (تي 3: 5)... كلمة "من جديد" (أو من فوق) هنا يفهمها البعض بمعنى "من السماء"، ويفهمها آخرون "من الأول". يقول المسيح: "إنه من المستحيل أن أحداً ما لا يولد هكذا أن يرى ملكوت الله؛ هنا يشير إلى نفسه (المسيح)، ويعلن أننا في حاجة إلى عيون أخرى بجانب العيون الطبيعية لرى المسيح [386]."

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال له نيقوديموس:

كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ؟

ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟" [4]

جاء تسؤل نيقوديموس يكشف عن ضعف معرفته. بينما يتكلم السيد المسيح روحياً كان قلب نيقوديموس مرتبطاً بالماديات. لم يكن ممكناً أن يترك الميلاد من فوق ما لم تُحل رباطات المادة من قلبه وفكره، فيقدر بروح الله أن يترك الإمكانات الروحية الجديدة. صُدم نيقوديموس بحديث السيد المسيح عن الميلاد الجديد، فقد كان نيقوديموس كغوه من الإسرائيليين يعترفون بمولدهم من أبيهم إبراهيم، ونسبهم لشعب الله، وتمتعهم بالأنبياء، والوعود الإلهية، والعهد الإلهي، والهيكل الفريد بكل طوقسه. إنه ليس فقط إسرائيلي بل وكان فريسيًا، فأى ميلاد أفضل يريده له يسوع؟ كان اليهود ينتظرون في مجيء المسيا أن يُقبل الأمم على الإيمان ويولون من جديد، أما بالنسبة لهم فليس من مولد أشوف مما هم عليه. إنهم يعترفون بنسبهم وميلادهم ويصعب بل يستحيل أن يسموا عن مولد آخر.

مع هذا كله فإن نيقوديموس لم يعطِ ظهوه لیسوع بل تساءل لعله يترك أمراً جديداً كان ينقصه معرفته. كشف نيقوديموس، المعلم والرئيس، عن تواضعه واستعداده للتمتع بأية معرفة صادقة أو إعلان سملي ينقصه، حتى وإن كان الأمر يبدو حسب معرفته مستحيلاً. إنسان عجيب، فمع خبرته الطويلة الممتدة عشرات السنوات، ومع موكه كقائد له تقدوه، ومع الجو الفريسي الذي يعيشه انحنى ليتعلم شيئاً جديداً. إنه مثل رائح لكل قائد حقيقي ألا يتشامخ بما تعلمه، بل يبقى تحت التعليم حتى آخر نسمة من حياته. وكما يقول الأسقف القديس أمبروسيوس أنه لا يوجد كائن لا يحتاج إلي التعلم سوي الله.

❖ لقد جاء نيقوديموس إلى المسيح كمن يجيء إلى إنسان، فسمع أقوالاً أعظم من أن تُسمع من إنسانٍ. نعم ولا سمعها أحد قط، فلبث يثب في لحظاتٍ إلى علوها عاجلاً، إلا أن فهمه أظلم، وصار غير ثابت، محولاً من كل جانب، ساقطاً على النوام من الإيمان. لذلك صمم على تأكيد استحالة ذلك، وكأنه قد حدث السيد ليوضح تعليمه، فقال: "ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟"، سمع نيقوديموس عن الميلاد الروحي لكنه لم يتعرف عليه روحياً، بل سحب الكلمات إلى أسفل دنو الجسد، وجعل تعليمًا عظيمًا كهذا يعتمد على واهين جسدية.

وهكذا أوجد مصاعب تافهة وسخيفة. لذلك يقول بولس: "الإنسان الطبيعي لا يقبل ما للروح" (1 كو 2: 14). ومع هذا فقد حفظ نيقوديموس الاحتشام والتوقير للمسيح، لأنه لم يسخر بما قيل له، لكنه سكت ظاناً أنه أمر ممتع، وقد حدث له شك في أمرين هما: الولادة التي من هذا النوع، والملكوت، لأن اسم الملكوت لم يُسمع عند اليهود في وقت من أوقاتهم، ولا ذُكرت ولادة معناها كهذه، إلا أنه وقف متفكراً عند الأول منهما وهو الولادة التي من فوق التي أدهشت عقله تماماً [387].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عرف هذا الرجل ميلاداً من آدم وحواء، أما الذي من الله والكنيسة فلم يعرفه. لقد عرف فقط هذين الوالدين اللذين يلدان للموت، ولم يعرف اللذين يلدان للحياة. لقد عرف الوالدين اللذين ينحبا خلفاً لهما، ولم يعرف الوالدين الدائمي الحياة اللذين يلدان من يقيموا (على النوام). يوجد ميلادان: ميلاد من الأرض، والآخر من السماء، واحد من الجسد، والآخر من الروح، واحد قابل للموت، والآخر أبدي، واحد من ذكرٍ وأنثى والآخر من الله

[388] والكنيسة، أما هو ففهم ميلادًا واحدًا فقط.

❖ [389] كما لا يوجد تكرار في الميلاد من الرحم، لن يوجد أيضًا من المعمودية.

القديس أغسطينوس

" أجاب يسوع:

الحق الحق أقول لك،

إن كان أحد لا يولد من الماء والروح،

لا يقدر أن يدخل ملكوت الله". [5]

عاد السيد وكرر ما سبق أن أكده، ليعلم أن هذا الحق لا يمكن التهاون فيه. فإن كلمة الله ليست نعم ولا، بل هي نعم وآمين. فمع عدم إرواك

نيقوديموس للميلاد الجديد يصير السيد المسيح على ضرورته. ليس من طريق آخر لمعاينة ملكوت الله والدخول فيه سوى الولادة الثانية.

لماذا يستخدم الماء؟ إشارة إلى عمل الغسل الداخلي للنفس (تي ٣: ٥؛ ١ كو ٦: ١١؛ حز ٣٦: ٥٢). هذا الغسل يتحقق بالروح القدس القادر وحده أن يغسل أعماق النفس ويطوِّها ويجدها. كما حول السيد المسيح الماء إلى خمير يوح أهل العوس والحاضرين فيه، هكذا يقدم لنا الماء لا لتطهير الجسد خلجيًا، بل تطهير الأعماق بالروح. هذا هو الماء الذي وعد به السيد في حديثه مع السامرية، أن من يشرب منه لا يعطش. إنه ليس كماء بئر يعقوب التي شرب منها هو وبنوه والماشية إنما هي مياه حية.

والماء ضروري في الميلاد الجديد، إذ يتم العماد بالتغطيس كقبول للموت والدفن مع المسيح للتمتع بالحياة المقامة الجديدة. وكما يقول الرسول بولس: "أم تجهلون إننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته؛ فدُفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب، هكذا نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة" (رو 6: 4) فالميلاد من الماء والروح هو موت عن حياة جسدية، ودفن لإعمال الإنسان القديم، وقبول شركة مع المسيح في حياته المقامة، أو قبول حياة جديدة مخلوقه بالروح القدس، الذي هو روح القيامة. إنها عملية خلق داخلي جديد، فنموت عن الفساد لنحمل طبيعة جديدة على صورة الخالق.

❖ الآن حتى الموعوظ يؤمن بصليب الرب يسوع المسيح الذي به أيضًا يُرشم، لكنه ما لم يعتمد باسم الأب والابن والروح القدس لا يقدر أن يتقبل غوان الخطايا، ولا يقتني عطية النعمة الروحية. [390]

القديس أمبروسيوس

❖ أخوأ يمكنهم أن يتقدسوا بالتمام ويصيروا أبناء الله إن ولوا من السرّ، كما هو مكتوب: "إن لم يولد الإنسان من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" [391].

الشهيد كيريانوس

❖ فإن قلت: ما هو معنى هذا القول الذي قاله المسيح لنيقوديموس؟ أجبتك: "رأد المسيح أن يبعده عن التخيل الذي في الولادة الجسدية، وكأن المسيح يقول له يا نيقوديموس، إنما أقول أنا عن ولادة أخرى، فما بالك تسحب قلبي إلى الأرض؟ لماذا تخضع هذا الفعل تحت ضرورة الطبيعة؟ فهذا الميلاد هو أعلى سمواً من مخاض الطلق التي هذه حالها، ابعده نفسك عن ما هو عام وشائع، فإنني أدخل إلى العالم ولادة أخرى، وأشاء أن يولد الناس من جديد بطريق آخر. لقد جئت لأجلب وسيلة جديدة للخلق. لقد خلقت الإنسان من أرض وماء، ولكن ما قد تشكل ليس بنافع، فقد انحرف الإناء عن هدفه. لست أعود أشكله بواب وماء بل بالماء والروح.

فإن سألت سائل: كيف يُخلق الله الإنسان من ماء؟ وأنا أسأله: وكيف خلقه من أرض؟ وكيف تقسم الطين إلى أجزاء مختلفة؟ من أين تكونت عظام الإنسان وأعصابه وشرايينه وأوردته؟ من أين أغشيته وأطرافه الآلية وغضليفه وكبدته وطحاله وقلبه؟ من أين تكوّن جلده ودمه ولعابه وصواه

وبولته؟ من أين أفعاله الجزيل تقديروها؟ من أين ألوانه المختلفة، لأن هذه الأجزاء ليست أجزاء لرض، ولا أجزاء طين.

وكيف إذا قبلت البذور الأرض تنبتتها، وإذا قبل جسمنا البذور يعفنها؟

كيف تغذي الأرض البذور التي تُطرح فيها وجسمنا يتغذى على هذه البذور؟

تتقبل الأرض الماء فتجعله خورًا، وجسمنا يقبل الخمر فيجعله ماءً. فلست أقدر أن أتحقق بفكري من أن هذه الأصناف جاءت من الأرض، إذ أن

الأرض تضاد جسدنا بهذه الأصناف المذكورة، إلا أنني بتصديقي وإيماني بالله وحده أقبل أنها من الأرض.

فإن كانت تلك الأصناف المكونة كل يوم والملموسة تحتاج إلى تصديق وإيمان، فالأصناف الروحانية أولى وأليق أن تحتاج إلى تصديق وإيمان.

وكما أن الأرض الغير متحركة حين أيدت برادة الله تكونت منها هذه العجائب الجزيل عددها، هكذا إذا حضر الروح في الماء تتكون وأيسر مرام هذه

الأفعال البديعة الفائقة على فكونا...

وإن سأل سائل: وما الحاجة إلى الماء في هذه الولادة؟ أجبتة: إن هذه الولادة تعمل وتتم دلائل إلهية: قبر ودفن وإيمان وحياة وقيامة، وهذه كلها

تتكون في المعمودية معًا، لأننا إذا غطسنا رؤوسنا في الماء، كأننا نغطسها في قبر من القبور، يُدفن فيه الإنسان العتيق إلى أسفل ويغرق كله، ثم إذا رفعنا

رؤوسنا يطلع الإنسان الجديد أيضًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من هو هذا الذي يولد من الروح ويصير روحًا إلا ذلك الذي يتجدد بالروح في ذهنه (أف 4:23)؟ هذا بالتأكيد هو الذي يُولد من جديد بالماء والروح

القدس، إذ نتقبل الرجاء في الحياة الأبدية خلال حرن الميلاد الجديد والتجديد بالروح القدس (تي 3:5). في موضع آخر يقول بطرس الرسول:

"سُتَعْمَنُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (أع 16:11). فإنه من هذا الذي يعتمد بالروح القدس إلا الذي يُولد مرة أخرى بالماء والروح؟ لذلك يقول الرب عن الروح

القدس: الحق الحق أقول لكم إن لم يولد الإنسان ثانية من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" [392].

القديس أمبروسوس

❖ يخبر ما جاء في سفر أعمال الرسل عن إعلان الروح الذي يعيش في المَعْمَدُ، حين يمهد الماء الطويق لأولئك الذين يتقدمون بإخلاص. يُسمى العماد

"غسل الميلاد الثاني" (تي 3:5) الذي يتم بتجديد الروح [393].

❖ لما كان بسرّ العماد يتم رالة دنس الميلاد، لذلك يُعمد حتى الأطفال. "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو

[394] 5:3).

العلامة أوريجينوس

❖ تغسلنا المعمودية من كل عيب، وتجعلنا هيكل الله المقدس، وتودنا إلى شركة الطبيعة الإلهية بواسطة الروح القدس [395].

القديس اكليمينضس الاسكنوري

❖ بالمعمودية المقدسة ينعق الإنسان من سلطان إبليس ويصير مولودًا من غير نطفة مثل ناسوت المسيح، لأن الروح القدس يقده من ميلاد النطفة،

فلا يبقى للشيطان سلطان عليه مادام روح المسيح فيه [396].

الأنبا سلويزس أسقف الاشمونين

❖ الذي يعتمد للمسيح لا يولد من الله فقط بل يلبس المسيح أيضًا (غلا 27:3). لا نأخذ هذا بالمعنى الأدبي، كأنه عمل من أعمال المحبة، بل هو

حقيقة. فالتجسد جعل اتحادنا بالمسيح وشركتنا في الألوهة أمرًا واقعًا [397].

القديس يوحنا ذهبي الفم

[398]

النبلاء الرومان الغيورين على الإيمان متحدثاً عن **بركات المياه والمعمودية**، جاء فيها:

- ❖ في البدء، أثناء الخلق، كان روح الله يوف على وجه المياه كقائد مركبة (تك 1:2)، وأخرج منها العالم الصغير، رمزاً للطفل المسيحي الذي يُغطس في مياه المعمودية.
- ❖ *shamyim* إن كلمة سماء في العبرية تعني "الخرج من المياه".
- ❖ إن كائنات الحية السموية التي رآها حزقيال النبي في رؤياه على رؤوسها شبه مقبب كمنظر البلور الهائل منتشر على رؤوسها (حز 1:22)، وأنها مياه مضغوطة جداً.
- ❖ في جنة عدن وُجد نهر في وسطها له أربعة رؤوس يسقى الجنة (تك 2:10).
- ❖ في رؤيا حزقيال عن بيت الوب الجديد، رأى مياه تخرج من عتبة البيت نحو المشوق، والمياه تُشفي، وتهب حياة للأُنفس الميتة (حز 1:47-9).
- ❖ عندما سقط العالم في الخطية لم يكن ممكناً تطهوه إلا بالطوفان، وبعد أن خرج الطائر الدنس، عادت حمامة الروح القدس إلى فوح، جاءت بعد ذلك إلى السيد المسيح في نهر الأردن، وحملت الغصن المبشر بالسلام للعالم كله في منقلها.
- ❖ غرق في مياه البحر الأحمر فوعن وجنوده الذين رفضوا السماح لشعب الله أن يتكروا مصر، بهذا صار البحر رمزاً لمعموديتنا. وقد وُصف هلاك فوعن في سفر الزمير: "أنت شققت البحر بالفضائل بقوتك؛ كسوت رؤوس التنانين في المياه. أنت رضضت رؤوس لويathan إلى قطعٍ" (مز 13:74LXX، 14).
- ❖ كما أن الخشبة جعلت مياه ملة حلوة، لتروي بمجلبيها سبعين نخلة، هكذا جعل الصليب مياه الشريعة واهبة الحياة للبعين رسل المسيح (خر 15:23-27؛ لو 10:1).
- ❖ حفر إواهم واسحق أبلاً بينما حاول الفلسطينيون منعهما (تك 26:15، 18).
- ❖ بئر سبع، مدينة القسم (تك 21:31) وجيحون موضع تجليس سليمان ملكاً، حملاً أسميهما من الينابيع (1 مل 38:1؛ أي 32:30).
- ❖ وجد اليعازر رفقة بجوار بئر (تك 24:15، 16).
- ❖ راحيل إذ كانت تسحب ماء من البئر نالت قبلة هناك (تك 29:11) بواسطة يعقوب.
- ❖ إذ كانت بنات كاهن مديان في طريقهن ليبلغن إلى البئر وكن في ضيقة، فتح موسى لهن الطريق، وخلصهن من الطردين لهن (خر 2:16، 17).
- ❖ سابق الوب - يوحنا المعمدان - في سالم (أي السلام) هيأ الشعب للمسيح بينوع ماء (يو 3:23).
- ❖ المخلص نفسه لم يبشر بملكوت السموات إلا بعد أن ظهر الأردن بعماده بالتغطيس (مت 3:13، 14).
- ❖ قال لنيقوديموس بطريقة سوية: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو 3:5).
- ❖ كما بدأت خدمة المسيح بالماء انتهت أيضاً به، إذ ضُوب جنبه بالحربة ففاض منه دم وماء، رمزاً للعماد والاستشهاد (يو 9:34).
- ❖ بعد قيامته عندما أرسل رسله للأمم أمرهم أن يعموهم بسرّ الثالوث القدوس (مت 28:19).
- ❖ إذ تاب اليهود عن شرورهم أرسلهم بطرس ليعتموا (أع 2:38).
- ❖ بولس مضطهد الكنيسة، الذئب النائر الخرج من بنيامين (تك 27:49) أحني رأسه أمام حنانيا، واحد من قطيع المسيح، ونال بصيرته فقط عندما تقبل نواء المعمودية (أع 9:17، 18).
- ❖ بقوّة إشعيا النبي تهيأ خصي كنداكة ملك أثيوبيا لمعمودية المسيح (أع 8:27، 38).
- ❖ "صوت الوب على المياه... الوب على المياه كثرة" (مز 29:3، 10). "أسنانك كقطيع الخواثر الصاورة من الغسل، الواتي كل واحدة متمم، وليس

فيهن عقيم" (نش 2:4).

❖ أشار ميخا النبي إلى نعمة المعمودية، "يعود ورحمنا، يدوس آثامنا، وتُطوح في أعماق البحر جميع خطاياكم" (مي 19:7).
"المولود من الجسد جسد هو،

والمولود من الروح هو روح". [6]

هذا هو سرّ المعمودية، بها نلنا التبني (رو 8:15)، فصورنا أبناء الملكوت، ولنا حق الموات. خلالها يتم زعنا من الزيتونة الربية وتطعيمنا في الزيتونة الجديدة (رو 11:24) بفعل الروح القدس. بها نحمل "الحلة الأولى" (لو 22:15)، و"حلة العوس" (مت 11:22-23) التي بدونها لا يستطيع أحد أن يتمتع بالملكوت. هكذا تحققت نبوة حزقيال: "أعطيك قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديداً في داخلكم، وازع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيك قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم" (حز 36:26).

إذ أعلن نيقوديموس عن رغبته في إرواك ما يبدو له مستحيلًا، كشف له السيد مفهوم الميلاد الجديد. إنه ليس ميلادًا جسديًا يتحقق بالدخول من جديد في رحم الأم، وإنما هو ميلاد روحي يتحقق بعمل روح الله القنوس القدير، خلاله يتم التقديس بالروح (1 بط 1: 2) والغسل الداخلي للنفس بالروح (تي 3: 5).

إننا جسد، ليس فقط من جهة العنصر الجسداني، وإنما لأن الفساد حلّ به (تك 6: 3)، وإذ تلتحم النفس بالجسد صلت النفس أسوة الإادة الجسدية الشهبانية، تجد مسرتها في الشهوات، حتى صار الإنسان ككل كأنه جسداني. فأبي اتحاد بين الجسداني والله الذي هو روح. هذا ما استؤمنه الميلاد الجديد لكي يحمل الإنسان ككل سمة الروح، فيجد الجسد لذته ومسوته في الروح لا في شهوات الجسد.

هذا هو العلاج العملي للإنسان الذي أفسدته شهوات الجسد. هذا العلاج يقدمه ابن الله الوحيد بكونه واهب الشريعة العظيم ووسيط العهد الجديد وطبيب النفوس، هو وحده يعرف العلاج الحقيقي.

إنه الكوام الإلهي الذي يعلم أن كل شجرة تقدم ثمرًا حسب بذرتها، فمن يُولد روحيًا يحمل فيه ملكوتًا روحيًا مقدسًا لائقًا بالله.

❖ يستخدم الماء ليتحقق الميلاد للمولود، كما الوحم بالنسبة للجنين، هكذا الماء بالنسبة للمؤمن. فإنه في الماء يتشكل ويأخذ هيئته. في البداية قيل: "تخرج المياه الزحافات الحية" (تك 1: 20)؛ لكن منذ دخل الوحم مجري الأردن لم تعد تخرج المياه زحافات حية بل نفوسًا عاقلة حاملة الروح، "كعروس خلجة من خوها" (مز 18: 6). الآن نتحدث عن المؤمنين إذ يبعثون أكثر بهاء منه (من المولود بالجسد). فمن يتشكل في الوحم يحتاج إلى زمن، لكن الأمر غير ذلك في الماء، فكل شيء يتم في لحظة واحدة. هنا حياتنا قابلة للموت، تأخذ أصلها من فساد الأجساد الأخرى، فنتم الولادة ببطء، لكن الأمر ليس هكذا في الروحيات. لماذا؟ لأن الأمور تتشكل كاملة من البداية [399].

❖ إذ سمع نيقوديموس ذلك اضطرب، انظروا كيف فتح المسيح أمامه خفايا هذا السرّ تريجيًا، وجعله أكثر وضوحًا، إذ كان منذ لحظات غامضًا. قال: "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح" [6]. لقد قاده بعيدًا عن كل المحسوسات ولم يسمح له أن يتفحص الأسوار المعلنة باطلاً بعينيه الجسديتين. يقول: "إننا لسنا نتحدث عن الجسد، بل عن الروح يا نيقوديموس (بهذه الكلمات قاده نحو السماويات إلى حين)، لا تطلب أمرًا يخص أمور الحواس، فإن الروح لن يظهر مطلقًا لهذه الأعين، لا تظن أن الروح يلد جسدًا. ربما يسأل أحد: كيف إذن ولد جسد الرب؟ ليس من الروح وحده بل من الجسد، وكما يعلن بولس: "من امرأة مولودًا تحت الناموس" (غلا 4:4) فإن الروح شكّله بالحق ليس من عدم (وإلا فما الحاجة إذن إلى الوحم؟)، وإنما شكله من جسم بتولي...

"المولود من الروح هو روح" بمعنى "من يولد من الروحي روحي". فالميلاد الذي يتحدث عنه هنا ليس حسب الجوهر بل حسب الكرامة والنعمة [400].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ما هو قوي فحتمًا يسود على ما هو ضعيف. يُبتلع ضعف الجسد بقوة الروح، مثل هذا لا يعود بعد يكون جسديًا، بل يصير روحياً بسبب شوكه الروح.

هكذا يحمل الشهداء شهادة محتوين الموت، ليس حسب ضعف الجسد، وإنما حسب استعداد الروح. لأن ضعف الجسد يُبتلع بهذه الكيفية تركاً لقوة الروح أن تشوق.

فالروح من جانبه إذ يمتص الضعف يملك فيه الجسد كمواثٍ له. بهذين الأمرين يتشكل الإنسان الحيّ، فهو حيّ لأنه يشترك بالروح ولكنه إنسان من أجل مادة الجسد ^[401].

القديس إيريناؤس

" لا تتعجب إنني قلت لك: ينبغي أن تولدوا من فوق ". [7]

"الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها،

لكنك لا تعلم من أين تأتي، ولا إلى أين تذهب،

هكذا كل من وُلد من الروح". [8]

كما أنه لا سلطان للإنسان على الريح الذي يهب وتشر به دون أن نعرف أين يبدأ تمامًا ولا إلى أين ينتهي، هكذا الولادة بالروح لها قوتها وفعاليتها. هي عطية مجانية من قبل الله، لا سلطان لنا عليها، يوجهها الله، وهي تتم كلمته (مز 148: 8).

عمل الروح في المعمودية كالريح القوية التي تظهر من فعاليتها وآثارها. يعمل خفية سوائياً، لكن أثره واضح في حياة المؤمن يتلامس معه كل النهار. "كما أنك لا تعلم طريق الريح.. كذلك لا تعلم أعمال الله الذي يصنع الجميع" (جا 11: 5)

❖ إذ تكلم المخلص نفسه إلى تلاميذه في الهيكل قال: "قوموا ننطلق من هنا"، وقال لليهود: "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" (مت 23: 38). إن كانت السماء والأرض تزلزلان (لو 21: 33) فواضح أن كل الأشياء الأرضية حتمًا ستزول ^[402].

القديس جيروم

❖ بقوله "لا تتعجب" أظهر اضطراب نفس نيقوديموس، وقاده إلى أمر أخف من الجسد. لقد قاده بالفعل بعيداً عن الجسديات بقوله "المولود من الروح هو روح"، وإذ لم يعرف نيقوديموس معنى ما هو هذا الذي يولد من الروح وهو روح قدم له بعد ذلك مثلاً آخر، فلم يأت به إلى كثافة الأجسام، ولا تحدث

عن أمور خالية من الأجسام تمامًا (لأنه لو سمع ذلك لما قبله)، إنما وجد شيئاً في الوسط ما بين الجسم وما هو خال من الجسم، "حركة الريح". قال: "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب" [8]. يقول إن كانت الريح تهب حيث ما يلائمها لا يقول هذا

كما لو كان للريح قوة الاختيار، إنما يعلن عن حركتها الطبيعية التي لا يمكن مقاومتها، وهي بذات قوة... تنتشر في كل موضع وليس من يصدّها ولا من يعوقها في غيرها من هنا إلى هناك، إنما تعبر بقوة عظيمة، وليس من يقف أمام عنفها. "وتسمع صوتها" [8]، أي حفيفها وضجيجها، "لكنك لا

تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من ولد من الروح" [8]. هنا النتيجة النهائية لكل الأمر: "إن كنت لا تعرف كيف تفسر حركة هذه الريح وعبرها، التي تتركها بالسمع واللمس، كيف ترتبك جدًا أمام عمل الروح الإلهي، وأنت لا تفهم هذا عن الريح مع أنك تسمع

^[403] صوتها؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجاب نيقوديموس، وقال له:

كيف يمكن أن يكون هذا؟" [9]

في حوة يقف معلم إسرائيل متسائلاً: "كيف يمكن أن يكون هذا؟" لم يستطع بإوراكه المادي أن يتعرف على الأمور الروحية التي تبدو للإنسان

الطبيعي كأنها جهالة. لم يستطع بالحكمة البشوية أن يعرف ما هو إلهي. لقد أوضح له السيد بما فيه الكفاية أن هذه الولادة الجديدة روحية سماوية من اختصاص روح الله القدس، لا تخضع لقوانين الطبيعة ومنطق البشر المجرد، هي من اختصاص الله وحده الفائق القوة.

"أجاب يسوع وقال له:

أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا؟" [10]

كأن السيد المسيح يوبخه قائلاً له: كيف وضعت على عاتقك أن تقود العميان إلى الحق وأنت لا تعرف الحق؟ تدعو الذين يقبلون اليهودية أن يعتمدوا بالماء كرمز للميلاد الجديد وأنت نفسك لم تتمتع بالميلاد الجديد ولا تعرفت عليه. ألم يقرأ نيقوديموس عن عمل روح الرب في حياة الناس، كما حدث في مسح شاول ملكاً؟ "يحل عليك روح الرب، فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر... وكان عندما أدار كتفه لكي يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلباً آخر، وأنت جميع هذه الآيات في ذلك اليوم" (1 صم 10: 6، 9). وأيضاً الوعد الإلهي في الأنبياء: "وأجعل في داخلكم روحاً جديداً، وأضع قلب الحجر من لحمهم، وأعطيتهم قلب لحم" (حز 11: 19)، "أجعل روحي فيكم فتحيون" (حز 37: 14). "هل أنا أفحص ولا أولد يقول الرب؟" (إش 66: 9) "ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي علي كل بشر" (يوئيل 2: 28).

❖ ماذا أيها الاخرة؟ أتظنون أن الرب يود أن يوبخ معلم اليهود هذا مسخفاً به؟ لقد علم الرب ما كان يفعله، فقد أراد من هذا الرجل أن يولد من الروح. لا يولد أحد من الروح إن لم يتواضع، لأن التواضع نفسه يجعلنا نولد من الروح، "لأن الرب قريب من منكسرين القلوب" (مز 34: 18). كان الرجل منتفخاً بكونه معلماً؛ هذا يظهر من شعره بأهميته كمعلم لليهود. لقد أقر يسوع كروياه لكي ما يولد من الروح. لقد وبّخه كشخص غير متعلم، لا لكي يظهر الرب كسيد عليه. فإنه أي وجه للمقلنة بين الله والإنسان، وبين الحق والباطل؟

[404]

القديس أغسطينوس

❖ يتحدث المسيح معه هنا موبخاً إياه... لاحظوا إنه لم يتهمه قط بالشر، وإنما بالضعف والسذاجة. ربما يسأل أحد: وما ارتباط الميلاد (الروحي) باليهوديات؟
لقد أعلن عن الميلاد مقدماً خلال الرمز وعن التطهير الحادث منه، وذلك في الينوع حيث جعل الشبع الأداة الحديدية تطفو، والبحر الأحمر حيث عوه اليهود، والوكة التي كان الملاك يحرك ماءها، ونعمان السرياني الذي طهر (من الوص) في نهر الأردن. كما أشرت كلمات النبي إلي وسيله هذا الميلاد مثل: "يخبر عن الرب الجيل الآتي، يأتون ويخرون بوه شعباً سيولد يصنعه الرب" (مز 22: 30؛ 30: 31)، "يجدد مثل النسر شبابك" (مز 103: 5)...

كان اسحق أيضاً رمزاً لهذا الميلاد.
اخبرني يا نيقوديموس، كيف ولد؟ هل ولد حسب قوانين الطبيعة؟ مستحيل، طريقة ميلاده كانت في المنتصف بين الميلاد الذي نتحدث عنه والميلاد الطبيعي.

كان ميلاداً طبيعياً لأنه نتيجة تعايش زوجي، والميلاد الآخر لأنه لم يولد خلال الدماء (إذ كانت الأم عاقراً والاب شيخاً مسناً) وإنما حسب مشيئة الله.

[405]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"الحق الحق أقول لك إننا إنما نتكلم بما نعلم،

ونشهد بما رأينا،

ولستم تقبلون شهادتنا." [11]

هنا يتحدث السيد المسيح بصيغه الجمع، لعله يقصد أن ما ينطق به إنما باسم الثالوث القدس الذي يشتهي ميلاد البشوية الجديد لينتمتع كل مؤمن

بالشركة مع الثالث. إذ يصعب على الإنسان الطبيعي إرواك هذا الميلاد الروحي الجديد، يقدم السيد المسيح شهادته هو والآب عن رؤيتهما لهذا الميلاد الفوقاني العجيب خلال عمل الروح القدس في مياه المعمودية.

" أن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون،

فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات؟" [12]

يقصد بالأرضيات الحديث عن الريح التي تهب حيث تشاء ونسمع صوتها، ولكننا لا نعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. [8]، كما أيضًا يقصد بها "نقض هيكل جسده" (2: 19)، أما السماويات فهي الميلاد بالروح وقيامه المسيح وصعوده إلى السماء.

المعمودية هي ميلاد روحي يتم على الأرض لكي يبدأ المؤمن رحلته إلى السماء خلال اتحاده بالمسيح الذي صعد إلى السماء. فمن لا يقدر أن يقبل الميلاد الروحي كيف يمكنه أن يصعد بقلبه إلى السماء؟

إنهم كجسديين لم يستطيعوا أن يقبلوا الميلاد الجديد من الماء والروح، وهذه بداية انطلاقة الإنسان بقلبه وفكره وكل أعماقه نحو السماء. إنهم لم يقبلوا بعد بدء هذه الرحلة السماوية فكيف يصعدون مع السيد المسيح إلى سمواته، بالتناول من جسد الرب ودمه والتعرف على أسرار الثالث القوس

وعمله في المؤمن، والشركة مع السمايين؟

❖ وي البعض أن تعبير "الأرضيات" مستخدم بخصوص الريح، بمعنى "إن كنت قدمت لكم مثلاً من الأرضيات ولم تصدقوا حتى هذا، فكيف يمكنكم أن تتعلموا العلويات؟

لا تتعجوا إن دعا المعمودية هنا أمراً أرضياً، فقد دعاها هكذا إما لأنها تتم على الأرض، أو بالمقارنة بميلاده الكلي المهابة. فمع أن هذا الميلاد الذي لنا هو سموي، لكن بالمقارنة بالميلاد الحقيقي الذي في ذات الآب، يحسب أرضياً. لم يقل: "لم تفهموا" بل قال "لستم تؤمنون"، لأنه عندما يكون شخص ما ميلال إلى سوء النية من جهة أمور معينة يمكن إرواها بالعقل وغير مستعد لقبولها بحق يمكن اتهامه أنه خالٍ من الفهم، ولكن عندما لا يتقبل أمراً لا يمكن فهمها بالعقل بل بالإيمان وحده، الاتهام الموجه ضده هو أنه خالٍ من الفهم بل من الإيمان [406].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء،

ابن الإنسان الذي هو في السماء". [13]

ربما يشير هنا إلى مفهوم خاطئ لدى بعض اليهود وهو أن موسى صعد إلى السماء حيث استلم الناموس وتول به إلى إسرائيل. يصحح السيد مفهومهم مؤكداً أنه ليس أحد يصعد إلى السماء إلا ابن الإنسان الذي تول من السماء، وبقي بلاهوته يملأ السماء. هو وحده يقدر أن يكشف عن الأسرار السماوية، ويحمل المؤمنين إلى السماء، ويقدم لهم رادة الآب.

لقد تحدث نيقوديموس مع السيد بكونه نبياً من عند الله، فكان يليق به أن يترك أن السيد أعظم من نبي، بتجسده تول من السماء، وبلاهوته قائم في السماء. إنه الرب من السماء (١ كو ١٥ : ٤٧).

❖ إن قلت وأية صلة بين هذا الكلام وما قبله؟! أجبتك: إنه متصل بالأقوال التي قبلها اتصالاً وثيقاً جداً، لأنه إذ قال نيقوديموس للمسيح: "يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً"، تلافى ربنا هذا القول بعينه، فقلرب أن يقول له: لا تظن إنني أوجد على هذا المثال معلماً مثل الكثيرين من الأنبياء الموجودين من الأرض، لكنني قد أتيت من السماء وأنا مقيم هناك أيضاً.

أعرفت كيف أن المسيح ليس هو في السماء فقط، لكنه حاضر في كل مكان مالى خلائقه كلها؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تول من أجلنا، لنصعد نحن من أجله. هو وحده تول وصعد، ذاك الذي يقول: "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء". ألا يصعد

هؤلاء الذين جعلهم أبناء الله إلى السماء؟ بالتأكيد يصعدون، هذا هو الوعد المقدم لنا: "سيكونون كملائكة الله". إذن كيف لا يصعد أحد إلا الذي قول؟ لأنه واحد فقط هو الذي قول، وواحد هو الذي يصعد. وماذا عن البقية؟... رجاء البقية هو هذا، إنه نزل لكي ما فيه وبه يصيرون واحداً، هؤلاء

[407] الذين يؤرم صعودهم به... هذا يظهر وحدة الكنيسة. ويل للذين يبغضون الوحدة، ويجعلون من أنفسهم أخواباً من البشر!

❖ يليق بنا أن فحل، لكن هذه الوحلة لا تحتاج إلى دهن الأقدام (للسير بها)، ولا إلى طلب حيوان (توكبه) ولا إلى سفينة.

ليتك تحوي بعاطفة القلب، لتسير في الوحلة في رفقة الحب، لتصعد بالحب.

لماذا تبحث عن الطريق؟ التصق بالمسيح الذي بتزوله جعل من نفسه "الطريق".

أتريد أن تصعد؟ تمسك بذاك الذي يصعد. بذاتك لن تقدر أن ترتفع... إن كان لا يصعد أحد إلا الذي قول، أي ابن الإنسان، ربنا يسوع المسيح،

فهل تريد أن تصعد أنت أيضاً؟

كن عضواً في ذلك الذي وحده يصعد. لا يصعد إلا الذي يكون عضواً في جسده، فيتحقق القول: "لا يقدر أحد أن يصعد إلا الذي نزل"...

لقد ترك أباه وأمه والتصق بزوجته لكي يصير الاثنين واحداً (أف ٥: ٣١). لقد ترك أباه لا لكي يظهر نفسه مساوياً للأب، وإنما لكي يخلي نفسه

أخذاً شكل العبد (في ٢: ٧).

لقد ترك أمه أيضاً، المجمع الذي منه وُلد حسب الجسد. لقد التصق بزوجته التي هي كنيسة.

الآن في الموضع الذي في المسيح نفسه هذه الشهادة، لقد أظهر أن رباط الزواج لا ينحل (مت ١٩: ٤) ... ليسوا بعد اثنين بل جسد واحد،

هكذا "لا يصعد أحد إلا الذي نزل".

لكي تعرفوا أن العريس والعروس هما واحد حسب جسد المسيح، وليس حسب لاهوته... لكي تعرفوا أن هذا الكامل هو مسيح واحد، قال

بإشعياء: "وضع عمامة عليّ كعريس، وكساني بأزينة كعروس" (إش ٦١: ١٠ LXX).

القديس أغسطينوس

2. الميلاد الجديد وذبيحة الصليب

" وكما رفع موسى الحية في البرية،

هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان". [14]

يقدم لنا غاية نزوله من السماء، أن يرتفع على الصليب ليقدّم الخلاص للبشرية.

آخر معجزة صنعها موسى النبي قبل نياحته هي رفع الحية النحاسية في البرية لشفاء الشعب من لدغات الحيات (عد ٢١: ٦-٩). هكذا بالصليب

يخلصنا من لعنة الناموس الذي كسناه فصلت كلدغات الحيات النارية القاتلة. هذا هو البلسان الذي في جلعاد الشافي من الأوراض القاتلة (إر ٨: ٢٢،

٤٦: ١١).

رُمز للسيد المسيح المصلوب بالحية النحاسية التي تحمل شكل الحية النارية القاتلة، لكنها لا تحمل سمها، بل تشفي من السم. هكذا حمل سيدنا

شبه جسد الخطية، لكنه بلا خطية، لكي إذ صار خطية لأجلنا يكسر شوكة الخطية عنا.

إذ صارت الحية تحت اللعنة، صار المسيح لعنة من أجلنا لكي يحررنا من دائرة اللعنة ويدخل بنا إلى عرش مجده. رفعت الحية النحاسية

بواسطة موسى النبي، وخضع السيد المسيح للناموس وشهد موسى له.

العلامة أوريجينوس تعليق رائع بخصوص الصليب، فوى فيه حقيقتان: الأولى ظاهرة وهي أن يسوع المسيح في حبه للبشرية وطاعته للأب

رُفِع على الصليب بلادته. والثانية خفية أن الذي صلب وفقد حركته وسلطانه هو إبليس، إذ سُمر الصك الذي علينا بالصليب، وتجردت الرئاسات

والسلطين من سلطانهم وشهر بهم في هزيمة موة (كو 2: 14-15). فالحية التي رُفعت من جانب تمثل السيد المسيح حامل خطايانا ومن جانب آخر تمثل الحية القديمة التي سورها السيد المسيح بصليبه وجردها من سلطانها على المؤمنين.

❖ هذا هو الرمز الـأصلي، الحية التي رفعها موسى على صليب لكي يُشفي كل من لدغته حية، فبالنظر إلى الحية النحاسية يشفى المؤمن بالـإيمان (عد 9:21؛ يو 3:14). فهل تشفي الحية النحاسية بصليبا، وابن الله المتجسد المصلوب لا يُخلص؟! .

على أي الأحوال كانت الحياة تَأتِي من وسائل خشبية، ففي زمان فوح كانت الحياة تُحفظ في فلك خشبي . وفي أيام موسى كان عبور البحر بواسطة عصا موسى الخشبية التي ضرب بها البحر. ف هل لعصا موسى قوة، وصليب المخلص بلا قوة؟! بالخشبة في أيام موسى صار الماء حلواً، أما مع يسوع فقد تدفقت على خشبة الصليب المياة "من جنبه" [\[409\]](#) .

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ لعلك تسأل: لأي غرض لم يقل المسيح بوضوح إنني سوف أُصلب، لكنه حثّ سامعيه إلى رمزٍ قديمٍ (الحية)؟ نقول لك: ولأ لتعرف أن أقوال العهد القديم متفكة مع الجديد، وأن تلك ليست غريبة عن هذه. ثانياً: لتعرف أن المسيح لم يأت إلى العالم كلهاً. بجانب هذين السببين لكي تعرف أنه لم تصب السيد أذية من حقيقة (الآلام) هذه، وأن هذه الآلام بالنسبة لكثيرين تصدر عن الخلاص. حتى لا يقول أحد: كيف يمكن للذين يؤمنون بالمصلوب أن يخلصوا إن كان هو نفسه قد أمسك به الموت؟ لهذا يقدنا إلى القصة القديمة. فإن كان اليهود بتطلعهم إلى صورة نحاسية للحية هربوا من الموت، كم بالأكثر الذين يؤمنون بالمصلوب يتمتعون بسبب حسن بمنافع أعظم. فالصلب لا يتم خلال ضعف المصلوب أو لأن اليهود أقوى منه، بل لأن "الله أحب العالم" [\[16\]](#)، لهذا فإن هيكله الحي (جسده) قد أسوع نحو الصليب [\[410\]](#) .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ما هي الحيات التي تلدغ؟ الخطايا الصاورة عن موت الجسد. ما هي الحية التي رُفعت؟ موت الرب على الصليب. كما جاء الموت بالحية، رُمز له بصورة حية. لدغة الحية مميتة، وموت الرب محيي. إذ ينظر إلى حية تفقد الحية سلطانها. ما هذا؟ إذ ينظر إلى الموت، يفقد الموت سلطانه. ولكن موت من؟ موت الحياة...

بموت المسيح (الحياة) مات الموت.

موت الحياة ذبح الموت، ملء الحياة ابتلعت الموت.

انحل الموت في جسم المسيح.

لذلك نقول في القيامة إذ يتغنى المنتصرون: "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟ أين شوكتك يا موت؟" (1كو 15 : 54) ...

يوجد فرق بين الصورة الرمزية والشئ الحقيقي، الرمز يبعث حياة وقتية، والحقيقة التي لها الرمز تبعث حياة أبدية [\[411\]](#) .

❖ لكي يقدم رمزاً لصليبه رفع موسى بأمر الله الوحيم صورة حية على عمودٍ في البرية، في شبه الجسد الخاطي الذي يؤم أن يُصلب في المسيح مومزاً إليه (يو 3:14). بالنظر إلى هذا الصليب الذي تعمد الموتل أن يتطلع إليه ويقول: "عيناى قد ذبلتا من انتظار خلاصك، وقول بوك" (مز 119: 123)، لأنه جعل المسيح نفسه "خطية لأجلنا، وذلك على شبه الجسد الخاطي، لكي نصير برّ الله فيه" (رو 8:3؛ 2كو 5:21).

من أجل النطق ببرّ الله يقول أن عينيه قد ذبلتا من النظر بغورة وحماس، بينما يتذكر الضعف البشري، متطلعاً إلى النعمة الإلهية في المسيح.

القديس أغسطينوس

❖ حيتي حية صالحة، لا يخرج من فمها سم، بل اللواء الشافي.

القديس أمبروسيو

❖ لم يكن المخلص هو الحية، لكنه كان يمثلها.

العلامة أوريجينوس

❖ ” يوضح لنا الناموس أن المنظور على الصليب كان على شبه الحية، لكنه لم يكن حية. وكما يقول بولس الرسول: " في شبه جسد الخطية (رو 8: 3)، لأن الحية الحقيقية هي الخطية، ومن يلجأ للخطية يأخذ طبيعة الحية. فقد أخلى الإنسان من الخطية بواسطة ذاك الذي أخذ شكل الخطية [412]. ”

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ كانت الحية تمثل المسيح، فاليهود حين عاملوا المسيح كأنه حية أصابهم سم الحية، أي الشيطان، وحينئذ جاء الشفاء للذين عضتهم الحية حين رفعت الحية.

القديس أبيفانيوس أسقف سيلامس

"لكي لا يهلك كل من يؤمن به،

بل تكون له الحياة الأبدية". [15]

❖ رأيت علة الصليب والخلاص الصائر منه؟ رأيت مناسبة الومز للحق؟ هناك انفلت اليهود من موتهم، وهنا يخلص المؤمنون بالمسيح من الموت الأبدى. هناك حية معلقة شفت لدغات الحيات، وهنا شفى يسوع المصلوب حواحات التتين العقلي. ذاك شفى الناظر بعينه الحسية إلى الحية، وهنا يطوح الناظر إلى المصلوب كافة خطاياها. هناك كان المعلق نحاسًا بشكل حية وهنا المعلق هو جسد السيد المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأنه هكذا أحب الله العالم،

حتى بذل ابنه الوحيد،

لكي لا يهلك كل من يؤمن به،

بل تكون له الحياة الأبدية". [16]

ركز هذا السفر على مجد الصليب حيث عليه يُرفع ابن الإنسان لكي يجتذب الجميع ويخلصهم، وقد تكرر ذلك أربع مرات (8: 28؛ 12: 32-43). الحب الإلهي هو العنصر الديناميكي الدائم الحركة لتمتع العالم بالخلاص.

في حديث القديس أمبروسيوس عن التوبة يوجه أنظرنا إلى أنه بالإيمان يتمتع الإنسان بالحياة الأبدية، فكيف نكف عن الصلاة من أجل غير المؤمنين، حتى يتمتعون بعطية الإيمان الإلهية فينالوا الحياة الأبدية [413]؟

❖ كأن المسيح يقول: لا تتعجب إننى سُرُف على الصليب لتخلصوا أنتم، فإن هذا الوأى رأى الآب الذي قد أحبكم هذا الحب حتى بذل ابنه عن عبيده، على أنه ما كان أحدكم يعمل هذا العمل من أجل صديقه، ولا من أجل إنسانٍ بارٍ. وهذا المعنى قد أوضحه بولس فقال: "فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بارٍ، ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضًا أن يموت، ولكن الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رو 5: 7، 8).

إن قلت فمن أية جهة أحب الله العالم؟ أجبتك: لم يحبه من جهة أخرى إلا من جهة صلاحه وحده.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بتعبير "هكذا أحب" والتعبير الآخر "الله العالم" يظهر عظمة قوة حبه. الفاصل بين الاثنين عظيم وغير محدود. هو الخالد ذاك الذي بلا بداية، صاحب الجلالة غير المحدود. وأما هم قراب ورماد، إنهم مشحونون بروات الخطايا، جاحنون، عاصون له على النوام، هؤلاء قد أحبهم! مرة أخرى الكلمات التي أضافها بعد ذلك تحمل معنى متشابهًا، إذ يقول: "بذل ابنه الوحيد"، وليس خادمًا، ولا ملاكًا ولا رئيس ملائكة. لا يظهر أحد اهتمامًا بابنه كما يظهر الله نحو عبيده الجاحدين.

"لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم،

بل ليخلص به العالم". [17]

على الصليب قدم السيد المسيح الخلاص علانية أمام العالم كله. "قد شمر الرب عن فراع قدسه أمام عيون كل الأمم، فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا" (إش 52: 10)

سبق فأعلن الجانب السلبي أن من يؤمن به لا يهلك، وأحقه بالجانب الإيجابي "له الحياة الأبدية". هنا أيضاً من الجانب السلبي "لا يدين" والإيجابي "يخلصه". أما قول السيد "ليخلص به العالم"، فكانت ليست فقط جديدة علي مسامح اليهود من قادة وشعب، بل ومعزة لهم. فقد فسر المعلمون نوات العهد القديم الخاصة بالمسيا المنتظر أنه يقيم ردم خيمة داود، ويرد الملك والعظمة والمجد لبني إسواثيل، ليدين الأمم ويسحق الشعوب الأخرى. أما أن يخلص العالم فهذا ما لم يكن ممكناً للعقلية اليهودية أن تقبله بأي شكل من الأشكال.

❖ قبل مجيئه وُجد ناموس الطبيعة والأنبياء بالإضافة إلى الناموس المكتوب والتعاليم وروايات الوعود وإعلانات الآباء والتأديبات والعقوبات وعلامات أخرى كثرة ووضعت لكي نسلك حسناً. يتبع هذا كله أنه يطلب حسابات عن هذه. ولكنه إذ يحب البشرية فإلى حد بعيد يغفر عوض أن يفحص، إذ يفعل ذلك لأجل الذين أسوعوا نحو الهلاك [414].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هو لا يدين، فهل تدين أنت؟

إنه يقول: "من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة" (يو 47:12)، أي أنه إن كان في الظلمة لا يبقى فيها، بل يصلح خطأه ويصح نقائصه، ويحفظ وصاياه، إذ قلت: "لا أشاء موت الشرير بل إصلاحه" (راجع حز 11:23). لقد قلت أن من يؤمن بي لا يُدان، وأنا أحقق ذلك لأنني لم آت لكي أدين العالم بل أن يخلص العالم بي [17]. أود أن أعفو بسوعة، أغفر. "أيدرحمة لا ذبيحة" (هو 6:6) ... "ما جئت لأدعو أولاً بل خطاة" (مت 13:9). الذبيحة هي تحت الناموس، والرحمة في الإنجيل. "الناموس بموسى أُعطي، وأما النعمة فهي بي" (راجع يو 17:1) [415].

القديس أمبروسيوس

3 . الاستلثة والإيمان

"الذي يؤمن به لا يدان،

والذي لا يؤمن قد دين،

لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد". [18]

الإيمان بالسيد المسيح ليس عقيدة نظرية مجردة، بل اتحاد عملي معه وشركة، فمن يختفي فيه ويثبت حتماً يُعتق من دائرة الدينونة. "إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو 8: 1). وقد أكد السيد مرة أخرى: "الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يو 5: 24).

❖ لعلك تقول: إن كان المسيح ما جاء بهذا الغرض أن يدين العالم، فكيف حكم على من لا يؤمن به مقدماً إن كان وقت المحاكمة لم يأت بعد؟ نجيبك: لعل المسيح يتقدم فيذبح ما سيكون مستقبلاً. فكما أن القاتل وإن كان لا يُحكم عليه بطبيعة القاضي، فإنه يُحكم عليه بطبيعة فعله، كذلك من لا يكون مؤمناً يُحكم عليه بطبيعة إنكراهه وكوفه. فقد مات آدم في اليوم الذي أكل فيه من الشجرة، لأن القضية قضت عليه هذا الحكم: "وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تك 2: 17). على أن آدم عاش فكيف مات؟ نقول: إنه مات بالقضية الحاكمة عليه وبطبيعة ممرسته للمعصية، لأن من قد جعل ذاته مُطالباً بالعقوبة فهو تحت العقوبة وإن لم يُعاقب بالفعل سريعاً لكنه قد عوقب بالقضية.

"وهذه هي الدينونة:

أن النور قد جاء إلى العالم،

وأحب الناس الظلمة أكثر من النور،

لأن أعمالهم كانت شريرة". [19]

هنا يشير إلى اللصوص وقطاع الطرق، غالبًا ما يملسوا شوهم في الظلام بالليل. فقد وهب الله الإنسان الشمس لكي تنير، فيعمل الإنسان نهلاً ويستريح ليلاً. أما الذي يختار أن ينام نهلاً لكي يملس شوه ليلاً، فإنه مستحق للعقوبة ككاسرٍ لناموس إلهي.

إنجيل المسيح نور، إذ جاء إلى العالم، أشوق عليه ليعطي البشوية بهجة للعمل لحساب ملكوت الله. وفي نفس الوقت أوجب القضاء العادل على السالكين في الظلمة، مبغضي النور الحقيقي. بمعنى آخر تجسد الكلمة، وحلول النور الحقيقي بيننا فرز محبي النور من عاشقي الظلمة، وبدأ روح القضاء يعمل. لذلك قيل: "رئيس هذا العالم قد دين" (يو: 16: 11)، "الآن دينونة هذا العالم، الآن يطرح رئيس هذا العالم خرجاً" (يو: 12: 31).

"لأن أعمالهم شريرة"، إذ يصممون علي السلوك في الظلمة والاتصاق ببابليس ورفض "النور" مخلص العالم.

❖ كأن المسيح يقول: لو كنت جئت إلى العالم لأعاقب، مطالباً بحجج عن الأعمال التي عملها الناس، لكان لهم أن يقولوا إننا لهذا السبب ابتعدنا عنه هربين. لكنني جئت لأريحهم من الظلام، ولهذا السبب يُعاقبون، لأنهم لم يريدوا أن يتكفروا بالظلام ويأتوا إلى النور، هذا يبعدهم عن تقديم أي عذر.

"لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور،

ولا يأتي إلى النور،

لئلا تُوبخ أعماله". [20]

يحب الأثوار الظلمة، لأنها أفضل لمملسة شوهم، ويبغضون النور لأنه يفضحهم. الإنجيل موعب بالنسبة للعالم الشوير، الذي يتطلع إليه كعدوٍ يفضحه ويبكته. من يملس العادات السيئة لا يطبق النور فيرتمي في الظلمة عوض أن يعترف بها ويطلب النور. "لأن الأمور الحادثة منهم سواً ذكوا أيضاً قبيح، ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور، لأن كل ما أظهر فهو نور. لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح" (أف 5: 14-12).

يوجد اختلاف بين الذين يركون اللوغوس (كلمة الله)، فالبعض يركه مصباحاً والآخرين يركونه نوراً... العذرى الجاهلات كان لهن مصابيح منطفئة (مت 2: 25)، "لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور، ولا يأتي إلى النور، لئلا تُوبخ أعماله" (يو 3: 20). كذلك يوبخ يسوع الذين لا ينتفعون دائماً من النور، الذي معهم إلى ساعة أو لحظة (يو 5: 35) عند استخدامهم هذا السواج. يقول ربنا يسوع: "كان هو السواج الموقد المنير، وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة" (يو 5: 35).

❖ اجروا يا اخوتي لئلا تمسك بكم الظلمة. تيقظوا لخلصكم، تيقظوا ما دام يوجد وقت... تيقظوا مادام الوقت نهار، النهار يشوق، المسيح هو النهار. إنه مستعد أن يغفر الخطايا، ولكن للذين يعفونها. إنه مستعد أن يعاقب المدافعين عن أنفسهم والمفتخرين بأنهم أوار، الذين يظنون أنهم شيء وهم لا شيء. [416]

❖ إذ جاء المسيح، لا لينقض الناموس والأنبياء، بل ليكمله (مت 5: 17)، وأنا ما هو الفصح الحقيقي، "العبور" الحقيقي من مصر. جاء في العبرة أنه يكون بداية الشهور، عندما يحل الشهر الذي حدث فيه العبور. كما أنه أيضاً بداية ميلاد آخر. إذ تبدأ طريقة حياة جديدة بالنسبة لمن يترك خلفه

الظلام، ويأتي إلى النور (يو 3: 20-21)، متكلمين بأسلوب يليق بالسّر المقدس، من خلال الماء المُعطى لأولئك الذين لهم رجاء في المسيح، المسمى "بغسل التجديد" (تي 5:3) فماذا يعني الميلاد الثاني، إن لم يكن بدءً لميلادٍ آخر؟ [417]

العلامة أوريجينوس

"وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور،

لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة". [21]

جاء "من يفعل الحق" مقابل من يعمل السيئات و"أعمالهم شرة". الحق بصيغة المفرد لأنه حياة واحدة في المسيح، التصاق بشخصه، أما السيئات والأعمال فبصيغة الجمع حيث الدخول في سلسلة لا تتقطع من أعمال الظلمة. والعجيب أن من يفعل الحق، أي يلتصق بالمسيح، يقبل إلى النور الذي هو شخص المسيح، وكأن كل التصاق عملي بالرب يلهب القلب بالأكثر مشتاقاً إلى دخول عملي واتحاد أقوى مع السيد. فيبقى المؤمن منجذباً يوماً فيوماً لعله يبلغ إلى "قياس قامة ملء المسيح" (أف 4: 13).

من يملس الحق يُقبل إلى نور لكي تظهر أن أعماله تتم في حضرة الرب وبعونه ونعمته. هذه هي خاتمة حديث السيد المسيح مع نيقوديموس، إنه يليق بالمؤمن إذ يتمتع بالبنوة لله أن ينعم بإمكانيات الله عامة به وفيه.

نور الحق الذي يوح قلب المؤمن هو بعينه يبغضه الشوير ولا يطيقه، بل يحسبه كعدوٍ مقاومٍ له.

أما قوله: "بالله معمولة"، فيؤكد السيد المسيح أن برّ المؤمن يقوم على عمل الله فيه، "الله هو العامل فيكم أن تروا وأن تعملوا من أجل المسرة" (في 2: 13).

❖ إنك تُدعى إنساناً فهذا من عمل الله، وأن تُدعى خاطئاً فهو من عمل الإنسان ذاته.

أمح ما تفعله أنت لكي يخلص الله ما قد فعله.

يليق بك أن تكوه عملك الذاتي فيك، وتحب عمل الله فيك.

عندما لا تسرك أعمالك الذاتية، في هذا تبدأ أعمال الله الصالحة، إذ تجد خطأ في أعمالك الشرة.

الاعتراف بالأعمال الشرة بداية الأعمال الصالحة.

إنك تعمل الحق وتأتي إلى النور. كيف تعمل الحق؟ إنك لا تدلل نفسك ولا تهانها ولا تتملقها، ولا تقول: "إني بار"، بينما أنت غير بار؛ هكذا تبدأ تفعل الحق.

إنك تأتي إلى النور لكي ما تعلن أعمالك أنها بالله معمولة، لأن خطيتك، الأمر ذاته الذي تكوهه، لا يمكنك أن تبغضه ما لم يشوق الله فيك ويظوه الحق لك.

أما من يحب خطاياها حتى بعد نصحه، فهو يبغض النور الذي ينصحه ويهرب منه، فالأعمال التي يحبها لا تظهر له أنها شرة. من يفعل الحق يتهم أعماله الشرة فيه ولا يبرر نفسه، ولا يصفح عن نفسه حتى يغفر له الله.

فمن وغب في أن يغفر له الله هو نفسه يعرف خطاياها ويأتي إلى النور، حيث يشكر على إظهار ما يؤمه أن يبغضه في نفسه. إنه يقول لله:

"رَدَّ وجهك عن خطاياي". ولكن بأي وجه يقول هذا ما لم يصف "لأنني أنا علف بآثامي، وخطيتي أمامي في كل حين" (مز 51: 11)؟

لنكن آثامك أمامك يا من لا تريدها أن تكون أمام الله.

[418] لكن إن وضعت خطاياك خلفك، فسيدفعها الله ليجعلها أمام عينيك، يحدث هذا في الوقت الذي لا يعود يوجد فيه ثمر للتوبة.

القديس أغسطينوس

❖ قال المسيح هذه الأقوال في وصف الذين اختلروا أن يظلوا في رذيلتهم كل حين، لأن المسيح لهذا الغرض جاء ليصفح عن الخطايا السابقة، ويصون

من الحرائم القادمة، وإذ قد يوجد أناس مستوحون منحلون مبتعدون عن الفضيلة حتى أنهم يريدون أن يشبوا إلى أنفاسهم الأخوة في شوم ولا يبتعدوا عنه في وقت من أوقاتهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

4. موقف المعمدان من المعمودية المسيح

" وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية،

ومكث معهم هناك وكان يعمد." [22]

ترك السيد المسيح أورشليم "في أرض اليهودية" حيث تم فيها الحوار مع نيقوديموس، وانطلق إلى مناطق أخرى في اليهودية. كثوًا ما يميز الكتاب بين أورشليم واليهودية (أع ١: ٨؛ ١٠: ٣٠؛ ١ مك ٣: ٣٤؛ ٢ مك ١: ١٠).

لم يكن السيد المسيح بنفسه يعمد بل تلاميذه (يو ٤: ٢) بسلطانه وأمره، لذلك حسب كآنه هو الذي يعمد.

❖ صعد المسيح إلى المدينة في الأعياد حتى يقدم تعاليمه في وسطهم وللانتفاع من آياته، وبعد انتهاء الأعياد كان يأتي في أكثر الأوقات إلى الأردن، إذ كان أناس كثيرون يبادرون إلى هناك، كان يتوجه دائمًا إلى المواضع التي تضم جوع كثرة، لا لإظهار ذاته، ولا رغبة في التكريم، لكن لكي يقدم للكثيرين المنفعة الكامنة فيه. غير أن يوحنا البشير إذ أمعن في كلامه قال: "مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه" (يو 4: 2).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ اعتمد صار يعمد (خلال تلاميذه)، ليس بالمعمودية التي اعتمد بها... اعتمد الرب بواسطة خادم، فصار يعمد مظهرًا لطريق التواضع، وقائدًا إلى معمودية الرب التي هي معمديته، بتقديم مثالٍ للتواضع حيث لم يرفض المعمودية من خادم [419].

القديس أغسطينوس

"وكان يوحنا أيضًا يعمد في عين نون بقرب ساليم،

لأنه كان هناك مياه كثيرة،

وكانوا يأتون ويعتمدون." [23]

يبدأ السيد المسيح يعمد بواسطة تلاميذه قبل إلقاء يوحنا المعمدان في السجن، حتى يسحب تلاميذ يوحنا إليه، فلا يتشتتوا بعد استشهاده. ومن جهة أخرى لكي لا تتوقف عجلة العمل باستشهاد يوحنا. وقد بقي يوحنا يركز ويعمل في توافق تام وتهيئة جادة لمكوت المسيح حتى النفس الأخير.

عين نون : تبعد حوالي ثمانية أميال جنوب Scythopolis ما بين ساليم والأردن.

واضح أن معمودية يوحنا كانت دائمًا بالتغطيس، إذ قيل: " لأنه كان هناك مياه كثيرة، وكانوا يأتون ويعتمدون" [٢٣].

❖ لم يكن يسوع يعمد بل تلاميذه، لماذا؟ قال المعمدان: "سيعمد بالروح القدس ونار" (مت 3: 11؛ لو 3: 16). الآن لم يكن بعد قد أعطى الروح، ولهذا بسبب صالح لم يعمد. أما تلاميذه ففعلوا هذا، إذ رغوا في أن يجلبوا كثيرين إلى التعاليم المخصصة... لماذا إذن لم يكف يوحنا عن العماد حتى يترك تلاميذ المسيح يظهروا في أكثر مهابة؟ حتى لا يثير تلاميذه إلى منافسة أقوى مما يثير الخصام... بجانب هذا وهو يعمد لم يكف عن أن يحثهم بالأكثر على عظمة أعمال يسوع ومهابتها...

هل كانت معمودية التلاميذ أفضل من معمودية يوحنا؟ لا ليس في شيء ما، كلاهما كانا نون موهبة الروح، كانتا متشابهتين، لهما ذات الهدف،

[420]

وهي أن تقود الذين يعتمدون إلى المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأنه لم يكن يوحنا قد ألقى بعد في السجن". [24]

"وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير". [25]

❖ كان تلاميذ يوحنا دائماً يحسدون المسيح نفسه وتلاميذه، إذ لاحظوا أنهم يعملون.

بدأوا يتحللون مع الذين اعتموا كما لو أن عمادهم أفضل من المعمودية تلاميذ المسيح. أخنوا واحداً من المعمدين وسعوا إلى أن يقنعوه بهذا فلم يستطيعوا. اسمعوا كيف جعلنا الإنجيلي نفهم أنهم بدأوا أولاً بمهاجمة (يسوع)... لم يقل أن يهودياً سألهم بل هم أثاروا التساؤل، صدر التساؤل من تلاميذ يوحنا إلى يهودي [421].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كان يوحنا يعمد، وكان المسيح يعمد. كان تلاميذ يوحنا يتحركون، يجرون نحو المسيح... الذين جاؤا إلى يوحنا أسلمهم إلى المسيح ليعتموا، وأما الذين جاؤا إلى المسيح فلم يُسَلِّموا إلى يوحنا.

أزعج تلاميذه يوحنا، وبدؤوا يتباحثون مع اليهود كما يحدث عادة.

لتفهم أن اليهود أعلنوا بأن المسيح أعظم، وأن الشعب يلزم أن يتجه إلى معمديته. لقد فهم أيضاً تلاميذ يوحنا ذلك، ومع هذا فقد دافعوا عن معمودية يوحنا. جاؤا إلى يوحنا نفسه لكي يحل السؤال.

لتفهموا أيها الأحباء. هنا أعطي لنا أن نرى استخدام التواضع، وعندما يخطئ الشعب في موضوع المباحثة يظهر إن كان يوحنا يطلب مجد

نفسه...

لقد عرف حسناً أمام من يتواضع، أمام ذلك الذي يعرف أنه جاء بعده بالميلاد، وقد اعترف باختير له بأسبقيته معترفاً به. لقد فهم أن خلاصه هو في المسيح. لقد سبق فقال قبلاً: "ونحن جميعاً من ملئه أخذنا". بهذا يعترف أنه هو الله. إذ كيف يمكن لكل البشر أن يقبلوا ملئه لو لم يكن هو الله؟... إنه الينوع، وهم الشلبيون منه. الذين يشربون من ينوع يعطشون ويشربون، أما الينوع فلن يعطش قط، ولا يحتاج إلى ذاته، بل يحتاج البشر إلى الينوع. بالمعدة العطشى والشفاه الجافة يجرون إلى الينوع ليرتوون، والينوع يفيض لكي ينعش؛ هكذا يفعل الرب يسوع [422].

القديس أغسطينوس

" فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له:

يا معلم، هوذا الذي كان معك في عبر الأردن،

الذي أنت قد شهدت له هو يعمد،

والجميع يأتون إليه". [26]

تقدم بعض تلاميذ يوحنا الذين في محبتهم لمعلمهم وغيرتهم إليه أسعوا إليه إذ كرموه عندما تحدثوا بكل احترام "يا معلم Rabbi" بينما لم يذكروا حتى اسم يسوع المسيح، بل في استخفاف قالوا: "الذي كان معك". حسبوا أن ما يفعله يسوع فيه جحد لذلك الذي عمده وشهد له. ولم يتركوا أنه لم يكن محتاجاً إلى شهادة يوحنا، ولا إلى تكريم بشر، فإن الأب نفسه شهد له، والروح القدس ظهر مستقواً عليه. ظنوا أن مملسة تلاميذ المسيح للمعمودية إهانة لمعمودية يوحنا، كما لو وجدت منافسة بين الفريقيين.

❖ " هوذا الذي كان معك في عبر الأردن، الذي أنت قد شهدت " بمعنى "ذاك الذي كان في رتبة تلميذ، الذي لم يكن أكثر مما كنا نحن عليه، هذا الإنسان

عزل نفسه ويعمد". لقد ظنوا أنهم يجعلونه حاسداً، ليس فقط بهذا، وإنما أيضاً بتأكيد أن شهرتهم بدأت تنقص، إذ يقولون: "والجميع يأتون إليه" [26].

من هذا واضح أنهم لم يكونوا أفضل من اليهود الذين حلروهم؛ لكنهم نطقوا بهذا الكلمات لأنهم كانوا ناقصين في زعاتهم، ولم يكونوا قد تخلصوا من

الشعور بالمنافسة [423].

"أجاب يوحنا وقال:

لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً،

إن لم يكن قد أُعطي من السماء". [27]

لم يوتبك يوحنا ولا اضطوب، بل بروح الفرح والتهليل أعلن أن ما يملسه يسوع المسيح إنما هو من السماء. لقد وجد الفوصة سانحة لتأكيد وتوضيح شهادته للسيد المسيح مرة أخرى.

اسمع ما قاله يوحنا المعمدان لتلاميذه، لأنه لم يوبخهم توبيخاً شديداً خشية أن ينفصلوا عنه ويعملوا عملاً آخر رديئاً، بل قال لهم: "لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أُعطي من السماء ... رُاد أن يضوبهم إلى حين بالخوف والرعب، وأن يظهر لهم أنهم إنما يحلزون الله وحده، عندما يحلزون المسيح. هنا أسس هذه الحقيقة بطريقة خفية، هذه التي أكدها غملائييل: "إن كان من الله فلا تقرون أن تتقضوه، لئلا توجنوا محلبين الله أيضاً" (أع 5: 39). فإن القول: "لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أُعطي من السماء" ليست إلا إعلاناً عن أنهم يحولون المستحيلات، ويوجنون محلبين الله.. لاحظوا أيضاً كيف أنهم إذ قالوا: "قد شهدت له" [26] انقلب ضدهم إذ ظنوا أنهم يحطون من قدر المسيح، وأبكمهم مظهراً أن مجد المسيح لم يقم على شهادته. إذ يقول: "لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أُعطي من السماء" [27]. "إن كنتم تتمسكون بشهادتي وتحسبونها صادقة، فلتعلموا بهذه الشهادة. يؤمكم ألا تفضلوني عنه، بل تفضلونه عني. لأنه بماذا شهدت له؟ إني أدعوكم أنتم شهوداً لذلك [28] [424]."

القديس يوحنا الذهبي الفم

وى القديس أغسطينوس أن يوحنا المعمدان يتحدث عن نفسه أنه كإنسان ينال من السماء، وأنه ليس المسيح. [كأنه يقول: لماذا تدعون أنفسكم؟ انظروا كيف تضعون هذا السؤال أمامي، ماذا تقولون لي؟... لأنني قد نلت شيئاً من السماء لكي أصير شيئاً، أويون مني أن أؤغ نفسي منه بأن أنطق بما هو ضد الحق؟... إني المذيع، وهو الديان [425].

"أنتم أنفسكم تشهدون لي إنني قلت:

لست أنا المسيح،

بل إنني مرسل أمامه". [28]

كأن يوحنا المعمدان يقول هنا: "أنا خادم أقوال مرسلي". جاء تعبير "مرسل أمامه" في اليونانية يحمل استورية العمل والثمر لعمله. ❖ إن تمسكتكم بشهادتي... فإنه لم ينقص بشهادتي له، بل بالأحرى أنا زداد بها، هذا بجانب أن الشهادة ليس من عندي، بل هي شهادة الله. إن كنت أحسب أهل ثقة عندكم، فقد قلت بين ما قلت: "إنني مرسل أمامه" [28]. ألا ترون كيف يظهر قليلاً أن هذا الصوت إلهي؟ فإن ما قاله هو هكذا: "أنا عبد، وأنطق بكلمات من أرسلني، ليس تملقاً للمسيح لأجل نفع بشوي، بل خدمة لأبيه الذي أرسلني. لست أقدم الشهادة كعطية من عندي، بل أنطق بما أرسلت لأتكلّم به. فلا تظنوا بهذا إنني عظيم، بل هو عظيم، هو رب كل الأشياء" [426].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"من له العروس فهو العريس،

وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه،

فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس.

إذاً فرحي هذا قد كمل". [29]

صديق العريس عند اليهود يُدعى *showshabiyn* وعند اليونانيين *paranympnos*. كان عادة يوجد صديق للعريس وآخر للعروس. غالباً ما

يكون الأخ هو صديق أخيه العريس.

أحيانًا لا يوجد شخص معين كصديق للعريس أو للعروس، أما في حفلات الزواج الخاصة بالملوك والأمراء وأصحاب المراكز الكوى كان لابد من وجود صديق للعريس. وى اليهود أن هذه العادة أسسها الله، إذ كان هو نفسه صديق العريس *shashobin* لآدم في زواجه. لكن جاء في *Bereshith Rabba* كان آدم له صديقان في عرسه هما ميخائيل وجوئيل.

كان نور صديق العريس هامًا لا يمكن الاستغناء عنه، وكان يُعفى من بعض اللواتم الدينية ليتوخى لمساعدة المتروجين حديثًا خاصة في السبعة أيام الأولى للزواج. أما عمله قبل الزواج فهو أن يهتم بالمخطوبة ويحرسها ويقدم شهادة للعريس عنها؛ كما يقوم بحلقة الصلة بينهما، فيحمل رسائل كل منهما للآخر، حيث لم يكن يسمح للمخطوبة أن تغلق البيت.

أما بعد الزواج فيقوم بتعزيز شخصية العروس، ينام في شقة مجاورة لمسكن العروسين ليمنع حدوث أية أذية للعروس. وألا يسمح لأحد الطرفين أن يخدع الآخر، كما كان من واجبه فحص طهارة العروس، فمتى تأكد من ذلك تهلل وفوح. ولعل هذا ما قصده القديس يوحنا بقوله: "إذا فرحي هذا قد كمل" [٢٩]. يقوم بتقديم الهدايا القادمة للعروسين، وأخوًا يساهم في الاحتفال المبهج للزواج لمدة سبعة أيام.

بعد هذا الاحتفال الممتد لمدة أسوع يصير صديق العريس أشبه بالمدافع عن العروس (٢ كو ١١: ٢)، ويقوم بحل أية مشاكل زوجية تقوم بينهما ومصالحتهما.

يحفظ صديق العريس بعقد الزواج، فإذا وجد العروس غير أمينة يقوم بتنزيقه، فيحسب الزواج قد انحل. أما إن تركها العريس وطلقها فيقوم الصديق بدور الأخ الشعري (أخ زوجها) [427].

يعلن القديس يوحنا المعمدان فحة بمجيء العريس الإلهي، وهو في هذا يعبر عن مشاعر رجال الله في العهد القديم نحو العرس. يعبر القديس غريغوريوس أسقف نيصص في تقسوه نشيد الأناشيد عن هذه الحقيقة، فيقول:

[إن الذين يخدمون الخطيئة البكر ويلامونها هم البطركة والأنبياء ومعلمي الناموس. إنهم يقدمون للعروس هدايا العرس، كما كانت. (من أمثلة هذه الهدايا: غوان المعاصي، نسيان الأعمال الشورة، غسل الخطايا، تغيير الطبيعة، أي تصير الطبيعة الفاسدة طاهرة، التمتع بالفردوس، وكرامة ملكوت الله، والفوح اللانهائي.)

عندما تتقبل العروس كل هذه الهدايا من النبلاء الحاملين لها والذين يقدمونها خلال تعاليمهم النبوية حينئذ تتعرف باشتياقاتها، ثم توسع لتتمتع بامتياز جمال الواحد طالما اشتاقت إليه.

يصغي خدام البتول ومرافقها إليها ويحثونها بالأكثر لاشتياق مؤايد. ثم يصل العريس قائدًا جوقة من المغنين فيما بينهم أصدقؤه والذين يتوجون خوه. هؤلاء يمثلون الأرواح الخادمة التي تنقذ الإنسان أو الأنبياء الأظهار.

عند سماع صوت العريس يوحون (يو 3: 29)، إذ يتحقق الاتحاد الطاهر وتصير النفس الملتصقة بالرب روحًا واحدًا معه كما يقول الرسول [428] (1 كو 17: 6).

❖ يقف هؤلاء الذين يتوقعون رجوع السيد المسيح باشتياق وانتباه على أبواب السماء عند ما يدخل ملك المجد إلى نعمته التي تفوق كل تصور، كما جاء في مز 6: 18. "ومثل العروس الخارج من حجله".

بالرغم من خطانا وعبادتنا للأصنام، وقد طردنا الله، حظينا بالميلاد الجديد وصونا أكلًا بعد غسل كل فساد فينا. لذلك تمت كل احتفالات الزواج، ولتبط كلمة الله بالكنيسة. وكما يقول القديس يوحنا: "من له العروس فهو العريس" (يو 3: 29).

وأستقبلت الكنيسة العروس في حجرة العرس المقدسة، وتوقعت الملائكة رجوع الملك أثناء قيادته للكنيسة كالعروس، وجعل طبيعتها مستعدة للنعمة. فقال أن حياتنا يجب أن تكون خالية من الشر والخداع، حتى نكون مستعدين لاستقبال الرب عند مجيئه الثاني.

وعندما نحرس أبواب مساكننا فإننا نُجهز أنفسنا لوصول العريس، عندما ينادينا ويقوع على الباب. "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" (لو 12:37). لأنه مبرك ذلك الذي يطيع ذلك الذي يقوع.

إن النفس تتطلع إلى هذه البركة بأن تستقبل عريستها الواقف على الباب.

[429] إنها واقف باب بيتها بيقظة قائلة: "صوت حبيبي قرعاً" (نش 2:5). كيف نفي العروس حقها إذ قد ارتفعت إلى ما هو أكثر قداسة؟

القديس غريغوريوس النيسي

❖ كأن يوحنا المعمدان قال: إنني كنت أتألم كثيراً لو لم يكن قد صار هذا. لو كانت العروس لم تتقدم إلى عريستها، لكنت حينئذ قد توجعت وغمني ذلك، لكنني لست أغمم الآن إذ كملت آمالي، وقد تحقق كل ما تمنيناه، وقد عرفت العروس عريستها، وأنتم شهدتم بذلك، وإذ رأيت هذا المطلب قد تحقق لذلك أسرّ وأبتهج.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ اسمعوا ما هو أقوى بكثير، شهادة أكثر وضوحاً. انظروا أي أمر تعالجونه، فإن من يحب شخصاً ما ويضعه موضع المسيح فهذا زنا... "من له العروس فهو العريس" ... كونوا عفيفين، حيوا العريس...

الآن رى زناة كثيرين وغبون أن يقتوا العروس التي اشتريت بثمانٍ عظيمٍ هكذا، صلت محبوبة حين كانت مشوهة، وذلك لكي تصير جميلة، اشتريت ونالت خلاصاً وتزيت بذاك الواحد.

وأما هؤلاء الزناة فيصلعون بكلماتهم لكي يحوا عوض العريس...

لنسمع صديق العريس لا للزناة ضد العريس.

[430] لنسمع لذاك الغيور، ولكن ليس لحساب نفسه.

❖ يقول إنني أفرح، ليس من أجل صوتي، وإنما من أجل صوت العريس. أنا في مركز المستمع، هو في موقف المتكلم. أنا كشخص يؤم أن يستتير، أما هو فالنور. أنا مثل الأذن، وهو الكلمة. لذلك صديق العريس يقف ويسمعه.

لماذا يقف؟ لأنه لا يسقط.

كيف لا يسقط؟ لأنه متواضع.

انظروا فإنه يقف على أرض صلبة: "أنا لست أهلاً أن أحل سيور حذائه". حسناً تفعل إذ تتواضع، فتتأهل لعدم السقوط، تتأهل للوقوف، وتسمعه

[431] وتتوح جداً بصوت العريس.

❖ بطوس عين في الجسم، وهذا الشخص هو إصبع، لكنه هو عضو في ذات الجسم الذي فيه بطوس عضو. وإن كان الإصبع له سلطان أقل من العين، لكنه لا يُبتر من الجسم.

من الأفضل أن تكون إصبغاً في الجسم، من أن تكون عيناً ومبتوراً من الجسم.

لذلك لا يخذعكم أحد يا اخوتي، لا يغرّمكم أحد. حيوا سلام المسيح الذي صلب عنكم وهو الله. يقول بولس: "ليس الغلرس شيئاً، ولا الساقى، بل

الله الذي ينمي" (1 كو 7:4).

لتحب الأعضاء بعضها البعض، وليحيا الكل تحت الرأس.

[432] في حزنٍ يا اخوتي التزمت أن أتحدث معكم كثيراً، ومع هذا فإنني تكلمت قليلاً، فإنني غير قادر على التوقف في الحديث.

❖ ما هو فحاه؟ أن يوح بصوت العريس.

هذا قد كمل فيّ، لقد صلت لي نعمتي، إنني لا انتحل لنفسي ما هو ليس لي، لئلا أفقد ما أنا عليه...

ليفهم الإنسان أنه لا يوح بحكمته الذاتية، بل بالحكمة التي ينالها من الله.

لا يطلب أحد أمراً أكثر (مما عليه) فلا يفقد ما قد وجده. فإن كثيرين إذ يؤكدون أنهم حكماء يصيرون أغبياء. يوبّخهم الرسول قائلاً لهم: "إذ

معرفة الله ظاهرة فيهم، لأن الله أظهرها لهم" (رو 1: 19)...

يؤمنهم ألا ينسوا لأنفسهم ما لم ينالونه من أنفسهم، بل ينسوه لهذا وهو ما وهبه الله مجاناً يأخذه من الجاحدين. لم يرد يوحنا أن يكون هكذا، بل

رأد أن يكون شاكراً. لقد اعترف أنه نال، وأعلن أنه قد فوح بصوت العريس، قائلاً: "إذاً فرحي هذا قد كمل" [29] [433].

القديس أغسطينوس

❖ "إذاً فرحي هذا قد كمل" [29]. بمعنى إن العمل الذي كان يؤمني أن أفعله قد تم، فلا أستطيع أن أفعل أكثر من هذا في المستقبل. فلكي يمنع زيادة

المشاعر الجسدية ليس فقط في ذلك الحين، بل وفي المستقبل يخوهم بما يؤزم أن يحدث، مؤكداً أن ما يحدث هو حسب ما سبق أن قاله وفعله [434].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ينبغي أن ذلك يزيد،

وإني أنا أنقص". [30]

يبرك القديس يوحنا المعمدان أن ذلك يزيد وهو ينقص. هذا ظهر بكل قرة في موتهما. الأول استشهد وهو في السجن خفية، ولم يبرك أمره

غير قليلين، أما السيد المسيح فمات علانية على الصليب، ورفع رأسه نحو السماء، وبسط يديه ليحتضن بحبه الإلهي كل البشرية. الأول مات ودفن

مقطع الرأس، والثاني مات ودفن وقام ليقيم معه الأموات.

كلمات القديس يوحنا المعمدان تمس حياة كل مؤمن صادق ونام في شوكتته مع السيد المسيح. فمع كل لحظة من لحظات عبوه يتخلى عما هو

مادي فيه، بل ويشعر كأنه يتخلى عما هو بشوي، لا ليعيش بلا رادة بشرية أو عواطف بشرية أو فكر بشوي، وإنما تتجلى رادة المسيح فيه، وتتقدس

عواطفه فيه، ويحمل فكر المسيح. هكذا يجد المؤمن عنوبة في نقصه، لكي يزيد المسيح فيه.

نجاح السيد المسيح في خدمته هو بدء لنشر وه المجيد وسلامه والحق الذي له بين البشر.

يسر القديس يوحنا حين ينقص عدد القادمين إلى معموديته، حيث يتوجهون إلى يسوع المسيح، فيحققون ما تهدف إليه خدمته ومعموديته.

❖ "ينبغي أن ذلك يزيد، وإني أنا أنقص" [30]. ما هذا: يؤزم أن يتمجد هو وأنا أن أتواضع؟

كيف يزيد يسوع؟ كيف يزيد الله؟ الله لا يزيد ولا ينقص. لأنه إن كان يزيد فهو ليس بكامل، وإن كان ينقص فهو ليس الله...

هل كان بحالته كإنسان حيث تنزل وصار إنساناً؟ كان طفلاً، ومع أنه حكمة الله رقد في المنود كوضيع. ومع أنه خالق أمه، رضع لبن الطفولة

منها، ثم نما يسوع في الجسد، ولعلّه لهذا قيل: "ينبغي أن ذلك يزيد وإني أنا أنقص". ولكن لماذا هذا؟ إذ هما من جهة الجسد كانا في ذات العمر، الفرق

بينهما ستة أشهر، وقد نميا معاً... إذن ما هو معنى "ينبغي أن ذلك يزيد وإني أنا أنقص"؟

هذا سرّ عظيم!

قبل مجيء الرب يسوع كان البشر يمجدون أنفسهم.

جاء كإنسان ليقال من مجد الإنسان، ويزيد مجد الله. الآن جاء بغير خطية، ووجد كل البشر في الخطية. إن كان هكذا قد جاء ليؤزح الخطية،

فالله يعطي مجاناً والإنسان يعترف. اعترف الإنسان هو نزول به، حنو الله هو ارتفاع.

لذلك إذ جاء ليغفر خطايا الإنسان، فليعترف الإنسان بانحطاطه، وليظهر الله حنوه.

"ينبغي أن ذلك يزيد وإني أنا أنقص"، أي ينبغي أن يعطي وأنا أن استلم، هو يتمجد، وأنا اعترف. ليعرف الإنسان حاله، ويعترف لله. لتسمع ما

يقوله الرسول للإنسان المتكبر المتشامخ الذي يُفخم نفسه: "وأي شيء لك لم تأخذ؟ وإن كنت قد أخذت، فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟" (1 كو 4: 7) [435].

❖ ليت الله الذي هو دائماً كامل ينمو، وينمو فيك. فيقدر ما تفهمه يبدو نامياً فيك، أما في ذاته فهو لا يزيد بكونه كاملاً أبدياً... هكذا أيضاً بالنسبة للإنسان الداخلي. إنه ينمو حقاً في الله، ويبدو الله مزايداً فيه. لكن الإنسان نفسه يبدو كأنه ينقص حيث يسقط من مجد ذاته، ويقيم مجد الله [436].

القديس أغسطينوس

❖ معنى هذا أن أفعالنا نحن قد توقفت وكفت، أما أفعال المسيح فينبغي أن تنمو، لأن ما نخشونه لا يحدث الآن فقط بل بالأكثر فيما بعد. وهذا على وجه الخصوص يجعل أحوالي أكثر بهاءً. لهذا الهدف أنا جئت؛ وإنني أوح بأن أحواله قد صلت في تقدم عظيم، وإن هذا يتم خلال ما فعلته. ألا ترون كيف أنه في رقة وبحكمة عظيمة هدأ من الآمهم، وأطفأ حسدهم، وأظهر أنهم كانوا يتحدثون في أمور مستحيلة، وأنه يجب ضبط الشر؟ [437]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع،

والذي من الأرض هو أرضي،

ومن الأرض يتكلم.

الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع." [31]

العريس النزل من السماء (يو 3: 13) هو فوق الكل، أعظم من موسى والأنبياء ومن يوحنا المعمدان نفسه.

يتحدث يوحنا عن نفسه عندما يقول: "الذي من الأرض"، لأنه وُلد كسائر البشر؛ لا يقدر أن يتكلم بما ينطق به المسيا السملوي، إنما يمهد للسملوي. ليس من وجه مقلنة بين الأنبياء (ومن بينهم يوحنا المعمدان) والسيد المسيح. فالأنبياء وإن شهوا للحق لكنهم كبشر يتكلم الله بهم على الأرض، أما المسيح فيتكلم من السماء لأنه سملوي.

❖ أراد أن يبين لنا أن المسيح لا يحتاج إلى أحد إذ هو كفاء لذاته وهو أعظم من الكل... بقوله: "والذي من الأرض هو أرضي، ومن الأرض يتكلم" يعني به ذاته... رأيت كيف أن يوحنا المعمدان لم يقل قَلاً آخر إلا أنه صغير، وآت من الأرض، وفي الأرض وُلد؟ أما المسيح فجاء إليهم من السماء، فبهذه الأفعال كلها أحمدهم.

❖ كأنه يقول: إن قورنت أموري بأوه تبدو قليلة وهابطة وفقرة كما لو كانت تحمل طبيعة أرضية [438].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ يتحدث عن الإنسان فيه (في يوحنا) فهم أرضي يستنير بالله.

لو لم يستنر لبقى أرضاً ومن الأرض يتكلم...

لتأتِ نعمة الله وتبهر ظلمته، كما قيل: "أنت تنير سواجي يارب، لتتر ظلمتي يا إلهي" (مز 18: 28).

لتأخذ فكر الإنسان وتحوله إلى نورها، ففي الحال يبدأ يقول مع الرسول: "لا أنا بل نعمة الله التي معي" (1 كو 15: 10)، "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غلا 2: 20)...

هكذا يوحنا، بكونه يوحنا هو من الأرض، ومن الأرض يتكلم، وأما ما تسمعه من إلهيات من يوحنا، فهو من ذلك الذي ينوره، وليس من ذلك

الذي يستلمه [439].

القديس أغسطينوس

" ومارآه وسمعه به يشهد،

وشهادته ليس أحد يقبلها". [32]

ما ينطق به الأنبياء إنما يشهدون لما يخبرهم به الله بطريقة أو أخرى، أما ما ينطق به السيد المسيح فهو يعلن ما واه ويسمعه، إذ هو غير منفصل عن الآب، هو الحق ذاته.

❖ "الذي يأتي من السماء، هو فوق الجميع. ومارآه وسمعه به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها" [32-31]... له الآب، بكونه ابن الله. له الآب ويسمع الآب... هو كلمة الآب [440].

القديس أغسطينوس

"ومن قبل شهادته، فقد ختم أن الله صادق". [33]

❖ أرسل يوحنا تلاميذه إلى المسيح حتى وهو في السجن لكي يرتبطوا به... الآن إذ يتحدث المسيح بكلمات الله فإن من يؤمن ومن لا يؤمن، يؤمن بالله أو لا يؤمن به. لأن الكلمات "فقد ختم" تعني "قد أعلن". ولكي يزيد فهم يقول إن "الله صادق"، مظهرًا أنه ليس من أحد يقدر أن يرفض الإيمان بالمسيح دون أن يتهم الله كأنه يرتكب بطلانًا [441].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله،

لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح". [34]

تتقبل البشوية روح الله بكيل حسب ضعف إمكانياتها، أما السيد المسيح فيقبله بغير كيل لأنه واحد معه، مستقر فيه.

❖ قول يوحنا المعمدان عن المسيح: "لأن الذي أرسله الله، يتكلم بكلام الله"، إذ أن المسيح لا يقول قولاً خالجا أقوال أبيه، لكنه يقول أقوال الله، فمن يخالف هذا الابن فقد خالف أباه الذي أرسله، رأيت كيف يلذعهم بهذه الأقوال؟ يقول: "لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح"، أي أننا أخذنا كلنا فعل الروح بكيل وبمقدار، أما المسيح فقد امتلك الروح كله كاملاً دون أن يكون بمقدار.

❖ يقول يوحنا الإنجيلي عن الابن "إنه لا يعطي الله الروح بكيل" (يو 3:34) للذين يستحقون. إذن لا يوجد مكيال لدى الابن، فهو لا يمكن قياسه بل يفوق كل المقاييس لأنه الله، فكيف يُقاس الذي لا يُقاس ويُوصف بأنه أقل؟

القديس كيرلس الكبير

❖ كتب الذهبي الفم: "بالروح يعني هنا الطاقة" فإننا جميعًا ننال طاقة الروح بقياس، أما المسيح فله كمال الطاقة بلا قياس، بل في كمالها. فإن كانت طاقاته بلا كيل فبالأكثر يكون جوهه. يدعوه الطاقة، الروح أو بالأحرى ذات روح الله كما قال المعمدان، وبالقول أن الطاقة بلا كيل يشير إلى طبيعتها غير المخلوقة. بقوله نحن نقبلها بقياس يشير إلى اختلاف الطاقة غير المخلوقة بالنسبة للجوهر غير المخلوق... الآن إن كانت طاقة الروح بلا كيل كم بالأكثر يكون الجوهر [442].

الأب غريغوريوس بالاماس

يميز القديس يوحنا المعمدان بين رسالته ورسالية السيد المسيح. رسالية يوحنا المعمدان هي رسالية الله لوسول بشوي، يتكلم ويشهد قدر ما ينال من نعمة. أما رسالية المسيح فهي رسالية ابن الله وكلمته الواحد معه، وحده وى الآب كما هو، وقادر أن يشهد له، روحه القنوس هو روح الآب القنوس، لذا لا يناله بكيل كما الأنبياء أو الرسل أو المؤمنون بوجه عام.

❖ "لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح" [34]. اسمع ما يقوله الرسول: "حسب قياس هبة المسيح" (أف 4:7). بالنسبة للبشر يعطي بقياس، وبالنسبة للابن الوحيد لا يعطي بكيل. كيف يعطي للبشر بقياس؟ "فإنه لوحد يعطي بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد. ولآخر عمل قوات

ولآخر نوبة... " (1 كو 12: 8 الخ)... أما المسيح الذي يعطي فهو يتقبل بلا كيل [443].

القديس أغسطينوس

"الآب يحب الابن،

وقد دفع كل شيء في يده". [35]

يظهر يوحنا المعمدان أن يسوع فوق كل معلمٍ أو نبيٍّ أو رسولٍ إلهيٍّ بغير حدود. نال بعض الأنبياء مواهب معينة وآخرون رؤى معينة وآخرون أعلامًا، وآخرون موهبة التعليم، وآخرون موهبة التغذية الخ، أما السيد المسيح فهو وحده فله كل شيء في يده.

❖ "الآب يحب الابن" [35] ، ولكنه كآبٍ يحب وليس كسيدٍ يحب خادمه، بل بكونه الابن الوحيد الجنس وليس ابنًا بالتبني... لذلك إذ تتزلزل وأرسل لنا الابن لا نتخيل أن هذا الأمر أقل من الآب المؤسل إلينا. إذ يرسل الآب الابن، يكون كمن يرسل نفسه الآخر (إذ هو واحد معه ومساوٍ له) [444].

القديس أغسطينوس

"الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية،

والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة،

بل يمكث عليه غضب الله". [36]

❖ يقول يسوع: "أنا هو الباب" (يو 14: 6؛ 9: 10)، ليس أحد يأتني إلى الآب إلا بي"، "لا أحد يعرف الآب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت 27: 11)، فإن أنكوت من يعلن لك تبقى في جهل.

لقد جاء في الإنجيل العبرة التالية: "الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" (يو 3: 36). فالآب يغضب عندما يُستهان بالابن الوحيد. فإن الملك يحزن لمجرد إهانة أحد جنوده. فإن كان الملك يحزن لمجرد إهانة أحد جنوده، فإن احتقر أحد ابنه الوحيد فمن يقدر أن يطفئ غضب الآب من أجل ابنه الوحيد؟! [445]

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ قد يقول قائل: فهل يكفي أحدنا أن يؤمن بالابن فيملك حياة أبدية؟ نجيب: لا يمتلكها بجهة من الجهات، لأن المسيح نفسه يقول: "ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل رادة أبي الذي في السموات" (مت 7: 21). فلو أن أحد الناس يؤمن بالآب والابن والروح القدس إيمانًا قويمًا ولا يسلك في حياة تقوية، لا يحصل له من إيمانه ولا على فائدة واحدة تبلغ به إلى خلاصه. فلا تظن أن الإيمان بالابن فيه كفاية لخلاصنا، لكننا نحتاج إلى حياة قديمة مهذبة وطريق نقي طاهر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما يؤمن أحدٍ يعبر غضب الله وتحل الحياة. إذن أن تؤمن بالمسيح هو أن تقتني الحياة، لأن من يؤمن به لا يُدان (يو 3: 13). لكن بالنسبة لهذه العبرة يتنوعون بأن من يؤمن بالمسيح يؤممه أن يحفظ وصاياه، ويقولون أنه مكتوب في كلمات الرب نفسه: "أنا جئت نيرًا لهذا العالم، فمن يؤمن بي لا يمكث في الظلمة. وإن سمع أحد كلمتي وحفظها لا أدينه" (راجع يو 47: 12) [446].

القديس أمبروسيو

❖ لم يقل: "يحل عليه غضب الله"، بل يقول: "يمكث عليه غضب الله". كل الذين ولوا هم قابلون للموت، وافقهم غضب الله. ما هو غضب الله إلا الغضب الذي تقبله آدم ولأولاً... من هذه السلالة جاء الابن، بلا خطية، والتحف بالجسد وقبول الموت. إن كان قد شركنا غضب الله، إذ حمل خطايانا، فلماذا نتباطأ في الشراكة معه بنعمة الله؟ إذن من لا يؤمن بالابن، يمكث عليه غضب الله. أي غضب لله؟ هذا الذي يقول عنه الرسول: "كنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضًا" (أف 2: 3). الكل هم أبناء الغضب، لأنهم جاؤا من لعنة الموت.

آمنوا بالمسيح، فمن أجلكم صار قابلاً للموت.

لقد عاش وأنت كنت ميتاً.

لقد مات لكي ما تحيا أنت.

لقد جلب نعمة الله وزرع غضب الله.

غلب الله الموت، لئلا يغلب الموت الإنسان [\[447\]](#).

القديس أغسطينوس

من وحي يو 3

ليحملني روحك الناري إلى العالم الجديد!

❖ أعماقي تئن، جسدي انحدر بكل كياني إلى الجسديات،

سيطرت المادة على أعماقي،

لكن نعمتك انتشلتني.

وهبتي ميلاداً من الماء والروح!

صوت لي أباً سماوياً، وكنيستك أمّاً خالدة.

لم يعد لي عذر بعد، ولا مبرر،

ليحملني روحك الناري إلى العالم الجديد!

❖ من أجلي ولدت جسدياً،

لكي بروحك القديس تهبني ميلاداً علوياً!

غسلتني بالتمام في مياه المعمودية،

وهبتي النصوة على التتين القديم.

رويتني بالمياه الحية، فكيف أعطش بعد؟

دفعتني معك في القبر،

وأقمتني لأتمتع بحياتك المقامة!

أعطيتني حياة جديدة وروحاً جديداً، وقلباً جديداً.

❖ سحبت كياني كله في سمواتك،

فلم يعد لي على الأرض ما يسحب قلبي أو فكوي!

رأك وحدك صاعداً إلى السماء، يا قاطن السماء!

اقبلني عضوًا في جسدك، فلا تقدر الأرض أن تسعني!
تولت إلى رُضي وخبأتني فيك،
وصعدت إلى سمواتك لأكون معك، حيث أنت كائن!

❖ قتلنتي الحيّة بسمّها وخذاعها،
وقتلنتُ نفسي بإنصاتي إليها.
ها أنت ترتفع على الصليب كالحية النحاسية.
رأك بعيني قلبي، وقد مزقت صك الدين الذي علي!
رفعتني بصليبك، واجتذبتني إلى حضن أبيك!
ارتفع معك متحديًا قوّات الظلمة.
موتك أمات موتي، وحطّم كل سلطانه!
صليبك صلب العالم لي، وصلبني للعالم!
ليس للعالم موضع فيّ؛ وليس فيه لي موضع!

❖ صليبك أعلن مجد حبّك الفائق!
صليبك فتح قلبي، ليحتضن إن أمكن كل بشر!
صليبك رُاح عني الخوف من الدينونة،
وألهب قلبي نحو يوم مجيئك!

❖ أشوقت يا شمس البرّ من على الصليب،
فتبددت كل ظلمة في داخلي.
أقبلت إليك يا نور قلبي!
أشوق الحق في داخلي،
فأتركت أنك أنت العامل بالبرّ في حياتي!

❖ مع ملاكك السابق - يوحنا المعمدان - لك أترنم متهللاً:
ينبغي لي أن أنقص، وأنت تريد،
لأترك على النوام ضعفاتي،
ولتنمو نعمتك فيّ بلا توقف!
أنا أنقص، حيث أرك بالأكثر جهالاتي،
وأنت تريد، إذ تملك بالأكثر في أعماقي،

تتجلى بالأكثر في أعماقي،
وتملك بالكامل على كل جوانب حياتي.



الأصاحح الرابع

لقاء مع السامرية

رابع النفوس العجيب

كان اليهود يعترفون بالأرض، بكونها " أرض الموعد " التي وهبها الله لإبراهيم أب المؤمنين موائاً لأبنائه. وقد انقسمت في أيام السيد المسيح إلى ثلاثة أجزاء. اليهودية في الجنوب حيث توجد مدينة الله أورشليم والهيكل كأقدس موضع في العالم. والجليل أو جليل الأمم في الجنوب، وهي تضم كثير من الأمم الذين قبلوا الإيمان اليهودي. ثم السامرة وهي في المنتصف، حيث يوجد السامريون الذين يحملون عدوة شديدة متبادلة بينهم وبين اليهود. في هذا الأصحاح نجد السيد المسيح في الثلاث مناطق المذكورة.

جاء السيد المسيح إلى اليهودية بعد أن حفظ العيد في أورشليم (يو ٣: ٢٢)، والآن يتوكها بعد أربعة أشهر من الحصاد [٣٥]؛ أي مكث فيها حوالي ستة أشهر.

في الطريق عبر السيد المسيح على السامرة، والتقى عند البئر بامرأة سامرية تزوجت قبلاً بخمسة رجال والذي معها ليس وجلها. دخل معها السيد في حوار بالوغم من العدا بين اليهود والسامريين، فاجتذبت إلى خلاصها، بل وجعلها كارزة بالخالص. اجتذبتا فتمتعت بالمعونة، وأركت أنه المسيا الذي يخبرنا بكل شيء. وبعد دقائق تركت جرتها لتجتذب المدينة بأموها ويؤمن كثيرون بالسيد المسيح. حقاً من يلتقي وابع النفوس العجيب يشركه سماته، فيصير هو أيضاً رابحاً للنفوس.

خلال هذا اللقاء يحثنا السيد المسيح على العبادة الجديدة، حيث قدم لها ولأهل مدينتها ماءً حياً يفيض في داخلهم. لقد أعلن السيد أنه عوض بئر يعقوب يقدم المياه التي من يشرب منها لا يعطش إلى الأبد، إذ تهب حياة جديدة أبدية [14]. وأن الساعة قد أتت لتتحقق العبادة على مستوى أعظم من جبل جرزيم أو الهيكل، حيث يسجد العابدون للآب بالروح والحق [23]. وأن له طعام جديد وهو أن يفعل مشيئة الذي أرسله [34]. وأن الحقول قد ابيضت للحصاد الجديد [35]. وقد أبرز الإنجيلي أربع شخصيات هامة في الحوار: السيد المسيح، والمرأة السامرية، والتلاميذ، وأهل المدينة، بجانب روي القصة. أما خاتمة اللقاء فهو: "نحن نعلم أن هذا هو بالحقيقة مخلص العالم" [42].

يلحق الإنجيلي هذا اللقاء بقاء آخر بين السيد المسيح وخادم الملك الذي كان يتعجل السيد ليقول ويشفي ابنه قبل أن يموت، سمع الكلمة المحيية: "أول، ابنك حي" فآمن وشفي ابنه. في اللقاء الأول تمتعت المرأة السامرية وكثيرون من أهل سوخار بالحياة الجديدة المقامة، وهو شعب شبه أممي، أو نصف أممي، هو ثوة خلط بين اليهود والكلدانيين. وفي اللقاء الثاني تمتع خادم الملك وأهل بيته بالإيمان المحيي خلال شفاء الابن جسدياً، وهي أسوة غالباً ما كانت أممية.

- 2 . مجيئه إلى السامرة ٤ - ٦ .
 3 . حوار مع السامرية ٧ - ٢٦ .
 4 . كوزة السامرية الناجحة ٢٧ - ٣٠ .
 5 . إيمان السامريين به ٣٩ - ٤٢ .
 6 . ذهابه إلى الجليل ٤٣ - ٤٦ .
 7 . شفاء ابن خادم الملك ٤٧ - ٥٤ .

1 . خروجه من اليهودية

" فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا

أن يسوع يصير ويعمد تلاميذ أكثر من يوحنا". [1]

" مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه". [2]

مع كثرة الأعداد التي نالت العماد على يدي يوحنا، إلا أن للسيد المسيح جاذبيته، لذا جاءت أعداد أكبر لنوال العماد لا من الخادم (يوحنا) بل من سيده (يسوع). لقد ظن الفريسيون أنهم يستريحون من يوحنا بسجنه والخلص منه، فوجدوا يسوع المسيح قد اجتذب أعدادًا أكبر، فامتأوا حسدًا. اهتم السيد المسيح أن يكرز ويجتذب الناس إلى الإيمان به، ثم يسلمهم لتلاميذه للعماد. ولعل السيد المسيح لم يقم بالعماد بنفسه لكي لا يفخر هؤلاء المعمدون على غوهم بأنهم نالوا العماد من يد المسيح مباشرة. وقد اهتم بعض الرسل كبولس الرسول بالكوزة تركًا للعماد لغوه (١ كو ١: ١٧)، ليس استخفافًا بسرّ العماد، وإنما لأن ممرسته أسهل من جذب النفوس بالكلمة. هذا وكل عماد مسيحي باسم الثالوث القديس لا يتممه الكاهن من ذاته، بل هو من عمل المسيح نفسه، الذي يرسل روحه القديس ليهب المعمد روح التبني. قوة العماد لا تتوقف على صلاح خادم السرّ، لأن السيد المسيح وحده خادم السرّ الخفي.

❖ لقد عمد حقيقة إذ هو الذي كان يغسل، وهو لم يعمد لأنه ليس هو الذي كان يلمس. ملس التلاميذ خدمة الجسد، وهو الذي منح عون جلاله... لا زال يسوع يعمد، مادامنا نعمد، يسوع يعمد. ليأت الإنسان إلى الخدمة التي أسفل بلا خوف، إذ له سيد في العلا. يمكن أن يقول أحد أن المسيح يعمد بالحقيقة بالروح لا بالجسد...

رُل الماء لا توجد معمودية، رُل الكلمة لا يوجد عماد (أف 5: 25-27) [448].

القديس أغسطينوس

"ترك اليهودية

ومضى أيضًا إلى الجليل". [3]

كانت الجليل تابعة لهيرودس الذي ألقى القبض على يوحنا ووضع في السجن، فظن أنه يقدر أن يضع النور تحت مكيال، ولم يترك أن النور أوى من الظلمة، وأنه إن قتل يوحنا فرسالته لن تتحطم، إذ جاء السيد المسيح النور الحقيقي نفسه.

٣٠). ولعله لم يكن بعد تلاميذه يحتملون تجرب قاسية، لذلك انطلق بهم من اليهودية. وفي نفس الوقت يقدم لنا درسًا عمليًا أنه متى اضطهونا نذهب إلى مدينة أخرى. انطلق إلى الجليل لأن كثيرون مستعدون للإيمان به، ومحتاجون إلى اللقاء معه، والتمتع بكلماته وأعماله.

❖ وإن سألت: لم ذهب المسيح إلى الجليل؟ أجبتك: لم يمض عن خوف، لكنه مضى ليؤزع حسدهم، لأنه كان قادرًا أن يضبطهم إذا أتوا إليه، إلا أنه لم

يُرد أن يعمل هكذا دائماً حتى لا يُنكر تدبير تجسده، فلو أنه أمسك به كثراً واختفى لشك الكثيرون في أمره (كإنسان)، لهذا السبب كان يدبر أكثر أفعاله أقرب إلي تدبير البشر. وإذ رغبت في أن يؤمنوا به أنه الله، كان يريد أن يؤمنوا أنه الله وقد حمل جسداً، لذلك حتى بعد قيامته قال لتلاميذه: "جسوتي وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لو 24: 39). ولهذا السبب أيضاً انتهر بطرس عندما قال: "حاشاك، لا يكون لك هذا" (مت 16: 22). هكذا كان هذا الأمر موضوع اهتمامه. فإن هذا ليس بالأمر البسيط بالنسبة لتعاليم الكنيسة، بل يمثل نقطة رئيسية في الخلاص المقدم لنا. فيه كل الأمور تتحقق بنجاح، إذ بهذا انحلت رباطات الموت ودخلت ربوات البركات إلى حياتنا. هكذا أراد علي وجه الخصوص أن يؤمن بالتدبير (التجسد) كمصدر وبنوع بركات لا حصر لها لنا. ومع هذا بينما كان مهتماً بناسوته لم يسمح باحتجاب لاهوته [449].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قدم مثلاً للذين سيؤمنون به، أنه إن انسحب أي خادم لله من مكان عندما يرى هياج مضطهديه أو الذين يطلبون نفسه للشر لا يخطئ...؛ فإن السيد الصالح فعل هذا ليعلمنا، وليس لأنه كان خائفاً [450].

القديس أغسطينوس

مجيئه إلى السامرة

"وكان لا بد له أن يجتاز السامرة". [4]

كان لا بد أن يجتاز السامرة، لأنها تقع شمال اليهودية بين البحر العظيم والجليل والأردن، فلا يمكن العبور من أورشليم (اليهودية) إلى الجليل دون العبور على السامرة. هذه الرحلة تحتاج إلى ثلاثة أيام سفر.

السامريون من أصل يهودي سواء من جهة الدم أو الديانة؛ عندما سبى ملك آشور إسرائيل ترك الفقاء في الأرض. وقد حدث زوج بين الأصل اليهودي والجنسيات الأخرى خاصة الآشوريين، قام بتدبوره بعض ملوك آشور مثل شلمنصر (٢ مل ١٧)، كما حدث خلط بين الديانة اليهودية وعناصر غريبة وثنية. تمسك السامريون بأسفار موسى الخمسة وحدها. وبنوا هيكلًا على جبل جرزيم مقابل هيكل سليمان في أورشليم، وحسبوا شكيم وليست صهيون هي بيت أيل أو بيت الله. كانوا أيضاً يملسون الأعياد اليهودية الكورى: الفصح والبنطقستي والمظال ويوم الكفلة. إلى الآن يقدمون حملاً أو أكثر على جبل جرزيم في عيد الفصح.

كانت **السامرة** جزءاً لا يتجزأ من أرض فلسطين، وى إدرهايم أنها تبلغ 47 ميلاً من الشمال إلى الجنوب و40 ميلاً من الشرق إلى الغرب، تحدها اليهودية في الجنوب والأردن من الشرق وسهل شلردن من الغرب وسهل يزرعيل (الجليل) من الشمال، وقد استولت على أرض سبطي منسي وإفرايم. وهي أجمل أراضي المنطقة وأخصبها، تضم العاصمة وهي مدينة السامرة (عاصمة إسرائيل) وبعض المدن القليلة.

جاء السيد المسيح ليلقي بؤة الإيمان الحي في توبة السامرة التي تقبلت الكلمة بالإيمان لا بالمعجزات خلال الوأة السامرية التي بروي لنا الإنجيلي قصة لقاءها مع السيد. وهي قصة فريدة حيث يلتقي بها السيد، وهي شبه أممية، وبحلورها ليخرج بها من خصوصياتها المشينة إلى العمل الكوري، فتجذب مدينة بأسرها في لحظات قليلة وتقودهم إلى مخلص العالم.

أبرز السيد اهتمامه بالسامرة والسامريين، فمدح الأبرص السامري غريب الجنس، الذي وحده نون التسعة اليهود اليرص عاد ليشكر السيد على تطهوه له (لو 17: 15-18). كما قدم لنا مثل السامري الصالح الذي تحرك قلبه بالحب العملي ليهتم بجريح يهودي أكثر من الكاهن اليهودي واللاوي (لو 10: 33-36). وأخيراً وضع علي عنق الوسل اللواتم بالخدمة في السامرة: "تكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع 1: 18).

فتح الرب الباب للسامرة وكل الأمم، لذلك إذ حدث "اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما

عدا الوسل" (أع 8: 1). استقبلت السامرة بعض المؤمنين في العصر الرسولي المبكر. ويروى لنا لوقا البشير عن كورثة فيلبس الرسول في مدينة السامرة "وكان الجوع يصغون بنفس واحدة إلى ما يقوله فيلبس عند استماعهم ونظروهم الآيات التي صنعها... فكان فوح عظيم في تلك المدينة" (أع 8: 5-8).

رُسل أيضا الوسل الذين في أورشليم إلى مؤمني السامرة بطرس ويوحنا ليصليا لهم لكي يقبلوا الروح القدس، فوضعا الأيدي عليهم وقبلوا الروح القدس (أع 8: 14-17).

❖ لم يمضِ إلي الجليل بلا هدف، وإنما لينجز أمورا هامة معينة بين السامريين... بحكمة خاصة به... مظهرًا أنه قام بهذا العمل العرسي أثناء الرحلة. وذلك كما فعل الوسل أيضا، فعندما اضطهدهم اليهود ذهبوا في الحال إلى الأمم، هكذا المسيح أيضا عندما طرده اليهود التقى بالسامريين، وهكذا فعل مع المرأة الفينيقية. هذا كله حدث حتى لا يكون لليهود عذر، ولا يمكنهم القول: "لقد تركنا وذهب إلى أهل الغولة". لقد وجد التلاميذ لأنفسهم عزاء، قائلين: "كان يجب أن نكلمو أنتم ولأ بكلمة الله، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتكم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم" (أع 13: 46). عندما طردوه، فتحوا بابا للأمم. لم يذهب إلي الأمم فرًا وإنما أثناء عبوره [\[451\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأتى إلى مدينة من السامرة"

يقال لها سوخار،

بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه". [\[5\]](#)

سوخار : غالبًا هي شكيم عند سفح جبل الجرزيم، كثيرًا ما ورد ذكرها في العهد القديم. أختنت أهلها على رجاء اتحادهم مع بني يعقوب كشعب واحد، لكن قام شمعون ولوي بقتلهم بعد الختان انتقامًا لاغتصاب شكيم أختها دينا (تك ٣٤: ٢٤ الخ). في شكيم صار أبيمالك ملكًا؛ وفيها أقام يربعام عرشه. وجح البعض أنها قرية "عسكر" على بعد نصف ميل شمالي بئر يعقوب. تبعد حوالي عشرة أميال من شيلوه، ٤٠ ميلاً من أورشليم و٥٢ من ريبا. رى القديس جيروم أنها شكيم وليست سوخار، وكانت تدعى في أيامه نيابوليس [\[452\]](#) Neapolis. اسم المدينة الحالي هو نابلس Naplouse. تدعى "سوخار" وتعني "سكوي" لأن سكانها كانوا محبين للسكرو. وقد اتهم النبي إشعياء (٣٨: ١، ٣؛ ٧ - ٨) أهل افرايم بهذه الجريمة، حيث تقع هذه المدينة في حدودهم.

ورد عن هذه المدينة:

1. أول مدينة وقف فيها اوام في رحلته من حران إلى كنعان.
2. ظهر فيها الله لاوام لأول مرة ليعده بأن يعطيه الأرض لنسله.
3. فيها بنى اوام أول مذبح للوب دعاه باسمه (تك ١٢: ٧).

اشترى يعقوب هذا الحقل من أبناء حمور والد شكيم بمائة قطعة من الفضة أو حملاً (تك ٣٣: ١٩)، وبنى مذبحًا ودعاه إيل إله إسرائيل. وقد ترك يعقوب هذا الحقل كمواث خاص بيوسف وأبنائه (تك ٤٨: ٢١ - ٢٢؛ يش ٢٤: ٣٢).

❖ لعلك تسأل: لم دقق البشير في وصف المكان؟ حتى إذا سمعت المرأة قائلة: "العلك أعظم من أبيتنا يعقوب الذي أعطانا البئر؟" لا تستعرب قولها. فإن هذا هو المكان الذي فيه غضب لوي وشمعون بسبب دينا، وصنعوا مذبحه عنيفة... لم يستخدم السامريون كل الأسفار المقدسة، بل قبلوا كتابات موسى وحدها مع القليل من كتب الأنبياء. لكنهم كانوا مشتاقين إلى إقحام أنفسهم في السلالة اليهودية الشريفة، فيعترون بإبراهيم ويدعونه أباهم، إذ هم من الكلدانيين، ودعوا يعقوب أيضًا أباهم بكونه من نسله. أما اليهود فكانوا يمتقونهم بشدة كسائر الأمم. لذلك وبخا المسيح بالقول: "أنت ساموي وبك شيطان" (يو 8: 48) [\[453\]](#).

"وكانت هناك بئر يعقوب،

فإن كان يسوع قد تعب من السفر،

جلس هكذا على البئر،

وكان نحو الساعة السادسة". [6]

لم يشير العهد القديم إلى هذه البئر، لكن بالتقليد تورث السامريون أن هذه البئر حوفا يعقوب أو استخدمها، فدُعيت بئر يعقوب. وقد صلت فيما بعد للاستعمال العام.

جاءت الكلمة اليونانية *houtoos* لتعني ليس جلوساً على عرش أو رُيكة أو كرسي وإنما على الأرض، على حجلة ملقاة بجوار البئر.

نحو الساعة السادسة، أي الظهيرة، تعب السيد المسيح بسبب السير في وسط حر الظهيرة. كإنسان حقيقي خضع للضعف الجسدي فتعب. في تواضع كان يملس رحلاته مشياً على قدميه، ولم يكن لديه مركبة ولا دابة يمتطيها. وإذا كان جسده رقيقاً لم يحتمل السير حتى الظهيرة بينما لم يجد التلاميذ صعوبة أن يدخلوا المدينة ليشتروا طعاماً. ليس عجباً أن نسمع عن السيد أنه تعب وعطش في وقت الظهيرة، وهناك تركه تلاميذه، فإن هذا المنظر يحمل صورة للسيد المسيح علي جبل الجلجثة حيث اسزاح علي الصليب في وقت الظهيرة وقد حمل أتباعنا وأعلن عطشه لكل نفس بشوية. هناك أيضاً تركه تلاميذه هربين، ليجتاز المعصوة وحده.

❖ جاء المسيح إلى هذا الموضع متجنباً الحياة الرغدة، سالماً الطريق المتعب مجاهداً، لأنه لم يستعمل حمواً في هذا السفر، لكنه مشى بقدميه كثراً حتى تعب من سوه. وهذا الفعل يعلمنا إياه في كل موضع، أن نعمل مجاهدين لأجل احتياجاتنا نون الكماليات، فلهذا السبب قال: "للتعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه" (مت 8: 20) ولأجل هذا الغرض كان يقيم أكثر أوقاته في الجبال والوري، ليس في النهار فقط، بل وفي الليل أيضاً. هذا أعلنه داود حين قال: "من الجدول يشرب في الطريق" (مز 110: 7)، مظهراً بهذا طريقة حياته المجاهدة [454].

❖ إن أردت أن تطلب يسوع فلتترك الأهراس المكسورة، لأن المسيح اعتاد أن يجلس ليس بجوار بركة بل بجوار بئر. هناك وجدته الوأة السامرية، هذه التي آمنت، ورأدت أن تسحب ماءً. وإن كان يجب أن تأتي في ساعة مبكرة صباحاً، مع ذلك فإن أنت في الساعة السادسة تجد يسوع متعباً من رحلته.

إنه متعب بسببك، إذ طال وقت بحثه عنك. عدم إيمانك جعله متعباً. ومع هذا فإنك إن أتيت لا يعترض قط. إنه يسأل أن يشرب ذاك الذي في طريقه أن يعطي. لكنه يشرب لا من ماء جدول يفيض، بل يشرب خلاصك. إنه يشرب من تصرفاتك الصالحة، يشرب الكأس أي الآلام التي يكفر بها عن خطاياك، حتى إذ تشرب من دمه المقدس تروي عطش هذا العالم. هكذا تمتع إواهيم بالله بعد أن حفر بؤراً (تك 30: 21). واسحق تقبل زوجته وهو سائر بجوار البئر (تك 24: 62)، التي كانت قادمة إليه كرمزٍ للكنيسة... رقيقة وجدت من يبحث عنها عند البئر، والزانيات اغتسلن من الدم في مياه البركة (1 مل 36: 22) [455].

❖ قوة المسيح خلقتك، وضعف المسيح (تعبه) جدد خلقتك. قوة المسيح أوجدتك حيث لم تكن؛ وضعف المسيح جعل ما يؤرم دمه ألاً يهلك. لقد خلقنا بقوته، وبحث عنا بضعفه [456].

❖ كضعيفٍ أنعش الضعفاء، كما تفعل الدجاجة بواخها. إذ شبه نفسه بالدجاجة، يقول لأورشليم: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة

فأخا تحت جناحها ولم تويبوا" (مت 23: 37). وأنتم ترون يا أخوة كيف تصير الدجاجة ضعيفة مع فإخاها. ليس بين الطيور عندما تصير أمًا تعرف أن تفعل هكذا... جناحاها يتدليان، وريشها يتساقط، وصوتها يصير أجش، وكل أعضائها تصير غاؤة وهزيلة، وكما قلت حتى عندما تراها بدون فإخاها تعرف أنها أم.

هكذا يسوع ضعيف ومتعب في رحلته. رحلته هي الجسد الذي أخذه من أجلنا. إذ كيف يكون لذلك الحال في كل مكان رحلة، هذا الذي ليس

بغائب في أي موضع؟...

كان يسوع ضعيفاً في الجسد، لكي لا تصير أنت ضعيفاً، بل في ضعفه تصير قوياً، لأن "ضعف الله أقوى من الناس" [457].

❖ خلقت المرأة، كما لو كانت قوية، من الضلع؛ و آدم، كمن هو ضعيف، من الزاب. إنه المسيح والكنيسة، ضعفه هو قوتنا [458].

❖ لماذا نحو الساعة السادسة؟ لأنه تحقق ذلك في المرحلة السادسة من العالم. ففي الإنجيل تُحسب كل مرحلة ساعة. المرحلة الأولى من آدم إلى فوح، والثانية من فوح إلى إواهم، والثالثة من إواهم إلى داود، والرابعة من داود إلى السبي البابلي، والخامسة من السبي البابلي إلى معمودية يوحنا، ومنذ ذلك الوقت تبدأ المرحلة السادسة [459].

القديس أغسطينوس

❖ جلس هكذا، ماذا يعني بهذا؟ "ليس علي عوش ولا عل وسادة، ولكن ببساطة كما علي الأرض" [460].

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. حوار مع السامرية

" فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء،

فقال لها يسوع:

اعطيني لأشرب". [7]

مجيء المرأة عند الظهيرة بعد أن حمل الرجال والنساء مياههم إلى منزلهم يكشف عن موقف الشعب منها؛ إذ لم تكن لها المرأة أن تواجه

أحدًا، فجاءت في وسط الحرّ لتستقي ماء من البئر بمفودها. مسيحا هو إله الموثولين والمطرودين، يخرج منهم أبناء الملكوت وكارزين بالحق.

واضح أن هذه المرأة السامرية كانت فقيرة، ليس لها خادم يُحضر لها ماءً من البئر، وأنها مكافحة ذهبت بنفسها إلى البئر لتأتي بالماء.

هذا اللقاء يذكرنا برفقة راحيل وابنة يثرون كيف تزوجن خلال اللقاء عند البئر بزيجات مبركة باسحق ويعقوب وموسى. هكذا وجدت

السامرية عريس نفسها عند بئر يعقوب. ونحن نجد مسيحا عريساً لنا عند جرن المعمودية.

بدأ السيد المسيح حواره معها بطلب متواضع: أن يشرب ماءً. ذلك الذي من أجلنا افتقر، الآن من أجلنا صار شحاذًا لكوب ماء، ليس لاحتياج

شخصي، وإنما ليكشف لها عن احتياجها هي إليه، فتشرب وترتوي من ينابيع نعمته الغنية.

❖ ماذا تعني "أنا عطشان"؟ "إني أتوق إلي إيمانك" [461].

❖ ذلك الذي سأل أن يشرب كان في عطشٍ إلى إيمان المرأة نفسها [462].

القديس أغسطينوس

❖ هنا نتعلم من جهاده في رحلته، وعدم اهتمامه بالطعام، وكيف تطلع إليه كأمرٍ قليل الأهمية. وقد تعلم التلاميذ أن يستخدموا تدبيرًا مشابهًا، إذ لم

يأخذوا معهم أية مؤونة للطريق. يعلن ذلك إنجيلي آخر قائلاً بأنه عندما تحدث السيد معهم عن "خمير الفريسيين" (مت 16:6) ظنوا انه قال هذا لأنه لم

يكن معهم خبز، وعندما قدمهم لنا وهم يقطفون سنابل القمح ويأكلوا (مت 12: 1)، وأيضا قال أن يسوع جاء إلي شجرة التين إذ كان جائعًا (مت 21:

18)، كل هذا أوردته لا لشيء سوى أن يعلمنا بهذا أن نستخف بالبطن، ولا نحسب خدمتها أورا يفلق انتباهنا [463].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة لبيتاعوا طعاماً". [8]

❖ في هذا الموضع لم يظهر فقط جهاده، وإنما أظهر تحرره من الكبرياء، ليس فقط بكونه كان متعباً ولا بجلوسه علي جانب الطريق، وإنما بتركه وحده وترك تلاميذه له. فكان في قوته - إن أراد - ألا يوسلهم جميعاً، أو يترك البعض يذهب والآخرين يخدمونه. لكنه لم يرد هذا، فقد جعل تلاميذه يعتادون علي وطأ الكبرياء تحت أقدامهم.

وأي عجب إن كانوا يسلكون باعتدال في اشتياقاتهم ما داموا كانوا صيادي سمك وصانعي خيام؟" نعم كانوا صيادي سمك وصانعي خيام، لكنهم في لحظة صعوا حتى إلى أعالي السماء، وصلوا أكثر كرامة من كل الملوك الأرضيين، إذ حسوا أهلاً أن يصيروا في رفقة رب العالم، وأن يتبعوا ذلك الذي يتطلع الكل إليه وعدة. وأنتم تعلمون هذا أي أن الذين كانوا على وجه الخصوص من أصل وضيع عندما ينالون امتيازاً بسهولة شديدة ينتفخون في غلوة، إذ يجهلون تماماً كيف يحتملون كرامتهم التي نالوها فجأة. لهذا فلكي يحفظهم في تواضعهم الحاضر كان دائماً يعلمهم أن يكونوا معتدلين، ولا ينتظروا أحداً يستقبلهم (بكرامة) [464].

القديس يوحنا الذهبي الفم

بينما مضى التلاميذ إلى المدينة ليشتروا طعاماً استغل السيد هذه الفصة ليدخل في حوارٍ مع المرأة السامرية، ويسحبها هي وأهل المدينة لخالصهم. هذا هو طعامه الحقيقي أن يتم مشيئة الأب، وهي خلاص النفوس.

❖ مسيحا الذي يهتم بالحديث مع الجماهير يهتم أيضاً أن يلتقي مع شخص واحد، امرأة فقوة غريبة الجنس وسامرية تحمل عداءً لليهود. ذهبوا لبيتاعوا أطعمة، لأنهم لم يكونوا مثلنا نحن الذين عندما ننهض من أسرتنا نهتم قبل اهتماماتنا كلها بهذا الأمر، وهو أن نستدعي طبائخين ومصلحي أطمعتنا وخدام موائدنا ونوصيهم بحرص كثير على إصلاح مأكولاتنا، وبعد ذلك نمرس أشغالنا العادية كلها، ونهتم بها قبل الأشغال الروحية، لأنه كان واجباً علينا على خلاف ذلك أن نجعل اهتمامنا بالأشغال الروحية كثوفاً، وبعد أن نتممها حينئذ نمرس أيضاً الأشغال العادية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فقالت له المرأة السامرية:

كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟

لأن اليهود لا يعاملون السامريين". [9]

لقد عرفت السامرية أنه يهودي من ملبسه المختلف عن السامريين أو من لهجة حديثه. وما شغل قلبها ليس أن تعطيه الطلب أو ترفضه، وإنما لهجة حديثه التي لم تحمل عداءً مع أن السامريين كانوا خصوماً لليهود (عز ٤ : ١). وهي تعلم ما يحمله اليهود من حقدٍ وضغينة ضد السامريين، حيث ينتظرون إليهم أن لا نصيب لهم في القيامة، وأنهم في نظرهم تحت اللعنة ومحرومون من شعب الله. وأنه لا يجوز أن يأكل يهودي طعاماً لسامري لئلا ينتجس كمن يأكل لحم خنزير. أما السيد المسيح فلم ينشغل بالعدوة التي بين اليهود والسامريين، إنما ما يشغله جذبه للنفس لتتمتع بخالصه.

دُهشت المرأة السامرية لموقف السيد المسيح، فإنه ما كان يمكن لليهودي أن يطلب شيئاً من سامري، مهما بلغ احتياجه، أو واجه من متاعب ومصاعب، نون أي استثناء. كما دُهشت كيف يتوقع من سامرية أن تعطيه طلبه بينما يحمل السامريون عداءً لليهود.

لم يكن هناك تعامل بين اليهود والسامريين سواء من جانب العبادة أو التجارة، بل ولا يجوز لليهودي أن يستعير إناءً من سامري أو يشركه نفس الطعام.

❖ ومن أية جهة ظننت أنه يهودي؟ لعلها ظننت ذلك من ملبسه ومن لهجة كلامه.

تأمل كيف كانت المرأة السامرية مؤدبة، لأنها لم تقل إن السامريين لا يختلطون باليهود ، لكنها قالت لا " لأن اليهود لا يعاملون

السامريين" [465].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لقد ترجت في معرفة السيد المسيح بفضل حديثه وإعلاناته التريجية.

■ في بداية حديثه معها حسبته يهوديًا لا يخاطب السامريين [9].

■ دعتة: "يا سيد" [11].

■ توقعت أنه أعظم من يعقوب أب الأسباط [12].

■ آمنت أنه واهب المياه الحية [15].

■ أنه نبي [19].

■ توقعت أن يكون المسيا المنتظر [25]، فقال لها: "أنا الذي أكلمك هو" [26].

"أجاب يسوع وقال لها:

لو كنت تعلمين عطية الله،

ومن هو الذي يقول لك اعطيني لأشرب،

لطلبت أنت منه،

فأعطاك ماءً حيًا." [10]

سحب السيد المسيح هذه المرأة إلى طريق الخلاص، لا بالهجوم على العبادة في السامرة، بكونها منسقة، وأنها قد شوهدت الإيمان والعبادة، وإنما بسحب فكرها من الانشغال بالعدوة القائمة بين الفريقيين إلى الدخول إلى أعماق نفسها لتعطش إلى الماء الحي، وترك حاجتها إلى المخلص. الآن ليس الوقت للزواج، بل للجلوس الهادئ مع النفس والتمتع بعطايا الله المجانية. فقد حان وقت انتقاد الله للعالم كله برسالة المسيح المخلص. شهوة قلب السيد المسيح أن نعفه، فنطلبه ونقتنيه، فنرتوي منه أبدًا!

ما تحتاج إليه هو المعرفة الصادقة: "لو كنت تعلمين عطية الله"، "ومن هو الذي يقول لك..." معرفة عطية الله لها، ومعرفة المتحدث معها،

لأنه هو العطية العظمى! هو كنز الحب الإلهي الفائق، المروي للنفس الظمًا. إنه ليس قرضًا نستدين به لئلا نؤديه، بل عطية مجانية، يُسر الآب أن يقدمها

للشريعة.

لم تكن تترك عطية الله الذي أرسل ابنه الوحيد ليبيد ذاته عن العالم (يو 3: 16)، ولا عطية الروح القدس الذي يفيض في النفس كنهير يرويه

ويروي آخرين، ويقدم الروح مواهب روحية لا حصر لها لخلاص العالم. هذه العطايا إلهية مجانية قدمها الله من أجل مبارته بالحب لنا ونحن بعد

أعداء. تبقى هذه العطية مصدر معرفة إلهية مستورة حتى في الحياة الأبدية: "وَرَأَيْتِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ، لَامِعًا كَبَلُورٍ خَلَجًا مِنْ عَرْشِ اللَّهِ

وَالْخُرُوفِ" (رؤ 22: 1).

❖ عطية الله هو الروح القدس. لكنه حتى ذلك الحين كان يتحدث مع المرأة بحرص، ويدخل إلى قلبها تريجيًا [466].

القديس أغسطينوس

"الماء الحي" هو تعبير شائع لبناييع المياه التي تفيض بلا توقف، يقابله "الماء الميت" الراكد في البرك والمستنقعات ومخزن المياه حيث

تعرض للتلوث. يشير الماء الحي إلى الروح القدس الذي يروي النفس ويحول قواها إلى فردوسٍ مثمر، ويغسل ما في النفس من دنس.

❖ أوضح المسيح هنا أن المرأة (السامرية) مستحقة أن تسمع، وليست أهلاً للإعراض عنها، وبعد ذلك كشف لها عن ذاته. فإنها ما أن تعلمت من هو،

للحال استمعت إليه وأصغت، الأمر الذي لا يُقال عن اليهود، لأنهم إذ تعلموا لم يسألوه شيئاً، ولا رغبوا في الانتفاع بأمرٍ ما منه، بل شتموه

وطردوه [467].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ 3:42 هذا هو الماء الذي عطش إليه داود. إذ تشتاقي الإيل إلى ينوع تلك المياه (مز)، ولا تعطش إلى سم الحيات. لأن مياه نعمة الروح حية، تطهر الأجزاء الداخلية للعقل وتغسل كل خطية للنفس، وتطهر عصيان الأخطاء الخفية [468].

القديس أمبروسيوس

"الطلبِ": المعونة الصادقة تدفعنا نحو الصلاة والطلبية. فإله من جانبه مستعد أن يهب، لكنه ينتظر أن نعلن رغبتنا في الأخذ، نطلب فنأخذ.
"قالت له المرأة:

يا سيد لا دلو لك والبنر عميقة،

فمن أين لك الماء الحي؟" [11]

وى Maundiell أن عمق البئر كان حوالي ٣٥ ياردة [469] ، استخراج الماء يتطلب دلوًا وحبلاً طويلاً لم يكن مع السيد ولا مع تلاميذه. بدا لها ما يقوله السيد ليس بمنطقي، لأنه كان يحدثها عن الروحيات بينما كانت هي تفكر بطريقة مادية. ومع هذا فمن لهجة حديثه شعرت بالالتزام أن تحترمه وتوقره، فبدأت تقول: "يا سيد".

اعترت السامرية بالبئر التي حفرتها يد بشوية، ولم تترك أنها أمام الينوع الإلهي الحي. فقد سبق فعاتب الرب شعبه قائلاً لهم: "شعبي عمل شرين، تركوني أنا ينوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشققة لا تضبط ماء" (إر 2: 13).

❖ انظر كيف أجابت المرأة المسيح بأوفر دعة قائلة: "يا سيد لا دلو لك والبنر عميقة فمن أين لك الماء الحي؟" لأنها لم تدعه هنا سيداً على بسيط ذات التسمية، لكنها كرمته كثراً. والوهان على أنها قالت هذه الأقوال مكرمة إياه، أنها ولم تضحك عليه، لكنها تحيرت بسوعة. وإن كانت لم تفهم في الحال كل ما يجب أن تفهمه عن المسيح فلا تتعجب، لأنه ولا نيقوديموس فهم معنى كلام المسيح.
تأمل ما قاله نيقوديموس: "كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ؟ أعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟" (يو 3: 4)، أما هذه المرأة فكانت أوفر توقراً من نيقوديموس، إذ قالت: "يا سيد لا دلو لك والبنر عميقة، فمن أين لك الماء الحي؟" كان يمكنها أن تقول قولاً على سبيل التهجم: "لو كنت تمتلك هذا الماء الحي لما طلبت مني ماءً، بل تعطيه لنفسك أولاً، فأنت الآن إنما تفتخر بذلك". إلا أنها لم تنطق بلفظ من هذه الألفاظ، لكنها أجابت بوداعة كثرة في ابتداء الخطاب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ألعك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر،

وشرب منها هو وبنوه ومواسيه؟" [12]

كان السامريون يحسبون أنفسهم أبناء يعقوب، لأنهم أسباط إسرائيل العشوة التي انشقت أيام يربعام، لكنهم كمارأينا صاروا يحملون دمًا غريباً من أمم مختلفة.

❖ كأن المرأة السامرية تقول للمسيح: "إن أبانا يعقوب قد أعطانا هذه البئر ولم يستعمل بؤاً غوها، لأنه هو والمنسوبيين إليه شربوا من هذه البئر، فما كانوا يشربون منها لو كانوا يمتلكون أفضل منها، فما تقدر أنت أن تعطينا أفضل من هذه البئر ومن هذا الماء. ولا يمكنك أن تمتلك بؤاً أخرى أفضل من هذه. إن لم تعترف بأنك أعظم من أبينا يعقوب، فمن أين تمتلك الماء الذي تعدنا أن تعطيه لنا؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

حسن أن تعترف السامرية ببئر أبيها يعقوب، لكنها لم تعرف كيف تعبر خلاله إلى إله يعقوب واهب المياه الحية. كان يليق بها أن تنطلق مع يعقوب أبيها لتوى سلم يعقوب الصاعد من رأسه إلى السماء، فتتهلل بالصليب فاتح أبواب السماء للعالم كله! وحسن أن تناقش السجود لله: هل على جبل أورشليم أم على جبل جرزيم لكي تعبر مع رجال العهد القديم القديسين إلى ما وراء الجبال، فتنمتع بالسجود لله بالروح والحق. ما أعظمها وهي تتلمس فيه أنه المسيا الذي تترقبه الأجيال ليخوهم بكل شيء، فتأهلت أن يعلن لها: "أنا الذي أكلمك هو". بلغت قمة الإعلان الإلهي بفم المخلص نفسه، ففاقت الكثيرين.

"أجاب يسوع وقال لها:

كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا". [13]

❖ لم يجبها: "نعم، أنا أعظم من يعقوب"، لكنه بلغ هذا الهدف بحديثه معها... راعبًا في إيضاح طبيعة الأمور، ومدى الفوق الشاسع والاختلاف الكامل بين شخصي المعطين [470].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الماء الذي في البئر هو ملذات العالم في أعماقه المظلمة، من هذا يسحب البشر بؤانيهم التي للشهوة... لتحسبوا الشهوة هي الدلو، واللذة هي الماء الذي من عمق البئر. عندما يحصل شخص على لذة هذا العالم، فإن هذا بالنسبة له طعام وشوَاب وحمَّام وأبهة وسلاح، فهل يمكنه ألا يعطش مرة أخرى؟ [471]

القديس أغسطينوس

"ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا،

فلن يعطش إلى الأبد،

بل الماء الذي أعطيه، يصير فيه ينوع ماء، ينبع إلى حياة أبدية". [14]

لم يوبخها السيد المسيح لأنها ظننت يعقوب أعظم منه، وماء البئر أفضل من مائه الحي، بل في لطفٍ شدي بدأ يكشف لها عن الماء الحي، مقلِّدًا إياه بماء بئر يعقوب. أوضح أنه لا وجه للمقارنة بين ماء يروي الجسد إلى حين، وماء يسند النفس أبدًا ويرويها، فلا تعتاز إلى شيء. الماء الذي يقدمه السيد له ميزات خاصة:

- هو عطية إلهية "أنا أعطية"، لذا يهب فوحًا إلهيًا: "فتستقون مياهاً بوحٍ من ينابيع الخلاص" (إش 12: 3).
- يهب حياة أبدية بلا احتياج، "لن يعطش إلى الأبد". "من يقبل إلي فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا" (يو 6: 35).
- ماء داخلي في النفس "يصير فيه". لذا يناجيه واهب المياه الحية، قائلاً: "أختي العروس جنة مغلقة، عين مغلقة، ينوع مختوم" (نش 4: 12).
- يحول الأعماق إلى ينوع فياض على الغير. "من آمن بي كما قال الكتاب تجوي من بطنه أنهار ماء حي" (يو 7: 38).

يسمي السيد المسيح الروح نلًا، مشورًا إلى النعمة التي تنشط وتدفع، قارة على محو الخطايا والتطهير منها، كما أنه في تعبوره عنه بالماء يعلن عن قوته على التنظيف وإزالة الأوساخ، والانتعاش العظيم الذي تحدثه في العقول التي تقبل الروح.

اشتتهى الأنبياء هذه المياه الحية، حيث يسمعون الدعوة المقدمة للكل: "أيها العطاش جميعًا، هلموا إلى المياه" (إش 55: 1). كما قيل: "لا يجوعون ولا يعطشون، ولا يضوبهم حر ولا شمس، لأن الذي ورحمهم يهديهم، وإلى ينابيع المياه يوردهم" (إش 49: 10). كما قيل في سفر الرؤيا: "لن يجوعوا بعد، ولن يعطشوا بعد، ولا تقع عليهم الشمس، ولا شيء من الحر، لأن الخروف في وسط العرش وعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية" (رؤ 7: 16).

❖ يعني بهذا مياه المعمودية المخلصة، والتي بالحق قدمت مرة ولن تُعاد ثانية [472].

القديس كيريلانوس

- ❖ يسمي الكتاب المقدس نعمة الروح القدس أحياناً نراً وأحياناً ماءً، مظهرًا أن هذه الأسماء لا تصف جوهه بل عمله. لأن الروح القدس غير منظور ولا مركب، ولا يمكن أن يتألف من موادٍ مختلفةٍ. لقد أعلن يوحنا (المعمدان) ذلك قائلاً: "هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (مت ١٣: ١١). أما الآخر (يوحنا الإنجيلي) فيقول بلسان السيد المسيح: "من آمن بي، كما قال الكتاب، تحري من بطنه أنهار ماء حي" (يو ٧: ٣٨). قال هكذا عن الروح الذي كان المؤمنون مزعمين أن يقبلوه. وفي حديثه عن السامرية دعا الروح ماء "لأن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد" [473].
- ❖ إذ سمع المسيح قول المرأة له: "فمن أين لك الماء الحي، ألعك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر؟" [11، 12] ترك يعقوب وخاطبها في وصف الماء قائلاً: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً".

سمعت المرأة من قبل هذا القول: "الماء الحي" لكنها لم تفهم، لذلك أوضح لها المسيح هذا المعنى أفضل إيضاح فقال: "لكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد"، لأن هذا أعظم سموًا من الماء بكثير، فكما أن من يملك بئرًا موضوعة داخل منزله لا يعاني من العطش في وقت من الأوقات، كذلك من يمتلك هذا الماء لن يعطش في وقت من زمانه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ واضح أن هذه البئر هي نعمة الروح، جدول يفيض من ينوع حي. فالروح القدس هو أيضًا ينوع الحياة الأبدية... حسنة هي هذه المياه، نعمة الروح القدس... ليتها تفيض في، ليت هذه التي تعطي الحياة الأبدية تفيض علي.
- ليفيض الينوع علينا، ولا يفيض بعيدًا عنا. إذ تقول الحكمة: "اثرب مياهًا من وأنيك، ومن ينابيع آبؤك، ولتفض مياهك في شورعك" (راجع أم 17-16: 5). كيف احتفظ بأنيتي حتى لا يتسلل إليها شقوق الخطية، فلا تتسرب منها مياه الحياة الأبدية؟
- علمنا أيها الرب يسوع، علمنا كما علمت رسلك قائلاً: "لا تكثروا لكم كنوزًا على الأرض حيث لا يفسد السوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون" (مت 6: 19-20) [474].

القديس أمبروسيوس

- ❖ حينما يتحقق الوعد للشخص المطوب لأنه يروح ويعطش إلى البر (مت ٥: ٦)، فإنه يشرب من الماء الذي يعطيه، فيكون له ينوع ماء يثب (يفيض) إلى حياة أبدية، يقوم فيه [475].
- ❖ يليق أن يلاحظ الشخص بأن الوعد بالماء لم يُعط للمرأة السامرية عندما سألته ذلك، كما لو أن يسوع يريد ألا يقدمه إلا من الينوع، إذ قال لها: "أذهبي وأدع زوجك وتعال" [١٦] [476].

العلامة أوريجينوس

- ❖ إن كان العلامة أوريجينوس قد كرس طاقاته وقدراته منذ طفولته للتمتع بالكتاب المقدس وشوحيه لكنه ميّز بين مياه الكتاب المقدس والمياه التي يقدمها رب المجد يسوع. فإن الكتاب يفيض بالأسرار الإلهية على النفس لنتمتع بالشركة مع الثالوث القنوس، لكن تبقى بعد الأسرار يحتفظ بها الرب يسوع ليقدّمها سواً للنفس المتحدة معه. إنه العريس السملوي الذي يفيض بأسوره على عروسه في مجال العرس.
- ❖ حقًا إن الكتاب المقدس لا يحوي بعض جوانب من أسرار الله التي هي بالأكثر رباتية وإلهية، والتي لا تحوي صوتًا بشريًا ولسانًا إنسانيًا، وذلك كما يُفهم من المعاني المعنية: "وأشياء أخر كثيرة أيضًا صنعها يسوع، إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة" (راجع يو ٢١: ٢٥).

لقد مُنح يوحنا من الكتابة عندما بدأ يسجل كل ما قالته السبعة عود (رؤ ١٠: ٤). بولس أيضًا يقول أنه سمع كلمات لا يسوغ النطق بها (٢ كو ١٢: ٤). هذه الكلمات لم يكن مسوح لأحدٍ أن يعلنها...

أظن أن كل الكتب المقدسة حتى حين تُترك بكل دقة ليست إلاً مدخلاً للمبادئ ومقدمة مختصة لكل المعرفة... ماء يسوع هو ذلك الذي يفوق ما هو مكتوب (١ كو ٤: ٦).

الآن غير مسوح للكل أن يمتحن الأمور التي تفوق ما هو مكتوب (١ كو ٤: ٦) ... "لا تطلبوا لكم الأمور الفائقة العلو، ولا تبحثوا ما فوق قوتكم" (راجع ابن سواخ ٣: ٢١)...

أيضاً الأمور التي لم تدخل قلب إنسان هي أعظم من بئر يعقوب. تُعلن هذه الأمور من ينوع ماء يفيض (يثب) إلى حياة أبدية للذين لم يعد بعد لهم قلب إنسان، لكنهم قادرين على القول "لنا فكر المسيح" (١ كو ٢: ١٦). "لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التي نتكلم بها أيضاً، لا بأقوال تُعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس" (١ كو ٢: ١٢-١٣)...

الكتب المقدسة إذن هي مقدمات، تُدعى بئر يعقوب. إذ تُترك بدقة للحال يلتزم الشخص أن يصعد منها إلى يسوع، لكي يتمتع بسخاء بينوع يثب إلى حياة أبدية.

لكن ليس كل أحد يسحب ماءً من بئر يعقوب بنفس الطريقة. فإن كان يعقوب وبنيه ومواشيه شربوا منها (يو ٤: ١٢)، والورأة الساموية أيضاً جاءت إليها وشربت ماءً وعطشت، لكن ربما شرب يعقوب وبنيه بطريقة ما بمعرفة كاملة، وشربت مواشيه بطريقة أخرى في بساطة مثل الحيوانات، والساموية شربت بطريقة أخرى غير يعقوب وبنيه ومواشيه. فالبعض حكما يشربون من الكتب المقدسة مثل يعقوب وبنيه. آخرون أكثر بساطة وواء يُدعون "قطيع المسيح" (يو ١٠: ٢٦) يشربون مثل مواشي يعقوب. وآخرون يسيئون فهم الكتب المقدسة ويستخدمون أموراً غير لائقة ينسبونهم للنصوص التي يفهمونها من الكتب المقدسة، هؤلاء يشربون مثل الورأة الساموية قبل إيمانها بيسوع [477].

العلامة أوريجينوس

❖ يوجد ماء حي، ينطق فيّ قائلاً: "تعال إلى الأب" [478].

القديس أغناطيوس الأنطاكي

❖ بما أن طبيعتنا تحولت إلى حجرة بواسطة عبادة الأصنام، وأصبحت مُجمدة في الوثنية الباردة، وغير القاورة على التقدم، وزغت شمس البرّ (ملا 2:4). في هذا الشتاء القارس تحقق ظهور الربيع. ورألت رياح الجنوب الدافئة آثار الورد، وأدخلت أشعة الشمس المشوقة الدفء في كل الأرض. لذلك، فالجنس البشوي الذي كان قد تحول إلى حجرة بواسطة الورد، قد يشمل الدفء بواسطة الروح القدس أشعة كلمة الله، وهكذا يصبح موه أخرى مثل المياه التي تهب الحياة الأبدية (يو 4:14). "المحول الصخرة إلى غوان مياه، الصوان إلى ينابيع مياه" (مز 8:114).

القديس غريغوريوس النيسي

"قالت له الورأة:

يا سيد اعطني هذا الماء لكي لا أعطش،

ولا آتي إلى هنا لأستقي". [15]

❖ لما قال المسيح للورأة: "الماء الذي أعطيه بصير فيه ينوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" قالت الورأة في الحال: "يا سيد اعطني هذا الماء". رأيت كيف أن الورأة سعدت قليلاً قليلاً إلى التعاليم العلوية؟ لأنها في الأول ظنت أن المسيح شخص يهودي منحرف عن شريعته... ولما سمعت الورأة "ماء حياً" [14] ظنت أن هذا القول قد قيل في وصف ماء محسوس، وصدقت أن ذلك الماء يقدر أن يبطل العطش، ولم تعرف بعد ما هو هذا الماء، لكنها تحوت أيضاً فظنت أنه أعلى قوفاً من المياه المحسوسة، وقالت: "اعطني هذا الماء لكي لا أعطش، ولا آتي إلى هنا لأستقي".

رأيت كيف أن الورأة فضلت المسيح على رئيس الآباء إذ أوضحت رأيها في يعقوب ومقدار عظمتها وعرفت الأفضل منه؟

❖ هنا اكتسبت بصوة أكثر جلاءً. لكنها لم تكن قد أركت بعد الصورة الكاملة، لأنها قالت: " اعطيني هذا الماء حتى لا أعطش، ولا آتي إلى ههنا

لأستقي" [١٥] . هنا تفضله عن يعقوب. لأن لسان حالها يقول: "لن أحتاج إلى هذه البئر مادمت أنال منك هذا الماء..." بعد أن أوضحت تقدوها ليعقوب، شاهدت من هو أفضل منه، وبهذا لم تعقها أفكارها السابقة... ولا كانت مجادلة متعودة [480].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بالحق قد ظهر واضحاً أن القول: "طلبتِ أنتِ منه، فأعطاكِ ماءً حياً" [١٠] صادق. لأنها عندما قالت: "أعطني من هذا الماء" [١٥] تسلمت الماء الحي، فلا تكون بعد في حالة فقدان عندما تعطش، كما لا تأتي إلى بئر يعقوب لتسحب ماءً.

تستطيع الآن أن تتأمل في الحق بعيداً عن ماء يعقوب، بطريقة ملائكية تفوق الإنسان. لأن الملائكة ليسوا في حاجة إلى بئر يعقوب لكي

يشربوا.

كل ملاك له في داخله ينوع ماء ينثب إلى حياة أبدية وُجد بواسطة الكلمة، ويُعلن به وبالحكمة نفسها.

على أي الأحوال إنه غير ممكن للشخص الذي لا ينشغل باجتهاد قادمًا إلى بئر يعقوب، وساحبًا ماءً منه بسبب عطشه، أن يقبل الماء الذي يعطيه الكلمة الذي يختلف عن بئر يعقوب. لهذا، كثير من الناس، في عجزٍ شديدٍ في هذا الجانب، في تريب أنفسهم لمدة طويلة على سحب ماء من بئر

[481]

يعقوب

العلامة أوريجينوس

" قال لها يسوع:

أذهبي وادعي زوجك وتعالِي إلى ههنا". [16]

حوّل السيد المسيح الحوار من الحديث عن الماء إلى الحديث عن حياتها الزوجية، فإن كانت قد أُركت أنها في حاجة إلى ماء من صنفٍ جديدٍ

قادر أن يروي، ويهب حياة أبدية، فإنه يؤمها أن تعيد تقييم حياتها الزوجية، فإنها في حاجة إلى عريس لنفسها.

أوضح السيد المسيح لها، دون أن يوح مشاعرها، أنه يعرف ما في قلبها كما يعرف كل أسرها العائلية، لكي يحثها على الشعور بالخطية

وحاجتها إلى التوبة.

"أجابته المرأة وقالت:

ليس لي زوج.

قال لها يسوع:

حسنًا قلتِ ليس لي زوج". [17]

ياله من طبيب إلهي ماهر، فقد كشف عن علة المرأة، وبدأ بمشوطه الإلهي أن يضوب في الجسد لكن بمهلة وقوة وحب، فجعلها تعترف بما

لم يكن لامرأة أن تنطق به: "ليس لي زوج". لم يصدر اعترافها عن تبكيّ جرح، ولا عن تشهيرٍ بها حتى أمام نفسها، إنما بحبه أيقظ ضمورها، وكشف

لها عن شخصه، فاطمأنت له وصلحته بحقيقة موقفها، إذ أُركت أنه قادر أن يضمم حواحاتها ويرد لها صحتها الروحية.

❖ لقد قلنا قبلاً أن الناموس الذي يحكم النفس، حيث يخضع كل أحد ذاته له، هو الزوج. الآن نقتبس شهادة عن ذلك من الرسول في رسالته إلى أهل

رومية حيث يقول: "أم تجهلون أيها الأخوة، لأنني أكلم العرفين بالناموس، أن الناموس يسود على الإنسان ما دام حياً... فإن المرأة التي تحت رجل

هي متبطة بالناموس بالرجل الحي" (رو ٧: ١-٢). كما أن رجلها الحي يعني من كان رجلها هو الناموس. يقول بعد ذلك: "ولكن إن مات الرجل

فقد تحررت من الناموس، الرجل... إذ لا تعود تتم واجبات الزوجة نحو الزوج... الآن فقد مات الناموس حسب الحرف، ولم تعد النفس زانية إذ

تصير لرجلٍ آخر، أي توتبط بالناموس حسب الروح. لكن عندما يموت الرجل عن الزوجة، ربما يُقال أيضًا أن الزوجة قد ماتت عن الزوج. إذ نحن

بالتبعية نفهم العبارة هكذا. "إذًا أنتم أيضًا قد متم للناموس بجسد المسيح، لكي تصيروا لآخر للذي قد أُقيم من الأموات لئثمر لله" (رو ٧: ٤).

إذن إن كان الزوج يُعرف بأنه الناموس، والساموية لها زوج إذ أخضعت نفسها إلى ناموس ما على أساس سوء فهم للتعاليم السليمة، الناموس الذي به كل مبتدع يود أن يعيشه، هنا يريد الكلمة الإلهي من النفس المبتدعة أن تُفصح عندما تُدخل الناموس الذي يحكمها. وإذ تحتقر نفسها لأنها لا تنتمي إلى زوجٍ شوعيٍ تبحث عن زوجٍ آخر. إنه يود لها أن تنتمي إلى آخر، إلى الكلمة الذي يقوم من الأموات، الذي لن يهزم ولن يهلك، بل يبقى إلى الأبد (إش ٤٠ : ٨؛ ١ بط ١ : ٢٥)، هذا الذي يحكم ويُخضع كل أعدائه (مز ٨ : ٧؛ ٧ : ١ أف ١ : ٢٢). فإن "المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد؛ لأن الموت الذي ماتته قد ماتته للخطية مرة واحدة، والحياة التي يحيها فيحيها الله" (رو ٦ : ٩-١٠)، بكونه عن يمينه (عب ١٠ : ١٢)، حتى يخضع كل أعدائه تحت قدميه (مز ١٠٩ : ١) ... لهذا السبب يقول يسوع لها: " اذهبي وأدعي زوجك... وإذ أجابته "ليس لي زوج" [١٧] أدانت نفسها على ارتباطها بزواج كهذا [482].

العلامة أوريجينوس

"لأنه كان لك خمسة أزواج،

والذي لك الآن ليس هو زوجك.

هذا قلت بالصدق". [18]

في رقة عجيبية لم يحوج مشاعوها لأنها تعيش مع من هو ليس وجلها بعد خمس زيجات، وحوّل حورها من المجادلة حول الخلافات بين اليهود والساميين إلى العبادة الجديدة التي تضم كل العالم، ويتمتع بها المؤمن أينما وجد.

وى القديس جبروم أنه يليق ترك الرجال الخمسة الذين يشيرون إلى حرفية الناموس في الأسفار الموسوية، والرجل السادس وهو يشير إلى المبتدعين، لكي نلتقي بالسيد المسيح مخلص العالم [483].

وى القديس أغسطينوس أن هذه المرأة قد تزوجت بخمسة رجال والذي معها ليس وجلها. الأزواج الخمسة هم الحواس الخمس، فقد ارتبطت نفسها بالحواس الجسدية، التي لم تستطع أن تتبعتها، لأنها لا تقود النفس إلى الأبدية، بل إلى المحسوسات المؤقتة. والآن الذي معها ليس وجلها، إنه العقل (غير المقدس) الذي لا يقودها إلى الكلمة والحق، بل إلى الخطأ، يقدم لها مفاهيم خاطئة. إنها محتاجة إلى عريس نفسها، رجلها القادر أن يقودها إلى الحكمة والحق والشعب.

❖ كم كانت حكمة هذه المرأة عظيمة، وكم كان خضوعها إذ قبلت التوبيخ... في هذا التوبيخ يذكر أمين: بعدد جميع أزواجها السابقين، ويوبخها على ذلك الذي تعيش معه حينئذ وهي تحاول أن تخفي أمره. هنا ماذا صنعت المرأة؟ لم تبتد ضيقاً ولا توكته هاربة، ولا حسبت كلامه إهانة، لكنها على العكس أبدت إعجابها به، وفاق تقدوها له، إذ قالت: " يا سيد رى أنك نبي ". تطلع إلى زانتها، إذ لم تندفع إليه مباشرة، لكنها وهي تقفه وتعجب منه قالت: " رى أي يبدو لي " أنك كني [484].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أظن أن كل نفس تدخل إلى الدين المسيحي خلال الكتب المقدسة وتبدأ بالأشياء المثركة بالحواس المدعوة أشياء جسدية، لها خمسة أزواج، لكل حاسة زوج. ولكن بعد أن تصير النفس في رقة مع الأمور المثركة بالحواس وتوغب فيما بعد أن ترتفع فوقها تندفع نحو الأمور المثركة بالروح؛ عندئذ تصطم مع تعليم فاسد قائم على معانٍ رمزية روحية. حينئذ تقرب من زوج آخر بعد الأزواج الخمسة، وتقدم وثيقة طلاق للخمسة السابقين وكأنها تقرر أن تعيش مع هذا السادس... [485]. ونحن نقيم مع ذلك الزوج السادس حتى يأتي يسوع ويجعلنا نترك شخصية زوج كهذا. لكن بعد مجيء كلمة الرب ودخوله في حوارٍ معنا نجد هذا الزوج ونقول: "ليس لي زوج". عندئذ يقول الرب: "حسناً قلت ليس لي زوج" [1٧] [486]

العلامة أوريجينوس

❖ إذ أعلنت المرأة الساموية المذكورة في الإنجيل أن رجلها الذي كان معها هو السادس، انتهرها الرب لأنه لم يكن زوجها. من جانبي أعلن مرة

digamy أخرى بكل حرية أن الزواج الثاني لا تشجبه الكنيسة، ولا حتى الزواج الثالث *trigamy* ، ويمكن للمرأة أن تتزوج زوجاً رابعاً... أو عدد أكبر ما دام الزواج شريعياً... لكن وإن كان الزواج الثاني غير مشجوب إلا أنه غير مستحب... "كل الأشياء تحل لي ولكن ليس كل الأشياء توافق" (1 كو 12:6) [4871].

القديس جيروم

"قالت له المرأة:

يا سيد أرى أنك نبي". [19]

إذ كشف لها السيد المسيح عن شخصه ترويجياً، اكتشفت المرأة أنه عالم بكل أسرارها الخفية أدركت حسب مفهومها أنه نبي، ووثقت أنه قادر أن يجيب بصدق على التساؤل الذي يحير الكثيرين: هل تتحقق العبادة الصادقة في أورشليم كما يقول اليهود أم على جبل الجرزيم كما يقول السامريون؟ وهو الجبل الذي نُطق عليه بالوكلات، ووى البعض أنه نفس الجبل الذي بنى عليه إواهم المذبح (تك ١٢: ٦-٧)، وأيضاً يعقوب (تك ٣٣: ١٨-٢٠). لقد سلم السامريون الهيكل الذي بناه لهم سنبلط Sanballat (عام ٣٣٢ ق.م.) لانتيوخوس أيبفانيوس، طالبين منه أن يُكس لئله جوبتر أولمبياس Jupiter Olympius ، وقد نوا كل علاقة لهم باليهود، حتى لا يعانوا من الضيقات العرة التي صبتها انتيوخوس عليهم.

هكذا تحول الحوار إلى الحديث عن موضع العبادة: هل هو أورشليم أم جبل الجرزيم؟

❖ ما أعجب هذا الأمر، كم كانت فلسفة هذه المرأة، كيف قبلت توبيخ المسيح بأفضل روع، إذ لما أعلن المسيح فعلها المستور لم تستصعب ذلك ولا تركته وهربت، لكنها تعجبت بالأكثر لأنها قالت له: "أرى أنك نبي".

❖ تأمل في الحكم العادل المستقيم لهذه المرأة، فقد اتخذت قرارها من واقع الحقائق، سواء فيما يخص أينا يعقوب أو يسوع، أما اليهود فلم يكن رد فعلهم هكذا. إذ لما شاهوه يطود الشياطين منهم لم يقولوا أنه أعظم من أينا يعقوب أب الأسباط، بل قالوا "به شيطان" [488].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بدأ الزوج يأتي، أنه لم يأتِ بالكامل... بدأت تدعو الزوج وتطرد خليلها [489].

القديس أغسطينوس

"آباؤنا سجدوا في هذا الجبل،

وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه". [20]

حسب السامريون أن جبل جرزيم مقدس، عليه ينبغي أن يسجدوا لله. وهو الجبل الذي تقع البئر عند سفحه مباشرة قيل انه على هذا الجبل بنى إواهم مذبحاً، وعليه تقابل مع ملكي صادق حيث بلرکه. على هذا الجبل أمر موسى النبي بمبلركة الشعب عند العبور إلى الأردن حيث وقف عليه شمعون ولوي ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين وبينما وقف وأبين وجاد واشير وزبولون ودان وفتالي على جبل عيبال للجنة (تث ٢٧: ١١-١٣). على الجانب الآخر فإن اليهود حسوا صهيون مسكن الله الذي اختره أب الجميع، وعليه أقيم الهيكل وملس الكهنة واللاويون العبادة فيه.

❖ إذ ظنت أنه نبي لم تطلب شيئاً زمنياً، لا صحة الجسد ولا الممتلكات ولا الثروة، لكنها اهتمت بالدين [٢٠] [490].

❖ رأيت كيف صلت المرأة في تميزها أكثر غزماً؟ لأن التي اهتمت بعطشها حتى لا تتكبد لأجله تعباً سألته فيما بعد عن رآء في الدين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لو أن الله جسد، لكان يحق أن يُسجد له على جبل، لأن الجبل مادي، وكان يحق أن يُعبد في هيكل [491].

❖ إنه لأمر عجيب! يسكن في الأعالي وهو قريب من المتواضعين. إنه "وى المتواضع، أما المتكبر فيعوفه من بعيد" (مز 138: 6)...

إذن هل تطلب جبلاً؟ اتول لكي تقرب إليه.

هل تصعد؟ اصعد، ولكن لا تطلب جبلاً. قيل: "الصاعدون في قلبه، في وادي البكاء" (مز 84: 6). الوادي هو التواضع. لتفعل هذا كله في

داخلك.

حتى إن أردت أن تطلب مكاناً مرتفعاً، موضعاً مقدساً، اجعل لك هيكلًا في داخلك. "لأن هيكل الله مقدس، الذي أنتم هو" (1 كو 3: 17).
أتريد أن تصلي في هيكل؟ الجبل في داخلك، إن كنت أنت ولأ هيكل الله، لأنه في هيكله يسمع من يصلي [492].

القديس أغسطينوس

" قال لها يسوع:

يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة،

لا في هذا الجبل،

ولا في أورشليم،

تسجدون للآب". [21]

لقد حلت الساعة التي جاء فيها ابن الإنسان ليرفع الإنسان من الحرف إلى الروح، فما يشغل ذهن المؤمنين ليس الموضوع، بل وضعهم كأبناء للآب السموي.

❖ الإنسان الكامل والمقدس يتعدى حتى هذا، إذ يعبد الرب بطريقة تأملية والهيبة بالأكثر. فكما أن الملائكة (كما يتفق حتى اليهود) لا يعبدون الآب في أورشليم، لأنهم يعبدونه بطريقة أفضل عن يعبدون في أورشليم، هكذا الذين يستطيعون أن يكونوا مثل الملائكة (لو ٢٠: ٣٦) في ميولهم لا يعبدون الآب في أورشليم، بل بطريقة أفضل [493].

العلامة أوريجينوس

❖ إنه لم يفضل مكاناً آخر، إنما أعطى الأفضلية للنية [494].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قيل هذا حقاً في شخص اليهود، لكن ليس كل اليهود، ليس اليهود الراضين بالإيمان، بل الذين كانوا مثل الوسل والأنبياء، فقد باع كل هؤلاء القديسين ما يملكونه ووضعوا أثمانها عند أقدام الوسل. "إن الله لم يرفض شعبه الذي سبق فعرفه" (رو 11: 2) [495].

❖ كأنها تقول: يجاهد اليهود من أجل الهيكل، ونحن من أجل هذا الجبل. وعندما يأتي (المسيا) سيحتقر الجبل ويلقى بالهيكل، وسيعلمنا كل شيء، فنعرف كيف نعبد بالروح والحق. لقد عرفت من يستطيع أن يعلمها، لكنها لم تعرف بعد أنه الآن هو يعلمها. الآن قد تأهلت أن تتمتع بالكشف عنه [496].

القديس أغسطينوس

"أنتم تسجدون لما لستم تعلمون،

أما نحن فنسجد لما نعلم،

لأن الخلاص هو من اليهود". [22]

بقوله: "لما لستم تعلمون" يشير إلى إنكار السامريين لأسفار الأنبياء التي تمهد طريق المعرفة للتعرف على شخص المسيا المخلص. وبقوله "نسجد لما نعلم" يشير إلى الأسفار الإلهية كطريق آمن للمعرفة والعبادة الحقيقية. ضم السيد المسيح نفسه إلى جمهور العابدين، لأنه صار في تواضعه ابن الإنسان.

لم يخجل ابن الله الوحيد من أن يعلن طاعته للآب وسجوده وعبادته له، بينما يستهين كثير من بني البشر في كبريائهم بالعبادة وبحسبونها

"لأن الخلاص هو من اليهود": ظهر الخلاص الأبدي من اليهود (رو ٩: ٥) وقُدّم لهم أولاً. سلمت لهم التعاليم الإلهية (رو ٣: ٢)، وخدمة الله (رو ٩: ٤)، ومنهم جاء المسيا، ومنهم تبدأ الكرزة بالإنجيل للأمم.

❖ "لأن الخلاص هو من اليهود"، ما يقوله هو هكذا: أن بركة هذا العالم تأتي منهم (لأن معرفة الله وجدد الأصنام وإنكلها بدأت بهم، وبالنسبة لكم فإن عمل السجود وإن كنتم لا تؤدونه بالأسلوب الصحيح إلا أنكم استلمتموه منهم)... كما أشار بولس الرسول إلى مجيئه إذ يقول: "ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مبلّغاً" (رو ٩: ٥). أنظر إليه كيف يمتدح العهد القديم، ويوضح أنه أساس البركات [497].

❖ لم يظهر المسيح للمرأة السامرية لماذا سجد الآباء في ذلك الجبل، ولماذا سجد اليهود في أورشليم، فهذا صمت، إذ أبطل ورأى عن الموضعين كليهما معالي التقدم. وأنهض نفسها موضعاً أنه لا يمتلك السامريون ولا اليهود فعلاً عظيماً بالمقاييس إلى الفعل المزمع أن يوهب لنا. وبعد ذلك أُورد الفصل بينهما، إلا أنه قد حكم أن اليهود أشرف قوياً على هذا القياس، دون أن يفضل مكاناً على مكان. لكنه أعطى لليهود التقدم، وكأنه قال: لا ينبغي لأحد أن يجادل لأجل مكانٍ فيما بعد، إلا أن اليهود في غورتهم قد حازوا الشوف أكثر منكم أنتم أيها السامريون لأنه قال: "أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم".

فإن سألت: كيف لم يعرف السامريون من هو الذي يسجدون له؟! أجبت: لأنهم اعتقوا بأن الله يحده مكان معين ويتحيز لهم، لهذا يسجدون له. إذ رُسِلوا للفس قائلين: "إن إله هذا المكان غاضب من أجلنا" (٢ مل ٢٦). ظنوا أنه يوجد إله محدود، فعلى هذا استرضوه وعبوه، ولهذا السبب لبثوا يسترضون الأصنام، ويسترضون إله المسكونة، أما اليهود فكانوا بعيدين عن هذا الظن، فقد عرفوا الله أنه إله المسكونة كلها، وإن كان هذا الرأي لم يكن رأيهم كلهم، فهذا السبب قال المسيح: "أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم" [498].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما تحدثت هذه المرأة معه كيهودي وظنت أنه نبي، أجابها كيهودي يعرف أسرار الناموس روحياً: "أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم". يقول "نحن" إذ يضم نفسه مع البشر، ولكن كيف يضم نفسه مع البشر إلا بحسب الجسد، ولكي يظهر أنه أجاب كمتجسد، إذ يضيف "الخلاص من اليهود" [499].

القديس أمبروسوس

"ولكن تأتي ساعة وهي الآن،

حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق،

لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له". [23]

عوض الانشغال بمكان العبادة يؤزم الانشغال بحال الفكر الداخلي، وهيكل الله داخل النفس، وكيفية تقديم العبادة لله الذي هو روح. فإله الآب يطلب العابدين بقلوبهم، وناوياً ما يوجدون، إذ قيل: "من هو هذا الذي رُهن قلبه ليدنو إليّ يقول الرب" (إر ٣٠: ٢١). طويق العبادة بالروح ضيق، لأن فيه لا يطلب الإنسان مجد الناس بل مجد الله.

العبادة بالروح تحول القلب إلى صهيون الحقيقية التي يشتهيها الله كقول المرتل: "لأن الرب اختار صهيون، اشتهاها مسكناً له؛ هذه هي راحتي إلى الأبد؛ وهنا أسكن لأنه اشتهيتها (مز ١٣٢: ١٣-١٤).

❖ كان كل من اليهود والسامريين شديدي الاهتمام بالجسد، يطهرونه بمختلف الطرق. لذلك يقول إنه ليس بطهارة البدن، بل بطهارة ذلك الجزء غير الجسدي من كياننا، أي العقل. به نعبد الله اللاجسدي، كما لا يكون القربان بذبح العجول والخواف، بل بتكريس الإنسان نفسه لله. أهلك ذاتك، فتقدم ذبيحة حية [500].

❖ إذ يقول الحق استبعد السامريين واليهود. فإنه وإن كان اليهود أفضل من السامريين، إلا أنهم أقل بكثير من القادمين بقدر ما أن الومز أقل من الحقيقة. إنه يتحدث عن الكنيسة التي لها العبادة الحقيقية التي تليق بالله [501].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يليق بالإنسان أن يلاحظ إن العابدين بالحق يعبدون الآب بالروح والحق، ليس فقط في الساعة القادمة، بل وفي الوقت الحاضر أيضاً [502].

❖ إن كان الآب يطلب أولئك الذين يعدّهم أن يكونوا عابدين حقيقيين بتطهروهم وتعليمهم بالكلمة في تعاليم صادقة، إنما يطلبهم بابنه الذي جاء يطلب من قد فقنوا (لو 19: 10؛ حز 34: 16).

العلامة أوريجينوس

"الله روح،

والذين يسجدون له، فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا". [24]

❖ بقوله "الحقيقيون" يستبعد اليهود والسامريين، لأن هؤلاء اليهود وإن كانوا أفضل من السامريين إلا أنهم أدنى كثراً من المزمعين أن يسجدوا "بالروح والحق". ... إن كان الله في الماضي قد سعى إلى مثل هؤلاء... إنما لطفاً وتنتزلاً منه حتى يأتي بهم إلى حظوة الإيمان.

❖ وإن سألت: ومن هم الساجدون الحقيقيون؟ أجبتك: الذين لا يربطون عبادتهم بمكانٍ محددٍ، وهم ينجذبون بالروح. وكما يقول بولس الرسول: "الذي أعبدته بروحي في إنجيل ابنه" (رو 1: 9). وفي موضع آخر يقول: "أطلب إليكم أيها الاخوة وأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم الفعلية" (رو 12: 1).

❖ قول المسيح للمرأة السامرية: "الله روح" لا يدل على معنى آخر إلا على أنه خالٍ من جسم، لذلك ينبغي أن تكون عبادة للخالي من جسم خالية من جسم أيضاً، وأن نقدمها بما هو فينا خالٍ من جسم، أي أن تكون بروحنا وبنقوة عقلا، لذلك قال المسيح: "والذين يسجدون له، فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" [503].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لست أتجاسر فأحد قوة الله الكلية أو أقيدها بشريعة ضيقة من الأرض، هذا الذي الأرض والسماء لا تسعانه. كل مؤمن يُدان ليس حسب مسكنه هنا أو هناك، وإنما حسب وري إيمانه. العابدون الحقيقيون يعبدون الآب، لا في أورشليم، ولا على جبل جرزيم [504].

القديس جيروم

❖ بكونه ابن داود يخضع للؤمن وللتدبير والتنتزل النسبي، لكن من جهة اللاهوت لا يخضع لزمان ولا لمكان. "جيله من يعلنه؟" (إش 8: 53)

"الله روح"؛ فذاك الذي هو روح قد وُلد رُوحياً بكونه غير جسدي بنسبٍ غير مترك ولا مفحوص.

❖ الابن نفسه يقول للآب: "قال الرب لي: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك" هذا "اليوم" ليس زمنياً بل سومدي. اليوم هنا غير زمني بل قبل كل الدهور. "من الوحم قبل كوكب الصبح ولدتك" [506]، [505].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ أي عجب مادام الآب والابن يُقال عنهما أنهما "روح"، الأمر الذي نتحدث عنه بأكثر توسع عند حديثنا عن "وحدة الاسم"...

❖ ليقوا أن الآب يُدعى "الروح"، كما يقول للرب في الإنجيل: "لأن الله روح" [24]. والمسيح يدعى "الروح"، إذ قال لميا: "الروح أمام وجهنا، المسيح الرب" (هو 4: 20) [507].

القديس أمبروسوس

❖

الكلمات: " الله روح " لا تغير الحقيقة أن الروح القدس له اسمه الخاص به، وأنه هو العطية المقدمة لنا. قيل للسامرية التي وضعت حدودًا لله بالجبل أو الهيكل أن الله يهوي كل الأشياء ومُوى في ذاته، وهو غير منظور ولا مُتوك، يؤم أن يُعبد بوسائل غير منظرة ولا عندما علم المسيح أن الله بكونه الروح يجب أن يعبد بالروح، وأظهر أية حرية ومعوفة ومجالات بلا حدود للسجود في عبادة الله الروح بالروح [508].

القديس هيلاري أسقف بواتييه

" قالت له المرأة:

أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي،

فمتى جاء ذلك،

بخبرنا بكل شيء". [25]

أخرًا جاء الحوار بخصوص المسيا، فإذا لم تعرّض السامرية على ما يقوله بل شعرت بقوة في داخلها سألتها عما كان يدور في أذهان اليهود والسامريين، وهو: متى يأتي المسيا؟ فمع العدوة القائمة بين اليهود والسامريين إلا أن أمراً واحداً كان الكل يتّوقه، وربما تحدث كثير من المعلمين عنه في ذلك الوقت، وهو تحقيق الوعد الإلهي الخاص بمجيء المسيا وحلول مملكته. مع ما لحق بها من فساد بسبب خطيتها لكن شوقها لمعرفة الحق وتوقبها في تواضع لمجيء المخلص هيأها للالتقاء مع السيد والتعرف عليه والشهادة له.

❖ قد يقول قائل: من أين للسامريين أن ينتظروا مجيء المسيح وهم يقبلون موسى وحده؟ فنقول له: "من كتب موسى نفسها، لأن موسى قال: "يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون" (تث 18: 15)".

❖ كانت مجرد امرأة فقيرة لا خوة لها بالكتب المقدسة، لذلك لم يحدثها بما جاء في هذه الأسفار، بل قادها إلى الإيمان عن طريق الماء [509].

❖ بالنسبة لليهود الذين كانوا يرددون باستنوار: "إلى متى تعلق أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً" (يو 10: 24) لم يعطهم جواباً شافياً. أما بالنسبة لهذه المرأة فقال لها بصراحة: "أنا هو"، لأن المرأة كانت غير منحولة وذات تفكير وضمير عادل أكثر من اليهود. إذ لم يسألوا لكي يتعلموا، بل كانوا دائمي السخوية منه... أما هذه فسمعت وأمنت ودعت آخرين أيضاً إلى الإيمان، وفي كل الأحوال تلاحظ وقتها وانضباطها وإيمانها [510].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" قال لها يسوع:

أنا الذي أكلمك هو". [26]

لم يتحدث السيد المسيح مع اليهود، ولا حتى مع تلاميذه بعبارة مباشرة هكذا: "أنا الذي أكلمك هو".

❖ الحصاد قد أُعد، فقد قام الأنبياء بالغوس لينمو، والآن قد جاء إلى النضوج وينتظر الوصل كحاصدين له... فبالنسبة للمرأة السامرية كان اسم "المسيا" ليس بجديدٍ عليها، كانت بالفعل تتوقب مجيئه. لقد آمنت بالفعل أنه قادم. من أين كان لها أن تؤمن بهذا لو لم يغوسه موسى؟ [511]

القديس أغسطينوس

❖ بالحقيقة لم يعط إجابة واضحة لليهود الذين كانوا يقولون باستنوار: "إلى متى تعلق أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً" (يو 10: 24)، أما لها فأخوها بوضوح: "أنا هو" [512].

القديس يوحنا الذهبي الفم

4 . كورة السامرية الناجحة

"وعند ذلك جاء تلاميذه،

وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة،

ولكن لم يقل أحد ماذا تطلب؟

أو لماذا تتكلم معها؟" [27]

لم يكن في ذهن التلاميذ أن معلمهم الذي كانوا يترقبون ملكوته العظيم على الأرض يتحدث مع امرأة فقيرة ساموية. إنها ليست من قطيع

إسرائيل الضال، وفي ذهنهم لا يمكن أن يكون لها دور في ملكوته، فلماذا يتحدث معها؟

هذا ومن جانب آخر فإنه لم يكن من عادة الرجال أن يتحدثوا مع نساء في الطريق، حتى وإن كانت زوجاتهم، وقد وجدت قوانين كثيرة سننها

الحاخامات في هذا الشأن.

❖ أجاز المسيح لنفسه أن يخاطب امرأة ساموية فقيرة، إلا أن تلاميذه مع اندهالهم من ذلك لم يسألوه عن سبب مخاطبته إياها، لأنهم كانوا بهذه الصفة متأدبين بحفظ ترتيب التلاميذ، وبهذه الصورة تهيؤوا واستحووا منه واحتشموه كاحتشامهم صاحبًا عجيبيًا.

❖ ترى مم تعجب التلاميذ؟ من تواضعه الشديد وبُعده عن الكبرياء، إذ تبادل الحديث مع امرأة فقيرة بل وساموية أيضًا [513].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فتركت المرأة جرتها،

ومضت إلى المدينة،

وقالت للناس". [28]

إذ تمتعت الساموية بالحق الإلهي تركت جرتها، ونسيت ما جاءت من أجله، وعادت إلى المدينة دون الماء، إنما لتقدم ماء الحق لأهل المدينة.

تركت جرتها لأنها لم تود أن تعوقها الحرة عن الإسراع نحو المدينة لتشهد للحق. أخبرت الجميع في الشوارع أنها وجدت الكنز الذي تبحث عنه،

ووجدت ينبوع سرورها الداخلي.

سبق أن طلب السيد منها أن تدعو زوجها [١٦]، وها هي قد دعت كل رجال المدينة ونجحت في مهمتها.

لم تخوهم أنه حللها في أمور دينية خطوة خاصة بمكان العبادة وطريقة مملستها، بل ما لمس قلبها حقاً أنه عرف أسورها واجتذبها بقوة

كلمته إليه، فتعرفت على شخصه، إنه هو المسيا.

❖ ربما تركت حرة الماء التي كانت في بئر تعترت بعمقها، أي بالتعاليم، إذ احتوت الأفكار التي سبق أن قبلتها، وتقبلت حرة أفضل من حرة الماء،

تروي ماءً ينبع إلى حياة أبدية (يو ٤ : ١٤) [514].

❖ هنا امرأة أعلنت عن المسيح للساميين، وفي نهاية الأناجيل أيضًا امرأة رأت قبل كل الآخرين تخبر الوصل عن قيامة المخلص (يو ٢٠ : ١٨) [515].

❖ كل ما فعلته المرأة الساموية هو علاقتها بالخمسة أزواج، وبعد ذلك رتبها بالسادس الذي هو ليس بزوجها الشرعي. توأت من الرجل السابق،

تركت جرتها واستواحت بوقار في السبت.

لقد جلبت أيضًا نفعًا للذين سكنوا معها في ذات المدينة، على أساس معتقداتها القديمة، أي شلوكها تعاليمها الخاطئة. إنها العلة التي جعلتهم

يخرجون من المدينة ويأتون إلى يسوع [516].

العلامة أوريجينوس

❖ إذ استقبلت الرب المسيح في قلبها ماذا يمكنها أن تفعل سوى أن تتوك جرتها وتروي لتكوز بالإنجيل؟ لقد طردت الشهوة، وأسوت تعلن عن الحق.

[517] ليتعلم الذين يريدون أن يكرزوا بالإنجيل أن يتوكوا جرتها عند البئر.

القديس أغسطينوس

❖ جاءت لتستقي ماءً، وعندما استنزلت وعرفت الينوع الحقيقي للتو احتوت الينوع المادي. وهي في هذه الواقعة البسيطة تعلمنا أن نتجاوز عن أمور الحياة المادية عندما نصغي للروحيات... دون أن يوجه لها أحد أمراً تركت جرتها، وعلى جناحي الفرح والبهجة أسوت وصنعت ما فعله الإنجيليون، ولم تدع واحداً أو اثنين، كما فعل أنولوس وفيلبس، إنما دعت مدينة بأكملها، وأتت بهم إلى الرب يسوع ^[518].

❖ آمنت المرأة السامرية على الفور، وبذلك اتضح أنها أكثر حكمة من نيقوديموس، بل وأكثر شجاعة وثباتاً. لأن نيقوديموس بعد أن سمع قدر ما سمعت المرأة آلاف العوات لم يذهب ويدعو آخرين لسماع هذه الكلمات، ولا تحدث بصراحة على الملأ. لكن هذه المرأة فعلت ما لم يفعله الوسل، إذ قامت بالكررة للجميع تدعوهم إلى المسيح. بذلك قادت مدينة بأكملها إلى الإيمان بيسوع المسيح ^[519].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" هلموا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت،

ألعل هذا هو المسيح؟" [29]

كلمات السامرية تكشف عن سعادتها الداخلية بلقائها مع المسيا مخلص العالم، وتمتعها بمن يملأ أعماقها. لم يهبها الرجال الستة سعادة، لكن لقاءها مع مخلصها بعث فيها روح السعادة والعمل من أجل الآخرين لخلصهم.

لم تكن الدعوة أن يأتوا ليروا أمراً غريباً، ولا أن يدخلوا معه في حوار، بل أن يتمتعوا بفاحص القلوب، المسيا مخلص العالم. فمن أهم السمات التي كان اليهود ينتظرونها في المسيا أنه عالم بما في القلوب.

في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني ادعى Barchochab أنه المسيا، وإذ خدع كثيرين جاؤا إليه بأشخاص لا يعرفهم بعضهم كانوا مجرمين وآخرون أوبياء، وطلوا منه أن يميز بين الأثوار والأوار، وإذ لم يستطع قتلوه.

كانت السامرية حكيمة في كراتها، إذ لم تمل عليهم إيمانها فيه بل بحكمة طلبت منهم أن يأتوا وينظروا ليتحققوا من شخصه: "ألعل هذا هو

المسيح؟!" [٢٩].

❖ مرة أخرى لاحظوا حكمة المرأة العظيمة. فإنها لم تعلن الحقيقة بوضوح، ولا بقيت صامتة، ولا رغبت في إحضارهم باقتناعها هي، بل لتجعلهم يشركون في هذا الرأي باستماعهم له، حيث صلت كلماتها لهم مقبولة فعلاً ^[520].

❖ لم تخجل من قولها أنه قال لها كل مع فعلته... فإنها لم تعد تنظر إلى ما هو رضى، ولا تعود تلقي بالاً إلى مجد دنوي أو عار، لكنها أصبحت منتمة إلى شيء واحد فقط، وهي تلك الشعلة المقدسة المتقدة داخلها والممتلئة بها ^[521].

❖ "ألعل هذا هو المسيح؟!" [٢٩] لم ترغب في أن تأتي بهم براءتها هي واقتناعها، بل أرادت أن يكون لهم الرأي عندما يستمعون إليه. هذا ما جعل كلماتها أكثر قبولاً لديهم... لم تقل "هلموا آمنوا" بل "هلموا انظروا"، وهو تعبير أكثر رقة وجاذبية لهم ^[522].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليس إنسان أسعد من المسيحي، إذ له الوعد بملكوت السموات. ليس أحد يجاهد بقوة أكثر منه إذ يخاطر بحياته كل يوم. ليس من أقوى منه إذ يغلب الشيطان... هل يوجد من هو أكثر خسة من المرأة السامرية؟ لكن ليست هي وحدها آمنت... وجدت بعد رجالها الستة الرب الواحد، ليس فقط تعرفت على المسيا عند البئر، هذا الذي قتل اليهود في التعرف عليه في الهيكل، إنما قدمت الخلاص لكثيرين، بينما كان الوسل يشترط طعاماً لسد جوع المخلص وإراحته من تعبته ^[523].

القديس جيروم

❖ الأقال التي قيلت للمرأة ألهبته إلى أن أوصلها الشوق المتقد إلى ترك جرتها وإهمال الحاجة التي جاءت بسببها، ورجعت إلى مدينتها لتجتذب إلى

المسيح كافة الجوع التي كانت فيها. تأمل حرص المرأة وفهمها، لأنها جاءت تستقي، فلما وجدت الينوع الحقيقي احتوت الينوع المحسوس، فأصبحت معلمة لنا. وعلى حسب قوتها عملت العمل الذي عمله رسل ربنا، لأن أولئك لما دُعوا تركوا شباكهم، وهذه فمن ذاتها تركت جرتها وعملت عمل المبشرين. ولم تستدعِ واحدًا أو اثنين، لكنها استنهضت مدينة بأكملها وجمعًا جزيلاً تقوده، واقتادتهم إلى المسيح. تأمل كيف اقتادت المرأة أهل المدينة بأوفر فهمٍ، لأنها لم تقل لهم: تعالوا أبصروا المسيح، لكنها اجتذبت الناس بالمقلنة التي اقتنصها بها المسيح فقالت: " هلموا انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلت".

قالت المرأة الساموية: " هلموا انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلت"، لم تخجل أن تقول ذلك، مع أنه كان يمكنها أن تقول قولاً غير هذا، وهو: تعالوا انظروا من يتنبأ. إذا أضومت النار الإلهية نفوس أحدنا لا ينظر إلى شيءٍ من الأمور الأرضية، لا إلى الشوف ولا إلى خجل. انظر حكمة المرأة إنها لم تجزم أنه هو المسيح بحكم واضح ولا صمتت، لأنها رأت أن تجتذبهم إليه، ليس بحكمها هي، وإنما باستماعهم له.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما جاء المسيح رفضه اليهود، بينما اعترفت به الشياطين.

داود جده لم يجهله عندما قال: "رتبت سواجًا لمسيحي" (مز 7:132)، هذا السواج الذي فسوه البعض أنه بهاء البوة (2 بط 1:19) وفسوه البعض أنه الجسد الذي أخذه من العواء...

لم يجهل النبي أمر المسيح إذ قال: "وأعلن بين البشر بمسيحه His Anointed" (عا 13:4 الترجمة السبعينية).

موسى أيضًا عرفه، وإشعيا، وإرميا. لم يجهله أحد من الانبياء، بل حتى الشياطين عرفته إذ انتوها... رئيس الكهنة لم يعرفه، والشياطين اعترفت به.

رئيس الكهنة لم يعرفه، والساموية أعلنت عنه قائلة: "انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلت، أعل هذا هو المسيح؟!" (يو 4:29) [524].

القديس كيرلس الأورشليمي

"فخرجوا من المدينة وأتوا إليه". [30]

لقد جاء الوقت الذي فيه بشر الوص بالخلاص العظيم لأصل الساموية (٢ مل ٧: ٣ الخ). ها هي امرأة ساموية لها ماضٍ مؤلم تصير أول كارزة بالأخبار المفوحة للساموية، فتكسب المدينة كلها لحساب السيد المسيح.

"وفي أثناء ذلك سألته تلاميذه قائلين:

يا معلم كل". [31]

القديس يوحنا الذهبي الفم

بينما انطلقت المرأة الساموية للكورة بكل قوة، إذ بالتلاميذ ينشغلون بتقديم طعام للسيد المسيح، لأنه كان جائعًا ومُتعب.

"فقال لهم:

أنا لي طعام لأكل لستم تعرفونه أنتم". [32]

يقول العلامة أوريجينوس أن للأجسام طعام يختلف عما للأرواح، وكما أن الأجسام نفسها تختلف في احتياجاتها من جهة نوع الطعام وكميته، هكذا أيضًا بالنسبة للأرواح والنفوس.

كان السيد المسيح ينتهز كل فرصة لرفع عقول تلاميذه وقلوبهم إلى ما فوق الزمن، إلى السماء عينها. لقد أعلن لهم عن مدى بهجته بخلص النفوس بكونه طعامه الشهي. لقد وجد شعبه وراحته في التعب من أجل كل نفسٍ، ومن أجل تحقيق خطة أبيه. إنه لن يستريح، بل يبقى مثارًا على العمل حتى يعبر من هذا العالم.

❖ فإنه حتى ذات النوعية للكلمات المغذية والأفكار التأملية والأعمال المناسبة لهذه الكلمات والأفكار ليست مناسبة لكل النفوس.

إنه بالحقيقة يوجد البقول وأيضًا الطعام القوي (رو ١٤: ٢؛ عب ٥: ٢) الذي لا ينعش النفوس المحتاجة إلى تقدم في نفس الوقت.

وكما يقول بطرس لبيت الأطفال حديثو الولادة يشتهون اللبن العقلي النقي (١بط ٢: ٢). ويطبق نفس الشيء إن كان أحد ما مثل الطفل كأهل كورنثوس الذين يقول لهم بولس: "سقيتكم لبنا لا طعامًا" (١ كو ٣: ٢).

ليت الضعيف يأكل بولاً لأنه لا يؤمن (رو ١٤: ٢). هكذا علم بولس عندما قال: "واحد يؤمن أن يأكل كل شيء، وأما الضعيف فيأكل بولاً" (رو ١٤: ٢).

ويوجد بالحقيقة وقت فيه "أكلة من البقول حيث صداقة مع نعمة خير من ثور معلوف ومعه بغضة" (راجع أم ١٥: ١٧). أما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التعمون قد صلت لهم الحواس مربية على التمييز بين الخير والشر" (عب ٥: ١٤). ولكن يوجد أيضًا طعام بغيض كما يعلمنا سفر الملوك الرابع عندما قال بعض الرجال لأليشع: "موت في القدر يارجل الله" (٢ مل ٤: ٤٠)...

يليق بنا أن نرتفع بالفكر من الكائنات غير العاقلة والبشوية إلى الملائكة الذين هم أيضًا ينتعشون بالطعام، فإنهم ليسوا في عدم عز تمامًا. "أكل الإنسان خبز الملائكة" (مز ٧٧: ٢٥).

لكن الآن يؤمننا أن نعبر إلى العبرة التي أمامنا بخصوص طعام المسيح، الذي لم يكن يعرفه التلاميذ عندئذ، إذ يقول يسوع الحق: "أنا لي طعام لأكل لستم تعرفونه أنتم" (يو ٤: ٣١). لأن التلاميذ لم يكونوا يعرفوا ما كان يسوع يفعله حينما كان يفعل رادة من أرسله ويتم أعماله الكاملة [٣٤]. إنه يفعل رادة الآب التي هي واحدة مع رادته [525].

العلامة أوريجينوس

وى القديس أغسطينوس أن طعام السيد المسيح هو أن يتم رادة الآب، وأن يشرب من إيمان المرأة به. بهذه يطعمها جسده الذي هو الكنيسة، أي تصير عضوًا في الجسد. وى العلامة أوريجينوس أنه ليس الإنسان وحده بل وكل كائن عاقل سيتمتع بالكمال بيسوع بكونه عمل الله [526].

❖ حينما يكمل كل واحد منا، بكونه عمل الله، بواسطة يسوع، يقول: "جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخوًا وضع لي إكليل العدل" (راجع ٢ تي ٤: ٧-٨) [527].

العلامة أوريجينوس

❖ كان الرب جالسًا جائعًا وعطشانًا اقتات بإيمان المرأة الساموية [528].

القديس جيروم

❖ أي عجب إن كانت تلك المرأة لم تفهم الماء؟ انظر فإن التلاميذ لم يفهموا بعد الطعام [529].

القديس أغسطينوس

"فقال التلاميذ بعضهم لبعض:

ألعل أحدًا أتاه بشيءٍ ليأكل؟" [33]

لم يترك التلاميذ أن الكلمة الإلهي هو الذي عال إيليا في البرية عند نهر كريت، فكان يُرسل له طعامًا يوميًا بواسطة غراب (١ مل ١٧: ٤-٦). وأنه في البرية جاءت ملائكة تخدمه (مت ٤: ١١).

"قال لهم يسوع:

طعامي أن اعمل مشيئة الذي أرسلني،

وأتمم عمله." [34]

رى القديس أمبروسيوس أن حديث السيد المسيح هنا يشير إلى عمل المسيح في حياة الناس لكي يعملوا رادة الآب، ويتموا عمله، لأن ما يفعله الناس كأعضاء في جسد المسيح، يُحسب كأنه هو نفسه قد عمله [530].

أكلنا وشربنا وقواتنا وخدمتنا وعبادتنا كلها إنما لخدمة خلاص النفوس. هذه هي رادة أبينا السلمي، طعام نفوسنا الشهي. لقد هلكت النفوس بسبب عدم المعرفة. وقد وهبنا الله مفتاح الملكوت الذي هو إنجيله ومعرفة كلمته.

❖ الوليمة التي يتحدث عنها سليمان لا تتحقق فقط بالطعام العادي بل تُفهم بأنها تتحقق بالأعمال الصالحة. إذ كيف يمكن للنفس أن تتمتع بوليمة بحكمة أفضل إلا بالأعمال الصالحة، أو ماذا يمكن أن يملأ أذهان الأرواح بسهولة مثل معرفة تحقيق العمل الصالح؟ أي طعام أكثر بهجة من عمل مشيئة الله؟ يخبرنا الوب أن لديه هذا الطعام وحده بفيض. كما جاء في الإنجيل: "طعامي أن أعمل مشيئة أبي الذي في السموات" [34]. فبهذا الطعام يبتهج الذين يتعلمون بمعرفة عجيبة أن يصعدوا إلى المباحج العلوية، الذين يقرون أن يعرفوا أيّة بهجة هي هذه، وأيّة نقولة لها والتي يمكن للعقل أن يفهمها. إذن ليتنا نأكل خبز الحكمة، ونشبع بكلمة الله. لأن حياة الإنسان التي خُلقت على صورة الله لا تتحقق بالخبز وحده، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (مت 4:4). ويقول القديس أيوب عن الكأس بوضوح كامل: "كما ترقب الأرض المطر، هكذا فقل هؤلاء بالنسبة لكلماتي" (أي 23:29) [531].

❖ إن كان طعامه هو أن يعمل مشيئة أبيه، هكذا أيضاً طعامه أن يشترك في آلامنا [532].

القديس أمبروسيوس

❖ "ليأت حبيبي إلى جنته ويأكل ثرة النفيس" (نش 16:4). إنه لتعبير جريء من نفس ممثلة حماساً وروعة ترتفع على كل تعجب.

من تدعو العروس لوليمتها التي تتكون من فاكهتها الخاصة؟

لمن تُجهز العروس وليمتها التي أقامتها من مصاوها الخاصة؟

من تدعو العروس لكي يأكل مما عرضته؟ "هو الذي منه وبه وله كل الأشياء" (رو 36:11). إنه يعطى كل شخص طعامه في حينه (مز 15:145)، يفتح يده ويملاً كل كائن حي بالنعيم. هو الخبز النزل من السماء (يو 6:41)، هو الذي يعطى الحياة للعالم ويجعل المياه تفيض من نبعه الخاص للحياة.

هذا هو الواحد الذي ترتب العروس له مائدتها. وهي الحديقة التي تنبت منها أشجار حية.

تُرمز الأشجار إلينا وتُشير أرواحنا المُخلصة إلى الطعام المُقدم له. وقال لتلاميذه: "أنا لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم" (يو 4:32، 34). تتميم

راداة الله المقدسة: "فهو يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (1 تي 2:4).

هذا الخلاص هو الغذاء الذي يُجهز له. تعطى رادتنا الحرة الثرة لله وهي أرواحنا، ليقطفها من على غصنها الصغير. تمتعت العروس في

البداية بثرة التفاح الحلو المذاق قائلةً وثورته حلو لحلي" (نش 3:2). ثم أصبحت هي نفسها الثرة الجميلة الحلو التي قُدمت للراعي ليتمتع

بها [533].

القديس غريغوريوس النيسي

"أما تقولون انه يكون أربعة أشهر ثم يأتي الحصاد.

ها أنا أقول لكم:

رفوا اعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيضت للحصاد." [35]

أخفى السيد المسيح المعنى الروحي السراوي وراء حديثه عن الحصاد، فإن ما يعنيه هو حصاد ملكوت السموات الذي يتحقق بعد أربعة حقبات زمنية. الحقبة الأولى الإنسان في جنة عدن حيث لم يقدم الثمر اللائق، وجاء عصر الناموس الطبيعي (الآباء البطركة)، ثم عصر الناموس الموسوي، وأخيراً الحقبة الرابعة حيث عهد النعمة. فبم حصاد كل الحقبات لحساب ملكوت السموات، ويتحقق كمال الحصاد في مجيء المسيح على السحاب حيث

ينتهي العصر الأخير.

يطلب السيد المسيح الحصاد الذي لن يتحقق بدون العمل الجاد بسرور ومثاوة. فالعمل ضرورة حتمية وملحة للتمتع بالحصاد.

إنه وى الحصاد القادم حيث يأتي كثير من السامريين إليه خلال خدمة الوأة السامرية، يؤمنون به ويتأهلون للبس الثياب البيضاء.

❖ " **رفعوا أعينكم** "، وردت في مواضع كثيرة في الكتاب المقدس حيث يحثنا الكلمة الإلهي على رفع أفكارنا وبصيرتنا إلى فوق. كما جاء في إشعياء:

"رفعوا إلى العلاء أعينكم، وانظروا من جعل هذه الأمور معروفة" (راجع إش ٤٠ : ٢٦).

❖ إذ بدأ يتحدث المخلص عن التطويبات **رفع عينيه** نحو تلاميذه وقال: "طوبى" لهؤلاء وأولئك (راجع لو ٦ : ٢٠). فإنه لا يوجد تلميذ حقيقي ليعوس

في الأسفل، ولا أحد ممن يستريح في حوض إواهيم. فالغني الذي كان يتعذب **رفع عينيه** لوى إواهيم ولعازر في حوضه (لو ١٦ : ٢٣) [534].

❖ **ليس أحد يرفع عينيه إن كان مستمراً في إتمام أعمال الجسد** [535].

❖ يحث الكلمة الحاضر مع التلاميذ سامعيه أن يرفعوا أعينهم إلى حقول الكتاب المقدس وإلى حقول الغاية من كل شيء موجود، فوى الإنسان بياض

نور الحق وبهائه الحال في كل مكان. فإنه بحسب سليمان: "كلها واضحة لدى الفهماء، ومستقيمة لدى الواغبين في الشوكة في المعرفة الحسية" (راجع

أم ٨ : ٩) [536].

العلامة أوريجينوس

كتب **القديس جيروم** إلى أبيغيوس Abigaus كاهن Baetica بأسبانيا يوعيه في عماه الجسدي ويبعث فيه روح الفوح من أجل ما يتمتع به من

بصورة داخلية:

❖ يليق بك ألا تحزن، إنك محروم من هاتين العينين الجسديتين اللتين لدى النملة والحشرات والوحافات، بل بالأحرى أن تفرح أن لديك العين الولدة

في نشيد الأناشيد: "قد سببت قلبي يا أختي العروس، قد سببت قلبي بإحدى عينيك" (نش 4: 5). هذه هي العين التي بها وى الله، والتي أشار إليها

LXX موسى عندما قال: "أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم" (خر 3: 3)... وقال نبي: "يدخل الموت خلال نوافذك" (إر 9: 21)... وقد أمر (الوسل)

أن **يرفعوا أعينهم**، ويتطلعوا إلى القول، فإنها قد ابيضت للحصاد [35] [537].

القديس جيروم

"والحاصد يأخذ أجرة،

ويجمع ثوراً للحياة الأبدية،

لكي يفرح الورع والحاصد معاً". [36]

الآن يتقدم السيد المسيح بكونه الورع الذي غرس الكلمة في قلب السامرية، وفي ساعات قليلة جداً قام بدور الحاصد، وفرح وتهلل من أجل

الثمر حيث آمن به كل أهل المدينة قائلين: "إن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم" [٤٢].

❖ يقصد المسيح هنا الحاصد الروحاني، لأن ثروة الحصاد الجسداني لا تبلغ إلى الحياة الأبدية، بل إلى هذه الحياة الوقتية، أما ثروة الحصاد الروحاني

فإنها تبلغ إلى حياة خالية من الشيخوخة والموت. رأيت كيف أن أفواله محسوسة ومعانيها روحانية؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ضعوا في اعتباركم أنه إن كان موسى والأنبياء هم الذين زرعوا، إذ كتبتوا الأمور "لإنذرنا نحن الذين انتهت إلينا وأخر الدهور" (١ كو ١٠ : ١١)،

وأعلموا عن رحلة المسيح. وانظروا إن كان الذين حصوا هم الوسل الذين قبلوا المسيح، ورؤا مجده الذي يتفق مع بذار الأنبياء العقلية الخاصة به،

التي حُصدت بواسطة إواك السرّ المخفي منذ الدهور، وأعلن في أواخر الأمانة" (أف ٣ : ٩؛ ١ بط ١ : ٢٠). "الذي في أجيال أخر لم يعرف به بنو

البشر كما قد أعلن الآن لوسله القديسين وأنبيائه" (أف ٣ : ٥).

الآن فإن الخطة الكاملة الخاصة بإعلان السرّ المحفوظ في كتمان لأمنة أبدية، والآن أعلن خلال الأسفار النبوية وظهور ربنا يسوع المسيح، وذلك في الوقت الذي فيه جعل التور الحقيقي الحقل مبيضة للحصاد، إذ أشرق عليها بكونه البذرة.

حسب هذا التفسير الحقل التي عُرس فيها البنور هي كتابات الناموس والأنبياء التي لم تكن قد ابيضت بالنسبة للذين لم يتقبلوا حضور الكلمة. لكنها صلت هكذا بالنسبة للذين صاروا تلاميذ ابن الله، وأطاعوه، هذا القائل: " **رفعوا أعينكم وانظروا الحقل إنها قد ابيضت للحصاد** " [35] [538].

❖ كتلاميذ حقيقيين ليسوع لرفع أعيننا وننظر الحقل التي غرسها موسى والأنبياء، لكي زى بياضها، وكيف قد أعدت لحصاد ثمرها، وجمعه لحياة أبدية، في رجاء نوال أيضًا مكافأة من رب الحقل ومانح البنور [539].

❖ كل إنسان، أيًا كان، يوقأ: "إن كثوين سيأتون من المشرق والمغرب، ويتكئون مع إواهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات" (مت ٨ : ١١)، سيتفق في إن اليراع والحاصد يوحان معًا، حيث يهرب كل أنين وحرز ووجع في الدهر الآتي (إش ٣٥ : ١٠).

إن تردد أحد في قبول أنه حتى الآن الذي يزرع يوح مع كل من يحصد، ليذكر ما حدث في تجلي يسوع كوج من الحصاد عندما ظهر في مجد، ليس فقط للحصادين بطرس ويعقوب ويوحنا الذين صعنوا معه على الجبل، بل وأيضًا للغرسين موسى وإيليا من قبل، فاستتلوا إلى هذا الحد بواسطة الأب وأنلوا الذين رؤوه. هكذا الآن وى موسى وإيليا معًا مع الوسل القديسين [540].

العلامة أوريجينوس

"لأنه في هذا يصدق القول:

إن واحدًا يزرع،

وآخر يحصد". [37]

هوذا السيد المسيح يرسل تلاميذه للحصاد، الحقل الذي تعب فيه آباء وأنبياء العهد القديم زمانًا هذا مقدره.

❖ يمكننا القول أن واحدًا ينتمي إلى الناموس، والآخر إلى الإنجيل، لكنهما يوحان معًا [36]، لأن لهما هدف واحد من الله الواحد بيسوع المسيح الواحد، المخزن لهما في الروح القدس الواحد [541].

العلامة أوريجينوس

❖ الأنبياء هم الذين زرعو ولم يحصنوا، وأما الذين حصنوا فهم الوسل. لكن لم يُحرم الذين زرعو فقط من الفوح بالمكافأة على أتعابهم، إنما تهللوا وابتهجوا بالرغم من أنهم لم يحصنوا [542].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أنا أرسلتكم لتحصنوا ما لم تتعبوا فيه.

آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم". [38]

❖ ولم قال المسيح هذه الأقوال لتلاميذه؟ حتى إذا أرسلهم للمناداة لا يضطربوا كأنهم مرسلون إلى عملٍ شديد الصعوبة، لأن عمل الأنبياء كان أكثر تعبًا... إذ جاء التلاميذ إلى الأعمال الأسهل من غوها، لأنه كما أن الثوة تجمع في الحصاد بسهولة كذلك يصير عملهم الآن. بهذا شجع المسيح تلاميذه كثوًا، لأن هذا العمل إذا كان يُظن أنه متعب، إذ يجولون المسكونة وينادون بالتوبة، بين لهم أنه سهل، لأن العمل الذي كان متعبًا جدًا، إنما كان ذلك العمل الذي احتاج تعبًا كثوًا، وهو بذر البنور وأن يدخلوا نفسًا بعيدة إلى معرفة الله [543].

❖ الآن عمل الحصاد غير الزرع. لقد حُفظتكم لعمل أقل مشقة بينما المسوة أعظم، ليس أن ترزعو لأنه يحتاج إلى جهد أصعب وإلى ألم.

في الحصاد ننال عائداً عظيماً بينما الجهد والألم ليسا هكذا عظيمًا، حقًا أنه أكثر سهولة... العمل الشاق الذي يتطلب جهدًا هو غرس البنور ودخول النفس التي لم تتل العضوية (الكنسية) إلى معرفة الله... هذه هي رغبة الأنبياء أن يحضروا كل البشر إليّ، هذا ما كان يعده الناموس. بسبب هذا

[544]

كانوا يغرسون لكي يأتوا بهذا الثمر. بهذا كله يظهر أنه أرسلهم أيضاً وأن العلاقة بين الجديد والقديم عظيمة، وقد أظهر هذا كله بهذا المثل .

القديس يوحنا الذهبي الفم

[545]

❖ الكلمة دائماً يجعل أتعاب الناس القدامى أكثر وضوحاً للتلاميذ الحقيقيين حتى لا يملسوا ذات الأتعاب التي واجهت الغرسين .

العلامة أوريجينوس

5. إيمان السامريين به

"فأمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين،

بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد أنه قال لي كل ما فعلت". [39]

لم يرَ أهل سوخار معجزة ما، لكن ما اجتذبهم إلى السيد المسيح هو شخصه وحديثه الإلهي. تمتعوا بكلمة المسيح الواهبة الحياة، هذا ما سيؤكدده الإنجيلي في الحقبة التالية... في حواره الأول السابق مع نيقوديموس القائد الديني ركز السيد على الميلاد الجديد بالمعمودية، وهنا يركز السيد على شخصه لكي يقبله الأمم ويتمتعوا بعمله الخلاصي.

❖ إن تطلعنا إلى ما يُقال بخصوص السامرة، والمرأة السامرية وبئر يعقوب فإنه ليس من الصعب أن نرى كيف أن هؤلاء الذين أحبوا بالتعاليم الباطلة تركوا مدينة رآتهم كما لكي يتمتعوا بالتعليم الصادق. وإذا تركوها آمنوا بحق بالتعليم الخلاصي بسبب امرأة واحدة سبق فقبلت تعليم الخلاص عند بئر يعقوب، وقد تركت جرتها السابقة المُشار إليها لكي تدعو الآخرين لكي ينتقوا بنفس الطريقة [546].

العلامة أوريجينوس

"فلما جاء إليه السامريون،

سألوه أن يمكث عندهم،

فمكث هناك يومين". [40]

وى العلامة أوريجينوس أن يسوع مكث معهم ليس في مدينتهم، إذ خرجوا إليه خرج مدينتهم [٣٠]، أي مكث في عقولهم.

لم يذكر الكتاب أنه صنع آيات بينهم، إذ كانوا بسطاء محتاجين ومستعدين لسماع الكلمة، تعلقوا بالسيد المسيح من أجل الحق. ولم يطلبوا آيات لكي يتحققوا من شخصه كما طلب كثير من القيادات اليهودية.

في إنجيل لوقا نجد سامريين رفضوا أن يعبر يسوع بمدينتهم (لو ٩: ٣٥). هنا نجد سامريين يسألونه أن يمكث معهم، ففي كل شعب نجد من يقبل الحق، ومن لا يطيقه.

مع أن السيد المسيح كان في طريقه من اليهودية إلى الجليل، ومرّ عارواً بالسامرة، فإنه إذ وجد فرصة للخدمة، وقولاً للكلمة لم يرفض طلب السامريين بل مكث معهم يومين.

❖ يبقى يسوع مع الذين يطلبونه، خاصة عندما يتوك سائله مدينتهم، ويأتون إلى يسوع، مقتدين بإواهم عندما أطاع الله الذي قال له: "أخرج من مدينتك ومن شعبك ومن بيت أبيك" (تك ١٢: ١) [547].

❖ يبقى يسوع يومين مع الذين يسألونه، لأنهم لم يتركوا بعد يومه الثالث، إذ كانوا غير قادرين على إرواك أي شيء معجزي مثل هؤلاء الذين أكلوا مع يسوع في اليوم الثالث في عرس قانا الجليل (يو ٢: ١) [548].

العلامة أوريجينوس

"فأمن به أكثر جداً بسبب كلامه". [41]

لقؤهم مع السيد وهبهم نوراً في الإيمان ووايذاً في عدد المؤمنين .

- ❖ نال اليهود معرفة أكثر من السامريين، وتعرفوا يوماً على الأنبياء، وأكلوا معهم، فظهروا في هذا أنهم متأخرون عنهم، لأن هؤلاء السامريين آمنوا بالمسيح بناء على شهادة امرأة، نون أن يبصروا منه معزة واحدة، وخرجوا مسوعين يطلبون من المسيح أن يقيم عندهم، أما اليهود فشاهوا بأعينهم عجائبه، وليس أنهم لم يستبقوه معهم بل طروه بعيداً، واستخدموا كل وسيلة لاستبعاده عن بلادهم، مع أنه قد جاء أصلاً لأجلهم [\[549\]](#) .
- ❖ سيدين هؤلاء السامريون اليهود بإيمانهم بالمسيح وقبولهم إياه، لأن أولئك اليهود بعد كل أعماله وعجائبه قاموه دفعات متصلة، أما السامريون فبدون آيات أظهروا إيمانهم به.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" وقالوا للمرأة:

إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن،

لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم." [42]

رؤيتهم للسيد المسيح وسماعهم له ثبتت إيمانهم الذي تسلموه من المرأة، وانجذب كثيرون معهم في ذات الإيمان، كما تعرفوا عليه أنه ليس مخلص اليهود وحدهم ولا معهم السامريون فحسب، بل هو بالحقيقة مخلص العالم الذي قال عنه إشعياء النبي: "جعلتك نوراً للأمم، لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض" (إش ٤٩: ٦).

إيمانهم حمل يقيناً "بالحقيقة المسيح مخلص العالم"، وكما قالت ملكة سبأ لسليمان الملك: "صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في رُضي عن أمورك وحكمتك، ولم أصدق، حتى جئت وأبصت عينا، فهذا النصف لم أخبر به" (١ مل ١٠: ٦-٧).

هذه هي البذار التي غرسها السيد المسيح في السامرة في خلال يومين، نسمع بعد حوالي ربع أو خمس سنوات عن تبشير فيلبس في السامرة، حيث وجد بذراً صالحاً في الأرض (أع ٨: ٥-٦، ٨). كما وجد أيضاً أثراً مثل سيمون الساحر (أع ٨: ٩-١٠).

❖ تفوق الدارسون على معلمتهم، وصار لهم الحق في إدانة اليهود بقبولهم له وإيمانهم به... أركوا في الحال أنه سوف يجتذب العالم إليه، وأنه جاء ليصنع خلاصاً لنا شاملاً، ولا تقتصر عايتته على اليهود وحدهم... إنه المخلص الحقيقي الذي يهب الخلاص الحقيقي الأبدى وليس الزماني. [\[550\]](#)

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لم يصفوا المسيح مخلصاً على بسيط ذات الوصف، لكنهم قالوا: "نحن نعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم"، الواهب الخلاص الحقيقي لا الخلاص الوقتي فقط. وهذا القول كان عن إيمان خالص، والدليل على ذلك أولاً لأن إيمانهم كان خالياً من عجائب شاهوها. ثانياً على الرغم من أنهم سمعوا المرأة قائلة في رتياب "ألعل هذا هو المسيح" لم يقولوا إننا نظن أنه المسيح، لكنهم قالوا: "نحن نعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم". فإنهم لم يعترفوا بالمسيح كأنه واحد من كثيرون، لكنهم أقروا أنه بالحقيقة المخلص، ومع أنهم لم يبصروه قد خلص، وإنما سمعوا كلامه قالوا هذا القول، فلو أنهم أبصروا عجائبه لقالوا أقوالاً كثيرة عظيمة. وإذ قالوا عن المسيح إنه مخلص العالم أوضروا أنه مخلص العالم الضال.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد جحدوا إيمانهم القائم على حديث المرأة، وذلك عندما اكتشفوا أن سماعهم للمخلص نفسه أفضل من هذا الإيمان. فقد عرفوا هم أيضاً "أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم" [٤٢].

حقاً إنه من الأفضل أن تكون شاهد عيان للكلمة، وأن تسمع له، دون استخدام الأعضاء الجسمانية وتدخل المعلمين، هذا الذي يعلم ويقدم صوراً أمام العقل لإظهار الحق بأكثر وضوح، أفضل من الاستماع للوسيلة عنه خلال الخدام الذين رؤوه بينما لا واه الشخص ولم يستتر بقوته [\[551\]](#) .

❖ ليس بالأمر المدهش في الحقيقة أن البعض يُقال عنهم أن يسلكون بالإيمان لا بالعيان، وآخرين يسلكون بالعيان (الداخلي) الذي هو أعظم من السلوك

العلامة أوريجينوس

6. ذهابه إلى الجليل

" وبعد اليومين خرج من هناك،

ومضى إلى الجليل". [43]

❖ قضى يومين في السامرة فأمن به السامريون، وقضى أيامًا كثيرة في الجليل ومع ذلك لم يؤمن به الجليليون... لم ينتظر السامريون آية، بل أموا بمجرد كلمته... بحديثه وحده آمن كثير من السامريين، وبالمعجزة التي فعلها لم يؤمن في الموضع سوى ذلك البيت [53] [553].

القديس أغسطينوس

" لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه". [44]

رى البعض أن الإنجيلي يقصد أن يسوع ذهب إلى الجليل وليس الناصرة، وإن كان قد اعتاد السيد أن يذكر هذا المثل مشيرًا إلى وطنه "الناصرة" (مت 13: 57؛ مر 6: 4؛ لو 4: 24).

لم يذهب السيد المسيح إلى وطنه بل إلى الجليل ليس طلبًا للكرامة الزمنية، وإنما لأنه لا يقم نفسه على شعب يرفضه. حتى عندما ظهر لتلاميذه وسط العاصفة يقول الإنجيلي: "ولما قبلوه دخل السفينة". يشتهي السيد أن يعبر إلينا، ويدخل إلى مدينتنا، ويقود سفينة حياتنا، لكن ليس قهرًا بل عندما نطلبه. هذا ومن جانب آخر فإن الذين يطلبونه ويكرمونه يطلبهم ويكرمهم. "أكرم الذين يكرموني، والذين يحترقونني يصغرون" (أم 2: 30). إنه لجأ إلى الجليل بعد أن قدم كل فرصة ممكنة لشعبه ووطنه، إذ يقول: "بسطنت يدي طول النهار إلي شعب متعود" (إش 65: 2؛ رو 10: 21).

❖ لماذا أضاف هذا (المثل)؟ لأنه لم يرحل إلي كورناحوم بل إلي الجليل، ومن هناك إلى قانا. ولكي لا تسأل لماذا لم يمكث مع شعبه بل مع السامريين، أضاف الإنجيلي السبب، مطهوا أنهم لم يكونوا يبالون به. لهذا لم يذهب إلي هناك، حتى لا تكون دينونتهم أعظم. لأنني أظن أنه يتحدث هنا عن كورناحوم أنها "وطنه". ولكي يظهر أنه لم ينل كرامة هناك اسمعه يقول: "وأنت يا كورناحوم المرتفعة إلى السماء، ستهبطين إلى الهاوية" (مت 11: 23). لقد دعاها وطنه، لأنه هناك حقق تدبير الكلمة (التجسد الإلهي) وسكن فيها على وجه الخصوص [554].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فلما جاء إلى الجليل قبله الجليليون،

إذ كانوا قد عابوا كل ما فعل في أورشليم في العيد،

لأنهم هم أيضًا جاؤا إلى العيد". [45]

❖ قبله الجليليون بكونه المسيا الموعود به، وذلك بسبب ماروّه من آيات وعجائب صنعها في أورشليم حين كان في عيد الفصح (يو 2: 23). ها سامريون وجيلليون قد آمنوا بالمسيح لحرى اليهود وتخجيلهم، فالسامريون وجوا أفضل من الجليليين، لأن أولئك السامريين قبلوه من كلام المرأة، أما الجليليون فقبلوه من معجزاته. يذكر الإنجيلي السامع بالمعجزة (تحويل الماء خمرًا في قانا الجليل) ليرفع من مديح السامريين، فقد قبله رجال قانا بسبب المعجزة التي تمت في أورشليم، ولم يكن هذا حال السامريين، إذ قبلوه من أجل تعليمه وحده [555].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فجاء يسوع أيضًا إلى قانا الجليل حيث صنع الماء خمرًا،

وكان خادم للملك ابنه مريض في كورناحوم". [46]

كانت قانا على الطريق من الناصرة إلى كفناحوم وبحر طبرية.

وى العلامة أوريجينوس أن زيلرتي يسوع إلى قانا الجليل تشوان إلى مجيئه الأول والأخير. ففي المجيء الأول حول الماء خرواً، وفي الثاني وهب الحياة لابن خادم الملك الذي أوشك على الموت. [توجد أيضاً زيلتان للكلمة في النفس. في الأولى يهبها خرواً من الماء، لأجل بهجة الذين يعيدون معاً، والثانية فيها يوزع كل مرض لمدى طويل، وكل تهديد للموت [556].]

❖ في الرحلة الأولى بعد عمادنا يجعلنا نحن الذين نسكن معه مبتهجين، واهباً إيانا خمر قوته لكي نشرب. هذا الماء عندما سُحب وألاً صار خرواً عندما حوَّله يسوع. لأن الكتاب المقدس كان بالحق ماءً قبل مجيء يسوع، ولكن منذ مجيئه صار لنا خرواً. في زيلرته الثانية حيث سلمه الله الدينونة، بحرنا من حمى وقت الدينونة. إنه يحل ابن الملك من الحمى، ويشفيه تماماً، سواء يفهم انه ابن إواهم، أو ابن حاكم يدعى خادم الملك [557].

العلامة أوريجينوس

❖ جاء إلي الجليل بسبب حسد اليهود، ولكن لماذا جاء إلى قانا؟ جاء إليها وألاً بكونه مدعو إلي عرس، ولكن لماذا جاء الآن؟ حسب ظني أنه جاء لكي بحضوره يثبت الإيمان الذي زرعه بمعجزته، ولكي يجتذبهم إليه أكثر بحضوره إليهم مدعواً من نفسه، تركاً مدينته ومفضلاً إياهم عنهم [558].

القديس يوحنا الذهبي الفم

7. شفاء ابن خادم الملك

" هذا إذ سمع أن يسوع قد جاء من اليهودية إلى الجليل،

انطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه،

لأنه كان مشرفاً على الموت ". [47]

لم يفعل السيد المسيح شيئاً سوى أنه تكلم، مقدماً كلماته واهبة للحياة، إذ كان الابن قد قرب الموت [47].

خادم الملك *Basilibos*، وهو حلس في القصر الملكي. وى كثير من الدارسين أن الملك هنا هو هيرودس أنتيباس رئيس ربيع علي الجليل، كان الشعب يدعوه "الملك". وى القديس جبروم أن اسمه *Palantinus*، بينما وى آخرون أنه خوزي *Chuza* (لو ٨: ٣) وهو زوج يونا السيدة التي كانت تتبع السيد المسيح مع النساء اللواتي كن يخدمنه من أموالهن الخاصة، وآخرون أنه مناين *Manaen* (أع ١٣: ١).

جاء الوصف هنا دقيقاً، إذ يقول: "سأله أن ينزل ..."، لأن السيد كان في قانا الجليل وهي علي هضبة عالية جداً بينما كفناحوم تقع علي شاطئ بحر الجليل في مستوى البحر. هذا يؤكد أن الكاتب يترك تماماً طبيعة المنطقة.

جاء خادم الملك من كفناحوم إلى قانا، وهي مسافة تبلغ حوالي 16 ميلاً.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن هذا الشخص إما أن يكون من الأسرة الملكية، أو نال كرامة عظيمة بسبب وظيفته، لهذا لقب بالنبي أو الشريف. كما يقول أن البعض يحسونه ذات الشخص الورد في مت 8: 5، لكن القديس يرفض ذلك، فإن الاختلاف بينهما ليس من جهة الكرامة فحسب، وإنما من جهة الإيمان أيضاً. فالورد في إنجيل متى حتى عندما أراد يسوع أن يذهب إليه توسل إليه أن يبقئ؛ أما هذا فقد طلب من السيد أن يأتي إلى بيته دون أن يسأل السيد هذا. الأول قال "لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي" والثاني حثه علي المجيء قائلاً: "أقول قبل أن يموت ابني". في الحالة الأولى كان السيد نزلاً من الجبل داخلاً كفناحوم، أما هنا فجاء من السامرة ولم يدخل كفناحوم بل قانا حيث قابله الرجل. الأول كان خادمه مصاباً بفالج، أما هنا فابنه مصاب بحمي [559].

" فقال له يسوع:

لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب ". [48]

لم يقل له السيد أنه ليس له إيمان، بل كان ضعيفاً في إيمانه. لم يكن قانواً أن يؤمن بأن السيد يشفيه ما لم يحضر بنفسه من قانا إلى كوناخوم. إنه الإيمان الضعيف الذي يقوم على أساس المعجزات، وهو إيمان كثوفاً ما لا يتعدى العقل، لذا يتعوض للضعف والشك. هذا بخلاف الإيمان خلال إعلان الله للنفس، وتمتعها بأسرار الكلمة الإلهية.

يتساءل **القديس يوحنا الذهبي الفم** لماذا قال السيد المسيح هذا مع أنه واضح أن هذا الشخص كان مؤمناً، وما أن سمع كلمة من السيد المسيح حتى آمن [50] ؟ ويجب علي ذلك بقوله: [إما أنه استخدم هذه الكلمات لتوكية السامبيين، لأنهم آمنوا دون آيات، أو لكي يلمس بها كوناخوم التي يظن إنها وطنه، والتي جاء منها هذا الشخص. أضف إلى هذا ما قاله شخص ما "أؤمن يا سيد فأعن عدم إيماني" (مر 9: 24). هكذا إن كان هذا الحاكم قد آمن، فإن إيمانه لم يكن كاملاً، أو لم يكن سليماً، هذا يظهر من سؤاله عن الساعة التي فيها أخذ يتعافى [52]، ليعرف إن كان ما قد حدث طبيعياً أم بناء على أمر المسيح [560].

قال له خادم الملك:

يا سيد انزل قبل أن يموت ابني". [49]

مع إيمانه الذي جعله يتحرك ليقطع هذه الرحلة، ويلتقي مع السيد المسيح، تركاً ابنه علي فراش الموت، لكنه في ضعف لم يدرك أنه يتحدث مع غالب الموت وواهب القيامة. في مروة كان يتعجل تحرك السيد المسيح إلى بيته قبل أن يموت ابنه. لقد ملك الووع علي قلب أب كاد أن يفقد ابنه، وقد أظهر السيد نوعاً من التباطؤ، ليس في عدم مشركة لمشاعر الأب المرتعب من موت ابنه، وإنما لبنيان نفسه ونفوس كثوة. يريد السيد أن يوجه أنظار الأب وكل من حوله إلى سر الحياة والقيامة، إلى شخصه كمخلص العالم. أما عمل الآية فيعطى كهبة إضافية كمن يطلب ملكوت الله ووه.

كثوا ما تحدث القديس **أغسطينوس** عن ضعف علاقتنا بالله وانحرافها، حينما لا يشغلنا سوى التمتع بالنعم والبركات الزمنية من الله صانع الخوات عوض الانشغال به واقتناه في داخلنا.

بنفس الروح يطالبنا القديس بولس ألا تكون علاقتنا بالقديسين مجرد علاقة للتمتع بمعونتهم، خاصة في حل المشاكل المادية أو المعنوية أو الاجتماعية، إنما في الرجة الأولى علاقة حب داخلي كأساس للإقتداء بسوتهم في المسيح يسوع. " انظروا إلى نهاية سوتهم فتمتوا بإيمانهم".

❖ انظر إلى أقوال خادم الملك، كيف تبين ضعفه، لأنه كان واجباً عليه أن يتصور في ربنا تصوراً عظيماً من أجل ابنه. لأن بقوله للمسيح: "يا سيد انزل قبل أن يموت ابني" أوله بمؤلة من هو ليس مقتوراً أن يقيم ابنه بعد موته، وكما لو كان غير علف بحال الغلام. لهذا السبب فإن المسيح لاه، لاهماً ضموره، مظهراً أن معجزاته تتم لحساب النفس. هنا يشفي الأب المريض في ذهنه لكي يحتنا أن نهتم به لا لأجل الآيات بل بتعليمه. فإن الآيات ليست للمؤمنين بل لغير المؤمنين [561].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لديه إيمان قليل في ذلك، إذ ظنه لا يقدر أن يشفي ما لم يكون حاضراً بالجسد. لو أنه آمن بالكامل لعرف أنه لا يوجد موضع ليس فيه الله حاضراً... فالذي خلق كل شيء برادته يحقق الشفاء بمجرد أمر منه [562].

البابا غريغوريوس (الكبير)

"قال له يسوع:

اذهب ابني؟

فآ من الرجل بالكلمة التي قالها له يسوع وذهب". [50]

اهتمام السيد المسيح بتوجيه خادم الملك إلى الإيمان الحي القوي لا يعنى تجاهله الجهد الذي بذله بحضوره إليه وقطعه هذه الرحلة، فإن مسيحا لا ينسى تعب المحبة، ولا يتجاهل كأس ماء بلرد يُقدم باسمه. هذا وهو الكلي الحب لا يتجاهل مشاعر أب وى ابنه علي سوير الموت، وقد اعتصر قلب

الآب. وأخوًا فإن لجاجة الرجل لها تقدها، إذ يطالبنا أن نصلي ولا نمل، وقد مدح الأرملة التي من أجل لجاجتها سمع لها القاضي الظالم.

بقوله: " اذهب ابنك حي " أعلن سلطانه المطلق، فهو ملك الملوك ورب الأبواب له "الحياة في ذاته"، صاحب سلطان، ينتهر الأرواح فتترو، والموت فيولي هربًا. أما خادم الملك فيعرف ما للأوامر الملكية من سلطان وقوة، فلا تقاس فيها. تقبل الكلمة كأمر ملكي وانطلق في يقين بلا جدال ولا حوار ليتمتع بهذا الكنز الثمين: الأمر الإلهي النافذ العمل!

آمن القائد، لكن بقي الإيمان مشروطاً في داخله، وهو أن يتأكد بأن ابنه قد شُفي، لذلك قيل فيما بعد: "فآمن هو وببئته كله" (مت 20: 12).

"وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه قائلين:

إن ابنك حي". [51]

" فاستخوهم عن الساعة التي فيها أخذ يتعافى،

فقالوا له أمس في الساعة السابعة تركته الحمى". [52]

بسؤاله كشف خادم الملك عن ضعف إيمانه، لكن كما قيل عن السيد: "قتيلة مدخنة لا يطفى، وقصبة موضوعة لا يقصف" (مت 12: 20). إنه

الواعي الذي يهتم بالخوف الضعيفة حتى يسندها، ويدخل بها إلى حظوة الإيمان.

"ففهم ال آب انه في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع إن ابنك حي،

فآمن هو وببئته كله". [53]

" هذه أيضًا آية ثانية صنعها يسوع لما جاء من اليهودية إلى الجليل". [54]

سبق فأشار الإنجيلي إلى معزة تحويل الماء خمرًا عندما قال بأن يسوع جاء إلى قانا الجليل [46]، وها هنا يشير إليها بقوله: "هذه أيضًا آية

ثانية صنعها يسوع...". وكان الإنجيلي أراد أن يربط بين الآيتين، الأولى في بداية خدمة السيد المسيح حيث حوّل العالم إلى عرس أبدي ليتمتع الكل بخمر

محبة الله وفوح السماء الذي لا ينقطع. والثانية حيث أشرف ابن خادم الملك علي الموت، وغالبًا ما كان أمميًا، فوهبه الشفاء ليعلن أنه يطلب سلامة

الشعب أو سلامة عروسه. تمجد السيد المسيح في المعزة الأولى أمام صاحب العرس اليهودي، وتمجد هنا أمام الجوع التي جاءت في بيت خادم الملك

الأممي.

وروى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الإنجيلي ذكر هذا ليكشف عن سمو السامريين الذين آمنوا بالسيد المسيح نون أن يروا المعزة الأولى أو

الثانية، بل قبله من خلال تعليمه.

❖ يحوى هذا القول أيضًا مديحًا للسامريين، موضحًا أن اليهود بعد أن تمت "آية ثانية" لم يصلوا بعد إلى علو أولئك السامريين الذين لم يبصروا ولا آية

واحدة.

❖ لم يذكر الإنجيلي كلمة "ثانية" بلا هدف، وإنما لكي يزيد من دهشة السامريين بإظهار أنه حتى عندما تمت آية ثانية فإن الذين شاهدوها لم يبلغوا بعد

إلى سمو الذين لم يشاهدوها. [563]

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي يو 4

بنوع حبك يروي أعماق نفسي!

❖ حبك العجيب يتحدّى كل القوانين!
لا تقف أمامه صعاب أو عقبات!
من أجل امرأة ساموية فقورة وسيرتها مشينة،
انطلقت إلى السامرة، ساوًا على قدميك، صائمًا!
يا من يشتهي السمايون أن يحملوك.
جسدك الوقيق صار مهفًا!
لكن نفسك كانت في ظمًا إلى خلاص المرأة!

❖ خجلت الساموية من الذهاب صباحًا حتى لا تلتقي بأحد.
لم يكن لديها خادم أو جارية يجلب لها ماءً.
وجَدَّتْكَ وحدك وسط الظهيرة تبحث عنها.
تحمل إليها ينابيع مياه حيّة،
من يشرب منها لا يعطش أبدًا.

❖ تواضعك مع حبك ولطفك أنساها العدو بين السامريين واليهود.
التطلع إليك ألهب قلبها للعبادة لله.
وثقت فيك، فاسترسلت تتحدث في أمر العبادة!
تعرفت عليك، وتوجت في معرفتها لك.
إذ بحثت عنك بإخلاص، أعلنت ذاتك لها!

❖ يا للعجب، إنها لم تر قط معزة أو آية فائقة،
لكن حديثك سحب كل كيائها للتمتع بالخلاص.
اعترفت بأسورها لشخصية، إذ وجدت عريس نفسها.
لم يشبعها الرجال الخمسة السابقين، ولا الرجل الذي معها.
أركت أن أسفار موسى الخمسة،
والتعاليم التي بين يديها،
لن تزوي ظمًاها.
أنت وحدك عريس نفسها.

❖ اقتنتك في داخلها،

فاتسع قلبها بالحب لكل بشرٍ .
تركت جرتها، ودون أن تستأذن جرت إلى مدينتها .
بقلبها النزي لم تحجل أن تعترف بحكمة فائقة:
"إنسان قال لي كل ما فعلت،
أعلّ هذا هو المسيح؟!"
خرجت المدينة بأسرها وانطلقت نحو العريس العجيب!

❖ لم يصدر لها أمر بالكولة،
ولا توربت على فن الشهادة،
لكنها فعلت ما لم يفعله رسول أو تلميذ!
بحبها جذبت المدينة كلها،
وإذ التقوا بك رفضوا أن يتعلّموا من غيرك .
أعلنوا في يقين ما لم يعلنه تلاميذك:
نعلم أن هذا هو بالحقيقة مخلص العالم!

❖ حقًا أنت مخلص العالم،
أنت واهب الشفاء والحياة .
يا من أقيمت ابن خادم الملك كما من الموت!
أقم نفسي المسكينة،
فتتمتع بك، يا مصدر الحياة والفرح!
[ك](#)

الأصاحح الخامس

شفاء مريض بيت حسدا

الطبيب الإلهي

في هذا الأصاح نجد لقاء بين السيد المسيح، الطبيب السملوي، ومريض بيت حسدا الذي عانى من الفالج 38 عامًا. وهو طبيب فريد يسعى نحو المريض دون أن يطلبه، وإن كان لا يشفيه قسورًا بل يسأله: "أتريد أن تروا". النقي به عند بيت حسدا التي كان لها خمسة أروقة، إشارة إلى كتب موسى الخمسة، أو إلى الناموس. فالناموس يفضح الخطية، ويؤكد لنا المرض، والحاجة إلى طبيب سملوي قادر أن يعالج.

ابرز الطبيب ما في المريض من سمات صالحة، فقد اتسم بالوداعة. فعندما سأله السيد: " أتريد أن تروا " لم يثر، بل في وداعة عجيبة أجابه. "يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء، بل بينما أنا آت ينزل قدامي آخر". [7] من يسقط في مرضٍ مدة طويلة غالبًا ما يُصاب بأتعاب عجيبة، تزداد مع تزايد فترة المرض. أما هنا فزاه وديعًا للغاية. هذا وعندما قال له السيد " قم احمل سريرك وأمشي" [8]، آمن وللحال قام ومشى وحمل سريره. إنه ملقي عند البركة منذ قبل ميلاد السيد المسيح بالجسد، وربما لم يسمع عنه، فقد كاد أن يصير محرومًا من لقاء الأقراب والأصدقاء بعد كل هذا الزمن من المرض. ومع هذا لم يحلور السيد كيف يقوم، وكيف يقدر أن يمشي دفعة واحدة، ويحمل سريره؟

قد عجزت الزواج البشرية عن شفاء هذا المفجوع المُلقى عند البركة لمدة 38 عامًا. تدخل السيد المسيح سائلًا إياه: أتريد أن تروا؟ لقد وهبه حياة جديدة في بيت حسدا التي تعني "بيت الرحمة".

لم تود هذه المعجزة في الأناجيل الثلاثة الأخرى، لأن يوحنا اهتم بالمعجزات التي تمت في أورشليم بينما اهتم الإنجيليون الآخرون بما تم في الجليل.

5. شفاء مفجوع بيت حسدا ١ - 9.
6. مقاومة اليهود 10-16.
7. حديث المسيح عن السبت ١٧ - ١٨.
8. حديث عن الحياة الأبدية ١٩ - ٣٠.
9. شهادة يوحنا المعمدان له ٣١ - ٣٥.
10. شهادة آياته وأعماله ٣٦.
11. شهادة الآب له ٣٧.
12. شهادة الكتاب المقدس له ٣٨ - ٤٧.

1 . شفاء مفجوع بيت حسدا

"وبعد هذا كان عيد لليهود،

فصعد يسوع إلى أورشليم". [1]

وى كثير من آباء الكنيسة والدرسين المعاصرين أن الظروف الوردية في هذا الأصحاح تكشف أنه كان عيد الفصح. هذا وقد جاء اهتمام الإنجيليون الثلاثة الآخرون بخدمة السيد المسيح في اليهودية مقتضبا جدًا ولم يشيروا إلى أعياد الفصح التي حلت منذ عماد السيد إلى صلبه، بينما أشار القديس يوحنا إلى جميع هذه الأعياد: الأول في ٢: ١٣، والثاني هنا ٢: ١، والثالث ٦: ٤، والرابع ١٣: ١. وإن كان لم يذكر صراحة هنا أنه عيد الفصح بل "عيد لليهود".

إذ حلَّ العيد، فمع إقامة السيد المسيح في الجليل إلا أنه صعد إلى أورشليم. لقد أوصى في الناموس بصعود الرجال إلى أورشليم في العيد، فلم يرد أن يستنثي نفسه مادام قد قبل أن يصير ابن الإنسان الخاضع للناموس. وهو في هذا يقدم لنا نفسه مثالاً للاهتمام بالعبادة الجماعية، حتى وإن مرسها الكثيرون في شكلية بلا روح.

إن كانت الحكمة تنادي في الأماكن العامة (أم ١: ٢١) فقد صعد الحكمة إلى أورشليم حيث جاء كثير من اليهود من كل بقاع العالم وأيضاً من الدخلاء، فيعلن لهم عن الحق، خاصة وأنهم جاؤا للعبادة، وقد تهيأت نفوسهم لقبول الحق والتعرف عليه.

إذ وردت كلمة "عيد" هنا بدون أداة التعريف لهذا رأى بعض الدارسين أنه لم يكن عيد الفصح بل عيد الخمسين، حيث تذكر استلام الناموس

ويعتقد كل من القديسين كيرلس الكبير ويوحنا الذهبي الفم بذلك. ويعلل البعض أنه عيد الخمسين أن السيد المسيح قدم حديثه عن مفهوم السبت واتهمهم بأنهم لا يصدقون موسى وإلا كانوا قد صدقوه، لأن الناموس يشهد له [45-47].

يلقب القديس يوحنا الذهبي الفم علي صعود السيد المسيح إلي أورشليم قائلاً: [غالباً ما كان يذهب إلى المدينة، فمن جانب لكي يظهر معهم في العيد، من جانب آخر لكي يجتذب الجمهور الذين هم بلا خبث، ففي مثل هذه الأيام يجتمع البسطاء معاً أكثر من الأوقات الأخرى [564].

يبدو أن السيد المسيح صعد إلى أورشليم وحده، ولم يكن معه التلاميذ، حتى يدخل كمن هو متخفي. هذا واضح من عدم معرفة المفوج لشخصه، لأنه ما أن شفاه حتى اعتزل عن الجمع [13].

"وفي أورشليم عند باب الضان بركة،

يُقال لها بالعبرانية بيت حسدا،

لها خمسة أروقة". [2]

يتحدث عن البركة والخمسة أروقة بكونها كانت قائمة في أثناء كتابة السفر. ووى البعض أن البركة وأروقتها لم تُدمر بتدمير الهيكل في أورشليم والخراب الذي حلَّ بأورشليم. ووى البعض أنه في نسخ كثيرة يُستشف من الحديث أنها لم تكن قائمة. أكتشفت البركة حديثاً، وهي بجوار كنيسة القديسة حنة. أظهرت الحفريات أن البركة مطوّقة بمستطيل به أربعة أروقة مع محوى خامس عبر البركة يقسمها إلى قسمين.

"بيت حسدا" Bethesda وليست بيت صيدا Bethsaida كما جاءت في بعض النسخ. الكلمة العبرية Bethchasadah وتعني "بيت الرحمة". ربما أخذت اسمها من مراحم الله التي ظهرت بشفاء الذين يقولون فيها.

"باب الضان": الأرجح أن هذا الباب سُمي كذلك، لأن الكهنة كانوا يغسلون غنم الذبائح ويأتون بها إلى الهيكل.

تشير البركة إلى المعمودية حيث يتمتع المؤمنون بالولادة الجديدة والشفاء من الخطية.

تشير الأروقة الخمسة إلى الناموس الذي سُجل خلال أسفار موسى الخمسة؛ يدخل منها المرضى إلى البركة، ليترك الداخلون أنهم مرضي وفي حاجة إلى الطبيب السموي.

الملاك النزل من السماء يشير إلى كلمة الله المتجسد، الطبيب السموي.

شفاء شخص واحد يشير إلى الكنيسة الواحدة التي تتمتع بالشفاء من الخطية.

تحريك الماء يشير آلام المسيح حيث ثلث الجوع عليه. كما يحمل تحريك الماء معنى أن مياه البركة تصير أشبه بمياه جارية حية، كمياه المعمودية التي يعمل الروح فيها فيولد الإنسان ميلاداً روحياً كما أعلن السيد المسيح لنيقوديموس (يو 3). وتشير إلى عطية السيد المسيح كقول السيد للسامرية، أن من يشرب من هذا الماء لا يعطش.

❖ كان هذا الماء هو الشعب اليهودي، والخمسة أروقة هي الناموس، لأن موسى كتب خمسة كتب. لذلك كان الماء مطوّقاً بخمسة أروقة كما كان هذا الشعب مُحكماً بالناموس. اضطراب الماء هو آلام الرب الذي حلَّ بين الشعب. الشخص الذي كان يتول ويُشفى وهو شخص واحد، لأن هذه هي الوحدة.

الذين يرفضون آلام المسيح هم منكبرون. إنهم لا يقولون، فلا يُشفون. إنهم يقولون: "هل أؤمن بأن الله تجسد، أن الله ولد من امرأة، وأن الله صُلب وجُلد ومات وُوح ودُفن؟ حاشا لي أن أؤمن بأن هذه من الله، إنها لا تليق بالله. دُع القلب يتكلم لا الرقبة. فإنه بالنسبة للمتكبرين يبدو لهم تواضع

الرب إنه غير لائق به. لهذا فالتمتع بالصحة أمر بعيد عنهم. لا تتكبر، إن أردت أن تُشفى فلتتول [565].

❖ انتبهوا أيها الأحباء، فإن الناموس قد أُعطي لهذه الغاية، أن يكشف عن الأمراض لا أن يزوعها. هكذا فإن هذا القطيع المريض الذي كان يمكن أن يكون مرضى في بيوتهم في سوية عظيمة لو لم توجد هذه الأروقة الخمسة. بدخلهم الأروقة الخمسة صاروا معروفين في أعين كل البشر لكن هذه

الأروقة لا تشفيهم.

❖ إذن فالناموس نافع في كشف الخطايا، لأن ذلك الإنسان يصير بالأكثر مذنباً جداً بتعديه للناموس، فيمكن أن يلجم كوياءه، ويتلمس معونة ذلك الذي يتحنن. أنصت إلى الرسول: "دخل الناموس لكي تكثر الخطية، ولكن حيث كثرت الخطية تزداد النعمة جداً" (رو ٥: ٢٠)... وفي موضع آخر: "حيث لا ناموس ليس هناك تعدٍ" (رو ٤: ١٥). يمكن أن يدعى الإنسان خاطئاً قبل الناموس، لكن لا يمكن أن يدعى متعدياً. ولكنه إذ أخطأ تسلم بعد ذلك الناموس، فوجد ليس فقد خاطئاً بل ومتعدياً. فإذ أضيف التعدي على الخطية لذلك "كثرت الخطية". وعندما كثرت الخطية تعلم الكوياء البشري في النهاية أن يخضع وأن يعترف لله ويقول: "أنا ضعيف" [566].

القديس أغسطينوس

❖ كان قد اقترب وقت تسليم المعمودية، وهي تحمل قوة كثرة، وأعظم البركات. تظهر كما في صورة بواسطة البركة والظروف الأخرى الملائمة... إذ وغب الله أن يقترب بنا إلي الإيمان بالمعمودية، فإنها ليس فقط تشفى الرجاسات بل والأمراض أيضاً [567].

القديس يوحنا الذهبي الفم

في هذه كان مضطجعاً جمهور كثير،

من مرضى وعمي وعوج وعسم،

يتوقعون تحريك الماء". [3]

ذكر من بين المرضى فقط ثلاث فئات، وهي العمي والوج العسم، وهي الفئات العاجزة عن النزول إلى الماء، لذلك تجمع منهم عدد كبير حول البركة في الأروقة الخمسة.

"لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة،

ويحرك الماء،

فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه". [4]

وى البعض أن هذا الملاك لم يكن يتول في البركة يومياً، وإنما في مواسم معينة، خاصة في الأعياد الثلاثة الكبرى. وأن هذا العمل من قبل الله ليؤكد للشعب أنهم وإن كانوا قد حرموا من الأنبياء وعمل المعجزات فإن الله لن ينساهم، وهو مهتم بهم.

وى البعض أن هذا الأمر بدأ بعد أن بنى رئيس الكهنة الشباب Eliashib حائطاً نحو أورشليم و قدسه بالصلاة، فشهد الله بقبوله ذلك خلال هذا العمل المعجزي للبركة. وآخرون يرون أن ذلك بدأ بميلاد السيد المسيح، وآخرون بعماده. ووى د. لاينفوت Dr. Lightfoot أنه جاء في يوسيفوس المؤرخ أنه في السنة السابعة من هيروودس، أي الثلاثين قبل السيد المسيح حدث زلزال عظيم. وحيث أن نزول الملائكة تصحبه أحياناً لزل، فربما كانت هذه هي السنة الأولى لبداية نزول ملاك على البركة. ووى البعض أن هذا الأمر توقف بموت السيد المسيح.

بقوله "كان ينزل" Katebainen في الماضي يوضح أن هذا الأمر كان قد توقف عند كتابة السفر، بينما يتحدث عن البركة إنها كانت قائمة في أيامه.

عدم الإشلة الصريحة إليها في كتابات يوسيفوس وفيلون وغوهما من الكتاب اليهود يشير إلى أن هذا العمل لم يبق إلى زمن طويل، أو لم يكن قائماً أثناء كتابتهم.

الاستحمام، خاصة في مكان عام بإلقاء الشخص بسوعة في الماء غالباً ما قد يصيبه ضرراً، لكن هنا كان المريض، أيًا كان مرضه، يوا إن قول أولاً إلى الماء..

❖ " لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء" [4]، ويهب معه قوة شفاء، حتى يتعلم اليهود أن رب الملائكة يقدر بالأكثر أن يشفي أمراض

وكما أن طبيعة المياه لم تكن تشفي هنا على بسيط ذات الشفاء، لأنها لو كانت هي الشافية لكان هذا الشفاء يحدث كل حين، لكنها كانت تشفي بفعل الملاك، هكذا الحال في تطهيرنا، ليس بفعل الماء على بسيط فعله، لكنه يقوم بتطهيرنا إذا قبل نعمة الروح، حينئذ يحل خطايانا كلها [568].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كان واحد فقط يُشفى إشارة إلى الوحدة، من يأتي بعد ذلك لم يكن يُشفى، لأنه لا يُشفى أحد خارج الوحدة [569].

القديس أغسطينوس

"وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمانٍ وثلاثين سنة". [5]

قضى المريض أكثر من نصف عمه عند البركة يعاني من الفالج، ولا يقدر أن يملس حياته اليومية. الصحة وزنة يؤمنا أن نستخدمها مادامت في أيدينا، ونقدم ذبيحة شكر لله عليها.

ربما يتساءل البعض: لماذا لم يُشف كل المرضى الذين في بيت حسدا بكلمة من فمه؟ هو طبيب النفوس والأجساد، لكن ما يشغله بالأكثر الشفاء الأبدي، حيث تتمجد النفوس ومعها الأجساد. فشفاء هذا المريض، وغالبًا ما كان أكثرهم عند البركة، وقد عرفه كل الحاضرين من المرضى وأقربائهم وأصدقائهم، وربما المدينة كلها. لهذا إذ يشفيه يفتح عيون الكل لينظروا شخص المسيا، ويتمتع الكل بالإيمان لكي يتمجوا أبدًا. شفاء هذا المريض كان ولا زال وراء شفاء نفوس كثيرة محطمة وبائسة. فلو أن السيد شفى الجميع بكلمة لبدأ في ذلك استواضًا لعملٍ إلهي معجز، لكن ما يشغل قلب السيد المسيح هو إيمان الكل، وتمتعهم بالشفاء الروحي ولأ.

❖ دخل موضعًا حيث يضطجع عدد ضخم من القطيع المريض من عمي وعوج وعسم، وبكونه طبيب النفوس والأجساد وقد جاء ليشفي نفوس كل الذين يؤمنون اختار من بين هذا القطيع واحدًا ليشفيه لكي يعني الوحدة... مع أنه كان قائلًا بكلمة أن يقيم الكل [570].

❖ هذه البركة وتلك المياه تبدو لي أنها تشير إلى الشعب اليهودي (رؤ 17: 15)... تلك المياه، أعني الشعب، قد أُغلق عليه في أسفار موسى الخمسة، أي الخمسة أروقة. لكن هذه الأسفار تحضر المرضى ولا تشفيهم. لأن الناموس يدين الخطاة ولا يبرئهم. لذلك فإن الحرف بدون النعمة يجعل الناس مذنبين، هؤلاء الذين إذ يعترفون يخلصون.

هذا ما يقوله الرسول: "لأنه لو أُعطي ناموس قادر أن يحيي لكان بالحقيقة البر بالناموس" (غلا 3: 21). ويكمل قائلاً: "لكن الكتاب اغلق على الكل تحت الخطية ليعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون" (غلا 3: 22). أي شهادة أكثر من هذه؟ أليست هذه الكلمات قد شاحت الخمسة أروقة وجمهور قطع المرضى؟ [571]

❖ في رقم ٤٠ إشارة إلى إتمام البر، حيث نعيش هنا في جهاد وتعب وضبط للنفوس وأصوام وضيقات. هذا هو ممرسة البر، وهو أن تحتل وأن تصوم عن هذا العالم لا عن طعام الجسم، الأمر الذي نفعله لكن ناولًا، أما الصوم عن محبة العالم فيؤم أن نمرسه دومًا. إذن ينفذ الناموس من يمتنع عن هذا العالم. إذ لا يستطيع أن يحب ما هو أبدي ما لم يكف عن محبة ما هو زماني.. لتهم بمحبة الإنسان ولتحبها كما لو كانت يد النفس. متى أمسكت بشيء لا تقدر أن تمسك بشيء آخر. ولكي ما تقدر أن تمسك بما يُعطى لها يؤمها أن تترك ما تمسك به فعلاً...

كمال البر (حسب الناموس) يظهر بالعدد ٤٠. ما هو الذي يكمل الرقم ٤٠؟ أن يضبط الإنسان نفسه عن محبة هذا العالم. يضبطها عن الأمور الزمنية حتى لا تحب لأجل تدميرنا... لهذا السبب فإن الرب صام أربعين يومًا وموسى وإيليا. الذي أعطى خادميه السلطان أن يصوما ٤٠ يومًا ألم يكن قائلًا أن يصوم ٨٠ يومًا أو مائة يوم؟ إذن لماذا لم يرد أن يصوم أكثر مما أعطى خادميه أن يفعلوا إلا لأنه في هذا العدد ٤٠ سر الصوم والهد في العالم... ماذا يقول الرسول: "قد صُلب العالم، وأنا للعالم" (غلا ٦: ١٤). لقد أكمل إنن رقم ٤٠...

لماذا في رقم ٤٠ كمال البرّ؟

قيل في الغوامير: "يا الله أرْم لك تَونيمة جديدة على قيثارة ذات عشر أوتار أرْم لك" (مز ١٤٤: ٩)، والتي تشير إلى الوصايا العشرة التي للناموس، التي جاء الرب لا لينقضها بل ليكملها. والناموس نفسه خلال العالم كله واضح أن له أربع جهات شرق وغرب وجنوب وشمال، كما يقول الكتاب... لذلك رقم ٤٠ هو الهدى عن العالم، هو تنفيذ الناموس. الآن فإن المحبة هي تكميل الناموس (رو ١٣: ١٠؛ غلا ٥: ١٤). لكن وصية المحبة مزدوجة: "حب الرب إلهك من كل قلبك... والأخرى مثلها حب قريبك كنفسك" فمن لديه تقصير في الاثنين يكون له عجز الرقم [572]. ٣٨.

القديس أغسطينوس

❖ رقم 40 يجذب انتباهنا كرقم مقدس بوع من الكمال. ما افترضه هو معروف لكم تمامًا أيها الأحباء. فكثرت ما يشهد الكتاب المقدس لهذه الحقيقة. يتكسر الصوم بهذا الرقم كما تعرفون حسنًا. موسى صام أربعين يومًا، وإيليا وكثيرون، وربنا ومخلصنا يسوع المسيح نفسه تم هذا الرقم في الصوم. موسى يعني الناموس، وإيليا الأنبياء، والرب الإنجيل. ولهذا السبب ظهر الثلاثة على ذلك الجبل حيث أظهر (الرب) ذاته لتلاميذه في بهاء ملامحه وثيابه، فقد ظهر في الوسط بين موسى وإيليا، إذ شهد الناموس والأنبياء للإنجيل... [573].

❖ صبر هذا المخلع مذهل، لأنه ظل ثمان وثلاثين سنة منتظرًا كل سنة أن يتخلص من مرضه، فثبت وما رح عن ذلك الموضع. انظر هذا الرجل الذي ظل مخلعًا منذ ثمان وثلاثين سنة وهو يبصر في كل سنة أناسًا آخرين معاقين من مرضهم ووى ذاته مربوطًا بمرضه ولم ييأس.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ماذا يعلن الملاك في هذا الومز إلا نزول الروح القدس الذي يجتاز في أيامنا ويقدم المياه عندما يُستدعى بصلوات الكاهن؟ هذا الملاك كان سفير الروح القدس، حيث أنه بنعمة الروح يعمل النواء في ضعفات النفس والعقل. هكذا للروح أيضًا ذات الخدام كما لله الآب والمسيح. إنه يملأ الكل، كل الأشياء، يعمل الكل في الكل بنفس الطريقة مثل الله الآب والابن العاملين... [574].

القديس أمبروسيوس

يرى **Bede** أن رقم 38 هو محصلة رقم 40 ناقص 2. فإن كان رقم 40 يشير إلى كمال الفضائل وهي محصلة ضوب 4 × 10 أي تكميل الناموس (10) والأناجيل الأربعة (4)، فإن غياب الرقمين الخاصين بوصيتي الحب لله والقريب يظهر الإنسان في حقيقة كشخص مريض طال زمان مرضه. انهم يقدرون أن يؤموا من رذائلهم خلال عطية الروح القدس عندما يهز بلادتهم، ليسوعوا فيحملوا حمل الحب الأخوي لكي يروا خالقهم.

" هذا رآه يسوع مضطجعاً،

وعلم أن له زماناً كثيراً،

فقال له: أتريد أن تروا؟" [6]

إذ جاء السيد المسيح إلى أورشليم لم يزر قصور الأغنياء بل المستشفيات، ليقدم حبًا وحنوًا نحو المرضى. فقد جاء إلى العالم من أجل المحتاجين والمرضى. ولعل السيد ركز عينيه على ذلك المريض، لأنه كان أقدمهم، عانى أكثر من غيره من المرض والحرمان، إذ يجد السيد مسرته في العمل لحساب الذين بلارجاء ولا معين.

" أتريد أن تروا؟" بهذا السؤال أراد أن يثير فيه الإيمان والرجاء والرغبة الشديدة نحو الشفاء. يوجه السيد المسيح هذا السؤال نحو كل نفسٍ لعلها تتشاق إلى شفائها خلال طبيب النفوس السموي.

❖ لم يسأل المسيح للمخلع أتريد أن أشفيك؟ لأنه لم يكن بعد قد تصور في المسيح تصورًا عظيمًا، لكنه قال له: " أتريد أن تروا؟"

❖ سأله لا لكي يعوف (أنه يريد الشفاء) فإنه لم يكن السيد محتاجًا إلى ذلك، وإنما أراد إواز ماثوة الرجل، وأنه بسبب هذا ترك الآخرين وجاء إليه... ماثوة المفوج مذهلة، له ثمانية وثلاثين عامًا وهو وجو في كل عام أن يشفي من مرضه. لقد استمر راقداً ولم ينسحب من البركة...

لنخجل أيها الأحباء، لنخجل ونتنهد على شدة وراخينا.

ثمانية وثلاثون عامًا وهو ينتظر دون أن ينال ما يوجهه ومع هذا لم ينسحب. لم يفشل بسبب إهمال من جانبه، وإنما خلال ضغط الآخرين وعنفهم ومتاعبهم. هذا كله لم يجعله متبلاً. بينما نحن إن ثاورنا في الصلاة لمدة عشرة أيام من أجل أمر ما ولم ننله تهبط غيوتنا [575].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجابه المريض:

يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء،

بل بينما أنا آت، ينزل قدامي آخر". [7]

في حديثه عن المفلوجين (مت 9: 2) اللذين شفاهما السيد المسيح يبرز القديس يوحنا الذهبي الفم وداعة هذا المفلوج، فإنه إذ يلقي إنسان علي فاشه كل هذه السنوات غالباً ما يكون ثاوًا، يعاني من متاعب نفسية وعصبية. ومع هذا فإنه سمع سؤال السيد المسيح لم يثر قائلاً: "ألا واني هنا أتقرب نزول الملاك ليحرك الماء، فكيف تسألني إن كنت ريد أن أوأ؟" لكن في وداعة عجيبة أجاب السيد المسيح.

اشتكى المريض من عدم وجود أصدقاء يساعده، فإنه حتى الذين نالوا الشفاء اعتادوا بشفائهم ولقائهم مع أقبائهم وأصدقائهم، ولم يوجد واحد من بينهم يهتم بهذا المسكين. كما اشتكى من عزه في منافسة الآخرين لكي يلقي بنفسه وألاً في البركة إذ كانوا كثيرون يسبقونه. قديماً إذ تحولت الأنظار إلي البشر عوض النظر إلي المسيا كطبيب وواء للشفاء قيل: "أليس بلسان في جلعاد؟ أم ليس هناك طبيب؟ فلماذا لم تُعصب بنت شعبي؟" (إر 8: 22). هذه هي شكوى المفلوج إذ لم يجد من يشفيه ولا من يهبه الواء. الآن هوذا البلسان نفسه، والطبيب بعينه واقف أمامه يهبه ذاته سرّ شفاء.

كان المفلوج يبحث عن إنسان يلقيه في البركة عند نزول الملاك، فينال الشفاء. وها هو الأب نفسه يطلب إنساناً يقول إلي العالم يقدر أن يعمل بالعدل وطلب الحق ليغفر للعالم خطايه فلم يوجد سوى كلمته المتجسد. يقول الرب: "طوفوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وقتشوا في ساحاتها، هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب بالحق فأصفي عنها" (إر 5: 1). كما قال: "وأى أنه ليس إنسان، وتحير من أنه ليس شفيع" (إش 59: 16).

❖ اسمع كلام هذا المخلع واعرف جسامه حزنه، فمن يكون أحق بالرتاء من الناطق بهذه الأوال؟ رأيت قلباً مطحوناً بسبب مرض طويل؟ أعرفت كيف يلهبه منقبضاً؟ لأنه لم ينطق بتجديف نظير ما يقوله أكثر الناس في مصائبهم، ولا لعن يومه ولا استصعب السؤال، ولا قال للمسيح إنك جننت بي مستهزأً إذ تسألني أتريد أن توأ؟ لكنه قال بوداعة كثرة: "يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في البركة" على الرغم من أنه لم يعرف من هو سائله ولا شعر أنه اعترم أن يشفيه، لكنه وصف أحواله كلها بدعة وما طلب شيئاً أكثر، فكان حاله حال من يخاطب طبيبه مريداً أن يصف له موضه فقط.

❖ الآن ليس ملاك يحرك الماء، بل رب الملائكة يعمل كل شيء. لا يقدر المريض أن يقول: "ليس لي إنسان"، لا يستطيع القول: "بينما أنا آت ينزل قدامي آخر" [7]. فمع أنه يؤزم أن يأتي إلى العالم كله، غير أن النعمة لا تستهلك، والقوى لا تبطل، بل تبقى عظيمة كما كانت. وكما أن أشعة الشمس تعطي ضوء كل يوم مع هذا لا تستنفذ، ولا يقل الضوء بما يقدمه من فيض، هكذا بالأكثر قوة الروح لن تقل بأية طريقة خلال تمتع الكثيرون بها [576].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لكن من الذي يشفي المرضى؟ ذاك الذي يقول في البركة. ومتى يقول المريض في البركة؟ عندما يعطي الملاك العلامة بتحريك الماء. فإنه هكذا كانت تلك البركة تتقدس، حيث يقول الملاك ويحرك الماء. كان الناس يرون الماء يتحرك، ومن حركة المياه المضطربة يدركون حضور الملاك. فإذا ما قول أحد عندئذ يُشفى. لماذا إذن لم يُشف هذا المريض؟ لنعطي اعتباراً لكلماته نفسها، يقول: "ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء

بل بينما أنا أت ينزل قدامي آخر" [٧]. ألم تستطع بعد ذلك أن تقول إن قول قدامك آخر؟ هنا يظهر لنا أنه واحد فقط يُشفى عند تحرك الماء. من يقول أولاً هو وحده يُشفى [577].

القديس أغسطينوس

"قال له يسوع:

قم ! حمل سريوك وامش". [8]

قدم له السيد الشفاء بطريقة لم تخطر على فكه، وهي ليس بإلقائه في البركة متى تحرك الماء، وإنما بكلمة تصدر من فمه الإلهي. أمر بسُلطان فشُفي المريض.

اعتاد السيد أن يتوك علامات بعد المعجزة لكي يتذكر شعبه أعمال محبته، فعندما أشبع الجوع أمر بجمع الكسر. وعندما حوّل الماء خرواً طلب من الخدام أن يقدموا للمتكئين. وعندما شفى الوص أمرهم أن يذهبوا إلى الكهنة ليشهقوا بشفائهم. هنا يطلب من المريض أن يحمل السوير الذي حمله أثناء مرضه.

طلب منه حمل السوير ليطمئن أن شفؤه كامل، وأنه لم ينل القوة الجسدية تترجيًا بل بكلمة الله وأمره فوراً. إنها صرخة المخلص علي الصليب وهو يتطلع إلي الكنيسة كلها عبر الأجيال منذ آدم إلي آخر، لكي تقوم وتتحرك وتدخل إلي حضن الآب، بيتها السموي. يطالبها بحمل سورها الذي هو شوكة الصلب معه، لا كتقل علي ظهوها، بل كعوشٍ يحملها، ومجدٍ ينسكب عليها. رأي إشعياء النبي هذا المنظر المبدع بكونه قصة الفداء المفوحة فترنم قائلا: "قومي استنوي، لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشوق عليك" (إش 60: 1) لم تعد البشرية المؤمنة مطروحة الجسد تحت سطوة الخطية المحطم، بل تمتعت بقوة الروح لتحمل مع عريسها المصلوب صليبه سرّ قوة للخلاص، وتمتع ببهاء المخلص عليها.

ارتبطت قصة شفاء هذا المفوج بالمعمودية في ذهن الكنيسة الأولى، فوردت في بعض ليتورجيات المعمودية القديمة، كما صورت في بعض سواديب روما للكشف عن إمكانية المعمودية. تصور الرجل المفوج العاجز عن السير، وقد قام حاملاً سورهِ علي ظهره في حركة ملووءة حيوية ونشاطاً. صورة رائعة عن عمل المعمودية التي تقيم المؤمن من مرضه المستعصي ليشهد للحياة الجديدة التي صلت له في المسيح يسوع القائم من الأموات!

❖ "يسوع" تعني "مخلص"، أما في اليونانية فتعني "الشافي"، إذ هو طبيب النفس والأجساد، شافي الأرواح، فتح عيني المولود أعمى، وقاد الأذنان إلى النور. يشفي العوج المنظورين، ويقود الخطاة في طريق التوبة، يقول للمفوج: "لا تخطئ"، وأيضاً: "احمل سريوك وامش"، لأن الجسد كان مفولجاً بسبب خطية النفس. خدم النفس أولاً حتى يمتد بالشفاء إلى الجسد.

لذلك إن كان أحدكم متألم في نفسه من خطاياها، فإنك تجده طبيباً لك. وإن كان أحدكم قليل الإيمان فليقل له: "أعن عدم إيمان ي" (مر 9: 24).

[578]

وإن أصاب أحدكم آلاماً جسدية، فلا يكن غير مؤمن، بل يقوّب فإن يسوع يعالج مثل هذه الأرواح، وليعلم أن يسوع هو المسيح.

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ "احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمموا ناموس المسيح" (غلا 6: 2). الآن ناموس المسيح هو المحبة، والمحبة لن تتحقق ما لم نحمل أثقال الغير. يقول: "وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام" (أف 4: 2).

حين كنت ضعيفاً حملك قريبك، الآن أنت صحيح، احتمل أنت قريبك. هكذا تملأ يا إنسان ما كان ناقصاً بالنسبة لك. "إذن احمل سريوك". وحين

تحمله لا تقف في الوضع بل "امش". "حبك لقريبك، وبحملك قريبك، تتم مشيك. إلى أين تسير في طريقك إلى الرب الإله، الذي يؤمننا أن نحبه من كل القلب ومن كل النفس ومن كل الفكر. لتحمله، عندئذ إذ تسير تذهب إلى ذاك الذي ترغب أن تمكث معه. لذلك "احمل سريوك وامش" [579].

القديس أغسطينوس

"فحلاً وئ الإنسان،

وحمل سريره ومشى،

وكان في ذلك اليوم سبت". [9]

لماذا أمر السيد هذا الشخص أن يحمل سريره في يوم السبت وقد منع الناموس هذه الأعمال، خاصة حمل الأمور الثقيلة (خر ٢٠: ٨؛ إر ١٧:

٢١؛ نح ١٣: ١٥)؟

- 1 . ربما كان هذا الشخص فقراً، لو ترك سريره يفقده، ولم يكن ممكناً أن يبقى حتى الصباح حرساً للسوير .
 - 2 . أظهر السيد أن اليهود قد أساءوا فهم السبت، فملسوه بطريقة حرفية بلا فهم روحي سليم، خاصة لمجد الله ونفع الإنسان .
 - 3 . ليؤكد للحاضرين أنه رب السبت (مت ١٢: ٨)، كل الأيام هي له دون تمييز بين سبت وغير سبت، فيها يعمل عمل الآب بلا انقطاع .
 - 4 . بحمله السوير في وسط العاصمة الدينية ووسط الجمهور القادم للعيد يشد أنظار الشعب لبحث الأمر، والتعرف على محبة المسيح لشعبه، واهتمامه بسلامتهم الروحية والجسدية أكثر من التنفيذ الحرفي للناموس .
 - 5 . في هذا الأمر اختبار لمدى طاعة العريض لذلك الذي يشفيه، وإيمانه به .
 - 6 . لكي يحمل صورة عملية حياة عن الكنيسة في العصر المسيحاني . فقد تطلع الأنبياء إلي الكنيسة في العهد الجديد وتوّنوا قائلين: "الرب يقوم المنحنيين" (مز 146: 8)، "خلص يلب شعبيك... بينهم الأعمى والأوج" (إر 31: 7) . صلت كل أيامها سبت (راحة) لا ينقطع، وعيد موح مستمر .
- ❖ انظر إلى إيمان هذا المخلع أنه لما سمع من المسيح "قم ! حمل سريوك وامش" لم يضحك، لكنه نهض وصار معافى، ولم يخالف ما أشار به عليه، وحمل سريره ومشى .

القديس يوحنا الذهبي الفم

2 . مقاومة اليهود

"فقال اليهود للذي شفي:

إنه سبت .

لا يحل لك أن تحمل سريوك" . [10]

تخاصم معه القادة واتهموه أنه كاسر للسبت . حسوا في ذلك العمل تدنيساً للسبت، وإذ يملسه علناً في وسط المدينة وعمداً فإنه مستحق للرجم . ولم يبركوا أن حسدهم وبغضهم للسيد المسيح هو الذي يدين سبوتهم وأعيادهم . ذهب السيد المسيح إلي المفوج ليهبه حياة جديدة وإمكانات جديدة، وها هم الرؤساء يستدعونه ليجنوا علة للموت . وكما يقول المرتل: "الثوير واقب الصديق محولاً أن يميته" (مز 37: 32) .

"أجابهم: إن الذي أبرأني هو قال لي:

احمل سريوك وامش" . [11]

جاءت إجابة العريض تشهد للسيد المسيح، بقوله: " الذي أبرأني هو قال لي احمل سريوك وامش" [١١] . لم يلق بالمسئولية على السيد المسيح، ولا أراد أن يحول اتهام كسر السبت عليه، إنما يؤكد أن ذلك الذي له قوة الشفاء بهذه الطريقة الفائقة لا يمكن أن يخطئ الأمر، ولا يمكن أن يصنع شواً . أطعته لأنني أتق في قداسته ووه .

ذلك الذي له سلطان على الأمراض المزمنة بطريقة تفوق الطبيعة يستحيل يُحسب كاسراً للناموس . ذلك الذي له هذا الحب والحنو، لا يمكن إلا

أن يكون منفذاً للناموس الذي يكمل بالحب العملي .

الحياة التي دبت فيه كانت بلا شك أثنى بما لا يقاس من التنفيذ الحرفي لحفظ السبت. لهذا ترك تفسير حفظ السبت لذلك الذي وهبه هذه الحياة الجديدة التي اختبر فيها الراحة.

❖ لما كان اليوم سبت، غضب اليهود في جهل، إذ كانوا مرضى بغلاظة الحرف، فكانوا مقيدون أكثر من المفوج بالحماسة الملتصقة بهم... كانوا مفلوجي الفكر، ضعيفي السلوك، هؤلاء الذين يُقال لهم بحق: "شدنوا الأيدي المسترخية والركب المرتعشة" (إش 35: 3). لكنهم استشاطوا غضباً، زاعمين أنه ينبغي حتى على واهب الناموس أن يكون الناموس.

القديس كيرلس الكبير

❖ لم يخالف المخلع قول المسيح، لذلك شُفي في الحال وحمل سورده ومشى. وما كان منه بعد ذلك فهو أعظم بكثير، لأن قبوله ما أشار به المسيح في البداية لم يكن فعلاً مستعجباً، إذ لم يكن له مغيب يغيثه، لكن لما أحاط به اليهود من كل جهة اشتد جنونهم ولاموه وحاصروه، وقالوا له: "لا يحل لك أن تحمل سريوك". فلم يصغ إلى جنونهم، لكنه نادى بالمحسن إليه في وسط محفلهم بمجاهرة كثرة. اسمع ما قاله لهم: "إن الذي أبرآني هو قال لي احمل سريوك وامش"، فقلرب أن يقول لهم: قد اشتمل عليكم الجنون إذ تأمروني ألا أحتسب من رأحي من مرض طويل معلماً، ولا أطيع جميع ما يأمرني به.

على أن المخلع لو أراد أن يسيء فعله كان ممكناً أن يقول قولاً غير هذا، كأن يقول: إن كان فعلي هذا خطأ فانسوا الخطأ إلى من أمرني به. إلا أنه لم يقل هذا القول، ولا سألهم عفواً، لكنه بصوت بهي أقر بالإحسان البالغ إليه، ونادى به بعزم واضح، قائلاً: "إن الذي أبرآني هو قال لي احمل سريوك وامش".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فسألوه: من هو الإنسان الذي قال لك احمل سريوك وامش". [12]

بسؤالهم حاولوا إهانة السيد المسيح ليس فقط بظنهم أنه مجرد إنسان، إنما وضعوا السؤال بطريقة تحمل استخفافاً به: "من هو الإنسان...؟" بمعنى أنه لا وجه للمقارنة بين هذا الإنسان الذي شفاك وبين الله واضع الناموس.

❖ تأمل كيف كان كلامهم بمكر وافر، لأنهم لم يقولوا للمفوج من الذي جعلك معافى، لكنهم صمقوا عن هذا القول، وذكروا العمل الذي يحسبونه معصية، وقالوا: "من هو الإنسان الذي قال لك احمل سريوك وامش".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أما الذي شفي فلم يكن يعلم من هو،

لأن يسوع اعتزل،

إذ كان في الموضع جمع". [13]

ربما سمع اسم يسوع، لكنه إذ كان ملقى عند البركة ٣٨ سنة لم يرَ السيد من قبل ولا عرف عنه الكثير، ولم يكن قابلاً حتى إن رآه أن يتعرف عليه.

وى القديس أغسطينوس أن الله استراح في اليوم السابع إشارة إلى إتمام عمل الخلاص على الصليب في اليوم السادس (الجمعة)، وراحته في القبر في اليوم السابع.

❖ من الصعب أن ترى المسيح في الجمع، لذلك ترم الوحدة لأذهاننا. فبالتأمل في عزلة يمكن رؤية الله. الجمع فيه صخب، والرؤية تتطلب سوية... لا تبحث عن المسيح في جمع، إنه ليس كواحدٍ من الجمع، إنه يسمو على كل الجمع... حقاراً الرب في الجمع، إنما عرفه في الهيكل. جاء الرجل إلى الرب، رآه في الهيكل، رآه في الموضع المكوس المقدس.

[582]

القديس أغسطينوس

[583]

❖ يعلن الرب علانية أن سرّ السبت كعلامة لحفظ يومٍ واحدٍ أُعطي لليهود إلى حين، أما تنمة السرّ ففتحقق في (المسيح) نفسه .

القديس أغسطينوس

❖ فإن قلت: وما هو غرض المسيح في أنه أخفى ذاته؟ أجبتك: أخفى المسيح ذاته حتى لا تصير الشهادة مشكوك فيها؛ لأن المفوج الذي تمتع بعافيته فقد صار شاهداً بالإحسان الواصل إليه مؤهلاً للتصديق. ومن الجانب الآخر لكي لا يجعل السيد غضب اليهود أكثر التهاّباً، فإنه مجرد التطلع إلى الشخص الذي يحسدونه يشعل شرارة ليست بقليلة عند الحاسدين. لهذا انسحب السيد، وترك العمل نفسه يؤافع قدامهم، ولا يتكلم السيد عن نفسه بنفسه، وإنما يتحدثون مع من شُفي ومع المهتمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل، وقال له:

ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أسر". [14]

إذ شعر الرجل بحنو الله عليه ذهب إلى الهيكل ربما ليقدم الشكر لله على شفائه. وكأنه يتّوّم قائلاً: "لله أذبح ذبيحة حمد، وباسم الرب أدعو، أوفي ننوري للرب مقابل شعبه، في ديار بيت الرب في وسطك يا أورشليم" (مز 116: 16-19). غالباً ما حدث هذا في نفس يوم شفائه. التقى السيد المسيح بالمريض في الهيكل. ربما إذ اتهموه باحتقاره يوم السبت جاء إلى الهيكل ليؤكد تقديسه ليوم السبت، وانشغاله بالعبادة الجماعية في ذلك اليوم. لقد جاء خصيصاً ليهب البصوة الروحية، مع علمه بأن أعداءً كثيرين يطلبون قتله. لكن مادامت الحاجة ماسة للقاء مع شخص لبنيناه لم يتوقف عن الذهاب من أجله. لقد شفى جسد المريض، والآن يعلن اهتمامه بشفاء نفسه من الخطية. أوضح له السيد المسيح أنه عالم بأسوار الماضي: "لا تخطئ أيضاً" موضحاً أن خطيته السابقة كانت السبب في مرضه الطويل المدى. يحذر السيد من الخطية التي تسحبه إلى مستشفى بركة بيت حسدا ليقضي بها ٣٨ عاماً، بل إلى جهنم لكي يُغلق عليه أدياً في حرمان من المجد السموي وعذاب مع عدو الخير إبليس.

بعض الأبراض أحياناً تحل بنا بسبب خطايانا، كتأديبٍ إلهيٍّ لأجل رجوعنا إلى الله. وكما يقول العزّل: "والجمال من طريق معصيتهم، ومن آثامهم يُذلون. كوهت أنفسهم كل طعام، واقتروا إلى أبواب الموت، فصوخوا إلى الرب في ضيقهم فخلصهم من شذائهم" (مز 107: 17-19).

يلاحظ أن السيد لم يشر إلى الخطايا عند شفائه للمرضى إلا في الحالات المستعصية لمدة طويلة كما في هذه الحالة وما ورد في مر ٢: ٥. ربما لأن هؤلاء إذ عاشوا زماناً طويلاً في المرض ظنوا أنهم بعدم تعاملهم مع الناس هم أوار بلا خطية، لذلك يطلب منهم أن يدخلوا إلى أعماق نفوسهم، ويكتشفوا ضعف طبيعتهم، ووجعوا إلى الله. مثل هؤلاء يحتاجون إلى حذرٍ شديدٍ أكثر من غوهم الذين يكونون أنهم مخطئون.

لعله قال له هذا في الهيكل، فقد حُرّم من زيارة الهيكل ٣٨ عاماً بسبب مرضه، فلئلا ينشغل بالمبنى والالتقاء بالناس وما يدور حوله، أراد السيد أن يحول عينيه إلى أعماقه ليحذر في حياته الجديدة من الخطية. حقاً لست أظن أن لغة ما تستطيع أن تعبر عن مشاعر هذا الإنسان في رؤيته للهيكل بعد هذه السنوات الطويلة. ليكن هذا الشوق ممتوجاً باللقاء مع الله الساكن في أعماق النفس!

[584]

❖ عندما نعتمد يُقال لنا: "ها أنت قد برئت، لا تخطئ لئلا يكون لك أسر".

القديس جيروم

❖ إنه لأمر بسيط أن تقتني شيئاً، لكن الأعظم أن تستطيع الحفاظ علي ما تقتنيه، فالإيمان نفسه والميلاد المكرم يكونان مفعمين بالحويوية المفيدة، لا بوالهما بل بحفظهما. فالمثارة حتى النهاية وليس مملسة الشيء (إلى حين) يحفظ الإنسان لله مباشرة... سليمان وشاول وكثيرون إذ لم يسيروا

[585]

. للنهاية في طرق الرب لم يستطيعوا أن يحفظوا النعمة التي وهبت لهم. عندما ينسحب تلميذ المسيح منها، تنسحب أيضاً نعمة المسيح منه .

الشهيد كيريانوس

❖ يسأل أحد: ماذا إذن، هل كل مرضٍ سببه الخطية؟ لا، ليس كل الأمراض بل بعضها. البعض يصدر عن بعض أنواع من عدم المبالاة والإهمال حيث أن النهم والإدمان والكسل مثل هذا يسبب آلاماً... رغب يسوع أن يضمن لهذا الرجل مستقبله... حافظاً إياه في صحة بالنفع الذي قدمه له وبالخوف من الأمراض المقبلة [586].

❖ ليس فقط بإعطاء جسم المريض قوة، بل وبطريق آخر قد منحه وهاتاً قوياً علي لاهوته، فبقوله: "لا تخطئ أيضاً" أظهر له أنه يعوف كل معاصيه القديمة، وبهذا يمكن أن يقتني إيمانه في المستقبل [587].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فمضى الإنسان وأخبر اليهود أن يسوع هو الذي أواه". [15]

لم يلق بالمسئولية على السيد المسيح أنه هو الذي قال له: احمل صليبك، بل شهد له أنه "هو الذي أواه". لقد أراد أن يمجد يسوع وفي نفس الوقت أن يشهد لصالح سامعيه لعلهم يفكرون جدياً في عمله العجيب.

"ولهذا كان اليهود يطردون يسوع،

ويطلبون أن يقتلوه،

لأنه عمل هذا في سبت". [16]

عوض إعادة النظر في نظرتهم ليسوع منقذ النفوس وشافي الأجساد من الأمراض المستعصية حملهم الحسد والحقد إلى الرغبة في ممارسة أعمال أبيهم: الاضطهاد والقتل. فإنهم لن يجنوا شعباً إلا بسفك دمه. غيرتهم على تقديس السبت كانت تغطية لمشاعوهم المملوءة كراهية.

3. حديث المسيح عن السبت

"فأجابهم يسوع:

أبي يعمل حتى الآن،

وأنا أعمل". [17]

دخل السيد المسيح في حوار مع القيادات التي تتهمه بكسر السبت. يبدو أن هذا الحوار كان أمام مجمع السنهتيرين، إما في نفس اليوم أو في خلال يومين أو ثلاثة من شفائه للمريض.

بقوله: "أبي يعمل حتى الآن" [١٧] يوضح لهم أن الأب قد خلق العالم في ستة أيام واسنّاح في اليوم السابع، أي في السبت. لقد توقف عن عمل الخليفة إذ أكمل كل شيء، لكن راحته لا تعني تجاهله للخليفة، بل يبقى في سبته يعتني بخليفته ووعاها ويدبر كل أمورها. فالسبت عند الله هو عمل فيه راحة ومسوة، حيث يعلن حبه لخليفته المحبوبة لديه جداً. لو ملّس السبت حرفياً مثل القيادات اليهودية لتوقفت الخليفة وتدمرت، لأنها لا تقدر أن تقوم بدون العون الإلهي. هكذا الابن يقديس السبت بعمل الحب المستمر، حيث وعى محبوبيه، ويعمل بلا توقف لكي يوأ الكل وينمو في المعرفة والمجد. هذا هو مفهوم السبت على المستوى الإلهي.

في السبت يختتن الذكر إن كان هو اليوم الثامن لميلاده، وفي السبت يقدم الكهنة ذبائح، وفي السبت يقدم الرعاة المياه لأغنامهم. هذه كلها أعمال لا تكسر السبت لأنها تحمل رائحة حب. ابن الإنسان هو رب السبت، لأنه هو "الرب" عينه.

"وأنا أعمل": بكونه ابن الله فهو يملس مسوة أبيه الدائم العمل لحساب شعبه. التوقف عن عمل الرب هو كسر للسبت وإفساد له، أما عمل

المحبة فهو تقديس له. إنه لا يعمل كأبيه، كأن لكل منهما عمله المستقل، إنما هو العامل مع أبيه، إذ "به كان كل شيء". فإن أتهم بكسر السبت، يكون في

ذلك اتهام الله الآب نفسه الذي لا ينفصل الابن عنه قط.

يقرن السيد المسيح نفسه بالآب، فكما أن الآب يعمل في السبت كما في بقية الأيام هكذا يمكن له أن يفعل هذا. هذه المقارنة لها خطورتها عند القيادات اليهودية، لأنها تحمل معنى التسوي بينهما في الخطة الإلهية والعمل. من هو هذا الذي يعالج موضوع الآب والسبت بكونهما يخصانه؟
رى القديس أغسطينوس أن اليهود أخطوا في فهمهم ليوم السبت بطريقة جسدانية. لقد ظنوا أن الله خالق العالم في ستة أيام، فتعب ورأد أن يستريح من تعب في اليوم السابع ففقد هذا اليوم للراحة. هذا الفهم الخاطئ جعلهم هم في تعب. أما المعنى الروحي له فهو أنه إذ تعبر ستة أيام أو فترات التاريخ البشري يأتي يوم الرب بكونه اليوم السابع. راحته تعني راحتنا نحن فيه. أما الأيام الستة فهي:

- اليوم الأول: من آدم إلى فوح.
- اليوم الثاني: من الطوفان إلى إواهم.
- اليوم الثالث: من إواهم إلى داود.
- اليوم الرابع: من داود إلى السبي البابلي.
- اليوم الخامس: من السبي البابلي إلى مجيء السيد المسيح.
- اليوم السادس: العصر الحاضر منذ مجيء المسيح إلى مجيئه الأخير. في هذا اليوم نتشكل على صورة الله، إذ فيه خلق الإنسان (تك 1: 27). وفيه يتم تجديد خلقتنا (بالصليب يوم الجمعة).

هكذا رى القديس أغسطينوس أن الله يعمل خلال الستة أيام، وأن اليوم السادس هو يوم خلق الإنسان وتجديده حتى يتهيأ للتمتع بالراحة في اليوم السابع، يوم مجيئه الأخير [588].

❖ لكي نعرف بطريقة أكمل عن مساواة الآب والابن، إذ تكلم الآب عمل الابن، هكذا أيضاً الآب يعمل، والابن يتكلم. الأب يعمل كما هو مكتوب: "أبى يعمل حتى الآن، وأنا أعمل". تجد انه قيل للابن: "قل كلمة فقط فيرواً غلامي" (مت 8: 8). ويقول الابن للآب: "أيتها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني ليكونون معي حيث أكون أنا" (يو 14: 17)، فالآب عمل ما قاله الابن [589].

القديس أمبروسيو

❖ بالتأكيد كما تعلمنا الكنيسة حسب كلمات المخلص: "أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل" ... الله يعمل (يخلق) نفوسنا كل يوم، الذي به تريد ونعمل، وهو لن يكف عن أن يكون خالقاً [590].

❖ هو مُعطي باستمرار، دائماً واهب عطايا. لا يكفي أنه يهبني نعمة مرة واحدة، يليق به أن يعطيني النعمة على الدوام. أطلب لكي أنال، وإذ أنال أطلب أيضاً مرة أخرى. إني أطمع في سخاء الله، وإذ لا يتأخر في العطاء، لا أمل من قبول عطائه. قدر ما أشوب أعطش بالأكثر [591].

القديس جيروم

❖ إن سأل أحد: كيف يعمل الآب الذي توقف عن كل أعماله في اليوم السابع؟ لينته يتعلم ما هي الطريقة التي يعمل بها. ما هي أعماله؟ إنه يعتني بأمر كل ما قد عمله ويدوها. عندما ترى الشمس مشرقة والقمر يجري في مجاله والبحوات والينابيع والأنهار والأمطار والمواسم الطبيعية للزرع وطبيعة أجسامنا وأجسام الحيوانات غير العاقلة وكل الأمور الباقية التي بها وجدت هذه المسكونة فنتعلم عدم توقف عمل الآب. إذ "يشرق شمس علي الأثوار والأوار، ويمطر علي الصالحين والظالمين" (مت 5: 45). وأيضاً الله يلبس عشب الحقل الذي يظهر اليوم ويطوح غدا في التور (مت 6: 30). وإذ يتحدث عن الطيور قال: "أبوكم السموي يقوتها" [592].

القديس يوحنا الذهبي الفم



قال هذا لهم لأنهم أخذوا حفظ السبت بمعنى جسداني، متخيلين أن الله كما لو كان قد نام بعد أن تعب بخلق العالم إلى ذلك اليوم، وأنه قدس ذلك اليوم حيث بدأ يستريح كما من تعبته.

الآن بالنسبة لآبائنا القدامى قد وُضع سرّ السبت، هذا الذي نحفظه نحن المسيحيون روحياً بالامتناع عن كل عمل ذليل، أي عن كل خطية، لأن الرب يقول: "كل من يفعل خطية هو عبد للخطية". وإذ ننال راحة في قلوبنا فهذه هي الراحة الروحية.

أما عن القول بأن الله استراح، فذلك لأنه لم يخلق أية خليفة أخرى بعد أن أكمل كل شيء.

علاوة على هذا فإن الكتاب المقدس يدعوها راحة، لكي يحثنا على الأعمال الصالحة التي بعدها نستريح. لأنه كتب في التكوين: "خلق الله كل شيء حسن جداً، واستراح الله في اليوم السابع". لكي ما تترك يا إنسان أن الله نفسه قيل أنه استراح بعد الأعمال الصالحة، فتتوقع راحة لنفسك بعد أن تملس أعمالاً صالحة.

إن كان الله بعد أن خلق الإنسان على صورته ومثاله وفيه أكمل كل أعماله لتكون حسنة جداً عندئذ استراح في اليوم السابع. هكذا لا تتوقع أنت راحة لنفسك ما لم ترجع إلى ذلك الشبه الذي خلقت عليه [\[593\]](#).

- ❖ لا تظن أن أبي استراح في السبت بمعنى أنه لا يعمل، لكنه إلى الآن هو يعمل، وهكذا أنا أعمل. وكما أن الآب بلا تعب هكذا الابن بلا تعب [\[594\]](#).
- ❖ الإيمان الجامعي (للكنييسة الجامعة) هو أن أعمال الآب وأعمال الابن غير منفصلة... كما أن الآب والابن غير منفصلين، هكذا أيضاً أعمال الآب وأعمال الابن غير منفصلة... ما يفعله الآب يفعله أيضاً الابن والروح القدس. فإن كل الأشياء صُنعت بالكلمة، عندما "تكلم كانت" [\[595\]](#).

القديس أغسطينوس

ربما يتساءل البعض: كمثال سار السيد المسيح على المياه، بينما لم يسر الآب على المياه، فكيف نقول أن أعمال الآب والابن غير منفصلة؟ يجيب القديس أغسطينوس قائلاً: [انظروا كيف يقدم الإيمان الجامعي شرحاً لهذا السؤال. سار الابن على البحر، وضع قدميه الجسديتين على الأمواج، سار الجسد، وقد وجّه اللاهوت. ولكن حين كان الجسد يمشي واللاهوت يوجّهه، هل كان الآب غائباً؟ لو كان غائباً فكيف يقول الابن نفسه: "لكن الآب الحال في نفسه يعمل الأعمال"؟ إن كان الآب حالاً في الابن، هو نفسه يعمل الأعمال، إذن فالسير على المياه هو من عمل الآب وبالابن. بهذا فإن ذلك السير هو عمل الآب والابن بلا انفصال. رى الاثنين يعملان كلاهما فيه. الآب لن يترك الابن، ولا الابن الآب. هكذا كل ما يعمله الآب لن يعمله بدون الابن، لأن ما يعمله الآب لن يعمله بدون الابن [\[596\]](#)].

- ❖ يقول قائل: كيف يلد الأربي رُلياً؟ كما أن اللهيب المؤقت يلد نوراً مؤقتاً. فإن اللهيب المؤقت معاصر للنور الذي يلد. اللهيب المؤقت لن يسبق النور في الزمن، ولكن منذ اللحظة التي يبدأ فيها اللهيب في نفس اللحظة يُولد النور. رُني لهيباً بلا نور، وأنا رُيك الله الآب بدون الابن. لهذا "لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل"، هذا يتضمن أن "ينظر" و"يولد" بالنسبة للابن هما ذات الشيء. رؤيته وجوده ليسا مختلفين، ولا قوته وكيانه مختلفين. كل ما هو للابن هو من الآب، وكل ما يقدر عليه وما هو عليه هو أمر واحد، الكل من الآب [\[597\]](#).

- ❖ ما يعمله الآب هذا أيضاً يعملها الابن. صنع الآب العالم، وصنع الابن العالم، وصنع الروح القدس العالم. لو أنهم ثلاثة آلهة لوجدت ثلاثة عوالم. إذ هم إله واحد والآب والابن والروح القدس، إذن **عالم واحد خلقه الآب بالابن في الروح القدس**. بالتبعية فإن الابن يعمل ما يفعله الآب، ولا يعمل بطريقة مختلفة، هو يعمل معاً هذه الأمور، ويصنعها بذات الطريقة [\[598\]](#).

- ❖ إن كنت ترى أنه لا انفصال في النور، فلماذا تطلب انفصلاً في العمل؟ تطلع إلى الله، انظر إلى كلمة الملازمة للكلمة التي يتكلم بها، فإن المتكلم لا يتحدث بمقاطع لفظية، وإنما كلمته تتشوق في بهاء الحكمة. ماذا قيل عن الحكمة نفسها؟ "إنها إثراق النور الأبدي" (حك 9: 15). تطلع إلى الشمس في السماء تنشر بهاءها على كل الأراضي وفوق كل البحار، ومع ذلك فهي نور مادي بسيط. إن كنت بالحق تستطيع أن تفصل البهاء عن الشمس

[\[599\]](#)

القديس أغسطينوس

"فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه،

لأنه لم ينقض السبب فقط،

بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله". [18]

دفاعه عن تقديس السبب بالعمل الإلهي لا بالامتناع عن العمل، حمل شهادة أنه مساو لله الذي دعاه أباه، فزادوا حقاً عليه، إذ ليس ما يثوهم مثل تأكيد سلطانه الإلهي، فطلبوا بالأكثر قتله، لأنه في نظرهم قد جدّف. كل من الاتهامين عقوبتهما الموت (لا 15: 32؛ لا 24: 11؛ 14: 16).

وي البعض أن ما رُجح القيادات اليهودية هو دعوة الآب أباه الشخصي الذاتي، وهذا يفهم من استخدام الكلمة اليونانية، فيحسب نفسه معادلاً له.

❖ مكتوب: "لأن أبي أعظم مني" (يو 14:28). كما هو أيضاً مكتوب: "لم يُحسب خلصة أن يكون معادلاً لله" (في 2:6). مكتوب: "قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله" (يو 5:18). مكتوب: "أنا والآب واحد" (يو 10:30)... هل يمكن أن يكون أقل ومساوٍ في نفس الطبيعة؟ لا، الواحد يشير إلى اللاهوت، والآخِر لجسمه [600].

القديس أمبروسيو

4. حديث عن الحياة الأبدية

" فأجاب يسوع وقال لهم:

الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً،

إلا ما ينظر الآب يعمل،

لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك". [19]

في حديثه يوماً يؤكد حقيقتين: وحدانية الله، وأنه واحد مع الآب ومساوٍ له.

إذ أراد اليهود أن يقتلوه ليس فقط لأنه كسر السبب بل وقال أيضاً أن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله [18]. لم يكن رد الفعل أنه قال: "لماذا تريدون قتلي، إنني لست معادلاً لأبي". لو كان السيد المسيح أقل من الله من جهة اللاهوت لالتزم بتوضيح ذلك. لكنه أوضح أنه لا تناقض بينه وبين الآب، لأن ما يفعله الآب إنما يفعله بالابن الذي هو قوة الله وحكمته. "كل شيء به كان، وبغوه لم يكن شيء مما كان" (يو 1: 2). يقول أن ما روى الآب هو يفعله؛ ماذا يعني أن ما روى الآب هو فاعله؟ هل ينظر ما فعله الآب فيكرر ذات الفعل؟ مستحيل! لكن إذ يقوم بذات العمل، فهو واحد مع أبيه في الإرادة، لذلك يتم الفعل الإلهي الذي حسب مسوة أبيه. وفي نفس الوقت حسب مسوته هو. لا يقدر الابن أن يفعل شيئاً من ذاته بسبب الوحدة التي لا تتفصم مع الآب، ولا يفعل الآب شيئاً دون الابن بسبب الوحدة اللانهائية، لأن الابن هو قوة الله وحكمة الله وكلمة الله.

يقدر الكائن المخلوق أن يفعل شيئاً من ذاته، إذ يستطيع أن يخطئ الأمر الذي لن يقدر الله أن يفعله لأنه قنوس بلا خطية. أما الابن فلن يقدر أن

يفعل إلا ما روى الآب فاعله. كأنه يقول لهم إن اتهمتموني بكسر السبب، فأنا لا أفعل شيئاً إلا ما روى الآب فاعله، فهل تحسبونه كاسواً السبب؟!

ركز في مقاله أنه واهب الحياة الأبدية حسبما يشاء [21]، وأن كلماته تهب حياة أبدية [24]، صوته يقيم الأموات [25-26]، وإن الساعة قادمة

ليهب حياة لمن في القبور [28-29].

[601]

❖ يُظهر الآب له ما سيفعله لكي ما يُفعل بالابن .

❖ إذن ما نحن نوضحه أيها المحبوبون، الأمر الذي نسأله، كيف روى الكلمة؟

كيف روى الآب بواسطة الكلمة؟

وما هو الذي واه الكلمة؟

لست أتجاسر هكذا ولا أتهور فأعدكم إنني أشوح هذا لنفسي أو لكم. إنني أقدر قياسكم وأعرف قياسي...

لقد عني بذلك ألا نفهم بأن الآب يفعل بعض الأعمال التي واهها الابن، والابن يفعل أعمالاً أخرى بعد أن روى ما فاعله الآب. وإنما كلا من الآب

والابن يفعلان ذات الأعمال...

فإن كان الابن يفعل ذات أعمال الآب، وإن كان الآب يفعل ما يفعله بالابن، فالآب لا يفعل شيئاً والابن شيئاً آخر، إنما أعمال الآب والابن هي

واحدة بعينها...

أقدم لكم مثلاً الذي أظن أنه ليس بصعبٍ عليكم، عندما نكتب خطابات تُشكل وُلاً بقلوبنا وبعد ذلك بأيدينا... القلب واليد يقومان بعمل الخطابات.

أتظنون أن القلب يشكل خطابات والأيدي خطابات أخرى؟ ذات الخطابات تفعلها القلب عقلياً واليد تشكلها مادياً.

انظروا كيف أن ذات الأمور تتم ولكن ليس بنفس الطريقة. لذلك لم يكن كافياً للرب أن يقول: "مهما عمل الآب فهذا يعملها الابن أيضاً"، لكن كان

لزاماً أن يضيف: "وبنفس الكيفية"...

[602]

إن كان يفعل هذه الأمور بذات الكيفية، إذن فليتيقظوا، وليتحطم اليهود، وليؤمن المسيحي، وليقتنع المبتدع، فإن الابن مسوي للآب .

القديس أغسطينوس

❖ إن سألت: فما معنى قول المسيح "لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً"؟ أجبتك: معناه أنه لا يقدر أن يعمل عملاً مضاداً لأبيه ولا غريباً عنه. وهذا قول يوضح معادلته لأبيه واتفاقه معه كثيراً جداً.

قول المسيح: "لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل" كأنه يقول: "إنه ممتنع عليّ وغير ممكن أن أعمل عملاً مضاداً".

وقوله: "لأن مهما عمل ذلك فهذا يعملها الابن كذلك" بهذا القول أوضح مشابهته التامة لأبيه.

❖ ماذا يعني: لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً؟ إنه لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئاً في مضادة للآب، ليس شيء مغايراً، ليس شيء غريباً، مما يظهر بالأكثر المساواة والاتفاق التام.

لماذا لم يقل: "لا يعمل شيئاً مضاداً" عوض قوله: "لا يقدر أن يعمل"؟ وذلك لكي يثبت عدم التغير والمساواة الدقيقة، فإن هذا القول لا يتهمه

بالضعف، بل يشهد لقوته العظيمة... وذلك كالقول: "يستحيل على الله أن يخطئ"، لا يتهمه بالضعف، بل يشهد لقوته التي لا يُنطق بها...

[603]

هكذا المعنى هنا هو أنه قادر، أي مستحيل أن يفعل شيئاً مضاداً للآب .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليس للابن ولا للروح شيء من ذاتهما، لأن الثالوث لا يتحدث عن أمرٍ خرج عن ذاته... لا يظن أحد أنه يوجد أي اختلاف في العمل سواء من

[604]

جهة الزمن أو التدبير بين الآب والابن، بل يؤمن في وحدة ذات العملية .

[605]

❖ تكمن الحرية (للالثالث القوس) لا في وجود اختلافات بل في وحدة الإرادة .

[606]

❖ لقد حقق للابن وثبتت مساواته للآب، مساواة حقيقية، مستبعداً كل اختلاف في اللاهوت .

القديس أمبروسيوس

❖ صنع المسيح كل الأشياء...، لا بمعنى أن الآب تنقصه قوة لخلق أعماله، إنما لأنه أراد أن يحكم الابن على أعماله فأعطاه الله رسم الأمور

المخلوقة. إذ يقول الابن مكرماً أبيه: "لا يقدر الابن أن يعمل شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل. لأنه مهما عمل ذلك فهذا يعملها الابن كذلك" (يو 5:19).

وأيضًا: "أبي يعمل حتى الآن وأنا اعمل". فلا يوجد تعرض في العمل، إذ يقول الرب في الأناجيل: "كل ما هو لي فهو لك. وما هو لك فهو لي" (يو 17:10).

هذا نتعلمه بالتأكيد من العهدين القديم والجديد، لأن الذي قال: "تعمل ال نسان على صورتنا كشبهنا" (تك 1:26) بالتأكيد تكلم مع اقنوم معه. وأوضح من هذا كلمات المرثى: "هو قال فكنا نت. وهو أمر فخلقت" (مز 5:148). فكما لو أن الآب أمر وتكلم، وال ابن صنع كل شيء كأمر الآب [607].

القديس كيرلس الأورشليمي

[يحدثنا القديس أغسطينوس من التفسير المادي]

❖ إنه لم يقل: "لا يقدر الابن أن يفعل شيئاً من ذاته إلا ما يسمع الآب يأمر به" بل يقول: "لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً، إلا ما ينظر الآب يعمل". أنظر هل تفهم هذا هكذا: الآب يفعل شيئاً، والابن يصغي لوي ماذا يفعل هو أيضاً، وأنه يفعل شيئاً آخر مثلما يفعل الآب. ما يفعله الآب بمن يفعل هذا؟ إن لم يكن بالابن، إن لم بالكلمة، فإنك تجدف ضد الإنجيل، "لأن كل شيء به كان" (يو 1:3). إذن ما يفعله الآب إنما يفعله بالكلمة. فإن كان بالكلمة يفعل هذا إنما يفعله بالابن. فمن هو هذا الآخر الذي يصغي ليفعل شيئاً وي الآب فاعله؟ [608]

❖ الآب لا يفعل أشياء والابن أشياء أخرى، فإن كل الأشياء التي يفعلها الآب إنما يصنعها بالابن. الابن أقام لعازر، ألم يقمه الآب؟ الابن أعطى النظر للأعمى، ألم يهبه الآب البصر؟ يعمل الآب بالابن في الروح القدس. إنه الثالث، لكن عمل الثالث هو واحد، العظمة واحدة، الألية واحدة، الأبدية واحدة، والأعمال واحدة. لم يخلق الآب بعض الناس والابن آخرين والروح القدس آخرين. خلق الآب والابن والروح القدس إنساناً واحداً بعينه...

القديس أغسطينوس

❖ من ينسب ضعفاً للابن ينسبه للآب أيضاً. يحمل الواعي كل القطيع وليس فقط هذا أو ذلك الجزء منه... الكتاب المقدس يعد بفيض من النعمة، لكننا نحن نفر بنورتها [609].

القديس جيروم

❖ لماذا كُتب: "الابن يعمل نفس الأشياء" وليس "مثل هذه الأشياء" إلا لكي تحكموا أن في الابن وحدة في ذات أعمال الآب، وليس تقليداً لما يفعله الآب؟...

ماذا نفهم بالقول "ما واه"؟

هل الابن في حاجة إلى أعين جسدية؟ لا، فإن أكد الأريوسيون هذا عن الابن، فالآب إذن في حاجة إلى أعمال جسدية حتى واهها الابن لكي يفعلها.

إذن ماذا يعني: "لا يقدر الابن أن يفعل شيئاً من ذاته"؟... هل يوجد شيء مستحيل على قوة الله وحكمته؟ لئبترك هؤلاء أن هذين هما لقبان لابن الله، الذي قوته بلا شك ليست عطية ينالها من آخر، ولكن كما أنه هو الحياة ولا يعتمد على آخر ليهبه الحياة بل هو الذي يحيي الآخرين، لأنه هو الحياة، هكذا هو الكلمة (1 كو 1:24) ليس ككائن جاهل يطلب الحكمة، بل يجعل الآخرين حكماء من مخزنه. وهكذا هو القوة ليس كمن ينالها خلال ضعف يحتاج إلى مزيد من القوة، بل يهب القوة للأقوياء [610].

القديس أمبروسوس

"لأن الآب يحب الابن،

ويريه جميع ما هو يعمله،
وسيريه أعمالاً أعظم من هذه،
لتتعجبوا أنتم". [20]

جاء الفعلان "يحب"، و"يريه" في اليونانية في صيغة الحاضر المستمر، يحملان معنى الحب والرؤية وهما عملاّن مستويان لا ينقطعان. هو حب الوحدة الكاملة في ذات الجوهر، لذا لم يستخدم "أغابي" بل "فيلين" ورؤية العمل المستمر، والذي يحمل الشوكة معاً في ذات العمل الإلهي. الأعمال التي أعظم من شفاء المفوج هي إقامة الموتى [٢١] وقيامته من الموت، وإدانته للعالم [٢٢].

❖ هذا يبرز أن الكل يأتي إلى الوجود خلال رادة واحدة وسلطة واحدة وقوة واحدة... مادام المسيح لا يفعل شيئاً من ذاته، إن كان المسيح يفعل كل الأمور مثل الآب... لأنه لم يقل بأن "كل الأمور التي وى الآب فاعلها يعملها هو"، بل "ينظر ما يعمله الآب" [611].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أنه أمر أعظم جداً أن يقوم ميت عن أن يُشفى مريض. هذه أمور أعظم.

لكن متى يُظهر الآب هذه الأمور للابن؟

ألا يعرفها الابن؟

المتكلم نفسه ألا يعرف كيف يقيم الموتى؟

هل كان محتاجاً أن يتعلم كيف يقيم الأموات إلى الحياة ذلك الذي به كان كل شيء؟ هذا الذي أوجدنا في الحياة حين كنا عدماً هل كان محتاجاً أن يتعلم كيف نقوم من الأموات؟

فماذا إذن تعني كلماته...؟

إنه يتحدث إلينا نبرة بما يليق بجلاله، ومرة أخرى بما يليق بتواضعه. هو نفسه العلي تنزل، لكي يرفعنا نحن الذين أسفل إلى العلا.

ماذا إذن يقول: "وسيريه أعمالاً أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم" [20]. إن ما يظوه هو لنا لا لأجله. وإذ يريه الآب لأجلنا، لذلك قال "لتتعجبوا أنتم".

لماذا لم يقل: "سويكم الآب" بل سوى الابن؟ لأننا نحن أيضاً أعضاء الابن، وما تتعلمه الأعضاء يتعلمه هو بطريقة ما في أعضائه.

كيف يتعلم فينا؟ كما يتألم أيضاً فينا.

أين نُثبت أنه يتألم فينا؟ من الصوت الصادر من السماء: "شول، شول، لماذا تضطهدني؟" (أع 9: 4) [612].

القديس أغسطينوس

"لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي،

كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء". [21]

أقام الآب الموتى كما فعل مع ابنة رُملة صرفة صيدا خلال إيليا النبي (١ مل ١٧ : ٢٢)، وابن الشونمية (٢ مل ٤ : ٣٢-٣٥) خلال خدمة إيليش النبي. وبقية الابن من يشاء كما حدث مع ابنة يايوس (مر ٥ : ٣٥-٤٢)، وابن رُملة نايبين (لو ٧ : ١١-١٥)، ولعازر في بيت عنيا (يو ١١ : ٤٤-٤٤). إنه يهب الحياة حسبما يشاء، وليس بطلب قوة خرجية كما حدث مع الأنبياء، وأيضاً التلاميذ. له سلطان مطلق على الحياة! له مفتاح القبر والموت (رؤ ١ : ١٨)، له مفتاح داود يفتح ولا أحد يغلق، ويغلق ولا أحد يفتح (رؤ ٣ : ٧). إنه يميت ويحيي (1 صم 2 : 6).

❖ يظهر التعبير قوة غير مغاوة... ومسواة في السلطة... "فإن كل ما يفعله (الآب) يفعله الابن أيضاً"، مظهرًا أنه يستمر في فعل كل الأشياء التي

يفعلها الآب سواء تغولون عن إقامة الموتى أو تشكيل الأجساد أو غوان الخطايا أو أي أمر آخر. إنه يعمل بنفس الطريق بالنسبة للذي ولده [613].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حتمًا لا يعني هذا أن الابن يحيي البعض، والآب يحيي آخرين، بل الآب والابن يحيون نفس الأشخاص، لأن الآب يفعل كل الأشياء بالابن [614].

القديس أغسطينوس

❖ هكذا مسلواة الابن للآب قدرسخت ببساطة خلال وحدة عمل الإحياء، حيث يحيي الابن كما يفعل الآب. لتتركوا هنا أبدية حياته وسلطانه [615].

القديس أمبروسوس

"لأن الآب لا يدين أحدًا،

بل قد أعطى كل الدينونة للابن". [22]

هذا يؤكد أنه لا يعمل الآب الديان بدون الابن، ولا الابن الديان بدون الآب، لهما سلطان واحد، يعملان معًا.

الآب لا يدين أحدًا، ليس لأنه بلا سلطان، ولكن هذه هي مسوته أن الابن الذي بذل ذاته يدين البشرية. لقد خلقنا الآب بابنه، وخلصنا بموته، وبيدنا خلاله. صار المسيح رأسًا للكنيسة بعمله الخلاصي، صار فوق الكل (اف ١ : ١١)، رأس كل رجل (١ كو ١١ : ٣)، لذلك فهو الذي يتم ذلك بأن يتمتع مؤمنيه بشركة مجده. وهو الذي بدأ المعركة ضد مملكة الظلمة، فيعلن في الدينونة تحطيمها تمامًا. إن كان الابن في تواضعه قد صار ابن الإنسان واحتمل الموت موت الصليب، فإنه يظهر أيضًا كابن الإنسان ليخجل ويخزي الذين رفضوه وطعنوه بحربة عدم الإيمان به.

إذ طلب اليهود محاكمته وقتله شوعيًا، أعلن أنه هو الديان، الذي سيحكم في اليوم العظيم ويدين كل البشرية.

❖ نحتاج أيها الأحباء إلي اجتهاد عظيم في كل شيء، إذ سنعطي حسابًا، ونُسأل بكل دقة عن كلماتنا وأعمالنا.

لا تقف اهتماماتنا بما يحدث الآن، بل ما سيحدث بعد ذلك، إذ نقف أمام محاكمة رهيبية. "لأنه لا بد أننا جميعًا نظهر أمام كوسي المسيح لينال

كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خوا كان أم شوا" (2 كو 5 : 10).

لنضع في ذهننا علي اللوام هذه المحاكمة، حتى يمكننا في كل الأوقات أن نتأثر علي الفضيلة... فإن الذي يغفر خطايانا الآن سيديننا، الذي يموت من أجلنا سيظهر ليدين كل البشرية يقول الرسول: "سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه" (عب 9 : 28). لذلك يقول في هذا الموضوع: "لأن الآب لا يدين أحدًا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن، لكي يكوم الجميع الابن كما يكومون الآب" [22-23]...

لكي تفهموا "قد أعطى" كما "قد ولد" اسمعوا ما قيل في موضع آخر: "كما أن الآب له الحياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة في

ذاته" [26]. ماذا إذن؟ هل ولده ولًا ثم أعطاه الحياة بعد ذلك؟...

هل وُلد بدون الحياة؟ حتى الشياطين لن تتخيل هذا، لأنه غبولة عظيمة وشر!

فكما إن إعطاء الحياة يعني ميلاده الذي هو الحياة، هكذا إعطاء الدينونة هو إعطاء الميلاد له الذي هو الديان.

ولئلا عندما تسمعون إن الآب هو مصوره تحسبون وجود اختلاف في الجوهر أو نقص في الكرامة قال إنه سيأتي ويدينكم، موهنًا بذلك علي

مسلواته. فإن من له السلطان أن يعاقب ويدين من يشاء، له ذات سلطان الآب [616].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ " لأن الآب لا يدين أحدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن" [22] ... عندما يدين الابن هل يبقى الآب بلا عمل ولا يدين؟... قيل هذا لأنه لا يظهر

للشرف في الدينونة سوى الابن. سيختفي الآب ويُعلن الابن.

كيف يُعلن الابن؟ في الشكل الذي به صعد. لأن شكل اللاهوت مخفي مع الآب، لكن يعلن شكل الابن للشرف...

بأية كيفية رُوه ذاهبًا؟ في الجسد الذي لمسوه، وامسكوه، والحواحات التي تحقّقوا منها باللمس؛ في هذا الجسد كان يظهر لهم أربعين يومًا، معلنًا

عن ذاته بالحق، لا في خيالٍ أو بطلانٍ أو ظلٍ أو روحٍ، بل هو بنفسه لم يخدمهم: "جسّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون" (لو 24:

القديس أغسطينوس

" لكي يكرم الجميع الابن كما يكرم الآب،

من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله". [23]

إن كان الابن يُكرم كما يكرم الآب، له ذات الكرامة، تسجد له الخليقة السماوية والأرضية وتتعبده، الأمر الذي لا يليق إلا بالله، فهو مع الآب

الله الواحد.

❖ هل الابن أقل لأنه قال أنه مُوسى؟ إنني أسمع عن الإرسال لا الانفصال...

بين البشر الواسل أعظم من المُوسى. ليكن، لكن الشئون البشرية تخدع الإنسان، الإلهيات تطوّه، لا تتطلع إلى الأمور البشرية التي فيها الواسل

يظهر أعظم من المُوسى... ومع ذلك توجد حالات كثيرة فيها يُختار الأعظم لكي يرسله من هو أقل...

تُرسل الشمس شعاعاً ولكنه لا ينفصل عنها...

والسواج يفيض نوراً ولا ينفصل عنه. إنني رُى رسالاً دون انفصال...

الإنسان الذي يرسل آخر يبقى خلفه بينما يتقدم المُوسى. هل يذهب الواسل مع الذي أرسله؟ أما الآب الذي أرسل الابن لا ينفصل عن الابن...

[618]

. الآب الواسل لا ينفصل عن الابن المُوسى، لأن المُوسى والواسل هما واحد.

القديس أغسطينوس

❖ ألا ترون كيف ترتبط كرامة الابن بكرامة الآب؛ قد يقول أحد: ما هذا؟ فإننا نرى نفس الشيء في حالة الواسل إذ يقول المسيح: "من يقبلكم يقبلني"

(مت 10: 40). في ذلك يتحدث هكذا، لأنه مهتم بخدامه الذين هم له، أما هنا فالسبب هو أن الجوهر واحد والمجد واحد مع الآب. لذلك لم يقل عن

الواسل "لكي يكرمهم"، أما هنا فبحق يقول: "من لا يكرم الابن لا يكرم الآب" [23]. فإنه متى وجد ملكان، من يسبب الواحد يكون قد سبب الآخر،

[619]

. خاصة إن كان ابنه وأيضاً من يسبب إلى جنوده يحسب كمن أساء إليه، لكن بطريقة مختلفة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلمتي ويؤمن بالذي أرسلني،

فله حياة أبدية،

ولا يأتي إلى دينونة،

بل قد انتقل من الموت إلى الحياة". [24]

تعاليمه، أي إنجيل خلاصه، هي بذار الحياة الأبدية الغالبة للموت أبدياً، متى زُرعت في القلب ترفع المؤمن فوق الموت الأبدى والدينونة في

يوم الرب العظيم. لن يدخل مدينة الموت التي تحبس النفوس التي حرمت نفسها من مصدر الحياة. إنما تعبر النفس إلى إمواتورية الحياة، ينال المؤمن

مواطنة جديدة، عوض بلدة الموت يتمتع بالمواطنة السماوية ليحيا فيها أبدياً في مجدٍ سملي وينطق بلغةٍ سماوية.

إن كانت الحياة الأبدية لا ترتبط بالزمن، فإن عربون هذه العطية يُقدم في الحياة الحاضرة، لننمو فيها حتى تتمتع بكمالها في الحياة العتيدة.

❖ إنه لم يقل: "إن من يسمع كلمتي ويؤمن بي" (بدلاً من يؤمن بالذي أرسلني) ... لأنه إن كان بعد صنع ربوات المعجزات لفترة طويلة تشكروا فيه

عندما تكلم في فزة لاحقة بهذه الطريقة "إن كان أحد يحفظ كلمتي فلن رى الموت إلى الأبد" (يو 8: 51)، وقالوا له: "قد مات إواهم والأنبياء،

وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلمتي فلن ينوق الموت إلى الأبد؟" (يو 8: 52)، فلكي لا يصيروا هنا في غضب شديد، انظروا ماذا يقول؟ "إن من

يسمع كلمتي، ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية" [24]. لهذا القول أژه غير القليل في قبول مقاله، عندما يتعلمون أن من يسمعونه يؤمنون أيضاً

بالآب، فإنهم إذ يقبلون هذا بسهولة، يمكنهم أن يقبلوا بقية المقال بسهولة. حديثه بطريقة متواضعة ساهمت وقدمتهم إلي الأمور العلوية. فإنه بعد قوله "له حياة أبدية" أضاف: "ولا يأتي إلي دينونة، بل يكون قد انتقل من الموت إلي الحياة" [24] [620].

❖ بهذين الأمرين جعل مقاله يُقبل بسهولة. ولأن الآب هو الذي نؤمن به، وبعد ذلك الذي يؤمن يتمتع ببركات كثيرة. عدم الآتيان إلي دينونة يعني عدم العقوبة، إذ لا يتحدث هنا عن الموت، بل الموت الأبدية، وأيضاً عن الحياة بلا موت [621].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ يحب البشر أن يعيشوا على هذه الأرض وُعدت لهم الحياة، وإذ يخشون الموت جداً وُعدوا بالحياة الأبدية. ماذا تحبون؟ أن تعيشوا. ستألون هذا.

ماذا تخشون؟ أن تموتوا. ستكون لكم حياة أبدية...

لنحب الحياة الأبدية، بهذا نعرف كيف يؤمننا أن نجاهد كثيراً من أجل الحياة الأبدية [622].

القديس أغسطينوس

❖ ليس سلطان الابن يزيد، بل معرفتنا عن هذا السلطان هي التي تزيد. وليس ما نتعلمه يضيف إلي كيانه شيئاً، وإنما يضيف إلي نفعنا حتى أننا بمعرفتنا للابن ننال حياة أبدية. هكذا في معرفتنا لابن الله ليست كرامة له، بل فائدتنا هي المعنية [623].

القديس أمبروسيوس

❖ إن الروح رغم اتحادها مع الله فهي لا تشعر بملء السعادة بطريقة مطلقة. إنما كلما تمتعت بجماله زاد اشتياقها إليه.

إن كلمات العريس روح وحياة (يو 24:5)، وكل من التصق بالروح يصير روحاً. كل من التصق بالحياة ينتقل من الموت إلي الحياة كما قال الرب.

هكذا فالروح البكر تشتاق دائماً للذنو من نبع الحياة الروحية. النبع هو فم العريس الذي تخرج منه كلمات الحياة الأبدية. إنه يملأ الفم الذي يقرب منه مثل داود النبي الذي اجتنب روحاً خلال فمه (مز 118:131).

لما كان لزاماً على الشخص الذي يشوب من النبع أن يضع فمه على فم النبع، وحيث أن الرب ذاته هو النبع كما يقول: "إن عطش أحد فليقبل إلي ويشوب" (يو 7:37)؛ لذلك فإن الأرواح العطشانة تشتهي إن تضع فمها على الفم الذي ينبع بالحياة ويقول: "ليقبلني بقبلات فمه" (نش 1:2). من يهب الجميع الحياة، ويريد إن الجميع يخلصون، يشتهي أن يتمتع كل واحد بنصيب من هذه القبلات، لأنها تطهر من كل دنس [624].

القديس غريغوريوس النيسي

"الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن،

حين يسمع ال أ موات صوت ابن الله،

والسامعون يحيون". [25]

يميز البعض بين "كلمة" السيد المسيح [24] وصوته [25]، فكلمته هي إنجيل خلاصه حيث يجد المؤمن خلال الصليب الحياة الجديدة عوض الموت، ويتمتع بالحياة عوض العبودية، إذ يقول السيد "كلمتي روح وحياة" أما صوته فهو كائن في كلمته، حيث تستعذب العروس صوت عريسها، فيمتلئ قلبها بنشوة الحب وتتحمس حنانه الإلهي ولن تقبل عنه بديلاً: "خافي تسمع صوتي" (يو 10:27).

يشير الكتاب المقدس إلي ثلاثة أنواع من الموت: الموت الطبيعي أو الجسدي، والموت الروحي، والموت الأبدية. الأول يتحقق بانفصال النفس عن الجسد، والثاني بانفصال النفس عن الله، والثالث بانفصال النفس والجسد معاً عن الله في العالم الآخر. مقابل هذا توجد ثلاثة أنواع من الحياة: الحياة

الطبيعية التي في هذا العالم، حيث يعمل الجسد مع النفس في وحدة، والحياة الروحية حيث تتمتع النفس بالوحدة مع الله الذي يقودها بروحه القدس، والحياة الأبدية حيث يشترك الجسد مع النفس في المجد السموي في حضن الآب.

بمجيء السيد المسيح حلت الساعة لتقوم النفس من موتها، أو انفصالها عن الله مصدر حياتها، فتمتع بالحياة الجديدة هنا. هذه الحياة الجديدة تهئ المؤمن لمجيء السيد المسيح الثاني حيث يقوم الأموات لتتشرك الأجساد مع النفوس في الحياة الأبدية المجيدة. هذا يتحقق بأمر السيد المسيح، حيث يسمع الأموات صوته.

في مجيئه الأول يتكلم في النفس فيقيمها من الموت، وفي مجيئه الأخير يأمر فيقوم الأموات. ليتنا نسمع يوماً صوته الموجه شخصياً إلينا: "لعازر هلم خلجاً". ففي كل عبادتنا، بل مع كل نسمة من نسمات حياتنا يؤمننا أن نميل بأذاننا إليه لنسمع صوته العذب المحيي لنفوسنا.

❖ تتحقق القيامة الآن، ويعبر الناس من الموت إلى الحياة، من الموت بعدم الإيمان إلى الحياة بالإيمان، من الموت بالبطلان إلى الحياة بالحق، من الموت بالشر إلى الحياة بالبر. لذلك توجد قيامة للأموات [625].

❖ الذين يؤمنون ويطيعون يحيون. قبل أن يؤمنوا ويطيعوا كانوا راقدين أمواتا. كانوا يسيرون وهم أموات. ماذا ينتفون بسوهم وهم أموات؟ ومع ذلك إن مات أحدهم الموت الجسدي، فيجرون يهثون القبر ويكفوه ويحملوه ويدفونه؛ الموتى يدفون الميت. وقد قيل عنهم: "دع الموتى يدفون موتاهم" (مت ٨: ٢٢).

مثل هؤلاء الموتى أقيموا بكلمة الله ليعيشوا في الإيمان. الذين كانوا موتى في عدم إيمان أقيموا بالكلمة. عن هذه الساعة يقول الرب: "سأأتي الساعة وقد جاءت الآن". بكلمته يقيم هؤلاء الذين كانوا موتى في عدم الإيمان. عنهم يقول الرسول: "قم أيها النائم، وارتفع عن الموتى، فالمسيح يعطيه النور" (أف ٥: ١٤). هذه هي قيامة القلوب. هذه هي قيامة الإنسان الداخلي، هذه هي قيامة النفس.

لكن ليست هذه هي القيامة الوحيدة، إذ تبقى قيامة الجسد أيضاً. من قام ثانية في النفس سيقوم أيضاً في الجسد لتطويه في الجسد. وأما من لم يقم أولاً في النفس فسيقوم في الجسد للنعته... إذ نتطلع إلى الرب أنه ختم علينا بهذه القيامة للنفوس التي يجب علينا جميعاً أن نسوع إليها، وأن نجاهد لنعيش فيها، وأن نثابر حتى النهاية. بقي له أن يختم علينا بقيامة الأجساد أيضاً التي ستكون في نهاية العالم. الآن فلنسمع كيف ختم بهذه أيضاً.

عندما قال: "الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات"، أي غير المؤمنين، "صوت ابن الله"، أي الإنجيل، "والسامعون"، أي المطيعون "يحيون" [٢٥]، أي يتبررون، ولا يعوبوا بعد غير مؤمنين. عندما أقول أنه قال هذا بقدر ما وانا أننا محتاجون إلى التعلم عن قيامة الجسد أيضاً، ولا تُؤك هكذا لذلك أكمل قوله: "لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته". هذه تشير إلى قيامة النفوس، إلى إحياء النفوس. عندئذ أضاف: "وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان" [٢٧] [626].

❖ من أي مصدر يحيون؟ من الحياة. من أية حياة؟ من المسيح... يقول: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦).

أؤيد أن تسير؟ أنا هو الطريق.

أؤد ألا تُخدع؟ أنا هو الحق.

أؤيد ألا تموت؟ أنا هو الحياة.

هذا ما يقوله مخلصك لك... البشر الذين ماتوا يقومون؛ إنهم يعبرون إلى الحياة، إذ يسمعون صوت ابن الله يحيون. فيه يحيون، إذ يثابرون في

[627]

الإيمان به. لأن الابن له الحياة؛ حيث له الحياة حتى أن الذين يؤمنون به يحيون.

القديس أغسطينوس

❖ أرفت هنا سيادة المسيح وسلطانه المطلق غير المنطوق به؟ فكما سيكون في القيامة هكذا يقول "الآن". لذلك عندما نسمع صوته يأمرنا أن نقوم، إذ

[628]

يقول الرسول: "عندما يأمر الله يقوم الأموات" (راجع 1 تس 4: 16) .

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته،

كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة في ذاته". [26]

يتحدث ربنا يسوع هنا بكونه المسيا الذي يخلص العالم ويهبه الحياة.

❖ "أعطي" بسبب الوحدة معه. أعطي لا لكي تؤخذ منه، بل لكي يتمجد في الابن. لقد أعطى لا لكي يقوم الآب بحواستها، بل لكي تكون ملكًا للابن [629].

❖ لا تظن أنها هبة مجانية للنعمة، إذ هي سرّ ميلاده. إذ لا يوجد أي اختلاف في الحياة بين الآب والابن، كيف يمكنك أن تظن أن الآب وحده له الخلود وليس للابن [630]؟

القديس أمبروسوس

❖ أنظر، أنت تقول وتعترف أن الآب يعطي الحياة للابن لكي تكون له الحياة في ذاته، وذلك كما أن الآب له الحياة في ذاته، فلا يكون الآب في حاجة والابن أيضًا ليس في حاجة. كما أن الآب هو الحياة هكذا الابن هو الحياة، وكلاهما يتحدثان في حياة واحدة وليس حياتين، لماذا يُقال أن الآب يعطي الحياة للابن؟ ليس كما لو كان الابن بدون حياة ونال الحياة، لأنه لو كان الأمر هكذا لما كانت له الحياة في ذاته [631].

❖ ماذا إذن قوله "أعطي الابن أن تكون له حياة في ذاته"؟ أقول باختصار أنه ولد الابن... كأنه يقول: "الآب الذي هو الحياة في ذاته قد ولد الابن الذي *dedit* هو الحياة في ذاته. يمكن فهم كلمة "أعطي" بمعنى "ولد" [632]. *genuit*.

❖ ماذا يعني له الحياة في ذاته؟ لا يحتاج إلى الحياة من آخر، بل هو نفسه فيض من الحياة، منه ينال الغير - الذين يؤمنون به - الحياة... لقد أعطى أن تكون له الحياة في ذاته، لمن أعطي؟ لكلمته، لذلك الذي هو "في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله" [633].

القديس أغسطينوس

❖ ألا ترون أن هذا يعلن عن الشبه الكامل إلا في نقطة واحدة، هي أن الواحد هو أب والآخر هو ابن؟ فإن تعبير "أعطي" لمجرد إواز هذا التمايز أما البقية كلها فمتساوية ومتشابهة تمامًا. واضح إن الابن يفعل كل شيء بسلطان وقوة مثل الآب، وأنه لا يستمد القوة من مصدر آخر، إذ له الحياة في ذاته مثلما للآب [634].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضًا، لأنه ابن الإنسان". [27]

❖ روى القديس أمبروسوس أن السيد المسيح قَبِلَ أن ينال السلطان أن يدين "لأنه ابن الإنسان" أما بكونه ابن الله فهو الديان، إذ هو واحد مع الآب [635].

يقول القديس أغسطينوس أنه هو "ابن الله في ذاته" [٢٥] كان يؤرم (بحبه) أن يصير ابن الإنسان حين أخذنا فيه، أو أخذ طبيعتنا.

إنه إذ يقم الموتى زاه ابن الله وهاهب الحياة والقيامة، وإذ يدين يتجلى أمامنا عمله الخلاصي الذي بدونه لن ننتبر، فزاه وقد حمل طبيعتنا وصار ابن الإنسان الذي مات وقام ووهبنا وه. واه الأشرار أيضًا ابن الإنسان الذي صلوه وردلوه وطعفوه.

بقوله: "وأعطاه أن يدين أيضًا لأنه ابن الإنسان" " يوجه أنظروهم نحو نوبة دانيال النبي عنه: "كنت رُى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل

ابن إنسان أتى وجاء إلي القديم الأيام، فقويوه قدامه، فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن

يزول وملكوته ما لا ينقوض" (دا 7: 13-14).

❖ سيكون الديان هنا ابن الإنسان، سيكون ذلك الشكل هو الذي يدين، وقد كان تحت الحكم.

اسمعوا وافهموا ما قاله النبي بالفعل: "سينظرون إلى من طعوه" (زك ١٢: ١٠؛ يو ١٩: ٣٧). سينظرون ذات الشكل عينه الذي طعوه بحربة. يجلس كديان ذلك الذي وقف أمام كرسي القضاء. سيحكم على المجرمين الحقيقيين، ذلك الذي جعله مجرمًا باطلاً. سيأتي بنفسه بذات الشكل. هذا تراه أيضًا في الإنجيل عندما ذهب إلى السماء أمام أعين تلاميذه، وقفوا ونظروا وتكلم الصوت الملائكي: "أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين... إن يسوع هذا الذي لرتع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء" (أع ١: ١١)...

انظروا الآن على أي أساس كان هذا ينبغي أن يحدث وبحق إن الذين يلزم أن يداؤوا يروا الديان. فإن الذين يدانون هم صالحون وأشوار معًا. "ولكن طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت ٥: ٨). **بقي أنه في الدينونة يعلن شكل العبد للصالحين والأشوار، ويحفظ شكل الله للصالحين**

[636] وخدمهم .

❖ أي شيء سيناله الصالحون؟... لقد قلت أننا هناك سنكون بصحة سليمة، في أمان أحياء بلا بلايا، بلا جوع ولا عطش، بلا عيب، دون فقدان لأعيننا. هذا ما قلته ولكن ما سيكون لنا أعظم لم أقله: إننا سوزى الله الآب، فإن هذا الأمر عظيم هكذا إذا ما قرنت به كل بقية الأمور تحسب أمامه كلا شيء... .

هل سوى الثوير الله أيضًا هذا الذي قال عنه إشعيا: "ليطود الثوير فلا يرى مجد الله" (إش ٥٦: ١٠ LXX)؟... لذلك فإنه سيعلم نفسه للكل، للصالحين والأشوار، ولكن يحتفظ بنفسه للذين يحبونه... بعد قيامة الجسد عندما يطرد الثوير فلا يرى مجد الله؛ فإنه "إذ أظهر نكون مثله لأننا سواه

[637] كما هو" (١ يو ٣: ٢)، هذه هي الحياة الأبدية .

❖ كيف إذن لا يأتي الآب نفسه؟ ذلك بكونه لا يكون منظورًا في الدينونة، "سينظرون إلى الذي طعوه". **الشكل الذي ظهر أمام القاضي، سيكون هو الديان** . ذلك الشكل الذين حوكم سيدين. لقد حوكم ظلمًا، سيدين بالعدل. سيأتي في شكل العبد، وهكذا سيظهر. لأنه كيف يظهر شكل الله للأوار والظالمين؟ لو أن الدينونة ستكون بين الأوار وخدمهم يظهر لهم شكل الله. ولكن لأن الدينونة هي للأوار والظالمين، ولا يُسمح للظالمين أن يروا الله، لأنه "طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعينون الله" (مت 5: 8) [638] .

❖ هناك سيكون فصل (بين الأوار والأشوار) ولكن ليس كما هو الآن. الآن نحن منفصلون ليس من جهة المكان، بل حسب السمات والوحدات والإيمان والوجاء والمحبة. الآن نعيش معًا، نعيش مع الأشوار، وإن كانت حياة الكل ليست واحدة. في السرّ نحن متميزون، سوا نحن مفصولون، كالقمح في البيدر، وليس كالقمح في المخزن. في الحقل القمح مفصول ومختلط، مفصول لأنه مختلف عن التبن، ومختلط لأنه لم يُغربل بعد. بعد ذلك سيحدث فصل عام... فالذين صنعوا الصالحات سيعيشون مع ملائكة الله، والذين صنعوا السيئات يتعدّون مع إبليس وجنوده...

بعد الدينونة سيغير شكل العبد... وسيقود الجسد بكونه الرأس، ويسلم المُلْك لله (1 كو 15: 24). عندئذ يظهر شكل الله علانية، هذا الذي لم يكن ممكنًا للأشوار أن يروه، وإنما يرون شكل العبد...

سيعلم نفسه، كما وعد للذين يحبونه. إذ يقول: "من يحبني يحفظ وصاياي؛ والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأظهر له ذاتي" (يو 14:

[639] (21) .

القديس أغسطينوس

"لا تتعجبوا من هذا،

فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته". [28]

عند قيامة السيد المسيح لم يُسمع صوت ما، لأنه قام بقوته وسلطانه. أما عند إقامتنا في اليوم الأخير فيُسمع صوت المسيح الذي له سلطان أن يقيم الموتى. كما تُسمع أصوات أرواح الملائكة التي تعلن مجيء صاحب السلطان.

❖ كل الذين يسمعون يحيون، لأن كل الذين يطيعون يحيون...

ها نحن ننظر قيامة الفكر، ليتنا لا نترك إيماننا بقيامة الجسد...

فإنه حقاً كل الفرق التي تتعهد ببث أية عقيدة دينية في الناس يسمعون بالاعتقاد بقيامة الأذهان، وإلا يُقال لهم: إن كانت النفس لا تقوم، فلماذا تتحدثون معي؟... لكن يوجد كثيرون ينكرون قيامة الجسد، ويؤكدون أن القيامة قد تمت فعلاً بالإيمان. مثل هؤلاء الذين يقولونهم الرسول قائلاً: "من بينهم هيميانياس وفيلبتس اللذين زاغا عن الحق، قائلين أن القيامة قد صلت، فيقبلان إيمان قوم" (2 تي 2: 17-18). يقولون أن القيامة قد تمت فعلاً بطريقة لا نتوقع بها قيامة أخرى، ويلومون الذين يتوجون قيامة الجسد، كما لو أن القيامة الموعود بها قد تحققت في عمل الإيمان، أي في الذهن [640].

القديس أغسطينوس

" فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة،

والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة". [29]

"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً،

كما أسمع أدين،

ودينونتي عادلة،

لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني". [30]

❖ كأن المسيح يقول هنا: "إنكم لم تبصروا فيّ فعلاً غريباً مخالفاً، ولا عملاً لا يريده أبي".

القديس يوحنا الذهبي الفم

5. شهادة يوحنا المعمدان له

"إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً". [31]

لو أنه شهد لنفسه بون شهادة الآب خلال الأنبياء ودون قيامه بأعمال عجيبة إلهية، لكان لهم غرهم إن حسبوا شهادة باطلة. لقد رفض شهادته لنفسه لأنهم حسبوا هذا نوعاً من طلب مجد الناس. فهو لا يود أن يقدم شهادة حسب معاييرهم ليست حقاً. بهذا يقطع خط الرجعة عليهم، فلا يعطيهم فرصة للاعتراض على شهادته، ولا يسمح لهم أن يتشككوا في نيته، فيظنوه أنه يطلب المجد الزماني.

❖ عندما قال: "شهادتي ليست حقاً" [31] كان يوبخهم على رأيهم فيه، واعتراضهم عليه، وعندما قال: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق" (يو 8:

14) يعلن طبيعة الشيء نفسه، وهي أنه بكونه الله يؤمهم أن يحسوه موضع ثقة حتى عندما يتحدث عن نفسه [641].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقدم نفسه مرة في شخص إنسان، وأخرى في جلال الله... مرة يشير أن شهادته ليست حقاً (يو 31:5) وأخرى أنها حق (يو 8:14) [642].

القديس أمبروسيوس

❖ إنه قد عرف حسناً أن شهادته عن نفسه كانت حقاً، ولكن من أجل الضعفاء، الذين بلا فهم فإن الشمس تتطلع إلى المصاييح. من أجل ضعف

بصورتهم لم يحتملوا بهاء الشمس المتألق [643].

❖ ألم يشهد الشهداء للمسيح؟ ألم يشهروا للحق؟ لكن إن تطلعتنا بشيء من الاهتمام الأكثر عندما شهد الشهداء، شهد هو لنفسه. لأنه يسكن في الشهداء،

Vulgate وهم يشهدون للحق. لنسمع أحد الشهداء، بولس الرسول: "أقبلون وهان المسيح الذي يتكلم في؟" (٢ كو ١٣: ٣). إذن عندما يشهد يوحنا فالمسيح الساكن في يوحنا يشهد لنفسه . ليشهد بطرس، وليشهد بولس وبقية الوسل، ليشهد اسطفانوس، فإن ذلك الذي يسكن فيهم جميعاً هو يشهد نفسه [644].

القديس أغسطينوس

❖ إن كان الرب نفسه الذي سيأتي فيما بعد ليحكم في كل شيء لم يرد أن يصدقه بناء على شهادته هو، مفضلاً أن يتوكى بحكم الله الآب وشهادته، كم بالأكثر يؤمننا نحن عبده الذين ليس فقط نتوكى بشهادة الله وحكمه بل ونتمجد بها يؤمننا أن نحافظ على ذلك [645].

الشهيد كبريانوس

"الذي يشهد لي هو آخر،

وأنا أعلم أن شهادته التي يشهد بها لي هي حق". [32]

جاءت كلمة "يشهد" هنا في صيغة المضارع المستمر، فإن شهادة الآب للابن شهادة سومدية، شهادة الحب لذلك الذي واحد معه في ذات

الجوهر.

هم يؤمنون بالكتاب المقدس، فهو يحمل شهادة الآب عنه خلال النوات الكثيرة، وهي شهادة صادقة.

❖ كأنه يقول: "لعلكم تقولون لي إننا لا نصدقك، لأنه على نحو ما يُقال في أناس إن من يشهد بتسوع لنفسه ليس هو مؤهلاً لتصديقه.

فقول المسيح: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً" لا ينبغي أن يؤأ على بسيط ذات قواعته، لكن ينبغي أن يؤأ إذا أضفنا إليه ظن أولئك اليهود في المسيح أن قوله ليس حقاً...

أورد الأقرال التي قالها بثلاثة شهود: أولهم الأعمال التي صنعها، وثانيهم شهادة أبيه، وثالثهم إنذار يوحنا المعمدان به، وقد وضع آخوها أولها وهي شهادة يوحنا المعمدان إذ قال: "الذي يشهد لي هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التي يشهد بها لي هي حق" [32].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق". [33]

مع أن السيد المسيح لا يقبل شهادة من أي إنسان، لكن من أجلهم يقدم شهادة يوحنا المعمدان عنه أو "للحق"، إذ كانوا يحترمون كسراج حمل النور لساعة. كان يوحنا في ذلك الوقت في السجن. يكومه السيد المسيح بكونه السراج الذي يعلن عن مجيء المسيح وسط ظلمة هذا العالم.

من جهة سأله الأعداء أنفسهم وطلواريه، ومن جهة أخرى عُرف القديس يوحنا أنه لا يعطي وزناً للكرامة الزمنية، ولم يطلب لنفسه مجداً. إنه مخلص في رسالته، لم يستطع هيرودس أن يثبته عن الحق، وعندما شهد يوحنا عن السيد المسيح لم يكن قدره.

❖ قال أولاً "أنتم أرسلتم إلي يوحنا" فما كانوا يوسلون إليه ولا أنهم احتسوه مؤهلاً للتصديق.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ انظروا كيف كان يؤمه أن يقول: "لتضى يارب سواجي". أخيراً إذ استنار قدم شهادته... إنه السراج، الذي استنار، استنار لكي يضيء. وما يمكن

أن يُنار يمكن أيضاً أن يُطفأ. فلكي لا يُطفأ ليته لا يعرض نفسه لريح الكوياء [646].

القديس أغسطينوس

"وأنا لا أقبل شهادة من إنسان،

ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم". [34]

يقول السيد أنه ليس بمحتاج إلى شهادة يوحنا، فإن أعماله فيها كل الكفاية، وهي أعظم من شهادة يوحنا.

أنتم تؤمنون أن يوحنا نبي، لا ينطق بالكذب بل بالحق. وقد شهد أنني حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يو 1: 29)، فإن أنتم بي تخلصون من خطاياكم.

❖ شهادة يوحنا لم تكن شهادة إنسان، لأنه قال: وأنا لم كن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء، ذاك قال لي الذي ترى الروح نزلًا ومستقرًا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس" (يو 1: 33) فمن هذه الجهة استبان أن شهادة يوحنا المعمدان كانت شهادة الله، لأنه من الله عرفها، وقال له ما قاله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "أكثر من جميع الذين يعلمونني فهمت، لأن شهادتك هي درسي"...

من هو هذا الذي له فهم أكثر من كل معلميه؟

إنني أسأل: من هو هذا الذي يتجاسر ويفضل نفسه عن كل الأنبياء، الذي ليس فقط بالكلام علمً بسلطانٍ عظيمٍ هكذا الذين عاش معهم، وأيضًا الأجيال المتعاقبة بكتاباتهم؟...

ما قد قيل هنا لا يمكن أن يكون عن شخص سليمان...

إنني أعرفه بوضوح ذلك الذي يفهم أكثر من كل الذين يعلمون، فإنه إذ كان صبيًا في الثانية عشرة من عمره بقي يسوع في أورشليم ووجدناه بعد ثلاثة أيام (لو 2: 42-46). قال الابن: "كما علمني أبي أنطق بهذه الأمور".

من الصعب جدًا أن نفهم هذا عن شخص الكلمة، ما لم نترك أن الابن المولود من الآب... "أخذ صورة عبد" (في 2: 7)، فإنه إذ اتخذ هذا الشكل، ظن من هم أكبر منه سنًا أنه يجب أن يتعلم كصبي، لكن ذاك الذي علمه الآب له فهم أكثر من كل معلميه، لأنه درس شهادات الله الخاصة به، وهو يفهمها أكثر منهم عندما نطق بالكلمات: "أنتم أرسلتم إلي يوحنا فشهد للحق، وأنا لا أقبل شهادة من إنسان" (يو 5: 33، 34).

القديس أغسطينوس

" كان هو السراج الموقد المنير،

وأنتم أرتدم أن تبتهجوا بنوره ساعة". [35]

يقصد بكلمة "موقد" أو الملتهب نيرًا الغيرة المتقدة في قلبه نحو توبة الناس وخلصهم. ويُقصد "بالساعة" الوقت القصير ما بين ظهوره للخدمة والقائه في السجن.

"تبتهجوا" *agalliatheenai* وتعني أن يثبتوا متهللين، أو يفرحوا بفيض بأخبار ظهور المسيا، حيث توقعوا أن يخلصهم من الرومان، لكن ما أن أعلن عن ملكوته الروحي حتى رفضوه ورفضوا السراج الذي أعلن عنه.

عندما كان هيرودس صديقًا ليوحنا كانت القيادات الدينية تتحدث عنه بكل وقارٍ أو على الأقل لا تقاومه، أما وقد ألقى في السجن بواسطة هيرودس فقد صار بلا شك موضع تكريم من الشعب، لكن القيادات لم تبال بأمره. وفي نفس الوقت لم تكن قاورة على مهاجمته علنًا، لأنه كان في أعين الشعب كني. الآن إذ أترك الشعب أن يوحنا نبي وهو قد شهد للمسيح يؤزم على الشعب أن يقبل المسيح.

وي القديس جيروم أن القديسين هم كالقديس يوحنا المعمدان كالسراج الذي ينير، وأن النور يشير إلى بهجتهم وفرحهم بالخلص. كما يقول: [كل الكنيسة الشرقية، حتى عندما لا توجد رفات للشهداء عندما يؤأ الإنجيل توقد الشوع، حتى عندما يجعل الفجر السماء حواء، لا لكي تبدد الظلمة، بل من أجل الشهادة ليوحنا. لذا فإن العذرى المذكورات في الإنجيل يشعلن على النوام مصابيحهن. وأخير التلاميذ أن يكونوا على النوام ممنطقين أحفائهم وموقدين مصابيحهم. ونوًا عن يوحنا المعمدان: "كان هو السراج الموقد المنير"، حتى أنه النور الحسي يشير إلى النور الذي نوًا عنه في

الزومور: "كلامك سراج لقدمي يارب، ونور لسبلي" (مز 119: 105) [647].

❖ هذا السراج قد أعد بسبب رتبناهم، فمن أجل هذا قيل في الزوامير منذ زمن طويل: "هيأت سراجًا لمسيحي" (مز 91: 17). ماذا يكون السراج

القديس أغسطينوس

❖ " بنوره ساعة " : هو قول يوضح بسهولة ميلهم وأنهم ولوا عن يوحنا مبتعدين عنه بسوعة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

6. شهادة آياته وأعماله

"وأما أنا، فلي شهادة أعظم من يوحنا،

لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأأكملها،

هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها،

هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني". [36]

كثروا ما يتحدث السيد المسيح عن شهادة أعماله لشخصه ورسالته (يو 10: 25، 32، 37، 38؛ 14: 10، 11). هنا لا يعنى بالأعمال كزرة المعجزات والآيات وتوعها فحسب وإنما أعمال محبته الفائقة، وسلوكه أثناء عمل المعجزات، وحبه العجيب للبشرية إذ كثراً ما نسمع أنه "تحنن عليهم وشفاهم"، هذا بجانب أيضاً أحاديثه، والأحداث الفريدة في حياته مثل سماع صوت الآب عند عماده وتجليه، وغلبته لإبليس في التجربة. يشير السيد هنا إلى شفاء المفوج كشهادة عملية لكي يقبلوا شخصه وتعاليمه فيخلصوا.

كلمة "العطاء" هنا لا تفيد أن ينال الابن ما لم يكن لديه، لكنه تحقيق العمل الإلهي الذي هو للآب والابن وتكميله. فالخلاص علي سبيل المثال هو عمل الثالوث القديس، الأب يرسل ابنه إلى العالم ليقدّم نفسه ذبيحة، والروح القدس يهيئ أحشاء القديسة مريم لتحقيق التجسد الإلهي. فلا فصل ولا رتبك ولا زواج بين عمل الآب والابن والروح، إنما العمل الإلهي واحد. ولقد أعلن السيد علي الصليب أنه أكمل العمل (يو 19: 28). وكما يقول الرسول بولس: "لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام" (عب 2: 10). ❖ الغرض الذي كان يحرص عليه أولاً هو أن يصدقوا أنه جاء من الله، وهو أقل بكثير من تصديقهم أنه إله معادل لأبيه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

7. شهادة الآب له

" والآب نفسه الذي أرسلني يشهد (قد شهد) لي لم تسموا صوته قط،

ولا أبصرت هيئته". [37]

لقد شهد له الآب نفسه علي فم الأنبياء كما ورد في العهد القديم وانتهى بشهادة القديس يوحنا المعمدان. وأخراً شهد له الآب بصوته من السماء يوم عماده (مت 3: 17)، وفي تجليه أمام ثلاثة من تلاميذه.

❖ إن سألت: وأين شهد له؟ أجبتك: في الأردن قائلاً: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (مت 3: 17)...

أوضح أنه ليس في الله صوت وليس له صورة، لكنه هو أعلى من كل الأشكال والنعومات التي هذه صفتها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لم تسموا صوته قط، ولا أبصرت هيئته". [37] يحدثنا القديس أغسطينوس في هذا الشأن قائلاً: [لا تستسلموا للتفكير بأنكم ترون لله وجهاً جسدياً، لئلا بتفكيركم هذا تهيتون أعينكم الجسدية لرؤيته فتبحثون عن وجه... تتبهوا من هو هذا الذي نقول له بإخلاص: "لك قال قلبي... وجهك يا رب أطلب"... لتبحثوا عنه بقلوبكم. يتحدث الكتاب المقدس عن وجه الله ونواحه ويديه وقدميه وكوسيه وموطئ قدميه... لكن لا تحسوا أنه يقصد بها

أعضاء بشوية. فإن أ ردتكم أن تكونوا هيكل الله فلنكسروا تمثال البهتان هذا [649].

❖ إنه ليس مثلنا ي ترك من جانب نون آخر. فإن ن مثل هذا تجديف لا يليق بجوهر الله الذي يعرف ال مور قبل كونها، قدوس وقدير، يفوق الكل في الصلاح والعظمة والحكمة.

لا يمكننا أن نخبر عن بداية له أو شكل أو مظهر، إذ يقول الكتاب: "لم تسموا صوته قطولا أبصرتهم هيئته". وكما قال موسى: "احتفظوا جداً لأنفسكم فإن نكم لم تروا صورة ما "يوم كلمتكم".

[650] فإذا استحيل تماماً رؤية شكله، كيف تفكر في الاقواب من جوهره!؟

القديس كيرلس الأورشليمي

8. شهادة الكتاب المقدس له

"وليس لكم كلمته ثابتة فيكم،

لأن الذي أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به". [38]

وإن كنتم تؤمنون بالكتاب المقدس وما يحويه من نوات إلا أن قلوبكم غير ثابتة في الكلمة. تتطون بها بألسنتكم، وترفضها قلوبكم، لأنه إذ تحققت النوات بمحيي لم تقبلوني. إنكم تقتنون الكتب لكنكم ترفضون خلاصكم. على نقيض داود النبي القائل: "خبأت كلامك في قلبي لئلا أخطئ إليك" (مز 119: 11).

"فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية،

وهي التي تشهد لي". [39]

كأنه يقول لهم: "لا يكفي أنكم تفتخرون باقتنائكم الكتب، وأنكم تؤمنونها، إنما يؤم أن تفتشوا فيها باجتهاد لتتمتعوا بخلاصكم وحياتكم الأبدية، فإن جميعها تنور حول محيي إليكم". رى القديس يوحنا الذهبي الفم أن العبرة هنا تشير إلى الذين يبحثون عن المعادن النفيسة في بطن الأرض، يحفرون المناجم ويبحثون باهتمام عن المعدن النفيس حتى يجوه.

استخدم السيد المسيح هذه النوات في حديثه مع تلميذه اللذين كانا في طريقيهما إلى عمواس يوم قيامته: "ثم ابتداء من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لو 24: 27).

ويوجهنا القديس بطرس الرسول إلي هذه الشهادة الحية فيقول: "وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سواج منير في موضع مظلم، إلي أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم، عالمين هذا ولأ أن كل نوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون، مسوقين من الروح القدس" (2 بط 1: 17-21). كما يقول: "الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها" (1 بط 1: 10-11).

❖ أرسل المسيح اليهود إلى الكتب ليس للواء العادية لها، لكنه أرسلهم ليجوها بحثاً بليغاً متصفحاً، لأنه لم يقل أقرأ الكتب بل قال: "فتشوا الكتب"، لهذا يأمرهم أن يتعمقوا فيها، لأن الأقوال التي قيلت عنه تحتاج إلى اهتمام كبير ليمكنهم أن يجنوا الفوائد الموضوعية في أعماقها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نقول بالصدق أن الفهم اللفظي للنص يكفي كما في حالة موسى الذي أصدر قانون الفصح. يؤكل اللحم الظاهر ولكن يترك ما يختفي داخل العظم (خروج 9: 12). فإذا رغب أحد في النخاع المخفي للنص، لنتركه يبحث عنه عند ذلك الذي يكشف عن الأسرار المخفية لمن هم يستحقون. إلا أننا

يجب أن لا نعطي الانطباع على أننا سنترك النص دون اختبار وتمحيص، وسوف لا نهمل أمر الله، الذي يحقونا على أن نفتش الكتب (يو

[651] 39:5).

القديس غريغوريوس النيسي

"ولا تريدون أن تأتوا إلي لتكون لكم حياة". [40]

انهم يبحثون في الكتب المقدسة في غير إخلاص، فيقدمون دراسات وتفسير وهم متجاهلون جوهر الكتب، شخص المسيا، إذ لا يريدون أن

يلتقوا به ويؤمنوا به ليتمتعوا بالحياة.

"مجداً من الناس لست أقبل". [41]

لم يطلب منهم هذا عن احتياج إلى تكريم منهم، فإن خلاص الإنسان لا يضيف إلى الله شيئاً، ولا هلاك الإنسان يسيء إلى الله، إنما مسوة الله

محب البشر هو بنيان الإنسان ومجده الأبدى.

"ولكني قد عرفتم أن ليست لكم محبة الله في أنفسكم". [42]

لقد قلوبوا السيد المسيح تحت ستار غيوتهم على الله وعلى مجده وعلى ناموسه، وأنهم يدافعون عن الحق الإلهي، لأن يسوع كاسر للناموس

ومجدف، حيث يسوي نفسه بالآب. ها هو يكشف لهم أعماقهم أنهم لا يحملون حباً صادقاً لله ولا غيرة على اسمه ومجده وناموسه، فإنه لو كان لهم هذا

الحب لكانوا عرفوا بالحق من هو يسوع، وأدركوا شخصه وعمله. لم يكن ممكناً لشخص آخر أن يتجاسر ويعلم ما أعلنه السيد أن محبة الله ليست في

قلوبهم.

❖ يقول قائل للمسيح: لم تقول هذه الأفعال؟ يجيب: "أقولها حتى أوبخهم، لأنهم لم يطردوني لأجل حب الله. إذ كان الله يشهد لي بأفعاله وأنبيائه لأنهم

على نحو ما ظنوا قبل هذا الوقت أنني ضد الله فطردوني، كذلك الآن منذ لربتهم هذه المعجزات وجب عليهم أن يبادروا إلي لو أنهم أحوا الله إلا أنهم

لم يحوه".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني.

إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه". [43]

وي القديس أمبروسيوس مع تمايز الأقانيم وجود وحدة في الاسم الإلهي، لهذا يتم العمداد باسم الآب والابن والروح القدس وليس بأسماء" (مت

19:28). وقد جاء الابن باسم الآب (يو 43:5)، وكما يدعى الروح القدس بالبلراكليت (الشفيق أو المحامي). هكذا أيضاً يدعى الابن (1 يو 2:1). وكما

يتحدث السيد المسيح عن نفسه قائلاً: "أنا هو الحق" (يو 6:14)، يدعى الروح القدس أيضاً "الحق" (1 يو 7:5) [652]. أيضاً يدعى كل من الآب والابن

والروح القدس "النور" (1 يو 5:1؛ يو 8:1-9؛ إش 9:2؛ مز 6:4) [653]. وهكذا الأقانيم الثلاثة يدعوا "الحياة" [654].

كان الحاخامات يعترفون جداً بأن من يقدم نفسه معلماً يشهد له شخص أو أشخاص لهم مكانتهم الدينية، لهذا كان شاول الطرسوسي يعتز بشهادة

معلمه غملائيل. لقد جاء ربنا يسوع يشهد له الآب، ويتكلم باسمه، ويطلب مجده، أما أصداد المسيح فيأتون بأسماء أنفسهم (مت 24: 5).

❖ لقد أظهر اللازم بتعليم وحدة الاسم الإلهي، وعدم وجود اختلاف، حيث أن المسيح جاء في وحدة الاسم، أما ضد المسيح فسيأتي باسمه الخاص

به... علمنا بكل وضوح من خلال هذه العبارات (مت 19:28؛ يو 14:26؛ أع 12:4؛ يو 43:5) أنه لا يوجد فرق في الاسم (الإلهي) في الآب

[655]

والابن والروح القدس.

القديس أمبروسيوس

[656]

❖ لم يقبل اليهود الرب يسوع المسيح الذي هو ابن الله وهو الله، لكنهم سيقبلون المحتال الذي يدعو نفسه الله .

الأب يوحنا الدمشقي

❖ من هو هذا الذي قال عنه أنه يأتي باسم نفسه؟ إنه يذكر هنا بطريقة غامضة أن الذي يأتي هو ضد المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قيل عن ضد المسيح وعن كل الذين ينكرون الرب هذا: "أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلوني. إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه" [43]. لنسمع

أيضًا يوحنا: "سمعت أن ضد المسيح يأتي، قد صار الآن أصداد للمسيح كثيرون" (١ يو ٢: ١٨). ماذا في ضد المسيح؟ نحن نرتعب منه، إلا أن اسمه يُكرم ويحترق اسم الرب؟ ماذا يقول سوى: "إني أبرر ذاتي؟" نجيبه: "أنا أتيت إلى المسيح لا بقدمي بل بقلبي. حيث سمعت الإنجيل هناك آمنت. هناك اعتمدت، فإني إذ آمنت بالمسيح آمنت بالله" [657].

القديس أغسطينوس

" كيف تقدرون أن تؤمنوا، وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض،

والمجد الذي من الاله الواحد لستم تطلبونه؟" [44]

أوضح السيد المسيح أن مشكلتهم قائمة في أعماقهم، ففسادهم أعمى أعينهم عن معرفة الحق وقبوله. فالعائق الرئيسي لخلاص الكثرة والفريسيين هو كبريؤهم. فإنهم يفضلون فقدان خلاصهم وهلاك نفوسهم عن أن تُمس سمعتهم وسط الشعب. يهتمون بما يقوله الناس عنهم، لا بما يشهد به الله عنهم. ❖
رأهم أنهم لم يطلوا حقوق الله، لكنهم بتظاهورهم هذا رأوا أن ينتصروا لموضعهم، فابتعدوا عن مجد الله، لأنهم رغبوا المجد الإنساني أكثر من المجد الذي من الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يؤمكم أن تهتموا بتجنب شباك هوى المجد الباطل. يقول يسوع: " كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض؟" [44] أي شر هذا

الذي ضحيته لا نقدر أن نؤمن! ليتنا بالأحرى نقول: "أنت مجدي" (إر 24:9)، وأيضًا "من يفتخر فليفتخر في الرب" (1 كو 1:31)، "إن كنتُ بعد رُضي الناس فلستُ عبدًا للمسيح" (غلا 1:10). "حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم" [658].

القديس جيروم

" لا تظنوا إني أشكوكم إلى الآب،

يوجد الذي يشكوكم،

وهو موسى الذي عليه رجائكم". [45]

اتهموه بكسر السبت، وقد أثبت لهم أن عمله هذا يقدس السبت لأنه يعمل حسب مسوة الآب. الآن وقد ظهر بطلان اتهامهم، فإنه لم يبق بدورهم باتهامهم ككاسوي الناموس كله، فإنه ليس بحاجة إلى ذلك، ولا جاء لهذا الغرض. إنه لم يتجسد ليدين الناس بل ليخلصهم. إنه يتوك موسى نفسه الذي يتقون فيه، هو نفسه يتهمهم ويدينهم.

"لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني،

لأنه هو كتب عني". [46]

جاءت أسفار موسى الخمسة مشحونة بالرموز والنووات التي تشهد لشخص السيد المسيح وميلاده وخدمته وصلبه وقيامته كمخلص للعالم. فمن

يصدق موسى يصدق السيد المسيح نفسه، لأن فيه تمت النووات.

"فإن كنتم تصدقون كتب ذلك فكيف تصدقون كلامي؟" [47]

إن كانوا لا يفتحون قلوبهم للنووات ويدركون أعماق الناموس بل يتمسكون بالحرف بطريقة جافة، فكيف يمكنهم أن يتمتعوا بشخص السيد المسيح عصب الكتاب ومركزه؟ لديهم الحقل لكنهم لا يبحثون عن الكنز المخفي فيه. يقول القديس بولس أنه لا زال الرفع موضوعاً على قلوبهم إلى اليوم حين يُؤا موسى (٢ كو ٣: ١٥)، فلا يدركون غاية الكلمة الإلهية. حُتم حديث السيد المسيح بصمت كامل من جهة المقاومين، إذ لم يكن لديهم ما يجيبون عليه. ويبدو أن كل ما قد فعلوه أنهم رفعوا الاتهام عنه في صمت، أما قلوبهم فزدادت تحجراً، تتوقب فرصة أخرى ليمسكوه بها.

من وحي يو 5

ليس لي إنسان!

❖ نفسي تنن مع مريض بيت حسدا.
دخلتُ معه كما من الأروقة الخمسة.
دخلت خلال كتاب موسى الخمسة،
سقطت تحت الناموس الذي فضح ضعفي.
اكتشفت إنني مريض، محتاج إلى طبيب سموي!

❖ عبّر عوي وكأنه 38 عاماً، ينقصني فيه الحب الحقيقي!
ليس لي إنسان يلقيني في مياه الحب الإلهي فأشفى!
من يهبني الحب الحقيقي لله واخوتي؟
من يسندني لأكمل ناموس الحب فأوأ؟

❖ كثراً ما عبوت يا طبيب النفوس!
كأنك قد تركت الكل لتبحث عن ضعفي،
فإنني أول الخطاة!
كنت بالحب تردد بلا توقف:
أتريد أن توأ؟
لغبوتي لم أسمع صوتك!
أحببت ضجيج العالم، وانشغلت به.
ليس لي أذنان تسمعان صوت الحب السموي!
صوتك حلو، لكن لثقل أذناي لم أستمع إليه!

❖ روحك القدوس العجيب سحب قلبي إليك.

سمعت صوتك الحلو،

وتمتعت بوجهك الأروع جمالاً من بني البشر!

اعترفت لك بحاجتي لمن يشفيني.

❖ على كلمتك القدوة قمت من فاشي،

وفي طاعة لوصيتك حملت سوري، منطلقاً إلى بيتي!

حملت سوير موزي،

رأه فأذكر ضعفي وموتي،

بل أذكر قنوتك يا واهب الغوان والحياة.

إنني أسير، وأبقى أسير حتى أدخل بيتي.

لن أستويح حتى أبلغ أحضان أبيك، بيتي الأبدي!

❖ حوّلت حياتي كلها إلى سبتٍ دائمٍ،

تحول زماني إلى عيدٍ وراحة فائقة.

عوت بي إلى عربون الأبدية،

لأتمتع بشركة الطبيعة الإلهية.

<<

الأصاح السادس

المسيح خبز الحياة

أو

الخبز السموي

في المرحلة الأولى قدم لنا الإنجيلي يوحنا كلمة المسيح بكونه واهب التجديد، وفي المرحلة الثانية واهب الحياة. الآن يقدم لنا الإنجيلي شخص السيد المسيح بكونه الخبز السموي الذي يقوت النفس ويشبعها لتبقى حية ونامية. إنه الكلمة المتجسد، بكلمته يقيمنا للحياة الجديدة، وبجسده الذي هو الخبز السموي ينعشنا لنثبت فيه.

في هذا الأصاح نرى السيد المسيح يشبع الجوع بسمكتين وخمسة أرغفة شعير قدمها غلام.

أولاً : رفع يسوع عينه لوى الجوع الجائعة. لم ينتظر من يطلب طعاماً أو من يشبع الجوع، إنما يتطلع هو إلى احتياجات الناس.

ثانياً : وهو يقدم طعاماً للشعب يقبل تقدمه غلام صغير. كما يعطي يأخذ، علامة الحب المتبادل بين الله والبشرية. كما رفع من معنوية الغلام وهو يرى تقدمته الصغرة أشبعت كل الجماهير وفاضت باثنتي عشرة قفة من الكسر.

ثالثاً : يكرم الله كل إنسان ويطلب التقدمة من غلام أو صبي أو طفل، مهما كانت قليلة! علامة شعور الإنسان بدوره الحيوي ومساهمته في خدمة البشرية.

رابعاً : ترمز السمكتان إلى العهدين الجديد والقديم، والخمس خزات إلى أسفار موسى الخمسة. شتان ما بين استلام الكلمة من يد السيد المسيح وبين القاءه خلال التفسير البشري. كلمة الله مُشبعة وفاضة متى قدمها لنا مسيحننا خلال كنيسته (تلاميذه).

خامساً : سأل الرجال أن يتكئوا على العشب الذي يشير إلى الجسم، فلا نجعل من الجسم قائداً، بل من النفس الناضجة. فيخضع لها الجسم ليعمل تحت قيادتها ولحسابها وليس لحساب شهوات الجسد.

سادساً : عادت الجوع تبحث عنه في الغد، لا للتمتع بصانع الآيات، وإنما لأنها أكلت وشبعت [26]، لذا قدم لهم السيد المسيح مائدة جديدة مختلفة: جسده ودمه المبولين طعاماً يهب الحياة الأبدية والقيامة.

الذي سار على المياه لكي يحملنا فيه فنسلك الطريق الملوكي يقدم لنا ذاته الخبر النزل من السماء ويهب حياة للعالم [33]. تحدث السيد بوضوح أنه الخبز الإلهي المنعش للحياة الأبدية. تعثر كثيرون من تلاميذه وتركوه، أما هو فقال للإثني عشر: "ألعلم أنتم أيضاً تويدون أن تمضوا؟"

[17] أصر أنه يقدم جسده ودمه، وليس رموزين لأمر آخر، وإلا ما كان يتوك هؤلاء وجعون من ورائه.

لم يستطع اليهود أن يقبلوا الكلمة الإلهي، ولا أن يتمتعوا بجسده ويشربوا دمه لذا تركوه ومضوا.

1 . إشباع الجوع ١ - ١٤ .

2 . سير المسيح على الماء ١٥ - ٢١ .

3 . الجوع تطلب في كفرناحوم ٢٢ - ٢٥ .

4 . أنا هو الخبز الحي ٢٦ - ٥٩ .

5 . تذمر البعض ٦٠ - ٦٥ .

6 . إلى من نذهب؟ ٦٦ - ٧١ .

1 . إشباع الجوع

اعتاد الإنجيلي يوحنا أن يشير إلى المعجزات التي لم يشر إليها أحد الإنجيليين الثلاثة الآخرين، ما عدا هذه المعجزة، فقد تحدث عنها الإنجيليون جميعاً. ففي كل الجوانب متى قدم السيد المسيح كملك (إنجيل متى) أو خادم للبشرية (إنجيل مرقس) أو صديق لها (إنجيل لوقا) أو ابن الله الذي يهب البوثة للبشرية (إنجيل يوحنا) ما يبغيه الإنجيل هو إشباع احتياجات الإنسان من كل الجوانب.

هذا وقد اهتم الإنجيلي بهذه المعجزة لكي يورد الحديث الطويل الملحق بها والخاص بتقديم المسيح نفسه خزاناً نولاً من السماء، فنشبع به بكونه الكلمة الإلهي، كما يقدم لنا جسده ودمه المبولين عنا غواناً للخطايا وحياة أبدية.

" بعد هذا مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل،

وهو بحر طبرية". [1]

حدد الإنجيلي المكان والزمان لعمل المعجزة وكل الظروف المحيطة بها كشهادة على حقيقة القصة لما لها من أهمية تمس حياة الكنيسة عبر

مضي يسوع إلى عبر بحر الجليل وهي بحوة طبرية، تُدعى في موضع آخر جنيسلرت. وتُدعى هنا بحر طبرية Tiberias نسبة إلى مدينة تقع على الجانب الغربي من البحوة قام هيرودس مؤخرًا بتوسيعها وتجميلها، ودعها على اسم الإمبراطور طبريوس Tiberius تكريمًا له، ويحتمل إنه جعلها عاصمته. لم يعبر السيد البحر وإنما جعل رحلته عبر البحر، أي على ساحلها.

وى القديس كيرلس الكبير أن السيد المسيح انصرف من أورشليم، وعبر إلى الضفة الأخرى من بحوة طبرية تحاشيًا لبغضة عديمي الإيمان له، وأنه فعل ذلك اختيلياً وليس قسواً. إنه يعلمنا الهروب من هجمات الشر، ليس خوفاً من الموت، وإنما حباً في مضايقتنا.

❖ لسنا نسعى من أجل خيراتنا بل من أجل خير الآخرين أيضاً. عمل المحبة ليس في تصدي الذين يريدون الشر بنا، ولا في الاكتفاء بما نعاني ما يحل بنا، فنثير فيهم الغضب الميرير بسبب عجزهم عن السيطرة على ما يكرهونه. فالمحبة لا تطلب ما لنفسها كما يقول بولس (١ كو ١٣: ٥). هذا ما كان في المسيح بشكل واضح.

القديس كيرلس الكبير

❖ ليتنا أيها الأحياء لا نتنافس مع العنفاء، بل نتعلم انه حينما يفعلون هذا لا يسيئون إلي فضيلتنا بسبب مشوراتهم الشريرة، وإنما يُكبح عملهم العنيف وكما أن السهام إن سقطت علي جسم ثابت قوي ومقاوم ترتد بقوة عظيمة علي من ألقتها، فلا يجد عنف الذين ألقتها من يعرضهم، هكذا أيضا بالنسبة للمتغضبين، عندما نصلح معهم بزادون شراسة، ولكن حين نخضع وننحني رُضاً بسهولة نبطل جنونهم. لذلك عندما عرف الرب أن الكتابة والفريسيين قد سمعوا أن يسوع صار يعمد تلاميذ أكثر من يوحنا ذهب إلي الجليل ليطفئ من حسدهم ويهدئ بانسحابه غضبهم الذي هاج بالتقلير التي وصلتهم. وعندما رحل للمرة الثانية إلي الجليل لم يذهب إلي ذات المواضع التي ذهب إليها قبلاً، إذ لم يذهب إلي قانا بل إلي "عبر البحر" [659].

القديس يوحنا الذهبي الفم

هذا ووى القديس كيرلس الكبير أن العبور إلى الضفة الأخرى يحمل رمزاً لعبور الكرة بالسيد المسيح من اليهود إلى الأمم، فلا يمكنهم العبور إليه بسبب عدم إيمانهم به.

❖ معبر البحر الذي يفصل بين الجانبين يشير إلى صعوبة عبور اليهود، بل بالأحرى استحالة سوهم في الطويق المؤدية إليه، إذ يعلن الله أنه يسبح طرق النفس الشريرة، قائلاً في الأنبياء: "هأنذا أسبج طويقها بالشوك... حتى لا تجد مسلكها" (هو ٢: ٦). فما يُشير إليه الشوك هناك يشير إليه البحر هنا، إذ يفصل المُهان عن الذين أهانوه بلا هوادة، والمقدس عن النجس.

القديس كيرلس الكبير

"وتبعه جمع كثير،

لأنهم أبصروا آياته التي كان يصنعها في المرضى". [2]

لم يذكر القديس يوحنا معجزات الشفاء هذه، فقد أوردها الإنجيلي متى في شيء من التفصيل (مت ١٢: ٢؛ ١٤: ١٣). التفت الجماهير حوله، وكانوا يشتاقون إلى التعرف عليه من أجل كؤة ما فعله. أما بالنسبة للسيد المسيح فلم يكن هذا الجمهور يمثل تكريمًا له، وإنما يمثل حق عمل لتقديم كلمة الحق ولخدمتهم حتى يتمتعوا بالشركة معه.

يلق القديس يوحنا الذهبي الفم علي هذه العبوة موضحاً أن ما ورد هنا لا يشير إلى أصحاب عقول حكيمة جداً، لأنهم انجذبوا بالمعجزات أكثر من التعليم، مع أن الآيات هي لغير المؤمنين وليس للمؤمنين.

"فصعد يسوع إلى جبل،

وجلس هناك مع تلاميذه". [3]

أما المنبر الذي كان من عليه يتحدث مع الجمهور فهو الجبل حيث جلس عليه ومعه تلاميذه. هذا الجبل في بوية صيدا في مقاطعة فيلبس التابعة للجليل.

❖ صعد إلي الجبل لكي يعلمنا يوماً أن نستريح من فرة إلى أخرى بعيداً عن الضجيج ولتباك الحياة العامة، فإن الوحدة أمر لائق لواسة الحكمة. كثراً ما كان يصعد وحده علي جبل، ويقضي الليل هناك يصلي حتى يعلمنا أن من وغب في الاقتراب من الله يؤمره أن يتحرر من كل اضطراب وبيحث عن أوقات هادئة خالية من الارتباك [660].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لنتبعه وهو مُضطهد وهرب من عناء مقاوميه، حتى أننا نحن أيضاً "نصعد إلى جبل ونجلس معه". فترتفع إلى نعمة مجيدة، أسمى من كل شيء، ونملك معه. وكما قال بنفسه: "أنتم الذين تبعتموني في تجربي متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده في التجديد، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًا تدبنون أسباط إسرائيل الاثني عشر" (مت ١٩: ٢٨؛ لو ٢٢: ٢٨).

القديس كيرلس الكبير

"وكان الفصح عيد اليهود قريباً". [4]

يربط الإنجيلي يوحنا بين هذه المعجزة وعيد الفصح، بقوله: "وكان الفصح عيد اليهود قريباً" [4]. فإن الفصح الحقيقي هو تقديم جسد المسيح ذبيحة علي الصليب، وهو بعينه الإفلرستيا التي نتمتع بها علي المذبح. وأن هذه المعجزة كانت تمهيداً لقبول العالم المؤمن جسد الرب ودمه المبذولين للإشباع الروحي، حياة أبدية لن يهزمها الزمن أو الموت.

حدث هذا قبل العيد الثالث للفصح الذي احتفل به السيد أثناء خدمته؛ كان قاية عشرة أو اثني عشر يوماً قبل العيد. وقد اعتاد اليهود أن يقضوا شهراً كاملاً قبل الفصح لعمل الإعدادات الضخمة الخاصة به، فيمهدون الطرق ويصلحون الكباري إن كانت هناك حاجة إلى ذلك، ويتحدثون عن الفصح وكيف تأسس.

لعل الجمهور في تلك المنطقة أركوا أنه قد اقرب موعد عيد الفصح حيث يلتزم كل الرجال أن يذهبوا إلى أورشليم، وبالتالي حتماً يصعد يسوع المسيح إلى أورشليم، فلا تكون لهم فرصة للقاء معه وسط الإزدحام والضخم الجماهير القادمة من بلاد كثيرة. لهذا رأوا انتهاز الفرصة للالتفاف حوله وعدم مفارقتهم له قدر المستطاع. لم يوجوا اللقاء معه إلى ما بعد العيد، بل كانوا حكما، ينتهزون كل فرصة للتمتع به.

❖ إن قلت: ما غرض المسيح في توجهه الآن إلى الجبل وجلوسه هناك مع تلاميذه؟ أجبتك: بسبب المعجزة التي رُمع أن يجريها... ولكي يعلمنا أن نستريح من الازعاج الذي حولنا، لأن الهوء والقفر موافقان للحكمة، وقد توجه المسيح إلى الجبل دفعات كثيرة وحده، وظل ليلة بطولها يصلي.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"رفع يسوع عينيه،

ونظر أن جمعاً كثيراً مقبل إليه،

فقال لفيلبس: من أين نبتاع خبزاً لي أكل هؤلاء؟" [5]

رفع يسوع عينيه ورأى الجمهور الضخم من الطبقة العامة الفقوة، نفوسهم في عينيه ثمينة جداً كنفوس الأغنياء بلا تمييز. يهتم السيد باحتياجاتهم الروحية كما الجسدية أيضاً لذلك سأل فيلبس: "من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟" فقد كان يهوذا هو أمين الصندوق، وكان فيلبس هو المسئول عن تدبير الطعام اليومي للتلاميذ.

❖ هذا يظهر أنه لم يجلس قط في أي وقت في خمول مع تلاميذه، وإنما يدخل معهم في حوار، ويجعلهم ينصتون إليه ويتجهون نحوه، الأمر الذي يشير

علي وجه الخصوص إلى عنايته الحانية وتواضعه وتنزله في سلوكه معهم. لقد جلسوا معه وربما كل ينظر الواحد إلي الآخر، وإذ رفع عينيه شاهد الجماهير قادمة إليه [661]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ رفع المسيح عينيه ليعلن أن الذين يحبونه يتأهلون للنظرة الإلهية. وكما قيل لإسواتيل في البركة: "توقع الرب وجهه عليك، ويمنحك سلامًا" (عد ٦: ٢٦).

القديس كيرلس الكبير

❖ أعطى يسوع للبعض خبزًا من الشعير لئلا يخوروا في الطريق، ومنح سرّ جسده للآخرين (مت ٢٦: ٢٦) لكي يجاهدوا من أجل الملكوت [662].

القديس أمبروسيو

يقرن القديس يوحنا الذهبي الفم بين ما فعله الله مع موسى النبي وما فعله السيد المسيح مع فيلبس. ففي القديم سأل الله موسى عما في يده، وإذا به يخوه أنها عصا، لا حول لها ولا قوة، فتصير عصا الله التي يصنع بها عجائب. وها هنا يسأل السيد المسيح فيلبس عن إمكانياته وهو والتلاميذ لإشباع الجوع، فكادت تكون لا شيء سوى خمسة أرغفة شعير وسمكتان لدي غلام، استخدمهما السيد لإشباع هذه الألوف مع فيض من الكسر. من أجل محبته للإنسان يود الله أن يدخل دومًا في حوار معه، ويسأله عن إمكانياته، لكي يقدم الله من جانبه إمكانياته الإلهية القدوة خلال عجزنا وضعف إمكانياتنا.

"وإنما قال هذا ليمتنحه،

لأنه هو علم ما هو مزعم أن يفعل". [6]

قال السيد المسيح ذلك لكي يختبر إيمانه، ولكي يجتذب قلبه وقلوب اخوته نحو عمله الإلهي. هذا وقد كان فيلبس من بيت صيدا في منطقة مجلورة للموضع، على إمام بإمكانيات الموضع وربما يعرف الكثيرون في ذلك الموضع. سأل فيلبس ليس لأن السيد المسيح لا يعرف الإجابة، وإنما لكي يتعرف فيلبس على بلادة إيمانه. "أجابه فيلبس:

لا يكفيهم خبز بمأتي دينار

ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً". [7]

كان الدينار هو الأجرة اليومية العادية للشخص.

كأن الرسول فيلبس يقول للسيد المسيح أنه لا مجال لمناقشة هذا الأمر، فمن جهة لا توجد إمكانيات في الموضع لإشباع هذه الجماهير، وإن وُجدت الإمكانيات العينية فمن أين لنا أن نشوّي هذا فإننا نحتاج إلى ٢٠٠ ديناراً؟

"قال له واحد من تلاميذه

وهو أنثواوس أخو سمعان بطرس". [8]

مع أن أنثواوس أكبر من سمعان بطرس، وهو الذي دعا أخاه ليتبع المسيح، لكن سوعان ما لمع نجم بطرس حتى صار أنثواوس يُعرف بأنه أخ بطرس، أي يُنسب إليه لكي يعرفه القارئ.

❖ كان أنثواوس أسمى من فيلبس لكنه لم يبلغ إلى النهاية. ما نطق به ليس مصادفة بل سمع عن معجزات الأنبياء وكيف صنع آية بالخوات (2 مل 4:43)، ولهذا فقد ارتفع إلى علو معين، لكنه لم يبلغ إلى القمة ذاتها [663].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان،

ولكن ما هذا لمثل هؤلاء؟" [9]

عرفت كنعان بأنها أرض الحنطة (تث ٨: ٨). اعتاد سكانها أن يأكلوا الحنطة الفاخرة (مز ٦١: ١٦)، لكن يسوع المسيح سرّ بالخزات التي من الشعير، فلم يحتوها بل شكر وزرع خلال تلاميذه ليجد الكل شعبًا.

في ضعف إيمان قال فيلبس: "ولكن ما هذا لمثل هؤلاء؟" [٩]. لم يدرك أن يسوع هو الذي أشبع محلة إسوائيل كلها في الربة بالمن النزل من السماء، فهل يصعب عليه أن يشبع ألف عائلة بخزة شعير؟

رى القديس أغسطينوس أن الأرغفة الخمسة من الشعير تشير إلى العهد القديم الذي يضم أسفار موسى الخمسة. وهي من الشعير، لأن قشوة الشعير جامدة ويصعب زعها، كالعهد القديم حين كان اليهود يملسونه بالحرف، ويستصعبون إيراكه بالروح. أما الغلام فيشير إلى شعب إسوائيل القديم الذي سلك في الروحيات كغلام صغير بلا نضوج، وأما السمكتان فتشوان إلى الشخصيتان الرئيسيتان في العهد القديم، وهما النبي والملك أو الحاكم. كان الغلام يحمل هذا دون أن يأكل منه.

لقد فُدمت الخزات والسمكتان لذاك الذي وحده يعطي العهد القديم فهما روحياً جديداً. إبعد طول زمانٍ جاء بنفسه في سرّ، هذا الذي عُني به خلال هؤلاء الأشخاص. جاء بعد زمن طويل ذلك الذي يشار إليه بالشعير، ولكنه كان مخفياً بالقشوة. جاء الشخص الواحد يحمل الشخصيتين للكاهن والحاكم. إنه الكاهن إذ يقدم نفسه لله ذبيحة من أجلنا، وهو الحاكم إذ يملك علينا. هذه الأمور التي كانت مغطاة الآن تُكشف. شكوا له، فقد حقق بنفسه ما ورد في العهد القديم. أمر بكسر الخزات، وبكسوها تضاعفت وكثرت. ليس حق أفضل من هذا، أنه إذ تُفسر أسفار موسى الخمسة كم من الأسفار تُكسر وكأنها قد صلت مفتوحة ومحمولة؟ [664]

هكذا يشير الغلام إلى الشعب اليهودي الذي كان كطفلٍ في معرفته وفهمه للناموس. كانوا يتمسكون بالحرف دون إواك للروح. وكانت الخزات الخمس تشير إلى كتب موسى التي متى وضعت في يدي المسيح تفيض علينا بالفهم الروحي المشبع للنفس، وتقوت قلوبنا بخبز الحياة. أما السمكتان فتشوان إلى الزمير والأنبياء. بالزمير يعلن المؤمنون شكرهم وتسابيحهم لعمل الله الخلاصي، وخلال الأنبياء يتعرفون على سرّ المسيح مشبع كنيسته بحضوره، واتحادها معه، وثبوتها فيه وهو فيها. وقد تم ذلك بعد عبور بحر طرية، أي يتحقق خلال مياه المعمودية.

جاءت الكلمة اليونانية للسمكتين وهو الاسم المستخدم حالياً في مصر باللغة الدلجة "بسلريا" يتوَّجها البعض سمكتين صغيرتين. ووي كثير من الدرسين أن السمكتين كانتا مملحتين، ولا زال الأقباط يأكلون سمكاً مملحاً في يوم شم النسيم، في اليوم التالي لعيد القيامة المجيد.

❖ الخمسة أرغفة تعني أسفار موسى الخمسة التي للناموس. فالناموس القديم هو من الشعير متى قرن بحنطة الإنجيل. في هذه الأسفار توجد أسوار عظيمة عن المسيح. لذلك قال بنفسه: "لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتب عني" (يو ٥: ٤٦).

ولكن كما أنه في الشعير يختفي لُبه في قشوته (القش) هكذا في حجاب إسوار الناموس يختفي المسيح.

وكما أن هذه الأسوار تصير في تقدم وتُكشف، هكذا هذه الخزات تترايد عندما تُكسر.

في هذا الذي أشوحه لكم أكسر لكم خزاً.

الخمسة آلاف رجلاً يشيرون إلى الشعب الخاضع لأسفار الناموس الخمسة. الإثنا عشر قفة هم الإثنا عشر تلميذاً الذين هم أنفسهم امتلأوا بكسر الناموس. السمكتان هما وصيتا حب الله وقربينا، أو هما الشعبان: أهل الختان والغولة، أو الشخصيتان للملك والكاهن. إذ تُشوح هذه الأمور، تُكسر،

[665]

عندما يفهمها الآكلون .

القديس أغسطينوس

❖ يشير بالأرغفة الخمسة إلى كتاب الحكيم جداً موسى ذي الأسفار الخمسة، أعني الناموس كله الذي كان بمثابة الطعام الأغلظ، أي بالحرف والتاريخ،

لأن هذا ما يلمح إليه لفظ "شعير".

لكنه يشير بالسّمكتين إلى ذلك الطعام الضئيل الذي حصلنا عليه بواسطة الصيادين، إشارة إلى الكتب الشهية جدًا التي لتلاميذ المخلص. وهما اثنتان، إشارة إلى الكورة الوسولية الإنجيلية التي أشرقت في وسطنا. وكلاهما مخطوطات الصيادين وكتاباتهم الروحية. هكذا يخلط المخلص الجديد بالقديم، والناموس بتعاليم العهد الجديد، فيفقد نفوس المؤمنين به إلى الحياة التي هي بلا شك أبدية.

القديس كيرلس الكبير

إذ يشير **القديس كيرلس الكبير إلى عدم الإيمان** فيلبس يحزننا من **عدم الإيمان** الذي بسببه حُرّم موسى وهرون من أن يقودا الشعب إلى الأرض الموعد حين تشككا في إمكانية صدور ماءٍ من الصخرة. يقول: **أمن ينجو بسبب عدم إيمانه من غضب الله، هذا الذي لا يحابي أحدًا، إذ لم يشفق حتى على موسى الذي قال له: "عرفتك أكثر من الجميع، ووجدت نعمة في عيني" (خر ٢٣: ١٢ LXX).**

❖ تحول عدم إيمانهم إلى شهادة حسنة للمسيح. لأنهم باعترافهم أن مبلغًا كبيرًا كهذا المال لن يكفي الجوع ولو لشواء زائدٍ طفيف، بهذا ذاته يكلون قوّة رب الجنود التي لا يُنطق بها، هذا الذي عندما لم يتوفر شيء... تم عمل محبته نحو الجوع بغنى فائق.

القديس كيرلس الكبير

ربما يتساءل البعض: ألم يكن ممكنًا للسيد المسيح أن يشبع الجوع دون استخدام السمكتين والخمس خزات؟

وى كثير من الآباء أن السيد استخدم هذه الأمور لكي لا يظن أحدًا أن الخليقة المادية نجاسة، وأنها غير صالحة، كما ادعى الغنوصيون خاصة في القرن الثاني الميلادي. إنه يقدس ما خلقه سواء القمح أو الشعير أو السمك أو الكروم... ويستخدم هذه الأمور في صنع عجائبه بميلكته إياها.

❖ أعتقد (أنوراوس) أن صانع العجائب يقدم القليل من القليل، والكثير مما هو كثير. لكن الأمر علي خلاف ذلك، فإنه يسهل علي السيد في الحالتين أن يجعل الخبز يفيض سواء من الكثير أو من القليل، إذ لا يحتاج إلي مادة (ليفيض منه الخبز).

ولكن لئلا يظن أن الخليقة غريبة عن حكمته كما ادعى بعد ذلك المفكرون الذين تأثروا بموض مرقيون (الذي يظن أن المادة دنس والخليقة المادية نجسة لا تليق بالله)، لهذا استخدم السيد الخليقة نفسها (الخبز والسمك) كأساس لعمل عجائبه [\[666\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

وى **القديس جيروم** أن السيد المسيح قدم للجماهير نزة خزانًا من الحنطة وأخرى من الشعير (مت 14: 15-21؛ 15: 32-38). كل من الحنطة والشعير خليفة الله، بها تشبع الجماهير. وإذا كان الشعير في ذلك الحين طعام الحيوانات، لذا جاء في الزمور: "أنت يارب تخلص الإنسان والحيوان" (مز 7: 36). فهو يُشبع الروحانيين، وأيضًا الذين تحت ضعف الجسد. ويبرر بهذا **القديس جيروم** حديثه عن البتولية أنها كالذهب، والزواج كالفضة، وكلاهما معدنان لهما قيمتهما [\[667\]](#).

"فقال يسوع:

اجعلوا الناس يتكثرون،

وكان في المكان عشب كثير،

فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف." [\[10\]](#)

طلب السيد المسيح من تلاميذه أن يتكثروا الناس على العشب ليستعدوا للطعام قبل أن يقدم لهم الطعام، أو يروي لهم ما سيفعله. لقد طلب الطاعة المرتبطة بالإيمان ليقفوا ويروا خلاص الله العجيب.

يشير العشب الكثير إلى الجسد (إش 50: 6)، أو الشهوات الجسدية. فإنه لا يستطيع أحد أن يشبع بالقوت الروحي ما لم يُخضع شهواته الجسدية تحته، أو يطأها بقدميه. إذ اتكأ الرجال الخمسمائة على العشب تمتعوا بالطعام الروحي المقدم لهم من السيد المسيح نفسه خلال تلاميذه.

كان من عادة اليهود أن يحصوا الرجال وهدمهم من سن العشوين فما فوق دون النساء والأطفال أو الصبيان.

رقم 5 يشير إلى حواس المؤمنين الخمس وقد سمت لتصير سماوية حيث رقم 1000 يشير في الكتاب المقدس إلى الحياة السماوية. لذلك اتكأ الرجال وكان عددهم خمسة آلاف، إذ لم يكن ممكناً للمؤمنين أن يتمتعوا بالشعب الروحي وفهم الناموس روحياً ما لم يحملوا سمات النزوج الروحي (جالاً)، وتقدس حواسهم الخمس لتحمل سمات سماوية. لذلك فالمؤمن رمزه 5000 (خمس حواس × حياة سماوية "1000" = 5000). أما جلوسهم على الشعب فيحمل رمز خضوع الجسد للنفس المقدسة للرب. فمن يطأ الوصيات، ولا يوتبك بها، تنتفح طاقات السماء لتقدس كل حواسه وطاقاته وكيانه الداخلي، وتشبعها بالحكمة كما من مائدة إلهية غنية.

❖ تجاوز تماماً عن الإناث والأطفال وأحصى الجوع من البالغين، لأنه مكرم في كتاب الله كل من هو رجل يافع، وليس من هو طفولي في طلب الصالحات... الذين يسلكون كرجال في الصلاح يُعطون الطعام بواسطة المخلص على وجه الخصوص، وليس للذين هم مخنثين ولا يملسون الصلاح في حياتهم، ولا للذين هم أطفال في الفهم، العاجزين عن إواك أي أمر ضروري معرفته.

القديس كيولس الكبير

❖ بهذا القول أنهض المسيح تلاميذه وأطاعوه في الحال، ولم يضطربوا، ولا قالوا ما هو هذا، كيف يأمرنا أن نتكئ الجوع ولم يظهر شيئاً في الوسط؟ بهذا ابتدأوا بالإيمان قبل نظرهم إلى المعجزة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأخذ يسوع ال أرغفة وشكر ووزع على التلاميذ،

والتلاميذ أعطوا المتكئين،

وكذلك من السمكتين بقدر ما شاعوا". [11]

يعلمنا السيد أن نقدم الشكر لله على كل بركاته الروحية والجسدية، فإن ما لدينا هو عطية مجانية من عنده. وكما يقول الرسول بولس: "لأن كل خليفة الله جيدة، ولا يُرفض شيء إذ أخذ مع الشكر، لأنه يقدر بكلمة الله والصلاة" (1 تي ٤: ٥-٤).

إن كانت الجماهير قد قبلت الخبز من أيدي التلاميذ إلا أن العطية في حقيقتها هي من يدي السيد المسيح نفسه. هكذا يليق بالمؤمن أن يبرك أن كل ما يناله هو من الرب نفسه، وإن جاءت بوسيلة أو أخرى.

❖ صلى لأن الحاضرين كانوا جمعاً عظيماً ووجب أن يتحقق عندهم أنه جاء إليهم وأي الله، وحتى يصورهم موقنين أنه ليس ضد الله ولا معانداً لأبيه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

قبل أن يوزع السيد المسيح الخبز والسمكتان على تلاميذه شكر حتى يعلن فوحه بكل عطية سماوية يقدمها للبشر كي يشبعوا ويغتوا، أيضاً لكي يبرنا على حياة الشكر.

عهد السيد المسيح بالطعام للتلاميذ، والتلاميذ قدموه للمتكئين، أي الجمهور. إنه بيديه يقدم لنا الفهم الروحي للناموس والغوامير والأنبياء، ولكن خلال تلاميذه ورسله أو الكنيسة المقدسة.

"فلما شبعا قال لتلاميذه:

اجمعا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء". [12]

يلتزم المؤمن بجمع الكسر، فلا يبدد المورد، لأنها عطية إلهية ووزنة يؤمننا أن نكون أمناء فيها مهما بدت تافهة، ولو كانت كسوة خبز من الشعير. كان اليهود يتطلعون إلى الخبز بكونه الطعام الرئيسي يمثل بركة من الرب، لذا يحرسون ألا يسقط فتات خبز على الأرض ولا يبطأ أحد بقدميه على فتات الخبز. إلى الآن في صعيد مصر يحمل الناس هذا الاتجاه فيحسبون من يبطأ بقدميه على فتات خبز كمن يسئ إلى بركة الرب وعطاياه. جاء

في أمثال اليهود: "من يحتقر خزاً يسقط في أعماق الفقر".

إن كان الرب يهتم بكسر الخبز الذي من الشعير، فكم بالأولى لنا أن نحرس على ألا نفقد كلمة الرب أو نفسد وقتنا؟

وضع اليهود لأنفسهم قانوناً أن يتركوا كسوة خبز بعد الطعام إشلة إلى أن البركة قائمة في البيت. أما الأثوار فلا يبقون شيئاً على المائدة

إشلة إلى زرع البركة عنهم "ليست من أكله بقية، لأجل ذلك لا يوم خوه" (أي ٢٠: ٢١).

إن كسوت الخمس خزات لن تملأ اثنتي عشرة قفة، فكيف ما تبقي منها يملأها؟ لم يكن ممكناً لكائن ما أن يترك كيف يجمعون كسواً من

الخمس خزات التي قُسمت على هذه الآلاف من البشر بعد أن شبعوا. هكذا إذ يقدم لنا السيد المسيح طعاماً روحياً يشبع أعماقنا وتفيض أشبع آخرون من

الكسر المتبقية والتي تفوق أحياناً ما قد نلناه.

جاء هذا الأمر الإلهي الخاص بجمع الفضلات يكشف عن أهمية الإيمان بإله المستحبات الذي يهب بسخاء، فيشبع النفوس لتفيض بالخواتم

والفوح، علي خلاف الانحباس في الأرقام والحسابات البشرية مع عدم الإيمان والتي تسبب جفافاً وحرماناً داخلياً.

يدعونا السيد لكي نتقبل من يديه حياة أفضل وشبعاً يفيض، فنترنم قائلين: "تعرفني سبل الحياة، أمامك شبع سرور، وفي يمينك نعم إلى الأبد"

(مز 16: 11).

❖ بجمع الكسر يتأكد الإيمان بأنه كانت هناك وفرة من الطعام حقاً، ولم يكن الأمر فيه خداع لنظر المشركين في الوليمة.

❖ لا يخيب الله من يستعد للتوزيع؛ ويتهلل بمسلك المحبة الأخوية... إذ ننفق قليلاً لأجل مجد الله ننال نعمة أوفر، كقول المسيح: "كياً جيداً ملبداً

مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم" (لو ٦: ٣٨)... يقول الله: "افتح أحشاءك بسعة لأخيك المحتاج الذي معك" (انظر تث ٥: ١١).

القديس كيرلس الكبير

وي القديس كيرلس الإسكندري أن السيد المسيح سمح بامتلاء اثنتي عشرة سلة، لكل تلميذ سلة. وكأن من يتعب في تقديم كلمة الله، الطعام

الروحي، للشعب فسينال بسخاء ملء النعمة الإلهية.

❖ كان وغب أنه يعلم تلاميذه الذين كانوا معدين ليكونوا معلمين للعالم. ربما لم تحصد الجوع أية ثمار من المعزة (إذ للحال نسوا المعزة وسألوا

معزة أخرى) بينما هؤلاء التلاميذ اقتنوا نفعاً ليس عاماً... إني مندهش من دقة الفائض. الكسر الباقية تحمل النقاط التالية:

أن ما حدث لم يكن تخيلاً، وأنها كسر من الخزات التي اقتاتت بها الجوع.

أما بالنسبة للسلم فقد جاء عن مادة كانت موجودة فعلاً (أي كان السلم لدى الغلام) ولكن في فزة لاحقة، بعد القيامة وجد سلم ليس من مادة

موجودة (حيث وجبوا سمكاً مشويًا قبل إخراج السلم من الشبكة يو 9: 21) [668].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فجمعوا واملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر،

من خمسة أرغفة الشعير التي فضلت عن الـآكلين". [13]

يشير جمع الكسر التي تملأ 12 سلة إلى الاتّام بالشهادة للثالوث القنوس في كل العالم، أي في المشرق والمغرب والشمال والجنوب

(3×4=12). لذلك كان عدد أسباط بني إسرائيل 12 وعدد التلاميذ 12. وجاءت الكسر 12 قفة. وكأنه يلبق بالشعب الذي يتمتع بالطعام الروحي من يد

الآب خلال كنيسته أن يقدم فضلاته التي تشبع المسكونة كلها لتجذب غير المؤمنين إلى ملكوت الله.

"فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع،

قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الـآتي إلى العالم". [14]

واضح من هذا أنه حتى عامة الشعب كانوا يتوقبون مجيء المسيا إلى العالم. لقد احتقر الويسيون عامة الشعب، ناظرين إليهم أنهم بلا معرفة،

ولم يدركوا أن العامة ببساطتهم عرفوا ما لم يستطع الفريسيون بعلمهم ومعرفتهم أن يبلغوا إليه. لقد أدرك العامة أنه قد جاء النبي الذي وعد به الله شعبه خلال موسى النبي (تث ١٨: ١٥). اقنوب العامة من ملكوت السموات.

يقول **القديس كيرلس الكبير** بين رد فعل اليهود إذ رأوا رحمة عندما شفى مريضاً، أما هنا الذين هم خراج اليهودية، فقد قالوا: **"بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم"**. أولئك رأوا معجزات كثيرة لكنهم كانوا قساة قلوب غير مؤمنين، بينما هؤلاء شاهدوا معجزة واحدة فمجنوه. لقد حان الوقت أن ينال الأمم أخيراً نصيباً من الرحمة من فوق، ونصيباً من المحبة بالمسيح].

2. سير المسيح على الماء

اختفاء السيد المسيح عندما أرادت الجوع أن تقيمه ملكاً ثم ظهوره للتلاميذ وحدهم سائراً على البحر يحمل إعلاناً كتابياً هاماً. فإن السيد المسيح يقدم جسده خزاناً من السماء، لا لكي يملك على الأرض، بل ليحمل أعضاء جسده (الكنيسة) إلى كنعان السماوية. أراد أن يصحح المفاهيم الخاطئة لمملكة المسيا. ومن جانب آخر إن كان موسى قد شق البحر ليعبر مع شعب الله، فالسيد المسيح جاء سائراً على المياه ليحمل شعبه إلى ما فوق تيراث العالم. إذ يقول الكتاب المقدس عن الله "الماشي على البحر" (أي 9: 8) جاء في التقليد اليهودي عند الربيين أن المسيا يأتي من البحر، فأراد السيد أن يؤكد لهم أنه هو المسيا المنتظر الذي تنبأ عن الكتاب وورد عنه في التقليد.

" وأما يسوع فإنه علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً،
انصرف أيضاً إلى الجبل وحده". [15]

رأدت الجماهير أن تخطفه وتقيمه ملكاً أرضياً حسب هواهم، أما هو فاخفى منهم، وانصرف إلى الجبل وحده. لم يدركوا طبيعة مملكة المسيح، فأرادوا تكريمه حسب تفكيرهم لا حسب فكره الإلهي. كانت الجماهير تريد الخلاص من قيصر ومن الاستعمار الروماني، أما السيد المسيح فلم يرد أن ينشغل بتلاميذه بالأمر السياسي، وألا يحملوا عدوة ضد أي إنسان. بانسحابه إلى الجبل وحده يؤكد لنا أهمية انسحابنا من العالم من حين إلى آخر للقاء مع الله في حديث سوي والتمتع بالسكون المقدس. خدمتنا للآخرين مهما بلغت أهميتها يؤرم ألا تفقدنا عبادتنا الشخصية السرية.

❖ لما امتلأت بطونهم، وكان الطعام عندهم هو أكثر حرصهم، اعترموا أن يجعلوا المسيح ملكاً، إلا أنه هرب... معلماً إيانا أن نحتقر مراتب العالم، مظهراً أنه لا يحتاج إلى العوازل الأرضية، لأن المنح الآتية إليه من السموات كانت بهية عظيمة، وهي الملائكة والنجم وأبوه هاتفاً، والروح شاهداً، وأنبياء أنزروا به من زمان بعيد، أما التي من الأرض فكلها حقوة. جاء ليعلمنا أن تروى بالأشياء التي هنا وأن نعشق النعم المقبلة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هرب من الذين رأوا أن يعطوه الكرامة التي يستحقها، ورفض مملكة تعتبر أعظم مكافأة أرضية، مع أنها بالنسبة له لم تكن في الحقيقة أرواً يشتهيها، لأن له الملك مع الأب على الأشياء...

يليق بنا أن نتحاشى محبة المجد، الذي هو شقيق الغطوسة وقريبها، وليس ببعيد عنها.

يؤمننا أن نتحاشى أيضاً الكرامة الواقة في هذه الحياة الحاضرة، فهي ضرة. ولنبحث عن التواضع المقدس، مقدمين بعضنا البعض، كما ينصح الطوبولي بولس أيضاً قائلاً: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله لم يُحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه أخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضاً، وأعطاه الاسم الذي هو فوق كل اسم" (في ٢: ٥ - ٩).

إن كنا نهتم بالأمر السماوية ونحيا لأجل أمور علوية أكثر من الأرضية، فلنرفض العظمة على الأرض، إن عوضت علينا، فهي والد كل مجدٍ

القديس كيرلس الكبير

رى القديس كيرلس الكبير أن صعوده إلى الجبل وحده حين رأوا أن يقيموا منه ملكاً يشير إلى رفضه على الأرض، لكنه يصعد إلى السماء، الجبل المقدس (مز ٢٤: ٣-٤) حتى متى عاد من السماء في مجيئه الأخير يملك بالكامل علينا.

❖ عندما جلس الرب على الجبل مع تلاميذه رأى الجوع قادمة إليه فقول من الجبل وأشبعهم في الأماكن السفلية للجبل. إذ كيف كان يمكن له أن

يهرب إلى هناك مرة أخرى لو لم يكن قد قول قبلاً من الجبل؟

يحمل ذلك معنى، نزول الرب من العلا ليطعم الجوع ويصعد...

لقد جاء الآن لا ليملك في الحال، إذ يملك بالمعنى الذي نصلي من أجله: "ليأت ملكوتك". إنه يملك على النوام مع الآب بكونه ابن الله، الكلمة

الذي به كان كل شيء. لكن الأنبياء يخبروننا عن ملكوته الذي فيه هو المسيح الذي صار إنساناً ويجعل مؤمنيه مسيحيين...

ملكوته يمتد ويُعلن عندما يُعلن مجد قديسيه بعد أن تتم الدينونة بواسطة، الدينونة التي تحدث عنها قبلاً، إن ابن الإنسان يتممها. ذلك الذي يقول

عنه الرسول: "عندما يُسلم ملكوت الله للآب" (1 كو 15: 24). وقد أشار عليه بنفسه قائلاً: "تعالوا يا مبركي أبي، رثوا الملكوت المُعدّ لكم منذ بدء

العالم" (مت 25: 34).

لكن التلاميذ والجوع التي آمنت به ظنوا أنه قد جاء لكي يملك حالاً، لهذا رأوا أن يمسخوه ويجعلوه ملكاً. رأوا أن يسبقوا الزمن الذي أخفاه

[669]

بنفسه لكي يعلنه في الوقت المناسب .

القديس أغسطينوس

❖ ماذا يعني: "هرب (انصرف)؟ أن سموه لا يمكن إواكه! فإن ما لا تستطيع فهمه تقول عنه: "لقد هرب مني". لذلك هرب ثانية إلى الجبل وحده، هذا

[670]

البكر من الأموات صعد أعلى من السموات يشفع فينا (كو 1: 18؛ رو 8: 34).

القديس أغسطينوس

"ولما كان المساء نزل تلاميذه إلى البحر". [16]

ربما بتوجيه من السيد المسيح انطلق التلاميذ بالسفينة نحو كفرناحوم حتى لا ينشغلوا بحوار غير نافع خاص بإقامة يسوع ملكاً. أراد أن يسحبهم

من هذه التجربة، لكنهم يواجهون تجربة أخرى وهي هياج البحر من ريح عظيمة.

جاء السير على المياه بعدما اشبع الجوع (مر 6: 34-51؛ مت 14: 13-33). هنا بعد أن قدم المسيح كلمته واهبة الحياة والقيامة يقدم نفسه

في وقت المجاعات كما في وقت العواصف معلناً حضوره الإلهي: "أنا هو" الواهب المعونة والمشبع للاحتياجات، "لا تخافوا".

❖ تشير هذه السفينة إلى الكنيسة بينما هو في الأعالي... بحق قال: "كان ظلام"، لأن النور لم يأت إليهم. كان الوقت ظلام، ويسوع لم يأت إليهم. إذ

تقترب نهاية العالم وتزايد الأخطاء، ويتضاعف الوعب، ويكثر الإثم، وتزيد إنكار الإيمان غالباً ما ينطفئ النور، باختصار النور الذي أظوه الإنجيلي

يوحنا بالكامل وبوضوح ليكون حياً. إذ يقول: "من يبغض أخاه هو في الظلمة. تزايد ظلمة العداوة بين الاخوة، تزايد يومياً ولم يأت بعد

[671]

يسوع .

القديس أغسطينوس

"فدخلوا السفينة،

وكانوا يذهبون إلى عبر البحر إلى كفرناحوم،

وكان الظلام قد أقبل،

ولم يكن يسوع قد أتى إليهم". [17]

❖ إن سألت: ولم تركهم ولم يظهر لهم؟ أجبتك: ليعرفهم كم هو أثر تركه إياهم، ويجعل شوقهم إليه أعظم تأثراً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وهاج البحر من ريح عظيمة تهب". [18]

❖ تتقاذف الأمواج العاتية من هم ليسوا مع يسوع، وقد انفصلوا عنه أو بنوا غائبين عنه، بانصافهم عن شوائحه المقدسة. فانفصلوا بسبب الخطية عن ذلك القادر أن يخلص. فإن كان الأمر ثقيلاً علينا أن نكون في ظلمة روحية، فإن كنا مثقلين بسبب ابتلاع بحر الملذات المروية، فلنقبل يسوع، لأنه هو يخلصنا من المخاطر ومن الموت في الخطية.

القديس كيرلس الكبير

" فلما كانوا قد جذبوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة،

نظروا يسوع ماشياً على البحر،

مقرباً من السفينة،

فخافوا". [19]

25 أو 30 غلوة Stadia تعادل حوالي 35 ميلاً. وكان البحر حوالي 6 أميال من الجانب إلى الجانب الآخر. بحسب ما ورد في يوسيفوس

المؤرخ [672] كان عرض البحوة حوالي 40 غلوة أي حوالي خمسة أميال، أما طولها فيبلغ حوالي 140 غلوة أو 18 ميلاً. ووى بليني Pliny أن اتساعها كان 6 أميال وطولها 16 ميلاً [673].

وى القديس أغسطينوس أن رقم 25 يشير إلى الناموس الملوك حرفياً، بينما رقم 30 يشير إلى الناموس موكراً خلال الإنجيل. لم يحدد إن كانوا قد بلغوا 25 غلوة أم ثلاثين غلوة. رقم 5 يشير إلى الناموس، أو أسفار موسى الخمسة والتي سبق الإثارة إليها خلال الخمسة أروقة المؤدية إلى البركة، وخمسة رُغفة من الشعير التي كان يحملها غلام. إذا حاول أحد أن يفهمها ناموسياً (5×5) تكون المحصلة 25. أما إذا حاول إواكها خلال الكمال الإنجيلي أي رقم 6 تكون المحصلة 60. الكمال الإنجيلي يرمز ورقم 6 حيث كملت الخليقة. عندما نترك الناموس إنجيلياً وى يسوع ماشياً على البحر، مقرباً إلينا جداً.

❖ لؤلؤ يكمل الناموس، لذلك يأت يسوع. كيف يأتي؟ ماشياً على الأمواج، ضابطاً كل نوامت العالم التي تبتلعنا تحت قدميه، ضابطاً على كل مرتفعاته. هذا ما يحدث، فإذ يعبر الزمن وتمتد الأجيال، توداد التجرب، وتكثر الكورث والأخوان، كل هذه تتصاعد لتبتلع، لكن يسوع يعبر واطناً بقدميه الأمواج [674].

❖ لقد وطأ أعالي العالم إلى أسفل لكي يتمجد بواسطة المتواضعين [675].

القديس أغسطينوس

❖ مما يلوح لظني أن هذه المعزة هي أخرى غير المعزة التي وردت في بشرة متى (مت 14: 22-23).

إن سألت: لماذا خافوا؟ أجبتك: إن الأسباب التي جعلتهم يخافون كانت كثرة، فمن جهة الوقت كان ظلاماً، ومن جهة البحر لهبوب الرياح، ومن جهة المكان لأنهم لم يكونوا قريبين من الأرض [676].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقال لهم:

أنا هو لا تخافوا". [20]

يقول: "أنا هو"، أي "أنا الساكن (وسط الشعب)"، أو "أنا هو الذي أنا هو" (خر 3:14)

جاء ماشياً على المياه ليس استعواضاً لسطانه على البحر والطبيعة، وإنما إعلاناً عن إخضاع قوانين الطبيعة لحساب مؤمنيه، خاصة في وسط الآلام. إنه الرب الذي يركب السحاب لنجدة شعبه (تث 33: 6). يسمح لأولاده بالتجرب، لكنه لن يتوكلهم وسط التجربة، بل يعلن عن حضوره ليهبهم راحة وسلاماً.

إذ رأوا السيد المسيح ماشياً على المياه خافوا ولتعووا، إذ ظنوه خيالاً. فالخوف من الخيال أشد من الخوف من التجربة نفسها.

❖ تأملوا كيف أن المسيح لم يظهر لأولئك الذين كانوا في السفينة عند إبحارهم في الحال، ولا عند بدء المخاطر التي حدثت، لكن حينما كانوا على بعد غلواتٍ كثرة بعيداً عن الشاطئ. فإن نعمة ذلك الذي يخلص لا نفتقدنا حالما يبدأ الخطر حولنا، وإنما عندما يبلغ الخوف ذروته، ويبدو الخطر نفسه عنيفاً جداً، وتوجد في وسط أمواج الضيقات، عندئذ يظهر المسيح لئن توقع، ويبدد مخاوفنا، ويخلصنا من كل خطرٍ، وبقرته التي لا يُنطق بها يبدد المخاوف بالفرح، ويصير هوء وسلام.

القديس كيرلس الكبير

" فرضوا أن يقبلوه في السفينة،

وللوقت صلت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها". [21]

كلما اقتربت الضيقة منا اقترب السيد المسيح بالأكثر لكي ينفذنا. إنه يقرب إلينا، لكنه لن يدخل سفينة حياتنا قسواً بل إن قبلناه بكامل حرينتا. رى القديس يوحنا الذهبي الفم أنه لم يظهر نفسه ماشياً علي المياه، إذ كانوا غير متأهلين لذلك بسبب ضعفهم، أما التلاميذ فوؤه إلي حين ثم اختفي، إذ لم يدخل السفينة [677].

علي أي الأحوال ظهر السيد المسيح للتلاميذ إذ كانوا في وسط الضيقة، أما الجمهور الذي كان علي البر فلم يتمتعوا بروؤيته هكذا. الضيق هو مجال خصب للنفس لكي تتمتع بروؤية مخلصها قادماً إليها وهو سائر علي مياه العالم، يظاً بقدميه كل الأمواج العنيفة ويتحدى الرياح. لم نسمع أن السيد المسيح هنا يأمر أمواج البحر لكي تسكت والرياح لكي تهدأ، لكن ما أن قبلوه في السفينة حتى وجدوا السفينة علي الشاطئ في أمان يبدو أن السفينة قد رست عند الشاطئ بطريقة غير عادية، كأمرٍ معجز. قبول السيد المسيح لدخوله في النفس كفيلاً أن يهبها سلامه الداخلي بطريقة فائقة للطبيعة.

❖ المسيح هو نجاتنا من كل خطر، وهو يحقق الإنجازات بما يفوق توقع الذين يقبلونه. تلاميذه وحدهم وبأنفسهم كنموذج للمعلمين الكنسيين بالتتابع عبر الأمان كلها، يسبحون خلال أمواج هذه الحياة الحاضرة كنموذج للبحر، يواجهون تجرب عديدة وشديدة، ويتحملون مخاطر لا يُستهان بها عند التعليم، وذلك علي أيدي أولئك الذين يعرضون الإيمان ويحلون الكورة بالإنجيل. لكنهم سيتحررون من خوفهم ومن كل خطرٍ، وسوف يستريحون من أتعابهم وبؤسهم حينما يظهر المسيح لهم بعد موته أيضاً بقدرته الإلهية، إذ قد وضع العالم كله تحت قدميه.

هذا ما يشير إليه سوه علي البحر، مادام البحر غالباً ما يُعتبر رمزاً للعالم في الكتب المقدسة... فحينما يأتي المسيح في مجد أبيه كما هو مكتوب (مت 16: 27) حينئذ سفينة الرسل القديسين، أي الكنيسة، والذين يبحرون فيها، أي الذين بالإيمان والمحبة نحو الله يرتفعون فوق أمور العالم، دون تأخير وبدون أي تعبٍ، يربحون الأرض التي كانوا ذاهبين إليها، إذ غايتهم هي بلوغ ملكوت السموات، كما إلي مرفأ هادئ.

القديس كيرلس الكبير

❖ لماذا تخافون أيها المسيحيون؟

المسيح يتحدث: "أنا هو لا تخافوا".

لماذا تتوجعون لهذه الأمور؟ لماذا تخافون؟

لقد سبق فأخبرتكم بهذه الأمور أنها ستحدث حتماً... " أنا هو لا تخافوا. فرضوا أن يقبلوه في السفينة" [20-21].

إذ عرفوه وفرحوا تحرروا من مخاوفهم. " وللوقت صلت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها" [21]. وُجدت نهاية عند الأرض، من

[678]

المنطقة المائية إلى المنطقة الصلدة، من الاضطراب إلى الثبات، من الطويق إلى الهدف .

القديس أغسطينوس

[679]

❖ لقد سمح بالعاصفة أن تثور لكي يطلوه، واسكن العاصفة لكي يتعرفوا علي سلطانه، ولم يصعد إلي السفينة لكي يجعل المعجزة أعظم!

القديس يوحنا الذهبي الفم

3 . الجوع تطلبه في كفرنحوم

" وفي الغد لمارأي الجمع الذين كانوا واقفين في عبر البحر

أنه لم تكن هناك سفينة أخرى سوى واحدة،

وهي تلك التي دخلها تلاميذه،

وأن يسوع لم يدخل السفينة مع تلاميذه

بل مضى تلاميذه وحدهم". [22]

يقول القديس كيرلس الكبير أن معجزة سير السيد المسيح على المياه حدثت ليلاً في الظلام، وقد اكتشفتها الجماهير التي تتوقب حركاته دون أن يخروم بها. [من يريد اقتفاء خطوات المسيح، وبقدر ما هو مُستطاع لدى البشر لكي يتشكل الإنسان حسب مثاله يؤمه ألا يحيا في حب الافتخار، ولا ينحرف سعياً وراء المديح حين يملس فضيلة، ولا يفتخر حين يدخل في حياة غير عادية بنسكٍ كثير، بل عليه أن يشاقق أن تراه عينا الله فقط، الذي يكشف الخفيات، وما يتم في الخفاء بظوه بأوضح إعلان].

"غير أنه جاءت سفن من طبرية إلى قرب الموضع الذي أكلوا فيه الخبز،

إذ شكر الرب". [23]

" فلما رأى الجمع أن يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه

دخلوا هم أيضاً السفن،

وجاءوا إلى كفرنحوم يطلبون يسوع". [24]

" ولما وجنوه في عبر البحر قالوا له:

يا معلم متى صوت هنا". [25]

يقصد بالجانب الآخر من البحر ساحل البحر الشمالي حيث توجد كفرنحوم في أرض جنيسلت.

يبدو أنهم وجنوه في المجمع اليهودي [٥٩]، فقد اعتاد السيد أن يحضر في الاجتماعات الدينية (لو ٤ : ١٦). يليق بنا أن نطلبه في مجمع شعبه،

إذ هو حال في وسطهم. إذ وجنوه أنه قد هرب منهم حين طلوه ملكاً بدؤوا يتعاملون معه كمعلم وليس كملك.

❖ ماذا توقعت الجوع سوى أنه قد جاء إلي هناك عاروا البحر بقدميه؟ إذ لم يكن ممكناً أن يكون قد جاء بسفينة أخرى. إذ يقول الإنجيلي أنه وجدت

سفينة واحدة بها التلاميذ. لذلك عندما جاءوا إليه بعد دهشة عظيمة لم يسألوه كيف عبرت، أو كيف بلغت إلى هناك، ولا طلبوا أن يفهموا آية عظيمة

[680]

ك هذه. وإنما ماذا قالوا؟ "يا معلم متى صوت هنا؟" (يو 6: 25)

❖ عبر اليهود البحر الأحمر تحت قيادة موسى، لكن تلك الحالة مختلفة تمامًا عن هذه. فعل موسى ذلك كله بالصلاة كخادم، أما المسيح ففعل بسلطانٍ مطلقٍ. هناك إذ هبت ريح الجنوب انسحبت المياه لتجعلهم يعبرون إلى أرض جافة، أما هنا فالمعجزة أعظم (خر 14: 21). فإن البحر احتفظ بطبيعته المناسبة له، وسار ربه علي سطحه، هكذا مختوًا ما يقوله الكتاب: الماشي علي البحر كما علي رصيف" (أي 9: 8) [681].

القديس يوحنا الذهبي الفم

4. أنا هو الخبز الحي

"أجابهم يسوع وقال:

الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات،

بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم." [26]

كثيرون لا يطلبون من الله إلا أن تمتد يده لتقدم لهم احتياجاتهم الزمنية؛ قليلون يشتهون اللقاء مع الله من أجل الله نفسه. كثيرون يطلبون من الله الخبز الرخيص لا الحب الثمين. الخبز النزل من السماء (خر 16: 4؛ نح 9: 15؛ مز 78: 24؛ مز 105: 40).

يركز على أنه واهب الخبز على مستوى عطية الأب لا على مستوى موسى [32]؛ وأنه هو الله العطية "الخبز النزل من السماء. إنه يقوت

الإنسان بكونه الحكمة الإلهية (أم 9: 1-5).

إنه واهب الخبز، أعظم من موسى.

هو الخبز النزل من السماء.

هو الخبز المشبع بكونه حكمة الله.

خبز أفضل رستي واهب الحياة الأبدية.

❖ الأسلوب اللين اللطيف ليس دائمًا نافعًا، بل توجد أوقات حين يحتاج المعلم إلي استخدام لغة حادة... فعندما جاءت الجماهير ووجدت يسوع وتملقتة

بالقول: "يا معلم متى صوت هنا؟" (يو 6: 25). فلكي يظهر أنه لا يطلب كرامة من بشرٍ إنما يتطلع إلي أمرٍ واحدٍ وهو خلاصهم، أجابهم بحدة، لكي

يصحح موقفهم لا بهذه الطريقة فحسب بل وبالكشف والإعلان عن أفكارهم [682].

❖ وبخهم بكلامه، ولكنه عمل هذا برفق وإشفاق، لأنه لم يقل لهم: يا أيها الثوهون في الأكل، يا عبيد بطونكم، قد صنعت عجائب هذا مقدرها فلم تأتوا

برائي، ولا تعجبتم لأعمالي". لكنه خاطبهم بلطفٍ ورقة، قائلاً: "تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم" [683].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يؤمننا أن نطيع المسيح ونحبه، لا للحصول على الخوات الجسدية بل لكي ننال منه الخلاص.

القديس كيرلس الكبير

❖ ناورًا ما يُطلب يسوع من أجل يسوع نفسه [684].

القديس أغسطينوس

"اعملوا لا للطعام البائد،

بل للطعام الباقي للحياة الأبدية،

الذي يعطيكم ابن الإنسان،

لأن هذا الله الآب قد ختمه". [27]

ختمه الآب ليقوم بعمل المصالحة، وليقبل نيابة عن المؤمنين الروح القدس ويستقر عليه. إنه قد ختم لكي نُختم نحن جميعًا فيه ونُحسب مسحاء

الله.

❖ كأنه يقول لهم: إنني غذيت أجسادكم لكي تلتصقوا بالطعام الآخر الباقي المغذي أنفسكم، أما أنتم فقد أسرعتم إلى الطعام الأرضي، فلماذا لست أقتادكم

إلى هذا الطعام الأرضي، بل إلى ذلك الطعام الذي ليس من شأنه أن يقدم حياة وقتية بل أبدية، المغذي أنفسكم لا أجسادكم.

❖ ليس شيء رداً وأكثر خزيًا من النهم، فإنه يجعل الذهن دنيئاً والنفس جسدية؛ إنه يسبب عمى، فلا يرى الشخص جيداً [685].

❖ " هذا الله الآب قد ختمه" [27] بمعنى "أرسله لهذا الهدف أن يحضر لكم طعاماً". تعلن الكلمة أيضًا تفاسير أخرى إذ يقول المسيح في موضع آخر:

"ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق" (يو 3: 33) ... يبدو لي هذا القول أنه يلمح هنا عن "الآب ختم" ليس إلا انه "أقر" أو "أعلن بشهادته".

فالمسيح في الحقيقة أقر عن نفسه، ولكنه إذ كان يحلور اليهود قدم شهادة الآب له [686].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من يقدر أن يعطي الناس طعامًا يحفظهم إلى حياة أبدية؟ فإن هذا الأمر غريب تمامًا على طبيعة الإنسان. يليق بذلك الذي هو إله فوق الجميع. كأنه

يقول: "أنا لست عاجزًا عن أن أعطيكم طعامًا يمكن أن يدوم ويثمر إلى حياة أبدية وفوح أبدي، لأنه بالرغم من أنني أبداً كواحدٍ منكم، أي إنسان له

جسد، إلا أنني مُسحت وخُتمت من الله الآب للماتلة معه.

القديس كيرلس الكبير

❖ ما هو الختم (يو 6: 27) إلا وضع علامة معينة؟ أن تختم يعني أنك تضع علامة على الشيء لكي لا يحدث لبس بينه وبين شيء آخر...

إذن "الآب ختمه" ... أي منحه أومًا معينًا جعله ليس موضوع مقارنة مع بقية البشر. لذلك قيل عنه: "اللَّهُ إلهك قد مسحك بزيت البهجة، فوق كل زملائك" (مز 45: 8). ماذا إذن "يختم" سوى أنه يكون مستثنى من الآخرين؟

هذا هو أهمية "فوق كل زملائك". يقول: "هكذا لا تحتقوني لأنني ابن الإنسان، بل لتطلب مني لا الطعام البائد بل الباقي للحياة الأبدية. لأنني ابن

الإنسان بطبيعة بها لست واحدًا منكم. أنا ابن الإنسان بطبيعة بها الآب ختمني... أعطاني شيئًا خاصًا بي، فلا يحدث لبس بيني وبين البشرية، إنما تخلص

البشرية بي [687].

القديس أغسطينوس

"فقالوا له:

ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟" [28]

إذ سألهم أن يعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية سأله كيف يتمون الأعمال الإلهية، أو الأعمال التي حسب مسرة الله. ماذا

يطلب منهم أكثر من طاعتهم للناموس؟ هل الناموس ناقص ويوجد ما هو أفضل منه؟

يقول القديس أغسطينوس أن السيد المسيح أوصاهم ألا يطلخوا الطعام البائد بل الباقي للحياة الأبدية، لذلك سأله الجمع: "ماذا نفعل حتى نعمل

أعمال الله؟ [28]. كأنهم يسألونه: كيف ننفذ هذه الوصية؟ وجاءت الإجابة هي: الإيمان بالذي أرسله.

الإيمان يجعل أعمالهم مقبولة لدى الله. لم يرد السيد أن يميز بين الأعمال والإيمان بل أن يعلن أن الإيمان نفسه هو عمل. إنه الإيمان العامل

بالمحبة (غلا 5: 6).

❖ لم يكن سؤالهم (يو 6: 28) بقصد صالح، وبممكننا أن نفترض أنه لم يكن نابغًا عن رغبة في التعلم، بل بالأحرى كان نتيجة كروياء زائد. وكأنهم

يجمعون عن تعلم شيء أكثر مما كانوا يعرفونه فعلاً.

كأنهم يقولون: "يكفيها أيها السيد الصالح كتابات موسى، فنحن نعرف أكثر مما نحتاج عن تلك الأمور التي ينبغي على الماهر في أعمال الله أن يقصدها، فما الشيء الجديد الذي ستزودنا به إذن بالإضافة إلى تلك الأمور التي كانت قد حُددت في ذلك الزمان؟ وأي شيء غريب ستعلمنا إياه ولم يكن قد انكشف لنا من الكلمات الإلهية؟"

كان التساؤل من قبيل حماقة، وليس بدافع الإرادة النشطة.

القديس كيرلس الكبير

❖ لم يقولوا هذا لكي يتعلموا ويعلموا (كما يظهر مما جاء بعد ذلك)، وإنما لكي يقدم لهم طعاماً مرة أخرى [688].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجاب يسوع وقال لهم:

هذا هو عمل الله:

أن تؤمنوا بالذي هو أرسله". [29]

جاءت الإجابة إنه ينقصهم أمر واحد، هو من صميم الناموس، وهو أن يؤمنوا به، بكونه المسيا الذي أشار إليه الناموس، بكونه مخلص العالم الذي أفسدته الخطية.

كلمة الإيمان هنا تحمل معنى الإيمان العملي الحي، حيث يلتصق به المؤمن ويتبعه في طويق الصليب.

❖ كان من الضروري أن يريهم أنهم كانوا لا زالون بعيدين جداً عن العبادة الموضية لله، وأنهم لا يعرفون شيئاً عن الأمور الصالحة الحقيقية. فإذ يلتصقون بحرف الناموس صار ذهنهم مملوء بالرموز والأشكال المجردة...

إن العمل الذي تلمسه النفس النقية هو الإيمان المتجه نحو المسيح.

والأسمى من ذلك بكثير هي الغوة في أن يصير الإنسان حكيمًا في معرفة المسيح أكثر من الالتصاق بالظلال الرمزية.

القديس كيرلس الكبير

"فقالوا له:

فأية آية تصنع لئى ونؤمن بك ماذا تعمل؟" [30]

طلب اليهود من السيد آية ليؤمنوا به، فهل حسوا إشباع الجمهور البالغ عدد الرجال بينهم حوالي 5000 نسمة بخمس خزات شعير وسمكتين

آية تافهة؟

طلبوا منه معجزة تضاهي التي حدثت في أيام موسى حيث أكل آبؤهم المن في البرية، أكلوا خبزاً نزلًا من السماء. لقدروا معجزة إشباع

الجوع بخمس خزات وسمكتين ولم يؤمنوا. لم يكن ممكناً أن يروا أعظم من هذا لكن أذهانهم لم تعد قاورة على إرواك الحق.

"آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب،

أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا". [31]

"فقال لهم يسوع:

الحق أقول لكم،

ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء،

بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء". [32]

لكي يتركوا الحق كشف لهم عن أعماق عمل الله مع آباؤهم حين عالهم في البرية أربعين عاماً بالمن النزل من السماء:

1. ليس موسى بل الله هو الذي أعطاهم المن.

2. لم يكن المن هو الخبز الحقيقي إنما هو رمز له.

3. الآن يقدم لهم الله الخبز الحقيقي الذي لا يُقْلَن به المن قط.

4. إنه هو الخبز الحقيقي النزل من السماء، والذي من أجله أُعطي لأبائهم المن رمزاً له.

❖ بمنتهى الغلوة يُؤججون هامة موسى بهذا العمل (نزل المن من السماء)، لهذا يطلبون من المسيح آية مساوية لتلك الآية، دون أن يببوا أي إعجاب على الإطلاق بالآية التي رآهم ليوم كامل، حتى وإن كانت عظيمة، لكنهم يقولون إن عطية الطعام عليها أن تمتد لهم زمناً طويلاً. لهذا زاه يخزيهم بشدة جداً ليقروا ويقبلوا أن قوة المخلص وتعليمه الذي هم على وشك قبوله هما الأكثر مجداً.

❖ الآن أيضاً يقول لهم المخلص إنهم لا يفهمون، وأنهم يجهلون إلى أبعد حد ما في كتابات موسى. لأنه كان الأخرى بهم أن يعلموا في جلاء تام أن موسى كان يخدم أمور الله للشعب، وأيضاً أمور بني إسرائيل تجاه الله، وأنه لم يكن هو نفسه صانع عجائب، بل بالأحرى كان خادماً وفاعلاً في خدمة تلك الأمور... فلنتعلم إذن بأكثر تمييز وتعقل أن نحترم آباءنا القديسين... لكن حين يكون الحديث عن المسيح المخلص علينا أن نقول: "من في السماء يعادل الرب؟ من يشبه الرب بين أبناء الله؟" (مز ٨٩: ٦).

القديس كيرلس الكبير

❖ كان يمكنه أن يجيبهم: "أنا الآن أصنع عجائب أعظم مما فعلها موسى، فلا احتاج إلى عصا، ولا إلي صلاة، بل أفعل كل شيء من نفسي، وإن كنتم تذكرون المن انظروا فإني أعطيكم خزاً. لكنه لم يكن ذلك الوقت مناسباً لمثل هذه الأحاديث، فإن الأمر الوحيد الذي كان وغبه بغوة هو أن يقدم لهم طعاماً روحياً. انظروا إلي حكمته غير المحدودة، وأسلوب إجابته!" [689]

❖ قول المسيح لليهود: "ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء"، إذ أن المن ليس هو من السماء، فكيف يقال أنه من السماء؟ إنما قيل ذلك كما يُقال "طيور السماء"، و"أعد الرب من السماء".

❖ وقوله: "الخبز الحقيقي من السماء"، إذ أن المسيح هو الخبز الحقيقي، ليس لأن الأعجوبة الخاصة بالمن كانت كاذبة، لكن لأنها كانت رسماً ولم تكن الحقيقة بذاتها.

❖ لماذا لم يقل: "ليس موسى أعطاكم هذا بل أنا"، وإنما وضع الله موضع موسى وهو نفسه موضع المن؟ ذلك من أجل الضعف الشديد لسامعيه... لقد قادهم المسيح إليه قليلاً قليلاً. [690]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ وعدهم يسوع بشيءٍ أعظم مما أعطاهم موسى. حقاً بموسى كان الوعد بملكوت، برضٍ تفيض لبناً وعسلاً، بالسلام المؤقت، بكثرة الأبناء وصحة الجسد، وكل الأمور الأخرى التي للخوات الوقتية، لكنها تحمل رمزاً روحياً... كان الوعد بملاء البطن على الأرض بالطعام الزائل، أما الآخر (يسوع) فيعد لا بالطعام الزائل بل بالطعام الباقي للحياة الأبدية. [691]

القديس أغسطينوس

"لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم". [33]

❖ في غلوة شديدة تفترضون أن المن هو الخبز النزل من السماء، بالرغم من أن المن قد أطمع جنس اليهود فقط في البرية، بينما يمتد العالم بأمره أحرى لا حصر لها... لكن حين أشرف زمان الحق على أبوانا، "أبي يعطيكم الخبز الحقيقي الذي من السماء"، والذي كانت عطية المن ظلاً له في القديم. فهو يقول: لا يظن أحد أن ذلك المن كان بالحق هو الخبز من السماء، بل بالأحرى لصالح هذا الخبز القادر أن يطعم الأرض كلها، ويمنح العالم ملاء الحياة.

المن الحقيقي هو المسيح ذاته، مُرَكَّبًا باعتبار أن الله الآب قد أعطاه تحت رمز المن للذين كانوا في القديم.

وخبز السماء أعطاهم، أكل الإنسان خبز الملائكة" (مز ٧٨: ٢٤) ... واضح للجميع أنه لا يوجد خبز وطعام للقوات العقلية في السماء سوى

ابن الله الآب الوحيد. إذن فهو المن الحقيقي، والخبز الذي من السماء لكل الخليقة العاقلة الذي يعطيه الله الآب.

يعدنا المسيح أن يهبنا الطعام الذي من السماء، أي التغذية بواسطة الروح، أعني المن الروحي. بهذا بالمن نتقوى على احتمال كل مشقة وعزم،

وإذ نحصل عليه لا نسقط بسبب عجزنا في تلك الأمور التي ينبغي إلا ننحدر إليها.

كان الأجدر بهم أن يعرفوا أن موسى قد جلب فقط خدمة الوساطة، وأن العطية لم تكن من صنع يد بشوية، بل هي من عمل النعمة الإلهية،

فتضع الروحي داخل إطار مادي كثيف، وعبر لنا عن الخبز الذي من السماء، الذي يعطي حياة لكل العالم، ولا يُطعم جنسًا واحدًا فقط.

القديس كيرلس الكبير

❖ لم يقل أنه لليهود وحدهم بل لكل العالم، ليس طعامًا مجردًا بل الحياة، حياة أخري متغوة. لقد دعاه "حياة" لأن الكل كانوا أمواتا في الخطايا [692].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقالوا له:

يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز". [34]

كان اليهود يتوقعون بمجيء المسيا ينعمون مع السلطة والحكم والحرية كل أنواع الملذات اؤمنية. قال الحاخام ميمون Rab. Mayemon إنه

متى جاء المسيا يقيم الأموات، فيجتمعون في جنة عدن، ويأكلون ويشربون ويصيرون في تخمة كل أيام العالم. تُبنى بيوتهم بالحجارة الكريمة، وأسوتهم

بالحرير الناعم، وتفيض الأنهار بالخمير والزيت المخلوط بالتوابل. سيقر المن عليهم له مذاقات متنوعة، ويجد كل إسوائي في طبقه ما يلذ له. إن

اشتهى السمين وجده. ينوقه الشاب فيجده خزانًا والشيخ يجده عسلًا والأطفال زينةً. هكذا ستكون أيام المسيح القادمة. سيهب إسوائيل سلامًا ويجلس في جنة

[693] ...

❖ بينما كان مخلصنا المسيح وبكلمات كثرة - إن جاز للمرء أن يقول - يجذبهم بعيدًا عن التصورات الجسدانية، وبتعليمه الكلي الحكمة يخلق في

التأمل الروحي، فإنهم لا يبتعدون عن منفعة الجسد. وإذ يسمعون عن الخبز الذي يعطي حياة للعالم يصورون لأنفسهم خبز الأرض "لأن إلههم بطنهم"

(في ٣: ١٩)، كما هو مكتوب. وإذ ينهزمون بشور البطن يستحقون سماع القول: "مجدهم في خزيهم".

القديس كيرلس الكبير

"فقال لهم يسوع:

أنا هو خبز الحياة،

من يقبل إليّ، فلا يجوع،

ومن يؤمن بي، فلا يعطش أبدًا". [35]

اعتاد السيد المسيح في أحاديثه الأخرى أن يقدم شهودًا أنه يعلن الحق، ترة يعلن أن الآب يشهد له، وأخرى يقتبس نوات الأنبياء، وأخرى يقدم

آياته وعجائبه. أما هنا فكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم [694] لم يورد شهودًا وهو يعلن عن نفسه أنه الخبز النزل من السماء، لأنهم شاهنوا

ولمسوا كيف أشبعهم بخزوات قليلة. يقول القديس إنه يعلن عن لاهوته، فمن يقرب إليه يشبع ولا يجوع قط.

❖ قال لهم "أنا هو خبز الحياة" [35] لكي يوبخهم، لأنهم عندما ظنوا الطعام عاديًا جروا إليه، وليس عندما تعلموا أنه من فوع روحي [695].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖

الآن أنا حاضر أحقق وعدي في حينه. " أنا هو خبز الحياة "، ليس خبزاً جسدياً، فهو لا يسد الإحساس بالجوع فقط، ويحرر الجسم من الهلاك الناشئ عنه، بل يعيد تشكيل كل الكائن الحي بأكمله إلى حياة أبدية. ويصير الإنسان الذي خلقه ليحيا إلى الأبد سائداً على الموت. يشير بهذه الكلمات إلى الحياة والنعمة التي ننالهما بواسطة جسده المقدس، الذي به تنتقل خاصية الابن الوحيد هذه، أي الحياة.

❖ حينما دُعينا إلى ملكوت السموات بالمسيح - لأن ذلك حسب ظني هو ما يشير إليه الدخول إلى أرض الموعد، فإن المن الوفي لم يعد بعد يخلصنا، لأننا لسنا نقتات بعد بحرف موسى، بل لنا الخبز الذي من السماء، أي المسيح، هو يقوتنا إلى حياة أبدية، بواسطة زاد الروح القدس، كما بشوكة جسده الخاص، الذي يسكب فينا شوكة الله، ويمحو الموت الذي حلّ بنا من اللعنة القديمة.

❖ إني اتفق معكم أن المن قد أعطي بواسطة موسى، لكن الذين أكلوا آنذاك جاعوا. وأقر معكم أنه من جوف الصخرة خرج لكم ماء، لكن الذين شربوه قد عطشوا، وتلك العطية التي سبق الحديث عنها لم تعطهم سوى تمتعاً مؤقتاً، لكن "من يقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً". ما الذي يعد به المسيح إن؟ إنه لا يعد بشيء قابلٍ للفساد، بل بالأحرى بذلك السرّ - الأوجية - في شوكة جسده ودمه الأقدس، فيستعيد الإنسان بكليته عدم الفساد، ولا يحتاج أبداً إلى أي شيء من تلك التي تدفع الموت عن الجسد، أعني الطعام والشوَاب. إن جسد المسيح المقدس يعطي حياة لمن يكون الجسد فيهم، فيحفظهم كلية في عدم فساد، إذ يختلط بأجسادهم، لأننا نترك أنه ما من جسدٍ آخر سوى جسده له الحياة بالطبيعة، هذا الذي لا يعادله جسد آخر.

❖ إذ نقرب إلى تلك النعمة الإلهية والسموية، ونصعد إلى شوكة المسيح المقدسة، بذلك وحده نقهر خداع الشيطان. وإذ نصبح شوكاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٤) نرتفع إلى الحياة وعدم الفساد.

القديس كيرلس الكبير

[696]

❖ أنتم تطلبون خبزاً نوالاً من السماء، إنه أمامكم لكنكم لا تريدون أن تأكلوا. " ولكنني قلت لكم إنكم قدرأيتوني ولستم تؤمنون " [36].

القديس أغسطينوس

"ولكني قلت لكم أنكم قدرأيتوني ولستم تؤمنون". [36]

❖ رؤوا الرب، الله بالطبيعة، حينما أطمع جمعاً غفراً لا يُحصى، كان قد جاء إليه، بخمسة أرغفة شعير وسمكتين صغيرتين، كان قد قسمها لهم. لكنهم رؤوا ولم يؤمنوا بسبب العمى الذي أغشى فهمهم كضباب بسبب الغضب الإلهي... لأنهم متمسكون بعوآت لا حصر لها، ومقيدون بحبال تعدياتهم التي لا فكاك منها (أم ٥: ٢٢). لم يقبلوه حين جاء إليهم، وهو القادر على حل قيودهم وتحرومهم. لهذا السبب كان قلب هذا الشعب غليظاً.

القديس كيرلس الكبير

"كل ما يعطيني الآب فإني يقبل،

ومن يقبل إليّ، لا أخرجه خراجاً". [37]

وجه القديس يوحنا الذهبي الفم أنظرنا هنا إلى نور الله ونور الإنسان، فالإنسان لن يقدر أن يؤمن بذاته، بل بجاذبية الله له، و نعمته المجانية

العاملة فيه. لكن لا يتمتع الإنسان بهذا الإيمان قسواً، بل بكامل حريته يقبل إلى السيد الذي يحفظه ويقده ولا يطرده خراجاً عنه.

❖ إنه يشير هنا إلى شعوب الأمم الموشكين أن يؤمنوا به إيماناً كاملاً. إني لن أخرج من يقبل إليّ خراجاً، أي إنني لن أطرحه كإناءٍ عديم النفع... كإنسانٍ مُحترق. ولن يبقى دون نصيب في اهتماماتي، بل سوف أجمعه في مخزني، ويقول ساكناً في المنزل السموية، ووى نفسه مالكاً لكل رجاء يفوق إرثك البشر.

القديس كيرلس الكبير

❖ إن ما يعلنه هنا ليس إلا هذا: "الإيمان بي ليس بالأمر العادي، لا يأتي خلال واهين بشوية، بل يحتاج إلى إعلان من فوق، وإلي نفس تبدوها حسن

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأني قد تولت من السماء،

ليس لأعمل مشيئتي،

بل مشيئة الذي أرسلني". [38]

جاء من السماء، لا ليعمل حسب الوافع البشرية، بل حسب حكمته الإلهية غير المحدودة، حسب صلاحه ورحمته. فالأهواء اليهودية تروى بالعثلرين والخطاة، وتغلق باب السماء أمام الأمم، أما مواعم الله فتحتضنهم. جاء الابن الكلمة ليعلم عن هذه المراحم الإلهية.

❖ "قد تولت من السماء"، أي صرت إنساناً حسب مسوة الله الآب الصالحة، ورفضت أن أنخرط في أعمال غير موافقة لمشيئة الله، حتى أحقق لهم - أولئك الذين يؤمنون بي - الحياة الأبدية والقيامة من الأموات، محطماً قوة الموت. واحتمل التحقير من اليهود والشتائم والسب والإهانات والجلدات والبصق، والأدهى من ذلك شهادة الزور، وآخر الكل الموت.

ستفهمون لماذا لم يكن المسيح مخلصنا يريد الآلام التي على الصليب، ومع ذلك أرادها لأجلنا، ولأجل مسوة الله الآب الصالحة، لأنه حين كان على وشك الخروج للآلام أيضاً، جعل حديثه إلى الله (الآب) قائلاً ما قاله في صيغة صلاة: "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت" (مت ٢٦: ٣٩). لأنه وهو الله الكلمة، غير المائت، وغير الفاسد، والحياة ذاتها بالطبيعة، لم يقدر أن يرتعب أمام الموت. وإني أعتقد إن ذلك واضح للجميع، إذ وهو له أن يرتعب أمام الموت حين كان على مشرفه، لكن يُظهر أنه بالحقيقة إنسان... باتحاد الطبيعة البشرية بالكلمة أُعيدت إلى ما يليق بالله من إقدام، واستعيدت إلى غرض شريف، أعني أن الطبيعة البشرية لم تصنع ما يبدو صالحاً لإرادتها الذاتية بل بالأحرى تتبع القصد الإلهي، مهياً على الفور للركض إلى مهما يدعوا إليه ناموس خالقها.

رأيتم كيف أن المسيح لم يكن يريد الموت بسبب الجسد، ولا هوان التألم، ومع هذا أراد، حتى يتم مقاصد مسوة الآب الصالحة لأجل العالم أجمع، أي حياة وخلص الجميع.

القديس كيرلس الكبير

"وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني:

أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً،

بل أقيمه في اليوم الأخير". [39]

الله يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، لكنه لا يؤمهم بالخلص قهراً كما لو كانوا قطعاً حرجية، بل يتعامل معهم ككائنات عاقلة لها كمال الحرية.

❖ ماذا تقول؟ هل رادتك شيء، وإرادته شيء آخر؟ لئلا يشك أحد في هذا صاحب هذا بما جاء بعد ذلك. ما قاله هو هذا: "جئت لا لأفعل شيئاً إلا ما يريد الآب، فليست لي رادة من ذاتي تختلف عن تلك التي للآب، فإن كل ما للآب هو لي، وما لي هو للآب. فإن كان ما للآب وما للآب مشترك فبحق يقول: "ليس لأعمل مشيئتي"... لأنني كما قلت في موضع آخر إنه كان يحجب الأمور العالية إلى حين ووغب في أن يوهن أنه لو قال: "هذه هي رادتي" لكانوا يحقرونه. لذلك يقول: "لأنني أتعلون مع تلك الإرادة"، راعباً أن يودعهم بالأكثر. وكأنه يقول: "ماذا تظنون؟ هل تغضبوني بعدم إيمانكم؟ لا، فإنكم تغضبون أبي" وهذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً" [39]. هنا يظهر أنه ليس في حاجة إلى خدمتهم، فإنه لم يأت لنفعه الخاص، وإنما لأجل خلاصهم لا لينال كرامة منهم... فما جاء قبل ذلك وبعده هو أنه يسعي بكل غوة أن يظهر بأنه جاء لأجل خلاصهم. وهو يقول أنه يجلب مجداً للآب حتى لا يتشكروا فيه [698].

"لأن هذه مشيئة الذي أرسلني:

أن كل من يرى الابن ويؤمن به

تكون له حياة أبدية،

وأنا أقيمه في اليوم الأخير". [40]

❖ إن خلاصنا ونجاتنا من الموت واستعادتنا إلى الحياة هي عمل الثالوث القنوس كله... من خلال الثالوث القنوس كله تأتي الصالحات لأجلنا، فيكون الله الأب هو كل شيء في الكل بالابن في الروح القدس.

القديس كيرلس الكبير

❖ من يؤمن به يأكل الخبز الحي [699].

القديس أغسطينوس

❖ لماذا يركز يوماً على القيامة؟ لكي لا يحكم الناس على عناية الله خلال الأمور الحاضرة وحدها، كمن لا يتمتعون بالثمار هنا، فيجل بهم القنوط، وإنما يؤمهم أن ينتظروا الأمور القادمة. كما لا يستخفون بالله لأنهم لا يعاقبون على خطاياهم، بل يتطلعون إلى الحياة الأخرى. الآن هؤلاء الناس لا يقتنون شيئاً (من شوقهم)، أما نحن فيؤمننا أن نقنتي بالآلام رباً وذلك بتذكرونا المستمر للقيامة... إنه توجد قيامة، وهي على أوابنا وليست بعيدة عنا ولا على مسافة منا. "لأنه بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يبطل" (عب 10: 37) [700].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فكان اليهود يتذمرون عليه،

لأنه قال أنا هو الخبز الذي نزل من السماء". [41]

تذمر اليهود عليه لأنه في حديثه يؤكد لهم أنه أعظم من موسى بلا حدود، وأنه وحده قادر أن يهب الحياة الأبدية، وأن أصله سموي. لقد سمعوا عن ملائكة تولوا من السماء، لكنهم لم يسمعوا قط عن إنسان أصله سموي.

❖ هو نفسه "الخبز النازل من السماء"، الخبز الذي يعش الناقصين ولا ينقص. خبز يمكن أن يؤكل (يُستطعم) ولا يمكن أن يتبدد. هذا الخبز يشير إليه LXX المن. فقد قيل "أعطاهم خبز السماء، أكل الإنسان خبز الملائكة" (مز 77: 24، 25).

من هو خبز الملائكة إلا المسيح؟

ولكن لكي يأكل الإنسان خبز الملائكة، صار رب الملائكة إنساناً. فإنه لو لم يصر إنساناً ما كان له جسده، وإن لم يكن له جسده ما كنا نأكل خبز المذبح.

لنسرع إلى الموات، متطلعين إلى إننا قد قبلنا عربونا عظيماً منه.

يا اخوتي ليتنا نشاق إلى حياة المسيح، متطلعين إلى أننا أمسكنا بعربون موت المسيح.

القديس أغسطينوس

❖ "الذين آلهتهم بطنهم، ومجدهم في خريهم" (في 3: 19)، هكذا قال بولس عن بعض الأشخاص في رسالته إلى أهل فيليبي. الآن يظهر واضحاً أن هؤلاء اليهود هم من هذا النوع، وذلك مما حدث قبلاً، ومما قالوه عندما جاؤا إلى المسيح. فإنه عندما أعطاهم خزا وملاً بطونهم قالوا إنه نبي، وطلخوا أن يقيموه ملكاً. ولكن عندما علمهم عن الخبز الروحي والحياة الأبدية، عندما قادهم بعيداً عن المحسوسات وتحدثت عن القيامة ورفع أذهانهم إلى العلويات، وكان يليق بهم أن يعجبوا بذلك إذا بهم يتذمروا ويبتعدوا [701].

"وقالوا: أليس هذا هو يسوع ابن يوسف،

الذي نحن عرفون بأبيه وأمه،

فكيف يقول هذا إني تولدت من السماء؟" [42]

❖ كان بالأولى أن يتركوا إن المسيح المتوقع مجيئه إلينا ليس بدون الجسد أو تدبير جسماني، بل يأتي في هيئة بشرية كما سبق التنبؤ عنه، أنه يوجد في الوداء المشترك بين الجميع، لهذا يخبرنا صوت النبي أن العذراء القديسة "تحبل وتلد ابناً" (إش ٧: ١٤)... وقد أقسم لداود بالحق" (مز ١٣٢: ١١ LXX). فهو لا يرجع عما وعد به أن "من ثمر بطنك أجعل على كرسيك" كما هو مكتوب. وتتبأ أيضاً أنه "يخرج قضيب من جذع يسي" (إش ١١: ١)... لكن إذ يفهم اليهود تدبير الجسد الذي لمخلصنا المسيح، ومع معرفتهم لأمه وأبيه، مع أن (يوسف) لم يكن أباه فعلاً، لم يخجلوا أن يتذروا، لأن المسيح قال إنه "تول من السماء".

القديس كيولس الكبير

❖ يقول اليهود عن المسيح " أليس هذا هو يسوع ابن يوسف؟ " فقد استبان واضحاً أنهم ما كانوا قد عرفوا بعدولادته العجيبة البديعة، لهذا دعه ابن يوسف. لم يقولوا هذا لأنه كان ابن يوسف، لكنهم قالوه لأنهم لم يستطيعوا أن يسموا عن ولادته العجيبة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كان هؤلاء اليهود بعيدين عن الخبز الذي من السماء، ولم يعرفوا كيف يرجعوا إليه... كانت لهم أنياب قلوبهم ضعيفة، لهم آذان مفتوحة لكنهم صم، ورؤوا لكنهم وقفوا عمياناً. هذا الخبز بالحق يتطلب جرماً للإنسان الداخلي. لهذا يقول في موضع آخر: "طوبى للجياح والعطاش إلى البرّ لأنهم يشبعون" (مت 5: 6). يقول الرسول بولس أن المسيح بالنسبة لنا برّ (1 كو 1: 30). لهذا من يرجع إلى هذا الخبز يرجع إلى البرّ، ذلك البرّ النازل من السماء، البرّ الذي يعطيه الله، لا الذي يفعله الإنسان لنفسه... ما هو برّ الله للإنسان، أن يكون برّاً بالله.

لكن مرة أخرى ماذا كان برّ هؤلاء اليهود؟ البرّ الذي صنعوه بقوتهم، وعليه اتكوا، وبهذا أعلنوا عن أنفسهم أنهم يتممون الناموس بفضيلتهم. مع أنه لا يتم أحد الناموس إلا الذي تعينه النعمة، أي يعينه الخبز النازل من السماء [702].

القديس أغسطينوس

" فأجاب يسوع وقال لهم:

لا تتذمروا فيما بينكم". [43]

بالرغم من النوات التي تؤكد أن المسيا يأتي من نسل داود، وأنه مولود من عذراء، هاجمه اليهود متطلعين إليه باستخفاف كابن لعريم ويوسف المعروفين لديهم تماماً. أما هو ففي حنو وجهه أنظرهم إلى أبيه السملوي الذي وحده يقدر أن يكشف لهم عن شخص الابن المتجسد الواهب القيامة. ❖ نظر اليهود إلى يسوع وهم يجهلون أن أباه في السماء، دون أن يعترفوا أنه بالطبيعة ابن إله الجميع، بل ناظرين فقط إلى أمه الأرضية وإلى يوسف. وإذ يجيبهم بحنو بالغ سوعان ما يعمل بالانقذات إلى كرامته الإلهية لأجل نفعهم. إنه كإله يعرف تذوهم الداخلي وما ينور بأفكلهم. من خلال هذه الأمور عينها يدفعهم إلى إراوك أنهم قد سقطوا عن الحق، وكوّنوا عنه فكراً بالغ الحفلة، وكان يليق بهم أن يقدموا الكرامة الإلهية، لذلك الذي يعرف القلوب تماماً، ويختبر حركات الفكر، وهو لا يجهل ما ينور في نفوسهم من فكر... يكشف لهم أن معرفته هي من عمل النعمة العلوية... لنفعهم يؤكد لهم الوعد أنه سيقم من الموت من يؤمن به، ومن ثم يوهن حتى لأكثر الناس جهلاً أنه هو الله حقاً وبالطبيعة. لأن القوة على الإقامة من الموت... تخص طبيعة الله وحده، ولا تُنسب إلى أي مخلوق.

"لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني،

وأنا أقيمه في اليوم الأخير". [44]

كيف يجتذبه الآب؟ يجيب القديس أغسطينوس بأن الإنسان يُجتذب بما يُبتهج به.

إن قدمت عشبًا يجتذب القطيع إليه، وإن قدمت فاكهة تجتذب الطفل. هكذا يجتذب الآب الإنسان بأن يقدم له المخلص بكونه شهوته، فيجتذبه به. الإنسان الذي يرك في نفسه أنه خاطئ ضائع وإذ يشناق أن يهرب من الجحيم ويبلغ إلى السماء يجد في دم المسيح جاذبية له. كأنه يقول لهم: "لماذا تتذمرون فيما بينكم؟ فإنكم لا تستطيعون أن تؤمنوا ما لم يجتذبكم الآب". إنه يجتذب النفوس ليس بمحابة، بل من يطلب يتمتع بالإيمان، لكنه لن يجتذب أحدًا بغير رادته.

يقول القديس أغسطينوس:

[يمكن أن يأتي إنسان إلى الكنيسة بغير رادته، ويمكنه أن يقرب من المذبح بغير رادته، ويشترك في الأسرار قهراً، لكنه لا يقدر أن يؤمن ما لم يرد ذلك... الإيمان ليس شيئاً يتم بالجسد. اسمع الرسول: "بالقلب يؤمن الإنسان للبر". ماذا يلي ذلك... وباللسان يعترف للخلاص" (رو 10: 10). هذا الاعتراف يصدر عن جذر القلب. أحياناً تسمع إنساناً يعترف ولا تعرف إن كان يؤمن أم لا... إذن حيث أن الإنسان بالقلب يؤمن بالمسيح، الأمر الذي لا يفعله أحد بغير رادته، ولا من يُجتذب ضد رادته، كيف نجيب على السؤال: "لا يقدر أحد أن يأتي إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني" [44]؟

قد يقول قائل: "إن كان يُجتذب، فإنه يذهب بغير رادته. وإن كان يذهب بغير رادته فهو يؤمن... لأننا لسنا نذهب إلى المسيح بأقدامنا بل بالإيمان؛ وليس بعاطفة الجسد بل بغير رادته..."

لا تظن أنك تُجتذب بغير رادتك. فالذهن يُسحب أيضاً بالحب.

يؤمننا أيضاً ألا نخاف لئلا نلام بحسب هذه الكلمة الإنجيلية التي للكتاب المقدس بواسطة أولئك الذين يتقنون بالكلام وهم بعيدون عن حركة العمل، وبعيدون عن الإلهيات، لئلا يُقال لنا: كيف يمكنني أن أؤمن برادتي إن كنت لا أُجتذب؟" أهول: لا يكفي أن تُجتذب بالإرادة، فإنه يمكنك أن تجتذب حتى بالبهجة. "تلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك" (مز 37: 4). توجد لذة للقلب الذي يجد عنوبة في ذاك الخبز الذي من السماء. علاوة على هذا، إن كان بحق جاء في القطعة الشعرية: "كل إنسان يجذب بشهوته"، فإنه ليس خلال الضرورة بل باللذة، لا بالالتزام بل بالبهجة يجذب؛ كم بالأكثر يؤمننا القول أن الإنسان يجذب إلى المسيح عندما يتلذذ بالحق، عندما يبتهج بالتطويب، يبتهج بالبرّ وبالحياة الأبدية هذه كلها التي هي المسيح؟ [703]

"إنه مكتوب في الأنبياء:

ويكون الجميع متعلمين من الله.

فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إليّ". [45]

جاء ذلك في رميا ٥٤: ٥٣ وإشعيا ٣١: ٣٤. كيف يعلمنا الله؟ بأن يعلن حبه العملي لنا خلال صليب ابنه. كانوا قبلاً في رعبٍ من الله بكونه الديان، أما وقد أعلن حبه لهم بالصليب علمهم واجتذبهم إليه لكي يتمتعوا بالحياة الأبدية.

يلق القديس كيرلس الكبير على قول السيد المسيح بأن الجميع يكونون متعلمين من الله، قائلاً: [حال كون الله أباً، وهكذا يُترك عنه ويُركز به، فإنه بهذا يغوس معرفة ابنه الذاتي في سامعيه. وهكذا أيضاً يُقال عن الابن، أنه في الحقيقة منه بالطبيعة، فهو يعلن عن الآب. لهذا يقول: "أنا أظهرت اسمك للناس" (يو ١٧: ٦)... بزرع فينا الآب معرفة ابنه الذاتي، ليس بصوتٍ يشق عنان السماء من فوق، أو يلف الأرض لفاً كالرعد، بل بالاستنارة الإلهية، مشوقاً فينا لفهم الكتاب المقدس الموحى به.].

❖ ألا ترون كرامة الإيمان، وأنه ليس من إنسان ولا بإنسان يتعلمون هذا، بل بالله نفسه؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ مكتوب في الأنبياء: "ويكون الجميع متعلمين من الله" [45]. لماذا أقول هذا يا أيها اليهود؟ الآب لا يعلمكم، فكيف يمكنكم أن تعرفوني؟ فإن كل

رجال ذلك الملكوت سيتعلمون من الله، ولا يتعلمون من بشر. وإن كانوا يتعلمون بواسطة الناس إلا أن ما يفهمونه هو عطية داخلية لهم، يشوق في داخلهم، ويُعلن فيهم.

ما هو نور البشر الذين يعلنون عن الأخبار من الخرج؟ ما أفعل حتى الآن هو من الخرج. إنني أسكب أصوات ألفاظ الكلمات في آذانكم. ما قيمة ما أقوله أو ما أتكلّم به إن لم يُعلن لكم عنه في الداخل؟

من الخرج يوجد من يزرع الشجرة، في الداخل خالق الشجرة. الذي يغرس والذي يروي يعملان في الخرج؛ هذا ما نفعله نحن، لكن ليس الغرس شيئاً، ولا الساقى، بل الله الذي ينمي" (1 كو 3: 7). بمعنى هؤلاء كلهم يتعلمون من الله. من هم هؤلاء كلهم؟ "كل من سمع من الآب وتعلم يقبل إليّ" [45]. انظروا كيف يجتذب الآب، إنه يبهج بتعليمه لا باستخدام الإوام. انظروا كيف يجتذب: "يكون الجميع متعلمين من الله" [45]. هذا هو جذب الآب [705].

❖ إننا نعرف كيف يعلم الله أولئك الذين هم ودعاء الله. فإن الذين يسمعون من الآب ويتعلمون يأتون إلى ذلك الذي يبرر الفجار (يو 6: 45؛ رو 5: 4). لكي يحفظوا بزّ الله ليس فقط في ذكرتهم، بل في تنفيذهم للبرّ. هكذا من يفخر، يفخر لا في نفسه، بل في الرب (1 كو 13: 1)، ويفيض حمداً.

القديس أغسطينوس

"ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذي من الله،

هذا قد رأى الآب." [46]

لا يعلمهم بأن يروه وجهاً لوجه ولا بحديث صوتي مباشر، وإنما بعمل روحه القنوس فيهم. لم يرَ أحد قط الله إلا ابنه الذي في حضنه هو واه ويخبر عنه (يو 1: 18).

وى القديس كيرلس الكبير أن السيد المسيح هنا يعني بطريقة ضمنية العظيم في الأنبياء موسى، فقد ظن بعض اليهود أنه إذ دخل إلى الظلمة الكثيفة رأى بعينه الجسديتين الله الذي لا يرى. هنا يؤكد السيد المسيح أنه هو وحده وى الآب لأنه مولود منه. [لكن كيف وبأية وسيلة وى الآب، أو واه الآب، إن لساننا يعجز عن ذكر هذا الأمر، لكن علينا أن نركه بطريقة إلهية].

❖ رب قائلي يعترض: ماذا إذن، ألم يكتب: "أ ن ملائكة الصغار كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات" (أنظر مت 10: 8)؟ نعم لكن الملائكة ترى الله ليس كما هو، بل قدر ما تحتل. إذ يقول يسوع المسيح: "ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذي من الله، هذا قد رأى الآب". فالملائكة ترى الله

قدر ما تحتل، ورؤساء الملائكة يرون قدر ما يحتلمون، والعروش والسلطين يرون أكثر من السابقين، لكنها لا ترى كما يستحق الله [706].

فا لابن، مع الروح القدس، هو وحده الذي يقدر أن واه بحق كما هو، لأنه: "يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (1 كو 10: 2). هكذا الابن الوحيد مع الروح القدس يركن الأب في كماله إذ قيل: "لا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت 27: 11).

إذ وى الكل حسب احتمالته، لذلك فهو وى الآب بكماله، معلناً الله "الآب" خلال الروح، إذ الابن مع الروح واحد مع الآب في اللاهوت.

المولود يعرف الوالد، والوالد يعرف المولود.

إن كان الملائكة جاهلين "بمعرفة الله في كماله" فلا يخجل أ حدكم من الاعتراف بجهله. حقا إنني أتكلّم ال آ ن كما يتكلّم أي السان في مناسبة ما،

أما كيفية الكلام فليست أعرفه. إذن كيف أستطيع أن أخبركم عن واهب الكلام نفسه؟!

وإذ لا أقدر أن أخبركم عن سمات النفس الممزّزة لها، فكيف أصف واهب النفس؟!

❖ نحن نؤمن بالله واحد، الآب غير المفحوص، غير المنطوق به، الذي "لم وه أحد من الناس" بل "الابن الوحيد هو خبر" (يو 1:28)، لأن "الذي من الله وى الآب" (1 تي 6:16)، هذا الذي تراه الملائكة على النوام في السموات (مت 10:18) حسب توجة كل منهم. أما استنلة وجه الآب "في كماله" فستبقى في تفاوتها للابن مع الروح القدس [708].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ لقد أوضح هو نفسه أيضاً هذا وأظهر لنا المعنى الذي يقصده بقوله: "فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إليّ"، أضاف للفر ما يمكننا أن نفهمه: "ليس أن أهدارأي الآب إلا الذي من الله، هذا قدرأي الآب" [46].

ما هذا الذي يقوله؟ أنا رى الآب، وأنتم لا ترونه، ومع هذا فأنتم لا تأتوا إليّ ما لم يجتذبكم الآب. وما هو اجتذاب الآب لكم سوى أنكم تتعلمون من الآب؟ وماذا تتعلمون من الآب إلا أن تسمعوا عنه؟ ماذا تسمعون عنه إلا أن تسمعوا كلمة الآب، أي تسمعون مني؟ في هذه الحالة عندما أقول: "كل من سمع من الآب وتعلم" يؤمكم أن تقولوا داخل أنفسكم: لكننا لم نر الآب قط، فكيف نسمع منه؟ اسمعوا مني، فإنه "ليس أن أهدارأي الآب إلا الذي من الله، هذا قدرأي الآب". أنا أعرف الآب، أنا من الآب، ولكن بكوني الكلمة التي منه، ليس الكلمة التي تعطي صوتاً وتعبر، بل الكلمة الذي يبقى مع المتكلم ويجتذب السامع [709].

القديس أغسطينوس

"الحق الحق أقول لكم

من يؤمن بي فله حياة أبدية". [47]

يعلن السيد المسيح في حديثه هذا أن المؤمن:

1. يجتذبه الآب خلال أعمال ابنه الخلاصية الجذابة.
2. يسمع تعاليمه.
3. يقبل الخلاص المقدم له.
4. يفتات بالخبز السموي.
5. يُحفظ في الإيمان.
6. لا يهلك بل يقوم في اليوم الأخير.
7. يتمتع بالحياة الأبدية.

❖ باعتباره الحياة الأبدية يعد أن يعطي نفسه للذين يؤمنون به، أي "يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا" (أف 3: 17).

القديس كيرلس الكبير

❖ ليت ما يلي ذلك يحثنا: " الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة الأبدية ". إنه يود أن يعلن ذاته من هو. إنه يقول من يؤمن بي يقتني. لأن المسيح نفسه هو الله الحقيقي والحياة الأبدية. لذلك يقول: من يؤمن بي يدخل فيّ، ومن يدخل فيّ أكون له. وماذا يعني "أكون له"؟ تكون له الحياة الأبدية [710].

القديس أغسطينوس

"أنا هو خبز الحياة". [48]

"أباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا". [49]

هذا المن لم يحفظ أجسادهم من الموت، ولا وهبهم حياة أبدية. هذا حسب مفهومهم هم، إذ كانوا يعتبرون آباءهم قد هلكوا في البرية، وليس لهم

حياة أبدية. أكلهم المن لم يحفظهم من غضب الله الذي حل عليهم بسبب تمردهم المستمر وتذوهم في البرية (١ كو ١٠: ٣-٥).

❖ إنه يؤسس شيئاً لكي يجتنبهم، وهو أنهم يحسبون قد تأهلوا إلي أمور أعظم مما لأبائهم، يقصد الناس العجيبين الذين عاشوا في أيام موسى، فإنه بعد قول أن الذين أكلوا المن ماتوا أكمل "إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلي الأبد" [51] [711].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"هذا هو الخبز النازل من السماء

لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت". [50]

مقابل هذا جاء السيد ليقدم جسده خبزاً يسند أجسادهم فيمجدها ويهبها شركة مع النفوس إلى الأبد.

❖ الابن وحده وبحق هو خبز الحياة، والذين اشتروا فيه موة واختلطوا به بطريقة ما من خلال الشركة معه فقد ظهر أنهم فوق رباطات الموت نفسه. وقد سبق أن قلنا مراراً أن المن يؤخذ بالأحرى كرمزٍ أو ظلٍ للمسيح، وكان يمثل خبز الحياة، ويسندنا الموتل في هذا صلحاً بالروح: "أعطاهم خبزاً من السماء، أكل الإنسان خبز الملائكة" (مز ٧٨: ٢٤-٢٥) ... هنا الكلام موجه لنا نحن، لأنه أليس من حماقة والجهل الشديد أن يفترض أن الملائكة القديسين الذين هم في السماء، بالرغم من أن لهم طبيعة غير جسدية، يمكنهم أن يشتركوا معنا في طعامٍ ماديٍ كثيفٍ؟

القديس كيرلس الكبير

❖ إلى يومنا هذا نتقبل الطعام المنظور، فالسر شيء، وفاعلية السر أمر آخر.

كم من كثيرين يتناولون من المذبح ويموتون؟ يموتون حقاً بتناولهم إيّاه! لذلك يقول الرسول: "يأكل ويشرب دينونة لنفسه" (1 كو 11: 29). فإنه أليس ما أخذه في فمه من الرب كان سماً ليهوذاً. ومع ذلك أخذه، وعندما تتولاه دخله العدو، ليس لأن ما تتولاه أمر شير، وإنما لأنه هو شير، تتول ما هو صالح بطريقة شريرة.

إذن انظروا أيها الاخوة إنكم تتناولون الخبز السملوي بمعنى روحي، قدموا طهولة للمذبح.

فمع أن خطاياكم يومية فعلى الأقل لا تسمحو أن تكون مميتة.

قبل أن تقربوا إلى المذبح ضعوا في اعتباركم حسناً أن تقولوا: "اغفر لنا ما علينا، كما نغفر نحن أيضاً لمن لنا عليهم". أنتم تغفرون فيغفر لكم.

اقربوا في سلام، إنه خبز لا سم.

ولكن انظروا إن كنتم تغفرون، فإنكم إن لم تغفروا تكذبون، وتكذبون على ذلك الذي لا يُدع. يمكنك أن تكذب على الله لكنك لا تقدر أن

تخدعه [712].

القديس أغسطينوس

"أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء.

إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلي الأبد،

والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم". [51]

❖ أموت لأجل الجميع، لكي أحيي الجميع بذاتي. وقد صوّت جسدي فدية لأجل الجميع. لأن الموت سوف يموت في موتي، ومعني ستقوم طبيعة الإنسان الساقطة. فمن أجل هذا صوت مثلك أيها الإنسان، صوت من نرية إواهم حتى "أشابه اخوتي في كل شيء" (عب ٢: ١٧).

❖ يعطي جسد المسيح حياة لكل من يشترك فيه، لأنه يطرد الموت، حتى يأتي ويدخل إلي أناسٍ مائتين، ويزيل الفساد، إذ أن (جسد الكلمة) ممثلي بالكامل بالكلمة الذي يبدي الفساد.

القديس كيرلس الكبير

❖ لا تجعل فمك مستعداً بل قلبك... إذ نقله نعرف ما نفكر فيه. نقبل فقط القليل ونتعش في القلب. ما يقوتنا ليس ما زاه بل ما نؤمن به. لهذا فنحن لا نطلب ما يمس حواسنا الخرجية، ولا نقول: "ليؤمن الذين يرون بأعينهم ويلمسون بأيديهم الرب نفسه بعد قيامته إن كان ما يُقال هو حق إننا لم نلمسه، فلماذا نؤمن؟" [713]

القديس أغسطينوس

يشير القديس يوحنا الذهبي الفم إلى ثمار الإفلرستيا:

❖ يكون للذين يشتركون فيهما (جسد الرب ودمه) رزاة النفس، غوان الخطايا، شركة الروح، بلوغ ملكوت السماء، الدالة لديه، وليس للحكم والدينونة. [714].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يصف القديس إيريناؤس الإفلرستيا أنها خبز الخلود، كما يدعوه القديس أغناطيوس الأنطاكي نواء الخلود. [715].

❖ في الأيام الأخوة لخص كل شيء في نفسه؛ فقد جاء ربنا إلينا ليس حسب إمكانياته هو، وإنما حسبنا نستطيع نحن أن زاه. حقاً كان يمكنه أن يأتي إلينا في مجده الذي لا يُعبّر عنه، لكننا لم تكن قلوبنا أن نحتمل عظمة مجده. ولهذا السبب قدم خبز الآب الكامل نفسه لنا في شكل لبنٍ بكوننا أطفالاً صغار. هكذا كان مجيئه كإنسان لكي نتقوت، أقول، من صدر جسده، وبمثل هذا اللكتات (فرز اللبن) نعتاد أن نأكل كلمة الله ونشوبه، فنحمل في داخلنا خبز الخلود، الذي هو روح الآب. [716].

القديس إيريناؤس

"فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين:

كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل؟" [52]

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم علي هذه العيلة أنه ما كان يليق باليهود أن يتساءلوا هكذا بعد أن رأوا معزة الخوات. كما جاء في تعليقه

أيضاً:

❖ يؤمنا أن نفهم الأسوار، ما هي، ولماذا أعطيت، وما النفع منها.

نصير جسداً واحداً، و"أعضاء جسده ومن عظامه" (أف 5: 30). ليت المتناولون يتتبعون ما أقوله. لكي ما نصير هكذا ليس بالحب وحده، بل وبالفعل ذاته، لنتحد بهذا الجسد. هذا يتحقق بالطعام الذي قدمه لنا مجاناً، مشتاقاً أن يظهر حبه لنا. لهذا زوج نفسه بنا، وعجن جسد بأجسادنا، لكي نصير واحداً، كجسد يتحد بالأس... .

يقودنا المسيح إلي صداقة حميمة ليظهر حبه لنا. إنه يهب الذين وغبونه ليس فقط أن يروه بل يلمسوه ويأكلوه، ويثبتوا أسنانهم في جسده، ويقبلون ويشبعون كل حبه لهم.

لينا نعود من تلك المائدة كأسود تتنفس نرا تعب الشيطان ، مفكرين في رأسنا وفي حبه الذي أظهره لنا.

غالباً ما يقدم الآباء أبناءهم لآخرين كي يطعموهم؛ أما هو فيقول: "أما أنا فلا أفعل ذلك، أنا أطعمتكم بجسدي، مشتاقاً أن تصيروا جميعكم مولودين ميلاداً جديداً ولكم رجاء صالح في المستقبل. فإن من يعطيكم ذاته هنا كم بالأكثر يعطيكم فيما بعد.

رُدت أن أصير أخاكم، ومن أجلكم شلركتكم في اللحم والدم، وأعود فأعطيكم الجسد والدم لكي بذلك أصير قريبكم".

هذا الدم يجعل صورة ملكنا متجددة فينا، تبعث جمالاً لا يُنطق به، ولا تدع سمو نفوسنا أن يزع منا، بل ترويه دائماً وتتعشه.

الدم الذي يستخرج من طعامنا لا يصير دماً في الحال بل يصير شيئاً آخر، أما هذا فلا يفعل هكذا، إنما في الحال يروي نفوسنا، ويعمل فيها بقوة

قدوة.

هذا الدم السوي إن تناولنا بحق يطرد الشياطين، ويجعلهم بعيدين عنا، بينما يدعو الملائكة ورب الملائكة إلينا. فحالما يرون دم الرب تهرب الشياطين وتركض الملائكة معا... سفك هذا الدم وجعل السماء سهلة المنال [717].

❖ بالحق مهوبة هي أسوار الكنيسة، مهوب بالحق هو المذبح. ينوع يصعد من الفروس، ويفيض بأنهار مادية؛ من هذه المائدة يصدر ينوع يبعث انهلاً روحية [718].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ رب الجميع نفسه الذي يريدنا أن نكون هكذا يقول بالنبي إشعياء: "لأن أفكاري ليست أفكاركم، ولا طرقكم طريقي يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض، هكذا طريقي عن طرقكم، وأفكاري عن أفكاركم" (إش ٥٥: ٨-٩). لكن ذاك الذي يفوقنا بما لا يُقاس من عظمة في الحكمة والقوة، كيف لا يفعل شيئاً عجباً يفوق فهمنا؟...
إن كنت تصر أيها اليهودي قائلًا: كيف؟ فإني أيضًا أقول لك...
كيف خرجت من مصر؟
كيف تحولت عصا موسى إلى حية؟...
لو طبقت كلمة "كيف" لما آمنت أبدًا بالكتاب كله، ولطحت عنك كل كلمات القديسين.

❖ LXX الذين آمنوا الآن لهم القوة على التعلم أيضًا. لأنه هكذا يقول إشعياء النبي: "إن كنتم لا تؤمنون فلن تفهموا" (إش ٧: ٩). لهذا كان من الصواب أن يتأصل فيهم الإيمان ولأثم يأتي بعد ذلك الفهم للأمر التي يجهلونها.

القديس كيرلس الكبير

❖ وكما اضطرب نيقوديموس إذ قال: "كيف يمكن الإنسان أن يُولد وهو شيخ، أعله يقوآن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟" (يو 3: 4)، هكذا اضطرب هؤلاء إذ قالوا: "كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل؟"

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يعرف المؤمنون جسد المسيح إن لم يهملوا في أن يكونوا جسد المسيح. ليصيروا جسد المسيح إن رأوا أن يعيشوا بروح المسيح [719].

القديس أغسطينوس

"فقال لهم يسوع:

الحق الحق أقول لكم:

إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان،

وتشربوا دمه،

فليس لكم حياة فيكم". [53]

❖ إن كان بلمسة جسده المقدس وحدها (في إقامة ابنة يابرس لو ٨: ٥٤؛ وإقامة الشاب وحيد أمه لو ٧: ١٢-١٤) يعطي حياة لجسد تحلل فكيف لا ننتفع نحن بأكثر غنى بالوكرة (التناول) التي نشترك فيها، إذ حين نتنوقها أيضًا ننال الواهب الحياة؟ لأنه سوف تتحول بالتأكيد إلى خيرنا الذاتي، أي الخلود...

نحن القابلون للفساد بطبيعة جسدنا، نهجر ضعفنا الطبيعي باختلاطنا بالحياة، ونتبدل إلى خاصية الحياة. فالأمر لا يحتاج فقط إلى إعادة خلقة للنفس بالروح القدس إلى جدة الحياة، بل وأن ذاك الجسد الأرضي الغليظ يؤمره أن يتقدس ويدعى إلى عدم الفساد بواسطة الشوكرة الأكتف والأقرب.

القديس كيرلس الكبير

مقدسين، ولن يعبر بهم المهلك، فكيف لا يؤمنون بأن تناول جسد حمل الله ودمه يهبهم الحياة الأبدية.

❖ عندما أعطانا كلاً من جسده ودمه انتعاشاً صحيحاً، وباختصار حلّ سؤال عظيم بخصوص الكمال (أي كل من الرأس المسيح والجسد الكنيسة). ليت الذين يأكلون يستمرون في الأكل، والذين يشربون أن يشربوا. ليت الجائعون والظمأى يأكلون الحياة ويشربون الحياة... فإن الأمر سيكون هكذا، أي أن جسد المسيح ودمه يكونان حياة الإنسان. إن كان ما نأخذه في السرّ هو أمر منظور فإنه في الحق نفسه يؤكل ويُشرب روحياً [720].

القديس أغسطينوس

❖ الطعام المدعو "إفخرستيا"، لا يُسمح لأحد أن يشترك فيه إلا من يؤمن أن ما نعلم به هو حقيقي، وأن يغتسل بال غسل، أي غوان الخطايا للميلاد الجديد، وأن يحيا كما علمنا المسيح. فإننا لا نقبل هذا كخبز عام ولا شرب عام، بل أن يسوع المسيح مخلصنا صار جسداً بلوغوس لله؛ أخذ جسداً transmutation ودماً لأجل خلاصنا، هكذا نحن تعلمنا أن الطعام المقدس بالصلاة التي لكلماته، والذي ينتعش به جسدنا ودمنا بالتحول من جسد يسوع ودمه هذا الذي صار جسداً ودماً [721].

القديس يوستين الشهيد

❖ بخصوص صدق الجسد والدم لا يوجد أي مجال للشك. فإنه الآن بإعلان الرب نفسه وإيماننا، هو جسد حقيقي ودم حقيقي. وما يؤكل ويشرب يعبر بنا لكي نكون في المسيح والمسيح فينا. [722]

القديس هيلاري أسقف بواتيه

❖ نقدم له ما له ما معلنين باستقامة الشوكه والاتحاد للجسد والروح. فكما أن الخبز الذي ينتج عن الأرض عندما يقبل استوحام (دعوة) الله لا يعود بعد خبزاً عادياً بل إفخرستيا، يوي حقيقتين: حقيقة أرضية وحقيقة سماوية، هكذا أيضاً أجسادنا إذ تتقبل الإفخرستيا لا تعود قابلة للفساد إذ تترجي القيامة للأبدية [723].

❖ بدمه خلصنا... وإذ نحن أعضاء ننتعش أيضاً بوسائل خليفته...

إنه يعرف الكأس (وهي جزء من الخليقة) إنها دمه، التي منها يندى دمننا، والخبز (وهو أيضاً جزء من الخليقة) قد أقامه كجسده، الذي منه يهب نمواً لأجسادنا... لذلك فإن الكأس الممزوجة والخبز المكسور... يصير إفخرستيا دم المسيح وجسده، منه ينمو جسدنا ويستند، فكيف يمكن للهواة أن يؤكوا أن الجسد عاجز عن تقبل عطية الله، التي هي الحياة الأبدية، والتي ينتعش (الجسم) بجسد الرب ودمه ويصير عضواً له؟ فإن الطوبوي بولس يعلن أننا "أعضاء جسمه، من جسده وعظامه" (أف 5: 30).

لا يتحدث بهذه الكلمات عن الإنسان الروحي غير المنظور، فإن الروح ليس له عظم ولا الجسد، إنما يشير إلى ذلك التدبير الذي به صار الرب إنساناً حقاً يوي جسمًا وأعصاب وعظام، ذاك الجسد الذي ينتعش بالكأس الذي هو دمه ويتقبل نمواً من الخبز الذي هو جسده...

هكذا أيضاً أجسامنا إذا تنتعش به فإنها إذ تودع في الأرض وتحلل هناك ستقوم في الوقت المعين، يهبها لوغوس الله القيامة لمجد الله اللآب، هذا الذي يهب مجاناً المائت عدم الموت والفاسد عدم الفساد، إذ قوة الله تكمل في الضعف (2 كو 12:9) [724].

القديس إيريناؤس

❖ يوجد كأس، به تطهر حوات النفس الخفية، كأس لا حسب التدبير القديم، ولا ممتلئ من كومة عامة، بل كأس جديد، نزل من السماء إلى الأرض (يو 6: 50-51)، مملوء بالخمير المعصور من عنقود عجيب معلق في شكل جسدي على خشبة الصليب، كما يتدلّى العنب من الكومة. من هذا العنقود إذن الخمر الذي يوح قلب الإنسان (قض 13:9)، يزيل الحزن، ينسكب فينا ويحمل رائحة الدهش التي للإيمان والتقوى الحقيقية والטהلة [725].

"من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية،

وأنا أقيمه في اليوم الأخير". [54]

❖ لم يقل صار في الجسد بل صار جسداً ، لكي يوضح الاتحاد. ونحن لا نقول إن الله الكلمة الذي من الآب قد تحول إلى طبيعة الجسد، أو أن التجسد تحول إلى الكلمة... لكن بطريقة لا يُنطق بها وتفوق الفهم البشري اتحد الكلمة بجسده الخاص، وإذ ضمه كله إلى نفسه... قد طرد الفساد من طبيعتنا ورأح أيضاً الموت الذي ساد من القديم بسبب الخطية. لذلك فإن كل من يأكل من الجسد المقدس الذي للمسيح فله الحياة الأبدية، لأن الجسد له في ذاته الكلمة الذي هو للحياة بالطبيعة. لهذا يقول: "وأنا أقيمه في اليوم الأخير". وبدلاً من القول "جسدي يقيمه" أي يقيم كل من يأكل جسدي، قد وضع الضمير "أنا" في عبلة "أنا أقيمه"، لا كأنه شيء آخر غير جسده الخاص به، لأنه بعد الاتحاد لا يمكن أبداً أن ينقسم إلى اثنين. لهذا يقول: "أنا الله صوت فيه، من خلال جسدي الخاص نفسه، أي إنني سأقيم في اليوم الأخير ذاك الذي يأكل جسدي. لأنه كان من المستحيل حقاً أن الذي هو الحياة بالطبيعة ألا يقهر الفساد بشكلٍ أكيد، وألا يسود على الموت.

القديس كيرلس الكبير

رى القديس كيرلس الكبير أن السيد المسيح وهبنا جسده واهب الحياة كخمرة تُلقى فينا، فيصير العجين كله مخوراً. وكما تصير الخمرة في العجين كذلك العجين في الخمرة، هكذا يثبت المسيح فينا ونحن فيه. مرة أخرى يقدم لنا جسده ودمه كبنارٍ في أعماقنا [هكذا يخفي ربنا يسوع المسيح الحياة فينا من خلال جسده الخاص، ويغرسها كبنارٍ خلود، فيبيد كل الفساد الذي فينا].

❖ لتلا يظنوا أن الوعد بالحياة الأبدية في هذا الطعام والشباب بطريقة بها لا يموتوا الآن جسدياً، تنزل وواجه هذا الفكر عندما قال: "من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية"، للحال أكمل: "وأنا أقيمه في اليوم الأخير" [54]. بهذا فإنه حسب الروح تكون له حياة الأبدية في الراحة التي تنالها أرواح القديسين، أما بالنسبة للجسد فإنه لا تسلب منه حياته الأبدية، إنما على العكس سينالها في قيامة الأموات في اليوم الأخير [726].

القديس أغسطينوس

"لأن جسدي مأكّل حق،

ودمي مشروب حق". [55]

❖ ماذا يقول؟ إما انه يود القول بأنه طعام حقيقي يخلص النفس، إذ يؤكد لهم... أنه لا يليق بهم أن يظنوا أن كلماته لغز أو مثل، بل ليعرفوا على وجه الخصوص أنه توجد حاجة لأكل الجسد. [727]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أشبع طعام المن حاجة الجسد زماناً يسوياً جداً، أبعد ألم الجوع، لكنه صار بعدها بلا قوة، ولم يهب الذين أكلوه حياة أبدية. إذن لم يكن ذلك هو الطعام الحقيقي والخبز النزل من السماء. أما الجسد المقدس الذي للمسيح الذي يقوت إلى حياة الخلود والحياة الأبدية فهو بالحقيقة الطعام الحقيقي. لقد شربوا ماءً من صخرة أيضاً... وما المنفعة التي عادت على الذين شربوا لأنهم قد ماتوا. لم يكن ذلك الشباب أيضاً شاباً حقيقياً، بل الشباب الحق في الواقع هو دم المسيح الثمين، الذي يستأصل الفساد كله من جنوره، ويزيح الموت الذي سكن في جسم الإنسان.

القديس كيرلس الكبير

"من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه". [56]

❖ يقوت المسيح كنيسته بهذه الأسوار، فيهبه يتقوى جوهر النفس... لهذا فإن الكنيسة أيضاً إذ تنتظر نعمة عظيمة كهذه تحت أبناءها وأصدقاءها أن يأتوا معاً إلى الأسوار، قائلة: "كلوا يا أصدقاء، وأشربوا، نعم

اشربوا يا اخوة بفيض" (نش 5:1) . ما نأكله وما نشربه قد أوضحه الروح في موضع آخر قائلاً: "نوقروا وانظروا فإن الرب صالح، طوبى للرجل الذي يصنع رجاءه فيه" (مز 34:8).

في هذا السرّ المسيح إذ هو جسد المسيح، لذلك فهو ليس بالطعام الجسماني بل الروحي... ذلك الطعام كما يسجل النبي يقي قلوبنا، وهذا الشواب يبهج قلب الإنسان (مز 15:104) [728].

القديس امبروسيو

❖ يا له من تنزل مهيب! الخالق يعطي ذاته لخليقته لأجل بهجتهم.

يعطي الحياة نفسه للقلابين للموت، كطعامٍ وشوابٍ، فيحسنا: "تعالوا كلوا جسدي واشربوا الخمر الذي مزجته لكم. أعددت نفسي طعاماً. مزجت نفسي لمن وغبونني. برادتي صوت جسداً، صوت شريكاً لجسدكم، وأنا حبة الحنطة الواهبة الحياة، أنا هو خبز الحياة. اشربوا الخمر الذي مزجته لكم

فإنني مشرب الخلود، أنا الكرمة الحقيقية (يو 15:1)، 1 اشربوا الخمر الذي مزجته لكم (أم 9:5) [729].

❖ أقل كمية من البركة (الإفخارستيا) تخلط جسمنا كله معها، وتملاً بفعلها المقتدر. هكذا جاء المسيح ليكون فينا ونحن أيضاً فيه.

القديس كيرلس الكبير

❖ في هذه الأيام يطعمكم المعلمون، يطعمكم المسيح يومياً. مائدته دائماً معدة أمامكم.

لماذا إنكم ترون أيها السامعون المائدة ولا تأتون إلي الوليمة؟...

ما يقوله الرب يعرفه المؤمنون حسناً. أما أنت أيها الموعوظ المدعو سامعاً فأنت أصم. فإنك تفتح أذني الجسم، متطلعا أنك تسمع الكلمات التي

قيلت، لكن أذني قلبك مغلقتان، إذ لا تفهم ما يُقال...

هوذا عيد القيامة على الأبواب، قدم اسمك للعماد... لكي تفهم معني: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه" [56] [730].

❖ كيف يؤمننا أن نفهمه؟

هل تشمل هذه الكلمات (" من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه") حتى أولئك الذين قال عنهم الرسول: "يأكلون ويشربون دينونة

لأنفسهم" (١ كو ١١: ٢٩) عندما يأكلون هذا الجسد ويشربون هذا الدم؟ هل يهوذا الذي باع سيده وخانه (مع أن لوقا الإنجيلي يعلن بكل وضوح أنه أكل وشرب مع بقية تلاميذه سرّ جسده ودمه الأول بيدي الرب) هل ثبت في المسيح والمسيح فيه؟

هل كثيرون من الذين يتناولون ذلك الجسد ويشربون ذلك الدم في رياء أو الذين بعد تناولهم من الجسد والدم يوتنون يثبتون في المسيح والمسيح

فيهم؟ [731]

القديس أغسطينوس

"كما أرسلني الآب الحي،

وأنا حي بالآب،

فمن يأكلي فهو يحيا بي". [57]

جاء تعبير "أنا حي بالآب" في اليونانية تحمل معنى أن علة حياته الآب، فالابن لا يحيا وحده، لكن حياة الآب هي حياة الابن بلا انفصال.

❖ حينما يقول الابن أنه أرسل يشير إلى تجسده... من يأخذني في نفسه بالاشترائك في جسدي سيحيا، ويُطعم بالكامل فيّ، أنا القادر أن أهبه حياة، لأنني من أصل واهب الحياة، أي الله الآب.

القديس كيرلس الكبير

❖

يسأل البعض: كيف يكون الابن مساوياً للآب عندما يقول أنه يحيا بالآب؟

ليت هؤلاء الذين يعترضون علينا في هذه النقطة يخبرونا أولاً ما هي حياة الابن؟ هل هي حياة مموحة بواسطة الآب لمن هو في حاجة إلى حياة؟ بل كيف يمكن للابن أن يكون في حاجة أن يملك حياة وهو نفسه الحياة، إذ يقول: "أنا هو الطريق والحق والحياة"؟

حقاً حياته أبدية، وسلطانه أبدي. هل وجد وقت كانت فيه الحياة لا تملك ذاتها؟

تأملوا ما قرأ اليوم بخصوص الرب يسوع أنه "مات لأجلنا حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه" (1 تس 5:10). ذاك الذي موته هو حياة، ألا يكون لاهوته حياة، متطلعين إلى لاهوته أنه حياة أبدية؟

لكن هل حياته بالحقيقة هي في سلطان الآب؟ لماذا؟

لقد أظهر أنه حتى حياته الجسدية ليست في سلطان آخر كما سُجل لنا: "أضع حياتي لكي آخذها. لا يأخذها إنسان مني، بل أنا أضعها بنفسي. لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أيضاً أن آخذها. هذه الوصية قبلتها من أبي".

إذن كيف يُنظر إلى حياته الإلهية كمن تعتمد على سلطان آخر إن كانت حياته الجسدية لا تخضع لسلطان غير سلطانه؟ إنما يوجد سلطان آخر من أجل وحدة السلطان. وذلك كما أعطانا أن نفهم بأن وضع حياته تحقق بسلطانه وبكامل حورية رادته، هكذا أيضاً يعلمنا أنه يضعها في طاعة لأمر أبيه،

هنا الوحدة بين رادته وِرادة أبيه [732].

القديس أمبروسيوس

"هذا هو الخبز الذي نزل من السماء،

ليس كما أكل آ بلؤكم المن وماتوا،

من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد". [58]

❖ سبق فأخبر النبي ملاخي أحد الأثني عشر: "ليست لي مسوة بكم قال الرب القدير، ولا أقبل تقدمه من يدكم، لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها

اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يُؤوب لاسمي بخور وتقدمه طاهرة، لأن اسمي عظيم بين الأمم" (مل 1: 10-11). تشير هذه الكلمات بطريقة

واضحة أن الشعب القديم (اليهود) سيتوقفون عن تقديم التقدمة لله، وإنما في كل موضع ستقدم إليه ذبيحة طاهرة، وإن اسمه سيتمجد بين الأمم. ولكن

أي اسم لآخر يتمجد بين الأمم مثل ذلك الذي لوبنا، الذي به يتمجد الآب والإنسان أيضاً؟ ولأن هذا هو اسم ابنه الذي صار جسداً بواسطته لذا يدعوه

"اسمه" [733].

القديس إيريناؤس

❖ يليق بالأبدي أن يعطي ما هو أبدي، لا أن يعطي تمتعاً بطعامٍ وقتي بالكاد يقدر أن يدوم لحظات قليلة... يليق بالذي قول أنذاك أن يجعل المشتركين

في تناوله أسمى من الموت والاضمحلال.

القديس كيرلس الكبير

❖ إذن نحن نحيا به، بتناولنا إياه، أي بوالنا الحياة الأبدية، التي ليست لنا من نواتنا.

من جهة هو حي بالآب الذي أرسله، إذ أخلى نفسه، وأطاع حتى موت الصليب" (في 2: 8)...

بقوله "أنا حي بالآب" يعني أنه من الآب، وليس الآب منه؛ يقال هذا نون مساس مسواته له. وأما بقوله: "من يأكلني فهو يحيا بي" لا يعني أن

مسواته للآب كمسواتنا نحن له، وإنما يظهر نعمة الوسيط "هذا هو الخبز الذي نزل من السماء" [58].

بأكله نحيا، إذ لا نستطيع أن نكون لنا الحياة الأبدية من أنفسنا. يقول: " ليس كما أكل آ بلؤكم المن وماتوا، من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى

الأبد" [58]. لأن هؤلاء الآباء موتى، ويُفهم منه أنهم لا يعيشوا إلى الأبد (بواسطة المن). أما الذين يتناولون المسيح فبال تأكيد يموتون وقتياً لكنهم يحيون

أبديةً، لأن المسيح هو حياة أبدية [734].

القديس أغسطينوس

" قال هذا في المجمع وهو يعلم في كفرناحوم ". [59]

❖ رُؤيه يعلم الجميع علناً في المجمع، كما يقول هو نفسه بالنبي إشعياء أيضاً: "لم أتكلم بالخفاء في مكانٍ مظلم من الأرض" (إش ٤٥: ١٩)، لأنه كان يتكلم بتلك الأمور علناً.

القديس كيرلس الكبير

روى القديس يوحنا الذهبي الفم أن السيد المسيح ألقى حديثه في المجمع لسببين: الأول لكي يقتنع أكبر عدد ممكن من أعدائه، والثاني أنه أراد تأكيد عدم معرضته للآب. فإن كانوا يخدمون الله في الهيكل، فهو لا يتحاشى الهيكل بل يحسبه بيت أبيه الذي يعلم فيه.

5. تدمير البعض

"فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا:

إن هذا الكلام صعب،

من يقدر أن يسمعه؟" [60]

واضح أنه بجوار الاثني عشر تلميذاً كثيرون كانوا يصحبونه. استصعب بعضهم حديثه بخصوص شخصه كسماوي، وتقديم جسده ودمه حياة أبدية، فتركوه.

❖ يبهج الإنسان الروحي نفسه بكلمات مخلصنا، ويصيح عن حق: "ما أحلى قولك لحنكي، أحلى من العسل لعمي" (مز ١١٩: ١٠٣). أما الجسداني ففي جهل يحسب السرّ الروحي حماقة... يليق بالذي يركض نحو استقامة الإيمان الذي في المسيح أن يسافر عبر طريق ملوكي.

القديس كيرلس الكبير

❖ يعطينا الرب جسده لناأكل، مع هذا إن فهمناه حسب الجسد فهذا موت، بينما يقول عن جسده أن فيه حياة أبدية. لهذا يؤمننا ألا نفهم الجسد جسدياً [735].

القديس أغسطينوس

" فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا،

فقال لهم أهذا يعثركم؟" [61]

بقوله هذا لتلاميذه أوضح لهم أنه السموي العرف بالقلوب. وإذ لا يمكن أن يُخدع بالمظهر لا يخدع هو أيضاً غيره. بهذا أوضح لهم أنه الله وتعليمه هو الحق.

" فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا" [٦١]. علم أكلهم الداخلية بسلطانه الإلهي، إذ لا يُخفى عنه شيء ما، وليس خلال إعلان إلهي كما كان يحدث مع بعض الأنبياء. إنه الكلمة الإلهي الذي يميز أفكار القلب (عب ٤: ١٢-١٣). لذا لاق بنا أن نقدرنا بروح القوس، وليس فقط كلماتنا المنطوق بها وتصرفاتنا الظاهرة.

"فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً". [62]

هنا يقدم تلميحا لصعوده إلى السماء، لأن التمتع بجسد الرب ودمه يهبنا رفع القلب والذهن وكل الكيان الداخلي للتمتع بالشركة مع المسيح

السموي.

❖ استخدم المسيح هذا المعنى في وقت خطابه مع نثنائيل، إذ قال له: هل آمنت لأنني قلت لك إنني رأيتك تحت التينة؟ سوف ترى أعظم من هذا" (يو 1: 50). وفي وقت مفاوضته نيقوديموس قال: "وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي قول من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو 3: 13).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لم يعرفوا جمال السرّ، ولا ذلك التدبير البديع جدًّا الخاص به. إلى جانب ذلك فإنهم قد تناقوا هذا الأمر مع أنفسهم، كيف يمكن للجسد البشري أن يغرس فينا حياة أبدية، كيف يمكن لشيءٍ من نفس طبيعتنا أن يهب خلودًا؟ وإذ يعرف المسيح أفكلهم، لأن كل شيء عريان ومكشوف لعينيه (عب 4: 13)، فإنه يشفي أسقامهم أيضًا مرة أخرى، فيقودهم بيده بطرقٍ متنوعة إلى فهم هذه الأمور التي كانوا لا زالوا يجهلون بها بعد... إن كنتم تفرضون أن جسدي لا يستطيع أن يهبكم حياة، فكيف له أن يصعد إلى السماء كطائرٍ؟ لأنه إن كان لا يقدر أن يحيي، لأنه ليس من طبيعته أن يحيي، فكيف سيخلق في الهواء، وكيف يصعد إلى السماء؟ لأن هذا أيضًا مستحيل. لكن ذاك الذي جعل الجسد الأرضي سماويًا، فسيجعله واهبًا للحياة أيضًا حتى إن كانت طبيعته تتحلل، فيما يختص بتكوينه الخاص.

القديس كيرلس الكبير

❖ قال لهم إنه سيصعد إلى السماء، حتمًا بكنيته. " فإن رأيتم ابن الإنسان صاعدًا إلى حيث كان أولًا" [62]. عندئذ بالتأكيد على الأقل سترون أنه لا يكون ذلك بالطريقة التي تظنون أنه يبرز جسده. بالتأكيد عندئذ سيبركون أن نعمته لا تُستهلك بالأكل [736].

القديس أغسطينوس

" الروح هو الذي يحيي،

أما الجسد فلا يفيد شيئاً،

الكلام الذي أكلكم به هو روح وحياة". [63]

❖ حينما تمنعون النظر في سرّ التجسد، وتعرفون من هو ذاك الذي حلّ في هذا الجسد، تشعرون حتمًا ودون أن تنتهوا الروح الإلهي نفسه أيضًا، أن الجسد يمكنه أن يهب حياة، مع أن الجسد في حدّ ذاته لا يفيد شيئًا البتة. لأنه إذ اتحد الجسد بالكلمة واهب الحياة صار واهبًا للحياة كلية، مرتفعًا إلى قوة الطبيعة الأكثر علوًا، دون أن يؤم ذاك الذي لا يمكن إخضاعه بأي حال إلى التحول إلى طبيعته الخاصة.

القديس كيرلس الكبير

❖ " الروح هو الذي يحيي، وأما الجسد فلا يفيد شيئاً". هذا هو ما يقوله: يوجد احتياج أن تستمروا في الاستمتاع روحياً بالأمور الخاصة بي، لأن من يسمع جسداني لا ينتفع شيئاً، ولا ينتفع بأي صلاح". إنه لأمر جسداني أن تحتقوا من قول من السماء، وتظنوه انه ابن يوسف.

كيف يمكن لهذا أن يعطينا جسده لناكل؟ [52]. كل هذه الأمور جسدانية، بينما يوجد احتياج لفهمهما سواويًا وروحياً...

" الكلام الذي أكلكم به هو روح وحياة" [63]، بمعنى إنها كلمات إلهية روحية، ليس فيها شيء جسدي، ولا تتبع نظام الطبيعة، بل هي متحررة

من مثل هذه الضرورة، وهي فوق القوانين تولت لأجل هذا العالم، ولها أيضًا معني آخر مختلف.

الآن كما في هذه العبارة قال "روح" عوضًا عن "روحي"، لذلك عندما يتحدث عن جسد لا يقصد أمورًا جسدية بل الاستماع الجسداني، مشوًا في

نفس الوقت إليهم، لأنهم دائمًا يطلبون الجسديات عندما كان يؤمهم أن يطلوا الروحيات. فإن من يتقبلها جسدانيًا لا ينتفع شيئاً.

ماذا إذن هل جسده ليس بجسد؟ بالتأكيد هو، فكيف يقول إن "الجسد لا ينفع شيئاً"؟ إنه لا يتحدث عن جسده، حاشا! بل عن الذين يقبلون

كلماته بطريقة جسدانية. ماذا "ي" فهم جسدانيًا؟ النطلع إلي ما هو أمام عيوننا مجردًا دون تصور ما هو وراءه، هذا هو الفهم الجسداني. ولكن يليق بنا ألا

نحكم هكذا بالنظر بل نتطلع إلي كل الأسوار بالعيون الداخلية. هذا هو "النظر روحياً" [737].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يتساءل القديس أغسطينوس : كيف يقول السيد المسيح: " أما الجسد فلا يفيد شيئاً [62]، بينما الكلمة صار جسداً، وهو نفسه يقدم لنا جسده؟ يجيب على ذلك بأن الحديث هنا مثل القول بأن العلم (المعرفة) ينفخ، بينما المحبة تبني (1 كو 8: 1)، فالعلم بدون محبة ينفخ، لكن هذا لا ينفي أهمية العلم. هكذا الجسد بدون الروح لا ينفخ شيئاً، فمن يقبل جسد المسيح بطريقة جسدية كمن يأكل طعاماً مادياً بحثاً، فتناوله لا يفيد شيئاً . [لتنصف الروح إلى الجسد، كما يُضاف الحب إلى العلم. إن كان خلال الجسد ينفخنا المسيح جداً فهل لا يفيد الجسد شيئاً؟ إنه بالجسد يعمل الروح لخلصنا. كان الجسد إناءً، تأملوا ما يحويه، لا ما هو عليه (وحده). أليس أرسل التلاميذ، فهل أجسادهم لم تنفع شيئاً؟ إن كانت أجساد الرسل نفعتنا فهل يمكن لجسد المسيح ألا ينفخ شيئاً؟... لهذا "الروح هو الذي يحيي، أما الجسد فلا ينفخ شيئاً"، وذلك حسبما يفهمون الجسد، وليس كما أعطي جسدي لكي يؤكل [738].

❖ إنه الروح هو الذي يجعلنا أعضاء حيين... قيل هذا لكي نحب الوحدة ونخشى الانشقاق. فإنه ليس شيء يؤم أن يخافه المسيحي مثل الانفصال عن جسد المسيح، وإذ لا يكون عضواً في المسيح لا يحيا بروح المسيح. يقول الرسول: "إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له" (رو 8:

[739] 9).

القديس أغسطينوس

"ولكن منكم قوم لا يؤمنون،

لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون،

ومن هو الذي يسلمه". [64]

الحديث هنا خاص بيهودا الذي سيسلمه وأيضاً عن الذين تركوه، معلناً أن ما سيحدث ليس بغريب عنه، لأنه من البدء عالم بكل هذا. كما يكشف أن ما يحدث هو بكامل حريتهم. كل النفوس مكشوفة أمام السيد المسيح، فهو يعلم الأمناء المخلصين في إيمانهم، والمخادعين الذين يسلكون في رياء.

❖ لم يقل: منكم قوم لا يفهمون، بل أخبرنا عن السبب لماذا لا يفهمون. "ولكن منكم قوم لا يؤمنون" (يو 6: 64)، لذلك لا يفهمون، إذ هم لا يؤمنون. LXX إذ يقول النبي: "إن لم تؤمنوا لا تفهمون" (إش 7: 9). نحن نتحد بالإيمان، ونحيا بالفهم. لنقترب إليه أولاً بالإيمان حتى نحيا بالفهم. لأن من يقترب لا يفهم، ومن يقاوم لا يؤمن. كيف يمكن للمقاوم أن يحيا؟ إنه خصم لشعاع النور الذي به يفهم، إنه لا يغمض عينيه بل يغلق ذهنه. لذلك "منكم قوم لا يؤمنون". ليؤمنوا ويفتحووا، لينفتحووا ويستنبطوا [740].

❖ كان يهودا حاضراً هناك... صمت الرب عن ذكر اسمه. لقد وصفه ولم يذكر اسمه، ومع ذلك لم يصمت عن الحديث عنه. حتى يخاف الكل وإن كان واحد هو الذي يهلك [741].

القديس أغسطينوس

"فقال: لهذا قلت لكم

إنه لا يقدر أحد أن يأتي إليّ إن لم يعط من أبي". [65]

لا يعني هذا أن الله يميز بين فريق وآخر، إنما من يطلب يجد، ومن يسأل عن الحق يسلمه الأب للحق ويثبتته فيه فلا يسقط.

❖ كما كان الأمر بالنسبة للذين لم يؤمنوا بالله في البرية أنهم حرموا من دخول أرض الموعد، هكذا أيضاً بالنسبة للذين لا يكفون المسيح لعدم إيمانهم لا يُمنح لهم دخول ملكوت السموات.

القديس كيرلس الكبير

❖ إنه لأمر عجيب، عندما يُركز بالمسيح المصلوب، اثنان يسمعان، واحد يحتقر والثاني يصعد. ليت الذي يحتقر ينسب لنفسه هذه التهمة (عدم الإيمان)، وأما الذي يصعد لا ينتحل (إيمانه) لنفسه. إذ يسمع من السيد نفسه: "لا يقدر أحد أن يأتي إليّ ما لم يعط من أبي" [٦٥]. ليؤح أنه نال. ليتقدم شكراً

لذاك الذي وهبه هذا، بقلبٍ متواضعٍ لا متعريفٍ، لئلا ما ناله خلال التواضع يفقده بالكوياء.

❖ أن تؤمن فذاك يُعطى لنا، فإننا إذ تؤمن فهذا شيء. وإن كان هذا شيئاً عظيماً فلتوخوا أنكم تؤمنون، وإن كنتم لم توفعوا بعد، لأنه "أي شيء لك لم تأخذه؟" (1 كو 4: 7) [742].

❖ لكي يعلمنا أن هذا الإيمان عينه هو عطية وليس عن استحقاق يقول: "لهذا قلت لكم انه لا يقدر أحد أن يأتي إليّ إن لم يعط من أبي" [٦٥]. الآن أين قال الرب هذا، فإننا إذ نتذكر كلمات الإنجيل نجد الرب يقول: "لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب" [٤٤]. لم يقل: "يقود" بل "يجتذب". هذا العنف (للجذب) يحدث للقلب لا للجسم. لماذا إذن تتعجبون؟ آمنوا فتأتوا؛ حيوا فتُجذبوا.

لا تفترضوا هنا نوعاً من العنف القاسي أو الصعب بل هو عنف رقيق، إنه عذب، إنها العنوبة عينها هي التي تجتذبكم.

ما الذي يجتذب القطيع عندما يُظهر له العشب الطُرح أثناء جوعه؟ مع هذا فإنني لا أتصور اجتذاباً جسدياً، بل هو ارتباط سريع بالوغبة (في

الأكل).

بهذه الطريقة تأتون أنتم أيضاً إلى المسيح.

لا تفهموا ذلك انه رحلات طويلة، وإنما أينما تؤمنون تأتون. فإننا نأتي إلى ذاك الذي هو في كل موضع، نأتي إليه بالحب لا بالإبحار. فإنه في

مثل هذه الرحلة أمواج التجرب المتنوعة هياجها شديد.

آمن بالمصلوب، فيستطيع إيمانك أن يصعد بك إلى الخشبة.

إنك لن تغرق، بل تحملك الخشبة. هكذا وسط أمواج هذا العالم كان يبحر ذاك القائل: "وأما أنا فحاشا لي أن أفتخر إلاً بصليب ربنا يسوع

المسيح" [743]

القديس أغسطينوس

" من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الهراء،

ولم يعونوا يمشون معه". [66]

❖ حسناً يقول الإنجيلي ليس انهم رحلوا بل رجعوا إلى الأمور التي تركوها إلى خلف"، معلناً أنهم حرموا أنفسهم من أي نمو في الفضيلة، وباعوا لهم [744] فقدوا الإيمان الذي كان لهم قديماً. لكن هذا لم يحدث للإثني عشر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وى القديس كيرلس الكبير أنه كما يهوب ضعيفو البصر من الشمس ويُسرون بالجلوس في الأماكن المظلمة، هكذا بالنسبة لموضى الذهن يهرون من المسيح شمس البرّ، الذي يكشف السرّ الإلهي العظيم. هكذا أيضاً فعل شعب إسرائيل عندما عاد يشوع بعد تجسس أرض الموعد، فقد ثلروا عليه، ورجعوا إلى الهراء وخسروا مصاحبتهم ليشوع كي يعبروا إلى أرض الموعد.

❖ ما هو ثمين في عيني الله ليس على الإطلاق عدد العابدين، بل سمو إيمانهم الصحيح حتى وإن كان عدد المؤمنين قليلاً. لهذا يقول الكتاب الإلهي أن كثيرين مدعون وقليلين جدّاً الذين يقبلون.

القديس كيرلس الكبير

❖ ربما كُتب هذا لتعزيتنا. لأنه أحياناً يحدث أن يعلن إنسان الحق فلا يفهم قوله، فيعرضه سامعه ويتركه. يتأسف الإنسان أنه قال الحق، ويقول في نفسه: "كان يليق بي ألا أتكلم هكذا، كان يؤمني ألا أقول هذا".

انظروا فإن هذا قد حدث مع الرب. لقد تكلم وفق الكثرين، وبقي معه قليلون. ومع هذا لم يضطرب، لأنه عرف من البداية من الذين يؤمنون

[745]

ومن الذين لا يؤمنون. إن حدث هذا معنا فإننا نزعج بولرة. لنجدراحة في الرب ولننكلم بوقار .

القديس أغسطينوس

6. إلى من نذهب؟

"فقال يسوع للاثني عشر:

ألعلم أنتم أيضًا تريدون أن تمضوا؟" [67]

جاء حديث السيد المسيح مع الاثني عشر متشددًا، فهو يطلب مؤمنين يتقون فيه، ويثبتون في الحق بكامل حوية رادتهم دون ضغط أو حرج. لقد اختزلهم من العالم، وسلمهم الأسوار الفاتكة وقدم لهم إمكانياته وتلامسوا مع حياته الإلهية، وبقي لهم أن يقرروا بأنفسهم دون تردد، لأنهم قادمون على السير في طريق الصليب.

لم يقل شيئًا للذين رجعوا إلى الراء، فإنه لا يؤم أحدًا بالإيمان، لكنه استخدم ذلك لتثبيت إيمان تلاميذه.

❖ فإن قلت: فلماذا لم يمدحهم؟ أجبتك: إنه جمع في ذلك غرضين، أولهما: حفظ الرتبة اللائقة بالمعلم، لأنه لو كان مدحهم لظنوا أنهم قد أسوا إليه عطية، ثانيهما إيضاحه أنه ليس محتاجًا إلى إتباعهم إياه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه لم يوبخ الذين تركوه ولا هددهم بطريقة عنيفة بل بالأحرى اتجه نحو تلاميذه قائلاً: " أتريدون أنتم أيضًا أن تمضوا؟" (يو 6: 67)، محترمًا بالحق القانون الذي به يملس الإنسان حريته ويبقى في حوية رادته يختار الموت أو الخلاص [746].

الشهيد كيريانوس

"فأجابه سمعان بطرس:

يارب إلى من نذهب،

كلام الحياة الأبدية عندك؟" [68]

امتاز القديس بطرس بغيرته المتقدمة واستعداده الدائم، لذا أجاب في الحال ليس فقط عن نفسه، بل وعن التلاميذ. لقد أترك أنهم لن يستطيعوا التمتع بالحياة الأبدية بدون المخلص المسيا. من يلتصق به لا يقدر الموت الأبدي ولا الجحيم ولا العذابات الأبدية أن تلتحق به. لا يستطيع العالم ولا الجسد ولا الشيطان أن يقدموا حياة أبدية.

لم يقبل البعض حديث السيد المسيح فوجعوا عنه، بينما زاد البعض اقترابًا إليه وأدركوا مع بطرس الرسول قوة كلمته واهبة الحياة الأبدية. يقدم حديثه رائحة حياة حياة رائحة موت لموت.

تحدث القديس بطرس باسم كل نفسٍ ملتصقة بالسيد المسيح، كما تحدثت راعوث مع حماتها: "لا تلحي عليّ أن أتاركك ولرجع عنك لأنه حيثما ذهبت أذهب، وحيثما بتّ أبيت" (ا ١: ١٦). وفي شجاعة رفض نحميا أن يتوك موقع العمل ويختفي في الهيكل ويغلق أبوابه عليه لئلا يقتلوه، قائلاً: "أرجل مثلي يهرب؟" (نح ٦: ١١).

" يارب إلى من نذهب؟" [٦٨] إن ذهبنا إلى الآباء البطركة بردونا إليك لأن إواهم رأى يومك فتهلل، وإن ذهبنا إلى موسى يقدم لنا الناموس قائدنا إليك. وإن ذهبنا إلى رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين نجلس عند أقدامهم، ماذا يقدمون سوى رياءهم وبغضهم للحق؟ من يعلن لنا الحق سواك؟ ومن يهبنا الحياة الأبدية إلا أنت؟

❖ يؤمننا أن نجلس بجوار المعلم الواحد الوحيد، المسيح، ونلتصق به بلا انقطاع ولا انفصال عنه، ونجعله سيدنا الذي يعرف حسنًا كيف يقود أقدامنا

إلى الحياة التي بلا نهاية... لأنه هكذا يليق بنا أن نوتقي إلى المنزل السماوية الإلهية، ونسعى إلى كنيسة الأبرار لنعيد بالصالحات التي تفوق إوراك الإنسان.

❖ كأنهم يقولون: معك سنبقى، وبوصاياك نلتصق إلى الأبد، ونقبل كلماتك دون أن نعثر بها.

القديس كيرلس الكبير

وى القديس كيرلس الكبير أن ما حدث في أثناء رحلة بني إسرائيل في البرية كان رمزاً للحقيقة التي نعيشها الآن. فقد جاء في سفر العدد أن القائد الحقيقي للشعب هو الله نفسه. فقد ظهر على شكل سحابة تظللهم، متى ارتفعت عن الخيمة تحركت المحطة، ورحل الجميع، وحيث حلت السحابة ينصون خيامهم (عد 9: 15-18). هكذا نلتصق نحن بالرب، ولا نتحرك في موضع دون أمره [لا يمكننا أن نترك الرب، بل بالأحرى نجتهد أن نبقي معه روحياً. هذا بالحق لائق بالأكثر بالقديسين].

"ونحن قد آمنّا،

و عرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي". [69]

بحكمة روحية يقدم الرسول بطرس الإيمان عن المعرفة دون تجاهل للور المعرفة. فقد آمنوا بابن الله الحي، وعرفوا أسوره بالالتصاق به والشركة معه.

❖ نادى الكلمة بهذه التعاليم من خلال الشبابيك إلى عروسه، وهى الحمامة، فاستجابت لجمالها، لأنها استنزلت بشعاع الفهم وتعرفت على الصخرة وهو المسيح. إنها تقول: "لني وجهك، اسمعني صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل" (نش 2: 14). ...رأى سمعان مثل ما أرادت العروس أن ترى. [747]

وهؤلاء الذين استقبلوا صوت المسيح الحلو تعرفوا على نعمة الإنجيل وصخوا: "يارب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك" (يو 6: 68).

القديس غريغوريوس النيسي

❖ يقولون أنهم يؤمنون ويعرفون، فربطون الأمور معاً. لأنه يجب على الإنسان أن يؤمن وأيضاً أن يفهم. ليس معنى أننا نقبل الأمور الإلهية بالإيمان أن نبعد تماماً عن أي فحص لها، بل نحاول بالأحرى أن نبلغ إلى معرفة معتدلة، كما يقول بولس: "كما في مرآة كما في لغز" (1 كو 13: 12). حسناً إنهم لم يقولوا عرفوا أولاً ثم آمنوا، إذ يضعون الإيمان أولاً ويلحقونه بالمعرفة، ولكن ليس قبل الإيمان. كما هو مكتوب: "إن لم تؤمنوا لن LXX تفهموا" (إش 7: 9).

القديس كيرلس الكبير

❖ ليس أننا عرفنا وآمنّا بل "آمنّا و عرفنا" [69]. لقد آمنّا لكي نعرف؛ لأننا إن أردنا أن نعرف أولاً وعندئذ نؤمن، لن نستطيع أن نعرف ولا أن نؤمن...

[748] ماذا آمنّا و عرفنا؟ "أنت المسيح ابن الله الحي" [69]، بمعنى أنت هو الحياة الأبدية عينها، تهبها في جسدك ودمك فقط للذين هما أنت.

القديس أغسطينوس

"أجابهم يسوع:

أليس إنني أنا اخترتكم الاثني عشر وواحد منكم شيطان؟" [70]

صحح السيد المسيح حديث القديس بطرس معلناً أنه وهو الذي اختارهم تلاميذ له يعلم أنه يوجد بينهم شخص قَبِلَ أن يكون أداة في يد الشيطان القتال منذ البدء، والذي لا يعرف الحب بل البغضة والخيانة.

❖ أسأله لماذا اختار يهوذا الخائن؟ لماذا عهد إليه بالقرانة مع معرفته أنه لص؟ هل أخوك بالسبب؟ الله يحكم حسب الحاضر لا حسب المستقبل. إنه لا يستخدم سابق معرفته ليدين إنساناً مع معرفته أنه فيما بعد يفعل ما لا يسوه.

لكنه في صلاحه ورحمته التي لا يُنطق بها يختار إنساناً يعرف أنه إلى حين هو صالح، لكنه سيتحول إلى الشر، مقدماً له فرصة التغيير والتوبة. هذا ما يعنيه الرسول بقوله: "غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؛ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيحكي كل واحدٍ حسب أعماله" (رو2:4-6).

آدم لم يخطئ لأن الله سبق فعرف أنه سيفعل هكذا. الله بكونه الله سبق فعرف ما سيفعله آدم بكامل حرية رادته [749].

القديس جيروم

❖ إنه يظهر أن الذين ينسحبون من المسيح يهلكون بخطأهم، أما الكنيسة التي تؤمن به والتي تتمسك بما تعلمته مرة فلن تنسحب منه نهائياً. والذين يبقون في بيت الله هم الكنيسة [750].

الشهيد كيريانوس

❖ بتوبيخه يوقظ فيهم الصورة، ويجعل كل واحدٍ منهم أكثر ثباتاً بالنسبة لنفسه. لأنه لم يقل بعد بصراحة من الذي سيخونه، بل يلقي بنير الإثم على واحدٍ وحده دون تحديد، فيضعهم جميعاً أمام التحدي، ويدعوهم إلى مزيد من الاهتمام والحذر، إذ يتعد كل واحدٍ منهم خشية خسلة نفسه.

❖ دعا الذي يفعل رادة الشيطان "شيطاناً"، وهذا حق لأنه كما أن "من التصق بالوب فهو روح واحد" (١ كو ٦: ١٧)، فالعكس صحيح أيضاً.

القديس كيرلس الكبير

❖ لاحظوا حكمته، فإنه لم يعلن عن الخائن (لم يذكر اسمه)، ومع هذا لم يجعله مخفياً، فمن جانب لا يفقد كل حياته ويصير محتقواً، ومن الجانب الآخر لئلا يظن أن أمه غير مترك فيملس شوه بلا خوف. لهذا كان السيد يوبخه بوضوح تريجيا [751].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال عن يهوذا سمعان الاسخريوطي،

لأن هذا كان مزعماً أن يسلمه،

وهو واحد من الاثني عشر". [71]

أكثر السيد المسيح من الإثارة إلى الخائن دون تلميح نحو اسمه لكي يعطي يهوذا فرصة للتوبة ومراجعة نفسه إن أراد.

يتساءل البعض: لو أن يهوذا تراجع فكيف كان يمكن تحقيق النوات؟ وكيف يتم خلاصنا؟ حتماً كان يقبله الله وكانت خطة الخلاص تتحقق بطريق آخر، وتمت النوات في شخص آخر، لأنها لم تشر إلى اسمه.

❖ كان جاحداً لمن قدم له نفعاً عظيماً وكرامة عظيمة؛ لقد أخذ المال وفقد البر. بكونه ميتاً خان الحياة. فإن الذي تبعه كتلميذ له اضطهده كعدو. كل هذا الشر هو من يهوذا، لكن الوب استخدم شوه للخير. احتمل أن يكون موضع خيانة لكي يخلصنا. انظروا فإن شرّ يهوذا تحول إلى صلاح. كم من شهداء اضطهدهم الشيطان. لو أن الشيطان توقف عن الاضطهاد لما كنا اليوم نحتفل بأكاليل الشهداء...، فإن ما يفعله الشرير من الشر يضوه هو ولا يناقض صلاح الله [752].

❖ لننتفع أيها المحبوبون جداً بهذا الهدف، ألا نتناول جسد المسيح ودمه في الأسوار مجرداً، كما يفعل كثير من الأشرار، بل نتناولهما بشركة الروح، فنثبت كأعضاء في جسد الوب، ونحيا بروحه، فلا نتعثر إن تناول كثيرون الآن الأسوار بطريقة زمنية، هؤلاء الذين ينالون في النهاية عقوبة أبدية. حالياً جسد المسيح كما لو كان مختلطاً في موضع الدرس، "لكن الوب يعرف من هم له" [753].

القديس أغسطينوس

جسدك العجيب يقدّس جسدي!

❖ عيناك تتطلعان دومًا إلى الجوع القادمة إليك.
يقترّبون إليك فلا وجعون فرغين.
أنت مشبع الجياح، ومُروي الظمأى.

❖ إني كغلامٍ صغير أقدم لك الخمس خزات والسمكتين.
أقدم لك أسفار موسى الخمسة وإنجيلي الذي وهبتي إياه.
افتح عن بصيرتي لأجد في كتابك طعامًا يشبع الملايين!
نعم هب لي مع شعبك أن أجلس على العشب.
هب لنفوسنا الملهية بروحك أن تقود أجسادنا وتسيطر عليها.

❖ نجلس لنتمتع خلال كنيستك بطعامك الروحي.
تشبعنا بفيض، فتمتلئ سلال العالم بغنى نعمتك!
تروي نفوسنا، وتُشبع أجسادنا،
ولا تجعلنا في عوزٍ قط!
تبقى نفوسنا شاكرة لك فأنت مصدر كل البركات!

❖ جنّت يا كلمة متجسدًا،
فلا نخجل من أن نطلب منك كل احتياجاتنا.
اعترف لك يا صديق كل البشرية،
نفسى تئن من ثقل شهوات جسدي.

❖ صوختي بلغت إلى سمواتك!
ويحي أنا الشقي، من ينفذني من جسدي المانت؟
بحبك صوت يا كلمة الله جسدًا،
وعشت في وسطنا كواحدٍ منّا!
رأينا جسدك غير منفصل عن لاهوتك!

جسدك المقدس مصدر كل قداسة!

❖ وهبتي جسدك ودمك مأكلاً ومشروباً حقاً!

أتمتع بهما فأثبتت فيك وأنت في!

أطعم فيك يا أيها الكرمة الحقيقية،

فلن تقدر الخطية بعد أن تأسوني،

ولا الموت أن يسيطر عليّ،

مادمت متمتعاً بالاتحاد بك!

❖ جسدك ودمك نواء لحياتي،

بهما انطلق من دائرة الفساد إلى عدم الفساد،

وانترع نسبي لآدم التواهي،

فأصير ابناً لك يا آدم الجديد!

عوض التواب أصير بالحق سماء!

❖ اقبل يا مخلصي ذبيحة شكوي.

كنت أود أن أتمتع بالمرن في بوية سيناء!

لكن آبائي أكلوه وماتوا!

الآن تهبني جسدك ودمك،

أنتلولهما فلن أموت إلى الأبد،

لا بل أحيأ معك، شريكاً في المجد حسب وعدك.

❖ حقاً وعودك فائقة،

من يقدر أن يبركها غير الذين تجتذبهم بحبك!

رجع الكثيرون من وراءك،

إذ استصعبوا نوالهم ما لا يمكن إراكه.

أما أنا فأصوخ مع تلميذك:

إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية هو عندك؟

أسمع صوتك العذب، فينسحب كل كياني بالحب إليك.

أسمع صوتك، فيثرق بهلوك على أعماقي.

أسمع صوتك، فتصمت أعماقي لتتمتع بعنوبة كلمتك!

عجبية هي كلماتك، وسخية هي وعودك!

كلّك حب يا مخلص العالم!



الأصاح السابغ

حديث السيد المسيح

عن حلول الروح القدس

ينوع الماء الحي!

تأخر السيد المسيح عن الذهاب إلى أورشليم إذ كان اليهود يريدون قتله، وقد طلب أقربوه منه أن يصنع آيات للعرض أما هو فانتوهم. وفي الوقت المناسب صعد إلى أورشليم في العيد ليعلن عن حلول الروح القدس واهب الاتواء والوُح. إعتاد اليهود أن يتركوا بيوتهم في عيد المظال وبقيموا في مظال مؤقتة لمدة أسوع لينتذكروا أنهم غرباء وزلاء في هذا العالم. خلال السبعة أيام الأولى للعيد كانوا يحضرون ماء من بركة سلوام في إناء ذهبي ويسكبه رئيس الكهنة أمام الشعب، ليعلن أن من كان عطشاناً فليقترب ويشرب. كان ذلك إشارة إلى الصخرة التي كانت تفيض ماء على الشعب في البوابة. وفي اليوم الثامن لا يحضر ماء من البركة إشارة إلى أن الشعب يشرب من ينابيع كنعان وليس من مياه البوابة. في هذا اليوم وقف السيد المسيح رئيس الكهنة الأعظم وأسقف نفوسنا ليقدم نفسه ينوع مياه يفيض بالمياه الحية في أعماق نفوس المؤمنين، سائلاً إياهم أن يشربوا بفرح من آبار الخلاص (إش 3:12؛ زك 8:14؛ يوثيل 2:28-32).

- 1 . عدم ظهوره علانية في اليهودية . ١
- 2 . حوار حول صعوده إلى أورشليم . ٢ - ١٣
- 3 . حديثه في وسط العيد . ١٤ - ١٨
- 4 . حديثه عن كسر السبت . ١٩ - ٢٤
- 5 . إيمان كثيرين به . ٢٥ - ٣٦
- 6 . الوعد بحلول الروح القدس . ٣٧ - ٤٨
- 7 . شهادة خدام الهيكل له . ٤٩ - ٥٣

1 . عدم ظهوره علانية في اليهودية

" وكان يسوع يتردد بعد هذا في الجليل،

لأنه لم يود أن يتردد في اليهودية،

لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه". [1]

أثار شفاء المفلوح في يوم السبت هياج القيادات الدينية (يو ٥: ١٦) فُرأوا قتله، إما بإثارة الشعب ضده أو إصدار حكم قضائي ضده. لذلك مال السيد المسيح إلى عدم الظهور علانية في أورشليم، مفضلاً التردد سواً على قدميه في الجليل. لم يكن هذا عن خوف من الموت، لأنه جاء ليموت عن البشرية، وإنما في حكمة حتى تحين الساعة.

استخدم الإنجيلي تعبير "يسير" والذي ترجم في العربية "يتردد"، ليقدم لنا فكرة عن الحياة التي عاشها السيد المسيح أثناء خدمته. كان لا يعرف موضعاً يستقر فيه في الخدمة، فقد كان قبلاً يتردد في اليهودية، يسير من بلد إلى بلد قبل مجيئه إلى الجليل، وهذه الفترة تمثل الجزء الأول من خدمته التي لم يشر إليها الإنجيليون إلاثيون الثلاثة. وسافر إلى الجليل سواً على قدميه نون أن يمتطي فرساً أو حتى حملًا. فكان معه يسيرون معاً من موضع إلى آخر، وحيثما حل يصنع خوات.

يقدم لنا السيد المسيح رسماً عملياً في الانسحاب من الخطر، ليس خوفاً وإنما من أجل الخدمة، كما أوصى تلاميذه بذلك (مت ١٠: ٢٣). أما إذ دُعينا للشهادة من أجل اسمه ولم يكن يوجد مجال لتوك الموضع فنحسب أنفسنا غير أهل لبذل نفوسنا لأجل اسمه.

يعلق القديس كيرلس الكبير على هذه الآية، بأنه "بعد هذا"، أي بعد كل هذه الكلمات والأفعال التي صنعها يسوع صار يتردد بالأكثر في الجليل بكل سرور ولم يرد أن يتردد في اليهودية. لأن وجوده بين الجليليين (الأمم) ظهر أنه أفضل كثراً من الحياة مع إسرائيل، كما جاء في لميا: "قد تركت بيتي، رفضت مواتي، دفعت نفسي الحبيبة إلى أعدائي" (إر ١٢: ٧ LXX). وى في طقس ذبيحة المحرقة حيث يُذبح الحمل ليس أمام المذبح على جانب الشمال (لا ١: ١٠، ١١)، وإنما كان المذبح متجهاً نحو الشرق، فيكون الحمل نحو اتجاه الجليل، كنيسة الأمم، إذ "عيناه واقبان الأمم" (مز ٦٦: ٧).

وإن وجد ترحاباً في الجليل لكن الصليب كان يلاحقه أينما وجد، سواء في اليهودية أو الجليل أو في العاصمة أورشليم. ففي اليهودية كانوا يطلبون أن يقتلوه [1]. وفي الجليل مع كثرة معذاته تركه أيضاً كثير من تلاميذه ولم يعووا يسيروا معه. أما في أورشليم فقد كان الشغل الشاغل للقيادات

الدينية هو الخلاص منه بأية وسيلة. لم يبأوا بحفظ الناموس بل ظلوا قتله (يو 7: 19)، ورأس مجلس السنهدين خداماً ليمسكوه (يو 7: 32)، وقد بثوا روح الوعب حتى لم يكن أحد يتكلم عنه جهراً لسبب الخوف من اليهود (7: 13)، هذا وقد رفعا حجراً لوجوه (يو 8: 50)

حقاً لم يكن مندفعاً نحو الثأرين ضده، لكنه لم يتخلّ قيد أنملة عن رسالته وعمله الخلاصي، وإن كانت تكلفته عار الصليب.

قدم لنا الأصحاحان 7، 8 صورة حية عن مدي العداوة والحقد والضغينة التي كانت في قلوب القيادات اليهودية الدينية ضد شخص يسوع

المسيح، ففي نظرهم شوه صورة المسيح المنتظر. رأوا المسيا الذي حسب هواهم البشري، وليس حسب خطة الله الفارقة.

❖ كان شعب إسرائيل يملس كراهية شديدة ضده، فكان في حالٍ أفضل وهو يعيش وسط أعدائه. جعل إقامته مع الذين أظهروا نحوه لطفاً أكثر مما وجده وسط أربائه حسب الجسد، الذين كان يليق بهم أن يحوه...

لا نحسب انسحاب المسيح ضرباً من ضروب الجبن، ولا نتهمه بالضعف، فهو القدير في كل شيء، وإنما نقبل هذا من قبيل التدبير الإلهي، لأنه يليق به أن يحتمل الصليب لأجل الجميع في حينه وليس قبل الأوان.

القديس كيرلس الكبير

❖ ليس داء أشر من الحسد والحقد فعلى أساسه دخل الموت إلى العالم (حك 2: 24)، لأن إبليس لما أبصر الإنسان مكرماً لم يحتمل حُسن حاله، فعمل كل ما أمكنه حتى قتله. وبالحسد دُبح هابيل، وقلب داود أن يُقتل، وقُتل آخرون كثيرون من نوي البر، وصار اليهود قتلة المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

[754]

❖ قدم مثلاً لضعفنا. إنه لم يفقد قوته، لكنه يقدم راحة لضعفنا.

القديس أغسطينوس

2 . حوار حول صعوده إلى أورشليم

"وكان عيد اليهود عيد المظال قريباً". [2]

عيد المظال : يحتفل في ١٥ تشرى Tisri، أو تشرين الأول أو ليثام، ما بين النصف الأخير من سبتمبر والأول من أكتوبر، وهو الشهر السابع من السنة الدينية والأول من المدنية. أخذ العيد اسمه من المظال التي كانت تُقام بجوار الهيكل وفي الأماكن العامة والميادين وأسطح البيوت والحدائق حيث يسكن فيها اليهود لمدة ٨ أيام تذكاراً للأربعين عاماً التي عاشها أبؤهم في الوية. وهو أحد الأعياد الثلاثة الكبار التي كان يلتزم كل الرجال أن يصعدوا إلى أورشليم حسب الشريعة.

أهم سمات هذا العيد هو الفوح الشديد، والسكنى في المظال، وطقسه الفريد، الذي تميز بظاهرتين متكاملتين هما سكب الماء والإنارة. اعتاد اليهود أن يذهبوا إلى أورشليم قبل العيد بيوم، وكان بعضهم يذهب إليها قبل اليوم العاشر من الشهر ليشتروا في عيد الكفلة، ويقوم هناك حتى يحتفل بعيد المظال فيه.

من جهة سكب الماء يذكر التلمود أنه ابتداء من اليوم الأول ولمدة سبعة أيام يخرج في الفجر موكبان عظيمان، أحدهما يتوجه لجمع أغصان الزيتون وسعف النخيل والأشجار الأخرى كالصفصاف والأس، ويربطونها معاً بخيوط ذهبية أو فضية أو أشوطه. كانوا يحملونها طوال النهار ويأخذونها في المجمع، ويمسكون بها أثناء الصلوات. وفي الأيام التالية يحملونها معهم إلى الهيكل، ويسبرون بها حول المذبح، وهم يسبحون: "أوصنا، نطلب إليك خلصنا!" تُضرب الأوق من كل جانب. و لعل القديس يوحنا كان يشير إلى هذا العيد وهو يتحدث عن نفوس الشهداء في الفودوس التي تحت المذبح (رؤ 6: 9) وقد أعطيت سعف النخيل وهي تسبح: الخلاص لإلهنا...

أما ما يحسبه اليهود أكثر طقوس هذا العيد فوحاً فهو أن يتوجه الموكب الثاني إلى بركة سلوام ومعه رئيس الكهنة يحمل إبريقاً ذهبياً ليغرف فيه الماء من البركة ويملاً الإبريق حيث يأتي به إلى الهيكل.

وكانت جماعات الموتلين تراقق الموكبين، ليعود الموكبان بين الهتافات وال تسابيح المقتبسة بعضها من إشعيا ١٢ "هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتي وتوئيمتي، وقد صار لي خلاصاً . فتستقون مياهاً بوح من ينابيع الخلاص" (إش ١٢: ٢ - ٣). وقد اقتبست الكنيسة القبطية هذا النشيد "قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار لي خلاصاً" لتترنم به في أسوع البصخة باعتبار أن السيد المسيح قد أخرج خلج المحلة، خلج أورشليم، ليقدم ذبيحة فصح لخلاص العالم. وكما يقول الرسول بولس: "لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم خلج الباب؛ فلنخرج إذا إليه خلج المحلة حاملين عله" (عب 13: 12-13). هذا الخروج تحدث عنه موسى وإيليا مع يسوع المسيح عند تجليه علي جبل تابور (لو 9: 30 الخ). هكذا رتبط الصليب بعيد المظال حيث يخرج الكل من بيوتهم ويعيشون في المظال الزمنية استعداداً للدخول إلى الأحضان الإلهية أدياً.

يصل الموكبان إلى الهيكل في وقت واحد، فتقدم محرقة الصباح. ويقوم حاملو الأغصان مظلة جميلة على المذبح بينما يستقبل الكهنة رئيس الكهنة الذي يحمل الإبريق الذهبي بالنفخ ثلاثة في الأوق. يصعد الكاهن على ورج المذبح ومعه كاهن آخر يحمل إبريقاً آخر من الذهب به الخمر، فيسكبان سكب المحرقة من الماء والخمر في طاسين من الذهب مثقوبين ومثبتين على المذبح، فينسب السكب إلى أسفل المذبح، وكان الناس يستقون الماء بوح من بركة سلوام في أيام العيد تذكاراً لخروج الماء من الصخرة على يد موسى النبي وشرب آبائهم منها، متذكّرين كلمات إشعيا النبي: "أيها الجياع جميعاً هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة تعالوا اشربوا واكلوا، هلموا واشتروا بلا فضة وبلا ثمن خوراً ولبناً"، "فتستقون مياهاً بوح من ينابيع الخلاص" (أش 1: 55؛ 3: 12).

كان الصدوقيون يرون الاقتصار على سكب الخمر وحده دون الماء. ففي حوالي عام 95 ق.م. كان رئيس الكهنة اسكندر بانياس من الصدوقيين قد سكب الماء على الأرض بعيداً عن المذبح فثار ضده الفريسيون ورأوا قتله، فقامت معركة بين الصدوقيين والفريسيين، وانتهت بنصوة الفريسيين، بعد أن قتل أكثر من ستة آلاف شخص.

على أي الأحوال إذ كان الماء والخمر يسكبان على المذبح تغرف موسيقى الهيكل وتزعم فرامير الهليل (مز 113-118). وكانوا عندما يأتون إلى المقاطع التالية: "احموا الرب لأنه صالح"، "يارب أنقذ"، "احموا الرب" (مز 1:118، 25، 29)، يوح المتعبون بالأغصان حول المذبح. هذا ويظهر مدى ارتباط هذا العيد بالماء أن اليوم الثاني من العيد كان يسمى "الاحتفال الأصغر" يقام فيه احتفالات مسائية مبهجة مع بقية الأيام تسمى "فوح مجلي المياه". وقد جاء في التلمود بكل وضوح: "لماذا دعي اسمه 'مجلي المياه'؟ من أجل تدفق الروح القدس حسب ما قيل: بالفوح تنفجر المياه من ينباع الخلاص.

في اليوم السابع يطوفون حول المذبح سبعة مرات، ويسمى هذا الموكب "أوصنا العظيمة Hosanna rabba".

في هذا العيد كانت تُقدم ذبائح كثيرة. ففي اليوم الأول يقدمون بجانب الذبائح العادية ذبيحة محرقة، ١٣ ثوراً وكبشين و١٤ حملاً مع تقدمات من دقيق وسكب الخمر. كما يقدمون ماغواً ذبيحة خطية. وفي الأيام التالية يقدمون نفس الذبائح مع إلغاء ثورٍ واحدٍ كل يوم حتى متى جاء اليوم السابع يُقدم فقط سبعة ثوان. وفي اليوم الثامن الذي يحسب قمة الفوح في هذا العيد يقدمون ثوراً واحداً وكيشاً واحداً وسبعة حملان ذبيحة محرقة، وماغواً واحداً ذبيحة خطية مع التقدمات المعتادة وسكب الخمر. وفي هذا اليوم أيضاً يقدمون في الهيكل بكر محاصيلهم الأخوة أو تلك التي نضجت مؤخراً.

أوصى موسى بالاحتفال بالعيد لمدة ٨ أيام، لكن اليهود أضافوا يوماً تاسعاً، دعو "فوح الشريعة" حيث يتمون قراء أسفار موسى الخمسة. ورد تأسيس هذا العيد في لاويين ٢٣: ٣٤، وحدث تجديد له بعد عدم مملسته مدة طويلة (نح ٨: ١٤).

"فقال له اخوته:

انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية،

لكي وى تلاميذك أيضاً أعمالك التي تعمل". [3]

اعتاد الكتاب المقدس أن يدعو الأقرباء من ذات الأسوة اخوة، لذلك فإن كلمة "اخوته" غالباً ما يُقصد بها أقرباء السيد المسيح حسب الجسد أياً كانت القابة. هؤلاء بدافع حب الظهور والكرامة طالوه بالصعود إلى اورشليم لهدفين: الأول لكي يسند التلاميذ الذين رافقوه أكثر من سنتين في الخدمة، فيروا مجده في وسط اورشليم أثناء الاحتفال بالعيد، والثاني لكي يؤسس مملكته في العاصمة. هذا ولعل اخوته هؤلاء إذ لم يكونوا بعد يؤمنون به - كما علق الإنجيلي نفسه - طلبوا هذا ليس عن إخلص له، بل بنية غير سليمة. فمن جهة رأوا أن يقدموا له مشورة كمن هو غير قادر حتى على قيادة نفسه بل في حاجة إلى من يقوده. ومن جهة أخرى لم يكن يشغلهم سلامه لأنهم يعلمون مدى خطورة ظهوره في اورشليم وسط القيادات المشحونة نفوسهم بالحد نوره.

وروى البعض أنهم طالوه بهذا لكي إذا ما صنع آيات وعجائب يفحصها الفريسيون والقادة يكتشفون عن ما تحمله هذه الأعمال من خداع، وبهذا يبرر الأقرباء عدم إيمانهم به.

"لأنه ليس أحد يعمل شيئاً في الخفاء،

وهو يريد أن يكون علانية.

إن كنت تعمل هذه الأشياء،

فاظهر نفسك للعالم". [4]

لقد ظنوا أن ربنا يسوع يشركهم نفس مشاعرهم وأفكارهم، فيصنع الآيات لكي يظوها للناس، وليس بدافع الحب للغير. لهذا قدموا له نصيحة لكي ينتهز كل فرصة لتحقيق هذا الهدف، فلا يضيع وقته في صنع العجائب في الجليل، في المدن والقوى بين أناس جهلاء لا يمكن أن يسنوه. لكنه يصنعها في العاصمة ليقوم لنفسه شعبية من أشخاص لهم وزنهم في المجتمع، ولكي ينتشر خوه في كل الأمة حيث يقدم إلى العيديرجال من كل بلد. كأنهم يقولون له: "إن كنت في طريقك أن تكون المسيا فلتصعد إلى العاصمة وتعلن عن نفسك، فإنك لن تستطيع أن تكون مسيا إسرائيل وأنت مقيم في

القوى والمدن الصغرة بعيدًا عن مراكز التجمع الشعبية والقيادية".

" لأن اخوته أيضًا لم يكونوا يؤمنون به". [5]

لم يؤمنوا به أنه المسيا المنتظر الموعود به، ربما ظنوا أنه قائد له تقوده أو نبي. فإنه لو كان المسيا مخلص إسرائيل كان يؤم أن يعلن عن نفسه للعالم كله.

لم يكن أقربؤه يؤمنون به، لكنهم طلبوا إواز أعماله المعجزية علانية من أجل إعجاب الناظرين. لم يتكلموا بحكمة لأجل خلاص نفوسهم وخلاص اخوتهم. جاء في رميا النبي: "لأن اخوتك وبيت أبيك هم أيضًا يزرون بك، ويصوخون، ومن بين أتباعك، قد اجتمعوا معًا، فلا تصدقهم، إن هم تكلموا عليك بالخير" (إر ١٢: LXX). ٦.

❖ تبدو كلماتهم صاورة عن أحباء، لكنها كانت صاورة عن خبثاء. فإنهم يتهمونه بالجبن هنا مع محبة المجد الباطل. فالقول: "ليس أحد يعمل شيئًا في الخفاء" هو تعبير يوجه لأشخاص يتسمون بالجبن، ومن يتشككون في الأعمال التي يملسونها أنها ليست حقيقية. وبإضافة: " وهو يريد أن يكون علانية" يتهمونه بالمجد الباطل [755].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ كانوا لم يؤمنوا به فكلماتهم كانت بدافع الحسد [756].

❖ لماذا لم يؤمنوا به؟ لأنهم طلبوا مجددًا بشريًا. فقد تظاهر اخوته وهم ينصحونه أنهم يشيرون عليه من أجل مجده... كانوا يتحدثون بحكمة الجسد مع الكلمة الذي صار جسدًا وحلّ بيننا [757].

القديس أغسطينوس

" فقال لهم يسوع:

إن وقتي لم يحضر بعد،

وأما وقتكم ففي كل حين حاضر". [6]

جاءت إجابة السيد المسيح في دفاعه عن أسلوب اختفائه في الجليل كل هذه المدة هي أنه لا يريد أن يسبق الأحداث، فإن وقته لم يحضر بعد. فإنه لا يريد أن يذهب إلي أورشليم فينير الرؤساء في أورشليم حتى يحين وقت آلامه حسب خطته الإلهية التي دوها. هذا وقد أوضح لهم أنه لا يذهب لاستعاض أعمال معجزيه، ولا لكسب شعبية، ولا لإظهار نفسه للعالم، وإنما يذهب ليحقق خطة الخلاص. هم يستطيعون أن يذهبوا إلي أورشليم كراؤين، أما هو فيذهب هذه المرة لكي يُفحص ويُقدم ذبيحة فصح، إذ هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم.

لم يحن بعد وقت آلامه، لأن هذا العمل الخلاصي يتحقق حسب خطته الإلهية، أما بالنسبة لهم فهم كأصدقاء للعالم لا يجابهون خطًا، بل يذهبون أينما رأوا. أيضًا وقت صعوده إلى العيد لم يحن بعد، لأن له خطة خاصة في صعوده، أما بالنسبة لهم فيمكنهم الذهاب إلى العيد في أي وقت. هنا يفصح نيات اخوته بطريقة غير مباشرة، دون أن يوح مشاعوهم. فإذا كانت نياتهم شوية وخبيثة فالعالم الخبيث بشوه لا يبغضهم، لأن أعمالهم متناغمة مع فكر العالم. أما هو فلن يهادن العالم، فالعالم لا يطيقه.

❖ دائمًا وقتكم حاضر حيث تكونون بلا خطر، أما وقتي حيث حلّ زمن الصليب يؤمني أن أموت. وإذا كان المعنى هكذا أظوه بقوله بعد ذلك: "لا يقدر العالم أن يبغضكم" [758].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من يتمتع بالشركة مع السيد المسيح يؤمه أن يسلك بلباقةٍ وتدبيرٍ، فيعرف أن لكل عمل وقته المعين أو ملء زمانه، أما الذين يسلكون في استهتار

وتسبب، فيعيشون كما يحلو لهم، كل الأوقات تتاسبهم دون الزّام. لم يحن الوقت بعد لدعاية بلا قيود، ولا للإعلان المكشوف للجميع، إذ لا زال عقل اليهود غير ناضج بعد للفهم، حتى يستطيعوا قبول كلماتي دون ثورة أو غضب. ليست الفرصة سانحة بعد لدعوتي الآن أن أكون معروفًا للعالم... أما هم فرمانهم حاضر ومهياً دائماً... يفعلون حسبما يوتبون وليس من ضرورة تعوقهم أو تدعو لتدبير ملائمة يرشدهم إلى عمل شيء أو الامتناع عنه، كما كان الحال بالنسبة للمسيح.

القديس كيرلس الكبير

❖ انظر كيف أجابهم المسيح ألطف جواب، لأنه لم يقل لهم: "ومن أنتم إذ تشيرون عليّ بهذه المشورات وتعلمونني"، لكنه قال: "إن وقتي لم يحضر بعد".

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قدموا له مشورة أن يسعى نحو المجد، كمن ينصحونه بطريقة عالمية، وبتدبير أرضي، حتى لا يكون غير معروف بل يصير مشهوراً، ولكي لا يخفي نفسه في غموض.

هكذا أجاب الرب على الذين قدموا له مشورة خاصة بالمجد: "إن وقتي لم يحضر بعد"، أي وقت مجدي لم يحضر بعد. يا لعمق هذه الإجابة!

هم نصوه للمجد، وهو أراد المجد الذي يسبقه التواضع، أراد أن يهين الطريق للمجد ذاته بالتواضع، فإن هؤلاء التلاميذ أيضاً كانوا حتماً يطلبون مجداً ليجلسوا الواحد عن يمينه والآخر عن يساره. فكروا فقط في الغاية، ولم يروا ما هو الطريق الذي يؤم بلوغه.

استدعاهم الرب إلى الطريق حتى يبلغوا به إلى وطنهم في تدبير لائق. فالوطن في العلا، والطريق أسفل على تلك الأرض هي حياة المسيح، أي هو موت المسيح.

تلك الأرض هي سكنى المسيح، والطريق هو آلام المسيح. من يرفض الطريق، لماذا يطلب الوطن؟ في اختصار قدم الإجابة التالية لمن يطلبون أيضاً المجد: "أستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا؟" (مت 20: 22). انظروا الطريق الذي يؤمكم به أن تبلغوا الأعالى التي ترغبونها. الكأس التي أشار إليها هي بالحق هذه الخاصة بتواضعه وآلامه. [759]

❖ لكن مستقيمي القلب، فإن وقت مجدنا لم يأت بعد. لنقل لمحبي هذا العالم كما قيل لآخرة الرب: "وقتكم في كل حين حاضر" [6]. ... لنتجاسر ونقول هذا. فإننا إذ نحن جسدرنا يسوع المسيح، مادمننا أعضائه، مادمننا نعرف بوجرأسنا، لنقل هذا بغير تردد، مادام قد تنزل هو وقال هذا من أجلنا. وعندما يشتمنا محبو هذا العالم فلنقل لهم: "وقتكم في كل حين حاضر، أما وقتنا نحن فلم يحضر بعد". إذ يقول لنا الرسول: "لأنكم قد متّم وحياتكم مستورة مع المسيح في الله".

متى يحضر وقتنا؟ يقول: "متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد" (كو 3: 3-4) [760].

القديس أغسطينوس

"لا يقدر العالم أن يبغضكم،

ولكنه يبغضني أنا،

لأنني أشهد عليه أن أعماله شريرة". [7]

لا تقدر القيادات اليهودية أن تضطهدكم، لأنكم تحملون ذات أفكلهم، حيث تطلبون مسياز منياً، يقيم نفسه ملكاً أرضياً. إنكم أبناء العالم وخدامه، لا يشغلكم أمر سوى الأرضيات، والعالم حتماً يحب من له. أما أنا فإذا أدين الفساد والخطية فإن العالم يبغضني.

لم يرد السيد المسيح أن يصعد إلى العيد مع أقربائه، لئلا تحت دعوى الحاجة إلى إظهار المسيح يستخدمون الدعايات، بينما قيل عن السيد

المسيح أنه لا يصيح ولا يسمع أحد صوته (إش ٤٢ : ٢).

❖ العقل الساقط تحت أسر الملذات الوديفة يغضب تمامًا من النصح الذي يحثه على الزانة اللازمة.

القديس كيرلس الكبير

❖ " لا يقدر العالم أن يبغضكم " [7]. ما هذا إلا أن العالم لا يقدر أن يبغض محبيه، شهود الزور؟ لأنهم يدعون الأمور الشرة صالحة، والصالحة

شرة. " ولكنه يبغضني أنا، لأني أشهد عليه أن أعماله شرة. اصعدوا أنتم إلى هذا العيد " [7-8]. ماذا يعني "هذا"؟ حيث تطلبون المجد

البشري... حيث رغبون في المبالغة في الأفراح الجسدية ولا تتأملون في الأفراح الأبدية... في يوم العيد هنا تطلبون مجدًا بشريًا، أما وقتي، أي

وقته مجدي، فلم يأت بعد. هذا سيكون يوم عيدي، لا يسبق هذه الأيام ويتخطاها بل يبقى أبدية، سيكون ابتهاجًا وروحًا بلا نهاية، يكون أبدية لا ينتهي،

هادئًا بلا سحاب [761].

❖ " أنا لست أصعد إلى يوم العيد هذا " [8]. لأن رغبته ليست في المجد الزمني، بل أن يعلمهم شيئًا ينتفعون به، أن يصلح البشر ويحثهم على العيد

الأبدية، لكي يحول حبه لهذا العالم إلى حب لله [762].

القديس أغسطينوس

" اصعدوا أنتم إلى هذا العيد.

أنا لست اصعد بعد إلى هذا العيد،

لأن وقتي لم يكمل بعد. " [8]

وي القديس كيرلس الكبير أن اخوته أو أقرباءه هنا يمثلون الشعب اليهودي ككل بكونهم اخوة السيد المسيح، إذ هم خاصته. وقد طلب منهم أن

يصعدوا ليحتفلوا بالرمز إذ لا زالوا يحبون الظلال، أما هو فموته ليست في الرموز والظلال بل في الحقيقة، حيث يحل الوقت اللاتق، ويأتي ملء

الزمان ليقدّم نفسه عيدًا حقيقيًا.

❖ يقول الرب هنا بوضوح إنه لن يعيد مع اليهود أو يذهب معهم ليشركهم فوحهم في الظلال. لأن ما قيل عن قليلين يمتد في معناه على كل جنس

إسرائيل... فإن كل جوع اليهود يحسون رمزيًا اخوته. لذلك يمتنع عن حضور العيد معهم، حسبما قيل بأحد الأنبياء القديسين: "بغضت، كرهت

أعيادكم، ولست ألتذ باعتكافاتكم، إنني إذا قدمتم لي محركاتكم وتقدماتكم لا رتضي، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا التفت إليها. أبعد عني ضجة

أغانيك، ونعمة ربابك لا أسمع" (عا ٥ : ٢١-٢٣). كما يقول المخلص نفسه: "لأن الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" (يو

٤ : ٢٤).

القديس كيرلس السكنوري

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إنه قال بأنه لا يذهب إلى العيد في تلك اللحظات (الآن)، أي يذهب معهم. [763] لم يرد أن يذهب معهم في ذلك

الوقت لكي يصلب إذ لم تكن ساعة الصلب قد حلت.

"قال لهم هذا ومكث في الجليل". [9]

❖ بين من هذه الأقوال أنه ليس محتاجًا إليهم ولا يريد أن يتملقهم، لكنه أطلق لهم أن يعملوا الفرائض اليهودية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يمكث المسيح فحًا في الجليل، مبتعدًا عن اليهودية، حيث يقيم في سلام أكثر وأمان... يظهر كلاً من حبه الحقيقي لهم ورفضه لسكان اليهودية...

لقد جعل كنيسة الأمم مستحقة فعلاً للمحبة الإلهية... يُظهر جمال كنيسة الأمم، أحبها وذهب إليها كما إلى عروس في خوها.

القديس كيرلس السكنوري

"ولما كان اخوته قد صعوا،

حينئذٍ صعِد هو أيضًا إلى العيد،

لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء". [10]

لقد فرض الذهاب مع أقبائنه لأنهم طلبوا هذا ليس من أجل النفع الروحي، وإنما من أجل نوال كرامات بسبب المعجزات.

عالج القديس أغسطينوس ما يُثار من البعض، لأن السيد المسيح قال لآخوته أنه لا يصعد إلى العيد وتركهم يذهبون دونه إلى أورشليم، لكنه عاد فذهب. يوضح القديس بأن السيد لم يقل أنه لا يصعد إلى العيد وإنما "اليوم". لما كان العيد يحتفل به إلى أيام كثيرة، بقي في الجليل ذلك اليوم ثم صعِد إلى أورشليم بعد ذلك. أما غاية ذلك فهو أن آخوته لم يطلبوا أن يذهب معهم في صحبة مشوكة، بل أن يصعد هو أولاً. لكنه كما يقول القديس ظهر كإنسانٍ ضعيفٍ يهرب من المقاومين كما هرب إلى مصر من وجه هيرودس. هكذا تركهم يصعدون إلى أورشليم، وبعد ذلك صعِد هو في يومٍ تالٍ. وي القديس أغسطينوس أن السيد المسيح صعِد في منتصف العيد بعد أيام كثيرة [764].

قول السيد المسيح "بعد" يشير إلى رفضه الصعود معهم في تلك اللحظات، وليس الرفض النهائي للصعود للعيد. واضح أن السيد المسيح بحديثه معهم يفصل بين فكروهم في الصعود للعيد وفكوه هو. فهم يذهبون للمشركة الشكلية في أواح العيد والالتقاء مع الأقباء والأصدقاء، وقد وجوا في العيد مجالاً خصباً لصعود السيد كي يبرز أعماله للشعب. أما هو فيصعد إلى العيد لتقديم نفسه ذبيحة فصح عن العالم. لهذا أراد أن يصعد بمفوده ليغزل مفاهيمهم عن مفاهيمه.

هذا وصعودهم كجماعة يكون علنياً وافقه التسابيح مع أؤمر وأغصان النخيل، أما هو فيصعد كمن في الخفاء ليحقق رسالة مستترة لم يكن العالم قانراً أن يتركها.

أخوا فقد صعوا هم إلى أورشليم مباشرة، أما هو فقد انتقل إلى الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية من عبر الأردن (مت 19: 1؛ مر 10: 1)، وفي نهاية رحلته ذهب إلى قرية بيت عنيا بجوار أورشليم لزيارة لعازر وأختيه (لو 10: 38-39)، ومن هناك دخل أورشليم في منتصف العيد. هكذا كان خط سوره مختلفاً تماماً عن خط سير أقبائنه.

❖ لم يقل "في الخفاء" بل "كأنه في الخفاء". فإنه بهذه الطريقة أراد أن يستخدم هذا لتعليمنا كيف ندبر الأمور [765].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لكي تعرفوا الله العظيم، الواهب الحياة، ابن الله القدير أضاف وهائاً لجلاله بقوله: "وكل مالي هو لك، وما لك هو لي" [10] [766].

القديس أمبروسيوس

"فكان اليهود يطلبونه في العيد ويقولون:

أين ذاك". [11]

وي البعض أنه يقصد هنا جمهور اليهود أو الشعب، فقد كان موضوع اشتياقهم أن يروا ذاك الذي يصنع عجائب فريدة. كان موضوع حديثهم وإن كانوا قد انشقوا إلى فريقين من جهة نظرتهم إليه. أما لأبي السائد بين آباء الكنيسة الأولى والدارسين المعاصرين فإن كلمة "اليهود" هنا كما في أغلب هذا السفر يعني بها الإنجيلي القيادات من رؤساء كهنة وكتبة وفريسيين، هذه التي اشتاقت أن تتخلص منه، كما اشتاق شاول الملك أن يقتل داود في الشهر الجديد (١ صم ٢٠: ٢٧).

حتى الذين أعجبوا بشخص السيد المسيح وأعماله لم يستطيعوا أن يتركوا حقيقته، إذ ظفوه رجلاً صالحاً مجرداً، ولم يتركوا أنه ابن الله. إلى الآن كثير من غير المؤمنين يتطلعون إليه كقائدٍ صالحٍ فريدٍ، لكنهم لا يقدرّون على التعرف عليه.

طلوه ليس لأجل الإيمان به والنفع الروحي، وإنما لكي يقفوه بالشتائم. وكما يقول القديس كيرلس السكثوري : [لم يأبوا أن يقولوا أين ذاك

الإنسان؟ لأن تعبير ذلك الإنسان يُقال عن هو مرفوض.]

❖ قول اليهود عن المسيح "أين ذاك؟"، فمن بغضهم الشديد له وعدوتهم لم يريدوا أن يذكروا اسمه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" وكان في الجوع مناجاة كثرة من نحوه،

بعضهم يقولون: إنه صالح،

وآخرون يقولون: لا بل يضل الشعب". [12]

الكلمة اليونانية الموحمة هنا "مناجاة" تعني تذرؤاً، وقد جاءت باللاتينية *murmur*. يقول القديس أغسطينوس أنه حدث تذرؤ وزاع من نحوه. فإننا نعيش في هذا العالم كما في فصل الشتاء، فوى البعض في بعض أنواع أشجار الفاكهة أنها ميتة، ولا يكون أنها حية إلا في الصيف حيث يحل وقت الدينونة. [صيفنا هو ظهور المسيح، "سيأتي الله إلهنا ولا يصمت" (مز: 50: 3). "النار أمامه"، هذه النار التي "تحرق أعداءه" (مز: 92: 3)، تمسك بالأشجار الجافة التي يُقال لها: "كنت جائعاً فلم تطعموني". بينما على الجانب الآخر، على اليمين، رُى فيض من الثمر، وكثرة من الأوراق تبقى خضراء أبدياً. [767].

[768]

❖ في رأيي أن أصحاب الرأي الأول هم الكثيرون، والثاني هو رأي القادة والكهنة، فإن هذا الافتراء ضده يناسب حقدهم وشوهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ دعهم يقولون عنك، إن كنت نامياً في المسيح، "إنه يضل الشعب". هذا قيل عن المسيح نفسه، ويُقال عن جسد المسيح كله. لتفكر في أن جسد المسيح لا زال في العالم، لتفكر أنه لا زال في حقل الواسة، كيف يُجذف عليه من التبن. يُرس التبن والقمح معاً، لكن التبن يُحرق والقمح يُنقى. ما قيل عن المسيح إذن هو للتغزية حين يُقال عن أي مسيحي. [769].

القديس أغسطينوس

❖ يخوضون في أكثر التخيلات سخافة، ويضلون كثراً عن الحق، فلا يحجمون عن أن يدعوه "مضلاً" ذاك الذي يرشد إلى طريق البرّ غير الموح.

القديس كيرلس الكبير

"ولكن لم يكن أحد يتكلم عنه جهاراً لسبب الخوف من اليهود". [13]

لم يجسر أحد أن يتكلم عنه خوفاً من القيادات اليهودية، لأن مجرد ذكر اسمه كان يُحسب جريمة قد تؤدي إلى الحرمان من حق العبادة.

❖ من الذين لم يتكلموا عنه جهراً خوفاً من اليهود؟ حتماً الذين قالوا أنه صالح وليس الذين قالوا "يضل الشعب". لأن الذين قالوا يضل الشعب سَمع ضجيجهم مثل أصوات أوراق الشجر الجافة... لقد صاحوا أعلى فأعلى. والذين قالوا أنه صالح همسوا وهم تحت ضغط أكثر فأكثر...

الآن الكنيسة تنمو، فقد تفضل فأعطاها أن تنتشر في العالم كله. الآن فقط الذين يقولون إنه يضل الشعب يهمسون، والذين يقولون إنه صالح

[770]

يتكلمون بصوت أعلى.

القديس أغسطينوس

❖ أي عجب فإن الشعب يخشونهم ويرتعدون منهم، وهم لم يتهذوا بالناموس، ولا تعلموا أن يحبوا بأسلوب لائق... لأن الخوف دليل على أعلى درجات العبودية.

إذن فقد كانوا مضطوبين أن يتعدوا دون أن يفحصوا بالأحرى غاية معطي الناموس. (إذ لم يتجاسروا أن يمتدحوا ما هو خير) ويحكموا بالشر

لا برادتهم بل قسواً حسبما اختار الآخرون، ويدينوا بالخسة ذلك المستحق للمديح والإعجاب.

استطاع (القادة) أن يوجههم ضد الوصايا الإلهية، وصاروا مسئولين عن ضياع الجميع.

يشهد النبي عنهم أنهم علة هلاك الشعب، قائلًا: "صار الرعاة بهيميين، ولم يطلوا الرب، لهذا لم يفهم القطيع كله وتبدد" (إر ١٠: ٢١ LXX).

القديس كيرلس الكبير

3. حديثه في وسط العيد

"ولما كان العيد قد انتصف،

صعد يسوع إلى الهيكل،

وكان يعلم". [14]

إذ صعد إلى أورشليم في وسط أيام العيد صعد إلى الهيكل كعادته، وبدأ يبشر علانية. لم يسجل لنا القديس يوحنا عظته، ربما لأن غوه من

الإنجيليين قد سجلها.

ذهب في اليوم الرابع أو الخامس من العيد حتى يترك الشعب في الأيام الأولى منشغلين بالمظال التي صنعها والأغصان التي يمسكونها طوال

النهار والتي لم يتركوا مفاهيمها الروحية كما ينبغي، لذا لم تكن أذهانهم مستعدة، وربما لم يكن لديهم الوقت للانشغال بكلمات السيد وأعماله.

لماذا كان يعلم؟ جاء لكي يقدم الحق لعل الإنسان يشتهي المعرفة الصادقة ويتمتع بها. هذا وبقيامه بالتعليم سدّ الفراغ الذي حدث نتيجة انشغال

القيادات الدينية بوجه الذاتي والكرامة والدخول في السياسة، عوض الاهتمام بالمعرفة الروحية.

كان السيد المسيح من جانب احتل مركز المعلمين، وكشف عن عجزهم عن تحقيق رسالتهم. لقد حقق الوعد: "هكذا قال السيد الرب هأنذا أسأل

عن غنمي وأفتقدها... أنا رعى غنمي ورُبضها يقول السيد الرب، وأطلب الضال، واستود المطرود، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح، وأبيد السمين

والقوي، ورعاها بعدلٍ" (حز ٣٤: ١١، ١٥-١٦). وأقيم عليها راعياً واحداً فرعاها عبدي داود هو رعاها، وهو يكون لها راعياً" (حز ٣٤: ٢٣).

[771]

❖ أظن أن الكل بالحق قد تعجبوا لكن ليس الكل اهتدى للإيمان.

القديس أغسطينوس

كيف يقول: "تعليمي" وفي نفس الوقت يقول: ليس لي ؟" إنه تعليم الآب الذي أرسله، وقد سبق فأعلن الإنجيلي عن يسوع أنه كلمة الآب! لهذا

فإن المسيح نفسه هو تعليم الآب، هو كلمة الآب، فما يقدمه المسيح من تعليم، إنما يقدم نفسه ليقتنيه المؤمنون، فهو تعليمه وفي نفس الوقت هو من الآب.

هو التعليم الإلهي غير المتغير، ليس تعليمًا يُنطق بألفاظ وحروف، بل هو الواحد مع الآب، يحملنا إلى الآب للمصالحة معه والتجاوب مع حبه.

❖ يليق بنا بأكثر تعقل أن نقر أن مشيئة الطبيعة الإلهية نسمةا بوجه خاص في الأماكن المقدسة.

القديس كيرلس الكبير

لم يقدم لنا الإنجيلي كل تعاليم السيد وعظاته في هذه الفترة لكنه قدم ثلاثة أنواع من الحوار والمحادثات: حوار مع القيادات اليهودية [14]-

42]، وآخر مع سكان أورشليم [25-31]، والثالث مع الخدام الموسلين من رؤساء الكهنة والفريسيين [32-36].

"فتعجب اليهود قائلين:

كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم؟" [15]

دُهِش اليهود إذ سمعوا تعليمه، إذ كان يتكلم بسلطان، يقتبس من أسفار العهد القديم ويشرح ويحلل ويضرب أمثالا، تعاليمه عميقة ومقنعة،

تجذب البسطاء، وتشبع المتعلمين، وتقع حتى المقاومين له. جاء في إنجيل موقس: "وللوقت دخل المجمع في السبت وصار يعلم. فبهتوا من تعليمه، لأنه

كان يعلمهم كمن له سلطان، وليس كالكتبة، (مر 1: 21-22؛ راجع مر 6: 2؛ مت 7: 8؛ 13: 54؛ لو 4: 22). فإنه لم يلتحق في إحدى مدرس الأغنياء، ولا عند قدمي أحد الرهبان، ولا سافر ليتعلم في بلد ما كما كان يفعل الفلاسفة، ولا التحق بأية مدرسة عامة في بلده. تعلم موسى حكمة المصريين، أما يسوع فلم يتعلم حتى حكمة اليهود. لم يتركوا أنه ليس بمحتاج إلى تسلم المعرفة من يد إنسان، لأنه هو نفسه الحق الإلهي، وأن رادته واحدة مع الآب.

❖ رأيت كيف أظهر الإنجيلي أن تعجبهم منه هنا مملوء شوقاً، لأن البشير لم يذكر أنهم تعجبوا من تعليمه أو أنهم قبلوا ما خاطبهم به، لكنه قال مالوا إلى دهشةٍ أخرى وتحيروا، وقالوا: "كيف يعرف هذا الكتب وهو لم يتعلم؟" فقد كان واجباً أن يعرفوا ويتيقنوا من حوتهم هذه أنه لم يكن فيه قول بشوي، إلا أنهم لم يريدوا أن يكشفوا هذا المعنى، لكنهم رأوا أن يقفوا عند تعجبهم منه فقط [772].

القديس يوحنا الذهبي الفم

رى القديس كيرلس الكبير أن الذين في استخفاف سألوا: "أين هو ذاك الإنسان" اعترفوا بجهلهم، أما هؤلاء الذين قالوا: كيف يعرف الكتب (الحروف) وهو لم يتعلم؟ فيحسبون أنفسهم أصحاب معرفة وعلم ويحكمون عليه هكذا. كان يليق بهم أن يبحثوا بروح المعرفة عن سرّ معرفته للكتب دون أن يتعلم. لعلمهم أيضاً قرفوا بينه وبين موسى، فحسوه غير متعلم، أما موسى فقد تهنّب بكل حكمة المصريين" (أع 7: 22).

❖ المسيح هو الصالح وحده صلاحاً كاملاً في كل شيء، والوحيد بين الكل الذي له الحكمة والفهم، وله الرفعة، لا بالتعلم بل كخاصية فيه... كل الصالحات هي في الله بالطبيعة، وهي ليست فيه صاورة من الخرج. هكذا الحكمة فيه أيضاً؛ بل هو ذاته الحكمة، وبشكل خاص نبع الحكمة، يهب الحكمة جزئياً لمن يشتركون فيه، من الخلائق السماوية العاقلة، وأيضاً الخلائق الأرضية.

القديس كيرلس الكبير

"أجابهم يسوع وقال:

تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني". [16]

إذ دهشوا لمعرفته أعلن لهم أن تعليمه ليس مصوره مدرسة أرضية، ولا أحد الرهبان أو الناموسيين، إنما مصورها الآب السموي. بكونه المسيا مخلص العالم يقول: "تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني" [16].

إن كان المسيا يقدم عمل محبة إلهية كان لابد أن ينسب هذا الحب للآب كما جاء في يو 3: 16، ثلثا يظن البعض أن الآب يمثل الغضب الإلهي، والابن الرحمة الإلهية. فقد بلغ فيما بعد ببعض الفرق مثل أتباع موقيون أن يحسوا إله العهد الجديد جاء يخلص العالم من إله اليهود القاسي. لهذا يوضح السيد المسيح أن خطته الإلهية هي تحقيق لتعليم الآب وتدبوره من أجل خلاص العالم، وأنها موضع مسوة الآب كما هي موضع مسوة الابن. إذ تعجب اليهود كيف يعرف الكتب وهو لم يتعلم، أوضح لهم أنه ليس بمحتاج إلى تعليم بشوي أو حكمة بشوية، إذ هو حكمة الآب. ما ينطق به يتناغم مع مشيئة الآب. تعليمه إلهي لا بشوي.

❖ مرة أخرى يجيب على أفكرهم السرية ناسباً تعاليمه إلى الآب، وبهذا وغب في أن يبكم أفواههم [773].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يليق به أن يظهر نفسه معادلاً للآب الذي لم يتعلم قط بل له معرفة كل الأشياء بالطبيعة دون تعلم، لأنه يفوق كل فهم، ويعلو فوق كل حكمة موجودة في الكائنات. لهذا كان ممكناً له من خلال أمورٍ أخرى أيضاً أن يُظهر لسامعيه ويؤكد لهم أن كل ما في الآب فيه هو أيضاً، بسبب وحدة الطبيعة.

القديس كيرلس الكبير

❖ ليس تعليمه بدون بلاغة الحروف يبدو أنه يعلم ليس كإنسان بل بالأحرى بكونه الله. إنه لم يتعلم إنما يدبر تعاليمه [774].

القديس أمبروسيوس

❖ وجهاً أفكركم نحو تعليم المسيح، فتبلغون إلى حكمة الله، وإذ تصلون إليه راعوا هذا: "كان الكلمة الله" (يو 1: 1)، عندئذ ترون ما قيل "تعليمي" هو حق . تأملوا كلمة من هو؟ (كلمة الآب)، فترون بحق أن "تعليمي ليس لي" [775].

❖ في اختصار يبدو لي أيها الأحباء أن الرب يسوع المسيح قال: "تعليمي ليس لي" بمعنى: "أنا لست من ذاتي". فمع قولنا وإيماننا أن الابن مساوٍ للآب، وأنه لا يوجد أي اختلاف في طبيعتهما وجوههما، وأنه لا يوجد أي فاصل زمني بين الوالد والمولود، مع حفظنا هذا وحوصنا عليه فإن أحدهما هو الآب والآخر هو الابن. والآب لا يكون أباً نون أن يكون له الابن، والابن ليس كذلك ما لم يكن له الآب. مع هذا فالابن هو الله من الآب، والآب هو الله لكن ليس من الابن... يُدعى الرب يسوع المسيح نور من نور.. والاثنتان معاً نور واحد، وليساً نورين [776].

القديس أغسطينوس

"إن شاء أحد أن يعمل مشيئته

يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي". [17]

قدم السيد المسيح لهم وهاتاً علي مصدر تعليمه أنه ليس من متوسة رضية، ولا من ربّي، بل من الآب، وذلك أن تعليمه الإلهي متناسق تماماً مع عمله، فقد جاء إلى العالم خاضعاً في طاعة للآب، لكي يزيل عنا الاعتداد بالذات والعصيان. لقد فتح لنا طريق الطاعة الكاملة باتحادنا معه، فنطلب لا ما هو لنا، بل ما هو لله، ونجد مسوتنا فيه.

إنه الطريق الذي به نتمتع بالأحضان الإلهية خلال شركتنا معه في الطاعة والقواعد. وهو بهذا يفتح أمامنا الباب كي نتقبل التعليم الإلهي، لا بالحوار العقلاني البحت والرواسة الجافة، وإنما بقبول مشية الله فينا عملياً، والتجاوب مع خطته الإلهية من نحونا. هذا لن يتحقق ما لم نتحد بمسيحنا عملياً فيهبنا فيه الطاعة الكاملة، ويقدم لنا وه، ويكشف لنا أسوره.

هذا هو عمل روجه القنوس فينا. وكأن مصدر تعليمنا هو الثالث القنوس، الروح الذي ينير أعماقنا، ويدخل بنا الابن النور الحقيقي، ويحملنا الابن إلى حضن الآب لنحيا في الأسوار الفاتقة ونختبر عربونها في هذا العالم حتى يوم لقائنا معه.

❖ فإن سألت: ما هو معنى ما قاله المسيح؟ أجبتك: إنه قال: ازعوا لتيابكم وغيظكم وحسدكم وبغضكم الناشئ منكم باطلاً، فلا يوجد مانع يمنعكم أن تعرفوا أن كلامي هو بالحقيقة كلام الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه،

وأما من يطلب مجد الذي أرسله،

فهو صادق وليس فيه ظلم". [18]

سمة المخادع أو المضل أن يطلب مجد نفسه ويتكلم عن نفسه، وهي سمة أزداد المسيح والأنبياء الكذبة. يطلبون تحقيق رادتهم الذاتية لا مشيئة الله. أما علامة أن يسوع هو المسيح حقاً الصادق، فهو أنه يتكلم بما هو من عند الآب، ويطلب مجد الآب، بالرغم من أن رادتهما واحدة، ومجدهما واحد.

إن كان الابن قد صار جسداً، فمع كونه ابن الإنسان إلا أن تعليمه ليس محصلة خوة بشوية، ولا رواسة زمنية، ولا ثرة فكر خاص، إنما مصوره الآب الذي أرسله، فهو تعليم إلهي حق، ليس فيه أي بطلان أو كذب.

"ليس فيه ظلم" أي ليس فيه كذب أو بطلان.

❖ "من يتكلم عن نفسه يطلب مجد نفسه" [18]. ذلك الذي سيُدعى ضد المسيح يقول عنه الرسول: "الموتقع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً" (2 تس

2: 4) . يعلن الرب عن نفس الشخص (ضد المسيح) أنه يطلب مجد نفسه وليس مجد الآب، فيقول لليهود: "أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه" (يو 5: 43).

لقد صوح أنهم سيقبلون ضد المسيح الذي سيطلب مجد اسمه، منتفخاً وغير ثابت، ولا مستقر بل حتماً مدمر.

لكن ربنا يسوع المسيح يظهر لنا مثلاً عظيماً في التواضع، فإنه دون شك هو مسلي للآب... يطلب مجد الآب لا مجد نفسه. فكم يليق بك يا

إنسان، يا من حين تفعل أمراً صالحاً تطلب مجد نفسك، بينما حين تتركب أمراً شراً تسيء إلى الله؟

اعرف نفسك، أنت مخلوق!

اعرف خالقك. أنت خادم، لا تحتقر ربك.

أنت مُتَبني ليس من أجل استحقاقك...

[777]

اطلب مجد ذاك الذي تتال منه هذه النعمة فإنك إنسان مُتَبني .

القديس أغسطينوس

4. حديثه عن كسر السبت

"أليس موسى قد أعطاكم الناموس،

وليس أحد منكم يعمل الناموس،

لماذا تطلبون أن تقتلوني؟" [19]

واجه السيد اتهام الرؤساء له أنه مضل [١٢] باتهامهم أنهم كاسرو الناموس. كيف يكون هو مضل لأ وهو يتم مشيئة الآب، بينما وهم يدعون

أنهم حافظوا الناموس إذا بهم يكسرونه كقتلة للوئ. هنا يهاجمهم السيد علانية داخل الهيكل في أعز ما يظنون أنهم أمناء عليه وهو حفظ الناموس.

❖ اتهمهم لا بتعديدهم الفودي على الناموس بل بأن أمة اليهود كلها قد أبطلت ناموس موسى... في اتهامه بتعديه على السبت يظهر أن أنفسهم متعدين ومتآمريين على قتله، وبهذا يسقطون في رذل جميع الخطايا (وهو قتل الويء).

القديس كيرلس الكبير

❖ تطلبون أن تقتلوني لهذا السبب وهو أنه ليس أحد منكم يعمل بالناموس. لأنكم لو كنتم تعملون بالناموس لعرفتم المسيح في كل حروفه، ولما كنتم تقتلونه حين يكون حاضرًا بينكم...

انظروا ما هي إجابتهم: "بك شيطان، من يطلب أن يقتلك"...

[778]

لقد اضطرب الجمع، بماذا؟ بالحق. لأن الأعين غير السليمة لا تقدر أن تحتل بهاء النور .

القديس أغسطينوس

"أجاب الجمع وقالوا:

بك شيطان من يطلب أن يقتلك". [20]

ربما أنكر الرؤساء ومن معهم وجود أية خطة لقتله حتى لا يثيروا الشعب، ولهذا دُهِش الشعب، ولئلا يظهر ككاسوي الناموس إذ يطالبون

بقتل شخص دون محاكمة، أو بقتل إنسان وئ حينما أعلن السيد: "لماذا تطلبون أن تقتلوني؟" [١٩]. أما اتهامهم "بك شيطان"، فيتكرر دومًا حين لا

يجنوا علة عليه أو ما يقاومونه به.

❖ شعر اليهود بالاتهامات... ولجأوا إلى الإنكار، مع أنهم لم يحيوا عن خطتهم في القتل. لكنهم بكل اجتهاد يبعثون عن أنفسهم مظهر التعدي على

الناموس، فإن فخر الفريسيين هو في التظاهر فقط.

القديس كيرلس الكبير

❖ يقول: لا عجب إن كنتم لا تطلبونني، فإنكم لا تطيعون الناموس الذي تظنون أنكم تطيعونه وتتمسكون بأنكم تسلمتموه من موسى. فإنه ليس بالأمر الجديد إن كنتم لا تهتمون بكلامي [779].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" أجاب يسوع وقال لهم:

عملاً واحداً عملت،

فتتعجبون جميعاً". [21]

العمل الذي يشير إليه هنا هو شفاء المفلوج (يو ٥) في يوم السبت.

❖ إنه على أساس هذا العمل الواحد، وعلى الرغم من أنه عمل لأجل خلاص المطروح أرضاً وحياته، فهل تدينون الصانع القدير بسبب هذا؟... لأن وصية الناموس قد كُتبت حسب تصوركم الأحمق، لأسباب ليست هينة أو عديمة القيمة، وإنما لأجل خلاص الإنسان وحياته، وأنتم غاضبون بلا سبب، بينما كان الأجدر بكم أن تمدحوا ذلك المتسول بقوة إلهية عظيمة المقدار حقاً هكذا.

القديس كيرلس الكبير

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن العمل الذي صنعه السيد المسيح وهو شفاء المولود أعمى، وقد أتهم بكسر يوم السبت. العمل الذي فعله أعظم من الختان الذي قدمه موسى، وجاءت وصية الختان تكسر السبت أيضاً، إذ كان يؤم إتمام الختان إن جاء الموعد في يوم السبت. حقاً لم يقل السيد مباشرة: "أنا عملت ما هو أعظم من الختان" بل قال: "لهذا أعطاكم موسى الختان ... [٢٢]."

"لهذا أعطاكم موسى الختان،

ليس أنه من موسى،

بل من الآباء،

ففي السبت تختنون الإنسان". [22]

لقد وهب لهم الختان كعطية صالحة، وليس كقفل يملسه الإنسان، ولا يُحسب مملسته كسواً للناموس. لقد أُعطيت وصيته قبل موسى بزمان طويل، منذ أيام إبراهيم (تك ١٧: ٩-١٠)، لكنه أدمج مع الشرائع الموسوية كواحدة منها، مع أنه لم ترد وصية موسوية تطالب بالختان.

أعطى معلمو اليهود لوصية الختان أفضلية عن السبت، ف قد التزم اليهود بطقس الختان في اليوم الثامن حتى وإن جاء يوم السبت. لا واعي حفظ السبت من أجل الصحة العامة. فإن كان الأمر هكذا بالنسبة لممارسة الختان حرفياً، فماذا إن كان الأمر يخص سلامة الإنسان كله، متى شفيت كل أعضاء المفلوج الملقى علي سرير مرضه 38 عام.

يعود أمر الختان إلى عصر الآباء، ما قبل موسى النبي، وليس من بدء الخليقة، أما ما يفعله السيد المسيح فهو أمر يخص كيان الإنسان طبيعياً، منذ خلقته، إذ يريد الله أن يكون الإنسان سليماً روحياً وجسدياً منذ بدء الخليقة.

يقول القديس أغسطينوس كأن السيد المسيح يقول: [لأن الختان يخص نوع من ختم الخلاص، ويلتزم الناس ألا يكفوا عن عمل الخلاص في يوم السبت. لهذا لا تسخطون عليّ لأني شفيت إنساناً كله في السبت [23]، إن كان الإنسان يقبل الختان في السبت... [780]

كما يقول القديس أغسطينوس إن الختان كان يتم في اليوم الثامن باستخدام سكين حجريّة، وكان رمزاً لنوع الشهوات الجسدية من الجسد، وقد جاء السيد المسيح، الصخرة الحقيقية، ليقدّمه في اليوم الثامن فيهب المؤمن بقيامته ختانياً روحياً. يقول استمعوا إلى أولئك الذين اختنوا بالحجر الحقيقي

الذين ينصحهم الرسول: "إن كنتم قد قمتم مع المسيح فأطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض" (كو 3: 1-2). يتحدث إلى المختونين: المسيح قام، إنه يزع عنكم الشهوات الجسدية، الشهوات الشهوانية، الأمور غير اللازمة التي ولدنا بها، والأمور الأثغر التي أضفتموها إليها بحياتكم الشهوانية. إن كنتم قد اختنتم بالصخرة لماذا لا تلم ترضعون عواطفكم في الأرض؟ [781]

❖ موسى نفسه "خادم الناموس" كسر ناموس السبت لأجل الختان الذي امتد من الآباء حتى زمن اليهود ليظهر أنه كان حافظاً لتقليد الآباء، ولما كان الله يعمل أيضاً في السبت، لذلك فهو يعلن عن نفسه أنه هو أيضاً يعمل. فلا يكون هذا تعدياً على السبت، إذ له نفس الفكر مع الآب، لهذا أيضاً قال: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو 5: 17)...

إن كان موسى قد اهتم أن يكرّم تقليد الآباء، وجعل هذا التكريم أعلى من تكريم السبت، فلماذا تزوجون باطلاً من جهتي وتتعبون كأنني أحد الساعين إلى التعدي على الناموس والعزيرين به، مع أنني أعمل عملاً معادلاً لعمل الآب، وأتفق معه دوماً في كل قصد؟ وحيث أنه يعمل يوم السبت، فإنني أرفض التكاثر في هذا اليوم.

القديس كيرلس الكبير

"فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لئلا ينقض ناموس موسى،

أفتسخطون عليّ لأني شفيت إنساناً كله في السبت؟" [23]

الختان فيه جرح ودم وألم، ومع هذا يُملس يوم السبت الذي هو يوم الراحة، فماذا يكون بالنسبة للسيد المسيح الذي يهب شفاء الإنسان بأكمله؟ إن كان عمل الناموس المؤلم يُسمح به في السبت، أليس بالأولى عمل الإنجيل الموح واهب السلام أن يُملس في السبت؟

ما يشغل ذهن والدي الوضع وأقربائه أن يُشفى الطفل المُختن في الجزء المُختن، أما ما يشغل السيد المسيح فهو شفاء الإنسان بكل كيانه.

❖ الختان هو السبيل إلى العناية بالإنسان، وهو يفوق فريضة السبت نفسها، لأنه كان من الضروري أن يُشفى المريض تماماً، فما العائق إذن، أو كيف يُعقل أن تقف فريضة السبت في طريق شفاء الجسد كله ما دام يُسمح فعلاً وتون لومٍ بخرقه عن طريق شفاء جزئي (أو طفيف)؟

القديس كيرلس الكبير

❖ أنتم ترون أننا ننال امتياز الشوكة في جوهه ليس في دائرة الطبيعة، وإنما في دائرة النعمة. والسبب أننا موضع حب الآب، بحبه لابن يحب أعضاء الجسد [782].

القديس جيروم

"لا تحكموا حسب الظاهر،

بل احكموا حكماً عادلاً." [24]

يطالبهم السيد المسيح أن يحكموا بالبر لا بالمظهر، فإن الانشغال بالحرف لا بالروح يفسد حكمنا بالنسبة لأمر الناموس. السبت كيوم "الراحة" هو يوم الرحمة والحب لحساب مجد الله وبنيان شعبه وخلص كل أحدٍ ما أمكن. ليكن حكمهم في شفاء المفوج يوم السبت خلال هذا المفهوم الروحي لا الحرفي.

❖ إن الناموس الذي أنتم غيرون عليه هكذا للاشواك فيه، والذي بسببه اشتعلتم بثورة علمة، إنما يصوخ عالياً، قائلاً: "لا تهاووا وجه إنسان، لأن القضاء لله" (تث 1: 17). إذن أنتم يا من تدينونني كمتعدٍ بسبب السبت، وتقررون أنه من اللائق تماماً أن تغضوا لهذا، هل تهتمون بكرامة الناموس؟ لتخجلوا من الرسالة القائلة: "لا تحكموا حسب الظاهر، بل احكموا حكماً عادلاً، لأنكم إن كنتم تستبغون موسى من التعدي، وبصوابٍ تعتبرون أنه لا دينونة عليه في ذلك بالرغم من أنه يكسر فريضة السبت بسبب الختان الذي هو من الآباء، فهل تعفون الابن أيضاً من اللوم وهو الذي يتفق دوماً مع فكر الآب ويوافق مشيئته، وكل ما يفعله الآب يفعله الابن أيضاً؟ كيف تدينون الابن وحده دون موسى مع أنه مشترك معه في نفس اللوم فيما يخص

ما تظنون أني متورط فيه بسبب السبت؟

القديس كيرلس الكبير

❖ كأن المسيح يقول: أنا قد عملت عملاً رُفِعَ قَورًا من الختان وأفضل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الآن بحسب ناموس موسى تختنون في يوم السبت ولم تقضوا على موسى، وعندما أوت إنسانًا كله غضبتم علي. "إنكم تحكمون بمحابة، اهتموا بالحق!" [783]

❖ لا نظن أن هذا لم يُقَل من أجلنا نحن، لأننا لم نكن موجودين في ذلك الحين... ليتنا لا نتراجع إلى الخلف، ونتطلع إليه وهو يوبخ الأعداء، بينما نحن أنفسنا نفعل ما يوبخنا عليه الحق.

حقًا لقد حكم اليهود حسب الظاهر، وبهذا لم ينتموا إلى العهد الجديد، ليس لهم ملكوت السموات في المسيح، ولا اتحنوا بمجتمع الملائكة القديسين. لقد ظلوا أمورًا زمنية من الرب: أرض الموعد، النصرة على الأعداء، كثرة البنين، فيض من الثمار – هذه الأمور التي بالحق وعدهم الله بها، الحق والصالح، وعد بها كأناسٍ جسدانيين، هذه كلها قدمت لهم عهدًا قديمًا...

الآن نتجدد، وصار لنا الإنسان الجديد، لأنه قد جاء ذاك الذي هو الإنسان الجديد. إذ من هو جديد هكذا مثل ذاك الذي وُلد من العفواء؟... فيه ميلاد جديد وفينا نحن الإنسان الجديد.

وما هو الإنسان الجديد؟ إنسان يتجدد من العتق.

إلى أي شيء يتجدد؟ لطلب الأمور السماوية والاشتياق إلى الأبديات، والغرة لطلب الوطن العلوي، وعدم الخوف من عدو، حيث لا نخسر صديقًا ولا نخشى عنوًا، حيث نعيش بعاطفة صالحة بلا عوزٍ...

لنارجاء مختلف تمامًا عن رجائهم. ليتنا لا نحكم حسب الظاهر، بل نحكم حكمًا عادلًا... هكذا ننتفع بكلمات الرب، ولكي ننتفع بها تعيننا

[784] نعمته .

القديس أغسطينوس

5. إيمان كثيرون به

"فقال قوم من أهل أورشليم:

أليس هذا هو الذي يطلبون أن يقتلوه؟" [25]

كانت أورشليم في نظر اليهود هي ينوع الروحانية ومصدر المعرفة الإلهية الحقيقية، لكن الشعب في أورشليم صلوا في رتبك من موقف القيادات الدينية. هل هم يطلبون حقًا قتله كمجدفٍ ومخادعٍ؟ ولماذا لم يلقوا القبض عليه، وها هو يعلم علانية؟

هنا نجد موقف الشعب القادم من خلج أورشليم مختلف عن أهل أورشليم، لأن القادمين لا يعرفون شيئًا عما تحمله القيادات من حسدٍ وغورةٍ، أو من مقاومة للسيد المسيح، أما أهل أورشليم فعلى رواية بما يخطئه هؤلاء ضده.

بخصوص موقف اليهود من السيد المسيح يميز بعض الدارسين بين ثلاث فئات:

1 . الرؤساء والكهنة والفريسيون، يحملون عدوة ضد السيد المسيح.

2 . أهل أورشليم، يعرفون ما تحمله مشاعر الفئة الأولى، وقد وقفوا في رتبك بين خضوعهم للقيادات مع ملاحظتهم أنهم لا يتحركون للخلاص

منه عمليًا وبين ما يتمتعون به من أعمال محبة وأعاجيب وتعاليم لها جاذبيتها الروحية وسلطانها يملسها السيد.

3 . الغباء الصاعدون إلى أورشليم للعيد، والذين اعجبوا من السيد وهم يجهلون موقف الفئة الأولى ضده. وقد دهشوا عندما سمعوه يقول أنهم يطلبون أن يقتلوه [٢٠] ، وحسبوا ذلك وهمًا عنده أو فكراً من الشيطان.

❖ نعتقد أن بقية الشعب اليهودي كانوا يجهلون خطة رؤسائهم، لكن أولئك الذين من أورشليم يعيشون معظم الوقت معهم، ويسكنون معهم في نفس المدينة، ويتقابلون معهم باستمرار، ويعرفون التخطيط الشرير الذي ملأهم ضد المخلص المسيح.

القديس كيرلس الكبير

❖ الذين عرفوا بأية شراسة كانوا يطلبونه تعجبوا بأية قوة حفظ من أن يقبضوا عليه. وإذا لم يعرفوا قوته كما ينبغي توهموا أن القادة عرفوا أنه المسيح نفسه، ولهذا السبب تركه الذين كانوا شغوفين جداً أن يظلموا قتله [785].

القديس أغسطينوس

"وما هو يتكلم جهاراً ولا يقولون له شيئاً،

أ لعل الرؤساء عرفوا يقيناً أن هذا هو المسيح حقاً؟" [26]

❖ إن لم يكن الرؤساء قد عرفوا يقيناً أن هذا هو المسيح (حقاً)، فما الذي يغيبهم على تحمل توبيخه العلني لهم، وتجديده للأمر التي كانت فريضة منذ القديم، إذ وُجد يشفي حتى في يوم السبت، ويحزنهم أشد الحزن بقله بصراحة: "أليس موسى قد أعطاكم الناموس، وليس أحد منكم يعمل الناموس؟" وهم يتحملون كل هذا...

القديس كيرلس الكبير

"ولكن هذا نعلم من أين هو،

وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو". [27]

عرف غالبية الشعب أن يسوع ولد في بيت لحم من بيت دود، ولكن حسبما يعلن إشعياء النبي: "جيله من يقدر أن يعلنه؟" (إش ٥٣ : ٨)، أي أن ميلاده وظهوره سويان. وكان الربيين لديهم هذا المثل: "ثلاثة أمور تحدث فجائياً: شيء نجده بالمصادفة، لدغة العقوب، ظهور المسيا". لهذا تساءل أهل أورشليم إن كان يسوع هو المسيح أم لا، لأنهم يعرفون من أين هو. لم يدركوا أن ما نطق به إشعياء يخص ميلاده الألي الفائق، وأيضاً يخص كهنوته بكونه على رتبة ملكي صادق الذي لا يعرف أحد والديه. أما عن تجسده، فقد أعلن الأنبياء الكثير عن تفاصيله، وقد عرف اليهود أين يولد (مت ٢ : ٤-٥).

❖ إنهم لم يفطنوا إلى كلمات الأنبياء القديسين عنه وهي نوعان.

تشير أحياناً إلى أنه سيأتي إلى العالم في الجسد، وتعلن لنا عن ميلاده من عذراء حسب الجسد. "فها العذراء تحبل وتلد ابناً" (إش ٧ : ١٤). أجل، بل وهي تعلن مكان ميلاده: "أما أنت يا بيت لحم أوتاه، وأنت صغرة، أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخرجه من القديم، منذ أيام الأزل" (مي ٥ : ٢).

لكنهم حينما كانوا يقدمون - قدر المستطاع - ميلاده غير المرك من الله الآب يقولون ما ذكرناه آنفاً أن ميلاده من يخبر به؟ لأن "حياته أنوعت من الأرض"، أو ما يتصل بالنص المقتبس: "مخرجه منذ القديم، منذ أيام الأزل". لأنه يعني هنا بتعبير "مخرج" الابن الوحيد، كخروج البهاء من النور، وكخروج خاص من جوهر الذي ولده، إلى كيانه الخاص (الذاتي) الذي قبل كل الدهور وكل يوم وكل لحظة...

القديس كيرلس الكبير

❖ يقولون: "لا يعرف أحد من أين هو"، مع أن رؤسائهم عندما سئلوا أصروا أنه ينبغي أن يولد في بيت لحم...

وهو أخوي يقولون: لا يأتي من الجليل بل من بيت لحم [41، 42]. ألا تتروا أن قرراتهم صاورة عن ثورة غضب؟ يقولون "نحن نعلم" و"نحن

لا نعلم... فقد انشقوا في أمرٍ واحدٍ [786].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بكونه إنسانًا سبق فأخبرتنا الكتب المقدسة ما سيكون عليه، أما بكونه الله فقد أخفي هذا عن الأثوار، ويحتاج الأمر إلى أوارٍ يكتشفونه. علاوة على هذا يقولون: "وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو" [27]. لأن هذا ما نطق به إشعياء، مقدمًا لهم هذه الفكرة: "وحيله من يخبر به؟! في اختصار قدم الرب نفسه إجابة على الطريقتين، إنهم يعرفون من أين هو، وأيضًا لا يعرفون. وذلك لكي يشهد للنبي الذي سبق فأخبر عنه من جهة بشوية ضعفه، وأيضًا من جهة لاهوت مجده [787]."

القديس أغسطينوس

" فنأدى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلًا:

تعرفونني وتعرفون من أين أنا،

ومن نفسي لم آت،

بل الذي أرسلني هو حق،

الذي أنتم لستم تعرفونه." [28]

أجاب السيد المسيح على هذه التسؤلات علانية، منادياً بصوت عالٍ في الهيكل. ولعله بهذا يدعو الكهنة والقيادات التي لم تعد تجسر أن تقترب، أو لا تطيق سماع صوته لكي يفتروا ويسمعوا. إنه لا يُعلم خفية بل علانية، لأنه يقدم الحق بلا خداع كما ادعوا. كأنه يقول لهم: "من له أذنان للسمع فليسمع."

" تعرفونني وتعرفون من أين أنا "، كأنه يقول: هذا حق، فإنني من أمتكم، وأنا منتسب إليكم، وتعرفون موطن ميلادي. لكن من جهة لاهوتي لست تعرفونني ولا تعرفون من أين أنا، ولا ذلك الذي أرسلني.

" ومن نفسي لم آت " . إنه ليس بالإنسان المجرد الذي يعمل لحساب نفسه، بل هو مُوسل من الآب، يعمل لحساب البشوية كلها. إنه ابن الله الذي سبق فوعدهم برسالة المسيح مخلص العالم، وهذا هو الوعد الإلهي يتحقق لكنهم يرفضونه ويرفضون إنجيله.

لم يكن من السهل أن يقبل الرؤساء هذا الحديث، إذ فيه اتهام ضدهم بالجهل؛ إنهم لا يعرفون الله، بينما هو وحده يعرفه، ليس لأنه أرسله كما يرسل الأنبياء وإنما هو "منه"، مولود منه زلياً. فمن جهة ينسب إليهم الجهل، ومن جهة أخرى يقيم من نفسه ابناً مولوداً من الآب، وفي نظرهم هذا تجديف يستحق عليه الموت. لكن قوة خفية منعتهم من إلقاء أيديهم عليه حتى تحين الساعة.

❖ كإنسان لم يأت من نفسه، وكابن الله لم يأخذ بدايته من بشر، بل كما يقول: "أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به" (يو 8: 25). الكلمات التي أكلمكم بها ليست بشوية بل إلهية [788].

❖ إذن ما هو معنى "لا تؤمنوا بي" (يو 12: 44)؟ لا تؤمنوا بما تتركونه في الشكل الجسدي، ولا في مجرد الإنسان الذي تؤمنون به. إذ بقدر ما أنه يجب علينا ألا نؤمن به كمجرد إنسان بل أن يسوع المسيح نفسه هو الله والإنسان (في نفس الوقت). لهذين السببين يقول: "لم آت من نفسي" (يو 7: 28). كإنسان لم يأت من نفسه، وكابن الله لم يأخذ بدايته من إنسان، بل يقول: "أنا نفسي من البدء ما أكلمكم به". الكلام الذي أكلمكم به ليس بشويًا بل هو إلهي [789].

القديس أمبروسيوس

❖ القول: "تعرفون من أين أنا" لا تعني هنا موضعاً معيناً، وذلك هو حق، الذي أنتم لستم تعرفونه، مشوّاً هنا إلى الجهل الذي ظهر من أعمالهم. وكما يقول بولس: "بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرون" (تي 1: 16). فإن خطأهم يصدر ليس مجرداً عن الجهل بل عن شرٍ، عن رأيهم الشوير

وحكمهم الشوير. فمع معرفتهم هذه رأوا أن يكونوا جاهلين... بقولهم: "نحن نعلم من أين هو" لم يعلنوا أنه من السماء... ويقوله: "وتعرفون من أين أنا" [28]، يعني أنه ليس من الموضوع الذي يظنونه، بل من الموضوع الذي منه ذلك الذي أرسله [790].

❖ بالقول: "من نفسي لم أت" يعلن أنهم عرفوا أنه مرسل من الآب، ومع ذلك لم يريدوا أن يبوحوا به.

إنه يلومهم من جانبين: أولاً أنهم قالوا في الخفاء وهو تكلم علانية لكي يضعهم في حرج؛ وأنه أعلن ما هو في قلوبهم. فبينما أصروا على القول: "لا يعلم أحد من أين هو" أكد بذلك انه هو نفسه المسيح.

هم استخدموا الكلمات: "لا يعلم أحد" بالإشارة إلي تمييز بين أماكن محلية، لكنه بذات الكلمات يظهر نفسه المسيح، لأنه جاء من عند الآب... كلماته بخصوص الآب: "أنتم لستم تعرفونه" جعلتهم في سخط، إذا يوبخهم هكذا لأنه إذ يعرف أنهم يتظاهرون بالجهل كان ذلك كافياً أن يؤخّروهم [791].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الكتاب الموحى به من الله أعطاكم أن تعرفوني، وأن تعرفوا من أين أنا، ليس لأنكم تعرفوني إنني من الناصرة أو من بيت لحم، وإنني مولود من امرأة، يوجب عليكم بهذا أن يصيبكم مرض عدم الإيمان. لكن بسبب تلك الأمور التي قيلت عني، وبسبب ميلادي الجسدي، كان ينبغي عليكم بالأحرى أن تتقدموا إلى إيراك الأسوار الخاصة بي، وألا تردوا صوتاً وحيداً لنبي يخبر عن ميلادي غير المرئى من الله الآب.

❖ لست مثلكم، ولا أحكي خستكم التي تمستم عليها جيداً. فأنا لم أت من نفسي، ولا أنا بمرسل نفسي مثلكم، بل أنا أت من السماء، والذي أرسلني هو حق، وليس مثل الشيطان مرسلكم، شيطان الكذب، الذي تقبلون روحه، فتتحوّلون على التنبؤ بالكذب، الذي هيجكم لتخوّعوا كلمات من الله، فهو ليس حقاً، لأنه كذاب وأبو الكذاب (يو 8: 44).

القديس كيرلس الكبير

❖ كأنه يقول: أنتم تعرفوني، وتعرفون من أين أنا، وأنتم لا تعرفون من أين أنا.

أنتم تعرفون من أين أنا، يسوع الناصري، وتعرفون والديه. لأنه قد خفي عليهم ميلاده من البتول وحدها، الأمر الذي يشهد له زوجها، فإنه قادر أن يشهد بأمانة لهذا كزوج غيور، فإن هذا هو الميلاد البتولي المتوقع.

لقد عرفوا في يسوع ما يخصه كإنسان، وجهه كان معروفاً، مدينته كانت معروفة، أسرته كانت معروفة، أين ولد كان معروفاً بالسؤال عنه. بحق قال "تعرفوني وتعرفون من أين أنا" [28]، وذلك حسب الجسد وشكل الإنسان الذي أحمله.

أما ما يخص لاهوته: "من نفسي لم أت، بل الذي أرسلني هو حق، الذي أنتم لا تعرفونه" [28]. كان يمكنكم أنتم أن تعرفوه، وتؤمنوا بالذي أرسلني. إنه لن يرى أحد قط الله إلا ابن الله الوحيد الذي في حضن الآب، هو يخبر عنه (يو 1: 8). لا يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له (مت 11: 27) [792].

القديس أغسطينوس

❖ "الذي لستم تعرفونه"، حيث أنكم لا تعرفون ذلك الذي هو منه، الذي فيه وحده وى الآب. لأن من رأى الابن فهذا قدر رأى الآب (يو 1: 9). والذي يعرف الابن لا يجهد ذلك الذي ولده...

إنه ليس مثلهم لا يعرف أباه الشخصي، لكنه يؤكد أنه يعرف نفسه ويعرفه (الآب) حق المعرفة تماماً. لأنه إله من الله الآب يملك معرفة خاصة عجيبة وغريبة بتلك الأمور كلها، كما يليق به وحده، لأن الابن لا يعرف الآب بنفس الطريقة التي نعرفه نحن بها. لأن طبيعة المخلوقات تبلغ إلى رؤية الله بالفهم فقط، ولا تتجاوز حدودها التي ثلاثها، وتدعن بغير رادتها إلى الطبيعة الإلهية المجتمعة في الكلمات التي لا يُنطق بها. أما الابن الوحيد الجنس لله الآب فوى ذلك الذي ولده كاملاً في ذاته، ويرسم جوهر الآب في ذاته ويعرفه، بطريقة لا يمكن التعبير عنها، لأن أمور الله لا يُنطق بها.

القديس كيرلس الكبير

"أنا أعرفه لأني منه،

وهو أرسلني". [29]

❖ لماذا يقول: "أنا أعرفه"؟ "لأني منه، وهو أرسلني" [29]. لقد أظهر كليهما بطريقة مجيدة. يقول: "إني منه"، لأن الابن من الآب، وما هو عليه الابن

إنما هو من ذلك الذي هو ابنه. لذلك نقول إن الرب يسوع المسيح هو إله من إله، ولا نقول عن الآب إنه إله من إله بل هو الله. ونقول عن الرب

يسوع نور من نور، ولا نقول عن الآب إنه نور من نور، بل هو النور. بهذا فهو يقول: "إني منه".

ولكن حسبما ترونني في الجسد هو "رسلني".

عندما تسمع "رسلني" لا تفكر في وجود اختلاف في الطبيعة بل في سلطان ذلك الذي وُلد [793].

القديس أغسطينوس

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على تواضع السيد المسيح العجيب، فإنه بهذا كسب نفساً كثرة للإيمان به.

❖ ألا ترون كيف يطلب على النوم أن يوهن : "لم آت من نفسي"، "الذي أرسلني هو حق"، مجاهدًا إلا يُحسب عوًا لله؟ ولتلاحظوا عظمة نفع تواضع

كلماته، فإنه قيل بعد هذا: أعمل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا الإنسان؟ [794].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فطلبوا أن يمسكوه،

ولم يلق أحد يداً عليه،

لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد". [30]

❖ أسكنت توبيخات (الرب) الفريسيين، وإذ قد تأكوا أن صمتهم حيال هذه الأمور قد أضر بعنادهم وانتفع به الجمهور (إذ اقتنعوا انه المسيح)...

تعطشوا مرة أخرى إلى قتله، إذ طرحوا وقار الناموس جانباً... وحسبوا غير أهلٍ لتذكر الوصية: "لا تقتل الويء والبار" (خر ٢٣: ٧). لكن العمل

الإلهي قمعهم وكبح أعمالهم الشريرة، وحول خطتهم إلى مجرد محولات.

القديس كيرلس الكبير

❖ "فطلبوا أن يمسكوه، ولم يلق أحد يداً عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد"، أي لأنه لم يكن يود ذلك.

فإنه ماذا تعني "ساعته لم تكن قد جاءت بعد"؟ لم يولد الرب تحت مصير معين. يجب ألا تعتقد بذلك بالنسبة لك (أنك مُصير، فكم بالأولى لذاك

الذي خلقك. إن كانت ساعتك هي حسب رادته الصالحة (وليس قضاء وقوفاً)، فكم تكون لا ساعته إلا يرادته الصالحة؟

إذ لا يعني بالساعة التي يموت فيها قسراً بل التي تنزل لكي يموت فيها (برادته). إنه كان ينتظر أن يموت فيها كما انتظر الساعة التي وُلد

فيها. تحدث الرسول عن هذا الزمن، قائلاً: "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً" (غل 4: 4). لهذا السبب كثيرون يقولون لماذا لم يأت

المسيح من قبل؟ نجيبهم: لأن ملء الزمان لم يكن قد جاء بعد. وفي المكان الأول كان من الضروري أن يُخبر مسبقاً عنه بسلسلة طويلة من الأزمان

والسنوات، لأن مجيئه ليس بالأمر التافه. كان يجب أن يُخبر مسبقاً لمدة طويلة عن ذلك الذي نتمسك به أبدياً.

كلما زادت عظمة القاضي القادم كلما طال صف المعلمين عنه السابقين له.

في اختصار إذ حلّ ملء الزمان جاء ذلك الذي يخلصنا من الزمن. وإذ نخلص من الزمن سنأتي إلى الأبدية حيث لازم. عندئذ لا نقول: متى

تأتي الساعة؟ لأن اليوم أبدي، لن يسبقه أمس، ولن يقطعه غد. لكن في هذا العالم الأيام تتكرر وراء بعضها البعض، أيام تمضي وأخرى تأتي، وليس من

يوم يوم. اللحظات التي نتكلم فيها تسحب اللحظة غوها، كل لحظة بورها...

منذ بدأنا نتحدث صوتنا إلى حدٍ ما أكبر (عزواً)، فبدون شك الآن أنا أكبر مما كنت عليه في الصباح. هكذا لن يبقى شيء على حاله، ليس شيء

ثابت في الزمن. لهذا يليق بنا أن نحب ذلك الذي به خلق الزمن، حتى نتخلص من الزمن، ونثبت في الأبدية، فلا يكون بعد تغيير في الزمن. عظيمة هي مواحم ربنا يسوع المسيح الذي من أجلنا وُجد في زمن، هذا الذي وُجد الأمانة، إذ وُجد بين كل الأشياء ذلك الذي به كل شيء كان، فصار ما قد صنعه...

إذ صار إنساناً ذلك الذي خلق الإنسان، حتى لا يهلك ما قد صنعه. نحسب هذا التدبير قد جاءت ساعة ولادته فولد، لكن في ذلك الحين لم تكن قد جاءت ساعة آلامه، لذلك لم يكن بعد قد تألم [795].

القديس أغسطينوس

"فأمن به كثيرون من الجمع وقالوا:

ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا؟" [31]

كلما اشتدت الضيقة وحلول الرؤساء بالأكثر أن يقتلوا السيد المسيح، مع استعبادهم للشعب كان الحق يتجلى بالأكثر. لذلك آمن به كثيرون. وجد الرؤساء في حديث السيد المسيح العلني تجديفًا لا يُحتمل، بينما وجد كثير من الجمع في أعمال محبته الفائقة وهائلاً أكيداً أنه المسيا المنتظر، إذ لم يكن ممكناً أن يقوم أحد بعمل آيات مثلما فعل السيد المسيح. وكما قال السيد أنه جاء لقيام كثيرين وأيضاً لسقوط كثيرين. ❖ كما أكرر كثراً، أن الجسدانيين ينقادون لا بالتعاليم ولا بالكورة وإنما بالمعجزات [796].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد اجتهتوا دائماً أن يبينوا أنه ليس هو المسيح، فلو اعتدنا أن هذا ليس هو المسيح، فهل يكون ذلك أفضل من هذا؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ شفى الوب المتواضعين والفقراء. كان القادة في جنون، لهذا ليس فقط لم يعرفوا الطبيب، وإنما أيضاً يظلمون قتله. وُجد جمع من الناس رؤوا بسوعة مرضهم، وبغير تأخير عرفوا علاجه. انظروا كيف تحرك هذا الجمهور بواسطة معجزاته... فأمّنوا به [797].

القديس أغسطينوس

"سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نوره،

فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه." [32]

بدأ كثيرون يؤمنون به وصار تهاشم بين الشعب. وشعر الرؤساء أن كل تأخير ليس من مصلحتهم، فأرسلوا خداماً (جند الهيكل) ليلقوا القبض عليه.

❖ اتهمهم الناس بحق أنهم مغلوبون من الحسد أكثر من اهتمامهم بالأحرى بخلص الناس... ويبدو أن الجمع أساعوا إليهم... وصلوا متعطشين بالأكثر إلى الإيمان به.

❖ كان يليق بهم (رؤساء الكهنة) أن يكونوا قنوة في الأفكار الصالحة، وأن يمسكوا بزمام التوجيه في المشورة التي لا تقاوم الله. لكنهم إذ كانوا مبتعدين عن كل اتجاه صالح، وقد طوحوا الناموس الإلهي وراء حياتهم الشخصية، انصرفوا إلى ما يرضي انفعالاتهم التي بلا فطنة وحدها. لأن الرأس قد صار ذنباً كما هو مكتوب (تث ٢٨: ٤٤). إذ صار القائد تابعاً، وباتفاقه مع عدم تقوى الفريسيين يطلق العنان لهجمات ضد المسيح أيضاً.

القديس كيرلس الكبير

"فقال لهم يسوع:

أنا معكم زماناً يسيراً بعد،

ثم أمضي إلى الذي أرسلني." [33]

❖ حديثه هنا موجه للشعب وليس لخدام الهيكل، مظهرًا لهم أنه عالم بكل ما يخططه الرؤساء ضده خفية، وإن كانوا قد عجزوا عن تنفيذه عمليًا. أخبروني لماذا أنتم ناقمون، كأنني باقي معكم زمانًا طويلًا في هذا العالم؟ إنني أقر أنني حملت ثقل عليكم، ولا أشكل مسرة كبرية عند الذين لا يكومون الفضيلة... لكن لا تنصوا لي شبكة الموت في غير أوانها. " أنا معكم زمانًا يسيرًا بعد "، وسوف أرحل بفرح حين يأتي الوقت المناسب لآلامي... سأرحل من وسط الأثوار كإله، لكنني أبقى مع خاصتي كل الأيام حتى وإن ظهرت كأني غائب بالجسد... لماذا تفرون أنفسكم لربًا بمشورات غير مثوبة؟ اغموا سلاح الحسد، لأنكم تصوبونه بلا هدف. لن تخضع الحياة للموت، ولن ينال الفساد من عدم الفساد شيئًا. لن تمسكني أبواب الجحيم، ولن أصبح جسدًا ميتًا في قبوركم، بل أنطلق مرتفعًا إلى ذاك الذي أنا منه. سأصعد ثانية إلى السماء، منظورًا من الناس والملائكة معًا، كحاكم على تجديدكم. فسيتعجب البشر من صعودي. وحينما يلاقيني الملائكة يقولون: "ما هذه الجروح في يديك؟" أجيبهم: "هي التي جرحتها بها في بيت أحبائي" (زك ١٣: ٦).

القديس كيرلس الكبير

[798]

❖ يؤمني أن أكمل تدبيري، بهذا تأتي آلامي.

القديس أغسطس

" سنطلبونني ولا تجبوني،

وحيث أكون أنا لا تقدر أنتم أن تأتوا". [34]

يشبه البعض حديث السيد المسيح هنا بعمود السحاب والنار اللذين كان يظوان لشعب بني إسرائيل في البرية. لهذا الحديث جانبه المشوق الموح كما له الجانب المظلم.

الجانب المشرق أن السيد المسيح يسير في هذا العالم يسيرًا ليعبر وادي الألم ويصعد إلى حيث الآب. إنه عالم مملوء بالمتاعب، لم يعبر به يوم دون أن يحمل فيه الصليب، لكن الزمن لن يطول. أيامنا مليئة بمتاعب، يؤمن أن نحتل الأثوار، ونتخطى العقبات والحواجز، لكن شكرًا لله أنها قليلة! لن تعبر الآلام معنا إلى الفردوس!

بقوله "أمضي" يؤكد أنه قد قبل الموت بمرادته وليس قسوة، كما اختار هذه الرحلة الشاقة، كسفير عن الآب يقدم حياته مبنولة عن العالم ثم يعود إليه. ثورة الرؤساء ضده ومقاومتهم له ليس لها قوة بدون سماح منه، وفي نفس الوقت تلهب قلبه كابن البشر أن يعبر إلى الآب.

أما الجانب المظلم فهو ما يحمله الرؤساء من بغضة وكراهية، فيسعون إلى الخلاص منه من الأرض كلها، لكنهم لم يتركوا أنهم يطلبنه ولا يجدونه. إنهم ينالون ثمر جحودهم له، ويشربون من كأس خطاياهم، حيث لا يستطيعون التعرف عليه والبلوغ إليه.

وى البعض أنه يتحدث هنا عما سيحل بهم حين يهاجم الرومان مدينة أورشليم بقيادة القائد تيطس، فيصرون طالبين مخلصًا كما طلب آخاب الملك إيليا النبي وبحثوا عنه فلم يجوه (امل ١٨: ١٠).

لعله قصد أنهم في يوم الدينونة إذ يكتشفون مقاومتهم للحق يطلبن التمتع بشركة المجد مع المسيا فلا يجدون، لأن باب التوبة يُغلق، ويُجرى كل واحد حسب أعماله. إنهم يتوقعون أنهم يخلصون ويتمتعون بالسماء، فيجدون الذي قاوموه هو السموي ديان البشوية، وأنهم لم يتأهلوا للدخول إلى السماء، إذ رفضوا الصليب، شجرة الحياة.

❖ يقول الطوبولي بولس عن حق: "هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص" (٢ كو ٦: ٣). وأيضًا: "حسبنا لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع" (غل ٦: ١٠) ... فإنه حينما تمضي الفوص لا يتوفر لنا ما تأتينا به. ينبغي علينا ألا ننام عندما تكون الخوات حاضرة، بل أن نسهر بالأحرى، وألا

نجتهد بغير حكمة أن ننال ما هو نافع، حينما يكون البحث بلا طائل.

❖ فليأت إذن بولس الروحاني منادياً بصوت عالٍ للذين ماتوا عن الخطية: "لأنكم قد مُتُم وحياتكم مستوّة مع المسيح في الله. متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد" (كو 3: 3-4). وفي عظته عن القيامة أيضاً يقول: "ثم نحن الأحياء سنُخطف جميعاً معهم في السُحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب" (1 تس 4: 17)...

أجل، إذ يخاطب اللص الذي عُلق معه، وعند أبواب الموت عينها، وبالإيمان به، أمسك بنعمة القديسين، فيقول له: "الحق أقول لك اليوم تكون معي في الفردوس" (لو 23: 43).

فالذين كرموه بالطاعة يكونون معه نون عائق ما، وسيفوحهم بالخوات التي تفوق الفهم، أما الذين لا يكفون عن إهانتهم بحماقتهم، فبالرغم من كونهم أبناء العرس سيُطرحون في الهالوية في حزن ليناؤوا عقوبات مرة. وكما هو مكتوب: "يُطرحون إلى الظلمة الخرجية" (مت 8: 12).

القديس كيرلس الكبير

❖ هنا يسبق فيخبرهم بقيامته، فإنهم لم يعرفوه حين كان حاضراً، لكن بعد ذلك سيطلبونه حينما يجنون الجماهير قد آمنت به.

ستحدث آيات عجيبة عندما يقوم الرب ويصعد إلى السماء. ستتم أعمال قدوة بواسطة تلاميذه، لكنه هو العامل بهم كما عمل بنفسه، إذ قال لهم: "بنوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (يو 15: 5).

عندما مشى ذلك الأعوج الذي كان جالساً عند الباب على قدميه، وذلك عند سماعه صوت بطرس، فتعجب الناس، تحدث معهم بطرس أنه ليس بقوته فعل ذلك بل بذاك الذي قتلوه (أع 3: 16). نُخس كثيرون في قلوبهم وقالوا: "ماذا نفعل؟" إذ رأوا في أنفسهم أنهم قد رُبطوا بجريمة الشر البشعة، إذ قتلوا ذلك الذي كان يليق بهم أن يكرّموه ويعبوه [799].

❖ لم يقل: "حيث سأكون أنا" بل "حيث أكون أنا" [34]. لأن المسيح كان دائماً في هذا الموضع عندما كان في طريقه للعودة. فقد جاء بطريقة لم يفلق بها الموضع (السماء). "وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي قول من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يو 3: 13). لم يقل أنه كان في السماء. لقد تحدث وهو على الأرض، وقال أنه في ذلك الوقت كان في السماء [800].

❖ لم يقل "سوف لا تقدرون أنتم أن تأتوا" بل "لا تقدرون أنتم أن تأتوا" [34]، لأنهم في ذلك الحين لم يكونوا قادرين على هذا. ولكي يعرفوا أنه لم يقل هذا لكي يسبب لهم بأساً قال هكذا لتلاميذه: "حيث أذهب لا تقدرون أنتم أن تأتوا" (يو 13: 33). مع هذا في صلاته من أجلهم قال: "أيها الأب، رُيد حيث أكون أنا يكونون هم أيضاً" (يو 17: 4). وأخوياً شوح ذلك لبطرس وقال له: "حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني، ولكنك ستتبعني أخوياً" (يو 13: 36) [801].

القديس أغسطينوس

❖ حتى في الحياة الحاضرة إن تصوف جندي بغير لياقة مع ملكه، فإنه لن يقدر أن وى الملك، إنما يُعزل من سلطته وينال عقوبة عنيفة. لذلك نحن إن سوقنا أو طمعنا أو أسأنا إلى الآخرين، إن لم نمرس أعمال الرحمة لن نستطيع أن نذهب إلى هناك، بل نعاني مما حدث مع العذرى (الجاهلات). فحيث يوجد هو لا يستطعن أن يدخلن بل يتقاعدن، تتطفئ مصابيحهن، أي تفرقهن النعمة [802].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقال اليهود فيما بينهم:

إلى أين هذا مزعم أن يذهب حتى لا نجده نحن؟

أ لعله مزعم أن يذهب إلى شتات اليونانيين، ويعلم اليونانيين؟" [35]

ظفوا أنه يتحدث عن تركه لليهودية وانطلاقه إلى شتات العالم يركز بين اليهود المشتتين في دول كثرة يحملون ثقافة يونانية، ويستخدمون

الترجمة السبعينية اليونانية. وكان يهود اليهودية يطلبون تنقية اليهود من الفكر الهيليني (اليوناني)، ولعله قصد هنا ذهابه إلى الأمم الوثنيين ليكرز لهم.

❖ ما هو "شتات اليونانيين"؟ هكذا كان اليهود يدعون الأمم، لأنهم كانوا مبعوثين في كل موضع، وممتجين الواحد مع الآخر نون شبع. هذا الخري سقط بهم هم أنفسهم بعد ذلك، إذا صرلوا في شتات... بعد قولهم هذا لاحظوا كيف أنهم لم يقولوا عنه انه ذاهب لكي يهلكهم بل "ليعلمهم". إلى هذه الدرجة اسقطوا غضبهم [803].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بالحقيقة كان الرب ذاهباً إلى الأمم (اليونانيين)، ليس بحضوره الجسدي، وإنما بقدميه. ما هاتان القدمان؟ هاتان اللتان أراد شاول أن يطأهما باضطهاده عندما صوخت الرأس إليه: "شاول، شاول لماذا تضطهني؟" (أع9: 4) [804].

❖ هذا ما يقول عنه الرب أنهم لا يعرفون الموضع - إن صح القول أنه موضع - الذي هو حضن الآب، هذا الذي لن يفترقه المسيح، ولم يكونوا كفاء أن يتركوا أين كان المسيح، الذي منه لن يُسحب قط المسيح، فإلى حيث هو ذاهب كان هو أيضاً قاطناً.

كيف يمكن للقلب البشري أن يترك هذا؟

وبالأكثر كيف يمكن للسان أن يشوحيه؟

هذا لم يتركه قط، ومع هذا سبقوا فأعلنوا عن خلاصنا بأن الرب يذهب إلى شتات الأمم، ويحققوا ما قرأوه ولم يفهموه. "شعب لم أعرفه

خدمني، بسماع الأذن أطاعني" (مز 18: 14). هؤلاء الذين كانوا أمام عينيه لم يسموا له، والذين سمعوا بأذانهم كان صوته يرن فيها [805].

القديس أغسطينوس

"ما هذا القول الذي قال:

ستطلبوني ولا تجدونني،

وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأقوا؟" [36]

❖ لا يقولون أنه سيصعد إلى السماء، مع أنهم سمعوا بوضوح: "أنا معكم زماناً يسيراً بعد، ثم أمضي إلى الذي أرسلني" [33]. لكنهم يتخيلون مدينة اليونانيين كأن الآب أرسله في وسطهم...

إنهم كمن يتتباون، وهم لا يديرون بما يقولون، إذ تحركوا بدافع إلهي ما، فيقدمون المسيح إلى مدينة الأمم خلال الشك، مفكرين فيما يكون بعد

قليل حقيقةً.

إنهم بهذا يلغون عليه وصمة عار، كأنه قد تعدى الناموس فعلاً... وأن ذلك فيه نقض للنواميس الإلهية وعدم مبالاة بالأمر.

القديس كيرلس الكبير

6. الوعد بحلول الروح القدس

"وفي اليوم الأخير العظيم من العيد،

وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب". [37]

الذين التصقوا بموسى النبي شربوا ماءً من الصخرة في البرية حيث كانت الصخرة تتبعهم وتفيض عليهم بما يرويه، أما من يؤمن بالسيد

المسيح فيحمل الصخرة في داخله، وينطلق الفيض لا من الخرج بل من بطنه، أي من إنسانه الداخلي حيث يُقام ملكوت الله.

يدعو اليهود الماء الجلي ماءً حياً، لأنه دائم الحركة، لن يتوقف عن الحركة. هكذا إذ يوجد السيد المسيح في القلب يتمتع المؤمن بنعمة فوق

نعمة، تفيض هذه النعم على من هم حوله (أم 10: 11). فلا يكفينا أن نشوب من المحوى الذي في داخلنا، لنستريح بالنعمة الإلهية المعطاة لنا، وإنما يؤم أن يفيض هذا المحوى الداخلي ليروي الكثيرين. الأرض الجافة المقوية ليس فقط تتحول إلى فودوس، وإنما تفيض بمياهها على نفوس جافة كثرة لتشكلها الطبيعة الفودوسية الجديدة.

في اليوم الأخير من العيد وقف السيد المسيح يقدم دعوة للشعب العائد إلى بيوتهم، قدمها علانية منادياً بصوت عالٍ. في الأيام الأولى للعيد يقدمون ذبائح من أجل السبعين دولة في العالم، أما اليوم الأخير فمخصص لإسوائيل وحده. لهذا كان اليوم الثامن يُحسب "العظيم"، له تقدره الخاص.

❖ إنه لا يقول: "يجب أن تشربوا، يجب أن تجروا، أردتم أو لم تريدوا"، بل من كان راغباً وقاواً على الحوي والشرب، فسيغلب وروتوي [806].

القديس جيروم

❖ إنه ليس بالأمر التافه أننا نقول أن نهوراً ينبع من عرش الله، إذ تقولون كلمات الإنجيلي يوحنا في هذا الفحوى: "ورأني نهوراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبلورٍ خرجاً من عرش الله والخروف. في وسط سوقها، وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتي عشرة ثمرة، وتعطي كل شهر ثورها، وورق الشجرة لشفاء الأمم" (رؤ 22:1-2). هذا بالتأكيد النهر الصادر عن عرش الله، أي الروح القدس الذي يشرب منه من يؤمن بالمسيح كما قال المسيح نفسه [37-38] [807].

القديس أمبروسيوس

❖ إذ ينتهي الأمر بأن يكون على الموء أن يأخذ كل شيء من داخل النهر أو الوادي، وأن يتهلل بذلك، نقول إن ربنا يسوع المسيح يُقرن بنهر، فيه نجد كل مسرة وتمتع في الرجاء، وفيه نوح فوحاً روحياً إلهياً.

القديس كيرلس الكبير

❖ إن كنا عطشى فلنأتي، لا بأقدامنا بل بعواطفنا. لنأتي لا بالتحرك من موضعنا بل بالحب. بالرغم من أنني حسب الإنسان الداخلي من يجب يتحرك أيضاً من مكان؛ من غير مكانه يهجر جسده ذلك بحركة القلب. إن كنت شيئاً ما وكنت قبلاً تحب شيئاً آخر فأنت الآن لست في ذات الموضع الذي كنت فيه [808].

القديس أغسطينوس

❖ إن الروح بالرغم من اتحادها مع الله فهي لا تشعر بملء السعادة بطريقة مطلقة. كلما تمتعت بجماله زاد اشتياقها إليه.

❖ إن كلمات العريس روح وحياة (يو 24:5)، وكل من التصق بالروح يصير روحاً. كل من التصق بالحياة ينتقل من الموت إلى الحياة كما قال الرب.

وهكذا فالروح البكر تشناق دائماً للذنو من نبع الحياة الروحية. النبع هو فم العريس الذي تخرج منه كلمات الحياة الأبدية. إنه يملأ الفم الذي يقترب منه مثل داود النبي الذي اجتذب روحاً خلال فمه (مز 131:118). لما كان لزاماً على الشخص الذي يشرب من النبع أن يضع فمه على فم النبع، وحيث أن الوب ذاته هو النبع كما يقول: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب" (يو 7:37)؛ لذلك فإن الأرواح العطشانة تشتهي إن تضع فمها على الفم الذي ينبع بالحياة، ويقول: "ليقبلني بقبيلات فمه" (نش 2:1).

❖ من يهب الجميع الحياة ويؤيد إن الجميع يخلصون يشتهي أن يتمتع كل واحد بنصيب من هذه القبيلات، لأنها تطهر من كل دنس [809].

❖ يؤمننا أن نفكر بعمق في الكلمات المقدسة بالنشيد: "هلمي معي من لبنان، هلمي معي من لبنان انظري من رأس أمانة، من رأس شنير وحمون، من خور الأسود من جبال النمرور" (نش 8:4).

ماذا نفهم إذن من هذه الكلمات؟

يجذب ينوع النعمة إليه كل العطشى. وكما يقول الينوع في الإنجيل: "إن عطش أحد فليقبل إلى ويشوب" (يو 7:37).

لا يضع المسيح لهذه الكلمات حدوداً لعطشنا ولا لتحركنا نحوه، ولا لارتواننا من الشوب، ولكن يمتد أمره إلى مدى الزمن، ويحثنا أن نعطش وأن نذهب إليه. وإلى هؤلاء الذين ذاقوا وتعلموا بالتجربة أن الله عظيم وحلو (مز 8:34)، فإن حاسة النوق عندهم تُصبح حافزاً لزيادة التقدم. لذلك فالشخص الذي يسير باستتوار نحو الله لا ينقصه هذا الحافز نحو التقدم [810].

❖ إذا أردنا أن نسوق شاهداً أعظم من الكتاب المقدس نسجل ما قاله السيد المسيح إلى هؤلاء الذين آمنوا به: أنهار ماء حي ستفيض من كل من يؤمن به "من آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حي" (يو 7:38). وتُضيف أن القلب النقي يُشار إليه بالتعبير "بطن". ويصبح لوح للشريعة المقدسة (رو 2:15) كما يقول الرسول. ويوضح تأثير الشريعة المكتوبة في القلب ليس بحبر (2 كو 3:3)، ولكن بروح الله الحي الذي يرسم هذه الحروف في النفس، وليس على أواح حجرية كما يقول الرسول، ولكن على لوح القلب النقي، الخفيف والمضيء. يؤم أن تُنقش الكلمات المقدسة الموجودة في الذاكرة النقية الصافية، على القوة القائدة للنفس، بحروف بارزة واضحة. تُشير الوفير في الحقيقة إلى تمجيد بطن العريس فقط باللوح الذي يشع نوراً بلون السماء.

تُرشدنا هذه الصورة لكي نكون متبهيين للأشياء السماوية، مكان كوتونا (مت 21:6). فإذا ثبتنا في حفظ وصايا الله نتكون لدينا آمال مقدسة تتعش عيون نفوسنا [811].

❖ بعد ذلك يرفع النشيد العروس إلى أعلى قمة للمجد، مُضيفاً عليها اسم ينوع المياه الحية المتدفقة من لبنان. لقد تعلمنا من الكتاب المقدس عن طبيعة الله المعطية للحياة كنوة من شخص الله تقول: "تكوني أنا ينوع المياه الحية" (إر 2:13). ثم يقول السيد المسيح للمرأة السامرية: "أجاب يسوع وقال لها، لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب، لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً" (يو 4:10). ثم قال: "إن عطش أحد فليقبل إلى ويشوب. من آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه" (يو 37:39-39).

تقول كل من هذه الفئات أن الماء الحي هو الطبيعة المقدسة، لذلك جاز للنشيد أن يسمى العروس بصدق بئر ماء حي يفيض من لبنان. هذا في الحقيقة يتعلض مع ما هو معروف، فجميع الآبار تحوى مياه ساكنة، والعروس وحدها عندها مياه جارية في بئر عميق، ومياهها تفيض باستتوار. من يقدر ويستحق أن يفهم العجائب الممنوحة للعروس؟ يتضح أنها قد وصلت إلى أقصى ما تتمناه، فقد قورنت بالجمال الأبدي الذي منه نشأ كل جمال. وفي نبعها تشبه نبع عريسها تماماً، وحياتها بحياته، ومؤها بمائه. إن كلمته حية، وبها تحيا كل نفس تستقبله.

هذه المياه تفيض من الله كما يقول ينوع المياه الحية: "لأنني خرجت من قبل الله وأتيت" (يو 8:42). تحفظ العروس فيض مائه الحي في بئر نفسها، وتصبح بيتاً يكنز هذه المياه الحية التي تفيض من لبنان، أي التي تكون سولاً من لبنان، كما يقول النص.

لقد أصبنا في شوكة مع الله بامتلاكنا هذه البئر، حتى نحقق وصية الحكمة (أمثال 5:17، 18)، ونشرب مياهها من بئراً، وليست من بئر آخر. نتمتع بهذا في المسيح ربنا له المجد والعظمة إلى الأبد أمين [812].

القديس غريغوريوس النيسي

يشار إلى الرب أنه نهر يفيض بنعمته ليروي ظمأ بني البشر (مز 7:36-8) يفيض على الأمم بالسلام والمجد (إش 66: ١٢LXX).

"من آمن بي كما قال الكتاب،

تجري من بطنه أنهار ماء حي". [38]

من يؤمن بي ويقبلني بكوني المسيا الذي تنبأت عنه الأسفار المقدسة، فإنه يسكن في قلبه أو في أحشائه الروح القدس الذي يفيض حياة. يصير

ينوعًا يفيض بثمار الروح من حب وفوح وسلام وحرية واستنارة. وقد اعتاد اليهود أن يشبهوا عمل الروح القدس بالمطر المبكر والمتأخر والينابيع والآبار والأنهار الخ (مز 36: 8-9؛ إش 44: 3-4؛ يوثيل 2: 23).

بقوله "إن عطش" يعني من يشعر بفقده إلى البرّ أو احتياجه إلى البركات الروحية أو بالفواغ الداخلي.

"فليقبل إليّ ويشرب"، لا يقف بعد عند رئيس الكهنة ويُعجب بالإناء الذهبي الذي يسكب منه قليلاً من ماء بركة سلوام، ولا يذهب إلى الفلسفات الوثنية الكثيرة والمتضاربة التي لها من جاذبية تخدع الإنسان، بل ليأتي إلى السيد المسيح كما قدمه لنا الكتاب المقدس بعهديه.

❖ مجزأة الإيمان عظيمة وبلا نهاية، يقول من يؤمن بنعم بأغنى نعم الله، لأنه سيمتلئ بعطايا الروح، فلا يسمن ذهنه فقط، بل يصبح قانواً على أن يفيض على قلوب الآخرين، كتيار النهر المتدفق الذي يفيض بالخير المُعطى من الله على جره أيضاً.

القديس كيرلس الكبير

❖ يوجد عطش داخلي وتوجد بطن داخلية، إذ يوجد إنسان داخلي. هذا الإنسان الداخلي بالحق هو غير منظور، أما الإنسان الخارجي فمنظور، لكن الداخلي أفضل من الخارجي. ما لا يرى يُحب أكثر، فإنه بالتأكيد أن الإنسان الداخلي يُحب أكثر من الخارجي. [813]

❖ ما هو الينوع، وما هو النهر الذي يفيض من بطن الإنسان الداخلي؟ الميل إلى الخوية، الذي به واعي الإنسان الاهتمام بأخيه. فإن تصوّر أن ما يشوبه يؤم أن يكون لشعبه هو وحده لن يكون فيض من المياه الحية من بطنه، لكنه إن أسوع إلى الاهتمام بصالح قريبه لا يكون جافاً بل كونه فيه فيض [814].

القديس أغسطينوس

❖ يقصد بالبطن هنا القلب... أين يوجد في الكتاب المقدس أن أنهلاً لمياه حية تفيض من بطنه؟ لا يوجد. فماذا إذن يعني: "من آمن بي كما يقول الكتاب"؟ هنا يؤمننا أن نتوقف فقد يكون القول: "تجري من بطنه أنهلاً" تأكيد أنه عن المسيح. فكثيرون قالوا: "هذا هو المسيح"، و"عندما يأتي المسيح، هل يصنع معجزات أكثر؟" إنه يظهر الحاجة إلى معرفة صحيحة، وأن يقتنعوا لا من المعجزات بل من الكتاب...

لقد سبق فقال: "فتشوا الكتب" (5: 39) وأيضاً: "مكتوب في الأنبياء"، و"يكون الكل متعلمين من الله" (6: 45)، "موسى يشكوكم" (5: 45)، وهنا يقول: "كما قال الكتاب، تجرى من بطنه أنهار"، ملمحاً نحو عظمة النعمة وفيضها... وقد دعاها في موضع آخر "حياة أبدية" أما هنا فيدعوها "أنهار ماء"...

فإن نعمة الروح إذ تدخل الذهن وتقيم، تفيض أكثر من أي ينوع.

إنها لن تتوقف ولن تفرغ...

فلكي يعني إنها تقدم عوناً لا ينضب، وفي نفس الوقت طاقة لا تخيب، دعاها "بؤاً" و"أنهلاً"، ليست نهراً واحداً، بل هي أنهار لا تُحصى.

يمكن للشخص أن يبرك بوضوح ما تعنيه إن وضع في اعتباره حكمة اسطفانوس ولسان بطرس وغوة بولس [815].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هكذا يؤمر النبي من الرب أن يعبر إلى النهر (1 مل 17: 2) لكي يشوب من العهد الجديد ليس فقط بنهر بل "تجري من بطنه أنهار مياه حية" [38]، أنهار فهم، أنهار تأمل، أنهار روحية، هذه التي تجف في زمن عدم الإيمان لئلا يشوب مدنسو المقدسات وغير المؤمنين. في ذلك الموضع

عرف الغربان ما لم يعرفه اليهود. أطعمة الغربان، ذلك الذي اضطهده الجنس الملوكي الشويف [816].

القديس أمبروسيو

" قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه،

لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد،

لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد". [39]

لا يبخل الله بروحه على البشرية، فقد خلق الإنسان ليعمل روح الله فيه، ويستقر فيه. لكن الإنسان بلادته أعطى ظهوره له ولم يقبله، فصار الروح أشبه بضيفٍ يعمل في رجال الله وفي الأنبياء، بل وأحياناً حتى في غير المؤمنين كي يجذبهم للإيمان. أما وقد تمجد الرب على الصليب ودفع الثمن لغوان خطايانا وتمجيدنا فيه، وهب الروح بفيض كما سبق فوعد في يوثيل ٢: ٨.

الروح القدس هو العطية العظمى، بل واهب العطايا الذي نلنا وعداً بحلوله على الكنيسة وسكانه في قلب المؤمن، وتوزيع مواهب وعطايا حسبما شاء، لمجد الله وبنيان الكنيسة وخلص النفوس.

وى القديس أغسطينوس أن الروح القدس قد حلّ على كثيرين قبل أن يتمجد يسوع بقيامته، مثل سمعان الشيخ وحنّة النبيّة والقديسة مريم عند التجسد الإلهي، لكن حلول الروح القدس بعد القيامة جاء حلاً عاماً على الكنيسة في عيد العنصرة حيث نطقت بكل لغات الأمم. لكن لماذا لا ينال المؤمن النطق بكل لغات الأمم عند عماده الآن ونواله الروح القدس؟

يجيب القديس أغسطينوس بأنه إذ انتشرت الكنيسة في العالم صار المسيحيون ينطقون بكل لغات العالم، فكل مسيحي كعضو في الكنيسة الجامعة يحسب نفسه كمن يتكلم بكل لغات الأمم، لأن ما ينطق به اخوته كأنما ينطق به هو كعضو في الجسد الواحد. [817]

مرة أخرى يقول القديس أغسطينوس أنه بعد قيامته وهبنا الروح القدس الذي به نحب الكنيسة ونتمتع بوحدتها وحبها، وبهذا ننعّم بالقيامة معه، حيث نهاجر بقلوبنا العالم لنحيا معه في السماء. [يكون لنا الروح القدس إن كنا نحب الكنيسة، لكننا نحب الكنيسة إن ثبتنا في وحدتها وحبها... نحن هنا نولد ونموت، ليتنا لا نحب هذا العالم، بل نهجره بالحب، بالحب نسكن في الأعالى، بذات الحب الذي به نحب الله. في هذه الرحلة لحياتنا ليتنا لا نفكر في شيء غير أننا لن نلنا نوم هنا، وأنه بالحياة الصالحة نعد لأنفسنا موضعاً حيث لا نهجره قط. [818]

إن كان الروح لم يكن قد أُعطي بعد، فكيف صنع الأنبياء في العهد القديم معجزات؟ أليست هي من عمل الروح القدس الساكن فيهم؟ وكيف ملرس تلاميذ الرب المعجزات قبل حلول الروح القدس عليهم؟ يجيب القديس يوحنا الذهبي الفم على ذلك بقوله: [لم يخرجوا الشياطين بالروح، بل صنع بعضهم ذلك بالسلطان المعطى لهم].

"أرسلهم": لم يذكر: "أعطاهم الروح القدس" بل "أعطاهم سلطاناً" (مت 10:1) لكي يطهروا برص ويقوموا موتى ويخرجوا شياطين، بنفس الطريقة بالنسبة للأنبياء. في حالة الأنبياء يعترف الكل أن هذه العطية هي من الروح القدس. لكن هذه العطية محدودة وكانت توحد، وناقصة على الأرض... فكان الروح القدس محتفظ بها (لأشخاص معينين). [أما المستقبل فصار بفيضٍ [819].

❖ دعي الصليب "مجداً"... فكان من الضروري تقديم الذبيحة عنا ولأ، حتى تُوع العدوة التي في جسدنا، فنصير أصدقاء الله، وعندئذ نتقبل العطية [820].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الروح القدس هو النهر الذي يفيض - حسب العوانيين - من المسيح إلى الأراضي. وقد قبلنا هذا كما تتبأ فم إشعياء (إش 12:66). هذا النهر العظيم الذي يفيض على النوام ولن يتوقف، ليس فقط نهرًا بل هو أيضًا أحد المجري العروة التي تفيض عظمة، كما قال داود: "مجرى النهر يوح مدينة الله" (مز 4:46). فإنه لا تروي تلك المدينة، أورشليم السماوية بقناة، أي بنهرٍ أرضي، بل بذلك الروح القدس المنبثق من مصدر الحياة. المجرى الذي يصدر عن ذلك الذي يشبعنا، يبدو أنه يفيض بوفرة بين العروش السماوية والسيادات والقوات والملائكة ورؤساء الملائكة، جلياً في

[821]

القديس أمبروسيو

❖ بدأ الله الأب يعطي الروح من جديد، وكان المسيح أول من قبل الروح كباكورة الطبيعة المتجددة، لأن يوحنا شهد قائلاً: "إني قد رأيت الروح نزلت من السماء فاستقر عليه" (يو ١ : ٣٢)...

لم يقبل المسيح الروح لأجل نفسه، بل بالأحرى لأجلنا نحن فيه، لأن كل الصالحات تفيض أيضاً فينا بواسطته.

لأنه إذ حاد جندا آدم بالخديعة فسقط في العصيان والخطية لم يحفظ نعمة الروح. وهكذا فقدت فيه الطبيعة البشرية كلها الخير المعطى لها من الله، لهذا يؤم أن الله الكلمة غير المتغير يصير إنساناً حتى إذا ما نال كإنسان يمكنه أن يحفظ الصلاح في طبيعتنا على النوام. ودليلنا في تفسير هذه الأسوار هو الموتل الإلهي نفسه، إذ يقول للابن: "أحبيت البرّ وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك" (مز ٤٥ : ٧).

❖ في الأنبياء القديسين يريق غني خاص، يستمونه من مصدر الاستنارة من الروح القدس، القادر أن يقودهم إلى إوارك أمورٍ عديدة ومعرفة أنبياء مخيفة. لكننا نتق أن الذين يؤمنون بالمسيح لا يكون لهم مجرد استنارة من الروح القدس، بل الروح نفسه يسكن ويجعل إقامته فيهم... لنفهم أنه يعني سكنى الروح القدس في البشر كاملة وبالتمام.

القديس كيرلس الكبير

" فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا:

هذا بالحقيقة هو النبي". [40]

قال البعض إنه النبي العظيم الذي تحدث عنه موسى النبي (تث ١٨ : ١٥)، لكن للأسف لم يكونوا قادرين على إوارك أن النبي هنا يقصد به المسيا مخلص العالم. وقال آخرون أنه المسيح.

" آخرون قالوا:

هذا هو المسيح،

وآخرون قالوا:

ألعل المسيح من الجليل يأتي؟" [41]

إذ تنبأ العهد القديم بأن المسيح قادم من سبط يهوذا من بيت داود تشكك البعض في أمره، هؤلاء الذين لم يعرفوا أنه وُلد في بيت لحم وظنوا أنه وُلد في الجليل.

يقول القديس كيرلس الكبير أن الجوع كما الفريسيين كانوا يفتقنون الدقة في هذا الأمر، حيث ظنوا أن ما وعد الله به موسى بأنه سيقم نبياً من وسط شعبه مثله (تث ١٨ : ١٨) شخص آخر غير المسيح. وبسبب عدم الدقة ظن الفريسيون أن ثلاثة يظهرون، إذ قالوا للقديس يوحنا المعمدان: "ما بالك تعتمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟" (يو ١ : ٢٥).

"ألم يقل الكتاب أنه من نسل داود،

ومن بيت لحم، القرية التي كان داود فيها ياتي المسيح؟" [42]

لقد عرف اليهود أن السيد المسيح يأتي من نسل داود (مز ١٣٢ : ١١)، وأنه يولد في بيت لحم (مي ٥ : ٢) لكن كما يقول القديس كيرلس الكبير إذ أشيع عن يسوع أنه تربي في ناصرة الجليل (يو ٤ : ١٦) سقطوا عن الحق وأعزهم التفكير السليم.

"فحدث انشقاق في الجمع لسببه". [43]

❖ بسبب انشاقهم لم يعرفوا المسيح ولا فهموا دقة الكتاب المقدس، لأنهم لو آمنوا أن يسوع هو نبي الناموس، لما سقطوا في هذا الجدل غير اللائق.

القديس كيرلس الكبير

" وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه،

ولكن لم يلق أحد عليه الأيدي". [44]

نتيجة هذا المقال حدث انشاق في الجمع بسببه إلى أربعة فرق: فريق حسبه النبي وليس المسيح، وفريق حسبه المسيح، والثالث رأى فيه

علامات المسيح لكنهم تعثروا بسبب ظنهم أنه من الجليل، أما الفريق الرابع فهو الذي تبع الرؤساء ورأوا القبض عليه ولم يستطيعوا.

❖ لم يلق أحد عليه الأيدي، ليس توقروا له، بل لأن قهرته وحدها أوقفتهم.

القديس كيرلس الكبير

" فجاء الخدام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين،

فقال هؤلاء لهم:

لماذا لم تأتوا به". [45]

إذ كان اليوم الأخير العظيم من العيد لم يكن ممكناً أن يصبغ عليهم روح الفرح والبهجة، لأنهم حرموا أنفسهم من السيد المسيح ينوع الفرح.

بينما ملس رئيس الكهنة طقس العيد، لكن كل ما كان يشغله هو والكهنة والفريسيون لا أن يتمتع الشعب بحب الله ويتعرفوا على سر العيد، إنما

أن ينشغل الشعب بالمظاهر، بينما يخطط الرؤساء مكيدة. في نظرهم السياسات الكنسية أهم من كل عملٍ روحي. جلسوا في حوة الجلسات الخاصة

موقبين مجيء خدام الهيكل موقنين يسوع كسجين.

إذ بعثوا بالخدام (جند الهيكل) للقبض عليه أصابهم الخوف حين رؤهم قادمين بونه. دُهِشوا حين وجوا الخدام قد حضروا بونه، ولعلمهم ظنوا

أنه كعادته في هذه الأحوال كان يختفي منهم حتى تحين الساعة.

"أجاب الخدام:

لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان". [46]

لم يكونوا يتوقعون أن خدام الهيكل أنفسهم ينجذبوا إليه، ويشهوا له في حوأة قائلين أمام المجمع: "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان".

ربما تبع الخدام السيد منذ فترة مجيئه في وسط العيد، وقدر ما أنصتوا إليه لكي يجنوا علة يسكونه بها اقتنعوا بالأكثر أنه بار مملوء حكمة سماوية.

قيل لهم من الرؤساء أنه نبي كاذب ومضل، لكنهم إذ سمعوه تعلقوا به، وأتركوا أنه يعلم بالحق، وكل الحق، وليس شيئاً سوى الحق.

❖ يمكننا أن نفترض أن كلمات الخدام كانت ذاخرة بالتعقل هكذا: إن كنا نرضي أنفسنا بتعليم الكتب المقدسة، وإن كنا نفتخر أننا تهذبنا بالنواميس الإلهية،

وإن كنا نتعجب للحكمة كخيرٍ غير رُضي، لماذا في شرٍ نطرد من له هذه الحكمة، وثوصم بخطأ ليس بقليل ذلك الذي ينبغي ألا نتهمه، بل بالأحرى

نحن مدينون له بمحبة خاصة؟ أجل ونحن نخضع لمخاطر الناموس متعطشين أن نقتل بريئاً براً (خر ٢٣: ٧) بدون سبب.

أعتقد أن بالنسبة للعبارة: "لم يتكلم قط إنسان هكذا" يمكن للمرء أن يقول شيئاً ما أقرب إلى الموضوع، لأنهم يقولون تقريباً هكذا: ليس من

المعقول أن تلومونا نحن الذين لم تأت إليكم الآن بمن تطلبونه. لأنه كيف يمكن لإنسان أن يقول، حتى ولو ضد رادته، إنسان هو بحسب كلماته إله؟

لأنه لم يتكلم كإنسانٍ، ولا كانت كلماته كلمات إنسانٍ، بل هي بصواب تخص ذلك الذي هو بالطبيعة الله.

فليقل أي أحد إن كان أحد الأنبياء القديسين يقدر أن يسمي نفسه نهوراً أو يجرؤ على القول: إن عطش أحد فليأت ويشرب منه؟ متى قال لنا القدير

موسى: "من آمن بي، تخرج من بطنه أنهار ماء حي"؟!... كيف لنا أن نمسكه ضد مشيئته، هذا الذي أعلى منا بما لا يقاس، كإله فوق الإنسان؟

هكذا قدم الخدام وهاتاً واضحاً على أن الرب هو الله بالطبيعة... وهكذا سدوا ضربة من كل جانب إلى مقولتي الله.

القديس كيرلس الكبير

❖ ها هم رؤساء الكهنة والفريسيون الذين كانوا يظنون أنهم أحكم من غوهم، وقد حضروا عند المسيح وأبصروا عجائبه، وقروا الكتب ولم يفيدهم ذلك نفعًا، بل أصابهم ضرر .

أما خدامهم فقد اصطادهم خطاب واحد من السيد المسيح، سمعوه مع الجمع، وكانوا قد ذهبوا إليه لكي يقبضوا عليه، فعانوا من عنده مربوطين متعجبين منه .

ليس لنا أن نمدح فهمهم فقط، لأنهم لم يحتاجوا إلى آيات، لكن تعليمه وحده اقتنصهم . لأنهم لم يقولوا أنه لم يفعل إنسان في وقت من الأوقات عجائب مثل هذا، لكنهم قالوا "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان"، فلا ينبغي إذاً أن نتعجب من فهمهم فحسب، لكن سبيلنا مع ذلك أن نتعجب من مجاهرتهم، لأنهم قالوا هذه الأقوال للفريسيين الذين رسلوهم .

كلماتهم ليست كلمات أناسٍ معجبين به فحسب، بل من يلومون أيضًا سادتهم، لأنهم يقاومون دون أن يسموا . مع أنهم لم يسموا عظة بل حديثًا مقتضبًا، فإنه في العظة الطويلة يأخذ العقل قره بلا تحيز فلا تكون حاجة إلى حورات طويلة [822] .

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأجابهم الفريسيون:

ألعكم أنتم أيضًا قد ضللتكم". [47]

لا عجب إن كانت المسيحية منذ نشأتها الأولى وإلى الآن يظن البعض أنها تضلل، من يقبلها قد ضل .

❖ تأملوا كيف أن هذا القول مفعم بوع من اليأس من أي رجاء فيما يخص الشعب... ما الذي أبعدكم عن محبتكم لنا بالرغم من أنكم قد نشأتم في نفس عدم الإيمان معنا؟

القديس كيرلس الكبير

"ألعل أحدًا من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به؟" [48]

مقياس الحق عندهم هو قبول عدد كبير من الرؤساء له، فإذا لم يؤمن به إلا قلة قليلة منهم، مع إيمان الكثيرين من عامة الشعب فهذا في نظرهم دليل على أنه مضل وليس فيه الحق .

يتعجب القديس يوحنا الذهبي الفم كيف حسوا هذا اتهامًا ضد المسيح وليس ضد رفض الرؤساء والفريسيين الإيمان به [823] .

7 . شهادة خدام الهيكل له

"ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون". [49]

كان الفريسيون يحتقرون الشعب، لذا إيمانهم بالسيد المسيح لا يُعتد به، وحسبهم غير فاهمين للناموس وملعونين .

كانت القيادات الدينية في ذلك الحين حتى مع وجود تعرض في الفكر، وصراع داخلي فيما بينهم إلا أنهم يتفقون معًا في نظرتهم إلى الشعب غير المتعلم باستخفافٍ شديدٍ واحتقارٍ . عوض أن يلوموا أنفسهم أنهم أهملوا في رعايتهم وتعليمهم يحسبون الشعب ملعونًا . يلقوا باللوم على الشعب في جهله عوض اللوم على أنفسهم في تخليهم عن عملهم التعليمي .

❖ سقط (الفريسيون) في تفاخرهم المعتاد، ملقين بتهمة الجهل على الذين تعجبوا من يسوع كصانع عجائب، وكأت بأمرٍ إلهية، ومتوجين هامتهم وخدمهم بالخدمة حسب الناموس ومعرفة الكتب المقدسة... يتباهون كثيرًا بأنفسهم، وقد طاشت عقولهم، ولخفتهم الشديدة يوصمون الجميع بالجهل هكذا بسهولة .

القديس كيرلس الكبير

❖ أيها الفريسيون، إن هذا لوم عظيم لكم، إذ آمن الجمع بالسيد المسيح، وأنتم أنكرتموه. لقد ملسوا أفعال من يعرفون الشريعة فكيف يكونون ملعونين؟ بالحقيقة أنتم الملعونون لأنكم لم تحفظوا الشريعة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال لهم نيقوديموس:

الذي جاء إليه ليلاً وهو واحد منهم". [50]

"ألعل ناموسنا يدين إنساناً لم يسمع منه أولاً،

ويعرف ماذا فعل؟" [51]

كان نيقوديموس فريسيًا وأحد رؤساء اليهود. هكذا لم يتوك الله نفسه بلا شاهد حتى وسط فساد مجمع السنهريين؛ وفي قصر نيوخذنصر وُجد دانيال النبي؛ وفي قصر رتحتستا وُجد نحميا. وجد أيضًا حوشاي بين مشوي أبشالوم الأثوار كأداة تحول مشوراتهم الثورية إلى غبلة. احتج نيقوديموس على بطلان الإجراءات التي اتخذت ضد يسوع، إذ هي مخالفة للناموس.

❖ أظهروهم نيقوديموس أنهم لا يعرفون الشريعة ولا يعملون بها، لأن الشريعة لم تأمر بقتل إنسانٍ لم يكن قضاتها قد سمعوا كلامه أولاً، وهؤلاء قد نهضوا إلى القتل قبل استماع الكلام، فذلك هم عاصون للشريعة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ازعج بعض الشيء إذ حُسب ملعونًا معهم، لأن الضمير يسوع بألا يبقى صامتًا حيال الأمور المضادة له... عاد عليهم بالإهانة نفسها ليس صراحة، بل راح يخاطبهم معترضًا بكلماتٍ تستمد قوتها من الناموس، وليس بشكلٍ علنيٍّ مكشوفٍ.

القديس كيرلس الكبير

"أجابوا وقالوا له:

ألعلك أنت أيضًا من الجليل؟

فتش وانظر، إنه لم يقم نبي من الجليل". [52]

مع أن نيقوديموس لم يتوك عضويته في مجمع السنهريين لاتباع السيد المسيح كتلميذٍ له، إلا أنه شهد له في وسط المجمع في أحلك اللحظات. قام حولهم على أخطاء كثرة بجانب حسدهم وشوهم. فحسوا يسوع من الجليل مع أنه مولود في بيت لحم من بيت داود. وظنوا أن أغلب التلاميذ جليليون مع أنه كان له تلاميذ كثيرون في اليهودية. أيضًا ادعوا أنه لم يقم نبي من الجليل غير أن إيليا النبي كان من جلعاد. ❖ باطلاً يقول الفريسيون عن المسيح مخلصنا "إنه لم يقم نبي من الجليل"، لأنه كان الأحرى بهم أن يستفسروا كيف وهو الذي جاء من أبوين يهوديين (يو ٦: ٤٢) أن يكون جليليًا، وأن يأخفوا في الاعتبار أخوًا أنه تربي في الناصرة، ولا يضلون عن الإيمان به لهذا السبب.

القديس كيرلس الكبير

❖ قول الفريسيين لنيقوديموس: "فتش وانظر" كأنهم قالوا له اذهب وتعلم، أي أن نيقوديموس لم يعرف قولاً ليس في الكتاب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

فمضى كل واحدٍ إلى بيته". [53]

انتهت الجلسة بأن عاد كل واحدٍ إلى بيته دون الوصول إلى قرار نهائي.

لتفجّر في داخلي مياه حيّة!

❖ اسمح لي يا سيدي أن أسجل هذا العيد الفريد.
ألوف ألوف من الشعب انشغلوا بإقامة المظال.
امتألت الشوارع والميادين والحقول بها.
خرجت الجماهير بتهليل في موكبين:
موكب يقطع أغصان الأشجار وسعف النخل ليلوحوا بها.
وآخر ينطلق إلى سلوام مع رئيس الكهنة ليحضر ماءً.
الكل في شوقٍ لممرسة طقس عيد المظال بتهليل عظيم!

❖ ها أنا رأى موكبين خفيين خطيرين.
موكب خفي للقادة في حوة،
لن تشغلهم بهجة العيد مادمت أنت حيّ تخدم البشرية!
يبدلون كل الجهد للخلاص منك مهما كان الثمن!
ويحسبون كل كذب هو حفظ للناموس لكي يقتلوك!

❖ أما موكبك الخفي فعجيب حقاً!
رفضت الخروج مع أربائك إلى أورشليم للعيد.
انطلقت كمن في الخفاء لتقيم عيداً حقيقياً!
عوض المظال، أردت أن تقيم مدينتك في قلوب مؤمنيك.
عوض أغصان الزيتون وسعف النخل تهبهم سلامك ونصرتك.
عوض أحاديث القادة المملوءة رياءً، أعلنت عن نفسك أنك الحق.
عوض سكب الماء من إربيق ذهبي،
كشفت عن أنهار المياه الحيّة المتفجرة في داخلنا!

❖ نعم لتفجّر في داخلي أنهار مياه حيّة،
فبعوض الاحتفال بعيد مظال رمزي احتقل بعيداً أبدية لا تنتقطع!
عوض ماء سلوام لروي من روحك القفوس.

لرؤي وأفيض على اخوتي.
روحك يحول قفونا إلى فودوس إلهي!
روحك القفوس يهبنا سلامك الحقيقي!
روحك القفوس يهبنا نصوتك الدائمة!
روحك القفوس يقيم منّا مدينة الله المقدسة!

❖ لك المجد يا من تصعد إلى أورشليمي،
وتحول كل مودة إلى عيد أبدي موح!
تفتح أبواب قلبي لأبيك وروحك القفوس!
وجد السمائيون فيه مسوتهم!

<<

الأصاح الثامن

المسيح نور العالم

فاتح أبواب الرجاء

قدم الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنا وسأوه عن حكمه عليها إ ن كانت تُرجم حسب شريعة موسى أم لا. ولعلمهم كانوا يتوقعون أنه يوافق على رجمها، فيطلبون منه أن يبدأ بالرجم، فينفر الكثيرون منه بعد أن لمسوا فيه الرقة واللفظ حتى مع الخطاة، وإن رفض يُحسب كاسواً للناموس فيؤرم محاكمته.

لم يعترض على حكم الشريعة لكنه سأل عن يتأهل للبدء بالرجم، "من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر" [7]. انسحب الشيوخ أولاً ثم الآخرين بينما كان يكتب السيد المسيح على الأرض، بلغة وأ كل منهم فيها خطيته الخفية. بقيت المرأة الوانية وحدها تقف أمام ديان العالم كله الذي ما جاء ليدين بل ليخلص، فسألها ألا تعود للخطية. هو وحده من حقه أن يدينها، لكنه يفتح أبواب الرجاء أمام الخطاة للتوبة. قدم نفسه محرراً للنفس، بكونه الحق الإلهي [32].

مع لطفه وحنانه نحو الخطاة من الشعب اظهر حزمه مع القيادات الدينية التي طلبت أن تلمس عمل أبيها: إبليس القتال، أب الكاذبين. أراد أن يحررهم من بنوتهم لإبليس، فيتمتعوا بالحق عوض الكذب، ويملسوا الحب عوض شهوة القتل. ظنوا أنهم أبناء إواهم الحر، مع أنهم لم يملسوا أعماله بل أعمال إبليس. أما يسوع فأعلن أن إواهم هذا تهلل أن وي يومه، وأى ووح [56].

تكشف قصة تعامل السيد المسيح مع المرأة الخاطئة عن طبيعة السيد المسيح الملتهبة بالحب نحو الخطاة، يشوق عليهم بأشعة حبه ليبيد ظلمتهم.

1 . المرأة التي أمسكت في زنا 11-1

2. المسيح نور العالم 12-20

3. هلاك غير المؤمنين ٢١ - ٣٠.

4. الحرية الروحية ٣١ - ٣٧.

5. البنوة لله والبنوة لإبليس ٣٨ - ٤٧.

6. اتهامه بالتجديف ٤٨ - ٥٠.

7. المسيح واهب الخلود ٥١ - ٥٩.

1. المرأة التي أمسكت في زنا

" أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون". [1]

في الأصحاح السابق رأينا المضايقات التي حلت بالسيد المسيح خاصة بواسطة القيادات، والآن إذ حل الغروب ترك المدينة وذهب إلى جبل الزيتون، إما ليستريح في بيت أحد أصدقائه أو تحت إحدى مظال عيد المظال. ووى البعض أنه لم يجد في أورشليم من يأويه في بيته، فانطلق إلى الجبل. ووى آخرون أنه خرج ليقضي الليلة في الصلاة.

❖ لبث السيد المسيح يعلم في أورشليم وفي الهيكل يوم العيد الأخير كله، أي اليوم الثامن من عيد المظال، وناقض أقوال الفريسيين. هؤلاء رجعوا عند المساء إلى منزلهم، وأما هو فمضى إلى جبل الزيتون، لأنه كان في النهار يعلم في الهيكل، وفي الليل يخرج يبيت في جبل الزيتون معلمًا إيانا ألا نقتني منزل من حرفة، بل نفتتح بما تدعو الضرورة إليه للراحة فقط، عالمين أننا سنترك هذه الأبنية بعد قليل، ومنتقل إلى العالم الباقي، ويكون تعبنا لأجل هذه المنزل باطلاً وعبثاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ثم حضر أيضًا إلى الهيكل في الصباح،

وجاء إليه جميع الشعب،

فجلس يعلمهم". [2]

جاء السيد المسيح إلى الهيكل في الصباح المبكر لكي يعلم الشعب الذي جاء إليه . بالأمس كان يعلم، وها هو يأتي اليوم باكراً، مع أنه ربما قضى الليلة كلها على جبل الزيتون يصلي، لكنه كمحبٍ لعمله، ولشوقه أن يتمتع الكل بالمعونة جاء إلى الهيكل مبكراً. إنه يحب المبكرين إليه، إذ قيل: "أنا أحب الذين يحبونني والذين يبكرون إليّ يجنونني" (أم ٨: ١٧). وها هو يبكر إلى أحبائه.

رأد أن يلتقي مع الشعب داخل الهيكل، إذ لم يأت لكي يهجر الشعب القديم بل ليهبهم مفاهيم جديدة ونظرة جديدة نحو الناموس والهيكل والعبادة. جلس يعلمهم، بكونه صاحب سلطان، يود أن يجلس الكل معه، ويستقروا معه، يستمعون إلى الحق ويتمتعون به.

اعتاد كبار المعلمين أن يجلسوا أثناء التعليم، إذ يمتد ذلك إلى فترات طويلة، خاصة وان الإنجيلي يوحنا يقول: "جاء إليه جميع الشعب"، فمن جهة فعل "جاء" يحمل استورية الحضور، ومن جهة أخرى كلمتا "جميع الشعب" تشيران إلى جوع كثرة. فكانت الحركة مستوية ومواعدة منذ الصباح المبكر (لو ٢١: ٣٨).

"وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنا،

ولما أقاموها في الوسط". [3]

وى البعض أنه بسبب انتشار الزنا لم تُعد تطبق الشريعة الخاصة بالمرأة الزانية بأن تحضر أمام الكاهن وتشوب ماء الغوة (عد ٥: ١٤)، وذلك لأن كثير من الأزواج أيضًا كانوا ساقطين في الزنا.

لاحظ الكتبة والفيسيون تجمع أعداد ضخمة من الشعب حول السيد المسيح يسمعون تعليمه منذ الصباح المبكر، فأرأوا من جانب أن يفسدوا هذه الجلسة بإحضار المرأة الزانية لكي ينشغل الكل بأمرها لا بما يعلم به السيد. ومن جانب آخر أرأوا نصب شبكة له، فإن عفا عنها حُسب كاسواً للناموس، وإن دانها ينفرون منه كشخصٍ قاسٍ.

"قالوا له:

يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل". [4]

يدعونه "يا معلم" بينما في اليوم السابق دعوه مضللاً (٧: ٤٧).

فقد الكتبة والفيسيون جوهر رسالتهم وهو الدخول بكل نفس إلى معرفة مشيئة الله، وتمتع الكل بالحب الإلهي. وصار انشغالهم منصباً في الحرف القاتل، بغض النظر عن خلاص الإنسان وتمتعه بالشركة العميقة مع الله. لهذا لم يكن صعباً عليهم أن يجنوا امرأة في حالة تلبس بجريمة الزنا. جاؤا بها إلى السيد، كل منهم يحمل في قلبه حوفاً يروي أعماقه المتعطشة لسفك الدماء، مطالبين في داخلهم وجمها، كما وجم شخصية السيد المسيح. لم يبركوا أن السيد المسيح، كلمة الله، لن ينقض الناموس لكنه يكمله، فرفعه من الحرف القاتل إلى الاهتمام ببنين الداخل وتقديس الأعماق. ظن الحرفيون في الناموس أنهم حتماً يتمتعون برؤية المرأة وهي تطرد من الحياة وجمها، إذ لا تستحق الوجود على الأرض، ولا السكنى في بيت، بل تُلقى في حوة وتتهال عليها الحجر. ولم يبركوا أنهم جاؤا بها إلى غافر الخطية القدير، الذي وحده يجتذبها من بيت إبليس ويسحبها من متول الزنا، لا ليعفو عنها، وإنما لتجد في القنوس عريساً لنفسها، وفي السماء بيت زوجية تستقر فيه.

قصة هذه المرأة الزانية تفتح أمام كل نفس باب الحب الإلهي والرحمة، لتجد ناموس المسيح قانونها الداخلي الجذاب، فتتعلم بالصوت الإلهي: "إني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم" (يو ٣: ١٧؛ ١٢: ٤٧). فلا تجد من يحكم عليها بالموت الأبدي، بل من يشترطها بالدم الثمين ويهبها وه السمووي، ويشفع فيها أمام الأب، ويدخل بها إلى الأحضان الإلهية. تحولت هذه القصة من وقوف في محكمة إلى دخول في عوس أبدي سموي.

في رسالته عن العذرى إلى إستوخيوم Eustochium يكتب القديس جيروم مطالباً إياهم أن يتوكلن بيت أبيهن، أي إبليس، لكي يرتبطن بالعريس السمووي. [بما تقولين لي: لقد تركت بيت طفولتي، لقد نسيت أبي، ووُلدت من جديد في المسيح، أية مكافأة أنالها؟ يظهر النص ذلك: "يشتهي الملك حُسنك" (مز 45). هذا هو السر العظيم. فإنه لهذا يتوكل الرجل أباه وأمه ويلتصق بأمراته ويصير الاثنان (ليس كما جاء في النص جسداً واحداً)، بل روحاً واحداً (أف 31-32: 5). عويسكن ليس متشامخاً ولا مستخف بكن... إنه يقودكم إلى حجاله بيده الملوكية [824].

"وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه توجم،

فماذا تقول أنت؟" [5]

لم يأمُر موسى بالوجم بل أمرت الشريعة أن يحكم على الزاني والزانية بالموت (لا ٢٠: ١٠؛ تث ٢٢: ٢٢). لكن كانت وسيلة الحكم بالموت في ذلك الحين هي الوجم. إذ كان عطشهم لسفك الدماء ملتهباً، ورغبتهم في تفتيق تهم خطوة ضد السيد المسيح ملتهبة، جاؤا بالمرأة ليقدّموا قضية غير متكاملة من الجانب القضائي، إذ لم يأثروا بمرتكب الجريمة مع المرأة، ولا أحضروا الشهود. ومع هذا لم يرفض السيد القضية لعدم تكاملها، لكنه حوّل أنظار الكل إلى عمق الوصية وغاية الناموس الحقيقية.

❖ ألحوا عليه بالجواب على سؤالهم الخبيث، إذ قد كان في ظنهم لا يقدر أن يفلت من سؤالهم ذي الحدين. إن حلّ الزانية يكون قد تجلوز الناموس وقلب نظام الشريعة، وفتح باباً للزنا، وإن أمر وجمها يكون قد ابتعد عن دعتة وحلمه، إلا أن السيد المسيح الذي لم يزل حليماً، ولا ابتعد عن شفقتة، ولا علم ضد الناموس، لكنه حامى عن الناموس، ولم يفنده، ولم يفسخه، وأنقذ المرأة من القتل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" قالوا هذا ليجربوه، لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه،

وأما يسوع فأنحنى إلى أسفل،

وكان يكتب بإصبعه على الأرض". [6]

جاوا إليه كقاضٍ يجب أن يحكم بالناموس وإلا حُسب كاسواً للناموس، ومجدفًا يستحق هو الرجم، ولم يتركوا أن المغوي السملوي. حقا إنه الديان الإلهي لكنه في نفس الوقت المحامي الذي يطلب الخطاة ويطرد الخطية.

كتب "بإصبعه على الأرض" ، هذا الذي سبق فكتب الوصايا العشرة بإصبعه على حجرة، وسلمها لموسى، يكتب بإصبعه على الأرض ليكتشف الكل أنهم كسروا الوصية، وعاجزون عن تنفيذ الرجم لأنهم خطاة ومستحقون الموت. إنه لا زال يكتب على أرض قلوبنا، ليحول زابها الفاسد إلى سماء مقدسة. يكتب بروحه القدس (بإصبعه) ليكمل الناموس؛ نكتشف خطايانا فلا ننشغل بخطايا الآخرين، بل بخلاصنا وخلصهم. يسجل بإصبعه عمل الحب فينا!

لو أنه حكم عليها بالموت لاشتكوه لبيلاطس أنه أصدر حكمًا بالموت، الأمر الذي وُجِع من القيادات الدينية وصار في سلطان الحاكم الروماني وحده. هذا وأن القانون الروماني لم يكن يحكم بالموت بسبب الزنا. وإن عفا عنها يُتهم بأنه يسمح بالتسيب وعدم الرجم بخصوص العفة والظهرة، بجانب كسره للناموس.

لم يطلخوا مشورته عن إخلاص لمعوفة الحق، وإنما ليجريوه، لهذا لم يستحقوا أن ينالوا إجابة صريحة، وإنما أن يكشف لهم عما في قلوبهم وأفكارهم وما لتكويه سواً، فصلروا في عارٍ نون أن يعرف أحدهم ما فعله الآخر. لقد ستر عليهم ولم يوبخهم مجاوة.

❖ إن سألت: ماذا كتب السيد المسيح على الأرض؟ أجبتك: يُحتمل أنه قد رسم شيئاً يسبب حياءً وخجلاً للكثبة والفيسييين، وتبكيئاً لخطاياهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بهذه الكلمات والآراء ربما كانوا قانونين على إشعال الحسد ضده، وإثارة اتهامات ضده، وتكون سبباً لطلب إدانته. ولكن هذه ضد من؟ لقد وقفت الحماقة ضد الاستقامة، والبطلان ضد الحق، والقلب الفاسد ضد القلب المستقيم، والجهالة ضد الحكمة. متى أعد مثل هؤلاء الناس شباكاً، ولم يلقوا برؤوسهم أولاً فيها؟ انظروا إذ أجابهم الرب حفظ البرِّ ولم يفرق اللطف. لم يسقط في الشباك المنصوبة له، بل بالأحرى سقطوا هم فيها، إذ لم يؤمنوا به أنه قادر أن يسحبهم إلى الشبكة التي نصوها [\[825\]](#).

القديس أغسطينوس

"ولما استمروا يسألونه،

انتصب وقال لهم:

من كان منكم بلا خطية فليومها أولاً بحجر". [7]

كان نظام الرجم عند اليهود حسب فكر الحاخامات هو هكذا. تُربط يدا المجرم من خلف وهو نصف عارٍ، ويوضع على منصة لتفاعها عشرة أقدام أو اثني عشرة قدماً، ثم يدفعه الشاهدان بكل قوة، فإن مات ينتهي الأمر، أما إذا لم يموت يحمل أحد الشاهدين حجراً ضخماً ويضرب به على صوره، وغالباً ما تكون الضربة القاضية. غير أن هذا النظام لم يكن يُتبع في كل حالات الرجم. إذ ألحوا عليه واستمروا يطلبون رأيه وهو صامت كمن لا يسمع أخيراً سلمها ليحكموا هم إن استطاعوا.

"ثم انحنى أيضاً إلى أسفل،

وكان يكتب على الأرض". [8]

جاء في بعض المخطوطات أنه كان يكتب على الأرض خطاياهم. لم يكتب السيد على رخامٍ أو نحاسٍ بل على التراب، لأنه كتب خطاياهم إلى لحظات وتزول، فإنه ينقش أسماءنا على كفه لتبقى خالدة، أما خطايانا فيكتبها على الأرض في التراب لكي تُدفن مع التراب وتنتهي. كتب في التراب لكي

يحكم الزّاب على الزّاب، أما هو فما جاء ليدين بل ليخلص.

❖ كأن السيد المسيح يقول: قد رأيتكم أيها الكتبة والفريسيين حرائمكم على شبه جرم هذه الزانية، بل وأعظم منها كما تشهد عليكم ضمائمكم. فإذا لا تلحوا على دينونة هذه المرأة الزانية بلجاجة وصوامه، بل تذكروا خطاياكم، وافحصوا عن جرمها، لأنكم أنتم خطاة ومجرمون، ومؤهلون للعقاب على شبهها، وإن كنتم تدينونها، فبالأولى أن تدينوا أنفسكم أيضاً، وإن آثرتم رجمها فبالأولى وجب رجمكم... إذا فقد أنقذ السيد المسيح المرأة الزانية من الموت، ولم يخالف الناموس، لأنه لم يزل قانواً وحكيماً ورحيماً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أراد العاصون عن الناموس تنفيذ الناموس، بهذا صاروا مهتمين بإهماله وليسوا منفذين له، دينوا كرامة بواسطة العفة!

لقد سمعتم أيها اليهود، أيها الفريسيون، يا معلمو الناموس وحرسوه لكنكم لم تتركوا (يسوع) أنه معطي الناموس! ماذا يعني عندما يكتب بإصبعه على الأرض؟

لقد كُتِبَ الناموس بإصبع الله، لكنه كُتِبَ على حجر بسبب قسوة قلوبكم (الحجرية). الآن يكتب الرب على الأرض لأنه يطلب ثواباً. لقد سمعتم الناموس، ليته يُنفذ، ليت الزناة يُحمون...

ولكن هل يعقاب هذه المرأة يتم الناموس بالذين هم مستوجبون العقوبة؟

ليتأمل كل إنسان في نفسه، ليدخل إلى نفسه، ويصعد على كرسي الحكم الذي لذهنه، ويضع نفسه وراء قضبان ضموره، ويلزم ذاته بالاعتراف. فإنه يعرف أنه هو، إذ لا يعرف أحد ما للإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه. ليتطلع كل واحد بحرص إلى نفسه فيجد نفسه خاطئاً. نعم حقاً، إما تتركوا المرأة لسبيلها، أو تتالون معها عقوبة الناموس.

لو أنه قال بأن الزانية لا تُرجم لوهن أنه غير عادل، وإن قال إنها تُرجم لما ظهر أنه حنّان. ليقبل ما قاله كلطيفٍ وعادلٍ: "من كان منكم بلا

خطية فليوجمها أولاً بحجر" [7].

هذا هو صوت العدالة. لتُعاقب الخاطئة، ولكن ليس بواسطة الخطاة. ليُنْفذ الناموس لكن ليس بكاسوي الناموس [826].

القديس أغسطينوس

"وأما هم فلما سمعوا، وكأنت ضمائمهم تبيكتهم،

خرجوا واحداً فواحداً،

مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين،

وبقي يسوع وحده، والمرأة واقفة في الوسط". [9]

إن كانوا قد انصرفوا فكيف كانت المرأة واقفة في الوسط؟ الذين انصرفوا هم المتهمون لها، أما الشعب الذي جاء يستمع للسيد المسيح فبقي واقفاً والمرأة في الوسط. وكأن الله لم يكتب خطايا كل الشعب، إنما الذين اتهموها وحدهم. فمن يدين أخاه يُدان! وبالحكم الذي يحكم به على الغير يُحكم عليه. المغلوبون من الخطية غالباً ما يكونوا مملوئين عنفاً ضد الخطاة، وأما الأوار فيترفقون بهم، إذ يدينون أنفسهم لا الآخرين.

أظهر الكتبة والفريسيون بتصرفهم هذا أنهم غيرون ضد الخطية، لكن ظهر أنهم هم أنفسهم ليسوا متحررين منها، كانوا كما قال لهم السيد مملوئين من الداخل نجاسة (مت ٢٣: ٢٧-٢٨). بتصرفهم ليس فقط تحاشى السيد الشبكة التي نصوها له، وإنما سمح لهم أن يسقطوا في ذات الشبكة، إذ صاروا في عارٍ أمام الجمع. لم يستطيعوا تنفيذ الناموس، ولم يوجد أحد منهم مستحقاً أن يرفع أول حجرٍ يلقيه بها. ليتنا لا نلقي الحجرة على اخوتنا بينما نحن أنفسنا نستحق الرجم.

ارتعوا مما كتبته السيد على الأرض كما سبق وارتعب ببلشصر الملك عندما رأى يدًا تكتب على الحائط أمامه (دا ٥ : ٢٥). طوبى للذين يجدون سلامهم فيما يكتب السيد المسيح، والويل لمن يرتعب أمام ما يكتبه السيد.

حول السيد المسيح أنظرهم من التطلع إلى تصرفات المرأة الزانية أو من انتظار الحكم عليها إلى ضماؤهم الداخلية، ليروا الفساد الداخلي، لعلمهم يتوبون ووجعون إلى الله. لقد اكتشفوا فسادهم، وبدلاً من الاعتراف به وقبول مشورة طبيب النفوس هربوا كما من المعركة (٢ صم ١٩ : ٣). كل ما فعلوه أنهم خشوا الفضيحة والعار فهربوا لا إلى المسيح مخلصهم بل إلى خراج المسيح حتى لا يفضحهم نوره. إذ انسحب المشتكون كان يمكن للمرأة أن تهرب، لكنها وجدت خلاصها في السيد المسيح. بتصوفه هذا لم يهادن الخطية، لكنه أعلن أنه جاء ليخلص العالم لا ليدينه، فلم يخش الخطاة والعشارون اللقاء معه وهو العرف بأسوار الجميع وخفياتهم.

سوعان ما تغير الموقف! امرأة بائسة تتوقب رجماً بعد لحظات، وقد رُهبها لا منظر الحاملين للحجارة لرجم جسدها بل ملامح القادة وقد وجنوا سعادتهم في سفك دمها. الآن تركها الكل لتجد نفسها أمام الحب الفائق للخطاة والعمل الإلهي العجيب لتقديس حياتها لحساب ملكوت السموات! عوض الوعب صلت كمن في عرس. ترى السماء متهللة تنتظر يوم عرسها الأبدى!

❖ فإذا خرجوا أظهروا بالإقرار على أنفسهم أنهم مجرمون على هذه المشابهة، وما أسعوا بالخروج إلا خوفاً من أن يبتدئ بذكر خطاياهم واحداً فواحداً...

"مبتدئين من الشيوخ" : خرج الشيوخ أولاً، إما لأنهم كانوا قد ارتكبوا خطايا أكثر، بسبب سنوات عومهم الأكثر، أو لأنهم فهموا قوة كلام السيد المسيح قبل عومهم لنباهة فهمهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة،

قال لها:

يا امرأة، أين هم أولئك المشتكون عليك؟

أما دانك أحد؟" [10]

"فقالت: لا أحد يا سيد.

فقال لها يسوع: ولا أنا أدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضاً". [11]

وى البعض أن المرأة تعرضت لمعاملة غاية في القسوة والعنف ممن أمسكوا بها، فاكتفى بهذا التأديب لها.

❖ قول السيد المسيح للمرأة الزانية: "ولا أنا أدينك" ، كأنه يقول: "إنني أنا وحدي الذي أستطيع أن أدينك يا امرأة، لأنني وحدي الديان، ولكن لأنني إنما أتيت لأخلص العالم لا لأدينه، فلست أدينك.

وبقوله: " اذهبي " كأنه يقول: " اذهبي وكوني في طمأنينة، فإن زناك قد رُوع عنك، لأنني قد رُعت عنك خطاياك، فإذا اذهبي...

وقوله: "ولا تخطئي أيضاً" أي أوصيك ألا تعودي تخطئي فيما بعد لئلا أدينك على ما تخطئين به. من الآن لا تعودي إلى الخطية برة أخرى كما

يعود الكلب إلى قبيته (أم 26 : 11؛ 2 بط 2 : 22)، ولا تعودي فيما بعد لئلا تعاقبين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الذي غير طبيعة الخمسة رُغفة وصوّها رُغفة كثرة، وأنطق طبيعة الحمار غير العاقل، وجاء بالزانية إلى العفة (يو 8)، وجعل طبيعة النار المحرقة برداً على الذين كانوا في الأ تون، ومن أجل دانيال لطف طبيعة الأسود الكاسرة، كذلك يقدر أن يغير النفس التي أقفرت وتوحشت بالخطية، ويحولها إلى صلاحه ورفاته وسلامه بروح الموعد المقدس الصالح.

القديس مقاريوس الكبير

❖ لقد سمعنا صوت العدالة [7]، لنسمع أيضاً صوت الرحمة... ذاك الذي طرد خصومها بلسان العدل رفع عيني الرحمة إليها، قائلاً لها: **وَأنا أدينك؛ اذهبي، ولا تخطني أيضاً" [18].**

ليحذر الذين يحبون في الرب لطفه، ليخشوا حقه! فإن الرب حلو وحق" (مز 35: 8). أنت تحبه بكونه حلواً، لتخشاه بكونه حقاً...
الرب رقيق، طويل الأناة، حنان، لكن الرب أيضاً عادل وحق.

إنه يفسح لك المجال للإصلاح، لكنك تحب تأجيل الدينونة أكثر من إصلاح طوقك!
هل كنت بالأمس شوراً؟ لتكن اليوم صالحاً.

هل أنت مستمر اليوم في شكوك؟ على أي الأحوال تغيّر غداً... لكن كيف تعرف أن غداً يأتي؟... الله وعد بالغوان لمن يصلح من شأنه، لكنه لم يعدني بأن يطيل حياتي (للغد)! [827]

القديس أغسطينوس

يحرزنا القديس أغسطينوس من اليأس كما من الرجاء الباطل، فمن ييأس ظاناً أن الله لا يغفر له يقتل نفسه باليأس، ومن يستوحي مهملاً في التوبة بدعى رحمة الله تتفذه غداً يهلك نفسه بالرجاء الباطل [828].

2. المسيح نور العالم

"ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً:

أنا هو نور العالم،

من يتبعني فلا يمشي في الظلمة،

بل يكون له نور الحياة". [12]

إذ انسحب المشتكون الذين رأوا أن يسبوا اضطراباً وبلبلة وسط الجمع ثم انسحبت المرأة أكمل السيد المسيح تعليمه للشعب، وغالباً ما لخص حديثه بالعبارة: **"أنا هو نور العالم..." [12]**. بدونه يبقى الكل في الظلمة والبؤس والموت. لقد أترك الفريسيون أن ما يعنيه بهذا أنه المسيا المنتظر، إذ رمز إليه الأنبياء بالنور (إش 60: ١؛ ٤٩: ٧؛ ٩: ٩). جاء في Bamidbar Rabba : "قال الإسرائيليون لله يارب المسكونة، أنت أموت أن توقد أسوجة لك، أنت هو نور العالم. وبك يسكن النور" [829].

"لا يسلك في الظلمة"، أي يخلص من الجهل والخيانة والخطية.

وى البعض أن الحديث هنا يشير إلى عادة كان يملسها اليهود حيث يضيفون إلى عيد المظال يوماً تاسعاً فيه يُخرجون كل الكتب المقدسة من الصناديق المودعة فيها ويضعون مكانها مشاعل منورة إشارة إلى ما جاء في أم 6: ٢٣ "لأن الوصية مصباح، والشريعة نور، وتوبيخات الأدب طريق الحياة".

وى كثير من الدارسين أن من أهم الذكريات لعيد المظال هو سكب الماء بيد رئيس الكهنة كمارأينا في الأصحاح السابق، وممارسة طقس "النور" تذكراً لعمود النور الذي كان يتقدم الشعب في البرية ليقودهم وسط ظلمة الليل (خر 13: ٢١) حتى يعبروا إلى كنعان حسب الوعد الإلهي. كانوا يستخدمون في هذا العيد شمعداناً ضخماً ذا فروع. كانت تستخدم أربعة أسوجة ثملاً بالزيت، كانوا يصعدون إليها بواسطة سلم. وقد جاء في التلمود أن ارتفاعها خمسون ذراعاً. وكان النور بهيئاً جداً، فجاء في المشناة Mishah : "لا توجد ساحة دار في أورشليم لا ينعكس عليها النور". هذا المنظر الواثق كان ناوراً جداً في المدن القديمة.

وى بعض الدارسين أن هذا الشمعدان يُطفأ بعد العيد، وقد وقف السيد هناك حيث انطفأ النور الذي أبهر القادمين للعيد، وحلت الظلمة عوض النور، ليعلن عن الحاجة إلى النور الإلهي، إلى المسيا عبد الرب بكونه نورًا جاء للأمم.

جاء في إشعياء النبي: "أنا الرب قد دعوتك للبر، فأمسك بيدك وأحفظك، وأجعلك عهدًا للشعب، ونورًا للأمم، لتفتح عيون العمي، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن، الجالسين في الظلمة" (إش ٤٢: ٦-٧). "قد جعلتك نورًا للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض" (إش ٤٩: ٦).

"حقي أثبته نورًا للشعب" (إش ٥١: ٤).

إذ فسّر الربيون قول الموتل: "الرب نوري وخلصي ممن أخاف" (مز ٢٧: ١)، بأن الناموس هو النور، أعلن السيد أنه هو الكلمة الإلهي، نور العالم، الذي يضيء لكل إنسان آت إلى العالم.

وإذ قالوا أن الهيكل هو "النور" سألهم السيد أن ينقضوا الهيكل لبنييه في ثلاثة أيام (يو ٢: ٢٠)، معلنًا عن هيكل جسده القائم من الأموات، بكونه الهيكل الذي يضم الخليقة الجديدة المستنوية بنور قيامته.

وعندما تحدث الإنجيلي يوحنا عن الهيكل السموي قال: "الرب الله القادر على كل شيء هو والخروف هيكلها... لأن مجد الله قد أنزلها، والخروف سواجها" (رؤ ٢١: ٢٣، ٢٤).

يشبه السيد المسيح حياة الإنسان وحلة وسط عالم مظلم، يحتاج إلى شمس البر، تشرق عليه وترافقه فلا يتعثّر في الطريق. يليق بالمؤمن أن يتبعه ويستوّد به في كل أمور حياته. إنه النور الحقيقي الذي نجد سلامنا في التطلع إليه ومصاحبته والإيمان به والسير فيه، ليكون سواجًا ليس لعيوننا فقط بل ولأرجلنا، سواج لكل كياناتنا. يقودنا في هذا العالم ويرفعنا بروحه القوس إلى السماء فنتمتع بعربون الأبدية.

❖ أوضح أنه ليس هو أحد الأنبياء، لكنه سيد العالم، وليس هو نور الجليل ولا فلسطين ولا اليهودية، بل "نور العالم".

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كنا أساقفة الله والمسيح لا أجد أن أحدًا ما يؤمن أن نتبعه أكثر من الله والمسيح، إذ هو نفسه في إنجيله يؤكد قائلًا: "أنا نور العالم، من يتبعني لا يسلك في الظلمة بل يكون له نور الحياة" [١٢] [830].

الشهيد كيريانوس

❖ أظن ما يقوله الرب: "أنا هو نور العالم" [12] واضح لمن لهم أعين يشركون بها هذا النور، أما الذين ليس لهم أعين سوى الأعين التي في الجسد وحدها فيندهشون لقول الرب يسوع المسيح: "أنا هو نور العالم" [831].

❖ يوجد نور هو خالق لنور الشمس. لنحب هذا النور، ونشتاق أن نركه، ونعطش إليه، حتى يقودنا ويبلغ بنا إليه، وهكذا نعيش فيه فلن نموت... الذي يشوق عليك لكي تنظره، هو بعينه (البنوع) الذي يفيض عليك فتقوي... حتى عندما لا يعلن ربنا يسوع المسيح للكل خلال سحابة جسده، لكنه هو كما هو ممسك بكل الأشياء بقوة حكمته... إلهك حال بكامله في كل موضع، إن كنت لا تتوكله لن يتوكلك" [832].

القديس أغسطينوس

❖ لنتبعه الآن فننال فيما بعد. نتبعه الآن بالإيمان فننال فيما بعد بالعيان. يقول الرسول: "قَدْ أَدَا نَحْنُ وَنَحْنُ كُلِّ حِينٍ وَعَالَمُونَ أَنَّا وَنَحْنُ مَسْتَوْتُونَ فِي الْجَسَدِ فَنَحْنُ مَتَّعِبُونَ عَنِ الرَّبِّ، لِأَنَّنا بِالْإِيمَانِ نَسْلُكُ لَّا بِالْعَيَانِ" (2 كو 5: 6-7).

متى نسلك بالعيان؟ عندما يكون لنا نور الحياة، عندما نبلغ تلك الرؤيا، عندما يعبر الليل.

عن هذا اليوم حيث نقوم قيل: "في الصباح اقترب إليك وأتأملك" (مز 5: 4). ماذا يعني "في الصباح"؟ عندما يعبر ليل هذا العالم، عندما تنتهي مخاوف التجرب، عندما ينهزم ذاك الأسد الذي يجول في الليل يطلب من يفتوسه.

"في الصباح أقف أمامك وأتأمل". الآن ماذا تظنون أيها الاخوة ما هو واجبنا نحو الحياة الحاضرة، إلا ما يقوله الزمور موة أخرى: "أعوّم كل ليلة سروي بدموعي..." (مز 6: 6)

يقول كل ليلة أبكي، والتهب شوقًا نحو النور. فيتطلع الرب إلى رغبتني، إذ يقول زمور آخر: "أمامك كل شوقي وتتهدي ليس بمستورٍ عنك" (مز 38: 10).

هل تشناق إلى الذهب؟ لا يمكنك أن لا تُؤى، لأنك إذ تطلب الذهب تُعلن ذلك للبشر...
أُتشتاق إلى الله؟ من وى ذلك إلا الله؟ ممن تطلب الله... إلا من الله؟ فإنه يُطلب من ذاته الذي يعد بإعطاء ذاته.
لتبسط النفس شوقها، وبحضنها المتسع تطلب وتترك ما لم ته عين وما لم تسمع به أذن وما لا يخطر على قلب إنسان (1 كو 2: 9).
يمكننا أن نشتهي ذلك ونتوق إليه وفركض وراءه، لكننا لا نقدر أن نستحق إواكه ونعلنه بكلمات [833].

القديس أغسطينوس

"فقال له الفريسيون:

أنت تشهد لنفسك،

شهادتك ليست حقًا". [13]

إذ انسحب الفريسيون المشتكون على الوأة إوانية بقي فريسيون آخرون لمقاومته من جهة ما ينطق به من تعاليم. كان الفريسيون يعرفون أن "النور" هو لقب المسيا الذي ترقبه رجال العهد القديم كما جاء في دانيال ٢: ٢٢.

يغالط الفريسيون أنفسهم، فإننا نجد في العهد القديم بعض الأنبياء شهوا لأنفسهم، وأكثروا أنهم يحملون إعلانًا إلهيًا أو نوة من السماء. بل وجاء الفريسيون يسألون يوحنا المعمدان: ماذا تقول عن نفسك؟ لو أنهم في إخلاصٍ تطلّوا إلى تعاليمه وآياته التي صنعها لأنكروا أن السيد المسيح لم يكن محتاجًا إلى شهادة خرجية.

"أجاب يسوع وقال لهم:

وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق،

لأنني أعلم من أين أتيت، وإلى أين أذهب،

وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتي، ولا إلى أين أذهب". [14]

إذ يعلم السيد المسيح أنه ابن الله لم يهاجمهم ولا هاجم شهادتهم الكاذبة، إنما كشف عن شخصه وعن علاقته بالآب ورسالته بتجسده. وهذا كله فيه كل الكفاية للشهادة له.

أكد السيد المسيح ثلاث حقائق:

وَأولاً: يقينه من جهة معرفته بنفسه، وأن الأمر ليس فيه أدنى شك ولا يحتاج إلى حوار. يعرف نفسه قبل مجيئه وإعلانه عن نفسه للعالم. فقد جاء من عند الآب وإليه يذهب (يو ١٦: ٢٨)، جاء من المجد ويعود إليه (يو ١٧: ٥).

ثانيًا: أنهم ليسوا أكفاء ليكونوا قضاة عليه وعلى تعاليمه، لأنهم جهلاء ويريدون أن يبقوا في ظلمة الجهل. إنهم يدينون في حسب أهوائهم الجسدية [١٥]، ليسوا أهلاً للحكم فيما هو إلهي وروحي. ومع استحقاقه أن يدين لأنه الديان العادل لكنه يؤجل الدينونة إلى مجيئه الثاني.

ثالثًا: أن شهادته لنفسه تثبتتها شهادة الآب له [١٨].

❖ للرب يسوع المسيح شهود هم الأنبياء الذين رُسوا قبله، المذيعون (الحجّاب) الذين يسبقون القاضي. له أيضًا يوحنا المعمدان شاهد له، لكن هو نفسه يحمل أعظم شهادة لنفسه... إنه النور الحقيقي الذي يضيء لكل إنسان آتٍ إلى العالم [834].

❖ "لأني أعلم من أين أتيت، وإلى أين أذهب" من يتكلم معكم بشخصه لديه ما لم يتوكله، ومع ذلك قد جاء. لأنه بمجيئه لم يتوكل هناك (السماء). ولن يهجرنا عندما يعود إلى هناك.

لماذا تتعجبون؟ إنه الله، فإن ما يحدث لا يقدر أن يفعله إنسان، لن يحدث حتى مع الشمس، فإنها إذ تذهب إلى الغرب تترك الشرق حتى تعود إليه عندما تشرق... أما ربنا يسوع المسيح فإنه يأتي وفي نفس الوقت هو هناك، ويعود وهو لا يزال هنا. اسمع الإنجيلي نفسه يقول... "الله لم ره أحد قط، الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبّر". لم يقل أنه كان في حضن الآب، كما لو كان بمجيئه قد ترك حضن الآب. كان يتحدث هنا، ومع ذلك يعلن أنه كان موجودًا هناك.

و عندما اقترب من الوحيل من هنا ماذا قال: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء العالم" (مت 28: 20) [835].

القديس أغسطينوس

❖ من ينكر أن الابن من الآب لا يعرف الآب الذي منه الابن، وأيضًا لا يعرف الابن لأنه لا يعرف الآب.

القديس أمبروسوس

"أنتم حسب الجسد تدينون،

أما أنا فلست أدين أحدًا". [15]

إذ صار الكلمة جسدًا دانه الفريسيون حسب الجسد، إذ ظفوه إنسانًا مجردًا، ولم يبركوا حقيقته أنه كلمة الله وحكمة الله وقوة الله. أعماله تشهد بذلك، إنه المسيا الموعود به. لقد خدعوا أنفسهم بأنفسهم، لأنهم حلولوا قياس الإلهيات بمقاييس بشوية، والروحيات بمقاييس جسدية. تطلخوا إلى الناموس والوعود الإلهية بأعين جسدية، فتحول الكتاب إلى ورسات حرفية، وتعلق بالخلص الزماني والكرامة الباطلة والحرف القائل، فتعزوا في معرفة المسيا كما في معرفة الآب الذي أرسله.

❖ أن يعيش أحد حسب الجسد هو أن يحيا بطريقة شوية، هكذا من يدين حسب الجسد يدين ظلمًا [837].

❖ "لا أدين أحدًا"، فإنني إن كنت أود أن أدين تكونون أنتم مدانين... لكن وقت الدينونة لم يحل بعد. إنه يلح بأنه ليس وحده يدينهم، بل والآب أيضًا يدينهم [838].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نحن نقول أنه سيأتي ديانًا للأحياء والأموات بينما يقول عن نفسه: "أما أنا فلست أدين أحدًا" [15]. هذا السؤال يمكن أن يُحل بطريقتين. إما أننا نفهم هذا التعبير "لست أدين أحدًا" بمعنى لست أدين أحدًا الآن، وذلك حسب قوله في موضع: "لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم"، غير منكر هنا أنه يدين، لكنه وجئها. أو لأنه إذ قال: "أنتم حسب الجسد تدينون" [15] أضاف: "أما أنا فلست أدين أحدًا" بذات الطريقة، أي حسب الجسد [839].

القديس أغسطينوس

وإن كنت أنا أدين، فدينونتي حق،

لأني لست وحدي،

بل أنا والآب الذي أرسلني". [16]

❖ [840] أشار السيد المسيح هنا بالتلميح أنه ليس هو وحده يدينهم، لكن أباه أيضًا معه يوجب الحكم عليهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كأنه يقول: "دينونتي حق"، لأنني ابن الله. كيف توهن أنك ابن الله؟ "لأني لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني" ... يوجد جهر واحد،

لاهوت، شوكة زلية، مسلواة كاملة عدم اختلاف... لكن الآب أب، والابن ابن... الابن أقنوم آخر غير الآب، هذا تقوله بالحق، أما أنه مختلف عنه في الطبيعة فهذا ليس حقاً... أنا لست الابن بطريقة بها لا أكون معه، ولا هو بطريقة بها لا يكون معي. لقد أخذت شكل العبد، لكنني لم أفقد شكل الله [841].

❖ ليتنا أيها الاخوة نختار لأنفسنا الله دياناً لنا، الله شاهد لنا ضد ألسنة الناس، ضد شبهات البشوية. فإن ذلك الذي هو الديان لا يستكف من أن يكون شاهداً، ولا يزداد كرامة حين يكون دياناً، حيث أن الشاهد هو نفسه سيكون دياناً [842].

القديس أغسطينوس

"وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق". [17]

وإن كان يمكن أن يتفق اثنان أو أكثر على الشهادة الزور (امل ٢١: ١٠)، لكنها تُقبل كشهادة حق ما دام لا يثبت ضدها (تث ١٧: ٦؛ ٩: ١٥؛ عد ٣٥: ٣٠).

"أنا هو الشاهد لنفسي،

ويشهد لي الآب الذي أرسلني". [18]

كما اشترك الآب والابن في الخلق، هكذا يعملان معاً في الخلاص. ما يفعله الابن لا يعمل به بمفرده بل مع أبيه الذي هو أيضاً يشهد له. رى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الفريسيين عرفوا أنه المسيح لكنهم بسبب حسدهم تحدثوا معه كمن لم يعرفوه، وأنهم جاعوا ليجروه فحسبهم ليسوا أهلاً أن يجيب عليهم. لذلك لم يقدم لهم نوات العهد القديم والدلائل على شخصه، إنما أعلن أنه هو الشاهد لنفسه، فأبائه وتعاليمه وصليبه الذي حان وقته، هذه كلها شهادة حية له. ليس بمحتاج إلى شهادة آخر، وإنما يشهد له الآب بكونه واحداً معه [843].

❖ ألا ترون أنه قال هذا ليظهر أنه من ذات الجوهر ولا يحتاج إلى شاهد آخر، وأنه ليس بأقل من الآب؟ لاحظوا على الأقل استقلاله (تمازه) [844]!
❖ لو أنه (المسيح) في كيان أقل (من الآب) لما قال هذا! الآن لكي لا تظنوا أن الآب قد ضُم للشهادة ليجمع الرقم اثنين (شاهدين) لاحظوا أن سلطانه ليس مختلفاً عما للآب. يقدم الإنسان شهادة عندما يثق في نفسه وليس عندما يحتاج هو نفسه إلى شهادة، وهكذا أيضاً فيما يخص الغير. أما فيما يخصه هو نفسه حين يحتاج إلى شهادة آخر، فإنه لا يكون هو موضع ثقة. أما الحال هنا فمختلف تماماً، فإنه إذ يشهد لنفسه وأنه يوجد آخر يشهد له يؤكد أنه موضع ثقة، ويعلن بكل الطرق استقلاله (دون انفصاله)...

يضع نفسه أولاً: "أنا هو الشاهد لنفسي" [١٨]. واضح أنه يظهر هنا مسلوته في الكرامة، وأنهم لن ينتفخوا شيئاً بقولهم أنهم عرفوا الآب بينما هم لم يعرفوا (المسيح).

يقول أن علة هذا أنهم لا يرغبون في معرفته. لهذا يقول لهم أنه من المستحيل أن يعرفوا الآب بدون أن يعرفوه هو، إذ يقوم هو بجذبهم إلى معرفته. لذلك فبتوكلهم إياه حتى وإن بحثوا عن معرفة الآب يقول: "لا تقدر أن تعرفوا الآب بدوني". فمن يجدف على الابن، لا يجدف على الابن وحده، بل وعلى من ولده [845].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقالوا له:

أين هو أبوك؟

أجاب يسوع:

لستم تعرفونني أنا ولا أبي،

لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا. [19]

اتهمهم السيد المسيح بجهلهم لمعرفة الله. حقًا لقد عُرف الله في اليهودية (مز ٦٧: ١)، لهم بعض المعرفة لله كخالقٍ للعالم، لكن أعينهم أظلمت، فلم تستطع أن ترى نور مجده المشرق في وجه يسوع المسيح. أما علة جهلهم للآب فهو جهلهم لشخص المسيح الذي يعلن عن معرفة الآب.

❖ العبرة: "تعرفوني وتعرفون من أين أنا" (يو ٧: ٢٨) خاصة بشخصه كإنسان، أما العبرة "لستم تعرفوني أنا ولا أبي" [١٩] فخاصة بلاهوته... فمن الواضح أن كلمات القوم الذين من أهل أورشليم: "هذا نعلم من أين هو" (يو ٧: ٢٧) تشير إلى حقيقة أنه وُلد في بيت لحم (مت ٢: ١). وقد عرفوا أنه ذلك الذي أمه تُدعى مريم وأن اخوته (أبناء خالته) هم يعقوب ويوحنا وسمعان ويهوذا (مت ١٣: ٥٥). لهذا شهد للقائلين: "هذا نعلم من أين هو" قائلًا: "تعرفوني وتعرفون من أين أنا". لكنه حينما تحدث مع الفريسيين قال: "وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب" [١٤]، إذ كان يتحدث عن طبيعته الإلهية، كشخص يتحدث عن الأساس الذي به هو بكر الخليقة (كو ١: ١٥) [846].

العلامة أوريجينوس

ظن بعض الواطقة أن في قول السيد المسيح "ولا أبي" للفريسيين إشارة إلى أن أباه غير الله الخالق الذي يعرفه الفريسيون خلال قواعدهم للعهد القديم. لكن عدم معرفة الفريسيين هنا تتبع عن شومهم. لا يعرف الأثوار الله حتى إن آمنوا به كخالقٍ، وتحدثوا عنه بكونه الله دون الالتصاق به والسلوك حسب مسوته.

❖ إن كان أحد ما قاورًا أن يقدم حسابًا كاملاً عن الأمور الخاصة بالله، وقد تعلّم من آباءه أنه وحده ينبغي له السجود، فإنه ما لم يسلك باستقامة يقول الكتاب عنه أنه لا يحمل معرفة الله.

❖ إن كان أحد بالحقيقة يعرف الأمور الخاصة بالخالق وخدمته الكهنوتية فمن الواضح أن أبناء عالي الكاهن كان لهم هذا، إذ أنهم كانوا يقيمون في موضع العبادة. مع هذا إذ أخطأوا كُتبت عنهم في سفر ملوك الأول: "وكان بنو عالي بني الهلاك، لم يعرفوا الرب" (راجع ١ صم ٢: ١٢)... يمكننا أن نجد نفس الشيء ليس فقط بخصوص أبناء عالي بل وبخصوص حكام أثوار في إسرائيل ويهوذا. هكذا أيضًا لم يعرف الفريسيون الآب، إذ لم يعيشوا حسب رادة الخالق [847].

العلامة أوريجينوس

❖ إذ تحدث الرب عن الله أبيه أجابوه وقالوا له: "أين هو أبوك؟" لقد فهموا أب المسيح جسديًا، لأنهم يدينون كلمات المسيح حسب الجسد. لكن الذي تحدث كان الظاهر هو الجسد، وأما الخفي فهو الكلمة؛ الإنسان المنظور والله الخفي... لقد احتقروه لأنهم لم يعرفوه، ولم يعرفوه لأنهم لم يروه، ولم يروه لأنهم عميان، وهم عميان لأنهم لم يؤمنوا [848].

❖ نحن زاك وحدك، ولا ترى أباك معك، فكيف تقول أنك لست وحدك بل أنت مع أبيك؟ إلا فلتونا أن أباك معك [849].

القديس أغسطينوس

" هذا الكلام قاله يسوع في القوارة وهو يعلم في الهيكل،

ولم يمسه أحد،

لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد". [20]

القوارة: يخبرنا الإنجيلي يوحنا عن الموضع الذي استخدمه السيد ليقدم فيه تعليمه، وهو "القوارة". غالبًا لا يقصد به الموضع الذي توضع فيه كنوز الهيكل الثمينة، وإنما تشير إلى جزء من المناطق التي يقدم إليها الشعب ليقدموا عطاياهم للهيكل. وهو يمثل جزءًا خاصًا بدار النساء حيث يوجد فيه صنوقًا للعطاء على شكل أواق. يُنقش على كل صنوق مجال استخدامه حتى يقدم الشخص عطاءه حسبما يريد أن يوجهه. أما دعوة الموضع "دار

النساء" فلا يعني أنه خاص بالنساء ولا يدخله الرجال، وإنما يعني أنه يسمح للنساء بالدخول فيه، ولا يسمح لهن بالدخول في مواضع أخرى. وذلك كما يسمح للأمم الدخول إلى "دار الأمم" لكن هذا لا يعني عدم دخول اليهود فيه.

كان هذا الموضوع محبوباً للشعب حيث كانت توفد فيه المنزلات الأربع في عيد المظالم السابق الإثارة أيها. وكان هذا الموضوع يُدعى جزئياً Gazith ، في مواجهة المكان المخصص لانعقاد مجمع السنهريين. لهذا قال السيد المسيح أثناء محاكمته: "أنا علّمت في كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلم بشيء" (يو ١٨ : ٢٠).

وكان السيد المسيح يعلن مجاهرة أمام الشعب وفي حضرة السنهريين أنهم لا يعرفون الآب لأنهم لم يعرفوه هو [١٩]. ومع هذا لم يستطيعوا القبض عليه.

كانت ألسنتهم بلا ضابط تنطق بالتجديف ضده، أما أيديهم فكانت مربوطة، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد. لقد قيدهم بقوته الإلهية حتى تحين ساعة صلبه.

❖ يقول عن السيد المسيح: "لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد"، ومعنى ذلك أنه لم يكن قد حان بعد وقت ملائم يشاء أن يُصَلب فيه، فمن هذه الجهة كان صلبه ليس بقوة أولئك، وإنما كان بتدبيره هو، لأنهم رأوا ذلك من قبل ولم يقدرُوا، ولا اقتنروا بعد ذلك لو لم يرد هو ذلك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذه تُظهر أنه إن كانت كل المساهمة في مساندة المحتاجين في حُرارة الهيكل لأجل الصالح العام، فإن يسوع فوق الكل قدم ما هو نافع. قدم هذه الكلمات الخاصة بالحياة الأبدية (يو ٦ : ٦٨)، وتعليمه عن الله (الآب)، وعن نفسه. قوله: "أنا نور العالم" [١٢].

كان في الحُرارة أكثر قيمة من أية عملة. وهكذا قوله: "لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً" [١٩]، وكل بقية التعاليم في ذلك الموضوع. كل الذهب الذي قدمه الآخرون إلى الحُرارة يشبه حبة رمل إن قورن بكلمات يسوع؛ وتُحسب الفضة طيناً في حضرتها (راجع حك ٧ : ٩) فإن كل كلمة نطق بها هي حكمة... [850]

❖ لم ينطق يسوع بكل الكلمات التي لديه حين كان يعلم في الحُرارة، وإنما قدر ما يمكن للحُرارة أن تتقبل. فإنني لست أظن أن العالم نفسه يمكن أن يوري كل كلمة الله (يو ٢١ : ٢٥) [851].

❖ مع أنه نطق هكذا بكلمات كثرة في الحُرارة، وعلم في الهيكل لم يمسه أحد، لأن كلماته كانت أقوى من الذين وغيون في القبض عليه. مادام يتكلم لا يقبض عليه أحد ممن يخططون ضده، لكنه إذ يصمت يمسكون به. هذا هو السبب الذي لأجله كان صامتاً عندما فحصه بيلاطس وحين ضُرب (يو ١٩ : ٩)، إذ أراد أن يتألم لحساب العالم. فإنه لو تكلم لما صُلب عن ضعف (٢ كو ١٣ : ٤) لأنه لا يوجد ضعف في الكلمة المتكلم [852].

العلامة أوريجينوس

3. هلاك غير المؤمنين

"قال لهم يسوع أيضاً:

أنا امضي وستطلبونني،

وتموتون في خطيتكم،

حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأقوا". [21]

يقدم السيد المسيح تحذيراً لغير المؤمنين، بأن جودهم يدفعهم إلى الهلاك الأبدي. وكما يقدم السيد كلمات النعمة المشجعة لصغار النفوس، يقدم تحذيرات موعبة للجاحدين قبل فوات الأوان. وكما قال: "يشبهون ولأدًا جالسين في السوق ينادون بعضهم بعضاً ويقولون: زمونا لكم فلم ترقصوا، نحنا

لكم فلم تبتكروا" (لو ٧: ٣٢). هكذا كثوًا ما يفتح الرب باب الرجاء بالكلمات الطيبة اللطيفة، كما يستخدم التحذرات الشديدة ليحفظهم من السقوط أو يقوموا مما سقطوا فيه.

"أنا أمضي": لقد طلبوا منه أن يمضي عنهم، فإنهم لا يطلبونه، ولا يريدون أن يسموا كلماته. وها هو يخبرهم أنه سيمضي، وبمضيه عنهم لا يجدون الحياة بل يموتون في خطيتهم. حين يحل بهم الضيق يطلبون عون المسيا المرفوض منهم والذي صلوه فلا يجدونه حسب هواهم. يرفضونه ليطلبوا مسحاء كذبة لا يقدمون الحياة بل الغضب الإلهي.

يطلبونه لكن فكرهم المادي الحرفي يحصوهم في حدود الأرض، فيبحثون عنه ولا يجدونه إذ هو صاعد إلى السماء. يطلبونه وهم محبسون في قبر مجدهم الزمني ومصالحهم المادية فلا يجدونه هناك، لأنه هو نور الحياة. يموتون في خطاياهم إذ لا يروا غافر الخطية ومخلص النفوس من الفساد. هكذا يفضح الطبيب السموي المرض أمام المرضى لعلمهم يقبلون الالتقاء معه ويتمتعون بالشفاء.

"خطيتكم" جاء في اليونانية بالمفرد لا الجمع، إذ يركز على خطية الجحود ورفض السيد المسيح. هذا ويلاحظ أن الإنجيلي يوحنا وقد ركز أنظرنا على السيد المسيح كمخلص العالم كرر أكثر من غيره من الإنجيليين فعل "يموت" واسم "خطية". فذكر فعل "يموت" ٢٨ مرة بينما ورد في متى ٥ مرات، وموقس ٩ مرات، ولوقا ١٠ مرات، ولم ترد بهذه الكثرة في أي سفر في العهد الجديد، إنما جاء في الرسالة إلى رومية ٢٣ مرة. أما كلمة "خطية" فوردت ١٧ مرة في هذا الإنجيل بينما وردت ٧ مرات في متى، ٦ مرات في موقس، و ١١ مرة في لوقا. ومع هذا فإن الإنجيلي يوحنا لم يهدف إلى تركيز أنظرنا على الخطية وما تنثوره من موت، وإنما مع خطورة الخطية القاتلة يركز على ساحق الخطية بصليبه لكي نعيش بروح النصوة والغلبة، ونمرس الحياة الجديدة عوض الموت الروحي.

لقد سبق فقال هذا أيضًا في اليوم السابق (يو ٧: ٣٤).

❖ إنني أسأل إن كان يقول: "أنا أمضي وستطلبوني، وتموتون في خطيتكم" ليس لكل الحاضرين، وإنما للذين قد عرف أنهم لا يؤمنون به، ولذلك يموتون في خطيتهم، ويصيروا عاجزين عن أن يتبعوه. إنهم عاجزون لأنهم لا يريدون، فإنهم عاجزون، ولكنهم يريدون ما كان يليق بالقول: "تموتون في خطيتكم" [853].

❖ يجب أحد: إن كان قد نطق بهذه الكلمات إلى أناسٍ مصممين على عدم الإيمان فلماذا يقول لهم "ستطلبوني"؟ حسنًا، توجد طرق كثيرة لطلب يسوع، بكونه الكلمة والحق والحكمة. لكن... "الطلب" أيضًا يستخدم أحيانًا عن الذين يخططون ضده كما جاء في العبرة: "طلبوا أن يمسخوه، ولم يلق أحد يدًا عليه لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد (يو ٧: ٣٠). وأيضًا في العبرة: "أنا عالم أنكم نوية إواهم لكنكم تطلبون أن تقتلوني، لأن كلمتي لا موضع لها فيكم" (راجع يو ٨: ٣٧). وفي العبرة: "ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم الحق الذي سمعته من الآب" (راجع ٨: ٤٠) لهذا فإن العبرة "ستطلبوني..." [٢١] مقدمة للذين يطلبون بطريقة خاطئة وليس نقضًا للقول: "من يطلب يجد" (مت ٧: ٨). يوجد دائمًا اختلافات فيما بين الذين يطلبون يسوع. ليس الكل يطلب بطريقة سليمة لأجل خلاصهم وللانتفاع به.

❖ "تموتون في خطاياكم" [٢١]. إن أخذت بالمعنى العادي الواضح أن الخطاة سيموتون في خطاياهم، وأما الأوار ففي وهم. لكن إن أخذ تعبير "ستموتون" بخصوص الموت لعدو المسيح (كو ١٥: ٢٦) حيث أن من يموت يرتكب "خطية تقود إلى الموت" (١ يو ٥: ١٦)، فمن الواضح أن الذين وُجّهت إليهم هذه الكلمات لم يكونوا قد ماتوا بعد. ربما تسأل كيف أن الذين لم يؤمنوا وهم أحياء سيموتون في وقت ما. يجب أحدهم ويقول إنهم إلى ذلك الحين لم يؤمنوا، ولم يخطئوا للموت، والذين لم تأت بعد إليهم الكلمة لم يوتكوا خطية الموت. إنهم أحياء يعانون من المرض في نفوسهم، وهذا المرض ليس للموت (يو ١١: ٤)...

❖ لنهتّم ألا يصيبنا "مرض للموت"، فمرضنا يمكن أن يُشفى (بالتوبة)، وهو متميز عن المرض الذي لا يُمكن شفاؤه (بالإصوار على عدم

[856]

- ❖ لنقرن عبلة حرقياى: "النفس التي تخطئ تموت" (حز ١٨ : ٢٠) بالقول: "تموتون في خطاياكم"، لأن الخطية هي موت النفس. لست أظن أن هذا صحيح لكل خطية بل للخطية التي يقول عنها يوحنا أنها للموت (١ يو ٥ : ١٦) [857].
- ❖ لنميز أيضًا بين خطية هي موت للنفس، وأخرى هي مرض لها. وربما يوجد نوع ثالث للخطية هي فقدان للنفس، هذه التي تشير إليها الكلمات: "ماذا ينتفع الإنسان إن ربح العالم كله وخسر نفسه؟" (مت ١٦ : ٢٦؛ لو ٩ : ٢٥). وأيضًا الكلمات: "إن احتق عمل أحد فإنه يعاني من فقدان" (راجع ١ كو ٣ : ١٥) [858].

العلامة أوريجينوس

إن كانت الخطية مرضًا خطوًا يصيب الإنسان كله، نفسه وجسده، فقد ملكت الموت عليه. غير أنه إذ جاء كلمة الله المتجسد طبييًا للنفس والجسد ميز بين نوعين من الخطية أو نوعين من المرض. يوجد مرض ليس للموت (يو ١١ : ٤)، بل لمجد الله، وذلك بالنفس التي تقبل كلمة الله، وتخرج من قبر الفساد، وتتمتع بحل الأبطة والشهادة للقائم من الأموات واهب القيامة. ويوجد مرض للموت مثل الذي يتحدث عنه السيد مع بعض السامعين له قائلاً إنه يطلبونه وسموتون في خطاياهم، هذين الذين يصرون أن يبقوا في العصيان حتى يوم رقادهم، هؤلاء يتكون الخطية التي تقود للموت (١ يو ٥ : ١٦).

- ❖ يقول: "أنا أمضي وستطلبونني" [21] ليس عن شوقٍ إليّ، بل عن كراهية، لأنه بعد تحركه بعيدًا عن الرؤية البشرية طلبه كل من الذين أبغضوه والذين أحوّه. الأولون يروح الاضطهاد، والآخرون بالارغبة في اقتنائه [859].

❖ من الخطأ ألا تطلب حياة المسيح بالطريقة التي بحث بها التلاميذ، ومن الخطأ أن تطلب حياة المسيح بالطريقة التي بحث بها اليهود. لأن هؤلاء الناس يطلبونه بقلب منحرف. ماذا أضاف؟ "تطلبونني" - ليس لأنكم تطلبونني للخير - لذلك "تموتون في خطيتكم". هذا يحدث من طلب المسيح بطريقة خاطئة ليموتوا في خطيتهم، خطية الكراهية للمسيح، ذاك الذي وحده يمكن أن يوجد فيه الخلاص. فإنه بينما الذين لهم رجاء في الله لا يروا الشر بالشر هؤلاء يرون الخير بالشر [860].

- ❖ "حيث أمضي أنا لا تقدرتون أنتم أن تأتوا"، قال نفس الكلمات لتلاميذه في موضع آخر، ومع ذلك لم يقل لهم: "تموتون في خطيتكم"... إنه لم يزع عنهم الرجاء، بل سبق فأخوهم عن تأخوهم في الذهاب إلى حيث يذهب. لأن في هذا الوقت حين تكلم الرب بهذا مع التلاميذ لم يكونوا قادرين على الذهاب إلى حيث هو ذاهب، لكنهم يذهبون بعد ذلك. أما هؤلاء فإنه بسابق علمه يعرف أنهم لن يذهبوا لذا قال: "تموتون في خطيتكم" [861].

القديس أغسطينوس

- ❖ قال هذا لكي يخجل نفوسهم وروعهم، انظروا أي خوف حل بينهم بسبب ذلك. فمع كونهم رغبون في قتله لكي يتخلصوا منه، لكنهم سأوا إلى أين يذهب، فقد تخيلوا أمرًا خاطوة بقوله هذا. أيضًا رغب في أمرٍ آخر، وهو أن هذا الفعل (موته) لن يحدث خلال قوتهم، لكنه يتحدث عنه أمامهم مقدمًا ويخوهم مقدمًا عن القيامة [862].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقال اليهود:

ألعه يقتل نفسه حتى يقول

حيث أمضي أنا لا تقدرتون أنتم أن تأتوا؟" [22]

حين قال قبلاً هذا ظنوا أنه يذهب إلى ولايات يونانية ليكرز بين اليهود الذين في الشتات، أما هنا فأفركوا أنه يتحدث عن موته. لقد حسوه ليس

فقط كواحدٍ منهم، بل أشر منهم لأنه ينتحر يأسًا.

❖ " حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا" [٢٢]... فإنه حين يموت أحد في خطيته لا يقدر أن يذهب حيث يذهب يسوع، إذ لا يقدر ميت أن يتبع

يسوع. "لأن الأموات لا يسبحونك يارب، ولا الهابطين في الهاوية، بل نحن الأحياء نحمدك يارب" (مز ١١٣: ٢٥ - ٢٦ LXX) [863].

❖ ظهر سلطانه أن يموت برادته الحوة تركًا الجسم خلفه من العبرة: "أمضي أنا" [864].

❖ ربما جاء في التقاليد (اليهودية) عن المسيح أنه يولد في بيت لحم، وأنه يقوم من سبط يهوذا حسب التفسير السليمة للكلمات النبوية؛ وأيضًا في

التقاليد بخصوص موته أنه يتزوج نفسه من الحياة بالوسيلة التي قلناها. ويبدو أن اليهود عرفوا أن الذي وحل هكذا يذهب إلى موضع لا يمكن أن يذهب إليه حتى الذين يفهمون هذه الأمور. لذلك لم يتحدثوا بطريقة حرفية عندما قالوا: "أعله يقتل نفسه حتى يقول حيث أمضي أنا لا تقدرون أنتم

أن تأتوا؟" [٢٢]... [865]

❖ على أي الأحوال أظن قد قالوا هذا عن خبث ما قد بلغ إليهم بالتقليد عن موت المسيح. وعض أن يجنوا ذلك الذي وحل من الحياة بهذه الطريقة

قالوا: "أعله يقتل نفسه؟" [866]

❖ ربما في تردد تكلموا، لكن مع تلميح لمجده في لحظات موته، فإنهم كمن يقولون: "هل تفرق نفسه حينما يريد حين يُترك الجسم خلفه؟" هل لهذا

السبب قال: "حيث أنا أمضي أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟" [867]

❖ تأملوا أيضًا إن كان بولس قد قال أمرًا مشابهًا لهذا: "أسلم نفسه لأجلنا ذبيحة لله" (أف ٥: ٢) [868].

العلامة أوريجينوس

❖ إذ سمعوا هذه الكلمات فكعادة الذين لهم أفكار جسدانية والذين يحكمون حسب الجسد ويسمعون ويفهمون كل شيء بطريقة جسدانية، قالوا: "أعله يقتل

نفسه؟"... يا لها من كلمات عنيفة تفيض جهالة!... بقوله: "حيث أمضي" لا يقصد أنه يذهب إلى الموت، بل أنه يذهب إلى ما بعد الموت [869].

القديس أغسطينوس

"فقال لهم:

أنتم من أسفل،

أما أنا فمن فوق.

أنتم من هذا العالم،

أما أنا فلست من هذا العالم". [23]

حسب الحكمة البشرية لا يقدر أحد أن يقرر مصير حياته إذا أنهاها بيده، لهذا حسوه يتكلم عن موته بقيامه بالانتحار. ولعلمهم أشاعوا هذا

ليشوها صورته أمام الشعب، إذ يعتبر الانتحار جريمة يعاقب عليها الناموس، بكونه سفك دم إنسان: "أطلب أنا دمكم لأنفسكم" (تك ٩: ٥). تبقى صورة

أخيوتل المنتحر (٢صم ١٧: ٢٣) (مثلًا خطأً للحياة الفاسدة. حقًا لقد قبل شمشون أن يموت بيديه مقابل الآلاف من الوثنيين الذين ماتوا معه، وأيضًا

كان البعض معجبين بالذين في حصن Masada الذين قتلوا أنفسهم وعائلاتهم عن أن يسقطوا في أيدي الرومان، لكن الانتحار في ذهن الشعب هو خطية

اليأس التي عقوبتها نار جهنم. وقد أشار إلى ذلك يوسيفوس المؤرخ، حتى قال بأنه يلزم دفن أجساد الأعداء فورًا، أما المنتحرون فتبقى أجسادهم بلا دفن

حتى الغروب كوعٍ من العقوبة. وذكر يوسيفوس أنه في بعض الأمم كانت تقطع الأيدي اليمنى للمنتحرين لأنها تحوت وفصلت الجسم عن النفس، هكذا

تتفصل هي عن الجسد.

هذا هو الفكر اليهودي في عصر السيد المسيح، وكان الانتحار من الخطايا المعرضة تمامًا لأفكار كثير من الفلاسفة اليونانيين الذين يرون في

[870]

الانتحار عملاً بطولياً يستحق المديح، حيث ينهي الإنسان الحياة الزمنية بنقلها ليتمتع بحياة مكرمة ممتدة!

يقدم لهم السيد المسيح علة عدم معرفتهم لشخصه وطبيعته، وعدم إواكهم من أين جاء وإلى أين يذهب، وهو اختلاف طبيعتهم عن طبيعته. كأنه يقول لهم: أنتم قادرين أن تملسوا القتل حتى لأنفسكم لأنكم من أسفل، وليس الله شيء فيكم. أنتم من أسفل، أرضيون، جسديون، شيطانيون. هم من الأرض ترابيون، وهو من السماء، الخالق غير المحدود. لهذا فهم في حاجة إلى إواك لاهوته والإيمان به. "لأنكم إن لم تؤمنوا أنا هو، تموتون في خطاياكم" (٢٤).

❖ يشير هنا إلى الأفكار والأوهام العالمية الجسدانية، فمن هذه الجهة استبان قوله: "أما أنا فلست من هذا العالم" ليس أنه لم يأخذ جسداً، لكنه يشير إلى أنه بعيد عن خبث أولئك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وي العلامة أوريجينوس أن الذي من أسفل بالضرورة هو من هذا العالم، لكن ليس كل من هو من هذا العالم هو من أسفل، بل يمكن أن تكون مواظنته في السماء (في ٣: ٢٠). هذا ومن جانب آخر حتى الذي هو من أسفل وهو من العالم يمكن أن يتغير ليصير ليس من هذا العالم.

❖ على أي الأحوال يمكن لمن هو من أسفل ومن هو من هذا العالم، ومن الأرض أن يتغير ويصير من فوق ولا يعود يكون من هذا العالم... لذلك يقول لتلاميذه: "كنتم من العالم، وأنا اخترتكم من العالم، ولستم بعد من العالم" (راجع يو ١٥: ١٩). فإن كان المخلص قد جاء يطلب ويخلص ما قد فقد (لو ١٩: ١٠)، إنما جاء لكي ينقل الذين من أسفل والذين سُجّلوا كمواطنين بين الذين هم من أسفل إلى الذين هم من فوق. فإنه هو الذي تول طبقات الأرض السفلى من أجل الذين هم هناك (أف ٤: ٩ - ١٠). لكنه أيضاً صعد فوق كل السموات، وأعد طريقاً للذين يرغبون فيه، وقد صلبوا تلاميذ حقيقيين له حيث الطريق الذي يقود إلى الأمور التي فوق السموات أي الأمور غير المادية [871].

❖ انتبهوا، إن أردتم أن تتعلموا من الكتاب المقدس من هو من أسفل، ومن هو من فوق. إذ أن كنز كل شخص يوجد في قلبه (مت ٦: ٢١)، فإن من يخزن كزّه على الأرض (مت ٦: ٢١) بفعله هذا يكون من أسفل. وأما إذا خزن أحد كزّه في السماء (مت ٦: ٢٠) يولد من فوق ويأخذ صورة السموي (يو ٣: ٣؛ ١ كو ١٥: ٤٩). بالإضافة إلى أنه إذ يعبر هذا الشخص خلال السموات يوجد قد بلغ هدفه الطوبائي للغاية [872].

❖ يمكن القول أن من هو من أسفل يملس أعمال الجسد، وأما من هو من فوق فيحمل ثمار الروح (غلا ٥: ٢٢). موهبة أخرى يُمكن القول أن الذي من هذا العالم يحب هذا العالم، حيث أن الذي له محبة الله هو من فوق كقول يوحنا (١ يو ٢: ١٥). إنه ليس من هذا العالم ذلك الذي لا يحب العالم ولا الأشياء التي في هذا العالم، إنما يقول: "حاشا لي أن أفتخر إلاً بصليب ربي يسوع المسيح، الذي به قد صلب العالم لي، وأنا للعالم" (راجع غلا ٦: ١٤-١٦) [873].

العلامة أوريجينوس

❖ ماذا قال الرب للذين لهم سمة الأرض؟ "فقال لهم: أنتم من أسفل" (يو ١٣: ٣٣). لهذا فأنتم تحملون نكهة الأرض، إذ تلحسون التراب مثل الحيات. أنتم تأكلون التراب، ماذا يعني هذا؟

أنتم تفتاتون بالأمور الأرضية، وتجدون لذتكم فيها، أنتم تغفرون أفواهكم أمام الأرضيات، لن تطلب قلوبكم العلويات.

"أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم" [٢٣].

إذ كيف يمكن أن يكون من العالم ذلك الذي به خُلق العالم؟

كل من هم من العالم جاؤا بعد العالم، لأن العالم سبقهم، ولهذا فالإنسان هو من العالم.

حيث كان المسيح قبل العالم، ولم يكن قبل المسيح شيء ما، لأنه "في البدء كان الكلمة، وكل شيء به كان" (يو ١: ١، ٣)، لذلك فهو من ذلك الذي هو فوق... من الآب نفسه. ليس من هو فوق الله الذي ولد الكلمة مساوياً له، وشريك معه في الألفية، الابن الوحيد في غير زمن، والذي وضع

أساس الزمن [874].

❖ لقد شوح لنا يا أخوة ماذا أراد لنا أن نفهم: "أنتم من هذا العالم". إنه يقول بالحقيقة: "أنتم من هذا العالم" لأنهم كانوا خطاة، كانوا أشورًا، غير مؤمنين، لهم نكهة الأرضيات...

لكن ماذا قال الرب نفسه للوسل؟ "أنا اخترتكم من العالم" (يو ١٥ : ١٩) هؤلاء إذن الذين كانوا من العالم صاروا ليسوا من العالم، وبدلوا ينتمون إلى المسيح الذي به كان العالم. أما هؤلاء (اليهود) فاستمروا بكونهم من العالم، هؤلاء قيل لهم: "تموتون في خطيتكم" (٢٤) [875].

❖ الذي خلق العالم جاء إليك، وخلصك من هذا العالم. إن كان العالم يبهجك، فأنت تريد أن تكون نومًا غير ظاهر، ولكن إن كان العالم لم يعد يبهجك فأنت بالفعل ظاهر.

مع هذا إن كان خلال بعض الضعف لا زال العالم يبهجك دع ذلك الذي يطهر يسكن فيك فتصير أنت أيضًا ظاهرًا [876].

القديس أغسطينوس

"فقلت لكم إنكم تموتون في خطاياكم،

لأنكم إن لم تؤمنوا إني أنا هو تموتون في خطاياكم". [24]

❖ جاء لهذا السبب: ليزع الخطية عن العالم، وإن كان من المستحيل للبشر أن يزعوها بطريق آخر سوى بال غسل، فالحاجة إلى أن الذي يؤمن يؤمه ألا وحل من العالم وبه الإنسان العتيق، مادام الشخص الذي لا يذبج بالإيمان الإنسان العتيق ويدفنه يموت وفيه (الإنسان العتيق) ويذهب إلى الموضع يعاقب عن خطاياه السابقة [877].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كان الذي لا يؤمن أن يسوع هو المسيح يموت في خطاياه، فمن الواضح أن الذي لا يموت في خطاياه يؤمن بالمسيح. لكن الذي يموت في خطاياه حتى إن قال أنه يؤمن بالمسيح، فإنه لا يؤمن به وهو مهتم بالحق، إن كان إيمانه المشار إليه ينقصه الأعمال، فإن مثل هذا الإيمان ميت كما نؤا في الوسالة المتداولة كعمل يعقوب (يع ٢ : ١٧) [878].

❖ إذن من هو ذلك الذي يؤمن أو يقتنع بأن يحمل طابعًا يتفق مع الكلمة ويتحد معه فلا يسقط في الخطايا التي يُقال أنها للموت (١ يو ٥ : ١٦)، ولا يخطئ - كما جاء في تلك الكلمات - بأية وسيلة مقلومًا الكلمة المستقيمة حسب العبرة: "من يؤمن أن يسوع هو المسيح وُلد من الله" (راجع ١ يو ٥ : [879]).

❖ من يؤمن بالكلمة أنه منذ البدء مع الله (يو ١ : ١)، فإنه إذ يتأمل فيه لا يفعل أمرًا غير عاقل. ومن يؤمن أنه هو سلامنا (أف ٢ : ١٤) لا يود أن يتنزع في شيء ما كمن هو مولع بالحرب أو مثير للشغب. بالإضافة إلى ذلك إن كان المسيح ليس هو حكمة الله فحسب بل وقوة الله (١ كو ١ : ٢٤)، فإن من يؤمن به أنه القوة لن يكون هزيلًا في صنع الخوات...

وإذ نعتقد فيه أنه الثبات والقوة على أساس القول: "والآن ما هو ثباتي (رجائي)؟ أليس هو الرب؟" (راجع مز ٣٩ : ٨) ... فإن سلمنا أنفسنا للمتاعب لا نؤمن به مادام هو الثبات، وإن كنا ضعفاء لا نؤمن به أنه القوة [880].

العلامة أوريجينوس

❖ يكمن يؤس اليهود كله ليس في أن لهم خطية، بل أنهم يموتون في خطاياهم. فإن هذا ما يليق بكل مسيحي أن يهرب منه، وبسبب هذا نقبل إلى العماد. ولهذا السبب الذين حياتهم في خطر بسبب موز أو لأمر آخر يطلبون العون، ولنفس السبب يحمل الوضيع بواسطة أمه بأيدٍ تقيّة إلى الكنيسة [881].

[881]

حتى لا يخرج إلى العالم بدون عماد ويموت في الخطية التي وُلد فيها .

❖ إن آمنتم إني أنا هو لا تموتوا في خطاياكم. إنه يود الرجاء للجدعين منهم؛ فالنيام يستيقظون، وتتمتع قلوبهم بيقظة متجددة. بالفعل آمن بعد ذلك كثيرون كما يشهد الإنجيل في النهاية. إذ وُجد أعضاء للمسيح لم يكونوا قد التحموا بعد بجسد المسيح. صار أعضاء للمسيح من بين الذين صلوه وعلقوه على شجرة، وسخروا منه حين كان معلقاً، والذي ضربه بالحربة، والذين قدموا له خلاً ليشوب، عن هؤلاء قال: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" [882].

القديس أغسطينوس

رى القديس أغسطينوس أنه بقول السيد المسيح: " إن لم تؤمنوا بي أنا هو "، إنما يذكرهم بقول الله لموسى حين سأله عن اسمه "أنا هو الذي هو" (خر ٣). وأنه يعني أنه البداية الموجود في الماضي والحاضر والمستقبل [883].

"فقالوا له:

من أنت؟

فقال لهم يسوع:

أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به". [25]

جاءت إجابته على سؤالهم هكذا: "أنا هو البدء Arche"، كما تكلمت معكم في العهد القديم، لم أتغير. من البدء قيل أن نسل الوأة يسحق رأس الحية (تك ٣: ١٥). إنه موضوع إيمان الآباء البطركة (إواهم واسحق ويعقوب). إنه هو وسيط العهد، موضوع نوات الأنبياء. من بدء خدمته أعلن لهم أنه ابن الله، وخبز الحياة. لماذا يكررون السؤال وقد سبق الإجابة عليه مراراً وتكراراً، وقد أخوهم أنه مخلص العالم. لقد سألوه: من أنت يا من تهددنا بهذه الطريقة؟ أي سلطان لك علينا؟

❖ كأن ما يقوله هو هكذا "أنتم لستم أهلاً لتسموا كلماتي نهائياً، بالأكثر أن تتعلموا من أنا. لأن كل ما تقولونه هو لكي تجربونني، ولم تبالوا حتى بقول واحد من أقوالي. وكل هذه الأمور يمكنني الآن أن أوهنها ضدكم". هذا هو معنى الآية التالية [884].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الذين سمعوا ما قاله الرب بسلطانٍ عظيم التزموا أن يسألوه من هو هذا الذي ينطق بهذه الأمور. فإنه إذ يعلن المخلص: " إن لم تؤمنوا إني أنا هو تموتون في خطاياكم" [٢٤] ظهر أنه أعظم من إنسان، إنه يحمل بالأكثر طبيعة إلهية [885].

العلامة أوريجينوس

" إن لي أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم،

لكن الذي أرسلني هو حق،

وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم". [26]

يعلن السيد أنه قادر أن يفضحهم لأنه عالم بالخفيات، يعرف كروياءهم وطمعهم ورياءهم وشروهم وبغضهم للنور وحسدهم ضد الحق مع جودهم وعدم إيمانهم وما سيفعلونه به. ما قيل عنكم بالأنبياء هو حق. لكنه ليس الآن وقت للدينونة بل للخلاص.

هنا يعلمنا السيد المسيح أنه ليس كل ما نعرفه، خاصة عن شرور الآخرين، نقوله. إنما نطلب توبة الناس ورجوعهم إلى الحق والتمتع بالشركة مع الله.

❖ كأن السيد المسيح يقول: إن كان الأب أرسلني لخلاص العالم، وهو غرض صالح، فلماذا لست أحكم الآن على أحد، لكنني أخاطبكم بهذه الأقوال التي

تؤدي إلى خلاصكم، لا التي تدينكم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب". [27]

إذ أعمى الشيطان بصورتهم، وظنوه أنه يتحدث عن أب جسدي في الجليل، وليس عن الآب أبيه.

"فقال لهم يسوع:

متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون إني أنا هو،

ولست أفعل شيئاً من نفسي،

بل أتكلم بهذا كما علمني أبي". [28]

إذ يمتلئ شوهم بصلبه، عندئذ يبركون أنهم صلوارب المجد، وذلك خلال العلامات التي تحدث أثناء الصلب والقيامة وما بعد قيامته.

كانت ذبيحة المحرقة تُدعى "رفع"، وفي كثير من طقوس التقدّمات والذبائح تُرفع الذبيحة إلى أعلى، وتُحرك أمام الرب. هكذا رُفع السيد المسيح

على الصليب. وفي القداس الإلهي إذ يختار الكاهن الحمل يُدعى هذا الطقس "رفع الحمل". وبالفعل يضعه في لفافة ويرفعه على جبينه وهو يصلي: "مجداً

وإكراماً، إكراماً ومجداً للثالوث القدوس".

يستخدم الكتاب المقدس كلمة "يرفع" لتعني أحياناً "يمجد" كما استخدمها بطرس الرسول في عظته في يوم العنصرة: "وإذ رُفع بيمين الله" (أع ٢:

٣٣)، والرسول بولس: "لذلك رفعه الله أيضاً" (في ٢: ٩). وفي العهد القديم قال يوسف: "في ثلاثة أيام أيضاً يرفع وعون رأسك ويردك إلى مقامك" (تك

٤٠: ١٣).

وتُستخدم الكلمة أيضاً لتعني الهوان والموت، كما قال يوسف: "في ثلاثة أيام يرفع وعون رأسك ويعلقك على خشبة" (تك ١٤: ١٩).

هنا بقوله: "رفعتم ابن الإنسان" نجد المعنيين، فمن جهتهم يرفعونه على الصليب للموت في عارٍ وخرى، ومه جهة الآب يرفعه ويمجده، حيث

بالصليب تتحطم هوى إبليس ويُشهر بها (كو ٢: ١٥).

❖ لم يقل: "تعرفون من أنا" بل قال: "تفهمون إني أنا هو"، أي المسيح ابن الله، الذي يحمل كل الأشياء، وأنا لست ضد ذلك الواحد... "فإنكم ستعرفون

قوتي ووحدة الفكر مع الآب"، إذ يقول: "ولست أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي" [28]. بهذا يعلن أن جوهره هو مثله تماماً،

وأنه لا ينطق بشيء إلا بما في ذهن الآب. [886]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ماذا يعني هذا؟ يبدو أن كل ما قاله هو أنهم سيعرفونه من هو بعد آلامه. بدون شك لقد رأى أنه سيعرف بعضاً منهم بنفسه، هؤلاء من بقية قديسيه

قد اختلرهم بسابق علمه قبل تأسيس العالم، هؤلاء يؤمنون بعد آلامه... كأنه قال: "سأتوك معرفتكم تتأجل حتى أتمم آلامي. هذا لا يعني أن كل الذين

سمعه يؤمنون فقط بعد آلامه. لأنه بعد ذلك بقليل قيل: "وبينما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون" [٣٠]، ولم يكن بعد قد رُفع ابن الإنسان.

رفع الذي يتحدث عنه هنا خاص بآلامه وليس بتمجيده، خاص بالصليب لا بالسماء، لأنه تمجد هناك أيضاً عندما عُلق على الصليب. [887]

❖ لماذا قال هذا إلا لكي لا ييأس أحد مهما شعر ضموه بالذنب، وذلك عندما رى الذين قتلوا المسيح أنه غفر لهم؟ [888]

❖ "لست أفعل شيئاً من نفسي" [٢٨] ماذا يعني هذا؟ أنا لست من نفسي. لأن الابن هو الله من الآب، ولكن الآب هو الله ليس من الابن. الابن إله من

إله، الآب هو الله وليس من إله. الابن هو نور من نور، والآب هو نور لكن ليس من نور. الابن كائن، لكن يوجد من هو كائن منه، والآب كائن ولكن

لا يوجد من هو كائن منه. [889]

❖

كيف تحدث الآب مع الابن؟ إذ يقول الابن: "أتكلم بهذا كما علمني أبي" [٢٨]؟

هل تحدث معه؟

عندما علم الآب الابن هل استخدم كلمات كما تفعل أنت حين تعلم ابنك؟

كيف يمكنه أن يستخدم كلمات في حديثه مع الكلمة؟

أية كلمات كثرة في العدد تُستخدم في الحديث مع الكلمة الواحد؟

هل يقرب الابن بأذنيه إلى فم الآب؟

مثل هذه الأمور جسدية، ازعوها من قلوبكم... إن كان الله كما قلت يتحدث إلى قلوبنا بدون صوت، فكم يتحدث أيضًا إلى ابنه؟...

تحدث الآب إلى الابن بطريقة غير جسدية، لأنه ولد الابن بطريقة غير جسدية.

لم يعلمه كما لو كان قد ولده غير متعلم. لكن أن يعمله إنما تعني نفس معنى ولده مملوء معرفة... منه نال المعرفة بكونه منه نال كيانه. لا بأن منه نال ولا كيانه وبعد ذلك المعرفة. وإنما كما بميلاده أعطاه كيانه، هكذا بميلاده أعطاه أن يعرف، وذلك كما قيل لطبيعة الحق البسيطة، فكيفه ليس بشيء آخر غير معرفته بل هو بعينه [890].

القديس أغسطينوس

"والذي أرسلني هو معي،

ولم يتركني الآب وحدي،

لأني في كل حين أفعل ما يرضيه". [29]

إن كانوا قد نالوا سلطانًا ليقفوا فهذا لا يعني أن الآب فرقه. فهو دائمًا معه، لا ينفصلان، وما يفعله الابن إنما يرضي الآب، وهو أن يبذل نفسه من أجل خلاص العالم.

❖ حتى لا يظنوا أن قول السيد المسيح: "والذي أرسلني" يظهر نقصًا له قال: "هو معي"، لأن كلمة "أرسلني" مناسبة لتدبيره، و"هو معي" مناسبة للاهوته. وقول السيد المسيح عن الآب: "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه" يوضح أن عمله في السبت يرضي لأبيه، إذ أن السيد المسيح قد اجتهد اجتهدًا كثيرًا حتى يبين أنه لا يعمل عملاً مخالفًا لأبيه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "الذي أرسلني هو معي" [٢٩]... هذه المساواة في الوجود "دائمًا"، ليس من بداية معينة وما بعدها، بل بدون بداية وبلا نهاية. لأن الميلاد الإلهي ليس له بداية في زمن حيث أن الزمن نفسه خلقه الابن الوحيد [891].

القديس أغسطينوس

"وبينما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون". [30]

بينما تعثر الفريسيون والكتبة في كلماته وتعاليمه آمن كثيرون من الشعب به. فالشمس التي تجفف الطين هي بعينها التي تجعل الشمع ينوب. قدمت كلماته رائحة حياة حياة، ورائحة موت لموت.

جاءت الكلمة اليونانية "آمن" هنا لتعني "صدقه" لكنها لا تحمل الإيمان الحي الأكيد، إذ كانت قلوبهم وأفكارهم تتربص برؤية المسيا حسب عالمهم المادي السياسي، الذي يخلصهم من الاستعمار الروماني ويرد للأمة كرامتها في العالم.

❖ آمن كثيرون من اليهود بالسيد المسيح، ولكن ليس كما يجب، لكنهم آمنوا على بسيط ذات الإيمان، وعلى ما اتفق، عندما استنلوا بأقواله واستواها إليها.

إليها.

" فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به:

إنكم إن ثبتتم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي". [31]

إذ بدأ كلامه يعمل في قلوب الذين آمنوا حول حديثه من الحوار مع الفريسيين المتكبرين إلى المؤمنين البسطاء المبتدئين ليحدثهم عن الحرية الداخلية. أراد أن ينطلق بهم من التصديق البسيط دون أعماق روحية إلى الثبوت فيه والنمو المستمر في الشوكة معه. كانوا ضعفاء في الإيمان، لكنه كراخ حملهم على منكيه في حنو متوفق. فتح أمامهم طويق التلمذة الحقيقية له، وهو الاستمرارية أو الثبوت في كلمته . لا يكفي أن يلتحقوا بمدرسته، بل يؤمهم أن يستمروا، فيتمتعوا بحركة نمو مستمرة لا تتقطع. كثيرون أخذوا مظهر التلمذة، وحملوا الاسم، لكنهم لم يثابروا في كلمته. التلمذة الحقيقية له هي الثبوت فيه، والتمتع الدائم بالشوكة معه. مادامنا في الحياة نبقى ملتحقين بمدرسته، جادين في التمتع بمعرفته العملية. حقاً لقد قبلنا الحق الإلهي، لكن يؤمنا أن نسلك فيه ونحبه ونتمسك به ونحفظه داخلنا.

❖ الآن يتكلم بهذه الكلمات حتى يحدث ما يلحق ذلك: " وبينما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون" [30]، حيث جاء الفقاء إلى الخانة لينالوا من هناك ما يستطيعوا وما يُزرع عليهم. لذلك آمن كثيرون به، لكن ليس كثيرون عرفوه، وقد وُجد من بين الذين آمنوا به من ثبتوا في كلمته، هؤلاء الذين صلوا بالحقيقة تلاميذه. لذلك فإنه ليس كثيرون يعرفونه، لكن إذ يحرق الحق [32] لا يتحررون، بل قليلون يرتفعون إلى الحرية. من هم أولئك الذين يعرفونه، أو من يرفعونه؟ كما يعلم بنفسه حين يقول: "متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تعرفون إنني أنا هو" [راجع 28]. الآن ليس أحد يُعطى لبناً لكي يشرب، إذ يُعد نفسه لقبول الطعام القوي (1 كو 3: 2؛ عب 5: 12). لهذا يقول مثل هذا الشخص: "جُمت ألا أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً" (1 كو 2: 2). [892]

العلامة أوريجينوس

❖ لكي تكون تلميذاً لا يكفي أن تأتي، بل وأن تستمر (تثبت). لذلك لم يقل: "إن سمعت كلمتي"، ولا "إن جئتم إلى كلمتي" أو "إن مدحتكم كلمتي" لكن لاحظوا ماذا قال: " إن ثبتتم (استمررتم) في كلمتي، بالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق، والحق يحرككم" (يو 8: 31-32). ماذا نقول يا إخوة؟ أن تستمر (تثبت) في كلمة الله هل هو أمر متعب أم لا؟ إن كان شاقاً فلننظر إلى المكافأة العظيمة. إن كان ليس شاقاً، فإنك قد تسلمت المكافأة مقابل لا شيء. لنستمر (نثبت) في ذلك الذي يثبت فينا. إن لم نثبت فيه نسقط، أما هو فإن لم يثبت فينا لا يفقد مسكناً. فإنه يروع في سكناه في ذاته الذي لن يتوك ذاته. أما بالنسبة للإنسان فحاشا لله أن يثبت في ذاته، إذ فقد ذاته.

لهذا نثبت فيه عن عوز من جانبنا، وأما هو فيثبت فينا عن رحمة بنا [893].

❖ ماذا تعني "إن ثبتتم"؟ إن كنتم تُثَبِّتون على الصخرة" (مت 7: 24).

يا لعظمة هذا يا إخوة!...

ما هي المكافأة؟ " تعرفون الحق والحق يحرككم".

احتملوني منصتين إليّ، فأنتم تتركون أن صوتي واهن.

أعينوني بإنصاتكم الهادئ.

يا لها من مكافأة مجيدة! "تعرفون الحق".

هنا قد يقول قائل: "وماذا ينفعني أن أعرف الحق؟" والحق يحرككم.

إن كان الحق ليس له مفاتن بالنسبة لكم ليكن للحرية مفاتنها.

في اللغة اللاتينية تعبير "يتحرر" يُستخدم في معنيين. ونحن قد اعتدنا أن نسمع هذه الكلمة في هذا المعنى أن من كان حراً يفهم بأنه قد هرب من بعض الخطر وتخلص من بعض العوائق. ولكن المعنى اللائق للتحرر هو "أن تكون في أمان"، و"أن تُشفى"، و"أن تكون كاملاً"، وهكذا أن تتحرر تعني أن تصير حراً [894].

القديس أغسطينوس

معرفة الحق ليست معرفة نظوية بل معرفة اختبار له واتحاد معه.

❖ انظروا إن كان الكتاب المقدس لم يقل أيضاً في موضع آخر أن الذين يتحدثون مع شيء ما ويصيرون معه واحداً يعرفون هذا الذي صاروا معه واحداً وانشغلوا به. قبل هذه الوحدة والشركة فإنهم حتى وإن أركوا شروح قُدمت لهم عن الشيء فإنهم لا يعرفونه.

كمثال، قال آدم عن حواء: "هذه الآن عظم من عظامي، ولحم من لحمي" (تك ٢: ٢٣)، فإنه لم يعرف زوجته، وحين التصق بها قيل: "عرف آدم حواء امرأته" (تك ٤: ١).

من يتعثر لأننا استخدمنا هذه العبارة: "عرف آدم حواء امرأته" كمثال لمعرفة الله ليأخذ في اعتباره أولاً: "هذا السرّ عظيم" (أف ٥: ٣٢)، بعد ذلك يقلن ما قوله الرسول عن الذكر والأنثى، فقد استخدم نفس اللغة الخاصة بالوجل مع الرب. "من التصق زانية هو جسد واحد، وأما من التصق بالرب فهو روح واحد" (١ كو ٦: ١٦ - ١٧). لذلك من يلتصق زانية يعرف الزانية، ومن يلتصق بزوجه يعرف زوجته، ولكن بالأكثر من يلتصق بالرب يعرف الرب بطريقة مقدسة.

[895] إن كان الأمر هكذا فإن الويسيين لم يعرفوا الأب ولا الابن.

العلامة أوريجينوس

❖ "إن ثبتتم" (استمرتم) في الإيمان الذي يبدأ الآن فيكم يا من تؤمنون فإلى أين تبلغون؟

تطلعون إلى طبيعة البداية وإلى أين تقدكم. إنكم تحبون الأساس اهتماماً بالقمة، اطلوا وأنتم في هذا المستوى البسيط (الهيكل) الارتفاع والسمو. فإن الإيمان له التواضع، لكن المعرفة والخلود والأبدية فلها لا السفليات بل العلو، أي الارتفاع والشعب الكامل والاستقرار الأبدي والحرية الكاملة من الهجمات المعادية ومن الخوف من الفشل. هذه التي لها البداية في الإيمان عظيمة لكنه يُستخف بها.

ففي إنشاء مبنى عادة يعطى الذين بلا خوة الأساسات قوياً ضئيلاً. تُصنع حوة عظيمة وتلقى الحجرة في كل موضع وبكل طريقة. لا تظهر فيها زخرفة ولا جمال، وهكذا أيضاً في جذر الشجرة لا يظهر جمال. ومع ذلك كل ما يبهجكم من الشجرة ينبع من الجذر. تتطلع إلى الجذر فلا تجد بهجة؛ تتطلع إلى الشجرة وتدهش بها. إنسان غبي! ما تُعجب منه ينمو مما لا يعطيك بهجة.

هكذا إيمان المؤمنين يبدو كأنه أمر تافه، ليس لديك ميزان لكي تزنه.

لتسمع إذن ما يقدمه الإيمان وتتطلع إلى عظمته. إذ يقول الرب في موضع آخر: "إن كان لكم إيمان مثل حبة خردل" (مت ١٧: ٢٠). أي شيء أقل من هذا؟ ومع هذا أية طاقة أعظم تنتشر منه؟ أي شيء أصغر منها؟ ومع هذا أي شيء ينتشر بأكثر قوة منها؟ هكذا يقول: "إن ثبتتم في كلمتي" أي إن آمنتم، فإلى أين تُحضرون؟ "بالحقيقة تكونون تلاميذي" [٣١].

[896] وماذا ينفعهم هذا؟ "وتعرفون الحق" [٣٢].

القديس أغسطينوس

❖ "إنكم إن ثبتتم في كلمتي" هو تعبير لمن يعلن ما في قلوبهم، ويعرف أنهم آمنوا لكنهم لم يستمروا في ذلك. وها هو يعدهم بأمر عظيم أنهم يصيرون تلاميذه. فقد تركه قبلاً البعض، وها هو يشير إليهم بقوله: "إن استمرتم" لأن هؤلاء أيضاً سمعوا وآمنوا وتوكلوه، لأنهم لم يستمروا. رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعونوا يمشوا معه" (يو ٦ : ٦٦) [897].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وتعرفون الحق،

والحق يحرركم". [32]

هنا يتحدث عن المعرفة العملية والتلاصق مع قوتها لممارسة التلمذة الحقيقية له، فنتمتع بالحرية الداخلية. فمادامت الخطية ساكنة في الإنسان لم تتحطم بعد، لا يقدر أن يملس روح البوثة الذي ناله في مياه المعمودية ليدعو الأب أباه (رو ٨ : ١٥). عبودية الخطية هي أخطر أنواع العبودية والتحرر منها هو أعظم أنواع الحرية. من يعرف الحق ويثبت فيه، أي يعرف السيد المسيح ويقتنيه، يتحرر من عبودية الخطية، ويصير له فكر المسيح المتناغم مع رادة الله، يحيا في كمال الحرية حسب مشيئة خالقه.

إنه المحرر الذي يقول: "روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسوي القلب، لأنادي للمسيبين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق" (إش ٦١ : ١). على الصليب عتقنا من خطايانا، وحررنا من أسوأها، وبقيامته وهبنا وه الإلهي، فلم نعد بعد عبيداً للخطية. حررنا إنجيله من نير حرفية الناموس لنحيا بحرية الروح كأولاد الله. نختبر الحياة السماوية، كمن يدخل أورشليم العليا، أمنا الحرة.

❖ ألم يبلغوا مثل هذه المعرفة حين كان الرب يكلمهم؟ إن كانت ليس لهم المعرفة فكيف آمنوا؟ لقد آمنوا ليس لأنهم كانوا يعرفون، وإنما لكي يعرفوا. فإننا نؤمن لكي نعرف، ولسنا نعرف لكي نؤمن. لأن ما سنعرفه لم توه عين ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال بشر (إش ٦٤ : ٤؛ ١ كو ٢ : ٩) لأنه ما هو الإيمان إلا تصديق ما لم تروه بعد؟ [898]

❖ "وتعرفون الحق" الحق غير متغير. الحق هو خبز، ينعش عقولنا ولا يسقط، يغير من يأكله، ولا يتغير فيمن يأكله. الحق هو كلمة الله... الابن الوحيد. هذا الحق التحف جسداً من أجلنا لكي ما يولد من العواء مريم وتنم النوبة: "الحق نبع عن الأرض" (مز ٨٥ : ١١). هذا الحق إذن وهو يتحدث مع اليهود اختفى في الجسد. لكنه لم يختف لكي يُنكر، وإنما لكي ما يُجأ لإعلانه، يُجأ لكي ما يتألم في الجسد، ويتألم في الجسد لكي ما يخلص الجسد من الخطية. هكذا ظهر بالكامل بخصوص ضعف الجسد، وكان مخفياً من جهة جلال اللاهوت [899].

القديس أغسطينوس

❖ "وتعرفون الحق" بمعنى: "ستعرفوني، إذا أنا هو الحق. كل الأمور اليهودية هي رموز، لكنكم تعرفون الحق فيّ، وهو يحرركم من خطاياكم"... إنه لم يقل "أحرركم من العبودية" فقد تركهم هم يستنتجون ذلك [900].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجابوه:

إننا نرية إواهم،

ولم نستعبد لأحد قط،

كيف تقول أنت إنكم تصيرون أحراراً؟" [33]

واضح أنهم لم يتركوا حديث يوع المسيح عن "الحرية" ، فحسوا دعوته لهم للتمتع بالحرية إهانة كوى، لأنهم أبناء إواهم الحر، الذي يدعو الله "خليلي" (إش ٤١: ٨) . كان اليهود يفتخرون بأنهم نسل هذا الأب العظيم. يقول الربِّي اكيبا Rabbi Akiba الذي مات حوالي ١٣٥م: لِيُنظَر حتى إلى أفقر الأشخاص في إسرائيل كأحرار، هؤلاء الذين فقروا ممتلكاتهم، لأنهم أبناء إواهم واسحق ويعقوب. كل الأمة تعترز بهذه الكرامة الخاصة بانتسابها لهؤلاء الآباء العظماء لا بكثرة ممتلكاتهم]. هذا هو شعور اليهود في عصر المسيح.

ظنوا أن انتسابهم لإواهم بالجسد يحررهم بينما نجد الغني الغبي في الجحيم يدعو إواهم أباه: "يا أبي إواهم رحمني وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويود لساني، لأنني معذب في هذا اللهب" (لو ١٦: ٢٤).

كيف تجاسروا وقالوا: "لم نُستبعد لأحد قط" [٣٣] ؟ ألم يُستعبوا للمصريين وقام موسى بتحرورهم؟ ألم يُستعبوا عدة مرات لأمم مجلورة في أيام القضاة؟ ألم يُستعبوا لبابل مدة سبعين عامًا؟ وأخوًا يدفعون الجزية لقيصر الروماني؟ لا يبالي الجسدانيون بالعبودية الداخلية، كل ما يشغلهم تمتعهم بالشهوات الجسدية.

❖ هكذا هو افتخار اليهود: "نحن نرية إواهم"، "نحن إسرائيليون". إنهم لم يشيروا قط إلى أعمالهم البلاء. لهذا صوخ فيهم يوحنا قائلًا: "لا تقولوا لنا إواهم أبًا" (مت ٣: ٩) . ولماذا لم يفهمهم المسيح إذ كثروا ما استعبدهم المصريون والبابليون وأمم كثيرة؟ لأن لكلماته لم يقدمها لينال كرامة لنفسه، وإنما لأجل خلاصهم، لنفعهم، فكان يضغط عليهم بهذا الهدف... إنه لم يرد أن يظهر أنهم كانوا عبيدًا للناس بل للخطية، التي هي عبودية خطوة، لا يقدر أن يحررهم منها سوى الله وحده. [901]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كل شخص: يهودي أو يوناني، غني أو فقير، صاحب سلطة أو في مركز عام، الإمبراطور أو الشحاذ، " كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" [٣٤] . إن عرف الناس عبوديتهم يرون كيف يقتنون الحرية.

المولود حرًا ويسببه الواوة يتحول من حرٍ إلى عبدٍ، وإذ يسمع عنه شخص آخر يتحنن عليه ويتطلع أن لديه مالا فيفديه، يذهب إلى الواوة ويعطيهم مالا ويفدي الرجل. إنه بالحق يرد له الحرية، إذ يزوع الظلم...

إنني أسأل الذي أفندي: هو أخطأت؟ يجيب "أخطأت". إذن لا تفتخر بنفسك انك قد أفنديت، ولا تقتخر يا من افنديت، بل ليهرب كليكما إلى الفادي الحقيقي. انه جزئيًا يُدعى الذين تحت الخطية عبيدًا، إنهم يدعون أمواتا.

ما يخشاه الإنسان حلول السبي عليه الذي جلبه الإثم عليه فعلاً. لماذا؟ هل لأنهم يبنون أنهم أحياء؟ هل أخطأ القائل: "دعي الموتى يدفنون

[902]

موتاهم" (مت ٨: ٢٢) ؟ إذن فكل الذين تحت الخطية هم أموات، عبيد أموات، أموات في خدمتهم، وخدام (عبيد) في موتهم .

القديس أغسطينوس

❖ من الذي يحرر من الموت ومن العبودية إلا ذلك الذي هو "حرّ من بين الأموات" (مز ٨٨: ٥) ؟ من هو "الحرّ من بين الأموات" إلا ذلك الذي بلا

خطية وسط الخطاة؟ يقول مخلصنا نفسه، منقذنا: رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء" (يو ١٤: ٣٠) . (رئيس هذا العالم) يمسك بمن يخدعهم

ومن يغويهم، ومن يحثهم على الخطية والموت، هذا ليس له في شيء".

تعال أيها الرب، تعال أيها المخلص. ليتعرف عليك الأسير.

دع من اقتيد إلى السبي أن يهرب إليك. كن فاديًا له!

إذ كنت مفقودًا وجدني ذاك الذي لم يجد الشيطان له فيه شيئًا آتيا من الجسد. لقد وجد في رئيس هذا العالم جسدًا، لقد وجدته لكنه أي نوع من

الجسد؟

جسد مائت يمكن أن يمسكه ويقدر أن يصلبه وأن يقتله!

لقد أخطأت يا أيها المخادع فإن المخلص لا يُدع... إنك ترى فيه جسداً قابلاً للموت لكنه ليس جسد الخطية، بل على شبه جسد الخطية. "الله أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد" (رو ٨: ٣). في جسد، لكن ليس في جسد الخطية بل "في شبه جسد الخطية". لأبي هدف؟ "لكي بالخطية التي بالتأكيد لم يكن منها شيء فيه، يدين الخطية في الجسد، فيتحقق برّ الناموس فينا، نحن الذين لا نملك حسب الجسد بل حسب الروح (رو ٨: ٤).

[903]

لا يدع أحد نفسه حراً لئلا يبقى عبداً. لا تبقى نفوسنا في عبودية، لأنه يُعفى عن ديوننا يوماً فيوماً .

❖ حتى بالنسبة للحرية في هذه الحياة، أين هو الحق عندما تقولون: "لم نُستعبد لأحدٍ قط"؟ ألم يُبع يوسف (تك ٣٧: ٢٨)؟ ألم يذهب الأنبياء القديسون إلى السبي (٢ مل ٢٤؛ خر ١: ١)؟ مرة أخرى أليست هذه الأمة عندما كانت تصنع اللبن في مصر خدمت حكماً عفاء ليس في ذهب وفضة بل في صنع الطوب (خر ١: ١٤)؟ إن كنتم لم تُستعبوا قط لأحدٍ يا أيها الشعب الجاحد، فلماذا يذكركم الله باستوار أنه خلصكم من بيت العبودية (خر ١٣: ٣؛ تث ٥: ٦)؟... كيف تدفعون الجزية للرومان، والتي من خلالها أقمتم فخاً لتصطابوا الحق فيه عندما قلتم: "هل يجوز أن نعطي الجزية لقيصر؟" وذلك حتى إن قال يجوز ذلك تتهمونه بسوعة أنه يسئ إلى حرية نسل إبراهيم، وإن قال لا يجوز تشتكونه أمام ملوك الأرض بكونه يمنع الجزية لملك هؤلاء؟ [904]

القديس أغسطينوس

"أجابهم يسوع:

الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية". [34]

هذه المقدمة المهيبة "الحق الحق أقول لكم" هي إعلان مهوب، كثراً ما يستخدمه السيد المسيح عندما يصدر أوراها له خطورته. وهو في هذا يختلف عن الأنبياء، الذين كانوا يرددون العبارة: "هكذا يقول الرب"، لأنهم خدام أمناء لله. أما السيد المسيح فيتكلم باسم نفسه بكونه الابن "أقول لكم". "من يعمل الخطية فهو عبد للخطية": لا يوجد إنسان بار لم يخطئ، لكن ليس كل من يسقط في خطأ هو عبد للخطية. إنما يقصد بقوله "يعمل الخطية" أي يختارها ويفضلها عن برّ الله، يفضل طريق الشر عن طريق القداسة (إر ٤٤: ١٦-١٧)، فيقيم عهداً مع الخطية، ويقبلها دستوراً لحياته، تقوده شهواته الجسدية ومحبته للعالم.

يدرك الإنسان عبوديته لها كما مرسها. ففي بداية مملستها يظن الإنسان أنه صاحب سلطان، له حق قبولها أو رفضها، لكنها إذ تدخل تمسك بعجلة قيادة النفس، ويفقد الإنسان سيطرته على رادته تدرجياً، فتكون الخطية أشبه بمخدر لا يقدر أن يستغني عنها. تحركه الخطية حسب هواها ليمارس ما لم يكن يتوقعه يوماً ما. وكما يقول كثير من آباء الولاية أنه إذ تحلّ خطية مكاناً في قلب الإنسان أو فكه تملك عليه وتفتح الطريق لغوها من الخطايا لتملك معها، ويدخل الإنسان في سلسلة من الخطايا لا يقدر على مقاومتها بنفسه.

❖ "أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية".

إنه عبد، يا ليتته لإنسان بل للخطية!

من لا يرتعب أمام مثل هذه الكلمات؟ الرب إلهنا يهبنا - أنتم وأنا - أن نتكلم بتعبيرات لائقة عن هذه الحرية باحثاً عنها وأن أتجنب تلك

العبودية...

يا لها من عبودية بائسة! عندما يعاني البشر من سادة أشرار يطلبون على أي الأحوال تغيير السيد.

ماذا يفعل عبد الخطية؟ لمن يقدم طلبه؟ إلى من يطلب الخلاص؟...

أين يهرب عبد الخطية؟ فإنه يحمل (سيده) أينما هرب. لا يهرب الضمير الشوير من ذاته، لا يوجد موضع يذهب إليه.

نعم لا يقدر أن ينسحب من نفسه، لأن الخطية التي يرتكبها هي في داخله. يرتكب الخطية لكي يحصل على شيء من اللذة الجسدية. تعبر اللذة

وتبقى الخطية. ما يبتهج به يعبر، وتبقى الشوكة خلفها. يا لها من عبودية شروء!...

لنهرب جميعاً إلى المسيح، ونحتج ضد الخطية إلى الله بكونه مخلصنا.

لنطلب أن نُباع لكي ما يخلصنا بدمه. إذ يقول الرب: "مجاناً بُعتم وستخلصون بدون مالٍ" (إش ٥٢: ٣). بدون ثمن من جهتكم، بسببي. هكذا

يقول الرب لأنه هو دفع الثمن لا بمالٍ بل بدمه، وإلا بقينا عبيداً معوزين [905].

القديس أغسطينوس

أما الابن فيبقى إلى الأبد". [35]

لعله يشير هنا إلى طرد إسماعيل وعدم تمتعه بالموات (تك ٢١: ١٠ - ٤). ليس للعبد حق الموات من الأسرة التي نشأ فيها. أما الابن

الشوعي فله هذا الحق. بل ومن حقه أن يحرر أي عبدٍ في الأسرة، وأن يتصرف في موائه كما يشاء.

الحرية التي افتخر بها اليهود هي وهم وخيال، إذ لم تكن لهم الحرية الداخلية ولا الحرية الخارجية. هذا ما فعله العبودية للخطية، إذ توهم

عبيدها بالحرية، فيظنون في مملستهم للشر مملسة للحياة الحرة بلا قيود، وتحطيم لما يظنونه قيود البرّ والإيمان. الحرية الحقيقية هي في المسيح يسوع

حيث يرى المؤمن دستوره الحب الحقيقي، حتى وإن كان ثمنه بذل النفس من أجل الغير، وإمكاناتها إلهية حيث يتمتع المؤمن بالشوكة في الطبيعة الإلهية،

لا تقدر الأوهام والذمنيات أن تأسوه، بل يجد مسوته في تناغم رادته مع رادة الله أبيه السلمي.

❖ إن قلت: "لقد ذكر البيت إذ خاطبهم مذكراً إياهم بخطاياهم؟ أجبته: لكي يريهم كما أن السيد في بيته متسلط، كذلك هو متسلط، وسيد الخليقة. بقوله:

"لا يبقى" يعني أنه بلا سلطان أن يهب امتيازات، لأنه ليس سيدياً للبيت. أما الابن فهو رب البيت. فإن هذا ما يعنيه بالقول: "يبقى إلى الأبد"، كمجاز

مستعار من الأمور البشوية. فلن لا يقولوا: "من أنت" قال: "كل شيء هو ملكي؛ أنا هو الابن الساكن في بيت أبي"، مظهراً بقوله "البيت" سلطانه.

ففي موضع آخر يدعو الملوك "بيت أبيه": "في بيت أبي منزل (مواضع) كثوة" (يو ١٤: ٣). وإذ كان مقاله خاصاً بالحرية والعبودية، لهذا استخدم

المجاز ليخبرهم أنهم بلا سلطان على التمتع بالحرية (أو نوال المغفرة) [906].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يدخل كثير من الخطاة الكنيسة. لهذا لم يقل "العبد ليس في البيت" وإنما قال: "لا يبقى في البيت إلى الأبد". رجاؤنا أيها الإخوة هو هذا أن نصير

أحرراً بواسطة الحرّ، وإذ يجعلنا أحرراً يقيمنا عبيداً.

لقد كنا عبيداً للشهوة، ولكن إذ نتحرر يجعلنا عبيداً للحب.

هذا أيضاً ما يقول الرسول: "فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً"

(غلا ٥: ١٣).

إذن لا يقول المسيحي: أنا حرّ، أنا دُعيت للحرية. كنت عبداً وقد خلصت، وبخلاصي هذا صوت حرّ، أفعال ما يحلو لي. لا يصد أحد رادتي

مادمت حرّاً... لا تفسد حريتك بالخطية، بل استخدمها في عدم ارتكاب الخطية. فإنه متى كانت رادتك ورعة عندئذ فقط تكون حرة.

تكون حرّاً إن كنت لا تزال عبداً متحرراً من الخطية وخادماً للبرّ. وكما يقول الرسول: "لأنكم لما كنتم عبيد الخطية كنتم أحرراً من البرّ... وأما

الآن إذ أعتقتم من الخطية وصوتتم عبيداً لله فلنكم تُركم للقداسة والنهية حياة أبدية" (رو ٦: ٢٠، ٢٢) [907].

القديس أغسطينوس

"فإن حرركم الابن،

فبالحقيقة تكونون أحرراً". [36]

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن الابن يظهر هنا مسلوته للآب في السلطان، فإن الله وحده هو الذي يبرر ويدين (رو ٨: ٣٣، ٣٤). الابن

بلا خطية ويهب الحرية من الخطية، الأمر الذي هو من اختصاص الله وحده. هذا وقد أوضح لهم أن الحرية التي في أذهانهم ليست أصيلة، أما التي يهبها الابن فهي الحرية الحقيقية: "بالحقيقة تكونون أحراراً" [908].

❖ لقد جاء في الجسد، أي في شبه جسد الخطية (رو ٨: ٣)، لكن ليس في جسد خاطئ، لأنه ليس فيه خطية نهائياً، ولهذا صار ذبيحة حقيقية عن الخطية، لأنه هو نفسه بلا خطية [909].

❖ باستحقاق فعال يخلص من عبودية الخطية هذه، هذا الذي يقول في الغوامير: "صوت إنساناً بلا سند، حراً بين الأموات" (مز ٨٨: ٤، ٥). فإنه وحده كان حراً إذ لم يكن فيه خطية. إذ هو نفسه يقول في الإنجيل: "رئيس هذا العالم يأتي" يقصد الشيطان الذي يأتي في أشخاص اليهود المضطهدين له، "وليس له في شيء" (يو ١٤: ٣٠ - ٣١). فلا يجد في نسبة ما من الخطية كما في أولئك الذين يقتلون كأوار، لا يجد قط شيئاً ما في... إنني لست أدفع عقوبة الموت كضرورة بسبب خطاياي، لكنني أموت متمماً رادة أبي. في هذا أنا أفعل إذ أحتمل الموت، فلو كنت لا أريد الألم ما كنت أتألم. يقول بنفسه في موضع آخر: "لي سلطان أن أضع حياتي، ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (يو ١٠: ١٨). بالتأكيد هنا ذاك الذي هو حر بين الأموات [910].

❖ كما أن الطبيب يكره مرض المبيض ويعمل بمقايبس الشفاء ليزرع المرض ويشفي العليل، هكذا الله يعمل بنعمته فينا، ليبدد الخطية ويتحرر الإنسان [911].

❖ من ثم يقول الرسول ما نبدأ نحن نقوله: "فإني أسر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن" (رو ٧: ٢٢). هنا إذن نصير أحراراً عندما نسر بناموس الله، لأن الحرية لها ألوح. فإنك مادمت تفعل الصلاح عن خوف، فإن الله لا يكون موضع مسوتك. لتجد مسوتك فيه فتكون حراً. لا تخف العقوبة بل حب البر. هل لزلت لا تحب البر؟ خف من العقوبة حتى تتال محبة البر [912].

القديس أغسطينوس

"أنا عالم أنكم نرية إواهم،

لكنكم تطلبون أن تقتلوني،

لأن كلمتي لا موضع لها فيكم". [37]

حسناً يفتخر اليهود أنهم أبناء إواهم، لكن لماذا لم يسلكوا بروح أبيهم في إيمانه وطاعته لله؟ لماذا لم يثبوا انتسابهم له بالعمل، لأنهم يطلبون قتل السيد المسيح؟ إن كان قتل الويء جريمة عظيمة فماذا يكون قتلهم لملك الملوك؟ في طاعة كاملة وإيمان قدم إواهم ابنه الحبيب ذبيحة محرقة لله، وها هم في تمرد يطلبون قتل ابن الله الحبيب!

يفتخرون بانتسابهم لإواهم الذي نال وعداً أن يكون أباً للأمم كثرة، وإذ حان الوقت لتحقيق الوعد، إذ جاء من نسله السيد المسيح الذي يضم الأمم معاً كأبناء روحيين لإواهم يريد اليهود قتله. أما سرّ مقاومتهم للحق، وعدم تمتعهم بالبركات التي نالها أوههم إواهم فهو كما قال السيد: "لأن كلامي لا موضع له فيكم". لم يتوكوا لكلام السيد المسيح، للحق نفسه، موضعاً في قلوبهم، لأن الحسد والغرة والفساد ملأ قلوبهم، ولم يتوك مجالاً لدخول الحق إليها.

حين يعلق الإنسان أبواب قلبه بالشهوات الجسدية ومحبة العالم لا يقتحمها الحق، لأنه لن يدخل قسراً ما لم يجد ترحيباً، فيدخل الحق كما إلى بيته، ويتسلم عجلة القيادة ليدير كل حركة القلب والفكر والحواس والمشاعر، فيتحول الإنسان بالنعمة الإلهية إلى كائنٍ روحي، يقوده روح الرب.

❖ إن كنتم تفتخرون بعلاقتكم بإواهم، يؤمكم أيضاً أن توتقوا بأن تسلكوا ذات سلوك حياته. ولم يقل: "ليس لكم موضع لكلماتي"، بل "كلمتي لا موضع لها فيكم"، مشيراً إلى سمو التعاليم. ومع ذلك فإنه ليس بسبب هذا يؤم أن يقتلوا بل أن يؤموا وينصتوا إليه لكي يتعلموا [913].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقدم لنا العلامة أوريجينوس الفرق بين "نرية" و"أبناء" من الجانب الحرفي. فالنرية أو البنور إذ تُلقى في الوأة قد تتجب ابنا أو لا تتجب. كأن كل الأبناء هم من النرية أو البنور لكن ليس كل النرية أو البنور هم أبناء. فالسالكون حسب حياة إواهم هم من نريته وأبنائه. أما من هم أبناء له حسب الجسد نون السلوك حسب حياته فهم نرية وليسوا بالحق أبناء له. لهذا يقول العلامة أوريجينوس إنه إن وُجد إنسان ليس ابنا لإواهم ولا هو من نريته فلا يُلام مثلهم إن كان خاطئاً لأنه لم يجد فوصه أن يُولد من بذار رجل بار فيكون كأبيه. أما الذين هم من نرية إواهم، فكان يؤمهم أن يُحسوا أبناء لإواهم سالكين مثل أبيهم. إنهم نريته لكنهم ليسوا بالحق أبناء إواهم، لأنهم لا يحيون كأبيهم [914].

مرة أخرى يقول: [إواهم صار إواهم مع أنه ليس من نرية إواهم (لم يلد نفسه) بل من نرية السابقين له، هكذا يُمكن لشخص ما بغرس بذارٍ صالحة في نفسه أن يصير إواهم آخر، مع أنه ليس من نرية إواهم نهائياً، إنما فيه الكفاية أن يغرس بذوراً مثل إواهم [915].] إذ سلك شعب بني إسراييل كما يسلك الأموريون والحثيون والوثنيون لهذا قيل عنهم: "أبوك أموري وأمك حثية" (جز ١٦: ٣)، مع أنهم من نرية إواهم ومن نسل سلة، لكنهم لم يحسوا أبناء إواهم ولا من سلة!

❖ نتعلم من هذا بوضوحٍ شديدٍ أنه يجب أن نفسر كل قصة إواهم رمزياً، ونملى كل ما فعله بطريقة روحية، ابتداءً من الوصية: "اذهب من أرضك ومن عشوتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي رُيك" (تك ١٢: ١). هذه العبارة تُقال ليس لإواهم وحده بل ولكل من يريد أن يكون ابناً له... والرب الإله الذي ظهر لإواهم يظهر لنا، ويعدنا أن يعطينا الأرض التي حول السنديانة العليا لنرية نفوسنا الروحية (تك ١٢: ٦). أيضاً يلتزم من يفهم الوصية: "تعملون أعمال إواهم" [٣٩] أن يبني مذبحاً للرب الذي يظهر لنا حيث توجد البلوطة العليا، ثم وحل من البلوطة العليا إلى الجبل. الجبل في شوق بيت إيل التي تعني "بيت الله". لهذا فإنه ينصب خيمته عند بيت إيل في الغوب وعاي في الشوق، عاي تعني أعياداً...

إن كنتم أبناء اسحق اعملوا أعمال اسحق، وهكذا بالنسبة ليعقوب وكل الآباء القديسين. وعلى العكس كل شخصٍ يخطئ يدعى من جهة الجنس أنه ابن إبليس، حيث أن من يخطئ هو مولود من إبليس (١ يو ٣: ٨)...

لهذا تقولون أن كل شخص سيذهب إلى آباءه عندما يخلص من هذه الحياة، إذ يؤمننا عند وقت الوحيل أن يُقال ليس لإواهم وحده بل لكل البشر: "وأما أنت فتمضي إلى آباءك" (تك ١٥: ١٥). غير أن لا يُقال "بسلام" (تك ١٥: ١٥) لكل الناس في ذلك الحين وإنما للقديسين، إذ يحتفظون بشيخوخة صالحة. يُقال هذا للذين تكلموا وتمتعوا رحلة روحية طويلة إذ "الفهم بالنسبة للبشر هو الشبية" (حك ٤: ٩)، والشبية هي إكليل الافتخار (أم ١٦: ٣١). والشبية التي تزينهم هي مجد للشيوخ الصالحين بالحق [916].

العلامة أوريجينوس

❖ " أنا عالم أنكم نرية إواهم، لكنكم تطلبون أن تقتلونني، لأن كلامي لا يمسخ بكم "... إنني أعرف أنكم نرية إواهم حسب الأصل الجسدي، وليس بالقلب المؤمن. لو أخذت كلامي لأمسك بكم، ولو أمسك بكم لكان يُمسك بكم كالمسك في شباك الإيمان. إذن ماذا يعني "لا يُمسك بكم"؟ لا يمسخ بقلوبكم لأنها لا تقبله. فإنه هكذا هي كلمة الله، وهكذا يجب أن تكون بالنسبة للمؤمنين، إنها كالصنطرة بالنسبة للسمة. إنها تأخذ السمكة حين تأخذها السمكة. لا يحل ضرر ما بمن يُمسك بهم إذ يُمسكون للخلاص وليس للدمار... أما هؤلاء فإنهم ورثوا الجنس الجسدي، لكنهم صرلوا منحلين عنه بعدم إقتدائهم بإيمانهم كأبناء له [917]. "

القديس أغسطينوس

" أنا أتكلم بمارأيت عند أبي،

وأنتم تعملون مارأيتم عند أبيكم". [38]

إذ كان اليهود يفتخرون بأنهم أبناء إواهم، من نسله حسب الجسد، قدم لهم نفسه أنه هو ابن الله بالطبيعة، ويود أن يرتبطوا به ليتمتعوا بالبوة الله بالنعمة عوض ما بلغوا إليه من بوة لإبليس. هم يريدون قتله مع أنه ابن الله بالطبيعة، وبفعلهم هذا يؤكدون أنهم نالوا التبني لإبليس. ما يتكلم به السيد المسيح هو الحق الأبدي الذي واه في حضن أبيه، لأنه هو كلمة الله. توجد أسوتان لن تتحدا: الله وأبنؤه، وإبليس وأبنؤه. لا يقدر أحد أن ينتسب للأسرتين معاً، فإنه إذ يقبل الواحدة يقوم الأخرى بالضرورة، حتى وإن لم تكن المقالومة علنية.

ما يقدمه السيد المسيح ليس فقط ما يسمعه من الآب بل ما واه ، لأنه كائن في حضن الآب واه، ما ينطق به الأنبياء هو بناء على ما يسمعه من الله أو ما يرونه خلال رؤى، أما السيد المسيح فهو الكلمة الإلهي ذاته، وهو الحق الإلهي نفسه.

❖ أنا بكلامي وبالحق أعلن عن الآب، هكذا لتفعلوا أنتم بأعمالكم. فإنه ليس لي فقط ذات الجوهر مع الآب بل وذات الحق معه [918].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ 15 لكن إواهم أيضاً وُلد وسط الجنس البشري، كثيرون كانوا قبله وكثيرون بعده. أنصت إلى صوت الآب إلى الابن: "قبل لوسيفر ولدتك" (مز: 3 Vulgate). لقد وُلد الذي ينير الكل قبل لوسيفر (إش 14: 27) ... لماذا يذكر لوسيفر؟ لأنه إذ استنار أنار. ولماذا صار مظلماً؟ لأنه لم يثبت في الحق (يو 8: 44) [919].

❖ " أنا أتكلم بمارأيت عند أبي، وأنتم تعملون مارأيتم عند أبيكم" [28]. أنا أرى الحق؛ أنا أنطق بالحق، لأنني أنا هو الحق. فإنه إذ يتكلم الرب بالحق الذي واه عند الآب إنما وى نفسه، ويتكلم بنفسه الذي واه عند الآب. لأنه هو الكلمة، وكان الكلمة عند الله (يو 1: 1). الشر الذي يفعله هؤلاء الناس والذي يعنفه الرب ويمنعه، أين رؤوه؟ عند أبيهم... هنا يتحدث عن أب آخر لهم، هذا الذي لم يلد لهم ولا خلقهم ليصيروا بشواً. ومع هذا فهم أبنؤه بكونهم أشوراً وليس بكونهم بشواً. إنهم أبنؤه لأنهم يتمثلون به، وليس خلُقوا بواسطته [920].

القديس أغسطينوس

" أجابوا وقالوا له:

أبونا هو إواهم.

قال لهم يسوع:

لو كنتم أولاد إواهم لكنتم تعملون أعمال إواهم". [39]

للأبن طبيعة أبيه، بالطبيعة يتمثل به. فكان يليق بهم إن كانوا بالحق أبناء إواهم أن يحملوا إيمانه وطاعته ووه، لا أن يقتلوا من يتكلم بالحق، الأمر الذي لم يكن ممكناً لإواهم أن يملسه. بهذا حرموا أنفسهم من الانتساب له روحياً.

❖ هنا يعالج موضوع نيتهم للقتل مشواً إلى إواهم. وهو بهذا يود أن يسحبهم من انشغالهم بالانتساب لإواهم وزوع الكرياء عنهم ليحتمهم بالأكثر للوجاء في الخلاص لا في إواهم ولا بعلاقتهم الطبيعية به، وإنما في التمتع ببلادته (البلة). لأن ما كان يعوقهم عن المجيء إلى المسيح هو هذا، أنهم كانوا يظنون أن هذه العلاقة تكفي لخلاصهم [921].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ " أجابوا وقالوا له: أبونا هو إواهم" [39] ، كما لو أنهم يقولون: ماذا تقول ضد إواهم؟ أو إن كنت تستطيع تجاسر وأظهر خطأ في إواهم. لم

يكن الرب غير قادر أن يتجاسر ويجد خطأ في إواهم، ولكن إواهم ليس بالشخص الذي يريد الرب أن يظهر له خطأ بل بركيه. أما هؤلاء فيبدو أنهم رأوا أن يتحوه كي يتكلم بشر عن إواهم فيجئوا فوصة ليتموا مقاصدهم [922].

القديس أغسطينوس

"ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني،

وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله،

هذا لم يعمله إواهم". [40]

❖ الذين يطلبون أن يقتلوه يطلبون أن يقتلوا إنساناً، فإنهم إن قتلوه لا يقتل الله (اللاهوت). وإذا رأوا أن يقتلوه ولم يقتلوه تأمروا ضده كما ضد إنسان، غير متوكلين أن الذين يتآمرون ضده هو الله، إذ لا يمكن لأحد أن يود الاستمرار في التآمر ضده لو أنه اقتنع أن الذي يتآمر ضده هو الله [923].

❖ ربما يقتلون جسم الكلمة، فإنه من الواضح أنهم بعد لا يقرون أن يفعلوا شيئاً. لهذا يؤمننا ألا نخاف من الذين يقتلون الجسم وبعد ذلك لا يقرون أن يفعلوا شيئاً، ولا نخاف الذين يقتلون الجسم ولا يقرون أن يقتلوا النفس التي للكلمة [924].

❖ ليت العبارة: "لا أحيأ أنا بل المسيح يحيا في" (غلا ٢: ٢٠) تنطبق ليس على الذين جاؤا من بعده فقط بل وعلى الذين سبقوه. ألاحظ أيضاً في قول المخلص: "إله إواهم وإله اسحق وإله يعقوب، لكنه ليس إله أموات بل إله أحياء" (مت ٢٢: ٣٢)؛ ربما تعني أن إواهم واسحق ويعقوب هم أحياء لأنهم هم أيضاً دفنوا مع المسيح وقاموا معه (١ كو ٢: ١٢؛ رو ٦: ٤). لكن ليس لم يحدث هذا بأية وسيلة في وقت دفن المسيح جسمانياً ولا قيامته الجسمانية. هذه هي ملاحظتنا على العبارة: "هذا لم يعمله إواهم" [٤١] [925].

العلامة أوريجينوس

❖ لم يكن إواهم قاتلاً. أقول هذا، أنا رب إواهم، وحين أقول هذا أقول الحق... أنا أعلم أنكم نرية إواهم. إنه لم ينكر أصلهم، لكنه يدين أفعالهم [926].

❖ نحن نأتي من أم أخرى، لكننا إذ نتمثل به نصير أبناء إواهم. اسمعوا الرسول: "وأما المواعيد فقبلت في إواهم وفي نسله. لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد، وفي نسلك الذي هو المسيح... فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إواهم وحسب الموعد ورثة" (غلا ٣: ١٦، ٢٩). لقد صونا نسل إواهم وجعلنا الله ورثة معه. لقد زرع المراث عن السابقين، وتبنى اللاحقين. لقد قطع الأغصان الطبيعية الجافة عن شجرة الزيتون التي أصلها في البطركة وطعم زيتونة البرية الوضيعة (رو ١١: ١٧) [927].

القديس أغسطينوس

يعلق القديس أغسطينوس على هذه العبارة قائلاً بأن القديس يوحنا المعمدان كسر تشامخ اليهود القادمين إليه المعترين بأنهم نسل إواهم دون الاقتداء به، موضحاً أن الله قادر أن يقيم من الحجر ولأدماً لإواهم (مت ٣: ٧-٩). [إن لم تحملوا ثملاً تليق بالتوبة فلا تنتفخوا بمثل هذا النسب. فإن الله قادر أن يدينكم دون أن يحرم إواهم من الأبناء. فإن لديه طريق يقيم به أبناء لإواهم. الذين يتمثلون بإيمانه يصيرون أبناءه. "الله قادر أن يقيم من هذه الحجر أبناء لإواهم" مثل هؤلاء هم نحن. كنا في آباننا حجر عندما عبدنا الحجر كإله لنا. من هذه الحجر خلق الله عائلة لإواهم [928].

"أنتم تعملون أعمال أبيكم.

فقالوا له إننا لم نولد من زنا،

لنا أب وأحدوهو الله". [41]

كشف السيد المسيح لهم عن حقيقة مخفية عنهم وهي أنهم بأعمالهم هذه يحملون البوة لإبليس القتال منذ البدء الذي لم يثبت في الحق [٤٤].

ربما قصد اليهود بذلك أنهم ليسوا من نسل إسماعيل ابن الجارية، إنما من نسل اسحق ابن سرة الحرة. كما أنهم ليسوا من نسل موآب أو أوم الذين وُلوا خلال علاقة أئيمة بين فوح وبنتيه.

❖ لا يقف الأمر عند العود والحجرة بل اختار الإنسان حتى الشيطان مهلك النفس ليكون أباً له. لهذا إن توهم الرب قاتلاً: "أنتم تعملون أعمال أبيكم" أي الشيطان، أب البشر بالخداع لا بالطبيعة. فكما صار بولس بتعليمه الصالح أباً للكورنثيون، هكذا دُعي الشيطان أباً للذين وافقوه برادتهم (مز 18:50) [929].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ إذ نخطئ ففي هذا نحن لم ننتزع بعد مولدنا من إبليس، حتى وإن كنا نظن أننا نؤمن بيسوع. لهذا يقول يسوع لليهود الذين آمنوا: "أنتم تعملون أعمال أبيكم". كلمة "أب" تعني إبليس كما جاء في العبرة: "أنتم من أب هو إبليس" [44].

❖ هذه الكلمات توضح تماماً أن الشخص ليس ابناً لإبليس كثرة للخلق، ولا يُقال عن أي إنسان أنه ابن الله لأنه خُلق هكذا. كما هو واضح أيضاً أن الذي كان قبلاً يُدعى ابناً لإبليس يمكنه أن يصير ابن الله. أعلن أيضاً (الإنجيلي) متى ذلك عندما سجل قول المخلص هكذا: "سمعت أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، بل كوا لا عنيتكم، احسنوا إلى مبغضيتكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات" (مت ٥: ٤٣-٤٥) [930].

[931]

❖ إن كان كل من يثبت فيه لا يخطئ، فإن من يخطئ لا يثبت في الابن. وإن كان كل من يخطئ لا واه، فإن من واه لا يخطئ.

[932]

❖ المولود من الله لا يخطئ. لكن بالحقيقة لم يُكتب أن المولود من إبليس لا يصنع البر، وإنما من يصنع الشر هو من إبليس.

❖ يقول البعض أن بعض الكائنات المخلوقة هي من الله وهي ليست قط مولودة من الله. هذه الكائنات حتماً أقل رتبة في المسكونة من الذين يُقال عنهم أنهم مولودون من الله [933].

❖ المولود من الله لا يخطئ لأن بؤرة الله تثبت فيه، من خلال قوة هذه البؤرة الموجودة فيه تظهر فيه سمة عدم إمكانية أن يخطئ. وقد قيل في نهاية كلمات الرسالة: "كل من وُلد من الله لا يخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشير لا يمسه" (١ يو ٥: ١٨).

❖ إن كان أبناء إراهيم يعملون أعمال إراهيم، وأول هذه الأعمال هي أن يذهب من أرضه وعشيرته ومن بيت أبيه ويحل إلى الأرض التي يريه الله إياها، لهذا فإن سبب توبيخ من وُجهت إليهم هذه الكلمة بأنهم ليسوا أبناء إراهيم، إذ لم يخرجوا من بيت أبيهم، فلا زالوا ينتمون إلى الأب الشير ويعملون أعمال ذلك الأب [934].

❖ إذ قال المخلص إن الله هو أبوه (يو ٥: ١٨) ولم يعرف رجلاً بأنه أباه، فلذلك قالوا: "إننا لم نولد من زنا" لمقاومته، مضيفين: "لنا أب واحد وهو الله" [41]. وكأنهم يقولون له: "إننا نحن الذين لنا أب واحد وهو الله وليس أنت يا من تدعي أنك وُلدت من بتول، فأنت وُلدت من زنا.

[935]

❖ إنك تقتخر أنك وُلدت من عواء بقولك أن لك الله وحده هو أبوك. نحن الذين نعرف الله كأب لنا لا ننكر أنه لنا أب بشوي" [935].

العلامة أوريجينوس

❖ إذ أترك اليهود أنه لا يتحدث عن نسبهم الجسدي لإراهيم بل عن سلوكهم، وهم يعلمون أن السلوك الشير هو انحراف عن الله، وبالتالي يسقطون في الزنا الروحي، لهذا تركوا الحديث عن نسبهم لإراهيم لأنهم فشلوا في الإقتداء به، وقالوا له: "إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد وهو الله" [41].

❖ أنتم تدعون الله أباً، لتعرفوني إذن على الأقل كأخ لكم. وفي نفس الوقت أعطاهم حاوراً لقلوب الأذكيا بذكر ما اعتاد أن يقول: "لم آت من نفسي، هو أرسلني. أنا خرجت وأتيت من الله... لقد جاء من عنده بكونه الله المسولي له، الابن الوحيد، كلمة الآب، جاء إلينا، لأن الكلمة صار جسداً لكي يحل بيننا. مجيئه يشير إلى ناسوته، الذي هو سكناه، و إلى لاهوته. إنه بلاهوته ذلك الذي بناسوته يجعلنا نتقدم. لو لم يصر هكذا لكي ما نتقدم ما كنا قط

[936]

نقتنيه ذاك الذي يبقى إلى الأبد .

❖ يقول: "لماذا لم تفهموا كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا كلمتي"... ولماذا لم يقدروا أن يسمعوا، إلا لأنهم رفضوا أن يسلكوا حسناً بالإيمان به؟ ولماذا هذا؟ "لأنكم من أبيكم الشيطان. إلى متى تحتفظون بالحديث عن أب؟ إلى متى تغيرون آباءكم - ترة أبوكم هو إواهم، وأخرى هو الله. اسمعوا من الابن أبناء من أنتم: "أنتم من أبيكم إبليس" [937].

❖ لماذا أنتم أبناؤه؟ من أجل شهواتكم وليس لأنكم ولدتكم منه.

ما هي شهواته؟ "إنه قتال من البدء". هذا ما يوضح: "شهوات أبيكم تفعلوا". "أنتم تطلبون أن تقتلونني، الإنسان الذي يخبركم بالحق".

للشيطان رادة شريرة نحو الإنسان، ويقتل الإنسان. فإن الشيطان في رادته الشريرة نحو الإنسان أخذ شكل الحية، وتحدث مع المرأة، ومن

المرأة بث سمه في الرجل. لقد ماتا باستماعهما للشيطان (تك ٣: ١)، هذان اللذان لو لم ينصتا له لسمعا للرب. لأنه كان يؤرم للإنسان أن يطيع الخالق لا

المخادع...

لقد دُعي الشيطان بالقتال، ليس كمن يتسلح بسيف ويلتحف بولاذ.

جاء إلى الإنسان وبذر فيه اقتراحاته الشريرة وذبحه.

لا تظن إذن أنك لست بقاتلٍ عندما تغوي أخاك على الشر. إن كنت تغوي أخاك على الشر فإنك تذبحه. ولكي تعرف هذا أنك تذبحه أنصت إلى

الزمور: "أبناء البشر أسنانهم حراب وسهام، ولسانهم سيف حاد" (مز ٤٧: ٤).

نعم أنتم تعملون شهوات أبيكم، ولهذا تندفعون بجنون نحو الجسد، إذ لا تقدرون أن تسبوا حسب الروح.

"إنه قتال منذ البدء"، على الأقل في بداية البشرية.

منذ ذلك الوقت صلت إمكانية قتل الناس قائمة، فقط في الوقت الذي خُلِق فيه الإنسان صار ممكناً قتل البشر. فإنه ما كان يمكن قتل الإنسان

لأنه لم يكن بعد قد خُلِق...

ومن أين صار قاتلاً؟ لأنه لم يثبت في الحق.

إذن كان في الحق وسقط بعدم ثبوته فيه. ولماذا لم يثبت في الحق؟ لأن الحق ليس فيه مثل المسيح. فإن المسيح فيه الحق بطريقة ما، بحيث هو

نفسه الحق. لو أنه ثبت في الحق لثبت في المسيح، لكنه لم يثبت في الحق، لأنه لا يوجد الحق فيه [938].

القديس أغسطينوس

"فقال لهم يسوع:

لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني،

لأنني خرجت من قبل الله وأتيت،

لأنني لم آت من نفسي،

بل ذاك أرسلني". [42]

إن كانوا قد ظنوا أنهم أبناء الله لم يرتكبوا الرنا، لأنهم لا يعبدون الأوثان، إلا أنهم برفضهم للسيد المسيح ومقلومتهم له أثبتوا ما هو على خلاف

ذلك. إن كانوا يدافعون عن بنوتهم لله فليدركوا أن الأمة اليهودية كأم لهم قد فقدت اتحادها بالله بسبب الخطية وطُقت: "هكذا قال الرب: أين كتاب طلاق

أمكم التي طلقته؟ هوذا من أجل آثامكم قد بُعتم ومن أجل ذنوبكم طُقت أمكم" (إش ٥٠: ١). فما قيل لأبائهم في عصر إشعيا يُقال لهم الآن بسبب

عبوديتهم للخطية.

أما قوله: "خرجت من قبل الله" فيختلف معنى الكلمة حسب حرف الجر اليوناني الملحق بها. فإن جاء الحرف apo بالابتعاد كوقع من التوب

جاءت كلمة "تريدون" في اليونانية تحمل الإصوار المستمر في تنفيذ ما يريدونه، وهذه سمة عدو الخير المصمم على شوه، العنيد، والمقاوم للحق حتى النهاية. إنه يسكب هذه السمّة على من يقبل أبوته له. على نقيض ذلك نجد في أبناء الله روح الطاعة والوداعة. إذ هم ليسوا أبناء الله، لأنهم يكرهون ابنه الحبيب ويطلبون قتله فبالضرورة هم أبناء إبليس، لأن العالم البشري منقسم إلى فريقين، فريق يمثل مملكة الله، والآخر مملكة إبليس.

يعمل إبليس في أبناء المعصية (أف ٢: ٢)، الذين يدعون نسل الحية (تك ٣: ١٥)، أبناء الشوير (مت ١٣: ٣٨). يشلكونه طبيعته الشريرة، ويحملون صورته، ويطيعون ناموسه، ويتمثلون به.

هذا الاتهام خطير جداً يصعب على أي إنسان أن يقبله، فكيف إن وجه إلى شعب يظن أنه الشعب الوحيد المتعبد لله، والذي يعتز بلقبه "شعب الله"؟ لذلك قدم لهم السيد وهائلاً عملياً على ما يقوله، وهو " وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ". كأنه يقول لهم: "إنكم تسرونه، وتتممون تجربته، وتحققون أهدافه فيكم". أهم سمتين لإبليس هما: القتل لأنه ضد الله "الحب"، والكذب لأنه مقاوم للحق. وها هم يتممون الأميين، إذ يطلبون قتل ابن الله، ورفضون الحق ويقاومونه. هكذا صاروا قتلة أبناء القتال وكذبة أبناء أبي الكذابين.

إنه قتال منذ البدء، فقد خدع حواء بالحية وادم بواسطة حواء، ودمر حياتهما وقتلها روحياً وجسدياً، إذ دخل الموت إلى العالم. وبث في قايين روح القتل فقتل أخاه هابيل. هذا هو فكر اليهود أنفسهم، إذ جاء في Sohar Kadash عن الأشوار أنهم يدعون: "أبناء الحية القديمة التي ذبحت آدم ونسله".

يتكلم إبليس مما له، أي من الكذب الذي فيه. هكذا تكلم خلال الحية، فخدع حواء وأخرجها من الحق. عندما ينطق إنسان بالكذب إنما يتكلم بما لإبليس ويكون له فماً.

- ❖ لقد أخرجهم السيد المسيح من قرايتهم لإبراهيم، ولما تجاسروا على أعظم منها وقالوا " لنا أب واحد وهو الله" [41] حينئذ ألقى بالضربة عليهم، إذ قال أنهم ليس فقط ليسوا مولودين من إبراهيم لكنهم مولودون من إبليس [44].
- ❖ يستخدم الناس الكذب ليس كأمرٍ لائقٍ بهم بل غريب عنهم [946].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ لا تقدر شحوة جيدة أن تأتي بثمر رديء، ولا شحوة رديئة أن تأتي بثمر جيد [947].

القديس جيروم

- ❖ ليس كل شخص ينطق بكذب هو أب لكذبه، فلو أنك تسلمت أمراً كذباً من شخص ونطقت بما سمعته، فأنت بالحق تنطق بالكذب، لكنك لست أباً لهذا الكذب، لأنك تسلمته من آخر. أما الشيطان فكان كاذباً من ذاته. لقد ولد ما يقوله باطلاً، الأمر الذي لم يسمعه من أحد. كما أن الآب ولد الحق ابناً له، هكذا الشيطان إذ سقط ولد الباطل ابناً له... لتسحب إذن من أب الكذب، ولتسحب إلى أب الحق، احتضن الحق، فتنمّع بالحرية [948].

القديس أغسطينوس

- ❖ الشيطان هو المصدر الأول للخطية وأب الأشوار. هذا القول ليس من عندي بل هو قول الرب. " لأن إبليس من البدء يخطئ" (1 يو 3: 8)؛ يو (44: 8)... لكنه لم يخطئ عن إوام، كأن فيه نزوع طبيعي للخطية، وإلا لردت علة الخطية إلي خالقه أيضاً. وبرادته الحوة صار إبليس متقبلاً هذا الاسم من عمله.

كان رئيس ملائكة، لكنه دُعي "إبليس" بسبب أضراليه.

كان خادم الله الصالح، وقد صار مدعواً شيطاناً بحق، لأن "الشيطان" يعني "الخصم".

هذا التعليم ليس من عندي، بل هم تعليم حرقبال النبي الموحى به، إذ رفع مرثاة عليه قائلاً: " كنت خاتم صورة الله، وتاج البهاء، وُلدت في

الفردوس" (راجع حز 12:28-17).

يعود فيقول بعد قليل: " عشت بلا عيب في طرفك من يوم خلقت حتى وجد فيك إثم".

إنه بحق يقول: " حتى وجد فيك إثم"، إذ لم يُجلب عليه من الخراج بل هو جلبه لنفسه. وللتو أشار إلي السبب قائلاً: " قد لتقع قلبك لجمالك، بسبب كثرة خطاياك طُعت، فطحت على الأرض". . يتفق هذا القول مع قول الرب في الإنجيل: " رأيت الشيطان ساقطاً مثل الوراق من السماء" (لو 18:10).

ها أنت ترى اتفاق العهدين القديم والجديد!

عندما طُود سحب معه كثيرين، إذ يبث الشهوات فيمن ينصتون إليه، منه تتبع الدعلة والزنا وكل أنواع الشر. خلاله طُود أبونا بسبب

العصيان، وتحول عن الفردوس ذي الثمر العجيب إلي الأرض المنبثة شوًاً [949].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ يشير إلى كل الذين يكذبون، فحينما يُنطق بالكذب على فم كل كذاب "يتكلم مما له"، أي من الكذب. بالإضافة إلى ذلك جاءت العيلة: "أوه هو كذاب" (راجع يو 8: ٤١)، مشوًاً إلى حقيقة أن كل واحد يجلب كذباً من فمه هو أب للكذب الذي ينطق به [950].

❖ إنه ليس بالأمر المنافي للعقل تأكيد أن شهوات إبليس هو القتل وممارسة الظلم والطمع، إذ يُولد شهوات مشابهة في أبنائه. أيضاً ليس بالأمر السخيف القول بصفة عامة أن شهوات الشيطان هي الأعمال الدنسة المقاومة في طبيعتها للطهارة، وليس من الصعب الاعتقاد بأن شهوات إبليس هذه تثير شهوات أبناء إبليس نحو الأمور النجسة [951].

❖ نحن نعلم أن كل من يريد أن يملس شهوات إبليس لا يمكن أن يكون الله أباه، بل يصير ابن إبليس، ويتشكل حسب الرغبة في ممارسة شهوات الشوير، وبصير في صورة الأب الشوير الذي منه تخرج ذاك الإنسان الزاوي وتتقبل أختامها، لأن هذا الإنسان الأول هو من الزاب (١ كو ١٥: ٤٧-٤٩) [952].

❖ إن كنا نعمل أعمال الله ونشتهي أن نعمل رغباته، فنحن أبناء الله. لكن إن كنا نعمل أعمال إبليس ونشتهي أن نملس شهواته، فإننا من أبناء إبليس. لهذا وجب أن نتيقظ ليس من جهة ما نفعله فقط بل وأيضاً ما نشتهي. فإن اشتهاء ممارسة شهوات إبليس تكفي أن تجعلك ابنه [953].

❖ مات آدم وحواء في الحال في اليوم الذي فيه أكلا من الشجرة الممنوعة. ليس أحد سوى إبليس القتال هو الذي قتلها عندما خدع حواء خلال الحية، وأعطت حواء زوجها من الشجرة فأكل (تك ٣: ١-٦) [954].

❖ دُعي بحق قتلاً، ليس لأنه قتل أوفاداً معينين، وإنما لأنه قتل كل الجنس البشري، إذ "في آدم مات الجميع" (١ كو ١٥: ٢٢) [955].

❖ من جانب قتلنا القتال، ولكن بنعمة الله نحن دُفنا مع المسيح وقمنا معه، إن صونا بالحقيقة نشاكل قيامته، ونسلك في جده الحياة. (رو ٦: ٤) [956].

❖ الآن يحكم القتال الذين يهلكون، بيدير الموتى، لكنه لا يقدر أن يحكم أحداً من الأحياء [957].

❖ حث الرب موسى أن يثبت على هذا، أي في الحق، قائلاً له: "هوذا عندي مكان، فتقف على الصخرة" (خر ٣٣: ٢١). فإن كانت الصخرة هي المسيح (١ كو ١٠: ٤)، ويقول المسيح: "أنا هو الحق" (يو ١٤: ٦)، فيكون القول "تقف على الصخرة" تعادل "تقف على الحق". هذا يمكن أن يحدث فقط للشخص بعد محولات كثرة في صعوبات [958].

❖ إن كان أحد ليس بعد كذاباً، ويثبت في الحق، مثل هذا ليس بإنسان بل يقول له الله ولمن هم مثله: "أنا قلت أنكم آلهة، وبنو العلي كلكم" (مز ٨١: ٦)، ولا تُضاف العيلة: "بالحقيقة تموتون كبشر" (مز ٨١: ٧).

❖ إن لم يثبت أحد في الحق، فمن الواضح أن إبليس القتال من البدء لا يثبت في الحق... وقد جاء السبب مُعرواً عنه بعد ذلك: "لأنه ليس فيه

حق " . أما السبب أن الحق ليس فيه فهو أنه خُدع ويقبل الكذب، وأنه خدع نفسه بنفسه. على هذا الأساس حُسب أشر من كل بقية المخوعين، إذ خُدعوا بواسطته، أما هو فخلق الخداع لنفسه [\[959\]](#) .

❖ قد يقول قائل أن عبارة: "ليس فيه حق" تعني أنه ليست له شوكة مع المسيح، هذا الذي يثير حروباً ضده. يقول آخر بأنه من أجل أنه لا يوجد فيه حق قط، بل هو مخوع في كل شيء. والسبب أنه هو إبليس وهو شوير، وأشر من كل أحدٍ آخر يخطئ.

إذ يوجد بين جماهير الخطاة شيء من الحق وسط أمور كثرة خاطئة، لكن لا يوجد حق قط في إبليس. ويتفق فريق ثالث مع البقية ويقولون أنه من الاستحالة أن يوجد كائن عاقل متمسك وأي خاطئ في كل شيء، ولا يقبل الحق في أي أمر حتى ولو في أمر صغير، فعندما يفكر إبليس في نفسه فعلى الأقل يتمسك وأي صادق أنه كائن عاقل، وإن هذا الكائن إنسان، وإن هذا جسم الخ. [\[960\]](#)

❖ يؤمننا أن نفهم العبارة: " لا يثبت في الحق" أنها لا تشير إلى نوع معين من الطبيعة، كما لا تعني أنه كان من المستحيل عليه أن يثبت في الحق [\[961\]](#) .

العلامة أوريجينوس

❖ كل من هو من الله يعد أحًا لنا، أما الذي يرفض الاشتراك في أعمال الصلاح بكامل رادته إنما هو بيت الشر. إذ يصير "أبو الكذاب" (يو 8:44)، فقد أعد نفسه لمحاربة كل من اختار أن يعيش في الصلاح. [\[962\]](#)

القديس غريغوريوس النيسي

❖ يجب على كل أحدٍ أن يعطى اهتمامًا عظيمًا لنلا يسلبه "الكذب"، لأن الكذاب لا يتحد مع الله. الكذاب غريب عن الله . ويقول الكتاب المقدس بأن الكذاب هو من الشيطان، إذ هو "كذاب وأبو الكذاب" (يو 8:44). هكذا دعي الشيطان أبو الكذاب، أما الحق فهو الله، إذ يقول بنفسه: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو 14:6). أما ترون إذن كيف أننا نصير غرباء عن الله بالكذب وبمن نتحد (عن طريقه)؟! لذلك إن أردنا بحق أن نخلص، يؤمننا أن نحب الحق بكل قوتنا وكل غيرتنا، ونحرس أنفسنا من كل كذب، حتى لا يفصلنا عن الحق والحياة. [\[963\]](#)

الأب دوروثيوس

"وأما أنا فلأنني أقول الحق، لستم تؤمنون بي". [\[45\]](#)

إذ جاءهم "الحق" لم ينجسوا إليه، وكما قيل: "قد رتد الحق إلى الوراء، والعدل يقف بعيدًا. لأن الصدق سقط في الشلح، والاستقامة لا تستطيع الدخول، وصار الصدق معومًا" (إش 59: ١٤-١٥). "أولئك يكونون بين المتعديين على النور، لا يعرفون طوقه، ولا يلبثون في سبله" (أي ٢٤: ١٣).

❖ يبدو أنهم آمنوا به على أساس ما هو منظور إذ صنع عجائب، لكنهم لم يؤمنوا به بسب أهواله العميقة. [\[964\]](#)

❖ العلامة أوريجينوس

❖ لقد جعل المتكلم هنا من نفسه طفلاً صغيراً أمام الله، فقد اختاره ليكون له أباً وأماً. إنه أبوه لأنه خلقه، وهو أمه لأنه يهتم به ويربيه ويقوته ويضعه ويقول بتربيته.

لنا أب آخر وأم أخرى... فحينما كنا عديمي الإيمان، كان الشيطان أبانا (يو 8: 44)، وكانت لنا أم أخرى (هي بابل)... لكننا تعرفنا على أب هو الله... وأم هي أورشليم السماوية، الكنيسة المقدسة التي لا زال جزء منها متغرباً على الأرض...

بعيدًا عن الأب والأم، أي بعيدًا عن الشيطان وبابل، يستقبلنا الله كؤلاً له ليعزينا بأمر لا تفنى، وبيلكنا بالباقيات...

المسيح رأسنا هو في السماء؛ ولا زال أعداؤنا قادرين على الهياج ضدنا، إذ لم توقع بعد عن متناول أيديهم، لكن رأسنا هناك في السماء فعلاً، وهو يقول: "شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟" (أع 9: 4)، موضعه أنه هو فينا نحن الذين أسفل (على الأرض)، لكننا في نفس الوقت نحن فيه في العلا، إذ "وقع رأسي على أعدائي" [6].

القديس أغسطينوس

"من منكم يبكتني على خطية؟"

فإن كنت أقول الحق،

فلماذا لستم تؤمنون بي؟" [46]

كمقاومين للحق كانوا يفحصون كل كلمة وكل تصرف للسيد المسيح، لا ليتعرفوا عليه، وإنما لكي يجنوا علة عليه، لهذا سألهم: "من منكم يبكتني على خطية؟" هنا يضع الخطية مقابل الحق، وكأن الحق والبر واحد، كما أن الخطية والكذب أو البطلان هما واحد. الحق يظهر من ثوره الذي هو البر، كما ينفض الكذب بثوره الذي هو الخطية.

كلمة "يبكتني" في اليونانية اصطلاح قانوني يحمل معنى إقامة الدليل ضد المتهم. فليس من يمكن أن يقف ضد يسوع المسيح، ولا من يشهد عليه. وأما الروح القدس فبيكت العالم (يو 16: 8)، مقدماً الدليل الثابت على خطيته، وسقوطه ضد الدينونة والحكم.

❖ إنه ربنا وحده الذي لم يفعل خطية (بط 2: 22)، الذي جرب في كل شيء مثلنا بدون خطية (عب 4: 15)، القادر أن يوجه هذه الكلمات لكل الذين يعرفونه. الآن افهم الكلمات: "من منكم" "أنها قد قيلت ليس فقط للذين كانوا حاضرين، بل ولكل الجنس البشري، كمن يعرفها بمعنى: مَنْ مِنْ بَيْنِ جِنْسِكُمْ؟ أو أي نوع من الإنسان يمكنه أن يتهمني بالخطية؟ تأكلوا أنه لا يوجد [965]."

❖ على أي الأحوال يمكن للمخلص أن يقول هذا، ليس فقط للبشر، بل وأيضاً لإبليس والقوات الخاضعة له، إذ لا يستطيعوا أن ينطقوا باتهام ضده بالخطية. هذا القول بالحقيقة يتفق مع العبارة: رئيس هذا العالم يأتي لا يجد في شيء" (راجع يو 14: 30) [966].

❖ ونحن أيضاً باجتهادٍ عظيمٍ يمكننا بعد فترة من الزمن أن نستعيد ثقنتنا حتى في وقت خروجنا نقول لإبليس وملائكته الذين يطلبون فرصة ضدنا: "من منكم يبكتني على خطية؟" [967].

العلامة أوريجينوس

"الذي من الله يسمع كلام الله،

لذلك أنتم لستم تسمعون،

لأنكم لستم من الله." [47]

يقدم لهم اتهاماً آخر وهو أنهم ليسوا من الله لأنهم لا يسمعون الله. لقد سمع صموئيل صوت الرب بينما لم يستطع عالي الكاهن أن يسمع الصوت. هكذا صاروا كعالي الكاهن لا يسمعون صوته، ولا يفهمونه، ولا يتجاوبون معه، فهم ليسوا من الله.

❖ إن كان بولس بالطبيعة ابن الغضب (أف 2: 3)، فمن هو أفضل من هذا الذي في قوامه كان ابناً للغضب، قبل أن يتقبل السلطان أن يصير ابناً لله (يو 1: 12)، وقبل أن يصير هكذا؟ وإن كان الطويق الوحيد ليصير الشخص ابناً للآب الذي في السموات هو محبته للأعداء، وصلاته من أجل الذين يضطهدونه (مت 5: 44-45)، فمن الواضح أنه ليس أحد يسمع كلمات الله لأنه بالطبيعة هو من الله، وإنما لأنه يتقبل السلطان أن يصير ابناً لله، ويستخدم هذا السلطان في وضع لائق، لأنه يحب أعداءه ويصلي من أجل مضايقيه، وقد صار ابناً للآب الذي في السموات. بهذا يصير أيضاً من الله، ويسمع كلمات الله، ويفهمها ويستوعب معرفتها. هذه سمات خاصة لا بالعبيد (رو 8: 15)، وإنما بأبناء الله الذين جحوا ميلادهم (من إبليس) من

جانب، وقبلوا ميلادهم من الله بروح التبني (رو ١٥: ٨) [968].

❖ غالبًا عندما لا نسمع الكلمات التي ينطق بها الله، أي لا نفهمها، يؤمنا أن نترك أننا نؤيخ لأننا لسنا من الله. لأن من لا يسمع كلمات الله، إنما لأنه ليس من الله، وهو ليس من الله بناء على قوله هو، مع أنه أحيانًا يتقبل السلطان ليصير ابنًا لله (يو ١: ١٢)، وهو قادر أن يصير ابنًا للآب الذي في السماء بحبه للأعداء وصلاته لمن يسئ إليه (مت ٥: ٤٤-٤٥؛ لو ٦: ٢٨) [969].

العلامة أوريجينوس

❖ هنا أيضًا ليس بسبب طبيعتهم كبشر، وإنما بسبب فسادهم أنهم يفكرون هكذا. في هذا وهم من الله إلا أنهم ليسوا من الله. بحسب الطبيعة هم من الله، وبسبب فسادهم ليسوا من الله [970].

❖ بنفس الطريقة هم أبناء إواهيم وهم ليسوا أبناء إواهيم... هم أبناء إواهيم من جهة أصلهم الجسدي، وليسوا أبناءه بخصوص خطية اتباعهم لحث الشيطان لهم. هكذا أيضًا لنطبق هذا بخصوص ربنا وإلهنا، فإنهم كانوا منه وليسوا منه. كيف كانوا من الله؟ لأنه هو الذي خلق الإنسان الذين جاؤا منه... إنه المهندس الأعظم للطبيعة. هو خالق الجسد والروح. كيف أنهم ليسوا منه؟ لأنهم جعلوا أنفسهم فاسدين. لم يعولوا بعد منه، لأنهم اقتنوا بالشيطان فصلوا أبناء الشيطان [971].

القديس أغسطينوس

6. اتهامه بالتجديف

"فأجاب اليهود وقالوا له:

ألسنا نقول حسنًا،

أنك سامري وبك شيطان؟" [48]

إذ كشف لهم السيد المسيح عن شرهم، وأفحمهم في ادعائهم أنهم أبناء إواهيم هاجموه بالاتهام أنه مجدّف ضد الشعب كما ضد الله. اتهموه أنه سامري أي عدو لليهود، وأن به شيطان كعدو لله.

لم يكن يوجد لقب يعبر عن عدوة شخص لأمة اليهود كلها مثل "سامري". سبق أن دعوه جليليًا، ليعنوا بذلك إنه إنسان خسيس، أما دعوته سامريًا فيعني أنه مستحق للمحاكمة، لأنه عدو الأمة اليهودية. حسوه خائنًا للوطن وللشعب، لأنه هكذا كان السامريون يدعون أن اليهود ليسوا أبناء إواهيم ليشووا صورتهم ويفقوهم حق دعوتهم "شعب الله"، وإلى قرون طويلة كان اليهود يدعون المسيحيين سامريين إشارة إلى العدوة من نوحهم. أما الاتهام الثاني فهو "بك شيطان": "يرون تحالفًا بينه وبين الشيطان. فمن جهة تعليمه حسوه سامريًا كمن هو منشق عنهم ومبتدع ومقاوم للناموس، وبه شيطان يصنع معجزات.

في إصوارٍ عجيب يؤكّدون أنهم أصحاب علم ومعرفة، وأنهم خلال هذه المعرفة تأكّدوا أن به شيطان. كيف؟ لقد تحدث الله مع إواهيم والأنبياء، وسمع هؤلاء كلام الله وتحلّروا معه وسلّكوا فيه ومع هذا ماتوا، فهل يكون كلام يسوع المسيح أعظم من كلام الله؟ هكذا كان منطقتهم، وهكذا كانت ثروة معرفتهم.

هنا يكشف رؤساء اليهود عن جهلهم، إذ لم يميزوا بين قول السيد "وي الموت" وبين تعبير "يذوق الموت". فالسيد المسيح نفسه ذاق نعمة الله لأجل كل واحدٍ (عب ٢: ٩)، أما تعبير "وي الموت" فيحمل معنى السقوط الدائم تحت سلطان الموت، والخوف منه، يتأمله الإنسان فيرتعب منه.

❖ يبدو أن البعض كانوا يرددون تعليقاتهم على المخلص فيما بينهم سرّياً، ويدعونه "سامريًا"، وذلك مثل السامريين الذين يخطئون التقاليد اليهودية. لأن اليهود لا يعاملون السامريين (يو ٤: ٩)، إذ لا يتفقون معهم في تعاليم كثيرة [972].

- ❖ لكن يليق أن تسأل إذ ينكر السامويون الحياة العتيدة ولا يقبلون الوجود الدائم للنفس، كيف يتجاسرون ويدعون المخلص سامويًا، وقد علم بأمور كثيرة خاصة بالقيامة والدينونة؟ ربما قالوا هذا ليوبخوه، وليس لأنه يعلم بذات تعاليم السامويين... أو أنه قد تظاهر فأبدى ملاحظاته عن القيامة والحياة الأبدية لمجرد أنها تتفق مع التعاليم العامة المقبولة لكي يقبل رضي اليهود [973].
- ❖ وقالوا أن به شيطان بسبب تعاليمه التي تتعدى الحدود البشوية، كقوله أن الله أبوه (يو ٥: ١٨)، وأنه قول من السماء (يو ٦: ٣٨)، وأنه هو نفسه خبز الحياة الأعظم من المن، من يأكله يحيا إلى الأبد (يو ٦: ٣٢-٣٥)، وعشوات الألوف من هذه الأمور التي امتلأت بها الأناجيل.
- ❖ يمكن أن يكونوا قد قالوا: "بك شيطان" [٤٨]... حيث ظن بعضهم أنه ببعلبول رئيس الشياطين يخوج الشياطين (لو ١١: ١٥) [974].

العلامة أوريجينوس

"أجاب يسوع:

أنا ليس بي شيطان،

لكني أكرم أبي،

وأنتم تهينونني". [49]

يقول العلامة أوريجينوس أن السيد المسيح لم يرد على اتهامه بأنه ساموي، وإنما ردَّ على الاتهام بأنه شيطان، لأن السيد نفسه قدم مثلاً عن الساموي الصالح (لو ١٠: ٣٠-٢٤) الذي أظهر حنوًا على الساقط جريحًا على الطريق.

إن كان بولس صار كل شيء لكل بشر كي يربح الكثيرين (١ كو ٩: ٢٢) فبالأولى المخلص الذي يطلب خلاص الكل، فهو لا يستتكف من أن يكون سامويًا ليربح السامويين. وهذا وأن كلمة ساموي معناها "حرس"، وهو حرس كل النفوس [975]. [فهو بحق حرس أولئك الذين قيل عنهم: "إن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً يتعب الحراس" (مز 127: 2)]. [لقد عرف أنه كان حرسًا لكل النفوس البشوية، فقد قيل عنه: الذي يحرس إسرائيل لا ينعس ولا ينام، (مز ١٢٠: ٤)، والرب هو حافظ الصغار (مز ١١٤: ٦) [976]. كما يقول: [على أي الأحوال يدعى العوانيون الحواس Somer، وهكذا أيضًا جاء في تقليدهم أن السامويين تسلموا أولاً هذا الاسم، لأن ملك الآشوريين أرسلهم كحراس لأرض إسرائيل بعد السبي [977].

❖ لقد رفض اتهامًا نون الآخر، إذ أجاب وقال: "ليس بي شيطان". ولم يقل "أنا لست سامويًا"، ولم يرد اللعنة باللعنة، ولا القذف بقذف، لكنه كان يليق به أن يجحد اتهامًا ويتوك الآخر. لم يفعل هذا بلا هدف يا اخوة. لأن "سامويًا" تعني "حافظًا". إنه يعلم أنه حافظنا. "لأن حافظ إسرائيل لا ينعس ولا ينام" (مز ١٢١: ٤). و"إن لم يحرس الرب المدينة باطلاً يتعب الحواس" (مز ١٢٧: ١). إنه إذن حافظنا، ذاك الذي هو خالقنا... لهذا أجاب أنه ليس به شيطان، ولم يقل أنه ليس سامويًا [978].

القديس أغسطينوس

❖ أنصتوا إلى ما أجابه الرب بعدما سُتم. " ليس بي شيطان، لكنني أكرم أبي "... لم يرد الرب أن يجيب: "أنا لست سامويًا"، بل قال: "ليس بي شيطان". وجه ضده اتهامان: جحد اتهام واضح قبوله للثاني بصمته. إنه قد صار حرسًا على الجنس البشوي. فلو أنه قال انه ليس بساموي يجحد أنه الحرس. كان صامتًا بخصوص ما يعلم أنه حقيقي، وبطول أناة رفض ما قيل عنه باطلاً. انظروا كيف أنه عندما سُتم الرب لم يكن غاضبًا، ولا كانت ردود فعله كلمات أثيمة. لو لم يكن بهم شيطان لما استطاعوا أن ينطقوا بمثل هذه الأشياء الشائنة ضد الله [979].

البابا غريغوريوس (الكبير)

يحدثنا العلامة أوريجينوس عن نور الشيطان في حياة الناس، قائلاً:

❖ إنها وجهة نظر سائدة في الكتاب المقدس أن الخطاة يملسون أشياء كثيرة مضادة للعقل لا لسبب إلا لأنهم صاروا يتقبلون أنشطة روح شوير أو

[980]

يتقبلون لادة شيطانٍ دنسٍ .

❖ كما أنه ليس بار على الأرض يصنع خيراً ولا يخطئ (جا ٧ : ٢٠)، هكذا لا يوجد أحد في حربة دائمة من الشياطين ولا يسقط قط ضحية لتأثيرهم [981] .

❖ أليس ذلك وهاناً أننا خاضعون للشيطان عندما نصوص ملتهبين غضباً وسخطاً في حالة من الجنون، أو نكون مسعورين وكمن يصهل، فنملس العلاقة حتى مع زوجاتنا بشهوات كالفس الجامحة (إر ٥ : ٨)، ونلقي خلفنا كلمات الله عن التحرر من الهوى؟ علاوة على هذا إن كنا في كآبة وعبوسة وإحباط بسبب الغضب وفقدان السمو اللائق بالكائنات العاقلة، وننسى أنه لا يسقط عصفور في فخ بدون إذن الله، وأن الأحكام في كل ما يحدث للبشر هي عادلة، بماذا نفسر هذه ما لم نقل أننا نعاني من هذه الأمور لأن شيطاناً قد غلبنا وأفسد العنصر التي يتحكم فيها؟

أيضاً بماذا نفسر الخوف من أمور غير مخيفة، ونملس فرحاً مبالغاً فيه من أجل أمور لا تستحق إلا أن ننسب هذه لأنشطة الشياطين التي ملأت أولئك الذين لا يستطيعون أن يقولوا بحق: "ليس بي شيطان"؟ [982]

❖ واضح أن كل الكتب المقدسة صحيحة، وأنه حتى الذين تغيروا إلى الحياة الفاضلة غير قارين أن يقولوا على الدوام في البداية: "ليس بي شيطان". هذه العبارة خاصة بالمخلص وحده منذ البداية. هذا هو السبب أنه وحده كرم الآب بطريقة لائقة جداً وسليمة. [983]

العلامة أوريجينوس

❖ " لكني أكرم أبي، وأنتم تهينوني " [٤٩]. هذا معناه إنني لست أكرم نفسي حتى لا تظنوا إنني متعجرف. إنني أكرم واحداً، ولو عرفتموني لكنتم تكرموني كما أكرم أنا الآب. إنني أفعل ما يليق، وأما أنتم فلستم تفعلون. [984]

القديس أغسطينوس

❖ أب كامل ولد أب نأ كاملاً، وسلم كل شيء للمولود، إذ قال: "كل شيء قد دفع لي من أبي" (مت 27:11)، وتمجد بواسطة الابن الوحيد إذ يقول الابن: "أكرم أبي"، وأيضاً: "كما إنني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته (يو 10:15)". [985]

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ "إنني أُمجد أبي"، إذ ليس له أب آخر غير الله في السماء. [986]

❖ نحن أيضاً نحقق هذه العبارة عندما نترك غسل الميلاد الجديد (تي ٣ : ٥)، وإذ بغسله نصير أبناء الله لا ندعو أحداً على الأرض أباً (مت ٢٣ : ٩)، إذ صرنا أبناء الآب الذي في السموات واخرة لذاك القائل: "أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي إلهكم" (يو ٢٠ : ١٧).

من الواضح إذن انه إذ قال يسوع بشوعية كاملة ودقة: "ليس بي شيطان، لكني أكرم أبي" [٤٩] فإن كل من يقتدي به يكون قانواً، ويستطيع كل شيء في المسيح يسوع الذي يقويه (في ٤ : ١٣)، سيقول هو نفسه: " ليس بي شيطان، لكني أكرم أبي ". لكن من يقدر أن يقول "ليس بي شيطان" متى كان بين الموتى ساكناً في القبور؟ [987]

أو من يقدر أن يقول: "لكني أكرم أبي" [٤٩] كتلميذ ليسوع بينما هو يكرم شيئاً آخر غير الله وكلمته والوصايا التي يأمر بها الكلمة، مكرماً آخر مع أنه كان يلزم أن يقدم الكرامة لمن يستحقها (رو ١٣ : ١٧) [988].

عبارة: "أنتم تهينوني" لا تخص الذين كانوا في ذلك الوقت وحدهم، لكنها تنطبق أيضاً نوماً على الذين يهينونه بأعمالهم المضادة لكلمة الله المستقيمة. يهينون المسيح الذي هو العدل بمملستهم للظلم، ويهينون قوة الله التي هي المخلص (١ كو ١ : ٢٤) ... بتصرفاتهم الضعيفة والهزيلة. [989]

❖ يُقال "أنتم تهينوني" لمن يحتقر الحكمة، لأن المسيح هو أيضاً الحكمة (١ كو ١ : ٢٤) [990].

[991]

❖ من يفعل الشر يهين المسيح بإهانتته للنور .

❖ الله الذي أعطانا ابنه يطلب مجد المسيح في كل من يتقبله. إنه يجد المجد في الذين يسهرون على أنفسهم وينتهبون الفرص لممارسة الفضيلة المزروعة فيهم. لكنه لا يجد المجد فيمن لا يفعلون هكذا. فإذا لا يجد المجد سيدين من ليس فيهم مجد ابنه، ويقول لهم: "بسببكم يجذف على اسمي يوماً بين الأمم" [992].

العلامة أوريجينوس

"أنا لست أطلب مجدي،

يوجد من يطلب ويدين". [50]

❖ "أنا لست أطلب مجدي"، لهذا أغفل عن عقابكم، إنما أضع على عاتقي أن أحتكم على العمل وأشير عليكم بذلك، حتى ليس فقط تهربوا من العقوبة، وإنما تتألون أيضاً الحياة الأبدية [993].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كيف يقول في موضع آخر: "لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو ٥: ٢٢)، بينما يقول هنا "أنا لست أطلب مجدي، يوجد من يطلب ويدين" [٥٠]؟ ... هذه المشكلة يمكن حلها من خلال الكلمة ذاتها. توجد دينونة للعقوبة وجدت في الإنجيل: "من لا يؤمن يدين" (يو ٣: ١٨). وفي موضع آخر: "تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يو ٥: ٢٨-٢٩). ها أنتم ترونه كيف يضع حكماً للدينونة والعقوبة. مع هذا إن كان الحكم دائماً يفهم للدينونة فإننا نسمع: "احكم لي يا الله". في الموضع الأول يستخدم الحكم بمعنى إزال عقوبة مؤلمة، هنا يستخدمه بمعنى التمييز ... لذلك يقول: "احكم لي يا الله ثم يضيف: "وخاصم مخلصي من أمة غير مقدسة" (مز ٤٢: ١). بنفس الطريقة يقول الرب يسوع: "لست أطلب مجدي، يوجد من يطلب ويدين". كيف "يوجد من يطلب ويدين"؟ يوجد الآب الذي يميز بين مجدي ومجدكم . لأنكم تتمجدون بروح هذا العالم. أما أنا فلست كذلك... ماذا يميز الآب؟ مجد ابنه من مجد الناس المجردين. هنا قيل: "مسحك الله إلهك بزيت البهجة أكثر من رفقائك" (مز ٤٥: ٧). ليس لأنه صار إنساناً يقرن بنا. نحن كبشر خطاة، وأما هو فيلا خطية. نحن كبشر نوث من آدم الموت والإثم، أما هو فقبل من البتول الجسد المائت لكن بدون إثم [994].

القديس أغسطينوس

ربما يتساءل البعض: كيف يقول السيد المسيح: "يوجد من يطلب ويدين"، بينما يقول في موضع آخر: "لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو ٥: ٢٢)؟ يجب العلامة أوريجينوس : [تأملوا العبرة التالية التي تحمل إجابة على هذه الاعراض: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، كما أسمع أدين ودينونتي عادلة، لأنني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني" (يو ٥: ٣). فإن كان مخلصنا يدين كما يسمع من الآب ولا يطلب مشيئته هو بل مشيئة الآب الذي أرسله... فإن الدينونة ليست من قبل من يسمع بل الذي يتكلم لمن يسمع. [995]

7 . المسيح واهب الخلود

الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي

فلن يوت الموت إلى الأبد". [51]

وعد موسى النبي بطول العمر والخوات الوصية الإلهية، أما السيد المسيح فقدم الحياة الأبدية والغلبة على الموت لمن يحفظ كلمته، لن يقدر الموت أن يسيطر على نفس المؤمن الحقيقي.

يليق بنا لكي ننعم بالمجد الأبدي ليس فقط أن نقبل الكلمة الإلهية، بل ونملسها ونثبت فيها أو نستمر فيها، هذا هو مفهوم حفظ الكلمة. من يحفظ

الكلمة الإلهية يتمتع بمفهوم جديد للموت، واه عبيراً إلى الحياة الأخرى. أما الموت الحقيقي فهو حرمان النفس من الله مصدر حياتها، هذا الموت لا سلطان له على المؤمن.

❖ لا يتكلم هنا عن الإيمان وحده بل وعن الحياة الطاهرة. قبلاً قال: "تكون له الحياة الأبدية" [40]، أما هنا "لن يرى الموت". في نفس الوقت يلمح إليهم أنهم لن يقدرُوا أن يفعلوا شيئاً ضده. لأن من يحفظ قوله لن يموت، فكم بالأكثر يكون هو نفسه [996].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كما توجد أنواع مختلفة من الحياة هكذا توجد أنواع مختلفة من الموت. يوجد موت شديراً وعنيف وهو عدو للقاتل: "أنا هو الحياة" (يو ١١ : ٢٥). فمن يموت هذا الموت الأخير فإنه يموت ذلك المكتوب عنه: "آخر عدو الموت، يبطل" (١ كو ١٥ : ٢٦).

يؤمننا أن نعتبر أنه ذلك الموت الذي يقول عنه الرسول: "كأنما بإنسانٍ واحدٍ دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع. فإنه حتى الناموس كانت الخطية في العالم، على أن الخطية لا تُحسب إن لم يكن ناموس. لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين على شبه تعدي آدم" (رو ٥ : ١٢-١٤). وقد أضاف بعد قليل: "لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البرِّ سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح" (رو ٥ : ١٧). ... فمن يحفظ كلمة الابن الوحيد، بكر كل الخليقة (كو ١ : ١٥) لن يرى هذا الموت، إذ طبيعة الكلمة تمنع الموت من أن يرى... [997]

❖ من يحفظ في نفس الوقت الحياة التي توجد فيه وغير منفصلة عنه، هذه الحياة التي هي في نفس الوقت نور الناس الذي يشوق على الذين في الظلمة فلا يُغلبون منها (يو ١ : ٤-٥). [998]

❖ حقاً لا يرى أحد الموت ما دام يحفظ كلمة يسوع، لكن حالما يفقدها يرى الموت. [999]

العلامة أوريجينوس

❖ انتم تقولون: "بك شيطان" [٤٨]. أنا أدعوكم للحياة. احفظوا كلمتي فلا تموتون. لقد سمعوا: "إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد" [٥١]، إلا أن الرب قدرأى موتاً آخر جاء ليخلصنا منه - الموت الثاني، الموت الأبدي، موت جهنم، موت الإدانة مع الشيطان وملأكتته. هذا هو الموت الحقيقي، أما الآخر فهو مجرد انتقال. ما هو الموت الآخر؟ ترك الجسد، إلقاء الحمل الثقيل، وزع الحمل فلا يسحب الإنسان إلى جهنم. عن الموت الحقيقي يقول الرب: "إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد" [1000].

القديس أغسطينوس

"فقال له اليهود:

الآن علمنا أن بك شيطاناً

قد مات إواهم والأنبياء، وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد؟" [52]

❖ الذين ظنوا أن ما قيل خاص بالموت العادي حسبوا أن الذي يقول أن من يحفظ كلمتي لن يموت إلى الأبد قد فقد عقله، إذ مات إواهم والأنبياء [1001].

العلامة أوريجينوس

❖ مات إواهم والأنبياء، ولكن ليس بالموت الذي رأدنا أن نفهمه. فإن هؤلاء ماتوا لكنهم أحياء، أما هؤلاء الآخرون فهم أحياء ولكنهم موتى. فإنه إذ كان يجيب في موضع ما على الصدوقيين عندما أثاروا سؤال القيامة قال الرب نفسه: "وأما من جهة القيامة أفما قُتُم ما قيل لكم من قبل الله القائل: أنا إله إواهم وإله اسحق وإله يعقوب، ليس الله إله أموات، بل إله أحياء" (مت ٢٢ : ٢١-٢٢؛ لو ١٢ : ٤-٥). فإن كان هؤلاء أحياء فلنجاهد أن نحيا [1002]

حتى يمكننا بعد الموت أن نحيا معهم .

القديس أغسطينوس

"ألعك أعظم من أ بيينا إواهم الذي مات والأنبياء ماتوا؟

من تجعل نفسك؟" [53]

❖ عندما يزيد عناد الأشرار، يؤمننا ليس فقط ألا نتوقف عن الكورة بل نكتف جهودنا، هذا ما ينصحنا به الرب خلال مثاله... كما أن الصالح يصير إلى حال أفضل خلال المقلومة، هكذا المدانون يصيرون إلى حال رداً حينما ينالون حنواً. بعد أن تقبلوا كورة (يسوع) كرروا القول: "الآن علمنا أن بك شيطاناً" [52]. لقد التصقوا بالموت الأبدي دون أن يتحققوا أن هذا كان الموت الذي التصقوا به. كان ما في نظرهم موت الجسم وحده؛ وكانوا عمياناً عن معنى كلمة الحق. هذا كما أنهم في تكريم إواهم و الأنبياء وضعوهم فوق الحق نفسه. لقد ظهر لنا أن الذين لا يعرفون الله، قد يكومون عبيده بطويقة خاطئة [1003].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ كان لائقاً أن يقولوا: "ألعك أنت أعظم من الله؟"، أو "عل الذين يسمعون قولك أعظم من إواهم؟"، إلا أنهم لم يقولوا هذا، إذ ظنوا أن السيد المسيح أقل مكانة من إواهم. وقال اليهود للسيد المسيح من قبل: "إن بك شيطاناً" [52] إلا أن العروة الساموية لم تقل هذا، لكنها قالت: "ألعك أعظم من أبينا يعقوب؟" (يو 4: 12) (لقد كان هؤلاء اليهود شتامين، أما تلك العروة فرادت أن تعرف من هو، إذ تحيرت وأجابته بتحفظ قائلة: "يا سيد رى أنك نبي" (يو 4: 19).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كان إواهم قد مات إلا أنه كان حياً (مت 22: 23)، ولم ير الموت إذ رأى يسوع فوح وتهلل (يو 8: 56). أظن أنه لهذا السبب أجاب مخلصنا على عبلة "إواهم مات" بالقول: "أبوكم إواهم تهلل بأي رى يومي، فأى ووح" [56] ليعلم بأن إواهم كان حياً. [1004]

❖ إن كان ليس هو إله أموات بل أحياء (مت 22: 32)، وكما أنه هو إله إواهم واسحق ويعقوب فهو إله بقية الأنبياء، والأنبياء هم أحياء، إذ حفظ هؤلاء كلمة ابن الله عندما جاءت كلمة الله إلى هوشع وإلى لميا وإلى إشعيا. فإنه ليست كلمة الله جاءت إلى أي واحد منهم سوى ذلك الذي من البدء مع الله، ابنه، الله الكلمة. [1005]

❖ إنهم لم يروا أن الذي وُلد من العزواء ليس فقط أعظم من إواهم بل ومن كل مواليد النساء. ولم يروا الذي تنبأ عنه الأنبياء أعظم من كل الأنبياء، والذي جعلهم أحياء أعظم من الذين يموتون. [1006]

العلامة أوريجينوس

"أجاب يسوع:

إن كنت أمجد نفسي،

فليس مجدي شيئاً.

أبي هو الذي يمجدني،

الذي تقولون أنتم إنه إلهكم". [54]

خلال وحدة الجوهر كل أقنوم يمجد الأقنومين الآخرين، فنواً أن الله يتمجد في الابن ويتمجد الابن (يو 7: 33).

"الذي تقولون أنتم انه إلهكم" [54] بينما يدعون أن الله هو إلههم إذا بهم أعداء له من جهة روحهم وسلوكهم.

❖

هل مجده ليس شيئاً؟ بالنسبة لهم إنه لا شيء. وكما قال: "شهادتي ليست حقاً" (يو ٥: ٣١) وذلك حسب رأيهم؛ لذلك يقول هنا: "يوجد الذي يمجدني" [1007] [٥٤].

القديس يوحنا الذهبي الفم

أي شكٍ هنا في أن يتمجد الابن بواسطة الآب، و يتمجد الآب بواسطة الابن؟ ولكي تتضح الوحدة، اتحاد الثالوث. يقول أيضاً أن يتمجد بالروح القدس كما جاء: "يأخذ مما لي ويمجدني (يو 14:16). فالروح القدس يمجد ابن الله. كيف إذن يقول: " إن كنت أمجد نفسي، فليس مجدي شيئاً" [54]؟ هل مجد الابن كلا شيء؟ أن نقول هذا هو تجديف ما لم نطبق هذا على جسده، فإن الابن تحدث في شخص إنسان، فإن قرن مجد الجسد بالنسبة لمجد اللاهوت يكون بلا مجد [1008].

القديس أمبروسيوس

❖ يشير إلى تمجيده بالآب الذين يقولون عنه أنه الله... إن كان هو يمجد الابن والابن يمجده، فليبتل عناد (الأبوسيين والهراطقة) وليعرفوا المساواة ويصححوا انواقهم [1009].

القديس أغسطينوس

"ولستم تعرفونه،

وأما أنا فأعرفه،

وإن قلت إنني لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً،

لكني أعرفه وأحفظ قوله". [55]

"أبوكم إواهم تهلل بأ ن يوي يومي فرأى وفوح". [56]

إذ يفتخر اليهود أنهم من نسل إواهم أكد لهم السيد المسيح أن أباهم إواهم كان يشتهي أن واه ويكومه، وأنه قدرأى يومه. إن كان المسيح قبل إواهم فإن تعاليمه ليست بجديدة، إنه يسبق موسى مستلم الشريعة.

متى رأى إواهم يوم الرب فتهلل؟

1. يقول القديس بولس أن إواهم رأى يومه، إذ نال وعداً بمجيئه من نسله (غل ٣: ١٦)، أي مجيء المسيح ليبيك جميع قبائل الأرض (أع ٣: ٢٥ - ٢٦).

2. رأى العلامة أوريجينوس أنه رآه حين سار مسوة ثلاثة أيام ورفع عينيه وأبصر موضع الذبيحة من بعيد (تك ٢٢: ٤)، فبسوه ثلاثة أيام اختبر طويق القيامة في اليوم الثالث فتمتع بمفهوم جديد للذبيحة، ذبيحة الابن الوحيد الجنس.

3. رأى القديس امبروسيوس أنه رآه حين أقسم بذاته أنه بالوكة ييلكه ويكثر نسله كنجوم السماء وكالومل على شاطئ البحر (تك ٢٢: ١٦).

[1010]

❖ إنه ذاك الذي أقسم بذاته هو الذي رآه إواهم.

القديس أمبروسيوس

❖ أظن أنه قد غاب عن بيلاجيوس حقيقة أن الإيمان بالمسيح الذي أعلن بعد ذلك لم يكن مخفياً في أيام آبائنا. لكنهم خلصوا بنعمة الله، وهكذا كل أعضاء الجنس البشري في كل الأمانة الذين بواسطة حكم الله السوي الذي يتعذر دحضه، هم قادرين أن يخلصوا. لهذا يقول الرسول: "لهم ذات روح الإيمان" بلا شك هو بنفسه الذي كان لهم - كما هو مكتوب: "آمنت لذلك تكلمت، ونحن أيضاً نؤمن لذلك أيضاً نتكلم" (راجع 2 كو 13:4؛ مز

10:115). لهذا السبب قال الوسيط نفسه: "إواهم رأى يومي، رآه فتَهَلَّل" (يو 56:8). هكذا أيضاً ملكي صادق إذ قدم سرّ مائدة الرب عرف أنه سبق فومز لكهنوت المسيح الأبدى (تك 18:14) [1011].

❖ إنه لم يخف بل فُح أن واه، لأن فيه الحب الذي يطرد الخوف خُرجاً (١ يو ٤: ١٨). لم يقل "تهلل لأنه رأى" إنما قال: "تهلل لأنه وى"، مؤمناً تحت كل الظروف، ويتَهَلَّل على رجاء أن وى يفهم. "فأى وفوح" ... إن كان الذين انفتحت أعينهم الجسدية بالرب قد تهلّوا، فأى فُح لذلك الذي رأى بعيني نفسه النور الذي لا يوصف، الكلمة القاطن (في الآب)، البهاء الذي يبهر أذهان الأتقياء، الحكمة التي لا تسقط، الله الثابت في الآب، وفي نفس الوقت واه آتياً في الجسد دون أن ينسحب من حضن الآب؟ هذا كله رآه إواهم [1012].

القديس أغسطينوس

❖ "يومي" يبدو لي أنه يعني يوم الصليب الذي سبق فَوَاه إواهم خلال الرمز بتقديم الكبش واسحق [1013].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه يكفيك من أجل الصلاح أن تعرف - كما قلنا - أن الله له ابن واحد وحيد مولود طبيعياً. الذي لم يبدأ وجوده عندما وُلد في بيت لحم بل قبل كل الدهور. اسمع النبي ميخا يقول: "أما أنت يا بيت لحم أوتاته، وأنت صغوة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمَنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخرجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخا 5:2).
إذن لا تفكر في ذلك الذي هو خرج الآن من بيت لحم (لا تحسبه حديثاً)، بل اعبده إذ هو مولود من الآب أزلياً. لا تسمح لأحد أن يقول أن لابن بداية في زمان...

أ تريد أن تعرف أن ربنا يسوع المسيح هو ملك أزلّي؟ اسمعه يقول: "أبوكم إواهم تهلل بأ ن وى يومي، فأى وتهلل" (يو 56:8). وعندما استصعب اليهود قبول هذا قال لهم أن هذا ليس بصعب، فإنه "قبل أن يكون إواهم أنا كائن" (يو 58:8).

هرة أخرى يقول: "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو 17:5) قال بوضوح: "بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم". وأيضاً عندما قال: "لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (يو 17:24)، معلناً أن مجده أزلّي [1014].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ seers دُعِيَ الأنبياء راثين (1 صم 9:9)، إذ رُؤوا ذلك الذي لن واه آخرون. إواهم رأى يومه (المسيح) وتهلل (يو 56:8).

الناموس رُوحِي (رو 14:7)، لكن الحاجة إلى إعلان يعيننا على فهمه، عندما يكشف الله عن وجهه لَوَاه ونعاين مجده...

السموات التي كانت مختومة بالنسبة للشعب المتمرد كانت مفتوحة لحزقيال [1015].

القديس جيروم

"فقال له اليهود:

ليس لك خمسون سنة بعد، أفرايت إواهم؟" [57]

"قال لهم يسوع:

الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إواهم أنا كائن". [58]

❖ لماذا لم يقل: "قبل أن كان إواهم أنا كنت" بل "أنا الكائن" ... يستخدم المسيح هذا التعبير ليعني استوار الكائن فوق كل زمان. لهذا حُسب هذا التعبير تجديفاً [1016].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ **was made** لتزونا الكلمات، ولتتعرفوا على السرّ. "قبل أن يكون (يُخلق) أنا كائن". لتفهموا أن "خلق" تشير إلى الخلق البشري، أما "أنا كائن" فتشير إلى الجوهر الإلهي. لم يقل: "قبل أن يكون (was) أنا كنت"، ذلك الذي لم يُخلق إلاّ بي أنا الكائن. ولم يقل "قبل أن يُخلق إواهم أنا خلقت"... لتميزوا بين الخالق والمخلوق [\[1017\]](#).

القديس أغسطينوس

[\[1018\]](#)

❖ "أنا كائن" في الحاضر، لأن اللاهوت ليس فيه ماضٍ ولا زمن المستقبل بل دائماً "كائن" إذ لم يقل: "أنا كنت قبل إواهم".

البابا غريغوريوس (الكبير)

" فرّوا حجوة لوجوه،

أما يسوع فاخفى وخرج من الهيكل،

مجتزا في وسطهم، ومضى هكذا". [\[59\]](#)

أنهم السيد بالتجديف، فحسوه مستحقاً للرجم حسب الشريعة (لا ٢٤: ١٦). كان لزاماً أن ينطلقوا خراجاً لوجهه، انطلق في وسطهم ولم يروه. فرقهم السيد في صمت، هكذا يدخل السيد المسيح القلب في صمت، ومن يرفض مملكته يفترقه في صمت. هكذا فرق الرب شمشون وهو لا يوري (قض ١٦: ٢٠).

[\[1019\]](#)

❖ كإنسان هرب من الحجوة، ولكن ويل لؤلؤ الذين هرب الله من قلوبهم الحجرية.

القديس أغسطينوس

❖ لماذا أخفي الله نفسه؟ إذ صار مخلصنا إنساناً بين البشرية يعلمنا بعض الأمور بكلماته، والأخرى بمثاله. ماذا يخونا بهذا المثال إلا أنه حيث يكون ممكناً لنا أن نقاوم يؤمننا في تواضع أن نتجنب غضب الكرياء. لذا يخونا بولس: "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب" (رو 12:19) لا يثور أحد ضد المقاومة الموجهة ضده. لا يرد الأذية بالأذية، الأكرم أن تقلد الله بالهروب في صمت من وجه الإهانة عن أن تتشغل بالرد عليها. أما المتكبرون فيتحدثون ضد هذه في قلوبهم: إنه عار عليكم أن لا تصمقوا حين توجه إليكم شتيمة لأنهم لا يظنون أنكم تظهرون صوتاً بل أنكم تعرفتم على الاتهام الموجه ضدكم. لكن هذا بالحقيقة يأتي من التصاق أفكارنا بالأمر السفلية، وحين نطلب المجد على الأرض لا نهتم بأن نسر الله الذي وانا من السماء [\[1020\]](#).

البابا غريغوريوس (الكبير)

ملحق الأصحاح الثامن

حول قصة المرأة الخاطئة

مع روعة ما تحمله هذه القصة من مفاهيم روحية، ومع تناغمها مع فكر المسيح وتصرفاته كما وردت في الأناجيل المقدسة إلا أن بعض الدارسين حسوا أن هذه القصة وإن كانت واقعية لكن ليس موضعها في إنجيل يوحنا، وحجتهم في ذلك:

ولاً: لم يذكرها بعض الآباء الأولين أثناء تفسيرهم للسفر، وإن كان البعض أشار إليها في كتاباتهم الأخرى. فقد تجاهلها كل من العلامة

أوريجينوس والقديسين يوحنا الذهبي الفم وكيريانوس.

[\[1021\]](#)

ثانياً : إن لغة القصة باليونانية تحوي بعض كلمات لم ترد في بقية السفر أو وردت ناوراً.

ثالثاً : ذكر اسم "الكتبة" مع الفريسيين، الأمر الذي لم يستخدمه الإنجيلي يوحنا في بقية السفر، كذلك ذكر جبل الزيتون وأن السيد كان يعلم وهو

غير أن بعض الدارسين يرون في القصة أنها ليس فقط أصيلة من حيث حوثها، وإنما من حيث موضعها في السفر، ويعللون ذلك بالآتي:
ولاً: وردت في تفاسير كثير من آباء الكنيسة الغربية مثل القديسين جيروم وأغسطينوس وأمبروسوس ، على أساس أنها وردت في النسخة اللاتينية الفولجاتا Volgate والتي تشير إلى أنها وجدت في كثير من المخطوطات اليونانية.

ثانياً: وجدت في أكثر من مخطوطة، خاصة النسخ اللاتينية، كما وجدت في النسخة الممفيسية Memphetic والأثيوبية والأرمنية.

ثالثاً: ورجع تحفظ بعض الآباء الشرقيين في التعرض لها وتفسوها أثناء تفسير إنجيل يوحنا، أنهم خشوا في ظروفهم وقد قبل بعض الوثنيين الإيمان أن يروا فيها تهلوناً مع خطية الزنا.

رابعاً: ورد هذه القصة بكلماتها في كتاب تعاليم الوصل [1022] أثناء الحديث عن قبول التائبين في الكنيسة والود على رفض توبة الزناة.

خامساً : أما من الجانب اللاهوتي الروحي، فقد جاء موقع القصة دقيقاً للغاية. إذ وردت بعد حديث السيد المسيح في اليوم الأخير من العيد حيث دعا العطاش ليشربوا من الماء الحي لتعوي من بطونهم أنهار ماء حي (يو ٧: ٣٧ الخ)، وقبل حديثه عن نفسه أنه نور العالم. فقد كشفت هذه القصة عن نور السيد المسيح في النفوس التي شربت من ملذات مياه هذا العالم فاستحقت الوجد، وصررت في موضع دينونة حتى من البشر، فرواها السيد بمياه الحب الإلهي لتصير عروس المسيح التي تتأهل لشوكة المجد، وكلازة بالتوبة، وشاهدة لعمل الشفيح العجيب! عاشت المرأة ماضيها في الظلمة، فاشتتت أن تموت لتدفن في قبر عوض رجمها، فأثوق النور الإلهي عليها، لتجد أحضان الآب تنتظرها!
حقاً صررت هذه المرأة تمثل البشرية البائسة التي صررت أسعد كائن في العالم بلقائها مع مخلص البشرية!

من وحي يو 8

لتشرق بنورك علي،

ولتحول محكمتي إلى عرسٍ أبدي!

❖ لتشرق بنور حبك على قلبي،

ولتدخل معي إلى محكمة الويسيين العنيفة،

عوض تقديمي للمحاكمة، تهينني للعرس الأبدي!

لم أعد أحشى قلوبهم الحجرية التي يلقونني بها لوجمي،

فإنك تسكب حبك الفائق في أعماقي!

ليس من محامٍ يدافع عني! أنت شفيعي ومخلصي وموِّح نفسي!

تمسك بيدي، وتدخل بي إلى حجالك، يا أيها القوس!

❖ رُاد العالم أن يُدينني، فأدان نفسه.

هب لي ألا أدين أحداً، فلا أسقط تحت دينونتك!

لأدن نفسي، فتبرّني بدمك، يا مخلص العالم!

أنت وحدك بروحك القوس تجدد حياتي،

أنت تُقيم من الزناة قديسين،

يا من غيّرت طبيعة الأتون إلى ندى للثلاثة فتية،
وطبيعة الأسود الجائعة إلى أصدقاء لدانيال النبي.

❖ أوصيتني ألا أعود إلى الخطية،
من يتم هذه الوصية بدون نعمتك.
إنها وصية إلهية، بل وعد إلهي تحقق في.
أنت نور العالم، أنت نوري.
إذ أسلك فيه، لا تقدر ظلمة الخطية أن تتسلل إليّ.

❖ أنت الينوع الذي يفيض في داخلي أنهار مياه حياة.
أنت نور العالم، تحوّل أعماقي إلى سواج منير!
أنت ابن الله، تهبني بروحك القوس روح البنوة.
تتقلني من العبودية إلى حرية مجد ولأد الله!

❖ كنتُ معوّبًا بانتسابي لإواهم أب الآباء،
ويلادتي لم أسلك كما سلك،
صوتُ عبدًا للخطية، وابنًا لإبليس المضلل.
صوتُ حورًا بلا إحساس روعي.
ها أنت تُقيم مني ابنًا لإواهم،
إنك تزع عبوديتي للخطية فأصير خادمًا للبر.
تتقلني إلى البنوة لله أبيك!
لأن بالحق أتهلل مع أبي إواهم بيوم مجيئك!
لك المجد يا واهب الحرية للجميع،
يا مصدر الفرح الحقيقي!
متى رأك وجهًا لوجه، فاجتمع مع كل آبائي كهروس مقدسة لك!

<<

الأصاحح التاسع

تفتيح عيني المولود أعمى

نور العالم

رأينا في الأصحاح السابق السيد المسيح يعلن لليهود أنه نور العالم (٨: ١٢). جاء لكي يفضح الظلمة ويبددها، فينزع السالكين فيها، ويحملهم إلى نور مجده. لقد صار أبناء إبليس (٨: ٤٤) يحتاجون إلى المحرر الحقيقي ليهبهم استنارة داخلية، ويتهللوا مع إواهم أبيهم بيوم الرب العجيب (٨: ٥٦). الآن وقد رأوا رجمه فاخفى عنهم ظهر لكي يهب البصر للمولود أعمى، ربما بعد أيام أو شهرٍ قليلة من الحوار السابق. كان يؤمهم أن يتلامسوا مع واهب البصر، ليبركوا أنه واهب البصوة أيضاً.

لم يرد في العهدين القديم والجديد تفتيح عيني مولود أعمى سوى في هذا الأصحاح، وقد ورد في العهد الجديد عن عطية النظر للعميان كأحد أعمال المسيا المنتظر: "ويسمع في ذلك اليوم الصم أفعال السفر، وتتنظر من القمام والظلمة عيون العمي" (إش ٢٩: ١٨)، "حينئذ تنفتح عيون العمي وآذان الصم تنفتح" (إش ٣٥: ٥)، كما قيل عن عبد الرب (الكلمة المتجسد): "أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك، وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيون العمي" (إش ٤٢: ٦-٧). ويسبح الموتل الرب قائلاً: "الرب يفتح أعين العمي" (مز ١٤٦: ٨).

وكان الإنجيليين وهم يشيرون إلى تفتيح أعين العميان، خاصة هذا المولود أعمى يعلنون تحقيق النوات خلال شخص يسوع بكونه المسيا المنتظر، الرب الذي يفتح الأعين الداخلية للقلب مع العيون الجسمية. فيه قد تحققت النوات، حيث تم أعمالاً لا يمكن أن يملسها غير الله نفسه، أو باسم الرب.

شفاء المولود أعمى يعلن عن شخص السيد أنه جاء يفتح البصوة الداخلية، لكي يتعرف المؤمنون على أسرار الله. وفي نفس الوقت يفضح عمى القيادات الوائبة المتعرفة التي لم تستطع أن تكتشف عماها الروحي وخطاياها!

مع أهمية هذه الآية الفريدة من جهة خلق عيني مولود أعمى إلا أن الإنجيلي لم يذكر لنا اسم الأعمى، ولا أورد تفاصيل كثيرة عنها إنما قدم الحورات المتبادلة بخصوص هذه الآية، خاصة أحاديث السيد المسيح مع التلاميذ ومع الأعمى نفسه كما مع الفريسيين. فإن ما يشغل ذهن الإنجيلي ليس إواز ما في الآية من عملٍ معزوي فائق، وإنما في تمتع البشوية بعمل المسيح الإلهي في حياتهم وأفكرهم.

لقد استخدم الزاب في خلقة العينين ليؤكد أنه الخالق المخلص، أما طلبته من الأعمى أن يغتسل في بركة سلوام ليؤكد الحاجة إلى مياه المعمودية لننعم باستنارة الروح القدس خلال الميلاد الجديد. لقد طرد اليهود المتمتع بالاستنارة ليجد له موضعاً لدى السيد المسيح، مسيح المطرودين والمونولين. إن كان البعض من الشعب قد أترك عماه وأيضاً كثير من الأمم فإن هذين الفريسيين أفضل من الفريسيين الذين مع عماهم ادعوا أنهم مبصرون. بادعائهم هذا صلوا في غلوة بلارجاء، أما العشار والوانية فإذا اعترفا بعماهما انفتح أمامهما باب الرجاء ليتمتعاً ببصوة فائقة وينعما بالحياة الأبدية في المسيح يسوع.

خلال هذا العمل أمكن للبصوة أن تتزوج في معرفة شخص ربنا يسوع:

❖ إنسان يُدعى يسوع [11].

❖ إنه نبي [17].

❖ إنسان من عند الله [33].

❖ ابن الإنسان السموي [35].

❖ مستحق للسجود والعبادة بكونه الرب [38].

يقو هذا الأصحاح في "أحد التناصير" لأنه يرتبط بسر المعمودية، بكونها استنارة للبصوة الداخلية.

1. شفاء الأعمى 7-1.

- 2 . حوارات بعد الشفاء
- 3 . حوار بين الجوان والأعمى ٨ - ١٢ .
- 4 . حوار بين الفريسيين والأعمى ١٣ - ١٧ .
- 5 . حوار بين الفريسيين ووالدي الأعمى ١٨ - ٢٣ .
- 6 . حوار ثان بين الفريسيين والأعمى ٢٤ - ٣٤ .
- 7 . حوار بين المسيح والأعمى ٣٥ - ٣٨ .
- 8 . حوار بين المسيح والفريسيين ٣٩ - ٤١ .

1- شفاء الأعمى

" وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته". [1]

إن كان السيد المسيح قد اجتاز في وسط القيادات اليهودية واختفى منهم لأنهم حملوا حجرة لكي وجوه (٨: ٥٩)، زاه يجتاز بجوار أعمى مسكين يستعطي، فيتطلع إليه لا كما يتطلع الآخرون إليه، إنما بروح الحب والتوق. إنها صورة حية للسيد المسيح الذي رفضه اليهود المعترين بالهيكل، ليسير كما في الشوارع يطلب الأمم. إنهم عاجزون عن رؤيته لأنهم بلا نوات ولا شريعة إلهية ولا رموز؛ إنهم أشبه بالمولود أعمى، مكانه الطويق، فقير يستعطي في حالة يؤس. وكما يقول أيوب البار: "لم يعطي لشقي نور، وحياة لؤي النفس" (أي ٣: ٢٠).

لم يذكر الإنجيلي أين كان مجتازاً ولا إلى أين يذهب، لكنه إذ كان مجتازاً كحامل للآلام رأى هذا المولود أعمى. وكان فقيراً يستعطي، في مكان معين، حيث يقدم له بعض المحسنين عطاءً لكي يعيش.

كان معروفاً في المدينة أنه مولود أعمى، ولم يسأله الشخص ولا من هم حوله، ولا حتى تلاميذ السيد من أجل تفتيح عينيه، ربما لأنه لم يتوقع أحد حدوث ذلك.

تطلع إليه ربنا يسوع لكي يجده الأعمى المسكين، وكما جاء في إشعياء: "أصغيت إلى الذين لم يسألوا، ووجدت من الذين لم يطلبوني. قلت هأنذا لأمة لم تُسمى باسمي" (إش ٦٥: ١). بادر بالحب، فأحبنا قبل أن نعرفه، وكما يقول الرسول: "عرفتم من الله" (غلا ٤: ٩).

❖ إذ هو مملوء حباً نحو الإنسان، مهتم بخلصنا، ويريد أن يبيكم أفواه الأغبياء لم يتوقف عن العمل من جانبه مع أنه لم يوجد من يبالي به. وإذ يعرف النبي ذلك قال: "كي تنبهر في أقوالك وتغلب إذا حوكت" (مز ٥١: ٤). لذلك هنا عندما رفضوا كلماته السامية، قائلين أن به شيطان، وحاولوا قتله، ترك الهيكل وشفى الأعمى، مُسكناً من ثورتهم بغيابه، وصانعاً المعجزة ليهدئ من قسوتهم وعنفهم، مثبتاً الحقائق. صنع معجزة غير عادية، بل حدثت لأول مرة. يقول الذي شُفي: "منذ الدهر لم يُسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى" [٣٢]. ربما فتح البعض أعين عميان، أما مولود أعمى فلم يحدث قط. أما بخروجه من الهيكل تقدم للعمل عمداً فواضح من هذا، أنه هو الذي رأى الأعمى، ولم يأت الأعمى إليه. بغوة تطلع إليه، وقد أترك تلاميذه هذا [1023].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذا الأعمى (يو 9) هو الجنس البشري، لأن هذا العمى وجد له موضعاً في الإنسان الأول بالخطية، هذا الذي نحن جميعنا نلنا أصلنا، ليس من جهة الموت فحسب، بل ومن جهة الشر. فإن كان عدم الإيمان هو عمى، والإيمان استنارة، فمن وجده المسيح مؤمناً عند مجيئه؟ فإن ذاك الرسول الذي تنتسب نفسه لعائلة الأنبياء يقول: "كنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً" (أف ٢: ٣). ... فإن كان الشر قد وجد له جنوره فينا، فإن كل إنسان ولد

[1024]

أعمى ذهنيًا. لأنه إن كان وى فعلاً، فلا يحتاج إلى قائد. وإذ كان يحتاج إلى من يقوده وينوّه، فهو إذن أعمى منذ مولده .

القديس أغسطينوس

"فسأله تلاميذه قائلين:

يا معلم، من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟" [2]

خرج السيد المسيح من الهيكل (يو ٨: ٥٩) ، وكان في رفقته تلاميذه الذين لم يتكوه في تجربته، فتمتعوا بالتعريف عليه، ونالوا خوات جديدة فائقة. لاحظوا أن عينيه تتطلعان إلى الأعمى المسكين، ولم تكن نظرات عادية، بل نظرات عمل مملوءة حبًا. فتحوّلت نظراتهم هم أيضًا إلى المولود الأعمى، وعض السؤال من أجله لشفائه قدموا استفسرًا عن علة ميلاده أعمى.

❖ إن قلت: من أين جاؤا بهذا السؤال؟ أجبتك: لما شفي السيد المسيح المفوج قبلاً قال له: "ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضًا لئلا يكون لك أشر" (يو 5: 14). فإذ خطر ببالهم أن ذلك قد أصاب الفالج جسده لأجل خطاياهم، إلا أن هذا القول لا ينبغي أن يُقال عن هذا الأعمى، لأن من مولده هو أعمى. فهل أخطأ والداه؟ ولا هذا القول يجوز أن يُقال، لأن الطفل لا يتكبد العقوبة من أجل أبويه... لقد تحدث التلاميذ هنا لا ليسألوا عن معلومات قدر ما كانوا في حيرة [1025].

القديس يوحنا الذهبي الفم

كان القول اليوناني (المنسوب للربيين) المشهور: "ليس موت بدون خطية، ولا ألم بدون شر". وقد حاول الربيون تووير ذلك بما ورد في حز ١٨: ٢٠؛ مز ٨٩: ٣٢. وقد ثبت هذا القول في أذهان اليهود، من بينهم تلاميذ السيد المسيح الذين لم يسألوا إن كان هذا العمى بسبب الخطية أم لا، ففي نظرهم هذا أمر لا يحتاج إلى سؤال أو مناقشة، إنما جاء السؤال عن أخطأ حتى حلت الكلثة العرعبة بهذا الشخص. ما لبك التلاميذ أنه كيف يكون قد أخطأ قبل ولادته حتى يُولد هكذا، ألعل هذا بسبب خطية والديه؟ وما ذنبه هو مادامت الخطية لتكبتها أحد الوالدين؟

لقد اعتقد البعض أن نفس الإنسان قد تكون أخطأت قبل أن تلتحف بالجسد، كما اعتقد العلامة أوريجينوس أن البعض يعانون آلامًا قبل أن يملسوا خطأ بعد ولادتهم. ولعل البعض اعتمد على المنطق البشري لتوير العدالة الإلهية، كيف يُولد أناس فقاء وآخرين أغنياء، أو يولد شخص حاد الذكاء وآخر ينقصه الذكاء، أو شخص قوي البنية وآخر مصاب بأمراض كثرة. هذا وقد اعتمد البعض على تأكيد إمكانية ارتكاب الخطأ قبل الولادة مما قيل عن يعقوب وعيسو وهما في الرحم: "وَوَاحِمِ الْوَلَدَانِ فِي بَطْنِهَا" (تك ٢٥: ٢٢).

وجاء في كتابات الربيين عما يحل بالأبناء بسبب أخطاء الوالدين. قال أحدهم في الوام الرجل ألا يحملق في امرأة: "من يتطلع إلى عقب امرأة سيولد له أطفال معوقين". وقال آخر أن هذا يحدث لمن يعاشر زوجته أثناء الطمث. وقال آخر أن من يملس العلاقات الزوجية أثناء وجود دم (فترة الطمث) سيكون له أطفال يعانون من مرض الصرع. وقد وردت أقوال مشابهة كثيرة تبرز في اقتناع الربيين بأن أخطاء الوالدين يُعاقبون عليها بتشوّهات خلقية في أبنائهم، يعاني منها الأبناء مدى الحياة.

هذا يوضح أن ما قاله التلاميذ لم يكن من وحي خيالهم، بل كان تعليمًا راسخًا في أذهان الكثير من اليهود خلال تعاليم الربيين وكتاباتهم.

يظن البعض أن التلاميذ سمعوا عن بعض الأفكار الفيثاغورية Pythagorean التي كانت تتادي بالوجود السابق للنفس. ولعل الفريسيون حملوا ذات الفكر عندما قالوا للمولود: "في الخطايا وُلدت أنت بجملتك" [٣٤].

تعتقد كثير من الشعوب الآسيوية في تناسخ الأرواح، ولا زال الهندوسية تهتم أن تحدد خطية الشخص التي ارتكبها حين كان في جسم آخر قبل ميلاده. اقتبس العلامة أوريجينوس عن كتاب العوانيين غير القانوني حديثًا ليعقوب يقول فيه: "أنا ملاك الله، أحد الوتب الأولى للأرواح. يدعوني الناس يعقوب، وأما اسمي الحقيقي الذي يعطيني الله إياه فهو إسرائيل. يعتقد أفلاطون أن الهواء مملوء بالأرواح، والبعض بسبب زعاتهم الطبيعية الحيوية يربطون أنفسهم بأجسام، والآخرون يبعضون مثل هذا الاتحاد".

" أجاب يسوع:

لا هذا أخطأ ولا أبواه،

لكن لتظهر أعمال الله فيه". [3]

عوض إدانة المولود أعمى أو والديه وجّه السيد المسيح أنظار تلاميذه إلى عناية الله الفائقة وخطته الخفية، فقد سمح بالعمى لكن يهب هذا المولود أعمى البصيرة الروحية، ولكي يشهد للحق الإلهي أمام القيادات اليهودية العنيفة وبمجد الله.

لم يقل السيد المسيح أن هذا الأعمى لم يخطئ، ولا أيضاً أبواه لم يخطئاً، فكل البشرية تسقط في الخطية. لكن ما يعاني منه هذا الأعمى ليس بسبب خطية معينة ارتكبها هو أو والداه. ما يليق بالتلاميذ كما بالمؤمنين أن ينشغلوا بأعمال الله وخطته نحو كل إنسان ليتمتع بالبصيرة الداخلية، ويتعرف على أسوار الله، وينال شوكه المجد الأبدي.

يد الله عاملة على النوام وسط الضيقات كما في الأوج، تحت كل الظروف الله يريد خلاصنا. فالمؤمنون لم ينالوا وعداً بالألا تحل بهم ضيقات أو آلام كغورهم من سائر البشر، إنما بالعكس يتوضون لضيقات أكثر. لكن ما يغزيهم هو إواكهم لخطة الله في كل شيء، وتمتعهم بالنعمة الإلهية التي لهم فيها كل الكفاية. هذا ما وعدنا به الله كما قيل لبولس الرسول: "تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل" (٢ كو ١٢: ٩).

لا يعرف المؤمن الشكوى وسط التجرب لأن عيناه مسمرتان على أوبة الله الحانية، وقلبه منفتح على إواك خطة الله نحوه.

❖ المسيح هو المخلص، بعمل الرحمة صنع ما لم يعطه في الرحم. الآن عندما لم يعط ذلك الأعمى عينين لم يكن ذلك عن خطأ فيه (الخالق) بالتأكيد، وإنما للتأجيل من أجل صنع المعجزة... " لا هذه أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه " ... إنه لم يعطه ما كان يمكنه أن يعطيه؛ إنه لم يعطه ما عرف أنه سيعطيه حين تكون هناك حاجة إلى ذلك.

لم يكن العمى بسبب خطية والديه ولا بسبب خطاياها هو " لكن لتظهر أعمال الله فيه "، فإننا نحن جميعاً حين وُلدنا كنا مرتبطين بالخطية الأصلية، ومع ذلك لم نُولد عمياناً. على أي الأحوال ابحت بحرص فإننا وُلدنا عمياناً. فمن لم يولد أعمى؟ أقصد عمى القلب. ولكن الرب يسوع الذي

خلق الاثنين يشفي الاثنين [1026].

القديس أغسطينوس

❖ قول السيد المسيح عن الأعمى: "لا هذا أخطأ ولا أبواه"، ليس مورثاً لأبويه من الخطايا، لأنه لم يقل على بسيط ذات القول: "لا هذا أخطأ ولا أبواه"، لكنه أكمل: "لكن لتظهر أعمال الله فيه". لأن هذا الأعمى قد أخطأ هو ووالداه، إلا أن عماه هذا ليس بسبب هذا. لأنه لا يجوز أن يُعاقب أحد إذا أخطأ آخر، فقد زال هذا الوهم بلسان حزقيال النبي إذ قال: " وكان إليّ كلام الرب قائلاً: ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على رُض إسرائيل قائلين: الآباء أكلوا الحنوم، وأسنان الأبناء ضرس. حي أنا يقول السيد الرب لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل. ها كل النفوس هي لي، نفس الأب كنفس الابن، كلاهما لي النفس التي تخطئ هي تموت" (حز 18: 4-1). هذا وقد قال موسى النبي: "لا يُقتل الآباء عن الأبناء، ولا يُقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيته يُقتل" (تث 24: 16).

فإن قال قائل: فكيف قال الرب لموسى النبي: "لأنني أنا الرب إله غير أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي" (خر 20: 5)؟ فنقول له: إن هذه القضية ليست كلية، لكنها إنما قيلت عن أناسٍ من الذين خرجوا من مصر، فالذي يقول هذا معناه: لما خرج اليهود من مصر وصلوا بعد رؤيتهم آيات وعجائب أشر من والديهم وأجدادهم الذين لم يشاهنوا مثل هذه العجائب، سيقاسون المصائب نفسها التي قاساها أولئك إذ قد تجاسروا على هذه الأعمال نفسها.

❖ يقول هذا ليس كمن يشير إلى أنهم لم يخطئوا، فإن كل من هذا الإنسان ووالديه قد أخطأوا، لكن عماه ليس بسبب هذا... وإنما لكي يُعلن مجد الله فيه. يقول قائل: لماذا يعاني من أجل مجد الله؟ أي ظلم، أخونني؟ فإنه ماذا لو أن لم يخلقه نهائياً؟ لكنني أقول: لقد نال نفعاً بعماه، إذ نال شفاءً لبصيرته

الداخلية. أي نفع لليهود بأعينهم إذ صلت دينونتهم أعظم، فإنهم رأوا وكافوا عاجزين؟ أي ضرر أصاب هذا الرجل من عجزه، فإنه بهذا انفتحت عيناه؟ لذا فشور الحياة الحاضرة ليست شروراً، ولا الخوات هي صلاح. الخطيئة وحدها هي شر، أما العجز فليس شراً [1027].

القديس يوحنا الذهبي الفم

كتب القديس جيروم إلى كاستروتوس Castrutius of Pannonia يعوِّيه على عماء الجسدي:

❖ إذ أكتب إليك الآن أسألك ألا تتطلع إلى البؤى الجسدية التي حلت بك ظاناً أنها بسبب الخطية... أما زى أعداداً كبيرة من الوثنيين واليهود والهواطقة وأصحاب أفكار مختلفة يتبرغون في وحل الشهوة، ويسبحون في الدم في عنفٍ أكثر من الذناب المفترسة وكالحدأة الخاطفة، ومع هذا لم يحل هذا الوباء إلى مساكنهم؟ إنهم لا يصابون مثل غروهم، ويؤدون وقاحة ضد الله، ويوفعون وجوههم حتى إلى السماء. ومن الجانب الآخر نحن نعرف أن القديسين يصابون بأعراضٍ وآلامٍ وأعواز... إن ظننت أن عمالك سببه الخطية، وأن المرض الذي غالباً ما يستطيع الأطباء أن يشفوه شهادة على غضب الله، إذن فأنت تحسب اسحق خاطئاً، إذ أصيب بعمى كامل حتى خُدع، وهو يعطي الركة لمن لم يكن يود أن يعطيه. نتهم يعقوب بالخطية الذي اظلم نظره، فلم يعد رى إوايم ومنسى (تك 1:48)، مع أنه بعينه الداخلية وروحه النبوية استطاع أن رى المستقبل البعيد وأن المسيح قادم من السبط الملوكي (تك 1:49) [1028].

القديس جيروم

لا يليق بالمؤمن وقد أترك أسوار الله الفائقة أن يدين أحداً أو يحسب ما يحل بالآخرين عقوبة إلهية لخطايا خفية، إذ يستخف بهم حتى وإن كانت خطاياهم ظاهرة. لقد سقط اليهود في ذلك فحسوا البار، الذي بلا خطية، أنه يتألم ويُصلب عن شر أو تجديف لرتكبه. يقول المونث: "لأن الذي ضوبته أنت هم طوبوه، ويوجع الذين هرحتهم يتحدثون" (مز 69: ٥٦). ويقول إشعياء النبي: "نحن حسبناهُ مُصاباً مضرورياً من الله ومنذولاً، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبحُوه شُفينا" (إش ٥٣: ٤ - ٥).

"ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني مادام نهار،

يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل". [4]

كانت لحظات حاسمة حين تطلع رب المجد يسوع إلى المولود أعمى. إنها ليست لحظات لشفاء عيني المولود أعمى فحسب، وإنما للكشف عن شخص السيد المسيح أنه نور العالم واهب البصوة الداخلية، ومع هذا لم يستطع أحد أن يكتشف ما وراء هذا العمى. لم يكن ممكناً حتى تلك اللحظات لتلاميذ السيد المسيح أن يؤلوا ويفهموا كتاب العناية الإلهية، لكنه جاء الوقت فيما بعد لإبواك هذا السرّ الإلهي، وللتعرف علي العمل الإلهي الفائق. إنه لم يتقدم للعمل لإبواك قوته على صنع عجائب، وإنما ليمرس أعمال أبيه الذي أرسله. لم يقل أمرس الأعمال التي أموني بها أبي، وإنما يمرس ذات أعمال أبيه. ويلاحظ هنا الآتي:

ولاً : جاء إلى العالم لمهمة عمل، يحقق رادة أبيه في طاعة كاملة كابن الإنسان، وهي ذات رادة الابن. لهذا فمن يطيع، إنما يشرك مسيحنا بطبيعة الطاعة.

ثانياً : يمرس ذات عمل الأب، وهذا ما يؤكده السيد المسيح في إنجيل يوحنا في وحدة العمل الإلهي، كما سزى في عبارات قادمة واضحة.

ثالثاً : بروح الحب للبشرية والطاعة والوحدة مع الأب يجد مسوة في تحقيق هذا العمل، بل والتوام محبة، إذ يقول: "ينبغي أن أعمل".

رابعاً : يعمل مادام نهار قبل أن يتحرك اليهود بالحقد والكراهية لقتل السيد المسيح. فرة خدمته هي فرص للعمل الظاهر حتى وإن كان الوقت

سبباً. هذه دعوة لنا للتحرّك بالعمل، وانتهاز كل ساعات عمرنا لثلاثا ينتهي نهار عمرنا ولا نحقق رسالتنا. لقد وهبنا الله النهار للعمل (مز ١٠٤):

(٢٣-٢٢)، لذا يليق بنا ألا نلهو في نهار عمرنا ولا نفسه، بل نجاهد في طاعة الله أبينا حتى متى حل المساء صار لراحتنا.

خامساً : يدعونا نحن أيضاً أن نعمل به ومعه، وكما يقول الرسول: "العاملان مع الله" (١ كو ٣: ٩). ففي العمل معراحة وكرامة ومجد،

نشترك معه في العمل مادما في الحياة قبل أن يحل الليل.

❖ ماذا تعني تلك الكلمات؟ ما هي النتائج الموثبة عليها؟ كثرة. لأن ما يقوله هو نوع من هذا: مادام نهار حيث يمكن للشعب أن يؤمن بي، مادامت هذه الحياة لآلت قائمة يؤمني أن أعمل. يأتي ليل، بمعنى أنه في المستقبل حيث لا يقدر أحد أن يعمل. لم يقل: "أنا لا أقدر أن أعمل"، بل "لا يقدر أحد أن يعمل"، بمعنى أنه لا يعود يوجد إيمان ولا أعمال ولا توبة [1029].

❖ لماذا دعا بولس هذه الحياة "ليلاً"؟ (رو ١٣: ١٢) وهنا دعاها السيد "نهلاً"؟ إنه لا يتحدث بما يعرض المسيح، إنما يقول نفس الشيء، وإن كان ليس في الكلمات لكن في المعنى. إنه يقول: "قد تناهى الليل وتقلب النهار". دعا الوقت الحاضر ليلاً، لأنه يقونه بالنهار المقبل. دعا المسيح المستقبل "ليلاً" لأنه لا يوجد مكان لأعمال التوبة والإيمان والطاعة في العالم المقبل إن أهملت خطية ما هنا. أما بولس فيدعو الحياة الحاضرة ليلاً، لأن من يستمر في شوه وعدم إيمانه فهو في ظلمة. فإذا توجه الحديث إلى المؤمنين قال: "قد تناهى الليل وتقلب النهار"، إذ يؤمهم أن يتمتعوا بذلك النور؛ إنه يدعو الحياة القديمة ليلاً. "فلنخلع أعمال الظلمة، ونلبس أسلحة النور" [1030].

القديس يوحنا الذهبي الفم

هكذا إذ يوجه السيد المسيح حديثه إلى غير المؤمنين يحسب حياتهم هنا نهلاً إن قرنت بحياتهم في العالم المقبل. الآن وقت يمكن لهم أن يتمتعوا بنور شمس البر في أعماقهم بالإيمان الحي والتوبة الصادقة؛ أما في العالم العتيد فتحيط بهم الظلمة، حيث لا مجال للرجوع إلى المخلص وتقديم توبة. أما الرسول بولس فيوجه حديثه إلى المؤمنين حاسباً حياتهم الماضية ليلاً حيث كانوا يسلكون في أعمال الظلمة، وقد حان وقت الرجوع إلى العالم المقبل حيث يتمتعون بنور المسيح الأبدي، الذي أمامه تحسب الحياة هنا أشبه بليل دامس.

❖ يا أخوة، إن وضعنا في الاعتبار عقوبتنا الموروثة، فالعالم كله أعمى. وقد جاء المسيح واهب الاستئذنة، لأن الشيطان هو الذي يسبب العمى. لقد جعل كل البشرية مولودين عمياناً، ذاك الذي خدع الإنسان الأول. ليجروا نحو واهب الاستئذنة. ليجروا ويؤمنوا ويتقبلوا الطين الذي من البصاق... ليغسلوا وجوههم في بركة سلام... هوذا سلام، أغسل وجهك، اعتمد، حتى تستتير وتوى يا من كنت قبلاً لا ترى [1031].

❖ ولأنا: افتح عينيك لمن قال: "جئت لكي أعمال الذي أرسلني" (راجع يو ٩: ٤). الآن يقف الأريوسي في الحال ويقول: "هنا كما ترى لم يفعل المسيح أعماله هو بل أعمال الآب الذي أرسله"... هل هذه الأعمال ليست أعماله؟ ماذا يقول الذي هو نفسه سلام، المؤسل نفسه، الابن نفسه، الابن الوحيد، الذي تشكي له مقللاً من شأنه؟ ماذا يقول: "كل ما للآب هو لي" (يو ١٦: ١٥)... فإنه لم يقل: "كل ما للآب قد أعطاني". مع أنه حتى إن قال هذا يظهر أيضاً مساواته له... اسمع في موضع آخر: "وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي" (يو ١٧: ١٠). التساؤل ينتهي، فإن ما للآب والابن هو كما باتفاق واحد، فلا تدخل شقاقاً. ما يدعو "أعمال الآب" هي أعماله هو، فإن ما هو لك فهو لي... "لأنه مهما عمل ذاك فهذا يعمل الابن كذلك (وبنفس الطريقة)" (يو ٥: ١٩) [1032].

القديس أغسطينوس

يقدم لنا السيد المسيح نفسه مثلاً، بل ونائباً عنا، حتى متى اختفينا فيه نمرس ذات عمله بذات روحه. لم يكن محتاجاً إلى جهاد، لأنه يعمل عمل أبيه بكل مسوة داخلية بالرغم من المقاومة المستمرة ممن حوله. إنه ينبغي أن يعمل حتى خلال اتحادنا به، لا نكف عن الجهاد والشعور بالالتزام بالعمل قبل أن يحل بنا ليل الموت وينتهي نهار زماننا على الأرض.

"مادمت في العالم فأنا نور العالم". [5]

يعمل السيد المسيح مادام الوقت نهار، أي مادام يمكننا أن نتمتع بأعماله الخلاصية، لأنه إذ ينتهي النهار ويحل ليل القبر لا يمكن الانتفاع بعد بأعماله، حيث لا مجال لتوبتنا ورجوعنا إليه. في نهار حياتنا يشوق علينا بكونه "نور العالم"، شمس البر الذي ينير نفوسنا وأذهاننا وكل أعماقنا.

سبق فأعلن أن عمله هو إثواق نوره على الجالسين في الظلمة (يو ٨: ١٢)، فهو شمس البرّ واهب الاستنارة والشفاء خلال أشعة حبه أو تحت جناحيه. كراس للكنيسة يحول مؤمنيه إلى "نور للعالم" ليس لهم إلا أن يحتووا بنار الحب الإلهي من أجل الآخرين.

❖ قال هذا لنؤمن بأنه يتحدث عن التجسد، فإنه مادام هو إنسان. إنه في هذا العالم إلي حين، لكنه بكونه الله يوجد في كل الأمانة. يقول في موضع آخر: "هأنذا معكم كل الأيام وإلي كمال الدهر" (مت 28:20) [1033].

القديس أمبروسيو

❖ هنا يُظهر انه حتى بعد الصليب يهبر عاينته الحانية للأشوار، ويجذب كثيرون إليه. فإنه لا زال الوقت نهار [4]. ولكن بعد هذا فسقطتهم تمامًا. يعلن عن هذا بقوله: "مادمت في العالم فأنا نور العالم". (يو 9: 5). كما قال لآخرين: "مادام لكم النور آمنوا بالنور" (يو 12: 36) [1034].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الابن الوحيد الجنس هو نور ليس فقط للعالم، بل ولكل خليقة علوية [1035].

القديس كيرلس الكبير

❖ يُلقب "نور العالم" (يو 9: 5) لأجل عمله في إنارة العالم، الذي فيه هو النور.

ويُدعى القيامة إذ يزوع عن للذين يقتربون إليه بإخلاص ما هو ميت ويقوم فيهم خوة الحياة.

وبسبب أعمال أخرى دُعي "الواعي" (يو 10: 11، 12)، والمعلم (يو 13: 13)، والملك (ك 9: 9؛ مت 21: 2؛ يو 12: 15)، والسهم المختار (مز 44: 6؛ إش 49: 2)، والعبد (إش 3: 49)، بالإضافة إلى الشفيق والكفولة (1 يو 2: 1 - 2؛ رو 3: 25)، كما يدعى أيضًا اللوغوس، إذ يزوع عنا كل ما هو غير عاقل alogon، ويجعلنا بحق كائنات عاقلة نعمل كل شيء لمجد الله، حتى الأكل والشرب (1 كو 10: 31)، فنتم الأعمال العامة والكاملة في الحياة لمجد الله، وذلك بسبب التعقل. إن كنا بالشركة معه نقوم ونستتير، وأيضًا وعانا ويدبر حياتنا، فمن الواضح أننا أيضًا نصير عاقلين بطريقة إلهية عندما يحطم فينا كل ما هو ليس عاقل irrational وما هو ميت بكونه هو الكلمة والقيامة (يو 1: 1، 11: 25) [1036].

العلامة أوريجينوس

❖ ما هو ذلك الليل الذي متى حل لا يقدر أحد أن يعمل؟ اسمعوا ما هو هذا النهار، وعندئذ ستفهمون ما هو الليل... دعوه هو يخبرنا: "مادمت في العالم فأنا نور العالم" [5]. انظروا هو نفسه النهار. دع الأعمى يغسل عينيه في النهار، لكي يرى النهار... إذن سيكون ليل من نوع ما هو عدم

[1037]

معرفة الشخص لي؛ حيث لا يكون بعد المسيح هناك، فلا يقدر أحد أن يعمل.

❖ إنه ليل الأشوار، ليل أولئك الذين سيُقال لهم في النهاية: "ابعدوا إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته".

الآن يعمل الإيمان بالحب، فإن كنا الآن نعمل - فيكون الآن نهولًا - إذ المسيح حاضر هنا.

اسمعوا وعده، ولا تظنوا أنه غائب. إنه بنفسه قال: "ها أنا معكم". إلى متى؟ ليتنا لا نقلق نحن الأحياء؛ حيث هذا ممكن إذ نكون في أمان كامل

بكلمته في الأجيال القادمة.

إنه يقول: "هذا أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت 18: 20). يوجد وقت للعمل وآخر لنوال الأجرة، فإن الرب سيكافئ كل واحد حسب

أعماله (مت 16: 27).

مادمت تعيشون اعملوا... فسيأتي ليل موعب يغشى الأشوار في ثناياه. الآن كل غير مؤمن يموت يدخل في ليل، حيث لا يوجد عمل يمكن أن

يُفعل. في ذلك الليل كان الغني يحترق ويتألم ويعترف، لكنه لم ينل أيةراحة. لقد حاول أن يفعل صلاحًا إذ قال لإواهيم: "يا أبي إواهيم، أرسل لعازر

إلى اخوتي ليخوهم ما يحدث هنا، لئلا يأتوا هم أيضًا إلى موضع العذاب هنا" (راجع لو 16: 27-28).

[1038]

يا له من إنسان شقي! عندما كنت عائشاً كان وقت للعمل، الآن أنت في ليلٍ، حيث لا يقدر إنسان أن يعمل .

القديس أغسطينوس

"قال هذا وتفل على الأرض،

وصنع من التفل طيناً،

وطلى بالطين عيني الأعمى". [6]

طريقة شفاء المولود أعمى فريدة، فمن المعروف أن الطين يفسد العين السليمة، فكيف يصنع من التفل طيناً ليغطي به عيني المولود أعمى؟

ولماذا لم ينتظر ليشفيه خفية حتى لا تهيج القيادات الدينية؟ وأيضاً لم ينتظر حتى يعبر السبت ليشفيه؟

ولاً : يؤكد السيد المسيح أنه يتم عمله بحسب فكوه الإلهي وليس حسب رغبتنا ووسائلنا البشرية.

ثانياً : ما يشغله هو وهب الأعمى بصوراً لعينيه، وبصوة لقلبه، دون اهتمام بمقاومة القيادات اليهودية له.

ثالثاً : لم ينتظر حتى يعبر السبت، لأن السبت هو يوم الراحة، فتستريح نفس المسيح بالعمل الإلهي واهب الاستراحة والراحة للغير .

رابعاً : يقدم نفسه مثلاً ألا توجل عمل الخير إلى الغد، بل تنتهز كل فرصة لتسرع إلى عمل الخير لتلا لا توجد هذه الفرصة في الغد.

خامساً : صنع من التفل طيناً وطلا عينيه بيديه، ليؤكد أن سرّ القوة في المسيح نفسه، وفي عمل يديه. كل ما يصدر عن المسيح فيه قوة وحياة

واستترة، فإن يده قدرة.

[1039]

❖ لاحظوا أنه عندما أراد أن يشفيه زع عماه بأمر يزيد العمى، إذ وضع طيناً .

❖ أخذ تَاباً من الأرض وذلك بنفس الطريقة هو يخلق (آدم). حقاً لو أنه قال: "أنا هو الذي أخذ تَاباً من الأرض وشكل الإنسان"، لكان الأمر شاقاً

وبغيضاً على سامعيه أن يحتملوه. لكنه إذ أظهر الأمر خلال العمل الواقعي لا يقف شيء أمامه. لذلك إذ أخذ تَاباً ومزجه باللعاب يعلن مجده الخفي.

[1040]

فإنه ليس بالمجد الهين أن يؤمنوا أنه صانع الخليفة .

❖ إن سألت: لم لم يستعمل السيد المسيح ماءً في الطين الذي أصلحه، بل استعمل لعابه؟ أجبتك: لكي لا يُنسب الشفاء إلى الينوع، بل لكي تعرف أن

القوة الظاهرة من فمه هي التي أبدعت عيني الأعمى وفتحتها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1041]

❖ منحهم عينين جديدتين .

القديس بولينوس

❖ صنع العينين من الطين.

انبعث النور من التّاب،

وذلك كما حدث في البداية...

أمر النور، فُولد من الظلمة.

هكذا هنا أيضاً.

صنع طيناً بلعابه،

وقدم كمالاً لما كان ناقصاً في الخليفة، وذلك منذ البداية،

ليظهر أن ما كان في يديه هو أن يقدم كمالاً لما هو ناقص في الطبيعة...

وإذ كانوا لا يربدون أن يؤمنوا أنه قبل إواهم.

وهن لهم بالعمل أنه ابن ذاك الذي شكلت يده آدم الأول من التراب . [1042]

مار أفوام السرياني

❖ فإذ صنع من التفل طيناً أطلى بالطين أعيننا (يو 6:9، 7)، وجعلنا نبصر جلياً (مر 25:8) وفتح آذان (راجع مر 33:7-35) قلوبنا، حتى إذ صارت لنا آذان نسمع (راجع متى 11:15، 13:9). وإذ نشأت مرائحته الذكية (راجع أف 5؛ 2 كو 15:2)، مميزين اسمه كرائحة طيب مسكوب (نش 1:3، في 2) وإذ ذقنا ونظرنا ما أطيب الرب (1 بط 3:2، مز 34 [33]:8) وإذ لمسناه بتلك اللمسة التي يتحدث عنها يوحنا: "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (1 يو 1:1)، صار في إمكاننا حينئذ أن نذبح الحمل ونأكله، فن خرج بهذا من مصر . [1043]

العلامة أوريجينوس

"وقال له:

أذهب اغتسل في بركة سلوام الذي تفسوه موسى،

فمضى واغتسل وأتى بصوراً". [7]

سلوام : تدعى أيضاً شيلوه Siloo, Siloe, Shiloo، وهي عبلة عن ينوع كان تحت حصون أورشليم نحو الشرق، ما بين المدينة وجبل مياه قدرون. وي البعض أن سلوام هي بنفسها عين روجل الوردية في يش 15: 7؛ 18: 6؛ 2 صم 17: 17؛ 1 مل 1: 9. كانت مياه هذا الينوع تجمع في مخزن عظيم لاستخدام المدينة، وكان يصدر عنه مجرى ماء يغذي بركة بيت صيدا. كانت هذه البركة تستمد المياه من ينوع صادر عن جبل صهيون، فكانت مياه الهيكل "نهر سواقيه توح مدينة الله مقدس مساكن العلي" (مز 4: 4). إنها مياه حية شافية (جز 47: 9).

" الذي تفسوه موسى"، إذ الاسم مشتق من العبرية Shalach وتعني "أرسل"، إما لأنهم كانوا يتطلعون إلى هذا الينوع كعطية موسلة من قبل الله لأجل استخدام مياهه في المدينة، أو لأن مياهها كانت تُرسل خلال قنوات أو أنابيب إلى جهات متباينة. وي البعض أن الاسم يشير إلى نوة يعقوب ليهودا عن مجيء السيد المسيح من نسله: "حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع الأمم" (تك 49: 10)، فهي رمز للسيد المسيح المُرسَل من قبل الآب لإنارة النفوس وشفائها.

كان السيد المسيح يُدعى المُوسَل، إذ هو رسول العهد (ملاخي 3: 1)، ويكرر السيد في إنجيل يوحنا أن الآب قد أرسله. هكذا إذ يدعو الأعمى أن يذهب إلى بركة سلوام أو الموسل، إنما يدعو كل نفس تحتاج إلى الاستئذنة أن تذهب إليه، إذ هو المُوسَل الذي يطهر الإنسان من الخطية، ويشوق بنوره عليه، فيتمتع بالمعونة السماوية، ولا تعود للظلمة موضع فيه.

❖ كما أن المسيح كان الصخرة الروحية (1 كو 10: 4) هكذا كانت أيضاً سلوام الروحية . [1044]

القديس يوحنا الذهبي الفم

أبرز السيد المسيح طاعة هذا الأعمى، فمن جهة ترك ربنا يسوع المسيح الذي لم وه من قبل أن يصنع طيناً على عينيه دون أن يتذمر، أو حتى يتساءل كيف تُشفى عينان بالطين؟ ومن جهة أخرى أطاع وذهب إلى بركة سلوام واغتسل فيها، وربما سبق فاغتسل فيها ولم يتمتع بالبصر، وحتماً كثيرون اغتسلوا بمياه سلوام ولم يُسمع عن أعمى قد شُفي بمياهها. لقد أعلن السيد عن فضائل هذا الأعمى المسكين كيف أطاع في يقين وثقة وهنوء.

❖ لاحظوا فكر الأعمى، كان مطيعاً في كل شيء. إنه لم يقل: إن كان بالحق الطين واللعب يهيني عينين، فما الحاجة إلى سلوام؟ إن كانت هناك حاجة إلى سلوام فما الحاجة إلى الطين؟ لماذا هو يدهني (بالطين)؟ ولماذا يأموني أن أغتسل؟ إنه لم يفكر في مثل هذه الأمور. لقد هيا نفسه لأمر واحد وهو الطاعة في كل شيء لذلك الذي قدم له الأمر، وألا يفعل شيئاً مضاداً له . [1045]

القديس يوحنا الذهبي الفم

تمتع المولود أعمى بالبصر الذي لم يتمتع به قبلاً، وكأنه قد نال ميلاداً جديداً يختلف عن مولده السابق. بركة سلوام كانت تشير إلى مياه المعمودية التي تهب مع التطهير وغوان الخطايا استترة داخلية.

كانت المياه تشير إلى العصر المسياني أو مملكة بيت داود: "لأن هذا الشعب رذل مياه شيلوه الجليلة بسكوت... (إش ٨ : ٦).

عاد الأعمى بصوياً، رى ما لا يُرى، مسيحاً بكل كيانه ذاك الذي وهبه الاستترة. وكما قيل بإشعيا النبي: "صوت موابيك يرفعون صوتهم، يترنمون معاً لأنهم يبصرون عيناً لعين عند رجوع الرب إلى صهيون" (إش ٥٢ : ٨).

❖ يقول السيد المسيح للأعمى اذهب اغتسل في بركة سلوام، فإن قلت: لم لم يعمل السيد المسيح هذا العمل في الحال، بل أرسل الأعمى إلى بركة سلوام؟ أجبتك: ليعرف إيمان الأعمى، ولكي يُبكم مكابرة اليهود، ولأنه كان واجباً أن يبصوه كل من التقى به ذاهباً إلى البركة مشتملاً الطين على عينيه. إذ بهذا المنظر الغريب يجتذب الكل إليه، سواء الذين كانوا يعرفونه أو الذين لم يكونوا يعرفونه، فالكل يلاحظه بكل دقة. وإذ ليس من السهل أن يُعرف الأعمى بعد تفتيح عينيه (إذ تتغير ملامحه) لذلك جعل السيد أولاً شهوداً كثيرين بطرق مختلفة، وبالمنظر الغريب يلاحظونه بدقة... حتى لا يمكنهم بعد المعجزة أن يقولوا أن هذا ليس هو.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ غسل عينيه في تلك البركة التي تقسوها "موسل". إنه اعتمد في المسيح. لذلك إذ عمدته بطريقة ما فيها استترة، وعندما مسحه (بالطين) ربما جعله موعظاً [1046].

القديس أغسطينوس

رى القديس أغسطينوس في صنع الطين بالتقل إشارة إلى أن الكلمة صار جسداً [1047].

2 . حوارات بعد الشفاء

أ. حوار بين الجوان والأعمى

الجوان وهم شهود عيان لما حدث يعرفون الأعمى تمام المعرفة. بسبب عظمة المعجزة وعدم توقعهم لحدوثها، مروا بثلاث مراحل من الشك، وأجبت ثلاث تساؤلات:

المرحلة الأولى: تشككهم في الشخص نفسه [٨] فأكد لهم الأعمى أنه هو [٩].

المرحلة الثانية: من الذي قام بها؟ وكانت الإجابة: إنسان يقال له يسوع [١١].

المرحلة الثالثة: أين هو؟ وجاءت الإجابة: "لا أعلم" [١٢].

كان الأعمى دقيقاً ومخلصاً للغاية في إجاباته على الأسئلة الثلاثة قدر معرفته في ذلك الحين.

" فالجوان والذين كانوا يرونه قبلاً أنه كان أعمى قالوا:

أليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي؟" [8]

دُهِش جوانه فقد وُلد ونشأ في وسطهم، واعتادوا أن يروه أعمى، وغالباً ما كان يجلس مستعظياً في بؤس، الآن فجأة صار بصوياً، وصار بصوه كاملاً، يسير هنا وهناك متهللاً. ذاك الذي لم يكن قانراً على العمل بسبب عماءه ونفسيته المحطمة، ولم يكن والداه قانرين على إعالته لذا كان يستعطي وهو جالس في الطريق أغلب يومه. لقد تغيرت حتى لهجته، وكلماته، فعوض كلمات الاستعطاف لكي ينال صدقة، صلت كلمات تحمل تسييحاً وشكراً. هذا وقد تمت معجزة شفائه علانية، ولم تكن خفية! مع هذا فقد تشكك البعض في شخصه، وتضربت الأقوال، لأن شفاء مولود أعمى أمر

يصعب قبوله، بل ومستحيل حسب الفكر البشري.

❖ يا لحنو الله! أينما قول بحنوه العظيم شفى حتى الشحاذين، وهكذا أبكم اليهود، فإنه لم يأخذه في اعتباره الأشخاص المشهورين أو البارزين أو الحكام، بل الذين يبدو كمن لا يتأهلون لنوال نفس الوعاية. فقد جاء لخلاص الكل [1048].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"آخرون قالوا:

هذا هو،

وآخرون إنه يشبهه،

وأما هو فقال: "إني أنا هو". [9]

ربما الذين قالوا: "هذا هو" هم الذين عاينوا ما حدث معه، إذ تم كل شيء علانية، أما الآخرون فلم يصدقوا قائلين: "إنه يشبهه"، لأن تفتيح عينيه أعطاه شكلاً مغايراً تماماً عما كان عليه. ويقول "إني أنا هو"، يشهد أنه هو ذلك الذي كان قبلاً يستعطف حنو الناس الآن يتمتع بغنى نعمة الله الفائقة. ❖ لم يخز من عماء الأول، ولا خشي غضب الجمع، ولا استعفى من إظهار ذاته لينادي بمن أحسن إليه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقالوا له:

كيف انفتحت عينك؟" [10]

إذ شهد الأعمى أنه هو الذي نال نعمة الشفاء تساعل الجوان عن كيفية شفائه، لكي يتعرفوا على صانع المعجزة، ويبحثوا عنه. وكما يقول الموتل: "عظيمة هي أعمال الرب، مطلوبة لكل المسرورين بها" (مز ١١١ : ٢).

"أجاب ذلك وقال:

إنسان يقال له يسوع صنع طيناً وطفى عيني،

وقال لي: اذهب إلى بركة سلوام واغتسل،

فمضيت واغتسلت، فأبصرت". [11]

لقد قدم الحقيقة في بساطة حسب خبرته فقال: "إنسان يُقال له يسوع صنع طيناً...". لم يكن قد سبق فأى يسوع لكنه سمع عنه، وسمع صوته حين أوره أن يغتسل في بركة سلوام، لقد شعر بأنه وضع شيئاً على عينيه اكتشف بعد شفائه أنه طين، وأن يسوع قد صنعه بنفسه وطفى به عينيه.

❖ انظروا لقد صار مبشراً بالنعمة. انظروا إنه يركز بالإنجيل؛ إذ نال البصيرة صار معوقاً. صار ذلك الأعمى معوقاً، فاضطربت قلوب الأشوار، إذ لم ينالوا في قلوبهم ما ناله هذا في محياه [1049].

القديس أغسطينوس

"فقالوا له:

أين ذلك؟

قال لا أعلم". [12]

جاء سؤالهم الثاني: "أين ذلك؟" هل عن تشكك في شخص صانع المعجزة لأنه كسر الناموس وحرض على الكسر. فمن جانبه صنع طيناً وطفى به العينين، ومن جانب آخر أمر الأعمى أن يسير حتى البركة ويغتسل. وربما تساعل البعض كؤج من حب الاستطلاع ليروا أين ذلك القادر أن يفعل هذا، وربما وُجد من تساعل عن إخلاص ليلتقي به.

كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات؟

وكان بينهم انشقاق". [16]

خلق عيني الأعمى كان كفيلاً أن يبكم المقومين، لكن حدث شقاق في المجمع، فبعض الأعضاء الحرفيين في العبادة والمنشغلين بالمجد الباطل حسوه كاسواً للسبت، أو كاسواً للوصية الإلهية، وعض التمتع بشخص يسوع اضطهوه كمجرم: "هذا الإنسان ليس من عند الله". والفريق الآخر وأما في عمله حب فائق وتنفيذ للوصية، وأن الشفاء علامة صادقة على صدق رسالته. غير أن هذا الفريق كان يمثل قلة قليلة لا تستطيع الوقوف أمام الغالبية الثائرة.

في ختام كل تعليم أو معجزة غالباً ما كان يحدث انشقاق بين الجوع، وكان المقومون يحتكمون لدى الفريسيين كقضاة وأصحاب سلطة دينية. أما هنا فالانشقاق بين القضاة أنفسهم، وربما هذا أدى إلى تأجيل الحكم في أمر يسوع المسيح.

❖ يقول يوحنا البشير " وكان بينهم انشقاق " لأن بعضهم منعهم حبهم للوناسة عن المجاهرة بالسيد المسيح، وبعضهم أسكتهم جنبهم وخوفهم من الكثرين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لقد تعمد أن يشفي مفوج بيت حسدا في يوم سبت ويأمره أن يحمل سوره ويمشي (يو ٥ : ٨)، وأن يشفي المولود أعمى بصنع الطين وطلاء عينيه، فقد جاء في كتاب الجمرا [1051] أن من يضع نواءً داخل العين في يوم سبت يُحسب ذلك خطية، وأمره أن يذهب إلى بركة سلوام ليغتسل. وكما يقول لايتفوت Lightfoot أن يسوع المسيح كسر السبت من نواحٍ كثيرة. أما كان يمكن أن يحقق الشفاء في غير السبت، وبنون هذه الأعمال؛ فلماذا أصر على الشفاء في السبت؟ لقد فعل ذلك لإواز مفهوم السبت، إنهراحة في الرب، في ممرسة عمل الرب من حب ورحمة، وليس في حرفية قاتلة بالامتناع عن الأعمال اليومية الضرورية وأعمال المحبة.

❖ الذين طروه استمروا عمياناً، إذ أثروا اعتراضات على الرب أنه كان سبت عندما صنع طيناً من التفل وطلاء عيني الأعمى. فعندما شُفي الأعمى بكلمة، فتح اليهود باباً لإثارة اعتراضات...

لقد كسر الرب السبت (حرفياً) لكنه لم يكن مذنباً.

ماذا يعني قلبي: "لقد كسر السبت"؟ هو النور الذي جاء فزال الظلال. فقد فرض الرب الإله السبت. فرضه المسيح نفسه الذي كان مع الآب عندما أعطي الناموس، لقد فرضه كما في ظل لما يحدث بعد ذلك. "فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيقة" (كو ٢ : ١٦، ١٧)...

لماذا تبهجنا الظلال؟ افتحوا أيها اليهود أعينكم، فإن "الشمس" حاضرة.

"نحن نعلم" [٢٤]. ماذا تعلمون أيها العميان القلب؟ إن هذا الإنسان ليس من الله، لأنه لا يحفظ السبت" [١٦].

السبت أيها التعساء عينه هو الذي وضعه المسيح الذي تقولون عنه أنه ليس من الله. أنتم تحفظون السبت بطريقة جسدية، إنه ليس لكم ثقل المسيح على أعينكم، أنتم لم تأتوا إلى سلوام، ولم تغسلوا وجهكم وتستمروا عمياناً. إنكم عميان عن الصلاح الذي لهذا الأعمى الذي لم يعد بعد أعمى لا بالجسد ولا بالقلب... "لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون، ويعمى الذين يبصرون" [٣٩] [1052].

❖ بالأحرى لقد حفظ السبت، إذ كان بلا خطية. فإن هذا هو السبت الروحي، أن يكون الشخص بلا خطية.

في الحقيقة يا اخوة هذا ما حدثنا عليه الله عندما أمرنا بالسبت: "عملاً من الشغل (العبودية) لا تعملوا" (لا ٢٣ : ٨). الآن رجعوا إلى الدروس السابقة واسألوا ماذا يعني بعمل العبودية servile work، وأصغوا إلى الرب: "إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو ٨ : ٣٤) [1053].

القديس أغسطينوس

"قالوا أيضاً للأعمى:

ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك؟

فقال: إنه نبي". [17]

لقد ألقوا بالشباك أمام الأعمى لكي ينكر أن يسوع هو المسيح، حتى لا يتعرض للطرد من المجمع وربما للقتل.

بعد استفسارهم عن طريقة شفائه سأله عن وهبه الشفاء، ومارأيه الشخصي فيه، وفي تصرفاته. كانوا يضغطون عليه ليجيب ولو بالسلبية كما فعل والداه، فيقول أنه قدم معلوماته عن شفائه، وأنه يترك التقرير في يد القيادات الدينية ليحكموا. لكنه خيب آمالهم وكرّم واهب الشفاء. بحسب قانونهم الجديد حكموا عليه بالطرد ليكون مثلاً يُعتبر منه الآخرون.

كان هذا الأعمى مثل المرأة السامرية (يو ٤ : ١٩)، كلاهما ظنا أنه نبي قبل أن يتعرفا على حقيقة شخصه أنه المسيح "قنوس القديسين" واهب البرّ الأبدي. لقد بدأ النور يشوق في قلبه، في بصوته الداخلية كما أشوق في عينيه الجسديتين. بقوله: "إنه نبي" خشي الفريسيون من إواك ما ورد في سفر دانيال أن القادم بعد وفاة ثلاثة قرون والشعب في ظلمة بلا نبي من قبل الله خاتم الرؤى والنوآت، المسيح الأبدي الذي تنتظره كل الأجيال. "سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة، لتكميل المعصية، وتنظيم الخطايا، ولكفلة الإثم، وليؤتي بالبرّ الأبدي، ولختم الرؤيا والنوأة، لمسح قنوس القديسين" (دا ٩ : ٢٤).

❖ لاحظوا حكمة الرجل الفقير فقد تحدث بأكثر حكمة من جميعهم. قال أولاً: "إنه نبي" [١٧]. إنه لم يخش حكم اليهود والمعلّضين الذين هم ضد السيد، القائلين: "هذا الإنسان ليس من الله، لأنه لا يحفظ السبت" [١٦]. لقد أجابهم: "إنه نبي" [1054].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ج. حوار بين الفريسيين ووالدي الأعمى

"فلم يصدق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر،

حتى دعا أبوي الذي أبصر". [18]

يقصد بكلمة "اليهود" هنا السلطات الدينية، خاصة الفريسيين وأعضاء مجمع السنهريين. إنهم لم يصدقوا أنه وُلد أعمى، فاستدعوا والديه للتأكد أنه ابنهما، وأنه وُلد أعمى، لعلهم يجدون علة بها يقللون من شأن المعجزة أمام الشعب.

❖ لاحظوا بكم من الطوق حاولوا أن يطمسوا المعجزة بالظلمة ويؤيّلوها. ولكن هذه هي طبيعة الحق، بذات الوسائل التي يُهاجم بها من البشر، يصير الحق أقوى، ويشوق بذات الوسائل التي تُستخدم لطمسه [1055].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فسألوها قائلين:

أهذا ابنكما الذي تقولان أنه وُلد أعمى،

فكيف يبصر الآن؟" [19]

إذ لم يحتمل هؤلاء القادة نور الحق قدموا سؤالاً للوالدين في أسلوب يحمل عجرفةً وتهديداً، فلم يكتفوا بالشر، وإنما بثوا الرعب وسط الشعب لكي يشلّوهم جحودهم للمسيا ورفضهم للحق الإلهي.

❖ لم يقولوا: "الذي كان في وقت من الأوقات أعمى"، لكنهم قالوا: "الذي تقولان أنه وُلد أعمى"، فقلوا أن يقولوا: الذي جعلتهما أنتما أعمى.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" أجايبهم أبواه وقالوا:

نعلم أن هذا ابننا،

وأنه وُلد أعمى". [20]

لم يخجل والداه من الاعتراف بأنه ابنهما الذي بسبب الفقر مع العمى كان يستعطي، وإذ لم يكونا شاهدي عيان لشفاؤه تهربا من الإجابة عن كيفية إبصاره خشية طردهما من المجمع.

"وأما كيف يبصر الآن فلا نعلم،

أو من فتح عينيه فلا نعلم.

هو كامل السن أسأوه،

فهو يتكلم عن نفسه". [21]

حقًا لم يكونا شاهدي عيان، لكنهما حتمًا قد عوفا وتأكدا من ابنهما نفسه، أن يسوع هو الذي شفاؤه. استخدمنا الحكمة البشوية ففقدا نعمة الشهادة للسيد المسيح، وحرما من تقديم ذبيحة شكر وشهادة حق لصانع الخوات. خشيا البشر فنصبا شوكًا لنفسيهما ولابنهما، وكما يقول الحكيم: "خشية الإنسان تصنع شوكًا، والمتمكّل على الوب يُرفع" (أم ٢٩: ٢٥).

"قال أبواه هذا، لأتّهما كانا يخافان من اليهود،

لأن اليهود كانوا قد تعاهوا

أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع". [22]

الطود من المجمع يعني عزله عن جماعة المتعبدين ويسمى ذلك *nidui*، وهو أقل أنواع الحرومات عند اليهود. أما الأناثيما *cheram*، *anathema* فاستخدم ضد المسيحيين بعد القيامة.

كانت عقوبة الاعتراف ببسوع أنه المسيح هي الطود من المجمع، إذ يُحسب كمن قد رتد عن الإيمان اليهودي، فقول نفسه عن الجماعة، ويُحسب متورّدًا وخائنًا للقيادة الدينية. بطرده يترك الشخص أنه غير أهلٍ لكرامة الانتساب إلى شعب الله، وعزّه عن التمتع بامتيازات إسرائيل. لهذا الطود نتائج الخطوة: الحرمان من العبادة العامة مع الشعب، والتطلع إليه ككاسرٍ للشريعة، فيُحرم من ممارسة العمل التجري، كما يفقد حريته، وتُصادر ممتلكاته.

[1056]

❖ لم يعد الطود من المجمع بالأمر الشري. هم يُطرون والمسيح يستقبلهم.

القديس أغسطينوس

"لذلك قال أبواه:

إنه كامل السن أسأوه". [23]

❖ إذ سألوها ثلاثة أسئلة: هل هو ابنهما؟ وهل ولد أعمى؟ وكيف أبصر؟ اعترفا بإجابة سؤاليين فقط، وما ذكروا إجابة للسؤال الثالث، وفعلهما هذا صار من أجل الحق، حتى لا يعترف آخر إلا من نال الشفاء نفسه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

د. حوار ثان بين الفريسيين والأعمى

"فدعوا ثانية الإنسان الذي كان أعمى، وقالوا له:

اعطِ مجدًا لله،

نحن نعلم إن هذا الإنسان خاطئ". [24]

استدعوا الأعمى للمرة الثانية وتعاملوا معه بوقارٍ شديدٍ وتكريمٍ ليكسوه في صفتهم، قالوا له: "أعطِ مجدًا لله"، أي لتقسم باسم الله أن تتنطق بالحق. ثم حاولوا أن يملوا عليه لينطق بما يريدونه وهو أنه متظاهر كنبوي وأنه معتد على الناموس، فإنه بهذا يسوهم، فينال منهم كرامة. ووى البعض أن هذا إجراء ديني قانوني مؤداه أنه مزعم أن يصدر حكم خطير ضده، إي قطعه من شعب الله أو الحكم عليه بالموت. وكأنهم يشهدون الله عليه قبل قطعه أو موته.

لعلمهم بقولهم هذا عنوا هذا: "إنه رجل خاطئ وشوير، فأعطِ مجدًا لله بالأكثر، لأنه استخدم هذا الرجل أداة ليعمل به".

رأوا أن يتشبهوا ببشوع عندما حكم على عاخان بالرجم إذ سأله ولأ: "أعطِ مجدًا للرب" (يش ٧: ١٦)، وطلب منه ألا يخفي شيئًا عنه، بل يعترف بما فعله حيث صار "حرام في وسط إسرائيل".

سبق أن أعلن السيد المسيح مجاهرة: "من منكم بيكتتي على خطية؟" في حضوره لم يجسر أحد أن يتهمه، لكن من ورائه كانوا يقولون: "نحن

نعلم أن هذا الإنسان خاطئ" [٢٤].

❖ لم يقولوا للأعمى قولاً في ظاهره يخلو من الخجل بأن ينكر أن السيد المسيح أوأه، بل رأوا أن يخترعوا هذا الجحد بشكلٍ روع، لأنهم قالوا له: "أعطِ مجدًا لله" وفي قولهم هذا وقاحة ظاهرة.

إذ يقولون للأعمى عن السيد المسيح: "نحن نعلم إن هذا الإنسان خاطئ" أخاطبهم: كيف لم توبخوا السيد المسيح عندما قال: "من منكم بيكتتي على خطية؟" (يو 8: 46)؟! من أين عرفتم أنه خاطئ؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1057]

❖ ماذا يعني "أعطِ مجدًا لله"؟ اجحد ما قد نلته. فإن مثل هذا التصرف لا يمدد الله بل هو تجديف عليه.

القديس أغسطينوس

"فأجاب ذاك وقال:

أخاطئ هو لست أعلم،

إنما أعلم شيئًا واحدًا،

إني كنت أعمى والآن أبصر". [25]

لم يشغل هذا الفقير أن يسر القيادات الدينية ولا أن ينال منهم كرامة، إنما في بساطة نطق بالحق، فصار شاهدًا حقيقيًا لشخص السيد المسيح. كأنه يقول لهم أن شخصية من شفاني ليست موضوع حوار وجدال، فأنا في غنى عن هذا الجدال. عمله لا يحتاج إلى حوار، ما أعرفه أنني كنت أعمى والآن أبصر. هذه هي خوتي معه. أو كأنه يقول لهم إن كنتم تدعون أنه خاطئ، فهذا ما لا علم لي به، إنما ما أعرفه هو ثقتي فيه التي ترفض تمامًا ما تقولونه عنه. والخوة العملية هي أعظم وأقوى من الحوار النظري. هذه هي خوة المؤمنين الحية، وكما يقول الرسول بولس: "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب" (أف ٥: ٨).

رأوا تحويل عمل المسيح إلى حوارات تناقشها الجماهير فتتشغل بالحوار لا بالشركة الحية مع المسيح، أما المولود أعمى ففضل خوة الحياة الجديدة المستتوية عن الانشغال بمناقشات غبية.

❖ هل بالحق لم يكن الأعمى موتبًا؟ لم يكن هذا هكذا. فكيف ذاك الذي قال: "إنه نبي" [١٧]، يقول الآن: "أخاطئ هذا لست أعلم" [٢٥]؟

قال هذا ليس لأنه هكذا كان فكرة، ولا ليقنع نفسه بهذا، وإنما رغبة في تبرئة السيد من اتهاماتهم خلال شهادة الحقائق وليس بإعلانه هو عنه، حتى يجعل دفاعه قويًا عندما يشهد العمل الصالح نفسه ضدهم. لذلك بعد حديث طويل قال الأعمى: "لو لم يكن بولًا لم يقدر أن يفعل مثل هذه المعجزة"

[راجع ٣٣]، ثاروا وقالوا له: " في الخطايا وُلدت أنت بجملتك وأنت تعلمنا؟" [٣٤]. فلو أنه قال هذا من البداية أي شيء كانوا لا يقولونه؟ أو أي شيء كانوا لا يفعلونه؟

"أخاطئى هو لست أعلم" [٢٥] ؛ كأنه يقول: "لست أقول شيئاً في صالح هذا الشخص، لا أقدم تصريحاً عنه حالياً، لكن هذا بالتأكيد أعرفه وأؤكد أنه لو كان خاطئاً لما فعل مثل هذه الأمور".

هكذا حفظ نفسه بعيداً عن الشكوك، فلا تفسد شهادته، ولا يتكلم عن تحيز، بل يقدم شهادات خلال الواقع [1058].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقالوا له أيضاً:

ماذا صنع بك؟

كيف فتح عينيك؟" [26]

عابوا لاستجوابه بطريقة أخرى لعلهم يجدون في إجابته ما يناقض ما سبق فقله، فيجدون علة على السيد المسيح. رأوا أن يسألوه عن كيفية تفتيح عينيه لعله استخدم طريقة شيطانية. أما الشاب فضاقت نفسه من أسلوبهم غير اللائق، فلم يجب عليهم، بل رد السؤال بسؤال إن كانوا يريدون أن يتعلموا له، حاسباً نفسه أنه تلميذ يسوع.

"أجابهم: قد قلت لكم ولم تسمعوا،

لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً؟

ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟" [27]

جاءت إجابته تحمل روح الصراحة والشجاعة والشهادة الحية للسيد المسيح، كما جاء سؤاله لهم فاصلاً أن يختاروا أحد أمرين: التلمذة للسيد المسيح كما يتعلم هو على يديه، أو وقف الحوار معه. فإنه ليس من مجال الحوار.

❖ ماذا كانت إجابته؟ إذ غلبهم وأسقطهم لم يعد يتحدث في خضوعٍ لهم. إذ كان الأمر يحتاج إلى سؤال وحوار تحدث معهم بحذرٍ حتى يأتي بالوهان. وإذ غلب ونال نصرة فائقة تشجع ووطأ عليهم [1059].

❖ ألا ترون كيف يتحدث شحاذ بجوأة أمام الكتبة والفريسيين؟ هكذا الحق قوي والباطل ضعيف. إذ يتمسك أناس عاديون بالحق يصيرون مجدين، أما الباطل وإن استخدمه أقرباء يصيرون ضعفاء.

وما قاله هو هذا: "إنكم لم تلتفتوا إلى كلماتي، لهذا لا أعود أتكلم وأجيبكم بعد، إذ تسألونني بلا هدف، ولا ترغبون أن تسمعوا لتتعلموا، وإنما لكي تسيئوا إلى كلماتي" [1060].

❖ بقوله: "ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟" رتب نفسه في صف تلاميذ السيد المسيح، لأن قوله هذا واضح أنه صار تلميذاً للسيد المسيح. عندئذ سخر بهم وضايقهم جداً. فإذا كان يعلم هذا يضرب بهم بشدة. قاله لهم، لكي يوبخهم بقسوة شديدة. هذا عمل نفس شجاعة تعلق في الأعلى، وتحترق جنونهم، وتشير إلى عظمة هذه الكرامة (للتلمذة له)، إذ كان واثقاً جداً، وأظهر لهم أنهم يشتمون من هو مستحق للإعجاب، لكنه لا يبالي بشتمتهم إليه بل ما يقدمونه توبيخاً هو كرامة له [1061].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ماذا يعني قوله: "ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟" فمن جهتي أنا قد صوت فعلاً هكذا، أريدون أنتم أيضاً؟ إنني الآن رى، رى بدون رتياب [1062].

" فثتموه وقالوا:

أنت تلميذ ذلك،

وأما نحن فإننا تلاميذ موسى". [28]

إذ لم يستطيعوا مقاومة الحق لجأوا إلى لغة الشتيمة. وهذا ما يتوقعه كل من يلتصق بالحق. يقول السيد المسيح: "طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم، وقالوا عنكم كل كلمة شوية، من أجلي كاذبين" (مت ٥: ١١). حملوا قلباً مملوء بالكراهية ضد الحق الإلهي، قتالاً، فخرجت كلماتهم كطعن السيف (أم ١٢: ١٨؛ مز ٥٥: ٢١).

في استخفاف قالوا له: "أنت تلميذ ذلك". إذ لم يكن بعد قدرأه، ولا سمع لعظاته، لكنهم حسوه تلميذه لأنه يشهد له، أما هو فكان يعتز بأن يكون تلميذه.

كانوا يفتخرون بعلاقتهم بموسى النبي كمعلم لهم، فلا يحتاجون إلى معلم آخر، ولا يطلبون ذلك. سبق أن افتخروا أمام السيد المسيح أنهم أبناء إواهيم، والآن يعترفون بأنهم تلاميذ موسى، مع أنهم كانوا بأعمالهم وفكرهم غرباء عن إواهيم وعن موسى. لو كانوا بحق أبناء إواهيم لرؤوا معه يومه وتهللوا (يو ٨: ٥٦). ولو كانوا بالحق تلاميذ موسى لالتصقوا بالسيد المسيح الذي تتبأ عنه موسى، عوض مقاومته له.

"نحن نعلم أن موسى كلمه الله،

وأما هذا فما نعلم من أين هو". [29]

كأنهم يقولون: إننا متأكدون بأن خدمة موسى إلهية، لكن ليس لدينا أي دليل على أن هذا الشخص مدعو للخدمة، فكيف نترك موسى ونتبع شخصاً مجهولاً، غريباً عن الخدمة الإلهية؟ قدموا ما يبرر اعزولهم بموسى كمعلم لهم، أن الله كلمه، ولم يتركوا أن يسوع هو كلمة الله نفسه المتأنس. موسى كان العبد الأمين المؤتمن على بيت سيده، أما يسوع فهو الابن الوحيد الجنس صاحب البيت (عب ٣: ٥، ٦) الذي يخدمه موسى.

في سخوية قالوا: "وأما هذا فما نعلم من أين هو" [٥٩]. حقاً لم يعلموا وما كان يمكنهم أن يعرفوا من أين هو ما لم يفحصوا أسفار العهد القديم بنية صادقة، ويطلبون من الله أن يكشف لهم عن شخصه. لو فحصوا لأتركوا أنهم في الزمن الذي يأتي فيه المسيا المنتظر، لكنهم كأبائهم في عصر لميا النبي الذين لم يقولوا أين هو الرب" (إر ٢: ٦).

❖ لم يقولوا نحن سمعنا أن موسى كلمه الله" إنما قالوا "نحن نعلم" [٢٩]. أيها اليهود، هل أنتم متأكدون مما سمعتموه، إذ تعلمون هذا، بينما تحسبون ما تزونه أقل ثقة مما تسمعون؟ واحد لم تزونه بل سمعتم عنه، والآخر لم تسمعه وإنمارأيتوه [1063].

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1064]

❖ أهكذا تتبعون العبد وتعطون القفا للرب؟ فإنكم بهذا لستم تتبعون العبد، لأنه هو نفسه يقود إلى الرب.

القديس أغسطينوس

"أجاب الرجل وقال لهم:

إن في هذا عجباً،

أنكم لستم تعلمون من أين هو، وقد فتح عيني". [30]

دُش الأعمى لإحساسهم بأن يسوع غريب عن الخدمة الإلهية، وقد فعل ما لم يفعله موسى النبي، تفتيح عيني إنسان مولود أعمى. لقد عرفت المدينة كلها بالمعجزة، لأنه كان يستعطي وكثيرون من كل نواحي المدينة رؤوه وتيقنوا أنه أعمى طول الماضي، وها هو يقف ويسير شاهداً بعمل السيد المسيح الفائق.

إن كان الأعمى قد وجد عجباً في يسوع لأنه فتح عينيه بل وخلقهما وعايته وسلطانه الفائق، والآن يجد عجباً في هؤلاء القادة العميان أنهم

يجلسون على كرسي القضاء ولا يرون الحق الواضح، مع أنه قدم الحقائق التالية:

- ❖ فتح يسوع عينيه، هذه حقيقة عملية لا يمكن إنكارها.
- ❖ الله لا يسمع للخطاة (مز ٦٦: ١٨)، بينما هم يقولون أنهم يعلمون بأن هذا الإنسان خاطئ.
- ❖ الله يسمع للأتقياء الذين يعملون رادته.
- ❖ لم نسمع في تزيخ العالم أن أحداً فتح عيني مولود أعمى، لم يبق حتى موسى بمثل هذا العمل.
- ❖ إن كان يسوع ليس من عند الله كأنه بلا قوة.
- ❖ هكذا نصوا الفخ فوقوا هم فيه.
- ❖ "ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة،

ولكن إن كان أحد يتقي الله ويفعل مشيئته فلماذا يسمع". [31]

جاءت كلمة خطاة هنا في اليونانية *hamartooloon* لتعني الوثنيين غير المؤمنين يقابلها كلمة *theseebes* لتعني المتعبد لله. الله لا يسمع لمن يطلب بضمه أن يخلص بينما بقلبه وسلوكه مصمم على الالتصاق بالشر والتلذذ به.

❖ هنا أظهر ليس فقط أنه بلا خطية، وإنما أعلن أنه موضع سرور الله جداً، ويعمل رادته. فإذ دعوا أنفسهم "عابدي (متقي) الله" أضاف "ويعمل مشيئته". كأنه يقول: "إنه لا يكفي أن يعرف الناس الله بل يؤمهم أن يعملوا مشيئته" [1065].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بعيني الإيمان ترون هذا الأعمى إنه أعمى أيضاً (بالقلب) إذ تسمعونه يخطئ. سأخبركم فيم أخطأ هذا الأعمى.

ولاً إنه ظن في المسيح أنه نبي، ولم يعرف أنه ابن الله. لذا نسمعه يجيب من خلال خطاه، إذ قال: "نحن نعلم أن الله لا يسمع للخطاة" [٣١].
إن كان الله لا يسمع للخطاة، فأيرجاء لنا؟

إن كان الله لا يسمع للخطاة، فلماذا نصلي، ونعترف بسجل خطيتنا بالوقوع على الصدر؟

أيضاً أين ذلك العشار الذي صعد مع الفريسي إلى الهيكل (لو ١٨: ١٠)، وبينما كان الفريسي منتفخاً مستعرضاً استحقاقاته الذاتية، وقف بعيداً وبعينين متطلعتان نحو الأرض وقلعاً صوره معترفاً بخطاياها، قول هذا الإنسان المعترف بخطاياها من الهيكل مبرراً أكثر من الفريسي؟

إذن بالتأكيد يسمع الله للخطاة. لكن الذي نطق بهذه الكلمات لم يكن بعد قد غسل وجه قلبه في سلوام.

لقد عبر السرّ أمام عينيه، لكن لم يتأثر القلب ببركة النعمة.

متى غسل هذا الأعمى وجه قلبه؟ عندما جاء إليه الرب نفسه بعد أن طرده اليهود. إذ وجدته وقال له: "أتؤمن بابن الله؟" أما هو فقال: "من هو يا سيد لأؤمن به؟" لقد رآه فعلاً بعينه فهل رآه بقلبه؟ لا، لم يكن بعد قد رآه بقلبه. انتظروا فإنه سواه...

أجابه يسوع: "الذي يتكلم معك هو هو" [٣٧]. هل شك؟ لا، فقد غسل وجهه.

لقد تكلم مع "سلوام" التي تقسوها "الموسل". من هو الموسل إلا المسيح؟... هو نفسه سلوام. اقترب إليه الرجل الأعمى بقلبه، لقد سمع وآمن

[1066]

وسجد، غسل وجهه فأوى

القديس أغسطينوس

❖ في الخروج أيضاً الكهنة الذين يقربون إلى الرب الإله يؤمهم أن يتقدسوا لئلا يتوكلهم الرب (خر ١٩: ٢٢). وأيضاً الذين يقربون إلى مذبح القدس للخدمة لا يجلبوا معهم خطية لئلا يموتوا (خر ٢٨: ٤٣) [1067].

الشهيد كيريانوس

❖ إذ نضع هذه الأمور أمام أعيننا فبكل حرص وتقوى نهتم بذلك في سيامة الأساقفة، فيؤمننا أن لا نختار أحدًا إلا الكهنة الذين بلا عيب والمستقيمين الذين يقدمون ذبائح الرب بقداسة واستحقاق أمام الله. هؤلاء قادرون أن تُسمع صلواتهم هذه التي يقدمونها من أجل سلامة شعب الرب.

[1068]

الشهيد كيريانوس

"منذ الدهر لم يسمع أن أحدًا فتح عيني مولود أعمى". [32]

منذ بدء الأزمنة، قبل عصر الآباء والأنبياء لم يُسمع قط أن أحدًا ما - حتى موسى - قد فتح عيني مولود أعمى.

"لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئًا" [33].

قدم الأعمى نتيجة صادقة، وهي أنه لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئًا، لأنه ينوع كل صلاح. ليس من صلاح يمكن أن يتحقق بدونه.

"أجابوا وقالوا له:

في الخطايا وُلدت أنت بجملتك،

وأنت تعلمنا.

فأخروه خراجًا". [34]

كأنهم يقولون له: "ها أنت قد نلت جزاءً عادلاً، فجئت إلى العالم مشوهًا، بلا عيين، بسبب خطاياك السابقة، ولا تستحق أن تشرك المؤمنين

عبادتهم لله، فكيف تملس نور المعلم للقادة؟ ثم أصدروا أورا بحرماته من الشوكة في العبادة لله. إذ لم يكن لديهم القوة على الرد عليه، استخدموا

سلطانهم بحرماته وطرده.

احتقروه وأهانوه قائلين: إنك لست مثل كل إنسان مولود بالخطية، وإنما "أنت بجملتك وُلدت في الخطايا". أنت فاسد تمامًا، تحمل الفساد في نفسك

كما في جسدك، وها هي علامات الفساد قد انطبعت عليك بتشويه جسدك وحرمانك من البصر، هوذا الطبيعة نفسها قد وسمته بالفساد. ولعلم حسوا فوه

الشديد واستعطائه علامة من علامات الغضب الإلهي عليه بسبب خطاياهم.

استخفوا بكلماتهم وهم في دهشة: كيف يقف هذا الغبي الأعمى الذي يجهل حتى نور الشمس إذ لم وه من قبل والذي يجلس يستجدي أن يحتل

مركز المعلم بالنسبة لقادة الفكر والعلم؟

في كبريائهم رفضوا التعلم خاصة ممن هم أقل منهم رتبةً أو علمًا. مع أن الإنسان الصالح لن يأنف من أن يتعلم كل يوم حتى آخر نسمة من

نسمات حياته. يستطيع أن يتعلم حتى من الأطفال الصغار. رفض التعليم هو الغبوة عينها والجهالة!

إذ اقترب جدًا من ضماؤهم لم يحتملوه بل طروه، ولعلم طلبوا من الخدم أو الحرس أن يخرجوه ولو بالقوة.

إذ عجز القادة المتعلمون عن الحوار في تشامخ أصدروا الحكم بطرده خراجًا. أخرجوه لكنهم لم يغزوه عن الشوكة مع المسيح. ظنوه

غير أهلٍ للعضوية الكنسية اليهودية، ولم يبركوا أنه يتأهل للعضوية في جسد المسيح.

لم يبركوا أنهم بهذا ترتد عليهم الإهانة، فإنه إن كان حسب فكرهم قد وُلد بجملته في الخطايا لأنه وُلد أعمى، فما هو قد ويء من العمى، فيكون

من شفاه قادر على زع الخطايا وإلالتها؛ وهذا من عمل الله.

❖ سُجلت هذه الأمور لكي نقندي بها.

الرجل الأعمى، الشحاذ، الذي لم يكن بعد قدرأى السيد وقد أظهر حوأة باستقامة قبل أن يشجعه المسيح، ووقف في وجه كل القتل الممسوسين

من الشيطان، الثاؤين، الذين رَأوا بكل وسيلة أن يدينوا المسيح. فإنه لم يخضع لهم ولا أعطاهم القفا بل بحوأة أبكم أواهم، مفضلًا بالأحرى أن يُطرد

خرجًا عن أن يخون الحق.

كم بالأكثر يليق بنا نحن الذين نعيش زمانًا طويلًا في الإيمان ورأينا روايات المعجزات تتم بالإيمان، وتقبلنا بركات أعظم مما نالها هو، إذ انفتحت أعيننا الداخلية، وتعرفنا على أسرار لا توصف، ودعينا إلى كرامة عظيمة كهذه، أقول كم يؤمننا أن نظهر حوأة في الحديث مع الذين يتهمون المسيحيين، ونبكم أفواههم نون أن نخنع في ضعف.

[1069] يمكننا أن نفعل ذلك إن كانت لنا حوأة، وكنا مهتمين بالكتب المقدسة ونسمعها بغير إهمال .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ماذا يعني "بجملتك" هنا؟ حتى إلى عمى العينين.

[1070] لكن ذاك الذي فتح عينيه قد خلصه أيضًا بجملته، إنه سيمنحه القيامة عن يمينه ذاك الذي أثار ملامحه .

❖ عندما طرده استقبله الرب، فإنه قدر ما طرد صار مسيحيًا [1071] .

القديس أغسطينوس

هـ. حوار بين المسيح والأعمى

" فسمع يسوع أنهم أخرجوه خرجًا،

فوجده وقال له:

أتؤمن بآبن الله؟" [35]

واضح أن السيد المسيح كان كمن يبحث عنه ليجده. وجده حين طرده الفريسيون، وحرموه من حقه كعضو في شعب الله. وربما خشي والداه من إيوائه لئلا يكون مصوهم كمصوه. وجده إله المطرودين والمونولين وأب الأيتام وقاضي الأرمال، والمهتم بمن ليس لهم من يسأل عنه.

قوله: "أتؤمن بآبن الله؟" يعادل القول: "أتؤمن بالمسيح"، لأن هاتين السمتين لا تتفصلان (يو ١: ٣٤، ١٠: ٤٩؛ مت ١٦: ١٦؛ مر ١: ١).

رى القديس يوحنا الذهبي الفم أن السيد المسيح وقدرأى في الأعمى حبه للحق وشجاعته وهبه الشوق إليه قبل أن يعلن ذاته له [1072] . هكذا كل من يطلب الحق في جدية ولا يخشى الباطل يجتذبه الحق إليه بالحب ثم يعلن ذاته له.

❖ الذين يعانون من الأمور العويبة والشنائم بسبب الحق والاعتراف بالمسيح هؤلاء يكومون على وجه الخصوص...

لقد أخرج اليهود خراج الهيكل، ورب الهيكل وجده.

لقد عُول من الصحبة المهلكة، والتقى بينوع الخلاص.

أهانته الذين أهانوا المسيح، فكومه رب الملائكة.

هكذا هي مكافآت الحق.

ونحن أيضًا إن تركنا ممتلكاتنا في هذا العالم نجد ثقة في العالم العتيد.

[1073] إن صونا هنا في ضيق نجدراحة في السماء، وإن شُئنا من أجل الله نُكوم هنا وهناك .

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجاب ذاك وقال:

من هو يا سيد لؤمن به". [36]

واضح أنه لم وه من قبل، وإن كان قد سبق فسمع صوته عندما أوره بالذهاب إلى بركة سلوام ليغتسل. لقد أكتشف أنه هو الذي شفاه فأمن به.

لم نسمع عن حوار تم بين السيد المسيح والأعمى قبل شفائه، كما حدث مع مفلاج بيت حسدا. يبرر البعض ذلك بأن الأعمى لم يكن بعد قدرأى

المسيح، وربما بسبب قوه الشديد وانشغاله بالاستعطاء لم يتحدث معه أحد عن السيد المسيح وأعماله الفائقة. لهذا لم يقل له السيد: "أريد أن توأ؟" كما قال للمفلوج. حينما حُرّم الأعمى من الصداقات البشرية وعانى من الشعور بالنقص كما بالشعور بالغرلة، جاءه السيد المسيح يشبع احتياجاته، ويملاً أعماقه بالحب الإلهي.

يؤكد البعض عدم إيمان الأعمى ليس عن عمدٍ، وإنما عن عدم وجود فرصة للسمع عنه والالتقاء به. لهذا بعدما شفاه السيد، وبعد حورات كثرة تمت حوله وبعد طرده خلجاً وجدّه يسوع وسأله: "أتؤمن بابن الله؟" [٣٥] ، وجاءت إجابته تكشف عن شوقه للإيمان: " من هو يا سيد لأؤمن به؟" [٣٦].

❖ قال الأعمى للسيد المسيح: "من هو يا سيد لأؤمن به" ، لأنه لم يكن بعد قد عرفه على الرغم من أنه قد استمد منه الشفاء، لأنه كان ضرورياً قبل أن يجيء إلى المحسن إليه. ولم يقل الأعمى للسيد المسيح في الحال "أؤمن"، لكنه خاطبه على سبيل السؤال، فقال له: "من هو يا سيد لأؤمن به؟" هذا قول نفس تائقة مبتغية إياه جداً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقال له يسوع:

قدرأيته،

والذي يتكلم معك هو هو." [37]

لا يحتاج أن يذهب الإنسان بعيداً ليلتقي معه، فإنه قريب جداً. وكما يقول الرسول بولس: "لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء، أي ليحدر المسيح، أو من يهبط إلى الهاوية، أي ليصعد المسيح من الأموات، لكن ماذا يقول: الكلمة قريبة منك" (رو ١٠: ٦-٨). فتح السيد المسيح عينيه لكي ينظر إليه الأعمى وواه. إن كان تفتيح العينين قد أبهجا هذا الأعمى، فإن رؤيته لابن الله أعظم جداً من تمتعه بالعينين الجسديتين. رؤيته لابن الله أبهجت قلبه أكثر من كل أنوار العالم. وها نحن بالإيمان نتمتع بالبصوة الداخلية، فننعم بروية السيد المسيح، ونترك سوّه كابن الله الوحيد الجنس. حقاً يستطيع أن يتوهم مع الموتل قائلاً: "بنورك يارب نعاين النور" (مز ٣٦: ٩).

"فقال أومن يا سيد وسجد له." [38]

بقوله "أومن" "عني" "أومن أنك المسيا"، مقدماً دليلاً على صدق إيمانه، أنه سقط وسجد أمامه. لم وه من قبل، ووجد مقاومة شديدة ضده من السلطات الدينية، لكنه إذ اختبر بنفسه تفتيح عينيه آمن بلاهوته وسجد له، ممجداً إياه كمخلص له. لقد انفتحت بصيرته الداخلية، وتعرف على أسرار إلهية لم يكن ممكناً لأعضاء مجمع السهريين أن يركوها ويؤمنوا بها.

آمن الأعمى واعترف بالسيد المسيح، ولم يكن محتاجاً إلى حوار، إذ تمتع بعمله الإلهي العجيب وبالبصوة الروحية. آمن بقلبه واعترف بلسانه أمام الرب والناس، حتى أمام المقومين. هكذا صلت القصبه المروضه شجرة مغروسة على مجري الروح مملوءة ثورا.

"سجد له" ، إذ لم يقدم له توكيماً كما لإنسان ليعبر عن شكوه له، لكنه قدم له سجوداً لائقاً بالعبادة لله. هكذا عبّر عن إيمانه بالشهادة العلنية نون خوف، والعبادة لله بروح التواضع. لم يرو لنا الإنجيلي يوحنا لنا شيئاً عن هذا الأعمى بعد هذا السجود، إنما ما هو واضح من قول السيد أنه صار مبصواً، يتبع النور ويحيا فيه.

سجد الأعمى أمام السيد المسيح، غالباً في حضرة الويسيين؛ عندئذ قدم السيد المسيح أمامهم تعليقاً عما نشره خدمته الإلهية في هذا العالم. ويظن البعض أن هذا الحديث جاء في لقاء آخر مع الويسيين ليس بعد سجود الأعمى مباشرة.

جاء إلى العالم كمخلص وليس كديان، لكن إذ يرفض الأثوار غير المؤمنين عمله يسقطون تحت الدينونة. خدمته الإلهية أقامت من البشرية فريقيين: فريق يعترف بعماه فيؤمن ويقبل النور، وآخر يظن أنه مبصر فيرفض الإيمان ويبقى في ظلمته، وتصير أعمال المسيح دينونة عليهم. هكذا ينقسم

العالم إلى مؤمنين وغير مؤمنين، وهذا هو الخط الواضح في أكثر أحاديث السيد المسيح في هذا السفر. صلت أعمال المسيح الخلاصية أو إنجيله حياة لحياة، ويحمل رائحة موت لموت. أشوق على الأمم نور عظيم يهبها حياة وأطلقها من الأسر (إش ٦١: ١)، وأصيب إسرائيل في كويائه بالعمى فألقي بنفسه في داوة الموت.

❖ الآن في النهاية بوجهه الذي اغتسل وضموه الذي تطهر عرفه ليس فقط ابن الإنسان كما اعتقد قبل ذلك، بل ابن الله الذي أخذ جسدنا. "فقال: أومن يارب..." [1074]

القديس أغسطينوس

و. حوار بين المسيح والفريسيين

"فقال يسوع:

لدينونة اتيت أنا إلى هذا العالم،

حتى يبصر الذين لا يبصرون،

ويعمى الذين يبصرون." [39]

إنها لحظات عجيبة شددت أنظار الواقفين، سواء التلاميذ أو الجوع أو بعض الفريسيين، فقد سجد الأعمى عند قدمي ربنا يسوع يعلن إيمانه به أنه ابن الله. أقول أنه مشهد سحب أنظار السمائيين وهم يرون إيمان هذا الإنسان الصادق مع نفسه ومع مقاومة أعلى درجات القيادة الدينية للحق. إنه منظر يوح قلب السيد المسيح، ليس لاحتياجه إلى من يشهد له، ولكن لأنه يود أن يتمتع الكل بالنور السموي.

لقد سبق فأعلن السيد أنه ما جاء إلى العالم ليدينه بل ليخلصه (يو ٣: ١٧). لكنه إذ يشوق بنوره على الجالسين في الظلمة بنوره يصير المستبصرين علة دينونة للذين أحوا الظلمة أكثر من النور (يو ٣: ١٩). إنهم يدينون أنفسهم بأنفسهم، لأنهم حتى يتعثرون ويسقطون في الحفرة، إذ هم "عميان قادة عميان" (مت ١٥: ١٤).

نال الأمم الذين جلسوا في الظلمة زماناً نور المعرفة والبصوة الحقيقية. أما اليهود الذين تظاهروا أنهم أبناء النور وأصحاب المعرفة الروحية، وأساعوا استخدام طول أناة الله ورحمته، ففقدوا خلاصهم الذي رذوه، وأصابهم عمى روحي. استطاع الأعمى الأمي أن يتعرف على أسرار إلهية، بينما الفريسيون أصحاب المعرفة جهلوا هذه الأسرار. لم يوق الأعمى الكتاب المقدس، ربما سمع في بساطة وإخلاص بعض العبارات الكتابية والقصاص الخاصة بتزيخ الخلاص. أما هم ففحصوا الكتب وحفظوا عبارات عن ظهر قلب وتمسكوا ببعض التفاسير، لكن عملهم هذا لم يكن عن إخلاص في معرفة الحق، لذا لم يتأهلوا لإلواك الأمور الواضحة عن المسيا.

سرّ عماهم أنهم يظنون في أنفسهم أنهم مبصرون: يعرفون موسى وأنهم تلاميذ له، يعرفون السبت ويحفظون شريعته، كما يعرفون أن الأعمى قد ولد بجملته في الخطية.

❖ تحذير خطير! يبصر الذين لا يبصرون [٣٩]،

حسناً! إنه عمل المسيح، إعلان قوة الشفاء!

ولكن ما هذا الذي تضيفه يا رب؟ "يعمى الذين يبصرون" [٣٩]؟ إنهم اليهود. هل يرون؟ حسب كلماتهم إنهم يبصرون؟ وبحسب الحق لا يبصرون.

ماذا إذن "يبصرون"؟ إنهم يظنون أنهم يبصرون، يعتقدون هذا. إذ ظنوا أنهم يصونون الناموس ضد المسيح... هؤلاء الذين لا يعرفون بعماهم تقسوا بالأكثر... بالحقيقة قد تم القول "يعمى الذين يبصرون"، فإن المدافعين عن الناموس، الأساتذة في الناموس، معلمي الناموس، فاهمي الناموس، صلوا واضع الناموس.

يا للعمى الذي حصل جزئياً لإسوائيل (رو ١١ : ٢٥). ماذا يعني " يبصر الذين لا يبصرون "؟ "إلى أن يدخل ملء الأمم" (رو ١١ : ٢٥). كل العالم قد سقط في العمى، لكن جاء لكي " يبصر الذين لا يبصرون، ويعمى الذين يبصرون"...

يا للعمى الخطير؟ لقد قتلوا النور، لكن النور المصلوب أنار العميان .

❖ الآن إنه اليوم الذي يميز بين النور والظلمة! [1076]

❖ لقد تسلمت الناموس، وأنتم تريبون أن تحفظوه، لكنكم عاجزون عن ذلك؛ لقد سقطتم من الكورياء فنزوا ضعفكم. اشتاقوا إلى المسيح. اعترفوا له،

آمنوا به. لقد أضيف الروح إلى الحرف فتخلصون. فإنك إن زعت الروح عن الحرف "الحرف يقتل". وإن قتل، فأين الرجاء؟ "أما الروح فيحيي" (٢ كو ٣ : ٦) [1077].

القديس أغسطينوس

يقول القديس أغسطينوس بين الحرف والروح، فوى في الحرف عصا الإشع التي سلمها لتلميذه جيوزي حين كان ابن الأرملة ميتاً، لكن لم يقم الميت إلا بحضور الإشع نفسه. هكذا مع نفع الناموس الذي تسلمناه من الله نحن في حاجة إلى حضور الله نفسه، فنتمتع بقوة القيامة [1078].

" فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين وقالوا له:

أعلننا نحن أيضاً عميان؟" [40]

أترك الفريسيون أنه يتحدث عن العمى الروحي، فسألوه إن كان يقصدهم بهذا. وقد صدر سؤالهم عن نفوس متكورة لا تقدر أن تتمتع بغنى نعمة الله.

ما يشغل ذهن الفريسيين هو كرامتهم أمام الناس، والظهور كأصحاب معرفة، يحتلون كراسي التعليم. حسوا اتهامهم بالعمى بسبب عدم رغبتهم في التعلم هو أشبه بضربة قاتلة. بقولهم: "أعلننا نحن أيضاً عميان؟" يكشفون عما في أعماقهم، فهم يحسبون الشعب ككل عمياناً أما من يضمهم يسوع مع الشعب الأعمى فهذا ما لم يكن يخطر على بالهم. حسوا هذا إهانة منه، وخطأً منه لا يعتفرون، إذ لم يعتادوا أن يسموا كلمة نقد من أحد قط.

❖ قول الفريسيين للسيد المسيح "أعلننا نحن أيضاً عميان؟" على نحو ما قالوا في غير هذا الموضوع: "إننا نرى إبراهيم ولم نُستعبد لأحد قط؛ إننا لم نولد في زنى" (يو 8 : 33، 41) هكذا قالوا الآن.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" قال لهم يسوع:

لو كنتم عمياناً لما كنتم لكم خطية،

ولكن الآن تقولون إننا نبصر، فخطيتكم باقية." [41]

لو أنهم اعترفوا بجهلهم لما سقطوا تحت الحكم، لكن أفواههم تشهد عليهم، فقد ادعوا أنهم مبصرون، قادرون على إواك الحق وتميزه عن الباطل. ادعوا أنهم مبصرون، يرون الحق الإلهي ويفهمون الشريعة والنوآت، لذا أغلقوا على أنفسهم، وصارت خطيتهم باقية.

من وحي يو 9

هب لي يارب البصوة الداخلية!

❖ عينك بالحب تتطلعان إليّ، كما إلى المولود أعمى!

ورثنا عن أبينا آدم عمى البصوة،
فلم نعد نتمتع بجمال بهائك!

❖ هوذا الكثيرون حتى من بين الذين حولك يدينوني!

أما أنت فحبك تطلب شفاء قلبي وبصوته!
أنت هو النهار الذي لا يكف عن أن يعمل.
أنت النور الذي يبدد الظلمة التي فيّ!
لتشوق عليّ بنورك، فأصير ابنًا للنهار،
ولا تغوب عيني يا شمس البرّ!

❖ أنت الخالق، جبلتني من الواب،

وبالطين تهبني نورًا لعينيّ.
على كلمتك آتي إليك، فأنت هو سلوام "المُوسل" من الآب.
اغتسل بدمك، فتنفتح بصوتي.
رأى أبواب السماء مفتوحة أمامي ورحب بي!

❖ ملّت نفسي الحوار المستمر مع القويب والغريب.

لم يعد لكثرة الكلام مكان في قلبي.
أعمالك مشبعة، تشهد لإمكاناتك الإلهية.
حبك العملي يبكم الألسنة المقاومة!
نورك مشوق في داخلي، لن تقدر قواظ الظلمة أن تقاومه.

❖ مع المولود أعمى لا أخشى الطود،

إذ يرفضني الجميع تواءى أنت لي.
وإذ أطود خلجًا،
أجدك حاملاً الصليب خراج المحلّة.
أنت إله المطرودين والمونولين.

❖ لينشغل الكل بالحوار الكثير.

أما أنا فأسجد أمامك،
وأتمتع بشركة بهائك،

الأصاحح العاشر

الراعي الصالح

جاء حديث السيد المسيح عن الراعي الصالح بعد تفتيح عيني المولود أعمى، حيث ظهر الفرق واضحاً بين الراعي المهتم بخوافه وبين الأجراء؛ أي بين السيد المسيح الذي يشناق إلى خلاص البشوية والفريسيين الذين يهتمون بكرامتهم الذاتية وسلطانهم ومكاسبهم. في الأصاح السابق يود السيد المسيح أن يهب كل نفس نعمة البصوة لكي تتعرف على الحق. وما هو الحق إلا إراك أن كلمة الله المتجسد هو الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف. يُعتبر هذا الأصاح امتداداً لحوار السيد المسيح مع الفريسيين في نهاية الأصاح السابق. فقد أخذ الفريسيون موقفاً معادياً له، على أساس أنهم المعلمون ورعاة كنيسة الله، وأن لا موضع ليسوع كاسر الناموس بينهم، مطالبين الشعب ألا يلتصقوا به، لأنه ليس من عند الله. جاء الحديث هنا يكشف عن ثلاثة فئات: فئة الرعاة الحقيقيين، الخدام الأجراء، اللصوص الذين يتخفون في زري رعاة.

مسيحنا مشبع كل احتياجاتنا

طُود اليهود الذين آمنوا بالسيد المسيح من المجمع، ولم يعد لهم حق الدخول إلى الهيكل، ولا ممارسة العبادة اليهودية، ولا الطقوس الخاصة بالتطهورات والأعياد الخ. فجاء هذا السفر يعلن أن يسوع المسيح يشبع كل احتياجاتهم، فيه كل الكفاية، فقد قد احتل موقع كل المؤسسات اليهودية وكل الامتيازات الخاصة بهم، ولكن بصورة فائقة إلهية.

يو 1: يعترز اليهود بموسى مستلم الناموس، أما يسوع فهو الكلمة، الذي مع الأب، وواحد معه، واهب نعمة فوق نعمة.

يو 2: يعترز اليهود بطقوس التطهورات الناموسية، أما يسوع فيحول مياه التطهورات إلى خمرٍ جديدٍ وفريدٍ.

يو 5: يفتخر اليهود بحفظهم السبت في حرفية، فأعلن يسوع أنه السبت الحقيقي الذي يعمل ما يعمل الله الأب (يو 5: 16-18).

يو 6: يفتخر اليهود بأن آباءهم أكلوا المن النزل من السماء في الوية، أما يسوع فهو الفصح الحقيقي، الخبز السموي، وهو الذي ينقذ من الماء

(سار على الماء كما عبر بالشعب بحر سوف).

يو 7-8: في عيد المظال يقدم نفسه الماء الحي والنور الحقيقي.

يو 10: عوض عيد التجديد يقدم نفسه، إذ يكوسه الأب لحساب خلاص العالم.

صور الإنجيلي هذا الحديث الثامن للسيد المسيح والذي ركز على رعايته الباذلة بعد صنع معجزة تفتيحه عيني المولود أعمى الذي طُرد من

المجمع اليهودي. فالتلميذ الحقيقي للسيد المسيح يُطرد من القطيع اليهودي أو من حرفية الناموس لينعم بالعضوية في قطيع المسيح الذي تفتحت أعينه

لمعاينة أسوار الملكوت.

1 - الراعي الصالح 21-1.

2 - الوحدة مع الأب 39-22.

3 - يسوع في موضع عماده 41-40.

1 - الواعي الصالح

في هذا المثل تظهر اليهودية كقطيع [1]، والسيد المسيح هو الواعي الصالح الذي يأتي من الباب المعين (خلال باب النوات) إلى القطيع. والروح القدس يفتح له الباب، ويتجاوز القطيع الحقيقي معه، حيث تشفى أعينهم ويعاينوا الواعي. يخرج بهم الواعي عن حرفية الناموس [3] وعن الارتداد وعدم الإيمان، بينما يرفض الحرفيون الواعي الصالح [4، 5].

نرى في هذا المثل الآتي:

أ - السيد المسيح وليس الناموس هو باب القطيع، الباب الجديد [7].

ب - كل القيادات اليهودية الحرفية الراضة للمسيح هم لصوص [8].

ج - المسيح وحده هو المخلص، السيد، معطي ذاته [9، 10].

د - المسيح هو ذبيحة الحب يموت عن قطيعه [11-15].

هـ - للواعي الصالح قطع آخر من الأمم يضمه إلى المؤمنين من اليهود، ويقوم منهم جميعاً قطيعاً واحداً هو كنيسة المسيح [16، 1 كو

13:12، أف 4:4-6]

و- يتفاعل هذا القطيع الواحد مع ذبيحة المسيح الفريدة وموته الاختيلري [17، 18]. أما عدم الإيمان فيعجز عن تقديم أي شيء سوى الارتباك

والتجديف الشرير.

"الحق الحق أقول لكم

إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظوة الخواف،

بل يطلع من موضع آخر،

فذاك سارق ولص". [1]

تلجأ الخواف إلى حظوة الخواف ليلاً، غالباً ما تكون ملاصقة لببيت الواعي. للحظوة باب واحد يحرسه الواب. لهذا من أراد السوقة يلجأ إلى

التسلل عن طريق الثوب من حائط الحظوة.

يشبه السيد المسيح نفسه واعي الخواف المهتم بقطيعه، والكنيسة في العالم أشبه بوعى، حيث تضم في داخلها الخواف المشتتة في العالم (يو

11: ٥٢)، ليتحوا معه كقطيعٍ مقدسٍ وعاه الواعي القنوس، هذا الذي يحتضنه فيكون لهم سور نارٍ لحمايتهم (ك ٢: ٥). أما استخدام قطع الخواف

كرمزٍ لكنيسة المسيح، ذلك لما اتسمت به الخواف من وداعة وهوء وتسليم بين يدي راعيها، والتصاقها ببعضها البعض.

قدم السيد المسيح هذا التشبيه، لأن الخواف تتسم بعجزها عن دفاعها عن النفس ضد أي هجوم، إنما تعتمد تماماً على اهتمام راعيها وسوءه على

حمايتها. تعتمد أيضاً في طعامها وشوابها على الواعي الذي يتقدمها، فحتى في البلاد التي تتسم بعزلة الأمطار يحتاج القطيع إلى من يقوده إلى فزة

طويلة إلى مراكز المياه لكي يشرب، ولا تبحث عنها الخواف بنفسها. وفي دخولها إلى الحظوة لا تبدأ بالدخول حتى وإن لحق بها مخاطر من وحوش

ضلرية ما لم يقود الواعي خروفاً أو اثنين من الباب فتسير بقية الخواف وراءه أو وراءهما.

❖ إن وجدنا هذه الشخصيات الثلاث أيها الأخوة القديسون، نجد من يليق بنا أن نحبهم، ومن يجب علينا أن نحتملهم، ومن يؤرنا الحذر منهم. فالواعي

[1079]

يُحب، والأجبر يُحتمل، واللص يُحذر منه.

القديس أغسطينوس

❖ لاحظوا سمات اللص؛ ولأ أنه لا يدخل علانية؛ ثانياً لا يدخل حسب الكتب المقدسة، فهذا لا يعنيه، "لا يدخل من الباب" [1]. هنا أيضاً يشير إلى

الذين جاؤا قبلاً والذين سيأتون بعده، ضد المسيح والمسحاء الكذبة، يهوذا وثيداس (أع ٣٦: ٥) وكل من على شاكلتهم.

في قول السيد المسيح: "إن الذي لا يدخل من الباب"، المقصود بالباب هنا هو الكتب المقدسة، لأنها تدخل بنا إلى الله، وتفتح لنا المعوفاً بالهنا، وهي تحفظنا، ولا تترك الذناب تدخل إلينا، لأنها بصورة باب، تغلق المدخل في وجه نوي البدع، وتصوننا في صيانة من خداعهم، ولا تهملنا حتى لا نخدع. لأننا بالكتب نعرف الرعاة، والذين ليسوا رعاة، ولهذا قال السيد المسيح لليهود: "فتشوا الكتب، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي" (يو 5: 39). إنها تجلب موسى وتدعوه هو وكل الأنبياء شهوداً، إذ يقول: "كل من يسمع الأنبياء يأتي إليّ" وأيضاً: "لو صدقتم موسى تؤمنون بي..." حسناً يقول: "يتسلق (بصعد) وليس "يدخل"، فإن التسلق هو من عمل السارق الذي يضع في نيته أن يقفز فوق السور، يفعل ذلك وهو معرض للخطر [1080].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد أعلنوا أنهم ليسوا عمياناً، ومع ذلك كان يمكنهم أن يروا فقط إن صاروا قطيع المسيح. من أين لهم أن يدعوا بأن لهم النور هؤلاء الذين يعملون كلصوصٍ ضد النهار؟ ذلك بسبب بطلانهم وكبريائهم ونشامخهم العضال، لذلك أضاف الرب يسوع تلك الكلمات التي فيها يقدم لنا نحن أيضاً دروساً قيمة إن دخلنا بها إلى القلب. إذ يوجد كثيرون بحسب عادة الحياة يُدعون صالحين - رجال صالحين، نساء صالحات، أرباء - لمن واعون ما جاء في الناموس: يحترمون والديهم، ويمتنعون عن الزنا، ولا يقتلون ولا يسرقون، ولا يشبهون باطلاً ضد أحد، وواعون كل متطلبات الناموس الأخرى. ومع هذا فهم غير مسيحيين، ويسألون بتشامخٍ مثل هؤلاء الناس: "هل نحن أيضاً عميان؟..." إنهم يعملون بلا هدف، ولا يدخلون من الباب الذي يقود إلى الحظوة. قد يقول الوثنيون: نحن نحيا بصلاح.

❖ إن لم يدخلوا من الباب، أية رادة صالحة هذه يملسونها، ومع ذلك فهم متشامخون؟... ليس لأحدر جاء حسن للحياة ما لم يعرف الحياة، أي المسيح، ويدخل الحظوة من الباب [1081].

❖ يوجد فلاسفة لهم مناقشات بلعة عن الفضائل والذائل، يميزون بينها، ويقدمون تعريفات لها، وفي النهاية يقدمون تسلسلاً عقلياً دقيقاً، يملأون الكتب، ويحمون حكمتهم بأحاديثٍ ثرثرة؛ هؤلاء يجسرون ويقولون للناس اتبعونا، انضموا إلى فرقتنا إن أردتم أن تعيشوا سعداء. لكنهم لا يدخلون من الباب؛ هؤلاء يريدون أن يحطموا ويذبحوا ويقتلوا [1082].

❖ هل يمكن للفريسي أن ينطق بالصالحات؟

الفريسي هو شوك، فكيف أجنبي من الشوك عنباً (مت ٧: ١٦؛ ١٢: ٣٣)؟ لأنك يارب تقول: "ما يقولونه أعماله، وأما ما يفعلوه فلا تفعلوه" (مت ٢٣: ٣).

هل تأموني أن أجمع عنباً من الشوك عندما تقول: "هل يجتنون من الشوك عنباً؟" يجيبك الرب: "لست آمرك أن تجمع من الشوك عنباً، بل أن تتطلع وتلاحظ حسناً كما يحدث غالباً عندما تتدلى الكرمة المرفوعة عن الأرض ألا تكون مشتبكة مع الأشواك". فإننا نجد أحياناً يا اخوتي كرمة مزروعة... يكون حولها سياج من الأشواك، تلقي بفروعها متشابكة بين الأشواك. والذي يريد أن يقطف عنباً لا يجنيه من الأشواك بل من الكرمة المتشابكة مع الأشواك.

بنفس الطريقة فإن الفريسيين مملعون بالأشواك، لكنهم إذ يجلسون على كرسي موسى تحيط بهم الكرمة والعنب الذي هو الكلمات الصالحة، والوصايا الصالحة تتدلى منهم. لنقطف عنباً دون أن يوحرك الشوك، عندما نقول: "ما يقولونه أعماله، وأما ما يفعلوه فلا تفعلوه". لكن الشوك يوحرك إن كنت تفعل ما يفعلونه. فلكي تجتني عنباً دون أن يمسك بك الشوك "ما يقولونه أفعوله، وأما ما يفعلونه فلا تفعلوه".

❖ أعمالهم هي الأشواك، كلماتهم هي العنب، لكنه صادر عن الكرمة التي هي كرسي موسى [1083].

ضموي ليس صالحًا لأنكم تمدحونه، إذ كيف تمدحون ما لا ترونه؟

ليمدحني (الله) الذي روى.

نعم، ليُصلحه إن كان روى فيه شيئًا يضاد عينيه.

فإنني أيضًا لا أقول إنني كاملاً تمامًا، لكنني أوق صوري، وأقول لله: "رحمني لكي لا أخطئ". لكنني أظن أنني أتكلم في حضوته بأني لا

أطلب شيئًا منكم بل أطلب خلاصكم، وأنتهر على النوام خطايا اخوتي، وأحتمل ضيقات، وذهنى يعذبني، ودومًا أوبخهم. نعم لا أكف عن حثهم. كل الذين

[1084]

يتذكرون ما أقوله هم شهود، كيف أنتهر يا اخوتي من يخطئون بدون حسدٍ .

القديس أغسطينوس

"وأما الذي يدخل من الباب

فهوراعي الخواف". [2]

راعي الخواف هو صاحب القطيع، يهتم بكل واحدٍ منهم، يدخل إليهم من الباب بكونه صاحب سلطان. يدخل لكي يعمل لحساب الكل. وكما يقول

الله نفسه: "أنا رعى غنمي ورُبضها يقول السيد الرب؛ وأطلب الضال، وأسترد المطرود، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح، وأبید السمين القوي،

ورعاها بعدلٍ" (حز ٣٤: ١٥-١٦).

"لهذا يفتح البواب،

والخواف تسمع صوته،

فيدعو خوافه الخاصة بأسماء ويخرجها". [3]

[1085]

❖ ليس ما يمنع من الخطر أن نفترض في موسى أنه البواب، فإنه قد عهد إليه حفظ تعاليم الله .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليتنا لا نوثق أيها الاخوة في فهمه، إذ يحمل تشبيهات بكونه هو الباب وأيضا البواب. لأنه ما هو الباب؟ طريق الدخول. من هو البواب؟ ذاك الذي

[1086]

يفتح الباب. إذن من هو ذاك الذي يفتحه إلا هو نفسه حيث يكشف عن ذاته لوى؟

القديس أغسطينوس

"ومتى أخرج خوافه الخاصة يذهب أمامها،

والخواف تتبعه،

لأنها تعرف صوته". [4]

إذ يرسل الراعي الصالح خوافه ليس في الطريق الذي بلا ذئاب بل يؤكد لهم أنه يرسلهم "وسط الذئاب" (مت ١٠: ١٦)، لذلك يتقدمهم في

الطريق حتى إذا ما هاجمتهم الذئاب إنما تهاجمه هو، فيحول الذئاب إلى حملان وديعة. لقد تقدم قطيعه في رعى الصليب والآلام، حتى لا يخشى القطيع

طريق الجلجلة، ولا يهابون الموت، ماداموا في رفقة المصلوب.

❖ يعمل الرعاة خلاف ذلك إذ يمشون وراء الخواف، ولكن السيد المسيح يبين هنا أنه هو الذي يرشد جميع تابعيه إلى الحق.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأما الغريب فلا تتبعه،

بل تهرب منه،

لأنها لا تعرف صوت الغريب". [5]

القطيع غير العاقل يعرف صاحبه فيلتصق به، وإذ لا تعرف صوت الغرباء تهرب منهم. وكما قيل: "الثور يعرف قانيه" (إش ١: ٣).
" هذا المثل قاله لهم يسوع،

وأما هم فلم يفهموا ما هو الذي كان يكلمهم به". [6]

رى القديس يوحنا الذهبي الفم أنه بهذه العبارة يفصل السيد المسيح بينه وبين المسحاء الكذبة، فإنه بكل وسيلة كان يفعل هذا.
ولاً: تعاليمه من الكتب المقدس التي تشهد له، أما المسحاء الكذبة فيجتذبون الناس بعيداً عن كلمة الله.

ثانياً : طاعة الخراف له، إذ يؤمنون به ليس فقط حين كان سالكاً على الأرض بل وحتى بعد موته وصعوده إلى السماء. أما المسحاء الكذبة
فتركهم الخراف كما حدث مع ثيداس ويهوذا إذ تشتت الذين آمنوا بهما (أع ٥: ٣٦).

ثالثاً : يعمل الكذبة كمتودين ويسبوا ثورات، أما هو فعندما رأوا أن يجعلوه ملكاً اختفى. وعندئذ سئل إن كان يجوز أن تقدم الجزية لقيصر،
أمرهم بدفعها، بل هو نفسه دفعها (مت ١٧: ٢٧).

رابعاً : جاء لخلص الخراف، لكي تكون لهم حياة، ويكون لهم أفضل [١٠]. أما الكذبة فيحومونهم حتى من الحياة الزمنية، إذ يتوكونهم في
لحظات الخطر ويهروا لينجوا.

لم يترك اليهود ما عناه السيد المسيح بالمثل؛ لم يفهموا أن يسوع المسيح هو الواعي الصالح، ولا أن الأجراء هم الخدام الذين يطلبون ما لنفعمهم
الشخصي وليس ما هو لنفع القطيع، وأيضاً السواق واللصوص هم الذين يطلبون كرامتهم الشخصية، حتى وإن كان الثمن هلاك القطيع.
لم يستطع الفريسيون فهمه، هؤلاء الذين يحسبون أنفسهم معلمين للشعب، أصحاب معرفة، ولا يحتاجون إلى أن يتعلموا شيئاً. بين أيديهم كلمة
الله، لكنهم يسيئون فهمها بسبب قسوة قلوبهم، وعمى بصورتهم الداخلية.

" فقال لهم يسوع أيضاً:

الحق الحق أقول لكم إنني أنا باب الخراف". [7]

إنه باب الوعي، باب الكنيسة. يعلق لا ليحبس القطيع، وإنما ليحميه من الذئاب واللصوص، فلا يهلكون. إنه الحكمة والقوة والبر من يدخل منه
يدخل إليه، وينعم بهذا كله. إنه باب مغلق في وجه الذئاب، لكنه باب الحب للخراف كي تدخل وتخرج وتلتقي معاً في شركة الحب الأخوي. لذا يدعو
نفسه "باب الخراف"، لن يقدر ذئب أن يدخل منه ما لم يتحول إلى حملٍ حقيقي.

إنه الباب الملوكي الإلهي، بل ندخل إلى العرش الإلهي وننعم بالحياة السماوية.

والعجيب أن راعي الخراف عمل كلص، فخرجوا عليه بسيفٍ وعصيٍ للقبض عليه (مت ٢٦: ٥٥)، لأنه لم يدخل من خلال هؤلاء اللصوص
والذئاب الخاطفة، ولم يكن يستأذنها في خدمته لشعبه. عوض التلمذة له ليسلكوا بروحه كانوا ينتظرون تلمذته لهم، ليسلك بروحهم المعادية للحق الإلهي
وللحب الرعي الحقيقي.

❖ عندما يحضونا إلى الأب يدعو نفسه "باباً"، وعندما وعانا يدعو نفسه "راعياً". فلكي لا تظنوا أن عمله الوحيد أن يحضونا إلى الأب لذلك دعا نفسه
راعياً [1087].

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1088]

❖ يسوع هو كل شيء، كل الأسماء تناسبه. إنه كل شيء يعلنه.

العلامة أوريجينوس

[1089]

❖ للمحتاجين إلى البهجة يصير لهم كومة، وللمحتاجين إلى الدخول يقف كبابٍ.

القديس كيرلس الأورشليمي

[1090]

- ❖ هو نفسه الباب؛ لأنَّ فيه ونعوفه. لندخل أو لنفوح أننا بالفعل فيه .
- ❖ جاء قبله الأنبياء، فهل كانوا سواقًا ولصوصًا؟ حاشا. إنهم لم يأتوا منفصلين عنه، بل جاؤا معه. عند مجيئه أرسل رسلاً لكنه احتفظ بقلوب رسله. أتريدون أن تعرفوا أنهم جاؤا معه ذاك الذي هو حاضر على النوام؟ بالتأكيد هو أخذ جسداً بشوياً في الوقت المعين. لكن ماذا يعني: "على النوام"؟ في البدء كان الكلمة" (يو ١ : ١). جاء معه من جاؤا مع كلمة الله. لقد قال: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦). إن كان هو الحق، فقد جاء معه من هم صادقون. لكن كثيرون إذ انفصلوا عنه هؤلاء هم سواق ولصوص، أي جاؤا ليسرقوا ويدمروا [1091].
- ❖ "ولكن الخواف لم تسمع لهم" هذه نقطة أكثر أهمية. قبل مجيئ ربنا يسوع المسيح، حيث جاء في تواضع في الجسد، سمعه أناس أوار، آمنوا به أنه سيأتي بنفس الطريقة التي لنا أنه قد جاء.

الأوقات تتغير لكن ليس الإيمان... في أوقات متغيرة حقاً لكن الدخول من باب واحد للإيمان، أي المسيح، فزى كليهما قد دخلا...

يقول (الرسول): "جميعهم شربوا شواباً واحداً روحياً، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، الصخرة كانت المسيح" (١ كو ١٠ : ٤).

انظروا بينما بقي الإيمان تغيرت العلامات. هناك الصخرة كانت المسيح، أما بالنسبة لنا فالمسيح على مذبح الله... كثيرون في ذلك الوقت آمنوا، سواء

إبراهيم أو اسحق أو يعقوب أو موسى أو البطركة الآخرون والأنبياء الذين تنبأوا عن المسيح، هؤلاء هم خواف سمعوا المسيح. سمعوا صوته وليس

[1092]

صوت آخر .

القديس أغسطينوس

"جميع الذين أتوا قبلي هم سواق ولصوص،

ولكن الخواف لم تسمع لهم". [8]

- ❖ لم يتكلم هنا عن الأنبياء كما ادعى الواطقة، فإنه إذ آمن كثيرون بالمسيح سمعوا للأنبياء واقتنعوا بهم. إنما يتحدث هنا عن ثيداس ويهوذا وغوهما

من مثوي الفتنة. بجانب هذا يقول: "ولكن الخواف لم تسمع لهم" [٨]، كمن يمدحهم على ذلك. لا نجده في أي موضع يمدح السيد من ورفضوا

[1093]

السماع للأنبياء، وإنما على العكس يوبخهم ويتهممهم بشدة، بينما القول: "لم تسمع" يشير إلى قادة الفتنة .

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أنا هو الباب،

إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد موعى". [9]

من يدخل إلى الموعى خلال المسيح، الباب الإلهي، ليس فقط ينجو من اللصوص والسواق، وإنما يتمتع أيضاً بالحرية الحقيقية. يدخل ويخرج

بكامل حرية. يدخل كما إلى حضن الأب ليتمتع بأبوته الإلهية، ويخرج إلى العالم كما مع الابن المتجسد ليشهد للحب الإلهي، ويجتذب كثيرون إلى

الموعى الإلهي. إنه يخلص ويرد كثيرون بروح الله إلى خلاصهم، فيفوح ويتهلل معهم، ويشبع الكل من موعى الحب، ويتمتعون بعروبون المجد، متوقبين

بوج يوم الرب لمشركة الرب مجده. إنهم يخلصون من أنياب الأسد ليعيشوا في سلام فائق.

تدخل الخواف من الباب لتجد نفسها في المسيح يسوع كما في بيتها الأوي، ليست بالخواف الغريبة ولا التويلة، بل صاحبة بيت، تتحرك بكامل

حريتها، إن دخلت تستقر كما في بيتها، لأنها خرجت للعمل إنما إلى حين لتعود وتسويح!

❖ إنه كما يقول: "يكون في أمان وضمان". ولكن بقوله "موعى" يعني هنا الرعاية وتغذية الخواف وسلطانه وسيادته عليهم. إنه يبقى في الداخل ولا

[1094]

يقدر أن يدفعه خرجاً. لقد حدث هذا مع الرسل الذين دخلوا وخرجوا، وصلوا سادة كل العالم، ولم يوجد من يقدر أن يطردهم .

القديس يوحنا الذهبي الفم

كما أنه هو "الطريق" ، وليس طريقاً بين طرق كثرة، إنما الطريق الوحيد الذي يقودنا إلى حضن الآب، هكذا هو "الباب"، لا نقدر أن ندخل السماء من باب آخر غوه، هو الباب الوحيد.

❖ لنسمو بأفكلنا على اليهود، فإنهم حقاً يقرون بتعاليمهم بالله الواحد، ولكن ماذا يكون هذا وهم ينكرونه خلال عبادتهم للأصنام؟! لكنهم يرفضون أنه أبو ربنا يسوع المسيح. وهم بهذا ينقضون أنبياءهم الذين يؤكّدون هذا في الكتب المقدسة، إذ جاء "الرب قال لي أنت ابن ي، وأنا اليوم ولدتك" (مز 7:2).

إ نهم إلى يومنا هذا يرتجون مجتمعين على الرب و على مسيحه (مز 2:2)، حاسبين أنهم قادرون أن يكونوا أصدقاء للآب وهم منفصلون عن تعبدهم للآب، جاهلين أنه لا يأتى أحد إلى الآب إلا بالابن القائل: "أنا هو الباب والطريق" (يو 14:6؛ 10:9).

فمن يرفض الطريق الذي يقود إلى الآب وينكر الباب، كيف يتأهل الدخول لدى الله (الآب)؟! إ نهم يناقضون ما جاء في الزمور الثامن والثمانين: "هو يدعوني أبي . أنت إلهي وصخرة خلاصي . أنا أيضاً اجعله بكواً أعلى من ملوك الأرض" [1095] (مز 26:89، 27).

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ أقول حقاً إننا ندخل حينما نشغل بتدريب الفكر داخلياً، ونخرج حينما نمرس عملاً خارجياً. وكما يقول الرسول إن المسيح يحل في قلوبنا بالإيمان (أف 3: ١٧) . أن ندخل في المسيح، أي نسلّم أنفسنا للفكر، حسن هذا الإيمان، أما أن نخرج بالمسيح، فهو أنه بذات الإيمان نمرس أعمالاً في الخرج، أي في حضور آخرين. هنا نقول في زمور: "يخرج إنسان لعمله" (مز ١٠٤ : ٢٣) . ويقول الرب نفسه: "لتضى أعمالكم قدام الناس" (مت ٥ : ١٦) ... أيضاً يبدو لي أنه يعني أنه تكون لهم الحياة في دخولهم وحياة أوفر في رحيلهم... فإنه لا يستطيع أحد أن يخرج بالباب - أي بالمسيح، إلى تلك الحياة الأبدية الذي يُفتح للنظر ما لم يدخل كنيسة بذات الباب أو بذات المسيح نفسه، التي هي قطيعه في الحياة المؤقتة التي تُمرس بالإيمان [1096] .

❖ " ويجد موعى" [٩]، مشواً إلى كليهما: الدخول والخروج، إنهم هناك فقط سيجدون الموعى الحقيقي حيث يشبع الجائعون والعطشى إلى البر. هذا الموعى يوجد بواسطة ذلك الذي قيل له: "اليوم تكون معي في الفودوس" (لو ٢٣ : ٤٣) [1097] .

القديس أغسطينوس

❖ يدخل ليجد إيماناً، ويخرج من الإيمان إلى الرؤية، ومن الاعتقاد إلى التأمل. يجد موعى في انتعاش أبدى. سيجد قطيعه موعى، لأن من يتبعه بقلب ويء ينتعش بطعام أبدى. ما هي موعى هذه القطعان إلا المباحج الأبدية للفودوس الدائم الخضوة؟ موعى المختلين هو وجه الله شخصه. عندما زاه، تشبع قلوبنا بطعام الحياة إلى النهاية. الذين يهربون من مصائد الملذات الوقتية يوحون في تلك الموعى في كمال الأبدية. هناك طغمت ملائكة تتغنى بالتسابيح، هناك صحبة المواطنين السمايين [1098] .

البابا غريغوريوس (الكبير)

"السارق لا يأتى إلا ليسرق ويذبح ويهلك،

وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة،

وليكون لهم أفضل." [10]

الوعاء المخادعون هم سواق، يدخلون لا من خلال باب الحب، بل بروح الخداع بنية شوية. بخداعهم يذبحون النفوس ويهلكونها. بينما يهتم

الواعي بتقديم حياة أفضل، ينشغل اللص بالذبح وقتل النفوس. تسلل اللص إلى القطيع بسبب موتاً، أما نزول الواعي الصالح، الكلمة المتجسد، فيهب حياة أبدية.

إن كان الواعي قد جاء إلى قطيعه في العالم لكي يببرهم ويقدهم ويمجدهم، فإنه يود لهم الحياة المفقودة. إنهم لا يعودوا إلى ما كانوا عليه قبل الخطية، بل إلى فيض أبدي للحياة التي لن يفوها موت، لذا يقول: "أفضل".

❖ إن قلت: قل لي وما الذي يكون أفضل من الحياة؟ أجبتك: ملكوت السموات، لكنه لم يقل هذا بعد، إنما يردد اسم الحياة الذي كان أوضح الأشياء [1099] معرفة عندهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ " فقد أتيت لتكون لهم حياة" [١٠]، أي الإيمان العامل بالمحبة (غلا ٥: ٦). " وليكون لهم أفضل"، هؤلاء الذين يصبرون حتى المنتهى، فإنهم يخرجون بهذا الباب عينه، أي بالإيمان بالمسيح. فإنهم كمؤمنين حقيقيين يموتون وتكون لهم حياة أفضل عندما يذهبون إلى حيث يقم الواعي، ولا يموتون بعد [1100].

❖ إن كنا نتطلع إلى العالم كبيتٍ واحدٍ عظيم، فإننا نرى السموات تمثل القبو، والأرض تمثل الممر. إنه يريد أن ينقذنا من الأمور الأرضية، لنقول مع الرسول: "مواطنتنا هي في السماء". فالالتصاق بالأرضيات هو موت للنفس، عكس الحياة التي يصلي من أجلها قائلاً: "أحييني!"

القديس أغسطينوس

" أنا هو الواعي الصالح،

والواعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف". [11]

تطلع أنبياء العهد القديم إلى ربنا يسوع بكونه الواعي (إش ٤٠: ١١؛ حز ٣٤: ٢٣؛ ٣٧: ٢٤؛ زك ١٣: ٧)، واختاره الوسل كأسقف لنفوسنا (١ بط ٢: ٢٥)؛ ورئيس الرعاة (١ بط ٥: ٤)؛ والواعي العظيم (عب ١٣: ٢٠).

لهذا اللقب "الواعي الصالح" جاذبيته الخاصة لدى المسيحيين عبر الأجيال حتى الذين لم يشاهور رعاة غنم في حياتهم، فإنهم يشعرون فيه بوع من دفء الرعية. كما أن قطع الغنم لا يقدر أن يواجه الحياة بدون راعيه، هكذا يشعر المسيحيون في مواجهة الشر والعالم الشرير إلى الواعي الإلهي الذي يحفظهم من الشر ويشبع كل احتياجاتهم، ويقودهم إلى الواعي الفوسية.

بقوله "أنا هو" يستخدم السيد المسيح لغة اللاهوت "أنا يهوه"، فهو الواعي الوحيد الإلهي الفريد.

الكلمة اليونانية المترجمة هنا "صالح" هي kalas، وهي تختلف عن غوها من الكلمات اليونانية التي تُترجم أيضاً "صالح"، مثل: agathos إذ تشير إلى السلم الداخلي، و dikaios التي تشير إلى الشخص الذي يبلغ مستوى عالٍ من الاستقامة. أما kalas فجاء في Abbot Smith's lexicon أنها تشير إلى الصلاح معلناً شكل معين، بمعنى آخر تشير إلى الصلاح مع الجمال. وقد قام E. V. Rieu بترجمة العبارة: "أنا هو الواعي"، الواعي الجميل". على أي الأحوال فإن تعبير الواعي الصالح تعبير محبب للنفس، يحمل فيه الصلاح الجذاب للرعية. فمع صلاح رعايته تتمتع الرعية بجاذبية

شخصه، أو انجذابهم إليه [1101].

رعاية "الواعي الصالح" فريدة من نوعها، ليست فقط رعاية صالحة، حيث ينشغل الواعي بالقطيع، كمن ليس ما يشغله في السماء وعلى

الأرض غوه، ولا من حيث اهتمامه بالنفس الواحدة، خاصة الخروف الضال، وإنما ما هو أعظم انه "يبذل نفسه عن الخراف".

في منطقة فلسطين كان الرعاة يتعرضون لمخاطر اللصوص كما لمخاطر الحيوانات المفترسة. فداود النبي واجه أسداً ودباً وهو شاب في رعاية غنمه (١ صم ١٧: ٣٤-٣٦). ويحدثنا عاموس النبي عن الواعي الذي يخلص من فم الأسد قنمي حمل أو قطعة أذن له (عا ٣: ١٢). وفي عصر الآباء نسمع يعقوب يقول لخاله: "فيسة لم أحضر إليك. أنا كنت أخسوها. من يدي كنت تطلبها، مسروقة النهار أو مسروقة الليل" (تك ٣١: ٣٩). هكذا

لعمل الرعاية مخاطر، لكننا لا نسمع قط عن راعٍ يلقي بنفسه في الموت برادته من أجل قطيعه. حقاً قد يتعرض الواعي للموت، لكنه ليس لأجل مصلحة قطيعه، إنما من أجل مصلحته الشخصية كمالكٍ للقطيع. أما الواعي الصالح فبرادته وحسب مسوته واجه الموت ليفدي كل حملٍ من قطيعه. بذل الواعي الصالح ذاته ليقدم لنا دمه الثمين، تغتسل به نفوسنا، فنظهر من الخطايا، ونثوبه سرّ حياة أبدية. والعجيب فيه أنه يهب خدامه الأمانة أن يجنوا مسوتهم في البذل فينفقون ويُنفقون (2 كو 12: 15) لحساب الشعب كما فعل الرسول بولس.

بين السيد المسيح والواعي

اختيار السيد المسيح للواعي لتشبيهه له لم يأت خوفاً، إنما يحمل معانٍ هامة:
ولاً: الواعي، وإن كان صاحب القطيع مهما بلغت أعداده **يؤدي ثياباً رخيصة** أثناء رعايته للغنم، إذ كثراً ما يجلس على الأرض وحوله غنمه، ويحمل على منكبيه الغنمات المجروحة أو المنعزّة، وقد تكون متسخة بالوحل. هكذا لبس الكلمة الإلهي جسداً لكي يشركنا أرضنا، ويحملنا على منكبيه، بل ويحتل مركزنا يحمل آثامنا للتكفير عنها.
ثانياً: في الرعاية **يتحرك الواعي أمام الخراف** لكي يتبعه، وهكذا فتح لنا مسيحنا طريق السماء بعبيره خلال الصليب، كي نشركه آلامه فننعم بشركة أمجاده.

ثالثاً: كثراً ما يمسك الواعي **بعضا الرعاية**، مقدمتها على شكل حرف U، لكي ما إذا سقط خروف في حفرة يرفعه بها. هكذا يمسك مسيحنا بصليبه الذي يحمل كل فوع من الحنو الإلهي البناء مع الحزم والتأديب بما فيه تقدمنا المستمر.
رابعاً: كثراً ما يجلس الواعي يستظل في الظهيرة **ويضوب بمزمره** وحوله الخراف فإن سمة الواعي هو الفوح وسط المتاعب وحرّ التجرب. هكذا نجد في راعينا مصدر الفوح الحقيقي.

خامساً: يهتم الواعي **بالخراف الضال** أكثر من التسعة والتسعين الباقين، ولا يستريح حتى يوده إلى القطيع (مت 18: ١٢-١٤؛ لو ١٥: ٧-٣).

❖ **"أنا هو الواعي الصالح".** يتحدث هنا عن الآلام، مظهرًا أنها هي خلاص العالم، فإنه لم يأت إليها قسواً. عندئذ يتحدث عن نموذج الواعي موة أخرى وعن الأجير [\[1102\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد قال أنه هو "الواعي"، كما قال أنه هو "الباب". تجد الاثنين في نفس الموضع، كلاً من "أنا هو الباب" و "أنا هو الواعي" [٧، ١١]. في الرأس هو الباب، وفي الجسد هو الواعي... الذي يدخل من الباب هو الواعي، أما الذي يطع من موضع آخر فذاك سلق ولص، يبدد ويشنت ويهلك. من هو الذي يدخل من الباب؟ ذاك الذي يدخل بالمسيح. من هو؟ ذاك الذي يتمثل بالآم المسيح... [\[1103\]](#)

❖ هل كان (الرسول) رعاة؟ بالتأكيد كانوا هكذا. فكيف يوجد راعي واحد؟ كما سبق فقلت أنهم **كانوا رعاة لأئهم أعضاء في الواعي**. لقد فوحوا في هذا الرأس، وتحت رئاسة هذا الرأس كانوا في انسجام معاً، عاشوا بروحٍ واحدٍ في رباطٍ جسديٍّ واحدٍ. لذلك فجميعهم ينتمون للواعي الواحد [\[1104\]](#).

❖ ماذا تعني إذن إنك تقدم للرعاة الصالحين الواعي الصالح وحده إلا أنك تعلم الوحدة في الواعي الصالح؟ وقد أوضح الرب نفسه ذلك بأكثر وضوح في خدمتي، إذ أذكركم أيها الأحباء بهذا الإنجيل القائل: "اسمعوا ماذا وضعت أمامكم، لقد قلت أنا **هو الواعي الصالح**، لأن كل البقية، الرعاة الصالحين، هم أعضائي". رأس واحد، جسم واحد، مسيح واحد. هكذا كل من راعي الرعاة ورعاة الواعي والقطيع وعاته الذين تحت الواعي.

ما هذا كله إلا ما يقوله الرسول: "كما أن الجسم واحد، له أعضاء كثيرون، وكل أعضاء الجسم يكونهم كثيرون جسم واحد، هكذا المسيح" (١ كو ١٢: ١٢). لذلك إن كان المسيح هو هكذا، فبسبب صالح يهوي المسيح في ذاته كل الرعاة الصالحين، يقيمون الواحد القائل: "أنا هو الواعي الصالح". أنا

وحدى وكل البقية معي واحد في وحدة.

من وعى بنوني وعى ضدي. "من لا يجمع فهو يفوق" (مت ١٢: ٣٠). لتسموا هذه الوحدة قد وضعت أكثر قوة، إذ يقول: "ولي قطع آخر ليس من هذا القطيع" [1105].

❖ أسألكم، أتوسل إليكم بحق قدسية مثل هذا الزواج أن تحبوا الكنيسة، **حبوا الراعي الصالح**، فالعروس جميلة للغاية، هذه التي لا تخدع أحداً، ولا تطلب هلاك أحد. صلوا أيضاً من أجل القطيع المبعثر، لكي يأتوا، ويتعرفوا عليه، ويحبوه، وبصيروا رعية واحدة وراعٍ واحدٍ [1106].

القديس أغسطينوس

❖ كيف لا أحبك يا من أحببتني بشدة؟ رغم أنني سوداء، فقد وضعت حياتك من أجل خوافك (يو 13:15)، أنت راعيتهم.

ليس لأحدٍ حب أعظم من هذا، لأنك بذلت حياتك لتمنحني الخلاص.

قل لي إذا أين رعى؟

عندما أجد موعى خلاصك، حينئذ اشبع بالطعام السموي؛ الذي بنونه لا يدخل أحد إلى الحياة الأبدية. وحين أجري إليك أيها الينوع سوف

أشرب من الينوع الإلهي الذي جعلته يتدفق ليروى كل من يعطش إليك.

إذ ضُوب جنبك بالعربة للوقت خرج دم وماء (يو 34:19). ومن يشرب منه يصبح ينوع ماء حيٍّ للحياة الأبدية (يوحنا 4:14).

إذار عيتني ستجعلني أستريح بسلام خلال منتصف النهار في الضوء الخالي من الظلال. لأنه لا توجد ظلال في منتصف النهار، عندما ترسل

الشمس أشعتها عمودية فوق الرأس. وستجعل ضوء منتصف النهار يُريح كل من أطعمته، وتأخذ أطفالك معك في فواشك (لو 7:11).

لا يستحق أحد أن يأخذراحة منتصف النهار إلا ابن النور والنهار (1 تس 5:5). الشخص الذي فصل نفسه من ظلمة الليل إلى الفجر، سوف

يستريح في منتصف النهار مع شمس البرّ (ملا 2:4) [1107].

القديس غريغوريوس النيسي

"وأما الذي هو أجير وليس راعياً،

الذي ليست الخراف له،

فوى الذئب مقبلاً،

ويترك الخراف ويهرب،

فيخطف الذئب الخراف ويبيدها". [12]

يتعرض هذا القطيع لذئابٍ خاطفة تخدع وتفترس وتحطم (أع ٢٠: ٢٩)، كما يتعرض للصمص يخطفون القطيع لتقديمه ذبائح لعدو الخير، أو

يسرقون طعامه. غالباً ما تأتي الذئاب في ثياب حملان (مت ٧: ١٥).

في العبرتين ١٢ و ١٣ يحدثنا السيد المسيح عن الرعاة المهملين، فيدعوهم أجراء، إذ يخدمون من أجل الأجرة أو المكافأة، وليس عن حبٍ

صادقٍ لشعب الله. محبتهم للمال أو لبطونهم هي التي تحملهم إلى الرعية. حقاً من يخدم المذبح من المذبح يأكل، ومن يركز بالإنجيل فمن الإنجيل يعيش،

لكن قلوبهم متبطة بخلاص النفوس، لا بما يقتنوه من وراء الخدمة.

❖ يعلن عن نفسه أنه السيد مثله مثل الآب، فإنه هو كذلك، فهو الراعي والخراف له [1108].

القديس يوحنا الذهبي الفم

الأجير الذي وى ذنباً فيهرب تركاً القطيع للافتراس يخطئ. وقد جاء في المشناه Mishnah أنه يلتزم أن يحمي القطيع إن واجه ذنباً واحداً لكن

يعطي عونًا له لو هاجم القطيع ذئبان أو أكثر لأنه لا يقدر على هذه المواجهة. كأجبر غير ملتم بحماية القطيع أن تعرض لذئبين معًا، لأن حياته تكون في خطر.

❖ يعمل الأجير مادام لا يرى الذئب قادمًا، مادام لا يرى اللص أو السارق، ولكن إذ واهم يهرب...
يصعد الأجراء بطريق آخر... لأنهم متكبرون يصعدون...

الذين ليسوا في وحدة (الكنيسة) لهم طريق آخر، أي متعرفون ويريدون أن يفسدوا القطيع.
الآن لاحظوا كيف يصعدون. إنهم يقولون: إننا نحن الذين نقدر ونبرر ونقيم أولًا...

الذئب هو الشيطان الذي يرقد منتظرًا أن يخدع، وأيضًا الذين يتبعونه يخدعون، فقد قيل بالحق يرتنون جلود القطيع، ولكن في الداخل ذئاب خاطفة (مت ٧: ١٥).

إن لاحظ الأجير شخصًا مشغولًا بحديثٍ شويّر، أو أحاسيس قاتلة لنفسه أو يملس رجاسة وذنسًا، وعلى الرغم من أنه يبدو كمن يحمل شخصية لها أهميتها في الكنيسة (التي منها يرجى أن ينال نفعًا إذ هو أجبر)، ولا يقول شيئًا له: "أنت تخطئ"، ولا يؤنبه حتى لا يفقد ما لنفعه. أقول هذا هو معنى "عندما يرى الذئب يهرب". إنه لا يقول له: "أنت تعمل بالشر". هذا ليس هروبًا بالجسد بل بالنفس. الذي زاه لا زال واقفًا بالجسد يهرب بالقلب. عندما يرى خاطئًا لا يقول له: "أنت تخطئ" نعم لكي يكون في اتفاق معه. [1109]

❖ لا يحملن الأجير هنا شخصية صالحة، ولكن من نواحٍ أخرى فهو نافع، وإلا ما كان يُدعى أجورًا، وما كان ينال أجره ممن وظّفه. فمن هو هذا الأجير الذي يُلام ونافع أيضًا؟ يوجد بعض يعملون في الكنيسة يقول عنهم الرسول بولس: "يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح" (في ٢: ٢١). ماذا يعني "يطلبون ما لأنفسهم"؟ الذين لا يحبون المسيح مجانًا، بل يسعون نحو المنافع الزمنية، يطلبون الربح، ويطمعون في الكومات من الناس.

❖ يوجد أجور أيضًا في وسطنا، لكن الرب وحده يميزهم، ذاك الذي يفحص القلوب يميزهم. [1110].
❖ نلنقت باهتمام إلى الحقيقة أنه حتى الأجور نافعون. فإنه بالحقيقة يوجد كثيرون في الكنيسة يسعون وراء النفع الأرضي، ومع هذا فهم يكرزون بالمسيح، ومن خلالهم يُسمع صوت المسيح، وتتبع الخراف لا الأجور، بل صوت المسيح المتكلم خلالهم. أشار الرب نفسه إلى الاستماع إلى الأجور، إذ قال: "على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا" (مت ٢٣: ٢-٣). ماذا قال سوى أصغوا إلى صوت الراعي خلال الأجور؟ [1111]

❖ اسمع الرسول ينتهد من أجل مثل هذه الأمور. إنه قيل أن البعض يكرزون بالإنجيل خلال المحبة، وآخرون "علة"، فيقول عنهم أنهم لا يكرزون بالإنجيل بحق (في ١: ١٦-١٨). ما يكرزون به هو حق، أما الذين يكرزون فهم أنفسهم ليسوا مستقيمين.
لماذا من يكرز هكذا ليس مستقيمًا؟ لأنه يطلب شيئًا آخر في الكنيسة، لا يطلب الله.

إن طلب الله يكون عفيفًا، إذ يكون الله هو الزوج الشوعي للنفس.

أما من يطلب من الله ما هو بجانب الله، فإنه لا يطلب الله بعفة.

لاحظوا يا أخوة، إن كانت زوجة تحب زوجها لأنه غني، فإنها ليست عفيفة. لأنها لا تحب زوجها بل ذهب زوجها. لو أنها تحب زوجها، فإنها تحبه في عوبه وفقوه. لأنها إن كانت تحبه لأنه غني، ماذا إذا صار محتاجًا فجأة؟ ربما ترفضه، لأنها لم تحب رجلها بل ممتلكاته. لكنها إن كانت تحب زوجها بالحق، فإنها تحبه بالأكثر عندما يفتقر، إذ تحبه مترفقة به أيضًا. [1112]

❖ يؤمننا لا أن نحب الغنى، بل الله الذي خلق الغنى، لأنه لا يعدكم بشيء بل بنفسه. لتجد شيئًا أؤمن منه وهو يهبه لك. جميلة هي الأرض والسماء

والملائكة، لكن خالقهم أكثرهم جمالاً.

إن من يكرزون بالله بكونه الله المحب، من يكرزون بالله لأجل نفسه، وعون القطيع وليسوا أجراء.

يطلب ربنا يسوع المسيح من النفس هذه العفة، إذ قال لبطرس: "يا بطرس أتحنبي" (يو ٢١: ١٦)؟ ماذا تعني "أتحنبي"؟ هل أنت عفيف؟ هل قلبك غير زان؟ هل لا تطلب الأمور الخاصة بك في الكنيسة، بل تطلبني أنا؟ إن كنت هكذا وتحنبي "لرع غنمي". فإنك لا تكون أجوراً بل راعياً **[1113]**.

❖ يركز الواعي بالمسيح بالحق، ويكرز الأجير بالمسيح بعلّة (في ١: ١٨)، يطلب شيئاً آخر. وإن كان هذا وذلك يكرزان بالمسيح... بولس نفسه الواعي يُسر أن يكون لديه أجراء. فإنهم يعملون حين يكونوا قادرين، إنهم نافعون ماداموا قادرين على الكرامة... **ناووا ما يجد (الرسول) راعياً بين إجراء كثيرين، لأن الرعاة قليلون، أما الأجراء فكثيرون**. لكن ماذا قيل عن الأجراء؟ "الحق أقول لكم أنهم قد أخذوا أجرتهم" (مت ٦: ٢). أما عن الواعي فماذا يقول الرسول؟ "لكن من يطهر نفسه من مثل هذه يصير أنية للكرامة مقدسة ونافعة للرب، معدة لكل عمل صالح" (٢ تي ٢: ٢١)، ليست معدة لأمر معين بل "معدّة لكل عمل صالح" **[1114]**.

القديس أغسطينوس

"والأجير يهوب،

لأنه أجير ولا يبالي بالخوف". **[13]**

يشبه القديس أغسطينوس الأجراء الذين يعملون في الخدمة لحساب أنفسهم لا لحساب المسيح بالأسوار المملوءة شوكاً وقد استندت عليها الكرامة الحاملة العنب. فيليب بنا أن نتمتع بعنب الكرامة المحمول على الأشواك. العنب الذي لم يصدر عن الشوك بل عن الكرامة.

يقدم لنا الرسول مثلاً لهذه الأشواك الحاملة للكرامة: "وأما قوم فعن حسد وخصام يكرزون بالمسيح، وأما قوم فعن مسوة. فؤلاء عن تحوب

ينابون بالمسيح، لا عن إخلاص... غير أنه على كل وجه سواء كان بعلّة أم بحق يُنادى بالمسيح، وبهذا أنا أفرح، بل سأفرح أيضاً" (في ١: ١٥

[1115] (١٨).

❖ في هذا يختلف الواعي عن الأجير، واحد يطلب دوماً ما هو لسلامه غير مبالٍ بالخوف، والآخر يطلب ما هو للخوف غير مبالٍ بما هو لنفسه... قديماً انتهر حزقيال (الأجراء) وقال: "ويل لكم يارعاة إسوائيل. هل وعى الرعاة أنفسهم؟ ألا وعون الخوف؟" (خر ٣٤: ٢ LXX). لكنهم فعلوا ما هو على خلاف ذلك، الذي هو أشد أنواع الشر، وعلّة كل بقية الشرور. فقد قيل: "لم يستوتوا المطرود، والصال لم يطلوه، والمكسور لم يجبروه، والمويض لم يشفوه، لأنهم عوا أنفسهم لا الغنم" (إجع حز ٣٤: ٤).

وكما أعلن بولس أيضاً في موضع آخر: "إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح" (في ٢: ٢١). وأيضاً: "لا يطلب أحد ما هو

نفسه بل كل واحد ما هو للأخر" (١ كو ١٠: ٢٤) **[1116]**.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يكون الشخص أجوراً إن احتل موضع الواعي لكنه لا يطلب نفع النفوس. إنه يتوق إلى المنافع الأرضية، ويفرح بكرامة العواكر السامية، وينقاد إلى الربح المؤقت، وينعم بالكرامة المقدمة له. هذه هي مكافأته... مثل هذا لا يقدر أن يقف عندما يكون القطيع في خطر.

الآن إذ يجد الكرامة ويتمتع بالمنافع المؤقتة يخشى مقاومة الخطر لئلا يفقد ما يجب... عندما يقترح شخص شوير المؤمنين المتواضعين، يكون

هذا ذنباً يهجم على القطيع، يعزق أذهانهم بالتجرب. لا يتحمل الأجير مسؤولية حماية القطيع.

تهلك النفوس بينما يتمتع هو بالمنافع الأرضية. ليس من غوة تلتهب في الأجير ضد هذه التجرب، ليس من حب يثوه، كل ما يطلبه هو المنافع

الخرجية، وبإهمال يسمح للأضوار الداخلية أن تحل بقطيعه **[1117]**.

"أما أنا فأني الواعي الصالح،

وأعرف خاصتي،

وخاصتي تعرفني". [14]

تلامس الموتل مع الرب الواعي الصالح في مزموه الواعي (مز ٢٣)، حيث يكشف عن مدى اهتمام الرب الفائق وعيته.

تكشف الرعاية الصالحة عن الحب المشوك والمعرفة المتبادلة بين الواعي وعيته. فالواعي يعرف عيته، لا معرفة منسية تعتمد على

التنظيمات المجردة، بل معرفة الالتصاق بهم، والانتساب إليهم وانتسابهم له، فيصيروا خاصته التي تتأهل لمعرفته.

لقد عرف الله إواهم واسحق ويعقوب، فدعا نفسه "إله إواهم وإله اسحق وإله يعقوب". وعرف بولس راعيه الأعظم فيحسبه ربه وإلهه هو! هكذا

خلال هذه الرعاية الحقيقية يسمع كل حمل من بين القطيع صوت راعيه يؤكد له: "وأكون له إلهًا، وهو يكون لي ابنًا" (رؤ ٢١: ٧).

إنه يعرف خاصته، إذ يتطلع إليهم بعيني الحب والاهتمام الواعي، يعرفهم فيبذل ذاته بكل سرور من أجلهم. وكما يقول القديس يوحنا: "هو

أحبنا أولاً" (١ يو ٤: ١٩). وكما يقول الرسول بولس: "وأما الآن إذ عرفتم الله، بل بالأحرى عرفتم من الله" (غلا ٤: ٩).

نظرات حب الواعي تسحب نظرات الوعية إليه، وكما يعرف الواعي خاصته بالحب العملي والاتحاد معهم يعرفونه هم ويجدون لذتهم في

الاتحاد معه. هذا هو العهد الجديد، عهد النعمة القائم على الحب بين الله وخاصته. فتترك الخاصة كلمات راعيهم: "أنا أعلم الذين اختوتهم" (يو ١٣:

١٨)، وفي يقين الإيمان بالواعي يرددون مع الرسول: "لأنني عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم" (٢ تي ١: ٢١).

❖ المسيح إذن هو الواعي الصالح. ماذا كان بطوس؟ ألم يكن راعيًا صالحًا؟ ألم يبذل حياته عن القطيع؟ ماذا كان بولس؟ ماذا كان بقية الرسل؟ ماذا

عن الأساقفة الطوبويين والشهداء؟... ماذا عن كويانوسنا القديس؟ ألم يكن هؤلاء جميعًا رعاةً صالحين؟... هؤلاء جميعًا كانوا رعاةً صالحين، ليس

لمجرد سفك دمائهم، إنما سفكوه من أجل القطيع، ليس في كورباء، بل سفكوه في محبة.

ماذا تقول يارب، أيها الواعي الصالح؟ فإنك أنت هو الواعي الصالح، أنت هو الحمل الصالح. في نفس الوقت أنت الواعي والوعى، الحمل

والأسد في نفس الوقت. ماذا تقول؟ هب لنا أذنًا وأعنا لكي نفهم. إنه يقول: "أنا هو الواعي الصالح". وماذا عن بطوس؟ هل هو ليس راعٍ أو هل هو

شوير؟... إنه راعٍ صالح، لكنه كلا شيء بالحق بالنسبة لقوة راعي الرعاة وصلاحه، ومع هذا فإنه راعٍ وصالح، وكل الآخرين الذين مثله هم

[1118]

رعاة صالحون .

❖ المسيح هو بابي إليكم، بالمسيح أجد مدخلًا، لا إلى بيوتكم بل إلى قلوبكم. بالمسيح أدخل، إنه المسيح الذي فيّ، هو الذي تريدون أن تسمعوا له. ولماذا

تريدون أن تسمعوا المسيح في؟ لأنكم قطع المسيح، أشوتيتم بدم المسيح. إنكم تعرفون ثمنكم، الذي لا يُدفع بواسطة، وإنما يركز به بواسطة. إنه هو،

[1119]

. وهو وحده المشوّي، الذي سفك دمه الثمين - الدم الثمين لذاك الذي بلا خطية .

القديس أغسطينوس

"كما أن الآب يعرفني، وأنا أعرف الآب،

وأنا أضع نفسي عن الخواف". [15]

ليس فقط انتهى البذل حتى الموت من أجل قطيعه بل كراعٍ صالح يؤكد: "وأنا أضع نفسي عن الخواف". لقد حقق خطة البذل فعلاً. قدم حياته

المبذولة مؤلاً ليقنتي الخواف. اشتاها لا لكي يذبحها، وإنما يُذبح هو لكي يذبحها. لا يُقدم القطيع ذبيحة عن صاحبها كما في العهد القديم، بل يقدم الواعي

نفسه ذبيحة عن قطيعه.

❖ "خاصتي تعرفني، كما أن الآب يعرفني، وأنا أعرف الآب"، بمعنى سأكون منتمياً لقطيعي وهم يرتبطون بي، بدأت الكيفية التي بها يعرف الرب الآب

ابنه الحقيقي الوحيد الجنس، ثوة جوهه، ويعرف الابن الآب، بكونه الله الحقيقي، وولد كيانه من هو منه، هكذا نحن إذ تعبنا لنكون له يُقال أننا من عائلته، ونُحسب أبناءه. نحن بالحقيقة أُولبؤه (أع 17: 29)، ونحمل اسم الابن، وبسبب ذلك الذي من الآب، فإنه وهو المولود من الله، إله حق، قد صار إنساناً، وأخذ طبيعتنا، ماعدا الخطية [1120].

القديس كيرلس الكبير

❖ إنه (الآب) يعرف أنه قد ولده، كما يعرف هو أيضاً أنه مولود منه. وباختصار أذكر ما جاء في الإنجيل: "أنه لا يعرف أحد الابن إلا الآب، ولا الآب إلا الابن" (مت 11: 27، يو 10: 15؛ 17: 25) [1121].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ إنه يعرف الآب بنفسه، ونحن نعرفه به... إذ يقول: "الله لم وه أحد قط، الابن الذي في حضن الآب هو يخبر" (يو 1: 18). هكذا به ننال هذه المعرفة التي يعلنها لنا [1122].

❖ تذكروا كيف أن الرب يسوع المسيح هو الباب والواحي، الباب بتقديم نفسه لكي يُعلن، والواحي الذي يدخل بنا بواسطته. بالحقيقة يا اخوة، لأنه هو الواحي يعطي لأعضائه أن يصيروا مثله. فإن كلا من بطرس وبولس وغوهما من الوسل وكل الأساقفة الصالحين كانوا رعاة. لكن لا يدعو أحد منا نفسه أنه الباب. فقد ترك هذا بالتمام لنفسه. في اختصار ملرس بولس عمل الواحي الصالح عندما كرز بالمسيح، إذ دخل من الباب. لكن حينما بدأ القطيع غير المهذب يسبب انشقاقات، وأن يقيموا أبواباً أخرى أمامهم... قال بولس أنا لست الباب؛ "هل صُلب بولس من أجلكم، أو هل اعتمدتم باسم بولس؟! (١ كو ١: ١٢-١٣).

القديس أغسطينوس

"ولي خراف آخر ليست من هذه الحظوة،

ينبغي أن آتي بتلك أيضاً،

فتسمع صوتي،

وتكون رعيةً واحدةً، وراعٍ واحدٍ." [16]

يقدم لنا الواحي الصالح في هذا السفر تأكيده عن المعرفة الفريدة المتبادلة بين الآب والابن، علامة وحدة الفكر والإرادة ووحدة العمل معاً (مع وحدة الجوهر الإلهي)، كمثال للمعرفة بينه وبيننا كخاصته المحبوبة لديه التي تجد أديتها في قبول مشيئته وقوته والعمل به ومعه! يتحدث بعد ذلك عن الخراف الآخر التي من الأمم، بكونها خرافه التي يأتي بها إليه لتكون مع خراف بيت إسرائيل رعية واحدة لراعٍ واحد. بقوله: ينبغي أن "آتٍ بتلك" يؤكد السيد المسيح بوره الإيجابي في اقتناء الأمم شعباً له، فهو الذي يقدم دمه ثمناً لخلصهم، وهو الذي يعمل بروحه فيهم ليجذبهم، لكن ليس بغير رادتهم. إنه يفتح قلوب مؤمنيه لمحبة كل البشوية المدعوة للتمتع وعباية السيد المسيح مخلص العالم. وفي نفس الوقت يحطم تشامخ اليهود الذين ظفوا أن المسيا قادم إليهم وحدهم، وإنهم قطيع الله الفريد، متطلعين إلى الأمم ككلابٍ بين القطيع. بقوله "ينبغي" يؤكد السيد الزام الحب؛ حبه الإلهي يؤمه بتقديم ذاته ذبيحة لفضاء قطيعه بسورٍ.

إنه يأتي بالكل من جميع الأمم ليودهم إلى الوعى الحقيقي، الكنيسة المقدسة؛ يفتح لهم أبوابها السماوية ليدخلوا بعد تيه في البوية لزمانٍ هذا مقلره. إنه ينسبهم له، فهم قطيعه الذي خلقه ويهتم بخلصه، ويقدم دمه الثمين ثمناً لخلصهم، وودهم في كرامةٍ ومجدٍ.

هذا القطيع أياً كان مصوره، إذ هو قادم من أمم كثرة، يسمع صوت الواحي الواحد فيؤمن به، إذ الإيمان بالاستماع، فينجذبون إليه ويتحنون معه كأعضاءٍ لجسدٍ واحدٍ ولأس واحد. وكما يقول الرسول: "جسد واحد، وروح واحد، كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد، رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله وأب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم" (أف ٤: ٤-٦). هكذا ترتبط وحدة القطيع أو الوحدة الكنسية بوحدة الواحي.

- ❖ كأنه يقول: ما بالكم تتعجبون إن كان هؤلاء القوم سيبتعونني، وإن كان غنمي يسمع صوتي، لأنكم إذ أرايتم أغنام أخرى تتبعني وتسمع صوتي فستذهلون حينئذ ذهولاً عظيماً.
- ❖ "ينبغي أن آتي بتلك"، كلمة "ينبغي" هنا لا تعني "ضرورة"، بل هي إعلان عما سيحدث حقاً. كأنه يقول: لماذا تتعجبون إن كان هؤلاء يتبعونني وإن كانت خرافي تسمع صوتي؟ فإنكم سترون آخرين أيضاً سيبتعونني ويسمعون صوتي، فتكون "دهشتهم أعظم". لا ترتبكون عندما تسمعه يقول: "ليست من هذه الحظوة"، فإن الاختلاف يخص الناموس وحد، كما يقول بولس: "لا الختان ينفع شيئاً، ولا الغلّة" (غلا ٥: ٦).
- "ينبغي أن آت بتلك أيضاً" [١٦]. لقد أظهر أن هؤلاء وأولئك قد تشبهوا وامتزجوا، وكانوا بلارعاة، لأنه لم يكن بعد قد جاء الراعي الصالح. عندئذ أعلن عن وحدتهم المقبلة إذ يصيروا رعية واحدة. وهو نفس الأمر الذي أعلنه بولس بقوله: "لكي يخلق الاثنان في نفسه إنساناً واحداً جديداً" (أف ٢: ١٥) [1123].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ "أخبرني يا من تحبه نفسي أين توعى؟ أين تربض عند الظهيرة؟ لماذا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك" (نش 7:1).
- "أين توعى أيها الراعي الصالح، يا من تحمل القطيع كله على كتفك؟ لأنك إنما حملت خروفاً واحداً على كتفك ألا وهو طبيعتنا البشرية. رأني الراعي الخضواء. عرفني مياه الراحة (مز 2:22). قدني إلى العشب المشبع. ادعني باسمي (يو 16:10) حتى اسمع صوتك، أنا خروفك، أعطني حياة أبدية" [1124].

القديس غريغوريوس النيسي

- ❖ ضوب الفريسيين المعاندين بطوق متنوعة. هنا سمح لهم أن يلاحظوا أنهم على وشك زعمهم عن رعاية شعبه، الذي يدبر أمورهم بنفسه الآن. إنه يعني إن الخلط بين قطعان الأمم مع أولئك الذين لهم رادة صالحة من شعب إسرائيل، فلا يعود يحكم اليهود وحدهم، بل ينتشر مجد نوره على الأرض كلها. إنه وغب ألا يُعرف في إسرائيل وحدها منذ البداية، بل يقدم لكل الذين تحت السماء معرفة الله الحقيقي [1125].

القديس كيرلس السكثري

- ❖ توجد سفينتان (لو ٥: ٢) منهما دعا تلاميذه. إنهما تشيران إلى هذين الشعبين (من اليهود ومن الأمم)، عندما ألقوا شباكهم وأخرجوا صيداً عظيماً وعدداً كبيراً من السمك، حتى كادت شباكهم تتحرق. قيل "امتألت السفينتان" تشير السفينتان إلى الكنيسة ولكنها تتكون من شعبين، لربطاً معاً في المسيح، وإن كانا قد جاءا من أماكن متباينة.
- عن هذه أيضاً الزوجتان اللتان لهما زوج واحد يعقوب، وهما ليثة وراحيل، كانتا رزاً (تك ٢٩: ٢٣، ٢٨). وعن هذين الشعبين كان الأعميان رزاً، جلسا على الطريق ووهبهما الرب النظر (مت ٢٠: ٣٠). وإن دقت في الكتاب المقدس تجد الكنيستين اللتين هما كنيسة واحدة وليس اثنتين قدرمز لهما في مواضع كثرة [1126].

القديس أغسطينوس

- ❖ أخو، الذبائح نفسها التي للرب تعلن أن الاجتماع المسيحي يرتبط بذاته بحب ثابت لا يفصل. لأن الرب عندما دعا الخبز الذي يتكون من وحدة حبوب كثرة جسده، يشير إلى شعبنا الذي يحمل اتحاداً. وعندما يدعو الخمر المعصور من عناقيد العنب والحبوب الصغوة جداً التي تجتمع معاً في دمه الواحد، هكذا أيضاً يعني قطيعنا الممزج معاً بجماهير متحدة [1127].

يخطئ البعض حين يظنون في الآب العدالة الإلهية والابن الرحمة الإلهية. هؤلاء يتصورون أن الابن مملوء حبًا نحو البشر، وقد قدم ذاته ذبيحة حب ليرفع غضب الآب. وقد اعتقد بعض الغنوسيين في القرون الثاني أن إله العهد الجديد (الابن) جاء يخلص العالم من إله العهد القديم لأنه غضوب! هنا يؤكد القديس يوحنا أن ذبيحة المسيح هي موضوع حب الآب لنا، وأنها ثرة الحب المتبادل بين الآب والابن. فالحب الإلهي هو سمة الثالوث القنوس وليس خاصًا باقتوم دون آخر.

الابن الوحيد الجنس موضع حب الآب أوليًا، أما وقد تجسد وصار بالحقيقة إنسانًا، فإنه يتمتع بحب الآب كابن البشر حيث يقدم حياته مبذولة عن البشوية. لقد صار برادته خادمًا باذلاً من أجل العالم ليقتنيه لحساب الله أبيه. وقد جاء في أناشيد العبد الأمين المتألم: "هوذا عبدي الذي أعضده، مختلري الذي سوت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم" (إش ٤٢: ١).

بهذا التدبير الإلهي قدم نفسه لنا "الطريق"، فإننا إذ ندخل فيه نشركه سمة الحب البازل العملي والأمانة، فنشتهي أن نشركه صلبه وموته لنصير فيه موضع سرور أبيه. ببذله فدى البشوية وقدمها لأبيه، وبتحادنا به ننعم بمجد البذل والصلب معه.

يتحدث السيد عن موته "أضع نفسي" وعن قيامته "آخذها". إنه صاحب سلطان ما كان يمكن لكل قوات الظلمة أن تتصرف هكذا بدون إذنه؛ في سلطانه أن يضع نفسه ويأخذها. هكذا يقدم الموت والقيامة بأسلوب بسيط، بلا ازعاج أمام الموت، ولا دهشة أمام قيامته.

❖ "لأنني أضع نفسي". ليت اليهود لا يفتخرون بعد، هم يهيجون لكنهم بلا سلطان. ليثوروا كيفما شاعوا فإن كنت غير راغب أن أضع نفسي، ماذا يفعل هياجهم هذا؟...

لا يفخر اليهود كمن غلوا، فإنه هو الذي وضع حياته بنفسه...

أنتم تعرفون العزومور: "أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت (قمت)، لأن الرب عضدني" (مز ٣: ٥)...

إنها مسرتي أن أفعل هذا...

لكنه يجب أن يعطي المجد للآب لكي يحثنا على تمجيد خالقنا. فبإضافته: "أنا استيقظت لأن الرب عضدني" أتظنون أنه قد حمل هنا نوعًا من الحرمان من سلطانه، حتى أنه في سلطانه أن يموت، وليس في سلطانه أن يقوم؟ حقًا تبدو الكلمات هكذا إن لم تُترك كما ينبغي... اسمعوا عبارة أخرى في الإنجيل إذ يقول: "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه"، ويضيف الإنجيلي: "وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده" (يو ٢: ١٩، ٢٠) [1128].

[1129]

❖ يضع الجسد نفسه بقوة الكلمة، ويأخذ الجسد مرة أخرى بذات قوة الكلمة.

❖ "هذه الوصية قبلتها من أبي" [١٥]. لم يقبل الكلمة الوصية في كلمات، وإنما في الابن الوحيد كلمة الآب تقوم كل وصية. ولكن حين يُقال أن الابن يقبل من الآب ما لديه جوهريًا فيه، إنما يعطيه الحياة في ذاته (يو ٥: ٢٦)، بينما الابن هو نفسه الحياة فلا ينقصه شيء من السلطان لم يعطه مولده.

فإن الآب لم يصف مواهب كما لو كان الابن غير كامل في مولده، بل الذي ولده كماله مطلق، يحمل كل العطايا بمولده. في هذا أعطاه المساواة

[1130]

معهم ولم يلد قط في عدم مساواة له.

القديس أغسطينوس

❖ أي شيء يكون أكثر ملئًا من السمات البشوية عن هذا القول، إن كنا نحسب ربنا محبوبًا لأنه يموت من أجلنا؟ ماذا إذن؟ أخبروني ألم يكن محبوبًا قبل ذلك؟ هل بدأ الآب يحبه وكنا نحن السبب في حب الآب له؟ ألا ترون كيف يستخدم التنزل؟ لكن ماذا يريد أن يؤكد هنا؟ لأنهم قالوا إنه كان غريبًا عن الآب ومخادعًا وجاء ليهلك ويدمر، لذلك قال لهم: "هذا لو لم يوجد ما يدفعني أن أحبكم، بمعنى أنكم محبوبون من الآب، وأنا أيضًا محبوب

منه، لأنني أموت من أجلكم". بجانب هذا وغب في الوهنة على نقطة أخرى أنه لم يأت ليفعل شيئاً بغير رادته، فإنه لو كان الأمر هكذا فكيف يكون عملي هذا سبباً في الحب؟ [1131]

القديس يوحنا الذهبي الفم

ليس أحد يأخذها مني،

بل أضعها أنا من ذاتي.

لي سلطان أن أضعها،

ولي سلطان أن يأخذها أيضاً،

هذه الوصية قبلتها من أبي". [18]

إذ يضع نفسه يأخذها، لأنه قدوس الله الذي لن يفسد (مز ١٦ : ١٠). إذ صار جسداً بولادته سلم نفسه باذلاً جسده لكي يقبله من يدي الآب جسداً مجيداً، فاتحاً لنا باب القيامة، إذ هو نفسه "القيامة". أعطانا فيه حق التمتع بالجسد الممجد القادر أن يشترك النفس مجدها السموي. إنه يؤكد أن موته يتحقق بكامل رادته، إذ هو صاحب سلطان أن يموت وأن يقوم. هذا البذل هو موضع سروره كما هو موضع سرور الآب، وفي طاعة كاملة سلم الأمر بين يدي الآب، ليحقق رادته التي هي واحدة مع رادة الآب.

❖ انتهى المسيح أن يأكل الفصح (لو 15:22)، وأن يبذل حياته ليضعها بولادته ويأخذها أيضاً بولادته (يو 18:10)، وقد تحققت شهوته.

القديس أغسطينوس

❖ وضع حياته لكي يمجدها، ولكن كان سلطان لاهوته أن يضعها وأن يأخذها أيضاً... ها أنتم ترون صلاحه، أن يضعها بولادته؛ ها أنتم ترون سلطانه أيضاً أن يأخذها [1132].

القديس أمبروسيوس

❖ إذ كانوا كثراً ما يطلبون قتله أخوهم: "ما لم رد أنا ذلك، فإن تعبكم يكون باطلاً". وبالأمر الأول وهن على الثاني، بالموت وهن على القيامة. فإن هذا هو الأمر الغريب والعجيب.

كلاهما وضعاً في طريق جديد على خلاف العادة.

لنتأمل بدقة لما يقول: "لي سلطان أن أضعها" [١٨]. من ليس له سلطان أن يضع نفسه؟ فإنه في مقبرة أي إنسان أن يقتل نفسه. لكنه قال هذا ليس هكذا، وإنما كيف؟ "لي سلطان أن أضعها بطريق هكذا، إنه لا يقدر أحد أن يفعل هذا ضدي بغير رادتي". هذا السلطان ليس لدى البشر، فإنه ليس لنا سلطان أن نضعها بأية وسيلة سوى أخرى إلا بقتلنا أنفسنا. وإن سقطنا تحت أي دي أناس ضدنا ولهم سلطان أن يقتلونا، فإنهم يضعون أنفسنا ولو بغير رادتنا. لم يكن حال المسيح هكذا، وإنما حتى عندما تأمر الآخرون ضده كان له سلطان ألا يضعها.

إذ هو وحده له السلطان أن يضع حياته أظهر أن له ذات السلطان أن يأخذها ثانية.

ألا ترون أنه بالأولى وهن على الثانية، وبموته أظهر أن قيامته غير قابلة للنقاش؟ [1133]

❖ في قوله "هذه الوصية قبلتها من أبي" إن سألت السيد المسيح: وما هي هذه الوصية؟ أجابك: هي أن أموت عن العالم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أخبرنا مقدماً أنه في وقت آلامه سيحل نفسه من جسمه بولادته قائلاً: "أضع نفسي لأخذها أيضاً. لا يأخذها أحد مني، بل أضعها بنفسي. لي سلطان أن أضعها أن أضعها، ولي سلطان أيضاً أن يأخذها" [17، 18].

نعم داود النبي أيضاً، حسب تفسير العظيم بطرس إذ تطلع إليه قال: "لا تتوك نفسي في الهلوية، ولا تدع قدوسك وي فساداً" (مز 16: 10؛ أع

2: 27، 31). فإن لاهوته - قبل تجسده وعندما تجسد وبعد آلامه - غير قابل للتغيير كما هو، بكونه في كل الأوقات كما كان بالطبيعة وسيبقى كما هو إلى الأبد. لكنه إذ أخذ الطبيعة البشرية كمل اللاهوت التدبير لصالحنا بزوع النفس إلى حين من الجسم، ولكنه بدون إن يفصل اللاهوت عن إحداهما، هذان (النفس والجسم) اللذان كانا مرة متحدتين، وإذ يضم العنصوين مرة أخرى اللذين انفصلا يعطى لكل الطبيعة البشرية بداية جديدة ومثلاً لما سيحدث في القيامة من الأموات، بأن يحمل كل الفاسدين عدم الفساد، وكل المائتين عدم الموت [1134].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

"فحدث أيضاً انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام". [19]

هذه هي المرة الثالثة التي حدث فيها انشقاق بين المستمعين للسيد المسيح (يو ٧: ٤٣؛ ٩: ١٦)، إذ كان عدو الخير يبذل كل الجهد لإفساد عمل السيد المسيح.

إذ تحدث السيد المسيح عن بذله العملي لكل حياته من أجل قطيعه، وقيامته لكي يقيمهم، لم يحتمل البعض هذا الحب الإلهي الفائق، فحسوه يتكلم هكذا بدافع شيطاني أو بسبب اختلال عقله. بينما يشتهي الرب تمجيدنا أبدياً يقاومه البعض ويسئون إليه، مطالبين الآخرين بعدم الاستماع إليه، فحدث انشقاق بين الوقيين.

"فقال كثيرون منهم: به شيطان وهو يهذي،

لماذا تستمعون له؟" [20]

اتهمه البعض أن به شيطان، وأنه مجنون، لماذا يستمعون له؟ إنه يهذي ويتكلم بلاوعي. هذا الاتهام لا زال يُوجه إلى السيد المسيح خلال كل من يشهد للحق ويتحدث عن السماء والأبدية، حيث يحسبه السامعون أنه غير واقعي، وأنه خيالي. لقد استخفوا أيضاً بسامعيه، بكونهم يشجعونه على بث هذه التعاليم. لا يكتفي غير المؤمن بعدم قبول الكلمة الإلهية، وإنما يسخر أيضاً منها، ويحث الآخرين على مقاومتها، بل أحياناً يكوس طاقته لمقاومة المستمعين لها، فيقول: "لماذا تستمعون إليه؟"

[1135]

❖ لقد صاروا متلججين برداً في عذوبة الحب له، ومحترقين بالشهوة نحو أذيته. كانوا بعيدين جداً بينما هم بجوره

القديس أغسطينوس

❖ كل فضيلة صالحة، أما فوق الكل فهي فضيلة اللطف والوداعة. هذه تظهرنا بشراً مختلفين عن الوحوش المفترسة، هذه تليق بنا لننافس ملائكة. لهذا فإن المسيح يتحدث كثوراً عن هذه الفضيلة، أمراً إيانا أن نكون ودعاء ولطفاء. ليس فقط يقدم كلمات كثرة عنها، وإنما يعلمنا إياها بأعماله... فقد دعاه هؤلاء الناس شيطاناً وساموياً وكثوراً ما طلبوا قتله، وألقوه بحجرة... مع هذا لم يرفضهم، ومع أنهم تأمروا ضده أجابهم بوداعة عظيمة [1136].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"آخرون قالوا:

ليس هذا كلام من به شيطان،

ألعل شيطاناً يقدر أن يفتح أعين العميان؟" [21]

هذا الويق وإن كانوا لم يؤمنوا به بكونه المسيا ابن الله، إلا أنهم لم يحتملوا إهانته ونسبته للشيطان. تعاليمه لا تحمل عنف الشيطان وفساد مملكته، أما عجائبه وأعماله فلن يقدر شيطان أن يفعلها.

❖ والآن لم يقل إنه ليس به شيطان، لأنه إذ أعطاهم وهاناً بأعماله صمت فيما بعد. فما الحاجة إلى أن يوبيخهم إذ كان بعضهم يعاند بعضاً، وأحدهم يوبخ الآخر. لهذا صمت، واحتمل شنائهم كلها بأوفر وداعة، ليس لهذا الغرض فقط، لكن ليعلمنا كافة دعتة وطول أناته.

2 - الوحدة مع الآب

"كان عيد التجديد في أورشليم،

وكان شتاء". [22]

هنا نجد أيضًا حورًا بين السيد المسيح واليهود داخل الهيكل، وكان ذلك في عيد التجديد *Hanukkah* ، في الشتاء. كان هذا العيد تذكارًا لما فعله يهوذا المكابي عام 165 / 164 ق.م. قام بتطهير الهيكل من الوجاسة التي دنس بها أنطيوخوس الرابع ابيفينوس السوياني الهيكل قبل ثلاث سنوات (1 مك 4: 36-59). والزمهم بالعبادة الوثنية، ومنعهم من ختان الأطفال وحفظ السبت. وقد جاء ذكر هذا العيد في أكثر تفصيل في ٢ مك ١: ١٨. كان يُنظر إلى عودة الحرية إليهم كمن قاموا من الموت وتمتعوا بالحياة من جديد، ولتذكارة ذلك أقاموا عيدًا سنويًا في الخامس والعشرين من شهر كسلو، حوالي بدء شهر ديسمبر ويمتد العيد لمدة تسعة أيام بالأثوار . لا يُحتفل بالعيد في أورشليم وحدها كبقية الأعياد، وإنما يحتفل به كواحد في موضعه، وذلك كعيد الفريم (إش ٩: ١٩). إذ كان اليهود يحتفلون بعيد تقديس الهيكل وتكريسه [22] أعلن السيد المسيح أنه هو الذي كرسه الآب وأرسله إلى العالم [36].

" وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان". [23]

" فاحتاط به اليهود وقالوا له:

إلى متى تعلق أنفسنا؟

إن كنت أنت المسيح، فقل لنا جهرًا". [24]

كان يسوع يتمشى في الهيكل، في رواق سليمان، وهو يقع في القسم الشرقي من دار الأمم، أكبر دار في منطقة الهيكل، يحوط المباني الداخلية. هذا لا يعني أن الذي بناه سليمان، لأن الهيكل تهدم وأعيد بنائه، لكنه صار لا زال يحمل اسم أول من قام ببنائه، وقد احتفظوا باسم سليمان من أجل شهرته العظيمة "هيكل سليمان".

تمشى يسوع وحده كمن يلاحظ تصرفات مجلس السنهدين الجالس هناك، حيث قيل: "الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي. حتى متى تقضون جورًا وترفعون وجوه الأثوار؟" (مز ٨٢: ١-٢). يتمشى ليقدم خدماته لكل محتاج، ويجب على كل تساعل، ولكي يفتح الباب لكل راغب في المشي معه في الرواق. سئل السيد المسيح في اليوم الثامن من العيد إن كان هو المسيح، فأجاب:

أ- يعرف قطيع المسيح الحقيقي لاهوته ومسيحانيته [25-27].

ب- يخلص قطيعه في آمان وسلام [28-29].

ج- أكد يسوع وحدة الجوهر مع الآب، وأترك اليهود أنه يسوي نفسه بالآب [30-31].

د - دافع عن لاهوته بأعماله وبنوات الكتاب المقدس [32-39].

هـ - إن كان إسرائيل يدعو قضاياه آلهة [34-39] لأنهم يمثلون الله (مز 7: 82)، فلماذا يتعشرون في ابن الله الحقيقي الذي أرسله الآب [36]. جاء إلى بيته وبيت أبيه، أي الهيكل، ليقدم كل نفس تطلبه، لكنهم اجتمعوا معًا كرجل واحد بنية شروة يسألونه لماذا يعلق أنفسهم، فإن كان هو المسيح المنتظر فليخروهم. وى البعض أن السؤال حمل اتهامًا شروًا.

كأنهم يقولون: لماذا تسحب قلوب الناس كما فعل أبشالوم حين تعود على داود أبيه ليسحب منه العرش بروح الغش والخداع؟ أو لماذا تخذع قلوب البسطاء لتقيم لك تلاميذ؟ جاء سؤالهم يحمل مظهرًا صالحًا أنهم يريدون التعرف على الحق.

كانوا يعلمون أن المسيا سيكون ملكًا، لكن حسب فوهم أنه ملك زمني. لهذا طلبوا إجابة صريحة كي يشتكروا عليه لدى السلطات الرومانية أنه متمدود وخائن للرومان.

لم يلم القادة أنفسهم على فساد أفكارهم وقلوبهم بل ألقوا باللوم على السيد المسيح نفسه الذي جذب الشعب وبعض القادة فسبب لرتبًا وانقسامًا في مجمع السنهريين. إنهم يلقون باللوم على السيد المسيح أنه تركهم في حيرة ورتباك. عوض لومهم لأنفسهم أنهم لا يقبلون الحق، ولا يريون المعرفة. كأنه قد أرادت بعض القيادات الدينية اليهودية أن تدخل معه في مشاورة: إلى متى تركنا في حيرة وقلق؟ إلى متى تسحب قلوبنا؟ لتكن واضحة وتعلن عن شخصك علانية. فإن أعماله تشهد أنه هو المسيا المنتظر، أما هم فريدون كلمة صريحة ربما لكي يدينوه عليها متى أعلن أنه المسيا المنتظر. روى البعض في السؤال إعلانًا صادقًا عن الصواع الداخلي بين شعرهم بقدسيته، إذ أعماله تظهره، واقتناعهم بشخصه، وبين خوفهم على مراكبهم وفساد قلوبهم الذي يمنعهم عن قبوله، فإنهم يريون مسيحًا حسب هواهم، يحقق لهم اشتياقاتهم الزمنية.

أظهروا أنفسهم كمن يريون المعرفة، مع أن القديس يوحنا المعدان شهد لهم بكل وضوح، والسماء أعلنت عن شخصه، والسيد المسيح نفسه حدثهم أنه نور العالم والراعي الصالح، وواهب الحياة الأبدية، وأعماله شهدت لشخصه.

روى البعض أن كلمة "نفوسنا" هنا تعني "حياتنا"، وذلك كما سبق فقال السيد المسيح: "لي سلطان أن أضع نفسي"، أي يموت. ولعل بعض اليهود شعروا أن تعاليم السيد المسيح بما فيها من حب وتسامح ستقضي تمامًا على حياتهم كأمة يهودية. وقد عبّر عن ذلك قيافا حين قال: "إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا" (١١: ٤٨).

❖ لقد عرف أن نيتهم التي بها قدموا هذا التساؤل شرة. فإنهم إذ يحيطون به ويقولون: "إلى متى تعلق أنفسنا؟" كما لو صرحت عن غوة نحو المعرفة. لكن غايتهم كانت منحرفة وفسادة ملوثة قورًا خفية... فإنهم لم يسألوا لأجل التعلم كما يبدو الهدف.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجابهم يسوع:

إني قلت لكم ولستم تؤمنون.

الاعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي". [25]

طلب اليهود إجابة واضحة وصريحة، إما نعم أو لا. هذا لم يكن ممكنًا، لأن مفهومهم "المسيا" يختلف تمامًا عما في خطته الإلهية. ومع هذا فقد وضع السيد المسيح إصبعه على المشكلة، إذ لا تتقصم المعرفة، بل تتقصم الإرادة أن يؤمنوا. أعماله الإلهية تشهد لشخصه (يو ١٤: ١١). المشكلة في داخلهم وليست في الكشف عن شخصه. لكي لا يكون لهم عذر قال لهم أنه سبق فأخبرهم بالكلام كما بالعمل. سبق فأعلن لهم أنه ابن الله وابن الإنسان الذي له الحياة في ذاته، وأنه صاحب سلطان أن يدين، أفليس هو المسيح؟ لقد تظاهروا أنه تركهم في حيرة، لكنه أكد لهم أنهم لا يريون أن يؤمنوا. أشار إلى أعماله وإلى حياته، فهو الذي بلا خطية، أعماله وحياته تشهد لحقيقة شخصيته الفريدة.

من جانب يود أن يقدم كل معرفة حقيقية، إن كان الشخص مخلصًا في طلبها، وذلك كما فعل مع المرأة السامرية (٤: ٢٦)، ومع المولود أعمى (٩: ٣٥ - ٣٨). لقد عرفه بعض أتباعه منذ البداية (١: ٤١)، والتف حوله البعض إذ أركوا أنه المسيا المنتظر. لقد سبق فأعلن لليهود: "قبل أن يكون إواهم أنا كائن" (٨: ٥٨) (فرأوا أن وجوهه سمعوا بما فيه الكفاية عن شخصه فاتهموه بالتجديف، لأنه جعل نفسه مساويًا لله (٥: ١٨)).

❖ يبين السيد المسيح لليهود هنا أنه قد أبدى بأعماله صوتًا أكثر وضوحًا من صوته بأقواله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولكنكم لستم تؤمنون،

لأنكم لستم من خرافي،

كما قلت لكم". [26]

يلقي باللوم عليهم فإنهم حرموا أنفسهم من أن يكونوا من قطيعه فكيف يمكنهم التعرف عليه؟ إنهم ليسوا من قطيعه ليس بسبب نقص في الشهادة عن شخصه، وإنما بسبب نقصهم في الإيمان. ليس لهم عذر. إذ وُجد قطيع للمسيح آمنوا به خلال كلماته وأعماله وعرفوا صوته الذي يعطي لحياتهم معنى. هؤلاء يدينون من لم يؤمنوا به الذين بسبب عدم إيمانهم لم ينضموا إلى قطيع المسيح، ولا تعرفوا عليه أنه المسيا المنتظر، ولا عرفوا صوته، لذلك فهم يتبعون رعاة آخرين.

❖ كأن السيد المسيح يقول لليهود هنا: فإن كنتم لم تتبعوني فليس لأنني لست راعياً لكن لأنكم لستم غنمي. قال السيد المسيح هذا لكي يريدوا أن يصيروا غنماً له، ولكي ينهضهم ويجعل فيهم هذه الشهوة. [1138]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أجابهم أنه هو ابن الله. كيف؟ أنصتوا: " أجابهم يسوع: إني قلت لكم ولستم تؤمنون، الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي، ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خوافي " (يو 10: 25-26) ... إنهم خواف بالإيمان، خواف باتباع الراعي، خواف بعدم الاستخفاف بمخلصهم، خواف بدخولهم من الباب، خواف بدخولهم وخواف بخروجهم ليجنوا موعى، خواف بتمتعهم بالحياة الأبدية. إذن ماذا يعني القول: " أنتم لستم من خوافي " (٢٦)؟ لقد رآهم قد وُضوا للهلاك الأبدية، ولا ينالوا الحياة الأبدية بدمه. [1139]

القديس أغسطينوس

" خوافي تسمع صوتي،

وأنا أعرفها،

فتتبعني". [27]

قدم لهم السيد المسيح علامات قطيعه، وهي أنها تسمع صوته كراخ لها، أنها تعرف صوت حبه واهتمامه، فلتلتصق به وتتعرف عليه في أعماق جديدة، وتتأهل أن تكون موضع معرفته. وكما يقول الرسول: "يعلم الرب الذين هم له" (٢ تي ٢: ١٩).

❖ هذا هو الموعى، إن تذكرتم ما قاله قبلاً: " يدخل ويخرج ويجد موعى ". إننا ندخل الإيمان ونخرج عند الموت. ولكن إذ ندخل من باب الإيمان، فإننا quit كمؤمنين نتوك الجسم، فإنه بالخروج بذات الباب يمكننا أن نجد موعى. الموعى الصالح يدعى الحياة الأبدية، حيث لا توجد ورقة نبات جافة، بل الكل أخضر ومنتعش. يوجد نبات يُقال عنه أنه دائم الحياة، هناك فقط يوجد ليعيش. [1140]

القديس أغسطينوس

"وأنا أعطيها حياة أبدية،

ولن تهلك إلى الأبد،

ولا يخطفها أحد من يدي". [28]

لكي يقتنعهم باليؤس الذي يحل برفض الالتصاق به والانتساب إليه قدم لهم الجانب الإيجابي وهو بركات الحياة المطوبة التي يتمتع بها قطيعه ألا وهي الحياة الأبدية السماوية. أما هنا على أرض التعب والألم فقطيعه محفوظ بالروح القدس، لن يقدر العدو أن يمسه. وكما يقول الموتل: "هذا المسكين صوخ والرب استمعه، ومن كل ضيقاته خلصه. ملاك الرب حال حول خانفيه وينجيهم" (مز ٣٤: ٦-٧). إنه يعرفهم تمامًا، ويعرف احتياجاتهم، ويعرف مقاومة العدو لهم، لكنهم محفوظون فيه.

هنا يقدم السيد المسيح الحياة الأبدية كهبة لمن يؤمن به، كما يعلن عن الأمان الذي يتمتع به المؤمن، إذ هو محفوظ في يده، الأمر الذي لن يتمتعوا به خلال الفريسية التي يتمسكون بها. انضمامهم إلى قطيعه يهبهم أمانًا لن يبلغوه بأية وسيلة أخرى. وكما يقول الرسول بولس: "لأن هبات الله،

ودعوته هي بلا ندامة" (رو ١١ : ٢٩).

قطيع السيد المسيح هو هبة يتسلمها الابن من يد الآب، ويبقى محفوظاً في يد الابن [٢٨] كما في يد الآب [٢٩]، أي محفوظ بالروح القدس الذي هو روح المسيح وروح الآب أيضاً.

جاءت كلمة "يهلك" هنا لتعني المصير العرعب لدمارٍ أبدي، لذا فالخلاص منه لا يُقدر بثمن. أما كلمة "يخطف" فتشير إلى سلوكٍ عنيفٍ ضد الشخص، ليس من يقدر أن يحمينا منها سوى يد القدير التي تحفظنا فيها.

❖ "لن تهلك إلى الأبد" [٢٨] ... ماذا يستطيع الذئب أن يفعل؟ ماذا يمكن للسرقة أو اللص أن يفعلوا؟ إنهم لا يهلكون أحداً إلا الذين هم معينون للهلاك. أما عن تلك الخواف التي يقول عنها الرسول: "يعلم الرب الذين هم له" (تي ٢ : ١٩)، "الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم... والذين سبق فعينهم فمؤلاء دعاهم أيضاً، والذين دعاهم فمؤلاء برهم أيضاً، والذين برهم فمؤلاء مجدهم أيضاً" (رو ٨ : ٢٩ - ٣٠)، ليس أحد من هذه الخواف يمسك بها الذئب، أو يسوقها سلق، أو يذبحها لص [1141].

القديس أغسطينوس

"أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل،

ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي". [29]

وي القديس أمبروسيوس أن الروح القدس الذي هو روح الآب أيضاً روح الابن، هو يد الله الآب والابن. فالخواف التي تسمع صوت المسيح لن يقدر أحد أن يخطفها من الآب أو من الابن أو من الروح القدس [1142].

❖ قول السيد المسيح: "ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي"، يُظهر أن يده ويد أبيه واحدة في القوة، ومن جوهر واحد بعينه. وقوله "ولا يخطفها أحد من يدي، أبي الذي أعطاني إياها" قيل لأجل أولئك اليهود لكي لا يدعونه مخالفاً لله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هل للآب والابن يد واحدة، أم نقول إن الابن نفسه هو يد الآب؟ إن كنا نفهم باليد القوة، فإن قوة الآب والابن واحدة. ولكن إن كنا نعني باليد بالطبيعة التي تكلم بها النبي: "ولمن استعلنت فراع الرب؟" (إش ٥٣ : ١) فإن فراع الآب هو الابن نفسه، ليس بالمعنى الذي به نفهم أن الله شكل بشوي، أو له أعضاء جسمية، وإنما به كل شيء كان [1143].

القديس أغسطينوس

"أنا والآب واحد". [30]

لم يقل "أنا والآب متطابقان"، بل "أنا والآب واحد"، إنها وحدة حب وعمل كما هي وحدة جوهر، لهذا فهي وحدة فريدة لا يمكن لخليقة ما أن تبلغها، وإنما هي المثل الأعلى للوحدة التي يشتهيها من يلتصق بالله، ويتحد معه.

جاء الحديث عن هذه الوحدة مرتبط بالحديث عن رعاية الابن والآب للمؤمن حيث لا يقدر أحد أن يخطفه من يد الابن أو الآب. كأن أساس الرعاية الإلهية هي وحدة الحب الفريد بين أفنومي الآب والابن، وغاية هذه الرعاية أن يحمل المؤمنين أيقونة الوحدة.

❖ يقول المسيح نفسه: "أنا والآب واحد" [30]. يقول "واحد" حيث لا يوجد انفصال في السلطان وفي الطبيعة. لكن مرة ثانية يقول: "نحن" لكي نترك الآب والابن، إذ نؤمن أن الآب الكامل يلد الابن الكامل؛ والآب والابن هما واحد نون خلط في الأقانيم بل في وحدة الطبيعة [1144].

القديس أمبروسيوس

[1145]

❖ يلزم أن يتقدم الإيمان الفهم، فيكون الفهم مكافأة على الإيمان...

[1146]

❖ إنه قال، وقال بالحق: "أنا وأبي واحد". ماذا يعني "واحد"؟ نحن طبيعة واحدة، جوهر واحد .

القديس أغسطينوس

❖ "أنا والآب واحد" [30]، وبعد ذلك يضيف: "أنا في الآب، والآب في" (يو 14: 30)، لكي يوضح وحده الأوهية من ناحية، ووحدة الجوهر من

الناحية الأخرى. إذن هما واحد، ولكن ليس مثل الشيء الواحد الذي ينقسم إلى جزئين، كما أنهما ليسا مثل الواحد الذي يسمى باسمين، فوة يُدعى الآب، وفوة أخرى يُدعى هو نفسه ابنه الذاتي... لكن هما اثنان، لأن الآب هو الآب، ولا يكون ابناً، والابن هو ابن ولا يكون أباً.

لكن الطبيعة هي واحدة، لأن المولود لا يكون غير متشابه لوالده، لأنه صورته، وكل ما هو للآب هو لابن (يو 16: 15). ولهذا فالابن ليس إلهًا آخر، لأنه لم ينشأ من خرج، وإلا فسيكون هناك آلهة كثيرون...

كلاهما واحد في الذات، وواحد في خصوصية الطبيعة، وفي وحدة الأوهية كما سبق أن قلنا حيث أن الشعاع هو النور وليس ثانيًا بعد الشمس ولا نور آخر، ولا هو ناتج من المشكلة مع النور، بل هو مولود كلي وذاتي من النور، ومثل هذا المولود هو بالضرورة نور واحد، ولا يستطيع أحد أن يقول أنه يوجد نوران. فبالغم من أن الشمس والشعاع هما اثنان ألا أن نور الشمس الذي يبين بشعاعه كل الأشياء، هو واحد [1147].

القديس أناسيوس الرسولي

❖ إلى هنا كان يمكن لليهود أن يحتملوه، وأما وقد سمعوا: "أنا والآب واحد" فلم يستطيعوا بعد أن يحتملوا... ها أنتم ترون أن اليهود فهموا ما لا يفهمه

الأيوسيون. فقد غضبوا على هذا، وشعروا ما كان يمكن القول: "أنا وأبي واحد" إلا إذا وجدت مساواة بين الآب والابن [1148].

❖ إذ جاءت كلمة الله إلى البشر لكي يصيروا آلهة، فماذا يكون كلمة الله نفسه الذي عند الله إلا أن يكون هو الله؟

إن كان بكلمة الله يصير البشر آلهة، إن كان بالشوكة معه يصيرون آلهة، فهل يمكن لذلك الذي به ينالون الشوكة ألا يكون هو الله؟

إن كانت الأتوار التي تُضاء هي آلهة، فهل النور الذي يضيء لا يكون هو الله؟

أنتم اقتربتم من النور فاستوتتم وحسبتم أبناء الله، فإن انسحبتم من النور تسقطون في غموض وتُحسبون أنكم في ظلمة، أما ذاك النور فلا يقترب (ليستتير) لأنه لا ينسحب من ذاته [1149].

❖ يمكننا أحيانًا أن نقول: نحن في الله والله فينا، لكن هل يمكننا القول: "نحن والآب واحد"؟ أنتم في الله، لأن الله يحتويكم، والله فيكم لأنكم صوتم هيكل

الله... لكنكم هل تقررون أن تقولوا: "من واني وى الله" كما قال الابن الوحيد (يو ١٤: ٩) ... "أنا والآب واحد"؟ تعرفوا على امتياز الرب الفائق،

وعلى المنحة التي للخادم. امتياز الرب هو مساواة للآب، ومنحة الخادم هي الشوكة مع المخلص [1150].

القديس أغسطينوس

" فتناول اليهود أيضًا حجة لوجموه". [31]

للورة الثانية أراد مقاوموه أن وجموه (يو ٨: ٥٩)، أما علة الوجم فلأنه في نظرهم قد جدّف، إذ ادعى وحدته مع الآب. لم يدرك اليهود حقيقة شخصه لذا لم يحتملوا كلماته.

الوحدة الفريدة بين الآب والابن، والتي هي أساس العمل الرعوي الإلهي هي مصدر استنارتنا الروحية وتغوياتنا وسلامنا الداخلي. هذه الوحدة لم يستطع أن يتقبلها اليهود بل حسوها تجديفًا على الله.

خطية التجديف عند اليهود خطية قاتلة ومميتة لا تحتاج إلى محاكمة وسماع دفاع من المتهم، بل يُعاقب الشخص فورًا. فقد جاء في المشناه أنه إن سرق إنسان إناءً مقدسًا يعاقب المتحمسون دون محاكمة. نفس الأمر إن خدم كاهن على مذبح دنس. جاء في المشناه أن اخوته الكهنة لا يأثوا به إلى المحكمة، بل يأخذ الكهنة الشباب إلى خراج دار الهيكل ويفتحون مخه (أسه) بالهواويل. إنها خطية موعبة تستحق عقوبة رهيبه! هكذا رأى اليهود أنه

لا حاجة لمحاكمته، بل ذهبوا خراج داوة الهيكل ليجنوا حجلة، حملوها وجاعوا بها لوجمونه نون اعتبار حتى للموضع المقدس نفسه، إذ لا يجوز الرجم في تلك المنطقة. لكن غضبهم الشديد وظهورهم بالغوة على مجد الله جعلهم يتصرفون هكذا.

"أجابهم يسوع:

أعمالاً كثوة حسنة أريتكم من عند أبي،

بسبب أي عمل منها ترجمونني؟" [32]

قدم السيد المسيح أعماله الإلهية شهادة حية عن شخصه، فهي أقوى من الحوار بالكلام، وأسهل على فهم الحقيقة.

لماذا يصر على القول "من عند أبي؟" "أما كان يكفي القول: "أعمالاً كثوة صالحة أنا عملتها؟" لقد أراد تأكيد أنه والآب يعملان معاً، ذات العمل

الذي يملسه الابن هو من عند الآب. إن كان الابن القنوس ينسب أعماله الصالحة للآب، فكم يليق بنا نحن الخليقة الضعيفة أن ننسب كل صلاح فينا إلى نعمة الله العاملة فينا؟

لقد تحداهم السيد قائلاً: "من منكم بيكتتي على خطية؟" (٨: ٤٦)، ولم يستطع أحد أن يجيبه. فكيف ترجمون شخصاً لا يقدر أحد أن بيكتته على

خطية واحدة؟

بقوله "أي أعمال" بمعنى "أي نوع من الأعمال" هذه التي لا يستطيع مخلوق سموي أو رُضي أن يفعلها، إذ هي أعمال تخص الله نفسه.

"أجابه اليهود قائلين:

لسنا نرجمك لأجل عمل حسن،

بل لأجل تجديف،

فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً." [33]

لم يستطع اليهود أن ينكروا الأعمال، لكنهم لم يحتملوا كلماته، حاسبين أنه قد تجاسر وسوى نفسه بالله. قالوا: "وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً"

بينما يعلن الإنجيلي خلال كل السفر أنه وهو الإله صار إنساناً.

"أجابهم يسوع:

أليس مكتوباً في ناموسكم أنا قلت أنكم آلهة." [34]

كلمة "الناموس" هنا بالمعنى الواسع حيث تعني العهد القديم ككل. فقد ورد هذا النص في مزور 82: ٦ عن القضاة العوانيين يكونهم يمثلون

الله. حيث يكمل المرتل: "لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون" (مز 8٢: ٧). فإن كان هذا قد قيل عن قضاة العهد القديم، فماذا يُقال عن

السيد المسيح الذي قدسه الآب وكوسه لخلاص العالم؟

بقوله: "ناموسكم" لا يعني أنه يتوأم من هذا الناموس، بل يتطلع إليه ككلمة الله، ولا يمكن أن يُنقض [٣٥].

❖ الله ليس فقط لوجدنا من العدم، وإنما أعطانا مجاناً بنعمة اللوغوس حياة متطابقة مع الله. لكن إذرذل البشر الأمور الروحية، وبمشورة الشيطان إذ

تحولوا إلى الفساد، صاروا علة فسادهم بالموت؛ صاروا بالطبيعة فاسدين.

لكن قرر لهم بنعمة الشركة مع اللوغوس أن يهبوا من حالهم الطبيعي، ويبقوا صالحين.

فإذ حلّ اللوغوس بينهم لم يُقتلوا بفسادهم الطبيعي، كما يقول الحكمة: "خلق الله الإنسان ليكون خالداً، وأوجده صورة أبديته. لكن بحسد إبليس

[1151]

جاء الموت إلى العالم" (حك 2: 23).

❖ صار إنساناً لكي نصير آلهة. وأعلن عن نفسه بجسم حتى نتقبل فكرة الآب غير المنظور، واحتمل إهانة البشر لكي ما نوث نحن عدم الموت. فإنه

بينما هو نفسه لم يصبه ضرر بأي الأحوال، بكونه فوق الآلام وغير فاسد، اللوغوس نفسه، الله، فإنه سند البشر الذين يتألمون والذين من أجلهم احتمل

كل هذا، وحفظهم في الألم الذي له [1152].

❖ حقاً لقد أخذ الناسوت لكي نصير آلهة. لقد أعلن عن نفسه خلال جسد لكي ما نترك عقل الآب غير المنظور، لقد احتمل العار لكي ما نوث عدم الفساد [1153].

القديس أنثاسيوس الرسولي

❖ "إنكم آلهة وبني العلي تدعون". لهذا الهدف صار لوغوس الله إنساناً. ابن الله صار ابن الإنسان، حتى أن الإنسان إذ يدخل في اللوغوس، ويتقبل التبني، يصير ابناً لله. فإنه ليس من وسيلة أخرى يمكننا بها أن نبلغ إلى عدم الفساد وعدم الموت. لكن كيف كان يمكننا أن نرتبط بعدم الفساد وعدم الموت فيُبتلع الفساد بعدم الفساد، والمائت بعدم الموت فنتقبل تبني الأبناء؟ [1154]

القديس ايريناؤس

❖ أنصت إلى ما جاء في الزوامير: "ألم أقل أنكم آلهة وبني العلي تدعون؟" (مز 132: 6). يدعونا الله لهذا، ألا نكون بشواً. إنما نكون في حال أفضل حين لا نكون بشواً، وذلك إن عرفنا أولاً الحقيقة أننا بشر، بمعنى أننا نرتفع بالتواضع إلى ذلك العلو؛ لنلا عندما نطن في أنفسنا أننا شيء بينما نحن لاشيء ليس فقط لا ننال ما لسنا نحن عليه، بل ونفقد حتى ما هو نحن فيه [1155].

القديس أغسطينوس

"إن قال آلهة لأولئك الذين صرحت إليهم كلمة الله،

ولا يمكن أن ينقض المكتوب". [35]

"فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم،

أتقولون له أنك تجدف لأني قلت إنني ابن الله؟" [36]

❖ ما يقوله هو من هذا النوع: "إن كان الذين يتقبلون هذه الكرامة بالنعمة لا يجدون خطأ في دعوة أنفسهم آلهة، فكيف يُوبخ ذاك الذي له هذا بالطبيعة؟" [1156]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ربما يتساءل أحد: إن كان الآب قد قدسه، فهل وجد زمن لم يكن فيه قد تقدس؟ لقد قدسه بذات الطريقة التي بها ولده. فإنه في الولادة نال السلطان ليكون مقدساً، إذ ولده في القداسة. لو أن ذاك القديس كان قبلاً غير مقدس فكيف يمكننا القول عن الله الآب: "ليتقدس اسمك"؟ [1157]

القديس أغسطينوس

"إن كنت لست أعمل أعمال أبي، فلا تؤمنوا بي". [37]

"ولكن إن كنت أعمل،

فإن لم تؤمنوا بي، فأمنوا بأعمال،

لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ، وأنا فيه". [38]

❖ يدعو السيد المسيح المقامرين أن يواجهوا أعماله ويختبروها حتى متى أنكروا أنها أعمال أبيه يؤمنوا به أنه ابن الله. خلال فحص أعماله يعرفوا فيؤمنوا، وقد جاء الفعل في اليونانية يحمل معنى "تبدلوا تعرفون" أو "تأتون إلى معرفة". ويترجم البعض كلمة: "تؤمنوا" هكذا "تستمروا في معرفة هذه الأمور"، فلا تكفي بداية هذه المعرفة، إنما يؤزم الاستمرار في المعرفة.

❖ آمنوا إذن أن حضرة الله قائمة فيها (في أعماله). أتؤمنون بالأعمال ولا تؤمنون بالحضرة؟ إذن من أين للأعمال أن تصدر ما لم تسبقها

[1158]

القديس أمبروسيو

❖ ألا ترون كيف يوهن هنا أنه ليس فيه شيء ما أدني من الأب، بل هو مساوٍ له في كل شيء؟ فإن تسوي الأعمال وكونها هي بذاتها، يقدم وهانًا على سلطانه غير المختلف [1159].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فطلوا أيضًا أن يمسه،

فخرج من أيديهم". [39]

عرض الحوار معه كانت إجابتهم الوحيدة هي محاولة القبض عليه مرة أخرى ليقتلوه.

"ومضى أيضًا إلى عبر الأردن،

إلى المكان الذي كان يوحنا يعمد فيه أولاً،

ومكث هناك". [40]

في كمال حريتهم كانوا قارين على اتهامه ظلمًا، والتخطيط للقبض عليه وقتله، والثورة ضده، أما تحقيق خطتهم فما كانوا قارين عليه لأنه لم يكن بعد قد سُمح لهم بذلك.

❖ من عادة السيد المسيح أنه متى تكلم كلامًا عاليًا أن ينصرف سريعًا ليخفف من غيظهم، حتى بابتعاده عنهم يُسكن داء غيظهم، وهذا ما عمله في ذلك الوقت.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ فشلوا في أن يمسه بسبب فقدانهم يد الإيمان. الكلمة صار جسدًا، لكنه لم يكن بالأمر العظيم أن يخلص جسده من الأيدي الجسدية. لكي تمسك بالكلمة في ذهنك هو الإراوك السليم للمسيح [1160].

القديس أغسطينوس

3 - يسوع في موضع عماده

"فأتى إليه كثيرون وقالوا:

إن يوحنا لم يفعل آية واحدة،

ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقًا". [41]

بسبب العداوة التي أظهرها للسيد المسيح انطلق السيد إلى الجانب الآخر من الأردن، في الموضع الذي كان فيه القديس يوحنا المعمدان يُعمد القادمين إليه. جاء ليس خوفًا من قتله، فقد جاء إلى العالم ليخلص العالم بالصليب، ولكن في الوقت المعين.

يحمل هذا الموضع ذكريات رائعة للسيد المسيح وتلاميذه، حيث شهد القديس يوحنا المعمدان عن السيد المسيح "حمل الله الذي يحمل خطية العالم". لعل سكان هذه المنطقة كانوا لا زالون يذكرون شهادة القديس يوحنا ويرددونها. لقد استشهد القديس يوحنا وعبر من هذا العالم، لكن ثروة شهادته ظهرت حتى بعد رحيله، إذ تذكرها أهل الموضع، وآمنوا بالسيد المسيح. لم يصنع القديس يوحنا آية واحدة، لكنهم صدقوا شهادته بدون حاجة إلى آيات.

❖ إن كان اليهود صدقوا أن يوحنا المعمدان الذي لم يصنع ولا آية واحدة، فبالأولى أن يصدقوا السيد المسيح، فمن هذه الجهة يتبين سمو حال السيد المسيح وعظمته.

❖ لأن الأعمال التي اجتذبتهم إليه كانت كثيرة، ولأنهم تذكروا الأفعال التي قالها يوحنا المعمدان، إذ دعاه قائلاً: "الذي يأتي بعدي هو أقوى مني" (مت 3: 11) ومما سمعوه من السماء والروح الذي ظهر بصورة حمامة.

لتحملني على منكبيك وتغسلني بدمك!

❖ وسط ضجيج العالم الذي لا ينقطع،
رأى وجهًا مشرقًا، وسمع صوتًا رقيقًا جذابًا!
إنه وجهك يا من أنت أروع جمالاً من بني البشر!
إنه صوتك الفريد الذي يسحب كل مشاعوي!
أنت هوراعي الصالح، المحب لنفسي!

❖ أنت هو الراعي، والباب، واليوّاب.
أنت هو الراعي الذي يتقدم خطواتي،
ليقتل كل ذئب مفترس.
تتقدمني لتدخل بي إلى مواعك السماوية الفريدة.
تتقدمني لترتفع على الصليب،
فتغسلني بدمك الطاهر!
تحمل عصاك لتقتل بها عتوي،
وبها تؤدبني بروح الحنو واللفظ،
وبها تقودني لأدخل في أحضانك.
تحمل مزملًا، لتعلن فوحك الكامل بي،
فيكمل فوحك فيّ، يا مصدر كل سعادة.

❖ أنت هو الباب واليوّاب.
كيف يدخل إلى حضنك أبيك إلا بك يا باب الأحضان الإلهية؟
هل من باب آخر أدخل به سواك؟

أنت هو الوَّاب، تقودني إليك،

وتغلق عليّ فيك،

فلن يقدر عدو أن يدخل معي، ولا أن يمستني!

❖ ماذا رُد لك مقابل هذه الرعاية الوبيدة الفائقة؟

هب لي أن أتحد بك، فأصير بك ومعك راعياً!

أحبك، فرعى بك ومعك غنمك.

يكمل فوحي بخلاص الكثرين.

وأجد لذتي في شركتي معك بروح الرعاية الحقيقية.

❖ رعايتك حملتك بلادتك إلى الموت والقيامة.

بسلطانك أخذت نفسك وأبهجت الذين في القبور!

هب لي مجد الشوكة معك في صلبك،

وهب لي بهجة التمتع بقيامتك!

❖ في عيد التجديد كنت تتمشى في رواق سليمان،

هوذا رواق ملك السلام في داخلي،

لندخل وتتمشى، فأتمشى معك، وأسمع صوتك.

لنقم في داخلي عيداً دائماً للتجديد المستمر لهيكلك في داخلي!

❖ لثعلن في داخلي أنك واحد مساوٍ لأبيك.

أؤمن يا سيدي، فقدر أيتك وتمتعت بأعمالك!

أعمالك تشهد لك،

فقد حوّلت مقبرتي إلى مقدس،

وحوّلت قلبي إلى سمواتك،

وحوّلت ظلمتي إلى نور،

أعلنت حضرتك في داخلي!

فماذا أطلب بعد؟

❏

إقامة لعازر من الأموات

واهب القيامة

يروى لنا القديس يوحنا قصة إقامة لعازر من الأموات التي حدثت قبل الأسوع الأخير من حياته على الأرض بفترة قليلة، غالبًا في يوم السبت السابق لدخوله أورشليم. ويعلل البعض عدم عرض هذه المعجزة في الأناجيل الثلاثة الأخرى بأن لعازر كان لا يزال حيًا حين كتابتها، وخشوا لئلا يسبب له ذلك متاعب كثرة، أما القديس يوحنا فسجل إنجيله بعد رحيل لعازر. قدم المعجزة ليكشف لنا عن شخص السيد المسيح أنه القيامة واهب الحياة، وغالب الموت. إذ كان يسوع مزعمًا أن يسلم نفسه للموت ويُدفن في القبر، رُاد تأكيد سلطانه أنه يضع نفسه ويطبقها كما يشاء. إنها المعجزة الأخوة التي سجلها القديس يوحنا، في شيء من التفصيل.

في قرية صغوة تسمى بيت عنيا أو بيت العناء أو الألم وُجدت عائلة مجهولة من الناس محبوبة جدًا لدى السيد المسيح. فتحت هذه العائلة قلبها له، كما فتحت بيتها ليستريح فيه، وعرفت كيف تخاطبه. في وسط الأم الموت العرة والخطوة بعثت الأختان رسالة: "يا سيد هوذا الذي تحبه مريض" [3]. لم تطلبا لأخيها الشفاء، ولا طلبتا من السيد أن يترك خدمته ويفتقدهما في ظروفها القاسية.

مات لعازر وقال السيد لتلاميذه: "لعازر حبيبنا قد نام، لكني أذهب لأوقظه". دعا الموت نومًا، فإن من يلتصق بالمسيح "القيامة" لن يحل به الموت، بالنسبة له يُحسب الموت هبة وراحة.

بعد أربعة أيام من وفاته دخل السيد القرية فلاقتة موثا وصلرت تعاتبه: "يا سيد لو كنت ههنا لم يميت أخي، لكني الآن أيضًا أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه" [22]. أكد لها السيد أن أباها سيقوم، وإذ أعلنت عن إيمانها أنه سيقوم في القيامة... قال لها يسوع: "أنا هو القيامة والحياة". [25].

لم يحتمل أن يرى الرب دعوى الأختين إذ "بكى يسوع" [35]. إنه يشركنا مشاعرنا! إنه عجيب في حبه لبني البشر، لا يحتمل دعوتهم بل يقول: "حوّلي عني عينيك فانهما غلبتاني". وإذ انطلق إلى القبر وطلب رفع الحجر قالت موثا: "يا سيد لقد أنتن لأن له أربعة أيام!" يقول القديس أغسطينوس أن إقامة لعازر من الأموات ليس موضوع دهشتنا بل موضوع فرحنا. فليس من المدهش أن ذلك الذي يخلق بقوته أناسًا يأتي بهم إلى العالم أن يقيم ميتًا، لكنه أمر موح أنه يهبنا القيامة ويمتعا بالخلص. [1161].

وى القديس أغسطينوس أن الأناجيل ذكوت قيامة ثلاثة أشخاص بواسطة السيد المسيح، وأن هذه الأعمال تحمل معاني تمس خلاصنا. فإن كان قد أقام هذه الأجساد إنما ليشير إلى قيامة نفوسنا.

❖ أقام ابنة الرئيس في مجمع السهريين، وهي ملقاة في البيت (مر ٥: ٤١-٤٢) ... ليهتم كل واحدٍ بنفسه his soul، فإنه في الخطية موت. الخطية هي موت للنفس. لكن أحيانًا تملس الخطية في الفكر وحده. أنت تجد لذة فيما هو شر، إنك وافقتها في عملها؛ أنت تخطئ. هذه الموافقة هي قتل لك، لكن الموت في الداخل، لأن الفكر الشوير لم ينضج بعد ويتحول إلى عمل. لقد صوّح الرب أنه يود أن يقيم مثل هذه النفس إلى الحياة، وذلك للصبية التي لم تُحمل بعد لكي تُدفن، إنما كانت ملقاة ميتة في البيت، كما لو كانت الخطية لم تعد بعد ظاهرة.

لكن إن كنت ليس فقط تحتضن شعورًا باللذة في الشر وإنما تملس الشر، يمكن القول بأن الميت قد حُمّل خراج الباب. إنك بالفعل في الخراج محمول إلى القبر. مع هذا فإن الرب أيضًا أقام مثل هذا إلى الحياة، وأعاد الشاب إلى أمه الأرملة. إن كنت تخطئ تب، فسيفيكم الرب، ويودك إلى

إما المثل الثالث للموت فهو لعازر . إنه نوع خطير من الموت متميز بأنه تحول إلى العادة في ممرسة الشر. فإن السقوط في الخطية شيء وممرسة الخطية كعادة شيء آخر. من يسقط في الخطية وفي الحال يخضع للإصلاح يقوم إلى الحياة سريعاً، لأنه غير ساقط في شرك عادة الشر، إنه لم يُلقَ بعد في القبر. أما الذي تحول إلى العادة في الشر فهو مدفون، وبحق يُقال عنه: "قد أنتن" ، فإن سمته تحمل رائحة موعبة، بدأ يحمل سمعة رديئة للغاية. مثل هؤلاء جميعاً اعتانوا على ارتكاب الجريمة، وهجروا الأخلاقيات... ومع هذا فإن قوة المسيح ليست بأقل من أن تود مثل هؤلاء إلى الحياة. إننا نعرف وزى في كل يوم أناساً يتغيروا من أشر العادات، ويتقبلوا نوعاً من الحياة الفضلى أكثر من الذين يلومونهم... ليته لا يبأس أحد؛ ولا يستسلم [1162].

❖ بين كل العجائب التي صنعها الرب يسوع المسيح احتلت إقامته للعازر من الموت المقام الأول في الكورة [1163].

القديس أغسطينوس

1. تبليغ السيد بمرض لعازر ١ - ١٦ .
2. تحرك السيد نحو عائلة لعازر ١٧ - ٣٢ .
3. إقامة لعازر من الأموات ٣٣ - ٤٤ .
4. أثر إقامة لعازر ٤٥ - ٥٧ .

1 - تبليغ السيد بمرض لعازر

"وكان إنسان مريضاً،

وهو لعازر من بيت عنيا،

من قرية مريم وموثا أختها". [1]

لعازر: الاسم العوي غالباً "العازر"، معناه يعينه يهوه.

بيت عنيا : اسم رأمي معناه "بيت اليأس أو العناء"، وهي قرية في الجنوب الشرقي من جبل الزيتون على بعد ميلين تقريباً من أورشليم، وتدعى اليوم العازرية، نسبة إلى إقامة لعازر من الموت. نقواً عن مريم وموثا في لوقا ١٠: ٣٨ الخ أنهما تعيشان في الجليل. فإن كان الأمر هكذا، فغالباً ما قامتا بتغيير إقامتهما في ذلك الحين في الجليل. واضح أن ربة البيت هي موثا، الأخت الكوى، وهي التي استضافت أختها الصغرى. ذكر القديس يوحنا مريم أولاً مع أنها الأصغر، ربما لأن مريم كانت أكثر شهرة في الكنيسة الأولى، وهي التي سكبت الطيب على قدمي السيد المسيح (١٢: ٣)، كما اختارت النصيب الصالح الذي لا يُوزع منها (لو ١٠: ٤٢).

مريم: اسم عوي معناه "عصيان". وموثا : مؤنث كلمة رامية معناها ربة".

"وكانت مريم التي كان لعازر أخوها مريضاً،

هي التي دهنت الرب بطيب،

ومسحت رجليه بشوها". [2]

❖ مريم هذه ليست التي كانت زانية المذكورة في بشرة لوقا (لو 7: 37-50)، لأن هذه مريم أخرى، لأن تلك الوأة المذكورة في بشرة لوقا مملوءة

[1164]

أعمالاً رديئة كثيرة، أما هذه فكانت شريفة ثابتة في الفضيلة، اجتهدت في ضيافة السيد المسيح .

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فُرسلت الاختان إليه قائلتين:

يا سيد هوذا الذي تحبه مريض". [3]

ليست من صلاة أبسط من هذه الصلاة القصوة المملوءة تواضعًا مع ثقة وتسليم للأمر بين يديه. اكتفتنا بعرض الحالة دون تقديم أي طلبٍ أو مجيء السيد إليهما لعلاج الموقف ومساندتهما. كان العرض في بساطة هو أن الذي يحبه مريض ، فلن يتخلى عنه أو عنهما. وربما لم تطلب الاختان مجيئه إليهما، لأنهما تعلمان ما ورد قبلاً (في الأصحاح السابق) كيف أراد يهود أورشليم رجمه، فانطلق إلى ما وراء الأردن حتى لا يتموا ما في نيتهن. هكذا لم ترد الاختان أن تضعاه في في وضعٍ فيه خطورة على حياته. وفي نفس الوقت كان لعازر صديقاً له، فاكثفتنا بإبلاغه بأمر مرضه، وكانتا متأكدتين أنه حتماً سيفعل شيئاً.

لم تذكر الاختان اسم المريض ولا وابته لهما، أي أنه أخوهما، بل دعوه "الذي تحبه". نحن نعلم أنه محب كل البشر، والكل كانوا يتلمسون رفته ولطفه وحبه، لكن الصيغة التي كتبت بها الاختان توحى بأن السيد المسيح يخص المريض بعلاقة محبة خاصة. لم تشوا في الرسالة أن المرض كان خطأً، ربما لكي لا زعجا السيد.

❖ لماذا لم تفعلنا مثل قائد المائة الثوف الذي ترك أخاه المريض وجاء إلى المسيح بدلاً من بعثهم رسالة إليه؟ كانت لهما ثقة كبيرة في المسيح، ولهما مشاعر قوية أسوية. بجانب هذا فإنهما ابرأتان ضعيفتان حاصوهما الحزن. [1165].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يكفي أنك تعرف، فإنك لست بالذي يحب وينسى... لو لم يحب الله الخطاة لما قول من السماء إلى الأرض. [1166].

القديس أغسطينوس

" فلما سمع يسوع قال:

هذا المرض ليس للموت،

بل لأجل مجد الله،

ليتمجد ابن الله به". [4]

أعلن لهم السيد بأن هذا المرض ليس للموت النهائي عن هذه الحياة، وإنما لموتٍ مؤقتٍ سُمح به لأجل مجد الله خلال إقامته من الأموات.

وي البعض أن كلمة "يتمجد" هنا كما في كثير من الأحيان في هذا السفر لا تعني نوال كرامة أو إواز سمو الشخص، وإنما تعني قيام الشخص بإرادته بعمل يبدو أقل من مستواه من أجل محبته وخدمته للغير، دون إزام من آخر، خاصة حينما يتحدث عن الصلب كمجد لابن والآب، حيث يبذل الابن ذاته من أجل خلاص الخطاة ومجدهم الأبدي. مسيحننا الذي لا يصنع العجائب إلا من خلال دافع الحب غالباً ما يربط موضوع إقامة لعازر بمجد صليبه، إذ جاء هذا العمل تمهيداً لصلبه.

❖ يليق بنا أن ندهش من أختي لعازر، فبعدما سمعنا أن المرض ليس للموت ورأته ميتاً لم نتعزوا، مع أن ما حدث كان على خلاف ما قيل. مع كل هذا جاءتنا إلى الوب ولم تفكوا أنه تنطقاً بشيءٍ باطلاً. [1167].

❖ انظروا كيف ذكر أن له ولأبيه أيضاً المجد الواحد، لأنه إذ قال: "لأجل مجد الله"، قال بعد ذلك "ليتمجد ابن الله به".

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تمجيد الله لا يضيف شيئاً إلى كرامته، إنما لنفعنا. لهذا يقول: "ليس للموت" [4]، لأنه حتى هذا الموت ذاته ليس هو موتاً، بل بالأحرى صنع معجزة بها يُقتاد الناس إلى الإيمان بالمسيح، فيهربون من الموت الحقيقي. [1168].

" وكان يسوع يحب مورتا وأختها ولعازر". [5]

يشير هنا إلى محبة السيد المسيح لمورتا بكونها الأخت الأكبر ثم مريم ولعازر. إنه كان يستويح للأسوة ككل، وكان كل عضو من الأسرة يشعر بدالة خاصة ومحبة المسيح له شخصيًا.

❖ فإن قلت: لم ذكر البشير موضعًا في هذا الخبر أن السيد المسيح أحب لعازر؟ أجبتك: "ليعلمنا ألا نستاء أو نتوك الرب عند حدوث موض للرجال الثابتين في فضيلتهم المحبوبين عند الله". [1169].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ واحد مريض واثنان في حزن، الكل محبوبون. لكن ذاك الذي أحبهم هو منقذ الموضى، بل بالأكثر هو مقيم الموتى، وهو مغوي الخزانى. [1170].

القديس أغسطينوس

"فلما سمع أنه مريض

مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين". [6]

لكل شيء عند السيد المسيح وقته المناسب حسب فكره الإلهي وليس حسب فكرنا نحن البشري. ففي عرس قانا الجليل إذ قالت له أمه "ليس لهم خمر" (يو ٢: ٣) قال لها: "لم تأتِ ساعتى بعد" (يو ٢: ٤). وعندما طلب منه اخوته أن يذهب إلى اليهودية لاقتراب عيد المظال أجابهم: "إن وقتي لم يحضر بعد" (يو ٧: ٥). وهنا كنا نتوقع سوعة ذهابه لبيت عنيا لمساندة أحبائه، لكننا نجده يمكث في الموضع يومين. إنه يعرف اللحظة المناسبة لكل عمل.

في المعجزات السابقة جميعها ما يشغل قلب السيد المسيح إواز حبه للمتألمين، هنا تأخر لأنه في محبته للأسوة كلها كان يود تأكيد حقيقة، وهي أنه هو "القيامة"، إذ حان وقت موته وقيامته. لهذا لم يسوع بالذهاب ليشفيه في موضه، ولا بعد موته مباشرة، بل تركه يبقى في القبر إلى اليوم الرابع حتى ينتن الجسد، فيتأكد الكل بأنه واهب الحياة والقيامة حتى بعد أن يفسد الجسد.

❖ لماذا مكث؟ حتى يخرج النفس الأخير ويُدفن، فلا يقول أحد أنه لم يكن ميتًا بل كان غرقًا في نوم عميق، أو أنه كان قد غشى عليه ولم يكن موتًا. لهذا السبب مكث يومين حتى يحدث الفساد، وتولا: "قد أنتن" [39] [1171].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ثم بعد ذلك قال لتلاميذه:

لنذهب إلى اليهودية أيضًا". [7]

بقوله لتلاميذه: "لنذهب إلى اليهودية أيضًا" [7] يوضح السيد رحمته حتى نحو غير المستحقين. فمع عدم استعداد اليهودية لقبوله يطلب الذهاب مرة أخرى لإرضاه. إنه لا يكف عن أن يقدم الفوص لكل نفسٍ لعلها تتمتع به حتى وإن رفضته قبلاً.

❖ لماذا أخوهم هنا مقدمًا إلى أين هو ذاهب مع أنه لم يفعل ذلك في أي موضع آخر؟ كانوا في رعبٍ شديد... لذلك حوهم مقدمًا حتى لا يضطربوا أمام عنصر المفاجأة. [1172].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال له التلاميذ:

يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يوجموك وتذهب أيضًا إلى هناك". [8]

منذ أسابيع قليلة كان اليهود يربدون رجمه في الهيكل في عيد التجديد (يو ١٠ : ٣١).

[1173]

❖ رأوا بنصيحتهم أن يحفظوا الرب من الموت، ذاك الذي جاء ليموت ليخلصهم من الموت .

القديس أغسطينوس

❖ خافوا عليه أيضاً، لكنهم بالأكثر خافوا على أنفسهم، لأنهم لم يكونوا بعد كاملين. لهذا فإن القديس توما وقد هره الخوف، قال: "لنذهب نحن أيضاً،

لكي نموت معه" [١٦]، لأن توما كان أكثر ضعفاً وعدم إيمان عن البقية. لكن انظروا كيف شجعهم يسوع بما قاله: "أليست ساعات النهار اثنتي

عشوة؟" [٩] [1174].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجاب يسوع:

أليست ساعات النهار اثنتي عشوة؟

إن كان أحد يمشي في النهار لا يعثر،

لأنه ينظر نور هذا العالم." [9]

طريقنا مملوء بالعتوات، من يسلك في النور لن يعثر، أما من يبقى في الظلمة فيعثر. من يشوق عليه شمس البرّ يستتير، وينطلق كما من مجدٍ

إلى مجدٍ، وتصير العتوات بالنسبة له كلا شيء، بل علة نصوته وإكليله. أما من يسلك حسب شهوات جسده وفكر العالم الشرير وكرياء قلبه فيبقى متعثراً، ويعطي لنفسه أعذراً لا حصر لها.

لم يخفُ السيد المسيح من الموت، لأنه هو النور الذي لن تصمد أمامه قوات الظلمة. وهكذا من يلتحف به يسير كل أيام غربته بلا خوف ولا

اضطراب ولا قلق.

كان اليهود مثل كثير من الأمم يقسمون النهار من شروق الشمس إلى غروبها إلى ١٢ قسماً أو ساعة تطول أو تقصر حسب مواسم السنة

المختلفة.

رحلة العبور إلى السماء لا تبدأ بالليل حين ينتقل الإنسان من العالم، إنما تبدأ في النهار وهو يجاهد في حياته، واثقاً في نعمة الله التي تسير به

نحو الأبدية. أعطانا الله ساعات النهار كفوصٍ ثمينة للعمل، تصير لها قيمتها حين نستغلها كما يليق وإلا صلت كلا شيء.

❖ إنه يشير إلى نفسه أنه هو النهار، وقد اختار اثني عشر تلميذاً. يقول: إن كنت أنا هو النهار وأنتم الساعات، فهل تعطي الساعات نصيحة للنهار؟

الساعات تتبع النهار، لا النهار يتبع الساعات... إنه يشير إلى نفسه أنه النهار الروحي. لتتصت الساعات إلى النهار، ولتكرز بالنهار، إذ تُعرف

وتستتير بالنهار، وبكورة الساعات يؤمن العالم بالنهار. وباختصار بحق قال: "اتبعوني إن كنتم لا تريدون إن تتعثروا".

القديس أغسطينوس

"ولكن إن كان أحد يمشي في الليل يعثر،

لأن النور ليس فيه." [10]

❖ قال هذا لكي يظهر أن من يشعر أنه ليس فيه شر فلن يلحق به أمر مخيف؛ إنما من يفعل الشر يلحق به هذا. لهذا يؤمننا ألا نخاف لأننا لا نفعل ما

يستحق الموت. أو لعله يقول هذا أن من ينظر نور هذا العالم هو في أمان، فإن كان من وى نور هذا العالم هو هكذا في أمان، كم بالأكثر من يكون

معني، ما دام لا يعزل نفسه عني؟! إذ شجعهم بهذه الكلمات أضاف هدف ذهابهم إلى هناك الذي يؤمهم، وإذ أبرز ذلك يذهبون لا إلى أورشليم بل إلى

بيت عنيا [١١، ١٢] [1175].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال هذا، وبعد ذلك قال لهم:

لعازر حبيبنا قد نام،

لكني أذهب لأوقظه". [11]

يدعو السيد المسيح المؤمن "حبيبنا"، ولم يقل "حبيبي"، فإن دخولنا في عهد مع الله يجعلنا أحياء ليس فقط له، بل ولكل الكنيسة، بكونه عضوًا فيها. موت لعازر لا يقطع الصداقة بينه وبين السيد المسيح وكنيسته، بل يبقى صديقًا له ولكل الكنيسة عبر كل الأجيال.

❖ كأنه يقول: "إنني لست أذهب بذات الهدف الذي كان قبلاً، أن أجادل وأصلح مع اليهود، وإنما لكي أوقظ صديقنا [1176]."

القديس يوحنا الذهبي الفم

يدعو السيد المسيح الموت "نومًا". النوم فيهراحة جسدية حيث يستعيد الجسم طاقته، لبدأً بيقظته يومًا جديدًا في حيوية ونشاط. هذا حق بالنسبة لنوم الموت، فالمؤمن إذ ينام يقوم في حياة جديدة بإمكانيات جديدة في عالم جديد.

❖ بالحقيقة لا يُقال عن القديسين أنهم أموات بل يقال عنهم أنهم راقنون [1177].

القديس جيروم

❖ بالنسبة لأختيه هو ميت، أما بالنسبة للرب فهو نائم. هو ميت بالنسبة للبشر غير القادرين أن يقيموه، أما الرب فأقامه من القبر بسهولة جدًا كمن ييقظ نائمًا على سريره. فإنه بالنسبة لسلطانه تكلم معه كنائم، وأيضًا بالنسبة للآخرين وهم موتى غالبًا ما يتحدث الكتاب المقدس عنهم كنائمين. وكما يقول الرسول: "ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة الراقدين"، لكي لا تحزنوا كالباقيين الذين لارجاء لهم" (١ تس ٤: ١٣). لذلك تحدث عنهم أيضًا كواقدين، إذ سبق فأخوهم عن قيامتهم. وهكذا كل الأموات هم راقنون، سواء كانوا صالحين أم أشولًا [1178].

القديس أغسطينوس

رى القديس أغسطينوس أن جميع الأموات أشبه بالنيام، لكن بعضهم يتمتع بأحلام سعيدة، والآخرين موعبة. أو هم أشبه بمن هم في مكان حفظ مؤقت، لكن بعضهم مثل لعازر المسكين الذي يتنعم في حضن أبيه إواهم، بينما الغني الغني في عطشٍ شديد لا يجد من يهبه نقطة ماء (لو ١٦: ٣٢-٢٤). الكل سيخرج لينال كل واحدٍ حسب أعماله [1179].

❖ إن كان ليس اسم "أرملة" هو الذي يضايقك، إنما فقدانك لمثل هذا الزوج، فإنني وأفقك أن قليلين هم أمثال ذلك الرجل في عالم الرجال، في حبه ونبله وتواضعه وإخلاصه وحكمته وورعه.

حقًا، لو أنه هلك كلية أو انتهي أموه تمامًا، لكان ذلك كرثة عظمى وكان الأمر مخزنًا. لكن إن كان كل ما في الأمر أنه أبحر إلي ميناء هادئ، وقام برحلة إلي الله الذي هو حقًا ملكه، لهذا يؤمننا ألا نحزن بل نوح.

فإن هذا الموت ليس بموتٍ، إنما هو نوع من الهجرة والانتقال من سيئ إلي أحسن، من الأرض إلي السماء، من وسط البشر إلي الملائكة ورؤساء الملائكة، بل ومع الله الذي هو رب الملائكة ورؤساء الملائكة.

لأنه عندما كان يخدم الإمبراطور هنا على الأرض كانت تحف به مخاطر الأشرار ومكائدهم. ويقدر ما كان صيته يتزايد، كانت خطط الأعداء (الحاسدين) تلتف حوله، والآن قد انتقل إلي العالم الآخر حيث لا يمكن أن ننتظر شيئًا من هذا.

فبقدر ما تحزنين لأن الله أخذ إنسانًا هكذا كان صالحًا ومكرمًا كان يجب أن توحى أنه رحل إلي مكان أكثر أمانًا وجمامة، متخلصًا من مضايقات الحياة الحاضرة الخطوة، إذ هو الآن في أمان وهوء عظيم.

إن كان لا حاجة لنا أن نعرف أن السماء أفضل من الأرض بكثير، فكيف نندب الذين رحلوا من هذا العالم إلي العالم الآخر!؟

لو كان زوجك سالكًا مثل أولئك الذين يعيشون في حياة مخجلة لا ترضى الله، كان بالأولي لك أن تتوحي وتبكي، ليس فقط عند انتقاله، بل حتى أثناء وجوده حيًا هنا. لكن بقدر ما هو من أصدقاء الله، يؤمننا أن نُسر به، ليس وهو حي هنا، بل وعندما يرد مستريحًا أيضًا.

وإذ يؤمننا أن نعمل هذا، استمعي ما يقوله الرسول الطوبوي: "لي اشتهاه أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جدًّا" (في 1:23) [1180].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقال تلاميذه: يا سيد إن كان قد نام فهو يُشفى". [12]

كثيرًا ما يكون النوم خاصة بعمقٍ بالنسبة للمريض إحدى علامات شفائه. لذلك إذ قال السيد أن لعازر قد نام رأى التلاميذ أنه لا ضرورة لذهاب السيد إلى اليهودية لشفائه، لأنه قد بدأ شفؤه بنومه العميق. ولم يتصور التلاميذ كيف يسبوا مع يسوع المسيح رحلة تمتد إلى يومين أو ثلاثة أيام وإلى بلد مقاومٍ لهم لكي يوقظوا صديقًا من نومه.

"وكان يسوع يقول عن موته،

وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم". [13]

"فقال لهم يسوع حينئذ علانية:

لعازر مات". [14]

❖ نطق بالكلمة الأولى "نام" راغبًا في تأكيد أنه لا يجب الافتخار، وإذ لم يفهموا أضاف "مات" [1181].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأنا أفوح لأجلكم إنني لم أكن هناك لتؤمنوا،

ولكن لنذهب إليه". [15]

إذ مات لعازر وفقد الكل الرجاء في عودته للحياة تحرك الرب نوحهم ليعلن أنه رجاء من ليس له رجاء، ومعين من ليس له معين. حينما يقول البشر: "بيست عظامنا، وهلك رجاؤنا، قد انقطعنا" (جز ٣٧: ١١) يقول السيد الرب: "هأنذا أفتح قبورك، وأصعدكم من قبورك يا شعبي... فتعلمون أنني أنا الرب عند فتحي قبورك، واصعادي إياكم من قبورك يا شعبي".

❖ لماذا يقول: "لأجلكم"؟ "لأنني سبق فأخوتكم مقدمًا عن موته، وإذ نحن هناك عندئذ إذ أقيمه لا يوجد شك من جهة الخداع. ألا ترون كيف كان التلاميذ

غير كاملين في وضعهم وغير مبركين لتوتهم كما ينبغي؟ هذا كان بسبب الوجد الذي حل بهم والمتاعب والاضطرابات التي لنفوسهم. عندما قال:

"انه نائم" أضاف "أذهب لأوقظه"، لأنه لم يرد أن يخوهم مسبقًا بالكلام ما يحققه فعلاً بالأعمال. فإنه نوماً يعلمنا ألا نطلب المجد الباطل، ولا أن نقدم

وعودًا بلا سبب. إن كان قد فعل هذا في حالة قائد المائة عندما قال "أنا أذهب وأشفيه" (مت ٨: ٧)، كان ذلك من أجل إيمان قائد المائة الذي قال هذا.

وإن قال أحد: "كيف ظن التلاميذ انه نائم؟ كيف لم يفهموا أنه يعني بذلك الموت بقوله: "أنا أذهب لأوقظه" فإنه من الغبولة أن يفهموا أنه يذهب خمس

عشوة غلوة *stadia* ليوقظه. نجيب على ذلك يبدو أنهم ظنوا بأن كلماته غامضة كما اعتاد أن يتحدث معهم [1182].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لم يقل "لنذهب إلى أختيه لتغويتهما" بل "إليه"، فالموت لا يقدر أن يفصل السيد المسيح وكنيسته عن المنتقل، فيذهب الكل إليه بالحب ويلتقوا معه كعضوٍ حي في جسد المسيح. لم يقل "أذهب"، بل "لنذهب" فيضم الكنيسة كلها معه للالتقاء مع الواقدين.

"فقال توما الذي يقال له التوام للتلاميذ رفقائه:

لنذهب نحن أيضًا،

لكي نموت معه". [16]

"توما" تعني توم، يُقال له باليونانية ديديموس Didymus وتعني "توم". أثار اخوته التلاميذ بقوله هذا. يصعب إرواك نيته، هل كان يتحدث بشجاعة، فلا يبالي بالموت، مفضلاً أن يذهبوا جميعاً ليتعضوا مع يسوع المسيح للموت الذي ينتظره، وكأنه يقول مع راعوث: "حيثما مت أموت وهناك أدفن" (1: 18). مفضلاً أن يكون في رفقة المسيح وإن كانت تكلفه ذلك هو "الموت"، عن أن يحيا وليس في رفقة السيد المسيح. أم تحدث هكذا عن خوفٍ كما بوع من الدعابة أو عن تروم.

❖ لقد رتاع التلاميذ من ملاقاته اليهود، أما توما الرسول فكان أكثرهم عباً، لذلك قال: "لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه"، ولأنه كان أضعف عزمًا من التلاميذ الآخرين وأقلهم إيمانًا.

❖ يقول البعض أنه رغب في أن يموت (مع يسوع) لكن الأمر ليس كذلك، فإن التعبير هنا يصدر عن شخص في جبنٍ. إلا أن المسيح لم يوبخه بل سنده، وبعد ذلك صار أكثر قوة من الجميع، لا يُقهر. فالعجب في هذا أننا زى شخصاً كان ضعيفاً هكذا قبل الصلب، صار بعد الصلب وبعد إيمانه بالقيامة أكثر غوة من أي شخصٍ. عظيمة هي قوة المسيح! ذات الشخص الذي لم يجسر أن يذهب مع المسيح إلى بيت عنيا هو بعينه وهو لا زى المسيح يجري وحده في العالم المسكون، ويقطن بين الأمم المملوءة بالقتل والذين يطلبون قتله [1183].

القديس يوحنا الذهبي الفم

5. تحرك السيد نحو عائلة لعازر

"فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام في القبر". [17]

يسجل لنا الإنجيليون الآخرون بعض الأحداث التي تمت خلال هذه الرحلة نحو بيت عنيا، مثل شفاء الأعمى عند رُيحا، واللقاء مع زكا وقبوله الإيمان بالمسيح. مع محبة السيد المسيح للعازر وأخته وذهابه ليقيمه من الأموات لم يتجاهل احتياجات الآخرين، إنما أينما وُجد يصنع خيراً. زى القديس أغسطينوس أن الأربعة أيام التي عوت بلعازر في القبر تشير إلى مراحل البشوية. اليوم الأول هو يوم سقوط آدم وحواء حيث ملك الموت على آدم وبنيه. واليوم الثاني يشير إلى الإنسان وقد كسر الناموس الطبيعي الشاهد لله. واليوم الثالث يشير إلى كسر الناموس الموسوي، وأخيراً جاء اليوم الرابع حيث كُرز بالإنجيل، ووهب السيد المسيح الحياة الجديدة المقامة للموتى في الخطايا [1184].

وُجد اعتقاد لدى اليهود أن النفس تحوم حول الجسد بعد الموت لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع تفرقه بلا أمل قط للعودة إلى الجثمان [1185]. وكأنه في اليوم الرابع ينقطع كل أملٍ ورجوع الإنسان إلى العالم مرة أخرى.

"وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة". [18]

صنع السيد المسيح معجزات لا حصر لها في الجليل، أما في أورشليم فمع كثرة معجزاته يختار الإنجيلي يوحنا معجزات لها مدلولها الخاص بالنسبة للشعب والقيادات مثل مفوح بيت حسدا الذي عانى من الفالج ٣٨ سنة، وشفاء المولود أعمى، وإقامة لعازر في اليوم الرابع من موته. كانت بيت عنيا على بعد حوالي ميلين من أورشليم، فالميل اليهودي يروي سبع غلوات ونصف.

❖ ليس بدون سبب يشير إلى هذا، فقد رُاد أن يخبرنا أنها كانت قريبة (من أورشليم) وربما لهذا السبب جاء كثيرون [1186].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" وكان كثيرون من اليهود قد جاؤا إلى موتا ومريم ليعزوهما عن أخيهما". [19]

كان الحزن عند اليهود يستمر لمدة حوالي شهر، يدعون الثلاثة أيام الأولى "أيام الحزن"، يليها سبعة أيام تُدعى "أيام المراثي". في فترة الحزن لا يعمل أهل الميت شيئاً، وإن حياهم أحد فلا يردون السلام عليه. أما في أيام المراثي فلا يملسون أعمالاً إلا ما هو خاص: ينامون في فاش على الأرض، ولا يرتدون نعاليهم، ولا يغتسلون أو يدهنون أنفسهم، يغطون رؤوسهم ولا يقولون في الشريعة أو المشناه Mishnah أو التلمود Talmud. وفي بقية

[1187]

الثلاثين يوماً لا يحلقون شعورهم ولا يرتدون ثوباً أبيض أو ثوباً جديداً، ولا يخطون أي تزيق يحدث في الثياب أثناء الجئزة .
 جاءت كلمة "اليهود" في هذه السفر لتعني المقاومين للسيد المسيح، لذلك وى البعض أن هؤلاء مع مقاومتهم للسيد شعروا بفداحة الكلثة فجاؤا إلى مونا ومريم لا كزيرات عاوة بل للإقامة يومين أو ثلاثة مع أهل المنقل في البيت، خاصة إن كان المنقل هورب البيت.
 ❖ كيف كانوا يعزونها وقد كان السيد المسيح يحبهما، وقد قرر اليهود إن اعترف معترف أن هذا هو المسيح كان يخرج خلج مجمعمهم؟ نقول: إنهم كانوا يعزونها، إما لضرورة مصابهما، وإما أنهم احتشموهما، لأنهما كانتا أشرف حسباً من غوهما، وإما أن يكون هؤلاء الذين جاؤا ما كانوا أشولاً، لأن كثوين منهم آمنوا بالسيد المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فلما سمعت مونا أن يسوع آت لاقته،

وأما مريم فاستمرت جالسة في البيت". [20]

يبدو أن مونا كانت تتوقب مجيئه بكل غوة، وتطلب ذلك ليهبها هي وأختها تغوية. وإذ سمعت أنه في الطريق إلى البيت تركت كل مواسيم الجئزات وتقالدها، وتركزت المغزين القادمين لزيلتها، وأسوعت لتلتقي ببسوع. تركت البيت وأيضاً القوية والتقت به في خلج القوية. أما مريم فبقت في البيت، ربما بسبب شدة حزنها الذي أفقدها القوة على سوعة الحركة، أو لأنها لم تكن قد سمعت عن مجيئه.
 وى البعض أن مونا هي الأكبر سناً وهي التي كانت تدير شئون البيت (لو ١٠ : ٤٠).

❖ إن قلت: فما كان غرض مونا في أنها لم تأخذ أختها عندما خرجت لاستقبال السيد المسيح؟ قلت: إنها رُادت أن تخاطبه على انواد وتخوه بما حدث. لكن عندما قدم لها رجاءً صالحاً ذهبت ودعت مريم، التي لاقته بينما كان حزنها في أعلى درجاته.
 ألا ترون كيف كان حبها ملتهباً؟

هذه هي مريم التي قال عنها: "مريم اختزلت النصيب الصالح" (لو ١٠ : ٤٢).

قد يقول أحد: "كيف ظهرت مونا أكثر غوة منها؟" لم تكن أكثر غوة منها، إنما ظهرت هكذا لأن مريم لم تكن بعد قد علمت بمجيئه؛ مونا كانت أضعف منها. فإنها حتى عندما سمعت مثل هذه الأمور من المسيح تحدثت بطريقة كمن يحبو: "لقد أنتن لأن له أربعة أيام" [٣٩] . أما مريم وهي لم تسمع شيئاً لم تقل هكذا، وإنما في الحال آمنت. [1188]

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فقالت مونا ليسوع:

يا سيد، لو كنت ههنا لم يمى أحي". [21]

وهي نفس الكلمات التي قالتها أختها فيما بعد [٣٢] ، مما يكشف أنهما لم يكونا بعد يبركا شخص السيد المسيح كما ينبغي، أنه حاضر في كل مكان. لقد حملت إيماناً أنه كان قاوراً بحضوره أن يمنع الموت من الاقتراب نحو أخيها، كما آمنت بحفوه وتوفقه. كان إيمانها كالقصبه الموضوعة التي لن يقصفها يسوع المسيح، بل يسدنها ويدعمها.

"لكني الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه". [22]

عادت مونا تلوم نفسها وتصح حديثها مع السيد المسيح، فإنها تؤمن بأنه حتى بعد موت أخيها إن طلب السيد من الله (الآب) شيئاً، أي إقامته، فسينال طلبته. لم تجسر وتقول أن يقيم أهاها، لكنها طلبت ذلك بطريق غير مباشر، وتركزت له أن يحكم في الأمر، إن كان يقيم لعازر أم لا.
 آمنت أنه إن طلب من الله شيئاً يعطيه إياه، ولم تترك أنه هو الحياة، له الحياة في ذاته، وأن ما يفعله إنما بقوته، لأنه واحد مع الآب.
 ❖ رأيت حكمتها (مريم ومونا) السماوية؟ وإن كان غزمها ضعيفاً، لكنهما عندما أبصرتا السيد المسيح لم تنهلوا في الحال في العويل، ولا إلى فجائع

الندب، ولا إلى الفوح، وذلك كما يعرض لنا نحن إذأرأينا أقوامًا من معرفنا داخلين عندنا في حال نوحنا. إذ اعتوتوا السيد المسيح معلمًا، لأنهما آمنتا به. لكنهما جهلتا شوفه السامي واقتدره بالقول: "أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه". فخطبتاه كمن يخاطب من هو ثابت في الفضيلة فينال ما يطلبه [1189].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال لها يسوع:

سيقوم أخوك". [23]

جاءت إجابة السيد المسيح لسؤال مونا المملوء تواضعًا والمثير للشفقة: "سيقوم أخوك" [23].

❖ هكذا فند السيد القول السابق: "كل ما تطلب" [٢٢]، إذ لم يقل: "أنا أطلب" بل ماذا؟ "سيقوم أخوك". لو أنه قال: "يا امرأة إنك لا والين تتطلعين إلى أسفل، فأني لست محتاجًا إلى عونٍ من آخر، بل أفعل كل شيء بذاتي"، لكان ذلك بالنسبة لها أمرًا خطوًا وعوًا في طريقها، أما أن يقول: "سيقوم أخوك"، فهو تصرف من يختار طريقة الحديث المتوسطة [1190].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قالت له مونا:

أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير". [24]

كان موضوع القيامة من الأموات قد استقر تمامًا في أذهان اليهود، ماعدا عند الصدوقيين الذين يرفضونه. وقد جاءت الأسفار التي بعد السبي تفيض بالأحاديث عنها (٢ مك ٧: ٩، ١٤، ٢٣، ٣٦، ١٢؛ ٤٣؛ ١٤؛ ٤٦؛ حك ٥: ١-٧، ١٧؛ ٦: ٦، ٧، ١٠)، كما جاءت الكتابات اليهودية مثل يوسفوس المؤرخ والتجوز تتحدث عنها.

"قال لها يسوع:

أنا هو القيامة والحياة،

من آمن بي ولو مات فسيحيا". [25]

❖ بهذا وهن لها عن سلطانه... أظهر أنه لم يكن محتاجًا إلى آخر لكي يعينه، مادام هو نفسه الحياة. فلو أنه احتاج إلى آخر، فكيف يمكنه أن يكون القيامة والحياة؟ ومع هذا لم يشر إلى ذلك صراحة بل بالتلميح [1191].

❖ لقد أظهر أنه واهب كل الصالحات، وأنه يليق بنا أن نسأله [1192].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وكل من كان حيًا وآمن بي،

فلن يموت إلى الأبد،

أتؤمنين بهذا؟" [26]

كأنه يقول لها: "أنتِ تقولين أن أخاك سيقوم في يوم الدينونة، من الذي يقيمه غوي أنا واهب القيامة ومصدر الحياة؟ وإن كان في سلطاني أن أقيمه في اليوم الأخير فهل يصعب علي أن أقيمه الآن؟" هكذا فتح الرب باب الرجاء أمامها، وسند إيمانها وكشف لها عن شخصه أنه ليس مجرد إنسان، بل هو واهب الحياة والوجود.

كل من يؤمن وإن مات حسب الجسد فسيقوم ويتمتع بكليته بالشركة في المجد. إنه لا يعود يموت بعد موت الجسد، إنما يعود بعودة الجسد مجددًا

مع النفس ليمرس المؤمن الحياة المقامة أبدياً. إنه لم يقل أن المؤمن لن يعبر من الوابطة التي ندعوها الموت، بل بالأحرى الحياة التي يهبها تستمر خلال الموت. لا يقدر الموت أن يمحو الحياة التي يهبنا إياها السيد المسيح.

❖ انظر كيف يرتفع السيد المسيح بعقل موثا، لأنه لم يكن هذا مطلوبه أن يقيم لعازر فحسب، لكن أن تعرف موثا والحاضرون تلك القيامة، ولهذا السبب جهر بألفاظه قبل إقامته لعازر. [1193]

القديس يوحنا الذهبي الفم

سألها السيد المسيح: "أتؤمنين بهذا؟" وكأنه يطالبها بالإيمان الذي يتحدى الطبيعة والموت؛ وجاءت إجابتها في ثباتٍ وحزم بلا تردد، تحمل اليقين.

"قالت له: نعم يا سيد (رب)،

أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله ال آتي إلى العالم". [27]

قدمت موثا قانون إيمانها بكل إخلاص: "أنت المسيح ابن الله ال آتي إلى العالم" [27]. وهو ذات قانون الإيمان الذي نطق به بطرس الرسول وامتدحه السيد (مت ١٦: ١٦-١٧). جاء قانون إيمانها يحوي ثلاثة بنود رئيسية:

- يسوع هو المسيح، أو المسيا الذي انتظره الآباء والأنبياء. كان كثير من يهود القون الأول يرقبون مجيئه بشوقٍ عظيم.
- أنه ابن الله بالطبيعة (مز ٢: ٧).

- جاء إلى العالم ليقم منه كنيسة المقدسة، ليس من اليهود وحدهم بل من العالم.

إن كان هو المسيا مخلص العالم، ابن الله بالطبيعة وقد تول إلى العالم ليقمه فهو حتماً الحياة والقيامة.

❖ لقد رفع بالفعل رأبها الهابط عنه، فلا تحسبه واحداً بين كثيرين. فإنها ليست ببساطة دعتة "يا رب" بل ردت له الكرامة. وتحدثت بتلك الكلمات لتكومه، يظهر ذلك مما قلته بعد هذا. إنها لم تضحك ولا سخرت ولا شكت إلى لحظة. [1194]

❖ يبدو لي أن الرواة لم تفهم القول، وإن كانت قد أركت أنه أمر عظيم، لكنها لم تتركه بالكامل. لهذا السبب عندما سُئلت شيئاً أجابت بشيء آخر [1195].

❖ لم تقل له "أقم أخي"، لكنها قالت: "أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله ال آتي إلى العالم".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولما قالت هذا مضت ودعت مريم أختها سراً قائلة:

المعلم قد حضر،

وهو يدعوك". [28]

لم تنتظر موثا كلمة مديح من أجل إيمانها، لكنها أركت خلال هذا اللقاء مفاهيم جديدة، وتمتعت بخوات جديدة في فزة قصوة، مضت ودعت أختها مريم لتتمتع هي أيضاً معها بما نالته. هذا وقد سأل السيد عن مريم لأنها لم تأت مع أختها. دعتها سراً لأنه كان حولها كثيرون من المغوين، ولعل بعض المغوين - سواء كانوا رجالاً أو نساءً - ضد يسوع، لا يطيقونه. خشت موثا لئلا تثير الدعوة اضطراباً يعوق مريم عن الانطلاق سريعاً لتلتقي بيسوع وتتمتع بتغوياته.

نلاحظ في حديثها السوي مع أختها عن مجيء السيد ال آتي:

وَأولاً: دعتة "المعلم Didaskalos"، لا تقوم تغوياته على عواطف مجردة، وإنما مع الحب والحنو يقدم حقائق إيمانية فريدة، قادر أن يجتذب

تلاميذه المحبوبين لديه وأصدقائه إلى التغيرات الإلهية.

ثانياً: "قد حضر " ذاك الذي طال انتظرنا لمجيئه، ونترجى الكثير من وجوده.

ثالثاً: "وهو يدعوك"، فقد سألت عنك بالاسم، لأنه يهتم بك، ويطلب سلامك وتغذية قلبك.

"أما تلك فلما سمعت قامت سريعاً،

وجاءت إليه". [29]

إذ سمعت دعوة السيد المسيح على فم أختها "قامت سريعاً، وجاءت إليه". وقد علق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذا التصرف النبيل، حاسباً إياها أنها سلكت بالفلسفة الحقيقية، أي بالحكمة التي لا تطلب الأمور التافهة غير النافعة بل ما هو بالحق لخورها، وقد نالت بسبب حكمتها. من يتصور سيدة مات أخواها منذ أربعة أيام ومعزون كثيرون حولها يبكين وينحن معها، وإذ تسمع عن يسوع لا تنتظر حضوره إليها ليغريها، بل تنطلق إليه إلى خراج قويتها والنساء حولها يحسنن إياها أنها ذاهبة إلى القبر تبكي!

ما أوجنا في وسط دموعنا وتجربنا ألا نركز أنظرنا على العورة، ولا نعطي اعتباراً للمؤمن المتعيبين العاجزين عن تقديم السلام الحقيقي، بل تنطلق أعماقنا نحو ذاك الذي هو قادم إلينا ليفيض بتغوياته السماوية فينا! لنخرج بالحق من كل شكليات وليرتفع قلبنا بروح الله القنوس إلى السيد المسيح فهو وحده طبيب النفوس والأجساد، وواهب الحياة والقيامة، الإله القدير وحده الذي يبادر دوماً بالحب.

ما أوج النفس وسط وادي الدعوى هذا أن تترك كل ما يحطمها من متاعب، وتتجاهل كل تعليق بشري، لتتسحب بالرجاء نحو ذاك الذي وحده قادر أن يشكلها بروحه القنوس ويشبعها ويقمها معه في مجده أبدياً!

الانشغال المستمر بأخواننا يسبب لنا كآبة أكثر مودة من الأخوان نفسها، أما اللقاء مع السيد المسيح، فيهب بهجة الحياة المقامة وتهليلها الدائم. انظروا كمثال كيف نالت هذه المرأة مكافئتها بممرستها الحكمة الحقيقية. فإذا كان الكل جالساً بجورها إذ كانت تبكي وهي حزينة، لم تنتظر سيدها أنه يجب أن يأتي إليها، ولا طالبت بما يبدو أنه بحقها (فإن النساء الحزونات بجانب يؤسهن لديهن هذا البلاء وهو أنهن يهولن من وضعهن)، أما هي فلم تفعل شيئاً من هذا، فما سمعت حتى أسوعت إليه [1196]

القديس يوحنا الذهبي الفم

" ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية،

بل كان في المكان الذي لاقته فيه مرثا". [30]

بحكمة إلهية كان السيد يتحرك ببطء شديد حتى يعطي مرثا الفرصة لتسوع بدعوة أختها، ويهب مريم فوصة الإسواع نحوه، فينطلق معهما إلى القبر، ويحول أخانها إلى أفراح فائقة. هكذا كثراً ما يبدو الوب متباطئاً في حلّ مشاكلنا مع أنه يطلب سعادتنا، حتى يهبنا فوصة الالتجاء إليه، والتعبير عما في داخلنا من إيمان حي ورجاء ثابت، فنسوع إليه لنترك خطته الإلهية الخفية والفائقة من نحنوا.

❖ قال عن السيد المسيح: " ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية، بل كان في المكان الذي لاقته فيه مرثا". لأنه مشى ببطء، لئلا يُظن أنه يطرح ذاته في عمل الآية، لكنه انتظر حتى يسأله أولئك من أجلها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" ثم أن اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها،

لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت،

تبعوها قائلين:

إنها تذهب إلى القبر لتبكي هناك". [31]

بينما دعت مورتا أختها سواً، وقدمت لها دعوة السيد لها [٢٨]، فسحبتنا من وسط بكائها ومن وسط المغوين لتجري نحوه، إذا مريم بتحركها الصامت سحبت كل من كان معها في بيتها وهم لا يرون إلى أين يذهبون. حبها العملي للمخلص جذب الكثيرين ليروا ويلمسوا ذلك الذي يقيم من الأموات.

❖ لم تأت وحدها، بل سحبت معها اليهود الذين كانوا معها في البيت. بحكمة عظيمة دعته أختها سواً حتى لا توبك الحاضرين الذين جاؤا معاً، ولم تشر إلى سبب حديثها، فإنه بالتأكيد لو سمعوا لرجعوا إلى بيوتهم. أما الآن إذ خرجت تبكي تبعوها. ربما أكد هذا موت لعازر. [1197]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته،

خرت عند رجليه، قائلة له:

يا سيد لو كنت ههنا لم يميت أخي". [32]

لم يدخل السيد المسيح القوية ولا بيت لعازر وأختيه، وإنما التقى بالأختين ثم ذهب ومعه الجمع إلى القبر. إنه محب لعمله، قد جاء لينطلق إلى القبر، ويتم عمله بلا تأخير.

❖ مريم هذه أحر شوقاً من أختها مورتا، لأنها لم تخل من الجمع، ولا من الظنون التي امتلكتها أولئك من أجله، فقد كان فيهم كثيرون من أعدائه، الذين قالوا: " ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت؟" [٣٧]. لكن عند حضور المعلم أبعدت عنها الأوهام الميتة كلها، وتمكنت في عزم واحد من تكريمها المعلم. [1198]

القديس يوحنا الذهبي الفم

6 . إقامة لعازر من الأموات

" فلما رآها يسوع تبكي،

واليهود الذين جاؤا معها يبكون،

أوعج بالروح واضطرب". [33]

هنا يظهر السيد المسيح أنه قد صار بالحقيقة إنساناً يحمل مشاعر إنسانية، يشرك المتألمين، ويبكي مع الباكين. إنه رجل أخوان (إش ٥٣: ٣). لم يوجد قط ضاحكاً، لكنه في أكثر من موضع وجد باكياً.

❖ لم يقل السيد المسيح لها شيئاً، ولا نطق بالأهوال التي قالها لأختها مورتا، لأن جمعاً كثراً كان حاضراً، ولم يكن وقت لتك الأهوال، لكنه تنزل إذ كشف عن طبيعته الإنسانية، ولم يرد أن يتخيلوا فيه شيئاً أكثر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أنتم تتعجبون بغير رادتك، أما المسيح فاعج لأنه أراد ذلك.

يسوع جاع، هذا حقيقي، إنما لأنه أراد.

كان حزيناً، هذه حقيقة، لكن لأنه أراد. في سلطانه أن يكون هكذا أو كذلك، يتأثر أو لا يتأثر. لأن الكلمة أخذ نفساً وجسداً حاملاً فيه نفس الطبيعة البشوية واحداً مع الكلمة، المسيح الواحد. بهذا الكلمة الذي له سلطان فائق يستخدم الضعفرهن إشارة لرادته، وبهذا فقد "أوعج". [1199]

القديس أغسطينوس

"وقال: أين وضعتموه؟

قالوا له: يا سيد تعال وانظر". [34]

❖ إن سألت: لم سأل هذا السؤال؟ أجبتك: إنه لم يرد أن يبادر هو، لكنه شاء أن يعرف من أولئك كل ما جرى، وأن يسأله أن يعمل الآية حتى يستخلص الآية من كل تهمة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ سيأتي المسيح إلى قوك، وإذ يجد موثا المرأة التي تقدم خدمة صالحة، ومريم التي تهتم بقلبها بكلمة الله مثل الكنيسة المقدسة التي اختزلت النصيب الصالح تبكيان، يحنو.

عند موتك رى دموع الكثيرون فيقول: "أين وضعتوه؟" بمعنى في أية حال من الجريمة هو؟

في أية رتبة بين النادمين؟

رُيد أن رى من تبكون عليه، لكي ما يحركني بدموعه. سُرَى إن كان قد مات فعلاً بالخطية فأعالجه بالمغفرة.

يقول له الشعب: "تعال وانظر".

[1200]

ما معنى "تعال"؟ لتأت مغفرة الخطايا، ولتأت الحياة إلى من رحل، والقيامة من الأموات، ليأت ملكوتك لهذا الخاطئ أيضاً .

القديس أمبروسيوس

❖ يا للعجب الذي جاء ليقمه من الأموات يبدو كمن لا يعرف موضع القبر، إذ "قال: أين وضعتوه؟" [34]. وكما يقول كثير من الآباء أن الله العالم

بكل شيء يبدو كمن لا يعرف موضع الظلمة، ولا يعرف الشر ولا الأثوار. لهذا إذ أخطأ آدم في الجنة، سأل الرب: "أين أنت؟" (تك ٣: ٩). وفي

يوم الدينونة يقول للأشوار: "لست أعرفكم" (مت ٧: ٢٣)، وهنا يتساءل: "أين وضعتوه؟"

[1201]

❖ لست أراكم في نوري، في البر الذي أعرفه .

[1202]

❖ ماذا تعني "أنظر"؟ ترفق، فإن الرب ينظر حين يتحنن. لذلك قيل له: "أنظر إلى تواضعي وألمي، واغفر لي كل خطاياي" (مت ٩: ١٣).

القديس أغسطينوس

"بكى يسوع". [35]

جاء الفعل "بكى" هنا في اليونانية مختلفاً عما ورد عن بكاء مريم وجمهور المحيطين بها [٣٣]، إذ لا يحمل العويل المتوقع مثلهم، بل انسياب

الدوع من عينيه. إنها مجرد شهادة عملية لمشاعره العميقة ومشركته للمتألمين أمام الجوع التي لم تترك بعد كيف تواجه الموت. وقد وجدت الجوع

في هذه الدوع شهادة حية عن محبته للعازر [٣٦].

رى القديس يوحنا الذهبي الفم أن كل ما صنعه السيد المسيح كان بحكمته الإلهية لكي تنتفع الجوع بصنع المعجزة، فمن جانب لم يتحدث مع

مريم أمام الجوع بما قاله لموثا حين التقت به منفودة. فقد تحدثت عن إقامة لعازر. فلو سمعت الجوع ذلك حيث يحمل كثيرون له عدوة، لتكوه

ورجعوا إلى أورشليم، ولم يروا إقامة لعازر. من جانب آخر أكد ناسوته في تلك اللحظات، حتى لا تنفر الجوع إن تحدثت عما يخص لاهوته.

بكى في صمت، واضطرب ثم تنهد كمن يكبح اضطرابه، وسأل عن موضع القبر... كل هذا أثار تساؤلات في أذهان اليهود، ورغبة في معرفة

ما سيفعله نون نفور من جانبهم.

❖ ماذا فعل المسيح؟ لم يدخل معها في حوار في ذلك الوقت، ولا قال لها ما قاله لأختها (لأنه لم يوجد جمع عظيم، وكان ذلك غير مناسب في ذلك

الحين). كل ما فعله كان بقياس (معين) وتنزل منه، ليؤكد طبيعته البشرية، إذ بكى في صمت، وأجل صنع الآية في ذلك الوقت. فإذا كانت الآية

عظيمة، وإذ كان يملس أرواً خطواً حتى يؤمن كثيرون بها، وحتى لا يتممها في غير حضورهم، فتوجد عثرة للجمهور، ولا ينتفون بعظمتها،

وحتى لا يفقد الفريسة قدم شهادات كثرة لتتلهه وأظهر تأكيداً لناسوته. وقد بكى واضطرب. فعادة يبشر الحزن المشاعر، وإذ تنهد بالروح أي ضبط

اضطرابه سأل: " أين وضعتوه؟" [٣٤] [1203].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بكى الرب نفسه أيضاً من أجل لعازر نفسه الذي سيقيمه إلى الحياة، بلا شك لكي يسمح لنا بمثاله أن نبكي على موتانا، وإن كان لم يعطنا وصيته بذلك، هذا مع إيماننا بأنهم يقومون إلى الحياة الحقيقية. ليس اعتباطاً جاء في سفر الحكمة: "اسكب دموعاً على الميت، وأبدأ بالحزن كمن أصابه ضرر عظيم"، لكنه يكمل بعد قليل قائلاً: "ولتتوى في حزنك، لأن بالحزن يحل الموت، وأسى القلب يبتلع القوة" (جا 17:38، 19) [1204].

القديس أغسطينوس

❖ لكي يُظهر المخلص نفسه أن لديه مشاعر بشرية حقيقية حزن من أجل ذاك الذي سيُقيمه من الأموات [1205].

القديس جيروم

"فقال اليهود:

أنظروا كيف كان يحبه". [36]

إذ رأى اليهود دموع السيد قالوا: " انظروا كيف كان يحبه" [36]، ونحن إذ زى دمه يتساقط من جسمه على الصليب نسبحه قائلين: "انظروا كيف يحبنا!"

❖ ألا ترون أنه لم يُظهر بعد أية علامة على إقامته له، وذهب لا كمن يقيم لعازر بل كمن يبكيه؟ هكذا بدا لليهود أنه ذاهب لينتخبه لا ليقيمه، وذلك من قولهم: " انظروا كيف كان يحبه" [36] [1206].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وقال بعض منهم:

ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت؟" [37]

في جهالة ظفوا دموع السيد المسيح علامة عجز وعدم قدرة على العمل، ولم يدركوا أنها دموع الحب والحنو، وأنه ليس فقط كان قادراً أن يشفيه وإنما لا زال قادراً أن يقيمه حتى بعد أن أنتن جسمه.

❖ لقد اعترف اليهود هنا أن السيد المسيح فتح عيني الأعمى، ولكنهم استكثروا عليه أن يجعل لعازر لا يموت.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فأتعج يسوع أيضاً في نفسه،

وجاء إلى القبر،

وكان مغزلة،

وقد وُضع عليه حجر". [38]

لا يفهم من ازعاج يسوع في نفسه فقدان سلامه الداخلي، لكنه كما أخلى ذاته ليحل بيننا كإنسانٍ حقيقيٍ كاملٍ، سمح بإرادته أن يدخل الأزعاج إلى نفسه حتى يشرك الموعجين، فيحملهم إلى سلامه الإلهي.

" قال يسوع:

رفعوا الحجر.

قالت له مرثا أخت الميت:

يا سيد قد أنتن،

لأن له أربعة أيام". [39]

أمر برفع الحجر حتى يرى كل الواقفين أن الجسد ملقى في القبر ميتاً، كما يشتمون الرائحة، فيتأكدون أنه أنتن، وعند خروجه من القبر لا يظنوا أنه خيال بل هو جسد حقيقي.

جاء اعتراض موثا غالباً بعد أن بدأوا يحركون الحجر فاشتمت الرائحة.

❖ لماذا لم يدع لعزر وهو على بُعد من القبر ويأتي به أمام أعينهم؟ أو بالأحرى لماذا لم يجعله يقوم والحجر مُلقى على القبر؟ فإن ذلك القادر بصوته أن يحرك الجثمان ويظهره متمتعاً بالحياة مرة أخرى هل كان كثير عليه أن يدحرج الحجر بصوته؟
ذلك الذي له القوة بصوته أن يجعل من هو مربوط وملفوف بالأكفان يمشي هل كثير عليه أن يجعل الحجر يتحرك؟
فلماذا لم يفعل ذلك؟

لكي يجعل منهم شهوداً للمعزة، فلا يقولون كما قالوا في معزة الأعمى: "إنه هو"، "إنه ليس هو". فإن أيديهم ومجيئهم إلى القبر تشهد بالحق أنه هو.

لو لم يأتوا لبدا لهم أنهم نظروا رؤية أو أنه شخص عوض آخر.

الآن مجيئهم إلى الموضع ورفع الحجر والأمر بحل الميت الذي في الأكفان المربوطة، فإن الأحياء الذين حملوه إلى القبر يعرفون من الأكفان من هو. لم تتحرك أختاه خلفاً (من الجوع) إذ قالت إحداهما: "قد أنتن لأن له أربعة أيام" [39]. أقول أن كل هذه كانت كافية لتبكم أصحاب الميول الشروية، إذ صاروا شهوداً للمعزة [1207].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ سيأتي ويأمر برفع الحجر هذا الذي سقط على كتفي الخاطيء.

كان يمكنه أن يحرك الحجر بكلمة أمره، لأنه حتى الطبيعة الجامدة تود أن تطيع أمر المسيح.

كان يمكنه بقوة عمله الصامت أن يحرك حجر القبر. هذا الذي أثناء آلامه تحركت حجرة كثوة من قبور الأموات وانفتحت فجأة.

لكنه أمر الرجال أن يرفعوا الحجر بالحق حتى يؤمن غير المؤمنين بما يرونه، وينظرون الميت يقوم.

لكن هذا يحمل رمزاً ليهيئنا قوة تخفيف ثقل الخطايا، الضغط الثقيل الذي على المجرم. من جانبنا نحرك الأثقال، ومن جانبه يقيم ويخرج من

القبور أولئك الذين يتحررون من ربطتهم [1208].

القديس أمبروسيوس

❖ الآن قيل: "لقد مات منذ أربعة أيام". فإنه بالحقيقة تبلغ النفس إلى هذه العادة التي أتحدث عنها بوع من التقدم أربع مرات.

المرحلة الأولى: هي كما لو كانت إثرة اللذة التي في القلب.

والثانية: هي قبولها.

والثالثة: هي تحولها إلى عمل.

والرابعة: تحولها إلى عادة.

يوجد من يلقون عنهم الأمور الشروية عن أفكرهم كأنهم لا يجدون فيها لذة.

ويوجد من يجدون فيها لذة، ولكنهم لا يوافقونها. هنا لا يكمل الموت لكن يحمل بداية معينة، فقد أضيف إلى الشعور باللذة موافقة. في الحال

تحدث إدانة للشخص.

بعد الموافقة يحدث تقدم للموافقة إذ تتحول إلى عملٍ ظاهرٍ.

والعمل يتحول إلى عادة. فيحدث نوع من اليأس، حتى يُقال: **قد أنتن لأن له أربعة أيام** . لذلك جاء الرب هذا الذي كل الأمور بالنسبة له سهلة. ومع هذا فوجد في هذه الحالة كما لو كانت هناك صعوبة. لقد اضطرب بالروح، وأظهر الحاجة إلى احتجاج كثير وعال ليقيم الذين تقسوا بالعادة. ولكن عند صرخة الرب تفجرت رُبطة الضرورة. لتعبت قوت الجحيم، وعاد لعزر حيًا. فإن الرب ينقذ حتى من العادات الشوية هذا الذي له أربعة أيام ميتًا فإنه بالنسبة للرب وحده يُحسب راقداً هذا الذي يريد الرب أن يقيمه [\[1209\]](#) .

القديس أغسطينوس

❖ حتى إن كنت راقداً في قورك، فالرب يُقيمك، وإن كان جسدك قد أنتن [\[1210\]](#) .

القديس جيروم

وى العلامة أوريجينوس أنه إذ أصدر السيد المسيح أمره **"رفعوا الحجر"** أعافت موتاً تنفيذ الأمر بكلماتها: **"يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام"** [\[39\]](#)، بعد ذلك رفعوه.

هذه اللحظات ما بين الأمر وتأخير تنفيذ تحمل نوعاً من عدم الإيمان، فلم يتحقق القول: **"إن آمنت ترين المجد الله"** [\[40\]](#). لحظات التأخير هي لحظات عدم إيمان وعصيان.

❖ يليق بنا أن نؤمن أن فترة التأخير في تنفيذ الوصية هي وقت للعصيان بالنسبة لمن ينفذ الوصية بعد ذلك... لذلك وجب علينا أن نتذكر القول: "لا تتأخر في الرجوع إلى الرب، ولا توجله من يوم إلى يوم" (ابن سواخ ٥: ٧)، والقول: "لا تقل لصاحبك اذهب وعد، فأعطيك غداً، وموجود عندك" (أم ٣: ٢٨). يؤمننا أن نعتقد أنه دينونة على موتاً إن الكلمات: **"رفعوا الحجر"** [\[41\]](#) قد كُتبت مؤخرًا، وكان يجب أن تُقال فوراً بعد الكلمات: **"قال يسوع: رفعوا الحجر"**. [\[1211\]](#)

العلامة أوريجينوس

❖ يقول: **"رفعوا الحجر"** [\[39\]](#). رفعوا ثقل الناموس، واركزوا بالنعمة. "لأنه لو أعطي ناموس قادر أن يُحبي لكان بالحقيقة البرّ بالناموس. لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون" (غلا ٣: ٢١ - ٢٢). لذلك **"رفعوا الحجر"** [\[1212\]](#) .

القديس أغسطينوس

"قال لها يسوع:

ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله؟" [\[40\]](#)

❖ حقاً الإيمان هو بركة عظيمة، ويصنع أموراً عظيمة للذين يتمسكون بالحق ويتمتعون بركات كثيرة. بالإيمان يستطيع الناس أن يملسوا أعمال الله باسمه. حسناً يقول المسيح: "لو كان لكم إيمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك، فينتقل" (مت ١٧: ٢٠). مرة أخرى: "من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها" (يو ١٤: ١٢). ماذا يعني بالأعظم منها؟ تلك التي شوهد التلاميذ يعملونها. فإنه حتى ظل بطرس أقام ميتاً، وهكذا ظهرت بالأكثر قوة المسيح. فإنه ليس عجباً أنه وهو حي صنع عجائب مثلما بعد موته يستطيع آخرون أن يصنعوا باسمه أعمالاً أعظم مما فعل. هذا وهان عن القيامة لا يُقالوم، فإنه حتى وإن شاهد الكل القيامة كانوا يؤمنون بها هكذا. لأنه يمكن للناس أن يقولوا إنها ظهور، أما من وى حدوث عجائب بمجرد دعوة اسمه أعظم مما فعله حين كان بين البشر، فإنه لا يقدر أحد ألا يؤمن إلا إذا كان عديم الحس.

إن الإيمان بركة عظيمة عندما يصدر عن مشاعر وهاجة وحب عظيم ونفس متقدة.

بالحق يجعلنا الإيمان حكماً، ويخفي انحطاطنا البشري، ويلقي بالحجج إلى أسفل ويفلسف (يعطي حكمة) بخصوص السماويات، أو بالأحرى

الأمر التي لا تستطيع حكمة البشر أن تكشفها. إنها تتركها بفيضٍ وتتجح فيها.

لنلتصق إذن بالإيمان، ولا نعتمد على الحجج الصاورة عنا [\[1213\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً

ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال:

أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي". [\[41\]](#)

إنها لحظات رهيبية حيث رُفِعَ الحجر فظهر الجسد، وقد فاحت رائحة النتن العنيف، بينما وقف السيد المسيح يخاطب الآب، شاكرًا له أنه استمع له. إنه من جهة يؤكد علاقته بالآب حتى يطمئن الحاضرون أنه سموي وليس كما ادعى بعض القادة أنه ببعثبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين. ومن جانب آخر لكي يكون قنوة لنا.

❖ ما أقوله دومًا، أقوله الآن، أن المسيح لم يتطلع كثيرًا نحو كرامته قدر ما كان يتطلع إلى خلاصنا، فلا يهتم بتقديم منطوقات سامية علوية، بل ما يمكن أن يجتذبنا إليه . لهذا فإن أقواله العلوية القدوة قليلة ومخفية، أما أقواله المتواضعة فكثيرة وفياضة في مقالاته...

فلم يكن يتحدث بالأولى بطريقة عامة، لئلا تسبب دمورًا لمن يأتون بعده، ومن الجانب الآخر فلا يمتنع عنها تمامًا، لئلا يتعثر الذين كانوا في ذلك الوقت. فالذين يعبرون من الانحطاط إلى الكمال يستطيعون بتعليم سامٍ منقود أن يبلغوا إلى كل التعليم، وأما أصحاب الفكر الضعيف فإنهم ما لم يسمعوا دومًا أقوالاً في مستوى ضعيف لا يأتون إليه نهائيًا.

في الواقع بعد أقوال كثيرة مثل هذه (علوية) كانوا يريدون أن يجمعونه ويضطهدونه ويحاولون قتله ويعتبرونه مجدقًا... فعندما جعل نفسه مساويًا لله؛ قالوا: "هذا الإنسان يجدف" (مت ٩: ٣). وعندما قال: "مغفرة لك خطاياك" (يو ١٠: ٢٠) دعوه شيطانًا. وعندما قال أن من يسمع كلماته يصير أقوى من الموت، أو "أنا في الآب والآب في" (يو ٨: ٥١) تركوه. مرة أخرى قلوبهم حين قال إنه قول من السماء (يو ٦: ٣٣، ٦٠). الآن إذ لم يستطيعوا أن يحتملوا مثل هذه المقولات، مع أنه نطق بها ناورًا جدًا وبالجهد فلو أن كل محادثاته كانت مشحونة دومًا بالأمر العلوية، من هذا النسيج، فهل كانوا يلتفتون إليه؟

لذلك كان يقول: "كما أوصاني الآب أنتكلم" (يو ١٣: ٣١)؛ "لم آت من نفسي" (يو ٧: ٣٨)، عندئذ كانوا يؤمنون. واضح أنهم آمنوا مما أشار إليه الإنجيلي قائلًا: "إذ قال هذه الكلمات آمن به كثيرون" (يو ٥: ٣٠). فإن كانت الأقوال التي تحمل تواضعًا تجتذب الناس إلى الإيمان، والكلمات العلوية تؤعهم، لذلك نطق بالكلمات المتواضعة من أجل السامعين [\[1214\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من أجلنا قدم التشكوات لئلا نظن أن الآب والابن أنقنوم واحد بعينه عندما نسمع عن إتمام ذات العمل بواسطة الآب والابن. لهذا فلن يظهر لنا أن رد تشكواته ليست ضريبة يلتزم بها من هو في عجز عن السلطان، بل بالعكس أنه ابن الله الذي ينسب لنفسه دومًا السلطان الإلهي، لذلك صوخ: "لعازر هلم خلجًا". هنا بالتأكيد أمر لا صلاة [\[1215\]](#).

القديس جيروم

❖ يصلي كابن الإنسان، ويأمر كابن الله [\[1216\]](#).

القديس أمبروسيو

❖ عندما يرفع أحد عينيه يلبق به أن يرفعهما نحو السماء بطريقة لائقة، ويوقع أيضًا يدين مقدستين، خاصة عندما يقدم الصلوات بلا غضب ولا جدال

(١ تي ٢: ٨) . فإنه عندما ترتفع العينان خلال التفكير والتأمل، واليدان ترتفعان خلال الأعمال، ترتفع النفس وتتجدد. وذلك مثل موسى الذي رفع يديه (خر ١٧: ١١) ، ويقول الشخص: "ليكن رفع يدي كذبيحة مسائية" (مز ١٤٠: ٢) ، فينهزم عماليق، وكل الأعداء غير المنظورين، وتنتصر الأفكار الإسرائيلية (المعاينة لله) التي فينا. [1217]

العلامة أوريجينوس

"وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي،

ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني". [42]

هنا يوضح أن العلاقة بين الآب والابن لا تستلزم مثل هذه الصلاة، لكن من أجل الحاضرين لكي يتقوا أنه على علاقة بالسماء.

❖ الاستماع هنا ليس عن موضوع طاعة، بل هو اتحاد أبدي. بنفس الطريقة فإنه يُقال عن الروح القدس أنه يستمع للآب ويمجد الابن. إنه يمجد، لأن

الروح القدس علمنا أن الابن صورة الله غير المنظور (كو 15:1) ، وبهاء مجده، ورسم جوهه (عب 1:3) . [1218]

القديس أمبروسوس

❖ وماذا لدى السيد المسيح أكثر من رسله إن كان هو يعمل آياته بالصلاة؟

أليق ما يُقال إن أولئك عملوا المعجزات بالصلاة، لكنهم في أكثر أوقاتهم عملوا الآيات بدون صلاة، لما دعوا باسم يسوع فقط. فإن كان اسمه قد

حمل قوة هذا مقدرها، فلو احتاج هو إلى صلاة، لما كان اسمه اقتدر على شيء، وحين خلق الإنسان إلى أية صلاة احتاج؟

أما عن معادلته لأبيه في الكرامة فتظهر في مواضع كثيرة، لأنه قال: "تعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك 1: 26) ... وما الذي يكون

أضعف منه إن احتاج إلى صلاة؟

فلننظر ما هي صلاته؟ قال: "أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي" ، ومن الذي صلى في وقت من الأوقات بهذه الصلاة؟ فقبل أن يقول شيئاً قال

"أشكرك" ، فقد أوضح أنه لا يحتاج إلى صلاة، وقوله: "لأنك سمعت لي يوضح أنه ليس فاقداً سلطانه، ولكن أظهر أنه مالك رادة واحدة مع أبيه.

فإن قلت: لم اتخذ شكل صلاة؟ قلت لك: لا تسمع الجواب مني لكن منه، القائل: " ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني" ، فقد

[1219]

وضع السبب الصادق لصلاته، لكي لا يظنوا أنه ضد الله، ولا يقولوا إنه ليس من الله .

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولما قال هذا صوخ بصوت عظيم:

لعازر هلم خرجاً". [43]

كان يمكنه أن يقيم حبيبه لعازر بكلمة هامسة أو في صمت، لكنه صوخ بصوت عظيم منادياً حبيبه: " لعازر هلم خرجاً " . ذلك لكي يتأكد

الحاضرون أنه أقامه بسلطانه الشخصي، لم يستخدم اسم آخر، إنما يأمر فيقوم الميت. ولعله صوخ بصوت عظيم ليترك الحاضرون أن نفس لعازر لم

تكن داخل القبر، بل يناديها السيد لتخرج من الجحيم، كما من مكان بعيد. أيضاً لكي يترك الحاضرون أنه ذاك الذي قال بإشعيا النبي: "أنا الرب وليس

آخر، لم أتكلم بالخفاء في مكان من الأرض مظلم" (إش ٤٥: ١٥: ١٦).

تكلم لكي نترك أنه ذاك الذي في مجيئه الأخير يتكلم، فيسمع الأموات صوته ويحيون (يو ٥: ٢٥).

ناداه باسمه "لعازر" " كمن يقيمه من نوم عميق. يقول الله لموسى أنه يعرفه باسمه كعلامة اهتمامه به شخصياً. لم يقل له "قم" بل " هلم خرجاً" ،

فحضور المسيح واهب الحياة قدمت له الحياة، إنما صدر الأمر ليتحرك.

❖ لماذا صوخ بصوت عظيم كمن لم يود أن يعمل بالروح ويأمر في صمت إلا لأنه أراد أن يظهر ما هو مكتوب: "في لحظة، في طرفة عين، عند

البوق الأخير سيقوم من الأموات بغير فساد" (١ كو ١٥: ٥٢)؟ فإن رفع الصوت هو استجابة لبوق. لقد صوخ "لعازر هلم خرجاً". لماذا أضاف الاسم إلاً لئلا يظن أحد أنه قام بدلاً من آخر، أو أن الإقامة تمت عوضاً وليس بالأمر [\[1220\]](#).

القديس أمبروسيو

❖ لم يقل السيد المسيح للعازر: "باسم أبي هلم خرجاً"، ولا قال "أيها الآب أقمه"؟ لماذا لم يستخدم كل هذه التعبيرات، وعندما أخذ شكل من يصلي أظهر بكل أعماله سلطانه المستقل؟ لأن هذا أيضاً هو جزء من حكمته، ليظهر بالكلمات تنزله، وبالأعمال السلطان... فإذا لم يكن هناك أي اتهام ضده سوى أنه ليس من عند الله، وبهذا خدعوا كثيرون، لهذا أكد بواهين كثرة هذه النقطة بأقواله وذلك من أجل ضعفاتهم. فقد كان في سلطانه بطرق أخرى أن يظهر في نفس الوقت اتفاهه مع الآب وإظهار كرامته، لكن الجوع لم تكن بعد قد ارتفعت بعد [\[1221\]](#).

❖ إنه لم يقل: "قم"، لكنه قال: "هلم خرجاً" مخاطباً الميت كمن يخاطب حياً، فما الذي يكون مساوياً لهذا السلطان؟ وإن كان قد فعل هذا بغير قوته، ماذا يكون له أكثر مما للوسل الذين قالوا: "لماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟" (أع ١٢: ٣)

لو أنه لم يعمل بقوته ولم يضيف ما قاله الوسل عن أنفسهم لكانوا هم بالحقيقة حكماء أكثر منه، إذ يرفضون المجد. وفي موضع آخر يقولون لماذا يفعلون هذا؟ "نحن أيضاً بشر تحت الآلام مثلكم" (أع ١٤: ١٥). إذ لم يفعل الوسل شيئاً من أنفسهم لذلك تكلموا بهذه الطريقة، لكي يحثوا الناس على ذلك، أما بالنسبة له فعندما وجدت مثل هذه الفكرة عنه، أما كان يجب عليه أن يزع هذه الشكوك، لو أنه لم يفعل هذه بسلطانه؟ وإنما بالحقيقة فعل المسيح عكس ذلك عندما قال: " لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا" [٤٢]، لكي يؤمنوا أنه لا حاجة أن أصلي (أطلب) [\[1222\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الآن ما هو: "هلم خرجاً" إلاً إظهار ما هو مخفي؟ من يعترف يوح خرجاً. "هلم خرجاً"؛ ما كان يمكنه فعل ذلك لو لم يكن حياً، وما كان يمكنه أن يكون حياً لو لم يقم مرة أخرى. لهذا ففي الاعتراف إذ يفهم الإنسان نفسه بمجد الله [\[1223\]](#).

❖ تأملوا حالة لعازر نفسه، فإنه خوج، ولكن بلربطته. كان حياً بالفعل خلال الاعتراف، لكنه لم يصر حياً بل كان متشابكاً إذ كان في رباطه. ماذا تفعل الكنيسة التي قيل لها: "ما تحلونه يكون محلولاً"، إلاً ما قاله الرب لتلاميذه: "حلوه ودعوه يمشي"؟ [\[1224\]](#)

القديس أغسطينوس

❖ أتريد دليلاً أقوى على أن البعض يخلص بإيمان آخرين؟! لعازر مات، ومضى عليه يوم واثان وثلاثة، وانحلت عضلاته ودب الفساد فعلاً في جسده. كيف يمكن لميت له أربعة أيام أن يؤمن، ويطلب بنفسه من المخلص؟ ولكن ما نقص عند الميت وجد عند أختيه الحقيقيتين، فعندما أتى الرب سجدت الأخت أمامه. وعندما قال: "أين وضعوه؟" أجابته: "يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام". فأجابها: "إن أمنت تريين مجد الله فكأنه يقول لها: ليكن عندك الإيمان الذي يقيم جثة الميت. كان لإيمان الأختين قوة عظيمة هكذا حتى أعاد الميت من أبواب الجحيم!

إن كان للبشر بالإيمان، واحد لحساب الآخر، يمكن أن يقوم الميت، أما يكون النفع أعظم إن كان لك إيمان خالص لأجل نفسك؟! بلى، حتى وإن كنت غير مؤمن أو قليل الإيمان فإن الله محب البشر يتعطف عليك عند توبتك.

فمن جانبك، يليق بك أن تقول بذهن أمين: "أؤمن يا سيد، فأعني عدم إيماني" (مر 9:24). فإنك محتاج أن تقول مثل الرسول: "يارب زد إيماننا" [1225]. فإذا لك نصيب من جانبك، تتقبل النصيب الأعظم من الله [1226].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ لما كان "الرب يحل المسجونين" (مز 146:7)، ويهب راحة لمنسحق الروح والموتعب من كلماته (إش 66:2)، ربما يقول لي أنا الواقف في قبر الخطية: "جيروم، هلم خراجاً" [1227].

❖ إذ لا زال ملقياً في مقرة خطاياي، ومقيداً بأربطة شروري، انتظر أمر الرب الورد في الإنجيل: "جيروم، هلم خراجاً" [1228].

القديس جيروم

❖ يا من توقد في ظلمة الضمير وفي فساد خطاياك كما في سجن الجريمة، هلم خراجاً. لتعلن عن خطاياك فتتبرر. "الفم يعترف به للخلاص" (رو 10:10). إن اعترفت عن دعوة المسيح فستكسر القضبان، وتتحل كل سلسلة، بل وتقول نتانة الفساد الجسدي الخطوة [1229].

القديس أمبروسيو

" فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة،

ووجهه ملفوف بمنديل،

فقال لهم يسوع:

حلوه، ودعوه يذهب". [44]

كيف خرج لعازر وهو مربوط اليدين والرجلين؛ إنه خرج كمن يحب أو يوج، وكان محتاجاً إلى من يحل رباطات الأكفان من جسمه.

بلا شك أن إقامة لعازر من الأموات أحدثت ضجة عظيمة في كل أورشليم التي جاء إليها كثيرون للاستعداد لعيد الفصح. انه ليس بالحدث

الطبيعي، ولا بالمعجزة التي سبق أن شاهدها أحد، خاصة بعد أن اشتتوارائحة الفساد التي حلت بالجثمان.

❖ ي قول يوحنا الرسول عن لعازر: "فخرج الميت" لوى في فعل السيد المسيح شاهداً له بسلطانه. وقوله: " فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات

بأقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل"، لكي لا يُظن أن الفعل خيلاً. فإن خروجه مربوطاً يبدو أنه ليس بأقل عجباً من قيامته. وقول السيد المسيح للجمع:

"حلوه" فلكي إذا لمسه واقفوا منه يعرفون بالحقيقة أنه هو ذلك. وقول السيد المسيح: "ودعوه يذهب"، لتعرف عزمه الخالي من التخميم، لأنه ما

اتبعه ولا اقتاده، ولا أراد أن يمشي معه حتى يريهم إياه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يؤمننا أن نهتم بهذا أيضاً، أن نقدم عملاً لائقاً بيسوع، فليس فقط نصلي لكي يصير الميت حياً، بل أيضاً نصوص إليه وندعو ذلك الذي في داخل

الكهف والقبر إلى الأمور الخرج من القبر.

يؤمننا أن نترك أنه يوجد لعازر كثيرون حتى الآن بعد أن صاروا أصدقاء يسوع، مرضوا وماتوا، وكموتى صاروا في القبر في أرض

الأموات مع الموتى، ومؤخراً صاروا أحياء بصلاة يسوع، ودعوا ليخرجوا من القبر إلى الخرج بصوت يسوع العالي.

من يثق في يسوع يخرج بالأربطة الخاصة بالموت من خطايا السالفة، لكنه لا زال مربوطاً حول وجهه، فلا يقدر أن يرى، ولا أن يمشى، ولا

[1230]

أن يفعل شيئاً ما بسبب أربطة الموت، حتى يأمر يسوع القارين لكل يحلوه ويدعوه يمشي.

❖ مثل هذا يخرج من أجل صوت يسوع، لكنه لا زال مربوطاً برباطات خطاياها. إنه حي، لأنه تاب وسمع صوت يسوع، لكنه إذ لم يتحرر بعد من

رباطات الخطية لا يقدر أن يسير في الحال بقدمين متحررتين، ويكونه لم يتحرر ليتم الأمور الفائقة فقد لتبنت يداه وقدماه بأربطة كالأربطة الموتى.

مثل هذا الإنسان بسبب الموت الذي فيه ملتصقاً برُبطة يديه وقدميه تغطى وجهه بالجهالة، وارتبط به حوله.

لهذا فإن يسوع لا يرغب فيه أن يعيش فحسب ويبقى في القبر ويكون مربوطاً عن أمور الحياة التي في خُرج القبر... لذلك يقول يسوع

للقادرين أن يخدموه: " حَلوه ودعوه يمشي " [٤٤] [1231].

العلامة أوريجينوس

7. أثر إقامة لعازر

" فكثيرون من اليهود الذين جاؤوا إلى مريم،

ونظروا ما فعل يسوع،

آمنوا به". [45]

كثير من أصدقاء مريم اليهود آمنوا به [45]، أكثُرهم كانوا قد جاؤوا من أورشليم، أقرب مدينة إلى قرية عنيا، وقد عُرف شعب أورشليم بمقاومته للسيد المسيح. بينما قدم البعض تقوياً عما حدث للفريسيين [46]، الذين استدعوا مجمع السنهريين للانعقاد [47]، وخططوا لقتل يسوع [48-57]. لقد تنبأ قيافارئيس الكهنة أنه ينبغي أن يموت واحد عن الشعب كله [49-52].

ثمر هذا العمل العجيب كالعادة يقدم رائحة حياة حياة، ورائحة موت لموت. كثيرون إذ نظروا ما صنع يسوع آمنوا به، بينما آخرون ذهبوا إلى رؤساء الكهنة والفريسيين، إما ليثيروهم أو ليقدموا شهادة عما حدث أو ليدعوهم للإيمان. وكان موقف رؤساء الكهنة والفريسيين مقاوماً للسيد المسيح.

شعرت المجموعة الأولى من المغزيين أنه لا حاجة لاستشارة رؤساء الكهنة والفريسيين، وأنه يجب الكف عن مقاومة الحق الإلهي. صلت زيلة بيت الحزن علة تحولهم إلى الإيمان الحقيقي. وتحققوا من قول الحكيم أن الذهاب إلى بيت الفوح أفضل من الذهاب إلى بيت الوليمة (جا ٧: ٢). هؤلاء جاؤوا بنية صادقة لتغوية مريم وموثا، فخرجوا متغزين بعمل الله والإيمان بالسيد المسيح واهب القيامة. فإن من يروي يروي (أم ١١: ٢٥). لهذا وجب ألا يكف أحد عن عمل الخير ما دام في استطاعته (أم ٣: ٢٧).

لماذا قال: " جاؤوا إلى مريم " ولم يقل إلى "موثا" أيضاً؟ ربما كانت مريم أكثر شهرة في أورشليم عن موثا، فجاءت الأغلبية لتغوية مريم. هذا ووى البعض أن موثا تميل إلى العمل والحركة بينما مريم تميل إلى الجلسات الهادئة (لو ١٠: ٣٨-٤٠). والذي يميل إلى العمل لا يجد وقتاً حتى للقاء مع المغزيين، أما الذي يميل إلى الهوء فيود أن يجلس مع المغزيين.

" وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين،

وقالوا لهم عما فعل يسوع". [46]

تمثل هذه الجماعة الشكليين في العبادة، فالحق واضح، والعمل الإلهي ملموس، لكنهم وهم يعلمون مقاومة القيادات له ذهبوا يخبرونهم.

" فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا:

ماذا نضع، فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة". [47]

لما كانت المعزة تصوخ بالحق الذي لا يمكن مقاومته ولا إنكله عقد رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً. أركوا أن قُرات السنهريين لن تجدي. فالشعب النف حوله وصار الخطر يمس حياة الأمة كلها وسلامها. لم يُعقد المجمع للاستشارة أو إصدار قُرات للشعب، إنما للتحرك العملي للخلاص من يسوع.

ألَبسوا القضية جانباً سياسياً خطأً في تحليل للموقف مغالط للحقيقة، وهو أن يسوع هذا لا يكف عن عمل آيات كثيرة وفريدة مثل شفاء المولود أعمى وإقامة لعازر من الأموات، الأمر الذي حول الجميع إليه، يؤمنون به وبقيمونه ملكاً، بكونه المسيا المنتظر الذي يقيم خيمة داود الساقطة. بهذا يفقد

مجمع السنهدين سلطانه، ويفقد القادة الدينيون سلطانهم. واذ يشعر الرومان بإقامة ملك لليهود يدخلون بجيش، ويستولون على أورشليم ويهدمون الهيكل، ولا يوجد من يقوّم أو يعرض. هكذا يحتل الرومان الموضع سياسياً ودينياً.

❖ أخفت هذه القيادات مشاعر حسدهم وغرتهم الشوية تحت سنار الدفاع عن الأمة اليهودية والهيكل الذي يعتبرونه أقدس موضع في العالم وأعظم مبنى وأفخمه.

انظر ماذا فعل اليهود، وقد كان واجباً أن يُذهلوا ويتعجبوا من قيامة لعزر، إلا أنهم رأوا أن يقتلوا من أقام ميتاً. يا لغبوتهم إذ ظنوا أن يدفعوا إلى الموت من قهر الموت في أجسام آخرين.

وفي قول رؤساء الكهنة والفريسيين: "ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة" يدعونه إنساناً... وقالوا لا ماذا نصنع؟ فقد وجب عليكم أن تؤمنوا وتسترضوه وتسجدوا له، ولا تظنوه أيضاً إنساناً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"إن توكناه هكذا، يؤمن الجميع به،

في أي تي الرومانيون، ويأخذون موضعنا وأمتنا". [48]

يتساءل العلامة أوريجينوس عن هؤلاء القوم الذين مضوا إلى الفريسيين إن كانوا قد فعلوا هذا لكي واجع الفريسيون أنفسهم ويؤمنوا، أم لكي يثيروهم بالأكثر ضده ويسوعوا بوضع الخطة للخلاص منه، وهو يميل إلى الرأي الثاني.

❖ ما خشاه رئيس الكهنة والفريسيون تحقق بطريقة رمزية. فإن كان رئيس الكهنة يمثل شهوات الجسد التي تقاوم شهوات الروح، فإنه لم يكن ممكناً له أن يغلب رئيس الكهنة الأعظم ربنا يسوع المسيح، الذي بالحق احتل موضعه، لكن على مستوى سملي أبدي. وعض الفكر الفريسي الحرفي تمتعنا بالروح، فلم يعد للفريسيين موضع. أما أن يحتل الرومان موضع اليهود، فإن الرومان يمثلون كنيسة الأمم التي صلت لإسرائيل الجديد، واحتلت موضع إسرائيل القديم كشعبٍ مقدسٍ كهوتيٍ صاحب الوعود الإلهية. [1232]

العلامة أوريجينوس

❖ LXX "تورط الوثنيون في الدمار الذي عملوه، في الشبكة التي أخفوها انتشبت رُجلهم" (مز ٩: ١٥). هذا هو حال اليهود.

لقد قالوا أنهم يقتلون يسوع، لئلا يأتي الرومانيون ويأخذون موضعهم وأمتهم، وعندما قتلوه حدثت هذه الأمور لهم. عندما فعلوا هذا الذي حسبوا أنهم به يهرون، إذا بهم لم يفلتوا منها. الذي قُتل هو في السماء، والذين قتلوه نصيبهم في جهنم. [1233]

❖ كأنهم قالوا: إذ رأى الرومانيون أن السيد المسيح مقلداً للشعوب يظنون فينا العصيان عليهم، فيهدمون مدينتنا.

وأنا أسأل أحدهم: قل لي متى رأيت السيد المسيح يعلم بالعصيان؟ أما أشار بإعطاء الجزية لقيصر؟ أما أردتم أن تصيروه ملكاً فهرب؟ ألم يعيش حياة بسيطة خالية من التباهي، ولم يمتلك مولاً ولا شيئاً آخر من الممتلكات وأمثاله؟

فهذه الأقوال نطقوا بها ليس متوقعين أنها تحدث، لكنهم قالوها حسداً، لأن من أوأ العوضى وعلم الحياة الفاضلة وأشار بالخضوع للرؤساء، لا يثير عصيائناً، بل يهدم العصيان ويؤيله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقال لهم واحد منهم، وهو قيافا،

كان رئيساً للكهنة في تلك السنة:

أنتم لستم تعرفون شيئاً". [49]

بحسب الشويعة يُقام رئيس الكهنة مدى الحياة (خر ٤٠: ١٥)، وذلك بالوراثة متسلسلاً من هرون وأبنائه. لكن في ذلك تدخلت السلطات

الرومانية، وحملت سلطة عزل وإقامة رئيس الكهنة كما يحلو لهم وفي أي وقت يشاعون، دون الوام بالشريعة سوى أن يكون من النسل الكهنوتي. جاء في يوسيفوس المؤرخ أن قيافا هو اسم الشهوة، وأن اسمه الحقيقي هو يوسف. كان رئيساً للكهنة لمدة ثماني أو تسع سنوات، وغالبًا ما قام فيثايلوس Vitellius والي اليهودية بجزله [1234].

لم يتطلع الرومان إلى السيد المسيح كمقاومٍ لمملكتهم، ولم تشغلهم شعبيته قط، لأنه نادى بالخضوع للسلطات ودفع الجزية لقيصر، بل طالب سمعان بطوس أن يدفع عن نفسه وعنه الجزية. وفي محاكمته زى بيلاطس ببذل الجهد عدة مرات ليطلقه.

"ولا تفكرون إنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب،

ولا تهلك الأمة كلها". [50]

كان رئيس الكهنة يوتدي الصورية التي بها الأوريم والتميم (خر 28: 30)، وبصلي إلى الله ليعطيه مشورة صادقة، لكن يبدو أن هذا الأمر كان قد انتهى تمامًا. فقدم رئيس الكهنة مشورته للمجمع لا خلال استشارة الله، بل خلال حسده الشرير. قدم ما يبدو حسب الفلسفة البشرية أنه منطقي وصادق مبني على فكرٍ سليم، غير أنه في الحقيقة كان مبنياً على مشاعر شوية ورغبة قوية للخلاص من ذاك الذي سحب شعبيتهم وفصح شوهم. جاء في إشعياء النبي: "قد رتد الحق إلى الوراء، والعدل يقف بعيداً، لأن الصدق سقط في الشلوع، والاستقامة لا تستطيع الدخول" (إش ٤٩: ١٤).

"ولم يقل هذا من نفسه،

بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة،

تنبأ أن يسوع مزعم أن يموت عن الأمة". [51]

❖ لم يتكلم قيافا رئيس الكهنة من نفسه، ولا أترك معنى ما قاله، مع أنه نطق بنوثة. وفي بولس أيضاً وجد بعض معلمي الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون، ولا ما يقررونه" (١ تي ١: ٧). لكن ليس هذا حال الإنسان الحكيم الذي يقول عنه سليمان في الأمثال: "الحكيم يفهم كلمات فمه ويحمل تعقلاً على شفتيه" (راجع أم ١٦: ٢٣). [1235]

العلامة أوريجينوس

❖ رأيت كم هي قوة الرئاسة الكهنوتية، لأن قيافا لما تأهل لرئاسة الكهنوت، على الرغم من كونه خالياً من أن يكون مؤهلاً لها تنبأ، غير عرف ما قاله. فقد استخدمت النعمة فمه فقط، ولم تلمس قلبه الدنس. وآخرون كثيرون قالوا أشياء قبل كونها وتنبؤوا، وكانوا قد فشلوا في أن يكونوا أهلاً لذلك، وهم: نيوخذنصر وفوعون وبلعام. أنظر كم هي قوة الروح، إذ اقتترت أن تُسخر نية خبيثة للنطق بألفاظٍ مملوءة نوبة عجيبة. [1236]

❖ ماذا يعني: "إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة"؟ هذا الأمر كخوه قد فسد، فإنه منذ صلت تلك الوظائف موضوع شواء (بالمال)، لم يعوروا كهنة مدى حياتهم وإنما لمدة عام. ومع هذا كان لا زال الروح حاضراً في هذه الحالة. ولكن عندما رفعوا أيديهم ضد المسيح تركهم الروح وتحول إلى الوسل. هذا أعلنه الحجاب الذي انشق، وصوت المسيح القائل: "هوذا بيتكم يتوك لكم خراباً" (مت ٢٣: ٣٨). قال يوسيفوس الذي عاش فترة قصوة بعد ذلك أن ملائكة معينين الذين بقوا معهم لعلمهم وجعون (عن شوهم) تركوهم [1237].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وليس عن الأمة فقط،

بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد". [52]

جاءت هاتان العبرتان شوخاً يقدمه الإنجيلي يوحنا كيف استخدم الله حتى شر رئيس الكهنة للشهادة للحق، والتنبؤ عن عمل المسيح الخلاصي لحساب اليهود، بل ولحساب أبناء الله في كل العالم من اليهود والأمم معاً.

من هم أبناء الله المتفوقون؟ المؤمنون من كل الأمم، إذ يجتمعون معاً كأعضاء في جسد المسيح الواحد. وى العلامة أوريجينوس أن إسرائيل حسب الجسد أيضاً بعد التشييت يقبلون الإيمان بالمسيح ليجمعوا معاً إلى واحد. [1238]

" فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه". [53]

❖ بالحقيقة لقد طلبوا أن يفعلوا ذلك من قبل، إذ يقول الإنجيلي: "فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه" (يو ٥: ١٨)، وأيضاً قال (السيد): "لماذا تطلبون أن تقتلوني؟" (يو ٧: ١٩). كانوا قبلاً يطلبون ذلك أما الآن فإنهم قرروا ما قد صموا عليه وتحركوا للعمل. [1239]

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فلم يكن يسوع أيضاً يمشي بين اليهود علانية،

بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها افوايم،

ومكث هناك مع تلاميذه". [54]

[1240]

" افوايم " هي قرية صغيرة قريبة من بيت إيل، وقد ضمهما الكتاب المقدس معاً في ٢ أي ١٣: ١٩، وأيضاً في يوسيفوس

يعتقد أنها ذات المدينة أو القرية الواردة في ١ مك ٥: ٤٦؛ ٢ مك ١٢: ٢٧. أعطاهما يشير لسبط يهوذا (يش ١٥: ٩). يقول كل من يوسابيوس

[1241]

والقديس جيروم أنها على بعد حوالي ٢٠ ميلاً من أورشليم. وى البعض انه مكث هناك من ٢٤ يناير إلى ٢٤ مارس، أي لمدة شهرين.

❖ أعتقد أن هذه الكلمات وما يشبهها سُجلت، لأن الكلمة يود أن يردنا عن التهور بسوعة شديدة وفي غير تعقلٍ للصواع مع الموت من أجل الحق (سواخ ٤: ٢٨) والاستشهاد.

فمن جانب من الصواب ألا تتجنب الاعتراف، وأيضاً ألا تتودد في الموت من أجل الحق، إن دخل إنسان في صواع من أجل الاعتراف بيسوع. ومن الجانب الآخر ليس بأقل صواباً أيضاً أنه إذا وُجدت محنة عظيمة لا تسقط فيها، بل تتجنبها ما استطعت، ليس فقط لأن نتيجة ما سيحدث غير واضحة أمامنا، ولكن أيضاً لكي لا نكون مسئولين عن أن نثير الذين لا يريدون بالفعل أن يسفكوا دمنا، فيسقطون في هذه الجريمة، ويصيرون بالأكثر خطاة وأشراً، وذلك إن كنا نعمل ما هو لنفعا ولا نبالي بالذين يتآمرون ضدنا للموت. بسببنا يسقطون في عقوبات أشد، إن ركزنا على أنفسنا ولا

[1242]

نعطي اعتباراً لما يخص الآخرين، فنخلص أنفسنا بقتلنا بينما لا تكون هناك ضرورة تستدعي ذلك.

❖ " افوايم " معناها "إثمار"، وهو أخ منسي الأكبر منه ويعني "تسيان". فإنه إذ ترك خلفه الشعب "كما في النسيان" جاءت ثمار الأمم. حينما حول الله

أنهار إسرائيل إلى بوية، ومصادر المياه إلى أرض جافة والأرض الخصبة إلى أرض قاحلة وذلك بسبب شر الساكنين فيها (مز ١٠٦: ٣٣-٣٨).

[1243]

لكنه يحول البوية التي للأمم إلى أحواض مياه، وأرضهم الجافة إلى مصادر حياة.

العلامة أوريجينوس

" وكان فصح اليهود قريباً،

فصعد كثيرون من الكور إلى أورشليم قبل الفصح ليظهروا أنفسهم". [55]

❖ أراد اليهود أن يجعلوا يوم العيد قزمياً بدم الرب. فيه دُبح الحمل الذي قدسه كيوم عيد لنا بدمه. كانت هناك خطة بين اليهود لقتل يسوع، وذلك الذي

[1244]

جاء من السماء ليتألم أراد أن يقترب من موضع آلامه، لأن ساعة آلامه قد جاءت.

القديس أغسطينوس

[1245]

❖ يا له من تطهير عجيب بتصميمٍ لارتكاب جريمة، ونيات تزوع نحو القتل، وأيادي سافكة للدماء!

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فكاتوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم وهم واقفون في الهيكل:

ماذا تظنون هل هو لا يأتي إلى العيد؟" [56]

ربما كان أهل افرايم يطلبونه إذ فرق المدينة، لعله ذهب إلى أريحا أو إحدى نواحيها. ولعل الذين طلبوه هم من قبل رئيس الكهنة، كانوا يبحثون عنه ليخبروا رئيس الكهنة بالموضع الذي يقيم فيه أثناء الاحتفال بالعيد.

[1246]

❖ جعلوا من الفصح فرصة للتخطيط ضده، وحسبوا وقت العيد وقت جريمة، فإنه سيسقط في أيديهم إذ يستدعيه موسم العيد .

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1247]

❖ الذين بحثوا عنه والذين لم يبحثوا عنه هم ملامون. لهذا ليتنا نطلب المسيح ليكون هو لنا، فنحفظه، لا لكي نقتله .

القديس أغسطينوس

" وكان أيضًا رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمراً،

أنه إن عرف أحد أين هو، فليدل عليه لكي يمسه". [57]

❖ ليأتوا إلى الكنيسة ويسمعو منا أين هو، يسمعو ذلك من الإنجيل... إنه رحل (صعد)، وهو حاضر هنا. لقد عاد لكنه لم يتوكلنا. لقد حمل جسده إلى السماء لكنه لم يسحب جلاله من العالم .

[1248]

القديس أغسطينوس

من وحي يو 11

لتصوخ بصوت عظيم منادياً باسمي:

هلم خرجاً!

❖ مريم وموثا تبعتان إليك رسالة من أجل أخيهما:

هوذا الذي تحبه مريض!

ها اخوتي المجاهدون يطلبون عني أمامك.

واخوتي الواحلون في الفردوس يشفعون أمام عرشك.

من يقدر أن يقيمني من موزي سواك يا طبيب النفوس والأجساد!

❖ دبّ الموضع في كل كياني،

احتلّ فكري وقلبي وكل حواسي.

واحتلّ الفساد داخلي.

من ينقذني من هذا الجسد الفاسد إلا أنت يا أيها القيامة!

❖ لتتطلق يا أيها السملوي إلى قوي!

فقد سببتُ ازعاجًا حتى لنفسك!

فإني موضوع حبك!

لتصوخ بصوتك الإلهي منادياً اسمي،

ولتقل: "هلمّ خرجاً".

عبورك إلى قوي وهبني القيامة بعد الموت،

لا يكون للموت وجود في حضرة القيامة!

اعترف بخطيبي، وأتمتع بالحلّ الرسولي حسب وعدك:

ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً في السماء!

❖ بك أتمتع بالحياة المُقامة المتهللة!

نعم، رددت لي بهجة خلاصك.

وتحوّل المآتم إلى عيدٍ لا ينقطع!

أختاي على الأرض وفي الفوس تمجدانك،

أنت مخلص النفوس من فساد الموت!

❖ ليس لي ما انطق به،

صلت حياتي الجديدة شهادة حيّة لأعمالك الفائقة.

ليؤمن الكثيرون بك،

إذ يروك متجلياً في ضعفي!

وليثر عدو الخير وجنوده،

فإنه لا يحتمل نور القيامة فيّ!

❖ أخوًا اسمح لي أن أعبر معك على القبور،

لنتنادي كل شخص باسمه،

ما أعذب صوتك لي، وأنت تصوخ:

"هلمّ خرجاً!"

يا له من محفلٍ ممتع،

إذ تخرج النفوس من قبورها مشرقة ببهائك

عوض الفساد تتمتع بشوكة طبيعتك الإلهية!

فيتحوّل الكثيرون إلى عروس سماوية،

الأصاح الثاني عشر

عشاء في بيت لحم

ختم الأصاح السابق بصورة قابضة حيث بدأت الحرب الجديدة ضد يوع من القيادات اليهودية للخلاص منه، إذ حسبته الكتبة والفوسيون خائنًا للمجمع. لكن جاء هذا الأصاح يكشف عن وجود أناس أمناء يشهدون للحق، فيمجنون السيد ويشهدون له وسط هذا الجو من البغض والكراهية. جاءت الشهادة لمجده على كل المستويات: المستوى الودي كأخت لعزر، والمستوى الجماعي كموكب أورشليم، المستوى الخلجي (اليونانيون)، كما تشهد له السماء، وأنبياء العهد القديم، وبعض الرؤساء، وأخوًا السيد المسيح يشهد لنفسه.

- 1 . سكب الطيب على قدمي يسوع ١ - ١١ .
- 2 . دخوله أورشليم منتصرًا ١٢ - ١٩ .
- 3 . تكريم اليونانيين ليعسوع ٢٠ - ٢٦ .
- 4 . تمجيد السماء ليعسوع ٢٧ - ٣٦ .
- 5 . شهادة الأنبياء لمجده ٣٧ - ٤١ .
- 6 . تمجيد بعض الرؤساء له ٤٢ - ٤٣ .
- 7 . شهادة المسيح لنفسه ٤٤ - ٥٠ .

1 . سكب الطيب على قدمي يسوع

ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا،

حيث كان لعزر الميت الذي أقامه من الأموات" [1]

بعد إقامة لعزر قام السيد المسيح بزيرة ودية لبيت لعزر قبل الفصح بستة أيام، وهو في بيت عنيا على مقربة من أورشليم. جاءت زيلته هذه كأعداد للاحتفال بالفصح، ليعلمنا أن نهتم بإعداد أنفسنا للمناسبات الروحية. هذا ومن جانب آخر إذ جاءت الساعة لصلبه جاء بنفسه وهو يعلم أنهم سينصبون له الشباك، وهو قادر أن يفلت منها ويحطمها، لكنه جاء إلى العالم خصيصًا لتقديم نفسه ذبيحة حب عنا.

وهي زيلة صداقة لبيت محبوبٍ لديه جدًا، "بيت لعزر ومريم وموثا"، لأنه يعلم أنه بعد قليل سيفلرقهم حسب الجسد. إنها زيلة وداعية، يترك بصمات حبه وكلمات تغزية وداعية تسندهم في يوم التجربة الذي كاد أن يحل.

أخوًا فقد جاء إلى بيت عنيا بعد إقامته للعزر لكي يتابع آثار عمله، وكأنه جاء لكي يسقي ما قدس زرعه حتى يأتي بالثمر اللائق.

جاء السيد المسيح في السبت اليهودي حيث يُحتفل بالفصح في اليوم السادس من زيلته. كان الوقت قد رُف لتختار كل أسوة الحمل الذي يُقدم فصحا في العيد، وكان يلزم حفظه خمسة أيام عن الحظوة. وها هو حمل الله الفصح الحقيقي، يأتي بنفسه ليغزل نفسه، مسلمًا نفسه في أيدي محبيه لمسحه بالطيب والدوع في اليوم التالي من وصوله. بلادته كرس حياته مبنولة فصحا عن العالم كله. وقد جاء موكب دخوله إلى أورشليم في السبت

المسيحي (أحد الشعانين) في اليوم التالي من زيارته لبيت عنيا.

"فصنوا له هناك عشاء،

وكانت مورثا تخدم،

وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه". [2]

قدمت الأسوة ذبيحة شكر عملية لذاك الذي أقام رب البيت، فصنوا عشاء، وقام الثلاثة بألوار مختلفة. لعازر بين المتكئين يشهد للمسيح الذي أقامه من الأموات، ومورثا تخدمه، ومريم تعلن حبها له بسكب الطيب على قدميه. وي البعض أن هذه الوليمة هي بعينها التي تمت في بيت سمعان الأوص (مت ٢٤: ٦). لكن وي البعض أن الوليمتين مختلفتان، فالوليمة هنا تمت في بيت لعازر وأختيه بدليل قيام مورثا بالخدمة. الوليمة المذكورة في إنجيل متى كانت في اليوم الثالث من أسوع الفصح، أما هذه فتمت قبل الفصح بستة أيام. وأن الوليمتين تمنا في بيت عنيا، مريم سكبت هنا منّا أي حوالي الرطل من الطيب، وفي الوليمة الثانية سكبت بقيته كله (مر ١٤: ٣).

لقد خدمت مورثا المائدة تعبيراً عن تقديرها العظيم للسيد. حسبت ذلك كرامة لها أن تخدم السيد، أيا كانت الخدمة. لقد سبق أن قرن بين خدمتها وجلسة أختها مريم عند قدميه، قائلاً لها: أنت تهتمين بأمر كثيرة، أما مريم فاخترت النصيب الصالح الذي لن يزوع عنها، مع هذا لم تتوك الخدمة.

"وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه" [٢]. وجوده هو وهان على حقيقة قيامته التي وهبه إياها السيد المسيح. لقد جلس يأكل مؤكداً أن الرب أقامه فعلاً.

❖ إنه يتلطف أن يعيد زيارته لذاك الذي أقيم من الأموات، ويفوح بعطية الحياة المتجددة، إنه يأتي إلى الوليمة التي تعدها كنيسة له، بمناسبة ذاك الذي كان ميتاً فوجد بين الجالسين مع المسيح [1249].

القديس أمبروسوس

❖ واضح أن الوليمة كانت في بيت مورثا، إذ أن الذين أحوا المسيح وهو أحبهم قبلوه عندهم.

قوله: "وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه"، كان في هذا دلالة على صدق قيامته، إذ يعيش ويأكل بعد أيام كثيرة [1250].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كلما أقام شخصاً من الأموات أمر السيد بتقديم طعام له ليأكل، لئلا يُظن أن القيامة خيال. ولهذا السبب وُصف لعازر بعد قيامته أنه كان في وليمة مع ربنا [1251].

القديس جيروم

"فأخذت مريم منّا من طيب نرددين خالص كثير الثمن،

ودهنت قدمي يسوع،

ومسحت قدميه بشوها،

فامتأل البيت من رائحة الطيب". [3]

المن: وزن يوناني وروماني يسوي نحو مائة روم.

النرددين: نوع من الأطياب الثمينة التي تتنافس بها القدماء، وُدكر في سفر نشيد الأناشيد (1: 12؛ 4: 13، 14). أما كونه خالصاً فيعني أنه نقي

غير مضاف إليه شوع أوراتجات ليصير كالروم.

عَوّت مريم عن حبها بسكب رطلٍ من طيب نرددين خالص كثير الثمن، حيث دهنت قدميه ومسحتها بشعر رأسها، فامتأل البيت من رائحة

الطيب. قدمت أعلى ما لديها لتكريم السيد. إنها لم تدهن رأسه كالعادة المتبعة، بل في حبٍ عميقٍ دهنت قدميه. حتماً إن سكب رطل طيب نقي تدفق على

ثياب السيد المسيح، وامتلاً البيت كله ورائحته الطيبة. وكما تقول النفس البشوية عن عيسها الملك: "مادام الملك في مجلسه، أفاح نرديني رائحته" (نش ١٢: ١).

لقد سكبت مريم طيب حبها الخالص ولائها لرائحته الطيبة تملأ بيت الرب عبر الأجيال، يشتمه الآب إذ يحمل رائحة المسيح الذكية (٢ كو ٢: ١٥)، ونشتمه نحن المؤمنون بعد كل القرون، فنشتمه أن نقدم حياتنا كلها رائحة حب خالص نحو ذلك الذي باورنا بحبه. ❖
موتاً خدمت، من هذا يتضح أن الوليمة كانت في بيتها... مريم لم تخدم، إذ كانت تلميذة. هنا أيضاً سلكت بطريقة أكثر روحانية. فإنها لم تخدم كما لو كانت قد دُعيت لتفعل هذا، ولا قدمت خدماتها مشاعة لكل الضيوف بوجه عام، وإنما كرمت ذلك وحده. اقتربت إليه ليس كإنسان بل بكونه إلهها. لهذا سكبت عليه دهن الطيب ومسحته بصفائرها، لم تملس هذه أفعال معتقدة فيه مثلما ظن الكثيرون [1252].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الطيب هو البرّ، كان وزنه منّاً (رطلاً)، لكنه طيب من نردين خالص كثير الثمن... أصل الكلمة "خالص" في اليونانية ندعوها "الإيمان". أنتم تطلبون أن تصنعوا البرّ، فإن البار بالإيمان يحيا (رو ١: ١٧).
امسحوا قدمي يسوع، أي اقتفوا إثر خطوات الرب بحياة صالحة.
امسحوا قدميه بشعورك، بما هو فائض لديكم، قدموه للفقراء بهذا تمسحون قدمي الرب. لأن الشعر يبدو كأنه أمرزاند في الجسد. لتقدموا شيئاً من الفيض الذي لديكم. إنه فائض عندكم، لكنه ضروري بالنسبة لقدمي الرب.
ربما قدما الرب على الأرض في احتياج. فإنه عن من يقول إلّا عن أعضائه: "ما فعلتموه بأحد اخوتي الأصاغر فبي فعلتم" (مت ٢٥: ٤٠)؟ إنكم تقدمون مما هو فائض عنكم، لكنكم تقدمون ما هو مُستحب لقدميه [1253].

❖ " فامتلاً البيت من رائحة الطيب" [٣]. العالم يمتلئ بسمعته الشخصية الصالحة، لأن السوة الصالحة كرائحة طيب مبهجة. الذين يسلكون في الشر ويحملون اسم مسيحيين يسيئون إلى المسيح. عن هؤلاء قيل أنه بسببهم يُجذف على اسم الرب (رو ٢: ٢٤). إن كان بمثل هؤلاء يجذف على اسم الله، فإنه خلال الصالحين يُكرم اسم الله.

استمعوا إلى الرسول وهو يقول: "نحن رائحة المسيح الذكية في كل موضع". كما جاء في نشيد الأناشيد: "اسمك دهن موق" (نش ١: ٣).

القديس أغسطينوس

❖ هذا العطر لا يختلف عن عطر العروس الذي أفاح رائحة العريس. "مادام الملك في مجلسه أفاح نرديني رائحته" (نش 1: 12).
جاء في الإنجيل إن سكب الطيب على رأس ربنا قد أفاح رائحة ذكية في رُجاء الموقل حيث أقيمت المأدبة. يبدو أن الوأة ساكبة الطيب قد تتبأت بسرّ موت المسيح. وقد شهد الرب لعملها هذا قائلاً، "إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني" (مت 12: 26).
الموقل الذي امتلأ بهذه الرائحة يمثل الكون بأكمله، العالم كله: "حيثما يركز بهذا الإنجيل في كل العالم"، تنتشر رائحة عملها هذا مع الكورة بالإنجيل، وبصير الإنجيل "تذكراً لها"، إذ أن النردين في نص نشيد الأناشيد يفتح رائحة العريس لعروسه، وفي الإنجيل أيضاً تصير رائحة المسيح الذكية التي ملأت كل الموقل كطيب يطيب كل جسد الكنيسة في كل المسكونة والعالم أجمع [1254].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ [في حديثه الموجه إلى الإمبراطور ثيودوسيوس كتب:]
لذلك أيها الإمبراطور الآن أوجه كلماتي ليس فقط عنك بل إليك، إذ تلاحظ كيف بكل حزم يريد الله أن يحاكم، فإنه بقدر ما قد صوت مجدداً بالأكثر يليق بك أن تخضع لخالقك بالكامل، إذ هو مكتوب: "عندما يحضرك الرب إلهك إلى أرض غريبة، وتأكل ثمر الآخرين لا نقل: بقوتي ووي أعطاني هذه، إنما الرب إلهك هو الذي أعطاك إياها". فالمسيح بواحه وهبك هذه، لذلك فحباً في جسده أي الكنيسة أعط ماءً لقدميه، قَبَّل قدميه، فليس

فقط تعفو عن سقط في خطية بل أيضاً بواسطة حبك للسلام تصلحهم وتهبهم راحة.

اسكب دهنًا على قدميه، لكي ما يمتلئ كل البيت الذي يجلس فيه المسيح ورائحة طيبك، ويُسِر كل الجالسين معه ورائحة الذكوة. بمعنى كرم المذلولين، حتى تفوح الملائكة بالعفو عنهم، إذ يفرحون بخاطئ واحد يتوب (لو 10:15)، ويُسِر الوسل، ويمتلئ الأنبياء بالبهجة [1255].

القديس أمبروسيو

"فقال واحد من تلاميذه،

وهو يهوذا سمعان الـ اسخريوطي المزمع أن يسلمه". [4]

❖ ١٦- إذ فاحت رائحة المسيح الذكوة صلت للبعض رائحة حياة حياة، ولآخرين رائحة موتٍ لموتٍ (٢ كو ٢: ١٤). هذه الرائحة الذكوة صلت رائحة موت ليهوذا.

القديس أغسطينوس

"لماذا لم يُع هذا الطيب بثلاث مائة دينار،

ويُع للفقواء؟" [5]

وسط هذا الجو السموي، رائحة المسيح الذكوة التي تسحب القلوب نحو السماء، وُجدت رائحة نتانة الإصوار على الطمع والسوقة مع روح الخيانة تتبعث من قلب تلميذ يبدو من خاصة المسيح. لا يستطيع القلب أن يحتل رائحة المسيح الذكوة واهبة الحياة، فتصير بالنسبة له رائحة موتٍ لموتٍ (٢ كو ٢: ١٦).

لم يستوح يهوذا الخائن لهذا التصرف، وحسبه تبديداً لمبلغ كبير كهذا، إذ حسب ثمن الطيب بحوالي ٣٠٠ ديناراً، كان يمكن تقديمه للفقواء، ولم يستطع أن يتلمس ثمن الحب الذي لا يُقدر بثمن. كان يهوذا رسولاً وكارزاً بالإنجيل، لكنه لا يحب روح التكريس والحب. تحولت الكورة عنده إلى مهنة وعمل رسمي، لا تحمل رائحة طيب الحب التي تملأ بيت الرب "الكنيسة".

لقد وجد الحجة التي يتفوق بها ليهاجم عمل المحبة، فبدا كمن هو متفوق بالفقواء. فإنه حتى الشيطان يحول نفسه كما إلى ملاك نور. استخدم الحكمة البشوية، فحسب خدمة الفقواء ضد إظهار الحب للسيد المسيح، خافياً في أعماقه طمعه وحبه للمال، وأنه لص يسرق ما بالصندوق. لم يكن يحتل هذا الخائن عمل الحب، حيث تسكب مريم طيباً يمكن أن يُباع بثلاثمائة ديناراً، بينما قام هو ببيع السيد نفسه بثلاثين من الفضة. هي وضعت الثلاثمائة ديناراً تحت قدمي سيدها وحسبت ذلك كلاً شيء، أما هو فوضع سيده تحت ثلاثين من الفضة وحسب سيده كلاً شيء أمام هذا المبلغ التافه.

"قال هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقواء،

بل لأنه كان سارقاً،

وكان الصندوق عنده،

وكان يحمل ما يلقى فيه". [6]

وي البعض أن كلمة "اسخريوطي" معناها "حامل الصندوق".

لم يحمل يهوذا حقاً على الفقواء، ولا اهتماماً بهم، وإنما كانت خدمة الفقواء فرصة لسوقة المال. يتساءل البعض: لماذا عهد إليه السيد المسيح الصندوق، ولم يعهد به إلى بطوس أو يوحنا أو غوهما ممن هم أهل الثقة؟ ربما لأن يهوذا اشتهى هذا العمل، فنال سؤال قلبه. ولعل السيد المسيح سمح له بذلك حتى لا يكون له عذر في بيع سيده، لأنه لم يكن في عوز.

تبقى الكنيسة عبر كل العصور تضم قلة مقدسة تلقى بكل ما لديها تحت قدمي السموي، فتفوح رائحة حبهم، وتملأ بيت الرب ورائحة المسيح

الساكن في قلوبهم. وتضم أيضًا من يختفون وراء الشكليات وصناديق الفقاء ليسلوا حق المسيح ويبيعونه بثمن عبدي، ولا يقوم بفضحهم، لعلمهم رجوعوا إلى أعماقهم، ويكتشفوا شوهم وتتجدد حياتهم بالتوبة وبالرجوع إلى مخلصهم.

❖ أطل الرب أناته على يهوذا الشيطان واللس والخائن له. لقد سمح له أن يُقبل بين الرسل الأبرياء ما يعرفه الأمانة كمكافأة لهم (يقصد جسد الرب ودمه) [1256].

❖ انظروا الآن وتعلموا أن يهوذا هذا لم يصير فاسدًا فقط في الوقت الذي فيه قبل رشوة اليهود وخان ربه... لم يهلك في ذلك الحين وحده، بل كان بالفعل سارقًا وشرويًا حين كان يتبع الرب، إذ تبعه بجسده لا بقلبه. لقد أكمل عدد ١٢ للرسول، لكن لم يكن له نصيب في البركة الوسولية... عند رحيله خلفه آخر فكملة العدد الرسولي [1257].

❖ لماذا كان للرب صندوق، هذا الذي تخدمه الملائكة، إلاً ليعلن بصراحة أن كنيسة تلتزم فيما بعد أن يكون بها مستودع للمال؟ لماذا أعطى اللص هذه المسؤولية إلاً ليعلم كنيسة طول الأناة في احتمال اللصوص؟ لكن ذاك الذي اعتاد أن يختلس مالا من الصندوق لم يتوحد في أن يسلم ربه من أجل المال [1258].

القديس أغسطينوس

❖ محبة المال أمر مروع، فإنها تفسد الأعين والأذان، وتجعل البشر رُداً من الوحوش المفترسة، فلا تعطي للإنسان أن يضع في اعتباره ضموره ولا الصداقة ولا الأمانة ولا خلاص نفسه، وإنما تسحب من هذا كله، كسيدة عنيفة تستعبد من تأوهم... لقد جعلت جيحزي أروص بدلاً من كونه تلميذاً ونبيًا، وأهلك حنانيا (وسفرة) معه، وجعلت يهوذا خائناً. محبة المال أفسدت قادة اليهود... جبلت ربوات الحروب، وملأت الطرق بالدماء، والمدن بالنحيب والوآثي [1259].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فقال يسوع:

اتركوها، إنها ليوم تكفيني قد حفظته". [7]

بينما دانها يهوذا حاسباً أنها تصرفت بغير حكمة، وبددت المال فيما لا ينفع، وكان يجب تقديمه للفقاء، إذا بالسيد المسيح يعلن أنها قامت بعملٍ روحي نوي فائق، فقد تنبأت عن تكفينه. خلال حبها تلامست مع آلام السيد المسيح وموته ودفنه، وبتصوفها أعلنت عن رائحة الخلاص الذكية. لم نسمع قط أن أنساناً يُكفن، ويُدهن جسده للتكفين، وهو بعد حيّ، أما السيد المسيح فحسب هذا الطيب تكفيناً لجسده الذي لن يفسد. لقد سلم جسده المبول طعاماً روحياً عند تأسيسه سرّ الأفلستيا في خميس العهد، والآن إذ بذل جسده برادته يعلن عن تكفينه. هكذا يؤكد السيد رادته المقدسة الحرة في قبول الموت والدفن من أجل العالم ليهبهم قوة قيامته وبهجتها.

❖ قول السيد المسيح عن مريم " اتركوها، إنها ليوم تكفيني قد حفظته " ذكر الدافع لما فعلته المرأة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ انظروا يا اخوة، فإنه لم يقل له: "إنك تقول هذا من أجل لصويتك". لقد عرفه أنه لص. ومع هذا لم يخون بل بالأحرى احتمله، مقدماً لنا مثلاً للصبر في احتمال الأثوار في الكنيسة [1260].

القديس أغسطينوس

"لأن الفقاء معكم في كل حين،

وأما أنا فليست معكم في كل حين". [8]

حمل هذا القول إشارة خفية للعاملين، فمن جهة عمل يهوذا المختفي وراء تظاهره بحب الفقاء بينما يقوم بتسليم سيده للموت في خيانة بشعة،

والثاني عمل مريم الزائع حيث تلقفت هذا الجسد المُسلم للموت لتكومه بأعلى ما لديها، الطيب الكثير الثمن. إنه يويخ يهوذا سواً، لأنه يدعي حب الفقاء، ويكوم مريم، لأنها وجدت فرصة لا تتكرر "لست معكم في كل حين".

لقد كفتت مريم جسد مسيحها وهو حي، فنالت مديحاً من فم السيد نفسه. كفن نيقوديموس ويوسف الوامي جسد السيد بعد موته، فنالوا كرامة لكنها لا تقرن بالكرامة التي نالتها مريم. هي قدمت رطلاً من الطيب وهما مائة رطل، لكن التقدمة الأولى للجسد الحي فاقت كثرةً التقدمة الثانية. مريم لا تزال تدعونا أن نطيب جسد المسيح الحي في أعضائه الفقاء والمساكين والمتألمين والمطرودين والذين ليس لهم من يسأل عنهم، فقد وعدنا الله: "لأنه لا تفقد الفقاء من الأرض، لذلك أنا أوصيك قائلاً: افتح يديك لأخيك المسكين والفقير في أرضك" (تث ١٥: ١١). ويدعونا نيقوديموس ويوسف الوامي أن نطيب جسده في الأعضاء التي رحلت، أي الشهداء والقديسين. لا يمكن أن نمرس عملاً على حساب الآخر، إذ حبنا للفقاء يتناغم مع حبنا للقديسين الذين لا زالوا أحياء يملسون الحب لله كما لكل البشوية بالصلاة والشكر الدائم.

❖ أراد المسيح أن يحد من شوه الموائد، مستخدماً تواضعاً عظيماً نوره. لذلك لم يذُكره بالسوقة مع أنه يعرفها، وهكذا وضع عبلة تحجز رغبته الشوية، وتوقع عنه كل دفاع عن نفسه [\[1261\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بخصوص حضوره الإلهي معنا، فالمسيح حاضر على الوام، وبخصوص حضوره في الجسد، بحق قال لتلاميذه: "لست معكم في كل حين" [8].
القديس أغسطينوس

"فعلم جمع كثير من اليهود أنه هناك،

فجاءوا ليس لآجل يسوع فقط،

بل لينظروا أيضاً لعازر الذي أقامه من الأموات". [9]

سمع كثير من اليهود بقصة إقامة لعازر من الأموات، إذ كانت موضوع حديث المدينة، فتقاطروا لا ليروا يسوع وحده بل وذاك الذي أقامه من الأموات. لم يأتوا ليسمعه، بل لينظروا ويتأكدوا من قصة الإقامة من الأموات. لم يأتوا ليلقوا أيديهم عليه، ولا ليخبروا القيادات ضده، بل ليكوموه. جاء البعض لكي يثبتوا إيمانهم بالمسيح بأن يسموا معزة الإقامة من فم لعازر نفسه، وآخرون بحب الاستطلاع جاؤا يتأكدون كيف يقوم إنسان من الموت، وماذارأى في موته، وما هي أخبار العالم الآخر. صار لعازر في أيام العيد هذه عرضاً عجيبياً يريد كثيرون أن يروه ويسمعه.

"فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر أيضاً". [10]

كتب القديس جيروم رسالة إلى مرسيللا Marcella يمتدح فيه بلاسيللا Blaesilla ابنة بولا Paula فقد انتقل زوجها بعد سبعة شهور من زواجها، وأصبحت بموضٍ خطيرٍ دفعها إلى الإيمان وتكريس طاقاتها لحساب المسيح، فعانت الكثير من الهجوم على تصوراتها. حسبها القديس جيروم لعازر الجديد حيث تمتعت بما هو أشبه بالقيامة من الأموات.

❖ كانت حياتها السابقة تتسم بوع من الإهمال، وقد تقيدت برأبطة الغنى، ورددت كمن هي ميّنة في قبر العالم. لكن يسوع تحرك في ضيق وازعج بالروح و صوخ: "بلاسيلا، هلم خلجاً". لقد قامت عند دعوته، وخرجت وجلست تأكل مع الرب (يو 12:2). في غضب هددها اليهود، يطلبون قتلها، لأن المسيح أقامها (يو 10:12). إنها تكفتي بأن يعطي الوصل المجد لله. بلاسيلا تعرف أنها مدينة بحياتها لذلك الذي رد لها الحياة. إنها تعرف أنها تقدر الآن أن تحتضن قديمي ذلك الذي منذ قليل كانت تهبه كديان لها... أية تعزية لها في كلماتهم (للمقاومين لها) التي هي أخف من الدخان؟ [\[1262\]](#)

القديس جيروم

❖ أما كان يستطيع المسيح الرب القادر أن يقيم من الأموات أن يقيم من يُقتل (أي يقيم نفسه حين طلب اليهود قتله)؟

حينما كنتم تعدون موتاً عنيفاً للعازر، هل كنتم تجردون الرب من سلطانه؟

إن كنتم تظنون أن الميت غير المقتول فانظروا فقط إلى هذا، أن الرب فعل الأميين، فأقام لعازر حين كان ميتاً، وأقام نفسه حين قُتل [1263].

القديس أغسطينوس

"لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون،

ويؤمنون بيسوع". [11]

إذ التهبت قلوب الكثيرين بالشوق نحو رؤية يسوع والإيمان به وَايد بالأكثر حسد رؤساء الكهنة، وتشلوروا معاً، فلم يجنوا سبيلاً آخر للخلاص من هذا الموقف سوى قتله. لقد بذلوا كل الجهد لتسويه صورته أمام الجوع حتى يتخلى الكل عنه، لكن ذهبت هذه كلها هباءً، خاصة بإقامة لعازر من الموت. لم يكن يوجد دليل على كونه المسيا مثل إقامته الأموات، واهباً للحياة، لأنه هو الحياة.

2 . دخوله أورشليم منتصراً

"وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آت إلى أورشليم". [12]

"فأخذوا سعوف النخل،

وخرجوا للقاءه،

وكانوا يصرخون:

أوصنا،

مبرك ال آتي باسم الرب، ملك إسرائيل". [13]

كان سعف النخيل يشير إلى النصوة، لهذا دعا شيشرون إنساناً نال جوائز كثرة رُجل السعف الكثير". لقد غلب السيد قوات الظلمة بموته، لهذا استحق أن يحملوا سعف النخيل أمامه.

هذا وحمل سعف النخيل كان يمثل دوراً رئيسياً في الاحتفال بعيد المظال، فكان علامة للبهجة بالعيد. وكان المسيح هو عيدنا، موح قلوبنا.

يشبه سليمان الحكيم النفس المحبوبة لعيسها السيد المسيح بالنخلة: "قلت إني أصدع إلى النخلة وأمسك بعنوقها" (نش ٧ : ٨).

اعتاد الأقباط في أحد الشعانين أن يتباروا في اقتناء السعف وجدله وتوينه بالورود ووضع "قربان على شكل صليب" فيه... كعلامة مبهجة

لاستقبال النفس لعيسها الغالب، وبهجة القلب بالملك السموي، مخلص النفوس من الفساد. ولا زال كثيرون يحتفظون بالسعف المجبول من أحد

الشعانين حتى يحل أحد الشعانين التالي، علامة استورية التوحيد بالملك في القلب كما في الأسرة داخل البيت.

قدموا صرخات مستقبلية مقتبسة من مز ١١٨ : ٢٥-٢٦ . هكذا جاء لقاء الشعب متناغماً مع الفكر الكتابي، إذ لمسوا فيه أنه المسيا المنتظر،

بينما أصيبت القيادات الدينية بالعمى الروحي.

مع أنه جاء فقوياً بلا مجد زمني، لكن الشعب استقبله كملكٍ مخلصٍ لإسرائيل. أتركوا أنه الملك البار القادم باسم الرب (مز ٢ : ٦). قبلوا مملكته

بكل قلوبهم، عبروا عن ذلك بقولهم "أوصنا" أو "هوشعنا"، وتعني "خلصنا".

فتح الشعب قلوبهم ليدخل فيهارب المجد، وكأنهم ترنموا مع الموتل قائلين: "رتفعي أيتها الأبواب الذهبية فيدخل ملك المجد... الرب القدير

الجبار، الرب الجبار في القتال" (مز ٢٤ : ٧-٨).

❖ سعف النخيل هو رمز للمديح يشير إلى النصوة، إذ جاء الرب للنصوة على الموت بالموت، وبغلبة صليبه يهزم رئيس الموت.

الهتاف الذي استخدمه الشعب المتعبد هو "هوشعنا"؛ البعض ممن يعرفون العبرية يرون أنه يشير إلى الذهن في حالة من اليقين، وذلك كما في

لساننا (اللاتيني) صيغ للتعجب ففي حزننا نقول: "وأسفاه"، وفي فوحنا: "ها!" وفي دهشتنا: "رائع!"، وفي تعجبنا: "ياه!" هكذا هذه الكلمة تدخل في نفس الفصيحة حيث لا توجد ترجمة لها في اليونانية أو اللاتينية، مثل غوها: "من يقول لأخيه: رقا!" لأن هذه أداة تعجب تعبر عن مشاعر الغضب [1264].

❖ " مبرك الآتي باسم الرب، ملك إسرائيل" [١٣]. بالأحرى يفهم "باسم الرب" أنه "باسم الله الرب" كما يمكن أن يفهم على أنه باسمه هو، بكونه هو الرب [1265].

❖ أية محنة ذهنية عانى منها رؤساء اليهود وهم يسمعون جمهرًا عظيمًا كهذا يعلنون أن يسوع هو ملكهم!

لكن أية كرامة ينالها الرب ليكون ملكًا لإسرائيل؟

أي أمر عظيم لملك الأبدية أن يصير ملكًا للبشر؟

فإن ملوكية المسيح على إسرائيل ليس بقصد نوال جزية، ولا بتقديم سيوف في أيدي الجنود، ولا لهزيمة أعدائه في حرب علنية، لكنه هو ملك إسرائيل في ممرسته سلطانه الملوكي على طبيعتهم الداخلية، وفي تدبير اهتماماتهم الأبدية، وفي جلب الذين لهم الإيمان والوجاء والمحبة متروكة فيه إلى ملكوته السلمي. لهذا فإنه بالنسبة لابن الله، المسوي للآب، الكلمة الذي به كان كل شيء، وبمسوته صار ملكًا لإسرائيل، هو عمل فيه تتزل وليس فيه ارتفاع له. إنه سمة حنو، وليس وَايد في السلطة. فإن ذاك الذي كان يُدعى ملك إسرائيل على الأرض، يُدعى رب الملائكة في السماء [1266].

القديس أغسطينوس

" ووجد يسوع جحشًا،

فجلس عليه كما هو مكتوب". [14]

اعتاد السيد المسيح أن يدخل مشيًا على قدميه، لكنه الآن يمتطي جحشًا في تواضع عجيب. لم يأتي راجبًا مركبة كسليمان (نش ٣ : ٩-١٠) بأعمدة من فضة وقواعد من ذهب ومغشاة بالأرجوان. لم يكن مجده ماديًا، لأن مملكته ليست من هذا العالم، لهذا لم يحمل مظهر الأبهة. "فجلس عليه"، لم يقل "ركبه"، إذ أراد الإنجيلي أن يبرز موقفه كملك يتربع على العرش. ما ورد هنا باختصار ذكره الإنجيليون الآخرون في شيء من التوسع (مت ٢١ : ١-١٦؛ مر ١١ : ١-١١؛ لو ١٩ : ٢٩-٤٨).

"لا تخافي يا ابنة صهيون،

هوذا ملكك يأتي جالسًا على جحش اتان". [15]

يدعو النبي ابنة صهيون أن تتطلع إلى ملكها المتواضع والوديع الذي يملأ حياتها ببهجة النصرة، لذا يدعوها ألا تخاف، بل تفرح وتتهلل، فقد جاء لكي يزع عنها القلق والخوف. لقد تحققت نبوة زكريا النبي: "ابتهجي جدًا (لا تخافي) يا ابنة صهيون... هوذا ملكك يأتي إليك، وهو عادل ومنصور، وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان" (زك ٩ : ٩). إنه لم يأت لكي ينتقم من الأعداء، يهودًا كانوا أم رومانين، وإنما جاء ليحل بسلامه السلمي ومجده العلوي عليهم. هذا ما عبّر عنه الإنجيلي لوقا: "سلام في السماء، ومجد في الأعالي" (لو ١٩ : ٣٨). ويعلق القديس أغسطينوس على ذلك قائلاً:

❖ قيل لها "لا تخافي"، لتعرفه ذاك الذي الآن تمجديه، ولا تعطي للخوف طويلاً إذ يأتي ليتألم. فإنه بسفك دمه يُمحي ذنبك، وتُرد لك حياتك. أما عن

الجحش ابن الأتان الذي لم يركبه إنسان قط (كما ورد في الإنجيليين الآخرين) فيفهم شعوب الأمم التي لم تتقبل ناموس رب، وأما الأتان... فيشير إلى شعبه الذي جاء من إسرائيل وخضع لمعونة مزود سيده [1267].

القديس أغسطينوس

❖ "لا تخافي يا ابنة صهيون"، لأن ملوك اليهود كانوا غالبًا ظالمين وطامعين، إذ سلموهم لأعدائهم وجعلوهم تحت الجباية عند محرابهم... لكن ليس

هذا هو حال ذاك الوديع والمتواضع كما يظهر من ركوبه الأتان، لأنه لم يدخل المدينة بقتاد جيشًا، لكنه جلس على الأتان فقط [1268].

"وهذه الـ أمور لم يفهمها تلاميذه أولاً،

ولكن لما تمجد يسوع حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه،

وأنهم صنعوا هذه له". [16]

لم يستطع التلاميذ إرواك حقيقة الأحداث وما وراءها، وكيف تحققت نوات العهد القديم إلا بعد أن تمجد السيد المسيح بقيامته وفتح قلوبهم

بالحب وأذهانهم بروح المعرفة، فأدركوا أنهم تمتعوا بالعهد الجديد الذي اشتهاه الأنبياء قديماً.

يقدم لنا الإنجيلي هذه الملاحظة أن التلاميذ لم يفهموا الأحداث أنها تتم النوات حتى حلّ الروح القدس عليهم بعد أن تمجد المسيح بصلبه

وقيامته فأدركوها. كانوا كأطفالٍ صغارٍ يتصرفون وهم لا يبركون الأمور، لكنهم إذ بلغوا النضوج عرفوا ما وراء الأحداث من أسرارٍ إلهية، وعرفوا

خطة الله للخلاص.

❖ رأيت كيف أن التلاميذ جهلوا أكثر النوات عن السيد المسيح إذ لم يعلنها لهم؟ ولا حين قال: "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه" (يو 2: 19)

عرفوا ذلك. يقول إنجيل آخر: "كان هذا الأمر مخفي عنهم" (لو 18: 34)، ولن يعرفوا أنه كان ينبغي أن يقوم من الأموات...

انظر إلى فلسفة البشير، كيف أنه لم يخجل من إشهار غبوة التلاميذ الأولى.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لم يخجل القديس يوحنا من الاعتراف بجهل التلاميذ، فقد عاد وأظهر معرفتهم، لأنه لم يضع في اعتباره تكريم الناس، بل كان يدعو لمجد الروح.

القديس كيرلس الكبير

اختلفت وجهات النظر نحو هذا الموكب الفريد:

1. تطلع إليه السيد المسيح أنه موكب المجد خلال الصليب، فقد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان بتقديم نفسه حمل الفصح عن العالم كله، ليعبر

بالمؤمنين من عبودية إبليس إلى كنعان السملوية.

2. وتطلع إليه رجال العهد القديم وهم في الجحيم، ليروا تحقيق الرموز والنوات، وقد حانت اللحظات التي طالما ترقبها بشوقٍ عظيمٍ، ليأتي

من يخرج بهم إلى الفونوس، حاملاً إياهم غنائم سملوية.

3. وتطلع التلاميذ إلى الموكب، ولم يفهموا شيئاً! دخلوا في حالة رتباكٍ شديد!

4. تطلع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى الموكب أنه دمار تام لرواؤهم ومصالحهم الشخصية.

5. تطلعت الجموع إلى الموكب أنه دخول إلى عصرٍ جديد، حيث جاء من يخلصهم من الاستعمار الروماني، ويهيبهم مجداًزمنياً!

6. أخيراً تطلع السامائيون إلى الموكب وهم يدهشون أمام تواضع كلمة الله المتجسد، وهو ملك السماء والأرض، يجلس على جحشٍ ورفقه بشر

ضعفاء... ماذا وراء تواضعه هذا وحبّه للبشر؟!

"وكان الجمع الذي معه يشهد أنه دعا لعازر من القبر،

وأقامه من الأموات". [17]

خروج هذه الجموع الغفيرة للقائه كان بسبب إقامة لعازر، وفي نفس الوقت أعطى الفرصة للحديث عن إقامة لعازر من الأموات، فتعلق به

كثيرون، وزايد بالأكثر حسد الفريسيين، وفتقوا كل أملٍ لهم في محاصرة شعبية يسوع المسيح والحدّ من سلطانه، فلم يكن أمامهم سوى الإسراع بقتله

والخلاص منه. قُدمت عظام كثرة للشعب، وصنعت آيات لا حصر لها، لكن إقامة لعازر من الأموات جذبت جماهير نحو السيد المسيح. فإنه ليس من

أمر يحطم الإنسان مثل الموت، ولا ما يبهجه مثل القيامة من الموت.

❖ لم يرد كثيرون أن يتغيروا في الحال حتى آمنوا بالمعجزة [1269].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لهذا أيضًا لاقاه الجمع،

لأنهم سمعوا أنه كان قد صنع هذه الآية". [18]

"فقال الفريسيون بعضهم لبعض:

انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً،

هوذا العالم قد ذهب وراءه". [19]

الآن تحققت كل مخاوف القيادات الدينية، خاصة رؤساء الكهنة والفريسيين، فقد كاد الأمر يفلت من أيديهم، إذ تحرك الشعب ككل في موكب هزّ مدينة أورشليم. فمن جانب اكتشف الفريسيون حقيقة أنفسهم: "إنكم لا تنفعون شيئاً" [19]، ومن الجانب الآخر شعر الفريسيون كأن العالم كله ذهب وراءه، وهنا يقصد به العالم اليهودي، أي كل إنسان، قد التصق به كتلميذ له. وأن كل تأخير في الخلاص منه يمثل خطأ يصعب علاجه.

❖ قول الفريسيين: " هوذا العالم قد ذهب وراءه " قصوا بالعالم هنا الجمع، لأن من عادة الكتاب المقدس أن يدعو الخليقة والسالكين في شرمهم عالمًا، فقد قال السيد المسيح لتلاميذه: " لا يقدر العالم أن يبغضكم، ولكنه يبغضني أنا، لأنني أشهد عليه أن أعماله شريرة" (يو 7: 7).

القديس يوحنا الذهبي الفم

3 . تكريم اليونانيين ليسوع

"وكان أناس يونانيون من الذين صنعوا ليسجوا في العيد". [20]

اشتهى بعض الدخلاء من اليونانيين أن يروا يسوع. وقد جاء تصوفهم هذا ربما بعد يومٍ أو يومين من دخول السيد المسيح إلى أورشليم، إذ قضى اليوم الأول في عملٍ عام.

وى البعض أنهم يهود، تشنتوا ورتبطوا بالثقافة الهيلينية، لهذا دُعا يونانيين مثل خصي كنداكة وكرنيليوس. كما كان اليهود يقرون بعضًا من الأمم الذين يميلون العبادة لله طبيعيًا، دون معرفتهم للناموس الموسوي والأنبياء، هكذا كان الأمم أيضًا يقرون اليهود الأتقياء ويتركونهم يتعبدون في وسطهم، بل ويسمحون لهم بحضور اجتماعاتهم الدينية قنما يُسمح لهم. هؤلاء كانوا يحسون غرباء في نظر اليهود.

ووى آخرون أنهم أمميون، ففي العصور المتأخرة سمح اليهود لبعض الأمم الأتقياء أن يأتوا إلى الهيكل في العيد، وكأنهم كانوا ينتبأون عن تحطيم الحجاب الفاصل بين الأمم واليهود في المسيح يسوع. هؤلاء كانوا يقدمون إلى الهيكل للعبادة دون أن يأكلوا من الفصح.

في ميلاده اجتذب المجوس من الشرق، حيث قدموا له هدايا وسجوا له، كما شهوا له بطريق أو آخر في القصر الملكي وبين الكهنة ورؤساء الكهنة. وعند صلبه اجتذب اليونانيين من الغرب ليتمتعوا برويته. وكأنه قد جاء السيد ليضم الشرق مع الغرب، ويصير الكل رعيةً واحدةً لراعٍ واحد. بميلاده وصلبه فتح طريق الإيمان للأمم كي يتمتع الكل به. صار من حق الرجل المكنوني أن يترأى لبولس الرسول في حلم ليصوخ: "أعبر وأعنا" (أع 9: 16).

لم يشترك هؤلاء اليونانيون في موكب دخول السيد المسيح أورشليم، ربما لأن الموكب كان قاصواً على اليهود، لكنهم عرفوا كيف يشتركون فيه روحياً، حين أعلنوا شوقهم الصادق لرويته. وكأنهم يصرخون بلغتهم مع اليهود "أوصنا (خلصنا) في الأعالي!"

مع شدة الإزدحام حول شخص يسوع المسيح لم ييأس هؤلاء اليونانيون من تحقيق شهوة قلوبهم، وهي رؤية يسوع.

❖ إذ اقتربوا من أن يصيروا دخلاء (أي يتهودوا) جاؤا إلى العيد. وإذ بلغهم تقرباً عنه قالوا: " نريد أن نرى يسوع" [21] [1270].

"فتقدم هؤلاء إلى فيلبس الذي من بيت صيدا الجليل،

وسأوه قائلين:

يا سيد نريد أن نرى يسوع". [21]

يظن البعض أن هؤلاء اليونانيين معرفة سابقة بفيلبس، وأنهم عاشوا بجوار بيت صيدا في جليل الأمم. وربما حضروا بعض اجتماعات السيد المسيح هناك ورؤوا فيلبس قريباً منه.

جاءت رسالتهم لفيلبس تحمل تقديراً خاصاً للسيد المسيح وشوقاً للقاء معه والحديث معه على انفراد. جاءوا إلى العيد ومع هذا لم تشغلهم عظمة بناء الهيكل ولا زحام أورشليم الشديد بالقادمين للعيد، ولا رؤية آيات وعجائب حتى بواسطة شخص المسيح، إنما يريدونه هو، يشتهون رؤيته والحديث معه.

للأسف حتى في الأعياد المسيحية خاصة الكوى كالميلاد والقيامة كثير من المسيحيين ينشغلون بالعيد دون أن يشتهوا رؤية السيد المسيح، واللقاء معه شخصياً.

وي البعض أنهم من فينيقية أو سوريا، ربما من سكان ديكابوليس Dicapolis بجوار بحوة جنيسلر وبيت صيدا.

❖ انظروا كيف يريد اليهود أن يقتلوه، والأمم أن يروه.

لكن وجد أيضاً من اليهود من صوخ: "مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل".

هنا يوجد من هم من أهل الختان ومن هم من أهل الغرلة، أشبه بحائطين في بيت لهما اتجاهان مختلفان، يلتقيان معاً بقبلة السلام في الإيمان الواحد بالمسيح.

لنستمع إذن لصوت حجر الزاوية: "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان" [23]. ربما يظن البعض أنه يتحدث عن نفسه أنه تمجد، لأن الأمم يريدون أن يروه. الأمر ليس هكذا، بل رأى الأمم من كل النواحل يأتيون إلى الإيمان بعد آلامه وقيامته. وكما يقول الرسول: "إن العمى قد حصل جزئياً لإسرائيل، إلى أن يدخل ملك الأمم" (رو 11: 28). فقد انتهز الفرصة عند مجيء اليونانيين الذين يريدون أن يروه ليعلن عن ملك الأمم المستقبل، ويعد عن اقتراب الساعة التي فيها يمجده ذاته والتي عند حدوثها في السماء تأتي الأمم إلى الإيمان [1271].

القديس أغسطينوس

"فأتى فيلبس، وقال لأنطرووس،

ثم قال أنترووس وفيلبس ليسوع". [22]

ما أروع أن يعمل الخدام معاً، فيتقدمون معاً إلى شخص السيد المسيح يقدمون النفوس المشتاقة إلى معرفته.

ربما تشلور فيلبس مع أنطرووس عما يفعلاه، لأنه كثيراً ما سمعه يقول أنه جاء لخوف إسرائيل الضالة. فاتفقا أن يقدموا الأمر للسيد المسيح.

❖ تقدم فيلبس إلى أنطرووس بكونه سابقاً له، وأخوه بالأمر. لكنه لم يتحرك بسطبان إذ سمع القول: "في طريق الأمم لا تمضوا" (مت 10: 5) لهذا تشلور مع التلميذ وتحدث معه، وقدموا الأمر للسيد [1272].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأما يسوع فأجابهما قائلاً:

قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان". [23]

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن السيد المسيح سبق فأمر تلاميذه: "في طريق الأمم لا تمضوا" (مت 10: 5)، لكن إذ حان وقت الصليب انفتح

الباب للأمم. لقد أتت الساعة للكورة الأمم.

قبل السيد طلبهما، وجاء قوله: "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان" [٢٣]، مشجعاً الأمم أن يتقدموا للتعريف عليه والإيمان به. لقد رأى السيد الحقل قد أُنِعَ للحصاد، وجاء وقت قبول الأمم في الإيمان. إنها ساعة مجد له، حيث تُفْتَحُ أبواب كنيسته أمام كل البشرية، وإن كان هذا قد جاء كرد فعل لرفض اليهود له وخروجهم من حظوة الإيمان. هذا يتحقق بموت السيد المسيح ودفنه وقيامته كحبة حنطة في الأرض لتأتي بثمرٍ كثيرٍ. كان التلاميذ والرسول هم بكور اليهود القادمين للإيمان به، وجاء هؤلاء اليونانيون كبكور للأمم الذين يدخلون الإيمان بعد أن شق الصليب الحجاب الحاجز بين السماء والأرض، وبين اليهود والأمم.

كان لا بد للسيد أن يتمجد بموته وقيامته حتى يؤسس كنيسته المجيدة من اليهود والأمم معاً. حبه أزمه بالموت، لكي يخلص العالم الذي دوه الفساد، يغسله من خطاياهم ويبرره ويقدهه ويمجده في السماء، هذه الحنطة الكثيرة، حصاد عمله الخلاصي. لقد أتت الساعة التي لن يبرك أعماقها وأصولها سوى الله نفسه؛ هذه الساعة هي ساعة المجد للآب كما للابن. لقد مضت حوالي ثلاث سنوات يقدم فيها السيد أعماله العجيبة وكلماته مع الجوع، الآن حان للنبوة أن تقع في الأرض وتدفن وتموت. جاء وقت المعصية، فقد سبق فوّه إشعيا النبي وسمعه يقول: "قد دُست المعصية وحدي، ومن الشعوب لم يكن أحد معي" (إش ٦٣ : ٣).

قد أتت الساعة ليبسط يديه على الصليب، ويتم المصالحة بين الآب وبنو البشر، كما يضم اليهود والأمم معاً أعضاء في جسده الواحد. ❖ أ تريد أن تقتنع أنه تألم بولادته؟ آخرون لا يعلمون ماذا يحدث لهم، لذلك ماتوا بغير رادتهم، أما هو فسبق وقال: "ابن الإنسان يُسَلَّم ويصلوه". ألا تعرف لماذا؟ "صديق الإنسان" هذا لم يمنح الموت؛ لكي لا يهلك العالم كله في خطاياهم. "ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يُسَلَّم ويصلب" وأيضاً: "تقدم صاعداً إلى أورشليم" (مت 18:20؛ لو 28:19).

أ تريد حقاً أن تعرف أن الصليب مجد يسوع؟ استمع إلى كلماته لا إلى كلماتي، فإذ كان يهوداً خائناً رب البيت على وشك القيام بالخيانة، وقد جلس على مائدته، وشوب كأس نعمته عوض الخلاص، تقدم ليسفك الدم الوبيء. "رجل سلامتي الذي وثقت به أكل خزي، ورفع على عقبه" (مز 9:41). لم يكن يده بعد قد تركت عطية نعمته، مدواً ثمناً لخيانته بموته... وإذ سمع "أنت قلت" (مت 5:26) خرج. عندئذ قال يسوع: "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان". لؤى يا عزوي كيف عرف أن الصليب هو المجد اللائق به.

إن كان إشعيا لم يخجل من نشوه إلى أجزاء، فاهل يخجل المسيح من موته عن العالم؟! "الآن يتمجد ابن الإنسان" (يو 3:13)، لا لأنه لم يكن ممجداً من قبل، بل كان ممجداً بالمجد الذي له من قبل كون العالم (يو 5:17). كان ممجداً على اللوام إذ هو الله، والآن يتمجد حاملاً صوه. إنه لم يسلم حياته رغماً عنه، ولا قبل الموت قسواً بل بموافقتة. اسمع ماذا يقول؟ "لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضاً" (يو 18:10). إنني أسلمها لأعدائي باختياري، وإلا ما كان يتم ذلك.

لقد جاء بغوض وضعه هو بنفسه أن يتألم، مسروراً بعمله النبيل، مبتسماً بتواجهه، معوّداً بخلّاص البشوي، دون خجلٍ من الصليب إذ هو لخلّاص هذا العالم. لم يكن إنساناً عادياً بل الله المتأنس [1273].

القديس كيرلس الأورشليمي

"الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت،

فهي تبقى وحدها،

ولكن إن ماتت تأتي بثمرٍ كثيرٍ". [24]

مهما بلغ العالم لا يستطيع أن يبرك سرّ حصاد ثمر كثير من حبة حنطة واحدة، ولا كيف يتحول الحصاد إلى لحم ودم وعظام في أجسام البشر

والحيوانات. هكذا يبقى سرّ موت المسيح وقيامته كأساس إقامة الكنيسة المجيدة فوق كل فكر بشوي.

لقد جاء اليونانيون ليروه، فلماذا قدم لهم مثل الحنطة؟ لقد أراد أن يؤكد لهم أنهم لا يقدرّون أن يروه كما هو ما لم يعبر هو إليهم بموته وقيامته، فيدخل إلى عالمهم ويحملهم فيه. هو الطريق الذي يسحب قلوبهم إليه، يعبر إليهم، فيتحدثوا به ويعبروا معه إلى حضن الأب كثر مزايد. يصيرون "من لحمه وعظامه" (أف ٥: ٣٠).

❖ إن قلت وما معني قول السيد المسيح: " إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير"؟ أجبتك: إنه يتكلم عن صليبه، كأن السيد المسيح يقول: إن من شأن هذا الحادث أن يتحقق في الحنطة، إنها إذا ماتت تأتي بثمر كثير، فإن كان هذا يحدث في البذور، فأليق وأوجب أن يكون فيّ، إلا أن تلاميذه لم يعرفوا الأقوال التي قالها.

❖ الحياة الحاضرة حلوة ومملوءة باللذة، لكن ليس بالنسبة للكل، بل للذين هم متمسكون بها. لذلك إذا ما تطلع أحد إلى السماء، ووى الأمور الجميلة هناك، للحال يحتقر هذه الحياة ولا يبالي بها. وذلك كما أن جمال أي شيء يكون موضوع إعجاب من لا وى ما هو أجمل منه، لكن إذ يظهر ما هو أفضل منه يُحتقر الأول. فإن اخوتنا أن نتطلع إلى ذلك الجمال ونلاحظ سمو المملكة هناك، فإننا في الحال نتحرر من القيود الحالية، فإن التعاطف مع الأمور الزمنية هو فوع من القيود...

[1274]

ماذا يقول: "إن لم تحتملوا موتي ببسالة، بل إن لم تموتوا، لا تقتتوا شيئاً".

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1275]

❖ صلت الحنطة في أرض يهوذا نائرة، لأن حبة القمح قد ماتت هناك، وفي بيت الأملة الوثنية فاض الزيت كجداول.

القديس جيروم

"من يحب نفسه يهلكها،

ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية". [25]

من يحب نفسه أكثر من حبه للسيد المسيح، أو من يحب حياته الزمنية على حساب مجده الأبدي يهلك نفسه. أما من يهلك نفسه كحبة الحنطة، فيشرك السيد المسيح آلامه وموته، ممجدًا مخلصه، ينعم بالحياة الأبدية. موت السيد المسيح غير مفاهيم الموت ومعاييره كما غير نظرتنا إلى الحياة، فأصبح الموت ضرورة لازمة للتمتع بالحياة المثورة الكاملة. حيث لا موت فلا حياة صادقة. وحين يدفن الإنسان الأنا، يعلن المسيح "الحياة" ذاته فيه. وحينما يطلب الإنسان "ذاته" لا يجد المسيح له مكانًا فيه، فيفقد الإنسان مصدر حياته.

من يموت عن حياته القديمة ويُصلب عن العالم، تتجلى حياته الجديدة التي في المسيح يسوع ليختبر عربون الحياة العتيدة.

❖ إن سألت: وكيف من يحب نفسه يهلكها؟! أجبتك: من يتمم شهواتها الشنيعة، من يسمح لها خلع الواجب، ذاك هو الذي يحبها فيهلكها، ولهذا السبب توصينا الحكمة فنقول: "لا تكن تابعًا لشهواتك، بل عاصيًا أهواءك. فإنك إن أبحت لنفسك الرضى بالشهوة جعلتك شماتة لاعداك" (يشوع بن سواخ 18: 30، 31)، لأن الشهوات تحجز النفس عن الطريق المؤدية إلى الفضيلة.

وقوله "ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية"؛ إن قلت: وما معني "ومن يبغض نفسه"؟ أجبتك: من لا يخضع لها، ولا يطعها متى أمرته بفعل الأفعال الضلّة.

لم يقل: "من لا يخضع لها"، لكنه قال: "ومن يبغض نفسه"، لأنه كما أننا لا نحتمل أن نسمع صوت الذين نبغضهم، ولا أن نبصر وجوههم، كذلك يجب علينا أن نزع عن أنفسنا بشدة إذا أمرتنا بمخالفة وصايا الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ إن كنت تحب، فلنكن مستعدًا أن نُفقد. إن أردت أن تقتتي الحياة في المسيح، لا تخف من الموت من أجل المسيح [\[1276\]](#).
- ❖ بالتأكيد إنه إعلان عميق وغريب عن قياس حب الإنسان لحياته الذي يقوده إلى تدمورها، وبغضه لها الذي يضمن حفظها! إن كنت تحب حياتك بطريقة خاطئة بالحقيقة أنت تبغضها، أما إن كنت تحبها بطريقة صالحة فإنك فيما أنت تبغضها بالحق تحبها. يا لسعادة الذين يبغضون حياتهم فيحفظونها، فلا يسبب حبهم دموعًا لها [\[1277\]](#).

القديس أغسطينوس

- ❖ "إن كان أحد يخدمني فليتبني،
وحيث أكون أنا هناك أيضًا يكون خادمي،
وإن كان أحد يخدمني يكرمه الآب". [\[26\]](#)
- بعد أن قدم السيد مفهومًا جديدًا للموت وللحياة من خلال صلبه وموته وقيامته، الآن يقدم لنا مفهومًا جديدًا للخدمة. فالخدمة ليست غوة مجردة للعمل لحساب الآخرين، إنما هي اتحاد مع الخادم الحقيقي الوحيد، يسوع المسيح، ورافقه وتبعيته في طريق جسيماني.
- ❖ إن أراد أحد أن يخدم السيد المسيح ويكرز به، يؤمه أولاً أن يتبعه، أي يتلمذ له ويتعلم منه ويطيعه ويسلك معه طريق الصلب والدفن، ليقيم معه حاملاً ثمرًا كثرة. ليتوك الخادم ملذات العالم، متطلعًا إلى السعادة الأبدية. ليتحد مع الأبدي، فينال مجداً أبدياً يهبه له الآب القنوس نفسه.
- ❖ بهذا المفهوم الجديد يجد الخادم مكافأته في الخدمة، حيث يجد نفسه في رفقة مسيحه، يشركه آلامه كما مجده. حقًا إن من يتمتع بالشركة مع السيد المسيح ويكرس حياته للشهادة له ينال كرامة في عيني الله أكثر مما يظن في نفسه أو في عيني الناس. "والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين روا كثورين إلى البرّ كالكواكب إلى أبد الدهور" (دا ١٢: ٣). وكما يقول السيد المسيح نفسه: "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا" (يو ١٧: ٢٤). في طريق الخدمة يجد الخادم فرصته الفريدة للحديث مع الخادم الحقيقي، يسوع المسيح. في الطريق يعلن المسيح عن نفسه وعن أبيه، فيتمتع الخادم بالمعرفة الإلهية.

- ❖ من يحفظ كرم الله ويعمل فيه يكرمه الله نفسه، "حافظ سيده يكرمه" (أم ٢٧: ١٨).
- ❖ هكذا حوّل السيد المسيح أنظار اليونانيين القادمين لروثيته إلى العمل لحساب ملكوته، إذ كشف لهم عن المجد المُعد للذين يخدمون في كرمه. يحول السيد الاشتياقات الجميلة لروثيته إلى عملٍ جادٍ حتى يوره في مجده الأبدي وهم ممتعون معه بالشركة في المجد.
- ❖ إنه يتحدث بخصوص الموت ومتطلبات من يتبعه وذلك بالأعمال، فيحتاج من يخدم أن يتبع على اللوام من يُخدم... "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل وصليبه ويتبعني" (مت 16: 24) أي يقول: "أن يكون دومًا مستعدًا للمخاطر والموت والرحيل من هذا الموضع". بعد أن أخبر عن المتاعب قدم المكافأة. من أي وع؟ "التبعية له، والوجود أينما وجد هو، مظهرًا أن القيامة تتبع الموت" [\[1278\]](#).
- ❖ ولكن أين المسيح؟ في السموات. لذلك ليتنا حتى قبل القيامة ننقل نفوسنا وعقولنا إلى هناك. لماذا يقول ذاك الذي يخدم المسيح "يكرم الآب"، ولم يقل: "أنا أكرمه"؟ وذلك لأنهم لم يكونوا بعد قد صار لهم التفكير السليم بخصوصه، لكن كان لهم فكر عظيم من جهة الآب [\[1279\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ [\[1280\]](#) أية كرامة يمكن أن تكون أعظم من أن يكون الابن المتبني مع الابن الوحيد؛ حقًا ليس بأن يرتفع إلى الألوهة بل شريكًا في الأبدية؟!
- ❖ لقد أراد منا أن نفهم كمن يقول: من لا يتبعني لا يخدمني. لذلك فإن خدام يسوع المسيح هم الذين لا يطلون ما لأنفسهم، بل ما هو ليسوع المسيح (في ٢: ٢١). لأن "فليتبعني" معناها: ليسلك في طريقي، وليس في طريقه هو. وكما هو مكتوب في موضع آخر: "من قال إنه ثابت فيه ينبغي أنه كما [\[1281\]](#) سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضًا" (١ يو ٢: ٩).
- ❖ كل واحدٍ هو خادم للمسيح بنفس الطريقة كما أن المسيح هو خادم. ومن يخدم المسيح بهذه الطريقة سيكرمه الآب بالكرامة الرائعة أن يكون مع ابنه،

فلا يُعزّه شيء لسعادته إلى الأبد [1282].

❖ حينما تسمعون أيها الاخوة: "حيث أكون أنا هناك يكون خادمي"، لا تظنوا فقط في الأساقفة والكهنة الصالحين. بل لتخدموا أنتم أيضًا بطريقتكم [1283] المسيح، بحياتكم الصالحة، وتقديم العطاء، والكرامة باسمه وتعاليمه قدر المستطاع...

القديس أغسطينوس

4. تمجيد السماء ليسوع

"الآن نفسي قد اضطربت،

وماذا أقول؟ أيها الآب نجني من هذه الساعة،

ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة". [27]

إذ تحدث عن ضرورة آلامه وموته، كابن الإنسان رفع قلبه للآب وهو يقول: "الآن نفسي قد اضطربت" [27]. حقًا إنها كلمات غريبة ينطق بها يسوع المسيح، خاصة وأن التلاميذ رأوا أناسًا من الأمم يطلبون أن يروه، وسمعه يقول: "لقد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان". لكنه إذ صار إنسانًا حقيقيًا كان لابد لنفسه أن تضطرب أمام سحابة الآلام التي تحيط به. ولعله رأى خلال هذه السحابة خطايا البشرية كلها قد ظهرت أمامه لكي يحملها على كتفيه، مقدمًا نفسه ذبيحة عن خطايانا.

بينما يقول لتلاميذه: "لا تضطرب قلوبكم" (يو ١٤: ١). يقول: "الآن نفسي قد اضطربت" [27]. اضطراب نفسه يزع اضطراب نفوسنا؛ آلامه هي سرّ راحتنا الأبدية. لقد انطلق السيد المسيح برأده وموته ليحمل خطايانا، وكان واثمًا وسط مسوته أن تضطرب نفسه بسبب هول خطايانا. لقد حمل ضعفاتنا فيه ليهبنا روح القوة.

اضطراب نفسه هو حزن مقدس يولد فوحًا في قلوب البشرية المؤمنة، ومسوّة للآب من أجل مصالحته مع البشرية، وتهليلًا للسمايين. اضطربت نفسه وهو يدخل طريق الصليب الضيق حتى نشركه آلامه وندخل معه إلى أمجاده السماوية. آلامه هي مجرد ساعة قد حلت وستعبر، لتحتل الأبدية التي لا يحدها زمن ما. وى البعض أن الفعل هنا في اليونانية يحمل معنى الاضطراب أكثر منه الخوف [1284].

جاء حديثه مع الآب يكشف عن مسوته بالصليب، إذ يقول: "لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة" [27]، ولكي يحملنا إلى حياة التسليم والتواضع يصوح: "أيها الآب نجني من هذه الساعة" [27].

❖ هذه ليست أقوال لاهوته لكنها أقوال طبيعته الإنسانية التي لا تشاء أن تموت، وتتمسك بهذه الحياة الحاضرة، موضحًا بذلك أنه لم يكن خولج الآلام الإنسانية، لأنه كما أن الروع ليس زللًا ولا النوم، وكذلك ولا الارتياح إلى الحياة الحاضرة زلل، وللسيد المسيح جسد نقي من الخطايا، وليس جسد متخلص من الضرورات الطبيعية، لذا اقتضت الحكمة أن يكون له جسد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد أخذ ضعف الإنسان لكي يعلمه عندما يكون في حزنٍ أو اضطرابٍ، فيقول: "يا أبتاه ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (مت ٢٦: ٣٩). فإنه هكذا يتحول الإنسان مما هو بشوي إلى ما هو إلهي حينما يفضل رادة الله عن رادته هو [1285].

القديس أغسطينوس

"أيها الآب مجد اسمك.

فجاء صوت من السماء:

مجدت وأمجد أيضًا". [28]

إذ يخضع الابن المتجسد لإرادة الآب ويقدم نفسه ذبيحة، فإن الإعلان عن قبولها بالقيامة هو مجد لاسم الآب أيضًا. هنا يربط السيد المسيح بين الموت والمجد (القيامة)، فإن كانت نفسه قد اضطربت فهو لا يطلب إعفاءه من الموت، بل عبوره إلى القيامة التي تحمل مجداً متبادلاً، مجد الابن ومجد الآب.

يقصد باسم الله هنا الله نفسه وأيضاً سماته، إذ يتمجد الآب نفسه، كما تتمجد حكمته ومراحمه وحبه وقداسته ووه الخ.، هذا كله يتحقق بعمل السيد المسيح الخلاصي.

جاء صوت الآب معلناً: "مجدت، وأمجد أيضاً" [٢٨]. كأنه يقول: "لقد حققت خطتي بك. أرسلتك كقوة عن خطايا العالم، وتممت عدلي الذي لن يفرق حبي ومراحمي. أتممت عملي. هكذا أنت تقدم دمك على الصليب، وأنا أقبله ذبيحة حب. موتك وقيامتك يمجداني ويتمان رسالتي نحو محبوبي، الإنسان. لقد مجدتك وسأمجدك في لحظات موتك وقيامتك".

لقد تمجد السيد المسيح بتعاليمه وأعمال محبته من عجائب وآيات، كما تمجد في التجربة في البرية حيث جاءت الملائكة تخدمه، وتمجد في عماده حيث سُمع صوت الآب الذي يشهد له (مر ٩: ٧) والروح القدس الذي ظهر على شكل حمامة، وتمجد في تجليه حيث تكلم معه موسى وإيليا عن الخروج الزمزم أن يكمله في أورشليم (لو ٩: ٣١). كما يتمجد بالأحداث المذهلة التي تتم أثناء القبض عليه ومحاكمته وصلبه، ويتمجد بقيامته، وبصعوده إلى السماء وبإرسال الروح القدس على تلاميذه، ونجاح الكرازة بهم، وانتشار إنجيله في العالم كله.

❖ قول السيد المسيح أيها الآب مجد اسمك! أبان بذلك أنه من أجل الحق يموت إذ سمى فعله مجداً لله.

وقول الآب: "مجدت، وأمجد أيضاً"؛ فإن سألت وأين مجده؟ أجبتك: قد مجده في الأمان الكائنة قبل هذه، وسيمجده بعد الصليب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ مع أنهم لم يستطيعوا أن يقبلوا نعمة الحق، إلا أنهم اعترفوا لرادياً، وفي جهلهم نطقوا بأسوار، فحدثت شهادة عظيمة من الآب للابن. وقد جاء LXX في سفر أيوب أيضاً: "ومن يعرف عندما يضع قوة عده؟" (أي 14:26) [1286].

القديس أمبروسيوس

❖ "وأمجد أيضاً" [٢٨]، عندما يقوم من الأموات، عندما لا يكون للموت أي سلطان بعد عليه، وعندما يرتفع فوق السموات بكونه الله، ويكون مجده فوق كل الأرض [1287].

القديس أغسطينوس

" فالجمع الذي كان واقفاً وسمع قال:

قد حدث رعد.

وآخرون قالوا:

قد كلمه ملاك." [29]

وى البعض أن الصوت كان باللغة التي يفهمها اليهود والتي لم يفهمها اليونانيون، لذلك قال الأولون إن ملاكاً كلمه، بينما ظن الآخرون أن رعداً قد حدث. فقد شُبه صوت أحد المخلوقات الحية بالرعد (رؤ ٦: ١).

❖ لأن سألت: ومن أين حلّ بهم هذا الظن؟ أجبتك: لعل الصوت لم يكن واضح الدلالة، لكنه مرّ عليهم بسوعة، إذ كان بعضهم جسديانيين متوانين، والبعض الآخر منهم عرف أن الصوت كان واضحاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" أجاب يسوع وقال:

ليس من أجلي صار هذا الصوت،

بل من أجلكم". [30]

لم يكن السيد المسيح محتاجاً إلى صوتٍ من السماء ليشجعه، إنما جاء هذا الصوت من أجل الحاضرين لكي يؤمنوا أن الآب أرسله، لكي لا يتعثر فيه التلاميذ أثناء آلامه، بل يجنوا فيها راحتهم، كما يجد هو فيها مسوته.

لعل هذا الصوت كان من أجل اليونانيين الذين رأوا أن يروه. فإنهم لم يشاهدوا آياته وعجائبه، وإنما سمعوا عنها، لذلك جاء الصوت من السماء يشهد له أمامهم.

ما هي وصية الآب للابن؟ تقديم الحياة الأبدية للبشرية، الأمر الذي لا يمكن لخليفة ما في السماء أو على الأرض أن تقدمه.

❖ كأنه يقول: لم يصر هذا الصوت لأعرف أنا منه شيئاً كنت جاهلاً به، لأنني أعرف خفيات أبي كلها، لكنه صار لأجلكم. وقد اقتادهم السيد المسيح إلى أن يسألوه ما هو الذي قيل، إلا أنهم كانوا مندهشين ولم يخبروه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1288]

❖ كما أن ذلك الصوت الذي نطق به الله لم يكن من أجله بل من أجل الآخرين، اضطربت نفسه ليس من أجله بل بإرادته من أجل الآخرين .

القديس أغسطينوس

"الآن دينونة هذا العالم،

الآن يُ طرح رئيس هذا العالم خراجاً". [31]

إنه صوت الآب الذي يعرفه الابن ويبرك أعماقه، فقد جاء الصوت ليعلن دينونة هذا العالم الشرير، وهزيمة الشيطان رئيس هذا العالم، وطرده خراجاً بلا سلطان. يفقد إبليس دائرة نفوذه حيث يعلن المؤمنون غلبتهم في حلبة المصلعة، ويخرج إبليس في ضعف شديد وهزيمة منكورة، بعد كسب هولاء كثرة سابقة. هكذا يخسر إبليس جولته مع السيد المسيح، وتستمر هذه الهزيمة في صواحه مع المؤمنين، أعضاء جسد المسيح الغالب.

في يقين الإيمان يوجه الإنجيلي يوحنا حديثه للأحداث قائلاً: "كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم، وقد غلبتم الشرير" (يو ٢: ١٤). كما كتب: "لأنه كل من وُلد من الله يغلب العالم، وهذه الغلبة التي تغلب العالم، إيماننا" (١ يو ٥: ٤). كما يتوهم المتمتعون بعمل الله الخلاصي قائلين: "الآن صار خلاص إلها وقوته وملكه وسلطان مسيحه. لأنه قد طُوح المشتكي على اخوتنا، الذي كان يشتكي عليهم أمام إلها نهلاً وليلاً. وهم غلوه بدم الخروف، وبكلمة شهادتهم، ولم يحيا حياتهم حتى الموت" (رؤ ١٢: ١٠-١١).

مأ يخطئه البشر من قتل للسيد المسيح، وما يملسه إبليس من محاولة الخلاص من السيد، هذا كله يؤول إلى هزيمة الشر وتحطيم سلطان إبليس بالصليب، إذ لا يستطيع رئيس هذا العالم الشرير أن يقف أمام رئيس الحياة. وكما يقول الرسول: "أنتم أنكرتم القديس البار، وطلبتكم أن يُ هب لكم رجل قاتل، ورئيس الحياة قتلتموه، الذي أقامه الله من الأموات، ونحن شهود لذلك" (أع ٣: ١٤، ١٥). كما يقول الرسول بولس عن السيد المسيح: "لكي يبيد بالموت ذلك الذي له سلطان الموت، أي إبليس" (عب ٢: ١٤).

يتحدث السيد المسيح بيقين النعوة حيث بموته يرد نفوس كثرة إلى المعوفة ويحررهم من قيود إبليس.

لم تذكر كلمة "دينونة" بأداة تعريف، فهو لا يشير هنا إلى الدينونة النهائية، بل هي دينونة تبدأ بعمل المسيح الخلاصي، وذلك كقول سليمان الشيخ بروح النبوة: "ها إنه قد وُضع لسقوط كثيرين في إسوائيل، ولعلامة تُقول" (لو ٢: ٣٤).

❖ إن سألت ما هو معنى هذا المجد؟ أجبتك: هو قول السيد المسيح: "الآن يُ طرح رئيس هذا العالم خراجاً".

❖ ما هي "دينونة العالم"؟ إنها كما يقول: "ستكون محاكمة ونقمة". كيف وبأية وسيلة؟ ذبح إبليس الإنسان الأول، إذ جعله مجرمًا بالخطية، أما في فلا يوجد ذلك. فلماذا أسلمني الموت؟ لماذا وضع في نفس يهوذا أن يحطمني؟... كيف إذن يُدان العالم في؟ سيقال كما في محكمة العدالة المقامة

للشيطان: "حسنًا، لقد قتلت كل البشر، إذ وجدتكم جميعًا مسئولين عن الخطية، ولكن لماذا قتلت المسيح؟ أليس من أجل أنك قد أخطأت في ذلك؟ لذلك فيه يَنْتَقِم للعالم كله [\[1289\]](#) .

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ لمثل تلك الدينونات ينطق الرب هنا: "الآن دينونة هذا العالم"، بينما تبقى الدينونة النهائية محفوظة، عندما يُدان الأحياء والأموات. لذلك فإن الشيطان قد اقتنى الجنس البشري، وأمسك به بالصك المكتوب بخطاياهم كمجرمين مذعنين للعقوبة. إنه يملك على قلوب غير المؤمنين، يخدعهم ويستعبدهم، يغويهم كي يتكروا الخالق ويعبوا المخلوق. ولكن بالإيمان بالمسيح الذي تثبت بموته وقيامته، وبدمه الذي سفكه لغوان الخطايا ألوف من المؤمنين قد خلصوا من سلطان الشيطان، واتحوا في جسد المسيح، وقد صلوا تحت قيادة الرأس. هذا ما عناه عندما دعاه "دينونة"، هذا الفصل الصادق، هذا التحويل للذين له، الذين خلصوا من الشيطان [\[1290\]](#) .
- ❖ الآن يخونا الرب مقدمًا ما يعرفه أنه بعد آلامه وتمجيده سيصير كثير من الأمم في العالم كله الذين يسكن الشيطان في قلوبهم مؤمنين، ويطرد منها الشيطان الذي يجحونه بالإيمان [\[1291\]](#) .

القديس أغسطينوس

"وأنا إن ارتفعت عن الأرض أُجذب إليّ الجميع". [\[32\]](#)

يُطرح إبليس خرجًا، إلى الجحيم حيث يفقد مملكته التي أقامها بين البشر على الأرض، بينما يرتفع السيد المسيح عن الأرض. بالصليب ينحدر العدو، وبه يرتفع السيد ليرفع معه مؤمنيه إلى السماء.

سبق وقرأنا أن الإنجيلي يوحنا يتطلع إلى الصليب كرفع (٣: ١٤؛ ٨: ٢٨)، بكونه مجدًا له.

هنا ينسب إلى نفسه العمل "جذب النفس إليه"، وفي موضع آخر ينسبه إلى الآب (يو ٦: ٤٤). إنه يجتذب النفس ليس إوامًا ولا بالعنف، وإنما بالحب الجذاب. وكما يقول في هوشع: "كنت أُجذبهم بحبال البشر، وربط المحبة، وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم، ومددت إليه مطعمًا إياه" (هو ١١: ٤).

النفس التي كانت بعيدة عنه لا تحتمل اللقاء معه بسبب ظلمتها الآن تتمتع بنوره وتتجذب إليه. إنه سيصعد إلى السماء ويسحب معه قلوب محبيه لتتمتع بالسماويات.

بقوله "الجميع" ليؤكد فاعلية الصليب في جذب السمائيين والأرضيين ليصيروا واحدًا. يُصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطة سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات (كو ١: ٢٠) ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السموات وما على الأرض، في ذلك " (أف ١: ١٠). كما يؤكد جاذبيته لكل البشرية سواء كانوا من اليهود أو الأمم، لكنه لن يجتذب أحد قهراً بغير رادته.

- ❖ معني ذلك أنه يجتذب حتى الذين يؤمنون من الأمم... يقول: "أجذبهم"، كمن هم محتجزين بواسطة طاغية، وغير قادرين بأنفسهم أن يفتروا إلى (السيد المسيح)، ويهروا من يدي الطاغية الذي يمسك بهم، في موضع آخر يدعوهم مسبيين، "كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي، وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً؟" (مت ١٢: ٢٩). قال هذا ليؤكد السيد قوته، ومن يدعوهم مسبيين يدعوهم هنا منجذبين إليه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ إن كان المسيح صار لعنة من أجلنا لكي يخلصنا من لعنة الناموس، فهل تتعجب أنه من أجلنا يخضع للآب ليجعلنا نحن أيضاً خاضعين له، كما جاء في الإنجيل: "لا يأتي أحد إلى الآب إلا بي" (يو 6: 14)، "وأنا إن ارتفعت أُجذب إليّ الجميع". فالمسيح إذن يخضع للآب في المؤمنين، إذ كل المؤمنين بل كل الجنس البشري يُحسب أعضاء جسمه. لكنه في غير المؤمنين، يُقال أنه لم يخضع، لأن هذه الأعضاء لجسده لا تخضع للإيمان [\[1292\]](#) .

القديس جيروم

"قال هذا مشوا إلى أية ميتة كان مؤمعا أن يموت". [33]

رتفع بالصليب فصار منظراً للعالم معلقاً بين السماء والأرض، كمن هو مستحق لهذه أو تلك.

لقد سمعت الجماهير عذاته وشاهدت آلاف من العجائب، لكن قلة التصقت به وثبتت في التلمذة له. أما وقد صُلب فجذب العالم إليه، وآمن

كثيرون به، وثبوا في محبته.

"فأجابه الجمع:

نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد،

فكيف تقول أنت أنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان؟

من هو هذا ابن الإنسان؟" [34]

كان الشعب يتوقع خلاف ما أعلنه، فمع سماعهم الصوت الذي من السماء وكلمات النعمة الخرجة من فمه لم يصدقوا أنه يرتفع أي يموت مع

أن العهد القديم قد تنبأ عن موته، فهو كاهن إلى الأبد (مز ١١٠: ٤)، وملك أبدي (مز ٨٩: ٢٩). جاء عنه في سفر دانيال: "فأعطى سلطاناً ومجداً

وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والالسنة؛ سلطانه سلطان أبدي ما لا يزول وملكوته ما لا ينقض" (دا ٧: ١٣، ١٤). وفي سفر حزقيال: "عبدني

داود رئيس عليهم إلى الأبد" (حز ٣٧: ٢٥). تذكروا النيات الخاصة بخلوده، ولم يتذكروا النيات الخاصة بموته وأنه يسكب نفسه للموت (إش ٥٣:

١٢)، وأن يدي هورجليه تنقب.

"من هو هذا الإنسان؟" [34] لم يسألوه لكي يتعرفوا على شخصه، وإنما لأنهم كانوا يظنون أنه المسيا الكاهن والملك إلى الأبد، وفوجئوا بأنه

يجب أن يموت. لقد تشكروا في أمره بسبب إعلانه عن ضرورة موته.

❖ لقد عرفوا أن المسيح خالد وفيه حياة لا تنتهي. ألم يعرفوا ما قيل في مواضع كثيرة من الكتاب عن آلامه وقيامته في ذات الموضوع؟

هكذا وضع إشعيا النبي الأمرين معاً، إذ قال: "ظلم، أما هو فتذل، ولم يفتح فاه، كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جليها فلم يفتح فاه"

(إش ٥٣: ٧). وداود أيضاً في المزمور الثاني ومواضع أخرى كثيرة ربط بين الأمرين. وأب الآباء (يعقوب) أيضاً بعد قوله: "ربض كأسد وكليوة من

ينهضه؟" (تك ٤٩: ٩) (أظهر الآلام والقيامة في نفس الوقت. إلا أن هؤلاء إذ ظنوا أنهم يسكتوه ويبيئوا أنه ليس المسيح مستخدمين نفس هذه الظروف

وهي أن المسيح يبقى إلى الأبد.

لاحظوا كيف عاجوا الأمر بمكر، لأنهم لم يقولوا: "سمعنا أن المسيح لا يتألم ولا يُصَلب" بل قالوا: "يبقى إلى الأبد". ومع هذا فإن ما قالوه لا

يمثل اعتراضاً حقيقياً، فإن الآلام ليست عائقاً لخلوده. لهذا فإننا زى أنهم فهموا أمراً كثيرة مشكوك فيها، وقد سلخوا فيها خطأ عن عمد. فقد سبق

فحدثهم عن الموت. عندئذ قالوا: "من هو ابن الإنسان؟" قالوا هذا بخبث. كأنهم يقولون: "تسألك ألا تظن أننا نقول هذا عنك، ولا تجزم أننا نعلضك في

عدوة ضدك. وإنما نحن لسنا نعرف عن نتكلم، ومع هذا فنحن نقول رأينا" [1293].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقال لهم يسوع:

النور معكم زماناً قليلاً بعد،

فسيروا مادام لكم النور،

لئلا يترككم الظلام،

والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب". [35]

❖ قول السيد المسيح: "النور معكم زماناً قليلاً بعد" يوضح أن موته مؤقت، لأن نور الشمس لا يبطل، لكنه يتولى قليلاً ثم يظهر. وقوله لليهود:

" فسيروا مادام لكم النور، لنلا يدرككم الظلام" قال هذا ليحثهم على الإيمان به.

وقوله: "والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب"، فكم من أعمال عملها اليهود الآن ولم يعرفوا ما عملوه، لكنهم كانوا كسالكين في الظلام، لأنهم ظنوا أنهم سائرون في الطريق القويمة، وهم يسلكون في الطريق المضادة، يحفظون سبوتاً ويصونون الشريعة، ويحتسون من الأطعمة، ولا يعرفون أين يمضون [1294].

❖ "آمنوا بالنور، مادام لكم نور"، ولكن عن أي وقت يتحدث هنا؟ هل عن كل الحياة الحاضرة، أم عن الوقت ما قبل الصليب؟ أظن أنه عن كليهما. فإنه من أجل محبته للبشر التي لا توصف كثيرون آمنوا حتى بعد الصليب. ينطق بهذه الأمور ليحث على الإيمان [1295].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لتصيروا أبناء النور.

تكلم يسوع بهذا،

ثم مضى واختفى عنهم". [36]

إذ هو منشغل بخلصهم طلب منهم أن يهتموا بأعماقهم فيسلكوا في النور ما دام لهم النور حتى لا يصيروا أبناء الظلمة. لم يدخل معهم في حورات جافة، بل وجههم إلى ما هو لخلصهم وبنينهم. طلب منهم أن يتمتعوا بنوره مادام قد تجسد وحلّ بينهم، حتى يحملهم إلى النور السموي الأبدي. حياتنا هي فوص قليلة، ربما لا تتكرر، لذا لاق بنا أن ننتفع بكل فوصة لأجل شركتنا مع الله. إنجيلنا هو سواج للنفس ينوها. من لا يقبل نوره يسقط في الظلمة، وأما من يتمتع به فيصير ابناً للنور (لو ١٦: ٨؛ أف ٥: ٨)، وابتناً للنهار (١ تس ٥: ٥).

إنه يحنّهم بأنهم سيشتون أن يروا يوماً من أيام ابن الإنسان ولا يروا (لو ١٧: ٢٢)؛ وأن ملكوت الله يُزوع منهم ويُعطى للأمم (مت ٢١:

٤٣).

❖ "لتصيروا أبناء النور" بمعنى تصيروا "أبنائي". مع أن الإنجيلي في البدء يقول: "الذين ولّوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، بل من الله" (يو ١: ١٣)، أي ولّوا من الأب. بينما يُقال هنا أنه هو ولداهم، وذلك لكي تركوا أن عمل الأب والابن هو واحد [1296].

❖ يقول يوحنا الرسول عن السيد المسيح: "ثم مضى واختفى عنهم"؛ فإن سألت: وما غرض السيد المسيح من أن يختفي؟ لأنهم لم يحملوا حجرة ليقتلوه، ولا جدفوا عليه مثلما فعلوا فيما سبق، فلمَ اختفي؟! أجبك: إذ يعرف السيد ما في قلوبهم من تدمرٍ مملوء بالغضب، لم ينتظر حتى يخرج هذا الغضب إلى حيز التنفيذ، لكنه اختفي ليهدي من شوهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أخوًا إذ قدم لهم نصيحة أبوية أن ينتهزوا فوصة وجوده لكي يشرق بنوره عليهم فيبدد ظلمتهم، موصحاً أن الوقت مقصر، والزمان الذي بقي قليلاً ليتوكلهم، في الحال مضى واختفى عنهم، حتى لا يدخلوا في جدالٍ، بل يفكروا في جدية من جهة موقفهم منه.

5. شهادة الأنبياء لمجده

"ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به". [37]

يقدم لنا يوحنا الإنجيلي شهادة إشعياء النبي لمجد السيد المسيح ورفض اليهود له، لأنهم "أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله" [٤٣]. من جهة كثرة معجزاته فيقول "هذا عددها" [٣٧]، مع ذلك لم تحثهم على الإيمان به، بل على حسده ومقاومته. لم يسمعو عنها فقط، وإنما صنعها "أمامهم"، لأنه لم يصنعها خفية بل علانية بشهود كثيرين. مع هذا لم يؤمنوا به، إذ أصيبت قلوبهم بالعمى بشهواتهم التي قست قلوبهم وأفسدتها. "ليتم قول إشعياء النبي الذي قاله:

يارب من صدق خيرنا،

ولمن أستعلنت فراع الرب". [38]

تحققت نوبة إشعياء بأنهم لن يصدقوا الشهادات النبوية والإعلانات الإلهية، ولم يقبلوا فراع الرب الذي هو قوته وسلطانه وعجائبه.

"خيرنا" هنا تشير إلى الإنجيل الذي تنبأ عنه إشعياء وغوه من الأنبياء.

[1297]

❖ كما أنك بزواك تعمل، هكذا كلمة الله يمثل فراعه .

القديس أغسطينوس

" لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا،

لأن إشعياء قال أيضاً". [39]

يكشف القديس يوحنا الإنجيلي عن حال اليهود الذين اتسموا بالعناد والمقاومة لله ولأنبيائه، منذ نشأتهم في مصر، وعند خروجهم حيث قاوموا

موسى وهرون، وفي البرية، فلم ينج منهم نبي. وكما قال إيليا النبي: "قد تركوا عهدك، ونقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي، وهم

يطلبون نفسي ليأخونها" (١ مل ١٩ : ١٠). ويقول الشهيد استفانوس: "يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائما تقاومون الروح القدس.

كما كان آباؤكم كذلك أنتم. أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم؟ وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيئ البار، الذي أنتم الآن صوتم مسلميه وقاتليه، الذين أخذتم

الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه" (أع ٧ : ٥١-٥٣).

سلسلة لا تنقطع من مقاومة عمل الله واضطهاد مستمر للأنبياء، أعمت أعينهم الداخلية عن الرؤيا، وقست قلوبهم، فصلوا عاجزين عن التمتع

بالإيمان!

❖ مرة أخرى لاحظوا هنا أن "لأن" و "قال" لا تشوان إلى علة عدم إيمانهم، إنما تشوان إلى الحدث ذاته. فإنه ليس لأن إشعياء قال هم لم يؤمنوا، وإنما

إذ لم يريدوا أن يؤمنوا هو قال: فلماذا لم يعبر الإنجيلي هكذا بدلاً من جعل عدم الإيمان صادر عن النوبة وليست النوبة صمرت عن عدم الإيمان؟ لقد

وضع هذا الأمر بطريقة إيجابية قائلاً: " لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا، لأن إشعياء قال" [٣٩]. إنه وغب في تثبيت عدم خطأ الحق الكتابي بطوق كثرة،

[1298]

وأن ما سبق فقاله إشعياء لم يسقط بل حدث ما قاله .

❖ "لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا"، وضعت عوض "لم يكونوا يريدون أن يؤمنوا". لا تتعجب... إنه لم يقل أن صنع الفضيلة مستحيل بالنسبة لهم، بل لأنهم

[1299]

لم يريدوا، على هذا الأساس لا يستطيعون .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا يتجاسر أحد في دفاعه عن حرية الإرادة بطريقة بها يحاول أن يحرمنا من الصلاة القائلة: "لا تدخلنا في تجربة". ومن الجانب الآخر لا ينكر أحد

الإرادة ويتجاسر فيجد عنواً للخطية. لنانقت إلى الرب في تقديمه الوصية، وفي تقديمه عون، ففي كليهما يخبرنا عن التواضع بالواجب، وعن مساندتنا

في تنفي ذه. فإن البعض يرتفعون إلى الكبرياء خلال ثقته المبالغ فيها في رادتهم الذاتية، بينما يسقط آخرون في عدم المبالاة خلال المبالغة في

عدم الثقة.

يقول الأولون: "لماذا نسأل الله ولا نسعى نحن للغلبة على التجربة ما دام كل شيء في مقنورنا؟"

يقول الآخريين: "لماذا نجاهد لنحيا صالحين مادامت القوة على فعل هذا هي في يد الله؟"...

من جانب يؤمننا أن نشكوه من أجل القوة التي يمنحنا إياها، ومن الجانب الآخر يؤمننا أن نصلي لكي لا تفشل قوتنا الصغوة تماماً. إنه ذات

الإيمان عينه العامل بالمحبة (غلا ٥ : ٦)، حسب القياس الذي يهبه الرب لكل إنسان، حتى أن من يفتخر لا يفتخر بذاته بل في الرب (١ كو ١ :

[1300]

٣١).

❖ إذن لا عجب أنهم لم يقدروا أن يؤمنوا، حيث كان كبرياء رادتهم هكذا، إذ جهلوا برّ الله ورأوا برّ أنفسهم، كما يقول عنهم الرسول: "لم يخضعوا لبرّ الله" (رو ١٠: ٣). إذ انتفخوا لا كما بالإيمان بل بالأعمال، وتعثروا أمام حجر العثرة. هكذا قيل "لم يقدروا"، فنفهم من ذلك أنهم لم يربوا، وذلك بنفس الطريقة كما قيل عن الرب إلهنا: "إن كنا غير مؤمنين فهو يبقى أميناً، لن يقدر أن ينكر نفسه" (٢ تي ٢: ١٣). قيل عن الكلي القورة "لن يقدر" [\[1301\]](#)...

❖ هؤلاء اليهود "لم يقدروا أن يؤمنوا"، ليس أن هؤلاء الناس لا يقدروا أن يتغيروا إلى الأفضل، وإنما مادامت آراءهم تسلك في هذا الاتجاه لا يقدروا أن يؤمنوا، لهذا فهم عميان وغلظ القلوب، لأن إنكلهم الحاجة إلى عون إلهي لم يجنوا عوناً [\[1302\]](#).

القديس أغسطينوس

"قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم،

لئلا يبصروا بعيونهم،

ويشعروا بقلوبهم،

ويرجعوا فأشفيهم". [40]

لم يقدروا أن يؤمنوا، لأنهم لم يربوا، ولا طلبوا عون الله ونعمته لمساندتهم. لهذا لم تفتح نعمة الله أعينهم لمعاينة الحق والتمتع بالخلاص؛ هذا ما يعنيه بقوله: "أعمى عيونهم". مقاموتهم طمست عيون قلوبهم، فلم ينالوا الشفاء من طبيب النفوس والأجساد، فصلوا كمن أعمى الله عيونهم. الإصوار المستمر وعدم الرغبة في التمتع برؤية الحق جعلتهم عاجزين عن الإيمان الحي. هذا النص ورد في إشعياء ٦: ٩، ربما يشير إلى الحكم الذي يحل عليهم كأمة.

❖ كما أن الشمس تبهر العيون الضعيفة ليس بسبب طبيعتها اللاتقة بها، هكذا أيضاً بالنسبة للذين لا يباليون بكلمة الله. هكذا قيل في حالة فوعون أن (الله) قسى قلبه. هكذا يكون حال من هم مصرون تماماً على مقاومة كلمات الله.

هذا هو أسلوب الكتاب، كما قيل: "أسلمهم إلى فكر مرفوض" (رو ١: ٢٨) ... فإن الكاتب هنا لا يقدم الله بكونه هو نفسه يفعل هذه الأمور إنما يظهر أنها تحدث خلال شر الآخرين. فلكي وعب السامع لذلك يقول الكاتب: "قسى الله"، "أسلمهم".

ولكي يُظهر أنه لا يسلمنا ولا يتركنا إلا إذا أردنا نحن ذلك اسمع ما يقوله: "أليست شروركم قد فصلت بيني وبينكم؟" (إش ٥٩: ٢ LXX). ويقول هوشع: "أنتم نسيتم ناموس إلهكم، وأنا أيضاً أنساكم" (هو ٤: ٦ LXX). وهو نفسه يقول: "كم مرة أرد أن أجمع أبناءكم... وأنتم لا توبون؟" (لو ١٣: ٣٤)...

إذ نعرف هذا ليتنا نبذل كل الجهد ألا نترك الله، بل نتمسك بالاهتمام بنفوسنا ومحبة بعضنا البعض. ليتنا لا نبتز أعضاءنا، فإن هذا عمل من هم مجانيين، بل كلمارأيناهم في وضع شرير نترفق بهم بالأكثر [\[1303\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه". [41]

نطق إشعياء النبي بهذا حين رأى مجده وتحدث عنه. رأى السيد على كرسي عالٍ وأذياه تملأ الهيكل. المجد الذي رآه إشعياء هو مجد يهوه؛ هنا القديس يوحنا الإنجيلي يقول أنه مجد يسوع، حاسباً أن يسوع المسيح هو يهوه. جاءت الترجمة الآرامية (الترجم): "لأن عيني رأته شاكيناها الرب" (إش ٦: ٥). ولما كانت شاكيناها هي النور الإلهي أو الحضرة الإلهية، فإن مارآه إشعياء النبي هو نور الرب أو بهاءه، شعاع مجده ورسم جوهه (عب ١: ٣).

❖ إن سألت: مجد من رأى إشعياء النبي؟ أجبتك: مجد الآب. ولعلك تقول: فكيف يتحدث إشعياء النبي عن مجد الآب، ويوحنا البشير عن مجد الابن،

ويؤس الرسول عن مجد الروح؟ أجيبك: لم يكن حالهم حال من يجمعون الأقانيم، لكنهم قالوا هذا القول موضحين رتبة واحدة موجودة بهم، وبيان ذلك أن سمات الآب هي سمات ابنه، وسمات الابن هي سمات الروح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ مارآه إشعياء ليس الله كما هو، وإنما بطريقة رمزية تتناسب إمكانية رؤية النبي. فإن موسى أيضاً رآه، ومع هذا نجده يقول له عندمآه: "قالآن إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك حتى أعرفك... (خر ٣٣: ١٣)، إذ لم ير الله كما هو... "أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذ أظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو" (١ يو ٣: ٢).

القديس أغسطينوس

6. تمجيد بعض الرؤساء له

"ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً،

غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به،

لئلا يصيروا خلع المجمع". [42]

آمن به بعض الرؤساء مثل نيقوديموس (يو ٣)، حاسباً إياه معلماً من عند الله، وأيضاً يوسف الرامي الذي تقدم لبيلاطس لاستلام جسده، ونال بركة دفنه في قوه الجديد. ووُجد غوهما ممن آمنوا به في قلوبهم، لكنهم لم يتجاسروا ويعلنوا إيمانهم علانية. وسنتحدث عن مجمع السنهريين في نهاية هذا الأصحاح بمشيئة الرب.

ظن إيليا أنه وحده يعبد الله ولم يدرك أن سبعة آلاف رجل لم يحواركبة لبعل واهم الله ولا يعرفهم العالم. هكذا في كل جيل توجد بقية أمينة خفية لها تقدرها في عيني الله لا عند الناس.

"لأنهم أحووا مجد الناس أكثر من مجد الله". [43]

لم يعترف البعض به خشية فقدان كرامتهم الوهمية، إذ أحووا مجد الناس أكثر من مجد الله. وكما يقول السيد المسيح: "كيف تقدر أن تؤمنوا، وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟!" (يو ٥: ٤٤).

❖ هذا ما قاله لهم السيد المسيح: "كيف تقدر أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟" (يو 5: 44)، فلم يكونوا إذاً رؤساء، لكنهم كانوا عبيداً، لأنهم ابتعدوا عن الإيمان لعشقهم في المجد الباطل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

7. شهادة المسيح لنفسه

"فنادى يسوع وقال:

الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي،

بل بالذي أرسلني". [44]

هذا هو ختام عظته الموجهة للأشوار المصممين على عدم الإيمان، وتُحسب تكملة للعظة التي قُطعت بالآية ٣٧ . لقد نادى (صوخ) يسوع بصوت عالٍ، مظهراً غيوته الشديدة على خلاصهم.

هنا يؤكد وحدته الخفية مع الآب، فمن يؤمن بالابن يؤمن بالآب الذي أرسله، ومن يرى الابن يرى الآب أيضاً، من يكوم الابن يكوم الآب.

❖ معنى: "لا يؤمن" أي لا يكون ذلك عند حدود الشكل الجسدي، ولا عند حدود الإنسان الذي ترونه. فإنه يقور أنه يؤمننا أن يؤمن بأنه ليس إنساناً

مجردًا، بل تؤمن بيسوع المسيح الله والإنسان (في نفس الوقت).

القديس أمبروسيوس

❖ كأن يقول: "لماذا تخشون أن تؤمنوا بي؟ الإيمان بي يعبر خلالي إلى الآب، كما أن إنكلكم إياي يصل إليه. انظروا كيف أنه بكل وسيلة يظهر عدم الاختلاف في الجوهر [1305]."

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تكريم الابن فيه تكريم للآب، إنه لا يُنقص من لاهوته [1306].

❖ الآن عندما يقول: "الذي يؤمن بي، ليس يؤمن بي، بل بالذي أرسلني" [٤٤]. ماذا نفهم سوى أنه ظهر كإنسانٍ للبشر بينما بقي غير منظور بكونه الله؟ ولكي لا يظن أحد أنه ليس بأكثر مما يروه فيه يشير إلى الإيمان به كمساوٍ للآب في الشخصية والرتبة... فمن يؤمن بالآب يؤمن أن يؤمن أنه أب، ومن يؤمن بالآب يؤمن أن له ابن، وبهذا فمن يؤمن بالآب يؤمن أن يؤمن بالابن [1307].

القديس أغسطينوس

"والذي واني، وى الذي أرسلني". [45]

❖ ماذا إذن؟ هل لله جسد؟ لا يمكن! فإن الرؤية التي يتحدث عنها ليست بجهة من الجهات جسمًا، فالبصر هنا إنما يريد به بصوة العقل، وفي هذه الجهة بين السيد المسيح أن جوهه هو جوهر أبيه. هنا يعلن عن الشوكة في ذات الجوهر [1308].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ نطق بالكلمات السابقة (يو 12: ٤٤) حتى لا يؤمن أحد أنه مجرد ما يظهر عليه، أي أنه ابن الإنسان، وبالكلمات التالية [٤٥] لكي يؤمنوا أنه مساوٍ للآب...

لقد أرسل المسيح رسله... لكن لم يكن ممكنًا لأحدهم أن يقول: "من يؤمن بي ليس يؤمن بي، بل بالذي أرسلني"، فإنه ليس من أي أساس يمكن أن يقوم عليه القول: "يؤمن بي".

نحن نصدق الرسول، لكننا لا تؤمن به، لأنه ليس من رسول يبور الخطاة. إنما تؤمن بالذي يبور الخطاة، إيمانه يُحسب وَا (رو ٤: ٥).

يُمكن للرسول أن يقول: "من يقبلني يقبل الذي أرسلني"، أو "من يسمعي يسمع الذي أرسلني"، إذ يقول الرب: من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني (مت ١٠: ٤٠). فإن السيد يُكرم في الخادم، والآب في الابن، وعندئذ الآب كما في الابن والسيد كما في الخادم.

أمكن للابن الوحيد الجنس بحق أن يقول: "آمنا بالله، فآمنا بي" (يو ١٤: ١). وكما يقول هنا أيضًا: "الذي يؤمن بي، ليس يؤمن بي، بل بالذي أرسلني". إنه لا يحول إيمان المؤمن عنه، وإنما أراد ألا يقف المؤمن عند إيمانه به كعبدٍ، لأن كل من يؤمن بالآب يؤمن للحال بالابن، الذي بدونه لا يكون للآب وجود كأبٍ. وهكذا يبلغ إلى إيمانه بمساواته للآب، ذلك طبقًا للكلمات التالية لها: "والذي واني، وى الذي أرسلني" [٤٥] [1309].

القديس أغسطينوس

"أنا قد جئت نوراً إلى العالم،

حتى كل من يؤمن بي، لا يمكث في الظلمة". [46]

قبل مجيء المخلص - شمس البر - إلى العالم كان الكل في الظلمة. بإشراقه تبددت الظلمة، لكن لم ينتفع منها إلا من كانت عيناه سليمتين قاربتين على رؤية أشعة شمس البر هذا. أشرقت شمس البر على البشرية كلها لكي يجد المؤمنون فيه نوراً وراحة، حيث لا يبقى للظلمة موضع فيهم. بنوره تنتهي المخاوف واليأس، ويحل الفرح السموي والوجاء في الأبدية.

❖ إذ يُدعى الآب بذات الاسم في كل موضع في العهدين القديم والجديد، يستخدم المسيح نفس الاسم أيضًا. لهذا يدعو بولس: "البهاء" (عب 1:3)،

متعلماً أن يفعل هذا من ذات المصدر. أيضاً يظهر هنا العلاقة القوية بينه وبين الآب، وأنه لا يوجد فصل بينهما، وذلك متى قال أن الإيمان به ليس به، بل يعبر إلى الآب، ويدعو نفسه النور "لأنه يُخلص من الخطأ، ويُزيل الظلمة العقلية" [1310].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليس بصالح ذلك الذي رفع الأرض إلى سماء حتى أن الكواكب المتألئة المصاحبة له تعكس مجده في السماء كما في مرآة، هكذا طغمت الوسل والشهداء والكهنة يشرفون مثل كواكب مجيدة، وتهب نوراً للعالم؟ [1311]

القديس أمبروسيوس

❖ إنه لم يقل (لتلاميذه) "قد جئتم نوراً للعالم، حتى كل من يؤمن بكم لا يمكث في الظلمة". مثل هذا القول أقول لن يمكن قبوله بأي وضع. لذلك فكل القديسين هم أوار، لكنهم استلوا به بالإيمان، وكل من يفصل عنه تحوط به الظلمة. أما ذلك النور الذي ينوهم، فلن يمكن أن يفصل عن ذاته، لأنه غير قابل للتغيير [1312].

القديس أغسطينوس

"وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن،

فأنا لا أدينه،

لأنني لم أت لأدين العالم بل لأخلص العالم". [47]

لم يأت السيد المسيح ليدين العالم بل ليخلصه. كلمات الأنبياء التي تنبأت عنه تدينهم.

❖ الآن هو زمن الرحمة، فيما بعد يأتي زمن الدينونة، إذ قيل: "اسبح لك يارب الرحمة والحكم" (مز ١٠١: ١) [1313].

القديس أغسطينوس

"من رذلني ولم يقبل كلامي، فله من يدينه،

الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير". [48]

إن كان السيد المسيح يشتهي خلاص الكل لا دينونتهم، فإنه في اليوم الأخير كلماته تدين غير المؤمنين، كشاهد على جرائمهم. كل كلمة ينطق بها، وكل حنو يقدمه، وكل عطية يهبها، هذه كلها تشهد ضد من يستهين به.

❖ قوله: "الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير" [48] فيه الكفاية ليعلن أنه هو نفسه الديان بعد ذلك. فإنه هو نفسه الذي تكلم، وهو الذي

أعلن ذلك، وهو نفسه الذي أقام نفسه كبابٍ يدخل منه كراعٍ إلى خرافه. فإنه سيُدان الذين لم يسمعو الكلمة قط بطويقة غير الذي سيُدان بها من سمعوا واستخفوا بالكلمة. يقول الرسول: "لأن كل من أخطأ بون الناموس فبون الناموس يهلك، وكل من أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان" (رو ٢:

[1314] (١٢).

القديس أغسطينوس

"لأنني لم أتكلم من نفسي،

لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم". [49]

يقوم يسوع بكونه المسيا برسالة الخلاص التي تسلمها من الآب لينطق بها ويتممها. إنه وكالة الآب، ما يفعله لحساب الآب الذي أحب العالم وبذل ابنه الوحيد من أجله.

لقد فشل آدم الأول في رسالته، وعصى الله، ولم يكن بالسفير اللائق ليمثل السموي، فجاء آدم الثاني بروح الطاعة يتمم العمل المُوكَل إليه، عمل الحب الإلهي الفائق. فيه يمكننا أن نملس الطاعة التي فقدناها بانتسابنا لآدم أبينا.

❖ حتمًا قال هذا من أجلهم... ألا ترون أنه قدم تعبوه في تواضع مَوَابد، حتى يجتذب هؤلاء الناس ويُسكت القادمين بعدهم؟ هذا هو السبب الذي نطق بكلمات تتناسب إنسانًا مجردًا، إذ كان مندرجًا أن الكلمات لا تخص طبيعته بل تتناسب ضعف المستمعين [\[1315\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الابن وحده هو كلمة الآب، وحكمة الآب، وفيه كل وصايا الآب. فإنه لا يوجد زمن فيه لم يعوف الابن وصية الآب، مما يجعل من الضرورة أن يقتنيها في وقت معين، تلك التي اقتناها قبلاً. ما ناله من الآب هو أنه وُلد، فاقتناها بمولده (الأولي)... لم يقدم الآب للابن وصية لم تكن لديه، وإنما كما قلت أنه في حكمة الآب وفي كلمة الآب تقوم كل وصايا الآب [\[1316\]](#).

القديس أغسطينوس

"وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية،

فما أتكلم أنا به،

فكما قال لي الآب هكذا أتكلم". [50]

❖ إن كان الابن نفسه هو الحياة الأبدية، وهو وصية الآب، فماذا يعني هذا سوى "أنا هو وصية الآب"؟ ويقوله: "فما أتكلم به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم" (يو 12: ٥٠).

لا يُفهم "قال لي" كما لو كان الآب يستخدم كلمات في حديثه مع الكلمة وحده، أو أن كلمة الله يحتاج إلى كلمات من الله.

تكلم الآب مع الابن بنفس الطريقة كما أعطى الحياة للابن، ليس كمن لا يعوف أورا، أو لم يكن له الأخرى (الحياة)، وإنما لأنه هو الابن... إنه الحقاني قد ولد الحق، فماذا يمكن أن يقول للحق؟ فإن الحق الذي ليس فيه نقص لا يحتاج إلى من يهبه حقًا إضافيًا. إذن هو تكلم مع الحق لأنه ولد

الحق [\[1317\]](#).

القديس أغسطينوس

ملحق للإصحاح الثاني عشر

عن مجمع السنهريين

إذ كثروا ما نسمع في هذا السفر عن رؤساء الكهنة والفريسيين وناووا عن الكتبة، أود أن أقدم فكرة سريعة عن أعضاء مجمع السنهريين.

كلمة Sanhedrim هي الصيغة الآرامية للكلمة اليونانية *sunedrion* ومعناها "مجمع" أو "جلسة اجتماع (قضائي)".

يعتبر هذا المجمع هو الهيئة العليا لمحكمة القضاء العالي في أورشليم، تحت رئاسة رئيس الكهنة لإسرائيل، في أيام خدمة السيد المسيح

ومحاكمته.

تاريخه

تُرجع نشأة هذا المجمع إلى عصر سيادة الإمبراطورية اليونانية، وإن كان الربيون يجاهدون ليجنوا بدء نشأته هو مجمع السبعين شيخًا

الذي أُقيم في أيام موسى النبي (عد 11: 16، 24).

أول مرة يُشار إليه تحت اسم "المشيخة" geraousia كان في أيام أفتيخوس الكبير 223-187ق.م.

خول الأباطرة الهيلينيون الحرية للمجتمعات المحلية في الشؤون الداخلية، فكانت إسرائيل تحكم نفسها بنفسها داخليًا، خلال مجلس

الشوخ الأستقراطي (1 مك6:12؛ 2 مك 1: 10؛ 11: 27؛ 3 مك 18)، تحت رئاسة رئيس الكهنة الذي ينال المركز وراثيًا.

عندما دخل النظام الروماني بواسطة بومباي Pompey احتفظ رئيس الكهنة بمركز "حاكم الأمة" [1318] ، مما يدل على بقاء مجلس

المشيخة في ذلك الحين.

قام Gabinius بتقسيم الإقليم اليهودي إلى خمسة مقاطعات أو خمسة مجامع [1319] ، فلم يعد مجمع أورشليم منفردًا في الحكم

القضائي.

بعد عشرة سنوات أعاد قيصر تعيين هيرقانيوس الثاني Hyrcanus II إلى مركزه السابق وامتد سلطان مجمع أورشليم إلى

الجليل [1320]. وهنا لأول مرة يدعى مجمع أورشليم "السنهريين".

بدأ هيرودس حكمه بإصدار أمره بقتل جميع أعضاء مجمع السنهريين [1321] ، وقام بتعيين أعضاء موالين له.

بعد موت هيرودس وابنه أرخيلوس Archelaus امتد سلطان المجمع. وفي أيام السيد المسيح على الأرض، وفي عصر الرسل، كان

هذا المجمع يعتبر المحكمة القضائية العليا للعدالة.

زال هذا المجمع بلاشك بعد ذلك، إذ انتهى دوره بخواب أورشليم عام 70م

أعضؤه

1- رؤساء الكهنة : تعتبر الهيئة الأستقراطية في أورشليم، تضم رؤساء الكهنة السابقين والعاملين مثل حنان حما قيافا وقيافا وبعضًا من

الأسوة من ولادهما. انحرف هذا اللقب عن الدور الرئيسي له وهو العمل الديني البحت ليمارسوا العمل السياسي تحت ستار الدين.

2- الصوفقيون ، ويدعون أحيانًا الكهنة أو الشوخ، ولم يكونوا كهنة بالمفهوم الديني كما ورد في أسفار موسى، وإنما كانوا اسبه بهيئة قضائية،

وهم ملتصقون برؤساء الكهنة، يحملون عداً خفياً للفريسيين.

3- الفريسيون ، يعتبرون أنفسهم حماة الناموس والتقليد اليهودي. حرفيون إلي أبعد الحدود، لهم سلطان قوي في المجمع المحلية. كانوا يندسون

بين الشعب لإثارة تساؤلات واعتراضات في الحديث مع يسوع المسيح لعلمهم يستطيعون أن يبلغوا مجمع السنهريين بما يحسبونه انخافات عن الناموس.

4- الكتبة ، وهم متبحرون في الناموس الموسوي (مت 22: 35، لو 7: 30) ويدعون معلمي الناموس nomodidashalos (لو 5:

17، 34).

بدأت هذه الفئة تظهر بعد ظهور عزرا الكاتب (نح 8-10) حيث كان يؤأ الشريعة.

تطور دور الكتبة كمعلمين من تفسير الشريعة إلى ممارسة العدالة، وكان يُطلب احترامهم أكثر من الوالدين، لأن الأبناء والآباء

ملتزمون باحترام معلمهم.

المجمع الأورشليمي والمجامع المحلية

حسب التقاليد اليهودي يوجد نوعان من المجامع sunedria ، السنهريين العاليي في أورشليم يضم 71 عضواً، والسنهريين الابتدائي في

البلاد الأخرى ويضم كل مجمع 23 شخصاً يعيّنهم السنهريين العاليي.

بحسب المِشناه Mishna يضم السنهريين العاليي 70 عضواً مع الرئيس ونائب الرئيس، وأيضاً خدام المحكمة.

يُعتقد أن العضوية تستمر مدى الحياة، أما الأعضاء الجدد فيقوم بتعيينهم الأعضاء القائمون أو السلطة السياسية العليا.

كانت سلطته القضائية في أيام السيد المسيح محدودة بالإحدى عشر منطقة لليهودية، لذا لم يكن قانوناً على إصدار حكم جنائي ضد ربنا يسوع مادام مقيماً بالجليل، اللهم إلا متى دخل حدود اليهودية.

قانونياً لم يكن له سلطان على اليهود، لكن أدبياً كانت المجامع المحليّة واليهود بوجه عام أينما وجوا يميلون للطاعة لقرارات مجمع السنهريين العالي. ولم تكن المجامع المحليّة ملتزمة بالرجوع إليه، اللهم إلا في الاستشارة في القضايا الخاصة بالشريعة.

اجتماعاته

عادة كانت المحاكم المحليّة تجتمع في يومي الاثنين والخميس من الأسوع، فيما عدا أيام الأعياد، وبالأكثر لا تجتمع في يوم السبت. وكان مجمع السنهريين يجتمع في الموضع المدعو Xystos أو Xistus وهو في الجانب الشرقي في بيت رئيس الكهنة.

الإجراءات القانونية

بحسب المشناه يجلس الأعضاء في شبه نصف دائرة لوى كل منهم الآخرين. ويجلس أمامهم كاتبان للمحكمة، واحد عن اليمين، والآخر عن اليسار، عملهم هو حصر الأصوات الخاصة بتروثة المتهم أو إدانته. ويجلس أمامهم ثلاثة صفوف من التلاميذ المتعلمين لكل منهم كرسيه. وكان المتهم أو السجين يلتم بالظهور في ثياب متواضعة تدلّ على الحزن.

في القضايا الخاصة بالإعدام يبدؤون بالأشخاص الذين يطلبون واعته ليقدموا حججهم، ولا يسمح للتلاميذ أن ينطقوا بشيء ضد المتهم، إنما إن وُجد ما هو لصالحه ينطقون به. من يقدم حججاً للواء لا يقدر أن يقدم ما هو ضد المتهم، بينما يسمح للعكس للذين يتهمونه يمكن أن يقدموا أموراً في صالحه.

يبدأ أخذ الأصوات بأصغر الأعضاء، وأحياناً يُسمح بأن يبدأ التصويت بأهم الأعضاء. بالنسبة لواء المتهم فيكفي وجود أغلبية الأصوات، أما بالنسبة للإدانة فلا بد من أن تكون الأغلبية مضافاً إليها اثنين.

هذا ولا يجوز إصدار الحكم في يوم الورافعة، إنما يؤم مناقشة الأمر وإصدار الحكم في اليوم التالي، باستثناء حالة الشخص الذي يضل الشعب، فيمكن محاكمته في نفس اليوم أو ذات الليلة. بخلاف هذه الحالة، لم يكن ممكناً مناقشة قضية تستوجب الموت في يوم الجمعة أو اليوم السابق للعيد، بل تُرجأ إلى ما بعد السبت أو ما بعد العيد.

كانت سلطة المجمع الدينية والمدنية والجنائية تحدّها الهيئات الحاكمة الأجنبية في أرض إسرائيل، وهي تختلف من وقت إلى آخر حسب الحاكم.

كان يُقاد الشخص وهو في طريقه للموت يتقدمه منادٍ يُعلن: "وُجد فلان بن فلان مستحقاً للموت، فإن كان يريد شخص ما أن يستوضح الأمر فليقدم ويُعلن ذلك" [\[1322\]](#).

كان يطلب من المحكوم عليه بالموت أن يعترف بجريمته حتى يتمكن من أن يكون له نصيب في الحياة العتيدة.

من وحي يو 12

أطيباك هي سرّ حياتي!

❖ هب لي أن أعبر إليك مع أحبائك مريم وموثا ولعازر.

أدخل معهما إلى الوليمة،

فحيث حللت تُقيم وليمة سماوية موحية!

أسكب مع مريم طيبًا خالصًا على قدميك!

أنه ليس من عمل يداي،

ولا اشتريته بمالي الخاص!

فما أقدمه لك هو ثمر روحك القنوس.

اسكب الطيب فأشتم رائحتك الذكية.

رائحتك ملأت بيتي الداخلي، وعطّوت كل كياني.

رائحتك هي سرّ حياتي!

❖ نعم، اشتمّها يهوذا السارق رائحة موت لموت،

فافتقد الحب، لأنه لا يُترك إلا الخيانة.

وحسب العطاء خسلة،

لأن محبة المال أعمته!

أما أنا فأشتمّها لأحيا بها.

اسمح لي مع مريم أن أمسح قدميك بشعر رأسي!

أقدم كل ما يظنّه العالم مجداً لخدمة اخوتك المحتاجين!

الفقراء والمحتاجون هم قدماك، بهما أسير إليك.

لأكرمهما فأكرم قديك.

-

❖ مع موثا تمتد يداي لخدمة جسدك.

فكل عطاء لاختوك تستقبله يداك!

هب لي أن أعمل،

فمع كل حركة رى يديك تعملان بي وفي!

يداك في داخلي مبسوطتان للعمل بلا انقطاع!

❖ مع لعازر أجلس صامتاً!

حياتي المُقامة بك هي شهادة حيّة لحبك وجلالك!

صمتي أعظم، وأقوى من كل كلمة مقولة!

❖ هوذا اليونانيون الغرباء يطلبون رؤياك.
من يقدر أن يلتقي بك ما لم ترفع على الصليب.
كيف نتمتع بالثمر الإلهي ما لم تُدفن،
تقوم فتقيمنا معك!

❖ هوذا السماء تشهد لك،
أنت موضوع كل النوات،
أنت محقق مشيئة الآب،
أنت مخلص العالم كله!
رائحة صليبك ملأت السماء والأرض!
اشتَمها الآبرائحة سرور.
وتنسمها السمائيون فأذركوا أسورا خفية.
وتعرف عليها البشر فصلروا ملائكة!
أطياب صليبك هي سرّ حياتي!

⏪

الباب الثالث

إعلانه عن ذاته لخاصته

أحاديث السيد المسيح الوداعية 13 - 16.

الصلاة الوداعية 17.

أحاديث السيد المسيح الوداعية

يو 13 - يو 16

في الأصحاحات السابقة (١-١٢) قدم لنا الإنجيلي قصة الحب الإلهي حيث تجسد كلمة الله، وصار إنساناً لكي يخدم البشرية الساقطة ويعلن حبه ورعايته الفائقة لكل محتاج، ويوجه أنظار البشرية إلى شخصه كمحبٍ للبشر قادر أن يجدهم ويشبعهم ويشفيهم ويهذبهم. الآن جاءت ساعة تجلي الحب الإلهي حيث يدخل المسيا طريق الآلام حتى الصلب من أجل كل نفسٍ بشوية. وقد دعا البعض الأصحاحات ١٣-١٧ حيث التقى السيد بتلاميذه في العلية لينطلق بهم إلى بستان جنسيمانى بإنجيل المحبة . يروي لنا الإنجيلي خدمة غسل الأرجل التي ينفود بها المخلص، يهبها لتلاميذه لعلمهم يشركونه حبه بغسلهم أقدام اخوتهم. كما أسس سرّ الفصح الحقيقي الذي توقفته الأجيال، ويبقى موضوع تسبيح السمائيين، وأخوياً قدم أحاديث وداعية هي رصيدي للكنيسة.

استخدم الإنجيلي كلمة "محبة" كاسم أو فعل ٩ مرات في الأصحاحات ١-٢، بينما استخدمها ٣٠ مرة في الأصحاحات ١٣-١٧. فقصة العلية طابعها الرئيسي هو الحب.

في أحاديثه الوداعية قدم السيد المسيح الكثير من أسوره لتلاميذه الخاصة بالعمل الإلهي في حياتهم، فكشف عن الآتي:

1. **خطته الإلهية:** لكي يهيئ لهم موضعاً معه في السماء المتسعة، والتي تتوقب مجيء البشرية للتمتع بشوكة المجد الأبدي. كشف لهم أن كل ما يحدث له من الآلام والصلب ليس بكرثة مؤرة، وإنما عطية الآب له ليحقق حبه للبشوية، فيدخل بهم إلى حضن الآب.
2. **شخصه الإلهي:** فهو واحد مع الآب، يتم مشيئة الآب بمسوة، ما ينطق به وما يعملُه إنما هي كلمات الآب محب البشر وأعماله.
3. **مؤرهم الجديد:** كأعصان في الكومة الإلهية. فإن كان الإنسان قد طُود من جنة عدن، صار له مسيحه كومة إلهية، بل صار الإنسان غصناً يحمل ثوراً فائقاً للطبيعة، يُسر الله بثوره الذي من عمل يديه.
4. **إمكانياتهم الجديدة:** الحب الباذل لأجل الآخرين. حيث يحسب المؤمن نفسه غير أهلٍ أن يُبذل من أجل اخوته، مشركاً مسيحه مجد الحب الباذل حتى الصليب.
5. **دورهم في العالم:** يحيون البشرية، والعالم يبغضهم. إذ يقدمون ما هو لمملكتهم، مملكة النور والحب، ويقدم العالم الشوير ما لمملكته من ظلمة وبغض.
6. **مساندتهم الإلهية:** يرسل لهم البولقريط، الذي يسحبهم من الارتباك بالآلام التي تواجههم، ليشتموا فيها الحب لله والناس، والمجد والكرامة كشركاء للمسيح في آلامه، والتمتع ورائحة قيامة المصلوب الذكية. يوفعهم الروح القدس فوق الآلام، فلن تقدر أن تحاصوهم أو تضيق عليهم، بل يرونها طريق الجلجثة الذي ينطلق بهم إلى السموي المصلوب، فينعوا بالتمتع به في سمواته.

الأصاحح الثالث عشر

خدمة غسل الأرجل

إذ انتهى السيد المسيح من أحاديثه العامة الآن يبدأ في أحاديث خاصة مع تلاميذه قبل القبض عليه، غايتها تعزيزهم أثناء آلامه والكشف عن أسوره، وتقديم نصائح وداعية. يتحدث معهم كأب مع أولاده، يقدم لهم حكمتهم موائماً يغنيهم ويسندهم. لقد جاءت ساعة انتقاله من العالم لهذا أراد أن يدبر أمور بيته.

1. غسل أقدام التلاميذ . ١٧ - ١
2. حديثه عن مسلمه . ٣٠ - ١٨
3. مجد ابن الإنسان . ٣٣ - ٣١
4. المحبة الأخوية . ٣٥ - ٣٤
5. إنذار بطرس منكر المسيح . ٣٨ - ٣٦

1. غسل أقدام التلاميذ

" أما يسوع قبل عيد الفصح،

وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب،

إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم،

أحبهم إلى المنتهى". [1]

وى القديس يوحنا الذهبي الفم أن السيد المسيح قدم أعمالاً عظيمة منذ بداية خدمته، أما وقد جاء وقت رحيله عنهم منطلقاً إلى الآب، فقدّم لهم حباً فائقاً، خلال الصليب، ليكون سندا لهم بعد صعوده.

ونحن أيضاً إذ لا نترك وقت رحيلنا من العالم يليق بنا مع كل نسمة من نسمات حياتنا أن نقدم حباً باذلاً لكل من هم حولنا، فنترك لهم موائماً من الحب، وتبقى ذكرياتنا لديهم هي أعمال المحبة الخالدة.

يتساءل كثير من الدارسين عن موعد الفصح اليهودي، هل كان في يوم خميس العهد حيث قام السيد المسيح، حمل الفصح الحقيقي، بتأسيس سرّ

الفصح المسيحي؟ أو أنه كان في يوم الجمعة العظيمة حيث تحقق الفصح الحقيقي في ذات يوم الفصح اليهودي ليبيط الرمز؟

كثرت الكتابات جداً في هذا الأمر، غير أن ما ليس فيه خلاف، أن بعض الجماعات كانت تملس الفصح بتقويم يختلف عما تملسه القيادات

اليهودية الدينية الرسمية في أورشليم. لهذا وى الكثيرون أن ما ورد في الأنجيل الثلاثة عن احتفال السيد المسيح وتلاميذه بالفصح في يوم الخميس كان

بتقويم استخدمه السيد، بينما قام مجمع السنهوتين وأتباعه بالاحتفال به يوم الجمعة، غير أنه لم يكن ممكناً ذبح خروف الفصح إلا يوم الجمعة بعد عوضه

على الكهنة في يوم الفصح الرسمي.

ما يشغل ذهن الإنجيلي ليس موعد تأسيس الفصح المسيحي، وإن كان قد أورد أنه "قبل عيد الفصح"، وإنما انشغاله بالفصح الحقيقي، بذبح حمل الله

الذي يحمل خطية العالم على الصليب. إنه فصح الدهور كلها، لا بل والفصح الذي يشغل السماء والسائين، فقد أُشير إلى السيد المسيح كحملٍ في سفر الرؤيا ما يقرب من خمس عشرة مرة. رأى الإنجيلي "الخروف قائم في السماء كأنه مذوح"، ورأى الكنيسة الممجدة في السماء "امرأة الخروف"، والحياة السموية هي "عُرس الحمل" الذي جاء وامراته هيأت نفسها (رؤ ١٩: ٧-٨). رأى الحمل هو قدس أقداس السماء أو الهيكل الأبدي وسواها (رؤ ٢١). الآن يحدثنا الإنجيلي يوحنا عن "غسل الأرجل" كخدمة حب وبذل. حدث هذا أثناء الإعداد لسرّ الإفخارستيا وليس أثناء تناولها. وقد كان من عادة اليهود غسل الأقدام قبل العشاء.

لم يذكر الإنجيلي يوحنا أحداث أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس من الأسوع الأخير حيث أوردها الإنجيليون الثلاثة السابقون في شيء من التفصيل، ولم يرد أن يتحدث عن تأسيس سرّ الإفخارستيا (مت ٢٦: ٢٦؛ مر ١٤: ٢٢؛ لو ٢٢: ١٩). إذ هو العالم بكل شيء جاءت الساعة التي سمح فيها لعدو الخير أن يكون له سلطان أن يتحرك ويحرك أتباعه لمقاومة السيد، وكما قال: "هذه ساعتكم ولسطان الظلمة" (لو ٢٢: ٥٣).

قوله "جاءت ساعته" لا تعني إتمام أمور محتمة لا سلطان له عليها، إنما هي ساعته التي تتحقق خلال سلطانه الإلهي لتحقيق خلاص العالم، دون أن يؤم الأشرار على ممرسة شوهم، إنما يحول شوهم للخير. إن كانت هناك حتمية لمجيء هذه الساعة، فهي حتمية حب الله الفائق الذي يطلب خلاص العالم. وبإعلانه عنها يكشف أنه جاء بإرادته من أجل هذه الساعة.

هنا يربط هذه الساعة بأمرين متكاملين، أو بأمر واحد ذي وجهين، وهو انتقاله أو صعوده إلى الآب، وإعلان حبه اللانهائي لخاصته. وكأن صعوده إلى السماء ليس من أجله هو بل من أجل محبوبيه كي يتمتعوا بصعودهم أو لقائهم مع الآب.

هكذا يقبل السيد أحداث آلامه حتى الصلب بروح الحب الفائق. آلامه هي موضع سروره. "من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب، مستهيناً بالثوي، فجلس عن يمين عرش الله" (عب ١٢: ٢).

❖ يقول يوحنا البشير: "أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت"، فهو لم يعرف ذلك حينئذ فقط، لكنه عرفها قديماً.

وفي قوله عن السيد المسيح: **الينقل من هذا العالم إلى الآب**، يسمي البشير هنا بصوتٍ عظيم موت السيد المسيح انتقالاً.

وقوله: **"أحبهم إلى المنتهى"** أن السيد المسيح لبث محباً لهم حباً دائماً.

❖ ماذا يعني: **"أحبهم إلى المنتهى"**؟ إنه كمن يقول: **"يستمر يحبهم بلا انقطاع"** [1323].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد عبر (إلى الآب) لكي يطعمنا، فلنتبعه حتى نقتات [1324].

❖ نتمتع في آلام الرب وقيامته بالعبور من هذه الحياة القابلة للموت إلى الحياة الأخرى الخالدة، أي من الموت إلى الحياة [1325].

❖ الآن تحقق هذا الرمز النووي في الحق، عندما اقتيد المسيح كحملٍ للذبح (إش ٥٣: ٧)، لكي بدمه الذي رُش على قوائم قلوبنا العليا، يرشم علامة

صليبه على جباهنا، نخلص من الهلاك الذي ينتظر العالم، وذلك كابوائيل وهو يخلص من عبودية المصويين ودملهم (خر ١٢: ٢٣). والعبور

الكلي التقدير الذي نمرسه بعبورنا من الشيطان إلى المسيح، ومن العالم غير المستقر إلى مملكته المؤسسة حسناً. لذلك فإننا بالتأكيد نعبر إلى الله الدائم

أبدياً...

يمجد الرسول الله من أجل هذه النعمة الممنوحة لنا، فيقول: "الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (١ كو ١: ١٣).

هذا الاسم **"بصخة"** كما قلت أنه في اللاتينية يدعى **عبيراً**... هكذا أنتم ترون هنا لنا بصخة وعبور. من أين وإلى أين يعبر؟ من هذا العالم إلى

الآب.

لقد وهب الرجاء للأعضاء في رأسهم، حتى أنهم دون شك يتبعونه وهو يعبر قدامهم.

وماذا عن غير المؤمنين الذين يقفون بعيداً عن هذا الرأس وعن أعضائه؟ ألا يعبر هؤلاء أيضاً حيث أنهم لا يقطنون هنا أبدياً؟ واضح أنهم يعبرون، لكن يوجد فارق بين من يعبر من العالم ومن يعبر مع العالم . وبين من يعبر إلى الآب ومن يعبر إلى العدو. فإن المصوبين أيضاً عبّروا، لكنهم لم يعبروا من البحر إلى الملكوت، وإنما من البحر إلى الهلاك [1326].

❖ "أحبهم إلى المنتهى" [١]. هو نهايتنا، فيه نعبر... يُفهم ذلك بأن حبه ذاته هو الذي حمله إلى الموت [1327].

القديس أغسطينوس

وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا سمعان الإسخريوطي أن يسلمه". [2]

كان السيد المسيح يعلن أن لحظات قتله قد اقتربت، وأن أحد تلاميذه يخونه، والآخر ينكوه، والبقية تتركه... هذا كله في عينيه عطية الآب له ليقيم الخلاص.

في نفس اللحظات كان ما يشعل الشيطان هو أن يسيطر على قلب يهوذا ليحركه نحو خيانة سيده، طائفاً أنه قادر أن يطفئ النور الإلهي، ويفسد الحب السرمدي. لكن الله الكلي الصلاح يحول حتى شر إبليس لخيرنا.

❖ ربما يتساءل البعض: ألم يكن قد ألقى الشيطان بفكر الخيانة على يهوذا حين تحرك قبلاً والتقى مع الفريسيين واتفق معهم على ذلك؟ روى البعض أن عدو الخير ألقى ببدار الفكرة، وكان يرويها بمياه الطمع والخيانة، لكن الآن يدخل عدو الخير إلى قلب يهوذا كصاحب ومالكٍ مستقر في موضعه، وليس كمن يثير فكه، ويحاول إغواءه. حين نفتح الباب للشر يلقي العدو بذره كضيفٍ يحاول بوسيلة أو أخرى أن يقتحم ما ليس له. وحين نقبل أفكاره، ونبدأ في التحرك، يدخل في جسرة ليقتن كمالكٍ، وكقائدٍ يحرك عجلة القيادة دون إمكانية للمقاومة من جهتنا. لهذا كل فكر فيه نواحي عن مقاومته إنما يفتح باب قلوبنا وأفكارنا ليجد العدو نفسه صاحب الحق في الدخول والسيطرة.

❖ بقي سيده إلى اليوم الأخير مستوراً في عطائه له [1328].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ في حالة يهوذا كُتب: "وقد ألقى الشيطان في قلب يهوذا الاسخريوطي بن سمعان أن يسلمه" [٢]. لذلك يمكنكم القول عن كل الذين جُرحوا في القلب بواسطة الشيطان أن الشيطان قد ألقى في قلب هذا أن يرتكب الزنا، أو ذاك أن يرتكب الغش، وفلان أن يصير مولعاً بالشهوة... وهكذا بالنسبة للخطايا التي يلقيها الشيطان في القلب غير المسلح بوع الإيمان الذي به يمكنه أن يطفئ ليس سهماً أو اثنين بل كل سهام الثور الملتهبة نراً (أف ٦: ١٦). [1329].

العلامة أوريجينوس

❖ "ألقى الشيطان في قلب يهوذا" "... أي قدم اقتراحاً روحياً، لم يدخل إليه خلال الأذنين بل خلال الأفكار، وبذلك لم يدخل بطريق جسداني بل روحي. فما ندعوه روحياً لا يفهم يوماً بطريقة ممنوحة. فقد عرف الرسول أموراً روحية للشر في السماويات التي يشهد أنه يؤمننا أن نجاهد ضدها (أف ٦: ١٢) [1330].

القديس أغسطينوس

" يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه،

وأنه من عند الله خرج،

وإلى الله يمضي". [3]

❖ على حسب ظني دفع الآب هنا خلاص المؤمنين إلى السيد المسيح. فعندما يقول: "كل شيء قد دفع إلي من أبي" (مت ١١: ٢٧)، يتحدث عن هذا

الوقوع من الدفع. كما ذكر السيد المسيح نفسه في موضع آخر "كانوا لك، وأعطيتهم لي" (يو ١٧: ٦) وأيضًا: "لا يقدر أحد أن يُقبل إليّ إن لم يجذبه الآب" (يو 6: 44). وأيضًا: "إن لم يكن قد أُعطي من السماء" (٣: ٢٧). فإن الإنجيلي يقصد هذا أو ذلك أن المسيح ليس بأقل (من الآب) بهذا العمل، حيث أنه جاء من عند الله وذهب إلى الله، ويملك كل شيء. فإذا سمعت دفع وسلم، فلا تظن ظنًا بشريًا، إنما بين إكرامه الآب واتتلافه معه، لأنه كما أن أباه دفع إليه، كذلك دفع هو إلى أبيه، وبين ذلك إذ قيل "ولكن كل واحد في رتبته: المسيح باكرة، ثم الذين للمسيح في مجيئه. وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الآب" (1 كو 15: 23).

لكن يوحنا يقول هذا بطريقة بشوية مطوّراً عناية (المسيح) العظيمة بهم، ومعلنًا حبه غير المنطوق به، إذ يهتم بهم كما بنفسه، معلمًا إياهم أم كل صلاح، أي التواضع، إذ قال إنه بداية كل فضيلة ونهايتها.

ليس بلا سبب يقول: "من عند الله خرج، وإلى الله يمضي" [3]، وإنما لكي نتعلم أنه فعل ما يليق بذلك الذي جاء من هناك ويذهب إلى هناك،

[1331]

موطنًا بقدميه على كل كوياء .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه لم تدفع إلى يديه بعض الأمور دون غوها، بل "كل شيء" [٣]. إذ كان داود أيضًا متطلعًا بالروح يقول عن هذا: "قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت قدميك" (مز ١١٠: ١). فإن أعداء يسوع أيضًا هم جزء من "كل شيء"، الذي عرفهم يسوع بسابق معرفته أنهم قد دُفِعوا إليه من الآب. ولكن لكي نترك بأكثر وضوح ما تعنيه العبارة: "الآب قد دفع كل شيء لديه" [٣]، لننتبه إلى العبارة: "وكما في آدم يموت الجميع، هكذا في الرب يحيا الجميع" (راجع ١ كو ١٥: ٢٢). [1332]

العلامة أوريجينوس

❖ إذ عرف الرب ما سيفعله من أجل أصدقائه وبصبر استخدم أعداءه، بهذا دفع إليه الآب كل شيء في يديه، كل من الشوير ليستخدمه، والصالحين لأجل الهدف النهائي [1333].

القديس أغسطينوس

"قام عن العشاء، وخلع ثيابه،

وأخذ منشفة واتزر بها." [4]

لم يقم عن تناول العشاء، إنما ترك موضعه على المائدة بعد أن جلس الحاضرون ينتظرون العشاء. خلع السيد ثوبه الخرجي أو معطفه، واتزر بمنشفة ليأخذ شخصية خادم، ولكي يتهيأ ليجفف أرجلهم بعد غسلها.

كان غسل الأرجل يتم قبل البدء في تناول الطعام، وإذ كانت الشوارع والأرقة أغلبها ترابية، والأحذية عبلة عن "صنادل مفتوحة"، ولم تُعرف الجرب في ذلك الحين، يمكننا أن نترك كيف كانت الأقدام متسخة، وكيف تكون رائحتها، خاصة في الحرّ أو مع السير لمدة طويلة. لهذا كان غسل الأقدام من عمل العبيد أو أقل الحاضرين إكرامة.

عندما أرسل داود النبي إلى أبيجايل يطلبها زوجة، في تواضع قامت وقالت له: "هوذا أمثك جلية لغسل أرجل عبيد سيدي" (١ صم ٢٥: ٤١).

وي البعض أن السيد المسيح بدأ بغسل قدمي يهوذا، لعل ضموره يؤنبه ويندم على ما بدأ يخطئه.

مسيحنا الذي في تواضعه قال ليوحنا المعمدان: "اسمح الآن لأنه هكذا يليق أن تكمل كل برّ" (مت ٣: ١٥) يكشف عن برّ التواضع الذي له قبل

تأسيس سرّ الافخارستيا. فمن منا يجسر ويقرب إلى السرّ ما لم أولاً تتحني نفسه مع سيده لينال إكرامة مخلصه، فيقترب إلى التناول من جسد الرب ودمه

المبتولين لأجله؟ مسكين من يقرب من هذا السرّ بقلب متعريف أو نفس متعالية دون انحناء لغسل أقدام حتى مقاوميه ومضطهديه.

[1334]



يفهم "حين كان العشاء" أن العشاء صار مُعدًا، موضوعًا على المائدة لكي يستخدمه الضيوف .

القديس أغسطينوس

❖ تعال أيها الرب يسوع، ولتخلع ثيابك، هذه التي لبستها من أجلي.

لتصر عليًا لكي تكسوني وحميتك.

لنتنر من أجلنا بمنشفة، لكي تجعلنا نتنر بعطية الخلود.

لنتسكب ماءً في مغسل، فلا تغسل أقدامنا فحسب بل ورأسنا، ليس فقط لأجسادنا بل ولخطوات نفوسنا. أود أن تنزع كل دنسٍ لضعفنا...

يا لعظمة سموك! كخادمٍ تغسل أقدام تلاميذك، وكإلهٍ ترسل ندى من السماء.

ليس فقط تغسل الأقدام، وإنما تدعونا أيضًا أن نجلس معك، وبمثال كرامتك تحثنا قائلاً: " أنتم تدعونني معلمًا وسيّدًا، وحسنًا تقولون لأنّي أنا

كذلك، فإن كنت أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض" [١٣، ١٤].

إذن أود أنا نفسي أن أغسل أقدام اخوتي؛ أود أن أكمل وصية ربي، فإنّي لا أخجل من نفسي، ولا أستخف بما فعله ذلك ولأ.

[1335]

سرّ عظيم وحسن لا يفهمه أحد!

القديس أمبروسيو

"ثم صب ماء في مغسل،

وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ،

ويمسحها بالمنشفة التي كان متررًا بها". [5]

انتظر السيد حتى اتكأ الجميع حول المائدة، وكانت العادة في تلك الأيام ألا يجلس الآكلون على كراسي حول المائدة، ربما يمكن للعبد أن يجلس على كرسي حين يأكل، أما الشخص الحرّ فيتكئ على فراجه (الكرج) الأيسر ورأسه متجهة نحو المائدة والقدمين من الجانب الآخر.

كانت العادة أن يقوم أحد العبيد بغسل الأقدام، وإذ لم يوجد بينهم عبد ربما توقع الكل أن أقلهم سنًا أو مركزًا يقوم بهذا العمل، لكن السيد قام بنفسه بهذا الدور. وهو بهذا يرفع من كرامة العبيد ، إذ هم يملسون هذا العمل قسورًا بحكم وضعهم الاجتماعي، أما السيد فقام به بكامل حرّيته بمسوة، خلال تواضعه وحبّه. هكذا لا يعود يأنف العبد من ممرسة أي عمل، يملسه من أجل الرب، لا خوفًا من الناس. وكما يوصيهم القديس بولس: "أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوفٍ ورعدةٍ في بساطة قلوبكم كما للمسيح، لا بخدمة العين كمن يرضي الناس، بل كعبيد المسيح، عاملين مشيئة الله من القلب، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس، عالمين أن مهما عمل كل واحدٍ للخير فذلك يناله من الرب، عبدًا كان أم حرًا" (أف ٦: ٥-٨).

رى العلامة أوريجينوس أن السيد المسيح لم يغسل قدمي يهوذا، إذ ليس له نصيب معه بسبب إصوره على شوه. بينما رى القديس يوحنا

الذهبي الفم أن السيد بدأ يغسل قدمي يهوذا ولأ ليقدم له كل عمل محبة حتى اللحظات الأخيرة قبل قيامه بالخيانة، لعله واجع نفسه ويتواضع عن شوه.

[1336]

❖ يبدو لي أنه غسل قدمي الخائن ولأ بقوله: "وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ" [٥].

❖ انظر كيف أظهر السيد المسيح طريق التواضع، ليس بغسل أقدامهم فقط، لكنه أوضحه بطبيعة أخرى إذ نهض بعد اتكائهم كلهم. ثم لم يغسل أرجلهم

على بسيط الحال، لكنه غسلها بعد خلع ثيابه. ولم يقف عند هذا الحد، لكنه اترر برار، ولم يكتف بهذا لكنه ملأ المغسل بنفسه، ولم يأمر آخر أن

يملأه. ملس أعمال الغسل بنفسه كلها ليرينا أن نملس أعمالنا لا في شكليات بل بكل نشاطنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لم يأخذ إواهم بنفسه ماءً، ولا قام بنفسه بغسل أقدامهم كغواة جاوعا إليه، بل قال: "ليؤخذ ماء ويغسلوا أرجلكم" (راجع تك ١٨: ٤). كما لم

يحضر يوسف ماءً ليغسل أقدام اخوته الإحدى عشر، إنما الرجل الذي على بيت يوسف أحضر إليهم شمعون وجاء بماء ليغسل أقدامهم (تك ٤٣: ٤).

٢٣-٢٤). أما ذلك الذي قال: "جئت ليس كمن يتكئ على مائدة بل كمن يخدم" (راجع لو ٢٢: ٢٧). وبحق يقول: "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩)، هو بنفسه صب ماءً في مغسل. فإنه قد عرف أنه لا يستطيع أحد أن يغسل رجل التلاميذ مثله بطريقة بها يكون لهم نصيب معه [٨]. [1337]

[1338]

العلامة أوريجينوس

❖ الماء في رأيي هو الكلمة الذي يغسل أقدام التلاميذ عندما جاؤا إلى المغسل وجلس يسوع أمامهم. [1338]

لم يقل الكتاب "غسل رجل التلاميذ" بل قال: "ابتدأ يغسل رجل التلاميذ" وكما يقول العلامة أوريجينوس بأنه قد بدأ ولم يتوقف عن الغسل، إذ كانوا في حاجة إلى غسل مستمر، حيث تدنسوا في ذات الليلة بعد الغسل: "كلكم تشكون في هذه الليلة" (مت ٢٦: ٣١)، كما قال لبطوس: "لا يصبح الديك حتى تتكرني ثلاث مرات" (يو ١٣: ٣٨) [1339].

❖ ما العجب في أن يصب ماءً في مغسل ليغسل أقدام تلاميذه ذلك الذي سكب دمه على الأرض لكي يغسل دنس خطاياهم؟

ما العجب في أنه مسح بالمنشفة التي اترر بها الأقدام التي غسلها هذا الذي بجسده نفسه الذي التحف به أقام ممواً ثابتاً لخطوات الإنجيليين الذين له؟

لكي يترر بالمنشفة ألقى بثيابه التي كان يوتديها جانباً، ولكنه حين أخلى ذاته (من مجد لاهوته) لكي يأخذ شكل العبد لم يلق بما هو لديه بل قبل ما هو ليس لديه قبلاً [1340].

القديس أغسطينوس

"فجاء إلى سمعان بطرس،

قال له ذلك:

يا سيد أنت تغسل رجلي". [6]

واضح أن التلاميذ كانوا في حالة شبه ذهول أمام ما فعله السيد، فلم ينطق أحد بكلمة حتى جاء نور بطرس الرسول. كثراً مارأى القديس بطرس سيده يتواضع لكنه لم يكن يتصور أنه يبلغ إلى هذه الدرجة أن يقوم بدور العبد الذي يغسل الأقدام.

❖ كأنه يقول: هل بهاتين اليدين اللتين بهما فتحت العيون وطهرت البرص وأنهضت أمواتاً، تغسل بهما رجلي؟! ولذلك لم يتضوع إليه بقول أكثر من قوله: "أنت تغسل رجلي" لأن هذا القول كان كافياً وحده توضيح كافة ما في ذهنه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ واضح من قوله "فجاء إلى سمعان بطرس" أنه لم يبدأ غسل الأقدام به مما يؤكد أنه لم يكن في ذهن السيد المسيح أن يوجد أحد رئيساً على التلاميذ.

القديس أغسطينوس

"أجاب يسوع وقال له:

لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع،

ولكنك ستفهم فيما بعد". [7]

كأنه يقول له: "اسمح لي الآن أن أفعل ذلك، وسأوضح لك قريباً طبيعة هذا العمل وغايته".

❖ ماذا يعني: "ستفهم فيما بعد"؟ متى؟ عندما تخرج شياطين باسمي، عندما زاني مرتفعاً إلى السموات، عندما تعرف بالروح إنني أجلس عن اليمين، عندئذ تفهم ما يحدث [1341].

[1342]

❖ معنى هذا انك ستعرف أي ربح عظيم تجنيه من هذا، ربح اللرس الذي تتعلمه كيف أن هذا يقودنا إلى كل تواضعٍ .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بالنسبة لي غسل أقدامكم هو رمز لأساسات نفوسكم التي تنتظر، لكي تتجمل بالتبشير بالصالحات (رو ١٠: ١٥؛ إش ٥٢: ٧)، وتقربون إلى نفوس البشر بلجلكم الطاهرة. لكنكم الآن لا تعرفون هذا السرّ، إذ ليس لكم بعد المعرفة الخاصة به... عندئذٍ تفهمون هذا السرّ، وتستنبطون بمعرفة أمور ليست وضيعة ولا تافهة. [1343]

العلامة أوريجينوس

"قال له بطرس:

لن تغسل رجلي أبدًا،

أجابه يسوع:

إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب". [8]

لم يكن ممكناً لبطرس الرسول أن يرى سيده الذي له كل المهابة أن يحتل مركز عبدٍ ليمس غسل الأقدام، لهذا اعترض على تصوف سيده. لم يكن يدرك الرسول ما يفعله سيده، أنه احتل مركز العبد خلال محبته الفائقة، حتى يسمح ليهودا أن يبيعه كعبدٍ، ويسمح لعدو الخير أن يتم خطته نحو الخلاص بالصليب.

كأنه يقول له: "لا يمكنك أن تكون لي تلميذاً ما لم أغسلك". فإنه ما لم تمتد يد السيد المسيح لتغسل النفس الداخلية لن يستطيع الإنسان أن يتمتع بالخلاص، ولا يتأهل أن يكون تلميذاً للمخلص. المؤمن في حاجة أن يغتسل في المعمودية خلال عمل روح الله القديس (١ كو ٦: ١١؛ تي ٣: ٥-٦)، وأن يغتسل بالدم الثمين (١ يو ١: ٧). إننا نحتاج إلى غسل أقدام نفوسنا التي تتسخ خلال سورها في هذا العالم، هذا العمل خاص بالسيد المسيح نفسه غافر الخطايا ومخلص النفس من الفساد. نتمتع به خلال سرّ التوبة والاعتراف، بدون أن نقدر أن نشترك في التمتع بذبيحة المسيح (سرّ الافخارستيا). ماذا يعني: "إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب"؟ هنا يشير السيد إلى أن عملية الغسل من اختصاصه، فلن يظهر إنسان طاهراً في يوم الرب العظيم، وينال نصيبه، أي الشركة مع المسيح في المجد، بمجهوده الشخصي، وإنما بعمل المسيح نفسه غاسل نفوسنا من أدناس الخطية.

كثراً ما نعترض على تصورات الرب بسبب عمانا الداخلي، وعدم استيعابنا لحكمته الإلهية وخطته نحونا.

[1344]

❖ لم يدرك السرّ، لذلك رفض الخدمة، إذ ظن أن تواضع الخادم سيُصاب بضررٍ، وذلك إن سمح للرب أن يخدمه .

القديس أمبروسيو

❖ واضح أنه وإن كان قد قال هذا للمعلم بنية صادقة واهرة، لكنه تكلم بما يضر نفسه. الآن الحياة مملوءة بأخطاء من هذا النوع، من أناسٍ يعتقدون بما يظنون أنه الأفضل ولكن في جهالة يتكلمون أو يعملون أموراً تقودهم إلى اتجاه مضاد. [1345]

❖ كما أن بطرس القائل: "لن تغسل رجلي أبدًا" "مُنع من أن يستمر فيمازعه حتى يكون له نصيب مع يسوع، هكذا أنتم يا من تخطئون بحكم متوسع وتعذبون بهذا وذلك في تهوّر يكون الأفضل لكم أن تكفوا عن الاستمرار في وركم الخاطئ وتفعلون هكذا أو ذاك بأكثر تعقل. [1346]

❖ إن لم نفعل هذا (تقديم أقدامنا للسيد المسيح لغسلها) لا يكون لنا نصيب معه، ولا تكون أقدامنا جميلة. هذا على وجه الخصوص أمر مهم، متطلعين إلى أننا غيرون لنوال المواهب الأعظم (١ كو ١٢: ٣١)، وزغب أن ننضم إلى الذين يبشرون بالصالحات. [1347]

❖ أتجاسر فأقول، بما يتناغم مع العبرة: "إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب"، أنه لم يغسل قلمي يهودا، لأنه قد وضع بالفعل في قلبه أن يخون معلمه وربّه. لقد وجدته الشيطان غير مرتدٍ سلاح الله الكامل، وليس له وع الإيمان الذي به يطفئ سهام الشريرة الملتهبة نراً (أف ٦: [1348]

[1348]

العلامة أوريجينوس

"قال له سمعان بطرس:

يا سيد ليس رجلي فقط،

بل أيضًا يدي ورأسِي". [9]

ربما شعر بطرس بالحاجة إلى غسل روحي كامل، لذلك اشتهى لا أن يغسل الرب قدميه بل أن يغسل كل كيانه. وى البعض في طلب بطرس الرسول هنا نوع من التواضع، لكنه أيضًا حمل نوعًا من الكبرياء، إذ لم يقبل فكر المسيح، بل أراد أن يتم فكه هو. أحيانًا نريد أن نقدم لله مشورتنا ليعمل حسب هوانا، حتى وإن كنا نطلب أمورًا روحية بإخلاص.

يقول العلامة أوريجينوس أن بطرس الرسول لم يكن في حاجة إلى غسل يديه، لأن رب المجد يسوع لا يطلب الحرف القائل كغسل الأيدي عندما يأكلون خبزًا (مت ١٥: ٢). كما لم يكن في حاجة إلى غسل رأسه التي لم يود يسوع أن تُغطى بعد إذ استوت عليها صورة الله ومجده (١ كو ١١: ٧). [1349]

❖ كان بطرس الرسول شديد التسوع في استغفائه من غسل رجليه، وأشد تسوعًا من ذلك في طلبه غسل يديه ورأسه، وكلا الأنوان كانا من حبه الخالص للسيد المسيح... لماذا لم يقل له أن يتمثل به بدلاً من تهديده؟ لأنه ما كان لبطرس أن يقتدي به. فلو قال له: "اسمح الآن، فإنني بهذا أحتك على التواضع"، لوعده بطرس ربوات العوات بذلك حتى لا يقوم سيده بهذا العمل. لقد نطق السيد بما رعب بطرس ويخيفه، أن يصير منفصلاً عنه. فإنه هو الذي كان على النوام يسأله: "أين تذهب؟" [٣٦]. كما قال: "إني أضع حياتي من أجلك" [٣٧]. [1350]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال له يسوع:

الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه،

بل هو طاهر كله،

وأنتم طاهرون،

ولكن ليس كلكم". [10]

كان من عادة اليهود أن يستحموا مرتين، لذلك أوضح السيد أن الغسل بمياه المعمودية لا يتم سوى مرة واحدة. أما غسل القدمين فيشير إلى دوع التوبة بكونها معمودية ثانية.

كان إحدى عشر منهم طاهراً مع أنهم في تلك اللحظات الحاسمة تركوا السيد وهرؤوا (مر ١٤: ٥٠). دعاهم أظهراً ولم يعاتبهم على ضعفهم، حتى حين قال: "تتكونني وحدي" لم يكن يهدف إلى عتابهم، إنما أراد أن يؤكد أنه يعالج ما يعاني منه الإنسان من الشعور بالغزلة في لحظات ضيقه، كما صوخ الموتل: "أبي وأمي قد تركاني". ولكن واحداً منهم غير طاهر، لأنه جاء يحمل الخيانة في قلبه. لقد غسل السيد المسيح قدميه وهو يعلم بخيانتته، ليؤكد توفقه بالخطاة واشتياقه نحو تمتعهم بعطاياه.

ليس من أحد - في العهد القديم أو العهد الجديد - بلا خطية أو بلا عيب إلا السيد المسيح، حمل الله الذي بلا عيب (1 بط 1:19)... لهذا يمكننا القول بأن من أراد أن يتمتع بالتطويب لومه أن يحمل سمات سيده القنوس، أي أن يصير مقدساً بالتصاقه بالرب، الذي وحده يقول: "أنتم طاهرون" (يو 10:13)، لأن دمه يطهر من كل دنس (1 يو 7:1)، هو كفلة عن خطايانا (1 يو 2:2).

❖ الإحدى عشر الذين اغتسلوا وصرؤوا طاهرين، صرؤوا أكثر طهرة عندما غسل يسوع أقدامهم، أما يهوذا الذي صار بالفعل نجساً - إذ قيل: من هو

[1351]

نجس فليبتجس بعد (رو ٢٢: ١١) - صار أكثر نجاسة وعدم طهارة عندما دخله الشيطان بعد اللقمة (يو ١٣: ٢٧).

العلامة أوريجينوس

❖ إن كانوا أظهلًا، فلماذا غسل أقدامهم؟ لكي نتعلم أن نكون متواضعين. فإنه لهذا جاء، ليس لأي عضو في الجسد، بل ما يُحسب أكثر احتقارًا عن بقية الأعضاء [1352].

❖ إنه يأتي إلى أعضاء الجسد التي يظن أنها الأكثر كرامة. هل كان التلاميذ أظهلًا الذين لم يكونوا بعد قد خلصوا من خطاياهم، ولا نالوا الروح، حيث لالحت الخطية تسود... ولا قدمت الذبيحة؟ كيف إذن يدعوهم أظهلًا؟ لكي لا تظن أنهم أطهار وقد خلصوا من خطاياهم أضاف: "أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به" (راجع يو 15: 3) بمعنى "بهذه الكيفية أنتم أنقياء؛ لقد قبلتم النور، لقد تخلصتم من خطأ يهوذا" ... هؤلاء قد طربوا كل شر من نفوسهم واصطحبوه بذهنٍ خالصٍ [1353].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "الذي عنده يُعطى ويؤداد" (مت ٢٥: ٢٩). وحيث كان التلاميذ طاهرين أضاف يسوع إلى طهلتهم غسل أقدامهم. إنه لا يود أن يغسل الذين لم يغتسلوا، ولا الذين لم يكونوا طاهرين كلهم. وإنما يتحدث عن الذين هم طاهرين بهذه الطريقة، فإنه إن وُجد بين بني البشر من هو كامل إن لم يتمتع بالغسل الذي من يسوع فلا يحسب طاهرًا... [1354].

❖ لقد غسل أرجلهم لأنهم طاهرون حسبما هم بشر، ولكن ليس حسب الله، فإنه بدون يسوع لا يكون أحد طاهرًا عند الله حتى وإن سبق فظن أنه قد اغتسل باجتهادٍ معين. [1355].

❖ الروح القدس وقوة العلي يمكن أن يقطنا في أولئك الذين قد صلوا بالفعل طاهرين كما عند الناس، وكأنهم ثوب وقد اغتسلوا خلال عماد يسوع، واغتسلت أرجلهم بواسطة. [1356].

❖ إن كان قد جعل أرجل تلاميذه جميلة بغسلها، فماذا نقول عن الجمال الحقيقي الذي يظهر في كل الذين يعتمدون بالروح القدس ونار بواسطة يسوع (مت ٣: ١١)؟ [1357].

❖ الآن صلت أقدام الذين يكرزون بالأخبار الصالحة جميلة، حتى أنهم إذ اغتسلوا وتطهروا ومسحوا بيدي يسوع صلوا قارين على السير في الطريق المقدس، والعبور إلى ذاك القائل: "أنا هو الطريق" (يو ١٤: ٦). فإنه هو وحده، وكل من غُسلت قدمه بيسوع وحل في هذا الطريق الذي هو حي، ويحضر إلى الآب. هذا الطريق لن يضم قدمًا دنسًا وغير طاهر. لهذا خلع موسى نعليه من قدميه حيث كان المكان القادم إليه والذي يقف عليه أرضًا مقدسة (خر ٣: ٥). نفس الأمر بالنسبة ليشوع بن نون (يش ٥: ٥). [1358].

❖ أما بالنسبة لتلاميذ يسوع فلكي يسيروا في الطريق الحي المفعم بالنشاط، لا يفهم أن يكونوا بلا أحذية في رحلتهم كما أمر يسوع تلاميذه (مت ١٠: ١٠)، بل بالحقيقة يؤم أن تغتسل أقدامهم بواسطة يسوع عندما يضع ثيابه جانبًا. ربما من جانبٍ يجعل أقدامهم الطاهرة أكثر طهورًا. ومن الجانب الآخر ربما لكي يحمل الدنس الذي في أقدام تلاميذه في جسده بواسطة المثيرة التي انتر بها وحده (يو ١٣: ٤)، إذ هو وحده يحمل ضعفاتنا (مت ٨: ١٧؛ إش ٥٣: ٤). [1359].

❖ لاحظوا أنه إذ أراد أن يغسل أقدام التلاميذ لم يختار وقتًا آخر سوى عندما دخل الشيطان في قلب يهوذا الاسخريوطي بن سمعان ليسلمه (يو ١٣: ٢) عند تحقيق التدبير (الآلام) من أجل البشر. فإنه قبل هذا لم يكن الوقت مناسبًا لیسوع أن يغسل أقدام التلاميذ، فإن من يود أن يغسل أقدامهم في الفترة الفاصلة حتى وقت الآلام؟ لم يكن الوقت مناسبًا... صار الوقت مناسبًا بعد تحقيق التدبير (الآلام)، فإنها ساعة الروح القدس الذي افتقد التلاميذ الذين صلوا طاهرين وقد غُسلت أقدامهم، ففي ذلك الوقت أعدت أقدامهم وصلرت جميلة لكي تبشر بالصالحات بالروح (رو ١٠: ١٥؛ إش ٥٢: ٥٢).

العلامة أوريجنوس

❖ ماذا تظنون في هذا يا اخوتي؟ إلا أنه في المعمودية المقدسة يغتسل الإنسان بكليته، كل قوة فيه . ومع هذا فإنه إذ يعيش في هذه الحياة البشوية لن يتوقف عن السير على الأرض بقدميه. هكذا فإن مشاعرنا البشوية ذاتها، التي لن تتفصل عن حياتنا المائتة على الأرض، تشبه القدمين اللتين بهما نصير في تلاقٍ ملموس بالأعمال البشرية، وهكذا يمكننا القول أننا إن قلنا أننا بلا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا (١ يو 1 : ٨).

ففي كل يوم ذلك الذي يشفع فينا (رو ٨ : ٣٤) يغسل أقدامنا، فإننا في حاجة إلى غسل يومي لأقدامنا، أي تدبير طريق خطواتنا باستقامة. نعرف ذلك في الصلاة الربانية حيث نقول: "اغفر لنا ما علينا، كما نغفر من عليهم"، وكما هو مكتوب: "إن اعترفنا بخطايانا"، فإنه بالحقيقة ذلك الذي غسل أقدام تلاميذه "هو أمين وعادل أن يغفر لنا خطايانا، ويطهرنا من كل إثم" (١ يو ١ : ٩)، بمعنى يغسل أقدامنا التي نسير بها على الأرض [1361].

❖ الكنيسة وهي في طريقها إلى المسيح قد تكون خائفة من تدنيس قدميها التي غسلتهما في مياه المعمودية [1362].

القديس أغسطينوس

"لأنه عرف مسلمه،

لذلك قال: لستم كلكم طاهرين". [11]

❖ فإن استخوت: إن كان التلاميذ طاهرين فلم غسل السيد المسيح أرجلهم؟ فأجيبك: إنما فعل ذلك ليعلمنا أن نواضع.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فلما كان قد غسل أرجلهم، وأخذ ثيابه واثكأ أيضًا قال لهم:

أتفهمون ما قد صنعت بكم؟" [12]

لقد خلع السيد المسيح ثيابه ليغسل أقدام تلاميذه، وإذ تم مهمته لرداها ثانية واثكأ. وإذ تشير الثياب إلى الجسد، فقد حمل هذا التصوف رمزًا بلادته وقيامته بسلطانه الشخصي.

الآن يحقق السيد المسيح لبطرس الرسول ما وعده به وهو أن يشرح له ما وراء هذا التصوف من معنى. إنه يقدم لهم وصية في شكل سؤال.

❖ قول السيد المسيح لتلاميذه: "أتفهمون ما قد صنعت بكم؟" لا يوجه خطابه هذا إلى بطرس فقط لكنه يخاطب جماعتهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أنتم تدعونني معلمًا وسيدًا،

وحسنًا تقولون،

لأنني أنا كذلك". [13]

هذا اللقب المزوج "معلم وسيد" يقابل "رابي rabbi وسيد lord"، كان شائعًا بين معلمي اليهود المعتمدين.

❖ غسل الجالس على الشاروبيم أرجل تلاميذه، وأنت يا إنسان أرضي، رماد وغبار ورتاب، أتتعالى وتتوقع ترفعا عظيما؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم،

فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض". [14]

❖ [1363] عندما ينحني عند قدمي أخيه، فإن الشعور بالتواضع يستيقظ في القلب أو يتقوى إن كان بالفعل موجودًا.

[1364]

❖

❖

ليغفر كل واحد لأخيه أخطاهه ويصلي من أجل أخطاء الآخر، بهذا يغسل الواحد قدمي الآخر .

القديس أغسطينوس

"لأني أعطيتكم مثالاً،

حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً". [15]

❖ إلا أنه ليس الأمر متشابه، لأنه هو الرب والسيد وأما أنتم فعبيد رفقاء لبعضكم البعض. ماذا إذن يعني "حتى كما" أي بذات الغرة. لهذا فقد قدم أمثلة لأعمال عظيمة لعلنا ننتم ما هو أقل. هكذا يقوم المعلمون في المدرس بكتابة الحروف للأطفال بطريقة جميلة جداً حتى يقلدهم الأطفال وإن كان بطريقة أقل.. أين إذن أولئك الذين ينشون عن زملائهم؟ أين هم أولئك الذين يطلبون كرامات؟ لقد غسل المسيح قدمي الخائن المدنس للمقدسات، اللص، والذي اقترب جداً لوقت الخيانة، حالته لا تُرجى منها الشفاء، ومع ذلك جعله شريكاً معه على المائدة، فهل تتكبرون وتتغامزون؟ يقول قائل: "لنغسل أقدام بعضنا البعض". هل هو أمر عظيم أن نغسل أقدام خدامنا؟ بالنسبة لنا "عبد" و"حر" كلمتان مختلفتان، لكن توجد حقيقة واقعية. فإنه بحسب الطبيعة هو الرب ونحن خدم، ومع ذلك لم يرفض أن يفعل ذلك... لقد جعلنا الله مدينين لبعضنا البعض، إذ قام هو أولاً بالعمل، فجعلنا مدينين بممارسة ما هو أقل [1365].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"الحق الحق أقول لكم

إنه ليس عبد أعظم من سيده،

ولارسل أعظم من مرسله". [16]

❖ لاحظ العلامة أوريجينوس أن هذه العادة الخاصة بغسل أقدام الآخرين سائدة بين البسطاء والسذج، مطالباً المؤمنين بممارستها، سواء كانوا أساقفة أو كهنة أو أصحاب مراكز في العالم. هذا وكما نحن في حاجة إلى غسل أقدام الآخرين يؤمننا أن نقبل غسل رُجُلنا من الآخرين. غسل يسوع أقدام التلاميذ بكونه معلمهم، وأقدام الخدم بكونه سيدهم. فإن زاب الأرض الصادر عن العالم يُنظف بالتعليم، حيث لا يبلغ الأجزاء الدنيا المتطوفة في التلاميذ. لكن الأمور التي تدنس الأقدام توع يويوية (سيادة) الحاكم، إذ له سلطان على الذين لا زالوا يتقبلون دنساً عاماً، إذ هم لا زالون يحملون روح العبودية (رو ٨ : ١٥). [1366]

[1367]

❖ بخصوص المخلص وهو الرب (السيد) يمكن أن ترى فيه أرواً يفوق السادة الآخرين الذين لا وغبون في العبد أن يكون كسيده.

العلامة أوريجينوس

❖ 2:5 ذات الحب الذي للآب هو أيضاً للابن... وأي حب للابن سوى أنه بذل ذاته من أجلنا، وخلصنا بدمه (أف) ... فالآب بذل الابن، والابن بذل ذاته... إنه بذل ذلك الذي يريد ذلك، بذل من قدم ذاته للبذل. فالآب لم يبذل الابن كعقوبة بل كنعمة. [1368]

القديس أمبروسيوس

❖ قال هذا لأنه غسل أقدام التلاميذ بالكلمة والمثال كسيد للتواضع. لكن يمكننا بعونه أن نمرس ما يحتاج إلى ممرسة دقيقة جداً، إن كنا لا نتباطأ فيما هو واضح بكمالٍ [1369].

القديس أغسطينوس

❖ كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح (اكو ١١ : ١). من أجل هذا أخذ جسداً من جبلتنا حتى يعلمنا به الفضيلة. إذ أرسل الله ابنه في شبه جسدنا الخاطيء حتى تُدان الخطية في جسد الخطية (رو ١٨ : ٣). كذلك يقول المسيح نفسه: "تعلموا مني، فإنني وديع ومواضع القلب" (مت ١١ : ٢٩).

هذا علمنا إياه لا بالكلمات وحدها وإنما بالأعمال أيضاً.

لقد دعه ساموياً وبه شيطان ومخادعاً كما ألقوه بالحجارة، وأرسل إليه الفريسيون خداماً ليمسكوه، ومرة أخرى لكي يجروه، وكانوا يشتمونه، وإذ لم يجوا فيه خطأ كان يقدم لهم خبزاً بالكلمات كما بالأعمال...

لنتطلع إلى ما يفعله الآن مع التلاميذ، وأية أعمال يظوها نحو الخائن. لقد اختلزه تلميذاً، وأشركه في المائدة والملح (الذي يمنع الفساد)، ورأى معجزات تستحق كل تقدير، ومع هذا صنع معه أمراً أخطر من كل شيء، ليس وجهه أو سبه وإنما بالخيانة، ومع استحقاقه الكراهية عامله السيد بصدقة وغسل قدميه، إذ أراد بهذا أن يمنعه من الشر.

كان في سلطانه - لو أراد - أن يجعله يابساً كشجرة التين، وأن يشقه إلى نصفين كما تشققت الصخور، وأن يمزقه كما انشق الحجاب، لكنه لم يرد أن يمنعه عن تحقيق خطته قهراً إنما اختيلاً. لذلك غسل قدميه، ومع هذا لم يخجل هذا الشرير البائس [1370].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه". [17]

يتحقق التطويب الحقيقي خلال معرفة الله العملية بالطاعة له. فالإنسان لا يتمتع بالطوبى لأجل معرفته الكثيرة، وإنما خلال تمتعه بشركة الطبيعة الإلهية، حيث تتحول المعرفة إلى خوة عمل.

❖ غسل الأقدام هو من تخصص السيد المسيح الذي يغسل أعماق النفس ويغفر الخطايا. فمن بالحب والتواضع يغفر لمن يخطئ إليه إنما يشترك في إحدى سمات المسيح العظمى، ويحسب متمتعاً بالحياة الجديدة المطوبة في المسيح يسوع. قول السيد: "طوباكم" إنما يكشف عن المجد السموي والحياة السماوية التي نختوها بممرسنتنا لهذا العمل.

العلامة أوريجينوس

❖ "أن تعلموا" (تعرفوا) فهذا يخص الكل، أما "أن تعملوا" فهذا ليس للكل. لهذا يقول: "طوباكم إن عملتموه". ولهذا السبب أقول دوماً وأكرر نفس الشيء مع أنكم تعرفونه، حتى أضعكم في موضع العمل. فإنه حتى اليهود "يعرفون" لكنهم ليسوا مطوبين، لأنهم لا يعملون ما يعرفون [1371].

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. حديثه عن مسلمه

"لست أقول عن جميعكم،

أنا أعلم الذين اخترتهم،

لكن ليتم الكتاب:

الذي يأكل معي الخبز رفع علي عقبه". [18]

يكشف السيد المسيح عن خطة يهوذا في خيانة سيده. يعرفها السيد منذ البداية، لكنه ستر عليه حتى تلك اللحظات عندما بدأ في خطوات عملية جادة، والآن يكشفها لتلاميذه الذين لم يتخيّلوا إمكانية حدوثها بينهم. ويلاحظ هنا في حديثه أنه لم يعمم الخطأ؛ بل يمتدح البقية كزّانٍ طاهرة مخلصه. وفي نفس الوقت لم يورد تفاصيل الجريمة ولا أفصح عن اسم مرتكبها، إنما أكد أن ما يحدث سبق فأعلنه الكتاب المقدس (مز 41: 9).

لم يتحدث السيد المسيح عن دافع يهوذا لهذا العمل، حقاً لقد سبق فعلق الإنجيلي عليه عندما انتقد سكب مريم أخت لعازر الطيب على قدمي السيد: "قال هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء، بل لأنه كان سارقاً، وكان الصندوق عنده، وكان يحمل ما يُلقى فيه" (12: 6). أما في أمر خيانة السيد فقد أورد الإنجيليون الحقائق، وما اتفق عليه من ثمن للخيانة، وكيف رد المبلغ بعد تسليمه في يأسٍ، دون تعليق عن أعماق نوافعه. إنما قام الدارسون فيما

بعد بوضع توقعاتهم وتحليلاتهم بخصوص هذا التصرف، ولم يحاول أي إنجيلي أن يقدم عرضاً كاملاً لنواتج هذا الخائن.

تحدث يوحنا الإنجيلي عن عمل الخيانة مباشرة بعد غسل السيد لأقدام التلاميذ، ليكشف عن شوق الكلمة الإلهي المتجسد للقيام بأقل الأعمال في تواضع حقيقي وبذل من أجل الجميع. حتى وإن وجد من بينهم من يخطط ضده بشراً عظيماً؛ يعمل لحساب الجميع. أما العمل المضاد فملاسه يهوذا بطريقته الخاصة في اعتداده بفكره وتدبره لحساب نفسه وهو لا يوري أنه يدمر نفسه.

يقودنا مسيحنا - الطريق الحقيقي - لندخل فيه ونعمل بروح الخضوع والتواضع في حب صادق مع وجود من يقيمنا ومن يطلب تدمونا.

أخوياً يؤكد السيد أنه يعلم الذين اختلهم، ولم يجهل شخصية يهوذا حين اختلّه، لكن كل الأمور تسير بسماع منه، فليس شر يهوذا هو سيد الموقف بل حب المسيح هو السيد، الذي يحول من الشر جزءاً لتنظيم خطته الإلهية لخلص البشر. هذا يهبنا طمأنينة كاملة، أنه يوجد محب البشر، ضابط الكل يحول كل الأحداث لحسابنا، حتى مقومة الأثوار لنا.

❖ ربما إذ يعوف الرب الذين هم له (٢ تي ٢: ١٩؛ عد ١٦: ٥)، لا يعوف الذين ليسوا له. وكما يقول عن البعض: "إني لم أعرفكم قط" (مت ٧: ٢٣)، لهذا يقول أيضاً عن يهوذا الذي ليس له: "إني لا أعرفك قط". لكن لو أن يهوذا كان للمسيح ثم سقط، كان يُمكن أن يُقال له: "لست أعرف من أين أنت" (راجع لو ١٣: ٢٧)... لهذا السبب لم يقل: "أنا أعلم جميعكم"، بل "أنا أعلم الذين اختلهم". [1372]

❖ رفع يهوذا عقبه ضد المعلم عندما دخله الشيطان بعد اللقمة [٢٧]. [1373]

العلامة أوريجينوس

❖ لم يقل السيد المسيح: "من يأكل الخبز معي يسلمني"، لكنه قال: "الذي يأكل معي الخبز رفع على عقبه"، "مويداً أن يبين طبيعة اغتياله الغاشية المستورة".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أقول لكم الآن قبل أن يكون،

حتى متى كان تؤمنون إني أنا هو". [19]

إنه يؤكد للتلاميذ حضوره في كل مكان، وعلمه بكل شيء، فإذا يخوهم مقدماً عن موته والظروف المحيطة به يؤمنون بالأكثر أنه المسيا، ينمو إيمانهم به بكونه الإله العارف بكل شيء، ومخلص العالم الذي ترقبه الآباء والأنبياء.

❖ في الواقع اقترب الرسل مرة نحو الرب وقالوا له: "يارب زد إيماننا" (راجع لو ١٧: ٥). لم يدينوا أنفسهم كمن هم غير مؤمنين، فإن كلمة "زد" تظهر أنه كان لهم الإيمان الذي يُمكن زيادته... ويمكن فهم الكلمة "تؤمنون" [١٩] بما يعادل: "لكي توداوا في الإيمان". [1374]

العلامة أوريجينوس

"الحق أقول لكم الذي يقبل من أرسله يقبلني،

والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني". [20]

يؤكد السيد لتلاميذه أنه مع وجود جاحدين وخائنين له يوجد أيضاً مؤمنون يقبلونه، ويحسبون أنهم قبلوا الآب أيضاً.

❖ ما علاقة هذا بما قيل قبلاً: "طوباكم إن عملتموه" [١٧] حتى يضيف: "إنه يقبلكم"؟ إنه توجد علاقة قوية وتناغم قوي، فإنهم لما توقعوا أن يخرجوا إلى العالم، وأن يقاسوا شداً كثرة، غاهاهم بأسلوبين من الغواء، الأول أوضح لهم إذ قال: "إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه" [17]. والثاني بقوله: "الذي يقبل من أرسله يقبلني"، لأنه فتح لهم بيوت جميع الذين جاؤا عندهم حتى ينالوا توية مضاعفة. [1375]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖

من يقبل من أرسله يسوع إنما يقبل يسوع الذي أرسله، ومن يقبل يسوع يقبل الآب. لذلك فمن يقبل من أرسله يسوع إنما يقبل الآب الذي أرسل

[1376]

يسوع.

❖ يمكن أيضاً على أساس هذه الكلمات أن نقبل ما هو مضاد. فمن يقبل من يرسلهم ابن الهلاك إنما يقبل ضد المسيح، ومن يقبل ابن الهلاك إذ هو يقبل ضد المسيح بكونه الكلمة التي تبدو كأنها صادقة وباطلاً تعلن أنها العدل، إنما يقبل ابن الهلاك نفسه. لنحذر إذن كصوافين صالحين، فنصدق على خدمة الرسل الحقيقيين، ونرفض خدمة الرسل الكذبة. [1377]

العلامة أوريجينوس

لاحظ العلامة أوريجينوس أن السيد المسيح قال: "من يقبلكم رسله، ولكن لا يطلب منا أن نؤمن بهم أيضاً" [1378].

" لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح،

وشهد وقال:

الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني". [21]

اعتاد السيد المسيح أن يتحدث عن آلامه وموته دون أن يضطرب، لكنه إذ يشير إلى خيانة تلميذه قيل: " اضطرب بالروح"، فإن خطايا المؤمنين تخزن قلب السيد المسيح الأوي. وكما تكلم الرب قديماً وقال: "زبيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا عليّ" (إش ١ : ٢). كما قيل: "في ضيقهم تضايقت... لكنهم تعربوا وأحزنوا روح قدسه" (إش ٦٣ : ٩، ١٠).

اضطرب يسوع "في الروح in spirit" [٢١]، إي في روحه البشرية، إذ صار بالحق إنساناً كاملاً، روحه تضطرب من أجل خيانة تلميذه له. ليس اضطراب الخوف من الموت أو عن جهل لما سيحدث، إنما اضطراب من أجل التلميذ الذي يتجاسر فيخون سيده وربيه.

❖ الذي يخونني ليس غريباً عن تلاميذي، وهو ليس واحد من تلاميذ كثيرين، بل واحد من الرسل الذين نالوا كرامة اختيل لي لهم. يوجد كثيرون دانوا المسيح قائلين: "أصلبه، أصلبه" (لو ٢٣ : ٢١) ... أما خيانتته فهي عمل واحد قدرأه وتعرّف عليه. فإذا تعرّف عليه كمعلم يقدم تعاليم كثرة وعظيمة، سمعها في جلسات خاصة مع الرسل، وإذ عرفه أنه الرب، فعندما خانه خان عظمتته التي يعرفها، الأمر الذي لا يقدر من ير عظمتته أن يملسه...

عندما تعلم كم هو عظيم، وصار مستمعاً لعظمة الكلمة والعقل والنعمة التي فيه، عندئذ خانه، خان عظمتته بقدر ما تعرف عليها. لهذا السبب كان خير له لو لم يولد (مت ٢٦ : ٢٤؛ مر ١٤ : ٢١)، سواء كان الميلاد يفهم على أنه التجديد (الميلاد الثاني) كما يفهمه الإنسان بمفهوم عميق، أو الميلاد بالمفهوم العام. [1379]

❖ لو أن شر يهوذا كان واضحاً لتلاميذ يسوع لعرفوا من الذي يخون المعلم عندما قال: " إن واحداً منكم سيسلمني"، لكن تطلع التلاميذ "بعضهم إلى بعض وهم محتارون في من قال عنه" [٢٢].

بالحقيقة ربما خجل الرسل من أن يتشكروا بالشر في يهوذا من أجل أعماله السابقة النبيلة. ربما لم يكن يهوذا منتمياً بالكامل للشر، حتى بعد أن دخل الشيطان في قلبه... إذ وجدت فيه بقية من الاختيار الصالح.

عندما رأى يسوع يُدان، عندما قيّوه وسلموه للحاكم بيلاطس (مت ٢٧ : ٢) (ندم ورد الثلاثين من الفضة لرئيس الكهنة والشيوخ قائلًا: أخطأت إذ سلمت دمًا بريئاً" (مت ٢٧ : ٤) ... يهوذا الذي أحب المال ألقى بالمال ومضى وشنق نفسه (مت ٢٧ : ٥). لم ينتظر حتى لوى نهاية دينونة يسوع أمام بيلاطس.

العلامة أوريجينوس

لقد شهد الموتل أنه لم يكن يهوذا يحمل عدوة ضد المسيح (مز ٥٥: ١٣)، بل وحتى بعد تسليمه للمخلص مدح المعلم قائلاً أنه أخطأ إذ سلم دماً بريئاً، معترفاً بذلك أمام رؤساء الكهنة والشيوخ، بجانب إلقائه بالمال على الأرض نون الاستمتاع به. كل هذه اللزمات الجميلة تكشف أنه كان يمكنه أن يقدم توبة مقرباً نحو المخلص، لكنه للأسف فتح قلبه للشيطان للمرة الثانية لينتحر فاقداً الرجاء في الله مخلص البشرية.

يتساءل القديس أغسطينوس لماذا اضطرب يسوع بالروح وقال: "الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني"؟ هل لم يعرف هذا من قبل حتى يضطرب بالروح؟ ألم يقل منذ قليل: "الذي يأكل معي الخبز رفع على عقبه" [١٥]؟ أم هل اضطرب بالروح لأنه حان وقت التنفيذ للخيانة عملياً؟ اضطرب بالروح ذلك الذي له سلطان أن يضع نفسه وأن يأخذها (يو ١٠: ١٨). لقد اضطرب ذلك القوي القدير، الثابت كالصخر، لكن ما اضطرب هو ضعف طبيعتنا التي قبلها برادته فيه.

يكمل القديس قائلاً: [بالتأكيد الأمر هكذا: ليت العبيد لا يعتقدون بشيء غير لائق بربهم، بل يدركون عضويتهم في رأسهم. الذي مات لأجلنا هو أيضاً اضطرب، لأنه احتل موضعنا. ذلك الذي مات في قوة، اضطرب وسط قوته. ذلك الذي سيحول جسد قواضعنا إلى شبه شكل جسد مجده قد حول أيضاً في نفسه مشاعر ضعفنا وتعاطفه معنا إلى مشاعر نفسه. تبعاً لهذا حين اضطرب ذلك العظيم والشجاع والواسخ الذي لا يقهر، لا نخف عليه كمن يمكن أن يسقط، إنه لا يهلك بل يبحث عنا!... ففي اضطرابه زى أنفسنا، وهكذا إذ يلحق الاضطراب بنا لن نياس ولا نهلك. باضطراب ذلك الذي ما كان يمكن أن يضطرب بغير رادته يهبناراحة نحن الذين نضطرب بغير رادتنا]. [1380]

[1381]

❖ إذ بقوته أخذ كمال ناسوتنا، بذات القوة أيقظ في نفسه المشاعر البشرية عندما حكم عليها بطريقة لائقة.

القديس أغسطينوس

يقول القديس أغسطينوس أن بقوله: "إن واحداً منكم" [٢١] لم يقصد وحدثهم حسب الروح بل حسب الجسد، لأنه لم يكن بالحقيقة منهم، وكما يقول القديس يوحنا: "منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا" (١ يو ٢: ١٩) [1382].

"فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض،

وهم محتارون

في من قال عنه". [22]

واضح أن تصوفات يهوذا لم تحمل أدنى نوع من الشكوك، إذ لم يشك أحد قط فيه.

إذ سمعوا هذا التحذير، وهم يعلمون أن معلمهم لن يخدعهم، ولا ينطق بفكاهة تطلع كل واحد نحو الآخر، وكانوا يتساءلون في صمت: وُي من يكون هذا؟ نظراتهم كشفت عن اضطرابهم الداخلي.

عندما بكى داود ابنه المتمد بكى كل تابعيه (٢ صم ١٥: ٣٠)، وهكذا إذ اضطرب يسوع حزناً على مسلمه اضطرب معه تلاميذه. اضطراب

روح واهب السلام والفوح ملاًهم رعباً. تحول العيد من الفوح إلى اضطراب رعب.

"وكان متكئاً في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه". [23]

كان اليهود في ذلك الحين عند العشاء يجلسون بميل وهم متكئون على فروعهم الأيسر فوق وسادة حول المائدة، كما كان اليونانيون والرومانيون يفعلون. على كل وسادة يتكئ آخر على ذات الوسادة. فكان يوحنا بسبب دالته يجلس بجوار السيد وتكون رأسه في حضن سيده.

"فأومأ إليه سمعان بطرس

أن يسأل من عسى أن يكون الذي قال عنه". [24]

كان القديس يوحنا هو أنسب شخص يمكن أن يسأل السيد المسيح، إذ كانت له دالة خاصة، وقد جلس بجوار سيده واتكأ في حضنه. كان بطرس

في غيرته يود أن يعترف التلميذ مسلم سيده، لكنه لم يتجاسر أن يسأله بل أوماً إلى يوحنا ليسأله.

❖ شوه بطوس الرسول في كل موضع ناهضاً من زيادة شوقه للسيد المسيح، إلا أنه يظهر هنا مواتعاً، فلم يصمت ولم يتكلم، لكنه أراد أن يعترف ذلك بواسطة يوحنا الرسول.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فاتكا ذاك على صدر يسوع وقال له:

يا سيد من هو؟" [25]

مع الدالة الشديدة التي ليوحنا حتى اتكأ في حضن يسوع لكنه يتكلم بكل وقار: "يا سيد". دالتنا على مخلصنا لا تتوع عنا حديثنا معه بكل احترام ووقار.

كان القديس يوحنا متكئاً في حضن يسوع [٢٣]، وإذ أراد أن يسأله عن سيسلمه لرتفع رأسه ليتكى على صدر يسوع، ووى العلامة أوريجينوس أن العمل أعظم وأسمى من الاتكاء في الحضن [1383].
❖ أعطاهم معلمهم دالة هذه مقلدها، فإن ابتغيت أن تعرف علة ذلك فمن الحب كان فعله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن يوحنا الحبيب الذي اتكأ على صدر الرب أحب ثديي الكلمة (يو 25:13)؛ وإذ وضع قلبه بوقب منبع الحياة تمتع بامتصاص الأبرار الخفية التي في قلب الرب كما يمتص الإسفنج.

يعطينا يوحنا الثدي الغنى بالكلمة، فتمتلئ من الصلاح الذي أخذه يوحنا من منبع الصلاح، معلناً عن الكلمة الأبدي. لذلك يحق لنا الآن أن نقول: "تذكر حبك أكثر من الخمر" إذا ما صونا كالعذرى، ولم نعد أطفالاً في أذهاننا تحت نير نوع من التفاهة الطفولية، وإذ لم نتدنس بعد بالخطية فنندو من الموت في كهولتنا. لذلك دعنا نحب فيض التعليم الإلهي لأنهم "بالحق يحيونك" (نش 4:1). هذا هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه، والمسيح هو الحق. ينسب النص هنا للمسيح اسماً أكثر جمالاً وملاءمة للرب أفضل من داود النبي الذي قال: "أن الرب مستقيم" (مز 9:15). يسمى الرب بالحق في هذا النص. لأنه يجعل الموج مستقيماً. ليصير كل الموج مستقيماً والواقيب سهلاً (إش 4:40) (بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد دائماً أبدياً. أمين [1384].

القديس غريغوريوس النيسي

❖ هؤلاء الذين كانوا يهوداً بالميلاد لم يستطيعوا بالإنجيل أن يستروا البتولية التي فقوها في اليهودية. ومع ذلك فإن يوحنا، واحداً من التلاميذ، يُروي عنه أنه كان أصغر الوسل، وكان بولاً عندما تقبل المسيحية، بقي بولاً، وعلى هذا الأساس كان محبوباً بالأكثر من ربنا، واتكأ على صدر يسوع. وما لم يجسر بطوس، الذي كان له زوجة، أن يسأله [25] طلب من يوحنا أن يسأله. وبعد القيامة عندما اخبرتهما مريم المجدلية أن الرب قام (يو 4:20) جرى الاثنان نحو القبر، ولكن يوحنا سبق بطوس، وعندما كانا يتصيدا في السفينة ببحيرة جنيسلرت وقف يسوع على الشاطئ ولم يعرف الوسل من هو الذي يروونه (يو 7:21)؛ البتول وحده عرف البتول، وقال لبطوس: "هو الرب" [1385].

القديس جيروم

"أجاب يسوع:

هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه،

فغمس اللقمة، وأعطاهم ليهوذا سمعان الإسخربوطي". [26]

ظن التلاميذ أنه إذ غمس السيد القمة وأعطاهم ليهوذا إنما لكي يستعجله في تنفيذ أمر ما ولا ينتظر حتى يتعشى معهم.

كما همس يوحنا في أذني السيد هكذا أجابه همسًا، حتى لا يسمع بقية التلاميذ. وعض ذكر اسمه اكتفى بتقديم علامة، حتى تترك الأجيال القادمة أن الله يود أن نتعرف على مفاهيمي الحق، لا بذكر أسمائهم، وإنما خلال ثملهم الثروة وروحهم.

يبدو أن يهوذا في خجل لم يتجاسر ويغمس اللقمة ويأكل من ذات الصلحة التي يأكل منها السيد المسيح وتلاميذه، لكن غمس السيد اللقمة وأعطاه ليمد يده ويأكل مع التلاميذ، إذ يود السيد أن يتذكر سمو موكه ومسواته للتلاميذ.

واضح من تصوف السيد مع يهوذا أن الأخير كان يجلس بالقلب منه، ربما لأنه كان أمين الصنوق، فكان التلاميذ يتركون له موضعًا قريبًا، حتى إن احتاج السيد إلى شيء للخدمة يكون يهوذا قريبًا منه.

حقًا كثيرون يقتربون من السيد المسيح حسب الجسد بل ويزحمونه أينما ذهب، لكن قلوبهم بعيدة عنه جدًا. وآخرون يبدون كمن هم بعيدين عنه وهم يحملونه في قلوبهم وأفكلهم، ويحملهم السيد فيه كأعضاء في جسده المقدس.

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن السيد المسيح استخدم مع يهوذا كل وسيلة لعله يتدع عما يفعله، فقد عُرف حتى بين القبائل المتوورة أنهم لا يخونون من يأكلون معهم من طعام واحد. لذلك جعل الرب العلامة التي يُعرف بها الخائن هي أن يغمس السيد نفسه اللقمة ويعطيه ليأكل من ذات الطعام، ومع ذلك خان من قدم له الطعام.

❖ حتى طريقة توبيخه حُسبت بطريقة تجعله في حُوي. إذ لم يحترم المائدة التي اشترك فيها بأكل الخبز، لكن ألم تقدر أخذ اللقمة من يد (السيد) أن تغلبه؟ إنها لم تغلبه! [1386]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ما ناله كان حسنًا، ولكن ناله لضرره، لأنه يروح شوير قبل ما هو صالح.

❖ الأمر الهام ليس ما هو الذي يُعطى بل من هو الشخص الذي يتقبل العطية، ليس طبيعة الشيء المُعطاة بل طبيعة ذاك الذي ينالها. فإنه حتى الأمور الصالحة ضلّة، والأمور الثروة نافعة حسب شخصية من يتقبلها... لماذا أُعطى الخبز للخائن، إلا ليكون شهادة عن النعمة التي استخدمها بوجوده؟ [1388]

القديس أغسطينوس

فبعد اللقمة دخله الشيطان،

فقال له يسوع:

ما أنت تعمله فأعمله بأكثر سرعة". [27]

دخل الشيطان يهوذا لأنه سلم نفسه بالكامل له، ملك عليه بالأكثر بكونه ابن الهلاك الذي لم يفكر قط في التوبة والروح عما يخطئه ضد سيده. يقول الرسول بولس عن الشيطان أنه "يعمل الآن في أبناء المعصية" (أف ٢: ٢)، لكنه أحيانًا يدخل بأكثر وضوح وقوة عندما يسلمون أنفسهم بالكامل تحت سلطانه.

بعد اللقمة التي أعطاهها السيد المسيح له دخله الشيطان، فإن كانت اللقمة تشير إلى حنو المسيح وعطاياه، فإن من يستهين بعطاياه ويسيء استخدام حنو الله يفتح الطريق للعدو كي يدخل ويملك.

بقوله: " ما أنت تعمله فأعمله بأكثر سرعة" [٢٧] لم ينل نصيحة من الرب بل سماحًا ليتم ما يريد. لقد زع الرب عنه كل نعمة، لأنه مصمم على تسليم ذاته للخيانة والشر. وكأنه يقول له: "أنت مصمم على الخيانة، لم تفتح بابًا للتوبة والروح إليّ. اذهب افعل ما تشاء، فأنا لا أخشى الموت بل مستعد له".

كان يهوذا قد وضع مع الأشرار خطة زمنٍ دقيق لتسليم السيد، وقد اقتربت اللحظات التي يتم فيها خطته، ولعله كان لا يعرف كيف يعتذر من

❖ لم يجعل السيد المسيح ما سيفعله يهوذا ظاهراً، لأنه لو علم تلاميذه بذلك لعلمهم كانوا قد غزوه، ولعل بطرس كان قد قتله، فلهذا السبب لم يعرف السيد المسيح أحداً من المتكئين ولا يوحنا الرسول عنه... ولم يشأ السيد المسيح أن يشهر بيهوذا إلى اليوم الأخير من الأيام التي لبث فيها معه، وهذا ما يجب علينا أن نعمله، فلا نشهر بخطايا الموجودين معنا، ولو كان حالهم حال من قد خاب من الشفاء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأن قوماً، إذ كان الصندوق مع يهوذا، ظنوا أن يسوع قال له:

اشتر ما نحتاج إليه للعيد،

أو أن يعطي شيئاً للفقراء". [29]

ظن التلاميذ أن السيد قال له: "اشتر ما نحتاج إليه للعيد" [29]. واضح أن ذلك حدث في الليلة السابقة للفصح، لأن التلاميذ يعلمون تماماً أنه لا يوجد شواء أو بيع في يوم عيد الفصح. ربما ظنوا أنه يشترى حملاً ليُقدم في يوم عيد الفصح، أي في اليوم التالي.

واضح أن همسات السيد المسيح ليوحنا لم يسمعها أحد، لذا لم يشك أحد قط في يهوذا، بل ظنوا أنه يقدم خبواً في العيد. حقاً عاش السيد المسيح كفقير، لكنه كان يقدم للفقراء من القليل الذي معه في الصندوق. وكأنه يُزِم حتى الذين يعيشون على الصدقة أن يقدموا منها صدقة للغير.

❖ إن سأل سائل: إن كان قد أشار إلى تلاميذه قائلاً: "لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ولا منوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا لأن الفاعل مستحق طعامه" (مت 10: 9، 10) كيف حمل يهوذا صندوقاً؟ أجابناه: لخدمة الفقراء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً". [30]

خرج من بيت عنيا إلى أورشليم وهي على بعد حوالي ميلين. أسوع يهوذا بالخروج ليحقق خطته ليلاً وسط ظلمة قلبه، في وسط الجو البارد والظلام خرج لكي لا يراه أحد وهو يملس شوّه الذي كان أكثر من الليل الدامس.

❖ [1396] وأنا أسأل البشير: لم تذكر لي الوقت؟! فسجيني: لتعرف قسوة قلبه، إذ أنه ولا الوقت أمسكه عن فعله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بالحقيقة "خرج"، إذ لم يخرج فقط من البيت الذي أُقيم فيه العشاء، وذلك حسب المعنى البسيط، إنما خرج أيضاً من يسوع بالمعنى النهائي. أظن أنه إذ دخل إبليس يهوذا بعد اللقمة لم يحتفل أن يكون في ذات الموضع مع يسوع إذ ليس اتفاق بين المسيح وبليلع (٢ كو ٦: ١٥). [1397]

❖ (اللقمة) بالنسبة للآخرين كانت لخلاصهم، أما ليهوذا فكانت للدينونة (١ كو ١١: ٢٧-٢٩)، لأن الشيطان دخله بعد اللقمة... إنها كما قلت كمثال، أن الخبز الذي ينعش تماماً بالمعنى الجسماني، يزيد متاعب الحمى، وفي نفس الوقت يخزن للشخص صحة وحيوية. [1398]

❖ يليق بنا القول بأن نفهم الليل في ذلك الحين رمزياً، بكونه صورة الليل الذي خيم على نفس يهوذا عندما دخله الشيطان، الظلمة التي تخيم على وجه الغمر (تك ١: ٢). إذ دعا الله الظلمة ليلاً (تك ١: ٥). هذا الليل الذي يقول عنه بولس أننا لسنا أبناء له، ولا للظلمة، فإننا يا اخوة "لسنا من ليل ولا

من ظلمة" (١ تس ٥: ٤-٥) بل ليتنا نحن الذين من النهار نصحو (راجع ١ تس ٥: ٥). [1399]

العلامة أوريجينوس

❖ تحدثت النهار مع النهار، بمعنى أن المسيح فعل هذا مع تلاميذه المخلصين لكي ما يسموه ويحويه كأبناء له. وأظهر الليل معرفة الليل (مز ١٩: ٢) بمعنى أن يهوذا فعل هذا مع اليهود غير المؤمنين لكي ما يأتوا كمضطهدين ويجعلوا من (المسيح) سجيناً. [1400]

القديس أغسطينوس

3. مجد ابن الإنسان

" فلما خرج قال يسوع:

الآن تمجد ابن الإنسان،

وتمجد الله فيه". [31]

حتى هذه اللحظات لم يكن ممكناً للتلاميذ أن يدركوا ما يدور حولهم، ولا أن يفهموا كلمات السيد المسيح عن صلبه وموته وقيامته، إنما حل بهم نوع من الاضطراب من جهة أحداث تبدو مجهولة بالنسبة لهم.

وسط هذا الاضطراب يعلن الإنجيلي أنه بخروج يهوذا لتتيمم الخيانة تمجد ابن الإنسان، وتمجد الآب أيضاً، كيف؟

وَأولاً : إذ خرج العنصر الفاسد من وسط الكنيسة المجاهدة تمجد السيد المسيح واهب البرّ لشعبه. ما كان للفساد أن يبقى على النوام وسط الكنيسة، إذ يحكم على نفسه باعتزال كنيسة المسيح الحقيقية.

ثانياً : بخروج يهوذا سنحت الفرصة للتلاميذ الأطهار أن يسموا الأحاديث الوداعية الطويلة لمخلصهم، والتي قدمها لهم لمساندتهم، ليس فقط خلال أحداث الصلب، بل لتهدئ تغريات إلهية للكنيسة المقدسة عبر كل الأجيال إلى حين مجيئه على السحاب. بخروج الفاسد المصمم على فساده، سنحت الفرصة لبروا السيد المسيح رئيس الكهنة الأعظم السموي وهو يحدث الآب عن أسرار المجد الإلهي، وعن مساندة الكنيسة حتى تتمتع بشوكة المجد.

ثالثاً : تمجد ابن الإنسان، لأن الآب اختلزه مخلصاً للعالم، والآن يتحقق مجده بالأكثر إذ بدأ الموكب يتحرك للقبض عليه، وتسليمه للمحاكمة، والموت على الصليب. هذا هو مجد محبته الإلهية الفائقة.

يؤكد السيد لتلاميذه أن الأحداث القادمة موحية للغاية، إذ لا يمكن فصل نور الآب عن نور الابن في تحقيق خلاص العالم. إنها محبة الآب هي التي قدمت لنا الصليب (٣: ١٦؛ رو ٥: ٨). إنه الآب الذي في المسيح هو الذي صالح العالم معه (٢ كو ٥: ١٩). إنه الآب الذي بلرنا في المسيح، إذ اختلرنا قبل تأسيس العالم (أف ١: ٣-٤).

❖ بهذا القول أنهض السيد المسيح أفكار تلاميذه بعد سقوطها، وحقق لهم ليس فقط ألا يكتنوا، بل أن يفجوا.

❖ تكتب هذه الأمور حتى لا نحمل حقداً على من يضروننا، بل ننتموهم ونبكي عليهم. فإن البكاء يليق لا على المتألمين بل على المخطئين. فالإنسان الجشع، والذي يتهم آخر باطلاً، والذي يملس شراً، هؤلاء يسبون لأنفسهم ضرراً أعظم، ويسبون لنا خوفاً أفضل، إن كنا لا ننتقم لأنفسنا. كمثل ذلك لو أن إنساناً سلبك، فهل تشكر الله على ما أصابك وتمجده؟ بشرك تفتتت روبات المكافات، بينما يجمع هو لنفسه نواً لا يُنطق بها [1401].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذا هو السبب الذي لأجله يقول: "الآن تمجد ابن الإنسان" [٣١]، وذلك في وقت بدء تحقيق التدبير (الآلام) حيث يموت يسوع، وذلك عندما خرج يهوذا بعد اللقمة يتم عمله ضد يسوع. وإذا لم يكن ممكناً لیسوع أن يتمجد إن كان الآب لا يتمجد فيه، قيل: "تمجد الله فيه". [1402]

❖ تحقق المجد نتيجة لموت "ابن الإنسان" عن البشر، الذي لا يخص الكلمة الابن الوحيد الذي بطبيعته لا يموت، ولا للحكمة والحق، ولا إلى أي لقب آخر يخص سمات يسوع اللاهوتية، بل يخص الإنسان، الذي هو أيضاً "ابن الإنسان" المولود من نسل داود حسب الجسد (رو ١: ٣). [1403]

العلامة أوريجينوس

❖ ماذا قال النهار عندما ذهب الليل؟

ماذا قال المخلص عندما رحل البائع؟

"الآن تمجد ابن الإنسان" [٣١]...

أليس ليظهر أن تواضعه العميق قد اقترب، والقيود والحكم والإدانة والسخرية والصلب والموت قد صاروا على وشك الحدوث؟

هل هذا تمجيد أم تحقير؟

عندما صنع عجائب ألم يقل يوحنا عنه: "لم يكن الروح قد أُعطي، لأن يسوع لم يكن قد تمجد بعد" (يو ٧: ٣٩)؟

وعندما أقام الميت لم يكن بعد قد تمجد، فهل يتمجد الآب وهو يقترب بشخصه إلى الموت؟

إنه لم يتمجد حينما عمل كإله، فهل يتمجد وهو في طريقه للآلام كإنسان؟...

"الآن تمجد ابن الإنسان" [٣١]، مشوًا إلى الاعتراف الكامل لرئيس الخطة (يهوذا) عن أصحابه، فيبقى حول (المسيح) قديسوه. **إننا نحن ظل**

مجده، الذي سيتحقق حين ينفصل الأشرار تمامًا، ويقطن (المسيح) مع قديسيه في الأبدية [1404].

❖ "الآن تمجد ابن الإنسان" [٣١]، ربما تشير كلمة "الآن" لا إلى الآلام الوشيكة الحدوث، بل إلى ما يتبعها مباشرة من قيامته، كما لو كان الأمر قد تم

فعلًا [1405].

القديس أغسطينوس

"إن كان الله قد تمجد فيه،

فإن الله سيمجده في ذاته،

ويمجده سريعًا". [32]

لقد تمجد السيد المسيح سريعًا عندما ألقى القبض عليه، إذ سقط الجمع أمامه بكلمة من فمه، ولم يقدروا أن يقبضوا عليه إلا بتسليم نفسه لهم (يو ١٨: ٦). مجَّده الآب في آلامه وصلبه حيث شهدت الطبيعة نفسها أنه ابن الله، وآمن قائد المائة، كما آمن اللص الذي تلامس مع محبة المصلوب.

لكن ما هو أعظم فهو تمجيد ابن الإنسان بموته عن البشرية. ويتمجده أعلن حب الآب الذي بذل ابنه الوحيد عن العالم، فتمجد الله في ابنه. وإذ تمجد الآب بموت الابن أعلن عن مجد ابنه بالقيامة من الأموات، فتمجد في ذاته كصاحب سلطان، وأن هذا المجد يتحقق سريعًا بقيامته حتى يظهر كمال مجده حين زاه وجهًا لوجه، خاصة في يوم الرب العظيم القادم أيضًا سريعًا.

ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع، فلم يقدر موسى أن يدخلها بسبب السحاب الذي غطاها (خر ٤٠: ٣٤-٣٥). أيضًا عندما خرج الكهنة من الهيكل لم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة، إذ ملأ مجد الرب البيت (امل ٨: ١٠-١١). وأيضًا عندما تزلزل الجبل ومعه لوحا الشريعة في يديه لم يدرك أن جلده كان يلعب بالمجد، فلم يقدر هرون وكل بني إسرائيل أن يفتقروا إليه (خر ٣٤: ٢٩-٣٠). وفي التجلي انعكس مجد الرب يسوع على ثيابه التي صلت بيضاء كالنور (لو ٩: ٢٩-٣١).

في العهد القديم ظهر مجد الرب خلال السحابة أو بهاء وجه موسى، وفي العهد الجديد أثناء خدمة السيد المسيح ظهر مجده في تجليه، إذ انكشف بهاء وجهه، فكان مشرقًا كالشمس، وانعكس هذا المجد على ثيابه. أما وقد عُلق على الصليب، فقد ظهر مجد الآب والابن بالتعريف عليهما. لذا روى العلامة أوريجينوس أن المجد هنا هو "المعرفة" التي لا يعرفها سوى الآب والابن ومن يريد الابن أن يعلنها له (مت ١١: ٢٧)، المعرفة التي لا يعلنها لحم ودم بل الآب السموي (مت ١٦: ١٧).

في هذه العبارة قدم لنا السيد أربع حقائق هامة:

1. يتمجد ابن الإنسان بالصليب كغالب لقوات الظلمة، ومحقق الخطة الإلهية من جهة الإنسان.

2. يتمجد الآب بالصليب، معلنًا حبه الإلهي نحو البشرية.

3. يمجده الآب ابنه بالقيامة وصعود الابن، حاملاً كنيسته فيه إلى السماء.

4. قد حان الوقت لتحقيق المجد سريعًا بلا تباطؤ.

❖ ماذا يعنى: "الله سيمجده في ذاته" ؟ إنه سيمجده بذاته وليس بوسيلة أخرى. "ويمجده سريعاً، أي في صلبه، لأن "حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين، من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشقق، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين" (مت 27: 51، 52) فهذا هو معنى "فإن الله سيمجده في ذاته". ما يقوله هو أنه ليس بعد زمن طويل، ولا ينتظر إلى وقت القيامة، ولا سيظهره باهراً، وإنما سريعاً على الصليب نفسه يظهر بهلوه [1406].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"يا ولادي أنا معكم زماناً قليلاً بعد،

ستطلبونني، وكما قلت لليهود:

حيث أذهب أنا لا تقدر أنتم أن تأقوا،

أقول لكم أنتم الآن". [33]

"يا ولادي"، أو "ولادي الصغار" أو "المحبوبون" *Teknia*، وهو تعبير يحمل حنوًا عظيمًا وعاطفة قوية، كحنو الأم نحو رضيعها المحبوب لديها جدًا.

الآن قد خرج يهوذا فتحدث السيد بحنو فائض نحو تلاميذه كأبناء محبوبين لديه.

أزمان القليل هنا ربما ساعات قليلة للغاية بعدها يتشتت التلاميذ، تركين السيد المسيح وحده في المحاكمة، إذ لا يقدر أن يذهبوا حيث هو تحت المحاكمة. فالصليب يعني عزلة السيد المسيح عن أعدائه كما عن أحبائه، إذ لا يقدر أحد أن يعبر معه الطريق، وكما سمعه إشعياء النبي يقول: "قد دُست المعصوة وحدي، ومن الشعوب لم يكن معي أحد" (إش 63: 3). تركه يهوذا ومعه الأشرار المصممون على شرمهم ليروا آثار الصليب يوم لقائهم معه، فيطلبون من الجبال أن تسقط عليهم والتلال أن تغطيهم من وجه الجالس على العرش. وفي طريق الصليب تركه الأعباء، إذ لا يستطيع أحد غره أن يساهم في ذبيحة الصليب، لكنه إذ يقوم يُصليون معه ليلمحوا أيضًا معه. يجنون في آلامه مجداً وكرامة، فيحسون آلامهم هبة إلهية لا يستحقونها، ومتعة للوجود الدائم مع المصلوب الغالب!

❖ قال السيد المسيح هذه الأقوال لليهود موعباً إياهم، وقالها لتلاميذه مشعلاً شوقهم.

❖ "أقول لكم أنتم الآن" [33] ... عندما يهرب التلاميذ، وعندما يعاني اليهود من مآسي لا تُحتمل تفوق كل وصف عندما تؤسر مدينتهم، عندما يحل بهم غضب الله من كل جانب. إذن يتحدث مع اليهود بسبب عدم إيمانهم، وأما بالنسبة لكم فلكي لا تحل بكم متاعب غير متوقعة [1407].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا تخافوا من القول أن المخلص هو أب لأشخاص معينين. فقد قال للمفوج: "لا تخف يا بني، مغفرة لك خطاياك" (مت 9: 2). وللرؤاة نزفة الدم: "يا بنية إيمانك خلصك" (مت 9: 22). الآن يقول لتلاميذه: "ولادي الصغار" "أظن إنها صيغته التصغير واضحة، تعلم صغر النفس التي للوسل حتى ذلك الحين. [1408].

❖ يؤمكم أن تفهموا أنه ليس مستحيلاً التغيير من كون الشخص ابناً ليسوع ليصير أخاه، حيث أنه على المستوى البشري لا يمكن للابن أن يصير مؤخراً أخاً للشخص الذي كان له ابناً قبلاً.

❖ بعد قيامة المخلص، هؤلاء الذين دعاهم "أبناء صغراً" "صلروا له أخوة... كمن تغيروا بقيامة يسوع. لهذا كتب: "إذهبي إلى اخوتي وقولي لهم... (يو 20: 17).

ربما يُمكن أيضاً بنفس الطريقة التغيير من كون الشخص خادماً ليسوع. كان التلاميذ قبلاً خداماً قبل أن يكونوا أبناء صغراً، كما هو واضح من الكلمات: "أنتم تدعوني معلماً وسيداً، وحسناً تقولون لأني أنا كذلك" (يو 13: 13). وأيضاً الكلمات: "ليس عبد أعظم من سيده" (يو 13: 16)، هذه التي

سبقت الكلمات: "يا ولادي الصغار أنا معكم".

[1409]

لكن لتلاحظوا أن العبد أولاً يصير تلميذاً، وبعد ذلك ابناً صغيراً، فأخاً للمسيح ثم ابناً لله.

العلامة أوريجينوس

إنهم سيطلبونه، لكنه إذ يقضي ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ في قلب الأرض (مت ١٢: ٤٠) عندما ترحل نفسه إلى فودوس كقوله: "اليوم تكون معي في الفودوس" (لو ٢٣: ٣٤)، حيث يحمل الذين ماتوا على رجاء في الجحيم إلى الفودوس، أما التلاميذ فلا يقدرون أن ينطلقوا معه إلى فودوسه. إنهم لم يقدروا في ذلك الحين أن يتبعوه.

❖ لكي يحفظهم من التفكير بأن الله يمجده بطريقة بها لا يرتبط بهم في علاقات رضية قال لهم: "يا ولادي، أنا معكم زماناً قليلاً بعد" [٣٣]. وكأنه يقول لهم: حقاً إنني سأتمجد بقيامتي، لكنني لا أصدق فرراً إلى السماء، بل "أنا معكم زماناً قليلاً بعد". وكما نجد في سفر أعمال الرسل أنه قضى ٤٠ يوماً معهم بعد قيامته يدخل ويخرج ويأكل ويشرب (أع ١: ٣) ... لكنه لا يكون بعد معهم في شركة الضعف البشري [1410].

القديس أغسطينوس

رى القديس أغسطينوس أن هذا القليل الذي يبقى فيه معكم ثم يطلبونه ولا يقدرون أن يأتوا إليه، ربما يُقصد به الفترة من حديثه معهم حتى صلبه وموته وقيامته. هذا القليل الذي فيه يكون معهم في شركة الضعف البشري، ثم لا يعود يشترك معهم في هذا الضعف. أو ربما يقصد فترة الأربعين يوماً من قيامته حتى صعوده، حيث يكون معهم دون شركة الضعف البشري، إذ لا يعود بعد قابلاً للموت ثم يصعد حيث لا يكون معهم بعد جسدياً [1411].

4. المحبة الأخوية

"وصية جديدة أنا أعطيكم،

أن تحبوا بعضكم بعضاً،

كما أحببتكم أنا،

تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً". [34]

إن وُجد بينهم يهوذا الجاحد لكن ليس الكل مثله، بل هم تلاميذ مخلصون. علامة تلمذتهم الحب المتبادل فيما بينهم. إنها وصية قديمة (١ يو ٢: ٧)، لكنها في المسيح صلت جديدة، إذ أعطها أعماقاً أعظم، وإمكانات للتنفيذ أقوى. تمتد ليحب الشخص حتى أعداءه ومقاوميه، مشتبهياً خلاص كل نفس. يوجد تعبيران في الإنجيل باليونانية لكلمة "جديدة" أحدهما يعني "حديثاً"، أما هنا فيحمل التعبير الانتعاش والتجديد fresh. فالوصية قديمة (لا ١٩: ١٨)، لكن الصليب قدمها لنا بأعماقٍ جديدةٍ، وهنا انتعاشاً لإمكانية ممرستها بمفهومٍ جديدٍ.

وصية المحبة هي أغنية رائعة تملأ الكنيسة فوحاً وبهجة. وصية جديدة، وتبقى جديدة، يملسها الكل حتى في السماء، لا تقدم ولا تشيخ (عب ٨: ١٣). يخبرنا العلامة توتليان أن الوثنيين يقولون عن المسيحيين: "انظروا كيف يحب بعضهم بعضاً!" وجاء في تقرير فيليكس Minucius Felix تعليق كاسيليوس Caecilius الوثني عن المسيحيين: "يحبون الواحد الآخر، غالباً قبل أن يعرف أحدهما الآخر". هذه شهادة وثنيين مقاومين لإيمان المسيحيين ومهاجمين لهم. لوقيان الساموسطائي Lucian of Samosata الذي لم ينطق بكلمة صالحة في حق المسيحيين هاجمهم بأنهم أغبياء، لأنهم محبوبون بعضهم البعض، ويمكن لأي وثني أن يسيء استغلال هذا الحب، فيجمع منهم ثروات طائلة.

أشار الإنجيلي إلى أمرين جديدين، الوصية الجديدة هنا، والقبر الجديد الذي دُفن فيه السيد المسيح (١٩: ٤١). فبدخول هذه الوصية إلى أعماقنا تحول إنساننا الداخلي إلى قبر المسيح الجديد، الذي يستريح فيه السيد وتواقفه ملائكته، ويشهد لقيامته المجيدة. الوصية الجديدة تحول قورنا إلى سماء

❖ [\[1412\]](#) كأنه قال لهم قد اضطربتم لذهابي عنكم، إلا أنه إن أحب بعضكم بعضاً ستكونون أقوى من الكل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنها وصية جديدة، لأنه جردنا من القديم، وألبسنا الإنسان الجديد.

إنه بالحقيقة ليس أي نوع من الحب يقدر أن يجدد من يصغي إليه، أو بالأحرى يخضع بالطاعة لهذا الحب، إنما يتحدث عن الحب الذي يتميز عن العاطفة الجسدية إذ يضيف: "كما أحببتكم أنا" [٢٤]...

أعطانا المسيح وصية جديدة، أن نحب بعضنا البعض كما أحبنا هو.

هذا هو الحب الذي يجددنا، يجعل منا أناساً جددًا، ورثة العهد الجديد، مسبحين بالتسبحة الجديدة. [\[1413\]](#)

❖ لنحب بعضنا بعضاً حتى بالاهتمام الشديد الذي لحبنا نكسب ما استطعنا بعضنا البعض، لكي يكون الله فينا. يُمنح هذا الحب لنا بواسطة... فإنه أحبنا بهذا الهدف أن نحب بعضنا البعض، واهباً ذلك لنا بحبه لنا، فترتبط بعضنا البعض في حب مشترك، ونتحداً معاً كأعضاء برباط المسورة، ونصير جسداً للوأس التقدير هكذا. [\[1414\]](#)

❖ كأنه يقول: هباتي الأخرى يقتنيها معكم من هم ليسوا لي، ليس فقط الطبيعة والحياة والإوراك الحسي والتعقل والأمان الذي أهبه كنعمة للإنسان والحيوان، بل وأهبهم اللغات والأسوار والنوّة والمعرفة والإيمان والعطاء للفقراء، وتسليم أجسادهم حتى تحترق، ولكن بسبب نقص المحبة يصيرون كصنجٍ يرن، إنهم لا شيء ولا ينتفعون شيئاً (١ كو ١٣ : ١-٣). [\[1415\]](#)

القديس أغسطينوس

"بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي،

إن كان لكم حب بعض لبعضٍ". [\[35\]](#)

إن كانت الخطية تحدر النفس إلى طريق الظلم والموت فإن عمل السيد المسيح، الكلمة الإلهي المتجسد هو الإقامة من القبر، وتقديم المعرفة السماوية وتحقيق عجائب إلهية، فتحيا النفس في طريق الحق بالإيمان، وتتقص من العار ، وتتسع بالحب لله وخليقته السماوية وأيضاً الأرضية. إنه يدخل بها إلى الطريق الضيق بقلبٍ متسع، على عكس الخطية التي تدخل بها إلى الطريق الوحش المتسع بقلب ضيق. يقول الموتل: "في طريق وصاياك سعيت، عندما وسعت قلبي" [\[32\]](#).

❖ إن سألت: وما غرض السيد المسيح من قوله هذا؟ أجبتك: لأن هذا الحب أعظم من كل فضيلة، فهو الذي يجعل الناس قديسين، لأنه هو علة كل فضيلة.

فإن قلت: وما رأيك: هل المعجزات تظهر هذا الحب إظهاراً أليق وأوجب؟ أجبتك: لا تظهره بأية وسيلة، لأن السيد المسيح قال: "كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تتبأنا؟ وباسمك أخرجنا شياطين؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصوح لهم: إني لم أعرفكم قط اذهوا عني يا فاعلي الإثم" (مت 7: 22، 23).

وأيضاً لما فوح تلاميذه بأن الشياطين تخضع لهم قال: "ولكن لا تقووا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل افوحوا بالأحرى أن أسماءكم كتبت في السموات" (لو 10: 20) (فإن كان فعل المعجزات اقتاد المسكونة إلى الإيمان، فإن الحب كان قبل هذا، فإن لم يكن الحب موجوداً لا يثبت عمل العجائب [\[1416\]](#) .

❖ يا لعظمة الحب! أقوى من النار ذاتها، يصعد إلى السماء عينها، لا يوجد من يعوقه. [\[1417\]](#)

الآن عاجز عن أن وافقه في السماء، إذ لم يتم بعد عمله على الأرض، ولا نضج لكي يرتفع معه في المجد الأبدي.

- ❖ إن الحب العظيم أشد من النار عينها، يصعدنا إلى السماء عينها، ولا يوجد مانع يقدر أن يضبط نهضته الشديدة، لأن بطوس الرسول الملتهب شوقه لما سمع السيد المسيح يقول: "حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا" [23]، قال هنا: "يا سيد إلى أين تذهب؟" قال هذا القول لتوضيح حاله، ليس مويذاً أن يعرف إلى أين يمضي مثلما كان مشتتاً أن يتبعه، وما اجزأ عاجلاً أن يقول ظاهراً إنني أجيء معك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ لقد أعلن تأجيل (إمكانية تبعيته) دون أن يفقده الوجود. لم يزع عنه هذا الوجود، بل بالأحرى منحه إياه خلال كلماته التالية: "ولكنك ستتبعني أخيراً" [36]. لماذا تتسرع هكذا يا بطوس؟ فإن الصخرة لم يجعلك راسخاً بعد بروحه. لا توقع بثشامخ، "لا تقدر الآن". ولا تسقط في اليأس، "لكنك ستتبعني أخيراً" [1419].

القديس أغسطينوس

"قال له بطوس: يا سيد لماذا لا أقدر أن أتبعك؟

الآن إنني أضع نفسي عنك". [37]

- ربما ظن بطوس أن السيد المسيح سيذهب في رحلة طويلة شاقة، وأنه لا يوجد ما يبرر عجزه عن موافقته، لأنه مستعد أن وافقه حتى إلى الموت. لكن مسكين بطوس، فإنه لا يعرف ضعفه وعجزه عن تبعية المسيح بدون النعمة الإلهية. لم يترك أنه بدون المسيح لا يقدر أن يفعل شيئاً (يو ١٥: ٥).

- ❖ لما سمع بطوس الرسول قول السيد المسيح: "ولكنك ستتبعني أخيراً" لم يضبط شوقه، لكنه أسرع فقال: "لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن؟ إنني أضع نفسي عنك". وأنا أحاطب بطوس الرسول: ماذا تقول يا بطوس؟ قد قال السيد المسيح لك: "لا تقدر الآن أن تتبعني" أنت تقول أنت "لماذا لا أقدر أن أتبعك؟ ستعلم بالخوة بعينها أن محبتك ليست شيئاً إذا لم تكن المعونة من الأعلى حاضرة معها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ هذه التجربة هي نوس لنا ألا نستهبين بضعف الجسد لئلا نُحرب. [1420]

القديس أمبروسيوس

- ❖ لقد رأى الرغبة التي في ذهنه، لكنه لم يدرك قياس قوته. افتخر الضعيف بعزيمته، أما الطبيب فعينه على صحته. واحد وعد، والآخر سيق فحرف، الجاهل كان جسوراً، أما العرف بكل شيء فتزلزل ليعلم.

يا لعظم ما تعهد به بطوس إذ تطلع فقط إلى شوقه دون أن يعلم إمكانياته. [1421]

القديس أغسطينوس

"أجابه يسوع:

أتضع نفسك عني؟

الحق الحق أقول لك، لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات". [38]

- ❖ انظر إلى شدة سقوط بطوس الرسول، لأن ما أصابه هذا المصائب دفعة ودفعتين، لكنه في وقت قليل نطق لفظ الجحود ثلاث دفعات.
- ❖ القديس يوحنا الذهبي الفم
- ❖ يا من تظن في نفسك أنك قادر أن تموت من أجلي فلنتعلم أولاً أن نعيش لأجل نفسك، لأنه بخوفك من موت جسدك تعطي الفرصة لنفسك أن تموت.

[1422]

كما أن الاعتراف بالمسيح هو حياة، فإن إنكله هو موت .

❖ من يتوأ من المسيح كإنسان، لا يجد مصالحة مع الله بالشفيع. فإنه يوجد إله واحد وشفيع واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح (١ تي ٢: ٥).

من ينكر المسيح كإنسان لا يتبرر، فإنه بعصيان إنسان واحد صار كثيرون خطاة، وهكذا بطاعة إنسان واحد يصير كثيرون أولًا (رو ٥: ١٩). من ينكر المسيح كإنسان لا يقوم في قيامة الحياة، لأنه بإنسان دخل الموت، وبإنسان دخلت قيامة الأموات؛ فكما أنه في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح يحيا الجميع (١ كو ١٥: ٢١-٢٢) [1423].

القديس أغسطينوس

من وحي يو ١٣

اسمح لي أن أتجاسر وأغسل أقدام اخوتي!

❖ فتح يهوذا الطمع قلبه، ليلقي الشيطان فيه بذره.

مدّ يده للسوقه موه وموات فدخله العدو .

أما وقد أصرّ على خيانة سيده فملك العدو على القلب،

ودخل كصاحب سلطان ومالك بيت!

وجد مملكة الظلمة مُعدة لرئيس المملكة.

❖ اخترته تلميذًا، وسلمته الصندوق.

ووهبته صنع العجايب كسائر التلاميذ.

في حنوك لم تعلن عن اسمه، ولا شهّرت به،

لعله ورجع عن شوه.

بل وانحنيت لتغسل قدميه.

غمست اللقمة في الصحفة، ليأكل من يدك،

ولم يشك أحد فيه!

❖ بتواضعك ملست عمل العبيد.

خلعت ثيابك الخرجية، واترت بمنشفة.

لم تستكف من صب الماء في المغسل بنفسك.

ولا تخرجت من غسل أقدام تلاميذك.
لقد بدأت تغسل أقدامهم المتسخة بالماء،
لكي تغسل قلوبنا وضمائرنا بدمك الطاهر.
من يجسر ويحتل موكوك يا غاسل أقدام البشوية.

❖ لأتجاسر وأشركك حبك.

اسمح لي في حنوك أن أنال هذه الكرامة.
اسمح لي أن أغسل أقدام اخوتي المسيئين إليّ بفرح وتهليل!
قلبي بالحب يغسل كل تصرف يبدو شرواً.
قلبي بروحك القدوس يتسع، ليضم الكل فيه.
قلبي ينن حتى روى كل الأقدام طاهرة ومقدسة!

❖ طهرني بالكامل بالماء والروح النلري في مياه المعمودية.

متى رى العالم كله طاهراً ومقدساً فيك؟
لتبقى يداك تغسل كل دنس يومي في!
لتغسل يا سيدي كل أقدام مؤمنيك!

❖ خرج يهوذا - صاحب القلب المظلم - لئلا لىتم أعمال الظلمة.

وبقي تلاميذك معك، يا أيها النور الحقيقي.
سألتهم الحب الحقيقي، مقتدين بك.
فلا يمكن للظلمة أن تقنحم قلباً يسكنه الحب.

❖ اشتاق بطرس أن يتبعك أينما ذهبت،

ولم يبرك المسكين ضعف إمكانياته!
ظن أنه قادر أن يضع نفسه عنك،
ولم يبرك أنه لا يستطيع أن يبذل ما لم تبذل أنت ولأ حياتك عنه.
كشفت له ضعفه بكل وضوح،
وملأت قلبه رجاءً عجيباً.

أعلنت له أنه سيتبعك أخراً،

حين يُصلب أيضاً معك كل بقية حياته،
وحين يستشهد من أجل اسمك القوس!

❖ أنت تعرفني يا مخلصي أكثر مما أعرف عن نفسي.

أنت سند لي،

تحقق كل شهوات قلبي!

لتمتد يدك يا رب وتغسل قلبي كل يوم.

فلا تقدر فخاخ الشيطان أن تحوط بي.

ولن يقدر العدو أن يملك في داخلي.

يداك تشوقان بالنور عليّ،

فلن تستطيع مملكة الظلمة أن تتسلل إلي داخلي.

⇐

الأصاحح الرابع عشر

المؤي الآخر

الآن يقدم ثلاثة أحاديث وداعية سجلها لنا الإنجيلي في الأصاحات ١٤-١٦.

في هذه الأحاديث يجتمع الراعي السموي مع القلة القليلة التي تمثل قطيعه الضعيف، وقد أوشكت العاصفة أن تهب بكل قوة، وظن إبليس، الذئب المفترس، أنه حتمًا يحطم الراعي مع رعيته. أما الراعي وهو يتم خطته الإلهية فيطمئن الرعية، طالبًا منها ألا تضطرب، بل يليق بها أن تتعرف على سرّ الحب الإلهي:

فمن جهة الأب ، لديه منزل كثرة تتسع للكل، وفي نفس الوقت مسوته أن يأتي مع الابن ويسكن في أعماق كل مؤمن.

ومن جهة الابن ، فالعاصفة التي تهب ضده ما هي إلا الطريق المُعد ليحمل رعيته خلال الصليب إلى العرش، وينعموا بشركة مجده. إنه أب يتحدث مع أولاده الصغار، الذي وإن فرقههم بالجسد إنما ليبعث لهم روحه القدوس مغزيًا، فلا يتركهم يتامى، بل يقودهم إلى السماء عينها حيث المسيح

صاعد!

ومن جهة الروح القدس ، فهو المؤي الآخر، يقود الرعية إلى كل الحق الذي هو السيد المسيح، ويهبهم قوة للشهادة أمام العالم، مبيكًا العالم على عدم إيمانه ليجذبهم خلال كورة التلاميذ إلى الإيمان، وعلى برّ لكي يدرك العالم أنه لن يتبرر إلا ببرّ المصلوب، وعلى دينونة حيث يتحطم إبليس ويُدان.

تبقى هذه الأحاديث الداعية سرّ قوة الكنيسة، إذ تجد فيها سرّ الخلاص الذي شغل الثالوث القدوس ويشغله حتى يكمل خلاص البشرية وتتمتع

بما أعده الله لها.

هذا الأصاح هو امتداد لحديث السيد المسيح مع تلاميذه بعد تأسيس سرّ الإفخارستيا وبعدها دان تصوف يهوذا، وأعلن ما سيفعله بطرس

الرسول، منكرًا السيد المسيح ثلاث مرات. لقد أراد أن يهب بقية التلاميذ تعزية وراحة بعدما اضطربت نفوسهم وحزنت بحديثه أن أحدهم يسلمه والآخر

ينكوه. وقد رأينا في الأصحاح السابق أن الجلسة كانت أشبه بمؤتمر يتسم بالحوار المفوح.

غالبًا ما يحدث الاضطراب بسبب الخوف من المجهول أو توقع خسارة فادحة تمس النفس أو الجسد أو الممتلكات، لهذا فإن علاج الاضطراب هو الإيمان، الذي يهب النفس بصوة فتعرف موضع استقرها الأبدى، وتترك أنها بالله قاورة على هدم حصون، ولا تقدر قوة ما أن تحطمها، وتتمتع بالثبوت في الله ضابط السماء والأرض، وكل خليفة ظاهرة أو خفية.

٣ - ١

الراحة الأبدية

١١ - ٤

المسيح طريق الراحة

١٤ - ١٢

الصلاة والراحة

١٧ - ١٥

المؤي الآخر

٢٤ - ١٨

ظهوره لهم

٢٦ - ٢٥

المؤي المعلم

٣١ - ٢٧

فرح المسيح برحيله

1 . الراحة الأبدية

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن التلاميذ قد اضطربوا جدًا، خاصة بعدما كشف السيد المسيح عما سيفعله بطوس الرسول. فإن كان هذا التلميذ قد اتسم بالغورة المتقدة، وكان في رفقة السيد، وقد أعلن رغبته أن يقدم حياته من أجل المسيح سينكوه ثلاث موات فأى رجاء لهم؟ لهذا قدم لهم السيد الحديث التالي ليزع ما في نفوسهم من اضطراب، ويفتح أمامهم أبواب الرجاء للتمتع بالسماء!

" لا تضطرب قلوبكم،

أنتم تؤمنون بالله، فأمنوا بي". [1]

يحزننا السيد المسيح من القلق والاضطراب، مقدمًا لنا الإيمان به كعلاجٍ عمليٍّ للمعاناة من القلق. كان القلق واضحًا في نظراتهم. "كان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون في من قال عنه" (يو ١٣: ٢٢). هذا وقد رأى السيد ليس فقط نظراتهم المضطربة، وإنما قلوبهم التي تدمي من القلق في الداخل. لم يتركهم في اضطرابهم إذ يهتم بسلامهم وسلامنا الداخلي. الآن يفتح لهم باب الأمان والسلام ألا وهو الإيمان به، يؤمنوا به كمخلص يتألم ويموت لأجلهم لكي يهبهم قوة القيامة وبهجتها، ويفتح لهم طريق السماء، ويهبهم حق العبور إلى مواضع الراحة الأبدية.

بدأ التلاميذ يفقدون رجاءهم في إقامة مملكة على الأرض، وبدأت أحلامهم من جهة يسوع تضيع، أما هو فوفعهم إلى الموات الأبدى الروحي، رفع قلوبهم إلى السماء لكي تشناق إلى ما قد يُعد لهم هناك.

❖ انظروا كيف غوى السيد المسيح تلاميذه بقوله: " لا تضطرب قلوبكم "، إذ أوضح بهذا القول الأول قوة لاهوته، لأنه عرف الأفكار التي جرت في أنفسهم، ورد عليها في وسط كلامه.

ويقول السيد المسيح: " أنتم تؤمنون بالله، فأمنوا بي " كأنه يقول: "يجب أن تعبر هذه الشدائد كلها، لأن الإيمان بي وبأبي هو أقوى اقتنارًا من المصائب الوردة عليكم، ولا يسمح لأي شر أن يغلبكم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يؤكد الرب دومًا هذا التعريف لإيمان الكنيسة الذي يتضمن التعليم بأنه يوجد إله واحد الأب، لكنه لا يفصل نفسه عن سرّ الإله الواحد... وهو ليس

باللهِ ثانٍ، ولا بالآله المنفود.

وحيث أن طبيعة الإله الواحد فيه لا يمكن أن يكون إلهًا مختلفًا عنه... فهو لا يقدر أن ينفصل عنه، ولا أن يندمج فيه. لهذا يتحدث بكلمات مختلرة بتأنٍ، فما يدعيه بالنسب للآب يشير بلغة متواضعة أنها تناسبه هو أيضًا. خذ كمثال الأمر: "تمسكوا بالإيمان بالله، فأمنوا بي". إنه يتمثل مع الله في الكرامة. أسألكم كيف يمكنه أن ينفصل عن طبيعته؟ يقول: "تمسكوا بالإيمان بي أيضًا" كما قال: "تمسكوا بالإيمان بالله" أليس القول: "بي in me" يعني طبيعته؟ [1424]

القديس هيلاري أسقف بواتيه

❖ أنتم تخشون الموت بخصوص شكل العبد هذا؛ "لا تضطرب قلوبكم" [١] فإن شكل الله سيقومه ثانية [1425].

القديس أغسطس

"في بيت أبي منازل كثيرة،

وإلا فإنني كنت قد قلت لكم أنا أمضي لأعد لكم مكانًا". [2]

يدعو السماء "بيت أبيه"، فهو يعود إلى بيت أبيه الذي هو بيته، وهناك يعد مواضع وشقق *mansions* لمؤمنيه، فيشعر كل واحد أنه راجع إلى بيت أبيه السموي أو بيته الذي ينتظره. وبقوله "مواضع كثيرة" يعطينا طمأنينة أن الله أبناء كثوين، وأن السماء متسعة للجميع. وقد جاءت الكلمة اليونانية تعني مسكنًا دائمًا وإقامة مستورة.

عوض المملكة الزمنية وجه أنظرهم إلى مملكة المجد الأبدي. وهي مملكة متسعة جدًا يمكن أن تضم كل البشرية إن رآدت، "في بيت أبي

منازل (مواضع) كثيرة" [٢].

إن كان سيتركهم بالجسد، إنما من أجل مجدهم. "لأعد لكم مكانًا" [٢]، فهو لا يذهب من أجل راحته الشخصية ومجده، وإنما ليهيأ لكل واحدٍ موضعًا خاصًا به.

إن كان اليهود يفتخرون بالهيكل كبيت الله، وقد ضم غرف كثيرة (١ مل ٦: ٥؛ عز ٨: ٢٩؛ إر ٣٥: ٢، ٤؛ ٣٦: ١٠) فإن هيكل السماء به منزل كثيرة متنوعة ليجد كل مؤمن مكانًا فيه.

"وإلا فإنني قد قلت لكم": لست أقدم لكم رجاءً باطلاً، فقد وعدتكم بالمواث الأبدي، لتكونوا معي حيث أكون أنا. لو لم يوجد لكم مكان لما قلت هذا لكم.

❖ وكما سند السيد المسيح بطرس الرسول حين كان حزينًا بقوله: "ولكنك ستتبعني أخيرًا" (13: 36) هكذا قدم لهُؤلاء هذا القبس من الرجاء، حتى لا يظنوا أنه قد أعطي الوعد بذلك لبطرس وحده، قال لهم: "في بيت أبي مواضع كثيرة". وفي قول السيد المسيح لتلاميذه: "أنا أمضي لأعد لكم مكانًا" يظهر أن ذلك المكان الذي يقبل بطرس يقبلهم أيضًا، لأن هناك فيض من السعة في ال مواضع [1426].

القديس يوحنا الذهبي الفم

رى جوفنيانوس Jovinianus أن المواضع الكثيرة في بيت أبينا هي الكنائس المنتشرة في العالم، ويرد عليه القديس جيروم بأن ربنا يناقش هنا لا عدد الكنائس بل المنزل السماوية والمسكن الأبدي.

❖ مع توقع المجد في السماء إلا أن الكل يتمتعون ببيتٍ واحدٍ، وقد صعد الرب لا ليعد مواضع كثيرة، بل يُعد بيتًا واحدًا، فالكل يشتركون في ذات البيت ويشعرون بالكفاية والشبع، وإن اختلف مجد كل نجمٍ عن الآخر [1427].

القديس جيروم

❖

هل كان يمكن لأحدهم ألا يخاف إن كان بطرس أكّوهم ثقة وجرأة قيل له: "لا يصيح الديك حتى تتكوني ثلاث موات" (يو ١٣: ٣٨)؟

فإذ حسوا أنفسهم ابتداء من بطرس كمن مصوهم الهلاك، لذلك اضطربوا. والآن إذ يسمعون: " في بيت أبي مواضع كثوة، وإلا فإني كنت قد قلت لكم، أنا أمضي لأعد لكم مكاناً " ينتعشون من اضطرابهم ويصيرون في يقين وثقة أنه بعد عبور مصائب التجرب يسكنون مع المسيح في حضرة الله.

فمع أن الواحد أقوى من الآخر، والواحد أحكم من الآخر، والواحد أبرّ من الآخر فإنه: "في بيت الأب يوجد مواضع كثوة". لن يبقى أحد منهم خارج هذا البيت، حيث يتقبل كل واحد موضعاً حسب استحقاقه.

الكل يتشابه في أخذ الفلس الذي أمر صاحب البيت أن يعطيه لكل من يعمل في الكرم، دون تمييز بين الذين عملوا أقل أو أكثر (مت ٢٠: ٩). هذا الفلس حتماً يشير إلى الحياة الأبدية، حيث لا يعيش أحد مدة مختلفة عن الآخرين، إذ لا يوجد في الأبدية مقياس متباين. لكن المواضع الكثوة تشير إلى درجات استحقاق كل واحد في الحياة الأبدية الواحدة. فلشمس مجد، ولقمر مجد آخر، وللنجوم مجد آخر، نجم يمتاز عن نجم في المجد. هكذا يكون في القيامة من الأموات.

القديسون، مثل كواكب في السماء، ينالون في الملكوت مواضع متنوعة بوجات مختلفة من البهاء. ولكن بناء على ذلك الفلس لا يُحرم أحد من الملكوت. وسيكون الله هو الكل في الكل (١ كو ١٥: ٤١، ٤٢) بطريقة معينة هكذا، التي هي الله محبة (١ يو ٤: ٨). سيحقق الحب هذا بالأمر العام (الملكوت) الذي هو عام بالنسبة للكل. فإنه بهذه الطريقة كل واحد بالحقيقة يقتني هذا (الملكوت)، وإذ يحب أن يرى في الآخرين ما هو ليس لديه. لهذا لن يكون هناك حسد بين هذا البهاء المتنوع، حيث أن وحدة الحب تملك على الكل. [1428]

❖ ليذهب الرب ويعد لنا مكاناً. ليذهب فلا روى، وليبقى مختفياً حتى نمرس الإيمان. بهذا يعد لنا المكان، الذي هو بالإيمان نحيا. لتكن لدينا الرغبة في الإيمان بهذا المكان حتى يُقتنى الموضع المُعد. الاشتياق إلى الحب هو الإعداد للموت. لتعد يارب ما أنت تعده، فإنك تعدنا لك، وتعد ذاتك لنا، وذلك قدر ما تعد لك موضعاً فينا، ولنا فيك. إذ تقول: "اثبتوا في وأنا فيكم" (يو ١٥: ١). وكما أن لكل واحد شركة فيك، البعض أقل والبعض أكثر هكذا يكون التمتع في المكافآت حسب الاستحقاقات المختلفة. [1429]

القديس أغسطينوس

يتساءل القديس أغسطينوس كيف يعد السيد المسيح بأنه يذهب ليعد لنا مكاناً وفي نفس الوقت يقول: " في بيت أبي مواضع كثوة"، أي معدة بالفعل؟ يجيب على ذلك بأنه بالفعل قد أعدها مسبقاً بتدبيره من أجلنا، وأنه يتم ذلك في شيء من التفصيل العملي الدقيق. وذلك كما روى في الأناجيل السيد المسيح يختار تلاميذه ويقدم لهم الدعوة، ومع ذلك يقول الرسول: "اخترنا قبل تأسيس العالم" (أف ١: ٤). هكذا تم تعيينهم قبل تأسيس العالم بخطته الإلهية، وحق ذلك عملياً عندما تجسد ودعا التلاميذ والرسول. [1430]

"وإن مضيت وأعدت لكم مكاناً آتي أيضاً وأخذكم إلي،

حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً". [3]

ذهاب السيد المسيح هو فتح للطريق، إذ يُعد الموضع، ويعطي حق العبور به إلى مملكة المجد الأبدي. إنه يعود بذكورتهم إلى موكب الشعب القديم حيث كان يتقدمهم ليلتمس لهم مؤلاً (عد ١٠: ٣٣)، هكذا يتقدمهم السيد ليعبر بهم مسورة الثلاثة أيام، أي مسورة القيامة، والنصرة على الموت، ليجد الكل مواضع في السماء!

رى السيد المسيح القيادات الدينية مع الشعب وهم في اضطراب شديد يريدون الخلاص منه، ويصوخون: "اصلبه، اصلبه!" لذا أوصى تلاميذه ألا يلحق هذا الاضطراب بقلوبهم، فإنه بينما يضطرب العالم حوله للخلاص من يسوع، إذا به ينطلق برأده ليفتح باب المجد حتى لمقاوميه. إنه يود خلاص الجميع!

جاء التعبير "آخذكم إليّ" في اليونانية يحمل فيضاً من الحب والشوق والانجذاب نحو السيد المسيح. هذا هو عمل الروح القدس الذي يسكب الحب في القلب، فيشتاق إلى اللقاء معه وجهاً لوجه، وأن ينضم إلى حضنهم، حيث يستدفي بقوة حب المسيح الفائق له. ما ننعم به من جاذبية الآن إلى السيد وثبوت فيه هو عربون لما سننال، ولكن لا يمكن أن يُقرن به.

قبل الله الكلمة أن يصير إنساناً، وحلّ بيننا، وصار مواطناً معنا في عالمنا، لكي يحملنا إلى وطنه السموي ننعم بالشركة في الطبيعة الإلهية، ونحسب أهل بيت الله (أف ٢: ١٩). صلت شهوة قلبنا أن نقول مع الرسول: "لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً" (في ١: ٢٣)، نتبعه حيثما ذهب (رو ١٤: ٤). هذه هي طلبة العريس السموي من أجل عروسه: "يكونون معي حيث أكون أنا" (يو ١٧: ٢٤)، أي تتمتع العروس بالخدر السموي.

❖ كأن السيد المسيح يقول لتلاميذه: إنني قد حرصت من أجل هذا الأمر حرصاً جزيلاً، موضحاً أنه ينبغي عليهم أن يثقوا ويؤمنوا بذلك، ويتوجهوا جداً [1431].

القديس يوحنا الذهبي الفم

2 . المسيح طريق الراحة

"وتعلمون حيث أنا اذهب،

وتعلمون الطريق". [4]

إذ تحدث معهم عن الصليب وقدم لهم جسده ودمه المببولين، حسبهم السيد يعلمون أين هو ذاهب، وما هو الطريق الذي يسلكه، حيث يفتح بصليبه أبواب الدخول إلى حضن الآب السموي.

إذ قدم لهم السيد المسيح الحياة السماوية المطوية كتغذية لهم وسط الآلام، أظهر لهم ما هو الطريق إلى هذه الحياة. يقول: "لقد عرفتم البيت السموي، بيت أبيكم الذي تستقرون فيه، وعرفتم الطريق المؤدي إليه. لقد سبق فأخوتكم عنه ورؤا بكل وضوح، وكان يليق بكم أن تعرفوه".

❖ قال هذا إذ كان يعرف أنفسهم أنها تطلب فيما بعد أن تعرف هذا المطلوب. وبقوله: "وتعلمون الطريق" أوضح الشهوة التي في نيتهم [1432].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ علمنا أن في بيت أبينا مواضع كثرة (يو 14: 2) يقابل هذا حدد ما هي حالة الصلاح التي بلغها كل شخص يرفض الشر كعلاج.

فمثلاً الشخص الورث بعض المواهب الصالحة منذ بدء حياته وخروجه من ممرسة الشر حديثاً إلى السلوك السوي والحق، يقابله شخص آخر بلغ إلى السلوك السوي والحق بالمثاورة والتقدم فيها.

بينما شخص ثالث نمت بواسطة رغبته في الخير، وأيضاً شخص آخر يبقى مستوراً بحزم في ارتفاعه إلى مستوى عالٍ في الفضيلة، وقد يتمكن شخص آخر أن يتقدمه في الارتفاع إلى مستوى أعلى.

وقد يسبق البعض هؤلاء، بينما يحاول آخرون بشدة في الارتفاع.

يقبل الله كل شخص حسب رادته الحرة، ويرتب الاختيار حسب استحقاق كل شخص، فيمنح تعويضاً للأشخاص الأكثر نبلاً، ويعطي مكافآت

لمن هم أقل مستوى [1433].

القديس غريغوريوس النيسي

"قال له توما:

يا سيد لسنا نعلم أين تذهب،

فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟" [5]

مع كل ما أعلنه السيد عن الصليب والقيامة، لكن لم يكن ممكناً لهم إرواك ذلك، ربما ظنوا أنه يرتفع مثل إيليا بموكبة نارية، أو تحمله ملائكة إلى السماء، أو ينطلق إلى حضن إواهم الذي يشتهي كل يهودي. تحيرَ توما في الأمر كما تحيرَ التلميذان اللذان كانا في طريقهما إلى عمواس حتى بعد أن أكد لهما النسوة قيامته.

بحديثه اللطيف معهم فتح مجال الحوار معه، فتحدث معه على الأقل تلميذان: توما وفيلبس. سأله توما عن الطريق دون أن يعتذر بأنه يناقض كلمات السيد المسيح القائل: "تعلمون الطريق" [4]. لم يخجل توما من الاعتراف بأنه لم يفهم كلمات السيد، ولا عرف إلى أين هو ذاهب حتى يعرف الطريق، على خلاف بطرس الذي ظن أنه يقدر أن يذهب مع المسيح حتى وإن كانت التكلفة هي حياته ذاتها (يو 13: 37).

حسن أن يعترف توما بجهله، لكنه ملوم لأنه يفكر في ملكوت رُضي، لذا ظن أن السيد يذهب إلى بلدٍ آخر. لهذا لم يعرف الطريق. لم يعرف إن كان يذهب إلى بيت لحم أو الناصرة أو كوناكوم أو إحدى مدن الأمم، كما ذهب داود إلى حبرون لكي يُمسح ملكاً وورد الملك لإسواثيل. هل ظن توما أن السيد المسيح سيذهب إلى عالم الأرواح غير المنظور... لا نعم!

❖ قال بطرس ما قاله (أين تذهب؟ يو 18: 36) لا ليتعلم، وإنما ليتبعه. ولكن عندما انتهر بطرس وكشف المسيح أن ما هو ممكن يبدو الآن مستحيلاً (بأن يتبعه التلاميذ)، وظهرت الاستحالة في تحقيق ذلك قاده ذلك إلى الرغبة في معرفة الأمر بدقة لذلك قال السيد للآخرين: "وتعرفون الطريق". فإذا قال: "ستكوني" (13: 39) قبل أن ينطق أحد بكلمة، إذ هو فاحص قلوبهم، قال: "لا تضطربوا". الآن إذ يقول هنا: "تعرفون" كشف عن الرغبة التي في قلوبهم، معطيًا إياهم عوناً لسؤالهم. الآن ما قاله بطرس "أين تذهب" عن محبة خالصة، قاله توما عن جبن.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال له يسوع:

أنا هو الطريق والحق والحياة،

ليس أحد ياتي إلى الآب إلا بي". [6]

جال فكر توما هنا وهناك لعله يدرك إلى أين يذهب يسوع، كما جال فكر مورثا إلى اليوم الأخير عندما أخوها السيد أن أخاها يقوم. وفي الحالتين، كما في أغلب المواقف إن لم يكن جميعها يسحب السيد المسيح أنظار السامعين إلى شخصه، قائلاً: "أنا هو". فهو الطريق والحق والحياة والقيامة والراعي والباب والخبز النزل من السماء، فيه كل كفايتنا. فالطريق ليس خلجاً عنه، والحق ليس له وجود بدونه، والحياة ليست إلا فيه.

هو الطريق الذي إذ ندخله ندخل إلى الآب دون أن نخج من الابن، لأن الابن في الآب، هكذا باتحادنا مع الابن ننع مع الآب. إذ يقدم نفسه الطريق والحق والحياة لا يفصل بينهم، لأنه هو الكل لنا. هو الطريق، نؤمن به فنثبت فيه وهو فينا لينطلق بنا إلى حضن الآب، وهو الحق بروحه ينير أعماقنا فنكتشف الأسوار الإلهية الفائقة المعرفة، وهو الحياة إذ نقبل حياته حياة ممنوحة لنا. بهذا نتمتع بالدخول إلى الآب والتعرف عليه والتمتع به.

صحح السيد المسيح مفهوم توما، فأعلن له أنه هو الطريق الذي يقودهم إلى الآب وإلى معرفته. إنه الطريق بتعاليمه (يو 6: ٨٦)، وبمثاله (١ بط ٢: ٢١)، وبذبيحته (عب ٩: ٨-٩)، وبروحه (يو ١٦: ١٣). إنه الطريق الذي فيه تتحقق كل الوعود الإلهية (٢ كو ١: ٢٠). لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الآب إلا به، ولا إلى معرفته ما لم يخوه الابن عنه.

إنه الطريق الذي تحدث عنه إشعياء النبي قائلاً: "وتكون هناك سكة وطريق يُقال لها الطريق المقدسة، لا يعبر فيها نجس بل هي لهم. من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل. لا يكون هناك أسد، وحش مفترس لا يصعد إليها، لا يوجد هناك، بل يسلك المفديون" (إش ٣٥: ٨-٩).

إنه الطريق الذي قدم فيه دمه ليعبر بنا إلى المقدس (عب ٩: ١٢)، فيه نتمتع بالصليب شجرة الحياة.

إنه الحق ، الذي فيه كملت الظلال والرموز الواردة في العهد القديم. فهو المن الحقيقي النزل من السماء (يو ٦ : ٣٢)، وخيمة الاجتماع (عب ٨ : ٣).

إنه الحق الذي يبدد كل ما هو باطل وما هو خطأ.

إنه الحق الذي يحطم كل خداع؛ ففيه نجد الثقة الحقيقية والحقيقة (٢ كو ١ : ٢٠).

هو الحياة والقيامة: "احسوا أنفسكم أموثًا عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" (رو ٦ : ١١).

إنه الطريق والحق والحياة ، وكأنه هو البداية والنهاية وما بينهما. به نبدأ الحياة، ونسلك الطريق، ونبلغ إلى النهاية.

❖ إذن الطريق هو قوة الله الفائقة، لأن المسيح هو طريقنا، الطريق الصالح، أيضًا هو الطريق الذي يفتح ملكوت السموات للمؤمنين... المسيح هو بدء فضيلتنا، هو بدء الطهارة [1434].

القديس أمبروسيوس

❖ "أنا هو الطريق"؛ هذا هو الوهان علي أنه "ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي".

أنا هو الحق والحياة، بهذا فإن هذه الأمور ستتحقق حتمًا. فإنه لا يوجد معي باطل، إذ أنا هو الحق.

إن كنت أنا هو الحياة أيضًا، فإنه لا يقدر حتى الموت أن يعوقكم عن المجيء إلي.

بجانب هذا فإني إن كنت أنا هو الطريق، فلا تحتاجون إلى من يمسك بأيديكم ويقودكم. وإن كنت أنا هو الحق فكلماتي ليست كذبًا، وإن كنت أنا هو الحياة فإنكم وإن متم تتالون ما أخوتكم به...

لقد نالوا تعوية عظيمة بكونه هو الطريق. كأنه يقول: "إن كان لي السلطة المنفردة أن أحضر إلى الآب، فإنكم حتمًا ستأتون إلي، إذ لا يمكن لكم أن تأتوا إليه بطريق آخر. ولكن بقوله قبلاً: "لا يستطيع أحد أن يأتي إليّ ما لم يجتذبه الآب" وأيضًا: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع" (12: 32)، وأيضًا "لا يأتي أحد إلي الآب إلا بي" (14: 6)، يظهر بهذا أنه معادل لمن ولده.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقول المخلص نفسه: "أنا هو الطريق والحق والحياة" [٦]. ويقول الرسول: "متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تظهرون أنتم أيضًا معه في المجد" (١ lives كو ٣ : ٤). مرة أخرى جاء في الزمائر: "رحمتك أفضل من الحياة" (مز ٦٢ : ٤). الحياة بصيغة الجمع مضاعفة، لأن المسيح هو الحياة في كل أحد [1435].

❖ هذا الطريق صالح يقود الإنسان الصالح إلى الآب الصالح، الإنسان الذي يجلب خوات من كزه الصالح، العبد الصالح والأمين (مت ٧ : ١٤)؛ لو (مت ٢٥ : ٢١)؛ لكن هذا الطريق ضيق، لا يستطيع الغالبية، الذين هم بالأكثر جسديون أن يسافروا فيه. لكن الطريق ضيق أيضًا بالذين يجاهدون ليعبروا فيه إذ لم يُقَل "إنه محصور" بل ضيق [1436].

العلامة أوريجينوس

❖ الآن الطريق غير قابل للخطأ، أعني يسوع المسيح؛ إذ يقول: "أنا هو الطريق والحياة". هذا الطريق يقود إلى الآب، إذ يقول "ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو 6:14) [1437].

القديس أغناطيوس الأنطاكي

❖ الآب الأسمى والمكرم هو أب الحق نفسه، أي أب الابن الوحيد الجنس. والروح القدس له روح الحق... لذلك فمن يعبدون الآب بالروح والحق، ويتمسكون بهذه الوسيلة للإيمان يتقبلون أيضًا طاقات خلالها. يقول الرسول: "لأن الروح واحد الذي به نقدم تكريمًا، وبه نصلي". (راجع يو 4 : 23) [1438].

24). الابن الوحيد الجنس يقول: "لا يأتي أحد إلى الآب إلا بي"، لذلك فإن الذين يكرمون الآب باسمي بالروح والحق هم عابدون حقيقيون .

الآب غريغوريوس بالاماس

[1439]

❖ كل إنسان يرغب في الحق والحياة، لكن ليس كل أحد يجد الطريق .

❖ سرُّ به كإنسان (بتجسده صار طريقاً لخلاصنا)، فتأتي إلى الله. به تذهب وإليه تذهب.

لا تنتظر خلجاً عنه إلى أي طريق به تذهب إليه. فإنه إن لم يهينا أن يكون الطريق نضل على النوام. لقد صار الطريق الذي به تذهبون إليه.

لست أقول لكم: ابحثوا عن الطريق. فالطريق ذاته يأتي إليكم، قوموا واسلكوا فيه. اسلكوا بالحياة لا بالأقدام. فإن كثيرون يسيرون حسناً

بأقدامهم، وأما بحياتهم فيسيرون بطريقة شوية.

أحياناً حتى الذين يسيرون حسناً يجرون خلج الطريق. هكذا ستجدون أناساً يعيشون حسناً لكنهم ليسوا مسيحيين. إنهم يجرون حسناً، لكنهم لا

يجرون في الطريق. بقدر ما يجرون يضلون، لأنهم خلج الطريق. لكن إن جاء مثل هؤلاء إلى الطريق، وتمسكوا به كم يكون إيمانهم عظيماً، إذ

يسيرون حسناً ولا يضلون! لكن إن لم يتمسكوا بالطريق، يا لشقوهم هم سلكوا حسناً! كم يؤمهم أن ينوحوا. كان الأفضل لهم أن يتوقفوا في الطريق عن

[1440]

أن يسيروا بثبات خلج الطريق .

❖ يقول الرب إنهم يعرفون الأميين (أين هو ذاهب، وما هو الطريق)، أما (توما) فيعلن أنه لم يعرفهما، أي لم يعرف الموضع الذي يذهب إليه (السيد)

والطريق للبلوغ إليه. لم يعرف (توما) أنه ينطق بكلمات باطلة، إذ هم يعلمون ذلك، لكنهم لا يعرفون أنهم يعلمون. فالسيد يقتنعهم بأنهم بالفعل عرفوا

ما يظنون أنهم جهلونه، إذ يقول: "أنا هو الطريق والحق والحياة" [٦]... إذ عرفوا الذي هو الحق، فإنهم يعرفون الحق. إذ عرفوا ذلك الذي هو

[1441]

الحياة، فقد عرفوا الحياة. انظروا، لقد اقتنعوا أنهم عرفوا ما لم يعرفوا أنهم عرفوه .

❖ لقد كان بنفسه ذاهباً إلى نفسه. إلى أين نحن نذهب إلا إليه؟ وبأي طريق نذهب إلا به نفسه، فيه نذهب إليه. بنفس الطريق هو ونحن نذهب هكذا إلى

[1442]

الآب .

❖ نال الرسول توما بأن تكون أمامه (أيها الرب يسوع) لكي يسألك أسئلة، ومع ذلك لم يستطع أن يدركك حتى اقتناك فيه.

إنني أسألك لأني أعرف أنك أعلى مني.

إنني أسأل وأبحث قدر ما أستطيع لكي ما أجعل نفسي تنتشر في ذلك الموضع الذي أعلى مني، حيث أصغي إليك يا من لا تستخدم صوتاً

خلجياً لكي تقنع بتعليمك.

أسألك اخواني، كيف تذهب إليك؟

هل تركت نفسك لتأتي إلينا حيث أنك أتيت ليس من ذاتك بل من الآب الذي أرسلك؟

بالحقيقة أعلم أنك أخليت ذاتك، إذ أخذت شكل العبد. إنك لم تتزع عنك شكل الله لكي تعود إليه، ولا فقدته كأمر تسترده... إنك بهذا أتيت، لكنك

كنت ولا وال قاطناً حيث كنت توجد، وتعود دون أن تترك الموضع الذي أتيت إليه.

[1443]

❖ إن كنت بهذه الوسيلة أتيت وعدت فبذلك أنت هو ليس فقط الطريق الذي به نذهب إليك، بل أنت الطريق لنفسك أن تذهب وتجع .

❖ كما لو أنه قال: بأي طريق تذهبون؟ "أنا هو الطريق".

إلى أين تذهبون؟ "أنا هو الحق".

أين ستقطنون؟ "أنا هو الحياة".

لنسير إذن في الطريق بكل يقين، لكننا نخشى الشباك المنصوبة على جانب الطريق.

لا يجرؤ العدو أن ينصب شباكه في الطريق، لأن المسيح هو الطريق، لكن بالتأكيد لن يكف عن أن يفعل هذا في الطريق الجانبي.

لهذا أيضًا قيل في المزمور: "وضعا لي عثرات في الطريق الجانبي" (مز ١٣٩: ٦ LXX). وجاء في سفر آخر: "تذكر أنك تسير في وسط

الفخاخ" (ابن سواخ ٩: ١٣ Ecclus). هذه الفخاخ التي نسير في وسطها ليست في الطريق، وإنما في الطريق الجانبي.

ماذا يخيفك؟ سر في الطريق!

لتخف إذن إن كنت قد تركت الطريق.

[1444]

فإنه لهذا سُمح للعدو أن يضع الفخاخ في الطريق الجانبي، لئلا خلال أمان الكبرياء تنسى الطريق وتسقط في الفخاخ

❖ المسيح المتواضع هو الطريق، المسيح هو الحق والحياة، المسيح هو الله العلي الممجد.

إن سلكت في المتواضع تبلغ المجد.

[1445]

إن كنت ضعيفًا كما أنت الآن لا تستخف بالمتواضع، فإنك تثبت بقوة عظيمة في المجد

❖ إنه الطريق "الكلمة صار جسدًا" (١: ١٤).

لديه الطريق: "أخلى ذاته وأخذ شكل العبد" (في ٢: ٧).

إنه البيت الذي إليه نذهب، إنه الطريق الذي به نذهب.

[1446]

ليتنا نذهب به إليه فلا نضل.

القديس أغسطينوس

[1447]

❖ ذلك الذي يُسيج حولي ويغلق طريقي الشجرة (هو 2: 6) أجده هو الطريق الحقيقي القائل في الإنجيل: "أنا هو الطريق والحق والحياة" [6]

القديس جيروم

[1448]

❖ المسيح ليس فقط هو الله، بل بالحقيقة الله الحق، إله حق من إله حق، إذ هو نفسه الحق

القديس أمبروسيوس

[1449]

❖ لا يمكن أن يوجد أي رجاء في الخلاص دون معرفة هذين الاثنين (الأب والابن) في نفس الوقت

الشهيد كبريانوس

❖ انظر إلى نفسك داخل نفسك. "ماذا تنظر القذى في عين أخيك، ولا تترك الخشبة التي في عينك؟" (مت ٧: ٣)

النفس التي تخرج من ذاتها مدعوة للدخول إلى نفسها، فبخروجها من ذاتها خرجت من ربها...

لقد انسحبت منه، ولم تقطن في ذاتها، ومن ذاتها تقاوم، وطردت من ذاتها وسقطت في أمور لا تخصها...

لقد نسيت النفس ذاتها خلال محبتها للعالم.

[1450]

الآن فلتنس ذاتها لكن خلال محبة خالق العالم!

القديس أغسطينوس

❖ توجد طرق كثرة للذين يؤمنون بالمسيح ويكونون تحت قيادته يؤمهم أن يسلكوها قبل الدخول إلى الأرض المقدسة، فإنهم بعد أن يخرجوا من

مصر، ويعبروا كل هذه المراحل الواردة في الكتاب المقدس، يستريحون. "هذه رحلات بني إسرائيل... حسب قول الرب" (عد 1: 33، 2).

من الذي نظم السبل التي يجب أن يسلكها بنو إسرائيل في هذه المراحل؟ من إلا الله؟ لقد نظمها بعمود النار والسحابة المضيئة...

الآن، تأمل فإن نفس الشيء يحدث روحياً في مسوتك، إذا خرجت من مصر، وكنت قانواً أن تتبع المخلص يسوع (بشوخ) الذي يدخل بك إلى

يبدو أن موسى (الناموس) هو القائد، لكن كان يشوع متواجداً بجانبه دون أن يقود علانية.

انتظر لكي يقود موسى إلى اللحظة التي فيها يكمل زمانه، عندئذ يأتي ملء الزمان (غل 4:4) ويقود يسوع... يتسلم يسوع تعليم الشعب ويقدم وصاياه علناً.

فلنسلك إذن فيها ونصلي قائلين : "ضع لي يارب ناموساً، في طريق حقوقك، فاتبعه كل حين" (مز 119: 33).

إنني أسعى (اتبعه) مادام يوجد "طريق الحقوق".

إنه ليس بالطريق السهل، ولا يحتاج إلى يومين أو ثلاثة أيام أو حتى عشرة أيام، إنما في الواقع إلى كل أيام الحياة لعلي أجد طريق حقوقه.

وبنفس الكيفية احتاج أن أجد "طريق الشهادة" : "فحت بطريق شهادتك مثل كل غنى" (مز 119: 14)؛ كما يوجد "طريق الوصايا" : "في طريق وصاياك سعيت عندما وسعت قلبي" (مز 119: 32).

كل هذه الطرق هي في أصلها طريق واحد، وهو ذلك الذي يقول: "أنا هو الطريق" (يو 6:14). لنسلك إذن في كل هذه الطرق حتى تبلغ غايتها وهو "المسيح".

العلامة أوريجينوس

❖ لا يتلوث الإنسان مرة أخرى بالزّاب من الأرض بعدما غسل قدميه: تقول العروس: "قد غسلت رجلي فكيف أوسخهما" (نش 3:5). خلع موسى نعليه من رجله (وهو مصنوع من جلد حيوان ميت)، لأنه كان يسير على أرض مقدسة (خر 5:3).

يقول الكتاب أن موسى لم يلبس نعليه مرة أخرى، بل حسب وأمر الله له على الجبل صنع ثياب الكهنة التي استخدم في حياتها خيوطاً ذهبية وزرقاء وبنفسجية وحواء والكتان الفاخر حتى يشع جمالها حولهم (خر 28:5، 8). ولم يعمل موسى أية زينة على قدميه، لأن أقدام الكهنة تبقى عارية دون غطاء. لأن الكاهن يسير على الأرض المقدسة، فيؤم ألا يستعمل حذاء من جلد حيوان ميت. لذلك منع السيد المسيح تلاميذه من لبس أحذية، لأنه أمرهم أن يسيروا في طريق القداسة (مت 5:10، 6).

أنتم تعرفون هذا الطريق المقدس الذي أمر السيد المسيح تلاميذه أن يسيروا فيه قائلاً: "أنا هو الطريق" (يو 6:14). لا نتمكن أن نسير في هذا الطريق إلا إذا خلعنا رداء الإنسان العتيق الميت [1451].

القديس غريغوريوس النيسي

"لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً،

ومن الآن تعرفونه،

وقد رأيتموه". [7]

إنها كلمات عتاب صاورة من السيد المسيح الذي تعرّف عليه كثير من الآباء والأنبياء من خلال الوموز والظلال، واشتروا أن يروه ويرتبطوا به. كان هو كل رجائهم. ولكن للأسف فإن التلاميذ وقد عاشوا مع السيد ورافقوه في خدمته، بل في رحلاته، وأحياناً في خواته، وقد حان وقت رحيله من العالم، لم يعرفوه بعد كما ينبغي.

يشتهي السيد المسيح أن يتعرف عليه كل المؤمنين ليذكروا حقوقهم فيه. وهذا هو موضوع صلوات الرسل أنفسهم من جهة البشوية. وكما كتب القديس بولس إلى أهل أفسس: "لا زال شاكراً لأجلكم، ذاكراً إياكم في صلواتي، كي يعطيكم إله ربنا... لتعلموا نحننا، نحن المؤمنين، حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات" (أف 1: 16-20).

أما قوله: " من الآن تعرفونه، وقد رأيتموه" [٧] فيقصد بالآن ساعة الصليب. خلال بغض العالم للمسيح، وصلب السيد المسيح لمحبة العالم في

مؤمنيه، يُعرف الآب الكلي الحب، وواه المؤمنون في الابن المصلوب القائم من الأموات. ساعة الصليب هي فرصة إلهية مقدمة للمؤمنين لكي يتعرفوا على الآب ويروه، لأنهم بالصليب يدخلون إلى المصالحة معه، ويتمتعون بالاستقرار في حضنه.

من يعرف المسيح بحق يبرك أنه الابن، الله السموي، مملكته ليست من هذا العالم، تزل من السماء ويصعد إليها بكونه في حضن الآب. فمن يبلغه يبلغ الأعضان الإلهية للآب، ويتعرف على شخصه وأسوره.

لاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم وغره من الآباء أن السيد المسيح يقول ترة بأنهم رؤه وعرفه، وترة أنهم رؤه ولم يعرفه، وأخرى أنهم لم يروه ولا يعرفه، فهل في هذا تناقض؟ يميز القديس بين رؤية الابن خلال الجسد وحده حيث يلمسونه بأيديهم الجسدية ويرونه بأعينهم الجسمانية نون رؤية جوهه وعدم إواك لاهوته وبهاء مجده؛ هؤلاء يرونه ولا يرونه، وفي نفس الوقت لا يعرفونه. حتى التلاميذ رؤه والتصقوا به، لكن إلي لحظات صعوده وحلول روحه القنوس لم يكونوا قادرين على إواك لاهوته كما يليق. هكذا يمكن للإنسان أن يعرفه ولا يعرفه؛ فيعرفه دون إواك المعرفة الحقيقية لشخصه.

من وى حقيقة الابن ويتعرف على شخصه كما يليق وى الآب ويتعرف عليه.

❖ إنه لا يناقض نفسه؛ حقا لقد عرفه، ولكن ليس كما كان ينبغي. لقد عرفوا الله، لكنهم لم يكونوا بعد قد عرفوا الآب. فإنه بعد ذلك إذ حل الروح القدس عليهم عمل فيهم مقدماً لهم كل معرفة.

ما قاله هو هكذا: "إن عرفتم جوهري ورتبتي تعرفون أيضاً جوهراً الآب ورتبته. ستعرفونه وترونه بواسطة". يقصد بالرؤية المعوفة بالإواك الذهني، فإن هؤلاء الذين يُرون يمكن أن زاهم ولا تعرفهم، أما الذين يُعرفون لا نقدر أن نعرفهم ولا نعرفهم. لذلك يقول: "وترونه"، كما يقال: "وى بواسطة الملائكة" (1 تي 3: 16). أما ذات الجوهراً فلا وى، ومع هذا يقال أنه وى، أي قدر ما يستطيعون أن يروا.

قيلت هذه الكلمات لكي تتعلموا أن الذين يرونه يعرفون من ولده. لكنهم لم يروه في جوهه غير المحتجب، إنمارؤه في ثوب جسده.

إنه يود في كل موضع أن يضع الرؤية موضع المعوفة، كما يقول: "طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت 5: 8). يعني بالأنقياء الذين تحرروا ليس من الأونا وحده، بل ومن كل الخطايا، لأن كل خطية تجلب دنساً للنفس.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يعلق القديس أغسطينوس على الآيات (7-10) بأن السيد المسيح يؤكد أن من يعرفه يعرف الآب، لأنه لا يقدر أحد أن يأتي إلى الآب إلا به. وأن السيد المسيح هنا يؤكد وحدته مع الآب، وفي نفس الوقت التمايز بين الآب والابن.

[1452]

"قال له فيلبس:

يا سيد أرنا الآب وكفانا". [8]

إذ تحدث السيد المسيح عن الآب اشتاق فيلبس أن واه، لكنه لم يكن بعد قانواً.

وُلأ : لأنه أراد رؤية اللاهوت حسيًا، واه بالعين الجسدية كما وى المسيح.

ثانيًا : سرّ عجزه عن الرؤية هو عدم رؤيته لحقيقة المسيح نفسه، واه حسب الجسد دون أن يبرك لاهوته.

وأخوًا : عدم إواكه الوحدة الفريدة بين الآب والابن في ذات الجوهراً، لذلك سأله: "يا سيد أرنا الآب وكفانا" [8].

طلبة فيلبس تشبه طلبة موسى النبي الذي اشتهى أن وى مجد الله (خر 33: 18). حقًا رؤية الله فيها الشبع والكفاية، وهي طلبة توح قلب الله،

لكن الخطأ في طلبة فيلبس هو تجاهله لوحداية الابن مع الآب، لأنه لم يتمتع بالتجلي مثل بطرس ويعقوب ويوحنا. وعدم إواكه أنه حتى تلك اللحظات لم يعرف المسيح كما ينبغي ولأرأي جوهراً لاهوته.

❖ قلب فيلبس النظام وقال: "أرنا الآب"، كمن قد عرف المسيح تمامًا. أما المسيح فوضعه في الطريق المستقيم، حاثًا إياه أن يقتني معرفة الآب من

خلاله، بينما أراد فيلبس أن واه بعينيه الجسديتين. ربما لأنه سمع عن الأنبياء أنهم رأوا الله. لكن هذه الحالات كانت من قبيل التنزل، لذلك يقول المسيح: "الله لم وه أحد قط" (1: 18)، "موة أخوي: "كل من سمع وتعلم يقبل إلي" (6: 45). "لم تسمعا صوته قط، ولا أبصوتم هيئته" (5: 37). وفي العهد القديم: "لا وى إنسان وجهي ويعيش" (خر 33: 20).

ماذا يقول المسيح؟ "أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟" لم يقل له: "ولم زاني" بل قال: "ولم تعرفني".

ربما يسأل فيلبس: "لماذا رُغب في أن أتعلم عنك؟ الآن أنا أطلب أن رأي أباك، وأنت تقول لي لم تعرفني؟" أية علاقة بين هذا وبين السؤال؟ بالتأكيد العلاقة وثيقة جداً، فإن كان هذا هو الذي له الآب ومزال هو الابن فإنه من خلاله يعرف الذي ولده. فمن أجل التمييز بين الأقتنومين يقول: "من رأني فقد رأيت الآب"، لئلا يظن أحد أن الآب نفسه هو الابن بعينه.

لماذا لم يجبه: أنت تطلب أموراً مستحيلة لا يُسمح بها لإنسان، وإنما هي ممكنة لي وحدي؟ لأن فيلبس قال: "وكفانا"، فمع معرفته للمسيح أظهر له أنه لم وه. بالتأكيد لو أنه عرف الآب، لكان قالوا أن يعرف الابن، لهذا يقول: "من رأني فقد رأيت الآب"... وكأنه يقول له: "ليس ممكناً أن زاني أو وى الآب". لأن فيلبس فكر في المعرفة حسب الرؤية، وإذ فكر هكذا ظن أنه رأى الابن، فأراد بنفس الطريقة أن وى الآب، لكن يسوع أظهر له أنه لم ير الابن نفسه.

وإن أراد أحد أن يدعو المعرفة رؤية فلا أعلنه، إذ يقول المسيح: "لأن من يعرفني يعرف الآب". لكنه لم يقل هذا، إنما أراد أن يعلن عن الشوكة في الجوهر: من يعرف جوهره يعرف جوهر الآب أيضاً. هل يتحدث هنا عن حكمة الآب؟ هل عن صلاحه؟ ليس هكذا، وإنما ما هو الله عليه، ذات جوهره... بحق انتوه قائلاً: "أنا معكم زماناً هذه مدته؟" لقد تمتعت بمثل هذا التعليم، ورأيت المعجزات التي فعلتها بسلطان، وكل ما يخص اللاهوت، التي يفعلها الآب وحده من غوان للخطايا وإعلان عن الأسوار الخفية وإقامة من الموت وخلقة من التراب ولم تعرفني؟ إذ التحق بالجسد لهذا يقول: "ألم تعرفني؟" إنك وى الآب، فلا تطلب وى ما هو أكثر، ففيه زاني. إن رأيتني لا تكون محباً للاستطلاع أكثر، لأنك تعرفه في أيضاً.

❖ "ألم تعرفني؟" إنك وى الآب، والآب في؟" بمعنى: إنني رأي في ذات الجوهر. "الكلام الذي أكلكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال" [10] كيف يبدأ بالكلام ويأتي إلي الأعمال؟ لأنه كان يؤم طبيعياً أن يقول: "الآب هو يتكلم الكلام"، لكنه هنا وضع الأمرين معاً التعليم والمعجزات. وربما قال هذا لأن الكلام هو أيضاً كان أعمالاً. فكيف يعمل الآب كلاهما؟ يقول في موضع آخر: "إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا" (10: 37)، فكيف يقول هنا أن الآب هو يعملها؟ ليظهر نفس الشيء أنه لا يوجد فاصل بين الآب والابن. ما قاله هو هذا: "لا يعمل الآب في طريق، وأنا في طريق آخر". كما يقول في موضع آخر: "أبي يعمل حتى الآن، وأنا أعمل" (5: 17)، مظهراً في العبارة الأولى عدم الاختلاف في العمل بين الآب والابن، وفي الثانية الهوية للآب والابن. [1453]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال له يسوع:

أنا معكم زماناً هذه مدته، ولم تعرفني يا فيلبس؟

الذي رأني فقد رأى الآب،

فكيف تقول أنت رنا الآب؟" [9]

في عتابه لفيلبس بل ولكل التلاميذ يقول السيد: "أنا معكم"، ولم يقل: "أنتم معي". فقد قول إلينا وحلّ بيننا، فمن جانبه جاء إلينا خلال مبادرة حبه. بقي لنا أن تستنير أعيننا الداخلية ونتقدم نحوه، لنصير نحن معه كما هو معنا. هو قول إلينا لكي يروحه نصعد إليه.

إنه معهم ليس خلال رؤية سريعة إلى دقائق أو ساعات كما أعلن عن نفسه قديماً للأنبياء خلال الرؤى والإعلانات والأحلام، إنما جاء وحلّ

بينهم، وعاش في وسطهم "زماناً هذه مدته"، لهذا كان يليق بهم أن يروه كما ينبغي فيروا الآب، ويبركوه، ويتحنوا معه في المسيح يسوع. من رأى

هل يمكن لخليقة ما في السماء أو على الأرض أن تتجاسر وتتطرق بهذا؟ مستحيل! لقد حسب السيد المسيح أن من رآه فقد رأى الآب، وذلك إن اكتشف حقيقة السيد. لهذا عاتب السيد المسيح فيلبس، لأنه لم يعرفه بعد عشرة دامت حوالي ثلاث سنوات. إنه لم يلّمه لأنه يشتهي رؤية الآب، وإنما لأنه لم يبرك من هو المسيح، وبالتالي لم يستطع طوال هذه المدة أن يتمتع برؤية الآب. لم يبرك أن ملء اللاهوت في المسيح جسديًا (١ كو ٢: ٩)، فالآب هو فيه في كمال لاهوته. ما يعمله السيد المسيح يشترك فيه الآب بكونه العمل الإلهي الواحد.

- ❖ أما تؤمن إني أنا في الآب، والآب فيّ؟ نعم من يتطلع إلى الابن وى الآب في صورة. لاحظ أي نوع من الصور يتحدث عنها. إنه الحق والبرّ وقوة الله، ليس أخوسًا لأنه الكلمة، وليس بلا إحساس لأنه الحكمة، وليس باطلاً وغيبًا لأنه القوة، وليس بلا حياة لأنه الحياة، ليس ميتًا لأنه القيامة [1454].
- ❖ في الكنيسة اعرف صورة واحدة، صورة الله غير المنظور التي قال عنها الله: "وصنع الإنسان على صورتنا" ... (تك 1: 26). تلك الصورة التي كُتبت عنها أن المسيح "بهاء المجد ورسم أقنومه" (راجع عب 1: 3). في هذه الصورة أترك الآب، كما يقول الرب يسوع نفسه: "من رأي فطرأى الآب". لأن هذه الصورة غير منفصلة عن الآب، والتي هي بالحق تعلمني وحدة الثالوث، إذ يقول: "أنا والآب واحد" (10: 30) وأيضًا: "كل ما للآب فهو لي" (16: 15). وأيضًا عن الروح القدس يُقال أن الروح هو روح المسيح، كما هو مكتوب: "يأخذ مما لي ويخبركم" (16: 14) [1455].

القديس أمبروسيو

- ❖ من يتأهل للتطلع إلى ربوبية الابن بنعم وربوبية الآب. هذا الكلام ليس من عندي، بل هي كلمات الابن الوحيد القائل: "أنا معكم زمانًا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟ الذي رأي فطرأى الآب". وباختصار لا تفصلهما، ولا تصنع تشويشًا.
- لا تقل قط أن الابن غيب عن الآب، ولا تقبل القائلين إن الآب في وقت ما الآب، وفي وقت آخر هو الابن. فإن هذه العبارة غريبة وجاحدة وليست من تعاليم الكنيسة. لكن الآب ولادته الابن بقي الآب ولم يتغير، ولد الحكمة ولم يفقد الحكمة. ولد القوة دون أن يصير ضعيفًا. ولد الله ولم يخسر ربوبيته. لم يفقد شيئًا بالنقص أو التغير، ولا المولود ناقص في شيء.
- كامل هو الوالد، وكامل هو المولود.

الله هو الوالد، الله هو المولود، الله من الله، ولكنه يُدعى الآب إلهه دون أن يخجل من القول: "أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم" (يو 17: 20) [1456].

القديس كيرلس الأورشليمي

- يعبر القديس غريغوريوس النزيوي عن سرّ انجذابه إلى الثالوث الذي كرز به بين شعبه، بينما لمدة طويلة قد حُرّم الثالوث من الكورّة به بين الشعب، وإن كان ليس تمامًا [1457].
- ❖ ليقودني الكلمة الإلهي في نهاية حياة مملوءة بالدعوى إلى المسكن غير المتغير، حيث يوجد ثالوثي، وبهاء سموه المجتمع، ظلال الثالوث تمجديني [1458].

القديس غريغوريوس النزيوي

- ❖ بالحق انتهر السيد التلميذ، إذ رأى ما في قلب السائل. إن كان الآب بوعٍ ما أفضل من الابن، حتى أن فيلبس أراد أن يعرف الآب، بهذا لم يعرف الابن، إذ ظن أنه أقل من الآب. فلكي يُصحح مثل هذا المفهوم قيل: "الذي رأي رأى الآب، فيكيف تقول أنت أننا الآب؟" [9]... لماذا تود أن تكتشف وجود مسافة بين من هما متشابهين؟ لماذا تتوق إلى معرفة منفصلة بين من هما غير منفصلين؟ ما قاله بعد ذلك لم يكن لفيلبس وحده، بل لهم جميعًا، هذا يؤرم ألا نضعه كما في زاوية، حتى يمكننا بمعونته أن نفسوه بأكثر حرص [1459].

لم تكن بعد عينا فيلبس سليمان بما فيه الكفاية لتتظروا الآب، وبالتالي لتتظروا الابن الذي هو مساوٍ للآب. هكذا قام يسوع المسيح بشفائه بأدوية ومواهب الإيمان ليقي عيني ذهنه اللتين كانتا بعد ضعيفتين وعاجزتين عن رؤية نورٍ عظيم كهذا. وقال له: أما تؤمن إنني في الآب، والآب فيّ؟" ليت ذاك العاجز عن أن يرى ما سيظوه له الرب يوماً ما ألا يطلب أن يرى بل أن يؤمن. ليؤمن ولأ حتى تُشفى العينان اللتان بهما ينظر **[1460]**.

القديس أغسطينوس

"ألمست تؤمن إنني أنا في الآب، والآب فيّ؟"

الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي،

لكن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال". **[10]**

إذ تتحقق رؤيتنا لله في هذا العالم خلال الإيمان لا العيان، لذا يتحدث السيد المسيح هنا عن "الإيمان"، وأي إيمان؟ إيمان بأن جوهر الابن ليس مضافاً إلى الآب، إذ كل منهما في الآخر، بكونهما جوهرًا واحدًا. فمن أراد أن يرى الآب، ويتعوف عليه يؤمه أن يؤمن بالمسيح أنه "الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبير" (يو ١: ١٨). فلا عجب إن قال: "الذي واني وى الذي أرسلني" (يو ١٢: ٤٥).

❖ لا يوجد أي اعتراض على فهم الابن أنه في الآب كما في مصدر... الابن في الآب وعند الآب، ليس كمن وجد خلجاً عنه، ولا في زمن، بل في جوهر الآب مشوقاً منه، وذلك كأشعة الشمس المشوقة، وحورة النار المتضمنة في صلبها. ففي هذين المثالين نجد شيئاً متولداً من آخر، لكنه شويكه الدائم في الوجود معه مع عدم الانفصال عنه، فلا يوجد الواحد دون الآخر، وإنما يحفظ حالة طبيعته الحقيقية **[1461]**.

القديس كيرلس الكبير

❖ يقول الرب الحق: "أنا في الآب، والآب فيّ". بوضوح الواحد في كليته هو الآخر في كليته، فالآب ليس هو بإفراط في الابن، ولا الابن ناقص في الآب **[1462]**.

❖ نفس سمة اللاهوت وى في الاثنين **[1463]**.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ لأن الآب لا يفعل شيئاً إلا بممارسة قوته وحكمته، فقد صنع كل الأشياء بحكمة، كما هو مكتوب: "بحكمة صنعت الكل" (مز 104:24)، هكذا أيضاً لا يفعل الله الكلمة شيئاً بدون شوكة الآب. لا يعمل بدون الآب، بدون مشيئة الآب لا يقدم نفسه للآلام كلية القداسة، ويُذبح لأجل خلاص العالم كله (يو 3:16، 17؛ عب 10:10-12). بدون رادة الآب لا يقوم من الأموات إلى الحياة **[1464]**.

القديس أمبروسيو

"صدقوني إنني في الآب، والآب فيّ،

وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها". **[11]**

إذ يتحدث مع خاصته عن أسوره الإلهية يشهد لنفسه بنفسه، إذ سبق فقال: "وإن كنت أشهد لنفسي، فشهادتي حق" (يو ٨: ١٤). هنا لا يخاطب فيلبس وحده، بل كل التلاميذ، مقدماً رسالة لكل مؤمنيه. يقدم السيد المسيح أعماله أيضاً شهادةً حقةً لصدق كلماته، فأعماله تشهد أن السيد إنما يعمل أعمال أبيه، ويتكلم كلمات أبيه، فهي أعمال الآب والابن معاً، وكلماتهما. يقول القديس بولس عن الآب: "كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه" (عب ١: ٢). كما يقول السيد عن نفسه: "الكلام الذي أكلمكم به، لست أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال" **[11]**.

❖ يليق بكم عند سماعكم "أب" و"ابن" ألا تسألوا شيئاً آخر غير تأكيد العلاقة في الجوهر، ولكن إن كان هذا غير كافٍ لكم لتأكيد الكوامة المشتركة والجوهر المشترك فتعلموا هذا من الأعمال **[1465]**.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنك ترى أن الابن هو الله، فيه الله الآب، إذ يقول نفس العبارة التي وردت في الإنجيل: "إني في الآب، والابن فيّ". إنه لم يقل: "أنا هو الآب"، بل الآب فيّ، وأنا في الآب". أيضاً لم يقل: "الآب وأنا هما أنا"، بل "أنا والآب واحد" حتى لا نفصل بينهما دون أن نضع خلطاً في ابن الآب. إنهما واحد من جهة شرف وحدة ال لاهوت، إذ ولد الله الله. هما واحد في ملكوتهما، لأن الآب لا يملك على هؤلاء، والابن على أولئك، متكوّراً على أبيه كما فعل أبشالوم، إنما ملكوت الآب هو ملكوت الابن. إنهما واحد، إذ لا يوجد بينهما اختلاف ولا انقسام، بل ما يرى يده الآب يريده الابن. إنهما واحد، لأن أعمال الخلق التي للمسيح ليست غير ما للآب، إنما خالق كل الأشياء هو واحد، خلقها الآب بالابن. وكما يقول المثل: "هو قال فكانوا، هو أمر فخلقوا" (مز 33:9؛ 148:5).

الابن هو الله بعينه *Very God*، له الآب فيه دون أن يصير هو الآب، لأن الآب لم يتجسد، بل الابن... الآب لم يتألم من أجلنا، بل أرسل من يتألم...

فليس بقصد تكريم الابن ندعوه "الآب"، ولا لتكريم الآب نتصور الابن أحد خ لائقه. إنما هو أب واحد، نعبد خلال ابن واحد، دون أن نفصل العبادة بينهما.

[1466]

ليعلن عن الابن الواحد، جالساً عن يمين الآب قبل كل الدهور في العرش، ليس عن تقدم ناله في زمان بعد الآلام، بل منذ الازل.

القديس كيرلس الأورشليمي

[1467]

❖ بينما نحن نتكلم هو نفسه الذي لن يسحب حضورته منا يكون معلمنا .

[1468]

❖ هل كلماته هي أعمال؟ واضح أن الأمر هكذا، لأنه بالتأكيد من بيني قويه بما يقوله يعمل أعمالاً صالحة .

❖ ينسب ما يفعله للآب الذي منه يفعل. لأن الآب ليس الله (المولود) من آخر، أما الابن هو الله المسولي حقاً للآب لكنه مولود منه. لذلك فالآب هو الله الذي ليس من الله، والنور الذي ليس من نور، بينما الابن هو إله من إله، نور من نور .

[1469]

القديس أغسطينوس

3 . الصلاة والراحة

"الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي،

فال أعمال التي أنا عملها يعملها هو أيضاً،

ويعمل أعظم منها،

لأنني ماض إلى أبي". [12]

بعد أن كشف سرّ وحدته الفريدة مع الآب، وأن ما ينطق به أو يعمل به إنما هي أعمال الآب الحالّ فيه، أوضح أن هذه الحقيقة تمس خلاصهم وحياتهم. هي إيمان فعّال يهبهم قوة فائقة لممارسة أعمال المسيح الساكن فيهم. فاستعلان الآب ومعرفته تقود المؤمن إلى اختبار أعمال الله فيه. وكما يقول الرسول بولس: "ليحل المسيح في قلوبكم... لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله، والقادر أن يفعل كل شيء أكثر جدّاً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا" (أف 3: 17-20). فالإيمان واهب المعرفة يبعث إلى خوة الأخذ والامتلاك والممارسة حسب قوة الله. "لأن الله هو العامل فيكم أن تدينوا وأن تعملوا" (في 2: 13).

هذا هو سرّ تغوية التلاميذ بعد أن عرفوا توك السيد المسيح لهم فامتثلوا حزناً، وشعروا أنهم كقطيعٍ بلا راعٍ، ليس لهم من يعينهم ولا من يسندهم، خاصة وأنهم يدركون مدى كراهية القيادات اليهودية لهم.

لهذا أكد لهم السيد المسيح أنه لا يتوكلهم في ضعفٍ، بل يهبهم قوة لممارسة أعمالٍ عظيمةٍ من معجزات وآيات تسندهم، فيملسون ما يعمله وأعظم منها. هذا لن يقلل من شأنه، ولا يخلط بين شخصيته كابن الله الوحيد وشخصياتهم كأبناء بالتبني وتلاميذ له، لأن ما يفعلونه إنما باسمه، وبالإيمان به، وهذا لحساب مجده. فإنه ليس فقط صانع عجائب، وإنما واهب تلاميذه صنع العجائب.

لماذا قال أنهم يعملون أعمالاً أعظم منه؟

1 . هو صنع معجزات خلال الثلاث سنوات لخدمته على الأرض، أما هم فيعملون الآيات عبر الأجيال إلى انقضاء الدهر. هو صنع آيات في حدود المنطقة التي عاش فيها، أما هم فيصنعون آيات وعجائب في كل العالم حيث يركزون. بعض الآيات لم يفعلها لأنه لم تكن هناك حاجة إليها مثل نقل جبل، وهذا تم على يد سمعان الخواز أيام المعز لدين الله الفاطمي.

2 . هو قدم أساس الكرة ودفع الثمن بالصليب، لكنه ترك الكرة تنتشر بعد صعوده وحلول روحه القدس، فظهر العمل أعظم حيث انتشر الإيمان في المسكونة كلها ولم يُحد باليهودية.

أما سرّ قوتهم فهو كما يقول: "لأني ماضٍ إلى أبي" [١٢]. سيكون شفيحاً لهم، يحملهم أمام الآب كأعضاء جسده. فيعملون بقوة الآب، ويوسل لهم المغزي الإلهي، الروح القدس العامل فيهم وبهم لحسابه.

❖ إنها مشيئة الرب أن ينال تلاميذه قوات عظيمة. إنها رادته أن ما فعله حين كان على الأرض يصنعه خدامه باسمه... أعطاهم سلطاناً أن يقيموا موتى. بينما كان يمكنه أن يرد لشاول بصوه، إلا أنه أرسله إلى تلميذه حنانيا لكي ببركته تستود عينا شاول البصر الذي فقده. [1470]

القديس أمبروسوس

❖ لكي يظهر أنه ليس فقط قانواً على فعل هذه الأمور، بل وما هو أعظم منها، إذ يصنعها زيادة. إنه لم يقل: "أستطيع أن أفعل أموراً أعظم من هذه" وإنما ما هو أكثر دهشة يقول: "أنني أستطيع أن أعطي للآخرين أن يعملوا ما هو أعظم من هذه... بمعنى انه قد بقي لكم الآن أن تعملوا عجائبي لأنني أنا ماضٍ [1471]."

❖ ألا تتظنوا أنه هو الذي يعمل هذه؟ يقول: "أفعله"، وليس أسأل الآب، بل "الآب يتمجد بي"... كل العجائب التي فعلها (الوسل) إنما هو فعلها فيهم، وكانت يد الرب معهم (أع 11: 21) [1472].

❖ ألا ترون سلطانه؟ الأمور التي يفعلها الآخرون، إنما هو يفعلها، فهل هو بلا سلطان في الأمور التي يفعلها بنفسه ما لم يفعلها بالآب؟ كيف يمكن أن يقال هذا؟ لكن لماذا وضع هذه بعدها؟ ليؤكد كلماته، ويظهر أن أقواله الأولى هي من قبيل تنزله. فقله: "أنا ماضٍ إلي الآب" معناها "إنني لا أهلك، بل أبقى في كرامتي اللاتقة بي، فإنني في السماء"، قال هذا كله لتغريتهم. حيث يبدو أنهم لم يفهموا أحاديثه عن القيامة. فظنوه أمراً كئيباً، ففي أحاديث أخرى يعد بأنه يعطيهم مثل هذه الأمور، ملطفاً من حالهم بكل وسيلة، ومظهوراً لهم أنه يبقى على النوام، ليس فقط يبقي، وإنما سيظهر لهم قوة أعظم [1473].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أعتقد بصدق أنه يعمل "أعظم" عندما يغلب إنسان ما - وهو لم يزل في الجسد، ضعيف وسهل وقوعه - في معركته مع الجبارة وقرق الشياطين، وليس سلاحه سوى إنجيل المسيح وإيمانه شخصياً به. فيُعْتَبَرُ حينئذٍ أعظم من ذلك الذي يربحه بذاته.

العلامة أوريجينوس

❖ لقد وعد أنه هو نفسه سيعمل هذه الأعمال الأعظم.

ليت العبد لا يفخر على السيد.

إنه يقول أنه سيعمل أعمالاً أعظم مما يعملها هو، لكنه هو عامل الكل، سواء التي فيهم أو بواسطتهم، وليس أنهم يعملون كما من أنفسهم. لذلك فإن التسبحة الموجهة إليه هي: "أحبك يارب قوتي" (مز ١٨: ١).

ولكن ما هي هذه الأعمال الأعظم؟

هل هي أنهم بظلمهم إذ يسيرون يشفون المرضى (أع ٥: ١٥)؟ لأن الشفاء بالظل أعظم من لمس هذب الثوب الحامل لقوة الشفاء (مت ١٤: ٣٦). مع ذلك فإن ما يمدح به هو القوة المؤثرة لكلماته. إذ في هذا يقول: "الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحال فيّ يعمل الأعمال" [١٠].

آية أعمال يشير إليها إلا الكلمات التي ينطق بها؟

كانوا يسمعون ويؤمنون وكان إيمانهم هو ثوة هذه الكلمات عينها. بينما ثوة ذات هذه الكلمات عندما بشر التلاميذ بالإنجيل لم يكن بالعدد القليل مثلهم بل آمنت أم كثيرة، وبلا شك هذا عمل أعظم [1474].

❖ لقد أضاف للحال: "لأني ماضٍ إلى أبي، ومهما سألتكم باسمي فذلك أفعله، ليتمجد الآب بالابن. إن سألتكم شيئاً باسمي فإني أفعله" [١٢-١٤]. ذاك الذي قال: "يعملها هو" عاد فقال: "أنا أفعله". كأنه يقول: "لا يبدو لكم هذا مستحيلاً، لأن من يؤمن بي لن يمكنه أن يكون أعظم مني، إنما أنا الذي أعمل الأعمال الأعظم مما أعمل الآن. إني أعمل أعمالاً أعظم بالذي يؤمن بي مما أعمله أنا بونه. لكن أنا الذي أعمل به... انظروا لقد صنع أعمالاً أعظم حينما كرز به المؤمنون عما عمله عندما تكلم هو مع سامعيه [1475].

❖ إنه يعمل فينا، ولكن ليس بدوننا [1476].

القديس أغسطينوس

"ومهما سألتكم باسمي،

فذلك أفعله، ليتمجد الآب بالابن". [13]

يعود السيد المسيح فيؤكد أن ما يعملونه هو باسمه، بل هو فاعله، دون تجاهل دور الآب، فهو يوجه أنظرنا إلى الآب لنسأله. ويقول: "مهما سألتكم" يطالبنا أن نسأل الآب حسبما يليق بنا، بما يبدو لنا أنه أمر فائق جداً. نطلب منه أن نصير بالحق أبناء له، نحمل أيقونة ابنه الوحيد، فيكون الابن هو بونا وقداستنا وفعادنا (١ كو ١: ٣٠).

❖ يعمل الآب في الابن لكي يتمجد الابن في الآب، ويعمل الابن في الآب لكي يتمجد الآب في الابن، لأن الآب والابن هما واحد [1477].

القديس أغسطينوس

"إن سألتكم شيئاً باسمي، فإني أفعله". [14]

إذ نطق اسم المسيح بصواتنا وطلباتنا التي نقدمها للآب، فنطلب برّ المسيح وقداسته يقوم المسيح نفسه بالعمل، إذ يقول: "فإني أفعله" [14]. لأن استدعاء اسمه إنما هو استدعاء حضوره الإلهي، لهذا ففي كل الأسوار الإلهية كما في الصلوات الشخصية يعلن الكاهن أو المؤمن باسم الآب والابن والروح القدس، طالباً حضرة الثالوث القوس.

تركه لهم بالجسد يقوي من مركزهم، لأنه هو يعمل فيهم لمجد الآب، واهم الآب خلاله، فيستجيب كل طلباتهم. بمعنى أنه بصعوده ينالون إمكانية العمل بالآب والابن خلال روحه القوس الذي يرسله إليهم. صعوده إلى السماء يُزيل أية مسافة بينهم وبين الآب، لأن حضور الابن بالجسد الممجد هو حضور لهم كأعضاء في هذا الجسد.

يطلبون لا خلال إمكانياتهم البشرية ولا استحفاقاتهم، بل باسم المسيح وخلال عمله الكفري موضع سرور الآب.

4 . المؤي الآخر

"إن كنتم تحبونني،

فأحفظوا وصاياي". [15]

حدثنا قبلاً عن الإيمان كأساس للمعرفة الإلهية، والآن يضع البناء فوق الأساسات، وهو حفظ وصاياها. إن كان السيد المسيح من جانبه يحضركم فيه إلى الآب، فيُسّر بهم، ويستجيب لطلباتهم، فمن جانبهم يُزْمهم أن يحوه ويحفظوا وصاياها. بهذا ينالون تغوية ليست بقليلة، محبتهم العملية للسيد المسيح بحفظ وصاياها تهبهم قوة للعمل خاصة وسط الضيق.

❖ نحتاج في كل موضع إلى كل من الأعمال والمملسات، وليس مجرد استواض لكلمات... الله يطلب الحب الذي يظهر بالأعمال. لهذا السبب قال لتلاميذه: "من يحبني يحب وصاياي". فبعدما ما قال لهم: "إن سألتهم شيئاً باسمي فإنني أفعله"، فلئلا يظفوا أن ذلك يتحقق بمجرد السؤال أضاف: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي" [1478].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه الروح المؤي هذا الذي وعد به المسيح تلاميذه. لكن لنلاحظ الطريق الذي فيه أعطى الوعد: "إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيك مغزياً آخر..." (١٥ : ١٦). لكن كيف يمكننا أن نحب لكي نقبل ذلك الذي بدونه لا نقدر أن نحب الله (رو ٣ : ٥) ولا أن نحفظ وصاياها... لنفهم أن من يحب هو بالفعل له الروح القدس، وأن به قد صار مؤهلاً لاقتناء ما هو أكمل، وبنوال ما هو أكثر نحب أكثر.

❖ الوعد ليس باطلاً سواء بالنسبة للذي لم يقتن بعد الروح القدس أو من اقتناه. فإنه مقدم لمن ليس له لكي يقتنيه، ومن اقتناه لكي ينال بأكثر فيض. فإنه لو لم يُقتن بقياس أقل من الآخرين ما كان القديس البشع يقول للقديس إيليا: "ليكن نصيب اثنين من روحك عليّ" (٢ مل ٢ : ٩) [1480].

القديس أغسطينوس

"وأنا أطلب من الآب،

فيعطيك مؤي آخر، ليمكث معكم إلى الأبد". [16]

إذ يتم عمل الفداء على الصليب، يصعد إلى السماء، ليرسل الروح القدس، ليهب كنيسته عذوبة الشوكة في الصليب وخوة قوة القيامة وعربون الحياة السماوية. هذا هو المؤي الآخر الذي يأخذ مما للسيد المسيح ويعطينا.

عمل الروح القدس يستمر في حياة الكنيسة حتى انقضاء الدهر ليقدمها عروساً تحمل أيقونة عريستها السملوي. كلمة "بلاكليت" التي تُترجم مغزياً تعني أيضاً محامياً أو مدافعاً Advocate، فهو الذي يقف مدافعاً عن كنيسة المسيح ضد خصومها. السيد المسيح يدعو نفسه "مغزياً" إذ يلقب الروح القدس "المؤي الآخر" وقد دعا التوجوم Targum أيام المسيا بأيام التغوية. فالمسيح مؤي تلاميذه حين كان معهم بالجسد، وإذ يفرقهم بالجسد يرسل لهم روحه القوس مغزياً آخر.

الطلب هنا أو الصلاة ليست طلبية كلامية، لكنه إذ يقدم نفسه ذبيحة حب عن البشرية صار من حق مؤمنيه أن يحل الروح القدس ويستقر فيهم، هذا الذي لم يعد مستقواً في الإنسان منذ لحظة سقوطه في الخطية. هذه العطية التي هي بالحقيقة نوال واهب العطايا، عطية دائمة تلام المؤمن حتى يعبر من هذه الحياة. لن يفرقه الروح القدس مادام يقبله فيه ويتجلوب معه.

إذ سبق فقدم أساس المعرفة وهو الإيمان، ثم بنى على الأساس أعمال المحبة التي هي حفظ وصاياها، يبعث إلينا بروحه القوس من عند الآب الذي وحده يقدر أن يحقق هذا كله.

هنا يكشف السيد المسيح عن نور الثالوث القوس المتكامل معاً لتحقيق خطة تمجيدنا الأبدي. فالآب الذي أرسل ابنه مغزياً يبذل نفسه خلاصاً

للعالم، الآن يستقبله عند صعوده، فيستقبل الكنيسة الجامعة، من آدم إلى آخر الدهور، في شخصه بكونه الرأس. يستقبل المغوي الأول فيُسّر به، إذ أكمل خلاص البشوية وأعلن عن حب الآب عملياً، وإذ يستقبله في السماء، يبقى هذا المغوي متغرباً عن البشوية بالجسد لكنه حاضر على النوام في وسط كنيسته المقدسة. ويطلب عنها أمام الآب ليرسل المغوي الآخر، الذي يحل في الكنيسة وينوها ويقدها ويقودها نون أن يفرق الآب أو ينفصل عنه. هكذا تظهر علاقة الحب المتبادل بين الثالث القنوس العامل لخلاص البشوية ومجدها الأبدي.

❖ فإن قلت: لِمَ قال السيد المسيح: "وأنا أطلب من الآب ؟ أجبتك: لأنه لو قال: "أنا أرسله" لما صدقوه، لذلك قال هنا: "وأنا أطلب من الآب" حتى يجعل كلامه عندهم مؤهلاً لتصديقه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله،

لأنه لا يراه ولا يعرفه،

وأما أنتم فتعرفونه،

لأنه ماكنث معكم ويكون فيكم". [17]

إذ انطلق المغوي الأول، السيد المسيح، يطلب لرسال المغوي الآخر، روحه القنوس. وإذ سعد القائل: "أنا هو الحق" (١٤ : ١٦) بعث إليهم "روح الحق". وكما رفض العالم المغوي الأول، الحق ذاته، هكذا يرفض المغوي الآخر، روح الحق. "بهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا" (١ يو ٣ : ٢٤). يهبنا الروح القدس مواجهة حادة بين روح العالم وروح الحق، إذ لا يطبق العالم الحق ولا يقبله ولا أن يراه، بل يقاومه. لا يقدر أن يراه أو يعرفه، لذلك: "إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب" (١ يو ٢ : ١٥).

روح العالم هو روح البطلان والخداع، فما يقدمه من ممتلكات ومباهج وأواح، سوعان ما يتحول إلى حرمان وأخران ومهولة، بهذا لا يعرف الحق له موضعاً فيه. كما لا تجد محبة العالم لها موضعاً في الحق الأبدي السموي. ما يقدمه الله هو الحق غير المتغير، لهذا يقول السيد المسيح: "سلامي أعطيك، ليس كما يعطي العالم أعطيك أنا" (يو ١٤ : ٢٧). "سأراكم أيضاً فتوح قلوبكم، ولا يزوع أحد فحكم منكم" (يو ١٦ : ٢٢). "من يشوب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد" (يو ٤ : ١٣). هذه هي طبيعة الحق وهباته وعطاياه، التي لا تتناغم مع طبيعة العالم وروحه وعطاياه الزائلة. روح الحق هذا الذي لا يعرفه العالم هو موضوع معرفة المؤمنين، حيث يسكن ويستقر معهم، ويكون فيهم، يعرفونه معرفة الثبوت فيه.

"روح الحق" الذي يشهد للمسيح الذي هو الحق، ويجتذب النفوس لقبول إنجيله، والتعرف على أسوره.

"لا يستطيع العالم أن يقبله"، يقصد بالعالم الذين أحوه فحملوا اسمه، هؤلاء الذين يجدون لذتهم في شهوات الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة (١ يو ٢ : ١٦). هؤلاء مصابون بالعمى الروحي وفساد الفكر، فلا يقدر أن يروا روح الحق أو يعرفوه.

"وأما أنتم فتعرفونه"، جاء في الفولجاتا وبعض المخطوطات "فستعرفونه"، إذ يتهيأون بالإيمان به خاصة بعد قيامة السيد المسيح لمعرفة الروح القدس الموعود به، ويتمتعون بحلوه عليهم ليستقر فيهم، وذلك في يوم البنطقستي. إنه يجتذبنا يوماً إلى ما فوق أنفسنا.

❖ ولكي إذا سمعوا "مغزياً آخر" لا يظنوا أيضاً شخصاً آخر، ويتوقعوا أن يروه بأبصارهم، تحاشى ذلك وقال: "الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه".

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ fostering وى السريان في الكلمات: "وكان الروح يرف فوق المياه"، كما لو أن الروح كان يعطي دفاء الرعاية التربوية، أي كان يهيئ طبيعة المياه لميلاد الكائنات الحية. في هذا يوجد وهان كافٍ على تسؤلات بعض الناس إن كان الروح القدس لم تتقصه القوة الخالقة. [1481].

القديس باسيليوس الكبير

❖ الحب العالمي (الزمني) ليس له تلك الأعين غير المنظورة بينما الروح القدس لا يمكن أن يُرى إلا بالأعين غير المنظورة [1482].

❖ إنه يُرى بطريقة غير منظورة، ولا يمكن أن تكون لنا أية معرفة عنه ما لم يكن فينا [1483].

القديس أغسطينوس

5 . ظهوره لهم

"لا أتركم يتامى،

إني آتي إليكم". [18]

لقد تعلق به تلاميذه كأبناء صغار بأبيهم، لذلك وهو في طريق تركهم خلال الصليب والصعود إلى السماء يريد أن يؤكد لهم أنه لا يريد السيد المسيح أن يتركهم مثل اليتامى، أي كأطفال محرومين من الأبوّة والأمومة ومن الحنو العائلي والتوجيه والعون في الحياة، لا يريد أن يتركهم فريسة للبوّس والحرمان.

بتركه إياهم خلال الصليب ثم القيامة فالصعود يبدو كمن صاروا في يَتَمٍ عظيم، إذ لم يعد بعد معهم حسب الجسد. لكنه يحول هذا اليَتَم إلى بنوة جديدة فائقة، برسال روحه القُدوس الذي يهب البنوة لله خلال المعمودية.

كان اليهود يدعون المعلمين آباء والتلاميذ أبناءهم، فبترك السيد المسيح تلاميذه يصيرون كمن هم بلا أب، وإذ هو سالك في طريق الموت، وبعد ذلك الصعود إلى السماء يرسل لهم المعلم الآخر والمغوي والمدافع عنهم وقائدهم في الطريق للتمتع بالأبوّة الإلهية. لن يشعروا بحرمانٍ ما، لأن روحه القُدوس يمكث معهم. أما من جهته هو فسيأتي إليهم بعد موته بقيامته وظهره لهم، كما يأتي إليهم بعد صعوده في مجيئه الأخير ليحملهم إلى المجد. إنه يأتي أيضًا إلينا على النوام بروحه، حاضر في قلوبنا، وفي وسطنا.

❖ لأن التلاميذ إذ لم يعرفوا معنى ما قيل لهم، ولا نالوا تغزية كافية، قال لهم السيد المسيح: "لا أتركم يتامى"، لأنهم طلبوا هذا الأمر أكثر من كل شيء. وقول السيد المسيح لتلاميذه: "إني آتي إليكم" يوضح لهم مجيئه إليهم ثانية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"بعد قليل لا واني العالم أيضًا،

وأما أنتم فترونني.

إني أنا حي،

فأنتم ستحيون". [19]

كان العالم راه خلال تجسده، لكنه لم وه قط بعدم إراكه للاهوته. الآن إذ يُصلب ويموت لا يعود العالم راه، لا حسب الجسد ولا حسب لاهوته، إذ يختفي عنه. أما التلاميذ فيحرمون إلى حين من رؤية جسده، لكنهم يرون أسوره الإلهية، ويختبرون قيامته عاملة فيهم، فيحيون كما هو حي، بل هو يتمتعون بالحياة عينها. يقولون مع الرسول بولس: "أحيانا مع المسيح" (أف ٢: ٥)؛ "فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في" (غل ٢: ٢٠).

❖ كأنه يقول لهم: إنني سأحيي إليكم ليس مثلما جئت أولاً. وقوله: "إني أنا حي، فأنتم ستحيون"، كأنه يقول لهم: لأن الصليب لا يفصل بيننا إلى النهاية، لكنه يخفيني مدة قليلة فقط. وعلى حسب ظني أن السيد المسيح لا يقصد بالحياة الحاضرة فقط، لكن الحياة المستقبلية أيضًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كنا أمواتًا عنه حينما عشنا لأنفسنا، ولكن إذ مات لأجلنا يحيا هو لنفسه ولأجلنا. لأنه إذ يحيا، نحن أيضًا نحيا. بينما كنا قارين بأنفسنا أن نموت، فإنه ليس بأنفسنا نستطيع أن نقبلي الحياة [1484].

"في ذلك اليوم تعلمون إنني أنا في أبي،

وأنتم فيّ، وأنا فيكم". [20]

كما أقوم من الأموات تقومون أنتم أيضاً. قيامتي هي تأكيد لقيامتكم. وإذ أنا حي أشفع فيكم لدى الأب. لن يفتر الموت أن يحطمكم، بل تحيون بنعمتي وتتمتعون بشركة مجدي.

بعد موته لم يقدر غير المؤمنين أن يروه، أما بالنسبة للمؤمنين فرأى لهم في ظهورات كثرة، وإلى اليوم يتمتع المؤمنون برويته في أعماقهم. لئلا المسيح حياً في حياة الكنيسة وحياة مؤمنيه، يختبر المؤمنون حياة المسيح الساكن فيهم.

بقوله: "أنتم فيّ" يعلن أنه أخذ البشوية فيه بتجسده، ويقول: "وأنا فيكم" يعلن أنه صار فينا حيث ننعم بشركة الطبيعة الإلهية. أخذنا فيه أعضاء جسده، ووهبنا إياه فينا بإقامة ملكوته داخلنا.

وهبنا سرّ الإفخرستيا حيث قال: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه" (يو ٦: ٥٦)، "فمن يأكلني فهو يحيا بي" (يو ٦: ٥٧).

❖ بالنسبة للأب تشير هذه الكلمات إلى الجوهر (الإلهي الواحد)، وأما بالنسبة للتلاميذ فتشير إلى وحدة الفكر وإلى العون الإلهي.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الآن أيضاً هو فينا ونحن فيه، هذا ما تؤمن به الآن، أما حينئذ فإننا سنعرف أيضاً هذا. وإن كنا ما نعرفه الآن هو بالإيمان، أما ما سنعرفه فسيكون بالروية الفعلية [1485].

القديس أغسطينوس

"الذي عنده وصاياي ويحفظها، فهو الذي يحبني،

والذي يحبني يحبه أبي،

وأنا أحبه، وأظهر له ذاتي". [21]

الشهادة الحقيقية لحبنا للسيد المسيح هو الطاعة لوصيته أو ناموسه، كحبٍ ملتمٍ وقورٍ مطيعٍ، يجعل الإادة متناغمة مع رادة المحبوب، والسلوك متفق مع الحكمة الإلهية.

1. أما ثرة هذا الحب العملي، فهو تمتع المؤمن بحب الأب له، وحنوه واحتضانه لهم. فالأب يحب الابن، ويحب محبوبيه.

2. ويتمتع أيضاً بحب المسيح له "وأنا أحبه" [21]، كأخٍ ومخلصٍ له، يهبه المغفرة ويمتعه بالحياة المحيية.

3. كما يتمتع بإعلان الابن ذاته له، "وأظهر له ذاتي" [٢١]. إذ يشوق بنوره على الفكر كما على القلب، ويتمتع المؤمن باستئارة روحية.

هكذا يربط السيد المسيح التمتع بالحب الإلهي بالحياة العملية الاختبارية خلال حفظ الوصية الإلهية، كما يربطه بالكشف الإلهي أو الظهور

الإلهي الذي يعلن الروح القدس، روح الاستئارة. هكذا من يود أن يرى الله يؤممه أن يحب، وأن يترجم الحب إلى خوة الوصية الإلهية.

❖ لا يكفي أن نقنتي الوصايا فقط، لكننا نحتاج إلى حفظ مستقصى وبلغ لها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الذي عنده (وصاياي) في ذاكرته ويحفظها في حياته؛ الذي عنده في شفتيه ويحفظها سلوكياً؛ الذي عنده في أذنيه ويحفظها في العمل؛ الذي عنده في

الأعمال ويحفظها بالمتأورة، مثل هذا "يحبني". بالعمل يعلن الحب، وبالتطبيق بغير ثمر يكون مجرد الاسم (للحب) [1486].

القديس أغسطينوس

❖ كل كلمة من كلمات المسيح تكشف عن براحم الله ووه وحكمته، ويمكن أن تكون لهذه الكلمة قوتها في النفس عن طريق الأذن إن أصغت إليها

طوعاً. هذا هو السبب في أن الإنسان القاسي القلب والثوير الذي لا يصغي إليها طوعاً ليس فقط لا يترك الحكمة الإلهية، بل ويصلب (يسوع) الذي علم بها.

لذلك يجب علينا أيضاً أن ننظر إن كنا نصغي إليه طوعاً، إذ قال: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي... الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأظهر له ذاتي" (يو 14:15، 21).
ألا ترى كيف أنه يجعل في وصاياه مكمناً لإعلان ذاته؟ إن أعظم الوصايا هي أن تحب الله والقريب، تلك التي تأتي بعدما ترفض كل الأمور اؤمنية ويستقر ذهننا [1487].

القديس مرقس الناسك

"قال له يهوذا ليس الاسخريوطي:

يا سيد ماذا حدث حتى أنك مزعم أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟" [22]

إذ قدم السيد المسيح هذه الوعود الإلهية عبر أحد التلاميذ عن دهشتهم أنه يظهر ذاته لهم نون العالم. هذا ما عبر عنه "يهوذا ليس الاسخريوطي"، وهو أخ يعقوب (لو 6: 16)، أحد أقرباء يسوع المسيح حسب الجسد (مت 13: 55)، كاتب رسالة يهوذا. دُهِش يهوذا إذ شعر بأنه ومع بقية التلاميذ نالوا نعمة فائقة وإعلاناً لشخص المسيا وعمله، الأمور التي لم يتمتع بها العالم. لكن يبقى أن نتساءل: هل كان يهوذا يدرك في هذه اللحظات إعلان السيد المسيح عن نفسه، أم كان لا يزال يفكر فيه كملكٍ أرضي، ويتلامس معه خلال الجسد وحده، بينما كان السيد يود أن يسحب كل أفكارهم نحو السماء؟

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن السيد المسيح وقد وعدهم أنه يظهر ذاته لهم، ظنوا أنه يترآى لهم في أحلام، إذ لم يتخيلوا أنه يقوم من الأموات، ويصعد حقيقة إلى السماء. حسوه يظهر في أحلامهم كخيالات، وإذ لم يجسروا أن يسألوه صحح مفاهيمهم بأنه يأتي هو والآب ويسكننا فيهم، كما لو كانوا مؤلاً لهما.

❖ ألا ترون كيف صلت نفوسهم تعاني من الخوف؟ فقد صار (يهوذا) مرتبكاً وفي ضيق، حاسباً أنه سوى كما رأى أجساداً ميتة في حلم. فلكي يُزيل عنهم هذا التصور اسمع ما يقوله: "إليه نأتي، وعنده نصنع مؤلاً" [23]... هذا أمر لا ينتمي إلى أحلام [1488].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجاب يسوع وقال له:

إن أحبني أحد يحفظ كلامي،

ويحبه أبي،

وإليه نأتي،

وعنده نصنع مؤلاً." [23]

بدأ يوجه حديثه لا إلى تلاميذه وحدهم، بل إلى كل المؤمنين الذين يحبونه، ويظهر أن الوعد الإلهي عام للجميع، وأنه لا يسكن معه الآب، إذ يقيم من القلب مسكناً أو هيكلًا إلهياً.

والعجيب أنه بينما يدعش يهوذا لإعلان السيد المسيح عن ذاته، يتكلم السيد المسيح بالجمع عن نفسه ومع الآب، وكأنه يود أن يربط أذهان المؤمنين بوضعه الحقيقي أنه صاعد إلى الآب، وكأنه معه. كأنه يقول لهم: أتريدون أن أعلن لكم ذاتي؟ إني غير منفصل عن الآب! أمكث معه في السماء، وإذ أحل في قلوبكم نحل نحن معاً فيها.

❖ المواهب التي يقسمها الروح القدس لكل واحد تُمنح من الآب بالكلمة. لأن كل ما للآب هو للابن أيضاً. إذ افتك التي تُمنح من الابن في الروح

القدس هي مواهب الآب. وعندما يكون الروح القدس فينا يكون فينا أيضًا الكلمة الذي يمنح الروح القدس، والآب الذي هو في الكلمة. وهذا يتفق مع ما قيل: "إليه نأتي، أنا والآب، وعنده نصنع مؤلاً" (يو 14:23). لأنه حيث يوجد النور يوجد أيضًا الشعاع، وحيث يوجد الشعاع، يوجد أيضًا نشاطه، وتوجد نعمته الخافقة.

هذا ما نادى به أيضًا الرسول عندما كتب لأهل كورنثوس في الرسالة الثانية: "نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم" (2 كو 13:13). لأن هذه النعمة والموهبة التي تمنح، إنما تمنح في الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس.

وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن، هكذا لا يمكننا أن نشترك في الموهبة إلا في الروح القدس. لأننا عندما نشترك فيه تصبح لنا محبة الآب ونعمة الابن وشركة الروح القدس نفسه.

هذه الحقيقة أيضًا تبين أن عمل الثالوث واحد. فالرسول لا يعني أن ما يُعطي يُعطي بالتجزئة وعلي حدة من كل أقنوم، بل أن ما يُعطي يُعطي في الثالوث، وإن كل ما يُعطي هو من الله الواحد.

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ وهان الحب هو إعلانه خلال العمل. هذا هو السبب الذي لأجله يقول يوحنا في رسالته: "من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب" (1 يو 4:2). حبنا حقيقي أن حفظنا رادتنا متغاممة مع وصاياه. من يجول هنا وهناك خلال شهواته الشرة لا يحب الله بالحق، لأنه يضاد الله في رادته [1489].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ يوجد هنا نوع من الإعلان الداخلي عن الله، الأمر الذي لا يُعرف نهائيًا بالنسبة للأشوار الذين لا يقبلون أي إعلان عن الله والآب والروح القدس، وهكذا أيضًا بالنسبة للابن الذي لا يعرفون عنه إلا ما هو بالجسد... ويكون لهم ذلك للدينونة لا للوح، للعقوبة لا للمكافأة [1490].

❖ نلا يظن أحد أن الآب والابن وهدهما دون الروح القدس يصنعان لهما مؤلاً لدى الذين يحبونهما، فليتذكر ما قيل قبلاً عن الروح القدس: "لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه، لأنه ماكن معكم، ويكون فيكم" [17].

هنا ترون أن الروح القدس أيضًا مع الآب والابن يجد له مسكنًا في القديسين، أي بكونه الله في هيكله. يأتي الثالوث القديس إلينا كما نأتي نحن إليه.

هو يأتي بالعون، ونحن نأتي بالطاعة، هو يأتي لينير، ونحن نأتي لنرى.

هو يأتي ليملاً، ونحن نأتي لكي نحويه، فلا تكون رؤيتنا له خلجية بل داخلية.

سكنى الثالوث ليست مؤقتة بل أبدية.

لا يعلن الابن نفسه هكذا بهذه الطريقة للعالم. فإن العالم الذي تكلم عنه في عبلة سابقة يضيف إليه فهراً القول: "الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي" [24]. الذين هم هكذا لن يروا الآب والروح القدس، وإنما يروا الابن إلى حين لا كمصدر بركة بل لدينوتهم. لا يروه في شكل الله الذي فيه هو مساوٍ

للآب والروح القدس، غير منظور معهم، بل الشكل البشري، الذي بلادته كان موضوع استخفاف في آلامه ويكون موضوع عب في دينونة

العالم [1491].

❖ السكنى التي وعد بها في المستقبل من فوع ما ... سكنى روحية تتحقق داخلياً في الذهن، والأخرى (الخاصة بروية السيد المسيح أثناء خدمته على الأرض) جسدية مُعلنة خلجياً للعين والأذن.

واحدة تجلب بركة أبدية للذين يقبلونها، والأخرى خاصة بالؤمن للذين ينتظرون الخلاص.

بالنسبة لواحدة لن ينسحب الرب ممن يحبونه، وبخصوص الأخرى يأتي ويذهب. إنه يقول: " بهذا كلمتكم، وأنا عندكم" [25]، أي حضور

جسدي فيه يتحدث معهم بطريقة منظورة" [1492].

القديس أغسطينوس

❖ يسكن روح المسيح في من يحملون شبهه، أقول، من جهة الشكل والسمات... فيقدم الله في وعده للأوار: "إني سأسكن فيهم، وأسير بينهم، وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا" (2كو 6:16؛ لا 12:26؛ إر 33:3، 38:32؛ زك 8:8). ويقول المخلص: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع مؤلًا" (يو 14:23)...

وفي أجزاء أخرى من الكتاب المقدس يتحدث عن سرّ القيامة، للذين قد فُتحت آذانهم إلهيًا، ويقول إن الهيكل الذي تمّ تدموه يُعاد بنائه من جديد من أحجار حية وثمانية. هذا يجعلنا نفهم أن كل من تقودهم كلمة الله إلى الكفاح معًا في طريق التقوى يكونون حجارة ثمانية في هيكل الله العظيم الواحد. لذلك يقول بطرس الرسول: "كونوا أنتم أيضًا مبنيين كحجر حية، بيتًا روحيًا، كهنوتًا مقدسًا، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله، بيسوع المسيح" (1 بط 2:5). ويقول أيضًا بولس الرسول: "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه، حجر الزاوية" (أف 2:20). كما يوجد ما يشبه ذلك بتلميخ خفي في تلك الفقرة من إشعيا التي يخاطب فيها أورشليم: "هأنذا أبني بالأثمد حجرتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسك، وأجعل شرفك ياقوتًا، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمة، وكل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثوًا" (إش 54:11-14).

[1493]

إذن يوجد بين الأوار من هم أئمد، ومن هم ياقوت أزرق، وآخرون بهرمان، أو حجارة كريمة، أي فيهم كل الأنواع للاختيار...

العلامة أوريجينوس

"الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي،

والكلام الذي تسمعونه ليس لي،

بل للآب الذي أرسلني". [24]

إذ تحدث عن شوقه نحو مجيئه مع الآب إلى قلوبهم وسكناهما فيها كهيكل مقدس يحنوهم من محبة العالم مباهجه الباطلة التي تحرمهم من حفظ كلامه الذي هو كلام الآب، بهذا يعلنون عن حبه للظلمة لا للنور. فلن يكون له ولا للآب موضع فيهم.

❖ كأن السيد المسيح يقول: فمن هذه الجهة من لا يحفظ هذه الأقوال ليس من شأنه أنه لا يحبني فقط، لكنه ولا يحب أبي أيضًا، وإن كانت هذه دلالة الحب وهي الاستماع للوصايا، وهذه وصايا أبي، فمن يسمعها لا يحب الآب فقط، لكنه يحب معه أباه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

6. المؤي المعلم

"بهذا كلمتكم وأنا عندكم". [25]

يشجعهم السيد المسيح على قبول المؤي الآخر بكونه المعلم الذي لا ينافس، بل يذكّرهم بما قاله السيد، ويكشف لهم عن أسرار أخرى "يعلمكم كل شيء" [٢٦]، لأنه روح الحكمة. إنه لا يأتي بإنجيل جديد، بل يذكّرهم بإنجيل المسيح، ويعلن لهم ما لم يكونوا قارين على قبوله قبلاً.

"وأما المؤي الروح القدس الذي سيوسله الآب باسمي،

فهو يعلمكم كل شيء،

ويذكركم بكل ما قلته لكم". [26]

❖ يدعو الروح القدس مغزيًا بسبب الهموم التي استحوذت عليهم حينئذ.

وهذه الأقوال قالها السيد المسيح لتلاميذه مكلّفًا إياهم أن يحتملوا مفارقتة بأوفر صبر، إذ هي علة نعمٍ عظيمةٍ صالحةٍ لهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا يسكن الروح في إنسان بدون الآب والابن، ولا الابن أيضاً بدون الآب والروح القدس، ولا الآب بدونهما. سكناهم غير منفصل، لكن أحياناً يعلنون عن أنفسهم بـرموزٍ مقتبسة من الخليقة منفصلين، ليس في جوهرهم [1494].

القديس أغسطينوس

❖ أرسل كل من الآب والابن الروح القدس. أرسل الآب الروح القدس، إذ كُتِب: " وأما المؤي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي" [16]. وأرسله الابن إذ قال: ومتى جاء المؤي الذي سُرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق" (26:15). إذن إن كان الابن والروح القدس يرسلان بعضهما البعض، كما يرسل الآب، فلا يوجد مثله أقل بالخضوع بل شركة في السلطة [1495].

القديس أمبروسيوس

❖ الكلمة اليونانية "بركليت" معناها في اللاتينية "محامي" أو "مؤي". دعي المحامي، لأنه يتدخل أمام عدالة الآب لحساب الخطاة المخطئين. هذا الذي هو جوهر واحد مع الآب والابن، قيل أنه يتوسل بغيرة من أجل الخطاة، إذ يجعل الذين يعلمهم أن يفعلوا هذا. لذلك يقول بولس: "الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها" (رو 8: 26)...

هذا الروح نفسه يُدعى المؤي، لأنه إذ يعدرجاءً في الغوان للذين يحزنون على خطاياهم. إنه يرفع قلوبهم من الحزن والضيق. إنه يعد أنه يعلمهم كل شيء، لأنه إن لم يكن الروح حاضراً في قلب المستمع يكون قول المعلم بلا نفع. لا يليق بأحد أن ينسب لمعلمه ما يفهمه منه، لأنه ما لم يوجد المعلم الداخلي يجهد المعلم الخارجي نفسه باطلاً. يقول يوحنا: "وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء... كما علمتكم تثبتون فيه" (1 يو 2: 27).

لا يتعلم أحد بصوتٍ عندما لا يُمسح قلبه بالروح. " يذكركم بكل ما قلته لكم "، إذ يهبكم المعرفة ليس كمن هو أقل بل بكونه يعرف ما هو خفي [1496].

البابا غريغوريوس (الكبير)

الكنيسة هي تمتع بالشركة في سرّ الثالث القنوس. إنها عطية الحب والحياة من أب الأتوار، حضور المسيح وتذكوره في الصلاة، وشهادته وخدمته لقرّة الروح القدس المقدّس الذي يقود الكنيسة وأبنائها إلى كمالهم خلال صوت الروح الداخلي. يقول مار اسحق أسقف نصيبين : [عندما يؤسس الروح سكناه في إنسان، لا يتوقف الأخير عن الصلاة، لأن الروح لا يتوقف عن الصلاة فيه.]

❖ إذ أبدأ في التأمل في الوحدة يغموني الثالث بإشراقه. وما أن أبدأ في التفكير في الثالث حيث تستولي عليّ الوحدة. حينما يظهر لي أحد الثالث أظن أنه الكل، يملأ عيني بالكامل، يهوب الفيض مني. ولا يكون في ذهني المحود جداً في إرواكه أفتنوم واحد موضع لأكثر من ذلك. عندما لربط الثلاثة في فكر واحدٍ رى لهيباً واحداً، فلا أستطيع أن أقسمّ النور الواحد ولا أحلّله [1497].

القديس غريغوريوس النريوي

❖ الثالث القنوس كله يتكلم ويعلم (يو 6: ٤٥؛ مت ٢٣: ١٠؛ أع ١٠: ٢٠) ... لكنهم غير منفصلين [1498].

القديس أغسطينوس

الكنيسة والثالث القنوس

الكنيسة هي البينة الإلهية التي تعمل فيها النعمة، وتقدم الخلاص. إننا وحدنا الذين نعرف أن الكائن البشري حسب تعبير **القديس أغسطينوس** "امتداد للعائلة الثالوثية"، بمعنى عندما يفكر الله في الإنسان بكونه أبوتته، فإن يسوع المسيح يحتل المركز الأول. لهذا هذا الإنسان يحكمه نفس الديناميكيات كالثالوث نفسه، أي الحرية والوحدة والحب. إننا وحدنا نعرف صورة الله هذه التي تتحقق في طوق إلهي، تتطلب منا ما فوق في الطبيعة. يؤمننا أن نتحرك إلى ما فوق الصواع من أجل الحياة، وبتعدى المركة على نواتنا، ليكون لنا تطلعاً نحو المشاركة وتحقيق جوهرى لكل الإنسانية [\[1499\]](#).

وي **القديس غريغوريوس النريوي** [\[1500\]](#) أن العهد القديم أعلن عن الآب علانية، وعن الابن بطريقة أكثر غموضاً. وأعلن العهد الجديد عن الابن، وأوحى بلاهوت الروح القدس. وهكذا جاء الإعلان عن الثالوث ترويجياً، لئلا يصير الشعب أشبه بأناس تثقلوا بطعام أكثر من طاقتهم، وقدموا نور الشمس لأعينهم الضعيفة جداً عن رؤيته، لئلا يحدث خطر فقدان حتى ما هو في حدود طاقتهم، وإنما كما يقول داود بالتتريج يصعدون ويتقدمون وينمون من مجدٍ إلى مجدٍ، فيشوق نور الثالوث على الذين يستنيرون.

❖ إننا نحفظ بكل اهتمام الإيمان الذي نتسلمه من الكنيسة، فإنه خلال عمل روح الله، يكون وديعة ثمنها عظيم، مودعة في إناء صالح، تتجدد بغير انقطاع، وتجعل الإناء الذي يحفظها متجدداً. **تُمنح عطية الله (الروح القدس) للكنيسة كالنسمة التي قُدمت للإنسان في خليقته**، حتى يشترك كل الأعضاء فيها ويحيون بها. في الكنيسة تودع الثركة مع المسيح أي الروح القدس، عربون عدم الفساد، ثبات إيماننا، سلم للصعود إلى الله... فإنه حيث توجد الكنيسة يكون أيضاً روح الله، وحيث يوجد روح الله تكون الكنيسة وكل نعمة [\[1501\]](#).

❖ وعد الرب بالأنبياء أن **يسكب روحه على خدامه وخداماته في نهاية الأمانة** هذه. هذا هو سبب نزوله على ابن الله الذي صار ابن الإنسان، إذ صار معتاداً به أن يسكن في الجنس البشري ويستقر على البشريين، وأن يحيا في خليفة الله، يجدهم من العتق إلى جدة المسيح... لهذا السبب وعد الرب أيضاً أن يرسل البراكليت الذي يهيننا لله [\[1502\]](#).

❖ كما أن الدقيق الجاف لا يقدر بدون سائل أن يصير عجيناً أو خزة واحدة، هكذا نحن الكثيرون لا نقدر أن نصير واحداً في المسيح بدون الماء الذي من السماء. هذا الماء تقبله الرب كهبة من الآب، والذي هو يعطيه أيضاً للذين يشتركون معه، مرسلاً الروح القدس على كل الأرض [\[1503\]](#).

❖ يصف الكهنة تلاميذ الرسل مسوة الذين يخلصون وخطوات صعودهم، **فيصعدون بالروح إلى الابن، وبالابن إلى الآب، وأخيراً يرد الابن عمله للآب** كقول الرسول (1 كو 15: 24) [\[1504\]](#).

❖ **الآب يخطط ويعطي وأمر، والابن يحقق ويخلق، وبينما الروح ينعمش وينمي، وعلى درجات يصعد الإنسان نحو الكامل.** إذ ينشط التلاميذ بذات المشاعر يسبحون الله، فيجلب الروح القبائل البعيدة إلى الوحدة، ويقدمون للآب بكور الأمم. هذا أيضاً هو السبب الذي لأجله وعد الرب بمرساله البراكليت إلينا هذا الذي يهيننا لله [\[1506\]](#).

❖ كما أن الأرض الفقيرة لا تقدر أن تأتي بثمرٍ ما لم تستقبل ماءً، هكذا نحن الذين كنا قبلاً خشباً جافاً، ما كان يمكننا أن نحمل ثمر للحياة بدون المطر الفيض الذي من العلاء. لأن أجسادنا تتقبل الاتحاد مع عدم الفساد خلال غسل المعمودية، وأما نفوسنا فخلال الروح. هذا هو السبب الذي لأجله أن هذا وذاك ضروريان، لأن هذا وذاك يساهمان في الحياة الإلهية. [\[1507\]](#)

القديس إيريناؤس

❖ لا زال نحتاج إلى آخر يكشف لنا، ويعلن عن كل شيء... ومع التوبة التي كرز بها الرب والمخلص، و التحول من الشر إلى الصلاح، ومع غوان خطايانا الذي يُهب لكل الذين يؤمنون، مع هذا فإن كمال كل الصلاح ومجمله في هذا: أنه بعد كل هذه الأمور يتأهل الإنسان أن يتقبل نعمة الروح القدس، وإلا فإنه لا يوجد شيء ما يُحسب كاملاً بالنسبة لمن ينقصه الروح القدس الذي به نبلغ سرّ الثالوث المطوّب [\[1508\]](#).

العلامة أوريجينوس

❖ يُفاد حاملو الروح القدس إلى الكلمة، أي إلى الابن. لكن الابن يأخذهم ويقدمهم إلى الآب، والآب يمنحهم عدم الفساد . فبدون الروح لا يتم الاقتراب إلى الآب... لأن معرفة الابن تتم بالروح القدس، لكن الابن حسب مسوة الآب يمنح مواهب الروح حسب رادة الآب، للذين يريد لهم لذلك [1509].

دليل الكوزة الوسولية

عطية الروح القدس تعلن لنا حسبما نسعى ونطلب

❖ هذه العطية (الروح القدس) التي في المسيح هي واحدة، تقدم بالكامل للكل، ولا يُحرم أحد منها، ولكن كل واحد يأخذها حسب قياس رادته في قبولها . إنها تقطن داخلنا حسب درجة ما يتأهل الإنسان لها بطلبه إياها في غرة. هذه العطية تبقى معنا حتى نهاية العالم، غواءً لتوقبنا لها، وسلاماً بواسطة الامتيازات التي تهينا إياها، على رجاء أنها تصير لنا نور أدهاننا، وشمس نفوسنا. هذا الروح القدس يؤمننا أن نطلبه، ونشاق إليه، عندئذ نتمسك به بالإيمان والطاعة لوصايا الله [1510].

القديس هيلاري أسقف بواتيه

❖ تصعد طريق الحكمة الإلهية من الروح الواحد بالابن الواحد إلى الآب الواحد . هكذا الصلاح الطبيعي، والقداسة الموروثة، والكرامة الملوكية تبلغ من الآب بالابن الوحيد إلى الروح [1511].

❖ عندما ننبت عيوننا خلال قوة الإنارة (التي للروح) على جمال صورة الله غير المنظور (على الابن)، وبالصورة نُقتاد إلى الجمال الفائق للأصل (للآب)، عندئذ روح المعرفة الذي فينا لا ينقسم بالنسبة للذين يحبون رؤية الحق، بل يهبهم فيه قوة رؤية الصورة... إنه لا يعينها في الخرج، بل يقودهم إلى المعرفة في نفسه [1512].

❖ إنه لا يقطن فيهم (الخطاة)، لأنهم يرفضون بسهولة النعمة التي يتقبلونها [1513].

القديس باسيليوس الكبير

7 . فوح المسيح بروحيله

"سلاماً أتوك لكم،

سلامي أعطيكم.

ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا.

لا تضطرب قلوبكم ولا تهب". [27]

ماذا ترك السيد المسيح لتلاميذه الذين تركوا كل شيء وتبعوه؟ "سلامي أعطيكم" [27]. إنه يتركهم ليس في حزنٍ ومرةٍ، بل في سلامٍ ليهبهم مواتاً ثميناً، هو سلامه! هو نفسه سلامنا (أف ٢: ١٤)، أورثنا ذاته سلاماً لنا.

إنه لا يقدم السلام كما يقدمه العالم، تحية كلامية شكلية، بل بركة حقيقية تتمثل في تقديم ذاته لمؤمنيه. هذا السلام لا يمكن للعالم بكل إمكانياته أن يقدمه ولا بكل أحواله أن يسحبه من المؤمن. لأن ما يعطيه العالم يمس الجسد ويُحد بالزمن والمكان، أما سلام المسيح فيحتضن كيان الإنسان كله، ولا يقدر زمن ما أو مكان ما أن يحده. إنه يسحب أعماق الإنسان لتختبر الأبدية.

" لا تضطرب قلوبهم ولا تهب "، لأن سلام المسيح أبدي، ليس من قوة تقدر أن تزعه عن الإنسان المتمسك به. سلام العالم قد يدفع الإنسان إلى الخطية، سواء من جهة المذات أو الكبرياء، أما سلام المسيح فهو عمل النعمة الغنية التي تحفظ الإنسان في القداسة والبر. لكي يسحب قلوب تلاميذه إلى

الروح الأبدى والسلام السموي، تحدث معهم كمن يتהלل بعودته إلى السماء، واهباً إياهم سلامه كي يمتثلوا به ويفرحوا بصعودهم معه.

❖ إذ اضطرب التلاميذ عند استماعهم قول السيد المسيح: "أنا أمضي لأعد لكم مكاناً"، متصورين أن انصافه عنهم يثير العدوة والحروب عليهم، أنظر كيف إنه زع لرتياعهم، فقال: "سلاماً أتوك لكم، سلامي أعطيكم"، فأوشك أن يقول: "مادام السلام يشملكم فما الذي يضركم من العالم؟"

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه يتوك لنا سلاماً وهو راحل، وسيقدم لنا سلامه عندما يأتي في النهاية. سلاماً يتوكه لنا في هذا العالم، وسلامه سيهبنا في العالم الآتي. يتوك لنا سلامه، وإذ نسكن فيه نهزم العدو.

سيهبنا سلامه عندما لا يوجد بعد أعداء نحربهم فنملك كملوك.

سلاماً يتوك لنا حتى نحب أيضاً بعضنا البعض هنا، وسيعطينا سلامه حين نكون فوق إمكانية حدوث زاع.

سلاماً يتوكه لنا حتى لا يدين الواحد الآخر فيما هو سرّ لكل منهما ونحن على الأرض؛ سيهبنا سلامه عندما "يظهر رآء القلوب وحينئذ يكون

المدح لكل واحدٍ من الله" (١ كو ٤: ٥). ومع هذا ففيه ومنه ننال السلام سواء الذي يتوكه لنا وهو ذاهب عند الآب أو ما سيمنحنا إياه عندما يحضونا إلى الآب.

وماذا يتوك لنا عندما يصعد من عندنا سوى حضوره الذي لن يسحبه منا؟ فإنه هو سلامنا الذي يجعل كلاهما واحداً (أف ٢: ١٤). لذلك يصير

هو سلامنا، سواء عندما تؤمن بأنه هو، أو عندما زاه كما هو (١ يو ٣: ٢).

لأنه إن كان ونحن بعد في هذا الجسد الفاسد الذي يتقل على النفس ونسير بالإيمان لا بالعيان لا يتوك الذين وحلون وهم بعيون عنه (٢ كو ٥:

[1514]

٧-٦)، كم بالأكثر عندما نبلغ تلك الرؤية، سيملاًنا بنفسه.

❖ السلام الذي يتوكه لنا في هذا العالم يمكن بالأكثر لياقة أن يدعى سلامنا لا سلامه. لأنه إذ بلا خطية تماماً ليس فيه أي عنصر من الخلاف نفسه. أما

السلام الذي لنا هو الذي في وسطه لا زال نقول: "أغفر لنا ما علينا" (مت ٦: ١٢) ... إنه ليس بالسلام الكامل، إذ زى ناموساً آخر في أعضائنا ضد

[1515]

ناموس ذهننا (رو ٧: ٢٢-٢٣).

القديس أغسطينوس

"سمعتم أني قلت لكم:

أنا أذهب ثم آتي إليكم،

لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون،

لأنني قلت أمضي إلى الآب،

لأن أبي أعظم مني". [28]

يقدم سبباً آخر لعدم اضطراب قلوبهم، وهو أنه وإن كان ذاهباً عنهم إلا أنه سيأتي إليهم. إنه ذاهب ليتسلم الملكوت والسلطان والقوة لحسابهم، لذا

لاق بهم أن يفرحوا بما سيتمتعون به.

"لأن أبي أعظم مني" [28]، إذ صار إنساناً وتنزل ليحقق خلاصنا، صار في تنزله كمن هو أقل من الآب في المجد حسب ناسوته. إن كانت

مسوة الآب والابن أيضاً أن يتنزل الابن من أجل البشوية ليمجدهم، فيلبق بالمؤمنين وهم يسمعون الابن أن يعتر بتنزله أن يفرحوا معه، لأن في هذا

خلاصهم ومجدهم.

❖ واضح أنه صار إنساناً بينما بقي هو الله، فإن الله انتحل إنساناً، ولم يُمتص الله في إنسان. لذلك بالكمال، بمنطق مقبول أن يُقال إن المسيح كإنسان

[1516]

هو أقل من الآب، وأن المسيح كإله مساوٍ للآب، مساوٍ لله (يو 10: 30).

❖ أمور كثرة قيلت في الكتاب المقدس تتحدث عنه في شكل الله، وأمور كثرة في شكل العبد. اقتبس اثنين من هذه كمثالين، واحد يخص كل منهما. فبحسب شكل الله قال: "أنا والآب واحد" (يو 10:30)، وبحسب شكل العبد: "أبي أعظم مني" [1517].

القديس أغسطينوس

❖ ما هو غير طبيعي إن كان ذلك الذي هو اللوغوس قد صار جسداً (يو 1:14) يعترف بأن أباه أعظم منه، إذ ظهر في المجد أقل من الملائكة، وفي الهيئة كإنسان؟ لأنك "جعلته أقل قليلاً من الملائكة" (مز 8:5)... وأيضاً: "ليس فيه شكل ولا جمال، شكله حقير، وأقل من شكل بني البشر (إش 53:2، 3). هذا هو السبب لماذا هو أقل من الآب، فإن ذلك الذي أحبك احتمل الموت، وجعلك شريكاً في الحياة السماوية" [1518].

القديس باسيليوس الكبير

❖ بسبب تواضعه يقول هذه الكلمات، هذه التي يستخدمها خصومنا ضده بطريقة خبيثة [1519].
❖ يقولون مكتوب: "أبي أعظم مني". أيضاً مكتوب: "لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله" (في 2:6). وأيضاً مكتوب أن اليهود رأوا قتله، لأنه قال إنه ابن الله معادلاً نفسه بالله (يو 5:18). مكتوب: "أنا والآب واحد" (يو 10:30). إنهم يؤمنون نصاً واحداً وليس نصوص كثرة. إذن هل يمكن أن يكون أقل ومساوٍ في نفس الوقت لذات الطبيعة؟ لا، فإن عيلة تشير إلى لاهوته، وأخرى إلى ناسوته" [1520].

القديس أمبروسيو

"وقلت لكم الآن قبل أن يكون،

حتى متى كان تؤمنون". [29]

أخروهم مقدماً بموته حتى لا يتعزوا متى حدث، وقد أظهر لهم ما وراء موته كضرورةٍ لازمة لخلاصهم. بهذا يخفف السيد المسيح من حدة حزنهم واهباً إياهم الرجاء.

"لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً،

لأن رئيس هذا العالم يأتني،

وليس له في شيء". [30]

ظن البعض أنه يتحدث عن بيلاطس بنطس كحاكم روماني، لكن يكاد يجمع الرأي على أنه يعني برئيس هذا العالم إبليس كما جاء في أف ٢:٢ ويو ٢:٣١؛ ودُعي إليه هذا العالم في ٢ كو ٤:٤.

صواع السيد المسيح ليس ضد إنسان بل ضد قوات الظلمة الروحية. الإنسان ليس طرفاً في المعركة، إنما المعركة هي بين المسيح وإبليس، ولإنسان أن يختفي في أحدهما. يتكلم السيد المسيح بلغة اليقين أنه ليس لإبليس موضع فيه. لذا فهو حتماً غالب له.

❖ قول السيد المسيح: "لأن رئيس هذا العالم"، يعني به إبليس، وقد دعاه الناس الأشوار بهذا الاسم، ليس لأنه رأس السماء والأرض، وإلا لقلب الخلائق وعكسها، وإنما رأس الذين قد أسلموا إليه نواتهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إننا مُحاصرون بجيوش الأعداء، فإنهم حولنا من كل جانب. الجسد الضعيف سيصير قريباً تراباً، إنه واحد ضد كثيرين، يحارب ضد فرق هائلة. إلى أن يحل، إلى أن يأتي رئيس العالم، ولا يجد خطية فيه، إلى أن يحين ذلك، فلتتصت في أمان إلى كلمات النبي: "لا تخف من رعب الليل، ولا من سهم يصير في النهار..." (مز 91:5) [1521].

❖ إن نقص أسقف فضيلة أو فضيلتان في قائمة الفضائل لا يعني هذا أنه لا يعود يُدعى برّاً، ولا يُدان على نقائصه، وإنما يكفل على ما لديه. لأن اقتناء

كل الفضائل وعدم النقص في شيءٍ منها هو من سمات (المسيح) وحده، الذي لم يفعل خطية، ولا في فمه غش الذي إذ شتم لم يُشتم عوضاً (1 بط 22:2) [1522].

القديس جيروم

❖ بمثل هذه الكلمات يشير إلى الشيطان كرئيس ليس على خلائق الله بل على الخطاة، هؤلاء الذين يشير إليهم هنا باسم "هذا العالم". عندما يستخدم اسم "العالم" بمعنى شوير يشير السيد فقط إلى محبي هذا العالم، الذين كُتِبَ عنهم في موضع آخر: "محبة العالم عدوة لله" (يع 4: 4). حاشا لنا أن نفهم الشيطان أنه رئيس العالم كمن يسيطر على تدبير أمور كل العالم، السماء الأرض وما فيهما. مثل هذا العالم قيل عنه عندما تحدثنا عن المسيح الكلمة: "كُون العالم به" (يو 1: 10). العالم كله من أعلي السموات إلى أسافل الأرض يخضع للخالق ليس للهلب؛ للمخلص لا للمغرب؛ للمنقذ لا للمستعبد؛ للمعلم لا للمخادع [1523].

القديس أغسطينوس

"ولكن ليفهم العالم إنني أحب الآب،

وكما أوصاني الآب هكذا أفعل.

قوموا ننطلق من ههنا". [31]

إن كان ليس لإبليس موضع في السيد المسيح، وليس في إمكانياته أن يحل به، لكن سمح السيد له أن يدخل معه في المعركة الحاسمة، من أجل تحقيق خطة الآب للخلاص، وحب الابن للآب.

هذه هي وصية الآب له أن يخلص العالم بآلامه، لذلك سألهم أن يقوموا وينطلقوا كي يسلم نفسه للموت.

❖ قال السيد المسيح ذلك لينهض نفوس تلاميذه، وليعرفوا أنه يذهب إلى هذا الموت ليس كرهًا بل طوعًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي يو ١٤

ليحملني روحك القُدوس إلى سمواتك المتسعة!

❖ إذ اضطربت نفسي في داخلي،

من أجل كثرة خطاياي،

كشفت لي عن اتساع سمواتك،

التي تنتظر كل مؤمن!

تهبنا حياة أبدية واحدة للجميع،

يتلألأ فيها مؤمنوك ككواكبٍ بهية.

كل منهم يوح ويتهلل من أجل عظم بهاء أخيه!

❖ لأنطلق بك يا أيها الطويق إلى حيث توجد.
فأنت طريقي الإلهي، وأنت سمواتي.
بك أنطلق، إليك لأبقى معك في حضن أبيك!

❖ أنساءل: كيف وأنا الإنسان أبقى معك؟
وهبتي روحك القدوس يقدس أعماقي.
تركنتي بالجسد بصعودك،
ورأست لي روحك الناري، يشكلني على صورتك!
يهبني معرفة الحق،
فأتعرف عليك يا أيها الحق.
رأك فرأى الآب، لأنكما واحد!
رأك في تنزلك تعلن: أبي أعظم مني.
لا أتعثر بهذه الكلمات،
بل ألمس فيها روح التواضع، يا من صوت عبداً من أجلي!

❖ اسمع كلماتك هذه فأتعلق بحبك!
حبك أتوكل إليّ، لكي يرفعني إلى حضن أبيك.
وأنت غير منفصل عنه صوت كمن هو أقل منه،
لكي تحمّلني من انحطاطي إلى علو شركة مجدك!

❖ كم كنت اشتهي أن رأفك حين كنت هنا بالجسد،
لكن صعودك أصعد قلبي إليك.
عطية روحك القدوس، روح الحق، واهب كل العطايا، تخوي أعماقي.
عطيتك أتلتج قلبي، فلن أطلب من الآب غوها!
عطيتك زعت عني يتمي،
فصوت ابنا لملك الملوك الذي لا يموت!
عطيتك هو المعلم القادر أن يدخل أعماقي،
ويقودني لا بفلسفات نظرية،
بل يحمّلني إلى الحق كله!

❖ أشوقت عليَّ أيها الابن الوحيد بنور الروح،

فامتألت حياتي ببهاء الثالوث القديس.

مات العالم عني بكل ظلمته، لأحيا في نور الحق.

مجدًا لك أيها الأب محب البشر، ومدبر الخلاص!

شكرًا لك أيها الابن خالق الكل، ومخلص الجميع!

لك التسبيح أيها الروح القدس، واهب القداسة والصلاح!

نفسي تغوص في لجة حب الثالوث القديس،

تشتهي أن تنعم بالرؤية الكاملة في يوم الرب العظيم!

⇐

الأصاحح الخامس عشر

حديث وداعي

الأصاححان ١٥ و ١٦ هما حديث وداعي تحدث به السيد مع تلاميذه في الليلة التي ألقى القبض عليه ليُسلم للموت. وها هو يهيئهم في هذا

الحديث لمواجهة التجربة. ففي هذا الأصاح حدثهم عن:

1. الحاجة إلى الثبوت فيه ١ - ٨.

2. محبتهم لبعضهم البعض ٩ - ١٧.

3. مواجهة بغض العالم ١٨ - ٢٥.

4. إرسال المؤي لهم ٢٦ - ٢٧.

1. الحاجة إلى الثبوت فيه

"أنا الكومة الحقيقية،

وأبي الكوام". [1]

إذ تنزل من أجلا استخدم أيضًا تشبيهات زمنية للتعرف على شخصه وعمله فينا، فيُدعى شمس البرّ المُشوق على الجالسين في الظلمة، وكوكب الصبح المنير، والكومة.

ما كان يمكن لشخصٍ يهوديٍّ أن يتوقع من المسيا أن يشبه نفسه بالكومة، فقد توقوا مجيئه ملكًا مخلصًا لهم، صاحب سلطان يرد لشعبه كرامتهم في العالم، ويهبهم سلطة ملوكية. أما التشبيه بالكومة فيخص الشعب أو كنيسة الله.

لقد غرس الله جنة عدن ليتمتع آدم وبفوه بثمرها، ولا يحرم أحد إلا من ثروة شجرة معرفة الخير والشر. وإذا طرد الإنسان نفسه من هذه الجنة ليعيش في أرض تنبت له شوكًا وحسكًا، قدم الله عبر الأجيال إمكانيات إلهية ليجعل من شعبه كومة مثمرة تقدم عنبًا يُستخرج منه خمر روحي مفرح.

وجاء العهد القديم مليء بالروايات على هذه الكومة التي لم تثمر إلا مرة.

ففي موثاة الكرمة التي أنشدها آساف جاء: "كرمة من مصر نقلت، طردت أممًا وغرستها؛ هيأت قدامها فأصلت أصولها، فملأت الأرض. غطي الجبال ظلها، وأغصانها أرز الله. مدت قضبانها إلى البحر، وإلى النهر فروعها. فلماذا هدمت جوانها ليقطفها كل عاوي الطريق، يفسدها الخوير من الوعر، ووعاها وحش البرية؟" (مز 8:13-80) هكذا بين الموثل، لأن الكرمة التي غرستها يمين الوب حطمت الحصون التي أقامها الوب حولها ليصير ثورها، لا للوب بل لعاوي الطريق وخوير الوعر ووحش البرية.

وقدم لنا الله نفسه موثاة على كومه في إشعياء حيث يقول: "والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا أحكموا بيني وبين كرمي. ماذا يُصنع لكرمي وأنا لم أصنعه له؟ لماذا إذ انتظوت أن يصنع عنبًا، صنع عنبًا رديئًا؟" (إش 5: 3-4).

موة أخرى في موثاة على ذات الكرمة يقول الله: "وأنا قد غرستك كرمة سورك (من صنفٍ ممتازٍ)، زرع حق كلها، فكيف تحولت لي سوك جفنة غريبة؟" (إر 2: 21).

هذه هي مسوة الله أن يصير شعبه كله كرمة، تهب حياتها لمن حولها، توح قلب الله بثمر الروح، وتبهج السمائين بعمل الله فيها. لكن ماذا حدث؟ يقول هوشع النبي: "إسوائيل جفنة ممتدة، يخرج ثوا لنفسه، على حسب كثرة ثوه قد كثر المذابح، على حسب جودة أرضه أجاد الأنصاب. قد قسموا قلوبهم" (هو 10: 1-2). صار شعب الله ليس كرمة مقدسة لحساب ملكوت الله، بل جفنة تخرج موة، لحساب عبادة الأوثان ومملكة الظلمة. لم يعد بعد يوجد حل آخر سوى أن يصير المسيا نفسه كرمة حقيقية يتطعم فيها المؤمنون، فيأتون بثمرٍ روحيٍّ سمويٍّ فائقٍ.

السيد المسيح هو الكرمة المغروسة في التوبة، إذ هو الكلمة الذي صار جسدًا، رآه إشعياء النبي بروح النبوة بلا شكل ولا جمال (إش 53: 2). ثمر الكرمة يوح الله والناس (قض 9: 13). ثمر الحكمة (السيد المسيح) خير من الذهب ومن الإيوز (أم 8: 19). إنه كرمة يهوذا التي تغنيه بدم العنب (تك 49: 11)، وكرمة يوسف التي تحوي فروعها على الحائط (تك 49: 22)، كرمة إسرائيل التي يجلس تحتها بسلام (1 مل 4: 25).

❖ لم يذكر الكرمة هنا لأجل معنى آخر إلا لكي يعلم التلاميذ أنهم بدون قوة السيد المسيح لا يمكنهم أن يعملوا شيئًا، وأنهم على هذا المثال يحتاجون أن يتحدوا به كاتحاد الغصن بالكرمة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إننا أقرباء الوب حسب الجسد، لذا يقول: "أخبر باسمك اخوتي" (عب 2: 12؛ مز 22: 22). وكما أن الأغصان واحدة مع الكرمة (الأصل) وهي منها (يو 1: 15) هكذا نحن أيضًا جسد واحد متجانس مع جسد الوب، ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا (يو 16: 1)، ولنا هذا الجسد كأصل لقيامتنا وخلصنا.

القديس أناسيوس الرسولي

وي القديس أغسطينوس أن السيد المسيح يدعو نفسه الكرمة ويدعوننا نحن بالأغصان، والكرمة والأغصان من طبيعة واحدة. هكذا إذ صار إنسانًا حمل ناسوتنا، فصار كرمة ونحن الأغصان الثابتة فيه إذ حملنا فيه [1524].

بقوله: "أنا هو" رأينا خلال هذا السفر أن السيد المسيح يتحدث على مستوى حضوره الذاتي، فقد حل بيننا كرمة حقيقية، الحق ذاته، نُغرس فيه ككنيسة العهد الجديد التي تتمتع بالحياة الأبدية، فتفيض بالخمير الروحي الذي يوح السماء!

الآب ليس فقط صاحب الكرم، لكنه هو العامل فيه والمهتم به، إنه الكرم، يهتم بكل فرعٍ من فروعها. هو الحافظ للثبوت الإلهي، حيث تثبت في الكرمة كأغصانٍ حية فيها، وثبوتنا في الكرمة، الابن الوحيد الجنس، تثبت في الآب، وتحد به، لنستقر في أحضانه أبدًا، لن نُزع منه.

الآب الذي جاء بشعبه من مصر قديمًا ليغرسهم كرمة في أرض الموعد، هو بعينه الذي أرسل ابنه من السماء ليغرسنا فيه أعضاء جسده، فروع كرمة سموية حية. أقام كلمته المتجسد كرمة أو رأسًا، لنصير نحن فيه فروعًا أو أعضاء جسده. وكما يقول الرسول: "وإياه جعل رأسًا فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكل في الكل" (أف 1: 22-23). "ما هي عظمة قوته الفارقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شدة قوته، الذي عمله في المسيح" (أف 1: 19-20).

"كل غصن في لا يأتي بثمر يؤعه،

وكل ما ياتي بثمر ينقيه، ليأتي بثمر أكثر". [2]

يطلب من الكرمه عنبًا جيدًا (إش ٥: ٢)، ويطلب من المسيحي حياة مسيحية لائقة، بفكر مسيحي، وسلوك مسيحي، وقلب مسيحي محب لكل البشرية. ما نفع الكرمه بلا عنب؟ وما نفع المسيحي بلا حب؟!

مع النمو المستمر في الحياة المسيحية، ومع الثمر المتكاثر إلا أنه يوجد دائمًا ما لا وغبه الله فينا فينقيه، فيقوم الله بالعمل ككرام يقلم أغصان الكرمه لكي تأتي بثمر أكثر. لقد قال السيد المسيح لتلاميذه عند غسل أقدامهم أنهم أطهار، لكنهم يحتاجون أن يمد يديه ليقوم بنفسه بغسل أقدامهم حتى تنتقى أو تظهر مما لحق بها أثناء سؤهم في العالم.

وى البعض أنه يشير هنا إلى يهوذا الذي لم يحمل ثورًا، فاستحق زعه من الوسولية وحرمانه من الملكوت. إنه كشوة التين التي جاء إليها السيد وهو في طريقه ولم يجد فيها ثورًا، فلعنها وجفت للحال.

جاء الوعد لمن يأتي بثمر إنه ينقيه ليأتي بثمر أكثر أو يقلمه، أي يوزع عنه كل ما هو زائد وما يعوق نموه وإثماره. هذا التقليم لا يحمل عنفًا أو قسوة من الكرام، بل هو اهتمام ورعاية لكي يزايد الثمر. وى القديس يوحنا الذهبي الفم إن التقليم هنا يشير إلى الاضطهادات التي تواجه المؤمنين، فهي لا تحطمهم، بل تزيدهم قوة وإثمولًا.

المؤمنون هم الأغصان الكثيرة الظاهرة التي ترمي في اتجاهات مختلفة لكنها تجتمع معًا في المسيح، الجذر الخفي واهب الحياة والثمار، وهو مركز وحدتهم. المؤمنون كأغصان الكرمه الضعيفة التي لا تقدر أن تقوم بذاتها بدون الجذر. يقول الرب في حزقيال: "يا ابن آدم ماذا يكون عود الكرم فوق كل عودٍ أو فوق القضيبي الذي من شجر الوعر؟" (حز ١٥: ٢).

❖ لا تعجب إذن إن كان من تلك الكرمه التي تنمو وتملأ كل البقاع (مز 10:79) توجد أغصان تُقطع منها، هذه التي رفضت أن تنتج ثمر الحب [1525].

❖ لماذا لم يقل: "أنتم أنقياء خلال المعمودية التي فيها تغتسلون" بل قال: "لسبب الكلام الذي كلمتكم به" [٣]، إلا لأنه في الماء أيضًا الكلمة هي التي تنتقي؟ أزع الكلمة، فيصير الماء ليس بأكثر ولا أقل من ماء. إذ تُضاف الكلمة إلى العنصر فتكون النتيجة هي "السر" كما لو كانت هي نفسها نوعًا من الكلمة المنظورة [1526].

❖ كلمة الإيمان هذه تحمل مثل هذه الفضيلة في كنيسة الله، حتى أنه بوسطة ذلك الذي هو حاضر في الإيمان وييلك وورشه يطهر حتى الوضع الصغير وإن كان عاجزًا بقلبه أن يؤمن بالبر، وأن يعترف بفمه للخلاص. كل هذا يتم بواسطة الكلمة التي قال عنها الرب: "أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به" [3] [1527].

❖ إنهم ليسوا فيه بنفس الطريقة التي فيها هو فيهم. ومع ذلك فكل الطريقتين هما لصالحهم وليس لمنفعته هو. فبالنسبة لعلاقة الأغصان بالكرمه، فالأغصان لا تساهم في شيء بالنسبة للكرمه، وإنما تستمد كل وسائل حياتها من الكرمه. أما عن علاقة الكرمه بالأغصان فهي التي تمد الأغصان بالقوت الحوي لها، ولا تأخذ من الأغصان شيئًا... إن قُطع غصن ينبت غوه غصن آخر حي، لكن الغصن المقطوع لا يقدر أن يحيا منفصلًا عن الأصل [1528].

القديس أغسطينوس

❖ في قول السيد المسيح لتلاميذه: "كل غصن في لا ياتي بثمر يؤعه" يذكر عيشتهم بطريقة غامضة، موضحة أنه بدون أعمال لا يحق لهم أن يوجدوا فيه. وقوله "كل غصن في لا ياتي بثمر يؤعه"، معناه أن هذا الغصن يتمتع باهتمام كثير من السيد المسيح.

❖

لم يقل أن الأصل (الجزر) محتاج إلي رعاية الكوام بل الأغصان، أما ذكر الأصل هنا فليس لهدف سوى أن يتعلموا أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً بدون قوته، وأنه يؤمهم أن يتحوا معه بالإيمان كما تتحد الأغصان بالكومة. " كل غصن في لا يأتي بثمر يؤعه".
 هنا يشير إلي طريقة الحياة، مظهرًا أنه بدون أعمال لا يمكن أن نكون فيه " كل ما يأتي بثمر ينقيه ". مع أن الجزر يتطلب عناية أعظم من الفروع حيث يُحفر له وينقب حوله، لكنه لم يقل شيئاً من هذا، إنما كل ما قاله يخص الأغصان. يظهر أن الأصل فيه الكفاية في ذاته، وأما التلاميذ فيحتاجون إلي عونٍ عظيمٍ من الكوام، مع أنهم ممتازون. لهذا يقول: " كل ما يأتي بثمر يقلمه". ... هذا يمكن الجزم به أنه قيل بخصوص الاضطهادات التي تحل بهم. فإن "ينقيه" هو أن يقلمه فيجعل الغصن يحمل ثمرًا أفضل. لهذا يُظهر أن الاضطهادات تجعل الناس أكثر قوة [\[1529\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ في غيوته أن يفعل وصية الآب قام وأسوع ليتم سرّ آلامه الجسدية. لكن في لحظة تالية كشف سرّ تجسده. بأخذه جسداً صونا فيه كأغصان في الكومة. فلو لم يصر كومة ما كان يمكننا أن نحمل ثمرًا صالحة. إنه يحدثنا على الثبوت فيه بالإيمان بتجسده. **فإذ صار الكلمة جسداً فإننا نحمل طبيعة جسده** ، كما الأغصان في الكومة. لقد اعتول شكل عظمة الآب بواقعه، إذ أخذ جسداً ودعا نفسه الكومة، مصدر وحدة كل الأغصان، ودعا الآب الكوام الذي يقلم الأغصان العقيمة التي بلا نفع لكي تُحرق بالنار. [\[1530\]](#)

القديس هيلاري أسقف بواتيه

"أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به". [\[3\]](#)

ربما يشير هنا إلى حديثه أثناء تأسيس الإفلستيا عن يهوذا مسلمه (يو ١٣ : ٢١-٣٠) والتي على أعقابها خرج يهوذا وتم صفقته مع رئيس الكهنة، فزع نفسه كما عن جسم المسيح، وتم تقليم الأغصان (تلاميذ الرب) لهذا لاق القول عنهم: "أنتم الآن أنقياء" [\[٣\]](#). جاءت كلمة المسيح تفصل بين الحق والباطل، وما هو ثمين وما هو مزيف. صار كل منهم نقيًا بكلمة الحق التي للمسيح (يو ١٧ : ١٧) ، بالإيمان به الذي يظهر قلوبهم وينقيها من كل شائبة (أع ١٥ : ٩) ، تنقوا من خموة الفريسيين التي هي الوياء.

لعله أيضًا يشير هنا إلى ما ورد في سفر اللاويين (١٩ : ٢٣-٢٤) عن الكروم التي في كنعان، فإنها تبقى إلى ثلاث سنوات غير نقية، وفي السنة الرابعة تصير نقية لمجد الله. هكذا بقي التلاميذ مع السيد المسيح ثلاث سنوات، والآن إذ يعبر بهم إلى صليبه وقيامته كبرٍ مُقدم عنهم وباسمهم للآب يصيرون أنقياء في عيني الله. لقد عبر بالكومة ثلاث سنوات، والآن سنة النعمة التي بها تصير ثمرها مقدسة للرب. السنة الأولى هي البشرية في جنة عدن، والثانية تحت الناموس الطبيعي إلى مجيء موسى النبي، والثالثة تحت الناموس الموسوي، والرابعة سنة النعمة الإلهية حيث جاء مخلص العالم. به صلت الثمار قُدس للرب.

❖ رأيت كيف أن السيد المسيح يوضح أنه مهتم بأغصانه، إذ أظهر أنه عمل هذا العمل ليس احتياجًا إلى خدمتهم، لكن لكي ينجوا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"اثبتوا فيّ، وأنا فيكم،

كما أن الغصن لا يقدر أن ياتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكومة،

كذلك أنتم أيضًا إن لم تثبتوا فيّ". [\[4\]](#)

كثيرًا ما نتحدث عن الحياة الإيمانية إنها التصاق ربنا يسوع، لكن هذا في عيني السيد ليس كافيًا. إنه يطالبنا ويعدنا بما أعظم، أن نحيا فيه، ويسكن هو فينا. إيماننا الحي هو خوة "في المسيح"، التعبير الذي يكره الوسل في رسائلهم باستوار.

كلمة "الثبوت" محببة جدًا لدى القديس يوحنا، وردت في العهد الجديد 112 مرة، منها 66 مرة في إنجيل معلمنا يوحنا ورسائله: 40 مرة في إنجيله و33 مرة في رسالته الأولى و3 مرات في رسالتيه الثانية والثالثة. فقد جاء السيد المسيح لكي يتمتع المؤمنون بالثبوت فيه، فنبتقى علاقتهم به ليست

وقتيه بل أبدية. في العهد القديم نؤأ عن عمل الروح في حياة الأنبياء والملوك وغورهم في قوتات وقتية. أما في العهد الجديد فلم يأت السيد، ولا أرسل روحه القدس ليقيم إثواقات وقتية، كما ادعي بعض الفلاسفة، وإنما للثبوت الدائم فيه. فإن كان يقيم من مؤمنيه أغصاناً إنما ليؤكد موضعها فيه، فيثبتون فيه (1 يو 2: 6) وفي الحق (2 يو 2)، وفي الحياة (1 يو 3: 15). هذه وصية إلهية، بل وعد إلهي يؤمنا أن نتمسك به. كما أن الغصن يشرك طبيعة الشجرة وينتعض بعصلتها ويحيا بحياتها هكذا يليق بنا أن نكون شركاء في الطبيعة الإلهية ونسلك بحكمته، ونحمل قوته وإمكانياته، ونتظهر بوه وقداسته.

❖ ولكي لا ينفصلوا عنه بسبب جبنهم، شدد أنفسهم عند استرخائها بالخوف، وأصقهم فيه، وبسط لهم فيما بعد آمالاً صالحة، في المستقبل. فإن الأصل باقٍ، أما الزرع أو البقاء فخاص بالأغصان. فإنه إذ يحثهم بالطريقتين، بالأمر المبهجة أو المؤلمة، فإنه يطلب أولاً ما يؤم عمله من جانبنا [1531].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" أنا العرمة، وأنتم الـأغصان،

الذي يثبت فيّ، وأنا فيه، هذا ياتي بثمر كثير،

لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً". [5]

يقدم السيد المسيح نفسه سرّ حياة وثمار المؤمن فهو المخلص والصديق والطريق والباب والحياة والقيامة والمغوي والواعي الصالح. يطالبنا أن نثبت فيه بالإيمان، فيثبت فينا بروحه القدس ويتقديم جسده ودمه المبذولين طعاماً وشراباً لنا. عليه نعتمد، وبه نتق، وبالشركة معه نحيا. هكذا نلتصق به، وهو بنا بسكانه فينا بروحه القدس. نحن نعتمد عليه، لا كما يرمي الفوع على حائط يسنده، وإنما كغصنٍ لا قيمة له بدون الجذر. هكذا يكشف مسيحنا عن قصده الإلهي من تجسده، بل ومن جهة الإنسان، وهو أن يتمتع المؤمن بالحياة الحقيقية من المنبع الإلهي بغير توقف. الثبوت فيه أمر اختياري، لكنه لازم للمؤمن، بدونه لن يتمتع بثمرٍ روحي، هو شرط قاطع؛ إما ثبوت فإثمار، وإلا فلا إثمار قط! ليس من حل وسط بين الأمرين.

❖ ينسب القديسون كل شيء إلى الرب. فلنتعلم أننا لا نستطيع أن نصنع شيئاً بدون الرب؛ يقول الرب: "إن لم تثبتوا فيّ لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (راجع يو 5: 15).

ربما يعترض أحد على ذلك، قائلاً: إذ أنسب كل شيء للرب، فماذا يخصني أنا؟ لنفحص في كل موضع ما يخصنا حتى لا يموج مع ما يأتي من قبل الرب.

يقول: "ضع لي يارب ناموساً في طريق حقوقك" (مز 119: 33). ما يخصنا نحن "أطلبه في كل حين" (مز 119: 33).

مرة أخرى أطلب من الله: "أعطني حكمة، فأفحص ناموسك" (مز 119: 34).

مرة ثالثة أطلب: "اهدني في سبيل وصاياك" (مز 119: 35)، ماذا يخصني؟ يشير إلى ما يخصني بالكلمات: "فإني إياها هويت" (مز 119: 35)...

لنطلب ما يأتينا من الله لكي نحصل عليه، ولنعدّه أيضاً بما يعتمد علينا نحن، ولا نتخلى عن وعدنا، حتى لا ننقض الميثاق الذي يربطنا بالرب. هذا ما يقوله المرتل "أمل قلبي إلى شهادتك، لا إلى الطمع" (مز 119: 36)، عالماً بأن الطمع هو رذيلة ذات نفوذ قوي تؤله مكاسب الأثوار، وقد دعاها الرسول: "عبادة الأوثان" (كو 3: 5). هذا ونتعلم من هذه العبارة أن الطمع لا يتفق مع شهادات الرب.

العلامة أوريجينوس

"إن كان أحد لا يثبت فيّ، ي طرح خراجاً كالغصن،

فيجف ويجمونه، ويطرحونه في النار، فيحترق". [6]

هنا يحترقنا من الوباء، إذ يوجد من لهم اسم المسيح لون الشوكة معه والثبوت فيه، مثل هؤلاء يشبهون أغصانًا تنقل على الشجرة بلا نفع، ولا حاجة إليها. فإنهم إذ رذلوه عمليًا، يصيرون مرنولين، وإذ رفضوا الشوكة معه، لا يتمتعون بالحياة الخفية فيه، ولا يستحقون إلا الطرح في النار لأنهم جافون. النار هي أنسب مكان للخلاص من الأغصان الجافة.

لا تُقدر قيمة أي فرع بالخشب الذي فيه، لأنه إذا عُرِل عن الأصل لا يُستخدم في شئٍ إلا للنار؛ أما ثبوته في الأصل، واتصاله الخفي فيه فيقيم منه فرعًا حيًا زهر ويثمر، لأنه يحمل حياة. بهذا يصير موضع كرامة الكوام وشغله الشاغل ليأتي بمزيد من الثمار.

بحديثه هنا لا وعبنا مسيحين، الكرمة الحقيقية، إنما يوجه أنظرنا إلى عهده الأمين، فهو المتكفل بذلك حسب غني نعمته وسخائه الإلهي الفائق. هذا الذي "به كان كل شيء، وبغوره لم يكن شيء مما كان" (يو 1: 3).

" **يطرح خرجًا** " إذ يعزل الشخص نفسه عن الكرمة يخرج من دائرتها، فلا يحمل فيه حياة المسيح، ولا يشوق فيه نوره، ولا يتمتع بغني نعمته وقوته، ولا يعمل روحه القدس فيه. هذا هو حال المسيحي الذي بعد أن صار غصنًا في الكرمة يعتد بإمكانياته ومواهبه وقدراته وفكوه الخاص، فيطرح نفسه خرجًا، ويصير فرعًا جافًا مبتورًا لا يصلح إلا للحريق.

يصف الرب نفسه في حزقيال حال الغصن الجاف بقوله: "كل إنسان من بيت إسرائيل أو من الغباء المتغبين في إسرائيل إذا رتد عني (عزل نفسه عن الكرمة)، وأصعد أصنامه (أي اعتد بذاته) إلي قلبه، ووضع معثرة إثمته تلقاء وجهه، ثم جاء إلي النبي ليسأله عني، فإنني أنا الرب أحببته بنفسي. وأجعل وجهي ضد ذلك الإنسان، وأجعله آية ومثالاً، وأستأصله من وسط شعبي" (حز 14: 6-8).

❖ يقول السيد المسيح لتلاميذه: " **بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا** ". إنه لخشلة عظيمة ألا يقدر الغصن أن يعمل شيئًا، ولكن السيد المسيح لم يوقف العقوبة عند هذا الحد، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، لأنه قال: " **يطرح خرجًا كالغصن فيجف** ". ويقول: " **ويطرحونه في النار فيحترق** " يوضح أن الذين يقولونهم يحترقون.

❖ يقول: " **يطرح خرجًا** "، فلا يعود يتمتع بيد الزرع. "إنه يجف"، بمعنى إن كان ليس له جنور فإنه يتعرض للخطر، إن كانت لديه أية نعمة يتعوى منها، وبهذا يُحرم من كل عون وحياة.

وما هي النهاية؟ يُطرح في النار. لكن لا يكون هذا حال من يثبت فيه. عندئذ يشير إلى ما هو الذي يثبت قائلاً: "إن ثبتت كلامي فيكم". فإنه إذ يقول: "إن سألتكم شيئًا باسمي أفعله لكم" يضيف: "إن كنتم تحبونني احفظوا وصاياي (يو 14: 15). هنا: " **إن كنتم تثبتون في، ويثبت كلامي فيكم، تسألون لأنفسكم ما فيكون لكم** ". قال هذا ليظهر من جانب أن الذين يتآمرون ضده يحترقون، ومن جانب آخر فإنه يظهر للآخرين أنهم لا يقهرن، إذ يقول: "في هذا يتمجد أبي أنكم تأتون بثمر كثير، وتصيرون تلاميذي" [1532].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنك لا تتقبل فرعًا فاسدًا بل فرعًا روحيًا!

منذ الآن تُزرع في فربوس غير منظور!

إنك تتسلم اسمًا جديدًا لم يكن لك من قبل، إذ كنت تدعى موعوظًا، أما الآن فمؤمنًا!

من الآن فصاعدًا تُطعم في زي تونة روحية (رو 24: 11)، إذ قُطعت من الزيتون البرية، وطُعمت في الزيتون الجيدة. وُعت من الخطايا إلى البر، ومن الدنس إلى النقاوة.

ها أنت تصير شريكًا في الكرمة المقدسة (يو 1: 15، 4، 5) حسنًا فإن ثبت في الكرمة تنمو كغصنٍ مثمر، وإن لم تثبت فيها تهلك بالنار.

إذن ليتك تحمل ثمرًا باستحقاق! فلا يسمح الله أن يحل بك ما حل بشجرة التين العقيمة (مت 19: 21)، إذ لم يأت بعد المسيح (للدنونة) ولا

لعننا بسبب عُقْمنا لئنه تكون لنا القوة أن نقول: "أما أنا فمثل زيتونة مثوة في بيت الله، توكلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد" (راجع مز 8: 52).

وهنا لا نفهم الزيتونة بمعناها المادي، بل نفهمها ذهنيًا بكمال النور.

إِن كَانَ اللَّهُ يَزْرَعُ وَيَسْقِي [1533] ، فَإِنَّهُ يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَأْتِيَ بِثَمَارِهِ . اللَّهُ يَهَبُ نِعْمَتَهُ ، وَأَنْتِ مِنْ جَانِبِكَ تَتَقَبَلُهَا وَتَحَافِظُ عَلَيْهَا . لَا تَحْتَقِرُ النِّعْمَةَ مِنْ أَجْلِ مَجَانِنِيَّتِهَا ، بَلْ اقْبَلِيهَا وَاكْتَرِيهَا بِزَرْعِ [1534] .

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ يصلح الغصن فقط لأحد أمرين: إما في الكرمة أو في النار. إن لم يكن في الكرمة فمكانه يكون النار. ولكي يهرب من النار يؤممه أن يكون في الكرمة [1535].

القديس أغسطينوس

"إن ثبتم في، وثبتت كلمتي فيكم،

تطلبون ما تريدون فيكون لكم". [7]

يربط السيد المسيح بين الثبوت فيه والثبوت في كلمته، فإنه خلال إنجيله نتمتع بالوحدة الصادقة. هذا الإنجيل المَوْجَم عمليًا بحفظ الوصية الإلهية ومملستها والوُح بها [١٠-١١].

الثبوت في كلمة المسيح هو لقاء دائم مع الكلمة، وتعرف على شخص السيد المسيح خلال كلمته، فنثبت فيه بكل قلبنا وفكرنا ومشاعرنا وأحاسيسنا وإرادتنا. ليس ما يقدر أن يفصلنا عنه قط! إنه يقدم لنا وعدًا ثابتًا أن كل ما نريده حسب مسوته يكون لنا خلال ثبوتنا فيه. وما هي طلبتنا سوى أن نصير أيقونته، ونحمل مشيئته فينا، ونلتقي به، ونتمتع بالشركة في مجده.

ثبوتنا في المسيح وفي كلمته، وبالتالي ثبوته فينا، يجعلنا بالحق رجال صلاة نعرف ماذا نطلب، وننعم في يقين ما نطلبه، لأنه حسب مسوة الله أبينًا. وكأن سرّ قوة الصلاة هو ثبوتنا فيه وسكناه فينا.

❖ ألا ترون أن الابن لم يساهم بأقل من الآب في اهتمامه بالتلاميذ؟ الآب هو الذي يقلم من جانب، ويحفظهم فيه من الجانب الآخر. الثبوت في الأصل (الجزر) هو الذي يعطي الأغصان ثمرًا.

إن ما لا يقلم وإن ثبت في الأصل يحمل ثمرًا لكن ليس بالقدر اللائق، أما الذي لا يثبت في الأصل فلا يأتي بثمر نهائيًا، لكن لا زال التقليم يظهر أنه خاص بالابن والثبوت في الأصل خاص بالآب الذي ولد الأصل. ألا ترون أن كل الأشياء عامة سواء التقليم والإمكانية بالتمتع بما هو من

الأصل؟ [1536]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حقًا تكون لنا طلبات لأمرٍ معينة عندما نكون في المسيح، وتكون لنا طلبات أخرى لأننا لا زال في هذا العالم... لذلك إذ نثبت فيه، عندما نثبت كلمته فينا، نطلب ما نريد فيكون لنا. لكن إن كنا نسأل ولم يتحقق سؤالنا، فإن ما نسأله لا يتعلق بثبوتنا فيه، بل بوجبات الجسد الملحة وضعفاته، التي ليست في المسيح، والتي لا تثبت كلمات المسيح فيها . فبخصوص كلماته، في كل الأحوال، هي تنتمي إلى تلك الصلاة التي علمنا إياها حيث نقول: "أبانا الذي في السموات" (مت ٦: ٩). لبيتنا لا نسقط من كلمات هذه الصلاة ومعانيها في طلباتنا، فكل ما نسأله يكون لنا... أما إن كانت كلماته تسكن فقط في الذاكرة، وليس لها موضع في الحياة، فلا يُحسب الغصن ثابتًا في الكرمة، إذ لا يستمد حياته من الأصل [1537].

القديس أغسطينوس

"بهذا يتمجد أبي، أن تأقوا بثمر كثير، فتكونون تلاميذي". [8]

هنا يكشف السيد المسيح عن ثمر الثبوت فيه العجيب ألا وهو:

* **تمجيد الآب** ، حيث يُعلن حب الآب الفائق في حياتنا، ويتجلى بهؤه على أعماقنا، ونملس بالحق بنوتنا له، "حتى متى أظهر نكون مثله لأننا سزاه كما هو".

* **الثمر المترايد**، حيث تتحقق كل طلباتنا في الصلاة.

* **نتمتع بالتلمذة له** ، فنصير رجال الله، نشهد له لنود كل نفس إليه، لكي يصير الكل "أهل بيت الله" (أف 2: 19).

[1538]

❖ أترون كيف أن الذي يحمل ثوراً هو تلميذ؟ ولكن ماذا: "بهذا يتمجد أبي؟ يعني: "أنه يُسر عندما تثبتون فيه، حينما تأتون بثمر".

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ *doxazein* وى البعض أن الكلمة اليونانية تعني حرفياً: "أكثر بهاءً أو وضوحاً" في نظر الناس، كما تعني "يتمجد".

❖ منه (من المسيح) مثل هذه النعمة، ولهذا فإن المجد ليس مجدنا بل مجده هو... هنا يتمجد الآب أننا نحمل ثوراً كثوراً، وأننا صونا لتلاميذ المسيح.

[1539]

بمن نحن صونا هكذا إلاً بذاك الذي رحمته تسبق فتعمل فينا؟ نحن عمله، مخلوقون في المسيح يسوع لأعمال صالحة (أف ٢ : ١٠)

القديس أغسطينوس

2. محبتهم لبعضهم البعض

"كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا.

اثبتوا في محبتي". [9]

يحدثنا السيد المسيح الذي هو الحب عينه، عن الحب من أربعة جوانب:

محبة الآب له [٩].

محبتة هو للآب [١٠].

محبة المسيح لنا [٩].

محبتنا له وثبوتنا فيها [٩].

بهذا يكشف السيد المسيح أن أساس كل عمل إلهي هو "الحب" الذي بين الآب والابن، هذا يوضح أن محبة الله لنا لا تقوم على عاطفة مؤقتة، لكنها ثوة حب إلهي سومدي بين الآب والابن، وأخوياً فإن المؤمنين يلتزمون من جانبهم أن يحملوا ثبوتاً دائماً في الحب. فكما أنه لا يجد ما يوقف قط حب الله لنا يؤمننا أن نحمل ذات السمة في حبنا له. هذا ما يطلبه السيد المسيح لأجلنا: "ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم" (يو 17:

26).

يعلن حبه لهم ليؤكد لهم أنه وإن كان سيتركهم جسدياً سواء بموته أو فيما بعد بصعوده، لكنه يحبهم بلا حدود. يحبهم كما يحبه الآب، مع أنهم ليسوا أهلاً للحب كما يليق.

السيد المسيح هو الابن الوحيد المحبوب لدى الآب، في محبته له أعطاه كل شيء، لأنه واحد معه في ذات الجوهر، كما سلمه خلاص البشرية.

فجاء عمل المسيح الخلاصي موضوع حب الآب وسروره. خلال الحب المتبادل بين الآب والابن يوصينا السيد المسيح أن نحبه ونثبت في محبته.

الثبوت في محبته يحمل معنى اختفائنا فيه، لنتمتع بحبه بلا انقطاع، ونشركه سمة الحب، ونتعرف عملياً على أعماق أسوره بمملستنا الحياة

فيه.

❖ إذن هنا ترون ما هو مصدر الأعمال الصالحة. من أين تكون لنا (هذه الأعمال) أليست من الإيمان العامل بالمحبة (غلا ٥ : ٦)؟ وكيف يمكننا أن

نحب؟ أليس لأنه أحبنا ولأنا؟

أعلن الإنجيلي نفسه بوضوح شديد في رسالته: "نحن نحب الله لأنه أحبنا ولأنا" (١ يو ٤: ١٩). لكنه حين يقول: "كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا" [٩] لا يشير إلى مساواة بين طبيعته وطبيعتنا كما هي بينه وبين الآب، بل يشير إلى النعمة التي للوسيط بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح (١ تي ٢: ٥) ... فإن الآب بالحقيقة أيضاً يحبنا ولكن فيه. هنا يتمجد الآب أننا نحمل ثراً في الكومة، أي في الابن، وبهذا نصير تلاميذه [1540].

القديس أغسطينوس

"إن حفظتم وصاياي، تثبتون في محبتي،

كما أنني أنا قد حفظت وصايا أبي،

وأثبت في محبته". [10]

إذ حمل السيد المسيح رسالة الخلاص ثبت كابن الإنسان في محبة الآب خلال مثابته في العمل. "لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الخواثر شريعته" (إش ٤٢: ٤). لقد حفظ وصية الآب، لا بتسجيلها فقط بالروح القدس خلال النوات في العهد القديم، وإنما أيضاً بتسجيلها عملياً حين أخلى ذاته، وأخذ صورة العبد، وصار في شبه الناس، ووضع نفسه حتى الموت موت الصليب (في 2: 5-8). حفظ الوصية بالطاعة الكاملة، وقبول الآلام بمسوة (عب 5: 8؛ 12: 2). حقق الوصية بالكامل حتى أعلن على الصليب: "قد أكمل" (يو 19: 30). ونحن خلال ثبوتنا فيه، وشركتنا في سماته نحفظ الوصية، لا عن ظهر قلب، ولا بالتأمل فيها وراستها فحسب، وإنما بمملستها في سهر دائم وتدقيق وشوق حقيقي داخلي لنتمتع بها. فالوصية ليست ثقيلة، وإنما تحمل في داخلها قوة التنفيذ بتهيل وبهجة، لأنها تخفي في داخلها "الكلمة" نفسه كقول القديس مرقس الناسك. الوصية الإلهية هي مفتاح السماء، بها نتمتع بمسيحنا الكنز السموي.

علامة الثبوت في محبته حفظ وصاياها، كما يحفظ هو وصايا الآب ويتم مشيئته. فإننا لن نتمتع بالحب بدون الطاعة والتسليم.

❖ انظر كيف يشدد السيد المسيح تلاميذه أيضاً عندما يقول: "اثبتوا في محبتي". فإن قلت كيف يكون هذا؟ أجابك: "إن حفظتم وصاياي، تثبتون في محبتي، كما أنني أنا قد حفظت وصايا أبي، وأثبت في محبته". تأمل كيف يخاطبهم السيد المسيح بسلطان، لأنه لم يقل: "اثبتوا في الحب الذي لأبي"، بل قال: "اثبتوا في محبتي".

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "اثبتوا في محبتي" [٩]. كيف نثبت؟ لتصغروا إلى ما يلي ذلك: "إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي" [10].

يجلب الحب حفظ وصاياها، لكن هل حفظ وصاياها يجلب حباً؟

من يقدر أن يشك في أن الحب هو الذي يسبق؟ فإن من ينقصه الحب ليس له الأساس السليم لحفظ الوصايا. بهذا فإن قوله: "إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي" لا يظهر مصدر الحب بل الوسيلة التي بها يُعلن الحب. وكأنه يقول: لا تظنوا أنكم تثبتون في محبتي إن كنتم لا تحفظون وصاياي. فإنه فقط إن حفظتم إياها تثبتون...

إذن لا يخدع أحد نفسه بالقول أنه يحبه إن كان لا يحفظ وصاياها. فإننا نحبه قدر قياس حفظنا لوصاياها، وكلما قل حفظنا لها يقل حبنا له [1541].

القديس أغسطينوس

يؤكد القديس أغسطينوس أن محبة المسيح لنا قائمة وتطلب خلاصنا، وهي المباشرة والتي تحتنا على حفظ وصاياها؛ أما عدم حفظنا للوصية

فيعلن عن نقص حبنا نحن له، وعدم ثبوتنا في محبته المباشرة [1542].

"كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم،

ويكمل فرحكم". [11]

في حديثه الوداعي هنا يكرر تعبير "كلمتكم بهذا" سبع مرات، وهو ذات التعبير الذي يعلنه حزقيال النبي تكورا: "أنا الرب تكلمت" (حز 5: 13). وكان الذي يحدثهم هنا هو ذلك الذي تحدث إليهم خلال الأنبياء منذ قرون.

نتمتع بالوعد الإلهي كأغصان في الكرمة، نثبت في المسيح الكرمة الحقيقية، ونثبت في كلمته، وفي محبته، وأيضاً في فوحه. لقد كمل فوح القديس يوحنا المعمدان حين رأى العريس قادمًا وسمع صوته، حيث يلتقي بعروسه خلال الصليب (يو: 3: 29). فوح المسيح أن يبذل حياته من أجل عروسه، ويقتنيها عواء عفيفة مشوّاة بالدم الثمين. وها هو يدعونا للتمتع بوحه، حيث زى في خلاصنا وخلصنا اختوتنا كمال الفوح السموي. في العهد القديم ربطت الخلاص بالفوح، فكان داود الموتل يردد: "رد لي بهجة خلاصي" (مز 51). ويتطلع إشعيا النبي إلي مفدي الرب الراجعين إليه، إذ "يأتون إلي صهيون، بترنم وفوح أبدي على رؤوسهم. ابتهاج وفوح يبركانها، ويهرب الحزن والتنهيد" (إش 35: 10). وى الطبيعة ذاتها: الجبال والأكام وكل شجر الحقل تشيد ترنمًا وتصفق بالأأيادي (إش 55: 12). وفي العهد الجديد كلما اجتمعت الكنيسة في سرّ الإفخارستيا يتناولون الطعام بابتهاج (أع 2: 46).

إذ كان في طريقه للصليب بسرور يوصي تلاميذه أن يثبتوا في فوحه وهم يشركونه الصليب، بهذا يكمل فوحهم.

❖ نطق السيد المسيح بهذه الأقوال لتلاميذه موضحًا لهم أن المصائب الحاضرة ليست مؤهلة للحزن بل للتلذذ بها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ما هو فوح المسيح فينا سوى أنه يُسر بأن يوح بنا؟ وما هذا الفوح الذي لنا الذي يقول أنه يصير كاملاً إلا بأن تكون لنا شركة معه؟ لهذا قال للطوبولي بطوس: "إن لم أغسلك ليس لك نصيب معي" (يو 13: 8). إذن فوحه فينا هو النعمة التي يمنحنا إياها، وهي أيضًا فرحنا.

علاوة على هذا، فقد فوح منذ الأزل عندما اخترنا قبل تأسيس العالم (أف 1: 4). ولا نستطيع القول بأن فوحه لم يكن كاملاً، لأن فوح الله لم يكن في أي وقت غير كامل.

لكن هذا الفوح لم يكن فينا، لأنه يُمكن أن يكون هذا بالنسبة لنا نحن الذين لم نكن موجودين. بل وحتى عندما بدأ وجودنا لم يبدأ فينا. لكن (هذا الفوح) كان فيه دائماً، هذا الذي في الحق غير القابل للسقوط الذي لسابق معرفته فوح بأننا سنكون له ، بهذا كان له فوح فينا، هذا الذي كان كاملاً، إذ فوح بسابق معرفته وسابق تعيينه لنا [1543].

❖ فوحه بخلصنا الذي كان دائماً فيه بسابق معرفته وسابق تعيينه لنا بدأ يكون فينا عندما دعانا، وصار لائقاً أن يُدعى هذا الفوح فوحنا، إذ به نحن أيضاً نُطوب. لكن هذا الفوح الذي يرداد وينمو ويتقدم بمناوة لكمال. وبهذا فإنه يكون له بدايته في الإيمان بالتجديد (الميلاد الجديد) وكمالته بالمكافأة عندما نتقدم... [1544].

❖ فرحي دائماً كامل حتى قبل دعوتكم حين كنتم في سابق معرفتي بأنني سأدعوكم ، لكنه وجد له موضعاً فيكم أيضاً، حين تشكلتم حسب ما سبق فرحته عنكم. "يكمل فرحكم"، إذ ستطوبون، الأمر الذي لستم عليه بعد، كما أنكم الآن أنتم مخلوقون، أنتم الذين لم يكن لكم وجود سابق [1545].

القديس أغسطينوس

"هذه هي وصيتي:

أن تحبوا بعضهم بعضاً كما أحببتكم". [12]

وصية السيد المسيح الأخوة والأساسية في حديثه الوداعي هي "المحبة"، وقد ربط خلال هذا الحديث بين الوصية والحب. إن أتركنا مفهوم المحبة في حياتنا المسيحية، فإننا لا نحتاج إلى وصية أخرى. لهذا يقول القديس أغسطينوس : "حب الله وأفعل ما شئت". حقا لقد أساء البعض فهم هذه العبارة، واستخدموها كتصريح للحياة المتسيبة، لكن من يترك "الحب" لا يقدر إلا أن يسلك في المسيح يسوع حسب فوكه الإلهي. لنحب ذات حب المسيح للخطاة، لكي يصيروا أيقونته الحية، الخليفة الجديدة في المسيح يسوع.

وكما يقول الرسول بولس: "من أحب غوه فقد أكمل الناموس" (رو 13: 8)، "المحبة هي رباط الكمال" (كو 3: 14). بل والسيد المسيح نفسه إذ تحدث عن وصيتي المحبة لله والمحبة للقيوب يقول: "بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء" (مت 22: 40).

أترك القديس يوحنا الحبيب أن الحب هو عصب الوصية. وكما يقول القديس جيروم أنه في شيخوخته المتأخرة كان يُحمل القديس يوحنا إلى اجتماعات المؤمنين العامة، وكان حديثه نوماً: "يا ولادي حوا بعضكم بعضاً". ولما سُئل عن استنوره على ذلك، أجاب: "لأن هذه هي وصية الوب، وفي حفظها وحدها كفاية" [1546].

❖ يتحقق الثبوت بالحب، والحب بحفظ الوصايا، ووصية السيد المسيح هي أن نحب بعضنا بعضاً، فالثبوت في إلهنا إنما يتكون من الحب الذي نحب به بعضنا بعضاً.

إنه لم يذكر حباً على بسيط حاله، لكنه أوضح طبيعته فقال: "كما أحببتكم..."

مادام الحب أوماً قدوماً لا يُقَوم، وليس كلمة مجردة، فلنعلنه بأعمالنا.

لقد صالحنا ونحن أعداء؛ فإذ صرنا أحياء لنثبت هكذا في محبته.

لقد قاد الطوبى، فعلى الأقل نتبعه.

أحبنا لا لمصلحة خاصة به (إذ هو لا يحتاج إلي شيء)، فعلى الأقل نحبه من أجل نفعنا.

أحبنا ونحن أعدؤه، فلنحبه على الأقل بكونه صديقنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لماذا يتحدث عن الحب كما لو كانت وصية خاصة؟ ذلك لأن كل وصية هي تخص الحب، والوصايا كلها تضاف إلى وصية واحدة، لأنه أياً كانت الوصية فهي تتأسس على الحب وحده. كما أن أغصاناً كثيرة للشجرة تصدر عن جذرٍ واحدٍ، هكذا فضائل كثيرة تصدر عن الحب وحده. الغصن الذي هو أعمالنا الصالحة لا يكون له تُسغ (السائل داخل أوعية النبات) ما لم يبق ملتصقاً بجذر الحب [1547].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "هذه هي وصيتي" [١٢]، كما لو لم توجد وصية أخرى غوها، فماذا تظنون يا اخوتي؟...

لنتأمل كلمات الرسول: "المحبة هي كمال الناموس" (رو ١٣: ١٠). هكذا حيث يوجد الحب فماذا ينقص؟ وحيث لا يوجد الحب أي شيء يمكن أن يكون نافعاً؟

الشیطان يؤمن (يع ٢: ١٩)، لكنه لا يحب. ليس أحد يحب إن لم يكن مؤمناً...

من لهم الحب المتبادل يكون لهم الله نفسه هدفاً للحب، هؤلاء بالحق يحبون بعضهم بعضاً، وأيضاً غاية محبتهم لبعضهم البعض هي حبهم لله. لا يوجد مثل هذا الحب في كل البشر، إذ قليلون من لهم هذا الدافع لحبهم الواحد للآخر، وهو أن يصير الله هو الكل في الكل (١ كو ١٥: ٢٨) [1548].

القديس أغسطينوس

"ليس لأحد حب أعظم من هذا،

أن يضع أحد نفسه لـأجل أحبائه". [13]

جاءت هذه الكلمات لا كعظة للرواسة، لكنها وقد قدمت في ليلة صلبه، يعلن ما يركز به عملياً، موجهاً أنظرهم نحو الصليب كتجلى عملي للحب الإلهي نحو كل بشر، نحو أحبائه، ليس الأوار، بل الخطاة. وكما يقول الرسول، "ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه" (رو 5: 10). لقد مات مسيحنا حتى من أجل مضطهديه وهو علي الصليب، أو خلال جسده "الكنيسة".

لا يستطيع أحد أن يحب صديقه أكثر من هذا، إذ يضع نفسه لأجله، يضع كل ما لديه. دفعت الصداقة العظيمة التي ربطت بين داود وناثان

الأخير أن يُسلم تاج الملك له، لكنه لم يكن قانواً أن يضع حياته من أجله. أما السيد المسيح فوضع حياته ليس من أجل أحبائه بل ومن أجل أعدائه، طالباً المغفرة لصالحيه. أعظم وهان على محبته لهم هو بذل ذاته من أجلهم، الأمر الذي لا يفعله إنسان ما على ذات المستوى، لأنه وهو الخالق بذل ذاته عن خليقته المحبوبة لديه جداً. بذل ذاته عن البشرية وهي معادية له (رو 5: 8، 10).

❖ "المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان صادق" هي حقاً فضيلة حقيقية، إذ هي "غاية الوصية" (1 تي 5: 1). بحق قيل أنها "قوية كالموت" (نش 6: 8)، إما لأنه لا يغلبها أحد كما لا يغلب أحد الموت؛ أو لأنه في هذه الحياة قياس المحبة هو أنه حتى الموت. كما يقول الرب: "أي حب أعظم من أن يبذل إنسان حياته عن أصدقائه؟" (راجع يو 13: 15). أو بالأحرى لأن الموت يزوع النفس عن حواس الجسد، هكذا المحبة تزوعها عن شهوات الجسد. المعرفة هي أمة المحبة، عندما تكون نافعة، لأنه بدون المحبة "العلم ينفخ" (1 كو 1: 8)، وليس في قياس المحبة تملأ المحبة القلب بالتهذيب، ولا تجد المعرفة شيئاً فلغاً لتنتفخ [1549].

القديس أغسطينوس

❖ ليس من أحد يضطهدنا حتى الموت، فكيف إذن نوهن على حيننا لأحبائنا؟
يوجد أمر ما يؤمننا أن نفعله في زمنة السلام في الكنيسة لكي نوضح إن كنا أقرباء بما فيه الكفاية حتى أننا نموت من أجل حيننا في أوقات الاضطهاد. يقول يوحنا في موضع آخر: "من له وسائل الحياة في العالم ووى أخاه في احتياج ويغلق عنه حوه في داخله، كيف يثبت محبة الله فيه" (1 يو 3: 17)؛ ويقول يوحنا المعمدان: "من له ثوبان ليعط من ليس له" (لو 3: 11). فهل الذي لا يعطي ثوبه يسلم حياته؟
تعهد فضيلة الحب في زمنة الهوء بإظهار الرحمة، عندئذ لا تقهر في زمنة الاضطراب.
تعلم أولاً أن تسلم ممتلكاتك لله القدير، وعندئذ تسلم نفسك [1550].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ ليتنا نفتدي به في مثل هذا الروح من الطاعة الوقرة، لا أن تكون لنا الجسرة أن نقيم مقارنة بينه وبين أنفسنا [1551].

القديس أغسطينوس

"أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به". [14]
دُعي إواهم خليل الله أو حبيبته (إش 41: 8؛ يع 2: 23)، إذ آمن بالله في طاعة له، فحسب له واً. ودُعي موسى صديقاً لله (خر 33: 11)، هذا ما يود أن يتمتع به كل مؤمن خلال الإيمان الحي.
❖ أي شيء أتمن من الصداقة التي يشترك فيها الملائكة تماماً كالبشر؟ لذلك يقول الرب يسوع: "اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى يقبلونكم في المظال الأبدية" (لو 16: 9).

الله نفسه يجعلنا أصدقاء عوض كوننا عبيداً، إذ بنفسه يقول: "أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوتكم به". أعطانا مثلاً للصداقة كي نتبعه.
يؤمننا أن نحقق رغبة الصديق (الرب يسوع)، ونكتشف له أسرارنا التي نحفظ بها في قلوبنا، ولا نتجاهل ثقته. لنوبه قلوبنا فيفتح قلبه لنا. لذلك يقول: "قد سمينكم أحبباء، لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" [15]. إن الصديق إن كان صديقاً حقاً لا يخفي شيئاً، بل يسكب نفسه، كما يسكب ربنا يسوع أسوار أبيه.

هكذا من يفعل رادة الله هو صديقه، ويتكرم بهذا الاسم. هذا الذي له فكر واحد معه هو أيضاً صديقه، إذ توجد وحدة فكر بين الأصدقاء. وليس أحد مكروه أكثر من إنسان يسيء إلى الصداقة [1552].

القديس أمبروسيو

"لا أعود أسمىكم عبيداً،

لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده،

لكني قد سميتكم أحبباء،

لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي". [15]

لم يقف الأمر عند بذل ذاته عنهم، وإنما أقام عهداً معهم ليصيروا أحبباء، يتمتعون بمعرفة أسوره، وليسوا عبيداً.

يحمل لسانه ناموس اللطف والحنو، فيدعوهم هنا أحبباء، وبعد قيامته يقول: "اذهوا إلى اخوتي" (يو ٢٠: ١٧)، كما يقول لهم: "يا غلمان (أبنائي المحبوبين) هل عندكم طعاماً؟" (يو ٢١: ٥). أما هم فمن جانبهم يدعون أنفسهم عبيداً له كما في ١ بطرس ١: ١. كلما قدم لنا كرامة يؤمننا نحن من جانبنا أن نكرمهم بالأكثر. كلما ارتفعنا في عينيه، نشعر بالأكثر بانسحاقنا أمامه.

ليس من وجه للمقارنة بين العبد والصديق، فقد يحب السيد عبده ويتفوق به، لكنه لا يسمح له بمشركته أسوره الخاصة. العبد يتقبل الأوامر الصاوية من سيده، وليس له حق الحوار بل يلتزم بالتنفيذ، لا يعرف ما وراء هذه الأوامر من هدف في ذهن سيده، له أن يطيع طاعة عمياء.

كأحبباء لهم لم يقدم لهم الوصايا من عرشه، بل قول إليهم ليتحدث معهم، فيبركوا أنهم في قلبه، لهم تقديروهم الخاص في أعماقه. بنزوله إليهم أنهى عهد العبيد، بانتهاه الحرف القاتل للناموس، وجاء بنا إلى عهد الحب الفائق حيث ننعم بالبنوة لله خلال دم الابن الوحيد الجنس، وذلك بعمل روحه القدس في مياه المعمودية. هكذا رفعنا وجدد خلقتنا لنصير أيقونته، لنا حق التمتع بمعرفة الآب، وإراك أسوره الإلهية.

❖ هكذا عندما أرى يسوع المسيح أن تلاميذه قد اقتربوا من قبولهم البنوة، ويعرفوه ويتعلموا من الروح القدس، قال لهم: "لا أعود أسمىكم عبيداً... لكني قد سميتكم أحبباء، لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يو 15:15).

فالذين أنكروا ما قد ألوا إليه في المسيح يسوع، صوخوا قائلين: "لم نأخذ روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذنا روح التبني الذي به نصوخ يا أبا الآب" (راجع رو 15:8).

فإن فشل الإنسان في إظهار استعداد كامل وغوة للقيام (من الخطية)، فليعلم مثل هذا أن مجيء ربنا ومخلصنا يكون دينونة عليه. لذلك قال سمعان (الشيخ) منذ البداية: "إن هذا وُضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل، ولعلامة تُقاوم" (لو 2:34). قال الرسول من بعده: "لؤلؤ رائحة موت لموت، ولؤلؤ رائحة حياة حياة" (2 كو 16:2) [1553].

القديس أنطونيوس الكبير

❖ إنه يُدخل اسم "أحبباء" بطريقة يسحب بها اسم "عبيد"، وليس كمن يضم كليهما في تعبير واحد، وإنما الواحد يحتل الموضع الذي يتخلى عنه الآخر. ماذا يعني هذا؟... إنه يوجد نوعان من الخوف، يُنتجان نوعين من الخائفين، هكذا يوجد نوعان من الخدمة، تنتجان نوعين من الخدم. يوجد خوف يطرده الحب الكامل (١ يو ٤: ٢٨) ويوجد خوف آخر طاهر يبقى إلى الأبد (مز ١٩: ٩). الخوف الذي ليس فيه حب، يشير إليه الرسول عندما يقول: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف" (رو ٨: ١٥). لكنه أشار إلى الخوف الطاهر عندما قال: "لا تستكبر بل خف" (رو ١١: ٢٠).

في ذلك الخوف الذي يطرده الحب خلجاً توجد أيضاً الخدمة المرتبطة به، فإن الرسول يربط الاثنين معاً، أي الخدمة والخوف، إذ يقول: "إذ لم تأخذوا روح العبودية (الخدمة) للخوف". مثل هذا الخادم يرتبط بهذا النوع من الخدمة هذا الذي كان أمام عيني الرب عندما قال: "لا أعود أسمىكم عبيداً، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده". بالتأكيد ليس العبد المتمس بالخوف الطاهر، الذي يُقال عنه: "أيها العبد الصالح، أدخل إلى فوح سيدك"، وإنما العبد الذي يتسم بالخوف الذي يطرده الحب خلجاً، والذي قيل عنه في موضع آخر: "العبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد" (يو ٨: ٣٥).

إذن حيث أعطانا سلطاناً أن نكون أبناء الله (يو ١: ١٢)، ليتنا لا نكون عبيداً بل أبناء. فبطريقٍ حقيقيٍّ عجبٍ لا يوصف يكون لنا نحن العبيد السلطان ألا نكون عبيداً.

حقًا إننا عبيد بالخوف الطاهر الذي يميز العبد الذي يدخل إلى فوح سيده، ولسنا عبيدًا بالخوف الذي يُطرد والذي يخص من لا يسكن في البيت إلى الأبد.

لنضع في ذهننا أن الرب هو الذي جعلنا قادرين أن نخدم ليس كعبيدٍ لا يعرفون ما يعمل سيدهم، ولا كمن عندما يصنع عملاً صالحاً يتعالى، كما لو كان قد فعله بنفسه وليس بوجه، وهكذا يتمجد لا في الرب بل في ذاته، خادعاً بذلك نفسه إذ يفتخر كمن لم ينل شيئاً (١ كو ٤ : ٧).

لنبتنا أيها الأحباء لكي ما نصير أعباء الرب نعم ما يعمله سيدنا. فإنه هو الذي جعلنا ليس فقط بشراً بل وأولاً، ليس نحن الذين جعلنا أنفسنا هكذا [1554].

❖ لا تقل: قبل أن أومن كنت أصنع أعمالاً صالحة ولذلك اخترني، فإنه أية أعمال صالحة تسبق الإيمان، إذ يقول الرسول: "وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية" (رو ١٤ : ٢٣) [1555].

❖ إذن انظروا أيها الأحباء، إنه لم يختَر الصالحين، وإنما جعل المختلرين صالحين. " أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأثروا بثمر ويدوم ثمركم" (١٦). أليس هذا هو الثمر الذي سبق فقال عنه: "بنوني لا تقرون أن تفعلوا شيئاً" (يو ١٥ : ٥)؟ لقد اخترنا وعيننا أن نذهب ونأتي بثمر، وبذلك ليس من ثمر يكون لنا لكي نحته على اختيلنا... إننا نذهب لنأتي بثمر، وهو نفسه الطويق الذي فيه نذهب، والذي عيننا لنذهب فيه. هكذا هي رحمته للكل [1556].

❖ ليديم الحب، إذ هو نفسه ثمرنا. هذا الحب في الوقت الحاضر يكمن في شوقنا وليس في كمال تمتعنا به، وكل ما نسأله خلال شوقنا هذا باسم الابن الوحيد يهبنا إياه الأب. أما ما نطلبه، ولا يخص خلاصنا فلا نظن أننا نطلبه باسم المخلص. فإننا نطلب باسم المخلص ما هو بالحقيقة يخص طريق خلاصنا [1557].

القديس أغسطينوس

" ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم،

وأقمتكم لتذهبوا، وتأثروا بثمر،

ويدوم ثمركم،

لكي يعطيكم الأب كل ما تطلبتم باسمي". [16]

اخترهم ليس على أساس كفايتهم أو حكمتهم أو صلاحهم، بل من قبيل حبه ونعمته المجانية. الله هو صاحب المبادأة، اخترهم قبل أن يختاروه هم أو يأخذوا قرًا بهذا. وكما جاء في سفر التثنية: "إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب، واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم..." (تث ٧ : ٦-٨).

إذ اخترهم "أفامهم" *hetheka hymas* أي وضعهم في مركز الخدمة (١ تي ١ : ١٢)، متوجاً هامتهم بهذه الكرامة، وواهباً إياهم ثقتهم فيهم كسواء عنه يتسلمون شؤون مملكته في هذا العالم. وهم في هذا يلتزمون بالعمل " لتذهبوا وتأثروا بثمر ويدوم ثمركم ". دعاهم ليحملوا النير في كل موضع، يتنقلون من موضع إلى آخر في العالم كله، لا يعرفون الاستكانة والراحة، بل العمل والجهاد والبذل، لكي يكون لهم ثمر كما في سائر الأمم (رو ١ : ١٣). وى الأب ثيودور أسقف المصيصة أن الكلمة اليونانية تعني "زرعتكم"، فيكونه الكرامة غرسهم كأغصان فيه.

سرّ نجاح الخدمة أن السيد المسيح هو الذي اختار التلاميذ والوسل وكان عوناً لهم يعمل فيهم وبهم. لذا لاق بمن يخدم في كرم الرب الآتي:

1 . أن يغرسه الرب نفسه بيمينه أو يخرجه للخدمة.

2 . أن يثبت في الكرامة الحقيقية حتى يثمر ولا يجف.

3 . أن يورك أنه مدعو للعمل لا للخمول، فإن كان السيد المسيح قد بادر بالحب وباختيار تلاميذه، يُلوم المختارون أن يذهبوا ليعملوا كمال حب الله للبشوية. مع مطالبتهم بالوحدة يسألهم ألا يلتصقوا ببعضهم بعضاً، بل ينطلقوا للكورة، يشتركوا في رحلة الكنيسة عبر العالم ليتمتع بالمخلص (مر 16: 15).

4 . أن ينتظر الثمر بطول أناة ولا ييأس، فإن الذي اختلزه هو متكفل بتقديم الثمر الدائم.

5 . أن ينسب كل ثمرٍ أو نجاح للرب.

"ويدوم ثمركم" ليس كسائر الفلاسفة الذين تملأوا فلسفتهم إلى حين ثم صلت ماضيًا قد عبر، وإنما ثمرهم هو في كنيسة الله التي لا تقوى عليها قرات الجحيم. يتسم المؤمن المحب بالاستورالية في كل شيء، استورالية في التمتع بكلمة الله [7]، واستورالية في محبة المسيح [9-10]، واستورالية في فوح المسيح [11]، واستورالية في الإثمار [16].

علامة حبه ليس فقط أنه اختلهم وأقامهم للعمل وجعل ثمرهم مستورًا، وإنما وهبهم أيضًا نعمة لدى الآب، فكل ما يطلبونه باسمه منه ينالونه.

❖ لنؤمن أنه مهما سألنا الآب ننال باسمه، لأن رادة الآب هي أن نطلب خلال الابن، ورادة الابن أن نطلب من الآب... لا تفهم من ذلك أن الآب غير قادر أن يفعل، وإنما توجد قوة واحدة تتكشف [1558].

القديس أمبروسيو

❖ كأن السيد المسيح يقول لتلاميذه: أنا بارت بحبكم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد هيأتكم للنعمة. لقد غرستكم لكي تتطلقوا بواحدكم، وتأثروا بثمر أعمالكم. أقول أنه يؤمكم أن تذهبوا بواحدكم، فإن القول بأن تفعلوا شيئًا يعني أن تذهبوا في قلوبكم. أضاف بعد ذلك: "ثمركم يبقى..." ما فعله من أجل الحياة الأبدية يبقى حتى بعد الموت. لنعمل لأجل الثمر الذي يبقى. [1559]

❖ لماذا سأل بولس الرب ثلاث مرات ولم يتأهل أن يُسمع له (2 كو 12: 8)؟ يطلب المسيح من المبشر العظيم أن يسأل باسم الابن؟ لماذا لم ينل ما سأله؟

اسم الابن هو يسوع الذي يعني "الخلاص". من يسأل باسم المخلص يطلب ما يخص خلاصه الواقعي. فإن كان ما يسأله ليس لصالحه فإنه لا يطلب من الآب باسم يسوع. لهذا يقول الرب لوسله عندما كانوا لا زالوا ضعفاء: "إلى الآن لم تطلبوا شيئًا باسمي" (يو 16: 24). هذا هو السبب الذي لأجله لم يُسمع لبولس. لو أنه تحرر من التجربة لما كان يوجد ما يعينه على خلاصه...

لاحظوا طلباتكم. هل تسألون من أجل مباحج الخلاص؟ "اطلبوا ولأ ملكوت الله ووه، وهذه كلها راد لكم" (مت 6: 33) [1560].

البابا غريغوريوس (الكبير)

"بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً". [17]

يزوج السيد المسيح الحب لله بالحب للاخوة [12، 17]، مقدمًا نفسه مثالاً لنا إذ أحبنا وبذل ذاته عنا [13]، ودعانا أحبائه [14]، وكشف لنا أسوره [15]، واختارنا [16]، وأقامنا لخدمته [16]، وأعطانا نعمة لكي تقبل طلباتنا باسمه لدى الآب... هذا كله نوده له بحبنا لاخوتنا.

❖ بمعنى إنني أخوتكم بأني أضع حياتي لأجلكم لا للتوبيخ، أو لأنني أحرى لكي ألتقي بكم، وإنما لكي أهدكم إلى الصداقة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذا هو الثمر الذي لا يمكننا أن نفقته بعيدًا عنه، كما أن الأعضاء لا تقدر أن تفعل شيئًا بدون الكرمة. ثمرنا هو المحبة التي يشرحها الرسول أنها: "من قلبٍ طاهرٍ وضميرٍ صالحٍ وإيمانٍ بلا رياء" (1 تي 1: 5). هكذا نحب بعضنا البعض، وهكذا نحب الله. فإنه لن يكون حبًا حقيقيًا لبعضنا البعض

[1561]

إن كنا لا نحب الله . فإن كل واحد يحب أخاه كنفسه إن كان يحب الله. وأما من لا يحب الله فلا يحب نفسه .

القديس أغسطينوس

3. مواجهة بغض العالم

"إن كان العالم يبغضكم، فإعلموا أنه قد أبغضني قبلكم". [18]

البغض هو سمة إبليس ودعامة مملكته، كما أن الحب هو سمة مملكة المسيح. فلا عجب إن كان محبو العالم يبغضون مملكة المسيح بلا سبب، فإن هذه هي طبيعتهم. لو أن الكراهية تقوم بسبب شر لتكوه لما كانت لهم تغوية، أما إن قامت لأن العالم لا يطيق مسيحتهم، فهذه الكراهية هي مجد لا يستحقه المؤمن، لأنه يحمل شوكة آلام السيد المسيح.

دُعي الأثوار "العالم"، لأنهم محبوبون له فيحملون اسمه، ولأنهم يمثلون الغالبية العظمى من سكان العالم. لا نعجب إن كان العالم لا يطيق أولئك الذين يحبهم الرب ويبلرهم. فقد حدثت عدوة بين العالم الثوير وأولاد الله منذ زحفت الحية إلى حواء لكي تغريها، فقد قتل قايين هابيل لأن أعماله كانت برة، وأبغض عيسو يعقوب لأنه نال البركة، وحسد اخوة يوسف أخاهم لأن أباه قد أحبه، وأبغض شاول داود لأن الرب كان معه يُنجح طريقه... هكذا في كل هذه الأمثلة لم يحمل القديسون كراهية، ولا صنعوا شرًا يستحقون عليه البغض.

إذ لحقت المتاعب القديس جبروم كتب إلى أسبلا Asella عند تركه روما متجهًا إلى الشوق: [أكتب إليك في عجلة أيتها السيدة الغوزة أسبلا، فإنني ذاهب إلى السفينة مبتلغًا بالخرن والدروع، إلا أنني أشكر إلهي إنني حُسبت مستحقًا لبغض العالم [1562].]

❖ لا يوتعب أحدكم أيها الإخوة الأغواء المحبوبين بالخوف من الاضطهاد القادم، أو من مجيء ضد المسيح الذي يهدد، حيث لا يوجد سلاح ضد كل الأمور غير النصائح الإنجيلية، والوصايا والتحوذات السماوية.

ضد المسيح قادم، لكن المسيح يغلب.

العدو يقرب ويثور، ولكن الرب الذي يورئ الأمانا وحواحاتنا يتبعنا. المقاوم في غضب يهدد، لكنه يوجد الذي يحررنا من يديه [1563].

الشهيد كيريانوس

❖ مع هذا الحب يؤمننا أيضًا أن نحتمل بغض العالم لنا بصبر... لماذا يتعالى العضو نفسه على الرأس؟ إنك ترفض أن تكون في الجسد إن كنت لا تريد أن تحتمل بغض العالم لك مع بغضه للرأس [1564].

القديس أغسطينوس

"لو كنتم من العالم،

لكان العالم يحب خاصته،

ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم،

لذلك يبغضكم العالم". [19]

يُحسب المؤمنون أنهم ليسوا من العالم، ليس بسبب حكمتهم وفضائلهم، ولا لأنهم من طبيعة تختلف عن بقية البشر، وإنما لأنهم قبلوا دعوة الله لهم وصراروا مختلرين منه، أفرزهم للعمل في ملكوته. لهذا يبغضهم العالم. حياة المسيحي الحقيقي تدين العالم الثوير في صمت، لذا لا يجد العالم له طريقًا سوى الانتقام ممن لا يشركه شوه ويهدئ من ضموره.

هنا يشير إلى المزمور ٦٩ : "أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب" (مز ٦٩: ٤)، وقد جاء المزمور كله يتنبأ عن شخص السيد

❖ كأن السيد المسيح يقول لتلاميذه: "إن شئتم أن تحبوا فيجب عليكم أن تتألموا"، إذ يذكر هذا المعنى بغموضٍ في قوله: "لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته"، فإن أحبكم العالم فواضح أنكم قد أردتم خبثه فيكم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ العالم يحب نفسه باطلاً، ويبغض نفسه حقيقة. لأن من يحب الشر، يبغض نفسه (مز ١١: ٣). ومع ذلك قيل أن العالم يحب ذاته قدر ما يحب الشر الذي جعله شراً. ومن الجانب الآخر قيل أنه يبغض ذاته بقدر حبه لما يسبب له ضرراً. لذلك فهو يبغض طبيعته الحقيقية التي فيه ويحب الرذيلة. إنه يبغض ما هو عليه حسبما خلقه صلاح الله، ويحب ما قد جلبه هو بلادته الحرة... لقد مُنعنا من أن نحب فيه ما هو يحبه، وأمرنا أن نحب فيه ما هو يبغضه، أي عمل الله والتعريفات المتنوعة لصلاحه.

مُنعنا من أن نحب الرذيلة التي فيه، وأوصينا أن نحب الطبيعة، أما العالم فيحب الرذيلة في ذاتها ويكوه الطبيعة. وبهذا نحن نحب ونكوه بطريقة سليمة، بينما العالم يحب ويكوه ما فيه بطريقة شرة ^[1565].

القديس أغسطينوس

"أذكروا الكلام الذي قلته لكم:

ليس عبد أعظم من سيده.

إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم.

وإن كانوا قد حفظوا كلامي، فسيحفظون كلامكم". [20]

حقاً لقد دعاهم السيد أحياناً، لكن يليق بهم أن ينظروا إلى أنفسهم أنهم عبيد لله. لم يرد أن يبدأ حديثه بما سيعانوه من اضطهاد، إنما بدأ بما سيحتمله هو من متاعب. وضع نفسه في مقدمة المعركة التي بين النور والظلمة، وأن متاعبهم ليست إلا شركة في آلام السيد المسيح. وضع السيد تمييزاً فاصلاً بين المؤمنين المقدسين في حقه وبين الأشرار السالكين في ظلمة الجهالة.

❖ فقد أظهر السيد المسيح هنا أن تلاميذه مماثلون له، وكأنه يقول لهم: "إن كانوا يضطهدونكم، فإنكم بهذا تشركونني في آلامي، فلا ينبغي أن تضطربوا، لأنكم لستم أفضل مني".

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كان " ليس عبد أعظم من سيده " فليت أولئك الذين يتبعون الرب يبتقون مقتربين إلى خطواته، متواضعين، صامتين، هادئين، حيث أن الذين يواضعون بالأكثر يتمجدون ^[1566].

الشهيد كبريانوس

"لكنهم إما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي،

لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني". [21]

أحد الأسباب الرئيسية لبغض العالم للمؤمنين هو الجهل وعدم المعرفة، فإنهم لا يعرفون الأب الذي أرسل السيد المسيح. خلال هذه الجهالة يأكلون شعب الله. وكما يقول المثل: "قال الجاهل في قلبه ليس إله... ألم يعلم كل فاعلي الإثم الذين يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز والرب لم يدعوا" (مز ١٤: ١، ٤).

لم يعرفوا الأب ولا عرفوا الابن المؤسّل منه. "لأن لو عرفوا لما صلّوا رب المجد" (١ كو ٢: ٨).

لا نتعجب من أن السيد الذي يقول: لست أدعوكم عبداً " يعود فيقول: " ليس العبد أعظم من سيده "، فهو لا يريد أن يدعونا عبداً، وفي نفس

الوقت يدعوننا "عبيداً" وأنا لسنا أفضل منه الذي هو سيدنا. وكما يقول القديس أغسطينوس أنه واضح أنه يقصد في العبارة الأولى العبد الذي لا يسكن في البيت إلى الأبد، المتسم بالخوف الذي يطرده الحب خراجاً [1567].

يلقب القديس أغسطينوس على تعبير "من أجل اسمي" الذي يعني "من أجل البر"، لأن مسيحننا هو برنا. فالأشوار يضطهدون الأوار في المسيح يسوع ليس من أجل جريمة ارتكبوها، بل من أجل البر. وأحياناً يملس الأوار تأديبات قاسية ضد الأشوار، كما يفعل القضاة ضد المجرمين، أو كما يملس رجال الشوطة ذلك ضد المقاومين للأمن، فإن كان القاضي أوجع الشوطة مقدساً في الرب فلا يُدان على معاقبته للتشوير، لأن التشوير لا يحتمل العقوبة من أجل البر بل من أجل شوهه. كما يقول أيضاً إن الأشوار أحياناً يضطهدون أشواراً. قد يُسأل إن اضطهد الأشوار أشواراً كما يفعل الأواء الأشوار والقضاة الأشوار فإنهم وهم يضطهدون الأوار بالتأكيد يعاقبون أيضاً القتل والوثانة وكل طبقات فاعلي الأشوار، هؤلاء الذين يملسون ما هو ضد القوانين العامة، فكيف نفهم كلمات الرب: "لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته" [١٩]؟ فإن هؤلاء الذين يُعاقبون بسبب الحرائم السابق ذكرها إنما يُعاقبون لأنهم يسببون ضرراً للعالم نفسه. غير أن ذلك العالم موجود في الذين يعاقبون هذه الحرائم وفي الذين يحبون هذه الحرائم. لذلك فإن العالم إذ يوجد في الأشوار وغير الصالحين يكوه الذين له بخصوص هذه الفئة من الناس المجرمين، ويحب الأشوار الذين يقدمون نفعاً له [1568].

❖ ما هذا إلا أنه يقول: إنهم يبغضونني فيكم؛ إنهم يضطهدونني فيكم؛ وإذ كلمتكم هو كلمتي، فإنهم لا يحفظونها.

فإن كل هذا يفعلونه بكم، ليس من أجلكم بل من أجلي. لهذا فإن هؤلاء الذين يفعلون هذه الأمور بسبب اسمي يؤسّم أعظم. كما يطوّب الذين يحتملون هذه الأمور من أجلها. فإنه هو نفسه يقول في موضع آخر: "طوبى للذين يُضطهدون من أجل البر" (مت ٥: ١٠). إنهم يحتملونه من أجل اسمي، لأنه كما يعلمنا الرسول: "صار من الله لنا حكمة وواً وقداً وفداءً، كما هو مكتوب: "من يفتخر فليفتخر بالرب" (١ كو ١: ٣٠-٣١). فإن الأشوار يصنعون مثل هذه الأمور من أجل الشر، وليس من أجل البر، لذلك فكل الطرفين لهما بؤس متشابه، الذين يملسون الاضطهاد والذين يُضطهدون. أيضاً الصالحون يملسون هذه الأمور (لتأديب) الأشوار، ليفعل الأولون ذلك من أجل البر، بينما الآخرون يعانون منه ليس من أجل البر [1569].

القديس أغسطينوس

"لو لم أكن قد جئت وكلمتهم، لم تكن لهم خطية،

وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم". [22]

لقد تحققت الوعود الإلهية، وجاء من كان يتطلع إواهم إلى يومه وآه وتهلل، كما اشتهد بقية الآباء والأنبياء مجيئه. بهذا ليس لهم عذر في رفضهم له. حملوا كراهية سبق ففتناً عنها الكتاب المقدس (مز 35: 19؛ 69: 4؛ 109: 3).

❖ لا يفهم هنا كل خطية، بل خطية ما عظيمة... لأن هذه الخطية تحوي فيها كل الخطايا، ومن يتحرر منها ينال غواناً لكل خطايا. هذه الخطية

العظمى هي عدم إيمانهم بالمسيح الذي جاء خصيصاً لكي يجدد إيمانهم. لو لم يأت لتحرروا من هذه الخطية. بمجيئه صلت حياة غير المؤمنين بالأكثر محفوفة بالدمار كما هو بخلص الذين يؤمنون. فإنه هورأس الوسل ورئيسهم صار كما أعلنوا: "للبعض رائحة حياة حياة، ولللبعض رائحة

موت لموت" (٢ كو ٢: ١٦) [1570].

❖ إذ أكمل قائلاً: "وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم" [٢٢]. ربما يتحرك أحد قائلاً: إن كان يوجد عذر للخطية بالنسبة لمن لم يأت المسيح إليهم،

ولا تحدث معهم... أجيبه بأنه لهم عذره ليس عن كل خطية ارتكبوها، وإنما عن هذه الخطية الخاصة بعدم إيمانهم بالمسيح... وهذا وهو يأتي بكنيسته إلى الأمم، ويتحدث معهم. هنا يُشار إلى الكلمات التي قالها: "من يقبلكم يقبلني" (لو ١٠: ١٦). ويقول الوسل بولس: "إذ تطلبون وهان المسيح

المتكلم في" (٢ كو ١٣: ٣) [1571].

❖

لكن واضح أنهم ليسوا بهذا يهربون من الدينونة. "لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك؛ وكل من أخطأ في الناموس، فبالناموس يُدان" (رو ٢ : ١٢). كلمة الرسول "يهلك" هذه لها رنين موعب أكثر من القول "يُدان"، هذا يُظهر أن مثل هذا العذر (بأنه لم يأت إليهم المسيح، ولا تحدث معهم) لن ينفعم شيئاً، بل يضيف عليهم تفاقماً. فإن الذين يعتزرون بأنهم لم يسمعوا يهلكون بدون الناموس [1572].

القديس أغسطينوس

"الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً". [23]

يتساءل القديس أغسطينوس كيف يُمكن لليهود وهم لا يعرفون الآب الذي أرسل الابن الوحيد الجنس [٢١] أن يبغضوه [٢٣]؟ ويجب في شيء من الإطالة بأن الإنسان كثراً ما يحب آخر أو يبغضه دون أن راه أو يتعرف عليه، وإنما حسبما يتصوره عنه، أو ما يسمعه عنه. هكذا اليهود ابغضوا الآب وهم لا يعرفونه، وإنما حسبما تصوروا عنه. كما يقول القديس أغسطينوس : [كيف يمكن لهم أن يحبوا أب الحق هؤلاء الذين امتلأوا بالكراهية نحو الحق نفسه؟ فإنهم لا يرغبون في أن يُدان سلوكهم، بينما عمل الحق هو أن يدين مثل هذا السلوك. وهكذا ابغضوا الحق قدر ما أبغضوا معاقبتهم التي يسقطها الحق على مثل هؤلاء. وإذ لم يعرفوا أنه هو الحق الذي يدين من هم مثلهم، لذلك فقد كرهوا من لا يعرفوه، وإذ يبغضوه، فبالتأكيد لن يستطيعوا إلا أن يبغضوا ذلك الذي ولد الحق. وهكذا إذ لم يعرفوا الحق الذي بحكمه يدانون، والمولود من الله الآب، فبالتأكيد هم أيضاً لم يعرفوا الآب ويبغضونه. يا لهم من أناس تعساء! فإنهم إذ يرغبون في أن يكونوا أشراً يجحدون ما هو حق إذ يدينهم [1573].

"لو لم كن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غوي، لم تكن لهم خطية،

وأما الآن فقد رأوا، وأبغضوني أنا وأبي". [24]

لقد صنع السيد المسيح بينهم أعمالاً عجيبية وفريدة، ليس فقط من جهة السلطان، وإنما أيضاً من جهة الحنو والحب والرحمة. ومع هذا أبغضوه هو والآب الذي أرسله، فما العجب إن أبغضوا الذين صلبوا مؤمنين به وتلاميذ له.

❖ لم يكونوا بلا خطية قبل أن يتكلم معهم ويعمل مثل هذه الأعمال بينهم، وإنما لم تكن لهم خطية عدم الإيمان به، هذه التي يُشار إليها على وجه الخصوص، لأنها بالحقيقة تشمل كل الخطايا الأخرى. فلو أنهم تخلصوا منها وآمنوا به، لغُوت لهم كل الخطايا الأخرى [1574].

القديس أغسطينوس

رأوا بعيونهم المملوءة حسداً وكراهية فكهوه، أما القديس يوحنا فقد رآه وتمتع بالشركة معه، إذ يقول: "الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة... الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب، ومع ابنه يسوع المسيح" (1 يو : 1-3).

يقول القديس أغسطينوس أن كثير من الأنبياء قاموا بأعمال لم يقم بها غوهم، لكنه ليس من وجه للمقارنة بين أعمالهم وأعمال السيد المسيح، ليس فقط من جهة كثرة العجائب التي بلا عدد، ولا بتتوعها، وإنما أيضاً بصنعها بسلطانه الشخصي، وبدونه لا يستطيع أحد أن يفعل شيئاً. هذا بجانب ميلاده من عذراء بتول وقيامته في اليوم الثالث الخ [1575].

❖ إنهم هم أنفسهم شهود بهذا، إذ قيل: "لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل" (مت 9 : 33). "منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى" (يو 9 : 32). ونفس الأمر بخصوص لعزر (إقامته من الأموات)، وفي كل الأعمال الأخرى، وعجائبه التي كانت جديدة وفوق كل تفكير. قد يقول قائل:

فلماذا إذن يضطهدونك ويضطهدوننا؟ "لأنكم لستم من العالم، لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته" [19]. ولما كان الأمر مذهباً بالنسبة لنا أخبرنا عن السبب، وهو شوهم. لم يقف عند هذا بل قدم النبي (مز 35 : 19؛ 69 : 4) ليظوه أنه سبق فأعلن عن ذلك منذ زمن قديم، قائلاً:

"أبغضوني بلا سبب" [25].

"لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم:

إنهم أبغضوني بلا سبب". [25]

بغضهم للسيد المسيح بلا سبب، فكلماته وتعاليمه كانت علانية تقدم الحق ممتوجاً بالحب، وأعماله فائقة فريدة تقوم على نعمته الغنية وحبه اللانهائي. جاء في الزامير: "الذين يبغضونني بلا سبب" (مز 35: 19؛ 69: 4). جاءت "بلا سبب" في اليونانية لتعني: "بدون مقابل"، فقد أبغضوه ولم يكن في ذهنهم نوال مقابل لهذه الكراهية.

رى القديس أغسطينوس أن السيد المسيح قد أعلن عن بغض اليهود له ولأبيه، أبغضوه بلا سبب، وأنهم يقتلونه، لكن متى جاء البل اقليط في عيد العنصرة بعد صعود السيد المسيح يجتذب الحاضرين خلال كلمة بطوس الرسول، فيؤمن حوالي ثلاثة آلاف نسمة ممن كانوا مشركين في الثورة ضده والمطالبة بصلبه. وهكذا يشهد الروح القدس له عملياً بتحويل مبغضي الحق إلى مؤمنين بالحق.

❖ كأنه يقول: لقد أبغضوني وقتلوني عندما كنت منظراً بين أعينهم، لكن ستحمل الشهادة لي بواسطة المغوي الذي يجتذبهم إلى الإيمان بي عندما لا أكون منظراً منهم [1576].

القديس أغسطينوس

4 . إرسال المغوي لهم

الآن، بعد أن قدم لهم طويلاً يبدو غاية في الصعوبة، إذ طالبهم أن يثبتوا فيه كالأغصان في الكرمة، وهذا يبدو مستحيلاً في نظر الإنسان، كيف يثبت الإنسان الضعيف في ابن الله السموي؟ كيف يتحد الزابي مع السموي؟ عاد فسألهم أن يحوا، لا خلال عواطف بشوية مؤقتة، بل أن يبذلوا حتى الموت كما بذل هو ذاته من أجل العالم، وهكذا صلت الوصية كأنها مستحيلة، من يقدر أن يتمها؟

وأخيراً كشف عن بغض العالم واضطهاده لهم... هذا كله صار أشبه بطريق ضيق لا يقدر إنسان ما أن يسلكه، لهذا عواهم بوعده برسالة روحه القدوس البل اكليت. هذا هو المعلم السموي والمرشد الحقيقي الذي يحملهم إلى كمال حق المسيح. هو يثبتهم في الكرمة، وهو يسكب الحب السموي في قلوبهم، وهو يهبهم قوة الشهادة للمسيح لتجتذب حتى المقومين لهم للحق.

"ومتى جاء المغوي،

الذي سألته أنا اليكم من الآب،

روح الحق الذي من عند الآب ينبثق،

فهو يشهد لي". [26]

يتحدث هنا عن المغوي بكونه أفتنوماً يدعى "روح الحق"، ينبثق من عند الآب، يشهد للابن خلال عطاياه ونعمته على المؤمنين.

إنه روح الآب، إذ يقول الابن نفسه: "من عند الآب ينبثق" (يو 15: 26)، وفي موضع آخر يقول: "لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (مت 20: 10). وهو روح الابن أيضاً، إذ يقول الرسول "أرسل الله روح ابنه إلي قلوبكم صلحاً يا أبا الآب" (غلا 4: 6)، أي يجعلكم تصوخون، لأن هذا هو ما نصوخ ب ه ولكن فيه، أي يملأ قلوبكم بالمحبة التي بدونها يكون صواخكم باطلاً، حيث يقول: "ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له" (رو 9: 8).

سبق فقال أنه يطلب من الآب أن يرسل المغوي (يو 14: 16)، وهنا يقول: "سألته أنا اليكم من الآب". فهو يرسل من الآب من جهة أنه

مدبر الخلاص والتقدّيس، ومُوسل من الابن بكونه قد دفع الثمن على الصليب لكي يستقر الروح في الإنسان ويجد فيه بَرّ المسيح.

الروح القدس يشهد للابن، وإذ يسكن في التلاميذ يشهدون للسيد المسيح بقوة الروح.

❖ نفس المغوي يرسله أيضاً الأب كما سبق فعلنا قائلًا: "وأما المغوي الروح القدس الذي يرسله الأب باسمي" (١٤: ٢٦). انظروا وحدتتهما، فإن من يرسله الأب يرسله الابن أيضاً [\[1577\]](#).

القديس أمبروسيوس

❖ حتى لا يقول التلاميذ للسيد المسيح: فماذا نعمل إن كانوا لم يحفظوا قولك، فلماذا السبب لا يحفظون قولنا، إن كانوا قد طردوك فإنهم سيطردوننا، إن كانوا قد أبصروا آيات لم يبصروا أحد كائنة من غيرك، إن كانوا قد سمعوا أقرالاً لم يُسمع مثلها من غيرك ولم يستفيوا، إن كانوا كرهوا أباك وكوهوك معاً، فلم ألقيتنا في معاندتهم؟ كيف نتأهل فيما بعد عندهم للتصديق؟ من يصغي إلينا من الذين قبيلتهم قبيلتنا؟ ولكي لا يفتكروا هذه الأفكار فيضطربوا، غاهاهم فقال: "ومتى جاء المغوي، الذي أرسله أنا إليكم من الأب، روح الحق الذي من عند الأب ينبثق، فهو يشهد لي". قول السيد المسيح لتلاميذه: "روح الحق"، وما يدعوه الروح القدس لكي يكون مؤهلاً لتصديقه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تؤكد أن الروح القدس نفسه أيضاً الذي يعمل في الأنبياء، فيض الله يفيض منه ووجع كشعاع الشمس [\[1578\]](#).

العلامة أثيناغورس

❖ الروح القدس هو في الواقع روح، يصدر بالفعل عن الأب، ولكن ليس بذات الطريقة التي لإصدار الابن، إذ يتم لا بالولادة بل بالانبثاق [\[1579\]](#).

القديس غريغوريوس النريزي

❖ هكذا لا يمكن لخاصية أُنوم الأب أن تنتقل إلى الابن أو إلى الروح القدس. إنها خاصية الأب أن يكون موجوداً دون علة، وهذا لا ينطبق على الابن والروح، فإن الابن خرج من عند الأب (يو 16: 28)، ويقرر الكتاب أن "الروح ينبثق من الله، من الأب" (يو 15: 26) [\[1580\]](#).

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

استخدم القديس أبيفانيوس عبارة إن الروح القدس ينبثق من الأب ويأخذ من الابن [\[1581\]](#)، وأنه من ذات جوهر الأب والابن [\[1582\]](#). ويقرر القديس غريغوريوس أسقف نيصص أن الروح ينبثق من الأب ويأخذ من الابن [\[1583\]](#).

يؤكد القديس كيرلس تعليمه بخصوص الانبثاق، قائلًا: [ينبثق الروح القدس من الله الأب، كما من ينوع، أما الابن يرسله للخليفة [\[1584\]](#)].

جاء في اللجنة اللاهوتية الدولية المشتركة بين الأرثوذكس والكاثوليك القدامى: [يتميز الأب عن الأقباط الآخرين بكونه من طبيعته منذ الأزل يلد الابن ويبعث الروح القدس. ويتميز الابن عن الأقباط الآخرين بكونه مولوداً من أبيه؛ ويتميز الروح القدس بكونه ينبثق من الأب. هكذا الأب غير مولود وبدون أساس *anaitios* سابق له أو أصل، وفي نفس الوقت هو "الأصل الواحد، الجذر الواحد، الينوع الواحد للابن والروح القدس" [\[1585\]](#). هو وحده الأساس *aitios* الذي منذ الأزل يلد الابن ويبعث الروح القدس... لذلك، فالأب بلا أساس (علة) سابقة *anaitios* وهو نفسه الأساس *autoaitios* بينما للابن والروح القدس أساس في الأب [\[1586\]](#)].

❖ يليق بنا أن نتحقق كم من أشياء كثيرة يجب أن تُقال عن (هذا) "الحب". وأيضًا، كم من أشياء عظيمة نحتاج لمعرفتها عن الله، حيث أنه بذاته هو "الحب". فكما أنه ليس أحد يعرف الابن إلا الأب، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت 11: 27)، كذلك لا يعرف أحد الحب سوى الابن، وب نفس الطريقة لا يعرف أحد الابن، الذي هو الحب ذاته، إلا الأب. بالإضافة إلى ذلك، إذ يدعى الحب، فالروح القدس المنبثق من الأب، هو وحده الذي يعرف ما بالله، كما "يعرف أمور الإنسان روح الإنسان الذي فيه" (1 كو 11: 2). هنا إذن البلاقليط الذي هو "روح

الحق، الذي من الآب ينبثق" (يو 15:26)، يجول باحثاً عن أنفسٍ مستحقّةٍ وقاورةٍ على تقبّل عِظَم محبته، أي محبة الله، التي رغب في إعلانها لهم [1587].

العلامة أوريجينوس

❖ جعل المسيح رسله يعمدون باسم الآب والابن والروح القدس، أي الاعزاف بالخالق والابن الوحيد الجنس والعطية. لأن الله الآب هو واحد، منه كل شيء؛ وربنا يسوع المسيح الابن الوحيد الذي به كان كل شيء (1 كو 8: 6) هو واحد؛ والروح عطية الله لنا، الذي يتخلل كل شيء هو أيضاً واحد (أف 4: 4). هكذا الكل قد تعظّم حسب القوى التي لهم والمنافع التي يمنحونها، القوة الواحدة التي منها الكل، الابن الواحد الذي به كل شيء، العطية الواحدة التي تهبنا رجاء كاملاً. لا يمكن أن يوجد نقص في هذا الاتحاد السامي الذي يحتضن الآب والابن والروح القدس، غير محدود في سومية، مثاله في صورة تعبر عنه، وتمتعنا به في العطية [1588].

❖ لأن أذهاننا الساقطة عاجزة عن إرواك الآب أو الابن، فإن إيماننا الذي وجد صعوبة في تصديق تجسد الله يستتير بعطية الروح القدس، رباط الوحدة ومصدر النور [1589].

القديس هيلاري أسقف بواتيه

❖ إنه يملأ الكل بقوته، لكنه يُشترك فيه بالنسبة للمتأهلين وحدهم... والذين لهم شركة الروح يتمتعون به قدر ما تسمح طبيعتهم، وليس قدر ما يستطيع هو أن يهب نفسه في الشركة [1590].

❖ البراكيت مثل الشمس للعين النقية يُظهر لك في نفسه الصورة (الابن) التي (للآب) غير المنظور. وبالتأمل الطوبوي للصورة ستوى الجمال غير المنطوق به الذي للأصل. إنه هو الذي يشوق في أولئك الذين يتطهرون من الدنس، ويجعلهم روحيين خلال الشركة معه. وكما أن الأجسام البهية الشفافة متى سقطت عليها أشعة الشمس، تصير بهية تعكس منها بهاءً على الآخرين، هكذا النفوس الحاملة للروح إذ تستتير بالروح تصير هي نفسها روحية وتبعث نعمة على الآخرين [1591].

القديس باسيليوس الكبير

❖ المسيح وُلد، والروح هو السابق له. المسيح اعتمد والروح حمل شهادة له. المسيح جُرب، وهو الذي عاد به (إلى الجبل). المسيح صنع عجائب، والروح رافقه. المسيح صعد، والروح خلفه [1592].

❖ أعمال المسيح الجسمانية انتهت، وأعمال الروح تبدأ [1593].

❖ إن كان الروح لا يُعبد، فكيف يمكنه أن يؤلّهي في المعمودية؟... من الروح ننال ما يجددنا. هكذا أنتم ترون الروح يعمل بكونه الله واهب المنح لنا. هكذا أنتم ترون ما نُحرم منه إن أنكرنا أن الروح هو الله. بالروح أعرف الله. هو نفسه الله، وفي الحياة الأخرى يؤلّهي [1594].

القديس غريغوريوس النريوي

❖ إصلاحنا هو من عمل الثالوث القنوس كله والمسئولي لبعضهم، وخلال الطبيعة الإلهية كلها الإرادة والقوة تجتزا في كل شيء يُعمل به. لهذا فإن خلاصنا حقيقة هو من عمل اللاهوت الواحد. وإن كان ما قد تحقق من أجلنا أو تم في الخليقة، الأمر الذي يبدو أنه يُنسب لكل أقنوم، فإننا نؤمن أن كل الأشياء هي من الله بالابن في الروح القدس [1595].

القديس كيرلس الكبير

عمل الروح القدس اللائق به هو تحقيق وحدتنا مع المسيح.

❖ إنه الروح الذي يوحدنا، نقول أنه يجعلنا نتجانس مع الله؛ استقباله يجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية، ونحن نتسلم هذا من الابن، وبالابن من

- ❖ (الابن نفسه) يشكّلنا حسب مجده، ويوسمنا بخاتم شكله [1597].
- ❖ إنه يمنحنا الرائحة الكاملة لذاك الذي ولده [1598].
- ❖ واهب الروح الإلهي المعطي الحياة ومعطيه هو الابن المولود من الله [1599].
- ❖ الملاء المعطى لنا بالآب والابن يتحقق... بالروح القدس الذي يملأنا بالموهب الإلهية به ويجعلنا شركاء في الطبيعة التي لا يُنطق بها [1600].
- ❖ هكذا حيث يعيش الابن فينا بطريقة لا توصف وذلك بروحه (غلا 4: 6)، نقول أننا مدعوون لروح النبوة [1601].
- ❖ شكواً للاتحاد مع الابن الذي يتحقق بوساطة الروح في الذين يقبلونه حتى أننا نتشكل للنبوة [1602].
- ❖ إن كانت الصورة الحقيقية التي تعبر بكمال عن التشبه بالابن نفسه، بلا خطأ، فالشبه الطبيعي للابن هو الروح الذي نتوافق معه بدورنا خلال التقديس، والذي يشكّلنا إلى شكل (الآب) نفسه [1603].
- ❖ نحن نتشكل حسب المسيح، ومنه نتقبل الصورة (غلا 4: 9)، وشكل الروح حسناً جداً، كمن من أحد شبيه له بالطبيعة [1604].
- ❖ بسبب قوته وطبيعته يمكن للروح بالتأكيد أن يُصلحنا إلى الصورة الفائقة [1605].

القديس كيرلس الكبير

- جاء في كتابات القديس باسيليوس الكبير كما في كتابات القديس كيرلس الكبير الروح القدس هو العامل ليقم منا صورة للآب، ومرة أخرى أنه البيئة الحية التي خلالها يخلق فينا الشبه للآب والابن.
- ❖ واهب الروح الإلهي المحيي هو الابن المولود من الله، الذي يشرك الحياة، ويتقبل الطبيعة الإلهية الكاملة من الآب؛ والذي فيه الابن والروح المحيي، يقوم الأخير بخلق الحياة للذين ينالونه [1606].
 - ❖ في الطبيعة الإلهية الواحدة الثلاثة أقانيم المتمايزون يتحدون في جمالٍ سامٍ واحد؛ ونحن أيضاً نتشكل بقبولنا ختم بنوي بالابن في الروح [1607].
 - ❖ شكواً للروح، إذ نتشكل حسب جمال الابن الإلهي الفائق، نشترك في الطبيعة الإلهية [1608].
 - ❖ يمنحنا الابن كمال رائحة الذي ولده (الآب). به وفيه نتقبل رائحة معرفة الله، ونغتني بها [1609].

القديس كيرلس الكبير

- يقول القديس كيرلس الكبير أن الروح القدس يعطي "طاقته إذ هي طاقة الله" [1610].
- ❖ كرز الابن عن نفسه وعن الآب مثله. صار الكلمة نفسه منظراً وملموساً [1611].
 - ❖ بخصوص عظمته لا يمكن معرفة الله... أما بخصوص حبه فهو معروف يوماً بكلمته... وبالروح الذي يحتضن الإنسان ويهبه سلطة إلى مجد الآب [1612].

القديس إيريناؤس

- ❖ الآب يُعلن، والروح حقاً يعمل، والابن يخدم [1613].

القديس إيريناؤس

- عيد البنطقستي هو مجيء الروح القدس الذي وعد به المسيح، والروح في عيد البنطقستي الدائم هو تأكيد لحضور المسيح في الكنيسة. هكذا فإن عيد العنصرة هي عيد مسياني ليس بأقل مما هو خاص بالروح القدس pneumatological، حيث أنه يدين حضور المسيح في الكنيسة سواً. عيد [1614]

البنطقستي يُزيل الارتباك بين صعود المسيح إلى السماء وجلسه على يمين الآب وبين وعده: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى الانقضاء" (مت 28: 20).

يقول القديس مقاريوس أنه عندما يحل المسيح والروح فينا نختبر ذلك بطرق متنوعة: في فوح أو دموع، في سكون أو نشوة طوب. توجد أشكال متعددة لحضور الله، أما ثمر الروح فهو دائماً حضور المسيح واهب الوحدة، الذي يعيش في الكنيسة وفي قلب المؤمن [1615].
"وتشهدون أنتم أيضاً،

لأنكم معي من الابتداء". [27]

يقول القديس أغسطينوس إذ يحل الروح القدس على الكنيسة يحمل التلاميذ الذين رافقوا السيد المسيح منذ بداية خدمته إمكانية الشهادة له، الأمر الذي لم يكونوا قادرين عليه أثناء حديث السيد المسيح معهم، إذ لم يكن ملء الروح قد حلّ فيهم. متى حلّ الروح القدس يهبهم الإيمان العامل بالمحبة، والمحبة الكاملة تطرد الخوف خرجاً. فلا يعود بطرس الرسول ينكر المسيح كما حدث عند الصلب، بل يشهد له محتملاً الآلام والاضطهادات من أجل اسمه بؤج. [إذ يشهد له الروح القدس، ويوحى بمثل هذه الشهادة بشجاعة لا تُقهر، يجد أعباء المسيح من خوفهم، ويحولهم إلى حبه لبغض أعدائهم لهم [1616].]

❖ في الكلمات السابقة قوّى الرب تلاميذه ليحتملوا كراهية أعدائهم، وأعدّهم أيضاً بتقديم نفسه مثلاً لكي يزدادوا شجاعة في الإقتداء به، مقدماً لهم الوعد بالروح القدس الذي يأتي ليشهد له، ولكي يصيروا هم شهوداً خلال عمل الروح القدس في سامعيه. فإن هذا هو معنى: "وتشهدون أنتم أيضاً، لأنكم معي من الابتداء" [27]. بمعنى إذ يحمل شهادة تحملون أنتم أيضاً شهادة. إنه في قلوبكم، أنتم في أصواتكم؛ هو بالوحي وأنتم بالنطق، حتى تتحقق الكلمات: "إلى أقصى الأرض بلغ صوتهم" (مز 19 : 4). فإنه إن لم يملأهم بروحه لا يحقق كثراً تقديم نفسه مثلاً للهدف [1617].

القديس أغسطينوس

من وحي يو ١٥

طمعني فيك،

يا أيها الكرمة الحقيقية!

❖ محبوبتي العجيب، اكشف لي عن حبك الفائق.

غوستتي كما في جنة إلهية،

وسيجت حولي بحبك،

وتوقبت لعلّي أقدم لك ثوراً يوح قلبك!

وإذ أخرجت عنباردياً لم تهملني.

❖ اقتلعتني من فساد،

وطعمتني فيك، يا أيها الكرمة الحقيقية!

أحمل ثمر روحك القدوس، غنب الحب والفوح!

أحمل طعم غنوبتك، ورائحتك الذكية!

بدونك لا أصلح إلا للزبلة والنار!

❖ ليحوي حبك في عروقي،

إذ أنا غصن حيّ فيك وبك.

فيصير فوحك بي كاملاً، وفوحي بك كاملاً.

أحبك، فأتعرّف على أسورك وولادتك.

أحبك، فأبذل نفسي من أجل اخوتك الأصاغر!

❖ أحبك، وإن كانت تكلفته بغض العالم لي.

إني غصن فيك، يا أيتها الكومة الإلهي،

العالم لا يطيقك، فلا يطيقني!

العالم لا يحتمل صوتك، فلا يقبل كلماتك التي على لساني!

❖ من يثبتني فيك، فلا أقتلع منك؟

من يهتم بي إلا أباك الكوام العجيب؟

من يحوط حولي ويعمل فيّ،

إلّا روحك القنوس المغوي؟

لك المجد أيها الثالث الكلي الحب!

<<

الأصاح السادس عشر

رسال المغوي

إن كان الألم قد دخل إلى العالم كثرة من ثمار العصيان، لكن الله في حبه سمح لابنه الحبيب أن يتأنس ويتألم كذبيحة حب مقدمة عن كل البشوية. هكذا تحول الألم من ثوة خطية إلى علامة حب. وصار من حقنا أن نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه. خلال هذه الذبيحة الفريدة نترك مفهوم الوعد الإلهي أنه يجرح ويشفي (نتث ٣٢: ٣٩). حدثهم السيد المسيح صراحة عن ما سيعاونه من آلام، مقدماً لهم **روحه القنوس المغوي** الذي سيحل عليهم ويعمل فيهم ويهبهم تغوياته الإلهية.

❖ تحتاج النفس إلى السواج الإلهي، وهو الروح القدس، الذي ينيّر البيت المظلم، وإلى شمس البرّ الساطعة التي تضيء وتشوق في القلب، وتحتاج إلى الأسلحة التي تغلب بها في المعركة.

القديس مقاريوس الكبير

- 1 . سهام الحب الجلحة ٦ - ١ .
- 2 . رسال المؤي ١٥ - ٧ .
- 3 . وعد باللقاء معهم بعد قيامته ٢٢ - ١٦ .
- 4 . استجابة صلواتهم ٢٧ - ٢٣ .
- 5 . صعوده إلى السماء ٢٨ .
- 6 . تركه عند آلامه ٣٢ - ٢٩ .
- 7 . غلبته لحسابهم ٣٣ .

1 . سهام الحب الجلحة

في إخلاص كامل كشف لهم السيد المسيح عما سيلحقهم من متاعب أثناء الإرسالية التي يبعثهم إليها، لكنها متاعب حب، هي سهام حب من أجله، حيث يبغضهم العالم كما يبغضه هو .

" قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا". [1]

تكرر تعبير " قد كلمتكم بهذا " سبع مرات في مقاله هذا، وقد جاء في اللغة اليونانية يحمل نوعاً من الاستعورية مع الوار، وكأن هذه الأمور التي يتحدث عنها في حديثه الوداعي لا تمس زمناً معيناً بعينه، بل أموراً خاصة بالكنيسة عبر الأمانة، وأنها أمور جوهرية.

كلمة " تعثروا " هنا يَوجِها البعض "تسقطوا في فخ"؛ كما يسقط طير أو حيوان في شك.

يخوهم عما سيعاونه من آلام مقدماً حتى لا يتعثروا، أي لئلا يفتقروا إيمانهم وتُصاب نفوسهم بضررٍ، كما يحدث مع الجسد عندما يعثر في الطريق أو يسقط على حجرٍ أو في فخ.

❖ " قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا" [١]، فإنه إذ ينسكب الروح القدس في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا (رو ٥ : ٥) يكون لمحبي شريعة الله سلام عظيم، فلا يتعثروا في شيء . [1618]

القديس أغسطينوس

"سيخرجونكم من المجمع،

بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله". [2]

يدعو وقت الألم "ساعة التجربة".

الالتصاق بالمسيح والشهادة له تُحسب جريمة دينية أو تجديفاً، لهذا يقطعون من المجمع ويُحرمون من حق العبادة كأشخاص تحت اللعنة، غير مستحقين أن يملسوا العبادة لله والشركة مع المؤمنين. لم يكن الألم الذي يصيب اليهودي الذي يؤمن بالسيد المسيح بطرده من الهيكل وحرمانه من التمتع بالانتساب إلى الأمة اليهودية أقل من القتل، إذ يفقد إحساسه بالانتساب لشعب الله في ذلك الحين، والتمتع بالامتيازات الخاصة به، واعتباره كاسواً للناموس. يُنظر إليه كساوري أو وثني أو عشار، خائن لدينه وشعبه ووطنه.

لا يقف الأمر عند الطرد، وإنما يتعقبون المؤمنين بالسيد المسيح لتقديمهم ذبائح بشرية، ويحسبون ذلك لمجد الله. وكما جاء في إشعياء: "قال اخوتكم الذين أبغضوكم وطردوكم من أجل اسمي ليمتجد الرب" (إش ٦٦ : ٥) . هذا ما حدث مع بولس الرسول حين نذر ٤٠ شخصاً ألا يأكلوا ولا يشربوا حتى يقتلوه (أع ٢٣ : ١٢-١٣) . وقد جاء في التلمود Talmud "من يسفك دم كافرٍ يعادل من يُحضر تقدمة لله" [1619] . وهكذا يحمل الذناب ثوب الحملان، ويظهر أعداء الله كأنهم خدام غيرورون على مجده، يملسون العذوة كأنها التّام ديني لحساب السماء .

❖ بحق قيل لمثل هؤلاء: "سيخرجونكم من المجمع"، أي أن الذين لهم غوة لله، ولكن ليس حسب المعرفة، إذ يجهلون برّ الله، وليس لهم ما يستدعي الخجل من استبعادهم بواسطة الناس، مادام الله هو مجد قوتهم [1620].

❖ إنهم لا يعرفون الآب ولا ابنه هؤلاء الذين يحسبون أنهم يقدمون الخدمة له بقتلكم. هذه كلمات أضافها السيد لأجل تغوية خاصته الذين يُطردون من المجمع اليهودية... "ستأتي ساعة فيها..." يقول هذا بطريقة كمن يسبق فيخوهم عن أخبارٍ صالحةٍ تتبعها شهور ضخمة... إنهم بالحق يشتتونكم وأنا أجمعكم، أو إنهم بالحق يشتتونكم لكن تأتي ساعة فوكم [1621].

القديس أغسطينوس

"وسيفعلون هذا بكم،

لأنهم لم يعرفوا الآب، ولا عرفوني". [3]

شتان ما بين من يتحدث أو يكتب عن الله وبين من يعرف الله والله يعرفه. هنا إذ يتحدث السيد عن المعرفة لا يقصد بها مجرد المعرفة العقلية، إنما معرفة الخوة والحياة، لهذا عندما يقول للأشوار في يوم الدينونة: "لست أعرفكم" لا يعني أن الله يجهلهم، لأنه علف بكل شيء، لكنه لا يعرفهم معرفة الصداقة والشركة.

علة شروهم عدم المعرفة الحقيقية، وكما جاء في هوشع: "لأنهم قد تجلوزوا عهدي، وتعنوا على شريعتي، إليّ يصوخون: يا إلهي نعوك نحن إسرائيل" (هو 8: 1-2). إنهم قد يعرفون رادة الله، لكنهم يجهلونه عملياً في سلوكهم. يرسون الكتاب المقدس، لكنهم يعرفون معانيه حسب أهوائهم.

❖ كأن السيد المسيح يقول لتلاميذه: يكفيكم للتغوية أن معاناتكم هذه المصاعب هي من أجلي ومن أجل الآب. هنا يذكرهم أيضاً بتطويبه الذي قاله حين ابتدأ تعليمه: "طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهلّوا، لأن أحرّكم عظيم في السموات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم" (مت 5: 11-12) [1622].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لكني قد كلمتكم بهذا،

حتى إذا جاءت الساعة،

تذكرون إنني أنا قلت لكم،

ولم أقل لكم من البداية،

لأنني كنت معكم". [4]

لم يقل هذا من بداية التصاقهم به حتى لا يربكهم أو يقلقهم، أما وقد صاروا تلاميذه فأعلن لهم هذا كأمرٍ جوهري في حياتهم وشركتهم معه. سبق فأعلن لهم عن ساعة التجربة لكي يدركوا أن ما سيحل بهم لم يحدث مصادفة كما يظن البعض، ولكن بسماعٍ إلهي، وفي الحدود التي يسمح بها الله. هذا وبحديثه هنا يهيئهم لكي يستعدوا لهذه الساعة بأسلحة روحية، خاصة بسيف الكلمة الإلهية.

لماذا أخوهم بذلك في هذا التوقيت؟ لأن ساعة التجربة قد اقتربت. حانت ساعة آلامه، وستحل ساعة الآلام، وأنه سيفلرقهم بالجسد. حين كان معهم بالجسد كان يعزيهم ويسندهم. الآن يترك لهم كلمته ووعوده ويرسل لهم الروح القدس يعزيهم.

❖ لا يندش أحد أننا مستوفون باضطهاداتٍ متواصلةٍ، ونسقط تحت ضغوط فوق العادة، مادام الرب قد أنبأنا مقدماً بأن هذه الأمور ستحدث في نهاية العالم، وقدم تعليمات لجيشنا بكلماته التي تعلمنا وتشجعنا [1623].

الشهيد كبريانوس

❖

من هذه الكلمات يمكنكم أن تحكموا وتتقوا في بقية كلماتي. إذ لا تستطيعون القول أنني أتملككم بأن أذكر لكم فقط ما هو يسوكم، ولا أقدم لكم كلمات خداع. لأن من يود أن يخدع لا يخونكم مقدماً بأمر كهذه تجعلكم تتصرفون (عنه). لذلك أخبركم مقدماً أن هذه الأمور ستحل عليكم حتى لا تضطربوا بعدم توقعكم لها.

وأيضاً لسبب آخر وهو ألا تقولوا إننا لسنا نعوف مقدماً أن هذه الأمور ستحدث. تذكروا إذن أنني أخبرتكم بها...
لبيتنا نحن أيضاً نضع هذه الأمور في الاعتبار أثناء تجربنا، عندما نعاني شيئاً من الأثوار، "ناظرين إلي رئيس إيماننا ومكمله" (عب 12: 3)، وأن هذه يسببها الأثوار، وأنها من أجل الفضيلة، ومن أجله.
فإن تأملنا في هذه الأمور سيكون كل شيء سهلاً ومحتملاً. فإن كان من يتألم من أجل محبوبيه يفتخر بذلك، فما هي مشاعر ذاك الذي يحتمل هذا من أجل الله؟

إن كان هو من أجلنا حسب ذلك العار، أي الصليب، مجدداً (13: 31)، فكم بالأكثر يؤمننا نحن أن نأخذ موقفاً كهذا؟

[1624]

وإن كنا نستطيع أن نستخف بالآلام، كم بالأكثر نستطيع أن نستعين بالغمى والطمع؟
❖ "لم أقل لكم من البداية، لأني كنت معكم" [4]. قيل هذا بطريقة بشرية، كأنه يقول لهم: "إذ كنتم في آمان، وكان في سلطانكم أن تسألوني متى أردتم، وكانت العاصفة كلها تهب علي، لذا كان من غير الضروري أن أخبركم بهذه الأمور في البداية" [1625].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يتساءل القديس يوحنا الذهبي الفم لماذا قال لهم أنه لم يسبق أن يخوهم بهذا مع أنه عندما دعا الاثني عشر قال لهم أنهم سيقفون أمام ملوك وولادة من أجل اسمه ويجلدونهم في مجامعهم (مت 10: 17، 18). يجيب على ذلك أنه ما سبق أن أخوهم عنه كان يخص ما سيحدث في المستقبل حين يكرزون بين الأمم؛ أما ما يخوهم عنه هنا فهو ما سيعاونه من اليهود، وأنه قد صار على الأبواب، وهو أمر لم يسبق أن يخوهم عنه" [1626].

"وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسنني،

وليس أحد منكم يسألني أين تمضي". [5]

سبق أن سأله بطرس هذا السؤال (يو 13: 36) وأيضاً توما (يو 14: 5)، وكلاهما نالا إجابة منه، أما الآن فيطالبهم ألا يسألوه، لأن قلوبهم امتلأت حزناً [6].

يليق بهم عوض أن يسألوه أين يمضي أن يتركوا ويتقوا أن كل الأمور تعمل معاً لخوهم كأحباء الله (رو 8: 28).

❖ الآن يعدهم أنه يمضي بطريقة خالها لا يسأله أحد إلى أين يمضي. لأن سحابة استقبلته عندما صعد من بينهم، وعند ذهابه إلى السماء لم يسأله أحد شفاهاً، بل كانت هناك شهادة عينية (أع 1: 9-11) [1627].

القديس أغسطينوس

لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم". [6]

سبق فملأهم السيد المسيح بالفوح (يو 15: 11)، لكن إذ أمتصت أفكلهم في الضيق ملأ الحزن قلوبهم، ولم يتركوا مجالاً لنوح المسيح أن يملك عليها. كانت أفكلهم مشغولة بملوكوت المسيح الخرجي والمجد الزموني وأنهم يملكون معه، وإذ تسلت أفكار العالم إليهم ملك حزن العالم عليهم.

❖ حزنت مشاعوهم البشرية، لأن رؤيتهم له جسمانياً تنتهي تماماً. لكنه عرف ما هو نافع لهم، لأن تلك النظرة الداخلية التي بها يهبهم الروح القدس توعية بلا شك أسمى... إذ يسكب نفسه في قلوب الذين آمنوا. عندئذ أضاف: " إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم الموي. ولكن إن ذهبت سألهم إليكم" [7]. وكأنه يقول لهم: خير لكم أن يُوع من أمامكم هذا الشكل الذي للعبد، إذ جاء الكلمة جسداً بالحق وحلّ بينكم. لكنني لست

أريد أن تستمروا في محبتكم لي جسدياً، وتكتفون بهذا اللين، مشتبهين أن تبقوا أطفالاً على الدوام... إن التصقتم بالجسد بطريقة جسدانية، لا يكون للروح مجال لكم...

ماذا يعني " إن لم أنطلق لا يأتيكم الروح القدس " سوى أنكم لا تقررون أن تقبلوا الرب مادتم مستهينين في معرفة المسيح حسب الجسد؟ لهذا يقول أحد الذين نالوا شركة الروح: "إن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد، لكن الآن لا نعرفه بعد" (٢ كو ٥: ١٦). فإننا الآن حتى جسد المسيح نفسه لم يعرفه بطريقة جسدانية، حيث بلغ إلى المعرفة الروحية للكلمة الذي صار جسداً [1628].

❖ بالوحيل الجسدي للمسيح كل من الآب والابن كما الروح القدس صاروا حاضرين معهم. فإن كان المسيح قد فرقه بطريقة ما ليبقى في موضعه وليس معهم، لكي يصير الروح القدس حاضراً فيهم، فماذا يعني وعده عندما قال: "هأنذا معكم دائماً وإلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨: ٣)، أنا والآب "إليه نأتي وعنده نصنع مؤلاً" (يو ١٤: ٢٣)؟... [1629]

القديس أغسطينوس

❖ الحزن المفوط أمر موعب يؤد موتاً. لذلك يقول بولس: "لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفوط" (2 كو 7: 7) [1630].

❖ إنها تعزية لهم ليست بقليلة أن يعلموا أنه يعرف شدة قنوطهم. فإنهم بجانب حزنهم لتوكة إياهم وما سيحل بهم من أمور موعبة قادمة، لم يكونوا يدركون أن كانوا يستطيعون أن يحتملوا هذا بثبات عزم [1631].

القديس يوحنا الذهبي الفم

2 . إرسال المؤي

"لكني أقول لكم الحق

أنه خير لكم أن انطلق،

لأنه إن لم أنطلق لا يأتكم المؤي،

ولكن إن ذهب أرسله اليكم". [7]

كان الأنبياء في العهد القديم يعززون الشعب وسط ضيقاتهم بمجيء المسيا المخلص كعزير لهم (إش ٩: ٦؛ ميخا ٥: ٦؛ زك ٣: ٨). الآن جاء المسيا وها هو يفرقهم بالجسد، فصلت الحاجة ملحة إلى معزير آخر هو روحه القنوس. أما مجيئه فيطلب رحيل المسيح [7]. لم يكن ممكناً للتلاميذ أن يقبلوا هذا، لذلك أكد السيد المسيح "أقول لكم الحق" [6] أنه لخرهم أن ينطلق. هذا التعليم كان غير متوقع وغريباً على مسامعهم. صعوده ليس لراحتهم بل لخرهم، فإن كان ما فعله خلال تجسده هو لحساب مؤمنيه، فصعوده هو صعود للرأس الذي لا تقلقه أعضاء الجسم.

سبق فأعلن لهم عن ضرورة موته لخلاص البشرية (مت ٢٠: ١٩؛ ٢٦: ٢؛ مر ٩: ٣١؛ ١٠: ٣٣؛ لو ٩: ٤٤؛ ١٨: ٣٢)، الآن لا يكرر ما سبق فأعلنه، إنما يكشف عن خطة الله من جهة إرسال الروح القدس إلى العالم، الذي لن يتم ما لم يتحقق خلاصنا بالصليب والقيامة والصعود إلى السماء. لماذا لا يأتي الروح القدس ما لم ينطلق المسيح أولاً؟ لأنه قادم ليستقر في النفس البشرية التي اشتواها السيد بدمه ووهبها رة وأعطاهها حق الدخول إلى السماء. فموت السيد المسيح وقيامته وصعوده هو طريق التمتع بحلول الروح القدس على الكنيسة، واستؤله في داخلها لكي يتمتع المؤمن بهذه السكنى.

من الجانب الآخر فإن صعوده إلى السماء كمخلصٍ موجدٍ لا يزع عنه انشغاله بعروسه التي افتداها بدمه، بل يرسل لها من يقدها له، ويجملها ويجعلها أيقونة له، تنتهياً للعوس السملوي الأبدي. بهذا فإن حلول الروح القدس الذي هو روح المسيح أفضل للكنيسة من بقاء السيد المسيح جسدياً على الأرض. فبقاء السيد المسيح جسدياً على الأرض يسحب أنظار البشر الجسدانية إليه، أما حلول روحه القنوس فيسحب قلوبهم إلى المسيح الموجد في

السماء، فتلتهب أعماقهم لا للبقاء على الأرض بل للانطلاق إلى العريس.

صعد السيد المسيح إلى السماء في لحظات حاسمة، وظروف غريبة، إذ ترك التلاميذ لا قوة لهم، ولا عمل لهم سوى الانتظار.

1. فمن جهة حياتهم الخاصة وإيمانهم ، كانوا حتى لحظات الصعود في خوفٍ وضعفٍ وقسوة قلبٍ وضعف إيمانٍ (مر 14:16).

توكهم بالجسد وتوك لهم وصاياها الصعبة، وطريقه الضيق، وصليبه الصعب. من يقدر أن يحتمل هذا كله!؟

2. ومن جهة عملهم أثقل عليهم الرسالة : طالبهم بالكررة والتلمذة في العالم كله. " ذهبوا وتلمنوا جميع الأمم" (مت 19:28)،

وسألهم أن يكرزوا باسم الثالوث القديس. رسالة صعبة في فترة لم يعودوا فيها يصنعون معجزات ويظهرون ووص ويخرجون شياطين كما كانوا في

فترة خدمته على الأرض قبل الصلب.

من أجل هذا كانوا في حاجة إلى من يسند ومن يعين، لذلك وعدهم بذلك الروح الناري، روح الله القديس نفسه، الذي يعمل فيهم من أجل

تقديسهم وتقديس الآخرين، " أنا أرسل إليكم موعد أبي، فأقيموا في أورشليم على أن تلبسوا قوة من الأعالي" (لو 49:24). من أجل هذا تحول صعود

الرب إلى موضوع فحهم وتهليل نفوسهم، لأنه فيما هو يبيلكهم انفود عنهم وصعد إلى السماء، فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفوحٍ عظيم، وكانوا كل

حين في الهيكل يسبحون ويبيلكون الله (لو 24). لأنه كما قال لهم الرب: إن لم أنطلق لا يأتيكم المغوي. ولكن إن ذهبت أرسلته إليكم (يو

[1632] (7:16).

في عيد العنصرة تحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن " مواهب الروح القدس" قائلاً:

[قبل هذه الأيام، صعد إلى السموات، وأخذ عرشه السموي، واستود مجلسه عن يمين الآب. وها هو اليوم يمنحنا حلول الروح القدس، وخلال

يقسم علينا المواهب السماوية الأخرى. لأنه أية موهبة من بين المواهب التي نتمتع بها في داخل خلاص نفوسنا لم ننلها خلال خدمة الروح (القدس)؟!]

فخلاله نتحرر من العبودية، وندعى إلى الحرية!

خلاله صرنا ولأد الله، بتبنيه إيانا!

وفوق هذا كله، إن أمكنني أن أقول، إننا قد تجددنا، خالعين عنا ثقل الخطايا الكوبه!

خلاله زى قدامنا طغمات الكهنة!

خلاله يساعدا معلمينا! منه ننال مواهب الإعلانات، ومواهب الشفاء، وكل المواهب الأخرى التي بها يزين الروح القدس كنيسة الله.

هذا ما يعلنه الرسول بولس قائلاً: "ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (1 كو 12:11). يقول "كما

يشاء" وليس "حسبما يؤمر". ويقول: "قاسماً" وليس "مقسمة"، مظهرًا أنه هو صاحب هذه المواهب، وليس كمن يخضع لسلطان آخر.

فالسُلطان الذي يشهد عنه الرسول بأنه للآب هو نفسه ينسب للروح القدس. وكما قال عن الآب: "ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل"،

ويقول أيضًا عن الروح القدس: "ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء".

انظروا كمال السلطان، إذ الطبيعة (الإلهية) واحدة، لذلك فإنه لا يوجد أدنى شك من جهة السلطان، إذ توجد مسلوأة في الكرامة فإن القوة

والسلطان واحد.]

❖ أظهر الإنجيليون الثلاثة الآخرون بوضوح بما فيه كفاية أنه نطق بمثل هذه النوبة قبل أن يقترب من العشاء (مت 24: ٤٩؛ مر ١٣: ٩-١٣؛ لو

٢١: ١٢-١٧) ... إذ صار المغوي أو الشفيق ضروريًا عند رحيل المسيح، ولهذا يتحدث عنه منذ الابتداء حيث كان هو معهم، وكان حضوره تغوية

لهم. ولكن في ليلة رحيله لاق به أن يتحدث عن مجيء ذلك الذي به يُسكب الحب في قلوب الذين يكرزون بكلمة الله بكل جسرة. ومعه يحملون داخليًا

الشهادة للمسيح، ولا يجنون أية علة للعزة عندما يطردهم أعدوهم اليهود من المجامع ويقتلونهم، طانين أنهم يقدمون خدمة الله. لأن المحبة تحتل كل

[1633]

شيء (١ كو ١٣: ٧)، هذه التي تتسكب في قلوبهم بعطية الروح القدس (رو ٥: ٥).

القديس أغسطينوس

❖ [\[1634\]](#) كأنه يقول علانية: "إن كنت لا أسحب جسمي من مفهومكم الجسماني لا أستطيع بروحي المغوي أن أفؤدكم إلى رؤيا روحية.

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ مادمننا لا نستطيع بأية وسيلة أن يكون لنا هذا التطويب الذي به نؤمن ونحن لا نرى ما لم نتقبله من الروح القدس، فلسبب حسن قيل: "خير لكم أن أنطلق. فإنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المغوي، لكن إن انطلقت أرسله إليكم" [7]. هو حاضر معنا على النوام بلاهوته، ولكن إن لم ينطلق بالجسد عنا، فإننا نرى جسمه يوماً حسب الجسد ولا نؤمن من الجانب الروحاني [\[1635\]](#).

القديس أغسطينوس

❖ لاحظوا كيف يغويهم موة أخرى، إذ يقول: "إنني أتكلم معكم لا لكي أبهجمكم، ومع أنكم قد حزنتم ربوات الموات، لكن يؤمكم أن تسموا ما هو لصالحكم. إنه بالحق من أجل شوقكم يؤم أن أكون معكم، ولكن ما هو لنفعمكم يختلف عن ذلك. فإنه جزء من الاهتمام بالغير ألا يكون الشخص حانياً أكثر من اللآزم مع أحبائه في أمور خاصة بنفعمهم، أو في ما يقودهم إلى ما هو ليس لصالحهم" [\[1636\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

السيد المسيح والروح القدس

فتح ميلاد السيد المسيح الزماني الطريق لنا لحلول الروح القدس فينا، فقد جاءت حياة السيد المسيح تشهد لعمل الروح القدس، الذي هو روحه، في كل موضع وفي كل تصوف. جاء يوحنا السابق الملاك الذي أعد الطريق للسيد المسيح مملوءاً من الروح وهو بعد في الرحم (لو 1: 15). ذات الروح حلّ على القديسة العذراء مريم وظللها مثل الشكينة التي حلت في جبل سيناء، حتى يهيئها لكي يكون المولود منها القديس المدعو ابن الله (لو 1: 35). وعند زيرة القديسة مريم لأليصابات امتلأت الأخوة من الروح القدس ورتكض الجنين في بطنها بابتهاج (لو 1: 41-42). وسبحت مريم وزكريا بوحى الروح (لو 1: 46، 68). وبالروح القدس استقبل سمعان الشيخ الطفل يسوع في الهيكل (لو 2: 25-32). وقاد الروح القدس ربنا يسوع إلى البرية ليُجرب (مر 1: 12).

يقدم لنا السيد المسيح الروح القدس ليحل فينا، فنحمل المسيح في داخلنا، ويصير هو نفسه صلاتنا وعبادتنا "بالروح" إذ تصوخ أعماقنا نحو الآب: "أيها الآب أبا" (رو 8: 15؛ غلا 4: 6).

"ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية،

وعلى برّ،

وعلى دينونة". [8]

تحقق رسالية الروح القدس إلى الكنيسة اهتمام السيد المسيح بها، فإنه متى جاء يهب البشوية حياة التوبة والرجوع إليه خلال الصليب. فهو وحده يقدر أن يدخل القلب ويمرر الخطية ويفضحها أمامه، فوجع إلى غنوبة الشوكة مع الله. إنه قادر أن يقنع القلب والفكر وكل أعماق الإنسان أن سعادته وسلامه وفوحه وخلوده وعدم فساده يكمن في الالتصاق بالمخلص لا بالخطية، وأن لذة العثرة مع الله لا تُقَرَن بأية لذة للخطية.

دُعي الروح القدس "البركلييت" ، وهي كلمة يونانية قديمة "بلا" تعني الملازمة، و"كلييت" تعني الدعوة للمعونة، فهو الملازم المعين، أو القائد

المغوي، الشفيع المدافع. وت ترجم "البلاكلييت" في اللاتينية "أفوكاتوس"، وفي الفرنسية "أفوكات"، أي المحامي أو الشفيع المدافع.

هذا هو أساس شوكتنا مع الثالوث القديس، إنه شفيع عنا أمام الآب، يقدم حجته، ليخوج قضيتنا بالواعة، ويصير لنا حق الشوكة والتمتع بالأحضان الإلهية. ودفاع الروح القدس، دفاع قوي قادر ومجيد. لكنه دفاع بحق، لا يتقدم في القضية مدافعاً عناً زوراً أو بهتاناً، لأنه روح الحق، الذي يشهد للحق، بل هو الحق ذاته. فهو عادل في دفاعه، لا يتستر على خطايانا أو أخطائنا. في مؤزرتة للخطاة (في 1: 20)، لا يستر خطايانا أو يخفي

أثرها بأوراقٍ من التين كما فعل آدم ويفعل بوه، ولا يحابي الوجوه، ولا يطلب شركة بين النور والظلمة، أو البرِّ والنجاسة، إنما هذا هو عمله، وهكذا يكون دفاعه عنا: إنه **ينخس قلب الإنسان** قبل أن يؤمن أو يسكن فيه مغوًّا طبيعته، ليعطيه الإيمان، ويهيئه لقبول عطية الروح القدس، وذلك كما حدث يوم الخمسين. "فلما سمعوا نُخسوا في قلوبهم، وقالوا لبطرس وسائر الرسل... توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفوان الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس" (أع 2: 37-39).

رى **القديس أغسطينوس** أن الخطية العظمى هي عدم الإيمان بالمسيح مخلصًا للعالم، فمن لا يؤمن لا يقدر أن يتمتع بغفوان خطاياهم. لهذا فإن التبكيث على خطية يحمل معنى حث الإنسان على التخلي عن عدم إيمانه بالمسيح، بهذا يفتح أمامه باب المغفرة.

وبينما بطرس يكلم كورنيليوس ومن معه "حلّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة... حينئذ أجاب بطرس أتى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن. وأمر أن يتعمدوا باسم الرب" (أع 10: 44-47).

إن كان الروح ينخس القلوب قبل العماد، أفلا ينخس قلوبهم بعدما يسكن فيها بسرّ الميرون؟! إن عمله هو التبكيث على الخطية ليتوب الإنسان ويعتف، وفي سرّ التوبة و الاعتراف يغفر للإنسان عن خطاياهم بالروح القدس الذي يغفر باستحقاقات دم المسيح أيضًا: " قبلوا الروح القدس من غفرتم لهم خطاياهم غُوت... " فالروح القدس بالنسبة لمن لم يؤمنوا أو للمؤمنين لا يتستر على خطاياهم، بل بالعكس إذ هو نور يكشف ويفضح الخطية أمام عيني الإنسان الداخلية، ويكشف آثامنا ومورثتها قدام قلوبنا، وفي نفس الوقت يكشف عمل الصليب وقوة حب الله الجذابة.

من هنا يتقدم الروح القدس باعترافنا المملوءة تنانة، وورفها بالدم المسفوك مع دموع التوبة وصلوات الإيمان. وللحال يحكم بالوادة للإنسان عن خطاياهم السابقة، سواء في سرّ المعمودية أو سرّ التوبة والاعتراف ^[1637].

❖ انظروا كيف يبداً ولأ بانتهاار الخطية... والتوبيخ، ليس من أجل اليهود وحدهم، بل بالأحرى لكل إنسان يكون عنيداً ومقاوماً للبركليت. التوبيخ الثالث الذي للروح القدس لإدانة رئيس هذا العالم. سيشهد البركليت لمجد المسيح، وسيظهر للعالم خطاه إن هجر (المسيح) وتعد لذاك الذي بالطبيعة ليس الله، أي إبليس... الآن هو ليس رئيس هذا العالم بالحق، كمن يملك كرامة حاكم ورثها فيه، لكن إذ هو يتمسك بمجد هذا العالم بالخداع والعنف، ولأنه لا زال يحكم هؤلاء خطأ، وبسبب شر رادتهم يملس سلطته عليهم. ^[1638]

القديس كيرلس الكبير

❖ تتور فينا الرغبة أن نفهم لماذا كما لو لم توجد خطية للإنسان سوى عدم إيمانه بالمسيح، إذ تحدث عنها وحدها هنا بأن الروح القدس يدين العالم عليها، مع أنه واضح أنه بجانب خطية عدم الإيمان توجد أنواع متوعدة من خطايا البشر، فلماذا بيكت الروح القدس العالم عن هذه وحدها؟ ذلك لأن بعدم الإيمان يُمسك بكل الخطايا، وبالإيمان تُغفر. لهذا فإن الله ينسب إليهم هذه الخطية فوق كل بقية الخطايا، إذ بها لا تُغفر بقية الخطايا مادام الإنسان المتكبر لا يؤمن بالله المتواضع. فقد كُتب: "الله يقاوم المتكبرين، ويعطي نعمة للمتواضعين" (أم 3: 34؛ يع 4: 6). هذه النعمة التي من الله هي هبة منه؛ لكن العطية العظمى هي الروح القدس نفسه، وقد دُعي "نعمة". فإنه إذ أخطأ الجميع وأعزهم مجد الله، لأنه بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ودخل الموت بخطيته التي بها أخطأ الكل" (رو 3: 23؛ 5: 12).

القديس أغسطينوس

يؤكد **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الروح القدس كما الآب يشهدان للسيد المسيح لأجل خلاص العالم الذي وُضع في الشوير. حقا لقد قدم السيد المسيح تعاليم وعجائب، لكن الأثوار قلوبها. أما متى صعد إلى السماء، فبرسل روحه القدس الذي يعمل في تلاميذ المسيح ورسله، ليكشف عن الحق، ويتم أعمالاً عجيبة فائقة باسم المسيح، ويقوم بتبكيث العالم، لكي يبرك شوه، ويقبل الرجوع إلى المخلص.

❖ "ومتى جاء ذاك بيكت العالم" [8]. بمعنى أنهم لا يفعلون هذه الأمور دون أن يُعاقبوا متى جاء ذلك. فإنه بالحق الأمور التي تمت فعلاً كافية أن تبكم أفواههم. ولكن متى تمت هذه الأمور أيضاً بواسطة (بعد صعوده) حينما تصير التعاليم أكثر كمالاً (بحلول الروح القدس)، والمعزوات أعظم (على

أيدي الرسل)، يُدانون بالأكثر إذ يرون مثل هذه الأمور تتم باسمي، مما يجعل القيامة أكثر تأكيدًا.

الآن يمكنهم القول: هذا هو ابن النجار، ونحن عرفون بأبيه وأمه، ولكن حين يرون رباطات الموت قد انحلت، والشر يُزعج، والمعوجات

الطبيعية تستقيم، والشياطين يخرجون، وفيض العون من الروح، وهذا كله يتحقق بدعوتي، فماذا سوف يقولون؟ يحمل الآب شهادة لي، وسيحمل الروح

أيضًا شهادة مع أنه حمل شهادة في البداية، نعم وسيحملها وسيبكت [1639].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقول القديس أغسطينوس أن السيد المسيح نفسه يبكت العالم على خطية، كما في قوله: " لو لم أكن قد جننت وكلمتهم لم تكن لهم خطية" (يو

١٥: ٢٢)، وعلى برّ، إذ قال: "أيها الآب البار العالم لم يعرفك" (يو ١٧: ٢٥)، كما يبكت على دينونة، إذ أعلن أنه سيقول للذين على اليسار: "اذهوا

عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (مت ٢٥: ٤١). وردت عبارات كثيرة في الإنجيل تؤكد أن السيد المسيح يبكت على هذه

الأمور. لماذا إذن ينسب هذا للروح القدس كما لو كان هذا امتيازًا خاصًا به؟ يجيب القديس أغسطينوس أن الروح القدس ينسكب على قلوب التلاميذ (رو

٥: ٥)، فيهبهم المحبة التي تطرد الخوف خلجًا (١ يو ٤: ١٨)، فيصير لهم حق التوبيخ والتبكي. ويكمل القديس حديثه: [كثيرًا ما أقول أن عمل

الثالوث القنوس لا ينفصل، لكن كل أقنوم يقوم بدوره، ليس فقط بغير انفصالهم، بل وأيضًا دون خلط بينهم. فمن حقنا أن نترك كلاً من وحدتهم وثالوثهم

[1640] (تمازهم).

"أما على خطية،

فلأنهم لا يؤمنون بي". [9]

يوضح السيد المسيح نور الروح القدس في التبكي على خطية قائلًا: "لأنهم لا يؤمنون" [9]. إن كانت الخطية تملك على القلب، فليس من

طريق للخلاص منها إلا بقنوم ملكٍ آخر قادر على إبادتها، وهو الإيمان بالمسيح الذي يملك على القلب. ملكت الخطية فصلرت مصدر فساد ورجاسة، لذا

صلرت الضرورة ملحة للإيمان بالمخلص الذي يزع الفساد والرجاسة، ويحتل عدم الفساد والقداسة الموضع. بالخطية كسر الإنسان الناموس وحلت

اللجنة، وبالإيمان بالمسيح مكمل الناموس وحامل اللعنة عنا نتحرر من الحرف والقائل واللجنة لننعم بالروح المحيي والحياة المطوية.

بلغت خطية اليهود القمة عندما لم يقبلوه بكونه المسيا المخلص مع أنه صنع العجائب التي سبق أن أعلن عنها الأنبياء (إش ٣٥: ٣-٦). عند

حلول الروح القدس في يوم العنصرة اعترف جمع من اليهود بهذه الخطية، ورجعوا إلى الله (أع ٢: ٣٧).

❖ لأن هذه الخطية، كما لو كانت هي الخطية الوحيدة، وضعها قبل الخطايا الأخرى، لأن بالاستمرار فيها تُستبقى بقية الخطايا، وبزوعها تزوع بقية

الخطايا [1641].

القديس أغسطينوس

❖ يبكت "على خطية"؛ هذا يعني انه سيقطع كل أعزهم، ويظهر أنهم عصوا عصيانًا فاحشًا [1642].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأما على برّ،

فلأنني ذاهب إلى أبي،

ولا ترونني أيضًا". [10]

أما عن التبكي على برّ، فيقول السيد المسيح: " فلأنني ذاهب إلى أبي، ولا ترونني بعد" [١٠]. أي يبكتهم على عدم إراكم لبرّ المسيح وقداسته،

فقيامته وصعوده إلى السماء هما الدليل على وه. لذلك إذ يصعد السيد إلى السماء يرسل روحه ليحمل قلوب البشوية إلى حيث المسيح جالس، فيتلامسوا

معه ويختبروا وَّه فيهم، بل يصير المسيح لهم وَّا.

تبكيك العالم على خطية يعني عمل الروح القدس في الكشف عن حقيقة العالم أنه خاطئ، وأما على البرِّ فهو الكشف عن حقيقة ما فعله العالم بالمسيح، أي الصلب، فإن آلام المسيح المخلصة وصلبه هي لأجل توبونا. فالروح الذي ينير العينين ليبرك الإنسان خطاياها، ينوهما أيضًا ليبرك قوة موت المسيح واهب البرِّ.

لم يبرك اليهود قيمة موسى النبي كما ينبغي إلا بعد انتقاله من العالم، ولم يعرف الكثيرون برَّ المسيح إلا بعد صعوده إلى السماء. حلول الروح القدس في يوم العنصرة حسب الوعد الإلهي هو وهان على مجد المسيح الجالس على يمين العظمة (أع ٢: ٣٣)، وهذا دليل على وَّه الإلهي.

يتساءل **القديس أغسطينوس** لماذا قال السيد المسيح أن الروح القدس يبكت على برِّ لأنه ذاهب إلى أبيه. ويجيب بأن الكلمة عند تجسده ومجيئه من عند الآب أظهر رحمته علينا، وبصعوده إلى السماء وذهابه إلى الآب نقوم معه، ونطلب ما هو فوق حيث المسيح جالس. إنه جالس على يمين الآب، يجلس بكونه الرأس والجسد، وكأن الكنيسة وقد صلت جسدًا تتمتع ببرِّ المسيح، حيث صار لها حق الجلوس في السماء عن يمين الله.

[1643]

❖ لذلك يليق بنا ألا نحسب أنفسنا منفصلين عن ذاك البرِّ الذي يشير إليه الرب نفسه، قائلًا: "عن البرِّ، لأنني ماضٍ إلى الآب". فإننا نحن أيضًا نصعد مع المسيح، ونحن مع المسيح رأسنا، الآن بالإيمان والوجاء إلى حين، لكن رجاءنا يكمل في القيامة الأخوة من الأموات. لكن حين يكمل رجاءنا يكمل أيضًا توبونا. والرب الذي كمل هذا أظهر لنا في جسده (أي في رأسنا) الذي فيه قام وصعد إلى الآب ما يؤمننا أن نرجاه. فقد كتبت: "أسلم من أجل خطايانا، وأقيم لأجل توبونا" (رو ٤: ٢٥). إذن العالم قد دين على خطية في الذين لم يؤمنوا بالمسيح، وعلى وه في الذين قاموا في أعضاء المسيح. فقد قيل: "فنصير برَّ الله فيه" (٢ كو ٥: ٢١). فإننا إن لم تكن فيه فلا طريق للبرِّ. أما فيه فيذهب بنا بالكامل إلى الآب، ويتحقق فينا البرِّ الكامل.

[1644]

القديس أغسطينوس

❖ لقد ترك الرسول الأمر واضحًا: يؤمننا أن نؤمن أن عمل الآب وعمل الابن هو عمل واحد.

[1645]

القديس أمبروسيوس

❖ عندما يُوبخ بار (معتد بوه)، فإنه يُوبخ على خطية وليس على برِّ. لهذا يجب ملاحظة إن هذا النطق الإلهي: "لا تكن برًّا بزيادة" (جا ٧: ١٦، 20)، لا يخص برِّ الإنسان الحكيم، وإنما كبرياء الإنسان المتعرجف. فالإنسان الذي يصير "برًّا بزيادة"، بهذا الزيادة عينها يصير غير بارٍ. فإنه يجعل نفسه برًّا بزيادة بقوله أنه بلا خطية، وتصوره أنه صار برًّا ليس بنعمة الله، وإنما بالاكتماء بؤادته الذاتية. وهو ليس برًّا بالحياة البرة بل بالأحرى باكتفائه بالتصور بما هو ليس عليه.

[1646]

القديس أغسطينوس

❖ "على برِّ، فلأني ذاهب إلى أبي، ولا ترونني أيضًا" [10]. بمعنى: "لقد أظهرت حياة بلا لوم، وهذا وهان إنني ذاهب إلى الآب". إذ كانوا على النوام يحتجون ضده بأنه ليس من الله، ولذا دعه خاطئًا وعاصيًا، لذلك يقول أن الروح سيوزع عنهم أيضًا هذا العذر. فإن كان يبدو عليّ إنني لست من الله اظهروا لي إنني عاصٍ؛ عندما يعلن الروح أنني ذاهب عنده، ليس إلى حين بل أسكن هناك، لأن القول "لا ترونني أيضًا" يعبر عن هذا؛ فماذا سوف يقولون إذن؟ لاحظوا كيف أنه بهذين الأمرين زال شكهم الشوير، لأنه لا تتسبب المعجزات إلى شوير، ولا البقاء مع الله يخص خاطئًا. لذلك لا

[1647]

تقدرون بعد أن تقولوا إن هذا الإنسان شوير، وأنه ليس من الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأما على دينونة،

فلأن رئيس هذا العالم قد دين". [11]

في اختصار، فإن الروح القدس ليس فقط بيكت على الخطية [9] واهباً الإيمان للإنسان، ومقدمًا برّ المسيح المصلوب له، وإنما يدين العالم الثوير، ويقدم للمؤمنين ما هو للابن، فيتمتعوا بشركة المجد السموي. هكذا يقدم لنا الروح القدس ثلاث حقائق هامة تمس حياتنا:

■ فساد طبيعتنا بالخطية.

■ إصلاحها وتمتعها ببرّ المسيح.

■ دينونة الشر أدياً.

بيكت الروح القدس على دينونة، "لأن رئيس هذا العالم قد دين" [11]. بينما ظن العالم أنه قد حكم على المسيح ودانه، إذا بالروح القدس يكشف للمؤمنين أنه بالصليب دين عدو الخير وشهر به (١ كو ٢: ١٥). انفضح إبليس كمخادع ومدمر للبشرية، وبدأ الأمم يرفضونه ويهجرون عبادته خلال الكرة بصليب المسيح. عمل الروح القدس تأكيد أن المسيح أعظم وأقوى من إبليس، يهب سلطاناً لتلاميذه أن يوسوا على قوات الظلمة. وهكذا يختبر المؤمن في حياته اليومية عربون السلطان الذي ناله لكي يتمتع بكماله في يوم الدينونة حيث يُدان إبليس ويتمتع الإنسان بكرامة فائقة. يحتل الإنسان الوجبة السماوية الفائقة التي سقط منها إبليس وكل جنوده. لهذا جاء فعل "دين" يحمل معنى الاستورلية، فالغلبة على قوات الظلمة عمل يومي مستمر.

❖ أيضاً يُدان العالم "عن دينونة، لأن رئيس هذا العالم قد دين"، أي الشيطان، رئيس الأشرار. إذ يسكن في قلب هذا "العالم" وحده، أي في قلوب الذين يحيون "العالم"، كما أن مواطننا نحن في السماء، إن كنا قد قمنا مع المسيح. هكذا كما أن المسيح ونحن جسده معه هم واحد، هكذا الشيطان مع كل الأشرار الذين رأسهم هو إبليس كما لو كانوا جسده، هو أيضاً واحد. لذلك كما أننا لا ننفصل عن البرّ الذي قال عنه الرب: "لأنني ماضٍ إلى الآب"، هكذا لا ينفصل الأشرار عن تلك الدينونة التي قال عنها: "لأن رئيس هذا العالم قد دين". [1648]

❖ رئيس هذا العالم، أي رئيس الظلمة، أو غير المؤمنين، الذي يتحرر منه ذلك العالم الذي يقال له: "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب" (أف ٥: ٨)؛ رئيس هذا العالم الذي يقول عنه في موضع آخر: "الآن رئيس هذا العالم يُطرح" (يو ١٢: ٣١)، هذا بالحقيقة يُدان قدر ما هو مُعيّن لحكم النار الأبدية نهائياً. [1649]

القديس أغسطينوس

❖ "إذ يُدان بواسطتي فسيعرفون من الذي سيطراً عليه بقدميه فيما بعد، وسيعرفون قيامتي بوضوح التي هي علامة من يدين رئيس هذا العالم. فإنه غير قادر أن يمسه بي. فبينما قالوا بأن به شيطان، وأني مخادع فستظهر كل هذه الأمور أنها باطلة، إذ لم يكن ممكناً لي أن أفوز عليه لو كنت خاضعاً للخطية، لكنه الآن يُدان ويُطود". [1650]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"إن لي أموراً كثرة أيضاً لأقول لكم،

ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن". [12]

صوح لهم السيد المسيح أن لديه أمور كثيرة لم يود أن يخوهم بها، لأنهم عاجزون عن قبولها في ذلك الحين، ففيه تختفي كنوز الحكمة والمعونة.

❖ لذلك فإنه خير لكم أن رُحل إن كنتم سوف تحتملون هذه وحيلي. ماذا يحدث؟ هل الروح أعظم منك حتى أننا الآن لا نحتمل، لكن سنحتمل بعد ذلك؟ هل سيعمل الروح بأكثر قوة وأكثر كمالاً؟ لا، ليس كذلك، لأنه هو أيضاً ينطق بكلماتي. [1651]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖

لم يكن التلاميذ في ذلك الحين مستعدين أن يموتوا من أجل المسيح عندما قال لهم: "لا تقدر الآن أن تتبعني" (يو ١٣ : ٣٦) ... ومع ذلك نجد بعد هذا أعدادًا بلا حصر من رجال ونساء وولاد وبنات وشباب وشيوخ وصغار تُوجوا بالاستشهاد، ووُجد القطيع مستعدًا لهذا الذي لم يكن الإِعاة قارين على احتماله عندما نطق الرب بهذه الكلمات [1652].

❖ حسنًا، ليتنا نقبل الأمر هكذا، إن كثيرون يستطيعون الآن أن يحتملوا هذه الأمور، إذ أرسل الروح القدس، هذا الذي لم يستطع التلاميذ أن يحتملوه قبل مجيئه [1653].

❖ بالرغم من إني أشتهي وأسأل وأتذوق بكل غوة أن الرب يستخدمكم أن تروا جهلي في هذا الأمر، إلا أنني وإن كنت لا استحق هذا، اللّهُ لا يسمح! فإنني سأسأل الرب إلهنا بصبر الذي لي إيمان إنني لن أتذمر ضده إن رفض أن يفتح لي عندما أوع. سأذكر القول: "لي كثير لأقوله لكم، لكنكم لا تحتملون الآن" (راجع يو 12:16) [1654].

القدّيس أغسطينوس

"وأما متى جاء ذلك روح الحق،

فهو يرشدكم إلى جميع الحق،

لأنه لا يتكلم من نفسه،

بل كل ما يسمع يتكلم به،

ويخبركم بأمر آتية". [13]

وعدهم السيد المسيح أنهم يتمتعون بمجيء "روح الحق" الذي يرشدهم إلى كل الحق. فقد سبق فقدم السيد نفسه لهم قائلاً: "أنا هو الحق"، من يقتنيه يقتني الحق. لكنهم كيف يقتنونه؟ بالروح القدس الذي هو روح الحق، يعمل فيهم، فيثبتهم في المسيح الذي هو الحق الإلهي.

هل أخفي السيد المسيح الحق عن تلاميذه؟ لقد جاء إلى العالم ليقدّم الحق. تحدث مع تلاميذه قدر ما يحتملون، ومع الجماهير حسب قدرتهم. لكنهم كانوا عاجزين عن قبول كل الحق، لذا بعث بروحه القدس لكي يقودهم ويدخل بهم إلى أعماق جديدة في الحق. هذا وقد أكد السيد أن روح الحق لا يعلم بشيء يناقض ما يعلم به السيد المسيح، بل ما يسمعه من الآب والمنتاغ مع الابن، فينطق به لمجد الثالوث القديس وخلص البشر.

يقودهم روح الله إلى النوبة (رو ٨ : ١٤)، ويسلك معهم في الطريق، قائداً لهم ومرافقاً، ويبقى سندا لهم حتى يبلغ بهم إلى النهاية، حيث يتمتعون بكل الحق. إنه أشبه بوبان السفينة العرف بأسوار المنطقة البحرية، يقودها ويبلغ بالمسافرين إلى البر بأمان.

إنه روح الحق، لا يقود المؤمن إلا في الحق (١ يو ٢٧). يتكلم بما فيه نمونا وتقدمنا في الأمور الآتية. وكما جاء في يوثيل: "يكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر، فينتبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شوخكم أحلاماً، ووي شبايكم رؤي". (٢ : ٢٨) وقد تحقق ذلك كما جاء في سفر الأعمال (١١ : ٢٨؛ ٢٠ : ٢٣؛ ٢١ : ١١). تحدث الروح عن الارتداد في الأمانة الأخوة (١ تي ٤ : ١).

❖ لقد أعلن أننا بدون الروح نعيش كأطفالٍ صغارٍ. لقد قال أن الروح سيأتي، هذا الذي يجعل من الأطفال الصغار رجالاً أقوياء بالنمو، أقصد في العمر الروحي. وقد أبرز هذا، لا لكي يجعل قوة الروح في المركز الأول، وإنما ليظهر أن كمال القوة هو في معرفة الثالوث [1655].

❖ يقول ابن الله بخصوص الروح القدس أنه لا يتكلم من نفسه، بمعنى ليس بدون الشركة مع الآب ومعني. لأن الروح لا ينقسم ولا ينفصل، بل ينطق بما يسمع... هذا يعني أنه لا يتكلم بدوني، إذ ينطق بالحق، إنه يتنسم بالحكمة. لا ينطق بدون الآب، لأنه روح الله. إنه يسمع لا من ذاته، لأن كل الأشياء هي من الله.. لذلك ما يقوله الروح هو قول الابن ولا ينطق الروح شيئاً من ذاته. لأن الثالوث لا يتكلم بشيء خرج عنه. [1656]

❖ هذا لا يعني أي سماع لكلمات واقعية (ملموسة) بل وحدة الإرادة والقوة التي توجد في الآب والابن والروح القدس. ما يقوله الروح يقوله الابن هنا

القديس أمبروس

❖ قال لتلاميذه عن الروح القدس: "ويخبركم"، بهذا رفع تمييز فهمهم، لأن الجنس الإنساني بصفة عامة لا يرتاح إلى شيء كلرتياحه إلى أن يعرف الأحداث القادمة. لقد سأوه في هذا الأمر، إذ قال بطرس الرسول: "يا سيد إلى أين نذهب؟" (يو 13: 36)، وقال توما الرسول: "يا سيد لسنا نعلم أين نذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟" (يو 14: 5). فقد راحهم من هذا الاهتمام، إذ أوضح لهم هنا أن الروح القدس يسبق فيقول لهم الخفايا كلها، أي "ويخبركم". "فإن قلت: "ولم لم يعط السيد المسيح الروح القدس لتلاميذه قبل أن ينطلق من عندهم؟" أجبتك: "لأن اللعنة لم تكن قد أتوت بعد، وخطيتنا لم تكن قد حلت بعد، فما كان لائقًا أن يجيء الروح القدس، إذ كان الناس كلهم مدينين في العقوبة، وكأن السيد المسيح يقول: "ينبغي أن تتحل العدوة وأن نصلح إلينا، وبعد ذلك نقبل تلك الموهبة".

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقول **القديس أغسطينوس** أن التلاميذ حتى بعد أحداث الصلب والقيامة وصعود السيد المسيح لم يكونوا قادرين على إدراك بعض الحقائق الإيمانية مثل أن العالم قد خلق بواسطة ذاك الذي صُلب، وأنه هو ابن الله الذي كسر طريقة حفظ اليهود للسبت، وأيضًا أن الله ثالث قنوس: الآب والابن والروح القدس، وأن الابن واحد مع الآب ومساوٍ له في ذات الجوهر الخ. مثل هذه الحقائق لم يركها التلاميذ بوضوح إلا بالروح القدس الذي وُهب لهم، فامتألت قلوبهم حبًا وغوة في الروح، واستلرت بمعرفة الحق [1658].

❖ لذلك أيها الأحباء يؤمكم ألا تتوقوا أن تسموا منا ما امتنع الرب عن إخباره لتلاميذه، إذ كانوا غير قادرين على احتمالها، بل بالأحرى تطلوا أن تنمو في المحبة التي تُسكب في قلوبكم بالروح القدس الذي أعطي لهم (رو 5: 5). بهذا فإنه في غوة الروح ومحبة الروحيات تستطيعون، لا بأية علامة ظاهرة للأعين الجسدية، أو بأي صوت يرن في آذانكم الجسدية، وإنما برؤية العين الداخلية والسمع الداخلي أن تتعرفوا على ذلك النور الروحي، وتلك الكلمة الروحية التي يعجز الجسدانيون أن يحتملوا. إذ لا يمكن محبة ما هو ليس بمعروف. لكن عندما يُعرف الشيء ولو بقياسٍ صغير فإنه أيضًا يُحب، وبذات الحب ينال الشخص معرفة أفضل وأكمل.

فإن صوت نامين في الحب الذي سكب في قلوبكم: "هو يعلمكم كل الحق"، أو كما جاء في بعض المخطوطات: "فهو يرشدكم إلى جميع الحق". وكما قيل: "قدني في طريقك يارب، فأسلك في حقك" (مز 86: 11). والنتيجة هي أنكم تتعلمون هذه الأمور التي امتنع الرب عن النطق بها في ذلك الحين، ليس خلال معلمين خلجيين، بل تكونوا متعلمين من الله (يو 6: 45)...

نعم حسنًا، لقد قلت لكم الآن بعض الأمور التي لها شيء من نفس هذه السمات وأنتم قبلتموها، ليس فقط احتملتوها، بل استمتعتم إليها بسورٍ. فإن ذاك المعلم الداخلي الذي حين كان يتكلم من الخرج مع تلاميذه قال: "إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" [12]، وغب أن يتحدث في الداخل إلينا عما قلت أنه يخص طبيعة الله غير المتجسمة، بالطريقة التي يتحدث بها مع الملائكة الذين يرون وجه الآب على الوام، والتي تبقى بعد لا نحتملها.

لهذا عندما يقول: "سيعلمكم كل الحق"، أو "يرشدكم إلى جميع الحق" [13] لست أظن أن الملاء ممكنًا في ذهن أي شخص في هذه الحياة، لأنه من وهو يعيش في هذا الجسد الفاسد والمقاوم للنفس يقدر أن يعرف كل الحق، إن كان الرسول يقول: "الآن أعرف بعض المعرفة؟" وإنما يتحقق بالروح القدس الذي ننال الآن غوته (2 كو 1: 22) حتى ننال بعد ذلك كمال المعرفة التي يقول عنها الرسول نفسه: "حينئذ وجهًا لوجه" (1 كو 13: 12).

القديس أغسطينوس

❖ هذا تجديدنا، يجعلنا على صورة الله من جديد، وذلك **بغسل التجديد والروح القدس** الذي يجددنا، فنصير أبناء الله، نصير خليفة جديدة موهبة أخرى بشركة الروح، ويخلصهما مما كان عتيقًا [1660].

القديس باسيليوس الكبير

يلق **القديس أغسطينوس** على قول السيد المسيح عن الروح القدس: " **لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم، ويخبركم بأمور آتية**" [13]، قائلاً بأنه إذ هو من عند الآب ينبثق (يو 15: 26) (رُليًا، فهو من الآب وليس من نفسه، هو واحد معه ومساوٍ له في ذات الجوهر. هو من الآب، له ذات معرفته [إنه يسمع ممن ينبثق منه. بالنسبة له **السمع هو معرفة، والمعرفة هي وجوده** التي سبق لنا مناقشتها. لأنه ليس من ذاته، بل من ذلك الذي انبثق منه، والذي منه له الكيان والمعرفة والسمع التي ليست لإمعرفة... هذا السمع سومدي، لأن المعرفة سومدية... وما هو سومدي ليس له بداية ولا نهاية، يمكن استخدام الفعل في أية صيغة سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل [1661].

"ذاك يمجدي،

لأنه يأخذ مما لي ويخبركم". [14]

رسال الروح القدس وعمله يمجدان الابن. فالآب يمجده في السماء، والروح القدس يمجده على الأرض. يأتي الروح القدس باسم المسيح، ويعمل لحساب مملكته، محققاً رسالة إنجيله. لا يأتي ليقم مملكة أخرى، بل هي ذات مملكة المسيح التي تنسب أيضاً للآب، لأن كل ما للابن هو للآب، وما للآب هو للابن.

إذ صار المسيح ابن البشر قدم الآب ما له للابن لأجلنا، وعهد الابن بوجه العمل للروح القدس، هنا وحدة الثالوث في العمل.

"كل ما للآب هو لي،

لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم". [15]

يتمتع المؤمنون المعمون باسم المسيح بالشركة معه في موته وقيامته بطريقة غير خاضعة لحواسنا الظاهرية. وهي تتم بعمل الروح القدس الذي ينحدر من السماء باستدعاء الكاهن كما رسم السيد المسيح في كنيسة المقدسة. هذا الروح الذي يأخذ مما للمسيح ويعطينا (يو 15: 16). يعطينا الروح هذا السرّ بفضل نعمة المسيح، لأنه "لا بأعمال في البرّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني، تجديد الروح القدس" (تي 3: 5). "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي على حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات لموات لا يبلى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لكم" (1 بط 3: 4).

" **يأخذ مما لي ويخبركم**" (يو 14: 16). فبحسب اعتقاد المنادين بالفيلوك [1662] بخصوص العلاقات الباطنة في أقانيم الثالوث لا يمكن لأقنوم أن يأخذ أو يتقبل شيئاً من أحد الأقنومين الآخرين إلا بطريق "الانبثاق" [1663].

وى فوتيوس Photius أن هذه الكلمات لا تعني أن الروح القدس يأخذ من الابن بل من الآب؛ لأن السيد المسيح لم يقل "يأخذ مني of Me" بل قال: " **يأخذ مما لي on Mine** ، فالتعبير الأول يعني من ينطق به (شخصياً)، أما تعبير " **مما لي** " فيعلن عن شخص آخر يرتبط مع المتكلم ورباط القوابة [1664]. لقد أضاف الرب: " **كل ما للآب هو لي** "، لذلك ما يأخذه الروح مما لي إنما يأخذه من الآب [1665]. الأخذ هنا لا يخص الجوهر الإلهي بل سمات ربنا يسوع المسيح حتى نتشكل نحن على صورة الابن (رو 29: 8).

❖ **"كل ما هو للآب فهو لي"**. فماذا إذن أكثر وضوحاً من هذه الوحدة؟ كل ما للآب يخص الابن، وكل ما للابن تقبله أيضاً الروح القدس. [1666]

❖ لقد قيل كل شيء من الآب بحق ميلاده (الأولي منه)، ويظهر الآب بالكامل بمجد جلاله (أي لم ينقص بما قدمه للابن) [1667].

❖ " **كل ما هو للآب فهو لي** "، لا بمعنى أنه وُهب له ذلك من الآب بل ما تسلمه من الآب هو حقه، إذ هو الابن الذي ولده الآب [1668].

[1669]

لأني قلت بعد قليل لا تبصروني ثم بعد قليل أيضًا ترونني". [19]

"الحق أقول لكم إ نكم ستبكون وتوحون، والعالم يفرح.

أنتم ستحزنون، ولكن حزنكم يتحول إلى فرح". [20]

إذ لم يستطع التلاميذ أن يتركوا ما يقوله حدثهم بصراحة أنهم سيحزنون بسبب آلامه وصلبه وموته. لقد عرف أنهم مشتاقون إلى المعوفة لذلك شوح لهم الأمر. لم يخوهم في تفاصيل، إنما أخوهم بما سيحل بهم، ويمس مشاعرهم من حزن ثم فرح. لم يحدثهم بأكثر من هذا حتى لا يزداد لتباكمهم، إنما أكد أن ذلك يؤول إلى فرحهم وإلى تمتعهم بميلاد جديد. يجد الأشرار فرحهم ومسرتهم في حزن القديسين وآلامهم، بينما يجد المؤمن مسوته في مشركة المتألمين، حاسبًا آلام كل إنسان كأنها آلامه الشخصية.

❖ أراهم أن بعد الحزن يكون الفرح، وأن الحزن يولد السرور، وأنه لمدة قصيرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يفهم من ذلك بأن التلاميذ قد ألقوا في حزن على موت الرب، وفي الحال امتلأوا فرحًا بقيامته. أما العالم الذي يعني به الأعداء الذين قتلوا المسيح، فكأنوا حتمًا في نشوة من الفرح بقتل المسيح في الوقت نفسه الذي كان فيه التلاميذ في حزنٍ [1671].

القديس أغسطينوس

" المرأة وهي تلد تحزن،

لأن ساعتها قد جاءت.

ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح،

لأنه قد ولد إنسان في العالم". [21]

❖ لم يعدهم بزوع الضيقات، لكنه وعدهم بتقديم فهم جديد للألم، إذ يجعله كآلم المخاض، الذي يليه ولادة طفلٍ، فيحتل الفرح موضع الألم. ما يقوله هو من هذا النوع: "ستحل بكم آلام الطلق، ولكن أوجاع الولادة المفاجئة تسبب لكم فرحًا". كلاهما يثبتان كلماته بخصوص القيامة، ويظهر أن الرحيل هو أشبه بعبور من الرحم إلى نور النهار. حتى الأم لكي تصير أمًا تعبر كما في حزن. هنا أيضًا يطبق أمرًا باطنياً، إذ تحل أوجاع طلاقات الموت التالي لتأتي بإنسانٍ جديد ناتج عنها. إنه لم يقل فقط أن الحزن يعبر، بل ولا تعود تذكره. يا لعظم الفرح الذي يتبعه! هذا ما سيكون مع القديسين... هنا لا يقول إن طفلاً يولد بل "إنسان". بالنسبة له إنه يلتصق هنا بقيامته، وأنه لا يلد بطلاقات الموت بل يُولد للملكوت [1672].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأنتم كذلك عندكم الآن حزن،

ولكني سأراكم أيضًا، فتفرح قلوبكم،

ولا يتزع أحد فرحكم منكم". [22]

إن كنا نتمتع بكمال الفرح في الأبدية غير أننا ننال عربونه هنا، فنحن في فرحٍ داخلي لا ينقطع (٢ كو ٦: ١٠). سوعان ما يتحول فرح العالم بمسواته ومباهجه إلى حزنٍ، لأنه عالم منقلب على النوام. وسوعان ما يتحول الحزن الروحي إلى فرحٍ دائمٍ، لأنه فرح المسيح غير متغير. يقدم السبب لفرحنا الذي لا يُزع منا، وهو رؤيته لنا أو ظهوره لنا، وأنا أعضاء جسمه وزاهر أسنا. فإنه يبدو كمن قد تركنا لحبضة ليعود فيجمعنا بواحه العظيمة وغنى نعمته (إش ٥٤: ٧).

عودته هي عودة للفرح إلى القلب، يعود كمصدر حقيقي للفرح الداخلي الدائم، وشبع للنفس. هذا الفرح لا يستطيع أحد ولا تستطيع الأحداث أن

تؤعه عنا، إذ لا تقدر أن تغتصب النفس من مخلصها، ولا أن تسحبها من محبة المسيح لها.

❖ " لا يتّرع أحد فوحكم منكم" [٢٢]، لأن فوحهم هو يسوع نفسه [1673].

القديس أغسطينوس

❖ ذكر هذا المثل ليوضح أن الحزن وقتي، وأن السرور دائم ثابت، وأن الفائدة من المخاض عظيمة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

4. استجابة صلواتهم

أما السبب الثاني لفرحهم الدائم أنه إذ يُظهر المسيح نفسه لهم وراهم، يرتبطون بالآب فيطلبون باسم المسيح فينالوا مهما كانت طلبتهم.

يعاتبهم أنهم لم يطلخوا شيئاً بعد باسمه لكي يكون فرحهم كاملاً. وماذا يطلبون إلاً سكنى الثالوث القديس فيهم؟! "وفي ذلك اليوم لا تسألونني شيئاً."

الحق الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم". [23]

لا يحتاجون بعد أن يطلخوا شيئاً بعد ظهور السيد المسيح لهم، إذ فيه كل الكفاية. هكذا يتجلى السيد المسيح القائم من الأموات في القلب فيشبع كل

احتياجاته، ولا يدعه معزاً شيئاً. لا يطلبون شيئاً، لأن الروح القدس يهبهم كل الحق، ويقودهم فيه، فيتمتعون بملكوت المسيح.

❖ فإن قلت: وما معني قول السيد المسيح: "إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم" ؟ أجبتك: أي أنهم لا يحتاجون وسيطاً، لكن إذا ذكروا اسمه فقط

يجربهم بأن يأخونوا جميع مطالبهم، وبذلك رآهم قوة اسمه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الكنيسة في الوقت الحاضر في حالة مخاض نشتهي تلك الثروة التي لتعبها، لكنها عندئذ ستلد تأملاً واقعياً. الآن تتمخض لتلد في أنين، عندئذ تلد في

فوح. الآن تلد خلال صلواتها، عندئذ تلد بتسايبها [1674].

❖ الرب غير متوانٍ بخصوص وعده، بعد قليل سزاه، حيث لا نعود نسأل شيئاً... إذ لا يوجد شيء نشتهي، ولا يوجد شيء مخفي نسأل عنه. هذا

القليل يبدو لنا طويلاً، لأنه لا زال مستوراً وسينتهي، عندئذ نشعر كم كان هذا الوقت قليلاً [1675].

❖ في العالم المقبل إذ تبلغ الملكوت حيث نصير مثله، إذ زاه كما هو (١ يو ٣ : ٢)، ماذا عندئذ نطلب، إذ ستحقق كل رغبتنا بالصالحات (مز ١٠٣ :

٥)؟ وكما يُقال في المزمور آخر: "سأشبع عندما يُعلن مجدك" (مز ١٧ : ١٥). فإن الطلبة تُملس بسبب فوح من الاحتياج، الأمر الذي لا موضع له

حيث يسود الفيض [1676].

القديس أغسطينوس

" إلى الآن لم تطلخوا شيئاً باسمي.

أطلخوا تاً خنوا،

ليكون فرحكم كاملاً". [24]

إلى تلك اللحظات لم يطلخوا شيئاً، لكن متى جاء ذلك فهو يعلمهم الصلاة فيطلبوا الاتحاد مع الله الآب بالابن الوحيد الجنس في الروح القدس.

❖ يعرف الرب يسوع كيف أن نفس الإنسان، أي الذهن العاقل الذي خُلق على صورته، لا تقدر أن تشبع إلاً به وحده...

يعرف أنه قد أظهر وأنه مخفي. يعرف أن فيه قد أعلن ما هو مخفي. يعرف هذا كله. يقول المزمور: "يا لعظم فيض عنوبتك يارب، التي

أخفيت للذين يخافونك، التي تصنعها للذين يتوجونك" (مز ٣٠ : ٢٠ LXX).

عدوبتك عظيمة ومتعددة أخفيتها للذين يخافونك...

فلمن تفتحها؟ للذين يتّوجونك.

سؤال بجانبين قد أُثير، لكن كل جانب يحل الآخر...

هل الذين يخافون والذين يتّوجون مختلفون؟

أليس الذين يخافون الله هم يتّوجونه؟...

للناموس الخوف، وللنعمة الرجاء... الناموس ينذر من يتكل على ذاته، والنعمة تعين من يثق في الله... نحن نسمع الناموس. فإن لم توجد نعمة،

تسمع العقوبة التي تحل بك... لتصوخ: "ويحي أنا الإنسان الشقي!" (رو ٧: ٢٤). لتعرف نفسك أنك منهزم، لتكن قوتك في حري ولتقل: "ويحي أنا الإنسان الشقي! من ينقذني من هذا الجسد المائت؟"... هكذا ينذر الناموس من يعتمد على ذاته.

أنظر هوذا إنسان يعتمد على ذاته، يحاول أن يجاهد، إنه منبسط ومُستعبد وأخذ أسوأ. من تعلم أن يعتمد على الله، وقد بقي الناموس ينزوه ألا يعتمد على ذاته، الآن تسنده النعمة. إذ يعتمد على الله. في هذه الثقة يقول: "من ينقذني من جسد هذا الموت؟ نعمة الله بيسوع المسيح ربنا" (رو ٧: ٢٤ - Vulgate ٢٥).

الآن أنظر إلى العنوبة، تنوقها، تلذذ بها. اسمع الزمور: "نوقروا وانظروا ما أعذب الرب" (مز ٣٤: ٨). يصير عذبا لك، إذ ينقذك.

كنت في مورة ذاتك، عندما اعتمدت عليها. لتثوب العنوبة، ولتقبل غوة الفيض العظيم هكذا. [1677]

❖ ما تسألونه يُحسب كلا شيء بالنسبة لما رُيد أن أعطيك. لأنه ماذا سألتكم باسمي؟ أن تخضع الشياطين لكم. لا توحوا بهذا، فإن ما قد سألتوه هو لا شيء، فلو كان ذلك شيئاً لكان يسألهم أن يوحوا...

"لكي يكون فرحكم كاملاً"، أي أسألو ما يشبعكم.

عندما تسألون أموراً زمنية لا تسألون شيئاً. "من يثوب من هذا الماء يعطش أيضاً" (يو ٤: ١٣)...

أسألو ما يشبعكم!

تحذروا بلغة فيلبس: "يارب رنا الآب وكفانا" (يو ١٤: ٨). قال له الرب: أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفني؟ من رأني يا فيلبس، فقد رأى

الآب أيضاً" (يو ١٤: ٩). (Vulgate 9).

قدم تشكرات للمسيح الذي صار ضعيفاً لأجلكم لأنكم ضعفاء، ولتكن رغباتكم معدة للاهوت المسيح لكي تشبع بها. [1678]

❖ قوله: "كل ما طلبتم" يجب ألا يفهم أنه أي طلب كان، بل أي شيء يكون بالحقيقة له علاقة بالحياة المطوّبة.

وما جاء بعد ذلك: "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي" [٢٤] يفهم بطريقتين: إما أنكم لم تطلبوا باسمي، إذ لم تعرفوا اسمي بعد كما يجب، أو أنكم

لم تطلبوا شيئاً، إن قرن بما يجب أن تطلبوه، فما تطلبونه يُحسب كلا شيء [1679].

القديس أغسطينوس

"قد كلمتكم بهذا بأمثال،

ولكن تأتي ساعة حين لا أكلمكم أيضاً بأمثال،

بل أخبركم عن الآب علانية". [25]

إنه يقدم لنا معرفة عظيمة عن الآب، لنلتمس فيه أبوته، وندخل إلى أسوره، ونتأمل مجده الفائق. لن يكون الآب غريباً عنا، وهذا ما يجعل

فوحنا كاملاً.

مع كل ما شوحه لهم يحسب أنه لم يكشف لهم كل الأسرار الإلهية، لأنهم لم يكونوا بعد يحتملونها. إنه يكلمهم بأمثال وليس علانية. أما بعد

قيامته وصعوده وحلول الروح القدس عليهم فأخوهم عن الأسوار علانية.

❖ كأن السيد المسيح يقول لهم: عند قيامتي ستعرفون أوالي كلها معرفة واضحة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

رى القديس أغسطينوس أن "الساعة" هنا تعني المستقبل، حين رى الله وجهًا لوجه. وكما يقول القديس بولس: "فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز، لكن حينئذ وجهًا لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت" (١ كو ١٣ : ١٢).

"في ذلك اليوم تطلبون باسمي،

ولست أقول لكم إنني أسأل الآب من أجلكم". [26]

كأنه يقول لا توجد حاجة أن أخبركم إنني لن أكف عن أن أقدمكم خلال دمي المسفوك عنكم لدى الآب، فإن حبي لكم لن يتوقف، وحب الآب لكم

لن ينتهي.

❖ كيف لا يسأل الابن الآب، بل الآب والابن ينصتان إلى من يسألهما! هذا الأمر عالٍ لا يقدر أحد أن يبلغه إلا بعين الذهن الروحية [1680].

القديس أغسطينوس

"لأن الآب نفسه يحبكم،

لأنكم قد أحببتموني،

وأمنتم إنني من عند الله خرجت". [27]

سرّ حب الآب للمؤمنين هو أن إيمانهم عامل بالمحبة (غلا ٥ : ٦). بحبهم للابن يتمتعون بحب الآب لهم. بهذا يتمتع المؤمنون بالدالة لدى الآب، فيطلبون لا في خوف، وإنما بدالة الحب التي لهم لدى أبيهم السملوي المحب لأبنائه.

❖ علة حبنا أننا محبوبون (من الله). بالتأكيد أن نحب الله، فهذه عطية إلهية. إنه هو الذي أعطانا النعمة أن نحبه، أحبنا بينما كنا نحن لا نحبه. حتى

عندما كنا لا نسره كنا محبوبين منه، لعلنا نصير موضوع سروره في عينيه. فإننا ما كنا نقدر أن نحب الابن ما لم نحب الآب أيضًا. الآب يحبنا،

لأننا نحب الابن، متطلعين إلى أن نتسلم من الآب والابن القوة أن نحب كلاً من الآب والابن، لأن المحبة تتسكب في قلوبنا بروح الاثنين (رو ٥ :

٥). بالروح نحب كلاً من الآب والابن الذي نحبه مع الآب والابن. إذن الله هو الذي يعمل هذا الحب التقوي الذي لنا، وبه نعبد الله. وقد رأى أنه

صالح، وعلى هذا الأساس هو نفسه أحب ما قد عمله فينا. لكنه ما كان يعمل فينا لو لم يحبنا أن يعمل فينا [1681].

القديس أغسطينوس

5. صعوده إلى السماء

خرجت من عند الآب،

وقد أتيت إلى العالم،

وأيضًا أتوك العالم،

وأذهب إلى الآب". [28]

هنا يحدثهم علانية عن تجسده الذي انتهى به إلى صعوده لكي يحمل البشوية المؤمنة معه. هذا هو سرّ حبه، أنه ظهر في الجسد، وحملنا إلى

المجد.

لقد جاء من عند الآب الذي كرسه لهذا العالم وختمه، وتول إلى عالمنا في تواضعٍ عجيبةٍ وحبٍ إلهيٍّ فائقٍ. ثم عاد فتوك العالم بالجسد، وعاد

بصعوده إلى الآب. هذا هو سرّ الإنجيل كله (التجسد الإلهي، وموته بالجسد ثم قيامته وصعوده إلى السماء). هذا هو مفتاح السماء!

❖ [1682] "يقول من عند الله خرجت"، مبلِّغاً أن طبيعته هي ذاتها كما هي التي أعطيت له بميلاده.

❖ [1683] "خرجت من عند الآب، وأتيت إلى العالم" العبارة الأخرى تشير إلى تجسده، والأولى إلى طبيعته.

القديس هيلاري أسقف بواتييه

❖ عندما يقول أن المسيح "خرج" من عند الآب، لا تتخيل تغوياً في المكان كما يحدث مع الناس. لا تفهم "أنا أتيت" بلغة الحركة، وإنما بخصوص التجسد [1684].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كان يتحدث عن آلام جسده وقيامته، وبهذه القيامة يؤمن أولئك الذين تشككوا قبلاً. لأنه بالحق اللّه الحاضر في كل مكان، لا يعبر من موضع إلى آخر. وإنما كإنسان يذهب كما هو بنفسه قد ذهب. لذلك يقول في موضع آخر: "قوموا ننطلق من هنا" (يو 14:31). بهذا يذهب ويأتي، الأمر المشترك بينه وبيننا [1685].

القديس أمبروسيوس

❖ لقد جاء من عند الآب لأنه من الآب، وجاء إلى العالم ليظهر للعالم الشكل الجسدي الذي أخذه من العواء. لقد ترك العالم بانسحابه جسدياً، وانطلق إلى الآب بصعوده كإنسان، لكنه لم يترك العالم بحضوره الفعال المدير له [1686].

القديس أغسطينوس

6. تركه عند آلامه

"قال له تلاميذه:

هوذا الآن تتكلم علانية،

ولست تقول مثلاً واحداً". [29]

توبيخ السيد المسيح للتلاميذ بوقّة ولطفٍ ومحبةٍ أعطاهم الثقة والشعور بأنه يتحدث معهم علانية، ويود على أسئلتهم التي في داخل أفكرهم ولم يستطيعوا أن يعبروا عنها أو يفصحوا بها. شعر التلاميذ أنه يتحدث معهم بكل وضوح وصراحة، خاصة وأنهم يؤمنون بأنه المسيا العالم بكل شيء، ولا يخفي عنه شيء ما. إنه العلف القلوب وفاحص الكلى، ولا يحتاج أن يسأله أحد، بل يعرف أسرارهم وأفكرهم واحتياجاتهم الداخلية.

وي القديس أغسطينوس أن التلاميذ ظنوا أنه يتكلم علانية ولا يقول مثلاً واحداً بينما لم تكن بعد قد جاءت الساعة التي يتحقق فيها ذلك حسب وعده الإلهي. إنما جاءت عندما أكمل حديثه قائلاً: " هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن، تتفرقون كل واحد إلى خاصته... [32] [1687].

"الآن نعلم أنك عالم بكل شيء،

ولست تحتاج أن يسألك أحد،

لهذا نؤمن أنك من الله خرجت". [30]

❖ كأنهم قالوا: إنك قد عرفت الظنون التي شككتنا قبل أن نطوها ورأحتنا منها، إذ قلت: "لأن الآب نفسه يحكم، لأنكم قد أحببتموني" [27].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجابهم يسوع: الآن تؤمنون". [31]

يجيبهم السيد المسيح: "أؤمنون؟ هل سيبقى إيمانكم ثابتاً؟ إنه قد اقتربت الساعة التي فيها تتفرقون وتكونوني!"

❖ ليت البشر لا يستبعدون التفكير في الابن عندما يؤون عن الله فقط، ولا يستبعدون التفكير في الآب عندما يؤون عن "الابن" وحده.

الابن على الأرض ليس بون الآب (يو 10:30)، فكيف تظن أن الآب في السماء بون الابن؟...

[1688]

الابن في الجسد، وهو ليس وحده، كما هو مكتوب: "وأنا لست وحدي لأن الآب معي"، فهل تظن أن الآب يسكن وحده في النور؟

القديس أمبروسوس

"هوذا تأتي ساعة وقد أتت،

الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته،

وتتركونني وحدي،

وأنا لست وحدي،

لأن الآب معي". [32]

جاء السيد المسيح ليحتل مكاننا حتى ننعم بشركة مجده. فنحن جميعاً كثراً ما نعاني من الشعور بالغزلة. قد يحيط بنا الوالدان لكننا من الأعماق نصوص مع داود النبي: "أبي وأمي قد تركاني..." وقد يحوط بنا الأحباء والأصدقاء، لكننا نئن: "ليس من يشركني مشاعوي، ولا من يدرك أعماقي، ويشعر بأحاسيسي". هذه صرخات النفس التي تحطمها الخطية وتغزلها عن إلهها مشبعها الحقيقي. ليس من يقدر بعد أن يملأ الفراغ الداخلي. أما وقد جاء السيد المسيح بلا خطية فإنه لن يعاني قط من شعور داخلي بالغزلة، لأنه لن يفصل قط عن الآب وعن روحه القدس. لكنه صار وحيداً وسط البشر، حيث جاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله، وفي ساعة ضيقه تركه تلاميذه وصار وحيداً، لكنه يعلن: "وأنا لست وحدي، لأن الآب معي" [32]. هذه صيحة النصرة التي تهتف بها كل نفس اتحدت مع مسيحها المتألم، فإنها لن تعاني من الغزلة، ولن تشعر أنها وحدها! لأن الله ساكن فيها لا يفرقها.

7. غلبته لحسابهم

"قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام.

في العالم سيكون لكم ضيق،

ولكن ثقوا (افرحوا) أنا قد غلبت العالم". [33]

بالإيمان يحل المسيح في قلوبنا، فنتمتع بنصوته نصرة لنا. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا. من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن

أن يسوع هو ابن الله؟! (1 يو 5: 4-5).

السلام الذي يقدمه السيد المسيح لهم يحمل الحياة المطوية المشوقة، ليمتعوا بروح القوة والنصرة مع التغذية السماوية والسند الإلهي.

لم يخف عنهم أنه سيكون لهم في العالم ضيق، لكنه يطالبهم بالبهجة والسور وسط الضيق، لأنه يتجلى في حياتهم كغالب للعالم الشرير.

قيل أن فنائاً أراد أن يقدم لوحة عن السلام فاخترت يوماً عاصفاً جداً وصور صخرة عظيمة تخبطها الأمواج من كل جانب، وقد ظهرت في

اللوحة سفينة حطمتها الأمواج وجثث بعض النوتية والمسافرين تطفو على المياه وسط نوامات الأمواج. في وسط هذه الصخرة أقامت حمامة عشاً في

نوة وقد رقدت في النوة مطمئنة جداً، وسجل الفنان كلمة "سلام" على الصخرة تحت النوة مباشرة. هكذا سلامنا هو في المسيح يسوع صخر الدهور.

فيه نستقر ونستريح وسط كل نوامات الحياة وتجربها.

❖ قول السيد المسيح لتلاميذه في العالم سيكون لكم ضيق، أي مادمتم موجودين في العالم تقاسون وضغوطاً ولا تقاسون ذلك الآن فقط لكنكم تقاسونه فيما

بعد أيضاً.

❖ ... يسمح لنا نحن أيضاً أن نغلب، متطلعين إلى رئيس إيماننا، ونسير في ذات الطريق الذي قطعه من أجلنا أننا لسنا مائتين بسبب صواعنا مع

الموت، بل نحن خالون بسبب نصوتنا هل يفسد الموت أجسامنا؟ ما هذا؟ أنها لن تبقى في الفساد، بل تصير إلى حال أفضل
إذن لنغلب العالم، لوكض نحو الخلود، لنتبع الملك، لنُعدّ النصب التذكري للغلبة، لنستخف بملذات العالم. لسنا نحتاج إلى تعب لإتمام ذلك.
لنحول نفوسنا إلى السماء، فينهزم كل العالم! عندما لا تشتهيهِ تغلبه؛ إن سخوت به يُقهر.
غوباء نحن ورُحُل، فليتنا لا نحزن على أي أمورٍ مخزنة خاصة به [1689].

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1690]

❖ إننا نثق في ذلك الذي قال: "افروا، أنا قد غلبت العالم" [33]، لأننا ننال النصرة على عدونا إبليس، بمعونته وحمايته.
❖ لماذا يقول لنا: "افروا" إلا لأنه قد غلب لأجلنا، وحرب لأجلنا؟
فإنه أين حرب؟ لقد حرب بأن أخذ طبيعتنا له...
لقد غلب من أجلنا نحن الذين أظهر لنا قيامته...
التصق يا إنسان بالله، هذا الذي خلقك إنسانًا. التصق به جدًّا، ضع ثقتك فيه.
أدعه، ليكن هو قوتك. قل له: "فيك يارب قوتي".

عندئذ تتغنى عندما يهددك الناس، وأما ما تتغنى به يخورك الرب نفسه: "إني أتوجى الله، لا أخشى ماذا يفعل بي الإنسان" (مز ٥٦:

[1691]

(١١)

❖ في التجربة التي يواجهونها بعد تمجيده قبلوا الروح القدس، ولم يتركوا (السيد المسيح).

إن كانوا قد هربوا من مدينة إلى مدينة لكنهم لم يهربوا منه هو.

بينما تلحق بهم التجربة في العالم يجدون فيه سلامًا.

عوض كونهم شردين منه بالأحرى يجدون فيه ملجأ. فإنهم يعمل الروح القدس فيهم يتحقق فيهم ما قيل الآن: "كونوا متهللين، أنا قد غلبت

العالم" [٣٣].

كانوا متهللين وغالبين، ولكن في من؟ فيه. فإنه ما يُحسب غالبًا للعالم إلا لكي تغلب أعضؤه العالم. لهذا يقول الرسول: "شكراً لله الذي يهبنا

[1692]

الغلبة" مضيئاً في الحال: "ربنا يسوع المسيح" (١ كو ١٥ : ٧٥).

القديس أغسطينوس

من وحي يو ١٦

لا تتركني وحدي!

❖ هوذا يصوب العالم سهامه ضدي!

إنه يحسب في موتي خدمة لله وله!

تغويتي أنه أراد الخلاص منك، ولم يدرك أنك مخلصه.

إنه يود الخلاص مني، فلن أكف عن محبتي له!

❖ لا تتركني وحدي،

فيما أنت مجرب تقدر أن تعين المجربين مثلي!

لقد صعدت إلى سمواتك،

لكنك لم تفرقني، فأنت مالئ السماء والأرض.

❖ أرسلت لي روحك القدس، مصدر تغويتي.

ليبكتني على خطيئي، فأمتلئ رجاءً بغافر الخطايا!

ليبكتني على برّ، فأزأى أمام الآب مختفياً في برّك!

ليبكتني على دينونة، فرأى إبليس مُداناً تحت قدمي!

❖ ليقودني روحك إليك،

ويعلن لي حقك كله،

فأتعرف على خطتك نحوي!

بحلوله فيّ تتجلى أنت في أعماقي.

رأك وأسمعك وأتلامس مع حبك!

❖ روحك العذب يفيض بعنوبتك في أعماقي.

وسط آلام العالم أتمتع بتغوياتك الإلهية.

يحملني إليك وأنت في البستان وحدك.

تركك الكل، لكن لن يقدر أحد أن يفصلك عن أبيك.

هب لي في وحدتي أن أتمتع بالشعور بحضورتك الإلهية!

نعم أقول إنك لا تتركني وحدي!

⏪

الأصاح السابغ عشر

الصلاة الوداعية

بعد هذا العوض الموفح والمغوي لحديث السيد المسيح الوداعي المسهب مع التلاميذ الذي شغل قوابة أربع أصحابات (١٦-١٣) يقدم لنا الإنجيلي يوحنا الصلاة الوداعية العلنية أمامهم. وهي حديث فريد مقدم من الابن في اللحظات الأخيرة قبل تسليمه للصلب. تختلف عن الصلاة الربانية التي علمنا إياها السيد المسيح نفسه، لأن الأخيرة تركز على طلب غوان الخطايا، أما هذه الصلاة فتكشف عما في قلب السيد المسيح من اشتياقات نحو الكنيسة يحققها خلال الصليب. لم يكن محتاجاً إلى الصلاة لمغفرة الخطايا لأنه بلا خطية، بل هل نفسه غافر الخطايا.

تعتبر أطول صلاة للسيد المسيح سجلها لنا الإنجيليون، لكننا لا نستطيع القول بأنها أطول حديث بين السيد المسيح والآب، فقد قضى الليل كله مصلياً قبل اختيله الاثني عشر تلميذاً (لو 12:6). كما وُجدت مناسبات أخرى قضى فيها فترات طويلة للصلاة.

لهذه الصلاة قدسية خاصة في نظر المؤمنين حيث جاءت في ظل الصليب. إنها تناسب ذلك الشفيح ال كفري الفريد حيث يحمل كنيسته فيه كأعضاء جسده المقدس ليقدمها لأبيه القدوس. هي طلب بنوي من أجل الخلاص [24]، يمزق الحجاب الذي فصل البشوية عن الآب. تُعتبر صلاة عائلية قدمها رب العائلة: يسوع المسيح عن عائلته، التلاميذ أو الكنيسة ككل. أو صلاة وداعية، قدمها على مسمع من تلاميذه، بعد حديثه الوداعي معهم عن سرّ علاقته مع الآب، الآن يتحدث مع الآب علانية من أجلهم، ليكشف لهم عن نوره لدى الآب من جهتهم.

هي صلاة كهنوتية، وكما يقول القديس إكليمنضس الإسكوتي أن يسوع في هذه الصلاة هو رئيس الكهنة الذي يعمل لحساب شعبه، وأن هذه الصلاة تدعى صلاة كهنوتية عليا، أو صلاة رئيس الكهنة. يقدمها كإعداد للبشوية لقبول ثمار ذبيحته الفريدة. وهي تشكل نزوة إعلان سرّ الوحدة بين الآب والابن [1693]. إنها ليست عملاً مجرداً، بل هي حضوره في الآب، حيث يحملنا إلى حضنه.

قدمها كصلاة سوانرية بعد تقديم سرّ الفصح المسيحي، أي بعد أن قدم لهم جسده ودمه المببولين لغوان خطاياهم وحياة أبدية لهم، وقد جاءت الصلاة من أجل حفظهم في النعمة التي تسلموها. وكأن السيد المسيح يؤكد لنا حاجتنا إلى الصلاة المستورة حتى نحفظ النعم الإلهية، أو حتى يحفظنا الله في غنى نعم أسوره الإلهية.

هي صلاة ربانية يقدمها رب المجد لكي يعلمنا كيف نصلي.

هي صلاة في مواجهة الموت، وقد امتلأت صلواته بالعنوبة، لأنه يواجه الموت من أجل تقديس أحبائه. برك يعقوب الاثني عشرة بطوركا (أباً) قبل موته، وبارك موسى الأسباط الاثني عشر أيضاً قبل موته، والآن يبارك السيد المسيح الكنيسة في العالم كله قبل تقديم حياته ذبيحة حب من أجلهم. الخط الواضح في هذه الصلاة هو تأكيد عملي لما قاله لتلاميذه: "افرحوا، أنا قد غلبت العالم" (16:33). الآن وقد اقتربت جداً لحظات صلبه، يتطلع إلي موته، لا ككلثة تحل به، بل كنصوة يحققها لحساب البشوية. لقد كرر مراراً وتكراراً لتلاميذه هذه الحقيقة، لكنهم لم يكونوا بعد قاريين علي إواكها، لهذا طلب من الآب مساندهم في وسط أحداث القيامة حتى يبركها سويماً ويتمتعوا بفاعليتها. الآن يسلم تلاميذه في يدي الآب أثناء عبوره طريق الصليب، فإنه ليس من قوى أخرى يمكن أن تسندهم سوى العمل الإلهي.

١ - ٥. طلبية خاصة به

٦ - ١٠. طلبية عامة عن الغير

١١ - ١٦. طلبية من أجل حفظهم

١٧ - ١٩. طلبية من أجل تقديسهم

١١، ٢٠ - ٢٣. طلبية من أجل الوحدة

٢٤ - ٢٦. طلبية من أجل تمجيدهم

1. طلبية خاصة به

" تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء". [1]

إذ صار كلمة الله إنسانًا حقيقيًا كاملاً مارس العبادة لتأكيد خضوعه حتى للناموس ولنظام العبادة، وصلى أيضًا ليكشف عن علاقته بالآب، إذ أُتهم بأنه بعزوبول رئيس الشياطين، وأنه ليس من عند الله.

لم يكن السيد المسيح في حاجة إلى الصلاة، لأنه هو واحد مع أبيه في الجوهر. لكنه كمثلنا يقدم الصلاة عن نفسه: "مجد ابنك" [1] لكي لا نكف عن الطلبة من أجل مجدنا فيه.

المسيح يكونه الله نصلي إليه، وإذ صار إنسانًا صار يصلي حتى يكمل فيه كل بر. لقد قيل له كما قيل لنا: "اسألني فأعطيك" (مز ٢: ٨). وها هو يسأل الآب، معطيًا كرامة خاصة للصلاة، لكي نجد فيها شعبنا. ويقول الرسول بولس: "الذي في أيام جسده، إذ قدم بصواخٍ شديدٍ ودعوى وطلباتٍ وتضوعاتٍ للقادر أن يخلصه من الموت، وسُمع له من أجل تقواه، مع كونه ابنًا تعلم الطاعة مما تألم به" (عب ٥: ٧-٨). لقد اشقى البشوية بدمه، فقدم الدم ليسأل الآب أن يهبه البشوية تسكن فيه فتتبرر. أما نحن فبدونه لا نقدر أن نسأل من الله كأبٍ لنا، ولا نقدر أن ننال. بصلاته قدس صلواتنا، وفتح لنا طريق الالتقاء مع الآب خلال المسوة الإلهية. صلى باسمنا، إذ يعرف أعماق قلوبنا (خر ٢٣: ٩) ويبرك تمامًا احتياجنا، وهو الطريق الذي وحده يصعد إلى السماء، إلى حضن أبيه، لذا فهو وحده القادر أن يقدس صلواتنا.

رفع السيد المسيح عينيه إلى السماء كما فعل ذلك من قبل (يو ١١: ٤١)، لماذا؟ إنه ساكن السماء بلاهوته ولا يحتاج إلى رفع عينيه إلى السماء كمن يتوسل أمراً ما من الآب. لكنه إذ صار ابن البشر قدس السيد المسيح حتى حركات الجسد، حتى نرفع أعيننا نحن أيضًا مع عينيه، فرفع قلوبنا إلى السماء أثناء الصلاة (مز ٢٥: ١). كان اليهود في ذلك الوقت يرفعون رؤوسهم إلى فوق، ويفتحون أعينهم نحو السماء أثناء الصلاة، وقد استخدم السيد المسيح ذات الوضع الذي كان سائدًا في أيامه، لكي نلتم نحن بالعبادة بروح جماعية في تدبير كنسي منظم بلا تشويش. هذا لا يعني أنه لا تقدم الصلاة إلا بهذا الوضع، فقد امتدح السيد المسيح العشار الذي لم يجسر أن يرفع عينيه، هكذا وقد قوع صوه في ندامة (لو ١٨: ٢٣). والسيد المسيح نفسه انحني أثناء حديثه مع الآب في البستان (مت ٢٦: ٣٩).

" أيها الآب قد أتت الساعة،

مجد ابنك، ليمجدك ابنك أيضًا". [1]

يدعو السيد المسيح الآب أباه، وهو الأب بالطبيعة، لكي إذ نرفع نحن أعيننا معه، نتطلع إلى الله كأبٍ لنا، وذلك بالتبني الذي نلناه بروحه القدس. إنه يوجهنا إلى أبيه بروح التشجيع والرجاء في نوال العطايا من يديه الإلهيتين.

"قد أتت الساعة" [1]، كثوًا ما كان يكرر بأن ساعته لم تأت بعد. الآن إذ بدأ طريق الصليب يقول: "قد أتت الساعة"، وهو يعرفها. لا يعرف الإنسان ساعته (جا ٩: ١٢) أما ابن الإنسان فقد عرفها. دعاها "هذه الساعة" (يو ١٢: ٢٧) و"الساعة" (يو ١٧: ١). فإنه لا توجد ساعة في كل التريخ البشوي، بل منذ بدء الزمن حتى نهايته كساعة الصليب التي فتحت أبواب السماء، وصالحت البشوية مع الآب، وأعطتهم حق الموات الأبدية والمجد السموي.

ساعة آلام المسيح هي في خطة الله؛ نروة هدف السيد المسيح منذ البداية، بل وقبل تجسده من أجل هذه الساعة. لقد جاءت الساعة الحاسمة حيث المعركة بين السماء والجحيم من أجل مجد الله وسعادة الإنسان على مستوى أبدي. و كأنه يقول: "لقد جاءت الساعة التي فيها اتحدت قوات الظلمة لكي تسيء إلى ابنك، الآن أيها الآب مجد ابنك!" إنها ساعة فريدة، ساعة المعركة بين النور وسلطان الظلمة؛ بين السماء وجهنم. رآها يوحنا الحبيب فقال: "خرج غالبًا ولكي يغلب" (رؤ ٦: ٢)، خرج منطيًا مركبة الصليب التي تحطم كل قوات الظلمة.

في وسط الآلام التي قبلها الابن بمسوة مجد الآب ابنه أثناء آلامه، عندما حاولت الجوع القبض عليه فسقطوا على الأرض، وبعد أن سلمه يهوذا اعترف بجريمته وختمها بانتحله، وأرسلت امرأة بيلاطس إلى زوجها تحفه من أن يصنع به شراً. مجدته الطبيعة إذ انكسفت الشمس وانخسف

القمر، والصخور تشققت، والقبور تفتحت. أيضًا شهد له الهيكل إذ انشق حجابيه. هذا ما شاهدته البشوية أثناء محاكمة السيد وآلامه وموته. هذه كلها أمجاد لكنها لا تشغل ذهن السيد المسيح، وهو يقول: "مجد ابنك"، إنما ما يشغله هو المجد الذي لا تتطوّر العيون الجسدية، هو الغلبة على إبليس والتشهير بقوات الظلمة، وإطلاق الأسرى من الجحيم، ودخول اللص اليمين إلى الفردوس. مجده الأب أيضًا إذ أقامه من الأموات، وأرسل الروح القدس على تلاميذه وأسس مملكته في قلوب البشوية. هذا ما كان يشغله ويصلي لأجله.

رأد الشيطان أن يقدم له ممالك العالم أثناء تجربته بشرط أن يجحد بنوته لله ويرفض المجد الذي يقدمه الأب، لكن السيد المسيح كمثلنا لنا لن يقبل المجد إلا من يدي أبيه، ففيه ثوب المجد، إن تقدسنا كأبناء الله.

قدم السيد هذه الصلاة قبل تسليم نفسه للموت ذبيحة عن خطايانا، لكي نقدم صلاة مماثلة في لحظات عبورنا من العالم. عندما نشعر أن ساعة انتقالنا من العالم قد جاءت نصح إلى الله: "قد أتت الساعة". لتقف بجانبني، ولتعلن عن ذاتك لي. هوذا خيمتي الأرضية تتحل، فألبس البناء المصنوع بغير يد بشوية. كما مجدت نفسي بنعمتك، مجدّ جسدي في يوم لقائي معك على السحاب".

"ليمجدك ابنك أيضًا"، فإنني أسلمك رادتي، وأكرس كل طاقاتي ومواهبى لحساب ملكوتك. نصرتي وخلصي ومجدي شهادة حية لمجدك الفائق ونعمتك الغنية.

كتب الإنجيلي يوحنا هذا السفر لكي تختبر كل نفس عربون المجد الأبدي في أعماقها، حتى يمكن للإنسان بكلية نفسه وجسدًا أن ينعم بشركة المجد. لهذا نجد الاسم "مجد" قد تكرر في هذا السفر 18 مرة أكثر من أي سفر آخر في العهد الجديد باستثناء الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، حيث يحدثنا الرسول عن الخادم في آلامه وأتاعابه كخادم مجد بالوب. أما الفعل "يمجد" فقد تكرر هنا 23 مرة بينما لم يتكرر في أي سفر آخر في العهد الجديد أكثر من 9 مرات. وكأن الإنجيلي يوحنا يود أن ننطلق بالروح القدس لننعم بالأمجاد التي يعدها لنا السيد المسيح. إنه سفر المجد الحقيقي الذي فيه أخلى الكلمة نفسه حتى نلتقي به ونتعرف عليه وعلى حبه ونتحد به فنتمجد معه!

هذا هو مجد الابن أن نتمتع بصليبه فنشركه أمجاده. وهذا هو مجد الأب أيضًا، إذ احب العالم وبذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يو 3: 16) أي ينعم بالمجد الأبدي. هكذا مجد الابن واحد مع مجد أبيه، وهو مجد يقوم لا عن احتياج أوزيادة في مجدهما، وإنما في حبهما لنا ننعم بشركة المجد خلال العمل الإلهي للخلاص.

❖ "تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء"، عندما قال السيد المسيح لتلاميذه: "في العالم سيكون لكم ضيق" (يو 16: 32)، فلكي لا زرع نفوسهم أنهضهم بالصلاة أيضًا، لأنهم كانوا ينظرون إليه في صورة إنسان، ولأجل أولئك صلى عند إقامته لعازر، وذكر العلة "أي بسبب الجمع الحاضر". قال: "أبها الأب أشكوك لأنك سمعت لي. وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني" (يو 11: 42-41).

ولعلك تقول: نعم كان يجب حدوث هذه الأمور في حضرة اليهود، أما كونها حدثت في حضرة تلاميذه، فلماذا؟ فأجيبك: كان يجب حدوثها أمام تلاميذه، لأن الذين قالوا: "الآن نعلم أنك عالم بكل شيء، ولست تحتاج أن يسألك أحد" (يو 16: 30) احتاجوا أن يحقق لهم ذلك أكثر من كل الناس. ولسبب آخر وهو أن البشير لم يدعو فعل السيد المسيح صلاة، لكنه قال: "ورفع يسوع عينيه إلى فوق" (يو 11: 41) وخاطب أباه بقول أكثر اختصاصًا. وقول السيد المسيح للأب: "قد أتت الساعة، مجد ابنك، ليمجدك ابنك" "وأنا أيضًا أنه جاء إلى صليبه ليس كرهًا، لأنه كيف يكون كرهًا وهو يبتهل أن يتحقق ذلك، ويسمي ذلك شرفًا ومجدًا ليس للمصلوب وحده، بل ولأبيه معه، لأنه بالصليب لم يتمجد الابن وحده، بل به تمجد معه أبوه أيضًا. فإنه قبل الصلب لم يعرف حتى اليهود (الأب)، فقد قيل: "إبراهيم لا يعرفني" (إش 1: 3)، أما بعد الصلب فقد ركض العالم كله نحوه [1694].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لو أن الابن قد مات (بالجسد) ولم يقيم، فإنه بلا شك لا يكون قد تمجد بواسطة الأب، ولا هو مجد الأب. الآن إذ يتمجد بقيامته بواسطة الأب، يمجّد

[1695]

الآب بالكرولة بقيامته. انكشف هذا الأمر بترتيب الكلمات عينه: "مجد ابنك، ليمجدك ابنك أيضًا". بمعنى: أقمني حتى بي يعرفك العالم كله .

القديس أغسطينوس

وى القديس أغسطينوس أن الكلمة اليونانية للمجد (دكصا) تفسر في اللاتينية *clarifica* أو يجعل الأمر ساطعًا. فعندما يكشف الابن عن الآب ويظهر حقيقته، تتعرف الخليقة على حقيقة بهائه فتسبحه. [من هنا قيل في الكتاب المقدس: طوبى للذين يسكنون في ديلك، يسبحونك إلى أبد الأبد] (مز ٨٤: ٤). يستمر التسبيح لله بلا نهاية، حيث توجد معرفة الله الكاملة. وبسبب كمال المعرفة يوجد البهاء والمجد [1696].

"إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد،

ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته". [2]

إذ هو الابن الوحيد الجنس ينسب سلطانه للآب، بكونه المولود منه، وهو في هذا لا يحمل سلطاناً من مصدر خلجي، لأنه واحد معه في الطبيعة الإلهية والجوهر الإلهي. وبكونه قبل في طاعة أن يتم خلاصنا ومصالحتنا مع الآب حسب أنه نال منه السلطان. هذا السلطان يختلف عن سلطان ملوك العالم ورؤسائه. سلطانه أن يصلح البشرية مع الآب، ويهبهم البوة بروحه القنوس، فيصبروا كمن في قوابة، بهذا سلطانه يهب الحياة الأبدية. وهو الحياة الأبدية ذاتها كابن الإنسان تقبل الحياة الأبدية نيابة عن البشرية لكي يحبه يسكبها في كل بشر.

"أعطيته": قيل عن القديس يوحنا أنه مُعوم بالفعل "يعطي"، فقد تكررت في هذا السفر 76 مرة، وجاءت في هذه الصلاة 17 مرة، منها 13 مرة عن عطاء الآب للابن، ورُبِع مرات عطاء الابن لتلاميذه. تكرر هذا الفعل يحمل معانٍ كثرة في ذهن الإنجيلي. فإنه إذ يتحدث عن الكلمة الإلهي بكونه ابن الله الوحيد الجنس وى الآب يلد الابن زُلْيَا فيعطيه كل ما له، لأنه يحمل ذات الجوهر، فهو يعطي ليس بالمنحة أو الهبة أو النعمة المقدمة كما من الخلق، لكنه عطاء الآب للابن وهما أقنومان متمازان لكنهما جوهر واحد. إنه عطاء لا يمكن إواكه ولا التعبير عنه، لا يخضع لزمان، ولا للتغيير بالنقص أو الزيادة. كل ما للآب فهو للابن، وما للابن فهو للآب من حيث السمات الإلهية. خلال هذا السرّ الإلهي الفائق وى الإنجيلي أن الابن وقد تجسد فيفيض بالعطاء خلال النعمة الإلهية كهبة لمؤمنيه. هذا العطاء مجاني، مقدم من الآب والابن والروح القدس. كل عطية إلهية تقدم لنا من الآب بالابن في الروح القدس كما يكرر القديس كيرلس الكبير.

إن كان يحلو للكنيسة في أغلب ليتورجياتها أن تردد لقب "محب البشر" إنما لتؤكد أن مسوة الثالوث القنوس هي في العطاء المستمر للبشر دون توقف، حتى يحملوا أيقونة المسيح، ويتمتعوا بالعوس السملوي معه أبدياً.

كلمة "جسد" هنا يعني بها "الإنسان" ككل (تك ٦: ٣)، فهو صاحب سلطان على البشرية، على الأجساد كما الأرواح. فإذ يقدم نفسه ذبيحة مرة واحدة يصلح الكل مع الله، إذ ذاق الموت بنعمته عن كل أحد (عب ٢: ٩). بكونه المسيا مخلص العالم الذي صار إنساناً لتحقيق الخلاص نال من الآب سلطاناً عاماً على كل جسد، أي على كل الجنس البشري، حتى بتقدس ذاته لهذا العمل يصلح الكل مع الآب. بنعمته ذاق الموت من أجل كل أحد (عب ٢: ٩). بهذا تحقق الوعد بأن ينال المسيا موثاً جامعاً (مز ٢: ٨) يضم الأمم مع اليهود (٢ كو ٥: ١٤-١٥؛ رو ٥: ٢١؛ ١ تي ٢: ٤-٦). سلطان السيد المسيح على كل البشر، أما الحياة الأبدية فيهبها للمؤمنين الذين يعطيهم الآب لابنه موثاً أبدياً. إنه صاحب سلطان على بني البشر ليهب حياة لأبناء الله، ويجعل كل شيء هو لهم (٢ كو ٤: ١٥)، كل الوعود الإلهية هي من أجلهم.

في صلواته من أجل نفسه لكي يمجد الآب حمل حباً للآب كما لنا، لأن مجده هو مجد لأبيه، وفيه نتمتع بشركة أمجاده، ونختبر قوة قيامته، وتصدق قلوبنا معه لتحمل بهاء مجده!

لم يقل "سيعطي" بل قال: "يعطي"، فعطاء الابن لنا؛ أو تقديم ذاته هبة لنا هي عطية حاضرة الآن؛ نقبلها ونعيشها ونتمتع بها وننمو فيها، حتى ننعيم بها بصورة أعظم وأبهي يوم لقائنا معه وجهاً لوجه.

❖ إن قلت: وما هو معني قول السيد المسيح: "إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد"؟ أجبتك: قد أظهر مقدماً أن الكرولة به ليست مقصورة على اليهود

وحدهم، ولكنها تمتد إلى العالم كله. هنا يعلن مقدماً الدعوة الأولى للأمم (بعد رفض اليهود له). فقد سبق فقال: "في طريق الأمم لا تمضوا" (مت 5:5)، لكن اقرب الوقت الذي يقول فيه: "اذهبوا وتلمنوا كل الأمم" (مت 28:19). لقد أظهر أن الآب يريد ذلك.

هذا الأمر كان يعرض اليهود تماماً، ويعرض التلاميذ أيضاً. فإنه حتى بعد هذا لم يكن سهلاً أن يقبلوا إعلان الدعوة للأمم إلى أن نالوا تعليم الروح، لأن ذلك فيه عوّة ليست بقليلة لليهود [1697].

❖ ماذا يعنى "كل جسد"؟ بالتأكيد لم يؤمن الكل، لكن من جانبه هو قدم لكي يؤمن الكل، فإن لم يبالي الناس بكلماته، فالخطأ ليس من جانب المعلم، بل من جانب الذين لم يقبلوا كلماته [1698].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وهذه هي الحياة الأبدية،

أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك،

ويسوع المسيح الذي أرسلته". [3]

"الحياة الأبدية" : إذ يقدم المسيح نفسه ذبيحة يبطل مفعول الخطية وهو الموت، ويثبت في المؤمنين وهم فيه، فيتمتعوا به بكونه الحياة التي لا تُقوّم. به يعبر المؤمن فوق حدود الزمن، فتتمتع النفس بالخلود في السماء، ويتمجد الجسد حاملاً طبيعة جديدة لائقة بالأبدية. دُعي الخلاص المقدم من السيد المسيح حياة أبدية للأسباب الآتية:

ولاً : صار للمؤمن حق الوقوف أمام العدالة الإلهية متحصناً بذبيحة المسيح التي تحميه من الموت الأبدي.

ثانياً : صار للحياة حتى في العالم الحاضر طعمها الخاص ورسالتها، حيث يبث المؤمن في الآخرين روح السعادة والفرح والسلام الداخلي خلال عمل السيد المسيح الخلاصي.

ثالثاً : حياة أبدية، لأنها تتعدى حدود الزمن، وتتحدى الموت.

رابعاً : تكشف عن خلود المؤمن نفساً وجسداً.

" أن يعرفوك": المعرفة هي طريق الحياة الأبدية، معرفة الآب الإله الحقيقي وحده، والعبادة له، والطاعة، وقبول السيد المسيح المعلم والذبيحة والكاهن والمخلص، المسيح الحقيقي وحده.

"الإله الحقيقي" : الله ليس اسماً مجرداً أو فكرة في الذهن، لكنه الإله الحقيقي الذي ينشغل بخليقته، ويهتم بخلاص بني البشر، العملي في حبه اللانهائي. هذا الذي في حبه الإلهي أرسل ابنه الوحيد خلاصاً للبشر. إنها ليست معرفة عقلانية مجردة، لكنها معرفة اختبار وتنوق لخطة الله الخلاصية.

إنها تجاوب مع هذه الخطة، فيقبل المؤمن يسوع المسيح رباً وفادياً ومعلماً ومشعباً لكل احتياجاته. قبول عملي لإرسالية السيد المسيح الإلهية. فيتمتع المؤمن بتجديد حياته المستمر خلال عمل روح الله القديس. بهذا فإن المعرفة هي حياة وشركة مع من نتعرف عليه . ما قيل عن الله الحقيقي وحده لا يحمل هنا تعلقاً مع يسوع المسيح، إنما مع العبادة الوثنية وتعدد الآلهة.

يتوجم البعض هذا النص: " لكي يعرفوك، ويسوع المسيح الذي أرسلته، الإله الحقيقي وحده".

وى القديس أمبروسيوس أن المؤمن أشبه بتاجرٍ ناصحٍ يتقدم إلى مائدة الصلابة الروحية ليقدّم الوزنات والتمسك بالوعود الإلهية مقابل تمتعه بالحياة الأبدية المجانية، فينعم بالمعرفة الإلهية الحقيقية.

❖ هذه هي كلمة الرب، هذه هي الوزن الثمينة التي بها تخلصون. هذا المال يؤم أن وى على مائدة النفوس حتى بالتجارة الدائمة الصادقة للعمليات الصالحة يمكن التنقل في كل مكان بشواء الحياة الأبدية. "هذه هي الحياة الأبدية" التي تهبها لنا أيها الآب القدير مجاناً، لكي نعرف أنك أنت هو الإله

الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" [3] [1699].

❖ بهذا يضع النهاية لأتباع سابيلوس (الذين يدعون أن الأفانيم الثلاثة مجرد ثلاثة أسماء أو أشكال لأفانوم واحد) وللإهود، هؤلاء الذين سمعوه يتكلم. فالأولون يؤمهم ألا يقولوا أن الآب هو ذاته الابن، إذ كان يمكنهم هذا لو لم يُضف "المسيح" إلى العبارة، والآخرون يؤمهم ألا يفصلوا الابن عن الآب [1700].

❖ تقول الكتب المقدسة أن الحياة الأبدية تستند على معرفة الإلهيات وعلى ثمر الأعمال الصالحة [1701].

القديس أمبروسوس

❖ "الإله الحقيقي وحده"، يقول ذلك بطريقة ما لتمييزه عن الذين ليسوا بألهة، إذ كان على وشك أن يرسلهم إلى الأمام... أما إذا لم يقبل (الواطئة) هذا، بل بسبب كلمة "وحده" "يرفضون أن يكون الابن هو الله الحقيقي، فهم بهذا يرفضون كونه الله نهائيًا... لكن إن كان الابن هو الله، وهو ابن الله الذي يدعى "الإله وحده"، فمن الواضح أنه هو أيضًا الإله الحقيقي وأن "وحده" توضع للتمييز عن الآخرين. لو أن الابن ليس هو الإله الحقيقي فكيف يكون هو "الحق"؟، لأن الحق يفوق بواحد "الحقيقي" [1702].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أولاً: لا توجد حياة أبدية في الاعتراف بالله الآب بنون يسوع المسيح.

ثانيًا: يتمجد المسيح في الآب. فالحياة الأبدية بكل دقة هي أن نعرف الإله الحقيقي وحده ونعرف ذلك الذي أرسله، يسوع المسيح [1703].

❖ إذن يتمجد الآب بالابن الذي عرفناه به.

المجد هو هذا أن الابن، إذ صار جسدًا، قبل منه سلطانًا على كل جسد، مع القيام بإعادتنا للحياة الأبدية...

ولكن ماذا تحوى أبدية الحياة؟ تخبرنا كلماته: الحياة هي "أن يعرفوك" "الإله الحقيقي وحده ويسوع المسيح الذي أرسلته. هل يوجد أي شك أو أية صعوبة هنا أو أي تضارب؟ الحياة هي أن تعرف الإله الحقيقي وحده [1704].

القديس هيلاري أسقف بواتييه

"أنا مجدتك على الأرض،

العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته". [4]

يعلن السيد المسيح أنه قد جاء لا لكي يستويح بل ليعمل طول نهله حتى يكمل عمل الخلاص. وإذ يحملنا فيه لا نعرف الراحة إلا في العمل المستمر، حتى نتم خلاصنا بخوفٍ ورعدةٍ (في 2: 12). لن نسلك بأناصاف الحلول، بل كل الوقت لحساب خلاصنا. "أنا مجدتك": لقد حسب ربنا يسوع أن عمله الخلاصي قد تم فعلاً، إذ أحنى رأسه لقبول الكأس بالحب ليحمل خطايانا في جسده ويقدم نفسه ذبيحة عنا، وكأنه قد تم رسالته. يتحدث مع الآب أنه أكمل العمل الذي تسلمه من يديه، متطلعًا إلى انتشار الإنجيل في العالم، وتعرف المؤمنين على محبة الله الآب الحقيقي، والتمتع بالاتحاد معه، وتعبد المؤمنين له. لقد مجّد الآب لأنه سوّه وتمم عمله الكامل، وفي هذا سرور أيضًا للابن ومجد له. لم نر السيد المسيح يشكو من حياته التي رافقها الصليب منذ الحبل به؛ ولا مما عاناه كابن البشر من إهانات واتهامات وآلام وتجرب، لأنه جاء إلى العمل ليمجد الآب بإعلان الحب الإلهي العملي لكل بشر. وهو في طريق الجلجلة لا يشغله إلا تحقيق رادة الآب التي هي واحدة مع رادته. ونحن إذ نتحد به نعبر فوق كل الأحداث وكل الآلام لنهتم بمجد الله فينا وفي اخوتنا ونكمل رسالتنا لحساب ملكوت الله. لم يأت السيد المسيح إلى العالم ليعبر طريقًا مفروشًا بالورود، وإنما ليجد مسوته في تحقيق كل بر، كما يجد الآب مسوته فيه، لأنه يخبر عنه عمليًا، ويحقق خطته من نحو الإنسان. لقد تم السيد المسيح عمل الآب ورادته لنتمتع بالخلاص، والآن لا زال يتممه فينا لكي يتجلى في داخلنا فنشركه أمجاده.

بذات الروح يليق بالخدام، وهم يتمتعون بإمكانية الله لتحقيق خطته الإلهية للخلاص، أن يتطلخوا إلى البشوية بمنظار الرجاء في خلاص

الكثوين. يليق بنا نحن كأعضاء في جسد المسيح أن نمجد الآب بأن نتمم رادته وعمله قدر استطاعتنا. نمجده على الأرض التي أعطاها لبني البشر كأعدادٍ للعبور إلى الأبدية. يليق بنا أن نثابر حتى النفس الأخير لنتمم العمل الإلهي.

❖ قال السيد المسيح للآب: "أنا مجدتك على الأرض"، لأنه قد تمجد في السماء، إذ له المجد في طبيعته، وملائكته ساجدون له، فهو لم يتحدث عن ذلك المجد الذي للآب في جوهره... إنما يذكر المجد القائم من عبادة الناس له...

قال: "العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته". فإن قلت: إن كان عمل السيد المسيح لم يكن قد أكمل، فكيف يقول: "قد أكملته"؟ أجيبك: إما يعني أنه عمل ما يخصه كله من جانبه، وإما يتحدث عما سيكون كأنه قد حدث. وإما فوق هذا كله أن الكل قد أنجز، لأن جذر الوركات قد أعد، وأن الثمار حتمًا تتبعه بالضرورة، وذلك بحضوره ومساندته في هذه الأمور التي تتحقق فيما بعد. لهذا يقول موة أخوي في تنزل: "العمل الذي أعطيتني" [1705].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أي شيء لم تتقبله الطبيعة البشرية في الابن الوحيد؟ ألم تتقبل هذا، أنها لن تصنع شئًا بل كل خير، باتحادها بشخص الكلمة الذي به كان كل شيء؟ لكن كيف أكمل العمل المعهود إليه بينما كان قد بقي بعد دخوله في الآلام الذي به يسند الشهداء، مقدمًا نفسه مثالًا يقتنون به؟ لهذا يقول بطرس الرسول: "فإن المسيح أيضًا تألم لأجلنا تركًا لنا مثالًا لكي نتبعوا خطواته" (١ بط ٢: ٢١). وإنما يقول أنه أكمل ما قد عرف بتأكيد تام أنه يتممه. وذلك كما استخدم سابقًا في النوبة صيغة الماضي عن أمور تحدث بعد سنوات طويلة. إذ يقول: "تقنوا يدي رجلي، وأحصوا عظامي" (مز ٢٢: ١٦، ١٧). لم يقل: "سيتقنوا وسيحصوا"... هكذا يقول هنا كما لو أنه هو أولاً مجد الآب، ويطلب أن يتمجد. لذلك يؤمننا أن نترك أنه استخدم كل الكلمات السابقة الخاصة بالمستقبل... وصاغها في الماضي [1706].

القديس أغسطينوس

"والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك،

بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم". [5]

لأجلنا أخلى ذاته عن مجده، ولأجلنا تمجد، نال من الآب الكرامة والمجد (1 بط 17: 1)، المجد الذي كان له من قبل تأسيس العالم (يو 5: 17).

يضع ربنا يسوع، ملك الملوك، التيجان الملوكية على رؤوس مؤمنيه الأتقياء بيده. ما من نوجة من الكرامة مهما علت لا يمكن لله أن يرفعنا إليها إن أراد ذلك؛ فهو يرفع المسكين من المزبلة، ويقيم وسط الأشراف "الملوك الروحيين" (مز 7: 113-8). فقد أخذ الرب داود من بين أغنامه، وأقامه ملكًا متوجًا على أعظم عرش في المسكونة كلها في ذلك الحين. في استحقاقات الدم الثمين وهيناربنا يسوع المسيح روحه القديس، الذي يشكل إنساننا الداخلي لنحمل شوكة المجد والبهاء بصورة فائقة.

يحمل مجد الابن كرامات وسلطانًا وأفراح من أجل تحقيق رادة الآب وإتمام العمل. هذا المجد الذي يسأله هو مجده من قبل تأسيس العالم:

وَأولاً: مجد رُلي ، شريك مع الآب في المجد، فهو بهاء مجده (عب ١: ٣)؛ لا ينفصل عنه. ورد تعبير "قبل تأسيس العالم" وأمثاله في الكتاب المقدس ليعني الألفية (يو ١٧: ٢٤؛ مز ٩٠: ٢؛ أف ١: ٤؛ يو ١: ١).

ثانياً : بتأنسه أخلى الكلمة الإلهي ذاته عن مجده، كمن يضع حجابًا يغطي به بهاءه، لكن الحجاب لم يغير من طبعه، ولم يزع عنه حقيقة مجده الأرفلي. إن كان الآب قد تمجد بالابن بتجسد الابن وتنزله حتى الصليب لتحقيق الخلاص، فإن تنزل الابن لن يفقده مجده.

ثالثاً : عاد فرلدى مجده والتحف به، ليفتح لنا طريق المجد السموي. فباتحادنا بالسيد المسيح الممجد للآب نعم بشوكة المجد في الدهر الآتي.

يطلب الابن أن يلتحف بالمجد الذي له منذ الأزل قبل خلقه العالم، فيتمتع الناسوت الذي التحف به ببهاء القيامة من الأموات والصعود إلى السماء، إذ له سلطان أن يضع حياته بالموت ويأخذها بالقيامة، لأنه هو القيامة. يعلن الآب مجد الابن في قيامته وصعوده وجلسه عن يمينه في الأعالي،

فوق كل خليفة (في ٢: ٦-٩). هذا ما أعلنه إشعياء النبي بكل وضوح: "أما الرب فسُرُّ بأن يسحقه بالحزن؛ إن جعل نفسه ذبيحة إثم وى نسلًا تطول أيامه ومسوة الرب بيده تتجح... لذلك أقسم له بين الأعواء ومع العظماء يقسم غنيمة، من أجل أنه سكب للموت نفسه، فأحصي مع آثمة، وهو حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين" (إش ٥٣: ١٠-١٢). هكذا يُسر الآب بالصليب لأنه به تصير البشرية المؤمنة غنائم يحملها المصلوب إلى العرش الإلهي مبررة وممجدة فيه. إنه مجد الآب، وهو مجد الابن واهب البر، ومجد البشرية التي تشركه مجده السموي! لكنه إذ يحقق مشيئة الآب يقبل الألم كرامة أبيه، ويقبل القيامة حسب مسوة أبيه.

هذا هو مجد الابن المتجسد، إنه لا ينال مجدًا من الخرج، لكن من الذي له زليًا ينعكس على ناسوته. إنه لم يطلب أن يتمجد مع رؤساء هذا العالم وسلاطينه. فقد قدم له إبليس في التجربة ممالك العالم فرفض، حتى نستخف بالأمجاد الزمنية ونطلب ما هو سموي. كأنه يقول: "لتعطي أمجاد العالم لمن يشتهيها، أما أنا فنصيبي في المجد هو معك في السماء على مستوى زلي. لست أطلب أن أتمجد مع الناس بل معك!"
نصوخ مع مسيحننا لنطلب مجدنا لا على الأرض بل الذي "عند الآب"، أي في الأحضان الإلهية، فيتحقق فينا الوعد الإلهي: "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي، كما غلبت أنا أيضًا، وجلست مع أبي في عرشه" (رؤ ٣: ٢٠).

❖ تأمل كيف لم يطلب السيد المسيح من الآب أن يمجده بالمجد الذي له على الأرض، لكنه طلب منه أن يمجده بالمجد الذي كان له عنده.

❖ أين هو ذلك المجد؟ إذ سمح ألا يكوم من البشر بسبب الغطاء الذي وضعه حول نفسه، فكيف يطلب أن يمجده الآب؛ ماذا يقول هنا؟ ما يقوله خاص بالتدبير، فإنه إذ لم تتمجد طبيعته الجسدية بعد، ولا نال بعد عدم الفساد، ولا شريك (جسده) العرش الملوكي. لهذا لا يقول: "على الأرض" بل "عندك" [1707].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ وهكذا يمكنني أن أذكركم بأمر كثرة الآن بطوق مغاوة، لكن على أي الأحوال أقدم لكم شهادة أخرى حتى تتأكدوا أن الله يدعى "أباً للبشر" في معنى غير مناسب" أي ليس بالطبيعة.

هكذا خطب الله في إشعياء: "فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إواهم" (إش 63: 16) و"سلة لم تتمخض بنا".
وإذ يقول المونث: "ليضطربوا من هيئته، أب اليتامى وقاضي الأرامل" (مز 5: 68 LXX)، أليس من الواضح للجميع أنه يدعو الله أباً للذين فقوا آباءهم متأخرًا، ليس لأنه ولداهم بل من أجل اهتمامه بهم وحمايته لهم؟
ولكن بينما نحن ندعو الله أباً للبشر في معنى غير مناسب، فهو أب المسيح وحده بالطبيعة لا بالتبني.

فبالنسبة للبشر هو أب في زمان، أما للمسيح أب قبل كل زمان، إذ يقول: "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" [1708].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ نفهم أن المجد الذي لناسوته من أنه وهو قابل للموت يصير خالداً مع الآب، هذا قد تحقق بالتدبير السابق المحتم قبل وجود العالم، وقد تحقق في الوقت المعين في العالم [1709].

القديس أغسطينوس

2. طلبه عامة عن الغير

"أنا أظهور اسمك للناس،

الذين أعطيتني من العالم كانوا لك،

وأعطيتهم لي،

وقد حفظوا كلامك". [6]

طلبته الخاصة به قصوة جداً بالنسبة لصلاته من أجل الآخرين، لكنها تسبقها حتى نترك حبنا لإخوتنا كما لأنفسنا. فإن كنا نطلب من أجل مجدنا الأبدي، ونعلن عن حبنا لخلصنا، يؤمننا أن نطلب للآخرين كما لأنفسنا. احتلت الصلاة عن الآخرين مركزاً خاصاً، حتى لا تحتل صلواتنا من أجل الكنيسة وخلص البشرية ركنًا صغيراً في صلواتنا. لا نضيق قلبنا من جهة الغير، بل يتسع بالروح القدس، ليطلب بكل فيض من أجلهم. بعد أن طلب من أجل نفسه ليس عن احتياج، إنما علامة الشركة بينه وبين الآب، والمجد المتبادل بل الواحد فيهما، الآن يطلب عن خاصته، وهم معروفون لديه بالاسم، من أجل كل الذين يؤمنون به ويقبلونه. إنه يعلمنا أننا في الصلاة نربط الحب الإلهي بالحب الأخوي. ففي طلبته عن نفسه كشف عن وحدته العجيبة مع الآب مع اتساع قلبه نحو البشرية.

إنه يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، لكن في هذه الصلاة الشفاعية يقدم الذين يقبلون أن يقدمهم للآب. إنه يريد أن يحمل العالم كله إلى العرش، لكنه لا يحمل أحداً قسراً، ولا يطلب عمن لا يقبل عمله فيه. إنه يقدم من سُجلت أسمؤهم بدمه في سفر الحياة. "أنا أظهرت اسمك للناس" [6]. إن كانت الطبيعة تعلن عن الله في حدود معينة، والناموس الموسوي يعلن عنه بالأكثر، فإن تجسد الكلمة قدم إعلاناً كاملاً عن الله في محبته للبشر وسماته. إنه يصلي إلى الآب كمعلم قدم لتلاميذه المعرفة الإلهية، ما تسلمه من الآب بكونه الابن العرف بأسوار أبيه قدمه لتلاميذه حتى يتعرفوا على اسمه أو شخصه. إنه يشوق عليهم بنور المعرفة، فيبذل ظلمة الجهل، فيحبوه ويعبوه ويمجوه. في تعليمه لم يطلب ما لنفسه مع أنه واحد مع أبيه، لكنه يطلب أن يتعرفوا على اسم الآب، فإنه لا يعرف الآب إلا الابن ومن يعلن له (مت 11: 27). هو وحده القادر أن يكشف عن الحق ويدخل بتلاميذه إليه ويدخل بالحق إلى أعماقهم.

"اسمك": كان اليهود يتطلعون إلى اسم الله بوقارٍ شديدٍ، فكانوا لا يخاطرون بذكر اسمه "يهوه"، لئلا يخطئ الشخص في نطقه. وكان الكتبة عند نسخ الأسفار المقدسة يملسون طقساً خاصاً عند كتابة اسم الله مثل غسل القلم قبل كتابته مباشرة. كان النطق بالاسم يحمل معنى الحضور الإلهي ذاته. وقد حملت الكنيسة الأولى ذات الفكر الإنجيلي، فحسبت النطق باسم "يسوع" يحمل معنى حضوره. وكان الآباء يملسون "صلاة يسوع" حيث يرددون اسمه إعلاناً عن شعورهم بحضوره بينهم وفي داخلهم. فالاسم ليس مجرد تمييز بين شخص وآخر بلقب معين، وإنما يحمل كيانه كله. فلا تعجب إن قام نوحذنصر بتغيير اسم مثنيا إلى صدقيا (2 مل 24: 17). بهذا يعني أن مثنيا صار رجل نوحذنصر، وكل من يستخدم اسمه الجديد إنما يترك أن كيانه مرتبط بنوحذنصر. وعندما ولدت راحيل ابناً وكانت في طريقها للموت دعت "ابن أونى" أي "ابن حزني"، لكن أباه رفض أن ترتبط شخصية ابنه بحزن أمه، فأعطاه اسماً يملأه رجاءً وقوةً، إذ دعا "بنيامين" أي "ابن يميني" (تك 35: 18).

أيضاً كثراً ما يغير الله نفسه أسماء مؤمنيه، لكي يحملوا سمات جديدة لائقه بدعوة إلهية لعمل معين. فدعا إوام إواهم إذ جعله أباً لأُم كثيرة (تك 17: 5). وبنفس الطريقة دعا سراي سرّة لتترك نورها كأموه. وأيضاً دعا يعقوب إسوايل، فعوض أن يحمل سمة التعقب لاختوته يتمتع بسرّ قوة الله كجندي أو مصلوح من أجل الله (تك 32: 28). وإذ أهان فشحور لرميا وضوبه ووضع في مقطرة غير الله اسمه إلي مجور مسابيب (إر 20: 3) إذ يحمل سمة الخوف من كل جانب، مشواً إلي ما سيناله من عقاب إلهي بسبب عنفه.

هكذا أيضاً أمرنا السيد المسيح أن ننتم العماد باسم الآب والابن والروح القدس (مت 28: 19؛ أع 8: 16)، أي بالتمتع بعمل الثالوث وحضرته وسكانه في الشخص المعمد.

هكذا كثراً ما يستخدم الاسم في الكتاب المقدس بمعنى الشخص نفسه. فحبنا لاسم الله إنما نعلن عن حبنا لشخصه وكيانه.

"الذين أعطيتني من العالم كانوا لك": يقصد بالذين أعطيتني مبدئياً التلاميذ الذين قبلوه، لكن الأمر يمتد ليشمل كل الذين يقبلونه عبر الأجيال ويسمعون كلماته ويتجاوزون معها. مع معرفتهم بأسمائهم لم يذكر اسماً ما منهم، بل طلب باسم الجميع. يكرر كلمة "أعطيتني" ليقصد بهم الذين صاروا

للمسيح خلال الإيمان به. ينسبهم الله أبية، ويقدمهم الآب له كعطية ليكونوا ورثة المسيح. بالصليب يقدمهم السيد المسيح للآب مبررين متأهلين للمصالحة معه، والآب بدوره يقدمهم للابن كأعضاء جسده لهم حق الموات الأبدية.

يُنسبون الله الآب بكونهم خليقته الذين نالوا الحياة بابنه، وبكونهم البقية الباقية الأمانة التي تقدست بدم المسيح، وبكونهم المختارين من قبله. **" حفظوا كلامك "** ، أي ثبوتوا فيه واستمروا فيه وعملوا به، تُحفظ الوصية بقبولها داخل القلب ويُختتم عليها بمملستها عملياً. ليظهر الزمان بدقة التعليم، يقول إنه يعطيهم الكلمات التي أعطاهها له الآب. هكذا يليق بنا أن نقدم ذات الكلمات التي قدمها لنا السيد المسيح، والتي أوحى بها روحه القدس على تلاميذه ورسله القديسين. لقد أودع هذه المعرفة الحية في حياة تلاميذه ورسله الذين اختلهم. هؤلاء **يحفظون الكلمة** ، إذ يتقبلون في حياتهم الكلمة المتجسد، وإن كان العالم يرد عليهم ويقولهم.

❖ قال السيد المسيح للآب: **"أنا أظهرت اسمك للناس"**، إذ أظهر اسمه بأقواله وأفعاله. وقال: **"الذين أعطيتني من العالم"** كما قال قبلاً: **"لا يقدر أحد أن يأتي إليّ إن لم يُعط منه"** (راجع 6: 65) "إن لم يجتذبه أبي". هكذا يقول هنا "الذين أعطيتني". الآن يدعو نفسه "الطريق"، حيث يؤسس بما يقوله هنا أميين: أنه لا يعرض الآب، وأن رادة الآب هي أن يودعهم لدى الابن. **"كانوا لك، وأعطيتهم لي"**. هنا يريد السيد المسيح أن يوضح أن أباه يحبه حباً عظيماً، لأنه لم يتوسل إليه أن يعطيه إياهم. وقال: **"وقد حفظوا كلامك"**، كأنه يقول: حفظوه بأنهم صدقوني [\[1710\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

يتساءل القديس أغسطينوس: هل الذين كانوا للآب لم يكونوا للابن؟ حتماً من هم للآب هم للابن أيضاً، فلماذا يقول: **"كانوا لك، وأعطيتهم لي"** [6]؟ كانوا للآب كما للابن الكلمة، وإذا جاء للعالم متجسداً قبلوا الابن المتجسد فصلوا تلاميذ له. لم يقل: **"كانوا لنا"** لأن الابن وهو من الآب ينسب السلطان للآب [\[1711\]](#).

"والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك". [7]

❖ لو جاز أن سأل أحد السيد المسيح: ومن أين علموا ذلك؟! لأجاب: من أقوالي، لأنني علمتهم هذا [\[1712\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما قال: **"وعلموا يقيناً"** [٧] أراد أن يفوها: **"وآمنوا"** [8] [\[1713\]](#).

القديس أغسطينوس

"لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم،

وهم قبلوا وعلموا يقيناً إنني خرجت من عندك،

وآمنوا أنك أنت أرسلتني". [8]

ما يقدمه السيد المسيح لتلاميذه هو التعليم الإلهي السموي، أما جوهره فهو اكتشاف شخصيته أنه من عند الآب خرج.

يرك المؤمنون أن السيد المسيح هو الكلمة الإلهي المتجسد، تعاليمه هي حقائق إلهية، ووصاياه شريعة سماوية، ووعده صادقة وأمانة لأنها

إلهية.

أعطيتهم الكلمات والتعاليم التي لك، فصار لهم التعليم النقي الصادر مباشرة من السماء، والذي لا يموج بتعاليم بشوية مفسدة لكلمة الحق.

لقد تأكروا في يقين إنني المسيح الموعود به، وها هم لا يطلبون آخر، إنهم يتمتعون بعملية الإلهي وتعاليمي السماوية.

"من أجلهم أنا أسأل،

لست أسأل من أجل العالم،

بل من أجل الذين أعطيتني لأنهم لك". [9]

لقد قدم حياته مبنولة من أجل العالم كله، لكنه إذ يصلي أو يشفع بدمه إنما يقدم الذين قبلوه ويؤمنون به. إنه يموت من أجل العالم كله، لكن الرب يعرف تمامًا من يُصرون على رفضه، فهم ليسوا له. لذلك فإن عينيه على وجه الخصوص على الذين أعطوا له من العالم. أما الذين يصرون على رفضه فيبقون في العالم كالتبن الذي تهب الرياح فتبدده، أو يُلقى في النار، إنه تبن بلا قيمة.

إنه لا يشفع فيمن صمموا أن يملأوا كأس الشر والتمود وعدم الإيمان، ليس لعدم حبه لهم، وإنما لرفضهم عمله فيهم. إنه لم يقل: "إني أطلب ضدهم"، فهو لا يحمل كراهية، إنما هم الذين يبغضونه ولا يقبلونه. أما نحن فإذا لا نعرف من هم للرب ومن هم ليسوا للرب، ولا نستطيع أن نحكم على أحد، لذلك نلتزم بالصلاة من أجل كل الناس (اتي ٢ : ١ ، ٤). فحيث يوجد نَفْسٌ واحد في إنسان ما نوجي خلاصه، وبهذا الرجاء تجد الصلاة لها مكانًا، فنردد ما يقوله صموئيل النبي: "وأما أنا فحاشا لي أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم" (اصم ١٢ : ٢٣).

لقد كرس السيد المسيح إمكانياته الإلهية لحساب مختريه لكي يتأهلوا للكررة بإنجيله في العالم كله. ويصلي من أجل بني البشر الذين يحملهم فيه أبناء الله، لهم حق الشركة في الموات، ولم يذكر أنه يصلي من أجل السمائيين. بالحب المتبادل في طاعة للآب يقدم الابن المتجسد دمه ثمناً لخلاص البشر، وفي حب للابن يقدمهم الآب للابن عروساً مقدسة. يتقبل الابن هذه العطية من الآب التي لحساب البشر، حيث يُحسبون الأواني المكرمة.

الذين قبلوا كلمة السيد المسيح وآمنوا بها دخلوا في ميثاق جديد مع الآب، فحسبهم السيد المسيح أنهم للآب، إذ يقول: "إنهم لك". وهم عطية الآب للابن، إذ أعلن الآب محبته للبشر ببذل ابنه الوحيد الجنس، وإذ تقبلهم الابن كعطية من أبيه حسبهم للآب، إنهم باكررة الله (رؤ ١٤ : ٤). خلال الوحدة الحقيقية نُحسب للابن كما للآب، إننا شعب الله الآب، وشعب المسيح.

❖ "من أجلهم أنا أسأل (أصلي)" [9].

هل أنت تُعلم الآب (بأمرهم) كما لو كان جاهلاً؟

هل تتحدث معه كما مع إنسان بلا معرفة؟...

ألا ترون أن هذه الصلاة ليست إلا لكي يفهموا حبه لهم؟ فإن الذي ليس فقط يعطي ما له، بل ويطلب من آخر أن يفعل ذات الشيء، إنما يظهر حباً أعظم.

ماذا إذن "أنا أسأل من أجلهم"؟ يقول: "لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتني". إنه يضع على النوام "أعطيت" لكي يدركوا أن هذا يحسبه الآب أمراً صالحاً.

ولأنه علي النوام كان يقول: "لأنهم لك" و"أنت أعطيتني إياهم"، فلكي يزوع أي شك شوير، ولئلا يظن أحد أن سلطانه حديث، وأنه نال ذلك

حديثاً، ماذا قال؟ "وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي" [10]. [1714]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يضيف "لأنهم لك" [9]. فإن الآب لم يفقد الذين أعطاهم للابن، حيث أن الابن يستمر قائلاً: "كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي" [10].

واضح بما فيه الكفاية كيف أن كل ما يخص الآب يخص الابن أيضاً [1715].

القديس أغسطينوس

"وكل ما هو لي فهو لك،

وما هو لك فهو لي،

وأنا ممجد فيهم". [10]

من بين ما للابن هو الشعب المقدس بدمه، فهو أيضًا للآب. حقًا يمكن لأية خليفة أن تقول للآب: "كل ما هو لي فهو لك"، لكن السيد المسيح وحده الواحد معه في ذات الجوهر يمكنه القول: " وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم "، فهما واحد ومتساويان في القوة والسلطان والمجد. ليس بين الآب والابن أي زاع، ليس بينهما "هذا لك وذاك لي" كما يحدث بين البشر. فمنذ الأزل الآب ولد الابن كالنور من النور، الآب للابن، والابن للآب، لهما جوهر واحد، وطبيعة واحدة. من هم للآب بالضرورة هم للابن. ومن يقتني الابن ويتعرف عليه يقتني الآب ويبرك أسوره. كل ما قدمه الابن من بركات للخلاص، إنما هي لمجد الآب، كأنما قدمها منه.

ليس لدى الابن شيء ما ليس لحساب أبيه، ولا ما لدى الآب ليس من عمل ابنه، لأنه هو قوة الآب وحكمته وكلمة قوته. إذ صونا أعضاء في جسد المسيح يقدمنا الرأس إلى الآب بكوننا له، إذ يتمجد الآب فينا، خلال ما ننعم به في المسيح من استماع للكلمة وطاعة وشهادة حقة للحب الإلهي وعمل لحساب ملكوته. ما نفعله باسم المسيح، إنما نمدره بقيادة روحه القوس لمجد الآب كما الابن والروح القدس.

"أنا ممجد فيهم": يعلن السيد المسيح مقدمًا عن نجاح كرامة تلاميذه، خلالها يتمجد المسيح في المؤمنين به في العالم. السيد المسيح ممجد في مؤمنيه الذين يسمعون له، ويطيعونه، ويعملون باسمه، ويكرزون بنعمته؛ هذا المجد مقدم للآب أيضًا.

يطلب السيد المسيح من أجل المؤمنين به، لأنه هو صاعد إلى السماء، آتٍ إلى الآب، وتبقى أعضاء جسده، أي المؤمنون، تمجد الآب، وتشهد له، خلال حملها لاسم المسيح. لقد كرز التلاميذ، وصنعوا آيات باسم المسيح، والروح القدس الساكن فيهم مجد المسيح (يو 16: 14)، وهو ينسب للآب أيضًا.

❖ ألا ترون المساواة في الكرامة؟ فلنلا عند السماع: "أعطيني" يبدو لكم أنهم قد تحولوا عن سلطان الآب، أو كانوا قبل ذلك خرج سلطان الابن، لذلك رآل هاتين الصعوبتين بقوله هذا...

لهذا فإن القول: "أعطيني" قيل من قبيل التنزل، لأن ما للآب هو للابن، وما للابن هو للآب. هذا ما لا يمكن أن يقال عن ابن بالنسبة للبشر، ولكن لأنهما (الآب والابن) هما على مستوي المساواة في الكرامة...

عندئذ قدم السبب والوهان بقوله: "وأنا ممجد فيهم"، بمعنى إما "أنا لي سلطان عليهم" أو "هم سيمجدوني ويؤمنون بك وبي ويمجدوننا بالتسلي..."

كيف يتمجد (هو والآب) فيهم بالتسلي؟ لأن الكل يموتون من أجله كما من أجل الآب، ويكرزون به كما يكرزون بالآب، وإذ يقولون أن كل الأشياء صنعت باسمه، هكذا باسم الابن أيضًا [1716].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "وأنا ممجد فيهم" [10]. يحدث الآب عن تمجيده كأنه قد تم، مع أن ذلك حدث في المستقبل. منذ قليل طلب من الآب أن يحقق مجده... بقوله أنه قد تحقق فعلاً، مظهرًا أنه قد تم تدبير ذلك فعلاً، ورأد أن يظهر أنه ما سيتحقق في المستقبل هو أمر أكيد [1717].

القديس أغسطينوس

3. طلبه من أجل حفظهم

"ولست أنا بعد في العالم،

وأما هؤلاء فهم في العالم،

وأنا آتي إليك.

أيها الآب القنوس احفظهم في اسمك.

الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن". [11]

"ولست أنا بعد في العالم " كأنه يقول: إنني علي وشك أن أترك العالم حسب الجسد، فهم محتاجون إلى عونٍ خاص ومساندة. محتاجون أن أقدمهم لك لكي تحفظهم في الحق.

إذ يطلب من أجل حفظهم يدعو الله: " أيها الآب القنوس ". عطيته الثمينة لأبنائه هي القداسة، ليصيروا قديسين كما هو قنوس. إنه يبغض الخطية، لذا يحوط بأبنائه كي لا تتسرب إليهم، وهم بدورهم كأبناء له لا يطبقوا الخطية، ويرتعدون منها كأخطر عدو يواجههم.

"احفظهم في اسمك": إذ ينتسب المؤمنون إلى الله القنوس، فمن أجل كرامة اسمه يحفظ أبنائه، وليس لأجل استحقاقهم الذاتي. إذ هو صاعد إلى السماء عند الآب يحمل أسماء مؤمنيه كما على الصورة، كرئيس الكهنة الأعظم السملوي، يدخل بهم إلى العرش، يحمل لهم كل حبٍ وحنوٍ. لن ينساهم فإن أسماءهم منقوشة على كفه، مختومة على صوره، قائمة داخل قلبه. لقد سبق فأخبر بطرس الرسول أنه سأل من أجله حتى لا يسقط في الخطر المحدق به وهو لا يعلم (لو ٢٢: ٢٣)، قائلاً: "طلبت من أجلك". وهو المخلص يطلب عن تلاميذه لكي يحفظهم الآب بلا عثرة كل أيام حياتهم، ويكونوا يوماً تحت رعايته ووصايته الأبوية، حتى نشركه ذات الحب، فلا نكف عن الصلاة الدائمة لأجل خلاص الكثرين وبنيان النفوس وحفظها ونموها في الوب.

إذ يعلن الابن أن الآب أعطاه المختلن ليكونوا له، حيث يقدم الابن دمه كفارة عن العالم كله، يعود يقدم الابن بالحب هؤلاء المؤمنين إلى الآب القنوس، سائلاً إياه: "احفظهم في اسمك". لم يطلب لهم الغنى، ولا المجد الزماني، ولا النصوة الأرضية، لكنه يطلب منه أن يحفظهم في اسمه من الخطية والعالم الشرير، حتى يجتازوا أيام غربتهم، ويبلغوا إلى حضن الآب. يطلب حفظهم في الوصية الإلهية في اسم الآب، مع التمتع بروح الوحدة.

"الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن". يربط السيد المسيح بين القداسة والوحدة الحقيقية، فحيث توجد القداسة يُوجد الحب الفائق الذي يوحّد، وحيث توجد الخطية يُوجد الحسد والخصام والبغض والانقسام. من ينعم بالقداسة التي من فوق يتمتع بالوحدة على مستوى علوي، فيصير القديسون واحداً متشبهين بالوحدة بين الثالوث القنوس.

إذ يطلب من الآب أن يحفظهم في اسمه، إنما يعني فيه وفي الإيمان به. أما غاية هذا الإيمان أو هذا التعليم فهو أن يتمتعوا مع كل المؤمنين بالوحدة. يصيروا جسداً واحداً وروحاً واحداً متشبهين بوحدة الآب مع الابن. هكذا يتمجد الآب فيهم.

❖ "ولست أنا بعد في العالم" [11]، بمعنى "مع أنني لا أعود أظهر في الجسد لكنني أتمجد بواسطتهم". ولكن لماذا يقول على النوام: "لست في العالم" وأنتي "إذ أتوكهم أعهد بهم إليك" وأنه "إذ كنت في العالم كنت أحفظهم؟ لأنه إذ فهم إنسان هذه الكلمات بمعانيها البسيطة فسيلحقه سخافات كثرة. إذ كيف يُعقل القول أنه لا يعود بعد في العالم، وأنه إذ رحل يعهد بهم إلي آخر؟ إذ أن هذه كلمات إنسان مجرد يفرقهم أبدياً... لقد أظهر بهذه الكلمات أنه نطق بها هكذا ليهبهم راحةً ورفحاً.

❖ قال: "احفظهم في اسمك" أي احفظهم في معرفتك.

❖ هذا ما تشككوا فيه... قدم نفسه لأفكلهم، ليأخذوا نفساً صغواً عندما يسمعون يقول هكذا، ويسلمهم إلى رعاية الآب. فإذ بعد سماعهم نصائح كثرة

[1718]

لم يستجيبوا دخل في حوارٍ مع الآب معلناً حوه عليهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بعد تحول القديس غريغوريوس النزيوي إلى الإيمان المسيحي وجدده للعالم انبهر فجأةً ببهاء الثالوث القنوس الذي حفظه فيه وهو

بعد في هذا العالم ، إذ يقول: [منذ اليوم الذي فيه جددت أمور العالم لكي أكرس نفسي للتأمل المنير السملوي، عندما حملني التفكير السامي ليضعني بعيداً عن كل ما يخص الجسد، ويخفيني في أماكن خفية في الخيمة السماوية؛ منذ هذا اليوم وعيناوي قد أصيبتا بعمى بنور الثالوث، الذي يتعدى بهوّه قوة

الذهن على إواكاه، إذ يشوق على الكل من العرش الممجّد جدًا بأشعة مشرّقة للتالوث لا يمكن وصفها. هذا هو مصدر كل ما هو هنا تحت، وقد انفصل
بأؤمن عن الأمور العلوية... من هذا اليوم مُت عن العالم ومات العالم عني [1719].

❖ لقد أعلن أنه ليس بعد في العالم، أي بحضوره الجسدي... لقد أوصي الآب الاهتمام بأولئك الذين أوشك أن يتروكهم بغيابه الجسدي، قائلاً: "أيها الآب
القدس احفظهم في اسمك الذي أعطيتني". إنه كإنسان يطلب من الله لحساب تلاميذه الذين استلمهم منه [1720].

القديس أغسطينوس

"حين كنت معهم في العالم كنت احفظهم في اسمك.

الذين أعطيتني حفظهم،

ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب". [12]

"كنت أحفظهم في اسمك"، رأينا أنه كثيراً ما يستخدم الكتاب المقدس تعبير "اسم الله" بمعنى "الله نفسه". فغاية الكلمة المتجسد أن يحفظ مؤمنيه في
الآب، بتقديم نفسه لهم بكونه الحق الإلهي. يطلب السيد المسيح حفظ مؤمنيه، كما حفظ هو تلاميذه وهو على الأرض لكي لا يهلك منهم أحد إلا ذلك الذي
أصر أن يكون ابنا للهلاك. هكذا يطلب من أجل المؤمنين أيضاً لكي يحفظهم الآب القدس ليتموا رسالة الإنجيل المقدسة ويشهروا للحق الإلهي.
لم يهلك منهم أحد سوى الذي أصر على أن يصير ابنا لإبليس المخادع، فصار ابنا للهلاك برادته. لقد نال نعمة التلمذة لكنه أفسد العطية برادته
الشهوة، ومحبتته للمال. يدعو يهوذا "ابن الهلاك" لأنه سحب نفسه من التمتع بالعضوية في الأسرة الإلهية، أن يكون ابناً لله، وأصر على البفوة لإبليس
الدمر والمهلك. إنه "ابن الهلاك"، لأنه لم يرد خلاص نفسه، بل أفسد برادته الشهوة العطايا الإلهية المقدمة له، وفتح قلبه لسلسلة من الخطايا كالطمع
والخيانة واليأس.

"ليتم الكتاب"، إذ تنبأ عنه الكتاب المقدس كما في (مز ٤١: ٩؛ ١٠٩: ٨). وفيه تحققت الوموز كخيانة أخيتوفل لدود الملك، وأبشالوم لأبيه،
تحققت في صورة أبشع في يهوذا الخائن.

❖ قال السيد المسيح للآب: "حين كنت معهم في العالم كنت احفظهم في اسمك". يتكلم بمقولة إنسان ومثل نبي، ولا يظهر أنه يفعل شيئاً باسم الله.
وقال: "الذين أعطيتني حفظهم، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك، ليتم الكتاب". وفي موضع آخر يقول: "من كل الذين أعطيتني بالتأكيد لا
أُتلف منهم أحداً" (راجع 6: 39). مع هذا لم يهلك (الخائن) وحده، وإنما هلك بعد ذلك كثيرون، فكيف يقول: لا أُتلف قط أحداً؟! فمن جانبي أنا لا أُتلف.
وفي موضع آخر يعلن عن الأمر بأكثر وضوح: "لا أطرد أحداً" (راجع 6: 37). وكأنه يقول: ليست علة الهلاك مني، ولا أنا أهملتهم، فإن ابتعدوا
برادتهم لا أجتذبهم عن إوام [1721].

❖ "ليتم الكتاب"... لا لكي يتحقق الكتاب... ولكن هذا هو أسلوب الكتاب المقدس الذي يضع الأمور في تطابق مع بعضها البعض كما لو كانت قد
حدثت بسبب كتابتها [1722].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يقول إذ أنا آتٍ إليك احفظهم في اسمك، الذي فيه أنا حفظتهم حين كنت معهم. في اسم الآب حفظهم الابن كإنسان يحفظ تلاميذه حين كان بجانبهم في
حضوره الجسدي، لكن الآب أيضاً حفظ الذين سمع لهم في اسم الابن واستجاب لصلواتهم المقدمة باسم الابن. إذ قال الابن نفسه لهم: "الحق الحق
أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم" (يو ١٦: ٢٣). لكننا لا نأخذ هذا بمفهوم جسدي، أي أننا يتناولان معاً على حفظنا، كما لو أن
الواحد يخلف الآخر عندما وحل. فإننا نُحفظ في نفس الوقت بواسطة الآب والابن والروح القدس، الذين هم الله الواحد الحقيقي المبرك [1723].

القديس أغسطينوس

"أما الآن فأني آتي إليك،

وأتكلم بهذا في العالم،

ليكون لهم فرحاً كاملاً فيهم". [13]

إذ يكمل السيد المسيح رسالته على الصليب ويقوم من بين الأموات، يذهب إلى الآب حيث يجد الآب مسوته في هذا، ويفرح الابن بعمله الخلاصي. إنه يسأل أن يتمتع مؤمنوه بفرحه. بصعوده حمل شعبه بروح الحب، وسجل أسماءهم كرئيس الكهنة السموي على الصورة، ليدخل بها إلى قدس الأقداس السموي؛ بل حملهم في قلبه ثابتين فيه كما هو ثابت فيهم، ونقشهم بمسامير الصليب على كفيه. فإن كان لم يعد بعد منظراً لهم لأنه في السماء، لكنه ليس بعيداً عنهم ولا هم عنه، إنه في قلوبهم كما هم في قلبه وفكره، مشغول بهم حتى يدخل بهم إلى حضن أبيه. من يقبل رادة الله الصالحة وكلمته الصالحة يتوقع مقومة العالم بإرادته الشورية وكلمته الشورية. لذلك يطلب السيد المسيح لتلاميذه بل ولكل أعضاء كنيسته أن يتمتعوا وهم في هذا العالم بفرحه كاملاً. هذه هي مشيئة السيد المسيح وشهوة قلبه أن يتمتع كل مؤمنٍ بالفرح السموي الكامل غير المتقطع. إنه يتوكلهم وسط الدوع والآلام والتجرب، لكنه يحقق في داخلهم فرح الفائق للطبيعة. ليتنا في وسط دموعنا نرفع أعيننا لنرى مسيحننا يطلب لنا من أبيه أن ننعم بفرحه الكامل. إنه وعد إلهي نلتزم أن نسمعه بروح الإيمان والصمت والهوء ونتمسك به ونناله. من يحفظ كلمة المسيح بصبرٍ يتمتع بحماية إلهية خاصة في ساعة التجربة (رؤ ٣: ١٠). هذا ما تحقق عملياً حيث كان الشهداء يتهللون بفرح عظيم وسط آلامهم.

فرح المسيح هو عطية إلهية، نعمة مجانية، وفي نفس الوقت وصية نلتزم بها. نُقدم للمجاهدين فيها، لذا يوصينا الرسول: "أخوياً يا اخوتي افرحوا في الرب" (في ٣: ١). "افرحوا في الرب في كل حين، وأقول أيضاً افرحوا" (في ٤: ٤).

من يسلك في العالم بفكر السيد المسيح يتشكل بروحه القنوس ليكون أيقونة له يسلك على اثر خطواته، لا ينشغل بأمور العالم، ولا يكوس حياته لخدمته، مثل هذا يقدم له الآب حماية من أجل ابنه القنوس.

"ليكون فرحاً كاملاً فيهم" : غاية حديثه مع المؤمنين أن يسكب فرحه الإلهي فيهم. مسيحننا هو فرحنا الأبدي الكامل، وهو مصدر الفرح وسيد البهجة الحقيقية. بدونه يذبل كل فرح، لأنه مرتبط بالعالم الزائل. أما فرح المسيح فأبدي على مثاله. وهو موضوع سرور الآب لذلك يطلب المسيح ذلك منه.

نون شك أن الشوكة مع الأحياء تعطي نوعاً من السعادة، والحرمان منها يسبب حزناً وألماً. الآن جاء الوقت ليعلم لهم السيد أنه سيفلرهم حسب الجسد، ولن يعوروا يتمتعوا بالاجتماع معه بذات الكيفية التي مارسوها أثناء سنوات خدمته العلنية على الأرض. هذه الغزلة ليست مصوراً للخرن بل للفرح. إنهم يتمتعون بحضوره في وسطهم وفي داخلهم، حيث يسكن في قلوبهم ويبعث فرحه الكامل فيهم، يصير فرحه هو فرحهم، فيختبروا الفرح الكامل.

❖ يقول إن الفرح الذي له الممفوح لهم بواسطته يجب أن يكمل فيهم. ولهذا الهدف أعلن أنه تكلم في العالم. هذا هو سلام العالم العنيد وتطويبه بوال ما يجب أن نحياه في الحاضر باعتدالٍ ويزٍ وتوى [1724].

القديس أغسطينوس

"أنا قد أعطيتهم كلامك،

والعالم أبغضهم،

لأنهم ليسوا من العالم،

كما إنني أنا لست من العالم". [14]

يسأل الآب أن يقف مع المؤمنين كصديقٍ شخصيٍّ لهم، لأن لهم أعداء كثيرين، لأن العالم يقدم لهم الكراهية بلا سبب إلا لأنهم ليسوا من العالم، ويحثوا البشوية على الخروج من العالم الشرير، ليتمتعوا بالقدوس. لهذا يقول الموتل: "أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب... لأنني من أجلك احتملت العار" (مز 69: 4، 7). إذ قبلوا الكلمة الإلهي لم يعد يطيقهم العالم، لأنه لا يقبل الخلاص. العالم يحتقر ما يُقدم له لأجل مجده، ويبدل كل الجهد ليدمر الإيمان الذي يحطم الدمار. هكذا فإن أبناء العالم يرفضون كلمة المجد والخلاص ويكسبون طاقاتهم لتحطيم الإيمان الحي، فيحطمون أنفسهم وهم لا يدرون.

يعلم العالم أنهم كانوا منه، والآن صاروا ليسوا منه، صاروا خليفة جديدة (2 كو 5: 17)، أشبه بعالمٍ جديدٍ منافسٍ له، مع أنه عالم حب وبذل وخدمة حتى للمقاومين. يبقى العالم القديم يبذل كل الجهد حتى لا يفلت أحد من يديه، إذ يريد أن يكون الكل منه. قد يعجب بقواتهم وإمكانياتهم وسلوكهم، لكنه في أنانيته لن يكف عن إغوائهم للعودة إلى أحضانه، أو مقاومتهم للخلاص منهم.

يوجد مثل يهودي قائل: "إن لم يعرف العالم قيمة الأوار فيه يقيم (ب الكراهية لهم) سياجًا من اللآلئ يحميهم".

صلاة السيد المسيح الوداعية تكشف عن عمل الله الفائق في حفظ الخدام والمؤمنين وكلمة الكورة. بدون هذه النعمة الإلهية لاندثر الإيمان منذ أجيال طويلة، فعبّر كل القرون كئلاً العالم طاقاته لإبادة الإيمان وتحطيم الكنيسة وتدمير المسيحيين، لكن تبقى كلمات السيد المسيح هي سرّ بقاء الإيمان والمؤمنين إلى اليوم.

إنه الآب القدوس الذي يقول: "مرة حلفت بقدسي، إنني لا أكذب لداود" (مز 89: 35). بكونه القدوس لا يطيق الخطية، وبحسب المقدسين له، ويحفظهم من الخطية التي هم أيضاً يبغضونها ويحسونها شراً خطواً. إنه كأب قدوس يهتم بأبنائه ويعلمهم ويحفظهم تحت رعايته مباشرة. هم بأنفسهم عاجزون عن أن يثبتوا فيما نالوه من نعم إلهية، لذا فهم محتاجون إلى عون إلهي. يُحفظون لحساب الله كأبناء له.

❖ إذ نصير راسخين في الفضيلة ويضطهدنا الأشرار، أو عندما زغب في الفضيلة فيفسخرون بنا، لا توتبك ولا نغضب، فإن هذه الأمور طبيعية، وفي كل موضع تولد الفضيلة كراهية لدي الأشرار. لأنهم يحسبون الذين يريدون أن يعيشوا بلياقة، ويفكرون في إيجاد عذر لأنفسهم إن أهانوا سمعة الآخرين.

إنهم يبغضونهم لأنهم يسلكون علي خلافهم، ويستخدمون كل وسيلة ليهينون طريقة حياتهم.

يؤمننا ألا نحزن، إذ هذه هي علامة الفضيلة. ولهذا السبب يقول السيد المسيح: "لو كنتم من العالم، لكان العالم يحب خاصته" (15: 19)، وفي موضع آخر يقول: "ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً" (لو 6: 26). وبهذا المعنى يقول هنا: "أنا أعطيتهم كلامك، والعالم يبغضهم". إذ يقول: "لأجلك ولأجل كلمتك ابغضوهم"، لهذا يؤهلوا للتمتع بكل عناية إلهية [1725].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هذه الكراهية (من العالم) لم تكن بعد قد لحقت بهم في حياتهم، لكنها تحققت فيما بعد.

إنه يتحدث كعادته عن المستقبل في صيغة الماضي. وقد ألحق ذلك بسبب بغض العالم لهم قائلاً: "لأنهم ليسوا من العالم، كما أنني لست من العالم" [14]. هذا قد مُنح لهم خلال ميلادهم الجديد، لأنهم حسب ميلادهم كانوا من العالم، كما سبق فقال لهم: "أنا اخترتكم من العالم" (يو 15: 16). إنه امتياز لطيف وُهب لهم أن يصيروا مثله إذ هو "ليس من العالم" وذلك خلال الخلاص من العالم الذي قدمه لهم. على أي الأحوال لم يكن هو قط من العالم، فإنه حتى بالنسبة لأخذه شكل العبد وُلد من الروح القدس الذي وُلوا هم منه ثانية. فإن كانوا هم بسبب هذا لم يعودوا بعد من العالم ولادتهم الثانية من الروح القدس، فبنفس السبب لم يكن هو قط من العالم لميلاده (تجسده) من الروح القدس [1726].

القديس أغسطينوس

لست أسأل أن تأخذهم من العالم،

بل أن تحفظهم من الشرير". [15]

إذ طلب من الله أن يحفظهم من العالم الشرير أوضح أنه يوجد طريقتان لحفظ أولاد الله من العالم.

الطريق الأول أن يأخذهم من العالم بموت مفاجئٍ سريعٍ ليعبروا إلى عالم أفضل. هذا ما اشتهاه بعض رجال الله عندما ضاق بهم الأمر؛ مثل أيوب وإيليا ويونان وموسى، حين اشتدت بهم الضيقات والتجرب. لكن السيد المسيح لم يطلب هذا الطريق لتلاميذه، لأنه جاء إلى العالم ليقيم لمؤمنيه حياة النصوة خلال حمل الصليب، لا أن يهربوا من العالم. ولأن السيد جاء إلى العالم ليخدم البشرية، فصار العالم غير مستحقٍ للمؤمنين (عب ١١ : ٣٨). إن كان العالم بثوره صار مظلمًا، فقد جاء السيد المسيح نورًا للعالم يغلب الشر والظلمة، وأقام من تلاميذه كواكب منورة تضيء في العالم. محبة السيد لمؤمنيه لم تدفعه لسحبهم فورًا من العالم المظلم، وإنما لتقديسهم ليضيئوا في العالم، لهم روح النصوة. لقد انتهى رميا النبي أن يهرب إلى البرية (إر ٩ : ٢)، لكن مسيحننا يعمل بالكل، وكما يقول بولس الرسول: "وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قوّاني أنه حسبني أمينًا إذ جعلني للخدمة" (٢ تي ١ : ١٢). وكتب القديس بطرس: "فإذا الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمينٍ في عمل الخير" (١ بط ٤ : ١٩). فلا يستطيع حتى الواهب المتوحد أن يهرب من شعوره بالالتزام بالعمل بوسيلة أو أخرى من أجل تقديس العالم. لم يطلب الابن من الآب أن يرسل مركبات نارية تحمل تلاميذه إلى السماء ليخرجهم من وجه العالم الشرير.

والطريق الآخر أن يهبهم روح القوة والنصوة على شر العالم، هذا ما طلبه السيد لتلاميذه، وهو حفظهم من الفساد الذي حلّ بالعالم، وذلك أن يعهد بهم في حضن الآب، فلا يقترب إليهم الشرير. إنه لم يطلب حفظهم بؤالة التجرب والضيقات من طريقهم، وإنما لينعموا بالنصوة في صواعهم ضد الشر، وشهادتهم لإمكانيات النعمة الغنية العاملة فيهم.

❖ ماذا يقول المسيح للآب؟.... "احفظهم من الشرير"، يعني من الشر الأخلاقي، من الوذيلة، وضعف القلب. [1727]

❖ لا يتكلم لأجل خلاصهم من التجرب فحسب، بل ايضًا من أجل استورية إيمانهم. [1728]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من المهم وجودهم في العالم، وإن كانوا لم يعودوا بعد ينتسبون إليه. [1729]

القديس أغسطينوس

"ليسوا من العالم،

كما إني أنا لست من العالم". [16]

يطلب بحفظهم لأنهم تشبهوا به، إذ صاروا كمسيحهم ليسوا من العالم، لا تشغلهم ملذات العالم، ولا يرتكبوا لأتعا به، لأن خدمتهم لمسيحهم تبتلع أفكلهم، وتملاً قلوبهم.

❖ فإن قلت: وما معني قول السيد المسيح أن تلاميذه: "ليسوا من العالم"؟ أجبتك: إنهم ينظرون إلى عالم آخر، وليس فيهم شيء من الأرض، لكنهم قد صاروا كمواطني السموات. بهذه الأقوال أظهر السيد المسيح حبه لهم إذ مدحهم عند أبيه واستودعهم عنده.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ربما يُسأل: إن كانوا لم يعودوا بعد من العالم، سواء وهم لم يتقدسوا بعد في الحق أو تقدسوا فعلاً، فكيف يطلب هكذا (ألاً يأخذهم من العالم)؟ أليس هذا لأن حتى هؤلاء الذين تقدسوا يأم أن يستمروا لأجل نموهم في التقديس، أو في القداسة؛ وهذا لا يتم بغير نعمة الله، بتقديس نموهم كما قدسهم في البداية؟ من هنا يقول بولس عن نفس الأمر: "الذي ابتداءً فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح" (في ١ : ٦). [1730]

القديس أغسطينوس

4. طلبية من أجل تقديسهم

"قدسهم في حقك، كلامك هو حق". [17]

ما معنى "قدسهم"؟ لا يقف عمل الله فيهم عند حفظهم من الشر والثورير، وإنما يمتد إلى العمل الإيجابي أن يسلكوا بالقداسة والصلاح وعمل البر، يطلب أن تلتهب قلوبهم بحب القداسة. تقديسهم أيضًا يحمل معنى النمو المستمر في الإيمان والالتفاف الدائم للقلب بروح الله. أما وسيلة التقديس فهي "في حقك"، أي خلال كلمة الله. بالكلمة والصلاة يتقدس كل عمل كنسي كالأسوار المقدسة، وأيضًا تتقدس النفس، ويتقدس خدام الله.

بالتقديس ملرس الأنبياء عملهم مثل لميا ١: ٥؛ وأيضًا الكهنة واللاويين. هكذا بالتقديس يتأهل خدام العهد الجديد للعمل ويتكروا له (رو ١: ١). هنا يقوم السيد المسيح كرئيس الكهنة بتقديس الكهنة.

كلمة "قدسهم" *Hagiason* "مشتقة من مقطعين: "A" أو "Ha" وهي في اليونانية تعني النفي، و *gee* تعني "الأرض"، أي "لا أرض". وكان القداسة هي زع كل ما هو أرضي من القلب، ليتوغلح الله وعبادته وخدمته. وهي تحمل أيضًا معنى "النقلوة" حيث ينتقى القلب من كل شائبة زمنية ليحمل سمة روحية سماوية. الكاهن أو الخادم الذي يرتك بأمر العالم حتى في خدمة الكنيسة يهين الإنجيل، ويفقد الحق الإلهي، ويخسر قدسية قلبه الداخلي.

جاءت كلمة "مقدس" في العبرية بمعنى تقديم ذبيحة، إذ صلت الذبيحة مخصصة لله وحده، غايتها تمتع الشعب بالشركة مع الله القدوس، بكونهم شعب الله.

سمة "القداسة" خاصة بالله القدوس وحده، لهذا يسبحه السمائيون قائلين: "قدوس، قدوس، قدوس". فتقديسنا لا يحمل سوى معنى اتحادنا مع القدوس، وتمتعنا بالشركة في الطبيعة الإلهية. الحياة المقدسة ليست مجرد حياة أخلاقية فاضلة، لكنها رتباط بالحياة الإلهية، وتمتع بعمل القدوس.

❖ ماذا يعني بكلماته: "قدسهم في حقك" [١٧] سوى "قدسهم في" ... فالآب يقديس في الحق، أي في كلمته، في ابنه الوحيد، يقديس وراثته والورثون مع الابن [1731].

القديس أغسطينوس

❖ "قدسهم في حقك"، بمعنى "اجعلهم قديسين بعطية الروح والتعاليم الصادقة". كما أنه عندما قال: "أنتم أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به" (يو 15: 3). هكذا يقول الآن نفس الشيء: "أرشدكم، علمهم الحق" ... فإن النطق بالتعاليم المستقيمة بخصوص الله يقديس النفس. وإذ يقول إنهم يتقدسون بالكلمة، لا يتوقف ذلك على أعمال العجيبة... إذ يعرف أن كلمة الله هي أيضًا تطهر. لكن القول: "قدسهم" يبدو لي أيضًا أن تعلن عن أمر آخر مشابه. [1732] "كرسهم (اعزلهم) لأجل الكلمة والكورة. هذا ما يظهر مما جاء بعد ذلك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الآب والابن والروح القدس يقديسوا معًا، ويُحيوا، وينبوا، ويهواراحة. لا ينسب أحد طاقة التقديس على وجه خاص ومعين لطاقة الروح، بعد سماعه قول المخلص "قدسهم في اسمك" (يو 17: 11، 17). هكذا كل الطاقات تتحقق بالتسلي للمتأهلين لها بواسطة الآب والابن والروح القدس، بمعنى كل نعمة وفضيلة وإرشاد وحياة وتغوية وتحول إلى عدم الموت والعبور إلى حياة الحرية وكل الأمور الصالحة الأخرى النزلة إلى الإنسان [1733].

القديس باسيليوس الكبير

❖ كما أن الآب يقديس، هكذا أيضًا الابن يقديس، والروح القدس يقديس.

الآب يقدس حسب المكتوب: "إله السلام نفسه يقدسكم بالتمام، ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (1 تس 5:13). وفي موضع آخر الآب يقدس: "أيها الآب قدسهم في حَقِّكَ" [17].

ويقول نفس الرسول عن الابن: "قد صار لنا حكمة من الله وراً وتقدِّساً وراً" (1 كو 1:30)...

ويعلم الرسول أيضاً أن الروح القدس يقدس، إذ يقول: "وأما نحن فينبغي لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الاخوة المحبوبين من الرب أن الله اختلكم من البدء للخلاص بتقدِّس الروح وتصديق الحق" (2 تس 2:13)...

لكن التقديس واحد، لأن المعمودية واحدة، ونعمة السرّ واحدة. [1734]

القديس أمبروسيوس

"كما أرسلتني إلى العالم

رسلتهم أنا إلى العالم". [18]

إذ كرس الابن نفسه لعمل الخلاص بعثه الآب في رسالية لتحقيق هذا العمل الإلهي. لقد دُعِيَ بالشفيع (1 يو 2: 1)، والرسول (عب 3: 1)، والخدام (رو 15: 8)، والمُؤسِّل (غلا 3: 1)، لكنه رُسل كابن لله، وليس مثل الخدام والعبيد.

لماذا يربط رساليتته من عند الآب برساليتهم من قبله؟ لأن الرسالية صعبة والمهمة قاسية، لهذا أراد أن يؤكد لهم أنه يقف بجورهم، ويعمل معهم وبهم وفيهم، لأن عملهم هو امتداد لعمله هو. كابن الإنسان قبل السيد المسيح عطايا من أجل الناس (مز 68: 18)، قدمها بعد ذلك لهم (أف 4: 8). إذ قدم نفسه ذبيحة، فتح الطريق لوسله أن يشركه الحب العملي فيصبروا بالثبوت فيه ذبائح مقدسة (في 2: 17؛ تي 2: 4). صار موت القديسين عزيز في عيني الرب، لأنه يرتبط بموت المسيح.

❖ رُسل الآب ابنه ليس في الجسد الخاطئ، بل في شبه الجسد الخاطئ (رو 8: 3). ورُسل ابنه أولئك الذين وُلِّدوا في الجسد الخاطئ وقد تقدسوا به من دنس الخطية [1735].

القديس أغسطينوس

❖ [1736] كان من عادته أن يتحدث عن المستقبل كأمرٍ قد حدث فعلاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولأجلهم أقدس أنا ذاتي،

ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق". [19]

إذ بلادته يسلم نفسه للموت ليفتدي البشرية بحسب أنه قدس ذاته أو كرس حياته كلها لاقتناء خلاصنا. وكما يقول الرسول بولس: "وأما المسيح... بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً" (عب 9: 11-13). ل قد كرس حياته بالكامل ليتعهد خلاص بني البشر، ليس ما يشغله سواهم، خاصة وأنه الوحيد القادر أن يقدم نفسه ذبيحة بلا عيب عن العالم كله. الآن بكونه رئيس وفي نفس الوقت هو الذبيحة، فتقدِّسه لنفسه ليس بالأمر الخرجي. إنه غير محتاج إلى دم حيوانات لتقدِّسه، لأنه بلا خطية، إنما بلادته كرس كل إمكانياته لتقدِّس خدامه وشعبه، حتى الموت موت الصليب.

كما كرس الابن رسالته في خلاص البشرية، كمن لا يوجد ما يشغله سوى الإنسان، هكذا يتقدس المؤمن فيكرس كل إمكانياته وطاقاته ووقته لمحبوبه المسيح الذي هو "الحق". هذا ما تمتع به الرسول بولس فدعا نفسه "المفوز لإنجيل المسيح" (رو 1: 1). هذا ما ناله الأنبياء فيسمعون الصوت الإلهي: "قبلما خرجت من الرحم قدستك" (إر 1: 5). هكذا كان مفهوم الكهنة واللاويين أنهم مكوسون لخدمة الله. والمؤمن أيضاً وإن لم يتوَّغ بوقته للخدمة والكورة والعبادة، فإن قلبه يتقدس حيث يعمل كل شيء لمجد الله، حتى أكله وشربه ونومه!

❖ يقول هنا يقدس نفسه، وليس أنه يعين نفسه على التقديس بتطهير النفس أو الروح، ولا لكي يشترك في الروح القدس، لأن الروح القدس فيه بالطبيعة، وهو دائماً وأبداً مقدس، وسيظل هكذا. يقول هنا: "أقدس أنا ذاتي"، لأنني أقدم نفسي وأحضوها كذبيحة بلا عيب لرائحة ذكية، لأن ذلك الذي يؤتى به إلى المذبح الإلهي كان مقدساً، أو يُدعى حسب الناموس مقدساً [1737].

❖ إذ هو شريك الآب في الوجود سومدياً يتقبل البتوة بالروح، وبكونه صار في الجسد صار مشابهاً للأبناء بالتبني... لهذا يُقال إنه تقديس. فالتقديس هو خاص بناسوته، أو الجسد، لأن الطبيعة البشرية لا يمكنها أن تقتني القداسة من ذاتها [1738].

القديس كيرلس الكبير

❖ ماذا يعني: "أقدس ذاتي؟" أقدم ذاتي ذبيحة، فالذبايح كلها تُدعى مقدسة، والتي تقدم لله فهي على جهة التحقيق مقدسة. هذا يقوله إما لأن رأسهم كان في طريقه أن يكون هكذا، أو لأنهم هم أيضاً يُقدمون ذبيحة، إذ قيل: "قدموا أجسادكم ذبيحة حية" (رو 12: 1) [1739].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ قال الرب هذا لكي تعرف أنه هو مقدس في الجسد لأجلنا، وأيضاً بقدس بفضيلة لاهوته. [1740]

القديس أمبروسيو

ليس فقط تقديس الكلمة كإنسان، وإنما بقدس ذاته، إنه مصدر التقديس لناسوته. يؤكد القديس كيرلس الكبير أن السيد يقدس جسده. إنه يقبل الروح الذي هو روحه، يقبله بكونه إنساناً، لكنه يهب الروح لنفسه بكونه الله. صنع هذا لأجلنا، لا لأجله هو [1741].

❖ الكلمة الذي يسكن في جسده يقدس ذات هيكله بالروح القدس ويحول إياه إلى صورة (قوة) طبيعته [1742].

❖ إن قال أحد أن الرب يسوع المسيح الواحد قد تمجد بالروح القدس، بكونه استخدم به قوة غير قوته هو، وأنه نال قوة ضد الأرواح الشريرة، وقوة لصنع المعجزات أمام الناس، ولا يعترف أنه هو روحه الذي به يعمل هذه الإلهية، فليكن محروماً.

أنثيما 9 للقديس كيرلس الكبير

❖ ماذا عني بكلماته: "ولأجلهم أنا أقدس ذاتي" [19] إلا إني أقدمهم فيّ، إذ هم (جزء) مني؟ فإن هؤلاء الذين يتحدث عنهم، كما قلت هم أعضاؤه؛ والرأس مع الأعضاء هم المسيح. وذلك كما يعلم الرسول عند حديثه عن نوية إواهم: "فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إواهم"، وذلك بعد قوله: "لا يقول وفي الأنسال فإن كان نسل إواهم هو المسيح" (غلا 3: 16-19)، فماذا يُعلن للذين يقول لهم: "أنتم إذاً نسل إواهم" سوى أنتم المسيح؟ وبنفس السمة يقول الرسول نفسه في موضع آخر: "الآن أفرح في آلامي لأجلكم، وأكمل نقائص شذائد المسيح في جسمي" (1 كو 1: 24). لم يقل شذائدي بل "شذائد المسيح"، لأنه كان عضواً في المسيح، وفي اضطهاداته إذ تعين للمسيح أن يحتملها في كل جسده، كان يملأ نصيبه من الشذائد. ولكي تتأكد من هذا في العيلة الماثلة أمامنا لاحظ ما يلي بعد ذلك... "ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق" [19]. وماذا يعني هذا سوى "في"، وذلك حسب الحقيقة أن الحق هو الكلمة التي في البدء، والتي هي الله؟ [1743]

القديس أغسطينوس

5. طلبية من أجل الوحدة

"ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط،

بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم". [20]

إنه يطلب من أجل الذين يؤمنون به خلال كورة تلاميذه ورساله. تمتد هذه الصلاة عبر كل الأجيال، وتحمل كل نفس لكي تتمتع بطلبية السيد المسيح الكفرية من أجلها، فتصير محفوظة في الدم الكريم، مقدسة وتمتعة بالوحدة مع بقية الأعضاء.

تمتد صلته الوداعية لتشمل البشوية المستعدة لقبول الخلاص عبر كل الأجيال حتى انقضاء الدهر . فهو يشفع بدمه عن كل من يقبل عمله الفدائي، لكي يصير الكل واحداً. يتمتعون بالوحدة الحقيقية والحكمة السماوية الطاهرة والمجد الذي من عند الآب.

لماذا يحد هذه الطلبة على الذين يقبلونه سواء في الحاضر أو المستقبل بينما نلتزم نحن بالصلاة من أجل جميع البشر؟ قلنا إنه يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، لكنه لا يؤرم أحداً على الخلاص أو قبول معرفة الحق. وإذ هو عالم بمن يرفضه لا يصلي ضدهم، لكنه لا يشفع فيهم كفرياً ماداموا مصوبين على رفض الخلاص، لئلا تُحسب شفاعته إزاماً عليهم بقبول الإيمان أو تكون بلا نفع، حاشا لله! أما بالنسبة لنا فإننا لا نعرف من الذي يقبل الإيمان ويثبت فيه، ومن الذي يرفضه تماماً أو ينكره فيما بعد، لذا لاق بنا أن نصلي عن الجميع.

❖ قال السيد المسيح من قبل عن تلاميذه: "ولأجلهم أقدم أنا ذاتي" [19]، ولئلا يظن أحد أنه إنما يعمل هذا العمل من أجل رسله فقط قال هنا: "ولست أَسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم". وبهذا أراح أنفس رسله، إذ أراهم أن كثويين سيكونون تلاميذ لهم، وغواهم أيضاً، إذ أوضح لهم أنهم يصيرون سبب خلاص لكثويين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ كرز الوسل بكلمة الإيمان هذه بصورة رئيسية وفي البداية، هؤلاء الذين التصقوا به لذلك دُعيت "كلامهم" [٢٠]. على أي الأحوال، ليس بسبب هذا توقفت عن أن تكون "كلمة الله" لأنها دعيت "كلمتهم"، إذ يقول الرسول أن أهل تسالونيكي قبلوا منه "كلمة أناس، بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله" (1 تس ٢: ١٣). "كلمة الله" لأنها أعطيت بواسطة الله مجاناً. لكنها دعيت "كلمتهم" لأنها عُهدت إليهم بصفة رئيسية وفي البداية لكي يُكرز بها [1744].

القديس أغسطينوس

"ليكون الجميع واحداً،

كما أنك أنت أيها الآب فيّ، وأنا فيك،

ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا،

ليؤمن العالم أنك أرسلتني". [21]

بعد أن سأل من أجل حفظهم من الشوير وقداستهم، سأل من أجل وحدة الكنيسة كلها، هذه التي لن تقوم إلا على طود الشر مسبب الخصومة والانقسام والتمتع بالحياة المقدسة واهبة الحب والوحدة. تقوم الوحدة على عمل الله في حياة الخدام (الوسل والتلاميذ والكهنة)، كما تقوم على عمله في كل المؤمنين على مستوى الشعب.

يكرر السيد المسيح تعبير "ليكونوا" سبع مرات [11، 19، 21 (موتان)، 22، 23، 24]. أربع مرات من السبع مرات يطلب أن يكون أتباعه واحداً. هكذا كان رب المجد يسوع مهتماً على وجه الخصوص بالوحدة.

شغل موضوع الوحدة قلب السيد المسيح، فقد سبق أن طلب لأجلها [١٣]، وها هو يطلبها من الآب كما في لاجاجة. يود أن تتشبه الكنيسة في علاقتها الداخلية بالعلاقة بين الآب والابن، الأمر الذي يكره السيد في صلته. سرّ الوحدة في الكنيسة التصاقها بالثالوث القنوس الذي يحمل وحدة فريدة في ذات الجوهر، واتساع قلب المؤمنين بالحب ليجد كل أحد موضعاً فيه.

يصير الكل واحداً، جسداً واحداً بقلبٍ واحدٍ وفكرٍ واحدٍ ورجاءٍ واحدٍ في التمتع بالوعود الإلهية.

لقد تحققت هذه الصلاة في الكنيسة الأولى حيث كان العاة وأيضاً الشعب بإيمانٍ واحدٍ وقلبٍ واحدٍ مع اختلاف الثقافات بين الأمم. كل يعبر عن إيمانه بتقافته اللاتقة به. كما اجتمع المؤمنون الذين من أصل يهودي مع الذين من أصل ملء اليقين أن صلته الوداعية أيضاً

عبد وإحدى السورى، فإنه يحصل على الاستحقاق الملكى ومجد الروح القدس بالانفصال والنقاء.

[1752]

هذه هي الحمامة الكاملة التي يبحث عنها العريس عندما يقول: "واحدة هي حمامتي كاملة الوحيدة لأمرها هي عقيلة والدتها هي".

القديس غريغوريوس النيسى

"وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني،

ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد". [22]

ربما يشير هنا إلى المجد الذي يناله الكلمة المتجسد بصنع العجائب وجذب النفوس التائهة إلى خلاصها، فإنه يهب تلاميذه هذه الإمكانية في اسمه القوس، إذ لم يخجل السيد المسيح من دعوة المؤمنين أخوة له (عب ٢: ١١). فإنهم نالوا التبني للآب، وصار لهم هذا المجد، مجد البتوة، لكن ليس بالطبيعة كالسيد المسيح، إنما بالنعمة. المجد هو عطية إلهية: "الرب يعطي رحمة ومجداً" (مز ٨٤: ١١).

خلال آلام الصليب يحملنا السيد إلى مجده: "لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل وبه الكل وهو آتٍ بأبناء كثوين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام" (عب ٢: ١٠). إذ ترتفع قلوبنا زى المجد الذي قيل عنه إن الملائكة يغطون وجوههم أمامه (يو ١٢: ٤١)، هذا المجد المشوق على أورشليم العليا، إذ الحمل هو نور أورشليم الجديدة (رؤ ٢١: ٢٣).

لا يعرف العالم الله معرفة خوة الحياة والاتحاد معه، أما المؤمنون فيعرفونه بكونه أباهم الذي يتحدون معه، ويلمسون حبه المستمر، فيقدمون ذبائح شكر لا تنقطع.

يؤكد السيد المسيح أن الوحدة التي يتمتع بها المؤمنون مصورها هو قبوله كابن الإنسان المجد من أبيه ليهبه لمؤمنيه. وكأن ثبوتنا في المسيح الواحد وتمتعنا بعطية المجد هو طريق الوحدة الأصلية. الوحدة الكنسية الصادقة، الصاورة كنعمة إلهية، هي شهادة حية ليسوع أنه المسيا الحقيقي، وعن حب الله الفائق للبشوية.

هكذا يركز السيد المسيح على الوحدة كأمرٍ أساسى وجوهى، وهي ليست بالوحدة الظاهرية كتجمع القيادات الكنسية معاً، لكنها وحدة عمل الروح القدس الذي يضم الكل بالروح بالقوة الإلهية لغاية مقدسة كاملة وليس على مستوى سياسات كنسية. مركز هذه الوحدة أن يصير الكل واحداً في الآب والابن كما هما واحد. فمن يقبل السيد المسيح "الطريق" يسير به إلى حضن الآب متحداً معه، كما يسير به إلى قلوب المؤمنين ليختبر وحدة الأخوة. لما كان الروح القدس هو روح الآب وروح الابن، لذا زى البعض أنه روح الوحدة، هو واهب عطية الوحدة، إذ يجمع الكل معاً ليعمل الكل في الكل (١ كو ١٢: ٤).

❖ " المجد الذي أعطيتني أعطيتهم "، لكي بالآيات وبالعقائد يؤمهم أن يكونوا نفساً واحدة. فإن هذا هو المجد أن يكونوا واحداً، وهذا أعظم حتى عن الآيات. فكما أننا نعجب من الله حيث لا يوجد في طبيعته صواع أو خلاف، وهذا هو مجده العظيم، هكذا يقول أيضاً ليت هذه الأمور تكون علة للمجد. قد يسأل أحد: كيف يسأل الأب أن يعطيهم هذه بينما يقول أنه هو نفسه يعطيهم إياها؟ سواء كانت عظمته خاصة بالعجائب أو الانسجام بينهم أو السلام، فإنه هو يهبهم هذه الأمور، بينما يقدم هذه الطلبة لكي يهبهم راحة (أنه يطلب من الآب عنهم) [1753].

القديس يوحنا الذهبى الفم

❖ إنه يسوع الذي صلى: " ليكونوا واحداً فينا، كما أننا وأنت واحد أيها الآب " (راجع يو ١٧: ٢١، ٢٢). لأنه عندما يكون الله الذي هو واحد في كل واحد، فإنه يجعل الكل واحداً، ويبضيع العدد في حلول الوحدة. [1754]

القديس باسيليوس

❖ ماذا كان هذا المجد إلا الخلود الذي تتقبله الطبيعة البشرية فيه؟

فإنه لم يتقبله هو وحده، ولكن كطريقته المعتادة بتدبوه المسبق الثابت يشير إلى المستقبل في صيغة الماضي، فإنه إذ هو الآن في موضع مجده،

أي قيامته بالآب، يقيمنا هو نفسه إلى ذات المجد في النهاية.

ما يقوله هنا مشابه لقوله في موضع آخر: "كما أن الآب يقيم من الأموات ويحييهم، هكذا الابن يحيي من يشاء"...

"ما يفعله الآب" ليس بطريقة ما بينما "ما يفعله الابن" بطريقة أخرى، بل "بنفس الطريقة" (راجع يو ٥: ٢١، ١٩). بهذا قام المسيح بذاته. لهذا قال: "انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه" (يو ٢: ١٩). بهذا فإن مجد الخلود الذي قال إنه أخذه من الآب يُفهم أنه قد وهبه هو أيضًا لنفسه، وإن لم يكن قد قال هذا [\[1755\]](#).

القديس أغسطينوس

❖ يطرد الحب الخوف كما يقول الرسول: "لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى الخرج، لأن الخوف له عذاب، وأما من خاف فلم يكتمل في المحبة" (1 يو 4: 18). لكن إذا تغير الخوف إلى حب، يتم ذلك الاتحاد، نتيجة للخلاص. لأن الجميع يتحنون مع هذا الخير الوحيد من خلال الكمال الذي رمز إليه بالحمامة: "واحدة هي حمامتي كاملتي الوحيدة لأمها. هي عقيلة والدتها هي" (نش 9:6).
يشوح السيد المسيح هذه الفكرة في الإنجيل بوضوح أكثر. عندما منح التلاميذ كل القوة من خلال بركته، أعطى أيضًا بركات لقيديسيه بواسطة صلواته للآب. وأضاف تاج هذه البركات حيث قيل: "وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد" (يو 17: 22). أي يجب ألا يختلفوا على الخير، بل يتحنون في رأي واحد من خلال وحدة الروح القدس. وكما يقول الرسول بولس: "مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح واطبة السلام، فإنما يوجد جسد واحد وروح واحد" (أف 3: 4) [\[1756\]](#).

القديس غريغوريوس النيسي

"أنا فيهم، وأنت في،"

ليكونوا مكملين إلى واحد،

وليعلم العالم أنك أرسلتني،

وأحببتهم كما أحببتني". [23]

❖ هل بالحق يمكن أن يُحب البشر بواسطة الله (الآب) بذات الحب الذي للابن، هذا الذي به يُسر الآب (مت 17: 3)؟ إنه موضع سرور الآب في ذاته، ونحن موضع سروره بالابن. نحن الذين وى الله فيهم أنهم على مثاله، خلال بنوتنا نُدعى للتبني.
الحب السومدي لطبيعة الله شيء، الحب الذي بالنعمة شيء آخر... الابن يحبه الآب حسب كمال الحب الثابت سومديًا، أما بالنسبة لنا فالنمو في النعمة يؤهلنا لحب الله [\[1757\]](#).

القديس أمبروسيوس

❖ كيف يعطيهم المجد؟ بأن يكون فيهم، هو ومعه الآب، لكي يلتحموا معًا... إنه يظهر أن السلام له قوة أعظم في جذب البشر عن صنع المعجزة، فكما أن طبيعة الصواع تسبب شقاقًا، هكذا طبيعة السلام تهب التحامًا معًا [\[1758\]](#).
❖ أوضح السيد المسيح هنا أنه ليس وحده يحب تلاميذه، لكن أباه أيضًا يحبهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "أنا فيهم، وأنت في" [٢٣]، بمعنى إني في أولئك الذين أرسلتني إليهم، وأنت في أنا المُصالح العالم معك خلالي [\[1759\]](#).

القديس أغسطينوس

❖ الآب يحبنا في الابن، لأن فيه اخترنا قبل تأسيس العالم (أف ١: ٤). لأن من يحب الابن الوحيد بالتأكيد يحب أعضائه خلال عمله، إنه طعمنا فيه

بالتبني، لكننا لسنا بهذا معادلين الابن الوحيد الذي به خُلقنا وأعيدت خلقتنا، إذ يُقال: "لقد أحببتهم كما أحببتي". فإن الشخص لا يكون دائماً مساوياً للآخر حين يُقال: "كما هذا هكذا الآخر"...

إنه يجب الابن من جهة لاهوته، إذ ولده مساوياً لنفسه. يحبه أيضاً بكونه جسداً لأن الابن الوحيد صار إنساناً، وبكونه الكلمة فإن جسد الكلمة هو عزيز عليه. أما بالنسبة لنا فبكوننا أعضاء في ذلك الذي يحبه، ولكي ما نصير هكذا. لقد أحبنا لهذا السبب قبل أن يخلقنا [1760].

القديس أغسطينوس

6. طلبه من أجل تمجيدهم

"أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا،

لينظروا مجدي الذي أعطيتني،

لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم". [24]

غاية شفاعة السيد المسيح الكفلية عن المؤمنين به أن يتمتعوا بالوجود معه أبدياً في السماء. فبعد أن طلب لأجلهم الحفظ في الاسم القنوس، والنقديس، والوحدة، يطلب لهم المجد. وكما يقول المرتل: "الرب يعطي رحمةً ومجداً" (مز ٨٤: ١١). هذه هي خطة الله من نحونا أن نتمتع بالاتحاد معه أبدياً، ونتمتع بالملوك السموي والحياة المجيدة المطوّبة.

ما هي السماء؟ إنها حيث يوجد السيد المسيح يكون الموضع، إن صح التعبير، سماءً. "يكونون معي حيث أكون أنا". حضوره هو سماء السموات وكمال التطويب والوحد. السماء هي شركة معه (في ١: ٢٣). هي رؤية مجد الابن الذي يغطي الملائكة وجوههم أمامه (يو ١٢: ٤١). الحمل هو نور أورشليم الجديدة العليا (رؤ ٢١: ٢٣). كما أن العروس تشوق بنور عريسها، هكذا ينعكس بهاء المجد على الكنيسة الحاملة أيقونته والمرتفعة من مجدٍ إلى مجدٍ.

يشفع لدى الآب بكونه صاحب سلطان أن يهب حياة أبدية. يتحدث كملك الملوك، وكوكئيس الكهنة الأعظم، وكمخلص العالم، وكذبيحة الحب للبشوية والطاعة للآب. فهو يطلب من مركز القوة كابن الله الوحيد واهب الحياة.

❖ قال: "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا". هذا هو ما ابتغوه، إذ كثراً ما كانوا يقولون: "يا سيد إلى أين تذهب؟"

(يو 13: 36). وقال السيد المسيح للآب: "لينظروا مجدي"، إذ يذكر هنا بطريقة غامضة أن الواحة كلها هي أن ينظر تلاميذه إلى ابن الله، هذا

يجعلهم يتمجدون. هذا ذكوه بولس الرسول قائلاً: "ونحن جميعاً نناظرين مجد الرب بوجهٍ مكشوفٍ كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها، من

مجدٍ إلى مجدٍ كما من الرب الروح" (2 كو 3: 18). وكما أن الذين ينظرون إلى أشعة الشمس ويتمتعون بهواء لطيف، يتمتعون بمعاينتهم هذا، هكذا يكون حالنا، حينئذ يقدم لنا هذا النظر لذة أكثر من لذة الناظرين إلى أشعة الشمس بكثير.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ المجد الذي للكلمة هو أيضاً مجد الآب. ويقول الرسول: "لكي تجشو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض،

ويعترف كل إنسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (في 2: 10، 11). لذلك بخصوص لاهوته فللابن مجده، وأن مجد الآب والابن هو

واحد. إنه ليس بأقل منه في السموا، لأن المجد واحد، ولا هو أقل في اللاهوت، لأن ملء اللاهوت في المسيح. [1761]

القديس أمبروسيوس

❖ بلا شك لا يكفي أن يقول: "أريد أن هؤلاء يكونون حيث أكون أنا" [٢٤]، بل أضاف "معي". فإن الوجود معه هو أعظم بركة... إننا لا نستطيع أن

نشك أن المؤمن الحقيقي هو مع المسيح بالإيمان، ففي هذا يقول: "من ليس معي فهو علي" (متى ١٢: ٣٠). ولكن حين قال: "أريد أن هؤلاء الذين

[1762]

أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا " تكلم على وجه التحديد عن تلك الرؤية التي بها زاه كما هو (١ يو ٣ : ٢) .

القديس أغسطينوس

"أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك،

أما أنا فعرفتك،

وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني". [25]

حينما طلب من أجل تقديسهم دعا الآب "أيها الآب القدوس"، وإذ يطلب من أجل تمجيدهم يدعو "أيها الآب البار". فما نتمتع به من أمجاد إنما هي أكاليل البرّ التي يقدمها لنا الديان البار. فبِرّ الله هو مصدر كل صلاحٍ ومجدٍ لنا، هذه التي وعد بها الآب البار، وقدم الابن المصلوب ثمنًا لها لنتأهل لقبولها.

❖ قد رأنا هنا أنه لا يعرف الله (الآب) إلا الذين عرفوا ابنه، وكأن السيد المسيح يقول للآب: كنت أشاء أن يكون للناس نصيبيهم إلا أنهم لم يعرفوك. وعلى ما يلوح لظني أنه يقول هنا هذا القول مستصعبًا غباوتهم، لأنهم لم يريدوا أن يعرفوا هذه الصفة إنه صالح وبار.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لأنك بار لا يعرفك العالم. إنه العالم المعين للدينونة التي بحق يستحقها، لا يعرفك. أما العالم الذي يتصالح بالمسيح فيتأهل لمعرفتك، لا عن استحقاق ذاتي بل بالنعمة. لأنه ماذا يعني بمعرفته سوى الحياة الأبدية؟ هذه التي بينما هو يحجزها عن العالم المُدان يهبها للعالم المُصالح معه. بهذا فإن العالم لا يعرفك لأنك بار، إذ يود له ما يستحقه وهو ألا يعرفه. بينما بنفس الطريقة فإن العالم المُصالح معه يعرفك لأنك أنت رحوّم، وليس عن استحقاق ذاتي للعالم، إنما يتمتع بذلك بالنعمة لحاجته إلى العون أن يعرفك.

تبع ذلك "أما أنا فعرفتك" [٢٥]. إنه هو ينوع النعمة الذي بالطبيعة الله، وبالنعمة صار إنسانًا لا يوصف بالروح القدس والعواء... وإذ نعمة الله هي بالمسيح يسوع ربنا يضيف: "وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني" [٢٥]. هكذا هو حال العالم المُصالح معه. لكن لأنك أرسلتني هم عرفوا، أي بالنعمة عرفوا [1763].

القديس أغسطينوس

" وعرفتهم اسمك، وسأعرفهم،

ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به،

وأكون أنا فيهم". [26]

يختم صلواته الوداعية بطلب المعرفة الإلهية لهم، فبعد أن طلب حفظهم من الشر، ثم تقديسهم للعمل الإلهي، والوحدة السماوية، يطلب لهم المعرفة، هذه التي لن تتحقق ما لم يرتفعوا معه بقلوبهم لتحتيا في السماويات، وتكتشف المجد الإلهي.

المعرفة التي نتمتع بها هي ثرة اتحادنا معه، فنتعرف على الابن الذي يحملنا إلى معرفة الآب. وهي معرفة دائمة النمو: "عرفتهم اسمك وسأعرفهم". هذه المعرفة بأسوار الله يقدمها الابن، العلف وحده بكمال الأسوار الإلهية، إذ هو واحد مع أبيه. لقد عرفنا الابن وحملنا إلى معرفة اسم الآب، وسيعرفنا أيضًا خلال نمونا في حبنا الإلهي واكتشافنا المستمر لمحبة الله وحلول الكلمة في قلوبنا.

المعرفة عمل ديناميكي لا يتوقف، خلالها يتمتع المؤمن بالنمو المستمر في معرفة الآب واهب العطايا، والابن المسيا محقق الخلاص، والروح القدس الذي يدعو السيد المسيح في هذه الصلاة "روح الحق".

من بوكرات الوحدة أن يختبر المؤمنون حب الآب لهم خلال حبه للابن الوحيد الجنس. تمتعهم بالحب الإلهي وسكنى الابن، الحب ذاته، فيهم هو مصدر الفرح الكامل (رو ٥ : ٣، ٥).

❖ سنتمتع نحن أيضاً حسب قياسنا، إن كنا متعقلين. لذلك يقول بولس: "إن كنا نتألم معه فنتمجد أيضاً معه" (رو 8: 17). أما الذين ببلاذتهم ونومهم يعملون ضد أنفسهم، حينما يُقدم أمامهم مثل هذا المجد وعدم دخولهم الجحيم، حين يكون في قوتهم أن يملكوا ويتمجوا مع ابن الله، ومع ذلك يحرمون أنفسهم من بركات عظيمة كهذه، هؤلاء يستحقون ربوات الدوع ويصيرون أكثر بؤساً من أي كائن [1764].

❖ رأيت كيف بلغ السيد المسيح بكلامه إلى غاية جيدة؟ إلى المحبة التي هو أم الأفعال الحسنة كلها وكمالها... ليتنا إذن نؤمن بالله ونحبه، فلا يقال لنا: "يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه" (تي 1: 16). مرة أخرى: "فقد أنكر الإيمان وهو شرٌّ من غير المؤمن" (1 تي 5: 8). لأنه بينما يهتم (غير المؤمن) بأهله وأقربيه والغرباء لا تسعف أنت حتى الذين ينتمون إلى عائلتك، فأني عذر لك عندما يُجذب علي الله ويُهان بسببك؟ [1765]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لقد عرفتكم اسمك بالإيمان، وسأجعله معروفاً بالعيان. جعلته معروفاً للذين هم في رحلة في أرض غريبة لها نهاية معينة، وسأجعله معروفاً للذين سيكون ملكهم بلا نهاية [1766].

❖ صلاة المسيح تنتهي، وآلامه تبدأ [1767].

القديس أغسطينوس

من وحي يو ١٧

هل ينقصك مجد،

يا كلي المجد؟

❖ وقفت مع تلاميذك مندهشاً!

سمعتك تقول: مجد ابنك، ليمجدك ابنك أيضاً!

هل ينقصك مجد يا كلي المجد؟

وهل يحتاج الآب إلى مجد،

ذاك الساكن في نور لا يُدنى منه؟

❖ مجدك ومجد أبيك واحد،

أن تتمجد البشرية الساقطة بالمجد السموي!

تريد أن الكل يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون.

تريد أن يصير الزاب سماء!

ويتمتع الفاسد بعدم الفساد!

هذا هو مجدك العجيب!

❖ احملني معك إلى حيث تحدث أباك.
فتطمئن نفسي وسط ظلمة هذا العالم،
مادمت تضع نفوس مؤمنيك في حراسة أبيك،
تُحفظوا لا يقرب إليها لص!

❖ تحملهم إلى أبيك القدوس!
لكي كما كرست حياتك لقداستنا،
نتقدس فيك،
ونُحسب قديسين وأولاً أمام أبيك.

❖ تحملنا جميعاً إلى الآب،
كأعضاء جسدك الواحد،
فلا يتسلل إلينا روح انشقاق!
بل ننعم بالوحدة الحقيقية أبدياً!

❖ تطلب من أجلنا لأنك رئيس الكهنة السموي.
تطلب عنا لأنك رأس الكنيسة.
أنت وحدك قادر بدمك أن تطلب،
لأنك بصليبيك رفعتنا إلى السماء.
وفي جنبك المطعون أخفيتنا،
وبدمك اشتريتنا وفديتنا!

❖ طلبتك حتماً تتحقق فينا!
متى نراك في مجدك،
فتتعم ببهاء مجدك على كل كنيستك،
ويتمجد الكل بك وفيك إلى الأبد!

<<

ابن الله الذبيح

ص 18 - ص 19



الأصاح الثامن عشر

محاكمة يسوع دينياً ومدنياً

حتى نهاية الأصاح السابع عشر لم يسجل لنا الإنجيلي يوحنا إلا القليل جداً عن تزيخ السيد المسيح، مقدماً ما يستلزمه الأمر للكشف عن شخصيته ورسالته. أما الآن وقد أنت الساعة كما قأنا في الصلاة الوداعية، واقترّب الصليب، فقد انشغل القديس كغوه من الإنجيليين بسرد تفاصيل أحداث هذا الأسوع. التلاميذ والوسل الذين كانوا يخلون من الأحداث أثناء وقوعها هم أنفسهم وجنوا فيها عنوبة وخلصاً ومجداً، كما وجنوا فيها كشفاً عن الأسوار الإلهية الفائقة.

بعد حديث السيد المسيح الوداعي الطويل مع التلاميذ، وتقديم الصلاة الوداعية، بدأ الإنجيلي يعرض قصة آلامه. وقد اهتم القديس يوحنا بعرض الظروف المحيطة بآلام السيد المسيح بكونها تمس خلاصنا، وعرض أيضاً ما لم يعرضه الإنجيليون الثلاثة السابقون.

1. تسليم نفسه للجند ٩ - ١.
2. قطع أذن ملخس ١٢ - ١٠.
3. أمام حنان ١٤ - ١٣.
4. إنكار بطرس ١٨ - ١٥.
5. حوار مع رئيس الكهنة ٢٤ - ١٩.
6. إنكار بطرس مرتين ٢٧ - ٢٥.
7. في دار الولاية ٣٢ - ٢٨.
8. حوار مع بيلاطس ٤٠ - ٣٣.

1. تسليم نفسه للجند

" قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون،

حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه". [1]

هياً السيد المسيح تلاميذه لهذه الساعة خلال أحاديثه الوداعية، وطلب مساندة الآب لهم في صلاته الوداعية، وهو في العلية في حضور تلاميذه، وإعلانه لهم عن كثير من أسوره التي تمس خلاصهم وخلص العالم. لذا حانت لحظات مواجهته للصليب بؤحٍ داخليٍّ وسرورٍ، حسب مسوة أبيه الصالح.

بيروي لنا الإنجيلي ليس قصة القبض على يسوع المسيح، بل بالأحرى تسليم نفسه للجند لمحاكمته. أخذ تلاميذه وانطلق على ضوء القمر حيث كان احتفال الفصح والقمر كاملاً، ودخل بستاناً يملكه أحد أحبائه، اعتاد أن يدخله ويجتمع مع تلاميذه فيه كثيراً. وقد كان لنبلأ اليهود حدانقهم وأماكن اللهو خلج المدينة حتى جبل الزيتون؛ ولالت هذه العادة قائمة عند الآسيويين.

لقد جاءت الساعة لكي يدخل رئيس خلاصنا داوة الآلام ليحقق الخلاص الذي جاء من أجله، وصلت للحظات الأخوة من حياته هنا على الأرض تحمل أحداثاً موقالية تمس كل كيانتنا. كأن السيد المسيح قد ملس أولاً عمله كمعلمٍ يقود تلاميذه إلى الحق الإلهي، ثم ككاهنٍ يشفع فيهم لدى الآب، وكذبيحةٍ يبذل ذاته، وكمملكٍ يملك بالحب العملي البازل، يفتح بدمه القلوب ويؤسس عرشه في داخلنا؛ إنه المعلم والكاهن والذبيحة والمملك.

اختار البستان أرضاً للمعركة للقبض عليه، أو بالأحرى لتسليم نفسه، ولم يختار بيتاً ما داخل المدينة، حتى لا يحاول البعض من الشعب أو الأعباء الدفاع عنه، فيدخلون في معركة وبسببه يحدث سفك دم. ولكي لا يسبب متاعب أو حرجاً لصاحب البيت، ولكي تجد الجماهير فرصتهم للانطلاق بلا عائق للقبض عليه مع القيادات الدينية والجند. في البستان يمكن للتلاميذ أن يهروا دون سفك دماء بسببه، أما في المدينة، فقد يعترض البعض صفوف القادمين للقبض عليه، وقد يتحول الأمر إلى معركة. إنه لا يطلب كرامة بشوية، ولا مدافعين عنه بل ينسحب لكي يحمل آلام الغير.

جاء ليحمل أتباع الآخرين لا أن يحمل الآخرون أتباعه. هكذا قدم لنا مثلاً حياً بأن المسيحي كقائد محب لا يلقي بهومومه أو متاعبه أو آلامه على الآخرين، ولا يشتكي لأحد، بل ينحني مع سيده ليحمل أتباع الآخرين. أخوياً فإن القبض عليه في البستان يعلن رفض قصور الأغنياء ومنزل اليهود إيواؤه، فيقبض عليه كمفروضٍ من شعبه، خلج المحلة.

عبر وادي قدرون: كان بستان جسيثماني في جبل الزيتون شرقي أورشلیم. يفصل هذا الجبل عن المدينة وادي ضيقٍ للغاية يجري فيه محرى (نهير) قدرون. وهو نهر صغير جداً عرضه ما بين ٦ و٧ أقدام، ولم يكن دائماً مملوء ماءً، بل كان طوال السنة جافاً ما عدا فزوات سقوط الأمطار. وقد أخذ اسمه من كلمة قيذار *qaadar* العويية ومعناها "أسود"، حيث كانت بقايا الذبائح ومخلفات المدينة تُلقى فيه. ووى البعض أنه كان أشبه بمصرف أكثر منه بنهر. وكان لعبور وادي قدرون معناه الخاص:

ولاً: جاءت نوة داود النبي عن المسيا في مزور ١١٠: ٧: " من النهر يشرب في الطريق، لذلك يرفع الرأس ". لقد شرب المسيا من المحرى في طريقه إلى آلامه المجيدة لخلصنا. دُعي النهر الأسود بسبب ظلام الوادي الذي يجري فيه أو لون مياهه المختلطة بالقنارات التي تُلقى فيه من المدينة. من هذا المحرى شرب مسيحننا وهو في طريقه لخلصنا فرفع رأسه ورؤوسنا.

ثانياً: في طريق هروبه من وجه ابنه ابشالوم المتمود عبر داود الملك مع من كانوا معه نهر قدرون، وصعدوا إلى جبل الزيتون، وهم سيكون بصوت عظيم (٢ صم ١٥: ٢٣، ٣٠). هكذا إذررض اليهود ملكهم "ابن داود" انسحب إلى جبل الزيتون عارواً نفس طريق داود، وكان يطرده اليهود المتمودون لكي لا يملك على قلوبهم.

ثالثاً: اعتاد بعض ملوك يهوذا الصالحين أن يحرقوا الأوثان ويدمروها ويلقونها في هذا الوادي، مثل آسا (٢ أي ١٥: ١٦)، وخرقيا (٢ أي ٣٠: ١٤)، ويوشيا (٢ مل ٢٣: ٤، ٦). وهكذا كان الوادي مملوءاً من الرجاسات الملقية فيه. لقد قبل السيد المسيح الذي بلا خطية أن يصير خطية

لأجلنا، ليحمل عنا اللعنة.

دخل آدم الثاني، السيد المسيح، في البستان حتى يبدأ احتمال سلسلة آلام الصليب، كما بدأت خطية آدم الأول في جنة عدن. وفي البستان أعلنت اللعنة، وفيه نال آدم وعدًا بالمخلص، لذلك بدأ تحقيق الخلاص في البستان، وفي البستان تحققت القيامة وتمتع الإنسان بالبرّ الإلهي. في كل مرة ندخل فيها حديقة نذكر آلام السيد المسيح في البستان التي زرعا لكي ننعم بثمر الروح المشبع والموح.

أخذ معه تلاميذه إذ اعتاد أن يأخذهم في رفقته عندما ينسحب للصلاة. أخذهم، لا ليدافعوا عنه، وإنما ليشهدوا لآلامه واحتماله من أجلهم، ولكي يتهيأوا لشوكة آلامه. ولعله أراد أن يكشف لهم عن ضعفهم حتى يبركوا أنه لا خلاص لهم إلا بمخلصهم.

حدثنا الإنجيلي يوحنا عن الكأس التي تسلمها من يد الأب ليثوريا [11]، لكنه لم يسود لنا تفاصيل آلامه في البستان، إذ سبق فعرضها غيره من الإنجيليين. هذا وقد أبرز الإنجيلي أن كل الأمور كانت تسير بخطة إلهية فائقة دون أن يفقد حتى الأثوار حرية رادتهم. لم يكن طويق الألم بالنسبة للسيد المسيح هزيمة أو ضعفاً، لكنه كان طويق ابن الله الذي يحقق خطة خلاص البشرية الفائقة، هو طويق الصليب، واهب الغلبة، ومحطم مملكة الظلمة. لقد أبرز الإنجيلي الجانب الآخر لآلام السيد بكونها طويق المجد الأبدي. لقد أظهر أن يسوع المتألم هو سيد الموقف، حتى تشركه ذات المشاعر وسط مشرقتنا له آلامه وصلبه في حياتنا اليومية.

❖ ما يرويه هنا بخصوص دخول الرب إلى البستان مع تلاميذه لم يتم بعد تقديم الصلاة مباشرة... إنما بالتأكيد تمت أحداث معينة عبر عنها الإنجيلي الحالي ووجدت في الأناجيل الأخرى. وذلك وجدت أحداث كثيرة هنا صمت عنها الإنجيليون الآخرون في رواياتهم [1768].

القديس أغسطينوس

❖ الموت أمر مرعب للغاية، لكن ليس لأولئك الذين تعلموا الحكمة الحقيقية التي من فوق. فإن من لا يعرف شيئاً عن الأمور العتيدة بل يحسب الموت انحلالاً ونهاية للحياة، بحق يرتعب ويخاف كمن يعبر إلى لا وجود. أما الذي يتعلم بنعمة الله الأمور الخفية السوية لحكمة (الله)، ويحسب الأمر رحيلاً إلى موضع آخر، لا يجد سبباً للوعة، بل بالأحرى يفرح ويبتهج، إذ بتوكلنا الحياة الفانية نذهب إلى حياة أفضل وأبهى وبلا نهاية. هذا ما يعلمنا إياه المسيح بتصوفاته حيث يذهب إلى آلامه، لا متغصّباً ولا عن ضرورة، بل برادته، لذلك قيل: "قال يسوع هذا وخوج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه" [1769].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع،

لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه". [2]

سمح السيد أن يتم القبض عليه في الموضع الذي يعرفه يهوذا، حتى يعطيه فرصة لراجعته نفسه، لعله يدرك أنه أساء استخدام الغوايا التي قُدمت له، أن يكون من خاصته حتى في مكان خلوته.

قدم لنا الإنجيليون الحقائق دون تعليق، فذكروا ما فعله يهوذا كحقيقة واقعية دون لوم أو توبيخ، وذلك كما قدموا أعمال السيد المسيح وكلماته دون تعليق. ولعلمهم بإعلان الروح القدس رأوا أن يتوكلوا الأعمال نفسها تتحدث في قلوب القواء وأفكلهم.

❖ إذ سولع السيد المسيح إلى المكان الذي كان معروفاً عند مسلمه، رأل عن المتأمرين عليه التعب، وخلصهم من كافة الشقاء، وأظهر لتلاميذه أنه يجيء إلى الموت طوعاً، فقد كان هذا فيه كفاية لتعزيتهم. جاء لكي يضع نفسه في البستان كما في سجن.

" قال يسوع هذا ". ماذا تقول؟ بالتأكيد كان يتحدث مع الأب، بالتأكيد كان يصلي. لماذا لم يقل: "إذ انتهى من الصلاة جاء إلي هناك؟" لأنه لم تكن صلاة بل كانت حديثاً لحساب التلاميذ....

ولئلا إذا سمعت قول البشير: " حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه " تظن أن السيد المسيح استتر فيه، قال بعد ذلك مباشرة: " وكان يهوذا مسلمه

يعرف الموضع ". ولم يقل هذا فقط، لكنه قال: " لأن يسوع اجتمع هناك كثوًا مع تلاميذه ". إذ كان السيد المسيح يجتمع مع تلاميذه الخاصة، مخاطبًا إياهم في أمور خاصة ضرورية، لا يجوز أن يسمعها غوهم، وقد يأخذهم في جبالٍ وبساتينٍ، ملتصقًا مكانًا خاليًا من الاضطرابات أكثر من غوه، حتى لا تتزعج نيتهم عند استماعهم له.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هناك وُجد الذئب الملتحف بجلد الحمل، الذي اجتاز بين الغنم بمشورة خفية ضد أب الأسوة، وعرف كيف يجد الفوصة لتشتيت القطيع الهزيل، وإلقاء شبابه المشتبهة للراعي [1770].

القديس أغسطينوس

"فأخذ يهوذا الجند وخدامًا من عند رؤساء الكهنة والفريسيين،

وجاء إلى هناك بمشاعلٍ ومصاييحٍ وسلاحٍ". [3]

كيف لم يخجل يهوذا من مواجهة السيد المسيح وهو يقود أعداءه ضده، مرتدًا عن التبعية له، والشركة مع تلاميذه؟ هذا هو فعل الخطية، وهذا هو عمل إبليس. أن يصير للخطي ما هو أشبه بجبهة زانية لا تعرف الحياء. قاد يهوذا هذا الموكب الضخم، ولعله طلب هذا العدد لإشباع طوح فيه كقائد له وزنه وكرامته.

خرجت فرقة (teen speiran) cohort وهي تعادل عُشر فيلق (legion). وى البعض أن تعداد الفيلق 6000 شخصًا، غير أن البعض وى أن عدد الفيلق لم يكن ثابتًا ولا أقسامه كقوى متساوية. فرقة الجند هنا هم العسكر الرومان الذين يقدمهم الحاكم لحماية الهيكل، وأما الخدام فهم الذين ينتسبون إلى السنهريين. و يقدر البعض الجند والخدام (جند الهيكل) بحوالي 500 شخصًا، والبعض يظنهم ألفًا، أما الذين حول السيد في البستان فكانوا غالبًا إحدى عشر. فكوّة الجمهور لا تعني صدق الطويق؛ كثيرًا ما تكون القلة القليلة هي الأمانة المخلصة في علاقتها مع الله. ولعل الجند جاوا بالسيوف، وأما الخدام فجاوا بالعصي.

ربما يتساءل البعض: لماذا كل هذا العدد للقبض على السيد المسيح؟ لقد اعتاد الرومان أن يستخدموا أعدادًا كبيرة من الجند لممارسة عملٍ صغيرٍ. ففي أعمال الرسل نجد 200 جنديًا و70 فرسًا و200 حاملي حواب في حواسة الأسير بولس في الطويق (أع 23: 23). هذا وقد كان يُخشى حدوث ثورة شعبية بالقبض عليه.

لم تكن هذه جماهير شعبية جاءت اعتباطًا، وإنما كانت قيادات، وجاء مسؤولون من الهيكل ومن البلاط للقبض عليه. اتحدت الكنيسة الشكلية الحرفية مع قوات الظلمة ضد الحق. وجاء الحشد خليطًا من قيادات يهودية متنوعة مع جند من الأمم الرومان، وخدام يهود، كل يحمل عدوة تجاه المجموعة الأخرى، لكنهم اتحوا في مقاومة السيد المسيح، تصالحو عندما دخل السيد المسيح طويق الألم، لكي يقدم الكل أعضاء في جسده المتألم الممجد.

في الليل انطلق السيد المسيح قائد المعركة ضد قوات الظلمة، ليذهب إلى أرض المعركة، معلنًا خروجه للصليب. انطلق مع تلاميذه إلى موضع معروف، إلى البستان كما في موكبٍ. ذهب في خطة مرسومة ينتظر موكبًا متواطئًا مع الظلام. كان ينتظر يهوذا مع موكب الظلمة كمن في شبه موعدٍ معه، وفي مكانٍ معروفٍ لديه. لم يتهرب السيد المسيح من موكب الظلمة، كما تورى سابقًا حين رفع اليهود الحجلة لوجموه وهو يُعلم في الهيكل، فاختلفى وخرج من الهيكل مجتئًا في وسطهم (يو 8:58).

خرجوا بمصاييح ليلقوا القبض على يسوع، آدم الثاني، مع أن القمر كان كاملاً. لقد ظنوا أنه ربما يختبئ بين الأشجار كما اختلفى آدم الأول في جنة عدن وراء الشجر من وجه الله. جاوا بالمشاعل ليوقئوها لعلهم يرون الشمس المشرقة في وسط البستان! رأوا بالمصاييح أن يروا "شمس البر". حملوا سيوفًا وأسلحة لئلا يقاوم آدم الثاني أو تلاميذه، ولم يتركوا انهم بهذا يستلون السيوف ضد أنفسهم. جاء الموكب مستعدًا، لعلهم خشوا من خسوف

القمر لذلك حملوا المشاعل والمصابيح، وخشوا أن يُوجد مع تلاميذه أسلحة، لذلك جاؤا مسلحين مستعدين للدخول في معوكة.

ليس عجيبيًا أن نجد ذات الفكر عبر العصور، فيتهم العالم الكنيسة بأنها تريد أن تقيم دولة داخل دولة، مع أن أسلحتها روحية، ومملكتها ليست

من هذا العالم.

يذكر الإنجيلي يوحنا وحده نون سائر الإنجيليين "الجند"، أي فرقة من الحرس الرومانيين الوباطين في أورشليم، جاؤا مع خدام من عند

رؤساء الكهنة والفريسيين للقبض على السيد المسيح. وكان روما نفسها، أي عاصمة العالم، قد دخلت طرفًا في الدعوى ضد يسوع الناصري.

❖ إنها كتيبة، ليست من اليهود بل من العسكر. هنا نفهم أن الأمر تم عن طريق الحاكم كما لو كان من أجل أمان الشخص المجرم، ولحفظ مراسيم

السلطة القانونية الشكلية، ولردع أية محاولة للمعتقل أن يقاوم. وفي نفس الوقت وُجدت جماعة ضخمة قد اجتمعت، وجاءت مسلحة لبث الرعب أو

[1771]

للهجوم ضد أي شخص يحاول الدفاع عن المسيح.

القديس أغسطينوس

❖ هؤلاء كثرا ما أرسلوا للقبض عليه لكنهم لم يكونوا قادرين. لكن في هذه المرة واضح أنه سلم نفسه لهم بإرادته. كيف أغروا الكتيبة؟ لقد كانوا جنودا

[1772]

يفعلون أي شيء من أجل نوال مال.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من هو الخروف الذي قلب نفسه ذئبًا، وبدأ يعض الراعي الصالح؟!

❖ لماذا بالغش نسيت تلك الموهبة التي أعطاك إياها ربنا كما أعطى بطرس ويوحنا؟!

❖ رتعوا أيها الحكماء من القبلات العاشية، فإنه بواحدة منها عُلق ابن الله على خشبة.

القديس يعقوب السروجي

" فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه،

وقال لهم: من تطلبون؟" [4]

واجه السيد المسيح الجوع الثائرة المسلحة بلطف ورقة سائلًا إياهم: "من تطلبون؟" بلا شك سبق أن رآه كثيرون من خدام الهيكل حين كان

يذهب هناك، لكن خشية حدوث أي خطأ قام يهوذا بتقبيله، لأنه يعرفه أكثر منهم. وإذ رآه لم يعرفه ليؤكد لهم أن مصابيحهم لن تنفعم شيئًا. وحين

عرفهم ذاته لم يستطيعوا القبض عليه ليركوا أن سيفهم بلا قيمة ما لم يسلم نفسه إليهم.

[1773]

❖ هكذا لم ينتظر أن يعرف ذلك من مجيئهم بل تحدث وعمل بغير ارتباك إذ هو عالم بكل شيء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" أجابوه: يسوع الناصري.

قال لهم يسوع: أنا هو.

وكان يهوذا مسلمه أيضًا واقفًا معهم". [5]

عندما رأوا أن يقيموه ملكًا اختفى (يو 6: 15)، وحينما رأوا صلبيه قدم نفسه لهم، فقد جاء إلى العالم لكي يحمل أثقالنا على الصليب. النقي

بهم في هنوء وسكينة وكان يجيبهم بكل لطف: "أنا هو". وهو اسم الله الممجد وسط شعبه (خر 3: 14). لقد وطأوا عليه كدودة لا إنسان (مز 22: 6)،

ولم يركوا أنه يهوه ذاته.

عندما سُئوا عن يطلبون أجابوا: "يسوع الناصري". كل ما يعرفونه عنه أنه "يسوع الناصري". ولعلمهم استخدموا هذا اللقب للاستهانة به، أنه

من الناصورة، وللتغطية على أنه المسيح المنتظر. حقًا لم يعرفوه، لأنهم لو عرفوا رب المجد لما صلوه. لم يستغل السيد المسيح عدم معرفتهم له أو

عماهم، كما فعل أليشع ضد قوات رام (السويان) حيث قال لهم إنه هذا هو الطريق ليدخل بهم إلى المدينة. في نظر القديس يوحنا الإنجيلي تعثر اليهود في يسوع بسبب هويته أنه " الناصوي".

❖ تعثر فيه نتنائيل في بداية خدمة السيد المسيح، إذ قال لفيلبس: "أمن الناصوة يمكن أن يكون شيء صالح؟" (يو 1:46).

❖ وحينما تحدّث مع الجماهير عن نفسه أنه الخبز السموي قالوا: "أليس هذا هو يسوع الذي نحن عرفون بأبيه وأمه" (راجع يو 6:38-42)، حيث يشيرون بهذا إلى يوسف الناصوي.

❖ وحين تدخل نيقوديموس للدفاع عن السيد المسيح قال بعض المتشككين: "ألعلّ المسيح من الجليل يأتي؟... لم يقم نبي من الجليل" (يو 7:41، 52). فتعثروا فيه، لأنه من مدينة ناصوة الجليل.

❖ للمرة الرابعة في البستان في سخوية قالت الجماهير إنها تطلب يسوع الناصوي.

❖ وأخوًا للمرة الخامسة عندما كان يسوع ممددًا على الصليب كمرجٍ محكومٍ عليه بالموت جاء عنوان علته: " يسوع الناصوي ملك اليهود" (يو 19:19).

❖ رأيت قوة السيد المسيح أن تحلب عنه، إذ كيف كان في وسطهم فأعمى عيونهم. والدليل على أن ظلام الليل لم يكن السبب في ذلك، هذا أوضحه البشير، إذ قال عن يهوذا: " وجاء إلى هناك بمشاعل ومصايح ". لو لم يكن معهم مشاعل لوجب أن يعرفوا السيد المسيح من صوته، فإن كان أولئك يجهلون، فكيف يجهله يهوذا الماظم معه على النوام، لأنه كان واقفًا معهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فلما قال لهم اني أنا هو،

رجعوا إلى الراء وسقطوا على الأرض". [6]

قال: "أنا هو"، وهو اسم الله المجيد (خر 3: 14) الخاص بإعلان حضوته في وسط شعبه. تعبير أنا هو *ego eimi*، في اليونانية يدل على ثمة "ذات" مهيبه وغير متوكدة تُريح الستار عن نفسها، كما جاء في الأصحاح الثامن حين قال يسوع: "قبل أن يكون إواهم أنا هو *ego eimi*" (يو 8:58)، أو "أنا كائن" وليس "كنت" [1774].

وإذ قال إنه هو، رجعوا إلى الراء، وسقطوا على الأرض، لا حول لهم ولا قوة، كمن هزمهم رعد شديد أو صعقهم برق. كان يمكنه أن يأمر الأرض فتتشق وتبتلعهم كما حدث مع قورح ودانان وجماعتهما (عد 16: 49)، لكن عاد فسلم نفسه إليهم بعد أن قدم حماية لتلاميذه. بهذا أكد للجميع أنه سلم نفسه للموت بكامل رادته. أراد أن يبركوا ضعفهم لعلهم يتوبون، ولم يكن يعاقبهم على ما فعلوه، فإن العقاب أصعب من أن يحتملوه. هذا كله لم يحرك قلوبهم للتوبة، ولا نسوا ما حدث لهم إلى قوة السيد المسيح، بل كملوا طريق شرمهم بقلوب جاحدة حورية.

لقد صنعت آية في اللحظات الأخيرة قبيل تسليم نفسه، ومع هذا لم تستجب قلوبهم، لأنهم لم يطلوا الحق الإلهي، وإنما سلكوا حسب أهوائهم البشرية، وطلوا ما هو للناس وليس ما هو لله. فالمعزة لا تحرك القلب إلا إذا كان القلب حتى في عماء يشتهي أن يتعرف على النور، وأن يسلك فيه.

يقول القديس أغسطينوس إنه إن كان قد فعل ذلك عندما ألقى القبض عليه ليحاكم، فماذا يفعل عندما يأتي لكي يحاكم؟

❖ رب المجد الذي استهان بالخرق واحتضن الآلام في الجسد لم يهجر حرية رادته، إذ يقول: "انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه" (يو 2: 19).

هرة أخرى: "ليس أحد يأخذ حياتي مني، بل أنا أضعها بنفسي". "لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها" (راجع يو 10: 18). ولما اقترب منه

المسلحون بالسيوف والعصي في ليلة آلامه، جعلهم يراجعون إلى الراء بقوله: "أنا هو" (يو 18: 6؛ خر 3: 14). هرة أخرى عندما طلب منه

اللس وهو يموت أن يذكوه، اظهر سلطانه الجامعي بقوله: "اليوم تكون معي في الودوس" (لو 23: 24). حتى في لحظات آلامه لم يتخل عن

[1775] سلطانه.

القديس غريغوريوس النيسي

- ❖ صوته وحده الناطق "أنا هو" بدون أسلحة ضوب الجمع الغفير وأثبطهم وأسقطهم أرضاً مع كل وحشية كواهيتهم ورعب أسلحتهم. فإن الله مخفي في الجسد البشري، واليوم كان (النور) الأبدى غامضاً هكذا في تلك الأوزع البشرية حتى أنهم بحثوا عنه بمشاعل ومصاييح ليقنطوه بالظلمة [1776].
- ❖ حقاً لقد بحثوا عنه في ثورتهم الجنونية للموت، لكنه هو أيضاً إذ سلم نفسه للموت كان يبحث عنهم. لهذا إذ أظهر سلطانه للذين لهم الإرادة (أن يقتلوه)، وليس السلطة أن يمسكوه. ليتهم الآن يمسكوه لكي يعمل برادته في الذين لم يعرفوها [1777].

القديس أغسطينوس

"فسألهم أيضاً: من تطلبون؟

فقالوا: يسوع الناصوي". [7]

إذ لم يهدف نحو معاقبتهم، بل نحو مراجعتهم لأنفسهم، أقامهم بعنايته، ولم يتركهم ساقطين أبدياً، لأنه لم يأت ليدين بل ليخلص. وإذ سقطوا لم يهنهم بكلمة جلحة، ولا أساء إليهم، بل كرر ذات السؤال، وقدموا ذات الإجابة. وهو بهذا يريد أن يثير ضمائرهم حتى يتركوا أنهم أخطأوا التصرف. وقد جاءت إجابتهم بون تغيير تكشف عن عنادهم وإصرارهم على الشر.

- ❖ يا لغباوتهم! كلمة السيد المسيح ألقتهم مطروحين على ظهرهم، فلم يرتجعوا ولا على هذا الحال، وقد عرفوا قنوته، بل كرروا أقوالهم أيضاً نفسها.
- ❖ إن كانوا لم يعرفوا أنه يسوع كيف كان ليهوذا أن يجعله، الذي كان معه على النوام؟ فقد وقف معهم؛ ولم يعرفه بعد مثلهم، وسقط إلى الراء معهم. وقد صنع يسوع ذلك ليظهر أنهم ليس فقط لم يستطيعوا أن يمسكوه، بل ولم يكن في استطاعتهم أن يروه بينما كان في وسطهم لو لم يعود فيهبهم سماحاً بذلك [1778].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجاب يسوع: قد قلت لكم إني أنا هو،

فإن كنتم تطلبونني، فدعوا هؤلاء يذهبون". [8]

أمر بترك تلاميذه يذهبون في طريقهم لأنهم لم يكونوا بعد قادرين على مثلكتهم آلامه بسبب ضعف إيمانهم، كما أنه أراد أن يجتاز المعصرة وحده، لأنه ليس من حق كائن ما أن يقدم خلاصاً للعالم سواه. هو وحده قادر أن يحتل مركزنا ليحمل آثامنا عنا، ويغورها خلال ذبيحته الكفلية الفريدة. إنه تصوف سليم يطابق الأصول القضائية، إذ يسلم المتهم نفسه إلى العدالة ليطلق سراح الذين لم يكونوا طرفاً في الزاع. بهذا أعطى فوصة لأحبائه ليتمتعوا بحمايته فيهربون، كما قدم فوصة للجوع المقاومة له أن تعيد التفكير وتقدم توبة إن رادت.

سلم نفسه برادته ليكون سجيناً، ليس لأنه كان عاجزاً عن الهروب، وإنما لأنه لم يرد أن يهرب. و حين طلب منهم أن يتركوا تلاميذه يذهبون لم يتوسل إليهم، لأنهم كانوا في ضعف شديد، وإنما كان يأمرهم ليتركوا أنه صاحب سلطان، يهتم بخلاص تلاميذه كما يسلم نفسه من أجلهم ومن أجل المختلزين. أظهر حنوه على خاصته حتى في أمر لحظات الألم، ترفق بضعف إيمانهم وقامتهم الروحية غير النامية، فإنه لم يحن بعد وقت شركتهم معه في آلامه، ولا نالوا قوة الروح القدس الذي يسندهم. إنه لا يدعنا نُعرب فوق ما نحتمل، يعرف كيف يسمح بالضيق قدر الإمكانيات الموهوبة لنا، والقامة التي بلغناها.

"ليتم القول الذي قاله،

إن الذين اعطينتي لم أهلك منهم أحداً". [9]

- ❖ قال السيد المسيح: " فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون "، موضعاً حنوه إلى الساعة الأخيرة، كأنه قال لهم: إن كنتم تحتاجون إليّ فلا يكون لكم مع هؤلاء تصوف، فها أنا بذلت لكم ذاتي.

- ❖ بالهلاك هنا لا يعني الموت بل الهلاك الأبدى؛ وإن كان الإنجيلي في هذا الموضع عني أيضاً المعنى السابق (الموت) أيضاً. ربما يندهش أحد لماذا لم

يلقوا القبض عليهم معه، ويقاطعونهم لرباً، خاصة عندما أثّرهم بطرس بما فعله مع العبد. من إذاً الذي منعهم؟ ليس أحد سوى القوة التي دفعتمهم إلى الراء. هكذا لكي يظهر الإنجيلي أن هذا لم يحدث بمحض رغبتهم، بل بأمره (السيد) وقوته قد منعوا من ذلك، أضاف: " ليتم القول الذي قاله أن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحداً" [6] [1779].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ربما يتساءل البعض: لماذا ترك التلاميذ يهرون " ليتم القول الذي قال إن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحداً" [٩]، بينما سمح لمؤمنيه فيما بعد أن يحتملوا الاضطهاد والاستشهاد؟ لقد أراد لهم أن يهروا، لأنهم لم يكونوا بعد قد قبلوا الروح القدس الذي يسندهم وسط الاضطهادات، فكان يمكنهم أن ينكروا السيد المسيح كما أنكوه بطرس ثلاث مرات وقت محاكمة السيد، وبذلك يتعرض التلاميذ ليس للموت الجسدي، وإنما للهلاك الأبدي. [1780].

القديس أغسطينوس

2. قطع أن ملخس

"ثم أن سمعان بطرس كان معه سيف،

فاستله، وضرب عبد رئيس الكهنة،

فقطع أذنه اليمنى،

وكان اسم العبد ملخس". [10]

أخطأ سمعان بطرس إذ تصوف بما لا يليق به كتلميذ للسيد المسيح الذي دعا إلى عدم مقاومة السلطات (مت ٥: ٣٩)، وعدم مقاومة الشر بالشر. لقد كور السيد المسيح عدة مرات أنه ينبغي أن يتألم ابن الإنسان، كما أعلن أن ساعته قد جاءت، ومع هذا فقد قاوم بطرس بالكلام كما بالعمل ليمنع الآلام. وبينما كان يظن أنه يدافع عن سيده إذا به يعمل ضد رادته. لقد سمع منذ دقائق طلب السيد المسيح أن يتوكوا تلاميذه يذهبون في طريقهم بسلام، أما هو ف عوض ذهابه أصر أن يقف ويضرب بالسيف. حينما رأى سمعان بطرس سقوط الجوع أمام السيد المسيح تشجع ورأى أن يدافع بالسيف، لكنه ما أن رأى السيد المسيح مقبوضاً عليه تحت المحاكمة سوعان ما أنكوه ثلاث مرات.

اتسم بطرس بغوته المتقدة مع تسوعه، ومع هذا فإن ما فعله هو أنه قطع الأذن اليمنى للعبد. والعجيب أنه لم يجسر أن يضرب يهوذا كخائن لسيدته وفي مقدمة العصابة، بل ضوب عبداً. كانت نية بطرس صالحة، وهي الدفاع عن سيده، لكن هذه النية لن تيرر سوء تصوفه واستخدامه للسيف. كان يليق به أن ينتظر ما يأمر به سيده.

ربما كان بطرس يريد قتل عبد رئيس الكهنة، لكن الوب لم يسمح إلا بقطع أذنه لا ليبرز سلطانه في الشفاء وإعادة الأذن، وإنما ليعلن ترفقه حتى لمقاوميه. لم يسمح الله لبطرس أن يضرب رقبة العبد، لأنه ربما كان ذلك يثير الجند فيقتلون التلاميذ، ويحاكم السيد المسيح كمثير للفتنة والقتل.

ذكر الإنجيليون الثلاثة الآخرون هذا الحدث دون الإشارة إلى اسم الرسول بطرس واسم العبد ملخس، ربما لأنهما كانا لا زالوا عائشين، أما القديس يوحنا فذكر الاسمين لأنهما كانا قد رقادا.

❖ وثق بطرس الرسول في كلمات ربنا يسوع المسيح وآياته التي فعلها من قبل، فتووع بسلاح ضد الذين يهاجمونهم. فإن قلت: كيف امتلك بطرس

الرسول سيفاً هذا الذي أمر ألا يقتني ذهباً ولا ثوبين (مت 10: 9، 10) ؟ أجبتك: على ما يوح لظني أن بطرس الرسول خشي هذا الحادث بعينه،

فاستعد لذلك من قبل. وإن قلت: لقد أمر ألا يلطم أحداً (مت 5: 39) ، كيف صار قاتلاً للناس؟ وأبلغ ما يُقال إنه أمر ألا ينتقم. أجبتك: إنه حرب هنا

[1781]

ليس لذاته، لكن لمعلمه، ولم يكن التلاميذ كاملين .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بمثل هذا الفعل طلب التلميذ الدفاع عن سيده دون أي تفكير فيما يحمله العمل من معنى. لذلك حثه أن يملس الصبر، وسجل الحدث نفسه لكي نختبر فهمه...

تفسير "ملخس" هو "مُعِين لكي يملك". ماذا إذن يعني بالأذن التي قُطعت من أجل الرب وشفافا الرب إلا تجديد السمع الذي يَقْلَم (يشدّب) من عتقه لكي يتمتع بجدة الروح، وليس بعنق الحرف؟ من يستطيع أن ينكر أن الذي يفعل معه المسيح هكذا لا يُعِين أن يملك معه؟ لقد وُجد كعبدٍ محتاج إلى العنق من للعبودية... ليتمتع بالشفاء والحرية [1782].

القديس أغسطينوس

" فقال يسوع لبطرس: اجعل سيفك في الغمد.

الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟" [11]

لم يَصْخَم السيد المسيح من الموقف بل في حنوٍ ورقةٍ وبخٍ تلميذه الحسن النية، وقام بشفاء العبد. بلطف وبخه، حتى لا يستخدم السيف المادي، بل سيف كلمة الله القادر على النصرة. اتهمه السيد المسيح بأنه مقاوم لإرادة الآب الذي أعطى الابن الكلمة المتجسد كأس ليثوبها، وإن كانت تبدو موة للغاية.

لقد صمم السيد المسيح أن يشرب كأس بسببنا، كأس الألم حتى الموت موت الصليب، لكي يقدم لنا كأس الخلاص، كأس البركة الإلهية والتغويات السماوية. أراد أن يشرب كأس في طاعة لأبيه محب البشر الذي يعلم شوق ابنه الوحيد لخلاص البشر. ونحن أيضًا إذ نتقبل من يدي الله كأس الآلام نذكر أنها كرامة عظيمة لنا أن نشرك الابن الوحيد الجنس آلامه وصلبه وكأسه؛ نتقبلها من يد الآب الذي يحبنا ووعانا، وبحكمته يعلم قدر احتمالنا وما فيه نفعنا. إنه أب حكيم قدير لن يخطئ التقدير قط!

بالحب والطاعة شرب السيد كأس الآلم ثرة خطايانا لنشرب نحن كأس الخلاص الموح، واهب البركة والتغوية. يليق بنا نحن أيضًا أن نشرك مسيحنًا شرب كأس التي نتسلمها من الآب بوحٍ ومسوةٍ. إنها مجرد كأس صغير، وليست نواً ولا بواً؛ ليست جحيماً، بل نواً هيناً إلى لحظات. آلامنا مع المسيح هي كأس تُقدم لنا كهبة إلهية، يقدمها لنا الأب خلال أботه الحانية لمجدنا لا لضياعنا. يشير كأس إلى نصيب الإنسان من الحياة سواء كان من الأواح أو الأتعاب، هنا يشير إلى آلام المسيح النهائية التي قبلها مسوة من يد الآب لأجلنا.

1. قال السيد المسيح لبطرس الرسول "الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟"، موضحاً أن الحادث لم يكن من اقتدار أولئك، لكنه من سلطانه، وأظهر أنه ليس مخالفاً لله، لكنه مطيع لأبيه إلى الموت [1783].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أصل هذا كأس هو هذا الذي مع (المسيح) وقد شربه، إذ يقول الرسول: "أحبنا المسيح، وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة" (أف ٥: [1784]) (٢).

القديس أغسطينوس

" ثم أن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه". [12]

حنو السيد المسيح على ملخس وشفاء أذنه لم يؤثر على ثرة الجمع المحتشد ضده.

انفود هذا الإنجيلي بذكر أنهم إذ قبضوا عليه أوثقوه. أوثقوه كمن نالوا نصرة عليه، ولعلمهم خشوا أن يصنع معجزة فيفلت من أيديهم، لذلك أحكموا الوثق جداً. يُقال أنه إذ سلم نفسه رُأوا ضمان السيطرة عليه فقيوه بعنفٍ شديدٍ، حتى كان الدم يخرج من أطراف أصابعه. أوثقوا يديه خلفه، ووضعوا قيوداً حديدية في رقبته، وصلاروا يجرونه. بدأت سلسلة العذابات والإهانات بكل وسيلة ممكنة. كان العبيد وحدهم هم الذين يوثقون قبل إثبات

ديوننتهم. لقد قبضوا على يسوع وأوثقوه ليس عن ضعف أو عجز، ولا عن عدم قوة للهروب، ولكن لأنه كان يريد خلاصنا بالصليب. ما كان يمكنهم أن يوثقوه لو لم يوثق نفسه بقرون المذبح بحبال الحب الفائق، كحملٍ يُقدّم ذبيحة عن العالم. لم يركبوا أنه قد رُبط عوضاً عنا نحن الذين تربطنا بحبال آثامنا (أم ٥: ٢٢) ونير العصيان (مراثي ١: ١٤)، فإن الشر هو رباطات النفس التي تسحبنا أمام قضاء الله. الفساد هو رباط النفس الذي يقودنا إلى مملكة إبليس. وإذا صار مسيحنا خطية من أجلنا قبل أن يُربط بالحبال لكي يحررنا من قيودنا. صار تحت القيود لننعم نحن بالحرية.

إذ قبل القيود خلال محبته صلت لنا كرامة الشوكة معه أن نُقيد بالطاعة والحب لله. نفتخر بقيود الحب فنقول مع الرسول: "اذكروا قيودي" (١ كو ٤: ١٨)، بكونها شوكة قيود مع المسيح. قيوده حولت القيود من علامة العبودية والشر إلى علامة شوكة الحب، فلا عجب إن تهلل بولس وسيلا في قيودهما ليسبحا الله في منتصف الليل داخل السجن، ويحسبها القديس أغناطيوس الأنطاكي لآلى روحية ثمينة.

القائد Chiliarches هنا هو قائد الألف، ربما كان قائد جند الهيكل أو الحاكم الروماني المسئول عن أمن الهيكل وحواسته. لقد تحققت النوات فقد أحاطت به الثوان (مز ٢٢: ١٢)، أحاطت حوله كالنحل (مز ١١٨: ١٢). وتحققت الوموز، فقد رُبط اسحق لتقديمه محرقة، ورُبط يوسف لكي تجتاز القيود نفسه، ويدخل السجن ظلاماً، ورُبط شمشون ليقته الفلسطينيين، وقال عنه إشعياء النبي: "من الضغطة ومن الدينونة أُخذ" (إش ٥٣: ٨).

3. أمام حنان

في الاستعمار الروماني كان ما يشغل روما الجزية التي تقدم للإمباطور، والسلطة العسكرية لضمان قوة الإمبراطورية وسلطانها، لهذا لم تُؤم المستعمرات بتغيير اللغة والثقافة والدين وممارسة الشؤون الداخلية. فكانوا يتكلمون اللغات المستعمرات تملس المحاكمات المدنية والجناية حسب تقاليدها، مع حق الحاكم الروماني في التغيير إن استوجب الأمر. كما كان للحاكم أن يقضي في الشؤون التي تمس سلام الدولة، خاصة أن أثار أحد شعبيًا عامًا، أو فتنة ضد الدولة الرومانية، لهذا كانت محاكمة يسوع المسيح أمام رؤساء الكهنة وفي مجمع السنهوين أمراً طبيعياً، أما إن صدر الحكم بالقتل، فكان يؤم تثبيت الحكم بواسطة الحاكم الروماني.

لقد خشيت القيادات الدينية أن يرفض الحاكم الروماني قتل يسوع المسيح لسبب ديني، لذلك قدمت الشكاية من جانبين: ديني كمجديف، وجنائي كمثير فتنة ضد الدولة الرومانية.

"ومضوا به إلى حنان أولاً،

لأنه كان حما قيافا الذي كان رئيساً للكهنة في تلك السنة". [13]

حنان : اسم عوي، اختصار حنانيا، معناه "يهوه قد أنعم"، رئيس كهنة في أورشليم.

قيافا : اسم رامي، ربما كان معناه "صخرة" وقد كان رئيس كهنة لليهود، إذ لم تعد وظيفة رئيس الكهنة مدى الحياة كما كانت سابقاً.

كان من المتوقع أن يُلقى في السجن حتى الصباح لمحاكمته، لكن قوات الشر كانت تخشاه، فأسعت بإجراءات المحاكمة الدينية ليلاً، وبقيت تعمل حتى الصباح. كانوا في ظمأ نحو دم المسيح، كفريسة سقطت بين أيديهم. انطلق الموكب ليلاً أولاً من جبل الزيتون في أورشليم إلى متول حنان حمى قيافا رئيس الكهنة في تلك السنة، ربما لأن متوله كان في الطريق، ولعلمهم رأوا أن ينالوا فتواه كرئيس كهنة سابق مختبر وشيخ، وهم يعلمون أنه مع شيخوخته متعطش إلى سفك دم يسوع المسيح، فلا يُحسب ذهابهم في منتصف الليل راجعاً له بل تكريماً. هذا ولعلمهم ذهبوا لنوال الأجرة، فقد حققوا خطته، وتمموا نصيحته: "أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب" [١٤].

قاده إلى سادتهم، وكان الوقت في منتصف الليل. بناء على توجيهات قيافا انطلق الموكب إلى حنان أولاً، لكي يثبت حكمه دينياً أمام الشعب بأنه لا خلاف قط بين كل القيادات الدينية على الخلاص من يسوع. ذهبوا به لإقامة جلسة غير رسمية مخصصة لجمع الأدلة على الاتهامات

الموجهة ضد يسوع. أما الجلسة الرسمية فكانت في الصباح أمام رئيس الكهنة قيافا الذي تولى الرئاسة. لم يكن متوقعًا أن يحضر حنان محاكمته الدينية أمام مجمع السنهريين في الصباح المبكر جدًا، وكوئيس كهنة قدمت له الذبيحة لفحصها أنها بلا لوم! هذا وإحضره لحنان حما قيافا يعطي الأخير سندًا لمحاكمته يسوع المسيح مستندًا عل قار حماه.

كان لحنان سلطانه القوي وسط أمته، لأنه عاش كرئيس كهنة لمدة طويلة. ولأنه على الأقل خمسة من أبنائه تولوا رئاسة الكهنوت بالتتابع، وفي تلك السنة تسلم زوج ابنته رئاسة الكهنوت.

لم يجد حنان حاجة إلى تأخير الذبيحة بل بعث بها فورًا إلى زوج ابنته قيافا حيث جمع أعضاء السنهريين في بيته، وربما في المكان المخصص لهم في الهيكل، لإصدار الحكم فورًا دون تأجيل. فالأمر في أذهانهم لا يحتاج إلى فحص ومدلولات. كان حكم قيافا مقدمًا بأنه لصالح الشعب كله أن شخصًا واحدًا يموت، سواء كان بحقٍ أو ظلم، كان بريئًا أو مذنبًا. فإن الصالح العام يقتضي هذا.

❖ فإن قلت: ولم جاعوا بالسيد المسيح إلى حنان؟ أجبتك: بسبب رغبتهم في القبض عليه، شهبوا بما فعلوه، وحالهم حال قوم قد نالوا انتصلاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ مضوا به إلى أولئك الذين لم يجنوا قط إمكانية الدنو إليه. لأنه استمر في كونه النهار (المضيء) بينما بقوا هم كظلمة. إنهم لم يبالوا بالكلمات: "تعالوا إليه واستتبروا" (مز 34: 5). لو أنهم اقتربوا إليه لاقتنوه، لا بأياديهم لقتله، بل بقلوبهم للتوحيب به. على أي الأحوال إذ أمسكوا به بهذه الطريقة زادت الهوة جدًا بينهم وبينه. لقد أوثقوا ذلك الذي كان يؤرم أن يلهمهم.

[1785]

القديس أغسطينوس

"وكان قيافا هو الذي أشار على اليهود،

أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب". [14]

❖ لماذا يذكرنا الإنجيلي بهذه النوبة؟ إنه يعلن أن هذه الأمور قد تمت لأجل خلاصنا. هكذا هي قوة الحق المتوايدة، فإنه حتى الأعداء يعلنون الأمور مقدماً [1786].

القديس يوحنا الذهبي الفم

4. إنكار بطرس

" وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع،

وكان ذلك التلميذ معروفًا عند رئيس الكهنة،

فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة". [15]

لقد هرب بطرس أولاً مع بقية التلاميذ، لكنه عاد يتبع المسيح من بعيد ومعه الإنجيلي يوحنا. وي القديس جيروم أن يوحنا تبع السيد المسيح حتى الصليب لأنه كان معروفًا لدى رئيس الكهنة كإنسان له موكبه [1787]، من عائلة لها سمعتها وتقديرها. والبعض وي أنه كان يبيع السمك لبيت رئيس الكهنة أو لخدمه، لهذا تركه يتبعه حتى لحظات الصليب.

❖ وإن سألت: لم يذكر اسمه؟... لأنه ذكر هنا فضيلة عظمى لم يحكمها، لأن تلاميذه فروا هاربين، وهو لحقه، لهذا السبب أخفى نفسه، وقدم بطرس الرسول عن نفسه. وحتى لا يُقال كيف لما انصرف التلاميذ كلهم دخل هذا التلميذ إلى دار رئيس الكهنة؟! ذكر أنه " كان ذلك التلميذ معروفًا عند رئيس الكهنة "، حتى لا يتعجب أحد أنه لحقه، ولا يصفه بالشجاعة [1788].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" وأما بطرس فكان واقفاً عند الباب خرجاً،
فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفاً عند رئيس الكهنة،
وكلم البوابة فأدخل بطرس". [16]

❖ مجيئه إلى هناك كان من شوقه، ووقفه نون أن يدخل إلى داخل كان من رتياعه وخوفه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فقالت الجارية البوابة لبطرس:

لست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان؟

قال ذلك: لست أنا". [17]

ربما كان لبطرس شيئاً من العذر لو أن الذي تحدث معه هو ملخس عبد رئيس الكهنة وقال: "أنت الذي قطعت أذني فسأقطع رأسك". لكن تحدثت معه الجارية البوابة، وكان يليق به في شجاعة أن يعتر بأنه تلميذ هذا الإنسان أو على الأقل خلال الحكمة البشرية يصمت، لكنه أنكر بالرغم من تحذير الرب له أنه سينكوه ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك.

وي Calzarius أن اسم الجارية Ballila ، ويلاحظ أنه كان من الشائع في أغلب الأمم القديمة أن يقوم بهذا العمل سيده "بوابة"، غالباً ما كانت هذه السيدة عجوز (2 صم ٤: ٦).

❖ ماذا تقول يا بطرس؟ ألم تعلن: "إن لؤم الأمر أن أضع نفسي من أجلك إني أضعها"؟ ماذا حدث إذن حتى أنك لم تقدر حتى أن تحتل تساؤل جارية؟ هل سألك جندي؟

هل هو أحد الذين قبضوا عليه؟

لا بل جارية بسيطة في مذلة، ولم يصدر التساؤل من جنس عنيف.

إنها لم تقل: "ألست أنت تلميذ ذلك المخادع المفسد؟"، بل قالت: "هذا الإنسان"، وهو تعبير يحتمل نوعاً من الشفقة عليه واللين. لكن بطرس لم يقدر أن يحتمل أية كلمة في هذا الأمر... لقد تحدثت بلطف، لكن بطرس لم يبرك هذا، ولا حسب الأمر هكذا في ذهنه [\[1789\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

" وكان العبيد والخدام واقفين، وهم قد أضوموا جمرًا،

لأنه كان برد.

وكانوا يصطلون،

وكان بطرس واقفاً معهم يصطلي". [18]

اصطحب العبيد والخدام الواقفين حول النار ربما لكي لا يشك أحد في أمره كتلميذ ليعوس، ويظنوه واحداً منهم. اصطحب الأشرار ليستدفي معهم، ولم يبرك أنه بهذا يلهب نار التجربة ضده فيحترق، ولا غنى نعمة الله التي انتشلته. وسط هذا الجو الرهيب من الكراهية وجّه الإنجيلي يوحنا أنظرنا نحو الجحود الثلاثي الذي سبق فكشف عنه ربنا يسوع لتلميذه بطرس الذي ملرس هذا الجحود.

أضوم العبيد والخدام نواً، لأنه كان برد. لم تشغلهم محاكمة يسوع المسيح، بل كان يشغلهم الدفاء من برد الجو. وكما قيل: "الشربون من كؤوس الخمر والذين يُدهنون بأفضل الأدهان ولا يغمثون على انسحاق يوسف" (عا ٦: ٦). لعل هؤلاء كانوا خدام رئيس الكهنة ومعهم الجند الرومان الذين قاموا بدورهم العنيف في القبض على يسوع واقتياده إلى حنان ثم إلى بيت قيافا، وعندئذ سُمح لهم بالانصواف عن مجلس المحاكمة. أما رئيس

الكهنة ومن معه، فكانت غيوتهم لقتل يسوع قد أنستهم الورد.

كان يليق ببطوس أن يهرب من صحبة الأثوار مودداً قول الموثل: "لا تمل قلبي إلى أمرٍ رديءٍ لأتعلل بعلل الشر مع أناسٍ فاعلي إثم، ولا أكل مع نفائسهم" (مز 141: 4). لكنه وقف يستدفي مع العبيد والخدام عوض موافقة السيد المسيح في محاكمته لعله يطلب شهادته. لقد تجمدت غوة بطوس من الورد الداخلي ووقف يستدفي مع مقومي الحق، فعوض نفسه لخطر ججوده لسيدته.

❖ يقول الإنجيلي يوحنا: "لأنه كان يورد". إن وضعنا في اعتزلنا الموسم، ربما لم يكن ممكناً أن يكون الجو برداً، لكن يكون يورد عندما لا يُعرف المسيح، عندما لا يوجد من وى النور، عندما تُجدد النار الآكلة. وقف بطوس بجوار كانون الجمر، إذ شعر أنه يتجمد. الشر ذو لهيب يهودي، يحرق ولا يقدم دفناً.

الشر هو الموقد الذي يلهب ظلام الخطأ حتى في أذهان القديسين، فقد أظلمت عينا بطرس الداخلتين [1790].

القديس أمبروسوس

5 . حوار مع رئيس الكهنة

" فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه". [19]

ربما سأله رئيس الكهنة بأي سلطان يقيم له تلاميذ، ويشكل جماعة دينية تركز بتعاليم جديدة، ويجعل من نفسه مصلحاً عاماً. سأله عن تلاميذه لكي يثبت الاتهام المدني أنه مثير للشغب ضد الدولة، وأنه خطر على الحكام الرومان، له تلاميذ يقولون السلطات. كما سأله عن تعليمه لكي يؤكد الاتهام الديني أنه مجدف ونبي كاذب، يعمل ضد الناموس خاصة بأمن الكنيسة اليهودية. لتثبيت ضرورة قتله أثار الجانبين: الجانب السياسي والجانب ديني وكلا الاتهامين عقوبتهما الموت! أراد أن يُسقط السيد المسيح تحت جنافية. لم يسأله عن أعمال محبته ومعجزاته، لأنه لم يكن قانواً على إنكلها كأعمال إلهية، وهو يعلم أن هذا قد يثير أذهان الحاضرين لإعادة التفكير في أمره بسبب أعماله الفاتحة.

إذ كان قيافاً قد أراد أن ينصب الشباك لتلاميذ يسوع كمسببي شغباً، صمت السيد المسيح من أجل حنوه عليهم، وبعد الإجابة بخصوصهم أخرجهم من هذه الشباك. فقد جاء السيد المسيح لخلصهم وتقديسهم، لذلك صمت من جهتهم لخلصهم من أيدي المقاومين. هذا وإذ يدافع عن تعاليمه لا يوجد مجال لاتهام التلاميذ الذين يملسون ما يسمعون من تعاليم.

❖ يا لخبث رئيس الكهنة، لقد سمع السيد المسيح في الهيكل يخاطب الشعب باستتوار، معلماً إياهم بمجاهرة، فلأد الآن أن يعرف... مويداً أن يطعن في السيد المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" أجابه يسوع:

أنا كلمت العالم علانية.

أنا علمت كل حين في المجمع وفي الهيكل،

حيث يجتمع اليهود دائماً،

وفي الخفاء لم أتكلم بشيء". [20]

بخصوص الاتهام الثاني طلب شهادة الجوع أنفسهم لأنه كان يتحدث علانية، لكل من له أذن للسمع لكي يسمع، أي لكل من وغب في الاستماع

إلى الحق، سواء كان من الطبقات العليا أو الدنيا، من المتعلمين أو الأميين، من اليهود أو الأمم، يحمل صداقة أو عدوة.

إنه كالشمس التي تلقي بأشعتها في كل موضع. كان يتحدث علانية في الهيكل كما على الجبل وعلى الشواطئ. يتحدث في الأعياد والسيوت وكلما حان وقت مناسب للكلمة. إنه الحكمة التي تتادي في كل موضع لعل أحد ما يميل إليها (أم ٨: ٣؛ ٩: ٣). استخدم السيد المسيح كلمة "علانية"، وهي تحمل أيضًا معنى "الحوأة"، فإنه لم يعلم في زاوية خفية كمن هو خائف أو كمن يطلب ود إنسانٍ ما. هو معلم الجميع، يطلب بنيان الكل.

بقوله "خفية" لا ينفى لقاءاته الشخصية مع أواد أو مع تلاميذه وحدهم. لقاءاته الشخصية لم يحسبها أحاديث خفية، بل هي كتاب مفوح أمام الجميع، لأن ما ينطق به مع أحدٍ على انفراد يتناغم مع تعليمه العام. فما تحدث به مع السامرية أعلنته لأهل المدينة، فجاءوا إليه يحدثهم بذات التعليم. وقد أعلن السيد نفسه أن ما يُقال في المخادع يُعلن في السطوح (مت ٣٠: ١١). هكذا يليق بالمؤمن أن يقتدي بسيدته في هذا الأمر (رو ١٠: ٦).

يؤكد السيد المسيح أن وصيته ليست مخفية. وكما جاء في سفر التثنية: "إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ليست عسوة عليك، ولا بعيدة منك" (تث ٣٠: ١١). ويقول العلامة **توتليان**: [لا يخشى الحق شيئًا سوى إخفاءه]. كأنه يقول: لماذا تسألني؟ أسأل الخدام الذين أرسلتهم أنت ومن معك من رؤساء الكهنة والفريسيين، فقد سبقوا فقدموا لكم عني تقويًا: "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان" (يو ٧: ٤٦). ولعله كان بعضهم من الذين جاؤوا للقبض عليه، وحضروا محاكمته الدينية، لكنهم صمتوا عن الحق الذي سبق أن شهروا عنه.

واضح أن كلمة "العالم" تشير إلى العالم اليهودي، لأن السيد المسيح تحدث معهم علانية، أما مع الأمم فالتقى على مستوى فودي مع أشخاص معينين رأوا الحديث معه أو التمتع بأعمال محبته.

لم يرق السيد المسيح مرساة سوية، بل كانت أحاديثه عامة وصريحة. وأنه لم يقف هو أو تلاميذه موقف المثوين ضد المجتمع أو الدولة.

كان القاضي هو نفسه المُدعي مقدم الاتهام، والمتهم نفسه هو المحامي عن نفسه والشاهد.

❖ ما هذا؟ ألم يتكلم قط في الخفاء؟ حقًا قد تكلم، ولكن ليس كما كانوا يظنون أنه تكلم عن خوف أو لیسبب منزلعات، ولكن في كل وقت كانت منطوقاته عالية جدًا عن مسامع الكثيرين [\[1791\]](#).

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "أنا كلمت العالم علانية" [٢٠]. إنه تكلم علانية إذ سمعه كثيرون؛ مرة أخرى لم يكن ذلك علانية لأنهم لم يفهموا حتى ما تكلم به مع تلاميذه وحدهم، بالتأكيد تكلم معهم خفية... لكنه أراد أن يُعرف ذلك لكثيرين بواسطتهم، إذ قال للقلّة القليلة في ذلك الحين: "الذي أهوله لكم في الظلمة قولوه في النور، والذي تسمعون في الأذن نادوا به على السطوح" (مت ١٠: ٢٧). بهذا فإنه حتى ما يبدو أنه قاله لهم خفية كان بمعنى ألا يكون في خفية، إذ لم يقل هذا ليبقى السامعون لا ينطقون به، بل بالأحرى يكرزون بكل طريقة ممكنة. هكذا يمكن أن ينطق بالشيء علنًا وليس علنًا في نفس الوقت [\[1792\]](#).

القديس أغسطينوس

"لماذا تسألني أنا؟"

إسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم.

هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا". [21]

طلب شهادة من سمعوه ليس من تلاميذه أو أحبائه ليدافعوا عنه، وإنما شهادة خدام الهيكل والشعب الذي استمع إليه. فقد قالوا: "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان" (يو ٧: ٤٦). هذه هي شهادة الخدام أمام رؤساء الكهنة والفريسيين.

جاءت إجابة ربنا يسوع لرئيس الكهنة تحمل اتهامًا ضمنيًا ضد رئيس الكهنة أن إهراءات المحكمة خاطئة، وأنه يقربص على خطأ غير موجود،

وأن المحاكمة ملفقة ومخادعة. لهذا صفعه أحد الخدام مدافعًا عن كرامة رئيس الكهنة حسب زعمه [22].

❖ هذه ليست أقوال متكبر، لكنها أقوال واثقة بحقيقة ما قاله. وكان السيد المسيح قال لرئيس الكهنة: أتسألني عن تلاميذي؟ أسأل أعدائي المتآمريين

عليّ، الذين ربطوني... لأن هذا هو وهان للصدق الخالي من الشك والإرتياب، أن يستدعي أحد أعداءه شهودًا لما قاله، فقد كان يجب على رئيس الكهنة أن يفعل هكذا، لكنه لم يعمل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا قائلاً:

أ هكذا تجاوب رئيس الكهنة؟" [22]

وى البعض أن الكلمة هنا تعني ليس لكمة بيده بل بالعصا الخاصة بعسكر الهيكل، ضربه بها على وجهه. وهي ذات الكلمة التي استخدمت في ميخا ٥: ١ "يضوبون قاضي إسرائيل بقضيب على خده"، وفي أيوب ١٦: ١٠ "لطموني على خدي تعبيراً".

لم تحمل كلمات السيد المسيح جفاء أو قسوة بل شفقتة تستشفّ من الكلمات. تحدث بوداعة ورقة مع شجاعة، دون أية إهانة لرئيس الكهنة، لكن إذ كانت كلماته مقنعة وتجبب على اتهام الكهنة لهذا عبّر الخادم عما في قلب رئيس الكهنة وما يود أن يفعله. لم يدر هذا الخادم أن يفعله هذا أعلن شخص المسيا الذي تنبأ عنه الأنبياء: "بذلت ظهري للضربين وخدي للناقنين، وجهي لم أستر عن العار والبصق" (إش ٥٠: ٦). "يضوبون قاضي إسرائيل بقضيب على خده" (مي ٥: ١). "فغروا عليّ أواهمم، لطموني على فكي تعبيراً، تعاونوا عليّ جميعاً" (أي ١٦: ١٠).

يعتقد البعض أن هذا الخادم هو ملخس الذي شفى السيد المسيح أذنه، فردّ عمل الحب الإلهي بالجوهر والعنف. ولعله كان أحد الخدام الذين شهوا للسيد المسيح أمام رئيس الكهنة والفريسيين (يو ٧: ٤٦) فخشي أن يطلبه يسوع شاهداً على كلماته وتعاليمه، أو لأن السيد شفاه خشي أن يُتهم بأنه صديق ليسوع على حساب الهيكل وولائه لرئيس الكهنة وللشعب، لذلك أظهر نوعاً من العدوة.

❖ لتعبي أيتها السماء، وتوعّي أيتها الأرض من أجل حلم الرب وطول أناته ولقلة تحفظ عبيده. ماذا قال (السيد)؟ إنه لم يقل: "لماذا تسألني؟ كمن يرفض أن يتكلم معه، إنما أراد أن يزع كل ستار عن سلوك أحق، بل يكون فوق هذه اللطمة مع أنه قادر أن يحطمها ويزيلها، ويزع كل شيء، لكنه لم يفعل شيئاً من هذا، بل نطق بكلمات يمكن أن تهدئ من كل وحشية" [1793].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجابه يسوع:

إن كنت قد تكلمت ردياً فأشهد على الودي،

وإن حسناً فلماذا تضربني؟" [23]

بإجابته على ضربه أعطى المؤمنين حق الدفاع عن أنفسهم لا الانتقام لأنفسهم ، مع الاتّوأم أن يكون الدفاع داخل دائرة الحب والحق والوداعة. فالسيد المسيح احتمل الضرب والإهانة ولم يهدد.

كان يمكن للسيد المسيح أن يجيب هذا الخادم بعملٍ معزّي كتيبيس يده أو بشق الأرض لتبتلعه الخ. لكن أجابه في وداعة وحكمة، دون أن يقدم له الخد الآخر كما أوصى في مواعظته على الجبل (مت ٥: ٣٩). بهذا علم الجميع أنه يوجد من يحول الخد الآخر جسمانياً لكن قلبه يحمل كراهية لمن يضربه، أما السيد المسيح فقد حوّل كل جسمه ليُصلب بالحب حتى من أجل ضربه. فالتحول يؤم أن يكون في الداخل.

❖ ينقصنا صبر مخلصنا الذي أفتتد كحملٍ للذبح ولم يفتح فاه، بل وحمّة قال لضربه: "إن كنت قد تكلمت ردياً فأشهد على الودي، وإن حسناً فلماذا تضربني؟" [1794]

القديس جيروم

[1795]

❖ لم يجب الوب رئيس الكهنة باستخفاف، ولم يحط من قوره نهائياً من كرامته ككاهن، إنما أكد بالأحرى واعته .

الشهيد كيريانوس

❖ أظهر هنا بالأحرى ما يجب إظهاره، وهو أن هذه الوصايا العظمى التي له (كتحويل الخد الآخر للاطمين) تتم لا بتباهٍ جسدي بل بإعداد القلب. فإنه يمكن حتى الإنسان الغضوب أن يحول خده الآخر ظاهرياً [1796].

القديس أغسطينوس

"وكان حنان قد أرسله موثقاً إلى قيافارئيس الكهنة". [24]

واضح أنه قد حُلت وثق السيد المسيح أثناء محاكمته أمام حنان لفحصه، والآن قد أوثق مرة أخرى، وإن كان البعض يرى أن العبارة تحتمل أنه كان موثقاً حتى في لحظات محاكمته، وأُرسِل كما كان الحال عليه موثقاً إلى قيافا. لم يشغل القديس يوحنا الإنجيلي عرض الأحداث بتوثيق زمني. فما ورد هنا يأتي بعد الآية ١٣ مباشرة من جهة التوثيق الزمني.

6 . إنكار بطرس مرتين

" وسمعان بطرس كان واقفاً يصطلي،

فقالوا له:

ألسنت أنت أيضاً من تلاميذه؟

فأنكر ذلك، وقال لست أنا". [25]

ربما سمع بطرس أن رئيس الكهنة سأل السيد المسيح عن تلاميذه [١٩]، فخشى أن يُقبض عليه أو يتعرض لضربات مثل سيده، لذلك أنكر أنه من تلاميذه. لقد ألقى بنفسه في التجربة للمرة الثانية، إذ وقف بين الخدام يصطلي. أراد أن يستدفي بنار الأشرار، فحمل برودة من جهة الحياة الصالحة. كان يليق به أن يستدفي بنار محبة المسيح التي لا تقدر مياه كثيرة أن تطفئها (نش ٨: ٦-٧).

بيوي لنا القديس يوحنا الإنجيلي قصة مؤلمة تُعد بين آلام السيد المسيح، لا تقل عن آلامه الجسمانية وهي إنكار بطرس له ثلاث مرات.

الإنكار الأول : كان خرجاً أو تحت في قاعة دار قيافا. لم يكن يسوع في عليّة الدار أمام رئيس الكهنة. أنكر بطرس أمام البوابة الجلرية وهو واقف يصطلي مع الخدام [١٦، ١٨].

الإنكار الثاني : بعد الإنكار الأول بفترة وجيزة (لو ٢٢: ٥٨). حتماً انسحب من الموقع إلى مدخل القاعة يستدفي بعد إنكاره الأول (مت ٢٦: ٧١) كان ذلك وقت الصباح الأول لديك بعد منتصف الليل مباشرة. لكن تبعته الجلرية وبعض من معها، خاصة وأن الاتصال بين الموضعين مباشر. هناك اتهمه رجل ربما بإثارة الجلرية له. إذ أثرت البرأة الموقف غالباً ما انهلرت التسؤلات من كثيرين ليتعرفوا على حقيقة أمره. فلا يفهم من تسؤل الرجل عن شخص سمعان بطرس أن الباقيين وقفوا صامتين، فإن الموقف كان يهز المدينة كلها، ولا شك حدث صخب مع تسؤلات كثيرة من كثيرين.

الإنكار الثالث : داخل القاعة على مرأى من يسوع، وإن كان عن بعد. بعد حوالي ساعة من الإنكار الأول وجه الحاضرون الاتهام الثالث ضده أنه جليلي (لو ٢٢: ٥٩)، مع تأكيد أنه من تلاميذه، وقد أُورد القديس يوحنا أن أحد أقرباء ملخس قد دعم الاتهام [٢٦]. كان الإنكار هذه المرة حرّاً، هنا صاح الديك للمرة الثانية.

سقط بطرس في سلسلة من الأخطاء والخطايا، كل خطية تدفع به إلى أخرى حتى بلغ إلى ما لم يكن يتوقع حدوثه قط. بدأ بطرس بثقته في نفسه أنه مستعد أن يموت مع معلمه، خلال هذا الاعتزاز البشوي الصادر عن ذات معتدة بنفسها اهتم بنفسه فانطلق يستدفي بنارٍ في وسط صحبة الأشرار، ومع كل سقوط في الإنكار عن ضعف بشوي يتلقفه إنكار أشد وأمرّ، بالرغم من تحذيرات السيد له. ومع الصباح الأول لديك، العلامة التي قدمها له السيد، لم ووجع عما هو فيه. كان بطرس في حاجة إلى نظرة المسيح إليه لتبعث فيه روح التوبة المملوءة رجاءً.

❖ يا للعجب من بطرس الحار في الشوق، الثابت فيه، كم استحوذ عليه السهو، بعد أن أوثقوا السيد المسيح ومضوا به، لم يتحرك، لكنه لبث يستدفي

أيضاً، ثم لما سُئِلَ أنكر أيضاً، لكي تعرف ما هو مبلغ ضعف طبيعتنا (لو 22: 62).

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال واحد من عبير رئيس الكهنة،

وهو نسيب الذي قطع بطرس أذنه:

أما رأيك أنا معه في البستان؟" [26]

حاول بطرس أن يخفي شخصيته كتلميذٍ للمسيح، ولم يعلم أنه ليس خفي إلا ويظهر. يوجد مثل شائع جاء فيه أنه ربما عصفور طائر في الهواء

يخبر بما نخفيه كذباً.

❖ لماذا كتب الإنجيليون في اتفاق بخصوصه؟ ليس لاتهام التلميذ، وإنما من أجل تعليمنا أي شر عظيم ألا نترك كل الأمور في يد الله، بل نعتمد على

أنفسنا. لكن لا تندهشوا من رعاية سيده المتوفقة، فقد سبق ففكر في تلميذه، لكي يرفع بطرس حينما يسقط، وذلك بتطلعه إليه فيسبح به في بحر

[\[1797\]](#)

الدوع .

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأنكر بطرس أيضاً،

وللوقت صاح الديك". [27]

[\[1798\]](#)

❖ انظروا، فقد تحققت نوة الطبيب، وجاءت وقاحة المريض إلى النور .

القديس أغسطس

7 . في دار الولاية

" ثم جاؤا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية،

وكان صبح،

ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية،

لكي لا يتجسوا،

في أكلون الفصح". [28]

لماذا قدم لبيلاطس الوالي لمحاكمته؟

1 . لكي يصدر الحكم بموته بطريقه شرعية حسب دستور البلد كمستعمرة رومانية.

2 . لو لم يقدم للمحاكمة الرسمية لتحول الأمر إلى شغب ولم يكن يصلب، إذ هذا من حق الوالي وحده، وإنما لرحمه المشاغبون ولم تتحقق

النوات.

3 . ربما خشيت القيادات اليهودية الدينية من ثورة الشعب عليهم، لذلك حسوا أن محاكمته الرسمية تعطيم شيئاً من الشرعية، وضبط الشعب إن

انقلب عليهم.

4 . لكي يصبغوا موته بصبغه العار والفضيحة، فكان الصلب مستخدماً عند الرومان، وهو أكثر أنواع الموت خزيًا. فقد رأدت القيادات أن تفسد

سمعته تمامًا وتطمس كل شهرته.

الآن يقدم لنا الإنجيلي صورة حية لمحاكمة السيد المسيح أمام بيلاطس الحاكم الروماني، في قاعة القضاء في دار الولاية, praitoorin,

praetorium. فقد بدأت إجراءات محاكمته مبكراً جداً. كانت الأحداث تجري بسوعة حتى يحقق السنهترين خطته مدعمة بحكم مدني قبل أن يحدث انشقاق بين الشعب حول شخص يسوع. ظن البعض أنها بين الساعة الثانية والثالثة صباحاً، وآخرون أنها بين الخامسة والسادسة صباحاً، وكانت القيادات تستعجل هذه الإجراءات والناس نيام حتى يقللوا من خطر هياج الشعب عليهم، أو خطر إعادة النظر في أمر السيد المسيح، فبعد ثورتهم عليه يعيدوا ويلتزمون بالوقوف في صفه ضد القيادات.

كان الأمر في أذهان اليهود غاية في الخطورة، إذ كانوا يدفعون الضابط الروماني الكبير الوالي بيلاطس بنطس للحكم عليه، بينما كانت الجماهير مضطرة إلى البقاء في خراج دار الولاية لئلا يتدنسوا طقسياً بدخولهم محكمة وثنية في أيام الفصح، أو بيت أممي غير ملتمم بالطقوس الخاصة بهذا الأسوع كزعر الخمرة. كان اليهود يحسبون أن مجرد لمس شخص أممي يسبب لهم نجاسة، خاصة في وقت الفصح. كانوا يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل.

بحسب الشريعة من يدخل مكاناً دنساً يتدنس، ومن يدخل خيمة يوقد فيها ميت يحسب دنساً (عد 19: 14). طقسياً الشخص غير الطاهر لا يقدر أن يأكل من أية ذبيحة (لا 7: 20)، وهذا يمنعه من حفظ الفصح. من هو غير طاهر في وقت الفصح يملس الفصح بعد شهر من موعده (عد 9: 6-31)، ولا يشترك مع الشعب في الفصح في موعده.

أبرز الإنجيلي يوحنا كغوه من الإنجيليين أن أحداث الصليب قد تمت ليس عن هزيمة السيد المسيح أمام الأشرار الذين كانوا يبدون أكثر قوة جسمانية منه، وأصحاب سلطة، وإنما تمت في توافق تام مع خطة الآب لخلص العالم والتي هي مسوة الابن أن يتمها. فلا عجب إن أعلن مسيحنا على الصليب "قد أكمل" (19: 30) قبيل انحناء رأسه وتسليمه الروح. فالصليب بكل أحداثه لم يكن كلثة في حياة ربنا يسوع المسيح، بل تحقيق الخطة الإلهية.

كانت السلطة الرومانية تسمح لمحاكم اليهود صراحة بإقرار عقوبة الإعدام وتنفيذها في حالات معينة، وهي الزنا والتجديف وانتهاك حرمة الهيكل. ولعلّه لهذا السبب كان الاتهام الأول هو عزمه على هدم الهيكل كوسيلة غير مباشرة لتسليمه إلى الموت الطقسي أو الشعوي، وكان هذا الموت يتم حسب التقليد اليهودي بالرجم بالحجارة. وقد تولى السيد المسيح عنهم عندما أروارجمه (يو 8: 59). لأنه لم يكن ممكناً للموت بالرجم أن يحقق خلاص العالم. أما عقوبة الصلب فكانت تُطبق حسب القانون الروماني على العبيد وغير الرومانيين. وهو عقوبة بشعة شائنة، وتمثل اللعنة والرجاسة الفسوى في نظر اليهود. لهذا تضامن اليهود مع بعض الرومان على تحقيقها بأسوع ما يمكن في يوم الاستعداد للفصح.

جرت حوار ثلاثي بين قادة الديانة اليهودية الوسميين رافعي الدعوة وبين الوالي الروماني الذي يلتزم كموظف روماني أن يقوم بواجبه بأن يتبين الجريمة التي اقترفها المتهم، ويتحقق من نواحي الشكوى وبين السيد المسيح العالم بأن ساعته قد أتت، وأنه في طاعة يتم مشيئة الآب المتطابقة مع مشيئته كمحب للبشر.

وي البعض أن "الفصح" هنا لا يعني حمل الفصح، وإنما ذبائح أخرى كانت تُقدم خلال الاحتفال بالفصح، كانت تؤكل في العشي السابقة للعيد، وأن السيد المسيح صُلب في اليوم التالي لعيد الفصح. وي آخرون أن الفصح هنا يعني خروف الفصح، وأنه كان اليوم المناسب لتقديم الذبيحة، لأن السيد المسيح علق على الصليب في ذات لحظات أكل الفصح، بهذا لم يشترك السيد المسيح في أكل الفصح. وي فريق أن اليهود كانت لهم الحرية لأكل خروف الفصح منذ الخميس في العشي حتى الجمعة عشيّة، وأن هذا السماح كان لارماً بسبب كثرة عدد الحملان التي كانت تُذبح.

وي البعض أن السيد المسيح أكل بالفعل الفصح في السنة الأخيرة من حياته على الأرض (مت 26: 17-19؛ مر 14: 12-18؛ لو 22: 8-15)، وأنه أكله قبل الموعد بعدة ساعات، وأن السيد نفسه قد ذُبح في نفس اللحظات التي يجب أن يُذبح الحمل حسب الشريعة.

واضح من الأناجيل الإرثائية (متى ومرقس ولوقا) أن السيد المسيح وتلاميذه أكلوا الفصح في يوم خميس العهد، وبعد ذلك قدم جسده ودمه فصحاء للعهد الجديد. غير أن ما ورد هنا في إنجيل يوحنا يوضح إن القيادات اليهودية لم تكن بعد أكلت الفصح، وبهذا يكون الفصح في يوم الجمعة العظيمة.

نشر كثير من الدارسين كتبًا كاملة في حل هذه المشكلة [1799]. توجد دلائل على أن جماعات مختلفة في إسرائيل استخدمت تقويم مختلف عن التقويم الذي استخدمه المسؤولون في الهيكل. مثال ذلك الجماعات التي أنتجت مخطوطات البحر الميت استخدمت تقويمًا قديمًا وحسبت أن الكهنة في أورشليم يحتفلون بالأعياد كلها في توريخ خاطئة. فالحل البسيط للمشكلة القائمة بين أيدينا هو أن يسوع وتلاميذه استخدموا تقويمًا مختلفًا، فحفظوا الفصح يومًا مقدمًا عن المسؤولين في الهيكل. هذا يفسر لنا لماذا لم يشر إلى الحمل الخاص بالفصح في العشاء الرباني، مع أنه أساسي في حفظ الفصح، حيث لم يكن ممكنًا تقديم الحمل ذبيحة قبل أكله بدون موافقة السلطات الخاصة بالهيكل. أشرت الأناجيل الإزائية إلى وجبة الفصح التي ملرسها السيد المسيح وتلاميذه، أما يوحنا فأشار إلى الاحتفال الرسمي، وإذ لم يكن بعد قد تم لذلك امتنع فويق رؤساء الكهنة من دخول دار الولاية، حتى لا يتدنسوا، فيضطروا إلى الاحتفال بالفصح بعد شهر من مواعده (عد 9: 6-13).

❖ وأنا أقول لأحدهم: قل لي أي دنس يحل بك من سيوك في مجلس القضاء الذي يقابل الظالمين مقابلة عادلة، هؤلاء الذين يعشرون النعناع والشبث ويقتلون ظلمًا ولا يظنون أنهم يتدنسون بذلك، واحتسوا أن سوهم في مجلس القضاء ينجسهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ من يدخل في أيام الفطير مسكن شخص من أمة أخرى يُحسب ذلك نجاسة! يا له من عمل شوير! هل بالحق يتنجسون بمسكن شخص غريب، ولا يتنجسون بلرتكابهم الشر؟ كانوا يخشون الدنس من دار الولاية التي لقاؤهم غريب ولا يخافون التدنس بسفك دم أخٍ وئ [1800].

القديس أغسطينوس

"فروج بيلاطس إليهم وقال:

لِية شكايّة تقدمون على هذا الإنسان؟" [29]

حمل بيلاطس بعض الصفات الجميلة، فمن جانب لم يرفض أن يقوم بدوره كقاضٍ في الصباح المبكر، مع أنه كان يمكنه أن يطلب انتظرهم حتى يحل الوقت المناسب لقيامه بالمحاكمة. ومن جانب آخر كان مؤاضعًا، فإذ رفضوا الدخول إلى دار ولايته لئلا يتنجسوا كان يمكنه ألا يخرج إليهم، بل يطلب منهم إما أن يدخلوا إليه أو وجعوا إلى بيوتهم، أو يؤجلوا المحاكمة إلى ما بعد العيد، حتى يمكنهم المثول بين يديه. وأيضًا طلب بحث الأمر وتوضيحه، متسائلًا عن طلب الشكاية ضد يسوع، وما هو الاتهام ومدى صحته.

❖ ألا ترون أنه متحرر من الولع بالحكم ومن الخبث؟ فإنه إذ رأى يسوع مقيدًا، بقتاده كثيرون، لم يظن أن هذا فيه وهان كاف لاتهامهم له، إنما سألهم عن الاتهام ، حاسبا أنه لأمر غريب أن يحكموا ويصدروا العقوبة دون أية محاكمة من جانبه، فلماذا يقولون هذا؟ [1801]

القديس يوحنا الذهبي الفم

تسأل بيلاطس لا يعني عدم معرفته للشكوى ضد السيد المسيح، لكنه كحاكم يلتزم أن تسير كل الأمور بترتيب ونظام.

هذا ومن جانب آخر فإن تسأل بيلاطس سبب إحباطًا للقيادات، إذ هم يعلمون أنه حسب الشريعة يسقط المجدف تحت حكم الموت، أما حسب القانون الروماني فإن التجديف على الإله الذي يعبد اليهود لا يبرر الحكم بالموت، إذ لا يحسب ذلك جريمة عظمية.

حقًا لقد اشترك الجند الرومان مع جند الهيكل في القبض على يسوع المسيح، مما يدل على وجود نوع من التعاون أو التشاور بين السلطات الدينية والمدنية، ولعله لهذا لم تستعد السلطات الدينية للمحاكمة بوضع صحيفة اتهام ليعود المسيح. سواء اشترك بيلاطس في تدبير القبض على السيد المسيح أو لم يشترك، فإنه كحاكم روماني كان يعتز بحبه لممارسة العدالة وتطبيق القانون والسير في الإجراءات القانونية بطريقة لائقة.

" أجابوا وقالوا له:

لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك". [30]

سألهم بيلاطس بكل تهذيب عن شكواهم ضد يسوع، هذا ما يقتضيه واجبه كموظفٍ في المملكة، وفي نفس الوقت أظهر ازعاجه أمام هذا

الشعب الصاخب. أما إجابتهم فجاءت تكشف عن عجزهم عن إثبات دعوهم ضده، مع اصولهم بشواسة. لم يكونوا قانرين على تقديم اتهام صريح كأن يكون خائناً للبلد أو قاتلاً أو مسبباً للشغب، لكنهم قدموا اتهاماً عاماً وهو أنه "صانع شر". كانوا يوجون بيلاطس رعمًا عنه لتنفيذ رغبتهم، أما هو فكان يود ألا يشترك في ذلك.

كان المدعون غير مهذبين في حورهم مع بيلاطس، فقد خرج إليهم وسألهم عن الاتهام، أما هم ففي عجرفة لم يقدموا اتهامًا، بل حسبوا سؤاله أشبه بعدم ثقة فيهم وفي حكمهم، إذ " قالوا: لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك". لم يود اليهود أن يكون بيلاطس هو القاضي الذي يحكم، وإنما المنفذ العملي لما أصدره هم. كأنه من حقهم أن يحكموا وليس من حق الوالي أن يتعرف على الاتهام أو يناقشهم في حكمهم. هم يحكموا وهو يلتزم بالتنفيذ، الأمر الذي لا يقبله عقل.

❖ يا له من جنون! لماذا لم تشيروا إلى أفعاله الشريرة عوض إخفائها؟ لماذا لا توهنون على الشر؟ ألا ترون أنهم كانوا يتجنبون الاتهام المباشر من كل جانب، إذ كانوا عاجزين عن النطق بشيء؟ سأله حنان عن تعليمة وسمع له، فأرسله إلى قيافا. ويوره سأله قيافا، وإذ لم يكتشف شيئاً أرسله إلى بيلاطس. بيلاطس يقول: "أية شكايه تقدمون على هذا الإنسان؟" ولا هنا وجوا ما يقولونه... عندئذ رتبك بيلاطس [1802].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقال لهم بيلاطس:

خنوه أنتم وأحكموا عليه حسب ناموسكم.

فقال له اليهود:

لا يجوز لنا أن نقتل أحداً". [31]

ربما ظنت القيادات الدينية اليهودية أنه مجرد تسليم شخص يهودي للحاكم المستعمر فيه كل الكفاية على التحقق من شوه وجريمته؛ إذ لا يمكن لقيادة دولة مُستعرة أن تسلّم الحاكم المستعمر شخصاً للحكم عليه بالقتل بلا سبب. لكن هذا الفكر لا يناسب الحاكم الروماني الملتزم بتطبيق القانون ومراعاة الإجراءات القانونية السليمة. لقد حسب هذا نوعاً من الفوضى، لهذا قال لهم: "إن كان قد كسر ناموسكم، فأحكموا أنتم حسب ناموسكم، هذا أمر ليس من اختصاصي، ولا يشغل الرومان في شيء". لم يود الرومان أن ينشغلوا بالقضايا المحلية للمستعمرات، بل يتركوها في أيدي قياداتهم والمحاكم المحلية الوطنية مادامت لا تمس أمن الدولة.

وى البعض أن بيلاطس هنا يذكرهم بسوء تصرفاتهم واستغلال سلطتهم، لذلك زعت عنهم الدولة الرومانية حق الحكم بالموت على شخص ما. وكأنه يقول لهم: بسبب إساءة استخدام السلطة زعت عنكم الدولة حق الحكم بالموت، فلماذا تحكمون على يسوع هذا، وتطلبون مني التنفيذ نون محاكمة فعلية؟ خنوه أنتم وأحكموا عليه إن كان ذلك في سلطانكم، وإما قدموا الدعوى ودعوني أبحث الأمر وأفحص الاتهام حتى لا أشرككم خطاكم.

وى د. لايتفوت Lightfoot أنه قد حرم اليهود من حق إصدار حكم الإعدام حوالي ٤٠ عامًا قبل خراب أورشليم، كما اعترفوا هم بذلك عدة مرات. قيل أن مجمع السهريين تحت تأثير بعض القادة الدينيين كانوا إلى فترة طويلة يرفضون الحكم بالموت على يهودي كابن لله مهما كان لصاً أو فاعل شر. فزاد عدد المجرمين واللصوص. انتشر الشر، وصلت الشريعة كما في سبات لا تتحرك نحوهم، فتركوا للحاكم - حتى وإن كان وثنيًا - أن يتصرف مع المجرمين. كان ذلك بسماع إلهي، لأنه لو أصدر السهريين الحكم بالموت على شخص يسوع كفاعل شر أو مجدّف الخ وقاموا بالتنفيذ، لحكموا عليه بالوجم لا بالصلب. وكان لابد لعنتنا من لعنة الناموس أن يرفع ابن الإنسان على الصليب لأنه ملعون من علق على خشبة.

لم يكن من حق اليهود الحكم بالإعدام صلبًا، لكن كان من حق مجلس السهريين أن يحكم بالوجم. فلا تتعجب من إحضار امرأة أمسكت في أونا يطلبون من السيد المسيح حكمه عليها، إذ كان يؤرم رجمها حسب الشريعة الموسوية. لم ينقض السيد المسيح الشريعة، لكنه طالبهم بوجود شخص واحد وى من الخطية يلقيها بأول حجر، فلم يوجد. مرة أخرى نسمع عن استفانوس الشماس وأول الشهداء إذ رجمه اليهود نون أخذ إذن بذلك من

❖ قال اليهود لا يجوز لنا أن نقتل أحداً، أي أنه لا يجوز لهم ذلك في هذا الوقت، إذ كانوا قد ارتكبوا كثرة من حالات القتل، وقد أظهر ذلك ما فعلوه بالشهيد استفانوس الذي رجموه بالحجارة، إلا أنهم اشتبهوا أن يصلوه لكي يشهروا بموته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ليتم قول يسوع الذي قاله،

مشبواً إلى أية ميته كان مزعماً أن يموت". [32]

لقد رفضت القيادات اليهودية الحكم على السيد المسيح بالرجم، لأن هذا يثير الجماهير، خاصة وقد اكتظت المدينة بالجماهير من بلاد كثرة، ولعل بعضهم سمعوا عن شخص السيد المسيح ورأوا اللقاء معه. أما متى تم الحكم خلال الحاكم فلا تقدر الجماهير أن تثور، وربما تتشكك في أمر يسوع، لأن الحكم صدر عن هيئة غير دينية. أما من الجانب الأهم فإن صلبه كمارينا يحقق خطة الله التي سبق فكشف عنها خلال الناموس والأنبياء.

8. حوار مع بيلاطس

"ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية،

ودعا يسوع وقال له:

أنت ملك اليهود؟" [33]

لماذا سأله بيلاطس؟ توجد راء كثرة.

1 . وى البعض أن بيلاطس بدأ يتلامس مع شخص السيد المسيح ويترك أنه شخص غريب له تقوده واحترامه، حتى وإن سلم إليه كسجين ومطلوب قتله. في داخل الولاية بعيداً عن قادة اليهود والجماهير الثائرة سنحت الفرصة لبيلاطس أن يختلي مباشرة بالرب يسوع. وكان السيد المسيح وقد رفضته خاصته انتقل إلى العالم الروماني الخرجي ليعلن عن ذاته له.

2 . وى آخرون أنه كقاضٍ يبحث عن العدالة والحق التزم أن يسمع كل الأطراف حتى يتحقق من صحة الاتهام ضد يسوع أو بطلانه.

3 . آخرون يحسبون أنه تكلم في شيء من السخرية، فمادام يسوع ينطق بالحق، ففي سخرية يسأله: ما هو هذا الحق في ذهنك؟ ربما حمل هذا

السؤال نوعاً من الاستخفاف، بمعنى: هل أنت هو ملك اليهود، المسيا الذي ينتظرونه ليخلصهم من الاستعمار؟ هل أنت ملك اليهود الذين يبغضونك

ويسلمونك للموت؟ هل أنت الملك الشوعي وقبصر الملك الفعلي؟

في رأي هذا الفويق أن لم يرد أن يجيب على سؤال بيلاطس لأنه لم يسأل من أجل التعرف على الحق، وإنما كوع من السخرية، فلم يرد أن يقدم

اللائي أمامه.

❖ لوعة بيلاطس أن يتخلص من معاداة اليهود له لم يهملهم، مقدماً محاكمة طويلة المدى، فدخل "ودعا يسوع".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجابه يسوع:

أمن ذاتك تقول هذا؟ أم آخرون قالوا لك عني؟" [34]

بقوله هذا واضح أن بيلاطس كان متورداً بين شوقه للتعرف على شخص المسيح، وما سمعه عنه إن كان صاحب سلطان حقيقي أم لا، وبين ما

سمعه من أقوال متضاربة من اليهود. وكان السيد المسيح يطالبه أن يفكر في الأمر جيداً ليتعرف على شخصه.



لم يسأل السيد المسيح بيلاطس سؤالاً لجهله بما في ضموه، لكنه سأله مويداً أن يوبخ اليهود... لقد وبخ بيلاطس، وكأنه قال له: "إذ قد سمعت هذا الذي قاله اليهود، فلماذا لا تستقصي في البحث؟"

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجابه بيلاطس: أألي أنا يهودي؟"

أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلي، ماذا فعلت؟" [35]

لم يقتنع بيلاطس من الموقف، ففي استهتار قال له بأن الأمر لا يشغله، إنه يخص اليهود، ولا يخصه هو. لقد تتحى بيلاطس على مسؤوليته معلناً أنه ليس بيهودي، وأن الذي سلمه هو أمته ورؤساء الكهنة، وأن ما يقوم به إنما من قبيل المسؤولية كقاضٍ.

❖ هنا أراد أن يتصل من الأمر. وإذ قال له: هل أنت ملك؟ وبخه يسوع مجيباً إياه: "هذا سمعته من اليهود، فلماذا لم تبحث الأمر بدقة؟ لقد قالوا إنني فاعل شر، أسألهم أي شر فعلته. لكنك لم تفعل هذا، بل ببساطة قدمت اتهامات ضدي". [1803]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجاب يسوع:

مملكتي ليست من هذا العالم،

لو كانت مملكتي من هذا العالم،

لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود،

ولكن الآن ليست مملكتي من هنا". [36]

[1804]

❖ اقتاد بيلاطس إلى فوق، ذاك الذي لم يكن شويواً جداً، ولا على شاكلتهم، فرأى أن يظهر له أنه ليس إنساناً مجرداً بل الله، ابن الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إذ أخذ الكلمة شكل عبد لا ينكر أنه الملك صاحب الكرامة والسلطان، ليس حسب فكر اليهود، ولا حسب فكر بيلاطس، إنما مملكته في أعماق القلوب، تحكم القلوب والأذهان بكونه الحق الإلهي. لقد فهم بيلاطس من كلماته أنه يحسب نفسه ملكاً مع أنه يقف أمامه كسجين متهم، ومطلوب إعدامه من رؤساء أمته. أكد السيد المسيح أن مملكته ليست من هذا العالم:

وَأَمَّا أَنَا فَأَنَا لَا أَقُومُ فِي هَذَا الْعَالَمِ كَمَا أَنَّكَ الْبَشَرُ الْمَمْتَدَّةُ عِبْرَ الْبَحَارِ وَالْأَرْضِ (دا ٧: ٣؛ رؤ ١٣: ١، ١١). عاصمة مملكته أورشليم المدينة التي من عند الله النزلة من السماء (رؤ ٢٢: ٢).

ثانياً: طبيعة مملكته ليست أرضية، فهي مملكة داخل قلوب البشر (لو ١٦: ٢١)، تنشأ في القلوب والضمائر (رو ١٤: ١٧)، غناها روحي، وإمكانياتها روحية، ومجدها من الداخل.

ثالثاً: هراسها ليسوا أرضيين، وأسلحتهم روحية، لا يحتاجون إلى أسلحة أرضية زمنية، لهذا منع تلاميذه من أن يدافعوا عنه. جاءت إجابة السيد المسيح أن مملكته ليست من هذا العالم، وإلا كان له جيش يدافع عنه، تُؤذي بيلاطس جزيئاً، فإن السيد لن يدخل في القضايا الخاصة بهذا العالم، وخاصة اقتناء السلطة، لكنه في نفس الوقت هو ملك على مستوى أعظم من ممالك العالم.

رابعاً: خطتها ليست زمنية، لذا لم يسمح لتلاميذه أن ينسحبوا إلى المجد الباطل والعظمة البشرية.

خامساً: سكانها ومواطنوها ليسوا من هذا العالم، يسلكوا في العالم، لكنهم ليسوا منه، يتمتعون بميلادٍ روحي جديد، ويسلكون بروح الله، ويتمتعون بالحكمة الإلهية، ويغتنون بالغنى الإلهي.

رآه إشعياء النبي بروح النبوة ملكاً على الشعوب بالصليب فقال: "هوذا قد جعلته شراً للشعوب رئيساً وموصياً للشعوب" (إش ٥٥: ٤). مملكته

ليست كممالك العالم التي فيها "صار الحق معومًا" (إش ٥٩: ١٥).

كأن أجابه السيد المسيح لببلاطس هي أنه ليس ملكًا حسب فكر ببلاطس، أي ملك سياسي كسائر ملوك الأمم، أو كملك يخلص شعبه بالثورة ضد روما. وفي نفس الوقت هو الملك السموي ليس من هذا العالم، فلا يحتاج إلي جيشٍ يدافع عنه، ويثبت سلطانه. حتمًا لم يكن ببلاطس قاورًا على إوراك هذا التمييز، لذا ربما استخف بإجابة السيد، أو شعر بوع من الارتباك الفكري والعجز عما يعنيه المتهم أمامه. فإنه لم يسبق له أن يسمع مثل هذا.

❖ لقد أبطل ما كان يخشاه ببلاطس منذ قليل، أي الشك في أن ينال سلطانًا ملوكيًا، فهل مملكته أيضًا ليست من هذا العالم؟ حتمًا إن مملكته أيضًا في العالم، فكيف يقول: **ليست من هذا العالم**؟ "ليس لأنه لا يحكم هنا، وإنما لأن إموطوريته هي من فوق، إنها ليست إموطورية بشوية، بل أعظم بكثير من هذا وأكثر سموًا. فإن كانت أعظم، فكيف صار أسوأ؟ بوضاه وتسليم نفسه. لكنه لا يعلن عنها حاليًا، إنما ماذا يقول؟ "لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم" [36]. أظهر هنا ضعف المملكة التي بيننا، إذ تعتمد قوتها على الخدام، أما المملكة التي من فوق ففيها الكفاية ولا تحتاج إلي شيء [1805].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تعالوا إلي الملكوت الذي ليس من هذا العالم.

تعالوا، أموا، ولا تسقطوا في جنون الغضب خلال الخوف.

لقد قال حقًا بالنبوة على لسان الله الآب: "أنا أقمت منه ملكًا على صهيون جبل قدسي" (مز ٢: ٦)، على جبل صهيون وليس ملكًا على العالم. لأنه ما هو ملكوته إلا أولئك الذين يؤمنون به، والذين يقول لهم: "أنتم لستم من العالم، كما إنني لست من العالم؟" ومع هذا فهو يرغب في أن يكونوا في العالم لكي ما يتحقق ما قاله عنهم للآب: "لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشوير" (يو ١٧: ١٥) [1806].

❖ لقد كانوا من العالم طالما لم يكونوا من مملكته؛ كانوا مُنتسبين إلى رئيس هذا العالم. كل البشوية كانت من العالم؛ حقًا خلقت بواسطة الله الصالح، لكنها وُلدت من آدم ككتلة فاسدة تحت الدينونة، ثم صارت مملكة لا تعود تنتسب للعالم، هذه التي تجددت بالمسيح. لأنه هكذا أنقذنا الله من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته (١ كو ١: ١٣)، عن هذه المملكة يقول: **مملكتي ليست من هذا العالم**، أو "مملكتي ليست من هنا" [1807].

القديس أغسطينوس

"فقال له ببلاطس:

فأنت إذا ملك؟

أجاب يسوع: أنت تقول إنني ملك،

لهذا قد ولدت أنا،

ولهذا قد أتيت إلى العالم،

لأشهد للحق.

كل من هو من الحق يسمع صوتي". [37]

في كلمات نزية يؤكد السيد المسيح نفسه ملكًا يشهد للحق، وأن من هو من الحق يسمع له [37]. إنه ملك بالميلاد الأربي من الآب، بكونه الكلمة الإلهي. لكن هذا الحق لن يقدر أن يقبله إلا من هم من الحق وفي الحق. ببلاطس نفسه لم يكن قاورًا على إوراك هذه الحقيقة ولا أن يستمع لصوته.

جاء السيد المسيح لكي يشهد للحق، فقد عرف العهد القديم الله أنه "إله الحق" (مز 31: 5؛ إش 65: 16). بينما نوأ في العهد الجديد "الحق الذي لله" (رو 15: 8)، الذي استبدله الوثنيون بالباطل أو الكذب (رو 1: 25)، حيث يبدو أن الحق هو كيان الله الجوهري. ويقول يسوع المسيح: "أنا هو

الحق" (يو 14: 6).

"كل من هو من الحق": نقوًا في هذا السفر عنن هم: "من الحق"، ومن هم "من الأرض" (3: 31)، ومن هم "من العالم" (15: 19)، ومن هم "من الله" (8: 37)؛ ومن هم "من إبليس" أبيهم (8: 44)، ومن هم من أسفل، ومن هم من فوق (8: 23). هكذا يميز السفر بين فريقين: فريق ينتسب لفوق، للسماء، لله، للحق؛ وفريق صار منتسبًا لأسفل للأرض، لهذا العالم الشوير ولإبليس. وليس من فريق ثالث يقف بينهما.

❖ إن كان قد وُلد ملكا، فإن كل سماته الأخرى هي بالميلاد، ولم ينل شيئا إضافيًا. فعندما تسمع: "كما أن الأب له الحياة في ذاته، هكذا أعطي لابن أيضًا أن تكون له الحياة" (5: 26)، لا يُحسب سوى للميلاد، وهكذا بالنسبة لبقية السمات [1808].

❖ عندما قالوا إنه فاعل شر، ولم يكونوا قارين على إثبات ذلك وقف صامتًا. ولكن عندما سئل بخصوص المملكة تحدث مع بيلاطس معلمًا إياه، وقاندا إياه إلى الأمور العلوية. ولكن لماذا سأل بيلاطس في غير حضورهم، وإنما في مغزل عنهم إذ دخل به إلى دار الولاية؟ لقد توقع أمرًا عظيمًا من جهة، ورأد أن يدرك كل الأمور بدقة بعيدًا عن متاعب اليهود... أجابه: "مملكتي ليست من هذا العالم"، بمعنى: "إني بالحقيقة ملك، ولكن ليس كما يتوقع شخص مثلك، بل أسمى من ذلك بكثير جدًا"، مشوًا بهذه الكلمات وتلك التي تليها أنه لم يفعل شوا [1809].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليس كل من يسمع صوتي هو من الحق، وإنما من هو من الحق يسمع صوتي، أي لأن هذه عطية تُمنح له من الحق. ما هذا سوى أنه بالهبة السخية التي للمسيح يؤمن بالمسيح؟ [1810]

القديس أغسطينوس

"قال له بيلاطس:

ما هو الحق؟

ولما قال هذا خرج أيضًا إلى اليهود،

وقال لهم:

أنا لست أجد فيه علة واحدة". [38]

قدم بيلاطس سؤالًا هامًا للغاية: "ما هو الحق؟" لكنه لم ينتظر الإجابة بل خرج إلى اليهود يعلن أنه لم يجد فيه علة واحدة. ربما قدم السؤال عن اشتياق حقيقي لمعرفة الحق، لكن انشغاله في أعماله لم يعطه الفرصة ليتمتع بالإجابة واختبار الحق. هذا ما فعله كثوًا في صلواتنا حين نطلب من الله ولا ننتظر إجابته علينا.

ظهر بيلاطس كصديق لشخص يسوع، أحبه وتأثر به، فقد أعلن عن واعته علانية، وأنه لم يجد فيه علة تستوجب حكم الموت. وحين أواموه أكد لهم أنه لا يفعل هذا من عنده، لكن هذا حكمهم عليه. وقد حاول بكل الطرق أن يفتح لهم بابًا للتراجع عما حكموا به عليه.

من الصعب تقييم شخصية بيلاطس، فواضح أنه كان مقتنعًا تمامًا بواء يسوع المسيح، وأنه قد سلم إليه حسدًا وخبثًا. وأنه كان يخشى هياج الشعب عليه إن أطلقه. يمكن القول أنه كان يشاق أن يعمل بالعدل والحق، لكن نون أن يسبب له ذلك مشاكل أو اضطرابات. فهو غير مستعد لأية تضحية من جانبه للوقوف في صف العدل والحق.

"ولكم عادة أن أطلق لكم واحدًا في الفصح،

أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود". [39]

كانت هذه العادة نوعًا من التكريم لعيد الفصح، كذكوى للتحرر من عبودية فرعون. لكنهم حولوا ما هو للتكريم إلى كسر للناموس: "موى

المذنب ومذنب الويء كلاهما موهة للوب" (أم 17: 15).

❖ لاحظوا كيف عمل بحكمة. إنه لم يقل: "حيث أنه مخطئ ومستحق للموت، ساموه كهبة للعيد"، وإنما إذ وأه أولاً من كل جريمة سألهم بعد ذلك إن كانوا لا يسقطون قضيته بكونه بريئاً فإنه حتى كمخطئ يغفرون له بسبب الزمن (العيد) [1811].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لسنا نلومكم أيها اليهود على إطلاق المجرم في وقت الفصح، بل على قتلكم للويء. ومع ذلك فلم لم يحدث هذا لما تحقق الفصح الحقيقي، بل بقي ظل الحق قائماً باليهود المخطئين. وبتدبير الحكمة الإلهية العجيبة تحقق الحق الذي لذاك الظل، وذلك بواسطة المضلين. فإنه لكي يُحفظ الفصح الحقيقي أقتيد المسيح كشاةٍ للذبح كذبيحة [1812].

القديس أغسطينوس

" فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين:

ليس هذا بل برباباس،

وكان برباباس لصاً". [40]

لم يجد بيلاطس علة واحدة يحاكمه عليها، ولكي يُوجد للتأثرين منفذاً اقترح عليهم أن يطلق هذا الويء بمناسبة عيد الفصح؛ وبالرغم من سلطانه الشوعي لم يستطع أن يقف بيلاطس أمام هياج الجماهير التي طالبت بإطلاق اللص برباباس وليس يسوع. طلبوا أن يُطلق برباباس اللص ويُقتل يسوع، فإن برباباس لا يقدر أن يسوق منهم كرسي موسى الذي جلسوا عليه، أما يسوع ففي نظرهم قد سحب الكرسي من تحتهم، وسرق منهم تقاليدهم الخاطئة.

والعجيب أن برباباس في الآرامية تعني "ابن الآب"، وهو رجل اشتهر بسفك الدماء وفعل المنكوات. هنا يرفض العالم "ابن الآب" الحقيقي ليطلق من له الاسم وحده مع احترامه للصومية. وقد جاءت كلمة "لص" في السويانية *archilesstees* وتعني "رئيس عصابة". وى البعض أن برباباس كان يقتاد عصابة لصوص سفكت دماء كثيرة وهددت الحاكم الروماني (لو ٢٣: ١٩).
لقد فضلو اللص رمز الخطية عن القنوس البار، في غبوة كثراً ما يفضل الإنسان شهوات جسده عن التمتع ببرّ المسيح.

من وحي يو ١٨

آلامك تكشف عن أمجادك!

❖ حانت ساعة آلامك، بل ساعة مجدك.

برادتك دخلت إلى البستان مع تلاميذك.

دخلت يا شمس البرّ تنتظر موكب الظلمة قادماً إليك.

حملوا سيوف وعصي للقبض عليك.

كل الطبيعة تترقب كلمة من فيك فتبيدهم.

حملوا مشاعل ليبحثوا عن شمس البرّ!

ولم يدرك الكل أنك برادتك تسلمهم ذاتك،

من أجل حبك العجيب لخلصهم.

❖ رأوا أن ينقضوا عليك،

فسقطوا على وجوههم.

سلمتهم ذاتك،

فأوثقوك في عنفٍ لنلا تهرب منهم.

تفجر الدم من يديك،

وبحبك شفيت جراحات العبد ملخس!

❖ سحبوك إلى رئيس الكهنة في وسط ظلمة الليل،

يا من تود أن تسحبهم بروحك القنوس إلى بهاء نورك الإلهي.

حكم رئيس الكهنة الشوير بأنه خير أن تموت من أجل الأمة،

ولم يبرك أنك رئيس الكهنة السموي.

تموت لتقتل موت البشرية،

وتقوم لتقيمهم معك.

❖ التحف رئيس الكهنة بسلطان ديني وزمني وشعبي.

وأما أنت فترك الكل،

خانك تلميذك، وأنكرك آخر.

قوة رئيس الكهنة تكمن في إمكانيات بشوية زائلة خرجية.

وأما أنت فقوة الله وكلمته وحكمته!

مجدك الإلهي ليس في عزٍ إلى مساندة بشوية!

❖ سلموك يا ملك الملوك السموي إلى والٍ بشوي.

طالبوا بقتلك كفاعل شرٍ.

لم يجد فيك الوالي علة واحدة!

تحايل بكل وسيلة لكي لا يمد يده بغير ما يمليه عليه ضموره!

لكن أصر الشعب العنيد على قتلك.

قبلوا قيصر ملكاً وحيداً عليهم لكي يرفضوا ملكك.

أطلقوا براباس لكي تصلب أنت يا كلي الصلاح!

❖ في ضعف سلمك بيلاطس للصلب.

فإنه لا يستطيع أن يدفع صداقته لقيصر ثمناً للعدل!

كل قوى الظلمة تكاتفت عليك،

وهي لم تترك أنها إنما تكشف عن علو مجدك!

❏

الأصحاح التاسع عشر

صلب يسوع المسيح

لاحظنا في الأصحاحات السابقة أن الإنجيلي يوحنا لم يميل إلى سود التاريخ، إذ يهدف نحو الكشف عن شخصية يسوع المسيح بكونه كلمة الله المتجسد الذي جاء لأجل خلاص العالم. أما وقد بدأ يتحدث عن صلب السيد فلم يعبر على الأحداث التلخيية بقدر ما قدم شخصية السيد المسيح المصلوب كفاذٍ للبشوية. إنه يعتز بالصليب ويفتخر به.

1. محاكمته أمام بيلاطس ١ - ١٥.

2. الحكم بالصلب ١٦ - ١٨.

3. عنوان علته ١٩ - ٢٢.

4. توزيع ثيابه ٢٣ - ٢٤.

5. اهتمامه بأمه ٢٥ - ٢٧.

6. تقديم خل له ٢٨ - ٢٩.

7. تسليم الروح ٣٠.

8. طعنه بالحربة ٣١ - ٣٧.

9. دفنه ٣٨ - ٤٢.

1. محاكمته أمام بيلاطس

"فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجده". [1]

حاول بيلاطس أن يطلق السيد المسيح إذ وثق من واعته، وظن أنه يمكنه تحقيق ذلك، إذ اعتاد أن يطلق لهم سجيناً في وقت الفصح، لكنه أمام ثورة الجمهور فشل. مع هذا فلا زال بيلاطس مقتنع بأنه ليست ثمة جريمة حقيقية يمكن أن تُنسب إلى يسوع المسيح. استخدم وسيلة أخرى، بأن سمح لجنوده أن يجلسوه ويسخروا منه كملك، حتى يؤكد للجمهور أنه لا حول له ولا قوة، فيعفوا عنه.

يقدم لنا الإنجيلي عرضاً لمحاكمة السيد المسيح المملوءة ظلماً، فالمدعون أنفسهم كانوا في حالة ارتباكٍ، والقاضي كان مرتبكاً جداً بين شعره بالظلم الساقط على شخص يسوع وبين ثورة الجماهير عليه، وادعاء أنه يقيم نفسه ملكاً، لأنه يقاوم قيصر. فشلت محاولة بيلاطس في توثنة يسوع، فالترم

أن يواصل سير الدعوى حسب الأصول الوعية. كان لابد من التعامل معه بقسوة، وذلك بسبب خطورة الاتهام وطبيعته. أول تنزل من جانب بيلاطس أمام عناء الجماهير أنه أمر بجلد يسوع، فعامله الجنود كصانع فتنة، مع أمله في إظهار واءة يسوع على الصعيد القانوني.

لم يكن بيلاطس جاداً في الحكم بالعدل، فمع إواكه أن يسوع بار حكم عليه بالجلد كعجز [1]. يذكر لوقا الإنجيلي أن بيلاطس قال للجماهير أنه يؤدبه ويطلقه. وكان غاية بيلاطس هو جلده متوجياً أن يتراجع اليهود عن طلبهم الخاص بصلبه بعد أن تأكد أنه ليس ما يستوجب صلبه (لو ٢٣: ١٦).

يبدو أن الجلد قد تم حسب النظام الروماني وهو أعنف بكثير منه حسب النظام اليهودي. كان من عادة الرومان جلد المقدمين للصلب. من أجلنا قبل السيد المسيح ذلك، وكما جاء في إشعياء: "بذلت ظهري للضربين وخدي للناقتين، وجهي لم أستر عن العار والبصق" (إش ٥٠: ٦). ويقول الموتل: "على ظهري حوث الحواث، طوّوا أتلأمهم" (مز ١٢٩: ٣). كما سبق السيد المسيح نفسه فقال: "ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزؤوا به ويجلوه ويصلوه" (مت ٢٠: ١٩؛ راجع مر ١٠: ٣٤؛ لو ١٨: ٣٣). يقول القديس بطرس أن بجلداته شفينا (١ بط ٢: ٢٤)، فقد جُلد الطبيب لكي يُشفى المرضى. احتمال الجلدات من أجلنا، لكي يجد المؤمنون مسوتهم في احتمالهم الآلام من أجله، ومثلكتهم إياه آلامه وصلبه (أع ٥: ٤١؛ ١٦: ٢٢، ٢٥).

كان الجلد عقوبة موعبة، حيث كان يستخدم السوط من عدة سيور توضع بها قطع معدنية أو عظام، حتى متى جُلد الشخص يتوهأ جسمه، وتظهر أحياناً شوايينه وبعض طبقات جسمه الداخلية كما يخوننا يوسابيوس المؤرخ. ويروي لنا الكاتب الروماني شيشرون Cicerone أن الجلد أحياناً يؤدي إلى الموت. وكان الجلادون الرومان قساة لا يعرفون الرحمة. ولعله بسبب الجلدات لم يحتمل يسوع المسيح أن يحمل الصليب حتى موضع الصلب، ويبرر البعض موته سريعاً على الصليب بسبب الجلدات القاسية. هذا ونلاحظ أن الإنجيليين أشلروا إلى جلد السيد كحقيقة تمت دون الحديث عن مدى آلامه أثناء الجلد.

استهان السيد بكل أنواع العذابات والسخرية من أجل محبته لنا وشوقه لخلصنا، حتى نحسب شوكتنا معه في علوه وآلامه مجداً لا نستحقه.

❖ قال يوحنا الرسول: "أخذ بيلاطس يسوع وجلده". لعل بيلاطس أراد بذلك أن يحل غوة اليهود ويتلافها، لأنه إذ لم يقدر أن ينقذ السيد المسيح بأقواله الأولى سلوع لوقف شوهم إلى هذا الحد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يؤمننا أن نعتقد بأن بيلاطس فعل هذا لا لسبب سوى أن اليهود إذ يرون فيض الأذية التي لحقت به يشعرون بالافتقار، ويحجمون عن رغبتهم الجنونية نحو موته. بذات الهدف سمح الحاكم لكثيبته أن تملس ما حدث بعد ذلك، وربما أهرهم بذلك، وإن كان الإنجيلي قد صمت عن ذكر هذا [1813].

القديس أغسطينوس

"وضفر العسكر إكليلاً من شوك،

ووضوه على رأسه،

وألبسوه ثوب رجوان". [2]

اعتاد الجند أن يسخروا بمن يسقطون تحت الحكم، خاصة وأنهم يمثلون السلطة المحتلّة الساخرة بمن يثير الفتنة ضد روما. جاءت السخرية تتناسب مع نوع الاتهام: "ملك اليهود". إنهم لم يجنوا ملكاً يُقدم للموت كل يوم، فحسوا السخرية بملك اليهود تمثيلية هزلية يصعب أن تتكرر.

الأرجوان : لون صباغة ثمينة يشمل البنفسجي والأحمر، تُستخدم من بعض أصناف صدف السمك، يصعب العثور عليه، وكانت ثياب الأرجوان عالية الثمن. لربط الأرجوان بالحياة الملوكية، كما يلبسها الأغنياء ونوي المكانة الرفيعة وكبار موظفي الدولة.

يروى متى البشير أنه ثوب قوزي (مت 27: 28)، تستخرج صبغته من بعض أجسام الحشرات الميتة، لذا فالثوب القوزي رخص بكثير من الأرجوان، وهو خاص بالقادة العسكريين، ولعل الجند جاوا بثوب قديم لقائد عسكري ألقاه بسبب قدامه. فاستخدمه الجند كثوب رجوان يوتديه جليلي

فقير (يسوع)، إذ يقيم نفسه ملكاً!

إكليل الشوك والثوب الأرجواني الأحمر يعترفان بالمرتبة الملوكية، لكن العالم يقبلانها إلى الهُء به.

❖ قال: " وضفر العسكر إكليلاً من شوك، ووضعوه على رأسه، وألبسوه ثوب أرجوان " ليرضي بيلاطس غيظ اليهود، ولهذا الغرض أخرج إليهم السيد المسيح مكلاً بالشوك، حتى إذا أبصروا المسبة الواصلة إليه ينتفسوا من موضع قليلاً، ويقذفوا سمهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" وكانوا يقولون:

السلام يا ملك اليهود،

وكانوا يلطمونه". [3]

هكذا سلمه بيلاطس للجند كي يسخروا به، فضفروا له إكليلاً من شوك، ووضعوه على رأسه عوض إكليل الملك، وألبسوه ثوب أرجوان كملك،

وفي سخوية كانوا يلطمونه، وهم يقولون: "السلام لك يا ملك اليهود".

" فخرج بيلاطس أيضاً خراجاً،

وقال لهم:

ها أنا اخرجك إليكم،

لتعلموا إنني لست أجد فيه علة واحدة". [4]

أخرجه بيلاطس أمام القيادات اليهودية وجمهور الناظرين ليروا أن شكاوهم ضده بأن يقيم نفسه ملكاً نوعاً من الخيال. فهذا هو أمامهم قد تهرأ

جسمه من الجلادات، وصار أضحوكة وموضع سخوية.

إذ أساء بيلاطس للسيد المسيح وهو يعلم أنه ويء قدمه للمدعين عليه لعلمهم يسحبون دعوام ضده. لقد شهد بيلاطس أنه بحسب القانون

الروماني " لست أجد فيه علة واحدة" [4]، ليس من دعوى حقيقية يمكن توجيهها ضده، مكرراً ما سبق أن أعلنه (يو 18: 38). بهذا دان بيلاطس نفسه،

لأنه مادام ليس فيه علة واحدة لماذا جلده، ولماذا سلمه للجند كي يسخروا به، ولماذا أخرجه للمدعين عليه ولم يطلقه فراً كما تستوجب العدالة؟

" فخرج يسوع خراجاً،

وهو حامل إكليل الشوك وثوب الأرجوان.

فقال لهم بيلاطس:

هوذا الإنسان". [5]

ربما بقوله: " هوذا الإنسان " يود أن يؤكد لليهود إن كنتم تتطلعون إليه كمن يثير فتنة ليقيم نفسه ملكاً يقولم قيصراً، فهذا أنتم تزونه في صورة

الضعف الشديد عاجز عن المقاومة، وليس من أتباع له حاولوا مقاومة السلطات. بهذا لا مجال لتخوفكم منه.

إخراجه للمدعين وقد وُضع إكليل الشوك على رأسه وقد امتلأت رأسه ووجهه مع بقية جسمه بالدماء أعطى فرصة للمدعين أن يصروا على

صلبه، لأن بيلاطس عامله كعبدٍ، قام بتعذيبه بغير حقٍ. فالعبد ليس من حقه الدفاع عن نفسه، أما الحر فيلزم إثبات إدانته قبل تعذيبه خاصة بهذه الصورة

المؤلمة.

خرج السيد المسيح ليكون مشهداً أمام الناس، يحمل العار عنهم. الأمر الذي دفع الرسول بولس فيما بعد أن يشتهي الخروج معه خراج المحلة

حاملاً علوه (عب 13: 13).

إذ صار مشهده مؤلماً للغاية قال بيلاطس: " هوذا الإنسان" [5] ولم يذكر اسمه، كوع من الاستخفاف به. هذا المنظر سحب قلب الحكيم منذ

قِابة ألف عام قبل حدوثه فقال: "أخرج يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجته به أمه في يوم عرسه، وفي يوم فوح قلبه" (نش 3: 11).

وى البعض أن قول بيلاطس: "هوذا الإنسان" حمل معني سويًا. فكلمة "آدم" في العبرية تعني إنسانًا. وكأن هوذا الإنسان معناها: هوذا آدم الذي خلقه الله ليكون ملكًا على الخليقة، صاحب سلطان، صار في بؤسٍ شديدٍ جلب اللعنة لنفسه كما للخليقة. هكذا احتل آدم الثاني، السيد المسيح، مركز آدم الأول ليحلب الحياة الملوكية السماوية لمن ففقوا حتى سلامهم الرمني، و عوض الموت الذي جلبه آدم الأول حلت الحياة الأبدية بآدم الثاني (1 كو 5: 22، 45). هذا ما نطق به بيلاطس دون أن يدرك معناه!

أمام هياج شرس لمبغضي يسوع أعلن بيلاطس واءته ليكون شاهدًا على ذلك عبر التاريخ، أما يسوع فلم ينطق ببنت شفة. قال بيلاطس: "هوذا الإنسان" ولم يقل؛ "هوذا المذنب"، وكأنه يقول لهم إنه لا زال في نظره مؤهًا من أي ذنب يمكن أن يسنده إليه.

" فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا، قائلين:
أصلبه، أصلبه.

قال لهم بيلاطس:

خنوه أنتم واصلوه،

لأني لست أجد فيه علة". [6]

كان يمكن للشعب بعد أن سمع بيلاطس يكرر تعليقه أنه لم يجد فيه علة واحدة، وقد نظروا جسمه تنزق بالجلدات، ورأسه وجبينه قد نُخسا بالأشواك، ووجهه تورم باللطمات، أن يطلخوا إطلاقه، لكن سوعان ما تحرك رئيس الكهنة وحراس الهيكل ليصروا قائلين: "أصلبه، أصلبه" [6]. قد بلغ حسدهم وحقدهم عليه أقصى الحدود فلم يذعنوا لحكم بيلاطس، ولا تأسفوا لآلام السيد، بل حسوه مستوجب الموت حتى وإن كان بريئًا. فسلامهم وسلام المدينة - كما ظنوا - يستوجب صلبه والخلاص منه.

لقد جاء رؤساء الكهنة وأتباعهم لهدفٍ واحدٍ، وهو تأكيد ضرورة صلبه، مهما كانت التكلفة. لم يصغوا لأية كلمة نطق بها بيلاطس، وإنما إذ لاحظوا غبته الملححة في إطلاقه لأول مرة تظهر كلمة "أصلبه"، هذه التي نطق بها رؤساء الكهنة وخدام الهيكل. لقد افصحوا عما في قلوبهم. للمرة الثالثة يعلن بيلاطس واءة السيد المسيح، طالبًا منهم: " خنوه أنتم واصلوه لأني لست أجد فيه علة" [6]. إنه يعلم تمامًا أنهم لن يستطيعوا أن يصلوه، وإنما قال هذا ليوبخهم. وكأنه يقول لهم: "إن كان حقدكم عليه يدفعكم لصلبه، فلا تستخدموني أداة طيعة لهذا الحقد، فأتكب شواً ضد العدالة. ضموي غير مستريح! نفخوا شهوة حقدكم إن استطعتم!"

❖ انظروا كيف قدم القاضي دفاعه بطرقٍ كثيرة، مؤثًا إياه من الاتهامات الموجهة ضده. لكن ليس شيء من هذا كله جعلهم في حزي من تحقيق هدفهم... فإن القول: " خنوه أنتم واصلوه " تعبير لشخصٍ يوء نفسه من ارتكاب جريمة، ويدفعهم لممارسة عمل غير مسوح لهم به. فقد احضروا (السيد) لكي يتم الأمر بقوار الحاكم، لكن حدث العكس، فإن الحاكم أوأ السيد ولم يدنه بقوارٍ منه [1814].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجابيه اليهود:

لنا ناموس،

وحسب ناموسنا يجب أن يموت،

لأنه جعل نفسه ابن الله". [7]

إذ بطلت حجتهم أنه مقوم لقيصر وللسلطات الرومانية، وأنه مثير للشغب قدموا اتهامًا آخر ليس من حق بيلاطس أن يتدخل فيه، وهو أنه

مجدّف ومقاوم للناموس اليهودي. هذا من اختصاص رئيس الكهنة ومجمع السنهدين، وليس لبيلاطس ورجاله التدخل في الشؤون الدينية الداخلية. لقد جدف وادعى الأوهية، " **لأنه جعل نفسه ابن الله** ". لقد أدركت القيادات الدينية خلال أحاديث السيد المسيح الكثيرة أنه عني بقوله "ابن الله" مسلوته الله، لهذا اتهموه بالتجديف.

قدم المدّعون صحيفة الاتهام، وهي أنه قد جدّف فهو مستحق للموت (لا ٢٤: ١٦). كانوا يفتخرون بالناموس حتى وهم يكسرون الناموس ويخطئون في حق الله. "الذي يفتخر بالناموس، أبتعدني الناموس نهين الله" (رو ٢: ٢٣). وهم يسيئون إلى الناموس ظنوا أنهم يكومونه. لم ينصتوا للقول النبوي: "ويل للذين يقضون أقضية الباطل وللكتب الذين يسجلون جوراً" (إش ١٠: ١).

❖ تأملوا الاتهام: " **جعل نفسه ابن الله** " [7]. اخبروني، هل هذا أساس اتهام، أن الذي يملس أعمال ابن الله يدعو نفسه ابن الله؟ ماذا إذن يفعل المسيح؟ بينما كانوا يواصلون هذا الحوار الواحد يلي الآخر واصل هو سلامه، متمماً قول النبي: "لم يفتح فاه، في تواضعه زع حكمه" (إش 53: 7، 8LXX) [1815].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فلما سمع بيلاطس هذا القول زداده خوفاً ". [8]

إذ سمع بيلاطس أن المتهم ليس فقط نسب لنفسه الملكية وإنما الأوهية، اضطرب بالأكثر وخاف. صار الأمر بالنسبة له أكثر صعوبة. فقد كان يمكنه أن يقوم بدور لتهديئة الشعب بالنسبة لنسبه الملكية لنفسه، أما أن ينسب لنفسه الأوهية فليس في مقورة بيلاطس أن يهدئ من روع الشعب. وفي نفس الوقت خشي بيلاطس من شخصية يسوع، إذ لم يكن ممكناً التحقق منها. لقد تأكد من حقد القيادات الدينية عليه، لكن كيف يتأكد أنه بالحقيقة ابن الله. لقد خشي بيلاطس أن يكون مشتركاً معهم في الجريمة مقاوماً ابن الله المتأنس.

" فدخل أيضاً إلى دار الولاية،

وقال ليسوع:

من أين أنت؟

وأما يسوع فلم يعطه جواباً. [9]

قدم بيلاطس سؤالاً للمتهم في داخل دار الولاية يكشف عما يدور في ذهن الوالي، وهو أن شخصية يسوع تمثل لؤاً. كأنه يسأله: "ما هو أصلك الخفي السوي؟ من أنت؟ اخبرني". إنه سؤال كثيراً ما وُجّه إلى شخص السيد، فقد سأله اليهود، "من تجعل نفسك؟" (يو 8: 53). أما إجابته فهي أنه لن يعرفه إلا ذاك الذي هو معه في كل حين، من ذات جوهه، إذ يقول: "إن كنتُ أمجد نفسي، فليس مجدي شيئاً؛ أبي هو الذي يمجديني" (يو 8: 54). لقد تحير اليهود إذ يعلن: "أبي هو الذي يمجديني، الذي تقولون أنتم أنه إلهكم، ولستم تعرفونه، وأما أنا فأعرفه" (يو 8: 54-55).

أمام حوة بيلاطس وخوفه سأل السيد المسيح: "من أين أنت؟" [9]. تحدث معه في دار الولاية في قاعة القضاء، بعيداً عن ضجيج القيادات اليهودية والشعب.

أجاب يسوع على أسئلة بيلاطس السابقة، أما عن هذا السؤال "فلم يعطه جواباً" (يو 9: 19). لأن بيلاطس يطلب معلومات عنه من معطيات هذا العالم، بينما تتطلب الاجابة الخروج من العالم لإثراك ذاك الألي، فهو ليس بنبي مجرد بين الأنبياء ولا أحد المعلمين أو صانع عجائب وأشفية، لذا صمت.

لقد سبق فسأله: "أنت ملك اليهود؟" (١٨: ٣٣)، "أفأنت إذن ملك؟" (١٨: ٣٧). أجابه: "أنت تقول إني ملك". الآن لم يسأله: "من أنت؟" ولا "هل أنت ابن الله؟" إنما سأله بطريق غير مباشر: "من أين أنت؟" [9] هل أنت من البشر أم قادم من السماء؟ من أسفل أم من فوق؟ كان بيلاطس يعلم موطن السيد المسيح كابن بشر، إنما كان يسأله ليتأكد هل هو أعظم من البشر أم لا. لم يكن ممكناً أن يقدم السؤال مباشرة لئلا يُتهم بأنه يتدخل في المعتقدات

الدينية التي تحكم فيها القيادات اليهودية وحدها.

صمت السيد المسيح ليس عن عجز، ولا عن عدم اكوثا بخلاص بيلاطس، وإنما ليعطي بيلاطس فوصة للتفكير المتون، لأنه سبق فأجاب على سؤاله بقوله: "مملكتي ليست من هذا العالم" (يو ١٨ : ٢٦)، كما أوضح له من أين هو خلال الحوار التالي.

بروح النبوة دُهِشَ إشعيا لسمت السيد المسيح، فتحدث عنه في أكثر من موضع: "لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشلوع صوته" (إش ٤٢ : ٣)، "ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاه تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جزيها فلم يفتح فاه" (إش ٥٣ : ٧).

❖ خاف بيلاطس إذ سمع من اليهود أن السيد المسيح "جعل نفسه ابن الله" [7]، ورتاع لئلا يكون ما قالوه صدقاً، ويظن أنه يتجاوز الناموس، فلهذا السبب لم يسأله أيضاً: ماذا عملت، لكن إذ زوعه خوفه صار يفحصه من جهة شخصه، إذ قال: "من أين أنت؟" إلا أن السيد المسيح لم يعطه جواباً، لأن قد سمع: "مملكتي ليست من هذا العالم" (يو 18 : 36) و"لهذا وُلدت ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق" (يو 18 : 37)، فقد وجب عليه ألا يعاند ما سمعه [1816].

❖ وقال يوحنا الرسول: "وأما يسوع فلم يعطه جواباً"، إذ صمت السيد المسيح عن جواب بيلاطس أوضح أنه جاء إلى التآلم طائعاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كان يجتاز مائلاً للقضاء دون أن يفتح فاه، ليس في سمة حمل فعل هذا بضمير شيرٍ مقتنع بخطاياها، وإنما من هو في وداعته يقدم نفسه ذبيحة عن خطايا الآخرين [1817].

القديس أغسطينوس

"فقال له بيلاطس:

أما تكلمني؟

ألست تعلم إن لي سلطاناً أن أصلبك،

وسلطاناً أن أطلقك؟" [10]

في اعواز بالسلطة ثار بيلاطس لرفض السيد المسيح أن يجيبه على سؤاله. لذلك قال له: "أما تكلمني؟ ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟" بالغ بيلاطس في نظوته لسلطانه، إذ ظن في نفسه إنه سيد الموقف؛ ولم يبرك أنه من جانب ليس من حقه أن يصلب من كان بريئاً، ولا أن يطلق من يستحق الصلب حسب القانون الروماني، ومن جانب آخر نسي أنه يوجد إله ضابط الكل، وأنه لا يحدث أمر ما بدون سماح منه.

رأينا أن صمته لم يكن رفضاً من جانب ربنا يسوع عن الإجابة، لكنه قائم على عجز بيلاطس عن إرواك الحقيقة، لهذا إذ ظن بيلاطس أن له سلطان أن يصلبه أو أن يطلقه [10] أجابه يسوع معترفاً بما لبيلاطس من سلطان في حدود ما سُمح له به من فوق.

❖ رأيت كيف أن بيلاطس قد أوجب الحكم على نفسه مقدماً، لأنه إن كان الحل والربط كله عنده، فلم لم يطلقه إذ لم يجد فيه علة واحدة؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أجاب يسوع:

لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق،

لذلك الذي أسلمني إليك له خطية أعظم". [11]

ربما توقع بيلاطس أنه بهذا يفتح المجال ليسوع المسيح كي يتحدث معه لعله يطلقه، لكن السيد وبخه على كبريائه وافتخره بالسلطة فوق العدالة مع تجاهل نور الله ضابط الكل. جاوبه السيد المسيح لكي يزع عنه هذه الحمافة. وكما يقول الحكيم: "جاوب الجاهل حسب حماقته، لئلا يكون حكيمًا في عيني نفسه" (أم ٢٦ : ٥). حين استخدم بيلاطس سلطانه وجلده ظلمًا صمت ربنا يسوع، لكنه حين أعلن في كبرياء عن هذا السلطان وبخه، حتى يبرك

بيلاطس حقيقة حجمه. لقد نسي بيلاطس: "لأن فوق العالي عاليًا يُلاحظ، والأعلى فوقهما" (جا ٥ : ٨). هذه هي آخر كلمات نطق بها السيد المسيح مع بيلاطس في هذا السفر. لقد طالبه أن يترك أن كل سلطانٍ رُضيّ يتمتع به الشخص بناءً على سماح الهي، يصدر من فوق، من السماء، وليس مستمدًا من روما. صاحب السلطان الحقيقي على كل شئون البشر هو الله، لا الإمبراطور أو من يعينهم حكامًا وولاءة.

لم يمر بيلاطس بلحظات مثل هذه حين وجد نفسه يحاكم شخصًا يتطلع إليه كثيرون أنه ابن الله وملك إسرائيل. فقد صار مصير هذا الإنسان بين يديه، لهذا أراد السيد المسيح أن يكشف له أنه إنما هو أداة في يد الله، ما كان يمكنه أن يفعل شيئًا بدون سماح السماء (أع ٤ : ٢٧-٢٨). مع هذا قدم له السيد المسيح شيئًا من العذر إن قرنت خطيته بخطية الذين سلموه له. هذا لن يبور بيلاطس ولا يعفيه من المسؤولية. مسئولية مسلميه الذين قرأوا العهد القديم وسمعوا عن النوات التي تحققت فيه بجانب مارؤه من معجزات لا حصر لها وما حمله من سلطان إلهي. هذا كله جعل خطيتهم أعظم من خطية بيلاطس.

وى البعض أن السيد المسيح هنا يشير إلى يهوذا التلميذ الخائن الذي سلمه. لكن واضح أنه لا يقصد من أسلمه "يهوذا" وحده، لكنه يعني الأمة اليهودية كلها ورؤساء الكهنة، وكما قال بيلاطس قبلاً: "أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلي" (يو 8:35). حقًا لم يجد بيلاطس في يسوع المسيح علة تستوجب الموت، أما يهوذا فكان تلميذًا وصديقًا نال الكثير من البركات والإمكانات للعمل لحساب الملكوت السموي. انحرف بيلاطس عن العدالة، لكنه لم يأخذ رشوة كيهوذا. أخطأ بيلاطس في عدم ثباته لإطلاق الويء، لكنه لم يحمل روح الحسد والحقد والضغينة التي اتسمت بها القيادات اليهودية ضد يسوع المسيح.

ماذا يعني بالخطيئة هنا؟ في نظر الإنجيلي يوحنا هي "عدم معرفة" الله في استعلانه في يسوع المسيح.

❖ لقد حطم السيد كوربا (بيلاطس) وتشامخه، إذ قال: "لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق"، موضحًا أن هذا الحادث ليس على بسيط ذاته مثل حوادث كثرة، لكنه يتم بطريقة سوية [1818].

❖ وإذا سمعت قول السيد المسيح لبيلاطس: "لو لم تكن قد أعطيت من فوق" لا تظن أن بيلاطس ويء من كل زلة، لذلك قال: "الذي أسلمني إليك له خطية أعظم"، موضحًا أن بيلاطس مُطالب بخطية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما لم يجب كان صامتًا كحمل، وعندما أجب علمنا وواع. لذلك ليتنا نتعلم مما قاله، كما علمنا أيضًا برسوله: "ليس سلطان إلا من الله" (رو ١٣:١). وأن من يسلم للسلطان يربئاً لكي يُقتل لهو خاطئ أكثر من صاحب السلطان نفسه إن قتله خوفًا من سلطانٍ أعظم منه [1819].

القديس أغسطينوس

"من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه،

ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين:

إن أطلقنا هذا فلست محببًا لقيصر،

كل من يجعل نفسه ملكًا يقاوم قيصر". [12]

حديث السيد المسيح لم يثر بيلاطس ضده للدفاع عن سلطانه، بل على العكس صار أكثر حماسًا وغوة على توثته وإطلاقه. هذا واضح من ثورة اليهود وصراخهم ليحولوا الاتهام ضد بيلاطس نفسه كمن هو ليس محببًا لقيصر، وكمتهلون مع من يقاومه، وكم لا يصلح أن يحتل هذا المركز ويملس واجباته.

وجد الخصوم وسيلة لزيادة الضغط على بيلاطس بتوجيه تهمة التهلون مع من يزرع الفتنة والتمود. فمع حرص الشوع الروماني على احترام حقوق الشعوب المستعبودة وعاداتهم عند مملستها في إطار جماعتهم، إلا أنه كان قاسيًا عديم الشفقة في قمع التمرد والعصيان. بهذا قد يلحق بيلاطس

الأذى إذا ما أصوت الجماهير على الشكاية عليه لتهاونه في هذا الاتهام.

خشى بيلاطس من الوشاية لدى طيبيليوس قيصر ضده، فقد عُرف أنه من أكثر الأباطرة انفعالاً. سمع لوشايات ضد كثوين، وكان لا يثق فيمن يخدمونه. كان بيلاطس مستعداً أن يطلق يسوع، ولكنه لم يكن مستعداً أن يواجه اتهاماً بأنه فشل في مهمته كصديق لقيصر، ويدخل في متاعب مع روما مهما كانت التكلفة.

❖ لما أراد اليهود أن يجدوا في الشريعة علة على السيد المسيح فلم تنفعهم، انقلبوا بمكروهم إلى الشرائع التي هي خراج شريعتهم، إذ قالوا: "كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر". وأنا أسأل اليهود: وأين ظهر السيد المسيح عاصياً مغتصباً؟ من أين يجوز لكم اتهامه بذلك؟ لرجو أن توضحوا هذا؟ أمن تاجه؟ أم من شكله؟ أم من جنده؟ أم من مشيه مع تلاميذه الاثني عشر، مستخدماً البساطة في الطعام والثوب والمبيت؟ [1820]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع،

وجلس على كرسي الولاية،

في موضع يقال له البلاط، وبالعوانية جباثا". [13]

البلاط هنا أشبه برصيف حوي غالباً في هواء طلق، حيث كان يوجد فيه كرسي العدالة للقضاء خاص بالولاية والحكام ليحكموا من خلاله. كان الموضع موصوفاً بحجارة ملونة ورخام أزرق وأبيض وأسود.

كان الموضع يُدعى بالعوانية "جباثا"، مشتقة من "جابا"، معناها "مرتفع" أو "عالٍ"، حيث كان موضع الحكم غالباً ما يكون مرتفعاً في دار القضاء حتى يمكن للكل أن يروا القاضي أو الحاكم ويتابعوا الحوار، ويسمعوا الحكم. كان القاضي يصعد عليه بواسطة نوجات رخامية، ولعل هذه النوجات هي التي كانت تُدعى "البلاط". وروى البعض أن كلمة "جباثا" تعني مكاناً مغلقاً، إذ كان محاطاً بسورٍ حتى لا يقتحمه أحد من الحاضرين لإساءة التصرف مع المتهمين أثناء محاكمتهم. وروى البعض أن هذا الموضع كان مخصصاً لمحاكمة المجرمين خاصة في الأمور الخطوة التي تمس كيان الدولة.

بات إصدار الحكم قريباً، لأن الوالي يجلس على كرسي الولاية الرسمي *curule*، وهو كرسي من العاج خاص بالقضاة الرومانيين وما يمثلونه.

"وكان استعداد الفصح،

ونحو الساعة السادسة،

فقال لليهود:

هوذا ملككم". [14]

بعد عرضه لمكان المحاكمة عرض الإنجيلي أيضاً التوقيت فكان وقت الاستعداد للفصح نحو الساعة السادسة أي ظهراً. كانت أيام عيد الفطير (لو ٢٣: ٥٤)، وكان اليهود يستعدون لسبت الفصح. جاء التوقيت يضخم من ذنب صالبيه، إذ لم ينتظروا عبور العيد، مما يكشف عن مولة حقدهم

واندفاعهم وتسوعهم. لقد زعوا الخمير القديم من كل بيت، لكنهم لم يزعوا أعمال الإنسان القديم من قلوبهم وأفكلهم وسلوكهم.

كان ذلك ما بين الساعة الثالثة والساعة السادسة، إذ رُفِع على الصليب في تمام الساعة السادسة.

تحدث الإنجيلي موقس (15: 25) عن صلب السيد المسيح في وقت الساعة الثالثة حيث حسب الجلد منذ بدأ جلد السيد، أما الإنجيلي يوحنا فحسبه وقت الساعة السادسة حيث بدأ رفعه على الصليب.

روى البعض أن الساعة السادسة هنا حسب التوقيت الروماني حيث يبدأ اليوم الجديد من منتصف الليل وليس كالتوقيت اليهودي الذي استخدمه

الإنجيليون الآخرون، حيث يبدأ اليوم من الغروب إلى الغروب، أي السادسة صباحاً حيث كاد أن يصدر الحكم وتبدأ الإجراءات الفعلية للصليب. وفي

بعض المخطوطات وبعض نصوص الآباء جاءت "نحو الساعة الثالثة" وليس "السادسة".

إذ اتجه اليهود إلى اتهام بيلاطس نفسه في غضب سخر بهم قائلاً لهم: "هوذا ملككم" [١٤]. وكأنه يقول لهم: "إن كنتم بكل طاقتكم تريدون صلبه، فأنتم تسيئون إلى أنفسكم، إنه ملككم". لعله بهذا يلقي بآخر سهم لإنقاذ يسوع المسيح من الصلب!

❖ أسلم بيلاطس السيد المسيح إلى اليهود، ظاناً أنه يستعطفهم، والدليل على أنه عمل هذا العمل على هذا القصد اسمع ما قاله لهم: "هوذا ملككم".

القديس يوحنا الذهبي الفم

في سخرية باليهود أعلن بيلاطس: "هوذا ملككم"، ولعله إلي هذه اللحظات كان السيد مكللاً بإكليل الشوك وموتدياً ثوباً رجوانياً أو قوزياً قديماً. لم يدرك بيلاطس أنه بالحقيقة ليس فقط ملك اليهود، بل ملك العالم كله الذي فيه تحققت النوات بكونه مسيح الرب. قديماً رفض جدعون إقامته ملكاً على إسرائيل متطلعاً إلى الرب نفسه بكونه الملك الحقيقي (قض 8: 23). وعندما أراد الشعب أن يقيم لهم صموئيل النبي ملكاً كسائر الأمم، أعلن له الله أنهم لم يرفضوا صموئيل، بل رفضوه هو نفسه كملكٍ عليهم (1 صم 8: 5، 7). وكان رجال العهد القديم يتوقون تحقيق الوعد الإلهي: "أنت ابني وأنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم موائناً لك، وسلطانك إلى أقطار الأرض، لوعامهم بقضيب من حديد." (مز 2: 7-9)

كان يليق ببيلاطس أن يعلن لكل العالم: "هوذا ملككم الذي وعى النفوس وقيمها في مملكته السماوية الأبدية". جاء السيد المسيح، حمل الله، لكي يرفع الخطية عن العالم (1: 29). إنه محب للبشرية لكنه لا يطبق رؤية خطاياهم. إنه يرفع خطاياهم ليتقدموا في حضرة الأب حاملين وءه. أما هنا فنجد الإنسان لا يطبق مخلصه، يريد أن يرفعه عن عينيه حتى لا واه. لا يحتمل الشير حب الله، ولا يقدر حتى على معابنته!

"فصرخوا: خذه، خذه، أصلبه!"

قال لهم بيلاطس:

أصلب ملككم؟

أجاب رؤساء الكهنة:

ليس لنا ملك إلا قيصر". [15]

زدادت الصرخات بأنهم لا يطيقون رؤيته "خذه، خذه" [١٥]، فقدرضوا نسبتهم إليه، أو انتسابه إليهم، ليس لهم ملك إلا قيصر. تطلع إليهم إشعياء النبي فقال عنه: "مكروه الأمة" (إش ٤٩: ٧)، كما قال: "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتيه، محتقر ومخنول من الناس، ورجل أوجاع ومختبر الحزن، وكمُستر عنه وجهنا، محتقر فلم نعتد به" (إش ٥٣: ٢-٣).

كان الحكم بالإعدام صلباً معروفاً قديماً في الإمبراطورية الرومانية وخلجها. وكان العالم القديم يتطلع إلي الصلب كأبشع أنواع الموت، إذ يمثل علواً وخزياً. وكان الكتاب القدامي يحجمون عن الكتابة عن الصلب في شيء من التفصيل. قال شيشرون أن الصلب "أقسى أنواع العقوبات وإثارة للاشمئزاز". وتحدث عنه يوسيفوس بأنه "أدنى أنواع الموت". وتحدث الفيلسوف الروماني سينيكا عن الصلب كموت بطيء ومؤلم للغاية، متسائلاً إن كان يوجد شخص يود أن يموت بإرادته بهذه الوسيلة: "هل يمكن وجود شخص يفضل أن يضيع وقته في ألم بموت عضوٍ يلي عضواً، أو بترك حياته تنتهي نقطة فنقطة عوض أن يسلم النفس مرة واحدة؟ هل يمكن أن يوجد إنسان يرغب في تثبيته على خشبة اللعنة، يلتصق بها إلى مدة طويلة وقد تشوه شكله، انتفخ جسمه بحُبر (آثار الجراحات) على كتفيه وصوره، يتنسم الحياة وسط آلام مروة ممتدة؟ حقا إنه يجد مبررات كثيرة لكي يفضل الموت قبل أن يرتفع على الصليب [1821]."

كان يندر جداً الحكم بالصلب على مواطنٍ روماني، إنما كانت هذه العقوبة تُستخدم لضبط العبيد حتى لا يفكروا في الثورة، ويبقوا في مذلة وضعهم مهما كانت متاعبهم.

أمام ثورتهم ضد السيد المسيح لم تعد لهم رغبة في الحرية ولا قيمة للخلاص، كل ما يترجوه هو الخلاص من شخصه، حتى وإن صاروا عبيدًا لقيصر. لقد فقوا إحساسهم بأنهم تحت الاستعمار الروماني. حقًا كان اليهود - خاصة القيادات - يكرهون قيصر ولا يطيقون من ينتدبهم حكامًا أو ملوكًا عليهم، لكن أمام بغضهم لشخص السيد المسيح حسبوا الولاء لقيصر والاستعباد له أفضل. كانوا مستعدين للخضوع لأي طاغية من قبل قيصر، يطيعون أوامره بوضا إن كان في هذا خلاصًا من شخص السيد المسيح.

جواب رؤساء الكهنة فيه تحوُّف من جهة تهديد مؤسستهم الكهنوتية بالزوال. إنهم يقبلون قيصر ملكًا وحيدًا عليهم متناسين ملكوت الله.

❖ تطلع باهتمام إلى الرب وهو يُحاكم، فقد سمح لنفسه أن يقوده الجنود. جلس بيلاطس في الحكم. الذي يجلس عن يمين الآب يقف ليحاكم! الشعب الذي عتقه من أرض مصر... يصوح: "خذِه! أصلبه!"

لماذا أيها اليهود؟ هل لأنه شفى عميانكم؟ أم لأنه جعل الوجود منكم يمشون؟ ووهب الوركات للآخرين؟! يدهش النبي فيقول: "على من تغفرون الفم وتدلعون اللسان؟" (إش 4:57) ويقول الرب نفسه في الأنبياء: "صار لي موآثي كأسد في الوعر. نطق عليّ بصوته. من أجل ذلك أبغضته" (إر 8:12). لم لرفضهم لكنهم رفضوني، لهذا أقول: "قد تركت بيتي" (إر 7:12) [1822].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ ضغطوا عليه، قائلين: "أصلبه". ولماذا كانوا يجاهدون كي يقتلوه بهذه الوسيلة؟ إنه موت شائن! لقد خشوا لئلا يكون له فيما بعد أي ذكرى، فُرأوا أن يسقطوا عليه عقوبة لعينة، وهم لا يدرون إن الحق يتمجد خلال العواقب. لتأكيد إن هذا الشك كان لديهم اصغروا إلي ما قالوه: "سمعنا أن هذا المضل قال بعد ثلاثة أيام أقوم" (مت 27:63). لهذا قاموا بإنارة الكل ليقبلوا الأوضاع ويحطموا الأمور فيما بعد. وقد فسد الشعب المشوش بواسطة حكامه، وصوخوا مكررين: "أصلبه!" [1823]

❖ "ليس لنا ملك إلا قيصر". برادتهم اخضعوا أنفسهم للعقوبة. لذلك سلمهم الله، إذ وهم أولاد طربوا أنفسهم عن عنايته وإثوافه الفائق. وحيث أنهم بصوتٍ واحدٍ مجبوا سلطانه سمح لهم بالسقوط حسب طلبتهم [1824].

❖ هنا انحذروا عن مملكة المسيح، ودعوا لأنفسهم مملكة قيصر [1825].

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. الحكم بالصلب

"فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب،

فأخذوا يسوع ومضوا به". [16]

إذ لم تكن فيه مخافة الله بل مخافة البشر وقَّع بيلاطس على الحكم بصلبه، وسلمه للقائمين بالتنفيذ. ذاك الذي شهد مؤلًا وتكولًا بواعته أخوًا أصدر الحكم عليه كمجرم. لقد غسل يديه (مت ٢٤: ٢٧)، ليعلن أنه وئ من هذا الحكم، لكن غسل يديه لن يبرئه أمام الله.

انطلقت القيادات اليهودية مع منفي الحكم كي يكسوا الوقت، فقد خشوا تراجع بيلاطس في الحكم، إذ رؤه بين الحين والآخر يعلن واعته. ومن جانب آخر حتى لا يجد الشعب فرصة لمراجعة أنفسهم، وتذكر أعمال السيد المسيح العجيبة مع شهادة بيلاطس بنطس بواعته، فتسير الأمور على خلاف هوامهم. هكذا يثير عدو الخير تابعيه لانتهاز كل فرصة للإسواع بقتل الإيمان بالسيد المسيح في حياة كل مؤمن حتى لا يتمتع به.

في نظهم شعر القادة أن خطتهم قد نجحت، وسقطت الويسة في شبكتهم. فانطلقوا بالحمل إلى الذبح، ولم يبركوا أن ما يحدث سبق فتنبأ به الأنبياء، بكونه خطة الله الخلاصية.

❖ إذ سمع بيلاطس هذه الأمور سلمه ليُصلب؛ قطعًا بلا تعقل! كان يجب أن يتحقق إن كان المسيح قد هدف نحو نوال سلطة ملوكية، لكنه نطق بالحكم

خلال الخوف وحده. ولكي لا يحدث هذا قال المسيح مقدّمًا: "مملكتي ليست من هذا العالم"، ولكن إذ أسلم بيلاطس نفسه بالكامل للأُمور الزمنية لم يملس الحكمة كما يؤم. كان يكفي لحلم زوجته أن وعبه، لكن شيئًا من هذا كله لم يجعله يتصرف حسنًا؛ إذ لم يتطلع إلى السماء بل سلّم المسيح. الآن وضعوا عليه الصليب كفاعل شر. لقد أبغضوا الخشبة ولم يقبلوا حتى أن يلمسوها. هذا هو حال ما كان رمزًا حيث حمل اسحق الخشب. لكن الأمر كان وقتئذ متوقفًا على رادة أبيه، لأنه كان رمزًا، أما هنا فقد تمت الحقيقة عمليًا [1826].

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة،

ويقال له بالعبرانية جلجثة". [17]

كجزء من آلامه حمل الصليب حرفيًا. الجسم النحيل الرقيق حمل خشبة الصليب بكل ثقلها، حملها وحده ولأ. وإذ لم يستطع بسبب ضعف الجسد مع الجلادات التي عانى منها وجراحات إكليل الشوك واللطم، علونه سمعان القيرواني في حمله (مت ٢٧: ٣٢). وكما حمل اسحق حطب المحرقة وهو في طريقه ليُقدّم محرقة، هكذا حمل المسيح خشبة الصليب. وكما يقول النبي: "وَضَع عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (إش ٥٣: ٦). ويقول القديس بطرس: "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (١ بط ٢: ٢٤).

جاؤا به إلى موضع التنفيذ خرج المدينة يدعى الجلجثة. أشار العلامة أوريجينوس إلى تقليد بأنه في هذا الموضع دُفن آدم. هنا حيث غلب الموت آدم الأول وحوله إلى تواب، مات المسيح - آدم الثاني - لكي يقتل الموت، ويورد الحياة لآدم وبنيه. كان هذا الموضع على جبل التوريا حيث قدم إواهم ابنه اسحق ذبيحة محرقة، لكن الله أرسل كبشًا يُقدّم عوضًا عن اسحق. وى البعض أن السيد المسيح قد صُلب على تلٍ يحمل شكل الجمجمة. ❖ يقول البعض أن آدم مات ورفد هناك ، وأن يسوع قدم النصورة في نفس الموضع الذي ملك فيه الموت ، إذ ذهب حاملاً الصليب كغالبٍ على طغيان الموت. كان اكتشافه رمزًا للنصورة. ماذا يهم إن كان اليهود قد فعلوا ذلك بنية مغاوة [1827].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تألم بآلامنا حتى قبل آلام الصليب، قيل أن يأخذ جسدنا. لو لم يتألم لما شركنا حياتنا البشرية. ولأ تألم، وبعد ذلك قول. ولكن ما هذا الألم الذي احتمله لأجلنا؟ إنها آلام الحب! [1828]

العلامة أوريجينوس

"حيث صلوه،

وصلوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا،

ويسوع في الوسط". [18]

صُلب معه اثنان آخوان واحد عن يمينه، والآخر عن يساره. ربما لم يكن ذلك الوقت هو موعد صليبهما، لكن رؤساء الكهنة أصروا على ذلك كوع من الإهانة أنه مصلوب بين مجرمين. ولعله لهذا السبب كان اللسان يعوانه ويسيطان إليه، لأن بصلبه عجل بحياتهما ليُصلبا معه. لم يطلب رئيس الكهنة صلب تلميذين حوله لئلا يُحسب ذلك كرامة أن جميعهم صلوا من أجل الحق، وأن تلميذه شركا آلامه، بل أصر أن يُصلب مجرمان، يحتمل أن يكونا من فوة بلاباس اللص.

رأد قادة اليهود أن يعلنوا أنه أشر الثلاثة لأنه صلب في الوسط، ولم يدركوا أنه بذلك تحققت النبوة أنه أحصى مع آثمة.

❖ وإن قلت: فما غرض اليهود إنهم " صلوه، وصلوا اثنين آخرين معه "؟ أجبتك: إنهم في هذا الفعل أتموا النبوة كلهم، لأن هذا الفعل قد تقدم إشعياء النبي فذكره منذ قديم الزمان فقال "وجعل مع الأثوار قوه ومع غني عند موته" (إش 9: 53). رأد إبليس أن يضع حجابًا يخفي ما قد حدث، لكنه كان عاجزًا. فإن الثلاثة قد صلوا، لكن يسوع وحده كان مجيدًا، حتى تركوا أن سلطانه فوق الكل.

تمت معجزات عندما سُمر الثلاثة على الصليب، لكنه لم ينسب أحد شيئاً من المعجزات لأحد الاثنين، وإنما ليعسوح وحده. لقد بطلت خطة إبليس تماماً، ولرئدت على رأسه، إذ خلص أحد الاثنين. إنه لم يهن مجد الصليب بل ساهم في مجده ليس بقليل. فإن تجديد لص على الصليب والدخول به إلى القربوس ليس بأقل من اهتزاز الصخور [1829].

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. عنوان علته

"وكتب بيلاطس عنواناً،

ووضعه على الصليب،

وكان مكتوباً:

يسوع الناصري ملك اليهود". [19]

ما قد كُتب على الصليب دعاه يوحنا "عنواناً" أو "لقباً" *titlos*، ودعاه متى "علته" أو "الاتهام" *accusation – citiei*، ودعاه مرقس ولوقا "نقشاً" *apigraphe*.

اهتم الإنجيلي يوحنا بالكشف عن إراز الصليب في حياة يسوع المسيح. ففي الأصحاح الثالث، في لقاء يسوع الليلي مع نيقوديموس قال السيد: "وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن البشر" (يو 3:14). مرة أخرى في حديث السيد مع اليهود قال: "متى رفعت ابن الإنسان فحينئذ تفهمون إنني أنا هو" (يو 8:28). وفي حديثه مع بعض اليونانيين يقول: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أُجذب إليّ الصليب".

يرفع الإنجيلي أذهاننا لنراه يكشف عن الرفع أو السمو في المجد الذي صار لنا خلال المصلوب. فيه زى مسيحنا ممجداً في أبيه ومعه، حيث صار لنا حق الانطلاق نحو حضن الآب. جوهر الصليب أن يرتفع عن الأرض ليجتذب الجميع إليه، فيعيشوا على مستوى رُفع وأسمى من الأرض. وى الرسول بولس أن محبة الله تترسم على البشرية بشكل الصليب، إذ يتحدث عن العوض والطول والعمق والعلو لحب الله (أف 3:18). كأن أبعاد الصليب هي التعرف على سرّ الحب الإلهي.

في التقليد الشرقي يُحتفل بالصليب كشخص حيّ، فيرونه يسوع المصلوب. يطلب العلويات ، يفصل بين الظلمة والنور، وبين المعرفة والجهل. لذا صار للدينونة، يميز بين من يشتهي النور الأبدي ومن يستطيب الانطلاق في الظلمة.

الصليب هو ارتفاع إلى ما وراء هذا العالم ، وانفتاح على العالم الآخر حتى تُستعاد الشركة وتُضاء المعرفة، فيتسنى للإنسان الذي جاء إليه الله أن يتجه بدوره إلى الله، بل وأن يدخل حياته.

استخدام الكلمتين "فوق" و"أسفل" " أمر حوي في إنجيل يوحنا الذي يكشف عن شخص المصلوب وعمله. فإن كان الإنجيلي قد أغفل العشاء السوي إلا أنه أسهب في عرض حديث السيد المسيح عن سرّ الشكر، مؤكداً أنه الخبز النازل من السماء (أي فوق) (يو 6:22-40). وفي حديثه عن المعمودية وهي تغطيس يسحب قلوبنا إلى الولادة من فوق لنعاين عبر الصليب أعماق حب الله أبينا (يو 3:8).

في اختصار، بالصليب تتحقق أننا وإن كنا في العالم لكننا لسنا من العالم (يو 6:7، 14، 16، 18)، بل من فوق . نصير شركاء المسيح القائم من الأموات الذي لم تعرفه المجدلية حتى ناداها باسمها، وظننت أنه غريب. وأيضاً التلميذان الذاهبان إلى عمواس اللذان رافقا السيد المسيح الطريق ظنّاه هكذا غريباً.

❖ المسيح هو ملك اليهود، لكن اليهود بختان القلب في الروح وليس الختان بالحرف؛ الذين مدحهم ليس من الناس بل من الله (رو 2: 29)، الذين ينتمون لأورشليم الحرة، أمنا الأبدية في السماء، سرّة الروحانية التي طردت الجارية وأولادها من بيت الحرية (غلا 4: 22-31). لذلك ما قد كتبه

[1830]

بيلاطس كتبه، لأن الرب قال ما قاله .

القديس أغسطينوس

❖ جمع بيلاطس بذلك غرضين هما: انتقامه من اليهود، واعتزله للسيد المسيح، لأنهم لما أتوا السيد المسيح بمتولة رديئة، ورأوا أن يحقوا ذلك بمشركته للصين على الصليب أطبق أفراسهم وأقواه جميع الذين يريدون أن يلوموا السيد المسيح، وأوضح أنهم إنما ثاروا على ملكهم. هذا عن انتقامه من اليهود، أما عن اعتزله للسيد المسيح فكما يوضع على قاهر غالب علامته، كذلك وضع القاضي الكتابة في الوح، مبدياً سوتاً بهياً، موضعاً ظوهه مُشيداً بمملكته، وإن لم يكن بإشلة كاملة [1831].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ شهد أعداء الرب يسوع المسيح أنه هو الملك، ملك إسرائيل، حيث كتبوا فوق رأسه على الصليب "هذا هو يسوع ملك اليهود" (مت 27:37). ونحن نقبل هذه الشهادة حتى ولو يَفهم منها أنها تُضعف شمول قوته وتحد من ألوهيته على الإسرائيليين. يحمل العنوان المكتوب على الصليب شهادة بألوهية المسيح، ليس على اليهود فقط، بل على جميع الناس. هو ملك على كل الأرض، ويحكم على كل أجزائها. [1832]

القديس غريغوريوس النيسي

"فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود،

لأن المكان الذي صُلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة،

وكان مكتوباً بالعبرانية واليونانية واللاتينية". [20]

سُجل هذا العنوان بالثلاث لغات الرئيسية في ذلك الحين: العبرية لغة الناموس، واليونانية لغة الفلاسفة، واللاتينية لغة الحكام، فقد صُلب السيد ليملك على الجميع.

❖ حتى في صلب السيد المسيح حسده رؤساء كهنة اليهود، وأنا أخطبهم: إن هذا العنوان ما سبب لكم ضرراً، لأنه إن كان السيد المسيح ميتاً ضعيفاً وقد رُمع أن يُزع ذكوه، فلماذا خوفكم هذا من أَلْفاظ الكتابة القائلة: "يسوع الناصري ملك اليهود"؟ [19]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس:

لا تكتب ملك اليهود،

بل أن ذاك قال: أنا ملك اليهود". [21]

لم يشفِ الصليب غليل المتهمين، فإهوا يضغظون على بيلاطس أن يأمر بتغيير العنوان: "ذاك قال أنا ملك اليهود" [21]. لكن بيلاطس رفض الخضوع لطلبهم، فقد سقطت كثرة من فريق رؤساء الكهنة، ولم يعد يحتمل ضغطاً آخر. رأوا إواز انه مغتصب للكرامة والسلطة، وأنهم هو مخلصون لقيصر وفي ولائه له، مع أنهم كانوا في مذلة الاستعمار، وكانوا في داخلهم يطلبون ملكاً يهودياً له كامل السلطات. لم يدركوا أن رئيسهم يجب أن يُقطع (دا ٩:٢٦).

"أجاب بيلاطس:

ما كتبت قد كتبت". [22]

كانت القوانين الرومانية تمنع تغيير منطوق الحكم متى نُطق به. يبدو أن بيلاطس قد تتبأ بغير رادته، أنه هذا هو المسيا الملك الذي لن يملك آخر غوه على القلوب. وردت هذه النبوة في مزمور ٢٢:١٨ حوالي ١٠٠٠ عام قبل الصلب.

4. توزيع ثيابه

" ثم أن العسكر لما كانوا قد صلوا يسوع،
أخذوا ثيابه،
وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسمًا،
وأخذوا القميص أيضًا،

وكان القميص بغير خياطة منسوجًا كله من فوق". [23]

إذ حمل خطايانا لم يستكف من أن يُعوى على الصليب لوزى عربنا، ونطلب أن نلبس السيد المسيح، إذ هو بونا.

وُجدت عادة قديمة في العالم كله تقريبًا، بموجبها تعود مقتنيات المحكوم عليهم بالإعدام إلى الجلادين وغالبًا للذين ينفنون الحكم. يقدم لنا القديس يوحنا الإنجيلي تركة السيد المسيح التي تبدو هزيلة للغاية، وهي ثيابه بعد أن عوّه ليُصلب، كانت لقاءة على الأرض، اقتسمها الجنود الأربعة الذين نفنوا الحكم، وبقي القميص الذي بغير خياطة. وهو منسوج كله من فوق، ألّوا عليه قِعة حتى لا يشقوه. صار كمن لا يملك شيئًا حتى القميص الذي يُحسب كجلدٍ ثانٍ للشخص. كانت ثيابه لقاءة كمن لا صاحب لها، لأن المحكوم عليه بالموت لا رأي له بعد، ولا حقوق، حتى بالنسبة لثيابه. كانت ملابس الرجل في منطقة إسرائيل في ذلك الحين هي الثوب الخرجي والثوب الداخلي وغطاء الرأس وخزام والنعلين وملابسه الداخلية الخ. غير أنه لم يُوجد نعلان للسيد المسيح بين ملابسه.

وي **فيلون اليهودي السكنوري** أن قميص رئيس الكهنة في هيكل أورشليم كان دائمًا منسوجًا كله من فوق بغير خياطة بموجب فريضة طقسية. ورأى البعض أن ذلك رمزًا إلى كهنوت المسيح. وي البعض أن هذا القميص كان مشابهًا لقميص رئيس الكهنة، وقد وصفه المؤرخ اليهودي يوسيفوس أنه غير مخيط، بل هو قطعة واحدة على الكتفين والجانبين، وكان طويلًا، له فتحة للرقبة وله فتحتان لليدين [1833]. قيل أن هذا القميص كان من صنع يدي والدته وهو طفل، وأنه لم يتزوق ولا قدم، وذلك كما حدث مع ثياب شعب بني إسرائيل في البرية.

❖ على ما يلوح لظني أن يوحنا البشير قال هذا القول مضومًا فيه حقلة الثياب وبساطتها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وي **العلامة أوريجينوس** في هذا القميص إشارة إلى كمال تعليم المسيح الذي يؤمه حفظه دون شقه أو تقسيمه إلى أجزاء. ووي **القديس كيرلس الكبير** فيه رمزًا لميلاد المسيح البتولي، حيث بقيت والدته بولًا بعد ولادته. ووي **القديس كبريانوس** الذي كان يئن من الانقسامات التي وُجدت في كنيسة شمال أفريقيا أن القميص الذي بغير خياطة يشير إلى الكنيسة الحقيقية الواحدة التي لا يمكن أن تُشق ولا أن تُتق. وفي رسالة **للقديس أغسطينوس** إلى الدوناتست كتب: [لماذا ترون أن تقسموا ثياب الرب، ولماذا لا تحفظوا قميص الحب هذا مع بقية العالم ككلٍ منسوجًا من أعلى، هذا الذي لم يستطع حتى مضطهوه أن يشقوه؟] [1834]

وي **الأب ثيودور أسقف المصيصة** أن مثل هذا النسيج كان عامًا في وقت السيد المسيح، وإن كان في أيامه لم يعد يوجد مثل هذا النسيج إلا بين ملابس الجنود.

❖ قُسمت ثيابه لحسابنا. لا يستطيع أحد أن يملك كل شيء، إذ تُلقَى قِعة، لأن توزيع الروح القدس لا يأتي حسب رادة إنسان. إذ "أنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد... ولكن هذا كله يعملها الروح الواحد بعينه، قاسمًا لكل واحدٍ بمفوده كما يشاء" (1 كو 12: 4، 11)... هكذا قُسمت الثياب، أعمال المسيح أو نعمته...

نؤأ أن (القميص) "منسوجًا كله من فوق"، لأن الإيمان بالمسيح منسوج هكذا، حيث يتول إلى الناسوت... مادام هو مولود من الله قبل الدور.

وقد قبل الجسد...

القول: "وكان القميص بغير خياطة" يشير أيضًا إلى أن الإيمان يلزم ألا يتمزق بل يبقى بكامله [1835].

القديس أمبروسيو

❖ ترمز ثياب الرب يسوع المسيح التي قُسمت إلى أربعة أجزاء إلى الكنيسة الرباعية، إذ تنتشر في كل العالم، الذي يهوي رُبع رابع، وبالتسوي بمعنى بانسجام، موزعة على كل الأرباع مناطق. لهذا يقول في موضع آخر أنه سيوسل ملائكته ليجمع مختلبيه من الأربعة رياح (مت ٢٤: ٣١). وما هذا إلا من الأربعة رابع للعالم: الشوق والغرب والشمال والجنوب؟ [1836]

❖ يشير القميص الذي أُلقي عليه قِعة إلى وحدة كل الأجزاء التي تُحوى في رباط المحبة. وعندما يريد الرسول أن يتحدث عن المحبة يقول: "لِيَكَمْ طَوِيلًا أَفْضَلُ" (١ كو ١٢: ٣١). وفي موضع آخر: "لتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة" (أف ٣: ١٩). وفي موضع آخر: "وفوق كل هذه المحبة التي هي رباط الكمال" (كو ٣: ١٤) فإن كانت المحبة طويلاً أفضل، ومعرفة فائقة وتؤوض فوق كل الأشياء، لذلك كان من اللائق أن هذا القميص الذي يمثل المحبة يكون منسوجاً من فوق، وبغير خياطة [1837].

القديس أغسطينوس

"فقال بعضهم لبعض:

لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون،

ليتم الكتاب القائل:

اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قِعة،

هذا فعله العسكر". [24]

❖ أنظر النوات التي تمت بالأفعال التي تباحث بها العسكر، لأن المصلوبين كانوا ثلاثة، إلا أن أقوال النوات كملت في السيد المسيح، فلاي سبب لم يعملوا هذا العمل بالآخرين إنما لهذا وحده؟! تأمل استقصاء النوة، لأن داود النبي لم يقل إنهم اقتسموا ثيابه فقط، لكنه ذكر مع ذلك ما لم يقتسموه، لأن بعضها اقتسموها، ولباسه لم يقتسموه، لكنهم جعلوا امتلاكه بالقِعة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إذ يكتب القديس جيروم لأستوخيوم Eustochium عن حياة البتولية والسلوك اللائق بالعلزى، وى أن اللواتي يملسن هذه الحياة يتشبهن

بالسيد المسيح الذي كان له ثوب منسوج من فوق (سمولي). [ليت المتزوجات يخيطن لأنفسهم ثياباً، لأنهن فقدن الثوب المنسوج من فوق].

وفي نفس الرسالة يطالب العذرى ألا يرتدين أحذية فيقول: [أمر موسى ويشوع أن يخلعا أحذيتهما، لأن الأرض التي وقفا عليها كانت مقدسة (خر 3: 5؛ يش 5: 15)]، كان لهذا الأمر معنى سويًا. هكذا أيضًا عندما عُيِّن التلاميذ للبطولة بالإنجيل طلب منهم ألا يأخذوا معهم أحذية ولا سيور أحذية (مت 10: 10). وعندما جاء الجند ليلقوا قِعة على ثياب يسوع لم يجنوا أحذية ليأخذوها، لأنه لم يكن ممكناً للرب أن يملك ما قد منع عبده منه [1838].

5. اهتمامه بأمه

"وكأنت واقفات عند صليب يسوع،

أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية". [25]

جاء عن مريم زوجة كلوبا في مت ٢٧: ٥٦؛ مر ١٥: ٤٠ أنها أم يعقوب الصغير ويوسي؛ وأن ابنها يعقوب هو ابن حلفى Alpheus، مما

يبدو أن حلفى وكلوباس هما شخص واحد. يقول هيجيبوس Hegesippus نقلاً عن يوسابيوس [1839] أن كلوباس هو أخ يوسف خطيب القديسة مريم.

بينما هرب جميع التلاميذ ماعدا يوحنا إذا بالنسوة - والدته وأختها ومريم المجدلية - استمررن في موافقته حتى الصليب. لم يخشين عنف الأوثار ولارعب المنظر. حقاً لم يكن في إمكانيتهن أن يعملن شيئاً له، لكنهن أظهرن إخلاصهن حتى النهاية، رافقنه في طريق الخلاص الذي سار فيه، لقد تحقق قول سمعان الشيخ للقديسة مريم أنه يجوز في نفسها سيف (لو ٢: ٣٥).

مع حزنهن الشديد لم يقمن بتصرفات غير لائقة كما كانت عادة النسوة في الجنزلات في ذلك الحين. لقد رافقن السيد من أجل إخلاص حبهن له. حقاً إنها نعمة الله الفائقة هي التي سندت هؤلاء النسوة في تلك اللحظات العصبية، خاصة القديسة مريم والدته. بينما وجد أربعة جند يقومون بتنفيذ حكم الصلب بكل عنف وقسوة كان مقابل ذلك أربع نساء وافقن المسيح وسط آلامه. ❖ وقفت النسوة عند الصليب، الجنس الضعيف الذي ظهر أكثر رجولة، وهكذا تعبرت كل الأمور تماماً [1840].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً،

قال لأمه: يا امرأة هوذا ابنك". [26]

حتمًا في هذه اللحظات كان قلب القديسة مريم قد انشغل تماماً بآلام ابنها، أما هو فالآلام لم تشغله عنها، بل هي ثروة حبه الشديد لها ولكل البشرية. ما يشغله خلاص الكل وبنيانهم ومجدهم. في باوة حنان أخوة نحو أمه أراد أن يؤمن لها عناية وعونًا بعد ذهابه، فسلمها إلى من كان يحبه، والذي يعلم أنه الأقرب إليه من كل تلاميذه. بلا شك كان يوسف النجار قد تتيح منذ سنوات، ولم يعد من يهتم بالقديسة مريم، لذلك سلمها السيد المسيح وهو على الصليب للقديس يوحنا الحبيب بكونها أمه وهو ابنها. فنال يوحنا علاقة جديدة، النبوة لأم يسوع رب المجد.

لم يتروك لأمه شيئاً، إذ لم يكن له ذهب ولا فضة لكي توثه عنه، فالصندوق العام لحساب كل التلاميذ كان في يد يهوذا الذي غالبًا ما بدده، حتى ثيابه ورثها العسكر، ليس له ما يقدمه لها سوى تسليمها في يد من يحبه: يوحنا الرسول!

بالصليب تمتعت أمه بوع من الأمومة نحو الآخرين بعد ارتفاع ابنها الوحيد يسوع إلى الصليب.

لم يقل لها: "يا أمه" بل "يا امرأة"، ليس استخفافاً بها، ولا جحداً لأموستها، وإنما لكي لا يزداد حرجها كأما تسمع ابنها في اللحظات الأخيرة قبيل موته. ولعله أراد أن يؤكد لها أنه ليس من هذا العالم، فيخاطبها ليس من خلال العلاقات الدموية المعقدة، وإنما كممثلة للكنيسة موضوع حبه الفائق.

يقول نيسيفورس Nicephoros [1841] بأن العزاء مريم عاشت في بيت يوحنا ١١ عامًا في أورشليم، ووى البعض أنها ذهبت معه إلى

افسس.

❖ أطلب إليكم أن تتأملوا كيف فعل (السيد) كل شيء على الصليب بدون اضطراب، فتحدث مع تلميذه عن أمه، متممًا النوات، مقدمًا رجاءً حسنًا للصلب، مع أنه قبل بلادته أن يصلب ظهر وقد تصبب منه العرق وتألّم واضطرب. ماذا يعني هذا؟ إنه ليس بالأمر الصعب ولا المبهم. لقد أظهر قبل الصلب ضعف الطبيعة (كإنسان)، هنا يظهر عظمة السلطان.

بجانب هذا فإنه بهذين الأمرين يعلمنا أنه قبل حدوث الأمور المرعبة اضطرب، دون أن ننفر منها، ولكن عندما ندخل المعركة نحسب كل الأمور ممكنة وسهلة.

إذن ليتنا لا نخاف الموت. بالطبيعة نفوسنا تحب الحياة، لكن يحدث لنا أن نحل رباطات الطبيعة، فتصير هذه الرغبة (في الحياة الزمنية)

[1842] ضعيفة .

القديس يوحنا الذهبي الفم

[1843]

❖ نال ذاك التلميذ مائة ضعف أكثر مما تركه عندما استلم أم ذاك الذي وهب كل شيء .

"ثم قال للتلميذ: هوذا أمك.

ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته". [27]

- ❖ وهو على الصليب شهد المسيح وقسم أعمال التقوى بين الأم والتلميذ. قدم الرب شهادة ليس فقط على المستوى العام، بل وعلى المستوى الخاص. وأشار يوحنا إلى هذه الشهادة التي للمسيح شاهداً عن عظمة هذه الوصية [1844].
- ❖ وقفت أمه لا تبالي بالخطر الذي يحقق بها، وذلك من أجل غيبتها للتقوى. استهان هو بمخاطره، وقدم لأمه صفواً تقوياً. تعلمنا القواة هنا أنه يؤم اتباع الحنو المادي، وتوقير الأبناء (لأمهاتهم)...
- أعلن أن هذه التي ولدت الله بقيت عواء. ومع ذلك فسُلمت بطريقة سواوية ليوحنا، الأصغر (بين التلاميذ). هنا سرّ الكنيسة التي رتبنت قبلاً بالمظهر، وليس عملياً بالشعب القديم، ولكنها إذا ولدت الكلمة مزروعة في أجساد الناس وعقولهم خلال الإيمان بالصليب ودفن جسد الرب بوصية الله، اختلت أن تتبع الجنس الأصغر [1845].

القديس أمبروسيو

- ❖ يا للعجب من هذه الكرامة التي رام بها السيد المسيح تلميذه! ما أوفر هذه الكرامة، لأنه لما انصرف هو في ذلك الوقت سلمها إلى تلميذه المهمم بها، وإذ كان لائقاً بها أن تحتاج إلى مساعدة سلمها إلى محبوبه.
- ❖ يعلمنا أن نقدم توقراً فوق المعتاد لأمهاتنا. فعندما يقاومنا الوالدون بخصوص أمور روحية يؤمننا ألا نتمسك بما لنا. ماداموا لا يعوقونا يؤمننا أن نقدم لهم وقراً، وأن نفضلهم عن الآخرين، لأنهم ولدونا، وربونا واحتملوا ربوات الأمور العوابة من أجلنا [1846].

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ لكي تتعلم بأكثر تدقيق من الكتاب المقدس الإلهي أنه ليس فقط يُدعى "أباً" من هو أب طبيعي بل وغوه أيضاً، اسمع ماذا يقول الرسول؟ "لئله وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرون، لأنني ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (1 كو 4:15). كان بولس أباً للكورنثويين، ليس لأنه ولد لهم حسب الجسد بل خلال التعليم، وولد لهم مودة أخرى حسب الروح.
- اسمع أيضاً أيوب: "أب أنا للفقراء". لقد دعا نفسه أباً، ليس لأنه ولد لهم جميعاً، بل من أجل اهتمامه بهم.
- وا بن الله الوحيد نفسه عندما سُمر على الشجرة وقت الصلب لما نظر مريم أمه حبس ب الجسد ويوحنا تلميذه المحبوب جداً من تلاميذه، قال له: "هوذا أمك". وقال لها: "هوذا ابنك"، معلماً إياها أن تصب حبها "الوالدي" [1847].
- فيها، شلحاً بطريقة غير مباشرة ما قيل في لوقا: "وكان أباه وأمه يتعجبان منه" [1848]. هذه الكلمات التي يتصيداها الهواطة قائلين أنه وُلد من رجل وامرأة.
- فكما دعيت مريم أمًا ليوحنا من أجل حبها الوالدي وليس لأنها أنجبته، هكذا دعي يوسف أباً للمسيح من أجل عنايته بتربيته وليس لأنه أنجبه.
- إذ يقول الإنجيل: "لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" (مت 1:25). [1849]

القديس كيرلس الأورشليمي

- ❖ إنه الابن البتول الذي قبل الأم البتول موأناً من الرب [1850].

القديس جيروم

6. تقديم خل له

"بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل،

فلكي يتم الكتاب قال:

أنا عطشان". [28]

سبق فذكر الإنجيلي في حديثه عن لقاء السيد المسيح مع المرأة السامرية أنه كان عطشاناً، وكان ذلك أيضاً في وقت الساعة السادسة. وكما روى البعض أنها ساعة الظهيرة التي فيها خرج آدم من الفردوس. هكذا يعلن الله محبته الفائقة للبشرية وعطشه إلى الروح إلى أحضانه الإلهية. أثناء خدمته أعلن السيد المسيح للمرأة السامرية أنه عطشان (يو ٤: ٦-٧)، إذ كان يطلب إيمانها. وفي آخر رحلته هنا، وهو على الصليب، يعلن عن عطشه نحو كل نفسٍ بشويةٍ لتتمتع بأعماله الخلاصية. إن كانت نوان الجحيم قد جعلت من الغني إنساناً عطشاناً، يطلب قطرة ماء يبيلل بها لسانه، فقد احتل مسيحنا مكاننا ليعلن عن عطشنا لكي نقوي بينابيع حبه.

كان العطش أرواً طبيعياً لمن يُصلب حيث يفقد الجسم الكثير من الماء بسبب العرق والجراحات. لم يشكو مسيحنا كل آلام الجلد وإكليل الشوك والمسامير والحربة، لكن الشكوى الوحيدة التي نطق بها هي أنه عطشان، معوّاً عن عطشه الداخلي بجانب آلام جسده. سبق فتنبأ المرنل داود في الغزموال الخاص بالصلب فقال: "لصق لساني بحنكي" (مز ١٥: ٢٢). كما جاء أيضاً في الغزموال 69:21. لم يشر الإنجيليون الإرائيون إلى عطش السيد، بل انفود الإنجيلي يوحنا بذلك.

"وكان إناء موضوعاً مملوءاً خلأ،

فملاؤا إسفنجة من الخل،

ووضوها على زوفا،

وقدموها إلى فمه". [29]

مال البعض إلى احتساب ذلك إمعاناً في قسوة لا موجب لها بحق من يحتضر، إذ كان من المعتاد تقديم كأس خمر للمصلوبين حتى يخفوا عن الأامهم في لحظات موتهم، أما بالنسبة للسيد المسيح ففي شيء من السخرية قدموا إسفنجة بها خل. ووى البعض الأمر عكس ذلك تماماً، فإن من تقصوا الحقيقة أضحي ثابتاً منذ زمن طويل أن الجند الرومانيين كانوا يزوون في البلاد الحرة بثوابٍ خاص يُدعى pouška، وهو مزيج من الماء والخل، من شأنه أن يقطع العطش.

يتساءل البعض كيف يمكن رفع الاسفنجة المملوءة خلأ على زوفا وهو نبات ضعيف لا يقوى على البلوغ إلى فم المصلوب؟ ظن البعض أن الكلمة هنا تعني "جريدة"، لأن الكلمتين "زوفا" و"جريدة" في اليونانية متقربتان جداً، خاصة وأنه وجدت الكلمة الأخوة في نسخة ترجع إلى القون الحادى عشر. لكن أغلب الدارسين يرفضون ذلك، إذ جاءت الكلمة "زوفا" في كل المخطوطات السابقة وفي مخطوطات آباء الكنيسة الأولى.

يقول Raymond E. Brown أنه يوجد 18 نباتاً يدعى "زوفا"، وأن أكثر من صنف له ساق طويلة قاوة أن تحمل الإسفجة حتى تبلغ إلى فم

[1851]

الشخص المصلوب .

لقد رفض السيد المسيح أن يشرب خرواً قبل رفعه على الصليب (مت 27: 34؛ مر 15: 23)، هذا الذي يُقدم لكي يخفف الآلام.

❖ من له السلطان هكذا لكي يكيّف ما يفعله مثل هذا "الإنسان" الذي نظم كل شيء بخصوص آلامه؟ لكن هذا الإنسان هو الوسيط بين الله والناس، الإنسان الذي نوأ عنه في النوبة... من يعرفه؟... إنه ذاك الذي أظهر نفسه محتملاً كل هذه الأمور، هو نفسه أيضاً كان مختفياً، إذ هو الله الذي أعد كل الآلام.

[1852]

لقد رأى كل هذا سيتم، فسأل أن يتحقق، لهذا قيل أن يشرب الخل... "في عطشي سقوني خلأ" (مز ٦٩: ٢١).

❖ "قال أنا عطشان" [٢٧]، كما لو قال: "أمر واحد فشلتم أن تفعلوه، وهو أن تعطوني ما أنتم عليه. لأن اليهود أنفسهم كانوا خلأ مستخرجاً من خمر الآباء البطركة والأنبياء، وامتلاؤا كبناء مملوء من شر هذا العالم، قلوبهم كإسفنجة، مخادعين في شكل أعماق بها مسام معوجة. أما الزوفا التي

وضوا عليها الإسفنجة المملوءة خلاً فبكونها عشباً ضعيفاً يطهر القلب فإنه يناسب تواضع المسيح نفسه الذي حاصروه وتخلوا أنهم أوقعوه في الفخ تماماً. لذلك قيل في الزمور: "اغسلني بزوفاك فأطهر" (مز ٥١: ٧). فإننا نتطهر بتواضع المسيح. لأنه لو لم يتواضع ويطيع حتى موت الصليب (في ٨: ٢) ما كان يُسفك دمه لأجل غوان الخطايا، أو بمعنى آخر لتطهرونا [1853].

القديس أغسطينوس

7. تسليم الروح

"فلما أخذ يسوع الخل قال:

قد أكمل.

ونكس رأسه، وأسلم الروح". [30]

بقوله "قد أكمل" أعلن السيد المسيح أن عدوة مضطهديه قد بلغت النهاية، وإن النوات الخاصة بصلبه قد تحققت بالكامل. قد زال الظل تماماً وتحققت الحقيقة: بيع بثلاثين من الفضة، نُقبت يده ورجلاه، قسمت ثيابه، وعلى لباسه ألوا قِعة، والآن قدموا له خلاً في عطشه، وطُعن جنبه. الآن كملت آلامه لكي ينطلق يحمل الغنائم إلى الفردوس. عوض الجو المملوء كآبة يفتح أبواب الفردوس لكي تتهلل النفوس التي رقدت على رجاء. الآن قد تم تقديم ذبيحة جسده، وها هو كوثيس الكهنة الأعظم السملوي ينطلق إلى الآب ليشتتمها رائحة سرور ورضا عنا.

"أسلم الروح" : لم تغتصب حياته منه بالقوة، بل سلمها بكامل حريته. لقد قال للآب: "في يدك استودعك روحي"، معرواً عن قبوله للموت باختياله، فدية عن كثيرين.

"نكس رأسه" : الذين يُصلبون عادة يرفعون الرأس للتتفيس ولن ينكسوا الرأس إلا بعد آخر نسمة في حياتهم، أما السيد المسيح فلكي يبرز دوره الاختباري أحنى رأسه ولأ كمن بنام، أو كمن يخضع ليعلن أنه حمل ثقل خطايانا وشورنا، إذ يرى البعض أنه بتنكيس رأسه أعلن مدى ثقل خطايانا التي حملها برادته عنا. "لأن آثامي عليّ، طمت فوق رأسي، كحملٍ ثقيلٍ أثقل مما أحتمل" (مز ٣٨: ٤). "لأن شروراً لا تُحصى قد اكتفتني" (مز ٤٠: ١٢). انحاء الرأس أيضاً يعلن عن خضوعه وطاعته لأبيه الذي يُسر بتقديم ابنه الوحيد ذبيحة حب عن البشرية.

عند الصليب أسلم يسوع روحه البشرية في يدي الآب، لكي يسلم روحه القوس إلى كنيسته.

❖ إذ أحنى رأسه سلم الروح ، بمعنى أنه مات. مع ذلك فإن لفظ النفس الأخير لا يأتي بعد انحاء الرأس، ما حدث هنا هو على النقيض. إنه لم يحدث

له ما يحدث معنا أن يحني رأسه عندما سلم النفس الأخير وإنما عندما أحنى الرأس أسلم الروح قد أظهر الإنجيلي بكل هذه أنه رب الكل [1854].

❖ رأيت كيف كان السيد المسيح عاملاً كل ما يشاء بسلطانٍ وبخلوٍ من الاضطراب؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أحنى الرأس، وتمرحيل روحه في عملٍ مريحٍ لها، كما في حزن الآب القادر أن يدللها ويقويها في حضنه.

العلامة أوريجينوس

❖ من يقدر أن ينعس متى يريد، مثلما مات يسوع حينما أراد؟ من هو هذا الذي خلع ثيابه عندما شاء، كما خلع جسده حسب مسوته؟ من هو هكذا رحل

عندما يريد، كما رحل هذا من هذه الحياة حسب مسوته؟ يا لعظمة سلطان ذاك الذي نوجاه وزهبه إذ هو الديان، إن كان هكذا هو سلطانه الذي أعلنه

وهو إنسان مبيت! [1855]

القديس أغسطينوس

8. طعنه بالحربة

ثم إذ كان استعداد،

فلكي لا تبقى ال أجساد على الصليب في السبت،

لأن يوم ذلك السبت كان عظيمًا،

سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويوفوا". [31]

كانت كل السبوت أيام مقدسة، لكن هذا السبت الذي كان يقع في أسوع الفصح حيث الفطير غير المختمر، الذي يُقدم فيه البكور كما روى البعض، فهو "اليوم العظيم *megale hemera*"، وهو أعظم يوم من أيام الإعداد الطبيعي للفصح.

كان الإعداد لكل سبت يبدأ في الساعة التاسعة من يوم الجمعة (٣ ظهراً). جاء في يوسيفوس [1856] أن الإمبراطور أوغسطس أصدر منشورًا لصالح اليهود أنه لا يُؤم أحد أن يقدم تحية في يوم السبت، ولا في الاستعداد له منذ الساعة التاسعة (حسب الطقس اليهودي).

لم يكن يُسمح ببقاء الأجساد الميتة في الأيام العادية (تث ٢١:٢٣) ولعل ضمومهم بدأ يوخرهم فلم يحتملوا بقاء جسمه معلقًا أمامهم يذكرهم بجريمتهم البشعة، فيفسد عليهم فح العيد. هذا وبمناسبة العيد كانت أورشليم مكتظة بالغرباء، فلم يرد اليهود أن يبقى جسم المسيح المصلوب معلقًا. روى البعض أنهم لم يطلخوا قطع رؤوسهم لكي يموتوا سريعًا بلا آلام مؤيدة، وإنما طلخوا كسر سيقانهم من أجل معاناتهم من آلام أكثر. وهكذا حتى في طلب الوحمة (إزال أجسادهم من على الصليب) كانوا قساة للغاية. وعندما تظاهروا بالقداسة - عدم ترك الأجساد حتى لا تتدنس الأرض - مارسوا الشر. اهتموا بحفظ السبت ولم راعوا العدالة والبر.

❖ كان اليهود يبلعون الجمل ويصفون عن البعوض، إذ ملسوا إثمًا جسيمًا ودقوا جدًا بخصوص (حفظ) اليوم [1857].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأتى العسكر وكسروا ساقى الأول والآخر المصلوب معه". [32]

" وأما يسوع فلما جاؤا إليه لم يكسروا ساقيه،

لأنهم رأوه قد مات". [33]

مات السيد المسيح سريعًا قبل اللصين، ربما لأن جسمه كان نحيفًا، ولأن شخصه كان رقيقًا، فلم يحتمل كل هذه الآلام. أو لعله سمح لنفسه بالموت قبلهما ليبرك الكل أنه مات بولادته، إذ سلم روحه في يدي الآب في الوقت الذي اختاره. لقد خضع للموت بولادته لا عن التوأم، وإنما خلال نصوته بالحب.

"لكن واحدًا من العسكر طعن جنبه بحربة،

وللوقت خرج دم وماء". [34]

لم تود قصة طعن جنب المسيح إلا في هذا الإنجيل.

يسوع الذي مات حقيقة حسب الجسد، إذ فرقت النفس الجسد، يُعلن أنه مبدأ الحياة الغالبة للموت. بموته غلب الموت وأعاد إلينا الحياة الأبدية.

روى آباء الكنيسة الأولى مثل القديسين أغسطينوس وأمبروسيوس ويوحنا الذهبي الفم في هذه الظاهرة إشارة أولى إلى سوي المعمودية

(الماء) والإفخرستيا، حيث يكون الارتواء مباشرًا من الروح في جنب ربنا يسوع. روى كل من العلامة توتليان والقديس كيرلس الأورشليمي

والقديس جيروم أن الماء والدم هنا همارزان للمعمودية والاستشهاد [1858]. روى البعض أنهما رمز للعهد القديم (الماء) والجديد (الدم) حيث فيه

تم العهد وتمتع رجال العهدين بالخلاص.

يُقال أن هذا الجندي يُدعى لونجينوس Longinus، وأنه إذ خرج دم وماء من جنب السيد سقطت قطرات دم على عينيه العليلتين فبرئتا، فأمن

به، وأنه كرز في كبروكية، ونال هناك إكليل الشهادة. روى البعض أن اسم لانجينوس جاء تحريفًا من كلمة *Longchee* اليونانية، ومعناها حربة أو رمح

وردت هنا في النص.

لزال النقاش مستورا حول موضع الحربة، هل على الجانب اليمين أم اليسار من السيد المسيح. وإن كان الروح القدس لم يعلن لنا خلال الأناجيل عن ذلك، مكتفياً بأنه طعن بالحربة تحقيقاً للنبوته. وى البعض في طعن السيد المسيح بالحربة حتى قلبه إنما كان ذلك أشبه بنافذة تطل من خلالها النفس على أحشاء المسيح الداخلية أو قلبه، لتوى فيض حبه الإلهي، أو لهيب الحب الفائق نحو البشرية. إنه النافذة المفتوحة التي من خلالها يمكن للمؤمن أن يلتقي بالله، ويرسل إليه مشاعر حبه. إنها نافذة القلب التي لا تُغلق قط أمام أي تائب.

سمح الله للجندي أن يضرب قلب السيد المسيح بالحربة لكي زى في القلب الصخرة المضروبة لأجلنا (١ كو ٤: ١٠)، والينوع الذي يفيض علينا (رك ١: ١٣)، وأبار الخلاص التي حُوت من أجلنا (إش ١٢: ٣)، والنهر الذي يفيض بمجلية لكي يؤح مدينة الله.

❖ حُوح الرب في آلامه، ومن هذا الحرح حوج دم وماء... الماء للغسل، والدم للشرب، والروح لقيامته. فالمسيح وحده هو رجائنا وإيماننا وحبنا. رجاء في قيامته، وإيمان في الحرن، وحب في السرّ. [1859]

القديس أمبروسيو

❖ جاء الجند وكسروا سيقان الآخرين ولم يكسروا ساقى المسيح. لكن هؤلاء ضربوا جنبه بالحربة ليبهجوا اليهود، وكووع من الإهانة للجسد الميت... الآن تحققت النبوة: "ينظروا إلى الذي طعوه" (راجع رك 12: 10). ليس هذا فقط، وإنما صار هذا العمل وهائلاً على الإيمان بالنسبة للذين لم يؤموا بعد ذلك، مثل توما ومن على شابهته. هذا أيضاً حمل سواً فائق الوصف قد تحقق، إذ حوج دم وماء. لم يحدث هذا بلا هدف، ولا مصادفة، حيث صدر الينوعان. لأن بهذين الاثنين معاً تتكون الكنيسة. يعرف ذلك المبتدئون في الأسوار، فإنهم بالماء ينالون الميلاد الجديد، وبالدم والجسد ينتعشون. هكذا وُجدت الأموار في البداية حتى عندما تقربون إلى كأس المهوب تقربون كما من جنبه ذاته لتشربوا. [1860]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كما أن عمله الأرضي (خدمته على الأرض) بدأت بالماء، هكذا انتهت به. طُعن جنبه بالحربة، وفاض دم وماء، رمزاً للمعمودية والاستشهاد. [1861]

القديس جيروم

❖ لقد أعلن عن ذلك مقدماً عندما أمر حوج أن يقيم باباً في جنب الفلك (تك ١٦: ٦)، حتى تدخل منه الحيوانات لكي لا تهلك من الطوفان، والتي كانت تشير إلى الكنيسة. لهذا حُلفت المرأة الأولى من جنب الرجل وهو نائم (تك ٣٢: ٢) ودُعيت الحياة (هواء) وأم كل حي (تك ٣: ٢٠)... أحنى آدم الثاني هذارأسه ونام على الصليب حتى تتشكل العروس مما يصدر عن جنب النائم... أي شيء أظهر من مثل هذا الدم؟ أي شيء يهب صحة أكثر من هذا الحرح؟ [1862]

القديس أغسطينوس

"والذي عاين شهد،

وشهادته حق،

وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم". [35]

"لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل:

عظم لا يكسر منه". [36]

بقوله هذا يشهد القديس يوحنا أنه عاين ذلك بنفسه، وأن ذلك حدث معجزيًا. وقد أشار إلى ذلك لأن الإنجيليين الآخرين لم يشيروا إلى هذا

الحدث، وهو يؤكد حقيقة موته.

لقد تم الكتاب حسب الوعد الذي قُدم لكل الأوار كإشارة لما يتحقق مع يسوع البار (مز ٣٤: ٢٠) أن الله يحفظ كل عظامه، وواحدة منها لا تتكسر. ويقول داود بالروح: "كل عظامي تقول: يارب من هو مثلك؟" (مز ٣٥: ١٠). هذا وقد مُنع اليهود من كسر عظمة من عظام خروف الفصح (خر ١٢: ٤٦؛ عد ٩: ١٢). فالمسيح فصحنا دُبح لأجلنا (١ كو ٥: ٧)، إنه حمل الله (يو ١: ٢٩)، لذلك لا تُكسر عظامه.

تشير العظام في العوانية إلى قوة الجسم، بكونها تكوّن الهيكل العظمي للإنسان. فعدم كسر عظامه يرمز إلى أن السيد المسيح وإن كان قد قُبِلَ أن يصلب كما في ضعفٍ، لكن في ضعفه قوة. فالخطية تكسر عظامنا وتزع عنا قوتنا، لذا يقول المرنل داود في مزموه التوبة: "تبتهج عظامي المنسحقة" (مز ٥١: ٨). لكن الخطية لم تقدر أن تكسر أو تسحق عظام المسيح، إنما وقف بثبات يحمل ثقل خطايانا حتى يخلصنا منها.

❖ لقد تمت تلك النبوة، إذ لم يكسر اليهود للسيد المسيح عظامًا، وأن هذا القول قيل في وصف الخروف عند اليهود، إلا أن الوسم حاضر من أجل الحق، وفي هذا خوج أكثر وضوحًا، ولهذا السبب اقتاد البشير ذكر ما قاله الكتاب إلى وسط كلامه.

❖ يعلن القديس يوحنا بصوتٍ عالٍ عن الأسوار اللازمة مقدمًا، وإذ رأى الكنز ملقياً فيها كان دقيقًا بخصوص ما حدث وكيف تحققت النبوة أيضًا... "عظمة واحدة منه لا تتكسر" (راجع خر 12: 46؛ مز 34: 20). فإن هذا قد قيل بخصوص حمل اليهود، وذلك من أجل الحقيقة التي سبق ففتبأ عنها الرمز، ففيه تحققت النبوة بأعظم كمالٍ. لهذا فإن الإنجيلي قدم النبي. وإذ هو يقدم نفسه على النوام كشاهدٍ ربما يبدو أن شهادته غير موضع ثقة جلب موسى (كشاهدٍ) وقال أن ما حدث لم يكن بغير هدفٍ، بل سبق فكتب عنه قبلاً في القديم [1863]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأيضًا يقول كتاب آخر:

سينظرون إلى الذي طعنوه". [37]

تم قول الكتاب أيضًا بخصوص طعنه بالحربة، إذ جاء في سفر زكريا النبي ينظر إليه الذين طعنوه وينوحون (١٢: ١٠؛ رؤ ١: ٧)، وأنه حُج في بيت أحبائه (ك ١٣: ٦).

❖ سيتطلع هؤلاء اليأساء إلى الذي سخروا به، إذ رؤوه معلقًا على الصليب الثمين. سيروه متوجًا بالمجد الإلهي، وسينحدرون إلى هوة الدمار في مجلاة عادلة على شرهم من نوره [1864].

القديس كيرلس الكبير

❖ هوة أخرى بثبت كلمات النبي بشهادته هو.

أخوتكم بهذه الأمور لتتعلموا العلاقة العظيمة بين الرمز والحقيقة. ألا ترون بأي اجتهاد أخذ هذه الأمور لكي يؤمتموا من خلال ما يبدو خزيًا وعلًا؟

إهانة الجندي للجسم الميت كانت أشر من صلبه... لكن ولا خلال العار يقدر أحد أن يؤدي قضيتنا. فإن ما يبدو خزيًا عظيمًا للغاية هو نفسه سجل مهيب للغاية عن الأمور الصالحة [1865].

القديس يوحنا الذهبي الفم

9. دفته

"ثم أن يوسف الذي من الرامة،

وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود،

سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع.

فأذن بيلاطس،

فجاء وأخذ جسد يسوع". [38]

إذ كان الفصح اليهودي وشيكاً وجب التعجيل في الدفن. يظهر الإنجيلي عملية الدفن بطريقة مؤثرة كعملٍ وقورٍ، من صنع الإيمان والحب، التزم بها تلميذان ليسوع خفيّان.

كان يوسف الرامي تلميذاً للسيد المسيح، في ضعفه كان متخفياً طوال خدمة السيد، لكن في اللحظات الحاسمة حيث عُلق جسد الرب على الصليب، في شجاعة انطلق إلى بيلاطس يستأذنه في أخذ الجسد، فنال كرامةً عظيمةً. رافقه في ذلك نيقوديموس الذي جاء ليلاً إلى السيد، والآن لا يخشى طرده من مجمع السنهريين. لو لم يفعل ذلك لقام العسكر بدفنه مع اللصين في قبرٍ قديمٍ، ولم تكن قيامته قد تأكدت، بل كان يمكن الادعاء بأن الذي قام شخص آخر.

❖ لم يكن يوسف هذا تلميذاً من الاثني عشر، لعله كان من السبعين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وجاء أيضاً نيقوديموس الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً،

وهو حامل مزيج مر وعود نحو مائة منا". [39]

يُستخدم المزيج من المر والعود لحفظ الجسم مدة طويلة. وي البعض أن المائة من المزيج يكفي لتطبيب ٢٠٠ جسمًا من الواقدين. وقد ظنوا أن في ذلك خطأ في النسخ. لكن هكذا كانت العادة بالنسبة للشخصيات الهامة أو المحبوبة، فقد قيل عن جنزة أرسطوبولس Aristobulus أن كمية ضخمة من الأطياب استخدمت، وقيل أن ٥٠٠ خادماً حملوا عودًا لتطبيب جسد هيروودس في جنزته [1866]. وأن ٨٠ رطلاً من الأطياب استخدمت في جنزة عمالائيل الكبير.

المن : وزن يوناني وروماني يسوى نحو مائة وهم.

❖ لديكم مر من أجل الدفن. وعصرة الصبر من أجل العبور إلى العالم السفلي، حيث كل نقطة تتحدر إلى اسفل، وقوفة لأجل تدبير الجسم على خشبة الصليب [1867].

القديس باسيليوس الكبير

❖ رائحتك الأولى فوق كل الأطياب (نش 10:4)، هذه التي استخدمت في دفن المخلص [39]. توح الرائحة الذكية من إبادة ملذات الأعضاء. أما الرائحة الثانية فهي مثل رائحة لبنان (نش 11:4) تطلق رائحة عدم الفساد الذي لجسدر بنا، زهرة العفة البتولية [1868].

القديس أمبروسيو

" فأخذ جسد يسوع،

ولفاه بأكفانٍ مع الأطياب،

كما لليهود عادة أن يكفون". [40]

❖ ماذا يعني أن يوسف ونيقوديموس يدفنان المسيح وليس التلاميذ؟

واحد منهما صالح وبار (لو 23: 50)، والثاني لا يوجد فيه نفاق، فإن دفن المسيح يتحقق نون خداع أو شرٍ. فقد أغلق على أي بابٍ

للمروعة...

لو أن الوسل دفنوه لقال اليهود بكل تأكيد أن هؤلاء لم يدفنوه... لكن إنساناً برًا كفن جسم المسيح في كتانٍ ثمينٍ (مت 27: 59؛ لو 23: 53)

وإنسان غير مرواغ دهنه بالطيب، لذلك فإن هذا الأمر لم يتم بلا هدف، لأن البرّ يلبس الكنيسة، والواعة تخدم النعمة.
لتغطوا جسد الوب (الكنيسة) بالثياب... ولتدهنوه بالمر والسيخة فيكون لهارائحة المسيح الذكية (2 كو 2: 15).
قدم يوسف كتناً ثميناً، ربما هو مارآه بطوس نؤلاً من السماء، وفيه كل أنواع الحيوانات كرمز للأمم (أع 10: 12).
هكذا تُكفن الكنيسة التي ترتبط بتتويج من الشعب في شوكة إيمانها بهذا الطيب النقي السوي [1869].

القديس أمبروسيو

❖ أظن أنه ليس بنون هدف يقول: " كما لليهود عادة أن يكفونوا " [٤٠]، فإنه بهذا - إن كنت لا أخطئ - يحثنا على مملسة مثل هذا الواجب من أجل الميت، حسب عادة كل أمة [1870].

القديس أغسطينوس

"وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان،

وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط". [41]

دُفن جسد المسيح في قبرٍ جديد، كان قد أعده يوسف الرامي في بستان له خرج المدينة، قريب من موضع الصلب "الجلجثة"، ولم يكن يتوقع أنه سيكون قوًا للسيد المسيح.

في بستان أحنى السيد المسيح رأسه ليسلم رادته بين يدي الآب في مسرة ليحمل الصليب، وهناك ألقى القبض عليه، وفي بستان قام السيد المسيح ليعلمن بآلامه وموته أنه غلب الموت ووهب القيامة. في البستان دُفنت حبة الحنطة التي تحدث عنها السيد المسيح (يو ١٢: ٢٤)، وأثورت ثلاثين وستين ومائة. في البستان فجّر السيد ينابيع الحياة (نش ٤: ١٥).

كان القبر جديدًا، وقد قام السيد والحجر موضوع عليه، فكما وُلد من البتول هكذا قام من قبر بتول. كل شيء بالنسبة له كان جديدًا حتى القبر لكي يهبنا الحياة الجديدة.

❖ في هذا الفردوس غنيت لعوسي في نشيد الأناشيد: "قد دخلت جنتي يا أختي العروس" (نش 5: 1)، فقد كان مكان الصلب بستانًا. ماذا أخذ من هناك؟ "قطفت مري مع طيبي، إذ شوب المر مع الخل، وبعد ذلك قال: "قد أكمل". لأن السرّ تم، والمكتوب تحقق، والآثام غُفرت. "لأن المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخوات العتيدة، فبالمسكن ال أ عظم والأكمل غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تيوس وعجول ولكن بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً. لأنه إن ن كان بدم ثوان وتيوس ورماد عجلة موشوش على المنجسين يقدس إلى طهرة الجسد، فكم بالأحرى يكون دم المسيح؟! (عب 9: 11-14) [1871].

❖ يعود فيقول في نشيد الأناشيد "تولت إلى جنة الجوز" (نش 6: 11)، إذ صلب السيد في البستان. فإنه وإن كان الموضع الآن مزينًا بالهبات الملكية لكنه كان قبلاً بستانًا، ولا زال العلامات والآثار قائمة. إنه "جنة مغلقة وينوع مختوم" (نش 4: 12). قيل هذا عن اليهود، هؤلاء الذين قالوا: "تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حيّ إنني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر أن ي ضبط القبر" وعلى هذا "مضوا وضبطوا القبر بالحواس وختموا الحجر" (مت 27: 63، 65) [1872].

❖ في بستان كان دفنه، حيث زُرعت هناك كومة، إذ قال عن نفسه: "أنا هو الكومة" (يو 15: 1). لقد زُرعت في الأرض لكي يقتلع اللعنة التي حلت بسبب آدم حيث سُلّمت الأرض للشوك والحسك. لقد طلعت الكومة من الأرض ليتم القول: "الحق من الأرض أشوق، والعدل من السماء اطلع" (مز 84: 10).

وماذا يقول ذلك المدفون في البستان؟ "قطفت مري مع طيبي" (نش 5: 1) وأيضًا: "مرّ وعود مع كل أنفس الأطياب" (نش 4: 14). وهذه هي

علامات للدفن، إذ جاء في الأناجيل "أتين (النسوة) إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعدنّه" (لو 24:1). "وأ حضر نيقوديموس أيضًا خليطًا من مرّ وعود" (يو 19:39)، ومكتوب أيضًا "أكلت خبزي (شهدي) مع عسلي" (نش 5:1). إذ أكل المرّ من قيل الصليب والعسل بعد القيامة [1873].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ كما أنه لم يحبل بأحد من قبله أو بعده في رحم العنواء مريم، هكذا لم يُدفن أحد في هذا القبر قبله أو بعده [1874].

القديس أغسطينوس

" فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود،

لأن القبر كان قريبًا". [42]

لم تقم خدمة جنزة للسيد المسيح، لأنه مات مصلوبًا، مرفوضًا من خاصته. ولم يكن يوجد وقت لأنه كان يؤرم دفنه سريعًا قبل الغروب. دُفن شمس البرّ مع غروب الشمس، ولم يكن ممكناً للقبر أن يحبس نوره، ولا للظلمة أن تسيطر عليه. حوسه الجند لثلا يقوم فيعلن وفاء ديننا وقبول ذبيحته عنا، ويبررنا أمام الآب، لكن صلت الحواسة شهادة حقيقية عن قيامته.

واضح من هذا التصوف أنه لم يكن موضوع قيامته في ذهن أحد بالرغم من الإشرلات المستنورة إليها قبل صلبه. وتم الدفن هكذا بسبب ضيق الوقت مع عدم الإعداد بمقوة خاصة به، كما لم يفكر أحد في دفنه في مقابر الأسوة، ربما لأن الغروب قد اقترب جدًا، ومن الصعب التدبير بين الأسوة للدفن في ظروف مرة كهذه. هذا من الجانب البشوي، أما من جهة التدبير الإلهي فكان كل شيء معدًا بتدبير عجيبي سبق فأعلن عنه إشعياء النبي قيل ذلك بأكثر من ٧٠٠ عامًا حيث قال عنه أنه مع غني يكون قوه (إش ٥٣: ٩).

❖ دبر أن يوضع جسد السيد المسيح في قبر جديد لم يكن قد وضع فيه أحد، حتى لا يُظن أن القيامة صلت لآخر موضوع معه، وحتى يتمكن تلاميذه من أن يجيئوا ويعاينوا ما يحدث، لأن القبر كان قريبًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي يوحنا ١٩

معك أدان، ومعك أصلب!

❖ اقتادوك إلى المحاكمة، وأنت ديان الكل!

تقدست المحكمة بوجودك،

وصار قبول الظلم حبًا فيك وفي أولادك لذة لنفسي!

صمت أمام بيلاطس، فاضطرب.

أعلنت له عن ملكوتك، أنه ليس من هذا العالم،

فاشتاق أن يعرف من أنت.

أطلقوا بزبابس اللص،

وصُلبت أنت أيها البار.

نعم، فتحت باب السبي،

وأطلقت نفسي من الحبس.

❖ لأخرج معك إلى الجلجثة.
أجد في عمل صليبك كرامة لا استحقها.
أتطلع إلى إكليل الشوك،
فأراك تعد لنفسي إكليل مجدٍ أبدي.

❖ صار طريق الجلجثة طريقًا ملوكيًا،
من يستحق أن يعبر فيه،
ليدخل معك إلى مجدك السموي؟

❖ حملت خشبة الصليب لكي تحمل كل البشرية المؤمنة فيك.
في حبك العجيب عطشت إلى كل البشوية،
سقوك خلًا، لكي تسقيننا من نهر الحياة في أورشليم العليا.
أحنيت رأسك، وسلمت روحك في يد أبيك،
لكي ترفع رؤوسنا أمام أبيك،
وتمجد نفوسنا مع أجسادنا!

❖ جُرحت بالحربة، فأفاض جنبك لي دمًا وماء!
بدمك تقدست بكليتي،
وخلال الماء تهبني روح البنوة للأب.

❖ في صلبك أخصيت مع آثمة،
لكي تعلن أنك مخلص الخطاة.
وفي موتك دُفنت في قبر غني،
أنت محب الخطاة لكي تبررهم،
أنت تضم الفقراء والأغنياء.
أنت محب للجميع.

❖ في بستان دفنوك،
لأن في البستان مات آدم الأول،
وفي البستان تتقدم فترد لنا الحياة من جديد.

الباب الخامس

قيامته تشهد للاهوته

ص 20

الأصحاح العشرون

القيامة: اليوم الأول والثامن معًا

المسيح القائم من الأموات

إن كان القديس يوحنا بدأ إنجيله مختلفًا تمامًا عما عن بقية الأناجيل الإرثائية الثلاثة، معنًا ميلاده الأولي بكونه كلمة الآب الواحد معه، فإنه ختم السفر كبقية الأناجيل بالحديث عن قيامة المسيح. لأن قيامة المسيح تمثل عصب العمل الخلاصي، فقد سبق وتحدثت عنها أكثر من مرة، وقدم آية يونان النبي في جوف الحوت مثالاً لدفننه وقيامته (مت 12: 40).

لم يشرح لنا أحد من الإنجيليين كيف قام، لكن ما شغل ذهنهم تأكيد قيامته بكل وسيلة حتى يقتنع الكل بها. وبقدر ما أكد التلاميذ والرسول قيامته قلوبها غير المؤمنين، لأن قيامته تعني تأكيداً أنهم ارتكبوا جريمة قتل للمسيا واهب الحياة. القيامة تؤكد العمل الخلاصي، فإن كان قد دُبح لأجلنا، فقيامته تؤكد قبول الذبيحة. وإن كان قد صُلب من أجل ديوننا، فقيامته تعلن وفاء الدين. ليس من أمر شغل أذهان الكارزين مثل تأكيد قيامته، لأنه صُلب علانية أمام الشمس التي انكسفت أمام الحدث، وقام ليظهر لخاصته ومُحبّيه المخلصين في طلب خلاصهم.

أبرز كل إنجيلي جانباً من أحداث القيامة يختلف عن الجوانب التي أبرزها غوه من الإنجيليين. فما رواه الإنجيلي يوحنا لم يرد في الأناجيل

الأخرى. لم يذكر الإنجيلي يوحنا قصة لوقا البشير عن لقاء السيد المسيح مع التلميذين اللذين كانا في طريقيهما إلى عمواس؛ ولا ما رواه متى البشير عن لقاء المسيح مع بعض النسوة وهن ذاهبات من عند القبر، ولا إلى ما أشار إليه مرقس البشير عن الشاب الذي بثوب أبيض اخبر النسوة أن يروا يسوع في الجليل.

- 1 . السحر: القبر الفرغ 10-1.
- 2 . صباحًا: مريم المجدلية والملاكين 11-13.
- 3 . صباحًا: لقاء المجدلية مع المسيح 14-18.
- 4 . لفقوه مع تلاميذه الأحد مساءً 19-25.
- 5 . لفقوه معهم في الأحد التالي 26-29.
- 6 . الغاية من الإنجيل 30-31.

1 . السحر: القبر الفرغ

"وفي أول الألسوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرًا،
والظلام باقٍ،

فنظرت الحجر مرفوعًا عن القبر". [1]

أورد القديس يوحنا مواقف كثيرة لنساء لهن دورهن القوي، ففي بدء الآيات تظهر القديسة مريم أم يسوع شفيعة عن الحاضرين في عرس قانا الجليل. وفي الأصحاح الثاني يلتقي السيد المسيح مع الوأة السامرية التي جذبت مدينة سوخار بأكملها لتتمتع بشخص السيد المسيح بعد أن أعلن السيد لها عن نفسه. وفي حادثة إقامة لعازر (ص 11) كان حضور الشقيقتين مريم وموثا بارزًا. والآن تظهر مريم المجدلية بأمانتها الداخلية العجيبة. جاءت إلى القبر والليل باقٍ، مدفوعة بحبها الشديد لذلك الذي كان في ذلك الحين غائبًا عنها. السبب العميق لحضور مريم المجدلية هنا يبدو أنه حزنها الشخصي المفوط، وإحساسها بالغياب النهائي الذي يعينه القبر على النوام. إنها أول من رأى الحجر مرفوعًا عن القبر. لقد رآد الرب أن تشهد بأن رافع خطية العالم (يو 1: 29) قد قام، وإن الحجاب الأخير قد رُفِع.

كلمة مجدلية Magdalene هي مؤنث لكلمة مجدلة Magdala . فتعبير مجدلية يعني "مريم التي من مجدلة". يذكر التلمود أنه كانت توجد مدينة باسم مجدلة حوالي 20 دقيقة سواً على الأقدام من طوبية (بحر الجليل) من الجانب الغربي. كلمة "مجدلية" تعني "وَجًا". وبالفعل كان في المنطقة وج أعطى لها هذا الاسم، ربما كان وِجًا للحواسة.

اكتفى الإنجيلي يوحنا بالقديسة مريم المجدلية ولم يشر إلى النسوة اللواتي ذهبن معها، ربما لأنها كانت متحمسة جدًا لزيارة القبر، فقد تمتعت بمحبة السيد. التصقت به في حياته وخدمته من مالها (لو 8: 2-3)، واستمعت إلى عظاته. كانت محبتها قوية كالموت، إذ وقفت بجوار السيد المسيح حتى موته على الصليب، وجاءت إلى القبر نون أية اعتبارات لما تواجهه من مصاعب، فحبها للسيد المسيح زع عنها كل خوفٍ من الموت أو من القبر. جاءت إلى القبر لتبكيه بمرارة، وتسكب طيبًا وحنوطاً على جسمه. مريم المجدلية التي التصقت بالسيد المسيح حتى آخر لحظات الدفن تمتعت بأول أخبار القيامة الموححة المجيدة: القبر الفرغ!

جاءت مريم المجدلية إلى القبر في أول الأسوع ، أي ما أن عبر سبت العهد القديم حيث لا يجوز الذهاب إلى القبر، إن نُفَذَ الناموس حرفياً حتى جاء السبت الجديد، أول سبت في العهد الجديد، حيث قام السيد المسيح. صلت مريم ممثلة للكنيسة التي تتمم ناموس المسيح فتحتفل بالسبت الجديد خلال الانطلاق إلى قبر السيد لتتمتع بشوكة قيامته. يبدأ الإنجيل هنا باليوم الأول من الأسوع الجديد، فيفتح أمامنا رمزاً آخر كلياً، يُعلن فيه عن حياة جديدة

" فروج بطرس والتلميذ الاخر، وأتيا إلى القبر". [3]

أوسع كلامهما إلى القبر قدر المستطاع ليتحققا الخبر، ويتأكدوا شخصياً، ويبحثا عن جسد السيد المسيح.

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن القديسة مريم المجدلية وإن لم تكن بعد تفكر بوضوح في القيامة، بل ظنت أن الجسد قد أخذ، إلا إن الإنجيلي يوحنا لم يحرمها من المديح عما فعلته. ولا حسب في ذلك علواً على التلاميذ أنهم تلقوا المعرفة الأولى بخصوص هذا الأمر من المرأة التي قضت الليل كله في شوقٍ وسهرٍ لرؤية جسد السيد المسيح [1877].

يكشف الإنجيلي عن نوجات توتقي بها إلى معرفة القيامة وفهمها. ابتداءً أولاً بالصدمة الأولى المباشرة التي تلقتها مريم المجدلية لدى اكتشافها القبر فرغاً. والآن رأى يوحنا وتلامس مع ما سبق أن أعلنه السيد المسيح نفسه "أنه ينبغي أن يقوم من الأموات".

"وكان الاثنان يركضان معاً،

فسبق التلميذ ال آخر بطرس،

وجاء أولاً إلى القبر". [4]

كان الاثنان يركضان معاً، فما سمعاه من مريم المجدلية لم يسببا لهما حالة إحباط، إذ لم يكن في أيديهما ما يعملان، لكن على العكس أراد أن يعملوا بسوعة من أجل راحتها، ولإكتشاف حقيقة الأمر. انطلقا معاً، ولم تكن هناك مزاحمة بين الصديقين عمن يدخل القبر أولاً. وإن كان يوحنا لصغر سنه سبق بطرس، فالعمل مشترك، مما شجع الواحد الآخر للانطلاق إلى القبر، ولم يعق الواحد الآخر، بل كان كل منهما يسوع قدر طاقته. لم يحسد بطرس يوحنا لأنه أوسع منه، ولا احتقر يوحنا بطرس لأنه أبطأ منه. وإن كان بطرس قد تاب، لكن إنكله للسيد وشعوره بالذنب أبطأ من حركته نحو القبر، دون أن يحرمه من التمتع بالقائم من الأموات. هذه هي الصداقة الروحية الجادة، التي تحمل روح العمل الجماعي دون إعاقة الواحد للآخر. وكما يقول الحكيم: "اثنان خير من واحد، لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة" (جا 4: 9).

وي البعض أن مريم المجدلية انطلقت إلى التلاميذ بعد أن رأت هي ومن معها من النسوة الملاك، وقد أخوهن عن القيامة. لكن مع دهشة الموقف لم تخبر التلاميذ بما قاله الملاك، فإن كل ما كان يشغلها أن تجد جسد السيد المسيح أو تلتقي معه. وربما بدا لها رؤيتها للملاك وحديثه معهن أشبه بحلمٍ أو خيال. ولم يتحرك من التلاميذ سوى بطرس ويوحنا [1878].

"وانحنى فنظر الأكفان موضوعة،

ولكنه لم يدخل". [5]

لم يدخل يوحنا لأنه وثق أن ما قالت مريم المجدلية حقيقة وهو أن الجسد غير موجود. وتأكد من مجرد النظر إلى القبر الفلغ. لكن ما أن دخل بطرس حتى تبعه هو أيضاً ورأى وأمن بأن الجسد غير موجود بالقبر.

"ثم جاء سمعان بطرس يتبعه،

ودخل القبر،

ونظر الأكفان موضوعة". [6]

اقتراباً ونظراً الأكفان الكتانية موضوعة بنظامٍ وتوتيبٍ، وهي علامة القيامة، فإنه لا يزع أحد الأكفان من كان في نيته سرقه الجسد أو نقله. لأن السارق لن ينشغل بتوتيب الأكفان، والذي ينقل الجسد لا يعويه. فلو كان البعض سرقوا الجسد فهل يكون أنفسهم يزع المنديل ويضعونه ملفوفاً في موضع آخر؟ ما حدث حتماً لم يتم خلال نابشي القبور أو سلقي الجثث.

انحنى يوحنا لوى، أما بطرس فدخل ونظر الأكفان الكتانية موضوعة لم يستفسر فوراً بل توقف. أما الغيور فدخل أكثر وانحنى يتطلع في كل شيء

[1879]

بدقة ونظر أوماً أكثر، عندئذ دعا الآخر لكي ينظر، إذ دخل بعد بطرس ورأى الأكفان موضوعة والمنديل في موضع وحده.

❖ كان لابد أن يأخذه كما هو . لهذا السبب يخبرنا الإنجيلي يوحنا مسبقاً أنه دفن بمرٍ كثيرٍ، هذا يجعل الأكفان تلتصق بالجسد، ليس بأقل من الرصاص . هكذا عندما تسمعون أن المنديل في موضع وحده لا تسلكون كالفالين بأنه سُوق . فاللص لا يملس تصوقاً لا حاجة إليه . فإنه لماذا يزوع الأكفان ويؤيل المنديل؟ بجانب هذا كيف يمكنه أن يهرب من اكتشاف أمره إن قضى وقتاً طويلاً في فعل هذا؟ فسيقبض عليه خلال التأخير والتواني . بل ولماذا توضع الأكفان الكتانية منفصلة والمنديل وحدها ملفوفة؟ لكي تتعلموا أن التصرف لم يحدث في توسع أو بطريقة صاخبة . [1880]

❖ إن قلت: فما الغرض في أن "المنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان بل ملفوقاً في موضع وحده"؟! أجبتك: لتعلم أن هذا الفعل ما كان فعل من كان مسوعاً ولا مضطرباً، فمن هذا الفعل صدقوا قيامته .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لو أن الأعداء سرقوا الجسد، فمن أجل المكسب المادي ما كانوا قد تركوا الأكفان . لو أن الأحياء فعلوا هذا لما سمحوا بتعوية الجسد وأهانتته... هذا يظهر بالأحرى إن الجسد وقد عبر إلى الخلود لا يحتاج إلى ملابس في المستقبل . [1881]

القديس أمونيوس الإسكندري

"المنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان،

بل ملفوقاً في موضع وحده". [7]

ترك السيد المسيح الأكفان والمنديل الذي كان على رأسه ملفوقاً داخل القبر، فإنه قام ولا يعود يموت ليُكفّن مرة ثانية. لقد التحف جسده بثوب مجده تركاً ثياب العالم التي تُبلى داخل القبر . ففي الفودس لا نحتاج إلى ثيابٍ كما على الأرض، إذ نلتحف ببرّ المسيح ونشركه مجده. عندما صعد إيليا في مركبة نارية منطلقاً إلى السماء سقط ثوبه لأنه ليس في حاجة إليه.

لنتوك مع المسيح أكفان القبر خلفنا، إذ نحمل عربون عدم الفساد عوض الفساد الذي حلّ بنا.

ترك لنا السيد المسيح الأكفان في القبر موضوعة بنظام، والمنديل الذي كان على رأسه في موضع وحده، حتى يجد كل مؤمن متى انطلق إلى القبر فواشاً أعده له الرب بأكفانه الثمينة، ويجد منديله يمسح الدموع التي سكبها في جهاده في العالم.

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على ترك الأكفان والمنديل في القبر بأن مسيحنا المصلوب يحثنا ألا نبالغ في الأكفان عند دفن موتانا، فإن جسم الميت سيقوم في مجدٍ بهيٍ لا يحتاج إلى ثيابٍ فاخرة!

❖ يا لعظمة قوة المصلوب! إنه يحث الذين يهلكون (جسدياً) بأن الموت ليس موتاً . فلا يعملون كأناسٍ هالكين، بل كأناسٍ يبعثون بالميت الذي أمامهم إلى موضع بعيدٍ ومسكنٍ أفضل . يحثهم على أن هذا الجسم الأرضي الفاسد سورتدي ثوباً أكثر مجداً من الحرير والثياب المذهبة، يرتدي ثوب عدم الفساد، لذا يليق بهم ألا يرتكبوا بخصوص دفنهم، بل يحسوا الحياة الفاضلة هي ثوب كالنسيم العجيب...

❖ أي عذر لنا إن كنا توين جسمًا يُستهلك بالفساد والود، ونهمل المسيح وهو عطشان ويسير عرياناً وغريباً؟ لنكف إذن عن هذا التعب الباطل . ليتنا نتمم جنزلات الرادين بما فيه لصالحنا وصالحهم لمجد الله، لنكثر من العطاء لأجلهم . لنبعث معهم زاداً في الطريق... لنبعث بالراقد إلى القبر وهو بهذه الثياب (التي للعطاء) فيكون المسيح موثقاً له . [1882]

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر،

ورأى فآمن". [8]

لقد سبق يوحنا بطرس في ركضه نحو القبر، لكن بطرس سبقه في الحوأة، إذ دخل القبر بنفسه كمن يبحث عن الجسد، ويتحقق الأمر من كل جوانبه . يتسم البعض بالحركة السريعة، والآخرين بالحوأة أكثر من غوهم، والكل يسند بعضهم البعض خلال المواهب والقدرات المتباينة . سوعة يوحنا

شجعت بطرس على الحركة بأكثر سوعة، وجسلة بطرس شجعت يوحنا على الدخول في القبر. بطرس رأى وتعجب (لو 24: 12)، ويوحنا رأى وأمن (يو 20: 8).

موت السيد المسيح بالجسد ودفنه في قبرٍ زرع عنا الخوف من الموت والقبر، فإنه سيحل بنا الموت قريباً وتوضع في قبر. لذا يليق بنا أن نردد مع أيوب البار: "قلت للقبر أنت أبي، وللود أنت أمي" (أي 17: 14).

"لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب،

أنه ينبغي أن يقوم من ال أموات". [9]

يعلل الإنجيلي يوحنا بطئه هو وبتوس في الإيمان بعدم معرفتهما العميقة للنوآت، كانا في حاجة أن يفتح الله ذهنيهما ليفهما الكتب، كما حدث مع تلميذي عمواس (لو 24: 44-45). لم يترك التلاميذ ما تنبأ عنه الموتل: "لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، ولن تدع تقبيك وى فساداً" (مز 16: 10). ولا فهموا ما قاله السيد المسيح عن تحقيق آية يونان بقيامته (مت 12: 40).

لم يقل الإنجيلي: "أنه يقوم من الأموات"، وإنما "ينبغي أن يقوم من الأموات". فالقيامة كانت من جانب هي جزء حوي رئيسي في خطة الله لخلصنا وتبرونا، لذلك تحقيقها كان أمراً ضرورياً، ومن جانب آخر لم يكن ممكناً للسيد المسيح القائل: "أنا هو القيامة" أن يحبس الموت، أو يقبض عليه القبر!

"فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما". [10]

عادا إلى الموضع الذي كان التلاميذ يجتمعون فيه، خاصة بعد الصلب، وليس إلى منزلهما، لأنه لم يكن لهما متول في أورشليم. عادا إلى التلاميذ لا للكورة بالقيامة، ولا لتأكيد أنهما لم يجدا جسد السيد، وإنما غالباً ما خشيا من الأحداث القادمة. لأنه لم يكن ممكناً لهما أن يتوقعا ما سيفعله قادة اليهود حين يكتشفوا عدم وجود الجسد في القبر. عادا إلى اخوتهما ينتظرا ما سيعلنه الله. حتماً تحدثا مع التلاميذ عما حدث، وقرر الكل أن يجتمعوا معاً في العلنية في مساء ذات اليوم، حيث ظهر لهم السيد المسيح، ولم يكن توما حاضراً معهم. كان لابد للتلاميذ أن يجتمعوا خاصة وأن ملاكين ظهروا لمريم المجدلية، بينما لم يظهر ملاك لبطرس ويوحنا.

رى القديس يوحنا الذهبي الفم انهما ذهبا ولا في دهشة، كل إلى بيته، حيث بدأت القيامة تتجلى أمامهما، ثم عادا فاجتمعا ببقية التلاميذ حسب أمر السيد.

2. صباحاً: مريم المجدلية والملاك

"أما مريم فكانت واقفة عند القبر خرجاً تبكي،

وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر". [11]

بينما انطلق التلميذان إلى اخوتهما التلاميذ بقيت مريم المجدلية عند القبر تبكي. لم يكن ممكناً لها أن تفرق القبر حتى ترى جسد السيد المسيح.

بالحب تلتصق النفس بالسيد المسيح، وتود أن تتعرف على أسوره وتراه. فيما هي تبكي انحنت إلى القبر تنظر. لقد تأكدت أن الجسد ليس

بالقبر، ودخل التلميذان وتأكدا، لكن حبها له جعلها بين الحين والآخر تتطلع منحنية نحو القبر لعله يوجد ما يعويها!

❖ الجنس النسائي إلى حد ما مملوء بالمشاعر، ويميل بالأكثر نحو الحنو. أقول هذا لئلا تتدهشوا كيف أمكن لمريم أن تبكي بعورة عند القبر، بينما لم

يحمل بطرس عاطفة! إذ قيل: "فمضى التلميذان إلى بيتهما"، أما هي فوقفت تررف الدوع. ذلك لأن طبيعتها ضعيفة، ولم تكن بعد قد أركت بدقه

موضوع القيامة. أما هما فإذ شاهدا الأكتاف الكتانية آمنة ورحلا إلى متوليتهما في دهشة. ولماذا لم يذهبا فورا إلى الجليل كما أروهما السيد قبل الآلام؟

ربما لأنهما انتظرا الآخرين، كما كانا في قمة الدهشة. هذان إذن ذهبا في طريقيهما، أما هي فوقفت في الموضع. وكما قلت فإن مجرد التطلع إلى

وآفة، حتى يقيماها إلى حين من حزنها الشديد، ويهبانها راحة. لم يتحدثنا عن القيامة، لكنها أفتتبت إلى هذا التعليم بهوء. رأأت ملامح بهية غير عادية، وشاهدت ثيابًا مضيئة، وسمعت صوتًا مغويًا [1886].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كرم اليهود القدامى قدس الأقداس من أجل ما احتواه من الكروبين وعرش الوحمة وتابوت العهد والمن وعصا هرون والمذبح الذهبي. هل يبدو قبر المسيح أقل كرامة منه؟ فإننا إذ ندخله غالبًا ما زى المخلص في أكفانه، وإن تأخرنا زى ملاكًا جالسًا عند قدميه وآخر عند رأسه. هذا القبر نحته يوسف الوامي، وجاءت نيرة إشعياء نخونا عن مجده: "في راحته يكون مجيدًا" (إش 10:11)، بمعنى أن موضع دفن الرب ينال كرامة عالمية [1887].

القديس جيروم

"فقالا لها: يا امرأة لماذا تبكين؟

قالت لهما: أنهم أخنوا سيدي،

ولست أعلم أين وضوه". [13]

أظهر الملاكان حنوا نحو مريم المجدلية الباكية، فقد دُهشا لبكائها، إذ كانا ينتظران أنها توح بقيامته. حقًا وسط آلامنا يشركنا السمائيون الحب، ويندهشون لحننا، إذ أركوا ما بعده القائم من الأموات من أمجاد لمؤمنيه.

لم يكن ممكنًا حتى لرؤية الملاكين أن يشبعا قلب المجدلية، فقد جاءت تطلب السيد المسيح نفسه.

❖ منعها الملاكان من الدعوى (يو 21:13)، لأنه بمثل هذا الوضع يليق بهما ماذا يعلنان سوى أنه بطريق أو آخر أنه موضوع فوح المستقبل... لقد وضعنا السؤال: لماذا تبكين؟ كما لو قالوا: لا تبكين. أما هي فظنتهما يسألان لعدم معرفتهما عن سبب دعوعها [1888].

القديس أغسطينوس

❖ في كل هذه الظروف كان كما لو أن الباب يفتح أمامها لتدخل قليلاً قليلاً إلى معرفة القيامة. كانت طريقة جلوسهما دعوة لها أن تسألها، إذ أظروا ... لها أنهما يعرفان ما قد حدث. ولهذا لم يجلسا معا بل كل منهما على أنواد ماذا قالت؟ تحدثت في حورة وانفعال: "إنهم أخنوا سيدي، ولست أعلم أين وضوه" [13]. ماذا تقولين؟ أما عرفت بعد شيئًا عن قيامته، بل لزلت تتخيلين أنه لا زال موضوعًا في مكان؟ ألا ترون كيف أنها لم تقبل بعد تعليمًا عاليًا؟ [1889]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لم تكن تطلب الجسد، بل الرب الذي أخذ [1890].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ "في الليل على فواشي طلبت من تحبه نفسي" (نش 1:3). وقد قيل: "جاءت مريم والظلام باق"، "في الليل على فواشي طلبت من تحبه نفسي، طلبته فما وجدته". وفي الأناجيل تقول مريم: "أخنوا سيدي ولست أعلم أين وضوه؟!" [1891]

القديس كيرلس الأورشليمي

3. صباحًا: لقاء المجدلية مع المسيح

"ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء،

فنظرت يسوع واقفًا،

ولم تعلم أنه يسوع". [14]

موضوع "المكان" الخاص أين يمكث يسوع، وأين يذهب، هو موضوع حيوي. ففي بداية الإنجيل سأله التلميذان الأولان: "يا معلم أين تمكث؟" (يو 1:38). وفي العشاء الأخير قال له توما: "لسنا نعلم إلى أين تذهب" (يو 14:5). وعند القبر سألتته المجدلية: "إن كنت قد حملته، فقل لي أين وضعته، وأنا أخذه" (يو 14:15). وعندما سألتها أن تبشر بقيامته وجه نظرها إلى أين تذهب، إذ أراد لها كما للتلاميذ أن يصنعوا درجات أعلى في معرفتهم لقيامته.

قبل أن يجيب أحد الملاكين عليها جاءت الإجابة عملياً من السيد المسيح نفسه الذي وقف وراءها ليتحدث معها ويجيب على سؤالها. كان شهوة قلب المجدلية أن ترى جسد المسيح الميت، لكنه وهبها ما هو أعظم، إذ ظهر لها "القائم من الأموات". إنه يعطينا أكثر مما نسأل وفوق ما نطلب. التفتت إلى الراء ربما لأنها شاهدت الملاكين قاما بعملٍ غير عادي كالسجود متجهين نحوه، أو أن أنظرهما قد تحولت عنها إليه بوقار شديد. رأته إنساناً عادياً فلم تتعرف على شخصه. لم تكن نفسية المجدلية أو فكرياً مهياً للقاء مع القائم من الأموات. وربما بسبب حزنها الشديد لم تستطع أن تتعرف على شخص ربنا يسوع. حقاً كانت تبحث عنه بدوعٍ بقلبٍ منكسرٍ، ولم تترك أنه قريب من منسحقي القلوب (مز 34: 18)، أقرب مما يظنوا. هكذا يليق بنا حين نطلبه أن نترك أنه قريب إلينا جداً، فوق كل تصورٍ بشوي. فهو في داخلنا يود أن يعلن ذاته لنا. لم يرو لنا يوحنا الإنجيلي أن أحد الملاكين قد أخواها بقيامته، ربما لأنه سبق فأشار إلى ذلك الإنجيليون الثلاثة (مت 28: 5-7؛ مر 16: 6-7؛ لو 24: 5-7).

❖ على ما يوح لظني أنها إذ قالت إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه ظهر السيد المسيح خلفها بغتة! فأخاف الملاكين، إذ عابنا سيدهما أظروا في الحال بشكلهما وبنظراتهما وبحركتهما أنهما قد أبصرا بهما، بهذا الحال استمالا التفات مريم. ظهر لهما بهذه الكيفية، ولم يظهر هكذا للوأة، حتى لا ترتعب منه عند أول نظرة إليه. إنما ظهر لها في شكل عادي بسيط كما يظهر من كونها قد ظنته أنه البستاني.

كان هذا يليق بفكر غير متقدم أن ينطلق إلى الأمور العلوية ليس دفعة واحدة بل بهوءٍ، لهذا سألتها: "يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟" [1892]

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إذ أحببت وشكيت رأته ولم تتعرف عليه (يو 21: 14)؛ حبها أعلنه لها، وشكها منعها عن معرفته. [1893]

البابا غريغوريوس (الكبير)

"قال لها يسوع:

يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟

فظنت تلك أنه البستاني،

فقال له: يا سيد إن كنت أنت قد حملته،

فقل لي أين وضعته،

وأنا أخذه". [15]

ربما جاء تسؤل السيد المسيح يحمل شيئاً من الحزم: يا امرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين؟ وكأنه يقول لها: لماذا أتيت إلى هذا الموضع باكراً؟ لقد سبق فُرمز لهذا التصرف بيوسف الذي تظاهر أمام اخوته كغريبٍ قبل أن يكشف لهم عن شخصه (تك 44، 45). إنه يعاتبها: "لماذا تبكين؟ أنا قمت! من تطلبين؟ ها أنا أمامك! قيامتي فيها الإجابة على كل أسئلتك، وفيها شبع لكل احتياجاتك".

جاءت إجابتها تحمل معنى: "لماذا تلومني على دموعي العروة؟ ولماذا تسألني من أطلب؟ أنت تعرف سرّ دموعي وموضوع طلبتي"، وإذ حسبته

البستاني زوجته أن يخوها أين هو إن كان قد حمله إلى موضع آخر .

ربما ظنت أنه كبستاني لم يقبل أن يوضع جثمان مصلوب موفوض من المجتمع في قبر سيده الجديد، لذلك حمله إلى موضع آخر. لذلك طلبت أن تأخذه لتجد له قواً آخر تضعه فيه. بحبها لم تشعر بأي ثقل من جهة حمل جسد المسيح والبحث عن قبرٍ لائق به.

❖ مرة أخرى نتحدث عن جسد موضوع أو محمولٍ بعيداً كما عن جثة ميت. إنها بهذا تعني: "إن كنت قد حملته خوفاً من اليهود، أخونني. فإنني أخذه". عظيم هو حنو الوأدة وانفعالها المحب، لكن لم يكن لديها شيء علوي. لذلك يضع الأمر أمامها بالصوت لا بالمظهر [1894].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ سألتها عن سبب حزنها لكي يزيد من شوقها، حتى إذ سألتك التي تبحث لوى تشعر بحب ملتهب مؤيد من نوه [1895].

البابا غريغوريوس (الكبير)

" قال لها يسوع: يا مريم.

فالتفتت تلك، وقالت له:

ربوني، الذي تفسوه يا معلم". [16]

إذ بحثت عنه بغوة متقدمة ومحبة تأهلت أن تسبق غيرها في التمتع بصوته الموح. لقد سرّ السيد المسيح أن يهبها فوح قيامته، لكي تشهد وتكرز بإنجيل القيامة. تحدثت معها لا بلهجة بستاني حرس للستان، وإنما بنغمة المحبة التي اعتادت عليها. سمعت اسمها على فمه فعرفت شخصه، وكما قال السيد عن خرافه أنها تعرف صوته (يو ١٠: ٤). كان يكفيها كلمة واحدة، أن يناديها السيد باسمها. وكما تقول الكنيسة: "صوت حبيبي، هوذا آتٍ طاؤفاً على الجبال، قافواً على التلال" (نش ٢: ٨).

قالت له: "ربوني" وهو لقب يحمل نوعاً من الكرامة أكثر من لقب "أباي". إنه يحمل معنى "يا معلمي العظيم الكرامة".

❖ إلى أن دعاها باسمها وظهر لها كهاتفٍ لا زال تظنه ميتاً وتساءل أين هو موضوع، دعاها باسمها. وكأنه يقول لها: "لتعرفي ذلك الذي يعرفك". وإذا دُعيت مريم باسمها عرفت خالقها. أنه ذلك الذي تبحث عنه خراجها، وهو يعلمها أن تبحث عنه داخلياً [1896].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ علة حزنها الشديد أنها لم تعرف أين تذهب لتهدئ من حزنها. لكن قد أنت الساعة حين يعلن لها الملاك أن إلى حد ما بالفوح الذي يحل بعد الحزن، فقد طلبا منها ألا تبكي [1897].

❖ عندما حولت جسمها (التفتت إلى الوراء) ظنته على غير ما هو عليه [١٥]، بينما حينما حولت قلبها عرفت عليه كما هو [1898].

القديس أغسطينوس

" قال لها يسوع:

لا تلمسيني،

لأنني لم أصعد بعد إلى أبي،

ولكن اذهبي إلى اخوتي،

وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم". [17]

فعلت مريم حسبما أموت، ذهبت إلى التلاميذ وأبلغتهم الرسالة: "قد رأيت الرب". لقد أكدت لهم خورتها مع المسيح القائم من الأموات.

لتأكيد قيامته سمح لتلاميذه أن يلمسوا آثار المسامير والحواجات، كما سمح للنسوة أن يمسن قدميه ويسجنن إليه (مت ٢٨: ٩). أما بالنسبة

للمجدلية فربما لأنها ظننت أنه قام كما سبق فأقام لعزر ليعيش معهم على الأرض، لذلك طلب منها ألا تلمسه بيديها بل بقلبها، لتكثرت بقيامته وصعوده إلى السماء. إنه لم يبق ليؤسس له مملكة أرضية، بل ليصعد، ويقوم مملكته في القلوب. لقد سبق فيها أذهانهم قبل صلبه أنه يصعد إلى السماء، لذا لم يرد أن تتحول بهجة قيامته إلى شوق نحو بقائه معهم على الأرض.

ويذكر Leon Morris أن الفعل "تلمسيني" في اليونانية يحمل معنى "لا تستوي في لمسي" وليس "لا تبتدئي باللمس". أراد السيد المسيح منها أن تتوقف عن اللمس، وكأنه سمح لها باللمس ولكن إلي حين. أراد أن يؤكد لها أنه قد قام بحياة جديدة، ليس كالحياة القديمة التي تركها، ليهب البشرية المؤمنة هذا التغيير في يوم الرب العظيم (1 كو 15: 51-53).

مرة أخرى إذ تلامست مع قيامته يؤكد لها أنه لم يصعد بعد إلى السماء، وقد حان الوقت للكرلة بالقيامة وتهيئة الأذهان للصعود. إنه لا يوجد وقت للارتباط الزمني وحضوره جسدياً وسطهم. ليس من وقت للحديث معه، بل يؤم تحقيق رسالته، إنه وقت للكرلة بالأخبار المفوحة. مع قيامته والإعلان عن صعوده لم يخجل من أن يدعو تلاميذه "أخوتي".

بعث السيد المسيح برسالة مع المجدلية إلى تلاميذه الذين تركوه عند القبض عليه ولم وافقه حتى الصليب. لم يشر إلى كلمة عتاب واحدة، وكأنه قد أرسل إليهم يقول: "إني أغفر وأنسى ولا أعتاب!"

رسل إليهم المجدلية التي سبق فأخرج منها سبعة شياطين لكي تركز للتلاميذ بالأخبار المفوحة للقيامة.

في رسالته إليهم أعلن شوقه للوحدة، اتحادهم معه، لينالوا البنية لله، فيصير الله الآب أباهم، ويصير المسيح نفسه معهم، بحسب الآب إلهه كابن البشر الممثل لهم. لكنه يميز بين موكه كابن رلي حقيقي وبينهم كأبناء بالتبني، إذ لم يقل: "أبينا وإلهنا". أخوًا إن كان بطرس ويوحنا تركاها في البستان تبحث عنه باكية، فإنها إذ وجدت عادت تبشر الكل بماراته وسمعته ووجدته. لقد وجدت المسيا مخلص العالم الذي يعدهم لوتفروا معه بقلوبهم إلى حضن الآب.

أجاب القديس جيروم على تساؤل مرسيلا Marcella كيف يتفق ما جاء في يو 17:20 "لا تلمسيني" مع ما ورد في مت 9:28: "فتقدمنا وأمسكتنا بقدميه". يقول أنه في الحالة الأولى فشلت مريم المجدلية في التعرف على لاهوت ربنا يسوع، أما في الحالة الثانية تعرفنا عليه، ولهذا نالا الامتياز الذي حُرمت منه مريم المجدلية ولا [1899].

❖ بمعنى إنكِ لستِ أهلاً أن تلمسي القائم ذاك الذي تظنين أنه لا زال في القبر [1900].

القديس جيروم

❖ أعطى يسوع المرأة رسماً في الإيمان التي عرفته أنه السيد، ودعته هكذا في إجابتها له. كان هذا البستاني يغوس في قلبها، كما في حديثه حبة الخردل. ماذا إذن يقصد بقوله: "لا تلمسيني"؟ وكما لو كان علة المنع يجب بحثها أضاف: "لأنني لم أصعد بعد إلى أبي". ماذا يعني هذا؟ إن كان لا يلمس بواسطة البشر وهو واقف على الأرض، فكيف يُمكن أن يلمس بواسطة البشر وهو جالس في السماء؟ بالتأكيد قدم نفسه قبل صعوده لكي يلمسه تلاميذه (لو ٢٤: ٢٩) ... هذه المرأة ترمز لكنيسة الأمم التي لم تؤمن بالمسيح إلا بعد صعوده فعلاً إلى الآب، وبهذا فهو يريد أن يؤمنوا به، أي يلمسوه روحياً إذ هو والآب واحد...

❖ كان يليق بعريم التي كانت لا تزال تظن عدم مساواته للآب أن تُمنع من لمسها بالكلمات: "لا تلمسيني". بمعنى لا تؤمني هكذا حسب مفاهيمك الحالية. لا تدعي أفكرك تنبسط خرجياً إلى ما صوت عليه من أجلك دون العبور إلى ما بعد ما أنت عليه... إنك تلمسيني حينما تؤمنين إنني أنا الله ولست بأية طريقة غير مساوٍ للآب [1901].

القديس أغسطينوس

❖ على حسب ظني أن هذه المرأة أرادت أن تأتلف به أيضاً كائتلافها به من قبل، ومن فوحها به لم تترك فيه أمراً عظيماً، إذ كان أفضل حالاً في ذات

جسده بمقدارٍ كثيرٍ، فأذ حُرِّمَها عن هذه المهمة رفع أفكارها حتى تنتظر إليه بأوفر خشوعٍ وأجزله، فمعنى قوله: "لا تلمسيني" هو لا تقربي مني كالحال السابق.

❖ بينمار أينا على الصليب وحيداً، لا زاه هكذا بعد، بل يظهر وسط اخوته. في يوم قيامته قدم الرسالة الموحية: "اذهي إلى اخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يو 17:20). نسمعه يخاطب تلاميذه كاخوته وذلك في يوم قيامته المجيدة بعدما اجتاز آلامه. فإننا إذ نتقدس بعمله الخلاصي (آلام الصليب)، ليس فقط لا يخجل بل يُسر جداً أن يدعوهم هكذا "اخوته" (عب 12:2).

❖ يقول العريس: إن كنت رغب أن تُفتح الباب وأن ترتفع أبواب نفسك ليدخل ملك المجد، يؤمك أن تقبل اشتياقاتي في نفسك. كما يقول الإنجيلي: "من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي" (مت 50:12). يليق بك أن تقرب إلى الحق، وتصير شريكه حتى لا تتفصل عنه.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ "اذهي إلى اخوتي، وقولي لهم: "إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم". مع أنه لم يكن قد اقترب صعوده ليتحقق فوراً، إنما يتم ذلك بعد أربعين يوماً، فلماذا قال هذا؟ رغبة في أن يرفع أذهانهم، ويحثهم بأنه سرحل إلى السموات [1902].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما يذهب (إلى أبيه) حاملاً الغلبة والنصوات بجسده القائم من الأموات... عندئذ تقول بعض القوات: "من ذا الآتي من أدوم بثيابٍ حمرٍ من بصورة، هذا البهي بملابسه؟" (إش 63: 1). والوافقون له يقولون للمقيمين عند أبواب السماء: "رتفعي أيتها الأبواب ليدخل ملك المجد" (مز 24: 7). وإذ يستفسرون بالأكثر، أقول، إذ يروا يمينه بآثار دمه، وكل جسمه وقد امتلأ بالجراحات يقولون: "ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصوة؟" يجيب: "لقد حطمتهم ومزقتهم قطعاً" (راجع إش 63: 2-3) [1903].

العلامة أوريجينوس

❖ سألها ألا تلمسه لأنه لم يصعد بعد (يو 17: 21)، حتى تلمسه بعد صعوده، إذ يُعد لها أمجاداً عظيمة، فتلمس ما لا يمكن لمسه بالأيدي، وترى ما لم تستطع رؤيته هنا. ولعله يخوها ألا تلمسه بمعنى لا تعودي تحسبيني بشوياً مجرداً، بل أنا القنوس. رفعي قلبك وفكري إلى السماويات، واطلبيني هناك، لأني صاعد إلى أبي الذي لم أتركه قط ولا انفصل عنه. أنا أقيمك واصعد بك إلى عوشي! السبب أنه لا يُلمس كما في هذه الكلمات: "لأني لم أصعد بعد إلى أبي" .. فالقلب الذي لا يؤمن بمسواته للآب، يبقى الوب بالنسبة له غير صاعد بعد إلى أبيه. فمن يؤمن أنه شريك مع الآب في السرمودية هو وحده يلمسه... لأني صوت إنساناً فهو إلهي، ولأنكم قد تحررت من الخطأ فهو إلهكم. أنه أبي وإلهي بطريقة متميزة عنكم، إذ ولدني بكوني الله قبل الدهور، ولكنه خلقني كإنسانٍ في ملء الزمان [1904].

البابا غريغوريوس (الكبير)

❖ لئلا يظن أحد في بساطة أو عن سوعة خاطر مع عناد أن في قول المسيح: "أصعد إلى أبي وأبيكم" أنه مساوٍ في الكرامة مع الأوار، لهذا يجدر بنا أن نصنع تمييزاً. وهو أن اسم "الآب" هو واحد "أي آب لابن واحد"، أما عمله فمتعدد "أي يعطي البتوة بالتبني لكثوين". وإذ يعلم المسيح نفسه هذا قال في عصمة عن الخطأ: "أصعد إلى أبي وأبيكم"، ولم يقل: "أبينا"، بل ميز بينهما.

قال أولاً بما يليق به: "إلى أبي" الذي هو بالطبيعة، وبعد ذلك أضاف: "وأبيكم" الذي هو بالبتوة. لأنه مهما بلغ سمو الامتياز الذي تقبلناه بقولنا في صلواتنا: "أبانا الذي في السموات"، إلا أن العطية هي من قبيل محبة الله المترفة. فنحن ندعوه أباً، ليس لأننا وُلدنا بالطبيعة من أبينا السماوي، بل انتقلنا من حالة العبودية إلى البتوة بنعمة الآب خلال الابن والروح القدس. لقد سمح لنا أن ننطق بهذا من قبيل محبة الله المترفة غير المنطوق بها [1905].

❖ لئلا يُظن أنه من جانب ما هو آب لابن وللخليفة معاً صنع المسيح تمييزاً كما يلي. إنه لم يقل: "أصعد إلى أبينا" لئلا تصير الخليفة شريكة للابن

[1906]

الوحيد (على مستواه الطبيعي) بل قال: "أبي وأبيكم" أي هو أبي بالطبيعة وأبوكم بالتبني .

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ إن كنت تطلبه بين الكائنات الأرضية كما طلبته مريم المجدلية، احذر لئلا يقول لك ما قاله لها: " لا تلمسيني، لأنني لم أصعد بعد إلى أبي وأبيكم"

[17] .[فإن أبوابك ضيقة، لا يمكن أن تفتح فلا تقدر الدخول فيها. اذهب في طريقك إلى اخوتي، أي إلى الأبواب الدهوية هذه إذ ترى يسوع تفتح...

أبدية هي أبواب الكنيسة، هذه التي يشتهي النبي أن يعلن فيها تسابيح المسيح، قائلاً: "لكي أخبر بكل تسابيحك في أبواب ابنة صهيون" (مز

[1907] (14:9) .

❖ يكشف ابن الله الفرق بين الولادة والنعمة عندما يقول: لم أصعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم". إذ لم يقل: "لم أصعد إلى أبينا وإلهنا"... التمييز علامة

[1908]

الفرق، إذ ذاك الذي هو أب المسيح هو خالقنا .

[1909]

❖ غاية المسيح في التجسد أن يهين لنا الطريق إلى السماء .

❖ Novatian حقاً قال لمريم المجدلية: "لا تلمسيني" [17] ، لكن هذا الطاهر لم يقل: "لأنني طاهر"، فهل تتجاسر يا نوفيتان وتقول إنك طاهر، بينما

[1910]

حتى إن كنت طاهراً بأعمالك فبقولك هذا تُحسب غير طاهر؟

القديس أمبروسوس

❖ إنه قد أوشك أن يجلس على عرش أبيه، أما هم فيقفون. مع كونه في كيانه حسب الجسد صار أخانا، لكن في كرامته يختلف عنا جداً بما لا يمكن أن

[1911]

نخبر عن قوه .

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فجأت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنهارأت الرب،

وأنه قال لها هذا". [18]

❖ انظروا كيف زالت خطية الجنس البشري كما بدأت. في القديس كانت المرأة علة الموت للرجل (تك 3: 6) ، وخرجت من القبر امرأة تعلن الحياة

للشجر. روت مريم كلمات ذلك الذي أعاد لها الحياة. وهاء روت كلمات الحية التي جلبت الموت. وكأن الرب يخبر الجنس البشري، لا بالكلام بل

[1912]

بالعمل: " اقبلوا نبع الحياة من اليد التي قدمت مشروب الموت".

البابا غريغوريوس (الكبير)

4 . لِقْوُهُ مَعَ تَلَامِيذِهِ الْأَحَدِ مَسَاءً

"ولما كانت عشيّة ذلك اليوم وهو أول ال أسوع،

وكانت الأبواب مغلقة،

حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود،

جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم:

سلام لكم". [19]

لم نسمع أن اليهود رأوا الانتقام من التلاميذ في ذلك الحين، لكن بسبب ضعف إيمانهم ظنوا أنه بعد صلب السيد ودفنه يأتي النور عليهم. مع

أن اليهود لم يقتربوا إليهم منذ قال لهم: "دعهم يمضوا" (يو ١٨: ٨) . فقد كان هدف القادة هو "يسوع" نفسه، لذا فلا قيمة للتحرك ضد أتباعه مادام هو

نفسه قد مات في عارٍ على الصليب ولم يعد له وجود. حسبوا أن الأمر ليس بذئ قيمة.

ظهور السيد المسيح في وسطهم والأبواب مغلقة لم يكن بعملٍ معزوي، لأن هذه هي طبيعة الجسم القائم من الأموات، لن تستطيع المادة أن تتوقه. إنما ما أراد تأكيده فهو أنه قام بذات الجسم، لكنه جسم ممجد. لم تكن قيامته تعني عودته إلى الحياة العادية على الأرض، بل هي انطلاقًا بالمؤمنين وصعوده بهم إلى حضن الآب.

لم نجد كلمة "الأبواب" بالجمع إلا في يوحنا، ولعله كان للعلية أكثر من باب، أو ربما يقصد أن باب البيت كان مغلقًا كما كان باب العلية، إذ كان التلاميذ في رعبٍ، فلم يكتفوا بفتح باب البيت الخرجي.

في الأناجيل الأخرى أبرز الإنجيليون أن التلاميذ كانوا في خوفٍ بعد القيامة مباشرة، إذ لم يكن بالأمر الهين أن يروا من مات ودفن لا زال حيًا يظهر لهم. أما هنا فكشف الإنجيلي يوحنا عن سبب آخر لخوفهم وهو "اليهود". لقد شعر التلاميذ أن حياتهم معرضة لخطرٍ حقيقي حتى بعد قيامته، إذ خشوا أن تُوجه إليهم تهمة سرقة الجسد.

ظهر لتلاميذه في أول سبت مسيحي لكي يبزر هذا اليوم ويقده.

اجتمع التلاميذ ربما للصلاة والعبادة، وربما للحوار بخصوص الأحداث الجارية في ذات اليوم، حيث أكدت النسوة وبطوس ويوحنا أن القبر فُرع، وروت المجدلية لقاءها معه، وأبلغتهم رسالته التي عهدا بها، هذا وقد ظهر للنسوة في ذات اليوم (مت 28: 9)، كما ظهر لتلميذي عمواس في الطريق وتحدث معهما، وفتح أذهانهما وألهب قلوبهما بالحب (لو 24: 13) الخ.

ولعلمهم اجتمعوا للصلاة خشية القبض عليهم لأن اليهود ادعوا أن تلاميذه جاؤا ليلاً وسرقوا الجسد. على أي الأحوال فقد عرف التلاميذ أن يجتمعوا معًا في لحظات الضيق للصلاة.

قوله لهم: "سلام لكم" [19] لم تكن كلمتين مجردتين كالتحية المعتادة بين الأصدقاء بل كانت بركة غير عادية تحمل قوة وتقدم ثمر القيامة: السلام الداخلي مع الله، ومع الإنسان نفسه كما مع اخوته؛ سلام في المسيح وليس سلام العالم الباطل.

❖ المسيح نفسه بتول، وأمه أيضًا عواء، نعم مع أنها أمٌ لكنها بقيت عواء. فقد دخل يسوع والأبواب مغلقة (يو 19:20). وفي قوه قُطع قبر جديد من صخرة صلبة للغاية، لم يرفد فيه أحد قبله ولا بعده (يو 19:41). مريم هي جنة مغلقة... ينوع مختوم" (نش 4:12). وكما جاء في يوثيل LXX (3:18) من هذا النوع يفيض النهر بمياهه [1913].

القديس جيروم

❖ بالحقيقة استطاع الدخول من الأبواب دون فتحها ذلك الذي بميلاده بقيت بتولية أمه لا تُمس [1914].

القديس أغسطينوس

❖ كان التلاميذ مجتمعين والأبواب مغلقة بسبب الخوف من اليهود (يو 19:20). فمن يقطن أمانًا في مدينة الرؤيا في غلبة التأمل المقدس خائفًا من الأرواح الشريرة، مغلقًا على حواسه، يتقبل كلمة الله. فتأتي إليه بطريقة خفية، وتظهر له بطريق غير الحواس، معلنة له السلام، وواهبه إياه هوءًا، معطية إياه أن يكون عديم الشهوات... وإذ تنتسم فيه تهبه مواهب الروح القدس العديدة، وتعطيه سلطانًا على الأرواح الشريرة وتظهر له علامات الأسوار الإلهية.

القديس مرقس الناسك

"ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه،

ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب". [20]

بدخوله والأبواب مغلقة أكد لهم السيد المسيح أن جسده القائم من الأموات له طبيعة جديدة. والآن يؤكد لهم أنه ذات الجسد، إذ يحمل ذات جواحات الصليب، لكنه جسد مجيد .

تحدث المسيح القائم من الأموات بفمه، فأعطاهم سلامًا جديدًا فائقًا، وتحدث معهم بجراحاته التي في يديه وجنبه، فوهبهم فوحًا فويديًا بحضورته في وسطهم. رَأَاهُمْ يديه وجنبه ليطمئنوا أنه يسوع المصلوب نفسه بذات الجسد. لقد ترك آثار الجراحات شهادة حية لقيامته، وتبقى هذه الجراحات في الأبدية مصدر فوح ومجد، كعلامة حب إلهي عجيب لا ينقطع لخلص البشرية. لقد وضع حجابًا على بهاء مجد جسده القائم من الأموات حتى يمكنهم معاينته والتحدث معه.

يبقى السيد المسيح ببسط يديه ويكشف عن جنبه ويحتضننا بحبه ويروينا من ينوع دمه العجيب، فنعلم أنه مادام هو حي فنحن بصليبه أحياء. لن يقدر الموت أن يحطمننا! جراحات صليبه هي لغة الحب القادرة أن تزوع منا الخوف من العالم، وتهبنا فوحًا داخليًا فائقًا.

إنه دومًا يفتح بصورتنا بجراحات صليبه، فنذكر أننا لسنا نتمتع برؤيا فحسب، بل نتمتع بحضورته في وسطنا.

❖ بالتأكيد سيبقى كيان الأجسام القائمة من الأموات كما هو الآن، وإن كانت ستصير في مجدٍ سامٍ. لأن المخلص بعد نزوله إلى الجحيم كان له ذات الجسد الذي صُلب، إذ أظهر للتلاميذ آثار المسامير في يديه والجراحات في جنبه.

إن أنكونا هوية جسده لأنه دخل والأبواب مغلقة، وأن هذا ليس من طبيعة الأجسام البشرية، يؤمننا إذن أن ننكر أيضًا أنه كان لبطرس ولولب جسدين حقيقيين لأنهما سارا على المياه، وهذا مخالف للطبيعة (مت 30:22) [1915].

القديس جيروم

ما هي سمات الجسد المُقام من الأموات؟

يمائل الجسد المقام من الأموات جسد السيد المسيح بعد قيامته، الذي خرج والحجر موضوع، ودخل العلية والأبواب مغلقة (يو 20:19-20)، إنه يعلو على الزمان والمكان والحدود المادية والحجب. أنه الجسد الأمتل في تعاونه مع النفس، لينطلق الإنسان نحو الله في شوكةٍ مجيدةٍ مع رؤيةٍ ولقاءٍ وجهًا لوجه! هذا لا يعني أنه جسد آخر غير الذي لنا، إنما هو بذاته لابسًا عدم الفساد (1 كو 15:53).

يُعالج القديس أغسطينوس هذه المشكلة "طبيعة الجسد المُقام" بحذر، إذ يقول: [على أي الأحوال، أيا كانت طبيعة الجسد الروحاني، ومهما كانت عظمة نعمته، أخشى أن أتحدث في هذا، لأننا لارنا لا نحمل أية خوة بخصوص هذه الحقيقة [1916].]

يتسم الجسد المُقام بالآتي:

1 . يصير الجسد البشوي بعد القيامة روحانيًا، لكن يُمكن التعرف عليه وتمييزه عن بقية الأجساد. أوضح القديس أن تعبير "الجسم السموي" يؤم ألا يعني إنكار الطبيعة الجسمانية الحقة للجسم الروحي [1917]. [لا يعني "الجسد الروحاني" أنه ليس جسدًا بعد، وإنما كما أن "الجسد الحي" يعني "الحياة"... "الجسد الروحاني" يعني "جسدًا مطيعًا للروح" [1918].]

2 . إنه ذات الجسد الذي لنا، لكنه سيتحول بالكامل إلى عدم الفساد. لا يحمل الجسد القادم ما في الجسد من نقائص أو عيوب [سيتحول تمامًا إلى الأفضل في وقت القيامة [1919].]

3 . تبقى جراحات الاستشهاد فيه ، لا كعيوبٍ خلقية بل كعلامات ظاهرة تكشف عن سرّ حب الشهداء الشديد للسيد المسيح. ستكون للمجد والكرامة، وليس كنقائصٍ وعيوبٍ في الجسد [1920].]

4 . جسد ممجد يشبه جسد المسيح القائم من الأموات.

5 . [إنه من الممكن والمعقول أننا سنرى السموات الجديدة والأرض الجديدة، بطريقةٍ بها أينما حولنا أعيننا نرى الله بأكثر وضوح، حاضرًا في كل مكان، مدورًا كل المسكونة [1921].]

6 . يقدم لنا مفهوم الجسد الروحاني أنه لا يعود يشغلنا عن التأمل في الله، ولا يكون عائقًا للنفس بل خاضعًا لها. فالأمر الهام جدًّا في رأيي

القديس أغسطينوس أنه لن تكون بعد أية مقالمة بين النفس والجسد، فإن الجسد المُقام يتجاوب مع الروح. [نفس الجسد الذي يعذبنا حتى نبقي في

الخطية، سيكون خاضعاً لنا في القيامة، ويكف عن أن يتعبنا بالعواقب التي يضعها لنا في طريقنا ونحن نحفظ شريعة الله والوصايا الإلهية ^[1922].]

في كتابه "مدينة الله" يقول بأكثر تدقيق: [سيخضع الجسم الروحاني للروح، لكنه يبقى جسماً لا روحاً. كما في هذه الحياة تخضع الروح الجسدانية نفسها للجسد لكنها تبقى روحاً وليست جسداً ^[1923].] هكذا عوض الصواع بين النفس والجسد سيكون في الحياة العتيدة اتحاد كامل بطبيعة

روحية لا يكون لدى الجسم أية ثرة ضد النفس. وكما يقول القديس أغسطينوس: [لماذا يُقال جسم روحي، أيها العزيز المحبوب، إلا لأنه لا يفشل في الخضوع للروح؟ سوف لا يكون فيك شيء في صواع معك، ولا يكون فيك تمرد عليك. لا يعود يوجد ما يرثيه الرسول بقوله: "الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد" (غلا 5:17) ^[1924].]

❖ لا بتدمير تركيب الخليقة ولا جوهرها. إنما فقط الشكل الخرجي لهذا العالم هو الذي يمضي، أي الحالات الناجمة عن السقوط. وعندما يمضي هذا الشكل الخرجي، يتجدد الإنسان ويؤدهر في أصالة الحياة غير الفاسدة. لن يعود ممكناً له أن يشيخ. وسوف تكون "سماء جديدة وأرض جديدة" (رؤ 1:21). في هذه السماء الجديدة والأرض الجديدة يسكن الإنسان جديداً إلى الأبد، متحدتاً مع الله إلى الأبد ^[1925].

القديس إيريناؤس

❖ إذًا قام ربنا بنفس الجسد الذي دُفن به. وقد أخذ المسيحيون وعداً بالقيامة. نحن نأمل في قيامة مماثلة لقيامه ربنا التي سبقت كل إيماننا، لأن قيامته جاءت حتى تصير الأساس لإيماننا. ولكن لماذا؟ حتى إننا بعد القيامة لا نكون كما نحن الآن؟ قام ربنا يسوع المسيح بجسده وصعد إلى السموات. حين كان المسيح بجسده على الأرض حمل في جسده الوظائف البشرية حتى يثبت أن ما دفن هو الذي قام. ولكن هل ستكون هناك حاجة للطعام في السماء؟ لأننا وأنا أن ملائكة قد ظهوروا على الأرض في هيئة رجال (تك 9:17)، جاؤا إلى إواهم، وأكلوا معه، والملاك الذي ظهر لطوبيا أكل معه. هل نقول إنهم أكلوا ظاهرياً وليس فعلياً؟ أليس أن إواهم ذبح عاجلاً بالحقيقة، وعمل خزاناً، ووضعها على المائدة؟ وقدم الطعام للملائكة فأكلوا؟ (تك 18:9-18) ^[1926]

القديس أغسطينوس

❖ الله المحب الرحم أطلق بنفسه الجسد من أسوه، وحرره من عبودية الهلاك، العبودية المرة المميتة، ومنحه الخلود في الأبدية. بذلك منح الجسد البشري عطية الأبدية المقدسة، فجعله خالداً غير مائتٍ إلى الأبد ^[1927].

القديس إكليمنضس السكنوي

"فقال لهم يسوع أيضاً:

سلام لكم، كما أرسلني الآب أرسلكم أنا". [21]

عاد يؤكد لهم عطيته "سلام لكم" [٢١]، لكي خلال هذه العطية يتأهلوا لإرسالية سملوية، بسلطان علوي، يبشرون بأخبار القيامة الموحدة، كسواء عن السلام الداخلي. إذ يصيرون أعضاء جسد المسيح القائم من الأموات يعمل الرأس فيهم، حتى يشهروا للعالم بالحياة المُقامة التي يملسونها في الروح القدس.

❖ ما قاله قبل الصلب: "سراكم فتوح قلوبكم، ولا يستطيع أحد أن يزع فحكم منكم" (16: 22) قد تحقق الآن عملياً. هذا كله دفعهم إلى الإيمان...الصادق هذه هي أول الكلمات التي قالها لهم بعد القيامة ^[1928].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولما قال هذا نفخ، وقال لهم:

اقبلوا الروح القدس". [22]

قدم لهم الروح القدس للورة الأولى في عشية اليوم الأول من قيامته، وجاء ذلك تنويجاً لما بدأ يزوغ في السحر. سبق ذلك عيد العنصرة مما يثير الكثيرين للتساؤل عن الفرق بين إعطائه الروح القدس هنا وإرساله في عيد العنصرة.

يندر وجود فعل نفخ *emphyso* في الكتاب المقدس، لكننا نجد في سفر التكوين، وهو لا يخلو من مدلول، بعد أن كان الروح يوف على وجه المياه فنفخ الله في أنف آدم نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيّة (تك 2:7). وجاء أيضاً في حزقيال عندما تقربت عظام الموتى وهبت (نفخت) الروح فيها فحييت (حز 37:9). يُفهم من هذا أنه تدشين الخلق الجديد الذي يتحقق بنفخة الروح المُعطى للتلاميذ. يمكن القول أنها رسالية غايتها أن يعمل التلاميذ بالروح القدس ليتمتع العالم بالخليقة الجديدة أو الحياة المُقامة. وهبهم نفخة الروح القدس لينالوا إمكانية العمل الرسولي والخدمة. سبق فنفخ في الزاب فجعل من آدم نسمة حياة، الآن نفخ في وجوههم ليقم فيهم الإنسان الجديد ويتمتعوا بعطية الروح العامل فيهم وبهم.

يقول الأب مكسيموس المعترف : [بما أننا اعتمدنا في المسيح بالروح، (أي أننا اشتركنا في موت المسيح وقيامته) نلنا الانعتاق الأول من فساد الجسد في المسيح بالروح. ولكننا ننتظر الانعتاق الأخير... في الروح.]

❖ إننا نعلم أنه فقط في الكنيسة - مع الأساقفة - المؤسسة على النظام الإنجيلي والسيامة في الرب يحق العماد وغوان الخطايا، وبدون هذا لا يمكن الربط والحل حيث لا يوجد من يقرر أن يفعل ذلك. [1929]

❖ أُعطي سلطان غوان الخطايا للرسول وللكنائس التي أرسل إليها هؤلاء الرجال بواسطة المسيح ليؤسسوها، وللأساقفة الذين خلفهم بواسطة سيامتهم كهنة. [1930]

الشهيد كيريانوس

❖ انظروا أن الخطايا تغفر بالروح القدس، أما البشر فيستخدمون خدمتهم لغوان الخطايا، إنهم لا يملسون حقاً خاصاً بسلطان من نواتهم. إذ هم لا يغفرون الخطايا باسمهم بل باسم الأب والابن والروح القدس. يسألون اللاهوت أن يهب؛ فالخدمة من جانب الإنسان والعطية من سلطان العلي. [1931]

القديس أمبروسيوس

❖ لماذا أُعطى الروح القدس للتلاميذ أولاً على الأرض، ومؤخراً تلاً من السماء؟ لأنه توجد وصيتان للحب، أي حب الله وحب القريب. عطية الروح على الأرض لتجلب حب القريب، والعطية التي من السماء لتجلب حب الله. كما يوجد حب واحد مع وصيتين، هكذا يوجد الروح الواحد مع عطيتين.

العطية الأولى قدمها الرب حين كان ساكناً على الأرض، والثانية من السماء. لأنه من محبة القريب نتعلم كيف نبلغ إلى محبة الله. بالحق هو الروح القدس الواحد كان حاضراً في قلوب التلاميذ مبكراً لكي يهبهم الإيمان، ولكن لم يكن بعد قد أُعطى بمنحة واضحة إلى ما بعد القيامة. لذلك كُتب: "لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد" (يو 7:39)... يليق بنا أن نتأكد أن الذين كان لهم الروح القدس فعلاً... قبلوه علانية بعد قيامة الرب، حتى يستطيعوا أن يعينوا ليس فقط قلة بل كثيرين. [1932]

البابا غريغوريوس (الكبير)

"من غفرتم خطاياهم تغفر له،

ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت". [23]

ربنا يسوع يغفر الخطايا (كما يخرج الشياطين) بروح القدس، ويظهر ذلك من قوله لتلاميذه بعد القيامة: "اقبلوا الروح القدس"، مكملاً قوله: "من غفرتم خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت" [22-23].

[1933]

❖ عمل الكاهن هو عطية الروح القدس، وحقه أن يغفر الخطية (بالروح القدس) وأن يمسكها .

القديس أمبروسيو

[1934]

❖ كملكٍ أرسلهم حكامًا، معطيًا إياهم سلطانًا أن يلقوا في السجن أو أن يُخرجوا منه، هكذا إذ أرسلهم قلدتهم ذات السلطان .

القديس يوحنا الذهبي الفم

يحذر البابا غريغوريوس (الكبير) من إساءة استخدام هذا السلطان، حيث يملسونه حسب هواهم، وليس حسب شخصية من يخضعون له،

[1935]

فينطبق عليهم القول: "الإماتة نفوس لا ينبغي أن تموت، واستحياء نفوس لا ينبغي أن تحيا" (حز 13: 19) .

"أما توما أحد الاثني عشر الذي يقال له التوأم،

فلم يكن معهم حين جاء يسوع". [24]

اتسم توما بالصراحة الكاملة، فمع نروة إعلانات اليوم الأول التي كان غايتها جذب هذا العالم للتمتع بخوة القيامة، كان قرار توما صريحًا أنه لا

يؤمن ما لم يبصر في يدي يسوع أثر المسامير، ويضع إصبعه في أثر المسامير وفي جنبه [25].

غياب توما عن الاجتماع مع التلاميذ حرمه من فرصة ذهبية لرؤية السيد المسيح والاستماع إلى كلماته ونوال بركته. ربما كان لتوما عنوه في

الغياب لسبب صحي أو سبب آخر، لكن أي عذر له أن يرفض شهادة اخوته أنهم رأوا الرب.

❖ نحن لا نقيم الصلوات وقرنًا يوم الأحد أول الأسبوع بدون سبب. ليس فقط لأننا قائلون مع المسيح، ونطلب ما هو فوق ممتدين إليه، بل أيضًا لأن

هذا اليوم إنما هو بشكل ما صورة الدهر الآتي. ولأجل ذلك أيضًا إذ هو مبدأ الأيام لا يُسمى أولًا بل واحدًا، فموسى يردد قائلاً: "كان مساء وكان

صباح".

القديس باسيليوس الكبير

❖ إن ذاك الأحد (يوم الفصح) كان أحد الخلاص؛ أما هذا (اليوم الثامن بعده والذي ندعوه أحد توما) فهو ذكوى الخلاص وتثبيت الخلاص. ذاك كان

الحد الفاصل بين القبر والقيامة. أما هذا فليس سوى يوم الله للخلق، فكما بدأ الخلق الأول يوم أحد، يبدأ الخلق الثاني أيضًا في اليوم عينه، الذي هو

في الوقت نفسه أول (نسبة للأيام التي تليه) وثمان (نسبة للأيام التي تسبقه)... يعود إلى الحياة التي فوق.

القديس غريغوريوس النريزي

"فقال له التلاميذ الآخرون:

قدرأينا الرب.

فقال لهم: إن لم أبصر في يديه أثر المسامير،

وأضع إصبعي في أثر المسامير،

وأضع يدي في جنبه،

لا أومن". [25]

هكذا قدم لنا الإنجيلي اليوم الأول للقيامة واليوم الثامن في وحدتهما الحميمة. يلتقي السيد بالتلاميذ في اليومين بطريقة متشابهة. الآن يوجه

الإنجيلي نظونا إلى الحواحات حتى يصوخ كل إنسان مع توما: "ربي وإلهي".

❖ لم يصدق توما الوصل عندما قالوا له: "قدرأينا الرب" ليس لأنه لم يثق فيهم، فإنه لم ينكر تمامًا ولا حسب القيامة من بين الأموات ممتعة، لأنه لم

[1936]

يقول: "لست أصدقكم"، لكنه قال: "إن لم أبصر في يديه أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه لا أومن".

القديس يوحنا الذهبي الفم

وأعلن في الحال إيمانه به، صلحاً: **رَبِّي وَاللَّهِ** ". لعل مجود رؤيته لسيدته سحب قلبه للعالم بكل شيء، فأعلن له ما قاله للتلاميذ بأنه لن يؤمن ما لم يلمس جراحاته. عرف السيد ذلك نون أن يخوه أحد.

اختلفت الآراء، فالبعض يرى أن توما أعلن إيمانه ولم يلمس جراحات السيد، وآخرون يرون أنه أعلن إيمانه فعلاً، وفي طاعة لسيدته لمس جراحاته، وإن كان لم يعد بعد محتاجاً إلى ذلك لكي يؤمن.

[1940]

❖ لقد رأى الناس ولمسه، وأدرك اللاهوت الذي لن يؤمن ولا يُمس.

القديس أغسطينوس

[1941]

❖ كما أن الآب هو الله والابن هورب، هكذا أيضاً الابن هو الله والآب هورب.

القديس أمبروسيوس

" قال له يسوع: **لأنك رأيتني يا توما آمنت،**

طوبى للذين آمنوا ولم يروا." [29]

لم يقل له السيد: "لأنك لمست جراحاتي آمنت"، وإنما قال: "لأنك رأيتني"، فـرؤيته للسيد المسيح جذبتة للإيمان.

[1942]

❖ الرب القادر أن يقوم نون أي أثر للجراحات احتفظ بآثار الجراحات حتى يلمسها الرسول الشاك، فتشفي جراحات قلبه.

❖ عندما لمس التلميذ الشاك جراحات جسم سيده شُفيت جراحات عدم إيمانه. عدم إيمان توما كان أكثر نفعاً لإيماننا عن إيمان التلاميذ المؤمنين، لأنه إذ

[1943]

رجع إلى الإيمان بلمس يسوع، تحررت أذهاننا من كل شك، وصلرت ثابتة في الإيمان.

البابا غريغوريوس (الكبير)

[1944]

❖ لقد عرف الجراحات التي في قلوب تلاميذه، فلكي يشفيها احتفظ بآثار جراحات جسده.

❖ يمكن التأكيد بأن التلميذ لم يجسر أن يلمسه عندما قدم (السيد) نفسه لهذا الهدف، إذ لم يكتب "لمسه توما". ولكن سواء أكان ذلك بالرؤية فقط أو

بالمس أيضاً رأى وآمن، فقد أعلن ما جاء بعد ذلك عن إيمان الأمم: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا".

القديس أغسطينوس

6. الغاية من الإنجيل

" وآيات أخر كثرة صنع يسوع قدام تلاميذه

لم تُكتب في هذا الكتاب." [30]

يكشف لنا الإنجيلي عن غاية الكتابة، أنه ليس تقديم عرض شامل عن حياة السيد المسيح وأعماله وأقواله، إذ يعرف الإنجيلي الكثير ولم يسجله.

ما يبيغه هو تمتع كل قارئ ليس بمجرد الاعتقاد، بل الإيمان الحي الذي يقدم معرفة حقيقية تهب حياة أبدية.

"وأما هذه فقد كتبت،

لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله،

ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه." [31]

الإيمان بيسوع أنه المسيح ابن الله لا يتوك الإنسان في موقعه كما هو، بل يقوده للتمتع بالحياة الأبدية، أو التمتع باسم المسيح، أي بشخصه بكونه

الحياة في ذاتها.

❖ جاء الحديث "تكون إذا آمنتم" في اليونانية يحمل الاستورية، أي إيماناً عاملاً مستوراً.

[1945] باسمه" أي خلاله، لأنه هو الحياة .

القديس يوحنا الذهبي الفم

الأحداث المرتبطة بيوم قيامة السيد المسيح [1946]

حاول كثير من الدارسين ترتيب أحداث يوم القيامة العجيب حسبما وردت في الأناجيل المقدسة. وقد رتبها Weslcott هكذا:

السبت * قبل الساعة 6 م ذهبت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب إلى القبر (مت 28: 1).

* مؤخرًا قامت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومي بإعداد الحنوط (مر 16: 1).

الأحد * باكراً تمت القيامة، وبعد ذلك الزلزلة، ومجيء ملاك وفتح القبر (مت 28: 2-4).

* جاءت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومي وربما معهن نسوة أخريات إلى القبر في الفجر. ذهبت مريم المجدلية رأساً إلى القبر، ورجعت مع بطوس ويوحنا (يو 20: 1 الخ).

* النسوة الأخريات بلغن إلى القبر مع شروق الشمس (مر 16: 2)، رأين ملاكاً، وتسلمن رسالة للتلاميذ (مت 28: 5 الخ؛ مر 16: 5 الخ).

* نسوة أخريات من بينهن يوانا جنن متأخرات، وكان لزال الوقت صباحاً باكراً (لو 24: 1 الخ)، وقد ظهر لهن ملاكان على شكل شابين (لو 24: 4 الخ).

* جاء بطوس ويوحنا إلى القبر (يو 20: 3-10). رأيت مريم المجدلية ملاكين (يو 20: 11-13). نساء أخريات أخرون التلاميذ بالأمر (لو

24: 10 الخ)

* ظهر الرب لمريم المجدلية (يو 20: 14-18؛ مر 16: 9).

* ظهر الرب لنسوة أخريات كن عائدات إلى القبر (مت 28: 9 الخ).

* ظهر الرب لتلميذين في الطريق إلى عمواس (لو 24: 13 الخ).

* ظهر الرب لبطوس مؤخرًا بعد الظهر (لو 24: 34؛ 1 كو 15: 5).

* ظهر الرب للإحدى عشر مع آخرين (لو 24: 36 الخ؛ يو 20: 19).

من وحي يوحنا ٢٠

قبرك لم يقدر أن يحبسك في داخله!

❖ مع فجر السبت الجديد أنطلق إلى قبرك.

قبرك لا يقدر أن يحبسك في داخله،

فإنك لن تستريح،

حتى تتطلق إلى قلبي.

قمت والحجر موضوع والختم قائم.

لتدخل في أعماقي،

خاتمة

ص 21



الأصاح الحادي والعشرون

وليمة عند طبرية

أو

العبور إلى الدهر الآتي

إذ خُتم الأصاح السابق بالحديث عن غاية الكتابة من هذا السفر، ظن البعض أن هذا الأصاح أُضيف إلى السفر في وقت لاحق لكتابته. لكن لا يوجد دليل قوي على هذا الإدعاء، خاصة وأنه لم توجد أية مخطوطة للسفر خالية من هذا الأصاح. هذا ولم تفصل الكنيسة بين هذا الأصاح وغره من الأصاحات [\[1947\]](#).

يتساءل البعض: ما الحاجة إلى هذا الأصاح بعد أن بدا كمن ختم السفر بتقديم غاية كتابته. بدأ السفر بالكشف عن بدء الكلمة الأُولى الذي بلا بداية وانتهى في الأصاح السابق إلى ظهوره قائماً من الأموات في اليوم الثامن للفصح المسيحي حيث كان هذا اليوم رمزاً للأبدية ذاتها. أما في هذا الأصاح، فيسير بنا الإنجيلي كما إلى تخوم الدهر الآتي. يختم الرسول يوحنا الحبيب إنجيله بلقاء السيد المسيح مع بعض تلاميذه عند بحر طوية ليأكل معهم كما في وليمة، وكأنها دعوة للتمتع بالوليمة السماوية.

يعتبر هذا الأصاح أطول عرض لظهور السيد المسيح في الجليل بعد قيامته.

❖ يليق بنا أن نلاحظ أن الرب يُوصف كمن يقيم وليمته النهائية مع سبعة من تلاميذه (يو 21: 1-14). لماذا فعل هذا لو لم يعلن بأن أولئك الذين وحدهم مملوءين بنعمة الروح القدس السباعية (إش: 2، 3)، يكونون معه في وليمته الأبدية؟... يعلن بولس الرسول بالحق: "إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له" (رو 8: 9). ما يعنيه أنه لا يفوح أحد فيما بعد عند رؤية المجد الإلهي ما لم يقوده الآن الله الساكن فيه [\[1948\]](#).

تحقق هذا المشهد عند بحر طوية في الجليل، فقد رحل التلاميذ شمالاً ربما إلى منزلهم حيث التقى بهم في الجليل.

بحر طبرية Tiberias : كان بحر الجليل يدعى في أيام السيد المسيح بحر طوية. في العهد القديم كان يدعى بحر كنزة Chinnereth، وجاء في لوقا 5:1 "بحرة جنيسلت". وفي حوالي عام 20 م تأسست مدينة على شواطئه دعيت طوية Tiberias على اسم الإمبراطور، ودُعي البحر "بحر طوية"، وقد تم هذا التغيير خلال عدة سنوات. استخدم الإنجيلي يوحنا الاسم الشائع وقت كتابته للسفر.

" كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوام،

ونثنائيل الذي من قانا الجليل،

وابنا زبدي، واثنان آخوان من تلاميذه مع بعضهم". [2]

لقد جاء سبعة تلاميذ إلى شاطئ بحر طوية. ظهر لهم معاً، ربما لأنه كما يقول البعض أن القانون الروماني يتطلب سبعة شهود للشهادة. أظهر السيد المسيح نفسه هنا لسبعة من تلاميذه من بينهم نثنائيل الذي لم يشر إليه القديس يوحنا بعد لقائه مع السيد المسيح في الأصحاح الأول. يظن البعض أنه هو برثلماوس أحد الاثني عشر تلميذاً. أما التلميذان اللذان لم يشر إلي اسمهما هنا فربما هما فيلبس من بيت صيدا وأنطواوس من كوناخوم.

" قال لهم سمعان بطرس:

أنا أذهب لأتصيد.

قالوا له: نذهب نحن أيضاً معك.

فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت،

وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئاً". [3]

مما لا شك فيه أن الفترة التي عاشها التلاميذ ما بين الصלב حتى الصعود، كانت تمثل غموضاً، وإن كانت ظهورات السيد المسيح لهم فتحت أمامهم أبواب الرجاء، وكشفت لهم عن الكثير من الأسرار الإلهية. كانت الحالة النفسية للتلاميذ متقلبة، والمستقبل بالنسبة لهم لم يكن واضحاً. لم يكن ممكناً لهم أن يتركوا طابع حياتهم الجديدة بعد مفارقة السيد المسيح لهم بالجسد. لقد تسلموا الاثنا عشر رسالة للعالم كله، لكنهم لم يكونوا بعد قد تمتعوا بالروح القدس الذي يقودهم للعمل الجديد. حقا لقد تبدل حزن جمعة الصلب ببهجة القيامة في الأحد، ولكن ما هي خطة الله بالنسبة لهم؟ هل يبقوا في بيوتهم، أم يجتمعوا معاً؟ هل يعيشوا في الجليل، أم ينطلقوا للشهادة القيامة؟ كان الموقف غاية في الصعوبة، لهذا إذ دعاهم بطرس للوسل للتصيد تحركوا معه لممارسة أي عمل. لم يكن قد حان وقت الكفارة بالمسيح وعمله الخلاصي، إذ كان يؤم الانتظار حتى صعوده وحلول روحه القدس على الكنيسة.

لم يعرف التلاميذ حياة الخمول والكسل، فخرجوا للتصيد، ليس كوع من الترفيه، وإنما للعمل، حتى يجنوا ما يسد احتياجاتهم المادية. دعاهم بطرس للوسل للتصيد كمورد رزق لهم، لأنهم كانوا يعيشون قبل الصלב على ما يقدمه البعض في الصندوق (لو 8: 3). لهذا كما يخبرنا القديس يوحنا كاسيان

عن الرهبنة المصرية أن الرهبان كانوا ملتزمين بالعمل لسد احتياجاتهم، بل والاهتمام بالفقراء، مع التطلع إلى العمل كتدريب يمس نومهم الروحي. يجدر بالزاهب ألا ينشغل بالأعمال الكثيرة، وفي نفس الوقت لا يعتمد على أقربائه أو غوهم في المونة الضرورية له.

❖ بفضل الوهد في كل غنى نختار الحصول على قوتنا اليومي بعمل أيدينا دون أن نعتمد على غنى أقربائنا، لئلا نميل إلى التأمل في الكتاب المقدس مع كسل، فتصير قواعتنا عقيمة. لكن الأفضل أن يكون لنا الفقر العامل. حقاً لو أن الوسل علمونا هذا بمثلهم أوراينا هذا في قوانين آباءنا لكان هذا مبهجاً لنا.

هذا ويجدر بك أن تعلم أن هناك خطر آخر لا يقل عن السابق، وهو أنك تفتتات بمعونة الغير وأنت سليم الجسد قوى البنية، هذا لا يليق إلا بالضعفاء... لذا يؤم بالكل أن يعيشوا بالعمل اليومي الذي من أيديهم، ويجدر بنا أن نعود إلى وصية المحبة التي أوصانا بها الرسول الذي يمنع مساعدة الأغنياء للكسالى قائلاً: "فإننا أيضاً حينئذ كنا عندكم أوصيناكم بهذا أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً" (2 تس 3: 10).

هذه هي كلمات الطوبوي أنطونيوس التي نطق بها مع هذا الإنسان، وقد علمنا الطوبوي هذا بمثاله [\[1951\]](#).

الأب إواهم

ما أجمل أن يجتمع الاخوة معاً ليس فقط في العبادة الكنسية والكرورة، بل وفي الحوار المملوء حباً، وأيضاً في العمل ، فتوداد المحبة المتبادلة بينهم، ويجدون مسرتهم في الوحدة العملية.

قار القديس بطرس طبيعي، وإن كان البعض يشعرون بأنهم قار ليس حسب مشيئة الله، إذ ذهب هو وزملاؤه دون استشارة الله بالصلاة، لذلك قضا الليلة كلها ولم يصطاونوا شيئاً. على أي الأحوال كان هذا نوساً عملياً عن فشل كل جهود بشرية، مهما كان هدفها، مادامت لا تستعين بالعون الإلهي، خاصة في اصطياد النفوس لحساب ملكوت الله.

❖ قال يسوع، الحق: "ليس أحد يضع يده على الموحث وينظر إلى الراء يصلح لملكوت الله" (لو 9: 62). لماذا عاد بطرس إلى ما قد تركه؟ نحن نعرف أن بطرس كان صياد سمك بينما كان متى عشراً. عاد بطرس لصيد السمك بعد تحوله للإيمان. أما متى فلم يجلس بعد في مكان الجباية، لأن المعيشة خلال صيد السمك شيء، وإضافة الربح خلال الجباية شيء آخر. توجد أعمال كثرة لا نستطيع مملستها جزئياً ولا بالكامل دون أن نخطئ. لا يسمح لأحد أن يعود إليها بعد إيمانه، تلك التي ترتبط بالخطية [\[1952\]](#).

البابا غريغوريوس (الكبير)

يجيب القديس أغسطينوس على التساؤل: "إن كان الرب قد وعد قائلاً: "اطلوا ملكوت الله ووه، وهذه كلها واد لكم" (مت 6: 33)، فلماذا لم يُوجد للتلاميذ ما لقتهم حتى الترموا بالذهاب للصيد؟ إنه هو أيضاً وضع هناك السمك الذي يُصطاد، وجاء بالتلاميذ إلى العوز لكي يؤمهم أن يصطاونوا، فيكشف لهم المعزة التي أعدها لهم، فيُشبع الكرزين بإنجيله، وفي نفس الوقت يعزز الإنجيل نفسه بالسراً العظيم الذي ينطبع على أذهانهم بسبب كثرة عدد السمك [\[1953\]](#).

❖ لم يُطلب منهم أن يمتنعوا عن طلب الاحتياجات اللازمة خلال المهنة، مادامت هذه المهنة شوعية في ذاتها ومسوح بها، وماداموا يحتفظون بعملهم الرسولي دون مساس به، وذلك متى لم يكن لهم وسيلة لكسب القوت اليومي. وإلا يتجاسر أحد طائناً أو مؤكداً أن الرسول بولس لم يبلغ كمال الذين تركوا كل شيء وتبعوا المسيح، إذ رأى أن يعمل بيديه لسد احتياجاته حتى لا يكون ثقلاً على أحد ممن يركز لهم بالإنجيل. إنما بالأحرى نجده يحقق كلماته: "تعبت أكثر من جميعهم" مضيئاً: "ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي" (1 كو 10: 10) [\[1954\]](#).

القديس أغسطينوس

"ولما كان الصبح، وقف يسوع على الشاطئ،

ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع". [4]

لم يعرفه التلاميذ ربما لأن نور الصباح لم يكن بعد كافياً للرؤية، أو لأنه كان بعيداً عنهم، أو أخذ شكلاً آخر كما في مر 16: 12. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أنه لم يعلن لهم ذاته حتى يمكنهم الدخول في حوارٍ معه.

❖ قبل القيامة مشى يسوع على أمواج البحر أمام نظر تلاميذه (مت 14: 25). إلى ماذا يشير البحر إلا للعصر الحاضر الذي يضطرب بضجيج الظروف وفوضى هذه الحياة الفانية؟ ماذا تعني صلابة الشاطئ إلا استمرارية السلام الأبدي غير المنقطع؟ وحيث أن مخلصنا قد عبر فعلاً إلى ما وراء الجسد الفاني، لذلك وقف بعد قيامته على الشاطئ كمن يتحدث إلى تلاميذه بتصرفاته الخاصة بسرّ قيامته [\[1955\]](#).

البابا غريغوريوس (الكبير)

"فقال لهم يسوع:

يا غلمان أعل عندكم إداماً أجابوه لا". [5]

"غلمان" باليونانية *Paidia* تعبير يُستخدم لمن لهم علاقة قوية مع عاطفة وحنو نحو المتحدث إليهم. الكلمة اليونانية *pais* معناها حرفياً الأطفال الصغار أو المحبوبون. استخدمها الإنجيلي يوحنا لابن الصغير لأحد النبلاء (4: 49)، ولطفل المولود حديثاً (16: 21). لكن يمكن استخدامها للبالغين، بل وتستخدم أحياناً بالنسبة للجنود. هكذا تحدث السيد المسيح معهم بروح الأوبة نحو أبناء أعرافٍ لديه، فمع أنه بالقيامة تمتع بالجسد الممجّد، فإن هذا المجد يُعلن بروح الحب الأبدي والحنو الفائق. بحسب عرهم لم يكونوا في طبقة الأبناء، لكنهم صاروا أبناء لله ويتمتعون بالبنوة الإلهية.

كأب مملوء حنوًا يهتم حتى بطعامهم الجسدي، يُشبع كل احتياجاتهم الروحية والجسدية. يبقى مسيحنًا القائم من الأموات يعبر خلال مؤمنيه عند كل بيت، خاصة الفقراء والمحتاجين، ويسأل: يا ولادي أَلعل عندكم طعامًا؟ إنه يعلم أنه ليس لديهم طعامًا، لكنه يثير فيهم الرغبة في الصلاة بإيمان ليطلوا منه شعبًا. يشبعهم بالطعام لا من يد بشوية، بل من مخزنه، يرويهم بنفسه بوسيلةٍ أو أخرى بينابيع حبه، ويفتح عيون قلوبهم ليروه ويتعرفوا على أسوره.

❖ بالأحرى تحدث معهم بطريقة بشوية كما لو كان يود أن يشوَى منهم شيئًا. ولكن عندما أشراروا أنهم لم يصطاونوا شيئًا أوهم أن يلقوا شباكهم إلى الجانب الأيمن من السفينة [1956].

القديس يوحنا الذهبي الفم

جاءت إجابتهم لهم بالنفي "لا"، للتعبير عما عاوه من مودة، إذ قضاوا الليل كله بلا صيد. لم يرينوا الحديث عن هذه الليلة في شيء من التفصيل، إذ يصعب على الشخص أن يتحدث عن فشله.

"فقال لهم: القوا الشبكة إلى جانب السفينة اليمين فتجوا،

فألقا، ولم يعووا بقدر أن يجنوها من كثرة السمك". [6]

يبدو أنه حسب خبرتهم كصيادي سمك كان يلزمهم إلقاء الشبكة في الجانب الأيسر من السفينة في ذلك الموضع من البحيرة. مع عدم معرفتهم لمن قدم لهم المشورة أطاعوا الأمر بروح التواضع والاجتهاد وطول الأناة ون مناقشة، وبغير اعتداد بخبرتهم الطويلة في الصيد، ولعل رقة حديث السيد ولهجته أؤمتهم بالطاعة والخضوع.

صيد السمك الكثير كان عملاً معجزياً، ليس لإواز سلطان السيد المسيح حتى على السمك والبحار، وإنما لإعلان رعايته واهتمامه باحتياجات الناس، خاصة الذين تروا كل شيء من أجله. هذا وقد حمل ذلك عملاً رمزياً، فجهاد التلاميذ طوال المساء يشير إلى جهاد الأنبياء ورجال العهد القديم لكي يصطاونوا النفوس لحساب مملكة المسيح، لكن لم يصطاونوا شيئاً، حتى جاء السيد المسيح، وفتح بصليبه أبواب الفردوس، وأعطى التلاميذ سلطانه للصيد، فامتلات سفينة الكنيسة بالسمك.

لقد جاهد التلاميذ طوال المساء وبدوا لهم كأنهم فاشلون لم يصطاونوا شيئاً، لكن السيد المسيح الذي لن ينسى تعب أبنائه، ففي لحظات عوّضهم عن تعب الليل كله. هكذا يبعث فينا روح الرجاء. فقد نتعب لسنوات في الخدمة، لكن يظهر الثمر في اللحظات الأخوة من حياتنا على الأرض.

حقاً حينما يوجهنا السيد المسيح للعمل لحساب ملكوته، ونطيعه لن توجد بعد الشباك فرغة. هو وحده يعرف أين توجد النفوس المتعطشة للتمتع بالخلاص، حتى وإن لم توجد علامات ظاهرة عليهم؛ وهو الذي يوجهنا إليها، ويجتذبها إلى شباك كنيسته المقدسة.

❖ نوا موتين في الإنجيل المقدس أن الرب أمر أن تلقى الشباك للصيد.

في الصيد الأول (لو 5: 4-6) قبل الألام، لم يقل إن الشباك تلقى على الجانب اليمين أم اليسار، وقد جاوا بسمكٍ كثيرٍ حتى كادت الشباك أن تتخرق. وفي الصيد الأخير، بعد القيامة أمر بإلقاء الشبكة على الجانب اليمين، ومع أنها قد جاءت بسمكٍ كثيرٍ لم تتخرق الشباك.

يُشار للأوار بالجانب اليمين والأشوار الشمال (مت 25: 33). الصيد الأول يشير إلى الكنيسة في الوقت الحاضر حيث تأتي بالصالحين والأشوار. إنها لا تختار الذين يدخلون فيها، لأنها تجهل الذين يمكنها أن تختزلهم. تحقق في الصيد الأخير على الجانب اليمين حيث أن كنيسة المختلرين

وحدها التي لا يوجد فيها شيء من أعمال الأثوار، سوى مجد بهائه.

في الصيد الأول تحقرت الشبكة بسبب الأثوار الذين دخلوا مع المختلين، فزقوا الكنيسة بهوطقاتهم. في الصيد الأخير أصطيد السمك الكبير ولم تتزق الشبكة، لأن كنيسة المختلين المقدسة تبقى في سلام خالقها الذي لا يُعاق، وليس من انشاقات تزقها ^[1957].

البابا غريغوريوس (الكبير)

" فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس:

هو الرب.

فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب،

اتزر بثوبه، لأنه كان عرياناً،

وألقى نفسه في البحر". [7]

"اتزر بثوبه" أو بسوّة الصياد أو الثوب الخرجي *ependuteen*، وهو أشبه بمعطف للرجال في عصونا الحالي.

"لأنه كان عرياناً"، تعبير خاص بالشخص الذي لا يوتدي الثوب الخرجي، كما قيل عن شاول حين خلع ثيابه *himatra* الخرجية وانطرح عرياناً النهار كله وكل الليل (1 صم 19: 24). وقيل عن داود وهو متمنطق بأفودٍ من كتان أنه قد انكشف في أعين إماء عبيده (2 صم 6: 14، 20).

"ألقى نفسه في البحر"، واضح أنه كان قريباً من الشاطئ على بعد حوالي 200 فواغاً (حوالي 132 ياردة إنجليزية) وأن المياه كانت ضحلة، إذ رتدى الثوب الخرجي ليعبر إلى الشاطئ، فلو كانت غير ضحلة ما كان يوتدي الثوب الخرجي حتى يقدر أن يسبح إلى الشاطئ.

أدرك يوحنا الذي كان يسوع يحبه أنه هو الرب، فإن الرب يكشف أسوره لمحبيه. حقاً إن الله لا يحرم أحداً من التمتع بمعرفته، فكل من يضع رأسه على صدر السيد المسيح يتمتع بالأسوار الإلهية. ومن وافق السيد المسيح آلامه حتى الصليب يتمتع بنقوة القلب وصفاء العينين ليسبق غره في التعرف على السماويات. هكذا إذ تلامس القديس يوحنا مع شخص ربنا يسوع المسيح لم يستطع أن يخفي معرفته فأعلنها، حتى وإن سبقه بطرس ليلتقي مع السيد. مسوته أن يتمتع الكل بما واه ويختوه.

وي القديس يوحنا الذهبي الفم أن بطرس الرسول اتسم بالحماس والغوة المتقدة، واتسم يوحنا بالهوء، لذلك تعرف يوحنا بهوء على شخص المسيح أولاً، لكن بطرس هو الذي جاء إليه أولاً حيث ألقى نفسه في البحر وسبح إليه، ولم ينتظر أن يأتي مع التلاميذ بالسفينة ^[1958].

❖ عندما تعرف عليه بطرس ترك السمك والشباك واتزر.

انظر شعره بالمهابة والشوق، فإنه مع أن المسافة كانت 200 فواغاً لم يستطع أن ينتظر السفينة أن تأتي إليه بل ذهب إلى الشاطئ

سابقاً ^[1959].

القديس يوحنا الذهبي الفم

مع أن القديس بطرس قد أنكر السيد المسيح ثلاث مرات، لكنه إذ قدم دعوى التوبة شعر بدالة حب وصدافة لن يقدر الزمن أن يزوعها. إذ عرف أنه الرب لم تستطع السفينة أن تحتمله ولم يستطع هو أن ينتظر حتى تبلغ الشاطئ، بل ألقى بنفسه في البحر ليسوع باللقاء مع محبوبه.

❖ بينما لم يعرف الآخرون قال التلميذ الذي يسوع يحبه لبطرس: "هو الرب" (يو 7: 21). لأن البتولية هي أولاً تعرف الجسم البتولي أنه "يسوع" هو بعينه، لكن لم وه الكل بذات النظرة ^[1960].

القديس جيروم

"وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة،

لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الأرض إلا نحو مائتي فواغ،

وهم يجرون شبكة السمك". [8]

مائتا فراع أي حوالي 100 يلدة.

" فلما خرجوا إلى الأرض،

نظروا جمرًا موضوعًا وسمكًا موضوعًا عليه وخبزًا". [9]

كما أن صيد السمك كان عملاً معجزياً، هكذا وجود جمرٍ موضوعٍ عليه سمكٍ مع خبز فجأة هو من إعداد السيد المسيح معجزياً. لقد وجد

التلاميذ جمرًا [19] كما في دار رئيس الكهنة (يو 18:18)، لكن هذه المرة يوجد فوق الجمر سمك وبجانبه خبز. يعبر المشهد عن طابعه "الاحتفالي".

بينما سألهم إن كان لديهم طعام فيبدو كمن هو جائع، إذا به يقدم لهم طعاماً لا يعتمد على مجهودات بشرية ضعيفة. حقا إن كان قد دعانا للعمل

لحساب ملكوته، لكن الثمر الموفح والطعام السلمي الذي يسر الآب هو من صنع السيد المسيح نفسه، ومن عمل روحه القنوس.

❖ ذلك الذي رغب أن يُشوي بأتعاب آلامه في بشويته يقوتنا بخبز لاهوته، إذا يقول: "أنا هو الخبز الحي النزل من السماء" (يو 6: 51). وهكذا أكل

[1961]

سمكاً مشوياً مع خبز لكي يظهر لنا بهذا الطعام أنه حمل آلامه في بشويته، وقدم لنا طعاماً بلاهوته .

البابا غريغوريوس (الكبير)

[1962]

❖ طلب سمكاً مشوياً على فحم لكي يثبت للتلاميذ الشاكين الذين لم يجسروا أن يقربوا إليه، إذ ظنوا أنهم لا يرون جسداً بل روحاً .

القديس جيروم

" قال لهم يسوع:

قدموا من السمك الذي أمسكتم الآن". [10]

❖ أمر السيد المسيح تلاميذه أن يقدموا من السمك الذي اصطادوه، موضحاً أن الأعجوبة الكائنة لم تكن خيالية.

❖ سرت الأمور على غير الطبيعة، ما هي هذه؟

ولاً: أنهم اصطادوا سمكاً كثراً.

ثانياً: الشباك لم تتخرق.

ثالثاً: وقبل وصولهم إلى البر كان الجمر معداً والسمك عليه، ومعه الخبز. فإنه لم يعد يُوجد الأشياء من مادة موجودة فعلاً، وذلك بتدبير خاص

[1963]

كما فعل قبل الصلب .

القديس يوحنا الذهبي الفم

" فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة إلى الأرض،

ممتلئة سمكاً كبيراً مائة وثلاثاً وخمسين،

ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة". [11]

رأينا في الصيد الأول (لو 5:1-11) شباكهم صلت تتخرق حيث كانت خاضعة لسُنن هذا العالم، أما هنا فمع وفرة الصيد "لم تتخرق الشبكة"

حيث تخضع لسُنن الأبدية.

اهتم الإنجيلي يوحنا بالأعداد لكنها لم تكن في ذهنه علامة لكميات بل لوعية كيان. فزاه يحدد عوس قانا الجليل "في اليوم الثالث" (يو 2:1).

كما ذكر سبع آيات وسبع مواعظ، وجاءت كلمة "الله" في مقدمة الإنجيل ثمان موات، وفي الإنجيل كله 80 مرة. أما كلمة "ووغوس" فوردت 4 مرات

في المقدمة و40 مرة في كل السفر. أما رقم 153 فقد انكبّ على تأويله عبر القرون معلقون لا يُحصون.

يقدم لنا القديس أغسطينوس تفسيراً رمزياً لهذه المعجزة، جاء فيه: إن عدد التلاميذ الذين خرجوا للصيد سبعة وهو الرقم الذي يشير إلى كمال

الأرمنة (٧ أيام الأسوع)، وقد جاءهم السيد في الصباح أي عند نهاية الأرمنة. وأن سحب الشبكة إلى الشاطئ يشير إلى تحقيق الدينونة في اليوم الأخير. أما محاولة الصيد طول الليل فيشير إلى الخدمة ما قبل قيامة السيد المسيح حيث لم يتمتع أحد بوكات القيامة وانتشار الكلمة، وإلقاء الشبكة على الجانب الأيمن للسفينة يشير إلى كسب الكثرين بعد قيامته. غير أن الشبكة جمعت الكثير من السمك الكبير والصغير إشلة إلى وجود مؤمنين صالحين وأيضاً وجود أشوار داخل الكنيسة، ويتم الفوز في يوم الرب. وأما عدد السمك الكبير فهو ١٥٣ سمكة إشلة إلى رجال العهد القديم (١٠ رمز الناموس) مع رجال العهد الجديد (٧ رقم الكمال) فالمجموع ١٧. رقم ١٥٣ هو محصلة جمع الأرقام من ١ إلى ١٧.

تسمى بعض الأعداد بأنها مثلثة. مثل رقم 10 هو العدد المثلث للعدد 4 (10=4+3+2+1) والعدد 153 هو العدد المثلث للعدد 17، وهو يوي 7، 1 أي ثمانية. عدد التلاميذ على البحيرة 7، وعدد 8 يشير إلى الأبدية.

وي البابا غريغوريوس (الكبير) أن كل عمل في العهد القديم يرتبط بالوصايا العشرة، وأنه يكمل في العهد الجديد بالروح القدس الذي يقدم سبع نعم "روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والتقوى، روح مخافة الرب" (راجع إش 11: 2، 3). فالعهدان معاً يشار إليهما برقم 17 [10+7]، فكل أعمالنا في العهدين هي 17، فإذا ضويت في رقم 3 تكون المحصلة 51 حيث يُحتفل باليوبيل (50) ونبدأ بالسنة 51... هذه هي راحة العهد القديم. أما في العهد الجديد فنضوب 51 في 3 (إشلة للثالث القوس) فتكون المحصلة 153، وهي إشلة إلى المختارين من رجال العهدين معاً في الكنيسة السماوية أي بيتنا السموي [1964].

يقدم لنا القديس أغسطينوس مقارنة رائعة بين معجزتي صيد السمك الولدتين في إنجيل لوقا ٥: ٣-٧، وإنجيل يوحنا ٢١: ١-١١. وقد نقل عنه ذلك البابا غريغوريوس (الكبير). يمكننا أن نلخص مقارنته في النقاط التالية مع شيء من التصرف [1965]:

1. تمت المعزة الأولى (لو ٥) قبل قيامة السيد المسيح، أما الثانية فتمت بعد قيامته. لهذا وي أن المعزة الأولى تشير إلى الكنيسة في العالم الحاضر، وهي تتمتع بنعمة المسيح، أما الثانية فتشير إلى الكنيسة في العالم القادم، أو فيما بعد القيامة، حيث تتمتع الكنيسة بمجد المسيح.

2. في إنجيل يوحنا تمت المعزة في الصباح المبكر بعد ليلٍ طويلٍ، إشلة إلى ظهور الكنيسة في كمال مجدها مع مجيء المسيح الثاني الذي يشوق عليها بصباحٍ جديدٍ.

3. في إنجيل لوقا لم يُطلب منهم إلقاء الشبكة على الجانب الأيمن من السفينة بل أن يدخلوا إلى العمق ليلقوا الشباك، فامتألت الشباك بالسمك الجيد والوديء. إما في إنجيل يوحنا فطلب إلقاء الشبكة على الجانب الأيمن، وجاءوا بسمك كله جيد. المعزة الأولى تشير إلى الكنيسة المملوءة من المؤمنين، لكن ليس الجميع صالحين، بل يختلط الصالح بالشويز، ولا يمكن فرزهم هنا. ففي الكنيسة مؤمنون صادقون يتمتعون بالشركة مع الله في المسيح يسوع بعمل روحه القدس كما يوجد مؤمنون شكليون ومراعون لا يبألون بخلص أنفسهم ولا خلاص اخوتهم، إنما كل ما يشغلهم هو مجدهم الذاتي أو الملدات وشهوات الجسد والارتباط بالثمنيات. أما في إنجيل يوحنا فنجد الكنيسة مع بدء الدهر الآتي يُفرز المؤمنون الحقيقيون عن الأشوار. حيث يقف الصالحون عن يمين السيد المسيح كمباركي الآب لهم حق الموات الأبدية، أما الأشوار فلا نصيب لهم عن يمين المسيح بل على اليسار كمن لا وجود لهم، وليس لهم نصيب مع المخلص.

4. في إنجيل لوقا نجد الشباك كادت أن تتخرق، أما في إنجيل يوحنا حيث امتألت الشبكة جداً لم نسمع هذا التعبير. فالكنيسة في هذا العالم تتعرض إلى هجمات أصحاب البدع والهرطقات ومحبي الانشقاق، حتى تبدو الكنيسة كأنها تكاد تتفوق من الانقسامات، لكن الكنيسة الحقيقية تبقى مخفية بلا انقسام في عيني الله، حيث يكون كل أعضائها أعضاء في جسد المسيح الواحد. أما في كنيسة السماء (بعد القيامة) فزى شبكة واحدة لن تتعرض إلى تزويق، بل تحمل بهاء الوحدة كعروس المسيح الواحدة للعريس السموي.

5. تحققت الأولى خلال سفينتين حيث يوجد أهل الختان (رجال العهد القديم) وأهل الغولة (الأمم الذين دخلوا الإيمان)، ففي العالم ظهرت كنيسة العهد القديم كما كنيسة العهد الجديد، وفي كلاهما يعمل المسيا بطريقٍ أو آخر. أما في السماء فلا فصل بين الكنيستين، إذ صلا سفينة واحدة تضم

6 . وى القديس أغسطينوس أن السفينة تبعد حوالي ٢٠٠ غلوة. ولما كانت تضم أهل الختان وأهل الغلوة معاً، فإن رقم ١٠٠ يشير إلى الوقوف عن يمين السيد المسيح، فيكون رقم ٢٠٠ إشارة إلى وقوف الفريقين معاً على ذات المسافة، أو يتمتع الفريقان بذات المكافأة والمجد.

7 . بالنسبة لعدد السمك ١٥٣ سمكة فقد قدم كثير من الآباء تفاسير رمزية مختلفة عن هذا الرقم.

8 . قيل عن السمك أنه كبير، لأن المؤمنين يُحسبون عظماء في ملكوت الله.

" قال لهم يسوع:

هلموا تغنوا.

ولم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت،

إذ كانوا يعلمون أنه الرب". [12]

" هلموا تغنوا"، جاءت كلمة "تغنوا" ترجمة حرفية للكلمة اليونانية *aristeasate*، ووى البعض أن أصل الكلمة استخدم لتعني "الإفطار" كما جاء في هوميير Homer وإكسنوفون Xenophom وبلوترخ Plutarch، أو لوجبة مبكوة، كما تُستخدم لطعام الغذاء. وكان السيد يدعوهم "هلموا لطعام الإفطار"، إذ كان الوقت صباحاً مبكراً.

كصديق شخصي " قال لهم يسوع: هلموا تغنوا" [12]. لقد دعاهم للوليمة التي أعدها لهم، فأكلوا وشبعوا، وبقي سمك كثير كبير يبيعه، لكي ينفقوا على احتياجاتهم اليومية.

تمت معرفتهم للرب بدون كلامٍ من قبل الرب ولا من قبلهم، وكأنه قد رفعهم إلى سكون السماء حيث لا نسمع لغة بشرية، بل نتحدث بلغة الحب السلمي.

❖ لم يتجرأ أحد من تلاميذه أن يسأله، ولا تقدموا إليه فيما بعد بكلام، لكنهم جلسوا ناظرين إليه بصمتٍ وخوفٍ كثيرٍ واستحياءٍ " إذ كانوا يعلمون أنه الرب". ولهذا السبب لم يسألوه "من أنت؟" وأبصروا صورته، فتبنيوا فيها تغنوا، فكاثروا خانقين جداً، ورأوا أن يسألوه عن هيئته، لكن لخوفهم ومعرفتهم أنه لم يكن أحداً آخر، بل هو الرب، ضبطوا سؤالهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

" ثم جاء يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم،

وكذلك السمك". [13]

تصرف معهم الرب كصديقٍ، وقدم لهم احتياجاتهم، وأما هم ففي حياءٍ لم يجسروا أن يسألوه: من أنت؟ إذ علموا أنه الرب. ولكي ما يفتح لهم باب اللقاء في دالة حب قوية تقدم وأخذ الخبز وأعطاهم، وهكذا فعل بالسمك.

لم يذكر الإنجيلي يوحنا إن كان السيد المسيح قد شركهم الطعام أم لا، فإنه حتماً لم يكن جسمه القائم من الأموات محتاجاً إلى طعام، لكنه ربما أكل لتأكيد أنه يحمل جسماً حقيقياً وليس خيالياً.

❖ أوضح أن الأعجوبة الكائنة لم تكن خيالاً، لكن البشير لا يقول هنا إن السيد المسيح أكل معهم. قول لوقا البشير في هذا الموضع غير واضح: "أخذ وأكل قدامهم" (لو 24: 43). أكل السيد المسيح هنا ليس عن طبيعة جسده إذ لم يكن محتاجاً إلى طعام، لكن لتواضعه أكل وهائناً على القيامة الكائنة.

❖ لم يعد يمرس ما كان يفعله قبلاً... هنا لم يعد ينظر إلى السماء (ليبرك الطعام)، ولا تتم الحركات البشرية مظهراً أن ما كان قد فعله قبلاً كان من قبيل تنزله. ولكي يظهر لهم أنه لم يعد يبقى معهم على النوام، ولا بنفس الطريقة التي كان بها معهم قبلاً. لهذا قال: " هذه هي موة ثالثة ظهر

... يسوع لتلاميذه" [1966].

" هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعدما قام من الأموات". [14]

- " هذه هي مرة ثالثة " ظهر فيها لتلاميذه وهم مجتمعون بالكامل أو أغلبيتهم. فقد ظهر لعشوة منهم (يو 20: 19)، ومرة أخرى لإحدى عشر (يو 20: 26)، وفي هذه الدفعة لسبعة منهم (يو 21: 2) . ووى البعض أن هذا الظهور هو السابع بوجه عام بعد قيامته حتى صعوده إلى السماء:
1. لمريم المجدلية (مر 16: 9؛ يو 20: 15-16).
 2. للنسوة القاديات للقبر (مت 28: 9).
 3. لاثنتين من تلاميذه في الطريق إلى عمواس (لو 24: 13 الخ).
 4. لبطرس وحده (لو 24: 34).
 5. للعشوة تلاميذ بون توما (يو 20: 19).
 6. لإحدى عشر في اليوم الثامن حين آمن توما (يو 21: 26).
 7. لسبعة تلاميذ (يو 21: 2)، ما بين 8 أيام و 14 يومًا من قيامته.
 8. للتلاميذ على جبل معين في الجليل (مت 28: 16).
 9. لأكثر من 500 أخٍ دفعة واحدة (1 كو 15: 6)، إن لم يكن ذلك هو بعينه الظهور السابق.
 10. رآه يعقوب (1 كو 15: 7).
 11. لكل التلاميذ عند صعوده إلى السماء (مر 16: 19-20؛ لو 24: 50-53؛ أع 1: 3-12؛ 1 كو 15: 7).

هذه هي الظهورات التي وردت في الكتاب المقدس، لكننا لا نستطيع أن نحزم إن كانت هناك ظهورات أخرى تمت ولم ترد في الكتاب المقدس.

❖ لإيضاح أن السيد المسيح لم يقم مع تلاميذه إقامة متصلة، وعلى شبه ائتلافه بهم فيما سبق قال البشير: " هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه".

❖ ربما عندما تسمعون هذه الأمور تلتهبون وتحسبون أن الذين كانوا معه كانوا سعداء، وأيضًا الذين سيكونون معه في يوم القيامة العامة. لنبتل كل الجهد حتى زى ذاك الوجه العجيب. فإننا إن كنا ونحن الآن نسمع نلتهب شوقًا لو كنا في تلك الأيام التي قضاها على الأرض، وسمعنا صوته، ورأينا وجهه، واقترنا إليه ولمسناه، وخدمنا تحت قيادته. فلتحسبوا كم تكون عظمة من واه ليس بعد في جسدٍ قابل للموت، ولا وهو يملس أعمالاً بشوية، وإنما بجسدٍ تحرسه الملائكة، فنكون نحن أنفسنا في شكل نقي بلا اختلاط.

زاه ونتمتع ببقية الراكات التي تفوق كل اللغات. إنى أتوسل إليكم أن نستخدم كل وسيلة حتى لا نفقد بركة مجد كهذا. فإنه ليس شيء صعبًا إن أردنا، ليس شيء ثقيلًا إن كنا نهتم بذلك. "إن كنا نصبر فسنملك معه." (1 تي 2: 12) [1967]

2. حديثه مع بطرس

أكد لهم السيد المسيح أنه خالق الجسد والروح. اهتم أن يقدم لهم إفطرًا من صنع يديه لإشباع احتياجاتهم الجسدية، والآن يهتم بالطعام الروحي لإشباع احتياجاتهم الروحية.

تم هذا الحوار بين السيد المسيح والقديس بطرس بعدما تغدّ التلاميذ وشبعوا. وربما تم أثناء الأكل حيث مال السيد نحو سمعان بطرس يتحدث معه. لقد سبق أن التقى السيد المسيح بتلميذه بعد القيامة على الأقل مرتين أو ثلاثة، ولم يفتح معه هذا الحديث، ربما لأن السيد المسيح أراد أن يعطي سمعان بطرس نوعًا من الطمأنينة أن توبته قد قُبِلت، وأن ما حدث لن يؤثر على علاقة السيد به. وبعد أن اطمأن سمعان بطرس فاتحه السيد في الأمر.

ووى البعض أن سمعان بطرس لم يشر إلى هذا الأمر خشية أن يعلن له السيد عن ضعفاته أو سقطات أخرى ستحدث معه، إذ أترك أن السيد المسيح يعرف أعماقه أكثر مما يعرفها هو عن نفسه. كان بطرس الرسول محتاجًا إلى هذه الجلسة لتوجه إليه الثقة في عمل الله فيه.

" فبعدما تغنوا، قال يسوع لسمعان بطرس:

يا سمعان بن يونا أتحنني أكثر من هؤلاء؟

قال: نعم يا رب أنت تعلم إنني أحبك.

قال له: رعَ خوافي". [15]

في مباورة الحنان الشخصية هذه نحو سمعان بطرس العزيز عليه لاستعادته إلى الشوكة الكاملة، شوكة الذين أصبحوا الآن مختومين بختم القيامة، لم يشر السيد المسيح إلى اسم سمعان الجديد "بطرس" الذي وهبه إياه، وكأنه يعيد تجديد العهد معه.

" أتحنني أكثر من هؤلاء ؟" وى البعض أنه يقصد: هل تحبني أكثر من حبك لؤلؤاء جميعًا، لكن الواضح أنه يسأله إن كان يظن أن حبه للسيد المسيح أكثر من حب بقية التلاميذ له كما كان يظن قبلاً، حين أعلن أنه مستعد أن يسير حتى إلى الموت، حتى إن أنكره الجميع. لم يجسر سمعان بن يونا في إجابته أن ينطق ويقول: " أكثر من هؤلاء" لأنه خشي أن يحمل في داخله ضعفاً هو يجهله، ولأنه يقدم توبة عما سبق فأعلنه أنه لن ينكره حتى إن أنكره الجميع. تحدث في أسلوب مملوء حياءً وخشوعاً! إذ تعلم القديس بطرس ألا يتكل على ذاته، بل يسلم الأمر بين يدي مخلصه، قائلاً: "أنت تعلم". إنه لم يعد يثق في شهادته الخاصة، ولم يكن ممكناً أن يطلب شهادة بقية التلاميذ، إنما طلب شهادة السيد المسيح نفسه العرف القلوب والقادر أن يسند الضعفاء.

لم يسأله السيد عن توبته بخصوص جرده له ثلاث مرات، لكنه اكتفى بالسؤال عن حبه له، فالتوبة في جوهرها هي ممارسة حب لله. هذا ما يطلبه السيد المسيح من كل تائبٍ حقيقي. لذلك عندما مدح المرأة الزانية الثابتة قال لسمعان الفريسي: "لأنها أحببت كثيراً مغفرة لها خطاياها الكثيرة" (لو 7: 47).

لكي يود السيد المسيح سمعان بطرس إلى خدمة النفوس سأله: "أتحنني؟"، فإنه لا يأتين إنساناً على هذه الخدمة ما لم يكن قلبه مملوء حباً لشخص المسيح. لأن ما يقدمه للبشرية لأجل خلاصها، إنما يقدمه للسيد المسيح نفسه. من لا يحب السيد المسيح لن يقدر أن يخدم النفوس ويهتم بخلاصها، لأنه لا يعرف قيمتها، هذه التي مات المسيح عنها، وقدم دمه ثمناً لخلاصها. استخدم السيد المسيح كلمة "أغاباس"، وهو أسمى أنواع الحب وأكرمها، أما بطرس فخرج من استخدام ذات الفعل لكن بروح التواضع استخدم كلمة "فيليو" وهي تستخدم لمحبة الأصدقاء.

❖ قال السيد المسيح لبطرس: " رعَ خوافي" (يو 21: 15) وما ذكر جوده، ولا عوّه بما فعله، وكأنه يقول له: نفسك التي قلت إنك تبذلها من أجلي ابذلها من أجل غنمي.

❖ توجد بالحقيقة أمور أخرى كثرة قاوة أن تهينا دالة لدى الله، وتظهرنا بهيين ومؤكبين، وأما أكثر الكل مما يجلب رادة صالحة من الأعلى، فهو الاهتمام بقربينا في حنو، الأمر الذي طلبه المسيح من بطرس [1968].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما يلبس المائت عدم الموت، والفساد عدم الفساد، ويبتلع الموت في نصوة المسيح، عندئذ يصير الله الكل في الكل. عندئذ لا تكون الحكمة وحدها في سليمان، والعنوبة في داود، والغرة في إيليا وفينحاس، والإيمان في إواهم، والحب الكامل في بطرس الذي قيل له: " يا سمعان بن يونا أتحنني؟"، وغرة الكورة في الإناء المختار، وفضيلتان أو ثلاثان في آخرين، بل يكون الله بالكامل في الكل. وتوح صحبة القديسين في كل فرقة الفضائل، ويكون الله الكل في الكل [1969].

القديس جيروم

قال له أيضًا ثانية:

يا سمعان بن يونا أتحنبي؟

قال له: نعم يا رب أنت تعلم إنني أحبك.

قال له: رع غنمي". [16]

في المرة الأولى قدم السيد السؤال ليقارن بين نفسه واخوته إن كان يحب السيد أكثر منهم، وإذ تعلم سمعان بطرس روح التواضع ولم يجب في اعزاز بذاته لم يعد في الموتين الثانية والثالثة يقلنه باخوته.

❖ إن كنا زعي بخوف، ونخاف على القطيع، فكم يليق بالقطيع أن يخشى على نفسه؟ نصيبنا نحن هو الاهتمام بالرعاية، ونصيبكم هو الطاعة. نصيبنا هو السهر الواعي، نصيبكم هو تواضع القطيع. إن كنا نحن نبذو كمن نتحدث من مكان مرتفع نضع أنفسنا بخوفٍ عند أقدامكم، إذ نعرف مدى خطورة هذا الكرسي السامي [1970].

القديس أغسطينوس

❖ إن كان إيمان الرسول بطرس قد اهتز بآلام ربه، فبالدواع المودة سمع الكلمات الرقيقة "رع غنمي" [1971].

القديس جيروم

"قال له الثالثة: يا سمعان بن يونا أتحنبي؟

فحزن بطرس، لأنه قال له الثالثة أتحنبي،

فقال له: يا رب أنت تعلم كل شيء،

أنت تعرف إنني أحبك.

قال له يسوع: رع غنمي". [17]

في الموتين الأولى والثانية استخدم السيد المسيح كلمة *agapas* واستخدم سمعان بطرس كلمة *philo* في الإجابة وهي تحمل الحب الذي فيه دالة بين الأعداء. وجاء سؤال السيد للمرة الثالثة مستخدمًا كلمة *philo*. وكأنه في المرة الثالثة يقول له: "أتحنبي أيها الصديق العزيز؟" شغل التمييز بين التعبيرين كتابات الكثير من درسي السفر، ورأى الكثيرون إن تعبير *agapao* عامة يشير إلى الحب القائم على تفكير عقلي متزن مع تكريس عملي للحياة من أجل المحبوب، أما *Phileo* فيشير إلى الحب العاطفي الحامل حوًا شخصيًا نحو المحبوب. وكان السيد يسأل تلميذه: هل تكرس حياتك لي؟ فيجيب التلميذ: بكل عاطفتي أحبك.

يُميز William Hendrikssen بين التعبيرين قائلاً بأن تعبير *agapao* هنا كما في بقية الأناجيل بوجه عام يشير إلى الحب بكل كيان الإنسان، الذي يحتل ليس فقط العواطف، وإنما العقل أيضًا والإرادة يلعبان دورًا بارزًا، ويقوم الحب على تقدير الشخص المحبوب وبمسيبات واضحة. أما *Phileo* فيشير إلى عاطفة طبيعية عفوية أو تلقائية، حيث تقوم العاطفة بدور رئيسي أكثر من العقل والإرادة. بهذا يمكننا التمييز بين التعبير، فالسيد المسيح في السؤالين الأولين يسأل بطرس إن كان يحمل نوعًا من الحب السامي والغني بالعاطفة مع التعقل والإرادة الحية، وقد جاءت إجابة بطرس أنه لا يدعي الحب في هذه الصورة الرائعة، لكن ما هو متأكد منه أنه يحمل عاطفة قوية أصيلة نحو السيد، وإن كانت أقل من الحب الذي طلبه السيد [1972].

وي C. H. C. MacGregor إن الفعل الأول يشير إلى وجود تقدير واحترام بين الطرفين، والثاني يشير إلى وجود عاطفة شخصية بين عضوين في ذات الأسرة [1973].

حزن القديس بطرس إذ تذكر بالسؤال الثالث جوده ثلاث هوات، لأن تذكارات الخطايا حتى التي نلنا عنها الغوان مؤلم للنفس. ولعله حزن خشية أن يكون سيده وى في داخله ضعفًا لم يعلم هو به، كما سبق فحدث قبلاً حين أعلن أنه مستعد حتى إلى الموت معه.

دعاه لسيد المسيح ثلاث مرات أن وعى غنمه، ويهتم بهم خلال حبه لصاحب القطيع. وقد شبه السيد الرب نفسه بالواصي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخواف (يو 10: 11). كما يقول عنه إشعيا النبي: "كواح وعى قطيعه، بزواعه يجمع الحملان، وفي حضنه يحملها، ويقود الموضعات" (إش 40: 21).

❖ ليكن نور الحب هو الذي يطعم خواف الرب... من كان لهم هذا الهدف في رعاية خواف المسيح أن تصوير الخواف كما لو كانت ملكاً لهم وليست ملك المسيح، فإنهم يـُ دانون على محبتهم لنواتهم لا للمسيح، والرغبة في الافتخار أو نوال سلطان أو مالٍ وليس عن حب للطاعة والخدمة وإرضاء الله... ماذا يعني هذا إلا إن كنت تحبني فلا تفكر في أن تطعم ذاتك بل غنمي بكونها خاصة بي، وليست خاصة بك؛ أطلب مجدي فيهم وليس مجدك أنت؛ أطلب سلطاني لا سلطانك؛ أطلب ربحي وليس مكسبك أنت، لئلا تجد نفسك تتبع الذين ينتمون إلى الأيام الخطوة المحيين لنواتهم، وكل ما يتبع ذلك في بداية الشرور هذه؟ [1974]

القديس أغسطينوس

❖ بالتأكيد إذ أنكوه ثلاث مرات، اعترف به ثلاث مرات. لقد أنكروا وكان الوقت ليلاً والآن يعترف والوقت نهار. [1975]

القديس أمبروسيو

❖ أية خطايا يمكن للندامة أن تغسل في غسلها؟ أية وصمات راسخة لا يمكن لمثل هذه الدوع أن تغسلها؟ باعترف بطوس الثلاثي مسح إنكروه الثلاثي [1976].

القديس جيروم

"الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك،

وتمشي حيث تشاء،

ولكن متى شخت فإنك تمد يديك وآخر يمنطقك،

ويحملك حيث لا تشاء". [18]

بعد أن رد السيد المسيح القديس بطوس إلى رسوليته عاد يخوه عن استشهاده، ويقول: "الحق الحق" ليؤكد أن ما ينطق به أمر خطير وهام، له وقله، وأنه بالتأكيد سيتحقق.

إذ كان في حدائته يتمتع بالحرية حيث يمنطق نفسه متى شاء، ويسير كيفما أراد، خلال هذه الحرية يسلم نفسه في يدي مخلصه، ليمنطقه السيد ويحمله حسب مشيئته الإلهية وليس حسب فكر سمعان أو غوره من المؤمنين. إنه يخضع بلادته لإرادة الله لكي يتمجد الله حتى في موته. إنه بهذا يسر بالآلام حتى الموت إذ يمجد الله، شاهداً للحق الإلهي.

وي Wetstein في تعبير "تمد يديك" إشارة إلى ما كان معتاداً في روما عند صلب شخص أن توضع رأس الشخص في النير وتُبسط يدها وتشدان حتى النهاية، ويسببون به في شوارع المدينة التي يصلب فيها.

إنه يمنطقه آخر بالسلاسل الحديدية ويحملونه إلى حيث لا يشاء، ليس لأنه لا يريد أن يُصلب من أجل حبه للسيد المسيح، وإنما لأنه يود أن يعيش ليكرز ويخدم.

❖ أوضح السيد المسيح لبطوس الرسول حال موته، لأنه إذ كان بطوس الرسول يريد دوماً أن يوجد في الأخطار والمصاعب من أجله، قال له: أطمئن فإنني من هذه الجهة أتم شهوتك، حتى حين تصوير شيخاً تقاسي المصاعب التي لم تقاسيها لما كنت شاباً.

❖ ماذا إذن "حيث لا تشاء؟" يتحدث عن المشاعر الطبيعية، وضرورة الجسد، وأن النفس تفرق الجسد لا رادياً. حتى وإن كانت الإرادة ثابتة، إلا أنه توجد الطبيعة في ضعف... فتعبير "حيث لا تشاء" يشير إلى الشعور الطبيعي [1977].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ هكذا كانت النهاية التي بلغ إليها ذاك الجاحد (لسيده) ألا وهو الحب. لقد صار في تيهه بجسارته، وانطرح بجوده لسيده. اغتسل ببكائه ، وتركى باعزافه، وكُلل باحتماله الآلام.

هذه هي النهاية التي بلغها أن يموت بحبٍ كاملٍ من أجل اسم ذاك الذي وعده أن يموت وذلك في جسرة. لقد فعل ذلك عندما تقوى بقيامته (قيامه المسيح)، الأمر الذي وعد أن يفعله ولم يكن بعد ناضجاً. فإن الترتيب اللازم هو أن يموت المسيح أولاً من أجل خلاص بطرس، وبعد ذلك يموت بطرس من أجل الكورة بالمسيح [1978].

القديس أغسطينوس

" قال هذا مشبوا إلى أية ميتة كان مؤمعاً أن يمجد الله بها،

ولما قال هذا قال له: اتبعني". [19]

إنكار بطرس للسيد المسيح ثلاث مرات هوه في أعماقه، لذلك رُاد السيد أن يهبه روح الرجاء الموح، فأكد له أنه سيمجد الله، ليس فقط في سلوكه كما في كورته، وإنما حتى آخر نسمة من نسمات حياته، إذ يمجد الله في موته. حتى يستطيع أن يؤنم: "إن عشنا فلرب نعيش، وإن متنا فلرب نموت؛ إن عشنا وإن متنا فلرب نحن" (رو 14: 8).

تحقق استشهاده بعد 34 عاماً من هذا الحوار، وكان ذلك لمجد الله، إذ حسب الرسول نفسه غير أهلٍ أن يُصلب كسيده، لذا طلب أن يُصلب منكس الرأس كما جاء في يوسابيوس وبرودنتيوس Prudentius والقديسين يوحنا الذهبي الفم وأغسطينوس.

❖ الآن لا حاجة لنا أن نخاف بعد من العبور من الحياة الحاضرة، لأنه في قيامة الرب صار لنا مثلاً قوياً للحياة القادمة. الآن ليس لك يا بطرس أن تخاف الموت بعد، فإنه يعيش ذاك الذي حزننت عليه حين مات، والذي في حبك الجسدي حاولت أن تمنعه عن الموت من أجلنا (مت 16: 1979) (٢٢-٢١).

القديس أغسطينوس

[1980]

❖ لم يقل: "مزمعا أن تموت"، بل قال: "أن يمجد الله بها"، حتى تتعلموا أن التألم من أجل المسيح هو مجد وكرامة للمتألم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إذ قال السيد المسيح لبطرس "اتبعني" يبدو أن السيد بدأ يتحرك فتحرك وراءه بطرس، لكنه التفت حوله فوجد يوحنا أيضاً يتبعه. غالباً ما حارب بوعٍ من حب الاستطلاع، إذ أراد أن يعرف إن كان يوحنا أيضاً سيستشهد أيضاً معه.

3. حديثه عن يوحنا

" فالتفت بطرس ونظر التلميذ الذي كان يسوع يحبه يتبعه،

وهو أيضاً الذي اتكأ على صوه وقت العشاء،

وقال يا سيد من هو الذي يسلمك؟" [20]

لم يذكر القديس يوحنا اسمه، ربما لأنه حسب نفسه ليس أهلاً أن يُذكر اسمه في الإنجيل المقدس. وفي نفس الوقت لم يكن ممكناً أن يتجاهل حب السيد المسيح الخاص نوره.

[1981]

وي القديس أغسطينوس أن يوحنا أكثر التلاميذ تمتعاً بحب المسيح له لأنه كان بولاً، وعاش في طهولة منذ صبوته.

" فلما رأى بطرس هذا قال ليسوع:

وى البعض أن بطرس الرسول كان محبًا للاستطلاع، اهتم في ذلك الوقت بالأحداث حتى التي تخص الآخرين، أكثر من تركّزه على الواماته كتمليذ للسيد المسيح. ولعله شعر بشيء من الغرة من نحو القديس يوحنا، فهو وإن لم يقل أنه لن ينكر المسيح لكنه عمليًا وضع رأسه على صدر المسيح، ورافقه الطويق حتى الصليب. لم تُوح العلاقة التي بينه وبين السيد المسيح كما حدث مع بطرس الرسول.

❖ إنه لسرّ عظيم للحب الإلهي أنه حتى في المسيح لم يكن يوجد استثناء من جهة موت الجسد. ومع أنه رب الطبيعة لم يرفض قانون الجسد الذي أخذه. إنه من الضروري لي أن أموت، ولكن ليس بالمهم له ذلك [1982].

القديس أمبروسيو

❖ قدم فيما بعد إلى معلمه سؤالاً من أجل غوره، وكان يوحنا الرسول صامتًا وبتوس الرسول يتكلم، فأوضح هنا الحب الذي أخلصه له. لأن بطرس الرسول كان يحب يوحنا الرسول حبًا شديدًا، وهذا واضح من أفعاله فيما بعد، ويتبين في الأناجيل وفي أعمال الوسل ائتلافهما ورتباطهما. وإذا أراد بطرس الرسول أن يأخذ يوحنا الرسول شويكًا قال للسيد المسيح: "يارب وهذا ما له"، أي أما يسلك الطويق التي لي بعينها؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

"قال له يسوع:

إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء، فماذا لك؟

اتبعني أنت". [22]

وى البعض أن السيد المسيح أراد توضيح أن القديس يوحنا سوف لا يموت شهيدًا مثل القديس بطرس. يقول المؤرخون القدامى أنه التلميذ الوحيد من بين الاثني عشر الذي لم يستشهد.

بقوله: "حتى أجيء"، لا تعني أنه لن يموت حتى مجيء السيد المسيح الثاني، وإنما هو نوع من التوبيخ للقديس بطرس على حبه للاستطلاع وانشغاله بأحداث المستقبل عوض الاهتمام بالعمل الكوري. وى آخرون أنه يعني بطريقة خفية أنه لن يموت حتى يتم تدمير أورشليم على يد تيطس الروماني. كثيرون ظنوا أن كلمات السيد المسيح هنا تشير إلى أن يوحنا يعيش حتى يأتي السيد ليدين أورشليم ويحكم بخوابها. فالقديس بطرس استشهد عام 67 م، أي سبع سنوات قبل خواب أورشليم، بينما بقي القديس يوحنا حوالي 30 عامًا بعد خوابها.

وى القديس أغسطينوس وغوره أن هذه العبارة تعني: إن أردت أن يبقى يوحنا إلى يوم مجيئي وأخذه معي خلال موت طبيعي، فماذا لك؟

اتبعني لتحمل أنت صليبيك. وقد جاء التلخيص يؤكد أنه التلميذ الوحيد الذي تتيح بموت طبيعي وليس بالاستشهاد، وأنه بقي حيًا حتى استشهد الكل.

ظن البعض أن بطرس الرسول كان منفردًا مع السيد المسيح وهما يتحدثان معًا، وإذا كان يعلم مدى دالة القديس يوحنا عند السيد المسيح ظن أنه سيلحق بهما وهما يسوان ويتحدثان، لكن السيد أوضح له أن يترك الأمر في يديه، فقد يترك يوحنا حتى يعود إليه بعد نهاية حديثه مع بطرس.

❖ قال بطرس الرسول هذا القول مهتمًا بيوحنا الرسول جدًّا، ولم يرغب أن يفصل عنه، فأراه السيد المسيح أنه مهما أحبه لا يصل إلى حبه هو له، وقال: "إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك؟ اتبعني أنت". ولما كان بطرس الرسول دائمًا حلًا في مثل هذه المسائل، مندفعًا فيها، قطع السيد

المسيح حورته أيضًا، وعلمه ألا يبحث خراج الحد، وقال له: "إن كنت أشاء أن يبقى حتى أجيء فماذا لك؟"

[1983]

❖ إنه يعلمنا ألا نحزن ولا نتضايق ولا نكون فضوليين نسأل خراج ما يبدو صالحًا بالنسبة لنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فداع هذا القول بين الاخوة أن ذلك التلميذ لا يموت،

ولكن لم يقل له يسوع انه لا يموت،

بل إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك؟" [23]

إذ طال عمر القديس يوحنا فعاش حتى استشهد كل التلاميذ ظن المؤمنون أنه لن يموت حتى مجيء السيد المسيح الثاني، إذ فسروا كلمات السيد بتأويلها على غير ما تحتمله الكلمات، لكن القديس يوحنا صحح مفهومهم وأكد أن السيد لم يقل هذا.

وى البعض أن الوسولين بطرس ويوحنا هنا يشوان إلى الحياة العاملة والحياة المتأملة في الكنيسة. فمن يملس التأمل لن يلحق به الموت كالحياة العاملة، إنما يدخل به الموت إلى الكمال، خاصة عند مجيء الرب حيث لا توجد أعمال كوزية أو صدقة بل حياة تسبيح وتأمل في الرب. ❖ لا يوجد شيء يخيفنا من الموت، ليس ما يحزننا، سواء إن كانت الحياة التي قبلناها بالطبيعة تؤخذ منا أو نقدمها ذبيحة من أجله كواجب نلتزم به، سواء بسبب الدين أو لممارسة فضيلة ما، ليس منا من وغب أن يبقى هكذا كما هو الحال حاليًا. هذا ما قد ظن أن يوحنا قد وعد به، لكن لم تكن الحقيقة هكذا... هو نفسه أنكر في كتاباته أنه قد وجد وعد أنه لا يموت. من هذا المثل لا يليق بأحد أن يتمسك وجاء فلوغ [1984].

القديس أمبروسيو

وى القديس أغسطينوس أن ما ورد هنا بخصوص الوسولين بطرس ويوحنا يحمل معنى رمزيًا. فالقديس بطرس يمثل المؤمن في جهاده على الأرض وشهادته للسيد المسيح خلال محبته له. لهذا كان بطرس أكثر التلاميذ حبًا للسيد، وقد سأله السيد: "يا سمعان بن يونا أتحنني أكثر من هؤلاء؟"، أما القديس يوحنا فيمثل المؤمن وقد تمتع بالمجد الأبدي في الحياة الأخرى، فلا يسأل: أتحنني؟ وإنما يمتص كل كيانه في حب المسيح له، فبينما كان بطرس أكثر التلاميذ حبًا للسيد، كان يوحنا أكثر التلاميذ محبوبًا من المسيح، فدعا نفسه: "التلميذ الذي كان يسوع يحبه". دُعي بطرس من السيد: "اتبني" حيث يلتزم المؤمن المحب للسيد المسيح أن يرجع حبه إلى شوكة آلام مع المسيح، فيتبعه حتى الصليب. وقال السيد المسيح عن يوحنا: "إن كنت أشاء أن يبقى إلى أن أجيء" حيث لا يستطيع الموت أن يتسلل إلى المؤمن في مجده الأبدي. الأول يتبع المسيح بالإيمان، والثاني يتمتع بمجد القيامة عيانًا [1985].

4. ختام السفر

"هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا،

وكتب هذا،

ونعلم أن شهادته حق". [24]

يسجل الكاتب بوحى الروح القدس إنه تلميذ للرب يكتب بشهادة صادقة عماراه بنفسه وسمعه من السيد المسيح، وجاءت شهادته تعلن عن الحق.

"وأشياء آخر كثرة صنعها يسوع،

إن كتبت واحدة واحدة،

فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة. أمين". [25]

وى البعض أن هاتين العبرتين [24-25] سجلهما من استلموا السفر من يد الإنجيلي يوحنا ليؤكد أن السفر هو من شهادة هذا التلميذ الموثوق

فيه.

كما لاحظنا في المقدمة أن هذا السفر كثرة ما يكرر كلمة "العالم" لتأكيد أن المسيح مخلص العالم كله وليس اليهود وحدهم.

المعجزات والآيات التي صنعها السيد المسيح أكثر من أن تُحصى، ومع كثرة عددها أيضًا تنوعها. لهذا وى بعض الدارسين أنه يمكن تفسير

العبرة حرفيًا، فإن إلها غير المحدود يقوم بأعمال ظاهرة وخفية غير محدودة، لن يستطيع العالم أن يسجلها بأكملها.

ليس غاية الكتاب المقدس حصر أعمال السيد المسيح وكلماته، وإنما الكشف عن شخصه وسماته وأعماله في حياة المؤمن. وقد سجّل الإنجيليون

الآخرون عبرات تكشف عن كثرة أعمال السيد المسيح المعجزية (مت 4: 23-24؛ 9: 35؛ 11: 1؛ 14: 14، 36؛ 15: 30؛ 19: 2 الخ). كمثال القديس بولس اقتبس عبارة من أقوال السيد المسيح لم ترد في الأناجيل الأربعة (أع 20: 35). فما سجله العهد الجديد عن شخص السيد المسيح وأعماله وكلماته كان كافياً لتمتع الكنيسة بشخصه وفكره وأعماله.

أساء بعض النقاد فهم هذه العبارة، غير أن كثير من الدارسين سجّوا لنا أن مثل هذه التعبيرات هي تعبيرات شرقية وُجدت في كتابات كثرة ولم تُنتقد، واستخدمها أيضاً كتاب غربيون. مثل هذا العبارة التي تحمل نوعاً من المبالغة هي تعبير سائد استخدمته أيضاً الأسفار المقدسة. مثال ذلك ما قاله الجراسيس "رأينا هناك الجبابة بني عناق من الجبابة، فكنا في أعيننا كالحواد، وهكذا كنا في أعينهم" (عد 13: 13). "كوت الشجرة وقويت فبلغ علوها إلى السماء، ومنظرها إلى أقصى كل الأرض" (دا 4: 11). "شعب أعظم منا وأطول منا، مدن عظيمة محصنة إلى السماء" (تث 1: 28). وجاء في يوسيفوس المؤرخ عن يعقوب أنه نال وعداً بأن أرض كنعان تكون له ولنسله الذين يملأون الأرض كلها التي تشوق عليها الشمس، سواء على الأرض أو في البحر [1986]. وفي الغرب جاء عن شيشرون أن طاقات الشعب الروماني بالكاد يضاهاها المجد الذي في السماء، وأنه بالكاد كوكب الأرض يحتويها [1987].

❖ لسنا نفترض أنه يتحدث بخصوص المساحة المحلية للعالم أنها لا تستطيع أن تحويها، لأن كيف يمكن كتابتها إن كان العالم لا يقدر أن يحويها أثناء الكتابة؟ لكن ربما أن هذه الكتابات لا يمكن فهمها حسب طاقات القواء [1988].

القديس أغسطينوس

أمين : هذه الكلمة خاتمة كل البشائر، ومعناها "ليكن ذلك" ويصح أن نقولها بمعنى ليكن لنا إيمان بما كُتب هنا وطاعة لما أمرنا به وتمتع بما وُعدنا به.

من وحي يوحنا ٢١

لأُك وأُخدمك ياراعي النفوس!

❖ نفسي تنن مع تلاميذك، صلخة:
تعبت الليل كله ولم أصطد شيئاً.
خواتي وقواتي وكل طاقاتي صلت كلا شيء!
لتعبر بي يا سيدي،
فبكلمتك أصطاد نفوس كثرة في شبكة كنيسة.
قل كلمة، فالنفوس في بحرة العالم تائهة.
ليس لي، ليس لي،
بل كلمتك تجتذب الكثرين إليك.

❖ هب لي حب يوحنا وطهرته حتى أعرفك،

في هواء الروح القوي أعلن: هو الرب!

هب لي غوة بطرس،

فأجري نحوك وأسجد أمامك.

❖ عد لي سمكًا مشويًا،

هب لي طعامًا لنفسي،

فلا تجوع ولا تعطش إلى العالم.

❖ أنا أعلم أنك تشنق أن أختلي بك.

بروح الحب تعاتبني،

نون أن تجرح مشاعري بكلمة واحدة!

مع بطرس الذي أنكرك أعلن:

أنت تعلم أنني أحبك.

نعم أنني أحبك،

وإن كانت نفسي تنن من ثقل خطاياي.

على كلمتك رعى غنمك!

محتاج أن أراك وأعرفك وأحبك،

تحملني على منكبيك فأحمل اخوتي على منكبي.

من يقدر أن يحمل أقال شعبك،

ما لم تحمله أنت مع كل الأقال!

❖ مع بطرس تلميذك أسمع همساتك لي:

أتحبني أكثر من هؤلاء؟

تسألني إن كنت أحبك،

بكل عاطفتي وفكري وإرادتي،

وأكرس كل طاقتي لك ولؤلؤلادك أيها المحبوب،

وأبدلك تقديرك واعوزك لي.

من أنا يا أيها العجيب في حبك؟

أقمتني عضوًا كما في الأسرة الإلهية.

فأصوخ مع بطرس:

- [48] Homily 4:1.
- [49] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate 18:1*.
- [50] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate 36:1*.
- [51] دير ملرجس الحرف بيروت، إنجيل يوحنا، قاءة وتعليق، 1986، ص 10.
- [52] *The Anchor Bible: R.E. Brown: The Gospel According to John, (1-XII), 1981, p. XLI.*
- [53] *The Anchor Bible: R.E. Brown: The Gospel According to John, (1-XII), 1981, p. XLII.*
- [54] *Nelson: A New Catholic Commentary on the Holy Scripture, 1969, p. 1035.*
- [55] *Nelson: A New Catholic Commentary on the Holy Scripture, 1969, p. 1035.*
- [56] *Homilies on St. John, Hom. 1:4.*
- [57] J.C. Fenton: *The Gospel According to John, Oxford 1970.*
- [58] F.M. Braum: *Jean le Theologeïn, t. II, Les grandes traditions d'Asrael, 1964.*
- [59] Guthrie, p.237.
- [60] Guthrie, p.238.
- [61] *Jerome Biblical Commentary, p. 416-7.*
- The Anchor Bible: R.E. Brown: The Gospel According to John, (1-XII), 1981, p. XLIII, LII, LXV.*
- [62] *Nelson: A New Catholic Commentary on the Holy Scripture, 1969, p. 1023.*
- [63] *Sermon on N.T. Lessons, 67:1.*
- [64] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate 20:13.*
- [65] *Against Jovinianus, 1:26.*
- [66] *Homilies on St. John, Hom. 2:8.*
- [67] *The Apostolic Teaching and its Development, 1944, p. 65 ff.*
- [68] Cf. L. van Hartingsveld: *Gie Eschatologie des Johannesevangeliums, 1962.*
- [69] *Adv. Haer. 2:31.*
- [70] *Adv. Haer. 3:1:1.*
- [71] *Theologische Rundschau, n.f., 1955, p.295-335.*
- [72] C.K. Barrett: *The Gospel According to St. John, 1956, p.138.*
- [73] Guthrie., p. 242.
- [74] J.N. Senders دافع عن هذا الرأي في مواضع كثيرة، منها:
B.A. Mastin: *The Gospel According to St. John, 1986.*
F.V. Fison. و E.F. Harrison تبعه كل من
- [77] راجع حديثنا في هذا المقال عن شخصية يوحنا.
- [78] واسات إنجيلية: مصادر الوحي الإنجيلي 4، صوفية المسيحية 1، ص 70 الخ.
- [79] *De Civitate Dei, Lib 10, ch. 29.*
- [80] *Sermon on N.T. Lessons, 70:3.*
- [81] *On the Christian Faith, Book 4:9:102.*
- [82]

مقال 7 :13.

[\[154\]](#) مقال 11 :9.

[\[155\]](#) *Homilies on St. John, Hom. 10:2.*

[\[156\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate3:13.*

[\[157\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 70:4.*

[\[158\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 69:4.*

[\[159\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 69:5.*

[\[160\]](#) *Homilies on St. John, Hom. 10:3.*

[\[161\]](#) مقال 12 :1.

[\[162\]](#) *Homilies on St. John, Hom. 11:1.*

[\[163\]](#) *Hom. 12. PG 59:66-67*

[\[163\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 68:1.*

[\[164\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 71:5.*

[\[165\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 67:16.*

[\[166\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 67:18.*

[\[167\]](#) *Letters,39.*

[\[168\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 69:7.*

[\[169\]](#) *Against Jovinianus, 2:29.*

[\[170\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 17:9.*

[\[171\]](#) *In John hom. 14:2.*

[\[172\]](#) *Commentary on John, Book 6:35.*

[\[173\]](#) *Homilies on St. John, Hom. 14:1.*

[\[174\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate3:2-3.*

[\[175\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate3:9.*

[\[176\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate3:15.*

[\[177\]](#) *Commentary on John, Book 6:39.*

[\[178\]](#) *Hom 14 PG 59:82.*

[\[179\]](#) *Homilies on St. John, Hom. 14:4.*

[\[180\]](#) *Hom 15 PG 59:85.*

[\[181\]](#) مقال 6 :5.

[\[182\]](#) مقال 9 :1.

[\[183\]](#) *Against the Pelagians, 3:12.*

[\[184\]](#) *Letter 108:10.*

[\[185\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate4:13.*

[\[186\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate4:4.*

[\[187\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate4:6.*

[\[188\]](#)

Homilies on St. John, Hom. 16:2.

[\[189\]](#) *Commentary on John, Book 6:101.*

[\[190\]](#) *Commentary on John, Book 6:103.*

[\[191\]](#) *Commentary on John, Book 2:193.*

[\[192\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate4:7.*

[\[193\]](#) نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 14.

[\[194\]](#) *Homilies on St. John, Hom. 16:2.*

[\[195\]](#) *Letters, 63:4-5.*

[\[196\]](#) *Of the Holy Spirit, Book 1:3:41.*

[\[197\]](#) *Hom 16. PG. 59:94.*

[\[198\]](#) *Commentary on John, Book 6:172 – 173.*

[\[199\]](#) *Commentary on John, Book 6:174 – 175.*

[\[200\]](#) *Of the Christian Faith, 3:10:71.*

[\[201\]](#) *Hom: 4:7, Forty Gospel Homilies PL 76:1099-1103.*

[\[202\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate4:9.*

[\[203\]](#) *Hom. 17. PG 59: 96.*

[\[204\]](#) *Commentary on John, Book 6:206.*

[\[205\]](#) *Fol. 30.*

[\[206\]](#) *Commentary on John, Book 6:255.*

[\[207\]](#) *Commentary on John, Book 6:270.*

[\[208\]](#) *Commentary on John, Book 6:285 – 286.*

[\[209\]](#) *Commentary on John, Book 1:233.*

[\[210\]](#) *Homilies on St. John, Hom. 17:1.*

[\[211\]](#) مقال 13 :3.

[\[212\]](#) نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 5.

[\[213\]](#) نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 7.

[\[214\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate4:10.*

[\[215\]](#) *Commentary on John, Book 1:235.*

[\[216\]](#) *Peri Pascha 25 (Translated by Robert J. Daly - ACW).*

[\[217\]](#) *Commentary on John, Book 1:28.*

[\[218\]](#) *Commentary on John, Book 1:29.*

[\[219\]](#) *Of the Christian Faith, 2:11:93.*

[\[220\]](#) *Commentary on John, Book 6:301, 304.*

[\[221\]](#) *Hom. 17.*

[\[222\]](#) *Hom 17. PG 59:99.*

[\[223\]](#)

Commentary on John, Book 1:239.

- [224] *On the Holy Spirit, Book 3:1:4.*
- [225] *On the Holy Spirit, Book 3:1:5.*
- [226] *On the Holy Spirit, Book 3:1:6.*
- [227] *Oratio contra Arianos 1:47 PG 26:108c.*
- [228] *Oratio contra Arianos 2:59 PG 26:273 A.*
- [229] *Epistola ad Serapionem 1:28-29. PG 26:596 A.*
- [230] *Oratio 41, In Pentecosten, 11 PG 36:444 B.*
- [231] *In Epistolarm ad Hebroeos Homilia 15:2. PG 63:119.*
- [232] *Oratio 41. In Pentecosten. PG 36:444 B.*
- [233] *Cf. Oratio Catechetica magna, 2. PG 45:17B.*
- [234] *In Joannis Evangelium 2:1,32. PG 73:265 D.-267A.*
- [235] *In Isaiaam 2:11 PG 70:313 D.*
- [236] *Dialogus 6. PG 75:1008 C.*
- [237] *In Joannis Evangelium 4 PG 73:604.*
- [238] *Liber de Spiritu Sancto 19:49. PG 32:157 A.*

[239] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج فؤار، عظة 13.

[240] مقال 3: 14.

- [241] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate5:11.*
- [242] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate5:8-10.*
- [243] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate5:13.*
- [244] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate5:19.*
- [245] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate4:13.*
- [246] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate5:2.*
- [247] *Duties of the Clergy, Book, 3:18:102-103.*
- [248] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate5:5.*
- [249] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate5.5.*
- [250] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate5:6.*
- [251] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate7:6.*
- [252] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate7:7.*
- [253] *Cf. Homilies on St. John, Hom. 18:3.*
- [254] *Homilies on St. John, Hom. 18:3.*
- [255] *Commentary on John, Book 2:219.*
- [256] *Homilies on St. John, Hom. 18:4.*
- [257] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 7:9.*
- [258] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate7:10.*
- [259]

Commentary on John, Book 2:219.

[260] Cf. Homilies on St. John, Hom. 19:1.

[261] Homilies on St. John, Hom. 19:1.

[262] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 15.

[263] Hom. 20. PG 59:116-117

[264] Sermon on N.T. Lessons, 39:5.

[265] Hom 20. PG 59:117-118.

[266] Concerning the Virgins to Marcellina, his Sister, Book 1:1:3.

[267] Homilies on St. John, Hom. 21.

[268] Sermon on N.T. Lessons, 72:6.

[269] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate

[270] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate

[271] للاستفاضة يمكن الرجوع إلى رسالة الدكتوراه للدكتور وهيب قومان: النعمة عند القديس أثناسيوس، بالإنجليزية أو العربية.

Fr. Tadros Y. Malaty: The Divine Grace, 1992.

[272] Benjamin Drewery, p. 109

[273] Brewery, Origen and the Doctrine of Grace, London 1960, p. 48.

[274] Sel Ps. 1: 2.

[275] De Principiis, perf. 8.

[276] In Jer., hom 6: 3.

[277] Sel. Ps. 119: 85.

[278] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 5.

[279] يقصد طهارة خلقته الأولى التي جبل الإنسان عليها. (راجع دكتور وهيب قومان: النعمة عند القديس أثناسيوس - مركز دراسات الآباء بالقاهرة، 1993).

[280] المنرك بالعقل الأسمى من الحواس الجسدانية وهو ما ينعم به السمائيون.

[281] الرسالة إلى الوثنيين: القس مرقص داود فصل 2: 2-4.

[282] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 2.

[283] Hom. 14 PG 59:81.

[284] Hom. 14. PG 59:79

[285] تجسد الكلمة 7: 4، 5.

[286] تجسد الكلمة 8: 4.

[287] تجسد الكلمة 27: 2.

[288] الرسالة ضد الأريوسيين 1: 1: 42.

[289] مقال 1: 2.

[290] الرسالة ضد الأريوسيين 1: 1: 50.

[291] Of the Holy Spirit 1:8:93.

[292] Protr. 11: 3; Stromata 7: 13, Protr. 11.

[293]

Pret. 1.

[294] *In Luc. (Conc. the temptation of Jesus Christ)*

[295] الرسالة ضد الأريوسيين 1:1: 34.

[296] *Prayer of David, Book 4:9:35.*

[297] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 15.

[298] *Paedageogus 1: 9.*

[299] *Comm. on John, Book 10: 4; Comm. on Matt. Book 12: 14.*

[300] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 2.

[301] *Praises of St. Paul, Hom.1..*

[302] تعريب الأرشيمندريت افلم كريكوس: القديس نوروثاوس: التعاليم الروحية، مقال 2.

[303] *Benedicta Ward, p. 197.*

[304] *Comm. Rom. 22 on 4: 4 f.*

[305] الرسالة ضد الأريوسيين 2:1: 41-42.

[306] الرسالة ضد الأريوسيين 3:1: 11-12.

[307] الرسالة ضد الأريوسيين 2:1: 67.

[308] ترجمة: د. سعيد حكيم يعقوب (المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة). PG 50:417-432.

[309] الرسالة ضد الأريوسيين 3:1: 33.

[310] الرسالة ضد الأريوسيين 3:1: 34.

[311] الرسالة ضد الأريوسيين 3:1: 19.

[312] الرسالة ضد الأريوسيين 3:1: 38.

[313] *Prayer of David, Book 3.*

[314] الرسالة ضد الأريوسيين 3:1: 24.

[315] *Prayer of David, Book 4:2:7.*

[316] *Prayer of David, Book 4:2:9.*

[317] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 2.

[318] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 7.

[319] *Praises of St. Paul, Hom. 2.*

[320] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 1.

[321] الرسالة ضد الأريوسيين 3:1: 52.

[322] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 1.

[323] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 8.

[324] *Stromata 5: 3.*

[325] *Comm. Matt. 10: 22.*

[326] *Prayer of David, Book 3.*

[327]

[329] Fr. Tadros Y. Malaty: *The Apostolic Fathers*, 1993, p. 137.

[330] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate8:1.

[331] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate8:4.

[332] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate8:4.

[333] Exposition on St. John PG 73:223- 226.

[334] Exposition on St. John PG 73:223- 226.

[335] Letter 48:11.

[336] Exposition on St. John PG 73:276.

[337] Homilies on St. John, Hom. 21:1.

[338] Homilies on St. John, Hom. 21:2.

[339] Exposition on St. John PG 73:278.

[340] Homilies on St. John, Hom. 21:2.

[341] Homilies on St. John, Hom. 21:2.

[342] Hom. 22. PG 59: 126 –127.

[343] Homilies on St. John, Hom. 21:3.

[344] N & PN Frs., Series 2. vol 13: 48.

[345] Cf. Homilies on St. John, Hom. 22:1.

[346] Homilies on St. John, Hom. 22:1.

[347] Cf. Homilies on St. John, Hom. 22:2.

[348] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate9:6.

[349] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate9:7-8.

[350] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate9:10-11.

[351] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate9:16.

[352] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate9:5.

[353] Homilies on St. John, Hom. 22:2.

[354] Sermon on N.T. Lessons, 73:2.

[355] Homilies on St. John, Hom. 21:2.

[356] Commentary on John, Book 10:41-42.

[357] Commentary on John, Book 10:38.

[358] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate10:2-3.

[359] Commentary on John, Book 10:80 – 81.

[360] الخوري بولس الفغالي: إنجيل يوحنا، الرابطة الكتابية، 1992، ص 15.

[361] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate10:6.

[362] St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate10:7.

[363] Sermon Against Auxentius, 21.

- [364] *Commentary on John, Book 10:142.*
[365] *Commentary on John, Book 10:240.*
[366] *Commentary on John, Book 10:243.*
[367] *Comm. On John, hom 132.*

[368] لو 49:2 "ألم تعلموا أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي؟!"

[369] مقال 7: 6.

- [370] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate10:9.*
[371] *Duties of the Clergy, Book 2:30:154.*
[372] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate10:10.*
[373] *Homilies on St. John, Hom. 23:2.*
[374] *On the Decease of His Brother Saytrus, Book 2:103.*
[375] *Josephus: Antiq. b.15 c.11 s.1; b.20 c.9 s.5, 7.*
[376] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate10:12.*
[377] *Homilies on St. John, Hom. 24:1.*
[378] *Commentary on John, Book 10:310.*
[379] *Commentary on John, Book 10:321.*
[380] *Homilies on St. John, 24:1.*
[381] *Homilies on St. John, 24:2.*
[382] *Homilies on St. John, 24:2.*
[383] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate11:4.*
[384] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate11:5.*
[385] *Letters, 166:9.*
[386] *Homilies on St. John, 24:2.*
[387] *Homilies on St. John, 24:3.*
[388] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate11:6.*
[389] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate11:6.*
[390] *On the Mysteries, 4:20.*
[391] *Letter 72 to Stephen: 1.*
[392] *On the Holy Spirit, Book 3:10:64.*

[393] القمص تادرس يعقوب ملطي، الروح القدس عند العلامة أوريجينوس، تعريب دكتور جرج بطرس.

[394] القمص تادرس يعقوب ملطي، الروح القدس عند العلامة أوريجينوس، تعريب دكتور جرج بطرس.

[395] *In Lucam 22:8.*

[396] الدرر الثمين في ايضاح الدين، 1952، ص 121.

[397] المؤلف: الله مقدسي، ص 52.

[398] *St. Jerome: Letter 69:6.*

[399] *Homilies on St. John, 26:1.*

[400]

Homilies on St. John, 26:1.

[401] *Adv. Haer. 5:9:2.*

[402] *Letter 58:3.*

[403] *Homilies on St. John, 26:1.*

[404] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate12:6.*

[405] *Homilies on St. John, 26:2.*

[406] *Homilies on St. John, 27:1.*

[407] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate12:8-9.*

[408] *Sermon on N.T. Lessons, 41:7-8.*

[409] مقال 13 :20.

[410] *Homilies on St. John, 27:2.*

[411] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate12:11.*

[412] *Vita Moysis. PG 44:413, 315.*

[413] *Concerning Repentance, 1:10:48.*

[414] *Hom. 28. PG 29: 195.*

[415] *Concerning Repentance, Book 1:12:54.*

[416] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate12:14.*

[417] *Peri Pascha 4 (Translated by Robert J. Daly - ACW).*

[418] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate12:13.*

[419] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate13:4.*

[420] *Hom. 29.PG 59: 165.*

[421] *Hom. 29. PG 59: 165-166.*

[422] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate13:8.*

[423] *Homilies on St. John, 27:1.*

[424] *Homilies on St. John, 29:2.*

[425] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate13:9.*

[426] *Homilies on St. John, 29:2.*

[427] *Adam Clark Comm.*

[428] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، 1993، عظة 1.

[429] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، عظة 11.

[430] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate13:10.*

[431] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate13:12.*

[432] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate13:17-18.*

[433] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate14:3*

[434] *Homilies on St. John, 29:2.*

[435] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate14:4.*

[436]

- [473] *Hom. On John, 32: 1.*
[474] *Of the Holy Spirit 1:16:181-182.*
[475] *Commentary on John, Book 13:20.*
[476] *Commentary on John, Book 13:25.*
[477] *Commentary on John, Book 13:27 - 39*
[478] *Romans 7:2.*

[479] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، عظة 5.

- [480] *Hom. On John, 32.*
[481] *Commentary on John, Book 13:41 – 42.*
[482] *Commentary on John, Book 13:43 – 50.*
[483] *Letter 108:13*
[484] *Hom. on John, 32.* راجع السامرية: دار القديس يوحنا الحبيب للنشر بالقاهرة
[485] *Commentary on John, Book 13:51.*
[486] *Commentary on John, Book 13:52.*
[487] *Letter 48:18.*
[488] *Hom. On John, 32.*
[489] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 15:23.*
[490] *Hom. on John, 32: 2.* راجع السامرية: دار القديس يوحنا الحبيب للنشر بالقاهرة
[491] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 15:24.*
[492] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 15:25.*
[493] *Commentary on John, Book 13:98 – 99.*
[494] *Hom. On John, 3 3: 1.*
[495] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 15:26.*
[496] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 15:27.*
[497] *Hom. on John, 3 3: 1.*
[498] *Hom. on John, 3 3: 1.*
[499] *Of The Christian Faith , Book 5 , ch. 4 (50).*
[500] *Hom. on John, 3 3: 2.*
[501] *Hom. 33 PG 59: 191.*
[502] *Commentary on John, Book 13:112.*
[503] *Hom. on John, 3 3.*
[504] *Letter 58:3.*

[505] مز 3:11 "من الفجر لك كل حدائك".

[506] مقال 11: 5.

- [507] *Of the Holy Spirit Book 1:9:105.*
[508] *On the Trinity Book 2 (31)*
[509]

- Hom. on John, 33: 2.
[510] Hom. on John, 33: 2.
[511] Sermon on N.T. Lessons, 51:2.
[512] Hom 34.PG 59: 195
[513] Hom. on John, 33: 3.
[514] Commentary on John, Book 13:175.
[515] Commentary on John, Book 13:179.
[516] Commentary on John, Book 13:181.
[517] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 15:30
[518] Hom. on John, 34: 1.
[519] Hom. On John, 32.
[520] Hom 34. PG 59: 195.
[521] Hom. on John, 34: 1.
[522] Hom. on John, 34: 1.
[523] Letter 125:1.
[524] مقال 10 :15.
[525] Commentary on John, Book 13:206 – 217.
[526] Cf. Commentary on John, Book 13:245.
[527] Commentary on John, Book 13:242.
[528] Letter 108:13
[529] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 15:31.
[530] On the Christian Faith, Book 5:13:169.
[531] Duties of the Clergy 1:31:163-164.
[532] Sermon Against Auxentius, 14.

[533] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 10.

- [534] Commentary on John, Book 13:274 – 276.
[535] Commentary on John, Book 13:278.
[536] Commentary on John, Book 13:284.s
[537] Letter 76:2.
[538] Commentary on John, Book 13:305 – 307.
[539] Commentary on John, Book 13:308.
[540] Commentary on John, Book 13:309 – 310.
[541] Commentary on John, Book 13:322.
[542] Hom. on John, 34: 2.
[543] Hom. on John, 34: 2.
[544] Hom 34. PG 59: 197 – 198.
[545] Commentary on John, Book 13:326.

- [546] *Commentary on John, Book 13:340.*
- [547] *Commentary on John, Book 13:246.*
- [548] *Commentary on John, Book 13:347.*
- [549] *Hom. on John, 35: 1.*
- [550] *Hom. on John, 35: 1.*
- [551] *Commentary on John, Book 13:352*
- [552] *Commentary on John, Book 13:363.*
- [553] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 16:3.*
- [554] *Homilies on St. John, 35:1.*
- [555] *Homilies on St. John, 35:2.*
- [556] *Commentary on John, Book 13:392.*
- [557] *Commentary on John, Book 13:438 – 439.*
- [558] *Homilies on St. John, 35:2.*
- [559] *Homilies on St. John, 35:2.*
- [560] *Homilies on St. John, 35:2,*
- [561] *Hom 35. PG 59: 204*
- [562] *Hom 28 , Forty Gospel Homilies. PL 76: 1211.*
- [563] *Hom 36. PG 59: 206.*
- [564] *Homilies on St. John, 36:1.*
- [565] *Sermon on N.T. Lessons, 74:3.*
- [566] *Sermon on N.T. Lessons, 75:2.*
- [567] *Homilies on St. John, 36:1.*
- [568] *Homilies on St. John, 36:1.*
- [569] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate17:3.*
- [570] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate17:1.*
- [571] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate17:2.*
- [572] *Sermon on N.T. Lessons, 75:7-10.*
- [573] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 17:4-8.*
- [574] *Of the Holy Spirit Book 1:7:88.*
- [575] *Homilies on St. John, 36:2.*
- [576] *Homilies on St. John, 36:1.*
- [577] *Sermon on N.T. Lessons, 75:3.*

[578] مقال 10 : 13.

- [579] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate17:9.*

[580] ك 3 ف 4.

- [581] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate17:15.*

[582]

- St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate17:11.*
- [\[583\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate17:13.*
- [\[584\]](#) *Against the Pelagians 3:1.*
- [\[585\]](#) *Letter 13 to Rogation, the priest and to the other confessors: 1.*
- [\[586\]](#) *Hom 38. PG 59:217-218.*
- [\[587\]](#) *Homilies on St. John,38.*
- [\[588\]](#) *Cf. Sermon on N.T. Lessons, 75:4-6.*
- [\[589\]](#) *On the Holy Spirit, Book 2, jutr.(2).*
- [\[590\]](#) *To Pammachius Against John of Jerusalem, 22.*
- [\[591\]](#) *Letter 133:6.*
- [\[592\]](#) *Homilies on St. John, 38:2.*
- [\[593\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate20:2.*
- [\[594\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate20:2*
- [\[595\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate20:3.*
- [\[596\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate20:6.*
- [\[597\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate20:8.*
- [\[598\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate20:9.*
- [\[599\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate20:13.*
- [\[600\]](#) *Of the Christian Faith, Book, ch. 18 (224).*
- [\[601\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate19:3.*
- [\[602\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate18:8.*
- [\[603\]](#) *Hom 38. PG 59:221-222.*
- [\[604\]](#) *Of the Holy Spirit Book 2:12:134m136.*
- [\[605\]](#) *Of the Holy Spirit Book 1:17:112.*
- [\[606\]](#) *Of the Holy Spirit Book 2:8:69.*
- [\[607\]](#) *مقال 11 : 23.*
- [\[608\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 76:9.*
- [\[609\]](#) *Letter 69:1.*
- [\[610\]](#) *Of the Christian Faith, 4:4:40-43.*
- [\[611\]](#) *Hom 38. PG 59:221-222.*
- [\[612\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate21:6-7.*
- [\[613\]](#) *Hom 39. PG 59:223.*
- [\[614\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 62:4.*
- [\[615\]](#) *Of the Christian Faith, 4:10:129.*
- [\[616\]](#) *Homilies on St. John,39:1*
- [\[617\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate21:12.*
- [\[618\]](#)

[\[607\]](#) مقال 11 : 23.

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 21:17

[619]

Homilies on St. John, 39:2.

[620]

Homilies on St. John, 39:2.

[621]

Hom 39. PG 59:222.

[622]

Sermon on N.T. Lessons, 77:2.

[623]

Of the Christian Faith, 5: 6: 68 – 69.

[624]

نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، 1993، عظة 1.

[625]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 19:8.

[626]

Sermon on N.T. Lessons, 77:7-8.

[627]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 22:8.

[628]

Homilies on St. John, 39:2.

[629]

Of the Christian Faith, 4:10:132.

[630]

Of the Holy Spirit Book 5:2:35.

[631]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 19:12.

[632]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 19:13.

[633]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 22:10.

[634]

Homilies on St. John, 39:3.

[635]

Of the Christian Faith, 63: 78 – 79.

[636]

Sermon on N.T. Lessons, 77:10.

[637]

Sermon on N.T. Lessons, 77:11-13.

[638]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 19:16.

[639]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 19:18.

[640]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 19:14.

[641]

Homilies on St. John, 40.

[642]

On the Christian Faith, Book 5:10:123.

[643]

Sermon on N.T. Lessons, 78:1.

[644]

Sermon on N.T. Lessons, 78:3.

[645]

Letter 66 to Florentius: 2.

[646]

Sermon on N.T. Lessons, 17:9.

[647]

Against Vigilantius, 8.

[648]

Sermon on N.T. Lessons, 78:2.

[649]

Sermon on N.T. Lessons, 3.

[650]

مقال 6: 7.

[651]

نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، عظة 6.

[652]

Of the Holy Spirit Book 1:13.

[653]

Of the Holy Spirit Book 1:14.

- [654] *Of the Holy Spirit Book 1:15.*
- [655] *Of the Holy Spirit Book 1:13:155-156.*
- [656] *Exposition of the Orthodox Faith. Book 4, ch 36.*
- [657] *Sermon on N.T. Lessons, 79:6.*
- [658] *Letter 22:27.*
- [659] *Homilies on St. John, Hom. 42:1.*
- [660] *Homilies on St. John, Hom. 42:2.*
- [661] *Homilies on St. John, Hom. 42:2.*
- [662] *Concerning widows, 13: 79.*
- [663] *Hom 42. PG 59:250.*
- [664] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 24:5.*
- [665] *Sermons on N.T. Lessons, 80:1.*
- [666] *Homilies on St. John, Hom. 42:2.*
- [667] *Cf. Letter 47:14.*
- [668] *Hom 42. PG 59:251-252.*
- [669] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:1-2.*
- [670] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:4.*
- [671] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:5.*
- [672] *War, B. 3, c. 25.*
- [673] *Lib. 5, c. 15.*
- [674] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:6.*
- [675] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:7.*
- [676] *Homilies on St. John, Hom. 43:1.*
- [677] *Cf. Homilies on St. John, Hom. 43:1.*
- [678] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:7.*
- [679] *Homilies on St. John, Hom. 43:1.*
- [680] *Homilies on St. John, Hom. 43:1.*
- [681] *Homilies on St. John, Hom. 43:2.*
- [682] *Homilies on St. John, Hom. 44:1.*
- [683] *Homilies on St. John, Hom. 44:1.*
- [684] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:10.*
- [685] *Homilies on St. John, Hom. 45:1.*
- [686] *Hom 44.*
- [687] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:11.*
- [688] *Hom 45. PG 59:262.*
- [689] *Homilies on St. John, Hom. 45:1.*

- [690] *Homilies on St. John, Hom. 45:1.*
- [691] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:12.*
- [692] *Homilies on St. John, Hom. 45:1.*
- [693] *cf Adam Clarke Commentary.*
- [694] *Homilies on St. John, Hom. 45:2.*
- [695] *Homilies on St. John, Hom. 45:1.*
- [696] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 25:14.*
- [697] *Homilies on St. John, Hom. 45:2.*
- [698] *Hom 45. PG 59:267.*
- [699] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 26:1*
- [700] *Homilies on St. John, Hom. 45:2.*
- [701] *Homilies on St. John, Hom. 46:1.*
- [702] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 26:1.*
- [703] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 26:2-4,*
- [704] *Homilies on St. John, Hom. 46:1.*
- [705] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 26:7.*

[706] تحدث القديس يوحنا ال ذهبي الفم في مقاله عن "العناية الإلهية" ترجمة الأخت عابدة حنا فصل 3 عن "قصر حكمة السمانيين في التعرف على الله كما هو ولا أحكامه بكمالها". إذ يقول: "حقا أن الله حتى بالنسبة لهذه الطغمت غير منوك، ولا يقنرون على الدنو منه، لهذا يتنزل بال طريقة التي جاءت في الرؤيا، لأن الله لا يحده مكان ولا يجلس على عوش... وأما جلوسه على عوش وإحاطته بالقوات السمائية إنما هو من قبل حبه لهم".

[707] مقال 6: 6.

[708] مقال 7: 11.

- [709] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 26:9.*
- [710] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 26:10.*
- [711] *Homilies on St. John, Hom. 46:2.*
- [712] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 26:11.*
- [713] *Sermons on N.T. Lessons, 62:5.*
- [714] *The Liturgy of St. John Chrysostom, prayer after the Epiiclesis.*
- [715] *Ad. Eph. 20:1.*
- [716] *Adv. Haer 4:38:1. PG 7:1105-6.*
- [717] *Homilies on St. John, Hom. 46:3.*
- [718] *Homilies on St. John, Hom. 46:4.*
- [719] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 26:13.*
- [720] *Sermons on N.T. Lessons, 81:1.*
- [721] *The Faith of Christians, First Apology, 65- 67.*
- [722] *On The Trinity, Book 8:14.*
- [723] *Adv. Haer. 4:18:5.*
- [724]

Adv. Haer. 5:2:2,3.

[725]

On the Christian Faith, Book 2:20:135.

[726]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 26:16.

[727]

Hom 47. PG 59:275.

[728]

On the Mysteries 9:55,58.

[729]

Meditation on the Mystical Supper, Hom 10. PG 77, in Toal 3:155-157.

[730]

Sermons on N.T. Lessons, 82:1.

[731]

Sermons on N.T. Lessons, 21:17.

[732]

Of the Christian Faith, 4:10:118-122.

[733]

Adv. Haer. 4:17:5, 6.

[734]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 26:19-20.

[735]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:1.

[736]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:3.

[737]

Hom 47. PG 59:277-278.

[738]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:8.

[739]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:6.

[740]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:7.

[741]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:7.

[742]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:7.

[743]

Sermons on N.T. Lessons, 81:2.

[744]

Hom 47. PG 59:279.

[745]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:8.

[746]

Letter 59 to Cornelliis: 7.

[747]

نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج فؤاد، عظة 5.

[748]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:9.

[749]

Against the Pelagians, 3:6.

[750]

Letter 59 to Cornelliis: 7.

[751]

Homilies on St. John, Hom. 47:4.

[752]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:10.

[753]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 27:11.

[754]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 28:2.

[755]

Homilies on St. John 48: 2.

[756]

Sermon on N.T. Lessons, 83:1.

[757]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 28:4.

[758]

Homilies on St. John 48: 2.

[759]

St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 28:5.

- [760] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 28:7.*
- [761] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 28:8.*
- [762] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 28:8.*
- [763] *Hom 48. PG 59:285.*
- [764] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 28:10.*
- [765] *Hom 49. PG 59:287-288.*
- [766] *Of the Christian Faith, 5: 7: 93.*
- [767] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 28:11.*
- [768] *Homilies on St. John 49: 1.*
- [769] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 28:11.*
- [770] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 28:12.*
- [771] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 29:2.*
- [772] *Homilies on St. John 49: 1.*
- [773] *Homilies on St. John 49: 1.*
- [774] *On the Christian Faith, Book 2:9:79.*
- [775] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 29:4.*
- [776] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 29:5.*
- [777] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 29:8.*
- [778] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 30:2.*
- [779] *Homilies on St. John 49: 3.*
- [780] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 30:4.*
- [781] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 30:5.*
- [782] *Against Jovinianus, 2:29.*
- [783] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 30:6.*
- [784] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 30:7-8.*
- [785] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:2.*
- [786] *Hom 50. PG 59:294.*
- [787] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:2.*
- [788] *On the Christian Faith, Book 5:10:120.*
- [789] *Of the Christian Faith, 5: 10: 120.*
- [790] *Hom 50. PG 59:294-295.*
- [791] *Hom 50. PG 59:295.*
- [792] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:3.*
- [793] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:4.*
- [794] *Homilies on St. John 50: 2.*
- [795]



- [\[796\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:5.*
Homilies on St. John 50: 2.
- [\[797\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:7.*
- [\[798\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:8.*
- [\[799\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:9.*
- [\[800\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:9.*
- [\[801\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:4.*
- [\[802\]](#) *Homilies on St. John 50: 3.*
- [\[803\]](#) *Hom 50.*
- [\[804\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:10.*
- [\[805\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 31:10.*
- [\[806\]](#) *Against Jovinianus, 1:12.*
- [\[807\]](#) *Of the Holy Spirit Book 3:20:153-154.*
- [\[808\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 32:2.*

[\[809\]](#) نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، 1993، عظة 1.

[\[810\]](#) نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، عظة 8.

[\[811\]](#) نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، عظة 14.

[\[812\]](#) نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، عظة 9.

- [\[813\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 32:2.*
- [\[814\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 32:4.*
- [\[815\]](#) *Hom 51. PG 59:300-301.*
- [\[816\]](#) *Letter, 63: 78 – 79.*
- [\[817\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 32:7.*
- [\[818\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 32:8-9.*
- [\[819\]](#) *Hom 51. PG 59:300-301.*
- [\[820\]](#) *Hom 51. PG 59:301.*
- [\[821\]](#) *Of the Holy Spirit 1:16:177-178.*
- [\[822\]](#) *Homilies on St. John 52: 1.*
- [\[823\]](#) *Homilies on St. John 52: 1.*
- [\[824\]](#) *Letter 22:1.*
- [\[825\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 33:4.*
- [\[826\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 33:5.*
- [\[827\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 33:7.*
- [\[828\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 33:8.*
- [\[829\]](#) *Adam Smith Comm.*
- [\[830\]](#)

[\[809\]](#)

[\[810\]](#)

[\[811\]](#)

[\[812\]](#)

[\[813\]](#)

[\[814\]](#)

[\[815\]](#)

[\[816\]](#)

[\[817\]](#)

[\[818\]](#)

[\[819\]](#)

[\[820\]](#)

[\[821\]](#)

[\[822\]](#)

[\[823\]](#)

[\[824\]](#)

[\[825\]](#)

[\[826\]](#)

[\[827\]](#)

[\[828\]](#)

[\[829\]](#)

[\[830\]](#)

- Commentary on John, Book 19:104.*
- [\[866\]](#) *Commentary on John, Book 19:113.*
- [\[867\]](#) *Commentary on John, Book 19:114.*
- [\[868\]](#) *Commentary on John, Book 19:119*
- [\[869\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 38: 2.*
- [\[870\]](#) *Leon Morris, p. 311.*
- [\[871\]](#) *Commentary on John, Book 19:135 – 137.*
- [\[872\]](#) *Commentary on John, Book 19:138.*
- [\[873\]](#) *Commentary on John, Book 19:139.*
- [\[874\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 38: 4.*
- [\[875\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 38: 6.*
- [\[876\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 38: 6.*
- [\[877\]](#) *Hom 53. PG 59:311.*
- [\[878\]](#) *Commentary on John, Book 19:152.*
- [\[879\]](#) *Commentary on John, Book 19:153.*
- [\[880\]](#) *Commentary on John, Book 19:155 – 157.*
- [\[881\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 38: 6.*
- [\[882\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 38: 7.*
- [\[883\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 38.*
- [\[884\]](#) *Hom 53. PG 59:311.*
- [\[885\]](#) *Commentary on John, Book 19:159.*
- [\[886\]](#) *Hom 53. PG 59:311.*
- [\[887\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 40: 2.*
- [\[888\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 40: 2.*
- [\[889\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 40: 2.*
- [\[890\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 40: 5.*
- [\[891\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 40: 6.*
- [\[892\]](#) *Commentary on John, Book 19:65 – 68.*
- [\[893\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 84:1.*
- [\[894\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 84:2.*
- [\[895\]](#) *Commentary on John, Book 19:22 - 24*
- [\[896\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 40: 8.*
- [\[897\]](#) *Homilies on St. John 54: 1.*
- [\[898\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 40: 9.*
- [\[899\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 1.*



- [\[900\]](#) *Homilies on St. John 54: 1.*
- [\[901\]](#) *Homilies on St. John 54: 1.*
- [\[902\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 84:3.*
- [\[903\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 84:6.*
- [\[904\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 2.*
- [\[905\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 3 – 4.*
- [\[906\]](#) *Homilies on St. John 54: 2.*
- [\[907\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 8.*
- [\[908\]](#) *Homilies on St. John 54: 2.*
- [\[909\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 5.*
- [\[910\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 7.*
- [\[911\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 9.*
- [\[912\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 41: 10.*
- [\[913\]](#) *Hom 54. PG 59:317-318.*
- [\[914\]](#) *Commentary on John, Book 20:3 etc.*
- [\[915\]](#) *Commentary on John, Book 20:16.*
- [\[916\]](#) *Commentary on John, Book 20:67 etc.*
- [\[917\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 1.*
- [\[918\]](#) *Hom 54. PG 59:318.*
- [\[919\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 3:7.*
- [\[920\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 2.*
- [\[921\]](#) *Homilies on St. John 54: 2.*
- [\[922\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 3.*
- [\[923\]](#) *Commentary on John, Book 20:80.*
- [\[924\]](#) *Commentary on John, Book 20:81 – 82.*
- [\[925\]](#) *Commentary on John, Book 20:93.*
- [\[926\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 3.*
- [\[927\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 5.*
- [\[928\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 5.*
- [\[929\]](#) مقال 7 : 13.
- [\[930\]](#) *Commentary on John, Book 20:106.*
- [\[931\]](#) *Commentary on John, Book 20:109.*
- [\[932\]](#) *Commentary on John, Book 20:114.*
- [\[933\]](#) *Commentary on John, Book 20:118.*
- [\[934\]](#) *Commentary on John, Book 20:126.*

- [935] *Commentary on John, Book 20:130.*
- [936] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 8.*
- [937] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 9.*
- [938] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 10: 11.*
- [939] *Hom 54. PG 59:319-320.*
- [940] *Commentary on John, Book 20:156.*
- [941] *Commentary on John, Book 20:159.*
- [942] *Of the Holy Spirit Book 1:16:107.*
- [943] *Commentary on John, Book 20:164.*
- [944] *Commentary on John, Book 20:165.*
- [945] *Commentary on John, Book 20:173.*
- [946] *Hom 54. PG 59:319.*
- [947] *Against Jovinianus, 2:18.*
- [948] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 1 3.*
- [949] مقال 2 : 4.
- [950] *Commentary on John, Book 20:175.*
- [951] *Commentary on John, Book 20:177.*
- [952] *Commentary on John, Book 20:181.*
- [953] *Commentary on John, Book 20:193 – 194.*
- [954] *Commentary on John, Book 20:221.*
- [955] *Commentary on John, Book 20:224.*
- [956] *Commentary on John, Book 20:226.*
- [957] *Commentary on John, Book 20:227.*
- [958] *Commentary on John, Book 20:240.*
- [959] *Commentary on John, Book 20:242 – 244.*
- [960] *Commentary on John, Book 20: 248 – 250.*
- [961] *Commentary on John, Book 20: 252.*
- [963] *Philokalia, Book 1.*
- [964] *Commentary on John, Book 20: 274.*
- [965] *Commentary on John, Book 20: 277 – 278.*
- [966] *Commentary on John, Book 20: 281.*
- [967] *Commentary on John, Book 20: 282.*
- [968] *Commentary on John, Book 20: 291 – 293.*

[962] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، 1993، عظة 2.

[962]

- [969] *Commentary on John, Book 20: 309.*
- [970] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 15.*
- [971] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 42: 15.*
- [972] *Commentary on John, Book 20: 310.*
- [973] *Commentary on John, Book 20: 311 – 312.*
- [974] *Commentary on John, Book 20: 313 – 314.*
- [975] *Commentary on John, Book 20: 316 – 3**Commentary on John, Book 20.*
- [976] *Commentary on John, Book 20: 3**Commentary on John, Book 20.*
- [977] *Commentary on John, Book 20: 321.*
- [978] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 4 3: 2.*
- [979] *Hom. 16, Forty Gospel Homilies, 114-115 Pl 16:1150.*
- [980] *Commentary on John, Book 20: 326.*
- [981] *Commentary on John, Book 20: 328.*
- [982] *Commentary on John, Book 20: 332 – 334.*
- [983] *Commentary on John, Book 20: 334.*
- [984] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 4 3: 3.*
- [985] مقال 7 :5.
- [986] *Commentary on John, Book 20: 339.*
- [987] *Commentary on John, Book 20: 340 – 341.*
- [988] *Commentary on John, Book 20: 342.*
- [989] *Commentary on John, Book 20: 344.*
- [990] *Commentary on John, Book 20: 345.*
- [991] *Commentary on John, Book 20: 348.*
- [992] *Commentary on John, Book 20: 350.*
- [993] *Homilies on St. John 55: 1.*
- [994] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 4 3: 4, 9.*
- [995] *Commentary on John, Book 20: 352 – 353.*
- [996] *Hom 55. PG 59:322.*
- [997] *Commentary on John, Book 20: 363 – 367.*
- [998] *Commentary on John, Book 20: 370.*
- [999] *Commentary on John, Book 20: 373.*
- [1000] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 4 3: 10 – 11.*
- [1001] *Commentary on John, Book 20: 380.*
- [1002] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 4 3: 1 3.*
- [1003]

Hom. 16. Forty Gospel Homilies, 116- Pl 76:1150.

- [\[1004\]](#) *Commentary on John, Book 20: 394 – 395.*
- [\[1005\]](#) *Commentary on John, Book 20: 398.*
- [\[1006\]](#) *Commentary on John, Book 20: 419.*
- [\[1007\]](#) *Homilies on St. John 55: 2.*
- [\[1008\]](#) *On the Holy Spirit, Book 5:8:113.*
- [\[1009\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 4 3: 4.*
- [\[1010\]](#) *Of the Christian Faith, 2: 8: 72.*
- [\[1011\]](#) *Letters, 177.*
- [\[1012\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 4 3: 16.*
- [\[1013\]](#) *Hom 55. PG 59:323.*
- [\[1014\]](#) مقال 11 : 20.
- [\[1015\]](#) *Letter 53:4.*
- [\[1016\]](#) *Hom 55. PG 59:324.*
- [\[1017\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 4 3: 17.*
- [\[1018\]](#) *Hom. 16. Forty Gospel Homilies, 116-117.*
- [\[1019\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 4 3: 18.*
- [\[1020\]](#) *Hom. 16, Forty Gospel homilies*
- [\[1021\]](#) *Leon Morris, p. 290 – 291.*
- [\[1022\]](#) *Apostolic Constitutions 2: 24.*
- [\[1023\]](#) *Homilies on St. John, 56: 1.*
- [\[1024\]](#) *.St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 1*
- [\[1025\]](#) *Homilies on St. John, 56: 1.*
- [\[1026\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 86:1.*
- [\[1027\]](#) *Hom. 56. PG 59:327.*
- [\[1028\]](#) *Letter 68:1.*
- [\[1029\]](#) *Hom 56. PG 59:328.*
- [\[1030\]](#) *Homilies on St. John, 56: 2.*
- [\[1031\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 85:1.*
- [\[1032\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 85:3.*
- [\[1033\]](#) *Of the Christian Faith. 3:7 (48).*
- [\[1034\]](#) *Hom 56. PG 59:330.*
- [\[1035\]](#) *Explanation on the Gospel. PG 73:601B.*
- [\[1036\]](#) *Commentary on John, Book 1:267– 268.*
- [\[1037\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 5.*
- [\[1038\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 6.*

- [\[1039\]](#) *Hom 4. PG 61:27.*
- [\[1040\]](#) *Hom 56. PG 59:328.*
- [\[1041\]](#) *Poem 23. ACW 40:219.*
- [\[1042\]](#) *Commentary on Tataion's Diatessaron, 28.*
- [\[1043\]](#) *Peri Pascha 18,19 (Translated by Robert J. Daly - ACW).*
- [\[1044\]](#) *Homilies on St. John, 57: 1.*
- [\[1045\]](#) *Homilies on St. John, 57: 1.*
- [\[1046\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 2.*
- [\[1047\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 2.*
- [\[1048\]](#) *Homilies on St. John, 57: 1.*
- [\[1049\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 8.*
- [\[1050\]](#) *Homilies on St. John, 57: 2.*
- [\[1051\]](#) *Gemara. 14.*
- [\[1052\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 86:3.*
- [\[1053\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44:9.*
- [\[1054\]](#) *Homilies on St. John, 58: 1.*
- [\[1055\]](#) *Homilies on St. John, 58: 1.*
- [\[1056\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 10.*
- [\[1057\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 11.*
- [\[1058\]](#) *Homilies on St. John, 58: 2.*
- [\[1059\]](#) *Homilies on St. John, 58: 2.*
- [\[1060\]](#) *Homilies on St. John, 58: 2.*
- [\[1061\]](#) *Homilies on St. John, 58: 3.*
- [\[1062\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 11.*
- [\[1063\]](#) *Homilies on St. John, 58: 2.*
- [\[1064\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 12.*
- [\[1065\]](#) *Homilies on St. John, 58: 3.*
- [\[1066\]](#) *Sermon on N.T. Lessons, 86:2.*
- [\[1067\]](#) *Letter 63 to Epictetus: 2.*
- [\[1068\]](#) *Letter 69 to Asturica: 2.*
- [\[1069\]](#) *Homilies on St. John, 58: 4.*
- [\[1070\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44.*
- [\[1071\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 15.*
- [\[1072\]](#) *Homilies on St. John, 59: 1.*
- [\[1073\]](#) *Homilies on St. John, 59: 1.*
- [\[1074\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 15.*

- [1075] Sermon on N.T. Lessons, 86:4.
- [1076] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 16.
- [1077] Sermon on N.T. Lessons, 86:5.
- [1078] Sermon on N.T. Lessons, 86:6.
- [1079] Sermon on N.T. Lessons, 87:5.
- [1080] Homilies on St. John, 59: 2.
- [1081] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 44: 2.
- [1082] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 45: 3.
- [1083] Sermon on N.T. Lessons, 87:13.
- [1084] Sermon on N.T. Lessons, 87:14.
- [1085] Homilies on St. John, 59: 3.
- [1086] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 46: 4.
- [1087] Homilies on St. John, 59: 3.
- [1088] Commentarium in Joannem 1. PG 14:50 S9.
- [1089] Catech. 10. PG 33:665 B.
- [1090] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 45: 8.
- [1091] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 45: 8.
- [1092] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 45: 9.
- [1093] Homilies on St. John, 59: 3.
- [1094] Homilies on St. John, 59: 3.
- [1095] مقال 7: 2.
- [1096] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 45: 15.
- [1097] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 45: 15.
- [1098] Hom. 15, Forty Gospel Homilies. PL 76: 1127.
- [1099] Homilies on St. John, 59: 3.
- [1100] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 45: 15.
- [1101] cf Leon Morris, p. 377.
- [1102] Hom 59. PG 59: 349.
- [1103] Sermon on N.T. Lessons, 87:3, 4.
- [1104] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 46: 7.
- [1105] Sermon on N.T. Lessons, 88:5.
- [1106] Sermon on N.T. Lessons, 88:10.

[1107] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، 1993، عظة 2.

- [1108] Homilies on St. John, 59: 3.
- [1109] Sermon on N.T. Lessons, 87:12.
- [1110] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 46: 5.
- [1111] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 46: 6.

- [1112] *Sermon on N.T. Lessons, 87:9.*
[1113] *Sermon on N.T. Lessons, 87:10.*
[1114] *Sermon on N.T. Lessons, 87:11.*
[1115] *cf St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 46: 6.*
[1116] *Homilies on St. John, 60: 1.*
[1117] *Hom. 15, Forty Gospels Homilies.*
[1118] *Sermon on N.T. Lessons, 88:6.*
[1119] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 47: 2.*
[1120] *PG 74: 653 AB.*

[1121] مقال 4: 7.

- [1122] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 47: 3.*
[1123] *Homilies on St. John, 60: 2. . PG: 353.*

[1124] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، 1993، عظة 2.

- [1125] *PG 74: 656c.*
[1126] *Sermon on N.T. Lessons, 87:6.*
[1127] *Letter 67 to Asturica ...: 2.*
[1128] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 47: 7.*
[1129] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 47: 1 3.*
[1130] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 47: 14.*
[1131] *Homilies on St. John, 60: 2.*
[1132] *On the Christian Faith, Book 2:25-26*
[1133] *Homilies on St. John, 60: 3.*
[1134] *Against Eunomius, 2: 13.*
[1135] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 48: 2.*
[1136] *Homilies on St. John, 61: 1.*
[1137] *Hom. 61. PG 59: 361.*
[1138] *Homilies on St. John, 61: 2.*
[1139] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 48:4.*
[1140] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 48: 6.*
[1141] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 48: 6.*
[1142] *Of the Holy Spirit, 16: 114.*
[1143] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 48: 7.*
[1144] *On the Christian Faith, Book 1:1:9.*
[1145] *Sermon on N.T. Lessons, 89:1.*
[1146] *Sermon on N.T. Lessons, 98:2.*
[1147] *Discourses Against the Arians, 1: 23 (3, 4).*
[1148] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 48: 8.*

- 
- [1186] *Homilies on St. John, 62:2.*
- [1187] *Cf. Adam Smith Comm. on John.*
- [1188] *Homilies on St. John, 62:3.*
- [1189] *Homilies on St. John, 62:3.*
- [1190] *Homilies on St. John, 62:3.*
- [1191] *Homilies on St. John, 62:3.*
- [1192] *Homilies on St. John, 62:3.*
- [1193] *Homilies on St. John, 62:3.*
- [1194] *Hom. 62. PG 59:181.*
- [1195] *Hom. 62. PG 59:372.*
- [1196] *Homilies on St. John, 63:1.*
- [1197] *Homilies on St. John, 63:1.*
- [1198] *Homilies on St. John, 63:1.*
- [1199] *St. Augustine:On the Gospel of St. John, tractate, 49:18.*
- [1200] *Concerning Repentance 2:7:54-55.*
- [1201] *St. Augustine:On the Gospel of St. John, tractate, 49:20.*
- [1202] *St. Augustine:On the Gospel of St. John, tractate, 49:20.*
- [1203] *Homilies on St. John, 63:1.*
- [1204] *Letters, 263.*
- [1205] *Letter 60:7.*
- [1206] *Homilies on St. John, 63:1.*
- [1207] *Homilies on St. John, 63:2.*
- [1208] *Concerning Repentance Book 2:7:56.*
- [1209] *Sermon on N.T. Lessons, 48:6.*
- [1210] *Letter 147:9.*
- [1211] *Commentary on John, Book 28:19 – 22.*
- [1212] *St. Augustine:On the Gospel of St. John, tractate, 49:22.*
- [1213] *Homilies on St. John, 63:3.*
- [1214] *Homilies on St. John, 64:1.*
- [1215] *Of the Christian Faith, 4:6:72.*
- [1216] *Of the Christian Faith, 3:4:32.*
- [1217] *Commentary on John, Book 28:36 – 37.*
- [1218] *Of the Holy Spirit Book 2:12:137-138.*
- [1219] *Homilies on St. John, 64:2.*
- [1220] *On Belief in the Resurrection, 2:77.*
- [1221] *Homilies on St. John, 64:2.*
- [1222] *Homilies on St. John, 64:3.*

[\[1223\]](#) Sermon on N.T. Lessons, 17:2.

[\[1224\]](#) Sermon on N.T. Lessons, 17:3.

[\[1225\]](#) راجع لو 5:17.

[\[1226\]](#) مقال 5:9.

[\[1227\]](#) Letter 4:2.

[\[1228\]](#) Letter 7:3.

[\[1229\]](#) Concerning Repentance Book 2:7:57-58.

[\[1230\]](#) Commentary on John, Book 28:54.

[\[1231\]](#) Commentary on John, Book 28:57 – 59.

[\[1232\]](#) Cf. Commentary on John, Book 28:86 – 97.

[\[1233\]](#) Homilies on St. John, 65:1.

[\[1234\]](#) Antiq. 18. c. 3.

[\[1235\]](#) Commentary on John, Book 28:172 – 174.

[\[1236\]](#) Homilies on St. John, 65:1.

[\[1237\]](#) Homilies on St. John, 65:1.

[\[1238\]](#) Cf. Commentary on John, Book 28:185.

[\[1239\]](#) Homilies on St. John, 65:1.

[\[1240\]](#) War, b 4, c. 8 s. 9.

[\[1241\]](#) cf. Adam Clarke Comm.

[\[1242\]](#) Commentary on John, Book 28:192 – 194.

[\[1243\]](#) Commentary on John, Book 28:214.

[\[1244\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 50:2.

[\[1245\]](#) Homilies on St. John, 65:2.

[\[1246\]](#) Homilies on St. John, 65:2.

[\[1247\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 50:3.

[\[1248\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 50:4.

[\[1249\]](#) Concerning Repentance 2:7:60.

[\[1250\]](#) Hom. on St. John, 65:2.

[\[1251\]](#) Against Jovinianus, 2:17.

[\[1252\]](#) Hom. 65. PG 59: 391.

[\[1253\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 50: 6.

[\[1254\]](#) نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، عظة 3.

[\[1255\]](#) St. Ambrose: Letter 50:26.

[\[1256\]](#) Letters, 43.

[\[1257\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 50: 10.

[\[1258\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 50: 11.

[\[1259\]](#) Homilies on St. John, 65 : 3.

- [\[1260\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 50: 11.
- [\[1261\]](#) hom. 65. PG 59: 391- 392.
- [\[1262\]](#) Letter 38:2.
- [\[1263\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 50: 14.
- [\[1264\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 2.
- [\[1265\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 3.
- [\[1266\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 4.
- [\[1267\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 5.
- [\[1268\]](#) Hom. 66. PG 59: 395- 396.
- [\[1269\]](#) Homilies on St. John, 66: 2.
- [\[1270\]](#) Homilies on St. John, 66: 2.
- [\[1271\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 8.
- [\[1272\]](#) Homilies on St. John, 66: 2.
- [\[1273\]](#) مقال 13: 6.
- [\[1274\]](#) Homilies on St. John, 67 : 1.
- [\[1275\]](#) Letter 54:16.
- [\[1276\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 10.
- [\[1277\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 10.
- [\[1278\]](#) Hom. 67.PG 59: 401.
- [\[1279\]](#) Hom. 67. PG 59: 401.
- [\[1280\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 11.
- [\[1281\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 12.
- [\[1282\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 12.
- [\[1283\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 51: 13.
- [\[1284\]](#) Leon Morris, p. 450.
- [\[1285\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 52: 3.
- [\[1286\]](#) Of the Holy Spirit Book 2:6:55.
- [\[1287\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 52: 4.
- [\[1288\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 52: 5.
- [\[1289\]](#) Hom. 67. PG 59: 403.
- [\[1290\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 52: 6.
- [\[1291\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 52: 7.
- [\[1292\]](#) Letter 55:5.
- [\[1293\]](#) Homilies on St. John, 68 : 1.
- [\[1294\]](#) Hom. on St. John, 68:1.
- [\[1295\]](#) Hom. 68. PG. 59: 405.
- [\[1296\]](#) Homilies on St. John, 68 : 1.



- [\[1297\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 53: 2.
- [\[1298\]](#) Homilies on St. John, 68 : 2.
- [\[1299\]](#) Hom. 68. PG 59: 406
- [\[1300\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 53: 8.
- [\[1301\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 53: 9.
- [\[1302\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 53: 10.
- [\[1303\]](#) Homilies on St. John, 68: 2 – 3.
- [\[1304\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 52: 12.
- [\[1305\]](#) Hom. 69. PG 59: 408- 409
- [\[1306\]](#) Sermon on N.T. Lessons, 90:5.
- [\[1307\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 54: 2.
- [\[1308\]](#) Hom. 69. PG 59: 409.
- [\[1309\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 54: 3.
- [\[1310\]](#) Hom 69. PG. 59: 409.
- [\[1311\]](#) Of the Christian Faith, 2 : 2 : 24.
- [\[1312\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 54: 4.
- [\[1313\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 54: 5.
- [\[1314\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 54: 6.
- [\[1315\]](#) Hom. 69. PG 59: 410.
- [\[1316\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 54: 7.
- [\[1317\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 54: 8.
- [\[1318\]](#) Josephus: Antiq. 20:10:1.
- [\[1319\]](#) Josephus: Antiq. 14:5:4.
- [\[1320\]](#) Josephus: Antiq. 14:8:3-5.
- [\[1321\]](#) Josephus: Antiq. 14:9:4.
- [\[1322\]](#) Sanhedrin 6:1.
- [\[1323\]](#) Hom 70. PG 59: 413.
- [\[1324\]](#) Sermon on N.T. Lessons, 53:6.
- [\[1325\]](#) Letters, 55.
- [\[1326\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 55: 1.
- [\[1327\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 55: 2.
- [\[1328\]](#) Homilies on St. John 70: 1.
- [\[1329\]](#) Commentary on John, Book 32: 24.
- [\[1330\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 55: 4.
- [\[1331\]](#) Homilies on St. John 70: 1.
- [\[1332\]](#) Commentary on John, Book 32: 26 – 27.
- [\[1333\]](#) St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 55: 5.

[\[1322\]](#) Sanhedrin 6:1.

- [\[1334\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 55: 3.*
- [\[1335\]](#) *Of the Holy Spirit, 1: 1: 13 – 15.*
- [\[1336\]](#) *Homilies on St. John 70: 2.*
- [\[1337\]](#) *Commentary on John, Book 32: 47 – 49.*
- [\[1338\]](#) *Commentary on John, Book 32: 50.*
- [\[1339\]](#) *Cf. Commentary on John, Book 32: 52 – 58.*
- [\[1340\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 55: 7.*
- [\[1341\]](#) *Hom. 70. PG 59: 416.*
- [\[1342\]](#) *Homilies on St. John 70: 2.*
- [\[1343\]](#) *Commentary on John, Book 32: 87: 88.*
- [\[1344\]](#) *On the Mysteries, 6: 31.*
- [\[1345\]](#) *Cf. Commentary on John, Book 32: 57 – 58.*
- [\[1346\]](#) *Commentary on John, Book 32: 96.*
- [\[1347\]](#) *Commentary on John, Book 32: 101.*
- [\[1348\]](#) *Commentary on John, Book 32: 19.*
- [\[1349\]](#) *Commentary on John, Book 32: 102.*
- [\[1350\]](#) *Homilies on St. John 70: 2.*
- [\[1351\]](#) *Commentary on John, Book 32: 110.*
- [\[1352\]](#) *Homilies on St. John 70: 2.*
- [\[1353\]](#) *Hom. 70. PG 59: 416.*
- [\[1354\]](#) *Commentary on John, Book 32: 72 – 73.*
- [\[1355\]](#) *Commentary on John, Book 32: 74.*
- [\[1356\]](#) *Commentary on John, Book 32: 75.*
- [\[1357\]](#) *Commentary on John, Book 32: 79.*
- [\[1358\]](#) *Commentary on John, Book 32: 80 – 82.*
- [\[1359\]](#) *Commentary on John, Book 32: 83.*
- [\[1360\]](#) *Commentary on John, Book 32: 84: 86.*
- [\[1361\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 56: 4.*
- [\[1362\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 57: 1.*
- [\[1363\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 58: 4.*
- [\[1364\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 58: 5.*
- [\[1365\]](#) *Homilies on St. John 71: 1.*
- [\[1366\]](#) *Commentary on John, Book 32: 115 – 116.*
- [\[1367\]](#) *Commentary on John, Book 32: 120.*
- [\[1368\]](#) *Of the Holy Spirit 1:12:129.*
- [\[1369\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 59: 1.*
- [\[1370\]](#) *Homilies on St. John 70: 1.*



- [1371] *Homilies on St. John 71: 2.*
- [1372] *Commentary on John, Book 32: 154 – 155.*
- [1373] *Commentary on John, Book 32: 167.*
- [1374] *Commentary on John, Book 32: 174, 176.*
- [1375] *Homilies on St. John 72: 1.*
- [1376] *Commentary on John, Book 32: 212.*
- [1377] *Commentary on John, Book 32: 213 – 214.*
- [1378] *Cf. Commentary on John, Book 32: 216.*
- [1379] *Commentary on John, Book 32: 235 – 238.*
- [1380] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 60: 2.*
- [1381] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 60: 5.*
- [1382] *cf. St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 61: 2.*
- [1383] *Commentary on John, Book 32 : 278.*

[1384] نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج نوار، 1993، عظة 1.

- [1385] *Against Jovinianus, 1:26.*
- [1386] *Homilies on St. John 72: 2.*
- [1387] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 61: 6.*
- [1388] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 61: 1.*
- [1389] *Commentary on John, Book 32: 299.*
- [1390] *Homilies on St. John 72: 4.*
- [1391] *Homilies on St. John 72: 2.*
- [1392] *Hom 72. PG 59: 424.*
- [1393] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 62: 2.*
- [1394] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 62: 3.*
- [1395] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 62: 4.*
- [1396] *Homilies on St. John 72:3.*
- [1397] *Commentary on John, Book 32: 301 – 302.*
- [1398] *Commentary on John, Book 32: 309 – 310.*
- [1399] *Commentary on John, Book 32 : 313.*
- [1400] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 62: 6.*
- [1401] *Homilies on St. John 71: 3.*
- [1402] *Commentary on John, Book 32: Commentary on John, Book 320 – Commentary on John, Book 321.*
- [1403] *Commentary on John, Book 32: Commentary on John, Book 322.*
- [1404] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 63: 2.*
- [1405] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 63: 3.*
- [1406] *Hom. 72. PG 59: 425.*
- [1407] *Homilies on St. John 72: 4.*

- [1408] *Commentary on John, Book 32: 368.*
- [1409] *Commentary on John, Book 32: 368 – 374.*
- [1410] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 64: 1.*
- [1411] *cf. St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 64: 2 – 3.*
- [1412] *Homilies on St. John 72:4.*
- [1413] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 65: 1.*
- [1414] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 65: 2.*
- [1415] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 65: 3.*
- [1416] *Homilies on St. John 72:4.*
- [1417] *Homilies on St. John 73: 1.*
- [1418] *St. Cassian: Conferences, 16:27.*
- [1419] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 66: 1.*
- [1420] *On the Decease of His Brother Saytrus, Book 2:28.*
- [1421] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 66: 1.*
- [1422] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 66: 1.*
- [1423] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 66: 2.*
- [1424] *On the Trinity 9: 18.*
- [1425] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 67: 1.*
- [1426] *Homilies on St. John, 73:1.*
- [1427] *Against Jovinianus, 2:28*
- [1428] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 67: 2.*
- [1429] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 68: 3.*
- [1430] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 68: 1.*
- [1431] *Homilies on St. John, 73:1.*
- [1432] *Homilies on St. John, 73:2.*

[1433] نشيد الأناسيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 15.

- [1434] *On the Christian Faith, Book 3: 7:51-52.*
- [1435] *Commentary on John, Book 6:41.*
- [1436] *Commentary on John, Book 6:105.*
- [1437] *Epistle to Eph., 9*
- [1438] *The One Hundred and Fifty Chapters, ch 59*
- [1439] *Sermon on N.T. Lessons, 91:1.*
- [1440] *Sermon on N.T. Lessons, 91:4.*
- [1441] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 69: 1.*
- [1442] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 69: 2.*
- [1443] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 69: 3.*
- [1444] *Sermon on N.T. Lessons, 92:1.*

[1445] Sermon on N.T. Lessons, 92:2.

[1446] Sermon on N.T. Lessons, 42:3.

[1447] Letter 122:1.

[1448] Of the Holy Spirit Book 1:17:108.

[1449] Letter 73 to Jubauan: 17.

[1450] Sermon on N.T. Lessons, 92:3.

[1451] نشيد الأناسيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جورج نوار، عظة 11.

[1452] cf. St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 70: 1.

[1453] Homilies on St. John, 74:2.

[1454] On the Christian Faith, Book 1:7:50.

[1455] Sermon Auxentius, 32.

[1456] مقال 11 :18.

[1457] De vita sua 1102. PG 37:1106 A.

[1458] Poemata de seipso, 11. PG 37:1165-66.

[1459] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 70: 3.

[1460] Sermon on N.T. Lessons, 38:4.

[1461] PG 73:12 a.

[1462] Agaiust Eunomius, 2:4.

[1463] Ibid, 6: 3.

[1464] Of the Christian Faith, 4:6:69-70

[1465] Homilies on St. John, 74:2.

[1466] مقال 11 :16 ،17.

[1467] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 71: 1.

[1468] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 71: 1.

[1469] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 71: 1.

[1470] Concerning Repentance, 1:8:34.

[1471] Homilies on St. John, 74:2.

[1472] Homilies on St. John, 74:2.

[1473] Homilies on St. John, 74:2.

[1474] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 71: 3.

[1475] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 72: 1.

[1476] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 72: 2.

[1477] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 73: 4.

[1478] Hom 75. PG 59: 438.

[1479] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 74: 1 – 2.

[1480] St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 74: 2.

[1481] Homilia 2 in Hexameron. PG 29:43B.

- [1482] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 74: 4.*
- [1483] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 74: 5.*
- [1484] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 75: 3.*
- [1485] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 75: 4.*
- [1486] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 75: 5.*
- [1487] *Philokalia, Book 1.*
- [1488] *Homilies on St. John, 75:3.*
- [1489] *Hom. 30, PL 76: 1220. Forty Gospel Homilies,*
- [1490] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 76: 2.*
- [1491] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 76: 4.*
- [1492] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 77: 2.*
- [1493] القمص تادرس يعقوب ملطي، الكنيسة عند العلامة أوريجينوس، تعريب دكتور جورج بطرس.
- [1494] *Sermon on N.T. Lessons, 21:33.*
- [1495] *On the Holy Spirit, Book 3:1:8.*
- [1496] *Hom. 30, Forty Gospel Homilies. PL 76: 1220.*
- [1497] *Gregory Nazianzen: Orati xL, iN Sanctum baptisma 41. PG 36:417 c.*
- [1498] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 77: 2.*
- [1499] *Declaration of Msgr. Joseph Phourde, Archbishop of Ottawa, at the Synod of Rome on October 19, 1971.*
- [1500] *St. Gregory Nazianzen, Oratio 31, Theologica 26. PG 36:161.*
- [1501] *Adv. Haer. 3:24:1.*
- [1502] *Adv. Haer. 3:17:1-2 PG 7:929-30.*
- [1503] *Adv. Haer 3:17:2.*
- [1504] *Adv. Haer. 5:36:2. PG 7:1223 B.*
- [1505] *Adv.Haer. 4: 38:3 PG 1108B.*
- [1506] *Adv. Haer 3:17:2. PG 7:930.*
- [1507] *Adv. Haer. 3:17:2 PG 7:903 A.*
- [1508] *In Librum Jesu nave, Homilia 3:2 PG 12:838A.*
- [1509] *Proof of the Apostolic Preaching, 7.*
- [1510] *On the Trinity 2:35.*
- [1511] *Liber de Spiritu Sancto, 18:47 PG 32:153 B.*
- [1512] *Liber de Spiritu Sancto, 18:14 PG 32:153 A.*
- [1513] *Leber de Spiritu Sancto, 26:61 PG 32:180 D.*
- [1514] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 77: 3.*
- [1515] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 77: 4.*
- [1516] *Letters, 170.*
- [1517] *Letters, 238.*
- [1518] *Letter 8 to the Caesareans, 5.*

- [\[1519\]](#) *On the Holy Spirit, Book 2:8:59.*
- [\[1520\]](#) *Of the Holy Spirit Book 5:18:224.*
- [\[1521\]](#) *Letters, 22:3.*
- [\[1522\]](#) *Against the Pelagians, 1:22.*
- [\[1523\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 79: 2.*
- [\[1524\]](#) *cf. St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 80: 1.*
- [\[1525\]](#) *Letters, 52.*
- [\[1526\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 80: 3.*
- [\[1527\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 80: 3.*
- [\[1528\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 81: 1.*
- [\[1529\]](#) *Homilies on St. John, 67:1.*
- [\[1530\]](#) *On the Trinity, 9 (55).*
- [\[1531\]](#) *Homilies on St. John, 67:1.*
- [\[1532\]](#) *Hom. 76. PG 59: 448.*

[\[1533\]](#) يقول الرسول: "أنا غرست وأبليس سقى، لكن الله ينمي" (1 كو 6:3)، فنسب القديس كيرلس الغرس والسقي لله العامل الذي ينمي الزرع.

[\[1534\]](#) مقال 1: 4.

- [\[1535\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 81: 3.*
- [\[1536\]](#) *Hom. 76. PG 59: 447- 448.*
- [\[1537\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 81: 4.*
- [\[1538\]](#) *Hom. 76. PG 59: 448.*
- [\[1539\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 82: 1.*
- [\[1540\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 82: 2.*
- [\[1541\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 82: 3.*
- [\[1542\]](#) *cf. St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 82: 3.*
- [\[1543\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 83: 1.*
- [\[1544\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 83: 1.*
- [\[1545\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 83: 1.*
- [\[1546\]](#) *St. Jerome: Common. Gal., Lib 3. c. 6.*
- [\[1547\]](#) *Hom. 27. Forty Gospel Homilies, PL 76: 1205.*
- [\[1548\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 83: 3.*
- [\[1549\]](#) *Letters, 167:11.*
- [\[1550\]](#) *Hom. 27. Forty Gospel Homilies. PL 76: 1205.*
- [\[1551\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 84: 2.*
- [\[1552\]](#) *Duties of the Clergy, 3: 22: 135 – 136.*
- [\[1553\]](#) *Philokalia, Book 1.*
- [\[1554\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 85: 2.*
- [\[1555\]](#) *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 86: 2.*

- [\[1556\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 86: 3.*
- [\[1557\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 86: 3.*
- [\[1558\]](#) *On the Christian Faith, Book 1:2:12.*
- [\[1559\]](#) Hom. 27. *Forty Gospel Homilies.*
- [\[1560\]](#) Hom. 27. *Forty Gospel Homilies.*
- [\[1561\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 87: 1.*
- [\[1562\]](#) Letter 45:6.
- [\[1563\]](#) Letter 58 to the people abiding in Thibaris, 7.
- [\[1564\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 87: 2.*
- [\[1565\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 87: 4.*
- [\[1566\]](#) Letter 13 to Rogation, the priest and to the other confessors, 4.
- [\[1567\]](#) cf. St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 88: 1.*
- [\[1568\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 88: 3*
- [\[1569\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 88: 2.*
- [\[1570\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 89: 1.*
- [\[1571\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 89: 2.*
- [\[1572\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 89: 3.*
- [\[1573\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 90: 3.*
- [\[1574\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 91: 1.*
- [\[1575\]](#) cf. St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 91: 2 – 4.*
- [\[1576\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 92: 1.*
- [\[1577\]](#) *Of the Christian Faith, 2: 9: 76.*
- [\[1578\]](#) Legat. 10:24.
- [\[1579\]](#) Oratione 39 :12..
- [\[1580\]](#) De Oratione Dominica 3.
- [\[1581\]](#) Anor. 7.
- [\[1582\]](#) Anor. 7.
- [\[1583\]](#) Adv. Maced. 10.
- [\[1584\]](#) PG 77:318 D.

[\[1585\]](#) القديس باسيليوس الكبير، عظة 4:24 مجلد الآباء اليونان 609:31.

[\[1586\]](#) Photius: *De S. Spiritus Mystaggia 16 ; Mark of Ephesus: Capita Syllogistica 24.*

[\[1587\]](#) القمص تادرس يعقوب ملطي، الروح القدس عند العلامة أوريجينوس، تعريف دكتور جورج بطرس.

[\[1588\]](#) *On the Trinity 2:1.*

[\[1589\]](#) *On the Trinity 2:33.*

[\[1590\]](#) *Liber de Spiritu Sancto. 9 :22 PG 32 :108-9.*

[\[1591\]](#) *Liber de Spiritu Sancto. 9 :23. PG 32 :109.*

[\[1592\]](#) *Oratio 31, Theologica 5:31,29 PG 36:159 B.*

- [1593] *Oratio 41 In Pentecosten, 5. PG 36:436 B.*
- [1594] *Oratio 31. Theologica 5:28 PG 36:105 A.*
- [1595] *In Joannis Evangelium, Liber 10, 15:1 PG 74:333-6.*
- [1596] *In Joannis evangelium 11:10. PG 74:544.*
- [1597] *De SS. Trinitate Dialogus,3. PG 75 :837 A.*
- [1598] *De SS. Trinitate Dialogus, 5 PG 75 :837 A.*
- [1599] *De SS. Trinitate Dialogus, 3. PG 75 :964 A*
- [1600] *De SS. Trinitate Dialogus, 3. PG 75 :800 C.*
- [1601] *De SS. Trinitate Dialogus, 3. PG 75 :833*
- [1602] *De SS. Trinitate Dialogus, 3. PG 75 :837 A*
- [1603] *De SS. Trinitate Dialogus, 7. PG 75 :1089 A*
- [1604] *De SS. Trinitate Dialogus, 7. PG 75 :1089 B.*
- [1605] *De SS Trinitate Dialogus, 7. PG 75 :1113 A*
- [1606] *De SS. Trinitate Dialogus, 5. PG 75 :964 B.*
- [1607] *De SS. Trinitate Dialogus, 5. PG 75 :964 B.*
- [1608] *De SS. Trinitate Dialogus, 3. PG 75 :837 C.*
- [1609] *De SS. Trinitate Dialogus, 3. PG 75 :856 C.*
- [1610] *De SS. Trinitate Dialogus, 7. PG 75 :1112 B.*
- [1611] *Adv. Haereses 4:6:6.*
- [1612] *Adv. Haereses 4:20:4. PG 7:1034 B.*
- [1613] *Adv. Haereses 4:20:6. PG 7:10367.*
- [1614] *Boris Bobrinskoy: The Mystery of the Trinity, St. Vladimir 1999, p. 72.*
- [1615] *Boris Bobrinskoy: The Mystery of the Trinity, St. Vladimir 1999, p. 73.*
- [1616] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 92: 2.*
- [1617] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 94: 1.*
- [1618] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 93:1.*
- [1619] *Bammidar, R. 21ad Num. 25 :13.*
- [1620] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 93:2.*
- [1621] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 93:3.*
- [1622] *Homilies on St. John, 77:3.*
- [1623] *Letter 58 to the people abiding in Thibaris, 2.*
- [1624] *Homilies on St. John, 77:3-4.*
- [1625] *Homilies on St. John, 78:1.*
- [1626] *Homilies on St. John, 78:1.*
- [1627] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 94:3.*
- [1628] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 94:4.*
- [1629] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 94:5.*

[1630] *Homilies on St. John, 78:1.*

[1631] *Homilies on St. John, 78:1.*

[1632] للمؤلف: الله مقدسي، 1967، ص 3.

[1633] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 94:2.*

[1634] *Moral 8:13.*

[1635] *Sermon on N.T. Lessons, 93:4.*

[1636] *Homilies on St. John, 78:1.*

[1637] للمؤلف: الله مقدسي، 1967، ص 12-13.

[1638] *The Mission of the Holy Spirit, in Toal 2:369- 371. PG 74; 922 B2*

[1639] *Homilies on St. John, 78:1.*

[1640] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 95:1.*

[1641] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 95:2.*

[1642] *Homilies on St. John, 78:1.*

[1643] *Sermon on N.T. Lessons, 94:3-5.*

[1644] *Sermon on N.T. Lessons, 94:6.*

[1645] *Of the Christian Faith, 3:11: 90.*

[1646] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 95:3.*

[1647] *Homilies on St. John, 78:1.*

[1648] *Sermon on N.T. Lessons, 94:6.*

[1649] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 95:4.*

[1650] *Homilies on St. John, 78:1.*

[1651] *Homilies on St. John, 78:2.*

[1652] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 96:1.*

[1653] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 96:2.*

[1654] *Letters, 166:27.*

[1655] *Of the Holy Spirit, Book 3:14:99.*

[1656] *Of the Holy Spirit, 2:12 (131, 133, 134).*

[1657] *Of the Christian Faith, 5:11 (133).*

[1658] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 96:3. cf.*

[1659] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 96:4.*

[1660] *Ad. Eunom. 5.*

[1661] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 99:4 – 5.*

[1662] أن الروح القدس منبثق من الأب والابن (راجع بحثنا عن الفيلوك في الحوار مع الكنيسة الكاثوليكية).

[1663] *Cross: Oxford Dictionary of the Christian Church, 1985, p. 423.*

[1664] *Photius: De S. Spiritus Mystaggia 22.*

[1665] *Photius: De S. Spiritus Mystaggia 29.*

[1666]

- Of The Holy Spirit, 2:11 (118).*
- [1667] *Of the Holy Spirit Book 3:18:223.*
- [1668] *Of the Christian Faith, 4:8:80.*
- [1669] *Of the Christian Faith, 2:6 :51.*
- [1670] *Hom. 79. PG 59-465.*
- [1671] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 101:2.*
- [1672] *Hom. 79. PG. 59:466.*
- [1673] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 101:3.*
- [1674] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 101:5.*
- [1675] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 101:6.*
- [1676] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 102:3.*
- [1677] *Sermon on N.T. Lessons, 95:1-5.*
- [1678] *Sermon on N.T. Lessons, 95:6.*
- [1679] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 102:2.*
- [1680] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 102:4.*
- [1681] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 102:5.*
- [1682] *On the Trinity, 6 (31).*
- [1683] *On the Trinity, 6 (31).*
- [1684] *In 1 Cor. Hom. 20.*
- [1685] *On the Holy Spirit, Book 2:8:80.*
- [1686] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 102:6.*
- [1687] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 104:1.*
- [1688] *On the Christian Faith, Book 3:3:22-23.*
- [1689] *Homilies on St. John, 78:3.*
- [1690] *Letters, 39.*
- [1691] *Sermon on N.T. Lessons, 67:4.*
- [1692] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 103:3.*
- [1693] *Boris Bobrinsky: The Mystery of the Trinity, St. Vladimir 1999, p. 83.*
- [1694] *Homilies on St. John, 80:1.*
- [1695] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 105: 1.*
- [1696] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate, 105: 3.*
- [1697] *Homilies on St. John, 80:1.*
- [1698] *Homilies on St. John, 80:2.*
- [1699] *On the Christian Faith, Book 5: Prlogue:15.*
- [1700] *On the Christian Faith, Book 5:1:19.*
- [1701] *Duties of the Clergy, 2: 2: 5.*
- [1702] *Homilies on St. John, 80:2.*
- [1703]

[\[1777\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 112: 3.*
[\[1778\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 112: 3.*
[\[1778\]](#) Hom 83. PG 59: 490.

[\[1779\]](#) *Homilies on St. John, 83:1.*

[\[1780\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 112: 4.*

[\[1781\]](#) *Homilies on St. John, 83:2.*

[\[1782\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 112: 5.*

[\[1783\]](#) *Homilies on St. John, 83:2.*

[\[1784\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 112: 5.*

[\[1785\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 112: 6.*

[\[1786\]](#) Hom. 83. PG 59: 491

[\[1787\]](#) St. Jerome, *Epistle to Marcel.*

[\[1788\]](#) *Homilies on St. John, 83:2.*

[\[1789\]](#) *Homilies on St. John, 83:2.*

[\[1790\]](#) *Exposition 10: 76.*

[\[1791\]](#) Hom. 83. PG 59: 491.

[\[1792\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 113: 3.*

[\[1793\]](#) *Homilies on St. John, 83:3.*

[\[1794\]](#) *Against the Pelagians, 3:4.*

[\[1795\]](#) *Letter 59 to Cornelius: 4.*

[\[1796\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 113: 4.*

[\[1797\]](#) *Homilies on St. John, 83:3.*

[\[1798\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 113: 6.*

[\[1799\]](#) Leon Morris, *The Gospel according to John, Eerdmans Grand Rapids 1971, p. 774-786.*

[\[1800\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 114: 2.*

[\[1801\]](#) *Homilies on St. John, 83:4.*

[\[1802\]](#) *Homilies on St. John, 83:4.*

[\[1803\]](#) *Homilies on St. John, 83:4.*

[\[1804\]](#) *Homilies on St. John, 83:4.*

[\[1805\]](#) *Homilies on St. John, 83:4.*

[\[1806\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 115: 2.*

[\[1807\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 115: 2.*

[\[1808\]](#) *Homilies on St. John, 83:4.*

[\[1809\]](#) Hom. 84. PG 59: 498.

[\[1810\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 115: 4.*

[\[1811\]](#) *Homilies on St. John, 84:1.*

[\[1812\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate, 115: 5.*

[\[1813\]](#)

St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 116: 1.

[\[1814\]](#) *Homilies on St. John*, 84:2.

[\[1815\]](#) *Homilies on St. John*, 84:2.

[\[1816\]](#) *Homilies on St. John*, 84:2.

[\[1817\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 116: 4.

[\[1818\]](#) *Homilies on St. John*, 84:2.

[\[1819\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 116: 5.

[\[1820\]](#) *Homilies on St. John*, 84:2.

[\[1821\]](#) Martin Hengel: *Crucifixion*, London 1977, p. 30-31; Leon Morris, p.655.

[\[1822\]](#) مقال 13: 15.

[\[1823\]](#) *Homilies on St. John*, 84:2.

[\[1824\]](#) Hom 84. PG 59: 501.

[\[1825\]](#) Hom 85. PG 59: 503.

[\[1826\]](#) *Homilies on St. John*, 85:1.

[\[1827\]](#) Hom 85. PG 59:504.

[\[1828\]](#) Homilia 6 in Ezechielem 6 PG 13:714 D.

[\[1829\]](#) *Homilies on St. John*, 85:1.

[\[1830\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 117: 5.

[\[1831\]](#) *Homilies on St. John*, 85:1.

[\[1832\]](#) نشيد الأناشيد للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، تعريب الدكتور جرج توار، عظة 7.

[\[1833\]](#) Antiq. B 3 c. 7, s. 4.

[\[1834\]](#) Letters, 76.

[\[1835\]](#) Exposition 10: 116, 119, 120.

[\[1836\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 118: 4.

[\[1837\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 118: 4.

[\[1838\]](#) Letter 22:19.

[\[1839\]](#) H.E. 1:3:11.

[\[1840\]](#) Hom. 85. PG. 59: 506.

[\[1841\]](#) Ecc. His. Lib 2, 3

[\[1842\]](#) *Homilies on St. John*, 85:1.

[\[1843\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 119: 3.

[\[1844\]](#) Letter, 63:109.

[\[1845\]](#) Exposition 10: 129, 132, 134.

[\[1846\]](#) Hom. 85. PG 59: 506.

[\[1847\]](#) الكلمة اليونانية تستخدم عن الحب الذي للأم أو الأب تجاه الابن أو العكس حب الابن لوالديه.

[\[1848\]](#) لو 33:2 "وكان يوسف وأمه يتعجبان مما قيل فيه".

[\[1849\]](#) مقال 7: 9.

- [\[1850\]](#) Letter 127:6.
- [\[1851\]](#) Leon Morris, p. 668.
- [\[1852\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 119: 4.
- [\[1853\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 119: 4.
- [\[1854\]](#) Hom. 85. PG 599: 507.
- [\[1855\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 119: 6.
- [\[1856\]](#) Josephus: *antiq.* 6. 16, c.6, s 51.
- [\[1857\]](#) *Homilies on St. John*, 85:1.
- [\[1858\]](#) Letter 69:6.
- [\[1859\]](#) *Concerning Virgins* 3: 5 (22).
- [\[1860\]](#) Hom. 85. PG. 59: 507.
- [\[1861\]](#) Letter 69 to Oceanus, 6.
- [\[1862\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 120: 2.
- [\[1863\]](#) Hom. 85. PG 59: 507- 508.
- [\[1864\]](#) *Comm. on St.Luke*, Hom. 145, ch. 22.
- [\[1865\]](#) Hom. 85. PG 59: 508.
- [\[1866\]](#) Josephus, b 15 c.3, s.4, b 17, c.8, s.c.
- [\[1867\]](#) Hom. 17, Ps. 44: 7, *Exegetic Homilies in Fathers of the Church* vol 46, p. 290.
- [\[1868\]](#) *Concerning Virgins* 1:7:39.
- [\[1869\]](#) *Exposition*, 10: 136, 137.
- [\[1870\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 120: 4.

[\[1871\]](#) مقال 13 : 32.

[\[1872\]](#) مقال 14 : 5.

[\[1873\]](#) مقال 14 : 11.

- [\[1874\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 120: 5.
- [\[1875\]](#) *Homilies on St. John*, 85:4.
- [\[1876\]](#) *Homily on the Sunday of the Myrrh-bearing Women*. PG 151: 244 CD, 245.
- [\[1877\]](#) *Homilies on St. John*, 85:4.
- [\[1878\]](#) Cf. Adam Smith: *Comm. On John* 21:2.
- [\[1879\]](#) Hom. 85. PG 59: 510.
- [\[1880\]](#) Hom. 85 PG 59: 509- 510.
- [\[1881\]](#) Leon Morris, p. 692.
- [\[1882\]](#) *Homilies on St. John*, 85:6.
- [\[1883\]](#) *Homilies on St. John*, 86:1.
- [\[1884\]](#) cf. Hom 25. *Forty Gospel Homilies*, PL 76: 1189.
- [\[1885\]](#) St. Augustine: *On the Gospel of St. John*, tractate, 121: 1.
- [\[1886\]](#) *Homilies on St. John*, 86:1.

- [1924] Sermon 242:8.
- [1925] K. Ware: *The Orthodox Way*:SVSP., P.182.
- [1926] Sermon 362:10.
- [1927] Paedagogus 3:1.
- [1928] Homilies on St. John, 86:2.
- [1929] Letter 73 to Jubauan: 7.
- [1930] Firmilian to Cyprian: Letter 75: 16 (on 256 A.D.).
- [1931] *Of the Holy Spirit, Book 3*:18:137.
- [1932] Hom 25. *Forty Gospel Homilies*, 202-204.
- [1933] *Concerning Repentance*, 1:2:8.
- [1934] Homilies on St. John, 86:3.
- [1935] Cf. Hom 25. *Forty Gospel Homilies*, 205.
- [1936] Homilies on St. John, 87:2.
- [1937] Homilies on St. John, 87:1.
- [1938] Hom 25. *Forty Gospel Homilies* , 201.
- [1939] *To Pammachius Against John of Jerusalem*, 28..
- [1940] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate*, 121: 5.
- [1941] *Of the Holy Spirit, Book 3*:15:108.
- [1942] Sermon on N.T. Lessons, 48:1.
- [1943] Hom 25. *Forty Gospel Homilies* , 206-207.
- [1944] Sermon on N.T. Lessons, 38:2.
- [1945] Hom. 87. PG 59: 521.
- [1946] B. F. Westcott: (Cf. Leon Morris, p. 696.)
- [1947] Cf. Leon Morris: *Reflections on the Gospel of John*, Hendrickon Publishers, 2000, p. 724.
- [1948] Hom 25. *Forty Gospel Homilies*, PL 76: 185-6.
- [1949] Homilies on St. John, 87:2.
- [1950] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate* 122:2.
- [1951] Cassian: *Conferences*, 24:12..
- [1952] Hom 24. *Forty Gospel Homilies*, PL 76: 1184.
- [1953] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate* 122: 4.
- [1954] St. Augustine: *On the Gospel of St. John, tractate* 122: 3.
- [1955] Hom 24. *Forty Gospel Homilies*, PL 76: 1184.
- [1956] Homilies on St. John, 87:2.
- [1957] Hom 24. *Forty Gospel Homilies*, 181-182.
- [1958] Hom. 87. PG 59: 522.
- [1959] Hom 76. PG 59: 522.
- [1960] *To Pammachius Against John of Jerusalem*, 35.

- [1961] *Hom 24. Forty Gospel Homilies, 184.*
- [1962] *To Pammachius Against John of Jerusalem, 34.*
- [1963] *Hom 76. PG 59: 522.*
- [1964] *Hom 24. Forty Gospel Homilies, 182-183.*
- [1965] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 122: 7 – 9.*
- [1966] *Homilies on St. John, 87:2.*
- [1967] *Homilies on St. John, 87:3.*
- [1968] *Homilies on St. John, 88:1.*
- [1969] *Against the Pelagians, 1:18.*
- [1970] *Sermon on N.T. Lessons, 96:1.*
- [1971] *Letter 35:1.*
- [1972] *Cf. Leon Morris: Reflections on the Gospel of John, Hendrickon Publishers, 2000, p. 737.*
- [1973] *Ibid, p. 737.*
- [1974] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 123: 5.*
- [1975] *Exposition on St. Luke 10: 90.*
- [1976] *Letter, 77:4.*
- [1977] *Homilies on St. John, 88:1.*
- [1978] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 123:4.*
- [1979] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 123: 4.*
- [1980] *Homilies on St. John, 88:1.*
- [1981] *cf. St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 124: 7.*
- [1982] *On the Decease of His Brother Saytrus, Book 1:4.*
- [1983] *Hom 88 PG 59: 527.*
- [1984] *On the Decease of His Brother Saytrus, Book 2:49.*
- [1985] *cf. St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 124: 6 – 7.*
- [1986] *Antiques lib. 19 ch. 20.*
- [1987] *Phil 2:44.*
- [1988] *St. Augustine: On the Gospel of St. John, tractate 124: 8.*